

Twitter: @almosahm  
10.8.2013

# التشكيل الجميل للقرآن الكريم

للإمام أبي جري



التَّهْذِيبُ  
لِعِلْمِ الشَّيْخِ

لِلْإِمَامِ  
مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جُرَيْجٍ الْبَكْلِيِّ الْقُرَظْبِيِّ  
(ت ٧٤١ هـ)

حكومة الشارقة  
المنتدى الإسلامي

محمفوظ  
جميع الحقوق

1433 هـ - 2012 م



هاتف ٥٦٦٨٨٥٥ ٦ ٩٧١ + فاكس ٥٦٦٨٨٦٦ ٦ ٩٧١ + ص. ب. ٢٥٦٥٦ الشارقة - أ.ع.م  
Tel: + 971 6 5668855 Fax: +971 5 5668866 P.O. Box ( 25656 ) Shj - U.A.E  
[www.muntada.ae](http://www.muntada.ae)

السِّيَاهِيلُ الْعُلُومِ الشَّرِيفَاتُ

وَمَعْرِضُ الْمُصْحَفِ الشَّرِيفِ

بِرَوَايَةِ وَرَثَتِهِ عَنِ الْإِمَامِ نَافِعِ

لِلْإِمَامِ

مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جُرَيْجٍ الْكَلْبِيِّ الْغَزْنَاطِيِّ

(ت ٧٤١ هـ)

اعْتَنَى بِهِ

أَبُو بَكْرٍ بِن عَبْدِ اللَّهِ سَعْدَاوِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الفقيه الإمام العالم العلامة أبو عبد الله سيدي محمد المدعو بأبي القاسم بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي رحمه الله تعالى ورضي الله عنه ونفعنا به وبأمثاله، وأفاض علينا من خيرهم آمين يا رب العالمين:

الحمد لله العزيز الوهاب، مالك الملوك ورب الأرباب، هو الذي أنزل على عبده الكتاب، هدى وذكرى لأولي الألباب، وأودعه من العلوم النافعة، والبراهين القاطعة، والأنوار الساطعة، غاية الحكمة وفصل الخطاب. وخصّه من الخصائص العلية، واللطائف الخفية، والدلائل الجلية، والأسرار الربانية العجائب، بكل عجب عجاب، وجعله في الطبقة العليا من البيان، حتى أعجز الإنسان والجان، واعترف زعماء أرباب اللسان، بما تضمنه من الفصاحة والبراعة والبلاغة والإعراب والإغراب.

ويسر حفظه في الصدور، وضمن حفظه من التبديل والتغيير؛ ولا يتغير على طول الدهور، وتوالي الأحقاب. وجعله قولاً فصلاً، وحكماً عدلاً، وآية بادية، ومعجزة باقية، يشاهدها من شاهد الوحي ومن غاب، وتقوم بها الحججة للمؤمن الأواب، والحجة على الكافر المرتاب.

وهدى الخلق بما شرع فيه من الأحكام، وبين من الحلال والحرام، وعلم من شرائع الإسلام، وصرف من النواهي والأوامر، والمواعظ والزواجر، والبشارة بالثواب، والندارة بالعقاب.

وجعل أهل القرآن أهل الله وخاصته، واصطفاهم من عباده، وأورثهم الجنة وحسن المآب.

فسبحان المولى الكريم الذي خصنا بكتابه، وشرّفنا بخطابه، فإلها من نعمة سابغة، وحجة بالغة، أوزعنا الله القيام بشكرها، وتوفية حقها، ومعرفة قدرها، وما توفيقي إلا بالله، هوري لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب.

وصلوات الله وسلامه وتحياته وبركاته وإكرامه على من دلنا على الله، وبلغنا رسالة الله، وجاءنا بالقرآن العظيم، وبالآيات والذكر الحكيم، وجاهد في الله حق الجهاد، وبذل جهده في الحرص على نجاة العباد، وعلم ونصح، وبين وأوضح، حتى قامت الحججة، ولاحت المحجة، وتبين الرشد من الغي، وظهر طريق الحق والصواب، وانقشعت ظلمات الشك والارتياب؛ ذلك سيدنا ومولانا محمد النبي الأمي القرشي الهاشمي المختار من لباب اللباب، والمصطفى من أظهر الأنساب، وأشرف الأحساب.

الذي أيده الله بالمعجزة الظاهرة، والآيات الباهرة، والجنود القاهرة، والسيوف الباترة العضاب، وجمع له بين شرف الدنيا والآخرة، وجعله قائد الغر المحجلين والوجوه الناضرة، فهو أول من يشفع يوم الحساب، وأول من يدخل الجنة ويقرع الباب.

فصلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وأصحابه الأكرمين؛ خير أهل وأكرم أصحاب، صلاة زاكية نامية لا يحصر مقدارها العد والحساب، ولا يبلغ إلى أدنى وصفها السنة البلغاء ولا أقلام الكتاب.

أما بعد؛ فإن علم القرآن العظيم هو أرفع العلوم قدرا، وأجلها خطرا، وأعظمها أجرا، وأشرفها ذكرا، وإن الله أنعم عليّ بأن شغلني بخدمة القرآن العظيم وتعلمه وتعليمه، وشغفني بتفهم معانيه وتحصيل علومه؛ فاطلعت على ما صنّف العلماء رضي الله عنهم في تفسير القرآن من التصانيف المختلفة الأوصاف، المتباينة الأصناف؛ فمنهم من آثر الاختصار، ومنهم من طول حتى أكثر الأسفار، ومنهم من تكلم في بعض فنون العلم دون بعض، ومنهم من اعتمد على نقل أقوال الناس، ومنهم من عول على النظر والتحقيق والتدقيق، وكل واحد سلك طريقا نحاه، وذهب مذهبا ارتضاه، وكلا وعد الله الحسنَى.

فرغبت في سلوك طريقهم، والانخراط في سلك فريقهم، وصنفت هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم، وسائر ما يتعلق به من العلوم، وسلكت به مسلكا نافعا؛ إذ جعلته وجيزا جامعا، قصدت فيه أربع مقاصد، تتضمن أربع فوائد:

**الفائدة الأولى:** جمع كثير من العلم في كتاب صغير الحجم؛ تسهيلا على الطالبين، وتقريبا على الراغبين، فلقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمنته الدواوين الطويلة من العلم، ولكن بعد تلخيصها وتمحيصها، وتنقيح فصولها، وحذف حشوها وفضولها، ولقد أودعته من كل فن من فنون علم القرآن اللباب المرغوب فيه، دون القشر المرغوب عنه، من غير إفراط ولا تفريط، ثم إنني عزمت على إيجاز العبارة وإفراط الاختصار، وترك التطويل والتكرار.

**الفائدة الثانية:** ذكر نكت عجيبة، وفوائد غريبة، قلما توجد في كتاب؛ لأنها من بنات صدري، ونتائج فكري، أو مما أخذته عن شيوخ رضي الله عنهم، أو مما التقطته من مستظرفات النواذر الواقعة في غرائب الدفاتر.

**الفائدة الثالثة:** إيضاح المشكلات؛ إما بحل العقّد المقفلات، وإما بحسن العبارة ورفع الاحتمالات وبيان المجملات.

**الفائدة الرابعة:** تحقيق أقوال المفسرين، والتفرقة بين السقيم منها والصحيح، وتمييز الراجح من المرجوح؛ وذلك أن أقوال الناس على مراتب؛ فمنها الصحيح الذي يعول عليه، ومنها الباطل الذي لا يلتفت إليه، ومنها ما يحتمل الصحة والفساد، ثم إن هذا الاحتمال قد يكون متساويا أو متفاوتا، والتفاوت قد يكون قليلا أو كثيرا، وإنني جعلت لهذه الأقسام عبارة مختلفة يعرف بها مرتبة كل قول؛ فأدناها ما أصرح بأنه خطأ أو باطل، ثم ما أقول فيه: إنه ضعيف أو بعيد، ثم ما أقول: إن غيره أرجح منه أو أقوى أو أظهر أو أشهر، ثم ما أقدم غيره عليه إشعارا بترجيح المتقدم، أو بالقول فيه: قيل كذا؛ قصدا للخروج عن عهده.

وأما إذا صرحت فيه باسم قائل القول؛ فإني أفعل ذلك لأحد أمرين: إما للخروج عن عهده، وإما لنصرته؛ إذا كان قائله ممن يقتدى به، على أني لا أنسب الأقوال إلى أصحابها إلا قليلا، وذلك لقلّة صحة إسنادها إليهم، أو لاختلاف الناقلين في نسبتها إليهم.

وأما إذا ذكرت شيئا دون حكاية قوله عن أحد؛ فذلك إشارة إلى أني أتقلده وأرضيه؛ سواء كان من تلقاء نفسي، أو مما اختاره من كلام غيري.

وإذا كان القول في غاية السقوط والبطلان لم أذكره؛ تنزيها للكتاب عنه، وربما ذكرته تحذيرا منه.  
وهذا الذي أرتكبت من الترجيح والتصحيح مبني على القواعد العلمية، أو على ما تقتضيه اللغة العربية،  
وسنذكر بعد هذا بابا في موجبات الترجيح بين الأقوال إن شاء الله.

وسميت هذا الكتاب: «كتاب التسهيل لعلوم التنزيل» وقدمت في أوله مقدمتين؛ إحداهما: في أبواب نافعة،  
وقواعد كلية جامعة. والأخرى: فيما كثر دوره من اللغات الواقعة في القرآن.

وأنا أرغب إلى الله العظيم الكريم أن يجعل تصنيف هذا الكتاب عملا مبرورا، وسعيا مشكورا، ووسيلة  
توصلني إلى جنات النعيم، وتنقذني من عذاب الجحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

### المقدمة الأولى فيها اثنا عشر بابا

الباب الأول: في نزول القرآن العظيم وجمعه في المصحف ونقطه وتحزيبه وتعشيريه وذكر أسماؤه.

نزل القرآن على رسول الله ﷺ من أول ما بعثه الله بمكة وهو ابن أربعين سنة إلى أن هاجر إلى المدينة، ثم نزل  
عليه بالمدينة إلى أن توفاه الله، فكانت مدة نزوله عليه عشرين سنة، وقيل: كانت ثلاثا وعشرين سنة؛ على حسب  
الاختلاف في سنة ﷺ يوم توفي هل كان ابن ستين سنة أو ابن ثلاث وستين سنة؟ وكان ربها نزلت عليه سورة  
كاملة، وربها نزل عليه آيات مفترقات، فيضم عليه السلام بعضها إلى بعض حتى تكمل السورة.

وأول ما نزل عليه من القرآن صدر سورة العلق، ثم المدثر والمزمل، وقيل: أول ما نزل المدثر، وقيل: فاتحة  
الكتاب، والأول هو الصحيح؛ لما ورد في الحديث الصحيح عن عائشة ؓ في حديثها الطويل في ابتداء الوحي، قالت  
فيه: جاءه الملك وهو بغار حراء، قال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني  
فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما  
أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ  
الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف  
بها فؤاده فقال: «زملوني، زملوني»؛ فزملوه حتى ذهب عنه ما يجد من الروع. [البخاري 3].

وفي رواية من طريق جابر بن عبد الله ؓ، فقال: «زملوني»، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾. [البخاري 4].  
وأما آخر ما نزل من القرآن فسورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، وقيل: آية الربا التي في البقرة، وقيل: الآية  
التي قبلها.

وكان القرآن على عهد رسول الله ﷺ متفرقا في الصحف وفي صدور الرجال، فلما توفي رسول الله ﷺ قعد على  
ابن أبي طالب ؓ في بيته، فجمعه على ترتيب نزوله، ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير، لكنه لم يوجد.  
فلما قُتل جماعة من الصحابة يوم اليمامة في قتال مسيلمة الكذاب، أشار عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق ؓ  
بجمع القرآن؛ مخافة أن يذهب بموت القراء، فجمعه في صحف غير مرتب السور، وبقيت تلك الصحف عند  
أبي بكر ؓ، ثم عند عمر ؓ بعده، ثم عند بنته حفصة أم المؤمنين ؓ.



وانتشرت في خلال ذلك صحف كتبت في الآفاق عن الصحابة رضي الله عنهم، وكان بينها اختلاف، فأشار حذيفة بن اليمان على عثمان بن عفان رضي الله عنه، بجمع الناس على مصحف واحد؛ خيفة من اختلافهم، فانتدب لذلك عثمان رضي الله عنه، وأمر زيد بن ثابت رضي الله عنه بجمعه وجعل معه ثلاثة من قريش: عبد الله بن الزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام، وسعيد بن العاصي بن أمية رضي الله عنه، وقال لهم: إذا اختلفتم في شيء فاجعلوه بلغة قريش، وجعلوا المصحف الذي كان عند حفصة رضي الله عنها إماما في هذا الجمع الأخير. وكان عثمان رضي الله عنه يتعهدهم ويشاركهم في ذلك، فلما كمل المصحف نسخ عثمان رضي الله عنه منه نسخا، ووجهها إلى الأمصار، وأمر بما سواها من المصاحف أن تحرق أو تحرق - يروى بالحاء المهملة والحاء المنقوطة - فترتيب السور على ما هو الآن عليه هو من فعل عثمان وزيد بن ثابت رضي الله عنهما والذين كتبوا معه المصحف. وقد قيل: إنه من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك ضعيف ترده الآثار الواردة في ذلك.

وأما نقط القرآن وشكله؛ فأول من فعل ذلك الحجاج بن يوسف بأمر عبد الملك بن مروان، وزاد الحجاج تحزيبه. وقيل: أول من نقطه يحيى بن يعمر. وقيل: أبو الأسود الدؤلي.

وأما وضع الأعراس فيه؛ فقيل: إن الحجاج فعل ذلك. وقيل: بل أمر به المأمون العباسي.

وأما أسماؤه فهي أربعة: القرآن، والفرقان، والكتاب، والذكر.

وسائر ما يسمى صفات لا أسماء؛ كوصفه بالعظيم، والكريم، والمبين، والعزیز، والمجيد، وغير ذلك.

فأما القرآن: فأصله مصدر ثم أطلق على المقروء. وأما الفرقان: فمصدر أيضا، معناه: التفرقة بين الحق والباطل.

وأما الكتاب: فمصدر ثم أطلق على المكتوب. وأما الذكر: فسمي القرآن به؛ لما فيه من ذكر الله عز وجل، أو من التذكير والمواعظ.

ويجوز في السورة من القرآن الهمز، وترك الهمز لغة قريش. وأما الآية فأصلها العلامة، ثم سميت الجملة من القرآن آية؛ لأنها علامة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم.

### الباب الثاني في السور المكية والمدنية

اعلم أن السور المكية: هي التي نزلت بمكة، ويعد منها كل ما نزل قبل الهجرة وإن نزل بغير مكة، كما أن المدنية: هي السور التي نزلت بالمدينة، ويعد منها كل ما نزل بعد الهجرة وإن نزل بغير المدينة.

وتنقسم السور إلى ثلاثة أقسام:

مدنية باتفاق: وهي اثنان وعشرون سورة، وهي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، وبراءة، والنور، والأحزاب، والقتال، والفتح، والحجرات، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، والتحريم، وإذا جاء نصر الله.

وقسم فيها خلاف: هل هي مكية أو مدنية؟ وهي ثلاث عشرة سورة: أم القرآن، والرعد، والنحل، والحج، والإنسان، والمطففين، والقدر، ولم يكن، وإذا زلزلت، وأرأيت، والإخلاص، والمعوذتان.

وقسم مكية باتفاق: وهي سائر السور.

وقد وقعت آيات مدنية في سور مكية، كما وقعت آيات مكية في سور مدنية، وذلك قليل مختلف في أكثره. واعلم أن السور المكية نزل أكثرها في إثبات العقائد والرد على المشركين، وفي قصص الأنبياء. وأن السور المدنية نزل أكثرها في الأحكام الشرعية، وفي الرد على اليهود والنصارى، وذكر المنافقين، والفتوى في مسائل، وذكر غزوات النبي ﷺ.

وحيث ما ورد ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فهو مدني، وأما ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ فقد وقع في المكي والمدني.

### الباب الثالث في المعاني والعلوم التي تضمنها القرآن

ولنتكلم في ذلك على الجملة والتفصيل؛ أما الجملة: فاعلم أن المقصود بالقرآن دعوة الخلق إلى عبادة الله وإلى الدخول في دين الله، ثم إن هذا المقصد يقتضي أمرين لا بد منهما، وإليهما ترجع معاني القرآن كله: أحدهما: بيان العبادة التي دعي الخلق إليها. والآخر: ذكر بواعث تبعثهم على الدخول فيها وتقودهم إليها. فأما العبادة فتتقسم إلى نوعين: وهما أصول العقائد وأحكام الأعمال. وأما البواعث عليها؛ فأمران، وهما: الترغيب والترهيب.

وأما على التفصيل: فاعلم أن معاني القرآن سبعة: وهي علم الربوبية، والنبوة، والمعاد، والأحكام، والوعد، والوعيد، والقصص.

فأما علم الربوبية فمنه: إثبات وجود الباري جل جلاله، والاستدلال عليه بمخلوقاته، فكل ما جاء في القرآن من التنبيه على المخلوقات، والاعتبار في خلقه الأرض والسماوات، والحيوان والنبات، والرياح والأمطار، والشمس والقمر، والليل والنهار، وغير ذلك من الموجودات، فهو دليل على خالقه. ومنه: إثبات الوحدانية والرد على المشركين، والتعريف بصفات الله من الحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، وغير ذلك من أسمائه وصفاته، وتنزيهه عما لا يليق به.

وأما النبوة: فإثبات نبوة الأنبياء عليهم السلام على العموم، ونبوة محمد ﷺ على الخصوص، وإثبات الكتب التي أنزلها الله عليهم، ووجود الملائكة الذين كان منهم وسائط بين الله وبينهم، والرد على من كفر بشيء من ذلك. وينخرط في سلك هذا ما ورد في القرآن؛ من تأنيس النبي ﷺ، وكرامته، والثناء عليه وعلى سائر الأنبياء صلى الله عليه وعليهم أجمعين.

وأما المعاد: فإثبات الحشر، وإثبات البراهين عليه، والرد على من خالف فيه، وذكر ما في الدار الآخرة؛ من الجنة، والنار، والحساب، والميزان، وصحائف الأعمال، وكثرة الأهوال، وغير ذلك.

وأما الأحكام: فهي الأوامر والنواهي، وتنقسم خمسة أنواع: واجب، ومندوب، وحرام، ومكروه، ومباح. ومنها ما يتعلق بالأبدان كالصلاة والصيام، وما يتعلق بالأموال كالزكاة، وما يتعلق بالقلوب كالإخلاص والخوف والرجاء، وغير ذلك.

وأما الوعد: فمنه وعد بخير الدنيا من النصر والظهور وغير ذلك، ومنه وعد بخير الآخرة، وهو الأكثر؛ كأوصاف الجنة ونعيمها.

وأما الوعيد: فمنه تخويف بالعقاب في الدنيا، ومنه تخويف بالعقاب في الآخرة، وهو الأكثر؛ كأوصاف جهنم وعذابها، وأوصاف القيامة وأهوالها.

وتأمل القرآن تجد الوعد مقرونا بالوعيد قد ذكر أحدهما على إثر ذكر الآخر؛ ليجمع بين الترغيب والترهيب؛ وليتبين أحدهما بالآخر، كما قيل: فبضدها تتبين الأشياء.

وأما القصص: فهو ذكر أخبار الأنبياء المتقدمين وغيرهم؛ كقصة أصحاب الكهف، وذوي القرنين.

فإن قيل: ما الحكمة في تكرار قصص الأنبياء في القرآن؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أنه ربما ذكر في سورة من أخبار الأنبياء ما لم يذكر في سورة أخرى، ففي كل واحدة منها فائدة زائدة على الأخرى.

الوجه الثاني: أنه ذكرت أخبار الأنبياء في مواضع على طريقة الإطناب، وفي مواضع على طريقة الإيجاز؛ لتظهر فصاحة القرآن في الطريقتين.

الوجه الثالث: أن أخبار الأنبياء قصد بذكرها مقاصد كثيرة، فتعدد ذكرها بتعدد تلك المقاصد.

فمن المقاصد: إثبات نبوة الأنبياء المتقدمين؛ بذكر ما جرى على أيديهم من المعجزات، وذكر إهلاك من كذبهم بأنواع من المهالك.

ومنها: إثبات النبوة لمحمد ﷺ؛ لإخباره بتلك الأخبار من غير تعلم من أحد، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾.

ومنها: إثبات الوحداية، ألا ترى أنه لما ذكر إهلاك الأمم الكافرة، قال: ﴿ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾.

ومنها: الاعتبار في قدرة الله وشدة عقابه لمن كفر به.

ومنها: تسلية النبي ﷺ عن تكذيب قومه له بالتأسي بمن تقدم من الأنبياء؛ كقوله: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾.

ومنها: تسليته عليه السلام، ووعدته بالنصر كما نصر الأنبياء الذين من قبله.

ومنها: تخويف الكفار بأن يعاقبوا كما عوقب الكفار الذين من قبلهم.

إلى غير ذلك مما احتوت عليه أخبار الأنبياء من العجائب والمواعظ، واحتجاج الأنبياء وردهم على الكفار وغير ذلك؛ فلما كانت أخبار الأنبياء تفيده فوائد كثيرة، ذكرت في مواضع كثيرة، ولكل مقام مقال.

الباب الرابع في فنون العلوم التي تتعلق بالقرآن

اعلم أن الكلام على القرآن يستدعي الكلام في اثني عشر فنا من العلوم، وهي: التفسير، والقراءات، والأحكام، والنسخ، والحديث، والقصص، والتصوف، وأصول الدين، وأصول الفقه، واللغة، والنحو، والبيان. فأما التفسير: فهو المقصود بنفسه، وسائر هذه الفنون أدوات تعين عليه، أو تتعلق به، أو تنفرع منه. ومعنى التفسير: شرح القرآن، وبيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه؛ بنصه، أو إشارته، أو فحواه. واعلم أن التفسير؛ منه متفق عليه، ومختلف فيه، ثم إن المختلف فيه على ثلاثة أنواع: أحدها: اختلاف في العبارة مع اتفاق في المعنى؛ فهذا عده كثير من المؤلفين في التفسير خلافا، وليس في الحقيقة بخلاف؛ لاتفاق معناه، وجعلناه نحن قولاً واحداً، وعبرنا عنه بأحد عبارات المتقدمين، أو بما يقرب منها، أو بما يجمع معانيها.

النوع الثاني: اختلاف في التمثيل؛ لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنى واحد، وليس مثال منها على خصوصه هو المراد، وإنما المراد المعنى العام التي تندرج تلك الأمثلة تحت عمومها؛ فهذا عده أيضاً كثير من المؤلفين خلافاً، وليس في الحقيقة بخلاف؛ لأن كل قول منها مثال للمراد وليس بكل المراد، ولم نعه نحن خلافاً، بل عبرنا عنه بعبارة عامة تدخل تلك الأقوال تحتها، وربما ذكرنا بعض تلك الأقوال على وجه التمثيل، مع التنبيه على العموم المقصود. النوع الثالث: اختلاف في المعنى؛ فهذا هو الذي عدناه خلافاً، ورجحنا فيه بين أقوال الناس حسبما ذكرناه في خطبة الكتاب.

فإن قيل: ما الفرق بين التفسير والتأويل؟ فالجواب: أن في ذلك ثلاثة أقوال:

الأول: أنها بمعنى واحد.

الثاني: أن التفسير للفظ، والتأويل للمعنى.

الثالث: وهو الصواب، أن التفسير هو الشرح، وأن التأويل هو حمل الكلام على معنى غير المعنى الذي يقتضيه ظاهر اللفظ لموجب اقتضى أن يحمل على ذلك ويخرج عن ظاهره.

وأما القراءات: فإنها في القرآن بمنزلة الرواية في الحديث، فلا بد من ضبطها كما يضبط الحديث بروايتها.

ثم إن القراءات على قسمين: مشهورة وشاذة؛ فالمشهورة: هي القراءات السبع وما جرى مجراها؛ كقراءة يعقوب وابن محيصن، والشاذة: ما سوى ذلك.

وإنما بنينا هذا الكتاب على قراءة نافع لوجهين؛ أحدهما: أنها القراءة المستعملة في بلادنا بالأندلس وسائر المغرب. والآخر: الاقتداء بالمدينة شرفها الله تعالى؛ لأنها قراءة أهل المدينة. وقال مالك بن أنس: قراءة نافع سنة.

وذكرنا من سائر القراءات ما فيه فائدة في المعنى، أو الإعراب، أو غير ذلك، دون ما لا فائدة فيه زائدة، واستغنيا عن استيفاء القراءات لكونها مذكورة في الكتب المؤلفة فيها، وقد صنفنا فيها كتباً نفع الله بها.

وأيضاً فإننا لما عزمنا في هذا الكتاب على الاختصار، حذفنا منه ما لا تدعو إليه ضرورة، وقد ذكرنا في هذه المقدمات باباً في قواعد أصول القراءات.

وأما أحكام القرآن: فهي تفسير ما ورد فيه من الأوامر، والنواهي، والمسائل الفقهية. وقال بعض العلماء: إن آيات الأحكام خمسمائة، وقد تنتهي إلى أكثر من ذلك إذا استقصى تتبعها في مواضعها. وقد صنف الناس في أحكام القرآن تصانيف كثيرة، ومن أحسن تصانيف المشاركة فيها: تأليف القاضي إسماعيل، وأبي الحسن كياه، ومن أحسن تصانيف أهل الأندلس فيها: تأليف القاضي الإمام أبي بكر بن العربي، والقاضي الحافظ أبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم المعروف بابن الفرس.

وأما النسخ: فهو يتعلق بالأحكام؛ لأنها محل النسخ؛ إذ لا تنسخ الأخبار، ولا بد من معرفة ما وقع في القرآن من الناسخ والمنسوخ، والمحكم: وهو ما لم ينسخ.

وقد صنف الناس في ناسخ القرآن ومنسوخه تصانيف كثيرة، أحسنها تأليف القاضي أبي بكر بن العربي. وقد ذكرنا في هذه المقدمات باباً في قواعد النسخ، وذكر ما تقرر في القرآن من المنسوخ، وذكرنا سائرته في مواضعه.

وأما الحديث: فيحتاج المفسر إلى روايته وحفظه؛ لوجهين: أحدهما: أن كثيراً من آيات القرآن نزلت في قوم مخصوصين، ونزلت بأسباب قضايا وقعت في زمن النبي ﷺ من الغزوات، والنوازل، والسؤالات، فلا بد من معرفة ذلك؛ ليعلم فيمن نزلت الآية، وفيها نزلت، ومتى نزلت؛ فإن النسخ مبني على معرفة تاريخ النزول؛ لأن المتأخر ناسخ المتقدم. الوجه الآخر: أنه ورد عن النبي ﷺ كثير من تفسير القرآن، فتجب معرفته؛ لأن قوله عليه السلام مقدم على أقوال الناس.

وأما القصص: فهو من جملة العلوم التي تضمنها القرآن، فلا بد من تفسيره، إلا أن الضروري منه ما يتوقف التفسير عليه، وما سوى ذلك زيادة مستغنى عنها.

وقد أكثر بعض المفسرين من حكاية القصص الصحيح وغير الصحيح، حتى أنهم ذكروا منه ما لا يجوز ذكره؛ مما فيه تقصير بمنصب الأنبياء عليهم السلام، أو حكاية ما يجب تنزيههم عنه.

وأما نحن فاقصرنا في هذا الكتاب من القصص على ما يتوقف التفسير عليه، وعلى ما ورد منه في الحديث الصحيح.

وأما التصوف: فله تعلق بالقرآن؛ لما ورد في القرآن من المعارف الإلهية، ورياضة النفوس، وتنوير القلوب، وتطهيرها باكتساب الأخلاق الحميدة، واجتناب الأخلاق الذميمة.

وقد تكلمت المتصوفة في تفسير القرآن؛ فمنهم من أحسن وأجاد، ووصل بنور بصيرته إلى دقائق المعاني، ووقف على حقيقة المراد، ومنهم من توغل في الباطنية، وحمل القرآن على ما لا تقتضيه اللغة العربية. وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمي كلامهم في التفسير في كتاب سماه «الحقائق». وقال بعض العلماء: بل هو الباطل، وإذا أنصفنا قلنا فيه حقائق وبواطن.

وقد ذكرنا في هذا الكتاب ما يستحسن من الإشارات الصوفية، دون ما يعترض أو يقدر فيه. وتكلمنا أيضا على اثني عشر مقاما من مقام التصوف في مواضعها من القرآن، فتكلمنا على الشكر في أم القرآن؛ لما بين الحمد والشكر من الاشتراك في المعنى، وتكلمنا على التقوى في قوله تعالى في البقرة: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، وعلى الذكر في قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾، وعلى الصبر في قوله تعالى فيها: ﴿وَيَسِّرِ الصَّابِرِينَ﴾، وعلى التوحيد في قوله تعالى فيها: ﴿وَالَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾، وعلى محبة الله في قوله فيها: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾، وعلى التوكل في قوله في آل عمران: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾، وعلى المراقبة في قوله في النساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾، وعلى الخوف والرجاء في قوله في الأعراف: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، وعلى التوبة في قوله في النور: ﴿وَتَوُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾، وعلى الإخلاص في قوله في "لَمْ يَكُنْ": ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.

وأما أصول الدين: فتتعلق بالقرآن من طريقين:

أحدهما: ما ورد في القرآن من إثبات العقائد، وإقامة البراهين عليها، والرد على أصناف الكفار. والآخر: أن الطوائف المختلفة من المسلمين تعلقوا بالقرآن، وكل طائفة منهم تحتج لمذهبها بالقرآن، وترد على من خالفها، وتزعم أنه خالف القرآن، ولا شك أن منهم المحق والمبطل؛ فمعرفة تفسير القرآن توصل في ذلك إلى التحقيق مع التسديد، والتأييد من الله والتوفيق.

وأما أصول الفقه: فإنها من أدوات تفسير القرآن، على أن كثيرا من المفسرين لم يشتغلوا بها، وإنما لنعم العون على فهم المعاني وترجيح الأقوال، وما أحوج المفسر إلى معرفة النص، والظاهر، والمجمل، والمبين، والعام، والخاص، والمطلق، والمقيد، وفحوى الخطاب، ولحن الخطاب، ودليل الخطاب، وشروط النسخ، ووجوه التعارض، وأسباب الخلاف، وغير ذلك من علم الأصول.

وأما اللغة: فلا بد للمفسر من حفظ ما ورد في القرآن منها، وهي غريب القرآن، وهي فن من فنون التفسير، وقد صنف الناس في غريب القرآن تصانيف كثيرة.

وقد ذكرنا بعد هذه المقدمة مقدمة في اللغات الكثيرة الدوران في القرآن؛ لئلا نحتاج أن نذكرها حيثما وقعت؛ فيطول الكتاب بكثرة تكرارها.

وأما النحو: فلا بد للمفسر من معرفته؛ فإن القرآن نزل بلسان العرب، فيحتاج إلى معرفة اللسان. والنحو ينقسم إلى قسمين: أحدهما: عوامل الإعراب؛ وهي أحكام الكلام المركب، والآخر: التصريف؛ وهو أحكام الكلمات قبل تركيبها.

وقد ذكرنا في هذا الكتاب من إعراب القرآن ما يحتاج إليه من المشكل، أو المختلف فيه، أو ما يفيد فهم المعنى، أو يختلف المعنى باختلافه، ولم نتعرض لما سوى ذلك من الإعراب السهل الذي لا يحتاج إليه إلا المبتدئ؛ فإن ذلك يطول بغير كبير فائدة.

وأما علم البيان: فهو علم شريف تظهر به فصاحة القرآن، وقد ذكرنا منه في هذا الكتاب فوائد فائقة، ونكتا مستحسنة راقية، وجعلنا في المقدمات بابا في أدوات البيان؛ ليفهم به ما يرد منها مفرقا في مواضعه من القرآن.

الباب الخامس في أسباب الخلاف بين المفسرين، والوجوه التي يرجح بها بين أقوالهم

فأما أسباب الخلاف فهي اثنا عشر:

الأول: اختلاف القراءات.

الثاني: اختلاف وجوه الإعراب وإن اتفقت القراءات.

الثالث: اختلاف اللغويين في معنى الكلمة.

الرابع: اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر.

الخامس: احتمال العموم والخصوص.

السادس: احتمال الإطلاق والتقييد.

السابع: احتمال الحقيقة أو المجاز.

الثامن: احتمال الإضمار أو الاستقلال.

التاسع: احتمال كون الكلمة زائدة أو غير زائدة.

العاشر: احتمال حمل الكلام على الترتيب أو على التقديم والتأخير.

الحادي عشر: احتمال أن يكون الحكم منسوخا أو محكما.

الثاني عشر: اختلاف الرواية في التفسير عن النبي ﷺ وعن السلف ؓ.

وأما وجوه الترجيح فهي اثنا عشر:

الأول: تفسير بعض القرآن ببعض؛ فإذا دل موضع من القرآن على المراد بموضع آخر، حملناه عليه، ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال.

الثاني: حديث النبي ﷺ؛ فإذا ورد عنه عليه السلام تفسير شيء من القرآن عولنا عليه، لا سيما إن ورد في الحديث الصحيح.

الثالث: أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين؛ فإن كثرة القائلين بالقول تقتضي ترجيحه.

الرابع: أن يكون القول قول من يقتدى به من الصحابة؛ كالخلفاء الأربعة، وعبد الله بن عباس ؓ؛ لقول

النبي ﷺ: « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » [أحمد: 2398].

الخامس: أن يدل على صحة القول كلام العرب من اللغة، أو الإعراب، والتصريف، أو الاشتقاق.  
 السادس: أن يشهد لصحة القول سياق الكلام، ويدل عليه ما قبله وما بعده.  
 السابع: أن يكون ذلك المعنى هو المتبادر إلى الذهن؛ فإن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه.  
 الثامن: تقديم الحقيقة على المجاز؛ فإن الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ عند الأصوليين، وقد يترجح المجاز الذي كثر استعماله حتى يصير أغلب استعمالاً من الحقيقة؛ ويسمى مجازاً راجحاً، والحقيقة مرجوحة.  
 وقد اختلف العلماء أيهما يقدم؟ فمذهب أبي حنيفة: تقديم الحقيقة لأنها الأصل، ومذهب أبي يوسف: تقديم المجاز الراجح لرجحانه، وقد يكون المجاز أفصح وأبرع فيكون أرجح.  
 التاسع: تقديم العموم على الخصوص؛ فإن العموم أولى؛ لأنه الأصل، إلا أن يدل دليل على التخصيص.  
 العاشر: تقديم الإطلاق على التقييد، إلا أن يدل دليل على التقييد.  
 الحادي عشر: تقديم الاستقلال على الإضمار، إلا أن يدل دليل على الإضمار.  
 الثاني عشر: حمل الكلام على ترتيبه، إلا أن يدل دليل على التقديم والتأخير.  
 الباب السادس في ذكر المفسرين

اعلم أن السلف الصالح انقسموا على فرقتين: فمنهم من فسر القرآن وتكلم في معانيه وهم الأكثرون، ومنهم من توقف عن الكلام فيه؛ احتياطاً لما ورد من التشديد في ذلك، فقد قالت عائشة رضي الله عنها: ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر من القرآن إلا آيات بعدد، علمه إياهن جبريل. [مختصر البزار: 1448]. وقال رضي الله عنه: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ» [أبو داود: 3654]. وتأول المفسرون حديث عائشة رضي الله عنها بأنه في مغيبات القرآن التي لا تعلم إلا بتوقيف من الله تعالى، وتأولوا الحديث الآخر بأنه فيمن تكلم في القرآن بغير علم ولا أدوات، لا فيمن تكلم بما تقتضيه أدوات العلوم، ونظر في أقوال العلماء المتقدمين؛ فإن هذا لم يقل في القرآن برأيه.  
 واعلم أن المفسرين على طبقات:

فالطبقة الأولى: الصحابة رضي الله عنهم، وأكثرهم كلاماً في التفسير: ابن عباس رضي الله عنهما، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يثني على تفسير ابن عباس رضي الله عنه ويقول: كأنها ينظر إلى الغيب من ستر رقيق. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما عندي من تفسير القرآن فهو عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ويتلوهما: عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وزيد بن ثابت، ثم عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

وكل ما جاء من الصحابة من التفسير فهو حسن مقبول.  
 والطبقة الثانية: التابعون، وأحسنهم كلاماً في التفسير: الحسن بن أبي الحسن البصري، وسعيد بن جبير، ومجاهد مولى ابن عباس رضي الله عنه، وعلقمة صاحب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.  
 ويتلوهم: عكرمة، وقتادة، والسدي، والضحاك بن مزاحم، وأبو صالح، وأبو العالية.



ثم حمل تفسير القرآن عدول كل خلف، وألف الناس فيه؛ كالفضل، وعبد الرزاق، وعبد الله بن حميد، والبخاري، وعلي بن أبي طلحة، وغيرهم، ثم إن محمد بن جرير الطبري جمع أقوال المفسرين وأحسن النظر فيها. ومن صنف في التفسير أيضا: أبو بكر النقاش، والثعلبي، والماوردي، إلا أن كلامهم يحتاج إلى تنقيح، وقد استدرك الناس على بعضهم.

وصنف أبو محمد بن قتيبة في غريب القرآن ومشكله وكثير من علومه. وصنف في معاني القرآن جماعة من النحويين؛ كأبي إسحق الزجاج، وأبي علي الفارسي، وأبي جعفر النحاس. وأما أهل المغرب والأندلس؛ فصنف القاضي منذر بن سعيد البلوطي كتابا في غريب القرآن وتفسيره. ثم صنف المقرئ أبو محمد مكي بن أبي طالب كتاب الهداية في تفسير القرآن، وكتابا في غريب القرآن، وكتابا في ناسخ القرآن ومنسوخه، وكتابا في إعراب القرآن، إلى غير ذلك من تواليه؛ فإنها نحو ثمانين تأليفا أكثرها في علوم القرآن من القراءات، والتفسير، وغير ذلك.

وأما أبو عمرو الداني؛ فتواليه تنيف على مائة وعشرين، إلا أن أكثرها في القراءات، ولم يؤلف في التفسير إلا قليلا. وأما أبو العباس المهدي؛ فمتقن التأليف، حسن الترتيب، جامع لفنون علوم القرآن. ثم جاء القاضيان: أبو بكر بن العربي، وأبو محمد عبد الحق بن عطية، فأبدع كل واحد منهما وأجمل، واحتفل وأكمل.

فأما ابن العربي فصنف كتاب «أنوار الفجر» في غاية الاحتفال والجمع لعلوم القرآن، فلما تلف تلافاه بكتاب «قانون التأويل» إلا أنه اخترمته المنية قبل تحليصه وتلخيصه، وألف في سائر علوم القرآن تواليه مفيدة. وأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التواليف وأعد لها؛ فإنه اطلع على تواليه من كان قبله، فهذبها ولخصها، وهو مع ذلك حسن العبارة، مسدد النظر، محافظ على السنة.

ثم ختم علماء القرآن بالأندلس وسائر المغرب شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير؛ فلقد قطع عمره في خدمة القرآن، وآتاه الله بسطة وقوة في فهمه، وله فيه تحقيق ونظر دقيق.

ومما بأيدينا من تواليه أهل المشرق: تفسير أبي القاسم الزمخشري، وأبي الفضل الغزنوي، وأبي الفضل ابن الخطيب.

فأما الزمخشري: فمسدد النظر، بارع في الإعراب، متقن في علم البيان، إلا أنه ملأ كتابه من مذهب المعتزلة ونصرهم، وحمل آيات القرآن على طريقتهم، فتكدر صفوه، وتمرر حلوه؛ فخذ منه ما صفا ودع منه ما كدر. وأما الغزنوي: فكتابه مختصر جامع، وفيه من التصوف نكت بديعة.

وأما ابن الخطيب: فتضمن كتابه ما في كتاب الزمخشري، وزاد عليه إشباع الكلام في قواعد علم الكلام؛ ونسقه بترتيب المسائل، وتدقيق النظر في بعض المواضع، وهو على الجملة كتاب كبير الجرم، وربما يحتاج إلى تنخيل وتلخيص. والله ينفع الجميع بخدمة كتابه، ويجزيهم أفضل ثوابه بمنه وكرمه وفضله وجوده.

الباب السابع في الناسخ والمنسوخ

النسخ في اللغة: هو الإزالة والنقل. ومعناه في الشريعة: رفع الحكم الشرعي بعد تفرده. ووقع في القرآن على ثلاثة أوجه:

نسخ اللفظ والمعنى؛ كقوله: (لا تَزَعُبُوا عَنْ آيَاتِكُمْ فَإِنَّهُ كُفْرٌ بِكُمْ).

والثاني: نسخ اللفظ دون المعنى؛ كقوله: (الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُوهُمَا أَلْبَتَّةَ نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ).

والثالث: نسخ المعنى دون اللفظ، وهو كثير، ووقع منه في القرآن على ما عد بعض العلماء مائتا موضع واثنان وعشرة مواضع منسوخة.

إلا أنهم عدوا التخصيص، والتقييد، والاستثناء، نسخا؛ وبين هذه الأشياء وبين النسخ فروق معروفة، وستكلم على ذلك في مواضعه.

ونقدم هنا ما جاء من نسخ مسالة الكفار، والعتو عنهم، والإعراض والصبر على أذاهم، بالأمر بقتالهم؛ ليغني ذلك عن تكراره في مواضعه؛ فإنه وقع في القرآن منه مائة آية وأربع عشرة آية من أربع وخمسين سورة.

ففي البقرة: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [83]، ﴿ وَلَنَا أَعْمَالُنَا ﴾ [139]، ﴿ وَلَا تَعْتَدُوا ﴾ [190]؛ أي لا تبدؤا بالقتال، ﴿ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ ﴾ [191]، ﴿ قُلْ قَاتِلْ ﴾ [217]، ﴿ لَا إِكْرَاهَ ﴾ [256].

وفي آل عمران: ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ ﴾ [20]، ﴿ مِنْهُمْ ثِقَاتٌ ﴾ [28].

وفي النساء: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ [63-81] في موضعين، ﴿ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [80]، ﴿ لَا تُكَلِّفُ الْإِنْسَانَ نَفْسًا ﴾ [84]، ﴿ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ ﴾ [90].

وفي المائدة: ﴿ وَلَا آمِينَ ﴾ [2]، ﴿ رَسُولِنَا الْبَلَاءُ ﴾ [29]، ﴿ عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ ﴾ [105].

وفي الأنعام: ﴿ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ [66]، ﴿ ثُمَّ ذَرَهُمْ ﴾ [91]، ﴿ عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ [104]، ﴿ وَأَعْرِضْ ﴾ [106]، و﴿ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [107]، ﴿ وَلَا تَسْبُوا ﴾ [108]، ﴿ فَذَرَهُمْ ﴾ [112-120] في موضعين، ﴿ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا ﴾ [135]، ﴿ قُلْ انْتَظِرُوا ﴾ [158]، ﴿ لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [159].

وفي الأعراف: ﴿ وَأَعْرِضْ ﴾ [199]، ﴿ وَأْمِلْ لَهُمْ ﴾ [183].

وفي الأنفال: ﴿ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ ﴾ [72] يعني: المعاهدين.

وفي التوبة: ﴿ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ﴾ [7].

وفي يونس: ﴿ فَانْتَظِرُوا ﴾ [102]، ﴿ فَقُلْ لِي عَمَلِي ﴾ [41]، ﴿ وَإِنَّمَا تُرِيدُكَ ﴾ [46]، ﴿ وَلَا يُجْزِنُكَ قَوْلُهُمْ ﴾ [65]؛ لما يقتضي من الإمهال، ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُهُ ﴾ [99]، ﴿ فَمَنْ اهْتَدَى ﴾ [108]؛ لأن معناه الإمهال، ﴿ وَاصْبِرْ ﴾ [109].

وفي هود: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ﴾ [12]؛ أي: تنذر ولا تجبر، ﴿ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ ﴾ [93]، ﴿ وَانْتَظِرُوا ﴾ [122].

وفي الرعد: ﴿عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ [40].  
 وفي الحجر: ﴿ذَرَّهُمْ﴾ [3]، ﴿قَاصِّحٌ﴾ [85]، ﴿لَا تَمُدَّنَّ﴾ [88]، ﴿أَنَا النَّذِيرُ﴾ [89]، ﴿وَأَعْرِضُ﴾ [94].  
 وفي النحل: ﴿إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [35]، ﴿عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ [82]، ﴿وَجَادِلْهُمْ﴾ [125]، ﴿وَاصْبِرْ﴾ [127].  
 وفي الإسراء: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ [54].  
 وفي مريم: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ﴾ [39]، ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ [75]، ﴿فَلَا تَعْجَلْ﴾ [84].  
 وفي طه: ﴿قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ﴾ [135].  
 وفي الحج: ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ﴾ [68].  
 وفي المؤمنين: ﴿قَدَّرَهُمْ﴾ [54]، ﴿ادْفَعْ﴾ [96].  
 وفي النور: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ [54]، ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [54].  
 وفي النمل: ﴿فَمَنْ اهْتَدَى﴾ [92].  
 وفي القصص: ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا﴾ [55].  
 وفي العنكبوت: ﴿أَنَا نَذِيرٌ﴾ [50]؛ لما يقتضي من عدم الإجبار.  
 وفي الروم: ﴿قَاصِيرٌ﴾ [60].  
 وفي لقمان: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ [23].  
 وفي السجدة: ﴿وَأَنْتَظِرُ﴾ [30].  
 وفي الأحزاب: ﴿وَدَعَّ آذَانَهُمْ﴾ [48].  
 وفي سبأ: ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ﴾ [25].  
 وفي فاطر: ﴿إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [23].  
 وفي يس: ﴿فَلَا يَحْزَنُكَ﴾ [76].  
 وفي الصافات: ﴿فَقَتَوْلَ عَنْهُمْ﴾ [174]، ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ [178] وما يليهما.  
 وفي ص: ﴿اصْبِرْ﴾ [17]، ﴿أَنَا نَذِيرٌ﴾ [70].  
 وفي الزمر: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ [3]؛ لما فيه من الإمهال، ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [15]، ﴿يَا قَوْمِ اعْمَلُوا﴾ [39]، ﴿فَمَنْ اهْتَدَى﴾ [41]، ﴿أَنْتَ تَحْكُمُ﴾ [46]؛ لأن فيه تفويضا.  
 وفي المؤمن: ﴿قَاصِيرٌ﴾ [55-77] في موضعين.  
 وفي السجدة: ﴿ادْفَعْ﴾ [34].  
 وفي الشورى: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ [6]، ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا﴾ [15]، ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ [48].  
 وفي الزخرف: ﴿قَدَّرَهُمْ﴾ [83]، ﴿قَاصِّحٌ﴾ [89].  
 وفي الدخان: ﴿قَارَتْقَبٌ﴾ [10].

- وفي الجاثية: ﴿يَغْفِرُوا﴾ [14].  
 وفي الأحقاف: ﴿قَاصِرٍ﴾ [35].  
 وفي القتال: ﴿فَأَمَّا مَنَّا﴾ [4].  
 وفي ق: ﴿قَاصِرٍ﴾ [39]، ﴿وَمَا أَنْتَ﴾ [45].  
 وفي الذاريات: ﴿فَتَوَلَّ﴾ [54].  
 وفي الطور: ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾ [31]، ﴿وَاصِرٍ﴾ [48]، ﴿قَدَرُهُمْ﴾ [45].  
 وفي النجم: ﴿فَأَعْرِضْ﴾ [29].  
 وفي القمر: ﴿فَتَوَلَّ﴾ [6].  
 وفي ن: ﴿قَاصِرٍ﴾ [48]، ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ [44].  
 وفي المعارج: ﴿قَاصِرٍ﴾ [5]، ﴿قَدَرُهُمْ﴾ [42].  
 وفي المزمل: ﴿وَاهْجُرْهُمْ﴾ [10]، ﴿وَدَّرَنِي﴾ [11].  
 وفي المدثر: ﴿دَّرَنِي﴾ [11].  
 وفي الإنسان: ﴿قَاصِرٍ﴾ [24].  
 وفي الطارق: ﴿فَمَهَّلِ الْكَافِرِينَ﴾ [17].  
 وفي الغاشية: ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُضِيطِرٍّ﴾ [22].  
 وفي الكافرين: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ [6].  
 نسخ ذلك كله: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾، و﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾.

#### الباب الثامن في جوامع القراءات

وهي على نوعين: مشهورة وشاذة؛ فالمشهورة: القراءات السبع، وهي: حرف نافع المدني، وابن كثير المكي، وأبو عمرو بن العلاء البصري، وابن عامر الشامي، وحزمة وعاصم، والكسائي الكوفي.  
 ويجري مجراهم في الصحة والشهرة: يعقوب الحضرمي، وابن محيصن، ويزيد بن القعقاع.  
 والشاذة: ما سوى ذلك. وإنما سميت شاذة؛ لعدم استفاضتها في النقل، وقد تكون فصيحة اللفظ وقوية المعنى.

ولا يجوز أن يقرأ بحرف إلا بثلاث شروط:

- موافقته لمصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه.
- وموافقته لكلام العرب ولو على بعض الوجوه أو في بعض اللغات.
- ونقله نقلاً متواتراً، أو مستفيضاً.

واعلم أن اختلاف القراءة على نوعين: أصول، وفرش الحروف.  
فأما الفرش: فهو ما لا يرجع إلى أصل مطرد ولا قانون كلي؛ وهو على وجهين: اختلاف في القراءة باختلاف المعنى، وبتوافق المعنى.

وأما الأصول: فالاختلاف فيها لا يغير المعنى، وهي ترجع إلى ثمان قواعد:  
الأولى: المد، وهو في حروف المد الثلاث، ويزاد فيها على المد الطبيعي بسبب الهمزة والتقاء الساكنين.  
الثانية: الهمزة، وأصله التحقيق، ثم قد يخفف على سبعة أوجه: إبدال واو وياء وألف، وتسهيل بين الهمزة والواو، وبين الهمزة والياء، وبين الهمزة والألف، وإسقاط.  
الثالثة: الإدغام والإظهار؛ والأصل الإظهار، ثم يحدث الإدغام في المثلين أو في المتقاربين وفي كلمة وفي كلمتين، وهو على نوعين:

- إدغام كبير: انفرد به أبو عمرو البصري، وهو إدغام المتحرك.  
- إدغام صغير: لجميع القراء، وهو إدغام الساكنين.  
الرابعة: الإمالة، وهي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء؛ والأصل الفتح، ويوجب الإمالة الكسر أو الياء.

الخامسة: الترقيق والتفخيم، والحروف على ثلاثة أقسام:  
- مفخم في كل حال؛ وهي حروف الاستعلاء السبعة.  
- مفخم تارة ومرقق أخرى، وهي الراء واللام والألف؛ فأما الراء فأصلها التفخيم، وترقق للكسرة والياء، وأما اللام فأصلها الترقيق، وتفخم لحروف الإطباق، وأما الألف فهي تابعة في التفخيم والترقيق لما قبلها.  
- والمرقق على كل حال سائر الحروف.

السادسة: الوقف، وهو ثلاثة أنواع: سكون جائز في الحركات الثلاث، وروم في المضموم والمكسور، وإشمام في المضموم خاصة.

السابعة: مراعاة الخط في الوقف.

الثامنة: إثبات الياءات، وحذفها، وتسكينها، وفتحها.

### الباب التاسع في المواقف

وهي أربعة أنواع: موقف تام، وحسن، وكاف، وقبيح؛ وذلك بالنظر إلى الإعراب والمعنى.  
فإن كان الكلام مفتقرا إلى ما بعده في إعرابه أو معناه، وما بعده مفتقرا إليه كذلك؛ لم يجز الفصل بينهما، والوقف على الكلام الأول قبيح؛ وذلك الفصل بين كل معمول وعامله، وبين كل ذي خبر وخبره، وبين كل ذي جواب وجوابه، وبين كل موصول وصلته.

وإن كان الكلام الأول مستقلاً يفهم دون الثاني، إلا أن الثاني غير مستقل إلا بما قبله؛ فالوقف على الأول كاف، وذلك في التوابع والفضلات؛ كالحال، والتمييز، والاستثناء، وشبه ذلك، إلا أن وصل الاستثناء المتصل أكد من المنقطع، ووصل التوابع والحال إذا كانت أسماء مفردة أكد من وصلها إذا كانت جملة.

وإن كان الأول مستقلاً والثاني كذلك؛ فإن كانا في قصة واحدة فالوقف على الأول حسن، وإن كانا في قصتين مختلفتين فالوقف تام.

وقد يختلف الوقف باختلاف الإعراب والمعنى؛ ولذلك اختلف الناس في كثير من المواقف، ومن أقوالهم فيها: راجح، ومرجوح، وباطل. وقد يوقف؛ لبيان المراد، وإن لم يتم الكلام.

تنبيه: وهذا الذي ذكرنا من رعي الإعراب والمعنى في المواقف استقر به العمل وأخذ به شيوخ المقرئين، وكان الأوائل يراعون رؤوس الآيات فيقفون عندها؛ لأنها في القرآن كالفقر في النثر والقوافي في الشعر، ويؤيد ذلك ما خرجه الترمذي [3177] عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقطع قراءته؛ يقول: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، ثم يقف، ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾، ثم يقف.

### الباب العاشر في الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان

أما الفصاحة: فلها خمسة شروط:

الأول: أن تكون الألفاظ عربية، لا مما أحدثه المولدون، ولا مما غلظت فيه العامة.

الثاني: أن تكون من الألفاظ المستعملة، لا من الوحشية المستثقلة.

الثالث: أن تكون العبارة واقعة على المعنى، موفية له، لا قاصرة عنه.

الرابع: أن تكون العبارة سهلة، سالمة من التعقيد.

الخامس: أن يكون الكلام سالماً من الحشو الذي لا يحتاج إليه.

وأما البلاغة: فهي سياق الكلام على حسب ما يقتضيه الحال والمقام؛ من الإيجاز والإطناب، ومن التهديل والتعظيم والتحقير، ومن التصريح أو الكناية أو الإشارة، وشبه ذلك؛ بحيث يهز النفوس، ويؤثر في القلوب، ويقود السامع إلى المراد أو يكاد.

وأما أدوات البيان: فهي صناعة البديع؛ وهي تزيين الكلام كما يزين العلم الثوب.

وقد وجدنا في القرآن منها اثنين وعشرين نوعاً، ونبهنا على كل نوع في المواضع التي وقعت فيها من القرآن، ونذكر هنا أسماؤها ونبين معانيها:

النوع الأول: المجاز: وهو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة بينها.

وهو اثنا عشر نوعاً: التشبيه، والاستعارة، والزيادة، والنقصان، وتسمية المجاور باسم مجاوره، والملابس باسم ملابسه، وإطلاق اسم الكل على البعض، وعكسه، وتسمية السبب باسم المسبب، وعكسه، والتسمية باعتبار ما يستقبل، والتسمية باعتبار ما مضى؛ وفي هذا خلاف هل هو حقيقة أو مجاز؟.

واتفق أكثر أهل علوم اللسان وأهل الأصول على وقوع المجاز في القرآن؛ لأن القرآن نزل بلسان العرب؛ وعادة فصحاء العرب استعمال المجاز، ولا وجه لمن منعه؛ لأن الواقع منه في القرآن أكثر من أن يحصى.

النوع الثاني: الكناية: وهي العبارة عن الشيء بما يلازمه من غير تصريح.

الثالث: الالتفات: وهو على ستة أنواع: خروج من التكلم إلى الخطاب أو الغيبة، وخروج من الخطاب إلى التكلم أو الغيبة، وخروج من الغيبة إلى التكلم أو الخطاب.

الرابع: التجريد: وهو ذكر شيء بعد اندراجة في لفظ عام متقدم، أو القصد بالتجريد تعظيم المجرّد ذكره، أو تحقيره أو رفع الاحتمال.

الخامس: الاعتراض: وهو إدراج كلام بين شيئين متلازمين؛ كالخبر والمخبر عنه، والصفة والموصوف، والمعطوف والمعطوف عليه، أو إدخاله في أثناء كلام متصل، والقصد به تأكيد الكلام الذي أدرج فيه.

السادس: التجنيس: وهو اتفاق اللفظ مع اختلاف المعنى. ثم إن الاتفاق قد يكون في الحروف والصيغة، أو في الحروف خاصة، أو في أكثر الحروف لا في جميعها، أو في الخط لا في اللفظ؛ وهو تجنيس التصحيف.

السابع: المطابقة: وهو ذكر الأشياء المتضادة؛ كالسواد والبياض، والحياة والموت، والليل والنهار، وشبه ذلك.

الثامن: المقابلة: وهو أن تجمع بين شيئين فصاعدا ثم تقابلها بأشياء أخرى.

التاسع: المشاكلة: وهي أن تذكر الشيء بلفظ غيره؛ لوقوعه في صحبته.

العاشر: الترديد: وهو رد أول الكلام على آخره. ويسمى في الشعر رد العجز على الصدر.

الحادي عشر: لزوم ما لا يلزم: وهو أن تلتزم قبل حرف الروي حرفا آخر، وكذلك عند رؤوس الآيات.

الثاني عشر: القلب: وهو أن يكون الكلام يصح ابتداء قراءته من أوله وآخره؛ نحو: دعد، أو تعكس كلماته فيقدم المؤخر منها ويؤخر المقدم.

الثالث عشر: التقسيم: وهو أن تقسم المذكور إلى أنواعه أو أجزائه.

الرابع عشر: التتميم: وهو أن تزيد في الكلام ما يوضحه أو يؤكدّه وإن كان مستقلا دون هذه الزيادة.

الخامس عشر: التكرار: وهو أن تضع الظاهر موضع المضمّر؛ فتكرر الكلمة على وجه التعظيم أو التهويل، أو لمدح المذكور أو ذمه، أو للبيان.

السادس عشر: التهكم: وهو إخراج الكلام عن مقتضاه؛ استهزاء بالمخاطب، أو بالمخبر عنه؛ كذكر البشارة في موضع النذارة.

السابع عشر: اللف والنشر: وهو أن تلف في الذكر شيئين فأكثر، ثم تذكر متعلقات بها، وفيه طريقتان: أن تبدأ في ذكر المتعلقات بالأول، وأن تبدأ بالآخر.

الثامن عشر: الجمع: وهو أن تجمع بين شيئين فأكثر في خبر واحد وفي وصف واحد، وشبه ذلك.

التاسع عشر: الترصيع: وهو أن تكون الألفاظ في آخر الكلام مستوية الوزن أو متقاربة مع الألفاظ التي في أوله.

الموفي عشرون: التسجيع: وهو أن تكون كلمات الآية على روي حرف واحد.  
 الحادي والعشرون: الاستطراد: وهو أن تتطرق من كلام إلى كلام آخر بوجه يصل ما بينهما، ويكون الكلام الثاني هو المقصود؛ كخروج الشاعر من النسيب إلى المدح بمعنى يتعلق بالطرفين، مع أنه إنما قصد المدح.  
 الثاني والعشرون: المبالغة: وقد تكون بصيغة الكلمة؛ نحو: صيغة فَعَالٍ ومفعَالٍ، وقد تكون بالمبالغة في الإخبار أو الوصف. فإن اشتدت المبالغة فهو غلو وإغراق؛ وذلك مستكره عند أهل هذا الشأن.  
 الباب الحادي عشر في إعجاز القرآن وإقامة الدليل على أنه من عند الله تعالى  
 ويدل على ذلك عشرة وجوه:

الأول: فصاحته التي امتاز بها عن كلام المخلوقين.  
 الثاني: نظمه العجيب، وأسلوبه الغريب، من مقاطع آياته، وفواصل كلماته.  
 الثالث: عجز الخلق في زمان نزوله وبعد ذلك إلى الآن عن الإتيان بمثله.  
 الرابع: ما أخبر فيه من أخبار الأمم السابقة والقرون الماضية، ولم يكن النبي ﷺ تعلم ذلك ولا قرأه في كتاب.  
 الخامس: ما أخبر فيه من الغيوب المستقبلية فوقعت على حسب ما قال.  
 السادس: ما فيه من التعريف بالباري جل جلاله، وذكر صفاته وأسمائه، وما يجوز عليه وما يستحيل عليه، ودعوة الخلق إلى عبادته وتوحيده، وإقامة البراهين القاطعة والحجج الواضحة، والرد على أصناف الكفار، وذلك كله يعلم بالضرورة أنه لا يصل إليه بشر من تلقاء نفسه، بل بوحى من العليم الخبير. ولا يشك عاقل في صدق من عرف الله تلك المعرفة، وعظم جلاله ذلك التعظيم، ودعا عباد الله إلى صراط مستقيم.  
 السابع: ما شرع فيه من الأحكام، وبين من الحلال والحرام، وهدى إليه من مصالح الدنيا والآخرة، وأرشد إليه من مكارم الأخلاق، وذلك غاية الحكمة، وثمره العلوم.  
 الثامن: كونه محفوظاً عن الزيادة والنقصان، محروساً عن التبديل والتغيير على تطاول الأزمان، بخلاف سائر الكتب.  
 التاسع: تيسيره للحفظ، وذلك معلوم بالمعينة.  
 العاشر: كونه لا يملئه قارئه ولا سامعه على كثرة الترداد، بخلاف سائر الكلام.

### الباب الثاني عشر في فضائل القرآن

وإنما نذكر منها ما ورد في الحديث الصحيح.  
 - فمن ذلك ما ورد عن أبي أمامة الباهلي ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه» [مسلم: 1910].  
 - وعن عائشة ؓ قالت: قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه ويتتبع فيه وهو عليه شاق له أجران» [مسلم: 1898].  
 - وعن أبي موسى الأشعري ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة؛ ريحها



طيب وطعمها طيب. ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة التي لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الخنظلة ليس لها ريح وطعمها مر» [البخاري: 5020].

- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «استذكروا القرآن، فلهو أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم بعقلها» [مسلم: 1877].

- وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» [البخاري: 5027].  
- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يرفع بهذا القرآن أقواما ويضع به آخرين» [مسلم: 1934].  
- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل قاعدا عند النبي ﷺ سمع نقيضا من فوقه، فرفع رأسه فقال: «هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، قال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك؛ فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لم تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته» [مسلم: 1913].

- وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ هاتين الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه» [البخاري: 4008].

- وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اقرأوا البقرة؛ فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة» [مسلم: 1910].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر؛ إن الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة» [مسلم: 1860].

- وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر! أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قلت: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ» [البقرة: 255] فضرب في صدري وقال: «ليهنك العلم يا أبا المنذر!» [مسلم: 1921].

- وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران»، وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتها بعد، قال: «كأنها غمامتان، أو ظلتان سوداوان بينهما شرف، أو كأنها فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبها» [مسلم: 1912].

- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال» [مسلم: 1919].  
- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1] تعدل ثلث القرآن» [مسلم: 1922].

- وعن عقبه بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آيات أنزلت علي لم ير مثلهن قط؟ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْقَلْقُ﴾ [القلق: 1] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: 1]» [مسلم: 1928].

المقدمة الثانية في تفسير معاني اللغات

نذكر في هذه المقدمة الكلمات التي يكثر دورها في القرآن، أو تقع في موضعين فأكثر من الأسماء والأفعال والحروف، وإنها جمعناها في هذا الباب لثلاثة فوائد؛ أحدها: تيسيرها للحفظ؛ فإنها وقعت في القرآن متفرقة فجمعها أسهل لحفظها، والثانية: ليكون هذا الباب كالأصول الجامعة لمعاني التفسير؛ كما أن توالي القراءات جمعت فيها الأصول المطردة والكثيرة الدور، والثالثة: الاختصار؛ فنستغني بذكرها هنا عن ذكرها في مواضعها من القرآن خوف التطويل بتكرارها، وربما نبهنا على بعضها للحاجة إلى ذلك، ورتبناها في هذا الباب على حروف المعجم، فمن لم يجد تفسير كلمة في موضعها من القرآن فلينظرها في هذا الباب، واعتبرنا في هذه الحروف الحرف الذي يكون فاء الكلمة وهو الأصلي دون الحروف الزوائد في أول الكلمات.

حرف الهمزة

﴿وَلَا يُجَارِعُ عَلَيْهِ﴾ فذلك كله من الجوار، بمعنى التأمين.

﴿ءَأْمَنَ﴾ إيانا أي: صدق، والإيمان في اللغة: التصديق

مطلقاً، وفي الشرع: التصديق بالله وملائكته وكتبه

ورسله واليوم الآخر، والمؤمن في الشرع: المصدق

بهذه الأمور، والمؤمن: اسم الله تعالى أي: المصدق

لنفسه، وقيل: إنه من الأمان أي: يؤمن أوليائه من

عذابه، وأمن بقصر الألف وكسر الميم أمناً وأمانة:

ضد الخوف، وأمن من الأمانة، وأمن غيره من التأمين.

﴿أَلِيمٌ﴾ مؤلم: موجه، ومنه ﴿تَأْلُمُونَ﴾.

﴿إِمَامٌ﴾ له أربعة معان؛ القدوة، والكتاب، والطريق،

وجمع أم؛ أي: تابع، وهي ﴿لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

﴿أُمَّةٌ﴾ لها أربعة معان؛ الجماعة من الناس، والدين،

والحين، والإمام أي: القدوة.

﴿أُتِيَ﴾ لا يقرأ ولا يكتب؛ ولذلك وصف العرب

بالأميين.

﴿أُمٌّ﴾ له معنيان؛ الوالدة، والأصل؛ و﴿أُمُّ الْقُرَى﴾

مكة.

﴿أُخْرَى﴾ مؤنثة آخر وأخر.

﴿ءَأْيَةٌ﴾ لها معنيان؛ أحدهما: عبرة وبرهان، والثاني:

آية من القرآن، وهي كلام متصل إلى الفاصلة،

والفواصل هي رؤوس الآيات.

﴿أَتَى﴾ بقصر الهمزة معناه: جاء، ومضارعه يأتي،

ومصدره إتيان، واسم الفاعل منه آت، واسم

المفعول منه مأتي، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَدُّهُ مَاتِيًّا﴾.

﴿وَأَتَى﴾ بمد الهمزة، معناه: أعطى، ومضارعه

يؤتي، ومصدره إيتاء، واسم الفاعل مؤت، ومنه

﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾.

﴿أَبَى﴾ أي: امتنع.

﴿أَثَرَ﴾ الشيء: بقيته وأمارته، وجمعه آثار، والآثر

أيضاً: الحديث، و﴿أَثَارَةٌ مِّنْ عِلْمٍ﴾ ببقية، و﴿أَثَارُوا

الأَرْضَ﴾ حرثوها، وآثر الرجل الشيء يؤثره: فضله.

﴿إِثْمٌ﴾ ذنب، ومنه ﴿آثِمٌ﴾ و﴿أَثِيمٌ﴾ أي: مذنب.

﴿أَجْرٌ﴾ ثواب، وبمعنى الأجرة، ومنه ﴿اسْتَأْجَرُهُ﴾

و﴿عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي﴾، وأما ﴿اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ﴾

و﴿يُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ و﴿لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ﴾

﴿ءَال﴾ له معنيان؛ الأهل، ومنه ﴿ءَال لُوْطٍ﴾،  
والأتباع والجنود، ومنه ﴿ءَال فِرْعَوْنَ﴾.  
﴿أَمْس﴾ اليوم الذي قبل يومك، والزمان الماضي.  
﴿أَنَاه﴾ وقته، وجمعه: آناء، ومنه ﴿ءَأَنَاء اللَّيْلِ﴾.  
﴿أَمَرَ﴾ له معنيان؛ أحدهما: طلب الفعل على  
الوجوب أو الندب أو الإباحة، وقد تأتي صيغة الأمر  
لغير الطلب؛ كالتهديد والتعجيز والتعجب والخبر،  
والثاني: بمعنى الشأن والصفة، وقد يراد به العذاب،  
ومنه ﴿جَاءَ امْرُؤًا﴾.  
﴿إِسْرَائِيل﴾ هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم  
السلام، وهو والد الأسباط، واليهود من ذريتهم.  
﴿إِيَاب﴾ رجوع، ومنه ﴿مَاب﴾ أي: مرجع، ورجل  
أواب: كثير الرجوع إلى الله تعالى، والتأويب: التسييح،  
﴿يَا جِبَالِ أَوْيِّي﴾.  
﴿إِفْك﴾ أشد الكذب، والأفك: الكذاب، وأفك  
الرجل عن الشيء أي: صرف عنه، ومنه ﴿ثَوْفَكُون﴾.  
﴿أَوَى﴾ الرجل إلى الموضع بالقصر، وآواه غيره بالمد،  
ومنه ﴿المَأْوَى﴾.  
﴿أَف﴾ كلمة شر.  
﴿ءَالَاءِ اللَّهِ﴾ نعمه، ومنه ﴿ءَالَاءِ رَبِّكُمَا﴾.  
﴿أَسِف﴾ له معنيان؛ الحزن، والغضب، ومنه ﴿قَلَمَا  
ءَأَسْفُونَا﴾.  
﴿إِسْوَةٌ﴾ بكسر الهمزة وضمها: قدوة.  
﴿ءَأْسَى﴾ الرجل يأسى أسى أي: حزن، ومنه ﴿قَلَا  
تَأْس﴾ و﴿كَيْفَ آسَى﴾.  
﴿أَذَانُ﴾ بالقصر: إعلام بالشيء، ومنه الأذان للصلاة،  
والأذان بالمد جمع أذن.

﴿إِذْنِ اللَّهِ﴾ بمعنى العلم والأمر والإرادة والإباحة،  
وَأذنت بالشيء: علمت به بكسر الذال، وأذنت به  
غيري بالمد.  
﴿إِضْر﴾ له معنيان؛ الثقل، والعهد.  
﴿أَيْدٍ﴾ أي: قوة، ومنه ﴿أَيْدِنَاهُ﴾ و﴿بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾،  
والأيدي: جمع يد، فهمزتها زائدة.  
﴿أَكَلَ﴾ بضم الهمزة: اسم المأكول، ويجوز فيه ضم  
الكاف وإسكانها، والأكل بفتح الهمزة: المصدر.  
﴿أَيْكَةٌ﴾ غيضة.  
﴿أَثَاث﴾ متاع البيت.  
﴿أَجَاجُ﴾ مُر.  
﴿أَرَائِكُ﴾ أَسْرَّة، واحدها أريكة.  
﴿ءَأْنِيَّة﴾ له معنيان؛ جمع إناء، ومنه ﴿ءَأْنِيَّةٌ مِّنْ  
فِضَّةٍ﴾، وشديدة الحر، ومنه ﴿عَيْنٍ - إْنِيَّةٍ﴾،  
ووزن الأولى: أفعله، والثانية: فاعلة، ومذكرها آن  
ومنه: ﴿حَمِيمٍ - إِنْ﴾.  
﴿أَحَدُ﴾ له معنيان؛ واحد، ومنه ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾، واسم  
نفي بمعنى إنسان.  
﴿أَيَّانُ﴾ معناه: متى.  
﴿أَنَّى﴾ بمعنى: كيف ومتى وأين.  
﴿إِنْ﴾ المكسورة المشددة للتأكيد، والمفتوحة المشددة  
مصدرية.  
﴿إِنْ﴾ المكسورة المخففة أربعة أنواع: شرطية، ونافية،  
وزائدة، ومخففة من الثقيلة.  
﴿أَنَّ﴾ المفتوحة المخففة أربعة أنواع: مصدرية،  
وزائدة، ومخففة من الثقيلة، وعبارة عن القول.  
﴿إِذَا﴾ نوعان: ظرف زمان مستقبل ومعناها الشرط

وقد تخلو عن الشرط، وفجائية.

﴿بَسَطَ﴾ الله الرزق: وسعه، وضده قبض، وقدر

﴿إِذْ﴾ لها معنيان؛ ظرف زمان ماضٍ، وسببية للتعليل.

الرزق أي: ضيقه، ومن أساء الله تعالى القابض والباسط، و﴿بَسَطَ﴾ زيادة.

﴿أَوْ﴾ العاطفة لها خمسة معان: الشك، والإبهام،

﴿بَشَّرَ﴾ من البشارة وهي الإعلام بالخير قبل وروده، وقد تكون للنشر إذا ذكر معها، ويجوز في الفعل التشديد

والتخيير، والإباحة، والناصفة للفعل بمعنى (إلى أن)، أو (إلا أن)، أو (كي).

والتخفيف، ومنه المبشر والبشير، واستبشر بالشيء: فرح به.

﴿أَمْ﴾ استفهامية، وقد يكون فيها معنى الإنكار والإضراب، وتكون متصلة للمعادلة بين ما قبلها وما

﴿بُعِدَ﴾ له معنيان؛ ضد القرب والفعل منه بُعد بضم

بعدها، ومنفصلة عما قبلها.

العين، والهلاك والفعل منه بَعَدَ بكسرها، ومنه ﴿كَمَا بَعِدَتْ ثُمُودٌ﴾.

﴿إِمَّا﴾ المكسورة المشددة؛ للتنويع، والشك، والتخيير، وقد تكون مركبة من إن الشرطية وما الزائدة.

﴿بَلَاءٌ﴾ له معنيان؛ العذاب، والاختبار، ومنه ﴿ابْتَلَى﴾ و﴿وَنَبَلُوكُمْ﴾.

﴿أَمَّا﴾ المفتوحة المشددة للتقسيم والتفصيل.

﴿بِرٍ﴾ له معنيان؛ الكرامة ومنه بر الوالدين و﴿أَنْ تَبَرُّوهُمْ﴾ والتقوى، والجمع لخصال الخير ومنه ﴿الْبِرُّ مَنْ اتَّقَى﴾، ورجل بار وبرٌّ، والجمع: أبرار، والبرُّ من

﴿أَلَا﴾ المفتوحة المخففة؛ للتنبيه، والاستفتاح، والتوبيخ، والعرض، والتمني.

أساء الله تعالى.

﴿إِلَّا﴾ المكسورة المشددة؛ استثناء، وتكون للإيجاب بعد غير الواجب، وتكون مركبة من إن الشرطية ولا النافية.

﴿بَاتٍ﴾ معروف، ومصدره بيات، ويبت الأمر: دبره بالليل.

﴿أَيَّ﴾ المشددة سبعة أنواع: شرطية، واستفهامية، وموصولة، ومنادى، وصفة، وظرفية إذا أضيفت

﴿بَغْتَةً﴾ فجأة.

إلى ظرف، ومصدرية إذا أضيفت إلى مصدر.

﴿بُرُوجٍ﴾ جمع برج، وهو: الحصن، وبروج السماء: منازل الشمس والقمر.

﴿إِي﴾ المكسورة المخففة معناها: التصديق.

﴿بَيْنَ﴾ ظرف، وبين يدي الشيء: ما تقدم قبله، والبين: الفراق والاجتماع؛ لأنه من الأضداد.

﴿إِلَى﴾ معناها انتهاء الغاية، وقيل: تكون بمعنى مع. الهمزة للاستفهام، والتقدير، والتوبيخ، والنداء، والتسوية، وللمتكلم، وأصلية، وزائدة للبناء.

﴿بَيِّنَاتٍ﴾ براهين من المعجزة وغيرها، و﴿مُبَيِّنَةٍ﴾ من البيان، ﴿يُبَيِّنُ﴾ من البيان وله معنيان: بين غير

﴿بَارِي﴾ خالق، ومنه ﴿الْبَرِيَّةُ﴾ أي: الخلق.

متعد، ومبين لغيره. ﴿بَدَأَ﴾ يبدو بغير همز: ظهر، وأبديته: أظهرته، والبادي

﴿بَعَثَ﴾ له معنيان؛ بعث الرسل، وبعث الموتى من القبور.

### حرف الباء

أيضا: من البادية، ومنه ﴿بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ .  
﴿بَدَأَ﴾ بالهمز من الابتداء، ويقال: بدأ الخلق وأبدأه،  
وقد جاء القرآن بالوجهين.

﴿بَهَجَةٌ﴾ حسن، و﴿بَهِيحٌ﴾ حسن.

﴿بَغِيٌّ﴾ له معنيان؛ العدوان على الناس، والحسد،  
و﴿الْبِغَاءُ﴾ بكسر الباء: الزنا، ومنه امرأة بغية أي:  
زانية، وابتغى الشيء وبغاه أي: طلبه.

﴿بَثٌ﴾ الحديث وغيره: نشره، و﴿الْمَبْثُوثُ﴾ المنتشر

و﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ متفرقة، والبث: الحزن الشديد، ومنه  
﴿أَشْكُو بَثِّي﴾ .

﴿بَوَّأَ﴾ أنزل الرجل منزلا، ومنه ﴿بَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾

و﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ ﴿مُبَوَّأً﴾ .

﴿بَوَّارٌ﴾ هلاك، ومنه ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ أي: هلكى.

﴿بَاءٌ﴾ بالشيء: رجع به، وقد يقال: بمعنى اعترف.

﴿بَأْسًا﴾ الفقر، والبؤس: الشدة والمحنة، و﴿الْبَائِسُ﴾

الفقير من البؤس، و﴿الْبِئْسَ﴾ القتال والشجاعة

والمكروه، و﴿بَأْسَ اللَّهِ﴾ عذابه، و﴿بِئْسَ﴾ كلمة ذم.

﴿بَرْزَخٌ﴾ شيء بين شيئين، والبرزخ: ما بين الموت

والقيامة.

﴿بَدِيعٌ﴾ له معنيان؛ جميل، ومبدع أي: خالق الشيء

ابتداء.

﴿بَسْرٌ﴾ عبس، ومنه ﴿بَاسِرَةٌ﴾ .

﴿بَصِيرٌ﴾ من أبصر، يقال: أبصرته وبصرت به،

والبصائر: البراهين، جمع بصيرة.

﴿بَرَزَ﴾ ظهر، ومنه ﴿بَارِزَةٌ﴾ و﴿بَارِزُونَ﴾ .

﴿بَطَشٌ﴾ أخذ بشدة .

﴿بَحْسٌ﴾ نقص.

﴿بَعْلٌ﴾ له معنيان؛ زوج المرأة، وجمعه: بعولة، والبعل

أيضا: الرب، وقيل: اسم صنم، ومنه ﴿أَتَدْعُونَ  
بِعَلًّا﴾ .

﴿مُبْلِسُونَ﴾ جمع مبلس وهو البائس، وقيل: الساكت  
الذي انقطعت حجته، وقيل: الحزين النادم، ومنه  
﴿يُبْلِيسُ﴾، ومنه اشتق إبليس.

﴿بُهِتَ﴾ انقطعت حجته.

﴿تَبَارَكَ﴾ من البركة وهي الكثرة والنساء، وقيل:  
تقدس.

﴿بَلَى﴾ جواب يقتضي إثبات الشيء.

﴿بَلٌ﴾ معناها: الإضراب عما قبلها.

﴿الْبَاءُ﴾ للإلصاق، ولنقل الفعل في التعدي، وللقسم،

وللتعليل، وللمصاحبة، وللاستعانة، وظرفية، وزائدة.

### حرف التاء

﴿تَلَّى﴾ يتلو، له معنيان؛ قرأ، واتبع.

﴿تَقْوَى﴾ مصدر مشتق من الوقاية، فالتاء بدل من

الواو ومعناه: الخوف والتزام طاعة الله وترك معاصيه،

فهو جماع كل خير.

﴿تَابَ﴾ يتوب رجع، توبة وتوبا فهو تائب، و

﴿تَوَابٌ﴾ كثير التوبة، و﴿تَوَابٌ﴾ اسم الله تعالى أي:

كثير التوبة على عباده، وتاب الله على العبد: ألهمه التوبة

وقبل توبته.

﴿تَبَّابٌ﴾ خسران، و﴿تَبٌّ﴾ خسر.

﴿تَبَّارٌ﴾ هلاك، ومنه ﴿مُتَبَّرٌ﴾ .

﴿أُتْرِفُوا﴾ أنعموا، والمترفون: المنعمون في الدنيا.

### حرف الثاء

﴿ثَمُودٌ﴾ قبيلة من العرب الأقدمين.

﴿ثَوَى﴾ في الموضع: أقام فيه، ومنه ﴿مَثَوَى﴾ .  
 ﴿ثُبُور﴾ هلاك، ومنه ﴿مَثُبُورًا﴾ ﴿وَأَذَعُوا ثُبُورًا﴾  
 أي: صاحوا هلاكًا.

﴿ثَمَّر﴾ ما يؤكل مما تنبت الأرض، ويقال: بالفتح  
 والضم.

﴿ثَقُفُوا﴾ أخذوا وظفر بهم، ومنه ﴿فِيمَا تَثَقَّفَتْهُمْ﴾ .  
 ﴿ثاقب﴾ مضىء.

﴿ثم﴾ بالفتح: ظرف، وبالضم: حرف عطف يقتضي  
 الترتيب والمهلة، وقد يرد لغير الترتيب كالتأكيد  
 وترتيب الأخبار.

### حرف الجيم

﴿جَعَلَ﴾ لها أربعة معانٍ؛ صَيَّرَ، وألقى، وخلق، وأنشأ  
 يفعل كذا.

﴿جَنَاح﴾ الطائر معروف، وجناح الإنسان: إبطه،  
 ومنه ﴿اضْمُمِ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾، و﴿لَا جُنَاحَ﴾ لا إثم  
 فمعناه إباحة، وجنح للشيء: مال إليه.

﴿لَا جَرَمَ﴾ لا بد.  
 ﴿اجْتَبَى﴾ اختار.

﴿جِدَالَ﴾ مخالفة ومخاصمة واحتجاج.  
 ﴿تَجَارُونَ﴾ تصيحون بالدعاء.

﴿جَوَارِي﴾ جمع جارية وهي: السفينة.  
 ﴿أَجْرَمَ﴾ فهو مجرم له معنيان؛ الكفر، والعصيان.

﴿جِن﴾ الجنون، وقد جاء بمعنى الملائكة.  
 ﴿جَانٌ﴾ له معنيان؛ الجنون، والحية الصغيرة.

﴿جَنَّة﴾ بالفتح؛ البستان، وبالكسر: الجنون، وبالضم:  
 الترس وما أشبهه مما يستتر به، ومنه استعير ﴿أَيْمَانَهُمْ﴾  
 جُنَّةً .

﴿جَائِيَّة﴾ أي: على ركبهم لا يستطيعون القيام مما هم  
 فيه، وقوله: ﴿جَيْثًا﴾ جمع جاث.

﴿الجُرُزِ﴾ الأرض التي لا نبات فيها.  
 ﴿جَائِمِينَ﴾ باركين على ركبهم.

﴿جَبَّارٍ﴾ اسم الله تعالى، له معنيان؛ قهار، ومتكبر، وقد  
 يكون من الجبر للكسير وشبهه، والجبار أيضا: الظالم.

﴿أَجْدَاثِ﴾ قبور.  
 ﴿جَزَى﴾ له معنيان؛ من الجزاء بالخير والشر، وبمعنى

أغنى، ومنه ﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ﴾ . فأما أجزأ بالهمزة  
 فمعناه: كفى.

﴿جَرَحَ﴾ له معنيان؛ من الجروح، وبمعنى الكسب  
 والعمل، ومنه ﴿جَرَحْتُمْ بِالتَّهَارِ﴾ و﴿اجْتَرَحُوا

السَّيِّئَاتِ﴾، ولذلك سميت كلاب الصيد جوارح؛  
 لأنها كواسب لأهلها.

﴿جُنُبٌ﴾ له معنيان؛ من الجنابة، وبمعنى البعد، ومنه  
 ﴿عَنْ جُنُبٍ﴾ .

### حرف الحاء

﴿حمد﴾ هو الثناء سواء كان جزاء على نعمة أو ابتداء،  
 والشكر إنما يكون جزاء، فالحمد على هذا الوجه أعم،

والشكر باللسان والقلب والجوارح، ولا يكون الحمد  
 إلا باللسان، فالشكر من هذا الوجه أعم.

﴿تحميد﴾ اسم الله تعالى، أي: محمود.  
 ﴿حِكْمَةٌ﴾ عقل أو علم، وقيل: في ﴿الْكِتَابِ

وَالْحِكْمَةِ﴾: هي السنة.  
 ﴿حَكِيمٍ﴾ اسم الله تعالى؛ من الحكمة، أو من الحكم

بين العباد، أو من إحكام الأمور وإتقانها.  
 ﴿حَلِيمٍ﴾ الحلم: العقل، وقد يقال: بمعنى العفو،

والأحلام: العقول، والحليم من أسماء الله تعالى، قيل: الذي لا يعجل بالعقوبة على من عصاه، وقيل: معناه العفو عن الذنوب، وأحلام النوم: ما يرى في المنام. ﴿حَبَطَ﴾ بطل، وأحبطه الله: أبطله.

﴿حَنِيفٌ﴾ مسلم وموحد لله، وقيل: حاج، وقيل: محتتن، وجمعه: حنفاء.

﴿مُحْصِنِينَ﴾ و﴿مُحْصَنَاتٍ﴾ الإحصان له أربع معان؛ الإسلام، والحرية، والعفاف، والتزوج، و﴿لِيُحْصِنَكُمْ مِّنْ بَاسِكُمْ﴾ يقيكم.

﴿حُجَّةٌ﴾ بالضم: دليل وبرهان، وحاج فلان فلانا: جادله، وحجه عليه بالحجة، والحج بالفتح والكسر: القصد، ومنه أخذ ﴿حِجُّ الْبَيْتِ﴾، وحجة بالكسر: سنة وجمعها حجج.

﴿حِطَّةٌ﴾ أي: حط عنا ذنوبنا، وقيل: هي كلمة بالعبرانية تفسرها: لا إله إلا الله.

﴿حَضَرَ﴾ بالضاد من الحضور، ومنه ﴿مُحْضَرُونَ﴾ و﴿شَرِبَ مُحْتَضِرًا﴾، وبالطاء من المنع، ومنه ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ و﴿كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾، وبالذال من الحذر وهو الخوف، ومنه ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْدُورًا﴾.

﴿حِفْظٌ﴾ العلم: وعيه، وحفظ الشيء: حراسته، والحفيظ: اسم الله تعالى، قيل معناه: العليم، وقيل: حافظ الخلق؛ أي كالنهم من المهالك.

﴿حَاقَ﴾ بهم: حل بهم.

﴿حَبْلٍ مِّنْ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنْ النَّاسِ﴾ أي: عهد، و﴿حَبْلِ اللَّهِ﴾ القرآن، وأصله الحبل المعروف.

﴿حَسِبَ﴾ بكسر السين: ظن، ومضارعه بالفتح والكسر، و﴿حَسَبَ﴾ بالفتح: من العدد، ومضارعه بالضم، ومنه ﴿الْحِسَابِ﴾، والحسبان، و﴿حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ أي: مرام، واحدها حُسبانة.

﴿حِسَابٌ﴾ من الظن ومن العدد، و﴿يَغْيِرُ حِسَابِ﴾ يحتمل الوجهين، وأن يكون من المحاسبة أي لا يحاسب عليه، ومن التقدير أي: بغير تضييق، و﴿عَطَاءُ حِسَابًا﴾ أي: كافيًا.

﴿حَسِيبٌ﴾ اسم الله تعالى، فيه أربعة أقوال: كاف، وعالم، وقادر، ومحاسب، ﴿حَسْبِكَ اللَّهُ﴾ أي: كافيك.

﴿حَزَنٌ﴾ تأسف على ماض أو حال، أو لخوف توقع في المستقبل، ويقال: حزن بكسر الزاي، وحزونه غيره بفتحها، وأحزنه أيضا.

﴿حَصِيرٌ﴾ محبس من الحصر، وأحصر عن الشيء: حبس عنه.

﴿حَسِيرٌ﴾ بالسين: كليل.

﴿حَصِيدٌ﴾ هو ما يحصد من الزرع وغيره، واستعير منه ﴿قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ أي: باق وذاهب.

﴿حَمِيمٌ﴾ له معنيان؛ الصديق، والماء الحار.

﴿مَحْيِصٌ﴾ مهرب.

﴿حِجْرٌ﴾ له أربعة معان؛ الحرام، والعقل، ومنازل ثمود، وحجر الكعبة.

﴿جَمَلٌ﴾ بكسر الحاء: ما على ظهر الدابة وغيرها، ويستعار للركوب، وبالفتح: ما في بطن المرأة، وجمعه: أحمال.

﴿إِحْسَانٌ﴾ له ثلاث معان؛ فعل الحسنات، والإنعام على الناس، ومراقبة الله تعالى المشار إليها في قوله ﷻ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه» [البخاري: 50].

﴿ حَقَّ ﴾ له أربعة معان؛ الصدق، والعدل في الحكم،  
والشيء الثابت، والأمر الواجب، و﴿ الْحَقُّ ﴾ اسم الله

تعالى أي: الواجب الوجود.

﴿ حَاصِبًا ﴾ ريح شديدة سميت بذلك؛ لأنها ترمي

بالحصباء أي: الحصا، والخاصب أيضا: الحجارة.

﴿ حِلْيَةً ﴾ حُلِي.

﴿ حَرَجَ ﴾ ضيق أو مشقة .

﴿ حَوْلَ ﴾ له معنيان؛ العام، والحيلة، و﴿ جَوْلًا ﴾ بكسر

الحاء: انتقالا.

﴿ حَرْتُ ﴾ الأرض، مصدر، ثم استعمل بمعنى

الأرض والزرع والجنات.

﴿ حَسَّ ﴾ بغير ألف: قتل، ومنه ﴿ إِذْ تَحْسُونَهُمْ ﴾

وأحس: من الحس.

﴿ حُرْمَ ﴾ بضمين، محرمون بالحج.

﴿ حُقْبَ ﴾ بضمين، و﴿ أَحْقَابَ ﴾ جمع حقب،

وهو مدة من الدهر، يقال: إنه ثمانون سنة.

﴿ حَفَّ ﴾ الشيء بالشيء: إذا طاف به من جوانبه،

ومنه: ﴿ حَفَقْنَا هُمَا بِتَخْلٍ ﴾ و﴿ الْمَلَائِكَةُ حَاقِقِينَ ﴾ .

﴿ حَلَّ ﴾ بالمكان يجل بالضم والكسر، وحل من إحرامه

يجل بالكسر لا غير.

﴿ حُطَامَ ﴾ فتات، والحطام: ما تحطم من عيدان الزرع

اليابس.

### حرف الخاء

﴿ خَلَقَ ﴾ له معنيان؛ من الخلقة، ومنه ﴿ الْخَالِقُ ﴾

اسم الله تعالى و﴿ الْخَلَائِقُ ﴾، وخلق الرجل: كذب،

ومنه ﴿ تَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ و﴿ اخْتِلَاقَ ﴾ أي: كذب

﴿ خَلَاقٍ ﴾ نصيب.

﴿ خَيْرَ ﴾ ضد الشر، وله أربعة معان؛ العمل الصالح،  
والمال، والخيرة، والتفضيل بين شيئين.

﴿ خَلَا ﴾ له معنيان؛ من الخلوة، وبمعنى ذهب وتقدم،

ومنه ﴿ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾ .

﴿ خَطِيئَةً ﴾ ذنب، وجمعه: خطايا وخطيات، والفعل

منه خطيء فهو خاطيء، وأما الخطأ بغير عمد فالفعل

منه: أخطأ.

﴿ خَاسِيَيْنَ ﴾ مطرودين، من قولك: خسئت الكلب،

ومنه ﴿ اخْسُؤُوا ﴾ .

﴿ خَلَفَ ﴾ بفتح الحاء وإسكان اللام، له معنيان؛

وراء، ومن خَلَفَ سلفه بشر، فإذا خلفه بخير قيل:

بفتح اللام.

﴿ خِلَافَ ﴾ له معنيان؛ من الخلاف، وبمعنى بعد

أو دون، ومنه ﴿ يَمْقَعِدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ .

﴿ خَوَّلَ ﴾ أعطى.

﴿ خُلَّةً ﴾ بضم الحاء مودة، ومنه الخليل، وجمعه:

أخلاء.

﴿ خِلَالَ ﴾ له معنيان؛ وداد، ومنه ﴿ لَا يَبِيعُ فِيهِ ﴾

و﴿ لَا خِلَالَ ﴾، وبمعنى بين، ومنه ﴿ خِلَالَ الدِّيَارِ ﴾

و﴿ خِلَالَكُمْ ﴾ .

﴿ خَرَّ ﴾ يخر: سقط على وجهه.

﴿ خَامِدِينَ ﴾ هالكين، وأصله من خمد النار.

﴿ خَطَبَ ﴾ خبر، والخطب أيضا: الأمر العظيم،

و﴿ خِطْبَةَ النَّسَاءِ ﴾ بالكسر، وخطبة الخطيب: بالضم.

﴿ خَرَّاصُونَ ﴾ كذابون، ومنه ﴿ يَخْرُصُونَ ﴾، والخرص

أيضا: التقدير، وقيل: إن ﴿ يَخْرُصُونَ ﴾ منه أي: يقولون

بالظن من غير تحقيق.



﴿مَدْرَارًا﴾ من در المطر، إذا صب.

﴿دَاخِرِينَ﴾ صاغرين.

﴿دُكَّتِ﴾ الأرض أي: دقت جبالها حتى استوت مع وجه الأرض، ومنه ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ أي: مستويا مع الأرض.

### حرف الذال

﴿ذَكَرَ﴾ له أربعة معان: ضد النسيان، والذكر باللسان، والقرآن ومنه ﴿نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾، والشرف. و﴿مُدَّكَّرَ﴾ مفتعل، من الذكر.

﴿ذُنُوبَ﴾ بضم الذال: جمع ذنب، وبالفتح: النصيب، ومنه ﴿ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ أي: نصيبا من العذاب، والذُنُوب أيضا: الدلو.

﴿ذَبْحَ﴾ بكسر الذال: المذبوح، وبالفتح: المصدر. ﴿ذَرَأَ﴾ خلق ونشر.

﴿ذَلُولٌ﴾ مذلة للعمل، من الذل بكسر الذال، ومنه ﴿ذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾، ورجل ذليل، من الذل بالضم، و﴿ذَلَّلْتُ قُطُوفَهَا﴾ أي: أدنيت. ﴿أَذْقَانَ﴾ جمع ذقن.

### حرف الراء

﴿رَبَّ﴾ له أربعة معان: الإله، والسيد، والمالك للشيء، والمصلح للأمر.

﴿رَيْبَ﴾ شك، ومنه ﴿ارْتَابُوا﴾ و﴿مُرَيْبَ﴾ و﴿رَيْبَ الْمُنُونِ﴾ حوادث الدهر.

﴿رَجَعَ﴾ يستعمل متعديا بمعنى رد، وغير متعد، والمرجع: اسم مصدر أو زمان أو مكان، من الرجوع.

﴿رَعَى﴾ له معنيان: من النظر، ومن رعي الغنم. ﴿رُوحَ﴾ له أربعة معان: النفس التي بها الحياة

﴿خَبَالًا﴾ سوء.

﴿خَوَانٍ﴾ كثير الخيانة.

﴿مُخْتَالٍ﴾ من الخيلاء.

﴿خَتَارٍ﴾ غدار، من ختر العهد.

﴿مُخَمَّصَةٍ﴾ من الخمص، وهو: الجوع.

﴿أَخْدَانَ﴾ جمع خدن، وهو: الخليل.

﴿خَرَّاجٍ﴾ و﴿خَرَجًا﴾ أي: أجرة أو عطية.

### حرف الدال

﴿دِينَ﴾ له خمسة معان: الملة، والعادة، والجزاء، والحساب، والقهر.

﴿أَدْنَى﴾ له معنيان؛ أقرب فهو من الدنو، وأقل فهو من الدنيء الحقير.

﴿دَابَّ﴾ له معنيان؛ عادة، وجد وملازمة، ومنه ﴿سَبَعَ سِينِينَ دَابًّا﴾ أي: متابعة للزراعة، من قولك: دأبت على الشيء، دمت عليه.

﴿دَارُ﴾ ﴿دَارُ السَّلَامِ﴾ الجنة. ﴿دَوَائِرَ﴾ صروف الدهر، واحدها دائرة، ومنه ﴿دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾.

﴿دُعَاءَ﴾ له خمسة معان: الطلب من الله، والعبادة ومنه ﴿تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، والتمني ﴿وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾، والنداء ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾، والدعوة إلى الشيء ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾.

﴿دَابَّيَّةٍ﴾ كل ما يدب، فيجمع جميع الحيوان.

﴿دُحُورًا﴾ إبعادا، ومنه المدحور: المطرود.

﴿دَعَّ﴾ بتشديد العين يدع، أي: دفع بعنف، ومنه ﴿يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾، و﴿يُدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾.

﴿دَرَأَ﴾ دفع، ومنه ﴿يَدْرُؤُونَ﴾.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾، والوحي ﴿يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ﴾، وجبريل ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾، وملك عظيم ﴿تَنزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ﴾. و﴿رُوحٌ﴾ بفتح الراء: رائحة طيبة، و﴿الرَّيْحَانُ﴾ الرزق، وقيل: الشجر المعروف.

﴿رُكَّامٌ﴾ بعضه فوق بعض، ومنه ﴿مَرْكُومٌ﴾ و﴿يَرْكُمُهُ﴾.

﴿رَجَاً﴾ طمع، وقد يستعمل في الخوف ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾.

﴿رَجَالٌ﴾ جمع رجل، وجمع راجل؛ أي: غير راكب ﴿يَأْتُونَكَ رِجَالًا﴾، ومثله ﴿يَحْيِيكَ وَرَجْلِكَ﴾. ﴿رَقَّتْ﴾ له معنيان؛ الجساع، والكلام بهذا المعنى. ﴿رِجْزٌ﴾ عذاب، إلا ﴿وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ فهي الأوثان.

و﴿الرجس﴾ بالسين: النجس حقيقة أو مجازاً، وقد يستعمل بمعنى العذاب.

﴿رَهَبٌ﴾ خوف، ومنه ﴿يَرْهَبُونَ﴾.

﴿رَوْوْفٌ﴾ من الرأفة وهي: الرحمة إلا أن الرأفة في دفع المكروه، والرحمة في دفع المكروه وفعل الجميل؛ فهي أعم من الرأفة.

﴿مَرَصَّاتٌ﴾ مفعلة، من الرضا.

﴿رَاسِيَاتٍ﴾ ثابتات، ومنه قيل للجبال: ﴿رَوَاسِي﴾، ومنه ﴿مُرْسَاهَا﴾ أي ثبوتها.

﴿رَعْدًا﴾ كثيراً.

﴿رَبْوَةً﴾ مكان مرتفع.

﴿رِبَاً﴾ هو في اللغة: الزيادة، ومنه ﴿وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ وربت الأرض: انتفخت.

﴿أَرْحَامٌ﴾ جمع رحم وهو فرج المرأة، ويستعمل أيضا في القرابة.

﴿أَرْجِهْ﴾ آخره، ومنه ﴿تُرْجِي﴾ و ﴿مَرْجُونَ﴾ ويجوز فيه الهمز وتركه.

﴿رَأَى﴾ من رؤية العين يتعدى إلى واحد، ومن رؤية القلب بمعنى العلم يتعدى إلى مفعولين.

﴿تَرَبَّصْ﴾ انتظر.

﴿رُقَاتٌ﴾ فئات.

﴿أَرْدَلُ الْعُمْرِ﴾ الهرم، و﴿الْأَرْدَلُونَ﴾ من الرذالة.

﴿رَقَى﴾ من الرقية بفتح القاف، ومنه ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾، وراقي في السلم: بالكسر في الماضي، والفتح في المستقبل.

﴿أَرْدَاكُمْ﴾ أهلككم، والردى: الهلاك، ومنه ﴿تُرْدِينَ﴾ و﴿تَرْدَى﴾.

﴿رَجْفَةً﴾ زلزلة وشدة.

### حرف الزاي

﴿زُبُرٌ﴾ بضمين: كتب، و﴿الزُّبُورِ﴾ كتاب داود عليه السلام.

﴿زُخْرُفٌ﴾ زينة، والزخرف أيضا: الذهب.

﴿زَكَاةٌ﴾ له في اللغة معنيان؛ الزيادة، والطهارة، ثم استعمله الشرع في: إعطاء المال، وهو من الزيادة؛ لأنه يبارك له فيه فيزيد، أو من الطهارة؛ لأنه يطهره من الذنوب، وزكيت الرجل: أثنت عليه، وزكا هو مخففا؛ أي: صار زكيا.

﴿زَوْجٌ﴾ له ثلاث معان؛ الرجل، والمرأة، وقد يقال فيها: زوجة، ومعنى الصنف والنوع، ومنه ﴿أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ﴾ و﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾.

﴿زَلَّ﴾ له معنيان؛ زل القدم عن الموضع، وفعل الزلل .  
 ﴿زَاعَ﴾ عن الشيء زيعا: مال عنه، وأزاعه غيره: أماله .  
 ﴿طَبَّقَ﴾ بعضها على بعض، و﴿طَبَّقًا عَن طَبَّقٍ﴾ حالا بعد حال .  
 ﴿طُورٍ﴾ الجبل، وهو: الطود .  
 ﴿زُلْفَى﴾ قربي، و﴿أُزْلَقَتِ﴾ قربت، و﴿زُلْفَا مَن﴾ اللئيل ﴿ساعات﴾ .  
 ﴿زَعَمَ﴾ أي: ادعى ولم يوافق غيره، قال ابن عباس ؓ: زعم كناية عن كذب .

### حرف الظاء

﴿ظَهَرَ﴾ الأمر: بدا، وأظهره غيره: أبداه، و﴿ظَهِيرٍ﴾: معين .  
 ﴿يُزْجِي﴾ يسوق .  
 ﴿ظَاهِرَ﴾ الرجل من امرأته وتظاهر وتظهر؛ أي: قال لها: أنت عليّ كظهر أمي، وهو الظهار .  
 ﴿زُلزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ اهتزازها، وتستعمل بمعنى الشدة والخوف، ومنه ﴿زُلزِلُوا﴾ .  
 ﴿ظَهَرَ﴾ البيت: أعلاه، وظهرته أي: ارتفعت عليه، ومنه ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ .  
 ﴿ظَلَّمَ﴾ يقع في القرآن على ثلاثة معان؛ الكفر، والمعاصي، وظلم الناس؛ أي: التعدي عليهم .  
 ﴿زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ صيحة، بمعنى نفخة في الصور، والزجرة: الصيحة بشدة وانتهاز، و﴿ازْدَجِرَ﴾ من الزجر .

### حرف الطاء

﴿طَبَعَ﴾ ختم، والخاتم: الطابع .  
 ﴿طَوَّلَ﴾ بفتح الطاء: فضل أو غنى .  
 ﴿طَائِرٍ﴾ له معنيان؛ من الطيران، ومن الطيرة .  
 ﴿طَوَى﴾ قيل: اسم الوادي، وقيل: معناه مرتين؛ أي: قدس الوادي مرتين .

﴿ظَهَارَةٌ﴾ له معنيان: الطهارة بالماء، ومنه ﴿جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ والماء الطهور: وهو المطهر، والطهارة من القبائح والردائل، ومنه ﴿أَنْتَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ .

### حرف الكاف

﴿كَافِرٍ﴾ له معنيان؛ من الكفر وهو: الجحود، وبمعنى الزارع، ومنه ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ تَبَائُهُ﴾ أي: الزراع، وتكفير الذنوب: غفرانها .  
 ﴿طَوْفَانَ﴾ السيل العظيم .  
 ﴿طَاغُوتَ﴾ أصنام وشياطين، ويكون مفردا وجمعا، و﴿كَافَّةً﴾ جميعا .

﴿ كَرَّةٌ ﴾ رجعة.

الشيء، وبالسكون كذلك، أو مفرد.

﴿ كَبَّرَ ﴾ بكسر الباء من السن، يكبّر بالفتح في المضارع،

﴿ كَبُّوا ﴾ أهلكوا، و ﴿ يَكْبِتُهُمْ ﴾ يهلكهم أو يخزيهم

و ﴿ كَبَّرَ ﴾ الأمر بالضم في المضارع والماضي، و ﴿ كَبَّرَ ﴾

﴿ أَكْمَةٌ ﴾ هو: الذي ولد أعمى.

بضم الكاف وفتح الباء جمع كبرى، و ﴿ كَبَّارٌ ﴾ بالضم

﴿ كَانَّ ﴾ على نوعين؛ تامة: بمعنى حضر أو حدث

والتشديد كبير مبالغة، والكبر: التكبر، و ﴿ كَبَّرَ ﴾ الشيء:

أو وقع، وهي ترفع الفاعل، وناقصة: ترفع الاسم

بكسر الكاف وضمها معظمه، والكبرياء: الملك

وتنصب الخبر، وتقضي ثبوت الخبر للمخبر عنه في

والعظمة، والمتكبر: اسم الله تعالى، من الكبرياء بمعنى

زمانها، وقد تأتي بمعنى الدوام في مثل قوله ﴿ وَكَانَ اللَّهُ

العظمة.

عَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ وشبه ذلك،

﴿ كَفَّلَ ﴾ يكفل أي: ضم الصبي وحضنه، و ﴿ أَكْفَلْنِيهَا ﴾

وهو كثير في القرآن ومعناه: لم يزل ولا يزال موصوفا

أي: اجعلني كافلها.

بذلك الوصف.

﴿ كَفِيلٌ ﴾ نصيب.

﴿ كَأَنَّ ﴾ معناها التشبيه.

﴿ كَلَالَةٌ ﴾ هي أن يموت الرجل ولا ولد له ولا والد.

﴿ كَأَنَّ ﴾ معناها التعليل.

﴿ كَادَ ﴾ قارب الأمر ولم يفعله، فإذا نفي اقتضى

﴿ كَمَّ ﴾ معناها التكثير، وهي خبرية واستفهامية.

الإثبات.

﴿ كَأَنَّ ﴾ بمعنى كم، وهي عند سيبويه كاف التشبيه

﴿ كَرِيمٌ ﴾ من الكرم وهو الحسب والجلالة والفضل،

دخلت على أي.

وكريم: اسم الله تعالى أي: محسن.

﴿ كَلَّأَ ﴾ حرف ردع وزجر، وقيل: إنها تكون للنفي

﴿ أَكِنَّةٌ ﴾ أعطية، وأكنان جمع كن وهو: ما وقى من الحر

أي: ليس الأمر كما ظننت، وقيل: إنها استفتاح كلام

والبرد.

بمعنى: ألا.

﴿ كَهَّلَ ﴾ هو: الذي انتهى شبابه.

﴿ الكَافُ ﴾ بمعنى التشبيه، وبمعنى التعليل، وقيل:

﴿ أَكْمَامٌ ﴾ ثمار النخيل، جمع كم وهو: ما تكون الثمرة

إنها تكون زائدة.

فيه قبل خروجها.

حرف اللام

﴿ أَكَبَّ ﴾ الرجل على وجهه فهو مكب، وكبه غيره

﴿ لَيْسَ ﴾ الأمر أي: خلطه، بفتح الباء في الماضي

بغير ألف.

وكسرها في المستقبل، ولبس الثوب بالكسر في الماضي

﴿ كَهْفٌ ﴾ غار.

والفتح في المستقبل.

﴿ كَيْدٌ ﴾ هو من المخلوق احتيال، ومن الله مشيئة أمر

﴿ أَلْبَابٌ ﴾ عقول، وهو جمع لب.

ينزل بالعبد من حيث لا يشعر.

﴿ لَيْثٌ ﴾ في المكان: أقام به.

﴿ كَسَفًا ﴾ بفتح السين جمع كسفة وهي: القطعة من

﴿ لَمَزَ ﴾ يلمز أي: عاب الشيء.

﴿لَوْلُو﴾ جوهر.

﴿لَعُو﴾ الكلام: الباطل منه والفحش، ولغو اليمين: ما لا يلزم.

﴿لَهَا﴾ بفتح الهاء من اللهو، ومضارعه يلهو، وهي عن الشيء بالكسر والياء يلهى بالفتح، إذا عرض عنه، وألهاه الشيء إذا أشغله، ومنه ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾.

﴿لَطِيفٌ﴾ اسم الله تعالى، قيل معناه: رقيق، وقيل: خبير بخفيات الأمور.

﴿لَدَى﴾ و﴿لَدُنْ﴾ معناهما: عند.

﴿لَيْتَ﴾ معناها: التمني.

﴿لَعَلَّ﴾ معناها: الترجي في المحبوبات والتوقع للمكروهات، وأشكل ذلك في حق الله تعالى، فقيل: جاءت في القرآن على منهاج كلام العرب وبالنظر إلى المخاطب أي: ذلك مما يرتجى عندكم ويتوقع، وقد يكون معناها التعليل أو مقاربة الأمر؛ فلا إشكال.

﴿لَوْ﴾ لها معنيان؛ التمني، وامتناع شيء لا امتناع غيره. ﴿لَوْلَا﴾ لها معنيان؛ العرض مثل (لوما)، وامتناع الشيء لوجود غيره.

﴿لَمَّا﴾ لها معنيان؛ النفي وهي الجازمة، ووجود شيء لوجود غيره.

وأما ﴿لَمَّا﴾ بالتخفيف فهي لام التأكيد دخلت على ما، وقال الكوفيون: هي بمعنى إلا الموجبة بعد النفي.

﴿لَا﴾ ثلاثة أنواع: نافية، وناهية، وزائدة.

﴿اللَّامُ﴾ خمسة أنواع: لام الجر، ولام كي، ولام الجحود، ولام الأمر، ولام التأكيد في القسم وغيره وهي المفتوحة. ثم إن لام الجر لها ثلاثة معان؛ الملك، والاستحقاق، والتعليل، وقد تأتي للتعدي إذا ضعف

العامل، وقد تأتي بمعنى عند نحو ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ و﴿لِذِكْرِي﴾، ولام كي معناها: التشبيه والتعليل، وقد تأتي بمعنى الصيرورة في العاقبة، نحو ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾، وقد تأتي بمعنى أن المصدرية ومنه ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾.

### حرف الميم

﴿مَرَضٌ﴾ الجسد معروف، ومرض القلب: الشك في الإيوان والبغض في الدين.

﴿الْمَنَّ﴾ شبه العسل، وقيل: خبز النقي، والسلوى: طائر، والمن أيضا: الإنعام، والمن أيضا: ذكر العطية، والمن أيضا: القطع، ومنه ﴿أَجْرٌ عَيْرٌ مَمْنُونٌ﴾.

﴿أَمَانِيٌّ﴾ جمع أمانة، ولها ثلاثة معان؛ ما تتمناه النفس، والتلاوة، والكذب، وكذلك ﴿تَمَنَّى﴾ له هذه المعاني الثلاثة.

﴿مَلَأُ﴾ القوم: أشرافهم وذوو الرأي منهم.

﴿مَثَلٌ﴾ بفتح الميم والشاء، له أربعة معان؛ التشبيه، والنظير، ومن المثل المضروب وأصله من التشبيه، ومثل الشيء: حاله وصفته، والمثل: الكلام الذي يتمثل به، ومثل الشيء: بكسر الميم شبهه.

﴿مِرْيَةٍ﴾ شك، ومنه ﴿الْمُتَرِّينَ﴾ أي: الشاكين، و﴿لَا تُمَارِ﴾ من المراء وهو: الجدل.

﴿أَمْلَى﴾ لهم: أمهلهم وزادهم.

﴿مِهَادٌ﴾ فراش.

﴿مَدَّ﴾ يمد أي: أملى، وقد تكون بمعنى زاد، مثل ﴿أَمَدٌ﴾ بألف من المدد.

﴿مُضْغَةٍ﴾ قطعة لحم.

﴿إِمْلَاقٍ﴾ فقر.

حرف النون

﴿نظر﴾ له معنيان؛ من النظر، ومن الانتظار، فإذا كان من الانتظار تعدى بغير حرف، ومن نظر العين يتعدى بإلى، ومن نظر القلب يتعدى بفي.

﴿أنظر﴾ بالألف: آخر، ومنه ﴿أنظرني﴾ و﴿من المنظرين﴾ و﴿نظرة إلى ميسرة﴾.

﴿نصرة﴾ بالضاد من التعميم، ومنه ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ أي ناعمة، وأما ﴿إلى ربها ناظرة﴾ فمن النظر.

﴿نعمة﴾ بفتح النون من النعيم، وبكسرهما من الإنعام.

﴿أنعام﴾ هي: الإبل والبقر والغنم دون سائر البهائم، ويجوز تذكرها وتأنيتها، ويقال لها أيضا: نعام.

﴿نعيم﴾ كلمة مدح، ويجوز فيها كسر النون وفتحها، وإسكان العين وكسرها.

﴿نعيم﴾ بفتح النون والعين: كلمة تصديق وموافقة على ما قبلها من نفي أو إثبات، بخلاف بلى فإنها للإثبات خاصة، ويجوز في نعم كسر العين وفتحها.

﴿ند﴾ هو المضاهي والمائل والمعاند، وجمعه: أنداد. ﴿أنذر﴾ أعلم بالمكروه قبل وقوعه، ومنه ﴿نذير﴾

و﴿مُنذِرٌ﴾ و﴿المُنذِرِينَ﴾ و﴿كَيْفَ نَذِيرٍ﴾ أي: إنذاري فهو مصدر، ومنه ﴿عَذَابِي وَنُذُرٍ﴾، ونذر النذر بغير ألف، ومنه ﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ﴾ و﴿لِيُؤْفُوا نَذُورَهُمْ﴾.

﴿نكال﴾ له معنيان؛ العقوبة، والمعرة.

﴿نجى﴾ بتشديد الجيم له معنيان؛ من النجاة، ومن النجوة وهو: الموضع المرتفع، ومنه ﴿نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ على قول.

﴿مريد﴾ و﴿مَارِدٍ﴾ من العتو والضلال.

﴿مكائنة﴾ بمعنى مكان، أو: من التمكين والعز، ومنه ﴿مكِين﴾.

﴿مواخر﴾ فواعل من المخر، يقال: مخرت السفينة إذا جرت تشق الماء.

﴿مخيد﴾ من المجد، وهو: الكرم والشرف.

﴿مقت﴾ هو: الدم أو البغض على فعل القبيح.

﴿معين﴾ ماء جار كثير، وهو من قولك: معن الماء إذا كثر، وقيل: هو مشتق من العين، ووزنه مفعول؛ فالميم زائدة.

﴿مريج﴾ مختلط، والمارج: لهب النار، من قولك: مرج الشيء إذا اضطرب، وقيل: من الاختلاط أي: خلط نوعان من النار.

﴿مرح البحرين﴾ أي: خلاء بينهما، وقيل: خلطهما، وقيل: أفاض أحدهما في الآخر.

﴿مهل﴾ فيه قولان؛ دردي الزيت، وما أذيب من النحاس.

﴿منون﴾ له معنيان؛ الموت، والدهر.

﴿منس﴾ له معنيان؛ اللمس باليد وغيره، والجنون. ﴿من﴾ أربعة أنواع؛ شرطية، وموصولة، واستفهامية، ونكرة موصوفة.

﴿ما﴾ إذا كانت اسما فلها ستة أنواع؛ شرطية، وموصولة، واستفهامية، وموصوفة، وصفة، وتعجبية، وإذا كانت حرفا فلها خمسة أنواع؛ نافية، ومصدرية، وزائدة، وكافة، ومبهمة.

﴿من﴾ لها ستة أنواع؛ لابتداء الغاية، ولجملة الغاية، وللتبويض، وليبيان الجنس، والتعليل، وزائدة. ﴿مهما﴾ اسم شرط.

﴿ تَجَوَّى ﴾ معناه كلام خفي، ومنه ﴿ تَاج ﴾ و﴿ قَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾، وقيل: إنه يكون بمعنى الجماعة من الناس في قوله: ﴿ وَإِذْ هُمْ نَجَوَّى ﴾، وقد يحمل ذلك على حذف مضاف تقديره: وإذ هم أصحاب نجوى.

﴿ نَسِيَان ﴾ له معنيان؛ الذهول، ومنه ﴿ إِنَّ نَسِيَانًا أَوْ أَخْطَانًا ﴾، والترك، ومنه ﴿ تَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾. ﴿ نَسَخَ ﴾ له معنيان؛ الكتابة، ومنه ﴿ تَسْتَسْخِ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ والإزالة، ومنه ﴿ مَا تَنَسَخَ مِنْ آيَةٍ ﴾.

﴿ نَصْر ﴾ بالصاد معروف، وبالسين: اسم صنم ﴿ وَيَعُوذُ وَتَسْرًا ﴾، واسم طائر أيضا. ﴿ نُشُورًا ﴾ خروج الناس من القبور، ويقال: أنشروهم الله فنشروا، والرياح ﴿ تَشْرًا ﴾ لأنها تنشر السحاب.

﴿ نُشُوزًا ﴾ بالزاي له معنيان؛ شرب بين الرجل والمرأة، وارتفاع، ومنه ﴿ انشُزُوا ﴾ أي: قوموا من المكان. ﴿ نُزْل ﴾ بضمين: رزق وهو: ما يطعم الضيف. ﴿ نَأَى ﴾ أي بعد، ومنه ﴿ يَتَأَوَّنَ عَنْهُ ﴾.

﴿ نَكَّصَ ﴾ رجع إلى وراء.

﴿ نَفَّرَ ﴾ نفورا عن الشيء، ونفر ينفر بضم المضارع، ومنه نفرت الدابة، ونفر ينفر بكسر المضارع ﴿ نَفِيرًا ﴾ أي: أسرع وجد، ومنه ﴿ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾. ﴿ نَبَأَ ﴾ خبر، ومنه اشتق ﴿ النَّبِيُّ ﴾ بالهمز، وترك الهمز تخفيفا، وقيل: إنه عند من ترك الهمز مشتق من النبوة وهي الارتفاع.

﴿ نُظْفَةٍ ﴾ أي: نقطة من ماء، ومنه ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نُظْفَةٍ ﴾ يعني: من المنى.

﴿ أَنَابَ ﴾ إلى الشيء: رجع ومال إليه، ومنه ﴿ مُنِيب ﴾. ﴿ نَفَذَ ﴾ ينفذ أي: تم وانقطع.

﴿ نَهَرَ ﴾ بفتح الهاء: الوادي، ويجوز الإسكان، وأما ﴿ السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرُ ﴾ فهو من الانتهار، وهو الزجر. ﴿ مُنِير ﴾ من النور، وهو الضوء حسا أو معنى. ﴿ نُصِبَ ﴾ بضمين، وبضم النون وإسكان الصاد، وبفتح النون وإسكان الصاد، بمعنى واحد، وهو: حجر أو صنم كان المشركون يذبحون عنده، وجمعه: ﴿ أَنْصَاب ﴾.

﴿ نَصَبُ ﴾ بفتحين: تعب، و﴿ مَسَّيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ ﴾ أي: بلاء وشر.

﴿ نَقَمَ ﴾ الشيء يتقمه أي: كرهه وعابه. ﴿ نَضِيد ﴾ أي: منضود بعضه إلى بعض.

﴿ نَكَّير ﴾ إنكار، ويقال: نكر الشيء وأنكره، بمعنى.

﴿ يَنْسِلُونَ ﴾ من النسلان، وهو: الإسراع في المشي مع قرب الخطأ.

### حرف الصاد

﴿ صِرَاطَ ﴾ هو في اللغة: الطريق، ثم استعمل في القرآن بمعنى الطريقة الدينية، وأصله السين، ثم قلبت صادًا لحرف الإطباق بعدها، وفيه ثلاث لغات: بالصاد، وبالسين، وبين الصاد والزاي.

﴿ صَلَاة ﴾ إذا كانت من الله فمعناها: رحمة، وإذا كانت من المخلوق فلها معنيان: الدعاء، والأفعال المعلومة.

﴿ صَوْمَ ﴾ أصله في اللغة: الإمساك مطلقا، ثم استعمل شرعا: في الإمساك عن الطعام والشراب، وقد جاء بمعنى الصمت في قوله: ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ﴾؛ لأنه إمساك عن الكلام.

﴿ صَدَقَةَ ﴾ تطلق على الزكاة الواجبة، وعلى التطوع،





﴿ صَيْفٌ ﴾ يقال للواحد والاثنين والجماعة.

﴿ ضَيْقٌ ﴾ بكسر الصاد: مصدر، وبفتحها مع إسكان

الياء: تخفيف من ضيق المشدد، كमित وميت.

### حرف العين

﴿ عَادَ ﴾ بالله يعوذ؛ أي: استجار به ليدفع عنه ما يخاف،

ويقال أيضا: استعاذ يستعيز، ومنه ﴿ عُدْتُ بِرَبِّي ﴾

و﴿ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾.

﴿ الْعَالَمِينَ ﴾ جمع عالم، وهو عند المتكلمين: كل

موجود سوى الله تعالى، وقيل: العالمين: الإنس والجن

والملائكة، فجمعه جمع العقلاء، وقيل: الإنس خاصة

لقوله: ﴿ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾.

﴿ يَعْمَهُونَ ﴾ يتحiron في ضلالهم، والعمه: الحيرة.

﴿ عَدَلَ ﴾ يعدل عدلا ضد جار، وعدل عن الحق

عدولا، وعدلت فلانا بفلان: سويت بينهما، ومنه:

﴿ يَرْبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾، وللعدل ثلاثة معان: ضد الجور،

والفدية ومنها: ﴿ لَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ ﴿ وَإِنْ تَعَدَّلْ

كُلَّ عَدْلٍ ﴾، ومثل الشيء ومنه: ﴿ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ

صِيَامًا ﴾.

﴿ عَزِيزٌ ﴾ اسم الله تعالى معناه: الغالب، وعز: غلب،

ومنه ﴿ عَزَّيْنِي فِي الْحِطَابِ ﴾ أي غلبني، والغلبة ترجع

إلى القوة والقدرة، ومنه ﴿ فَعَزَّزْنَا بِبَالِيْثٍ ﴾ أي: قوينا،

وقيل: العزيز العديم المثل.

﴿ عَفَا ﴾ له أربعة معان: عفا عن الذنب أي: صفح عنه،

وعفا: أسقط حقه، ومنه ﴿ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ ﴾، وعفا القوم:

كثروا، ومنه ﴿ حَقَّى عَفْوًا ﴾، وعفا المنزل: درس.

﴿ عَفُوٌ ﴾ له ثلاث معان: الصفح عن الذنب،

والإسقاط، والسهل من غير كلفة، ومنه ﴿ مَاذَا

يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾.

﴿ عَيْنٌ ﴾ له في القرآن معنيان؛ العين المبصرة، وعين

الماء، وله في غير القرآن معان كثيرة.

﴿ عَيْنٌ ﴾ بكسر العين: واسعات العين، وهو جمع عيناء.

﴿ عَنَّتْ ﴾ معناه: الهلاك أو المشقة، ومنه ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ

لَأَعْنَتَكُمْ ﴾ أي: أهلككم أو ضيق عليكم، والعنت

أيضا: الزنا، ومنه ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ ﴾،

وأما ﴿ وَعَنَّتِ الْوُجُوهُ ﴾ فليس من هذا؛ لأن لامة واو،

فهو من عنا يعنو إذا خضع.

﴿ عَاقَبَ ﴾ له معنيان؛ من العقوبة على الذنب، ومن

العقبى، ومنه ﴿ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَرْوَاحِكُمْ إِلَى

الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ ﴾ أي: أصبتم عقبى.

﴿ أَعْجَازُ نَخْلٍ ﴾ أصولها، أعجز الشيء إذا فات ولم

يقدر عليه، ومنه ﴿ وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ ﴿ وَمَا كَانَ

اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾، وأما ﴿ مُعَاجِزِينَ ﴾ بالألف

فمعناه: مسابقين.

﴿ عَالٌ ﴾ يعيل عيلة؛ أي: افتقر، ومنه ﴿ وَوَجَدَكَ

عَائِلًا ﴾، وعال يعول: عدل عن الحق، وعال يعول

أيضا: كثر عياله، والأشهر أن يقال في هذا المعنى: أعال

بالألف.

﴿ عَرَجٌ ﴾ يعرج، بفتح الراء في الماضي، وضمها

في المضارع: سعد وارتقى، ومنه ﴿ الْمَعَارِجُ ﴾ وعرج

بالكسر في الماضي، والفتح في المضارع: صار أعرج.

﴿ عُنْتِي ﴾ معناه: الرضى، ومنه ﴿ فَمَا هُمْ مِّنَ

الْمُعْتَبِينَ ﴾ ﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾، والعتاب: العدل.

﴿ أَعَدَّ ﴾ بالألف: يسر الشيء وهياه، وعدّ بغير الألف:

من العدد.

﴿عَرْشٌ﴾ سريّر الملك، ومنه ﴿وَرَفَعَ أَبْوَابَهُ عَلَى الْعَرْشِ﴾ و﴿أَهْكَذَا عَرْشُكَ﴾، وعرش الله فوق السموات، و﴿يَعْرِشُونَ﴾ بينون، و﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ سقوفها.

﴿عَوْرَةٌ﴾ أصل معناه: الانكشاف فيما يكره كشفه ولذلك قيل: عورة الإنسان، و﴿ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ﴾ أي: أوقات انكشاف، و﴿بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ أي: خالية معرضة للسراق.

﴿عَاقِرٌ﴾ له معنيان؛ المرأة العقيم، واسم فاعل من عقر الحيوان.

﴿عَبَّرَ﴾ يعبر، له معنيان؛ من عبارة الرؤيا ومنه ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾، ومن الجواز على الموضع ومنه ﴿عَابِرِي سَبِيلٍ﴾.

﴿عَمُونَ﴾ و﴿عَمِينَ﴾ جمع عم وهو: صفة على وزن فعل بكسر العين، من العمى في البصر أو في البصيرة.

﴿عَلَا﴾ يعلو: تكبر، ومنه ﴿قَوْمًا عَلَيْنَ﴾ و﴿عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾، و﴿الْعَلِيِّ﴾ اسم الله، و﴿الْمُتَعَالِ﴾ و﴿الْأَعْلَى﴾ من العلو بمعنى الجلال والعظمة، وقيل: بمعنى التنزيه عما لا يليق به.

﴿عزب﴾ الشيء: غاب، ومنه ﴿لَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ﴾ أي: لا يخفى عنه.

﴿عُضْبَةٌ﴾ جماعة من العشرة إلى الأربعين.

﴿عَلَقَةٌ﴾ واحدة العلق وهو: الدم.

﴿عَاصِفٌ﴾ ريح شديدة.

﴿عَصْفٌ﴾ ورق الزرع.

حرف الغين

﴿غِشَاوَةٌ﴾ غطاء إما حقيقة أو مجاز.

﴿عَمَامٌ﴾ هو: السحاب.

﴿عُغْلَفٌ﴾ جمع أغلف وهو: كل شيء جعلته في غلاف أي: قلوبنا محجوبة.

﴿عُرْفَةٌ﴾ بضم الغين لها معنيان؛ المسكن المرتفع، والغرفة من الماء بالضم والفتح: المرة الواحدة.

﴿عَادِرٌ﴾: ترك، ومنه: ﴿لَا يُعَادِرُ﴾.

﴿عَلَّ﴾ يغل من الغلول وهو: الخيانة والأخذ من المغنم بغير حق، والغل: الحقد.

﴿أَعْلَالٌ﴾ جمع غل بالضم وهو: ما يجعل في العنق، ومنه ﴿مَعْلُولَةٌ﴾.

﴿غَلَا﴾ يغلو من الغلو وهو: مجاوزة الحد والإفراط، ومنه ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ أي: لا تجاوزوا الحق.

﴿غَائِطٌ﴾ المكان المنخفض، ثم استعمل في حاجة الإنسان.

﴿غَشِيَّيْ﴾ الأمر يغشى؛ بالكسر في الماضي، والفتح في المضارع؛ معناه: غطى حسا ومعنى، ومنه ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ لأنه يغطي بظلامه، ويقال بالهمزة والتشديد، فيقال: غشى وأغشى، ﴿وَمِنْ قَوْهِمْ عَوَاشٍ﴾ يعني: ما يغشاهم من العذاب أو يصيبهم، ومنه ﴿غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾، و﴿الْغَاشِيَةِ﴾ أيضا القيامة؛ لأنها تغشى الخلق.

﴿غَبَّرَ﴾ له معنيان؛ ذهب، وبقي، ومنه ﴿عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ أي: في الهالكين الذاهبين أو في الباقين في العذاب.

﴿غُرُورٌ﴾ بضم الغين مصدر، وفتحها: اسم فاعل مبالغة، ويراد به إبليس.

﴿غَاضٌ﴾ الشيء: نقص، ومنه ﴿وَوَغِيضَ الْمَاءِ﴾

﴿ تَغِيْضُ الْأَرْحَامِ ﴾، وغاز يغيب بالظاء المشالة من الغيب.

﴿ غَوْرٌ ﴾ أي غائر، من غار الماء إذا ذهب.

﴿ غَرَامٌ ﴾ عذاب، ومنه ﴿ إِنَّا لَمُعْرِمُونَ ﴾، والمغرم:

غرم المال، ومنه ﴿ مِّن مَّعْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴾.

### حرف الفاء

﴿ فُرْقَانٌ ﴾ أي: يفرق بين الحق والباطل، ومنه ﴿ يَجْعَلُ

لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾ أي: تفرقة، ولذلك سمي القرآن

بalfرقان.

﴿ فِتْنَةٌ ﴾ جماعة من الناس.

﴿ فِصَالٌ ﴾ فطام من الرضاع.

﴿ فَضْلٌ ﴾ له معنيان؛ الإحسان، والربح في التجارة

وغيرها، ومنه ﴿ يَبْتَغُونَ مِّن فَضْلِ اللَّهِ ﴾.

﴿ فِسْقٌ ﴾ أصله الخروج، وتارة يرد بمعنى الكفر،

وتارة بمعنى العصيان.

﴿ فِتْنَةٌ ﴾ لها ثلاثة معان؛ الكفر، والاختبار، والتعذيب.

﴿ فَاءٌ ﴾ يفى أي: رجع.

﴿ فُلُكٌ ﴾ بضم الفاء: سفينة، ويستوي فيه المفرد

والجمع.

﴿ فَلَكَ ﴾ بفتحين: القطب الذي تدور به الكواكب.

﴿ فَرَعٌ ﴾ له معنيان؛ الخوف، والإسراع، ومنه

﴿ إِذْ فَرَعُوا فَلَا قَوَّةَ ﴾.

﴿ فَرَحٌ ﴾ له معنيان؛ السرور، والبطر.

﴿ فَا حِشَّةٌ ﴾ و﴿ فَحْشَاءٌ ﴾: هي كل ما يقبح ذكره من

المعاصي.

﴿ فَرَضٌ ﴾ له معنيان؛ الوجوب، والتقدير.

﴿ فَتْحٌ ﴾ له معنيان؛ فتح الأبواب، ومنه فتح البلاد

وشبهها، والحكم، ومنه ﴿ افْتَحَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا ﴾،

ويقال للقاضي: فتاح، واسم الله الفتاح، قيل: الحاكم،

وقيل: خالق النصر والفتح.

﴿ انْفَضُّوا ﴾ أي تفرقوا.

﴿ فَطَرَ ﴾ خلقه ابتداء، ومنه ﴿ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ ﴾، و﴿ فَطَرَهُ اللَّهُ ﴾ الخلقة التي خلق الخلق

عليها، وأفطر بالألف من الطعام.

﴿ فُطُورٌ ﴾ شقوق، ومنه ﴿ انْفَطَرَتْ ﴾ أي: انشقت،

و﴿ يَتَفَطَّرْنَ ﴾.

﴿ فَجَّ ﴾ طريق واسع، وجمعه: فجاج.

﴿ فَارَ التَّنُورِ ﴾ يقال لكل شيء هاج وعلا حتى فاض،

ومنه ﴿ وَهِيَ تَفُورٌ ﴾ وقولهم: فارت القدر.

﴿ فَوْجٌ ﴾ جماعة من الناس، وجمعه: أفواج.

﴿ فَآكِهِينَ ﴾ من التلذذ بالفاكهة، أو من الفكاهة: وهي

السرور واللهاو.

﴿ فُوَادٌ ﴾ هو: القلب، وجمعه: أفئدة.

﴿ اسْتَفَزَ ﴾ يستفز أي: استخف.

﴿ فَهْمٌ ﴾ فهم، ومنه ﴿ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ و﴿ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا ﴾.

﴿ فِي ﴾ حرف جر بمعنى الظرفية، وقد تكون للتعليل،

وقد تكون بمعنى مع، وقيل: بمعنى على.

﴿ الفاء ﴾ لها ثلاثة أنواع: عاطفة، ورابطة، وناصفة للفعل

بإضمار أن، ومعناها: الترتيب والتعقيب والتسبب.

### حرف القاف

﴿ قُرْآنٌ ﴾ له معنيان؛ الكتاب العزيز، ومصدر قرأ؛

أي: تلا، ومنه ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾.

﴿ قنوت ﴾ له خمسة معان؛ العبادة، والطاعة، والقيام في

الصلاة، والدعاء، والسكوت.

﴿ قَضَى ﴾ له سبعة معان؛ الحكم، والأمر، والقدر السابق، وفعل الشيء، والفراغ منه، والموت، والإعلام بالشيء، ومنه ﴿ قَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ ﴾ .

﴿ قَدَرَ ﴾ له خمسة معان؛ من القدرة، ومن التقدير، ومن المقدار، ومن القدر والقضاء، وبمعنى التضيق نحو ﴿ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ﴾ ، وقد يشد الفعل ويخفف، والقدر بفتح الدال وإسكانها: القضاء، والمقدار بالفتح لا غير من القضاء.

﴿ قَامَ ﴾ له ثلاثة معان؛ من القيام على الرجلين، ومن القيام بالأمر بتدبيره وإصلاحه، ومنه ﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النَّسَاءِ ﴾ وقام الأمر: ظهر واستقام، ومنه: ﴿ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ ﴿ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ .

﴿ أَقَامَ ﴾ له ثلاثة معان؛ أقام الرجل غيره، من القيام، ومن التقويم، ومنه ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ قَاقِمَهُ ﴾ ، وأقام في الموضع سكن، ومنه ﴿ مُقِيمٌ ﴾ أي: دائم .

﴿ قَيُّومٌ ﴾ اسم الله تعالى، وزنه فيعول وهو بناء مبالغة من القيام على الأمور معناه: مدبر الخلائق في الدنيا والآخرة، ومنه: ﴿ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ ﴾ .

﴿ قِيَامٌ ﴾ له معنيان؛ مصدر قام على اختلاف معانيه، وبمعنى قوام الأمر وملاكه، وقيم بغير ألف جمع قيمة .

﴿ قَرَضَ ﴾ سلف، والفعل منه أقرض يقرض .

﴿ أَقْسَطَ ﴾ بالألف قسطا: عدل في الحكم، ومنه ﴿ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ ، وقسط بغير ألف: جار، ومنه ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ .

﴿ مَقَالِيدُ ﴾ فيه قولان؛ خزائن، ومفاتيح .

﴿ قَدَسَ ﴾ يقدس من التنزيه والطهارة، وقيل: من التعظيم، والقدوس: اسم الله تعالى فعول، من النزاهة

عما لا يليق به .

﴿ قَالَ ﴾ يقول من القول، وقد يكون بمعنى الظن ومصدره قول وقيل، وقال يقيل من القايلة، ومنه ﴿ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ و﴿ أَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ .

﴿ قَفَى ﴾ اتبع، وأصله من القفا يقال: أففوته إذا جئت في أثره، وقفيت بالتشديد إذا سقت شيئا في أثره، ومنه ﴿ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ﴾ .

﴿ قَرَنَ ﴾ جماعة من الناس، وجمعه: قرون .

﴿ قَوَاعِدُ ﴾ البيت: أساسه واحده قاعدة، و﴿ الْقَوَاعِدُ مِنَ النَّسَاءِ ﴾ واحده قاعد؛ وهي العجوز .

﴿ قُرْبَانَ ﴾ ما يتقرب به إلى الله تعالى من الذبائح وغيرها، وقربان أيضا: من القرابة .

﴿ قَلَى ﴾ يقلي: أبغض، ومنه ﴿ وَمَا قَلَى ﴾ و﴿ لِعَمَلِكُمْ مِّنَ الْقَالِينَ ﴾ .

﴿ اقْتَرَفَ ﴾ اكتسب حسنة أو سيئة .

﴿ قَصَصَ ﴾ له معنيان؛ من الحديث، ومن قص الأثر، ومنه ﴿ عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ و﴿ قُصِّيه ﴾ .

﴿ قَرَرْتُ ﴾ به عينا، أقر بالكسر في الماضي والفتح في المضارع، وقررت بالمكان بالفتح في الماضي والكسر في المضارع .

﴿ قِسْطَاسٍ ﴾ ميزان .

﴿ قَتَرَ ﴾ وقتره: غبار، وهو عبارة عن تغير الوجه و﴿ قَتُورٌ ﴾ من التقير .

﴿ قَارِعَةٌ ﴾ داهية وأمر عظيم .

﴿ قَبَسَ ﴾ شعلة من نار .

﴿ قَنَطَ ﴾ ينس من الخير .

﴿ قِرْطَاسٍ ﴾ صحيفة، وجمعه قرطاس .

حرف السين

﴿سَرَى﴾ يسري: مشى ليلاً، ويقال: ﴿أَسْرَى﴾  
بألف.

﴿سَخِرَ﴾ يسخر: بالكسر في الماضي، والفتح في المضارع  
أي: استهزأ. ﴿سَخَّرَ﴾ بالتشديد من التسخير.

﴿سُخِرِيًّا﴾ بضم السين: من السخرة وهي تكليف  
الأعمال، وبالكسر: من الاستهزاء.

﴿سُلْطَانٌ﴾ له معنيان؛ البرهان، والقوة، ومنه  
﴿لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾.

﴿سَامٌ﴾ يسوم أي: كلف الأمر وألزمه، ومنه:  
﴿يَسُومُونَكُم سُوءَ الْعَذَابِ﴾، وأصله من سوم

السلعة في البيع.

﴿سَيْمٌ﴾ يسأم أي: مل، ومنه ﴿وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾.  
﴿سِنَّةٌ﴾ أي: عادة.

﴿سَلَفٌ﴾ الأمر أي تقدم، وأسلفه الرجل أي: قدمه،  
ومنه ﴿هَنِيئًا يَمَا اسْلَفْتُمْ﴾.

﴿سَرَاءٌ﴾ فعلاء من السرور.

﴿سَارِعٌ﴾ إلى الشيء: بادر إليه.

﴿إِسْرَافٌ﴾ إفراط، و﴿المُسْرِفِينَ﴾ أي: المبدرون  
أو المفرطون في الكفر والمعاصي.

﴿سَوْءَةٌ﴾ عورة، و﴿السُّوءُ﴾ ما يسوء بالفتح والضم،  
و﴿السُّوْأَى﴾ فعلاء من السوء، و﴿سِيءَ بِهِمْ﴾ فعل

بهم السوء.

﴿سِنَّةٌ﴾ بفتح السين: عام، ولا مهاي محذوفة وجمعها:  
﴿سِنِينَ﴾، وقد يقال: بمعنى القحط والجذب.

﴿سِنَّةٌ﴾ بكسر السين: ابتداء النوم، وفاؤها واو  
محذوفة؛ لأنها من الوسن.

﴿سَلَكٌ﴾ يسلك له معنيان؛ أدخل، ومنه: ﴿اسْلُكْ

﴿أَسْبَاطٌ﴾ جمع سبط وهم: ذرية يعقوب عليه السلام،

كان له اثنا عشر ولدا ذكرا فأعقب كل واحد منهم عقبا،  
والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب.

﴿سَبِيلٌ﴾ هو الطريق وجمعه: سبل، ثم استعمل في  
طريق الخير والشر، و﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾: الجهاد، و﴿ابنِ

السَّبِيلِ﴾: الضيف، وقيل: الغريب.

﴿سَوَى﴾ بالتشديد له معنيان؛ من التسوية بين الأشياء  
وجعلها سواء، وبمعنى أتقن وأحسن، ومنه ﴿فَسَوَّاكَ

فَعَدَّلَكَ﴾.

﴿سَوَاءٌ﴾ بالفتح والهمز: من التسوية بين الأشياء،  
و﴿سَوَاءَ الْجَحِيمِ﴾ وسطها، و﴿سَوَاءِ الصَّرَاطِ﴾

قصد الطريق.

﴿سَوَى﴾ بالكسر والضم مع ترك الهمزة: استثناء، وقد  
يكون من التسوية.

﴿سُفْهَاءٌ﴾ جمع سفية، وهو: الناقص العقل، وأصل  
السفه الخفة، ولذلك قيل لمبذر المال: سَفِيه، وللكفار

والمناقين: سُفْهَاءٌ.

﴿سَلَوَى﴾ طائر يشبه السَّيَّانِي، وكان ينزل على بني  
إسرائيل مع المن.

﴿سَأَلَ﴾ له معنيان؛ طلب الشيء، والاستفهام عنه،  
و﴿سَأَلَ﴾ بغير همز: من المعنيين المذكورين، ومن

السيل.

﴿سُبْحَانَ﴾ تنزيه، وسبحت الله أي: نزهته عما لا يليق  
به من الصاحبة، والولد، والشركاء، والأنداد، وصفات

الحدوث، وجميع العيوب والنقائص.

﴿سَارَ﴾ يسير: مشى ليلاً أو نهاراً.

يَدَكَ ﴿، و﴿ سَلَكُهُ يَتَابِعُ ﴾ ومنه: سلوك الطريق.  
﴿أَسْفَارُ﴾ جمع سَفَرٍ بفتحين، وجمع سفر وهو الكتاب.  
﴿سَاحٌ﴾ يسبح أي: سار، ومنه ﴿فَسِيحُوا فِي  
الْأَرْضِ﴾، و﴿السَّائِحُونَ﴾ الصائمون.  
﴿سَوَّلَ﴾ بتشديد الواو: زين، ومنه ﴿سَوَّلْتَ لَكُمْ  
أَنْفُسَكُمْ أَمْراً﴾.  
﴿سَرَابِيلٌ﴾ جمع سربال وهو: القميص.  
﴿سَبَأٌ﴾ قبيلة من العرب.  
﴿سَمُومٌ﴾ شدة الحر.  
﴿سَلَامٌ﴾ له ثلاثة معان؛ التحية، والسلامة، والقول  
الحسن، ومنه ﴿إِذَا حَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾.  
﴿السَّلَامُ﴾ اسم الله تعالى معناه: ذو السلامة من  
كل نقص؛ فهو من أساء التنزيه، وقيل: مسلم العباد  
من الممالك، وقيل: ذو السلام على المؤمنين في الجنة.  
﴿سَلَّمَ﴾ بفتحين انقياد وإلقاء باليد، وهو أيضا بيع.  
﴿سَلَّمَ﴾ بفتح السين وإسكان اللام: صلح ومهادنة.  
﴿سَلَّمَ﴾ بكسر السين وإسكان اللام ومعناه:  
الإسلام.  
﴿سُلِّمَ﴾ بضم السين وفتح اللام مشددة: هو الذي  
يصعد فيه.  
﴿أَسْلَمَ﴾ يسلم له ثلاث معان؛ الدخول في الإسلام،  
والإخلاص لله، والانقياد، ومنه ﴿قَلَمَّا أَسْلَمْنَا﴾.  
﴿سَعَى﴾ يسعى له ثلاث معان؛ عمل عملا، ومنه ﴿وَأَنْ  
لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾، ومشى، ومنه ﴿فَاسْعَوْا  
إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾، وأسرع في مشيه، ومنه ﴿رَجُلٌ يَسْعَى﴾.  
﴿سَكَنَ﴾ يسكن له معنيان؛ من السكون ضد الحركة،  
ومن السكنى في الموضع.

﴿سَكِينَةٌ﴾ وقار وطمأنينة.  
﴿سَائِغٌ﴾ سهل للشرب لا يغص به من شربه.  
﴿سَائِغَاتٍ﴾ دروع واسعات طوال.  
﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ما كتبه المتقدمون.  
﴿مُصَيِّطِرٌ﴾ أي: مسلط، و﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطِرُونَ﴾  
أي: الأرباب.  
﴿سُنْدُسٌ وَاسْتَبْرَقٌ﴾: ثياب حرير، وقيل: السندس  
رقيق الديباج، والístبرق: صفيقه.  
﴿سُحْقًا﴾ بعداء، ومنه ﴿مَكَانٍ سَجِيقٌ﴾ أي: بعيد.  
﴿سَعِيرٌ﴾ جهنم، و﴿سُعَّرَتْ﴾ أوقدت.  
﴿سَبَبٌ﴾ وجمعه: أسباب، له خمسة معان؛ الحبل ومنه  
﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾، والاستعارة من الحبل  
في المودة والقرابة ومنه ﴿وَتَقَطَّعْتَ بِهِمُ الْأَسْبَابَ﴾،  
والطريق ومنه ﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾، والباب ومنه ﴿أَسْبَابَ  
السَّمَاوَاتِ﴾، وسبب الأمر: موجه.  
**حرف الشين**  
﴿شَعَرَ﴾ بالأمر يشعر أي: علمه، والشعور: العلم من  
طريق الحس، ومنه: ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾.  
﴿شَهِدَ﴾ يشهد له معنيان؛ من الشهادة على الشيء،  
ومن الحضور.  
﴿شُهِدَاءٌ﴾ جمع شهيد وله ثلاثة معان: من الشهادة  
على الشيء، ومن الحضور، ومن الشهادة في سبيل الله.  
﴿شُكْرًا﴾ قد تقدم في الحمد والشكر، و﴿الشُّكُورُ﴾  
اسم الله تعالى المجازي لعباده على أعمالهم بجزيل  
الثواب، وقيل: المثني على العباد.  
﴿شَرَى﴾ أي: باع، وقد يكون بمعنى: اشترى  
﴿شِقَاقٌ﴾ عداوة ومعاندة، ومنه ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ﴾

﴿شِهَابٌ﴾ كوكب، وقد يطلق على شعلة النار.  
 ﴿شَجَرٌ﴾ هو كل ما ينبت في الأرض، و﴿شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: اختلفوا فيه.  
 ﴿شَتَانٌ﴾ عداوة وشر، ويجوز فيه فتح النون وإسكانها.  
 ﴿شَرَعَ اللهُ﴾ الأمر أي: أمر به، والشريعة والشرعة:  
 الملة، وشرعت الدواب في الماء.  
 ﴿شَعَائِرِ اللهِ﴾ معالم دينه، واحداها: شعيرة أو شعارة.  
 ﴿شِرْكٌ﴾ له معنيان؛ من الإشراك، وهو أيضا النصيب،  
 ومنه ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾.  
 ﴿شُرَكَاءُ﴾ جمع شريك.  
 ﴿مَشْحُونٌ﴾ أي: مملوء.

### حرف الهاء

﴿الْهُدَى﴾ له معنيان؛ الإرشاد والبيان، ومن البيان:  
 ﴿وَأَمَّا تَسُوْدٌ فَهَدَيْتَانَهُمْ﴾، والإرشاد قد يكون  
 إلى الطريق وإلى الدين، وبمعنى التوفيق والإلهام.  
 ﴿هَدَى﴾ بفتح الهاء وإسكان الدال: ما يهدي إلى  
 الكعبة من البهائم.

﴿هَادٍ﴾ يهود: أي تاب ومنه ﴿هُدْنَا إِلَيْكَ﴾،  
 ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ أي: تهودوا أي: صاروا يهودا،  
 وأصله من قولهم: ﴿هُدْنَا إِلَيْكَ﴾.  
 ﴿هُودٌ﴾ له معنيان: اسم نبي عاد عليه السلام، وبمعنى  
 اليهود، ومنه ﴿كُونُوا هُودًا﴾.

﴿هَوَى﴾ النفس، مقصور، وهو: ما تحبه وتميل إليه،  
 والفعل منه بكسر الواو في الماضي وفتحها في المضارع،  
 والهواء بالمد والهمز: ما بين السماء والأرض، ﴿وَأَفْتَدَتْهُمْ  
 هَوَاءٌ﴾ أي: منخرقة لا تعي شيئا، وهوى يهوي بالفتح  
 في الماضي والكسر في المضارع: وقع من علو ويقال

أيضا: بمعنى الميل، ومنه ﴿أَفْتَدَتْ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي  
 إِلَيْهِمْ﴾.  
 ﴿هَاجَرَ﴾ خرج من بلاده، ومنه سمي المهاجرون.  
 ﴿هَجَرَ﴾ من الهجران، ومن الهجر أيضا وهو: فحش  
 الكلام، وقد يقال في هذا: أهجر بالألف.  
 ﴿أُهْلَلْ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ﴾ أي: صبح، والإهلال: الصباح،  
 ثم استعمل في الكلام بغير صباح، وفي النية أي: أريد  
 به غير الله.  
 ﴿مُهَيَّمَنٌ عَلَيْهِ﴾: أي شاهد، وقيل: مؤتمن، والمهيمن:  
 اسم الله القائم على خلقه بأعمالهم وآجالهم وأرزاقهم،  
 وقيل: الشاهد، وقيل: الرقيب.  
 ﴿هُوانٌ﴾ وهون أي: ذل.

﴿مُهِينٌ﴾ بضم الميم: مفعول مشتق من الهوان أي: مذل،  
 وأما ﴿مَهِينٌ﴾ بفتح الميم فمعناه: ضعيف أو ذليل.

### حرف الواو

﴿وَقُودُ النَّارِ﴾ بفتح الواو: ما توقد به من الحطب  
 وشبهه، والوقود بالضم: المصدر.

﴿وَجْهٌ﴾ له معنيان؛ الجارحة، والجهة، ومنه:  
 ﴿وَجْهَةٌ﴾، وأما وجه في قوله: ﴿اِئْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ﴾  
 أي: طلب رضاه، وفي قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا  
 وَجْهَهُ﴾ ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ قيل: الوجه الذات،  
 وقيل: صفة كاليدين، وهو من المتشابه.

﴿وَعَدٌ﴾ يعد وعدا: بالخير، وقد يقال في الشر إذا قيد،  
 وأوعد بالألف يوعد وعيدا: بالشر لا غير.  
 ﴿وَدٌّ﴾ يود، له معنيان؛ من المودة والمحبة، وبمعنى  
 تمنى ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾، والود بالضم: المحبة،  
 و﴿وَدًّا﴾: اسم صنم بضم الواو وفتحها، ﴿وَدُودٌ﴾:

اسم الله تعالى أي: محب لأوليائه، وقيل: محبوب. ﴿وَيْلٌ﴾ كلمة شر، وقيل: إن الويل واد في جهنم. ﴿وَجَبَّ﴾ له معنيان؛ وجوب الحق، وبمعنى سقط كقولهم: وجب الحائط إذا سقط، ومنه: ﴿وَجَبَّتْ جُنُوبُهَا﴾. ﴿وَسَطٌ﴾ وأوسط، له معنيان؛ من التوسط بين الشئين، وبمعنى الخيار والأحسن. ﴿وَسِعَ﴾ يسع سعة من الاتساع ضد الضيق، والسعة: الغنى، والواسع: اسم الله تعالى أي: واسع العلم والقدرة والغنى والرحمة، وقيل: ﴿وَاسِعٌ﴾ جواد. ﴿مُوسِعٌ﴾ غني، أي: واسع الحال، وهو ضد المقتر، ﴿وَأَنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ قيل: أغنياء، وقيل: قادرون، و﴿إِلَّا وَسْعَهَا﴾ طاقتها. ﴿وَلَىَّ﴾ له معنيان؛ أدبر، وجعل والياً، و﴿تَوَلَّى﴾ له ثلاث معان؛ أدبر، وأعرض بالبدن أو بالقلب، وصار والياً، واتخذ والياً، ومنه ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾. ﴿وَلِيٌّ﴾ ناصر، والولي: اسم الله تعالى، قيل: ناصر، وقيل: متولي أمر الخلائق. ﴿مَوْلَى﴾ له سبعة معان؛ السيد الأعظم، والناصر، والولي أي: القريب، والمالك، والمعتق، وبمعنى أولى، ومنه: ﴿التَّارُ مَوْلَاكُمْ﴾. ﴿وَلَجَّ﴾ يلج أي: دخل، ومنه ﴿مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ وأولج: يولج أي أدخل، ومنه ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾. ﴿وَهَنَ﴾ يهن: ضعف، ومنه ﴿وَهَنَ الْعَظْمُ﴾ أي: ضعف، والوهن: الضعف. ﴿وَرَدَّ﴾ الماء يرده إذا جاء إليه، وأورده غيره، و﴿أَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ الذي يتقدمهم إلى الماء فيسقي لهم. ﴿أُوزِعْنِي﴾ أي: ألهمني ووفقني. ﴿يُوزَعُونَ﴾ يدفعون. ﴿وَلِيدٌ﴾ صبي وجمعه: ولدان. ﴿وَجَلَّ﴾ يوجل وجملاً: خاف، ومنه: ﴿لَا تَوَجَّلْ﴾ و﴿وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾. ﴿أَوْجَسَ﴾ وجد في نفسه وأضمرب. ﴿وَأَرَى﴾ يوارى: ستر، ومنه ﴿يُؤَارِي سَوْءَ أَخِيهِ﴾ و﴿مَا يُؤَرِّي عَنْهُمَا﴾ و﴿تَوَارَى﴾ أي: استتر واستخفى. ﴿وَطِئَ﴾ يطأ، له ثلاث معان؛ جماع المرأة، ومن الوطء بالأقدام، ومنه ﴿أَرْضًا لَمْ تَطْؤُوهَا﴾، والإهلاك، ومنه ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطْؤُوهُمْ﴾. ﴿وَقَرَّ﴾ بفتح الواو هو: الصمم والثقل في الأذن، والوقر بكسر الواو: الحمل، ومنه ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾. ﴿وَدَقَّ﴾ هو: المطر. ﴿وَاصِبٌ﴾ أي: دائم. ﴿وَكَيْلٌ﴾ كفيل بالأمر، وقيل: كاف. ﴿وَزَرَ﴾ بكسر الواو وإسكان الزاي له معنيان؛ الذنب ومنه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾، والحمل الثقيل، وهو الأصل، ومنه: ﴿أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ أي: أحمالاً. ﴿وَزَرَ﴾ بفتحين أي: ملجأ. ﴿وَزِيرٌ﴾ أي: معين، وأصله الوزر، بمعنى الثقل؛ كأن الوزير يحمل عن الملك أثقاله.



﴿ وَسَوَسَ ﴾ الشيطان إلى الإنسان: ألقى في نفسه،  
و﴿ الوَسْوَاسِ ﴾: الشيطان.

﴿ أَوْحَى ﴾ يوحى وحيًا، له ثلاث معانٍ؛ كلام الملك  
عن الله للأنبياء، ومنه قيل للقرآن وحي، وبمعنى

الإلهام، ومنه: ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾، وبمعنى  
الإشارة، ومنه ﴿ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا ﴾ أي: أشار.

﴿ وَغَى ﴾ العلم يعي: حفظه، ومنه ﴿ أذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾،  
وأوعى بالألف يوغي: جمع المال في الوعاء، ومنه  
﴿ جَمَعَ فَأَوْعَى ﴾.

### حرف الباء

﴿ يَمِين ﴾ له أربعة معانٍ؛ اليد اليمنى، والجهة اليمنى،  
وبمعنى القوة، وبمعنى الحلف، أيمن أي: إلى الجهة  
اليمنى.

﴿ يَسِير ﴾ له معنيان؛ قليل ومنه ﴿ كَيْلٌ يَسِير ﴾، وهين  
ومنه ﴿ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِير ﴾، واليسر ضد العسر.

﴿ يَيْسَس ﴾ من الأمر يأس، أي: انقطع رجاؤه، ومنه  
﴿ لَا تَيَّأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ﴾ و﴿ إِنَّهُ لَيَتُوسُّ ﴾، وأما  
﴿ أَقَلَمَ يَبْأَسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ فمعناه: ألم يعلم.

﴿ يَم ﴾ هو: البحر.  
﴿ مَيْسِر ﴾ هو: القمار في الترد والشطرنج وغير ذلك،  
وهو مأخوذ من: يسر لي كذا إذا وجب، واليسر بفتح  
الياء والسين: الرجل الذي يشتغل بالميسر، وجمعه:

أيسار، وميسر العرب أنهم كان لهم عشرة قداح  
وهي الأزلام لكل واحد منها نصيب معلوم من ناقة  
ينحرونها، وبعضهم لا نصيب له ويجزؤونها عشرة  
أجزاء، ثم يدخلون الأزلام في خريطة، ويضعونها على  
يد عدل، ثم يدخل يده فيها، فيخرج باسم رجل قدحا،  
فمن خرج له قدح له نصيب أخذ ذلك النصيب، ومن  
خرج له قدح لا نصيب له غرم ثمن الناقة كلها.  
﴿ يَنْبُوع ﴾ أي: عين من ماء، والجمع: ينبوع.

## أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

## الكلام على الاستعاذة

فيه عشرة فوائد من فنون مختلفة:

الأولى: لفظ التعوذ على خمسة أوجه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وهو المروي عن النبي ﷺ [البخاري: 5764] والمختار عند القراء، وأعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وهو مروي أيضا عن النبي ﷺ [أبو داود: 775]، وأعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم، وأعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي، وأعوذ بالله المجيد من الشيطان المريد؛ وهي محدثة.

الثانية: يؤمر القارئ بالاستعاذة قبل القراءة؛ سواء ابتداء أول سورة، أو جزء سورة، والأمر بذلك على الندب.

الثالثة: يجهر بالاستعاذة عند الجمهور وهو المختار، وروي الإخفاء عن حمزة ونافع.

الرابعة: لا يتعوذ في الصلاة عند مالك، ويتعوذ في أول ركعة عند الشافعي وأبي حنيفة، وفي كل ركعة عند قوم؛ فحجة مالك عمل أهل المدينة، وحجة غيره قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ وذلك يعم الصلاة وغيرها.

الخامسة: إنما جاء «أعوذ» بالمضارع دون الماضي؛ لأن معنى الاستعاذة لا يتعلق إلا بالمستقبل؛ لأنها كالدعاء، وإنما جاء بهمزة المتكلم وحده مشاكلة للأمر به في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَعِذْ﴾.

السادسة: «الشيطان» يحتمل أن يراد به الجنس؛ فتكون الاستعاذة من جميع الشياطين، أو العهد؛ فالاستعاذة من إبليس، وهو مشتق من شَطَنَ إذا بَعُدَ، فالنون أصلية والياء زائدة، ووزنه فيعال، وقيل: من شاط إذا هاج، فالنون زائدة والياء أصلية، ووزنه فعلان، وإن سُميت به لم يُنصَرَفْ على الثاني؛ لزيادة الألف والنون، وانصرف على الأول.

السابعة: «الرجيم» فعيل بمعنى مفعول، ويحتمل معنيين؛ أن يكون بمعنى لعين وطريد، وهذا يناسب إبليس لقوله: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾، وأن يكون من الرجيم بالنجوم، وهذا يناسب الجنس؛ لقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾، والأول أظهر.

الثامنة: من استعاذ بالله صادقا أعاده الله؛ فعليك بالصدق، ألا ترى امرأة عمران لما أعادت مريم وذريتها عصمها الله؛ ففي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مولود إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخا إلا ابن مريم وأمه» [مسلم: 2366].

التاسعة: الشيطان عدو، وحذر الله منه؛ إذ لا مطمع في زوال عاديته، وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم؛

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فيأمره أو لا بالكفر ويشككه في الإيمان، فإن قدر عليه وإلا أمره بالمعاصي، فإن أطاعه وإلا ثبطه عن الطاعة، فإن سلم من ذلك أفسدها عليه بالرياء والعجب.

العاشرة: القواطع عن الله أربعة: الشيطان، والنفس، والدنيا، والخلق؛ فعلاج الشيطان بالاستعاذة منه والمخالفة له، وعلاج النفس بالقهر، وعلاج الدنيا بالزهد، وعلاج الخلق بالانقباض والعزلة.

## الكلام على البسملة

فيه عشر فوائد:

الأولى: ليست البسملة عند مالك بآية من الفاتحة ولا من غيرها إلا من النمل خاصة، وهي عند الشافعي آية من الفاتحة، وعند ابن عباس رضي الله عنه آية من كل سورة؛ فحجة مالك ما ورد في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «نزلت علي سورة، ليس في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها» ثم قال: «الحمد لله رب العالمين» [الموطأ: 186] ولم يذكر البسملة، وكذلك في الحديث الصحيح: «إن الله يقول: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، يقول العبد: الحمد لله رب العالمين» [مسلم: 395] فبدأ بها دون البسملة، وحجة الشافعي ما ورد في الحديث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين»، وحجة ابن عباس رضي الله عنه: ثبوت البسملة مع كل سورة في المصحف.

الثانية: إذا ابتدأت أول سورة بسملة إلا براءة، وسنذكر علة سقوطها من براءة في موضعه، وإذا ابتدأت جزء سورة؛ فأنت مخير بين البسملة وتركها عند أبي عمرو والداقي، وترك البسملة عند غيره، وإذا أتممت سورة وابتدأت أخرى؛ فاختلف القراء في البسملة وتركها.

الثالثة: لا يبسم في الصلاة عند مالك، ويبسم عند الشافعي جهرا في الجهر وسرا في السر، وعند أبي حنيفة سرا في الجهر والسر؛ فحجة مالك من وجهين؛ أحدهما: أنها ليست عنده آية من الفاتحة حسبا ذكرنا، والآخر: الحديث الصحيح عن أنس رضي الله عنه أنه قال: صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون بـ «الحمد لله رب العالمين» [مسلم: 399] لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول الفاتحة ولا في آخرها، وحجة الشافعي من وجهين؛ أحدهما: أن البسملة عنده آية من الفاتحة، والآخر: ما ورد في الحديث من قراءتها حسبا ذكرنا.

الرابعة: كانوا يكتبون: باسمك اللهم، حتى نزلت «بِسْمِ اللَّهِ مُحَمَّدًا» فكتبوا: بسم الله، حتى نزل «أَوْ اذْعُوا الرَّحْمَنَ» فكتبوا: بسم الله الرحمن، حتى نزل «إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» فكتبوها، وحذفت الألف من «بسم الله» لكثرة الاستعمال.

الخامسة: الباء من «بسم الله» متعلقة باسم محذوف عند البصريين؛ والتقدير: ابتدائي كائن بسم الله، فموضعها رفع، وعند الكوفيين تتعلق بفعل تقديره: أبدأ أو أتلو، فموضعها نصب، وينبغي أن يقدر متأخراً، لوجهين؛ أحدهما: إفادة الحصر والاختصاص، والأخرى: تقديم اسم الله اعتناء كما قدم في: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا﴾.

السادسة: الاسم مشتق من السمو عند البصريين فلامه واو محذوفة، وعند الكوفيين مشتق من السمة وهي العلامة؛ ففاؤه واو محذوفة، ودليل البصريين التصغير والتكسير؛ لأنها يردان الكلمات إلى أصولها، فقول العرب: أسماء وسمي دليل على أن الفاء هي السين وأن اللام حرف علة، وقول الكوفيين أظهر في المعنى؛ لأن الاسم علامة على المسمى.

السابعة: قولك «الله»، اسم مرتجل جامد، والألف واللام فيه لازمة، لا للتعريف، وقيل: إنه مشتق من التأله وهو التعبد، وقيل: من الوهان وهو الحيرة؛ لتحير العقول في شأنه، وقيل: أصله إله من غير ألف ولام ثم حذفت الهمزة من أوله على غير قياس ثم أدخلت عليه الألف واللام، وقيل: أصله الإله بالألف واللام، ثم حذفت الهمزة، ونقلت حركتها إلى اللام؛ كما تنقل في الأرض وشبهه، فاجتمع لامان، فأدغمت إحداهما في الأخرى، وفُحِّمَ للتعظيم إلا إذا كان قبله كسرة.

الثامنة: «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ» صفتان من الرحمة ومعناها؛ الإحسان فهي صفة فعل، وقيل: إرادة الإحسان فهي صفة ذات.

التاسعة: الفرق بين «الرَّحْمَنُ» و«الرَّحِيمُ» على ما روي عن رسول الله ﷺ؛ أَنَّ الرَّحْمَنَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالرَّحِيمُ فِي الْآخِرَةِ، وقيل: الرحمن عام في رحمة المؤمنين والكافرين، والرحيم خاص بالمؤمنين؛ لقوله ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ فالرحمن أعم وأبلغ، وقيل: الرحيم أبلغ لوقوعه بعده على طريق الارتقاء إلى الأعلى.

العاشرة: إنها قدم الرحمن لوجهين: اختصاصه بالله، وجريانه مجرى الأسماء التي ليست بصفات.

## الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

## سورة أم القرآن

وتسمى: سورة الحمد، وفاتحة الكتاب، والواقية، والشافية، والسبع المثاني. وفيها عشرون فائدة سوى ما تقدم في اللغات من تفسير ألفاظها، واختلف هل هي مكية أو مدنية؟ ولا خلاف أن الفاتحة سبع آيات، إلا أن الشافعي يعد البسملة آية منها، والمالكي يسقطها ويعد «أنعمت عليهم» آية.

الفائدة الأولى: قراءة الفاتحة في الصلاة واجبة عند مالك والشافعي خلافا لأبي حنيفة، وحجتها قوله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» [بخاري 756]، وحجة أبي حنيفة قوله ﷺ الذي علمه الصلاة: «اقرأ ما تيسر من القرآن» [بخاري 757].

الثانية: اختلف هل أول الفاتحة على إضمار القول تعليماً للعباد أي: قولوا الحمد لله، أو هو ابتداء كلام الله، ولا بد من إضمار القول في «إياك نعبد» وما بعده.

الثالثة: «الْحَمْدُ» أعم من الشكر؛ لأن الشكر لا يكون إلا جزاء على نعمة، والحمد يكون جزاء كالشكر، ويكون ثناء ابتداءً، كما أن الشكر قد يكون أعم من الحمد؛ لأن الحمد باللسان، والشكر باللسان والقلب والجوارح، فإذا فهمت عموم «الحمد» علمت أن قولك «الْحَمْدُ لِلَّهِ» يقتضي الثناء عليه بما هو أهله من الجلال، والعظمة، والواحدانية، والعزة، والإفضال، والعلم، والقدرة، والحكمة، وغير ذلك من الصفات، ويتضمن معاني أسماؤه الحسنى التسعة والتسعين، ويقتضي شكره، والثناء عليه بكل نعمة أعطى ورحمة أولى جميع خلقه في الآخرة والأولى، فيا لها من كلمة جمعت ما تضيق عنه المجلدات، وتقف دون مداه عقول الخلائق، ويكفيك أن الله جعلها أول كتابه وآخر دعوى أهل الجنة.

الرابعة: الشكر باللسان: هو الثناء على المنعم والتحدث بالنعمة، قال رسول الله ﷺ: «التحدث بالنعمة شكر» [أحمد: 18449]. والشكر بالجوارح هو العمل بطاعة الله وترك معاصيه، والشكر بالقلب هو معرفة مقدار النعمة والعلم بأنها من الله وحده، والعلم بأنها تفضل لا باستحقاق العبد. واعلم أن النعم التي يجب الشكر عليها لا تحصى، ولكنها تنحصر في ثلاثة أقسام: نعم دنيوية كالعافية والمال، ونعم دينية كالعلم والتقوى، ونعم أخروية؛ وهي جزاؤه بالشواب الكثير على العمل القليل في العمر القصير. والناس في الشكر على مقامين: منهم من يشكره على النعم الواصلة إليه خاصة، ومنهم من يشكر الله عن جميع خلقه على النعم الواصلة إلى جميعهم. والشكر على ثلاث درجات؛ فدرجات العوام: الشكر على النعم، ودرجة الخواص: الشكر على النعم والنقم وعلى كل حال، ودرجة خواص الخواص: أن يغيب عن رؤية النعمة بمشاهدة المنعم، قال رجل لإبراهيم بن أدهم: إن الفقراء إذا أعطوا شكروا، وإذا منعوا صبروا، فقال إبراهيم: هذه

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٢﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ فَسْتَعِينُ ﴿٣﴾

أخلاق الكلاب، ولكن الفقراء إذا منعوا شكروا، وإذا أعطوا آثروا. ومن فضيلة الشكر؛ أنه من صفات الحق ومن صفة الخلق، فإن من أساء الله تعالى: الشاكر والشكور، وقد فسرتها في اللغات.

الخامسة: قولنا: «الحمد لله رب العالمين» أفضل عند المحققين من: «لا إله إلا الله» من وجهين: أحدهما: ماخرجه النسائي [10608] عن رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله، كتبت له عشرين حسنة، ومن قال: الحمد لله رب العالمين، كتبت له ثلاثون حسنة»، والثاني: أن التوحيد الذي تقتضيه: لا إله إلا الله؛ حاصل في قولك: «رب العالمين»، وزادت بقولك: «الحمد لله»، وفيه من المعاني ما قدمنا. وأما قوله ﷺ: «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله» [الترمذي: 3934] فإنما ذلك للتوحيد الذي تقتضيه، وقد شاركتها «الحمد لله رب العالمين» في ذلك وزادت عليها، وهذا المؤمن يقوها لطلب الثواب، وأما لو دخل في الإسلام فيتعين عليه: لا إله إلا الله.

السادسة: الرب: وزنه فعل بكسر العين ثم أدغم، ومعانيه أربعة: الإله، والسيد، والمالك، والمصلح، وكلها تصلح في «رب العالمين» إلا أن الأرجح معنى الإله؛ لاختصاصه بالله تعالى، كما أن الأرجح في «العالمين» أن يراد به كل موجود سوى الله تعالى فيعم جميع المخلوقات.

السابعة: ﴿مَلِكٍ﴾ قرأه الجماعة بغير ألف من الملك، وقرأه عاصم والكسائي بالألف؛ والتقدير على هذا: مالك مجيء يوم الدين أو مالك الأمر يوم الدين، وقرأه الجماعة أرجح لثلاثة أوجه؛ الأول: أن الملك أعظم من المالك إذ قد يوصف كل أحد بالملك لماله، وأما الملك فهو سيد الناس، والثاني: قوله ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾، والثالث: أنها لا تقتضي حذفاً والأخرى تقتضيه؛ لأن تقديرها: مالك الأمر أو مالك مجيء يوم الدين، والحذف على خلاف الأصل، وأما قراءة الجماعة بإضافة «ملك» إلى «يوم الدين» فهي على طريق الاتساع، وأجري الظرف مجرى المفعول به، والمعنى على الظرفية؛ أي: الملك في يوم الدين، ويجوز أن يكون المعنى: ملك الأمور يوم الدين، فيكون فيه حذف، وقد رويت القراءتان في الحديث عن رسول الله ﷺ، وقد قرئ «ملك» بوجه كثيرة تركناها لأنها شاذة.

الثامنة: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ و﴿مَلِكٍ﴾ صفات، فإن قيل: كيف جر «ملك»، و«مالك» صفة للمعرفة، وإضافة اسم الفاعل غير محضة؟ فالجواب: أنها تكون غير محضة إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال، وأما هذا فهو مستمر دائماً بإضافته محضة.

الفائدة التاسعة: ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ هو يوم القيامة، ويصلح هنا من معاني «الدين»: الحساب، والجزاء، والقهر، ومنه ﴿أَيُّنَا لَمَدِينُونَ﴾.

الفائدة العاشرة: ﴿إِيَّاكَ﴾ في الموضعين مفعول بالفعل الذي بعده، وإنما قدم ليفيد الحصر؛ فإن تقديم

أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿٢﴾ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٣﴾

المعمولات يقتضي الحصر؛ فاقتضى قول العبد ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أنه يعبد الله وحده، واقتضى قوله ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ اعترافا بالعجز والفقر وأنه لا يستعين إلا بالله وحده.

الحادية عشرة: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: نطلب العون منك على العبادة وعلى جميع أمورنا، وفي هذا دليل على بطلان قول القدرية والجبرية، وأن الحق بين ذلك.

الثانية عشرة: ﴿أَهْدِنَا﴾ دعاء بالهدى، فإن قيل: كيف يطلب المؤمنون الهدى وهو حاصل لهم؟ فالجواب: أن ذلك طلب للثبات عليه إلى الموت أو الزيادة منه؛ فإن الارتقاء في المقامات لا نهاية له.

الثالثة عشرة: قدم الحمد والثناء على الدعاء؛ لأن تلك هي السنة في الدعاء، وشأن الطلب أن يأتي بعد المدح، وذلك أقرب للإجابة، وكذلك قدم «الرحمن الرحيم» على «ملك يوم الدين»؛ لأن رحمة الله سبقت غضبه، وكذلك قدم «إياك نعبد» على «إياك نستعين»؛ لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة.

الرابعة عشرة: ذكر الله في أول هذه السورة على طريق الغيبة ثم على الخطاب في «إياك» وما بعده، وذلك يسمى الالتفات، وفيه إشارة إلى أن العبد إذا ذكر الله تقرب منه فصار من أهل الحضور فناجاه.

الخامسة عشرة: ﴿الصِّرَاطَ﴾ في اللغة الطريق المحسوس الذي يمشى عليه، ثم استعير للطريق الذي يكون عليه الإنسان من الخير أو الشر، ومعنى «المُسْتَقِيمَ»: القويم الذي لا عوج فيه، ف«الصراط المستقيم»: الإسلام، وقيل: القرآن، والمعنيان متقاربان؛ لأن القرآن تضمن شرائع الإسلام، وكلاهما مروى عن النبي ﷺ وقرئ «الصراط» بالصاد، والسين، وبين الصاد والزاي، وقد قيل: إنه قرئ بزاي خالصة، والأصل فيه السين وإنما أبدل صادًا لموافقة الطاء في الاستعلاء والإطباق، وأما الزاي فلموافقة الطاء في الجهر.

السادسة عشرة: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ قال ابن عباس ؓ: هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون. وقيل: المؤمنون. وقيل: الصحابة. وقيل: قوم موسى وعيسى قبل أن يغيروا. والأول أرجح لعمومه، ولقوله ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾.

السابعة عشرة: إعراب «غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ» بدل، ويبعد النعت؛ لأن إضافته غير محضة، وهو قد جرى على معرفة، وقرئ بالنصب على الاستثناء أو الحال.

الثامنة عشرة: أسند «أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» إلى الله، والغضب إلى ما لم يسم فاعله على وجه التأدب، كقوله ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾، و«عليهم» الأول في موضع نصب، والثاني في موضع رفع.

التاسعة عشرة: «الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ» اليهود و«الضَّالِّينَ» النصارى، قاله ابن عباس وابن مسعود ؓ وغيرهما، وقد روي ذلك عن النبي ﷺ [أحمد: 20887]، وقيل: ذلك عام في كل مغضوب عليه وكل ضال،

والأول أرجح لأربعة أوجه؛ روايته عن النبي ﷺ، وجلالة قائله، وتكرار «لا» في قوله «ولا الضالين» دليل على تغاير الطائفتين، وأنَّ الغضب صفة اليهود في مواضع من القرآن؛ كقوله ﴿فَبَأَوْأُ بَغَضِبٍ﴾، والضلال صفة النصارى؛ لاختلاف أقوالهم الفاسدة في عيسى ابن مريم، ولقول الله فيهم ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾.

الموفية عشرين: هذه السورة جمعت معاني القرآن كله، فكأنها نسخة مختصرة منه، فتأملها بعد تحصيل الباب الثالث من المقدمة الأولى تعلم ذلك، فالإلهيات حاصلة في قوله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، والدار الآخرة في قوله ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، والعبادات كلها من الاعتقادات والأحكام التي تقتضيها الأوامر والنواهي في قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، والشريعة كلها في قوله ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، والأنبياء وغيرهم في قوله ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وذكر طوائف الكفار في قوله ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

خاتمة: أمر بالتأمين عند ختم الفاتحة للدعاء الذي فيها، وقولك «آمين» اسم فعل معناه: اللهم استجب، وقيل: هو من أسماء الله. ويجوز فيه مد الهمزة وقصرها، ولا يجوز تشديد الميم. ويؤمن في الصلاة المأموم والقد والإمام إذا أسر، واختلف إذا جهر.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾

## سورة البقرة

﴿الم﴾ اختلف فيه وفي سائر حروف الهجاء في أوائل السور وهي: ﴿المص﴾ و﴿الر﴾ و﴿المر﴾ و﴿كهيعص﴾ و﴿طه﴾ و﴿طسم﴾ و﴿طس﴾ و﴿يس﴾ و﴿ص﴾ و﴿ق﴾ و﴿حم﴾ و﴿عسق﴾ و﴿ن﴾ فقال قوم لا تفسر؛ لأنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله تعالى، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: في كل كتاب سر، وسره في القرآن فواتح السور. وقال قوم: تفسر؛ ثم اختلفوا فيها، فقيل: هي أسماء السور، وقيل: أسماء الله، وقيل: أشياء أقسم الله بها، وقيل: هي حروف مقطعة من كلمات؛ فالألف من الله، واللام من جبريل، والميم من محمد صلى الله عليه وسلم. ومثل ذلك في سائرهما. وورد في الحديث: أن بني إسرائيل فهموا أنها تدل بعدد "حروف أبجد" على السنين التي تبقي هذه الأمة، وسمع النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فلم ينكره [التاريخ الكبير: 208/2]. وقد جمع أبو القاسم السهيلي عددها على ذلك بعد أن أسقط المتكرر فبلغت تسعمائة وثلاثة. وإعراب هذه الحروف يختلف بالاختلاف في معانيها، فيتصور أن تكون في موضع رفع أو نصب أو خفض؛ فالرفع على أنها مبتدأ أو خبر ابتداء مضمرة، والنصب على أنها مفعولة بفعل مضمرة، والخفض على قول من جعلها مقسما بها كقولك: الله لأفعلن، وإنما سكنت؛ لأنها لم يدخل عليها عامل يقتضي حركة، فسكونها للوقف لا للبناء، كقوله في العدد: واحد اثنان. ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ هو هنا القرآن، وقيل: التوراة والإنجيل، وقيل: اللوح المحفوظ؛ والأول هو الصحيح الذي يدل عليه سياق الكلام، وتشهد له مواضع من القرآن. فالمقصود فيها إثبات أن القرآن من عند الله كقوله: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يعني القرآن باتفاق، وخبر "ذلك" "لا ريب فيه" وقيل: خبره "الكتاب" فعلى هذا "ذلك الكتاب" جملة مستقلة فيوقف عليها. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شك أنه من عند الله في نفس الأمر وفي اعتقاد أهل الحق، ولم يعتبر اعتقاد أهل الباطل، وخبر "لا" "فيه" فيوقف عليه، وقيل: خبرها محذوف فيوقف "لا ريب" والأول أرجح لتعيينه في قوله "لا ريب فيه" في مواضع أخرى. فإن قيل: فهلا قدم قوله "فيه" على الريب كقوله ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾؟ فالجواب: أنه إنما قصد نفي الريب عنه، ولو قدم "فيه" لكان إشارة إلى أن ثم كتابا آخر فيه ريب؛ كما أن ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ إشارة إلى أن خمر الدنيا فيها غول، وهذا المعنى يبعد قصده فلم يقدم الخبر. ﴿هُدًى﴾ هنا بمعنى الإرشاد لتخصيصه بالمتقين، ولو كان بمعنى البيان لعم كقوله: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ وإعرابه: خبر المبتدأ، أو مبتدأ وخبره "فيه" عند من يقف على "ريب"، أو منصوب على الحال والعامل فيه الإشارة. ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ مفتعلن من التقوى، وقد تقدم معناه في اللغات، فتكلم على التقوى في ثلاثة فصول: الأول: في فضائله المستنبطة من القرآن: وهي خمس عشرة: الهدى لقوله ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، والنصرة لقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، والولاية لقوله ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾، والمحبة لقوله

## الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢٦﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾، والمعرفة لقوله ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ الآية، والمخرج من الغم، والرزق من حيث لا يحتسب لقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، وتيسير الأمور لقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾، وغفران الذنوب، وإعظام الأجور لقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾، وتقبل الأعمال لقوله ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾، والفلاح لقوله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، والبشرى لقوله ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾، ودخول الجنة لقوله ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، والنجاة من النار لقوله ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾.

الفصل الثاني: البواعث على التقوى وهي عشرة: خوف العقاب الدنيوي، وخوف العقاب الآخروي، ورجاء الثواب الدنيوي، ورجاء الثواب الآخروي، وخوف الحساب، والحياء من نظر الله وهو مقام المراقبة، والشكر على نعمه بطاعته، والعلم لقوله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، وتعظيم جلال الله وهو مقام الهيبة، وصدق المحبة فيه؛ لقول القائل:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه  
لو كان حبك صادقاً لأطعته  
هذا العمري في القياس بديع  
إن المحب لمن يحب مطيع  
ولله در القائل:

قالت وقد سألت عن حال عاشقها  
فقلت لو كان رهن الموت من ظمياً  
بالله صفه ولا تنقص ولا تزد  
وقلت قف عن ورود الماء لم يرد

الفصل الثالث: درجات التقوى خمس: أن يتقي العبد الكفر وذلك مقام الإسلام، وأن يتقي المعاصي والمحرمات وهو مقام التوبة، وأن يتقي الشبهات وهو مقام الورع، وأن يتقي المباحات وهو مقام الزهد، وأن يتقي حضور غير الله عز وجل على قلبه وهو مقام المشاهدة.

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ فيه قولان: يؤمنون بالأمر المغيبات كالآخرة وغيرها؛ فالغيب على هذا بمعنى الغائب؛ إما من تسميته بالمصدر كعدل، وإما تخفيفاً من فعيل كميته، والآخر: يؤمنون في حال غيبتهم أي باطنا وظاهراً، و"بالغيب" على القول الأول يتعلق بـ"يؤمنون" وعلى الثاني في موضع الحال، ويجوز في "الذين" أن يكون خفضاً على النعت أو نصباً على إضمار فعل أو رفعاً على أنه خبر ابتداء. ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ إقامتها: عملها من قولك: قامت السوق وشبه ذلك، والكمال: المحافظة عليها في أوقاتها بالإخلاص لله تعالى في فعلها، وتوفية شروطها وأركانها وسننها وفضائلها، وحضور القلب والخشوع فيها، وملازمة الجماعة في الفرائض والإكثار من النوافل. ﴿يُنْفِقُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال: الزكاة لاقتنائها مع الصلاة، والثاني: أنه التطوع،

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿١٠١﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٣﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٥﴾

والثالث: العموم وهو أرجح؛ لأنه لا دليل على التخصيص. ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ اختلف هل هم المذكورون قبل فيكون من عطف الصفات، أو هم غيرهم وهم من أسلم من أهل الكتاب فيكون عطفًا للمغايرة، أو مبتدأ وخبره الجملة بعده. ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ القرآن. ﴿وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله عز وجل. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية؛ فيمن سبق القدر أنه لا يؤمن كأبي جهل، فإن كان "الذين" للجنس فلفظها عام يراد به الخصوص، وإن كان للعهد فهو إشارة إلى قوم بأعيانهم، وقد اختلف فيهم فقيل: المراد من قتل بيد من كفار قريش وقيل: المراد حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف اليهوديان. ﴿سَوَاءٌ﴾ خبر "إن"، و﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ فاعل به لأنه في تقدير المصدر، أو "سواء" مبتدأ و"أنذرتهم" خبره، أو العكس وهو أحسن، و﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ على هذه الوجوه؛ استئناف للبيان أو للتأكيد، أو خبر بعد خبر، أو تكون الجملة اعتراضاً و"لا يؤمنون" الخبر، والهمزة في "ءأنذرتهم" بمعنى التسوية قد انسلخت من معنى الاستفهام. ﴿خَتَمَ اللَّهُ﴾ الآية، تعليل لعدم إيمانهم وهو عبارة عن إضلالهم؛ فهو مجاز، وقيل: حقيقة، وإن القلب كالقف يقبض مع زيادة الضلال أصبعا أصبعا حتى يجتم عليه، والأول أبداع. ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ معطوف على "قلوبهم" فيوقف عليه، وقيل: الوقف "على قلوبهم" والسمع راجع إلى ما بعده، والأول أرجح لقوله: ﴿وَحَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾. ﴿غِشَاوَةٌ﴾ مجاز باتفاق، وفيه دليل على وقوع المجاز في القرآن خلافاً لمن منعه، ووحده السمع لأنه مصدر في الأصل، والمصادر لا تجمع. ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ أصل الناس؛ أناس؛ لأنه مشتق من الإنس، وهو اسم جمع وحذفت الهمزة مع لام التعريف تخفيفاً. ﴿مَنْ يَقُولُ﴾ إن كانت اللام في "الناس" للجنس ف"من" موصوفة، وإن جعلتها للعهد ف"من" موصولة، وأفرد الضمير في "يقول" رعيًا للفظ "من". ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ هم المنافقون، وكانوا جماعة من الأوس والخزرج رأسهم عبد الله بن أبي ابن سلول يظهرون الإسلام ويسرون الكفر، ويسمى الآن من كان كذلك: زنديقا؛ وهم في الآخرة مخلدون في النار، وأما في الدنيا فإن لم تقم عليهم بينة فحكمهم كالمسلمين في دمائهم وأموالهم، وإن شهد على معتقدهم شاهدان عدلان فمذهب مالك: القتل دون الاستتابة، ومذهب الشافعي: الاستتابة وترك القتل،

يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠١﴾ فِي قُلُوبِهِمْ  
 مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يُكْذِبُونَ ﴿١٠٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا  
 تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١٠٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا  
 يَشْعُرُونَ ﴿١٠٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا  
 إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى  
 شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ وَإِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠٦﴾

فإن قيل: كيف جاء قولهم "آمننا" جملة فعلية "وما هم بمؤمنين" جملة اسمية فهلا طابقتها؟ فالجواب: أن قوله  
 "وما هم بمؤمنين" أبلغ وأؤكد في نفي الإيذان عنهم من أن لو قال: وما آمنوا، فإن قيل: لم جاء قولهم "آمننا"  
 مقيدا "بالله وباليوم الآخر"، و"وما هم بمؤمنين" مطلقا؟ فالجواب: أنه يحتمل وجهين: التقييد وتركه لدلالة  
 الأول عليه، والإطلاق وهو أعم في سلبهم عن الإيذان. ﴿يُخَدِّعُونَ﴾ أي: يفعلون فعل المخادع ويرومون  
 الخدع بإظهار خلاف ما يسرون، وقيل: معناه يخدعون رسول الله ﷺ والأول أظهر. ﴿وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا  
 أَنفُسَهُمْ﴾ أي: وبال فعلهم راجع عليهم، وقرئ "وما يخدعون" بفتح الياء من غير ألف من خدع، وهو أبلغ  
 في المعنى؛ لأنه يقال خادع إذا رام الخداع، وخدع إذا تم له. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ حذف مفعوله أي: لا يشعرون  
 أنهم يخدعون أنفسهم. ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ يحتمل أن يكون حقيقة؛ وهو الألم الذي يجذونه من الخوف  
 وغيره، وأن يكون مجازا بمعنى الشك أو الحسد. ﴿فَزَادَهُمْ﴾ يحتمل الدعاء والخبر. ﴿يُكْذِبُونَ﴾ بالتشديد  
 أي يكذبون الرسول ﷺ، وقرئ بالتخفيف أي "يكذبون" في قولهم: "آمننا". ﴿لَا تُفْسِدُوا﴾ أي بالكفر  
 والنميمة وإيقاع الشر وغير ذلك. ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ يحتمل أن يكون جحودا للكفر لقولهم "آمننا"  
 واعتقادا أنهم على إصلاح. ﴿كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾ أصحاب النبي ﷺ، والكاف يحتمل أن تكون للتشبيه أو  
 للتعليل، و"ما" تحتمل أن تكون كافة كما هي في "ربما" وأن تكون مصدرية. ﴿أَنُؤْمِنُ﴾ إنكار منهم وتقبيح.  
 ﴿هُمُ السُّفَهَاءُ﴾ رد عليهم وإناطة السفه بهم، وكذلك ﴿هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ وجاء بالألف واللام ليفيد حصر  
 السفه والفساد فيهم، وأكد بـ"إن" و"بـ" "و" "بـ" التي تقتضي الاستثنا وتنبية المخاطب. ﴿قَالُوا ءَامَنَّا﴾ كذبوا خوفا  
 من المؤمنين. ﴿خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ هم رؤساء الكفار، وقيل شياطين الجن وهو بعيد، وتعدى خلا بـ"إلى"  
 لأنه ضمن معنى مشوا وذهبوا أو ركنوا، وقيل: "إلى" بمعنى مع أو بمعنى الباء، وجاء قولهم: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا  
 نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ جملة اسمية مبالغة وتأكيذا بخلاف قولهم ﴿ءَامَنَّا﴾ فإنه جاء بالفعل لضعف إيمانهم.

اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٧٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اسْتَرَوْا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ  
فَمَا رِيحَتْ تَجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٧١﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا  
أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧٢﴾ صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ  
فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٧٣﴾

﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال: تسمية العقوبة باسم الذنب كقوله: ﴿وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرًا لِلَّهِ﴾ وقيل: يملي لهم بدليل قوله ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾، وقيل: يفعل بهم في الآخرة ما يظهر لهم أنه استهزاء بهم، كما جاء في سورة الحديد ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ الآية. ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ يزيدهم، وقيل: يملي لهم، وقد ذكرنا ﴿يَعْمَهُونَ﴾ ﴿اسْتَرَوْا الضَّلَالََةَ﴾ عبارة عن تركهم الهدى مع تمكنهم منه ووقوعهم في الضلالة؛ فهو مجاز بديع ﴿فَمَا رِيحَتْ تَجَارَتُهُمْ﴾ ترشيح للمجاز؛ لما ذكر الشراء ذكر ما يتبعه من الربح والخسران، وإسناد عدم الربح إلى التجارة مجاز أيضا؛ لأن الربح أو الخاسر هو التاجر. ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ في هذا الشراء أو على الإطلاق، وقال الزمخشري: نفى الربح في قوله "فما ربحت" ونفى سلامة رأس المال في قوله "وما كانوا مهتدين". ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ﴾ إن كان المثل هنا بمعنى حالهم وصفتهم فالكاف للتشبيه، وإن كان المثل هنا بمعنى الشبه فالكاف زائدة. ﴿اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ أي: أوقد، وقيل: طلب الوقود على الأصل في استفعال. ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ إن تعدى ف"ما حوله" مفعول به، وإن لم يتعد ف"ما" زائدة أو ظرفية. ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أي: أذهب، وهذه الجملة جواب "لما"، فالضمير في "نورهم" عائد على "الذي"، وهو على هذا بمعنى "الذين" وحذف النون منه لغة، وقيل: جواب "لما" محذوف تقديره: طفيت النار و"ذهب الله بنورهم" جملة مستأنفة، والضمير عائد على المنافقين، فعلى هذا يكون "الذي" على بابه من الأفراد والأول أرجح، والأرجح أنه إنسا أعيد عليه ضمير الجماعة؛ لأنه لم يقصد ب"الذي" واحدا بعينه، وإنما المقصود التشبيه بمن استوقد نارا سواء كان واحدا أو جماعة، ثم أعيد الضمير بالجمع ليطبق المشبه لأنهم جماعة، فإن قيل: ما وجه تشبيه المنافقين بصاحب النار التي أضاءت ثم أظلمت؟ فالجواب من ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن منفعتهم في الدنيا بدعوى الإيمان شبيه بالنور وعذابهم في الآخرة شبيه بالظلمة بعده، الثاني: أن اختفاء كفرهم كالنور وفضيحتهم بعده كالظلمة، والثالث: أن ذلك فيمن آمن منهم ثم كفر بعده فإيانه نور وكفره بعده ظلمة، ويرجح هذا قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾، فإن قيل: لم قال: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ولم يقل: ذهب الله بضوئهم؛ مشاكلة لقوله: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾؟ فالجواب: أن ذهاب النور أبلغ؛ لأنه إذهاب للقليل والكثير بخلاف الضوء فإنه يطلق على الكثير. ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِيٌّ﴾ يحتمل أن يراد به المنافقون أو المستوقدون المشبه بهم، وهذه الأوصاف مجاز عبارة عن عدم انتفاعهم بسمعهم وأبصارهم وكلامهم، وليس المراد فقد الحواس. ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ إن أريد به

أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٧﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوًا فِيهِ

المنافقون فمعناه: لا يرجعون إلى الهدى، وإن أريد به أصحاب النار فمعناه: أنهم متحIRON في الظلمة لا يرجعون ولا يهتدون إلى الطريق. ﴿أَوْ كَصَيْبٍ﴾ عطف على الذي استوقد والتقدير: أو كصاحب صيب، و"أو" للتنويع؛ لأن هذا مثل آخر ضربه الله للمنافقين، والصيب المطر، وأصله صيوب، ووزنه فيعل، وهو مشتق من قولك: صاب يصب، وفي قوله: ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾ إشارة إلى قوته وشدة انصبابه، قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن رجلين من المنافقين هربا إلى المشركين، فأصابهما هذا المطر وأيقنا بالهلاك فعزما على الإيثار ورجعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وحسن إسلامهما، فضرب الله ما نزل بهما مثلا للمنافقين. وقيل: المعنى تشبيه المنافقين في حيرتهم في الدين وفي خوفهم على أنفسهم بمن أصابه مطر فيه ظلمات ورعد وبرق فضلَّ عن الطريق وخاف الهلاك على نفسه، وهذا تشبيه على الجملة، وقيل: إن التشبيه على التفصيل؛ فالمطر مثل للقرآن أو الإسلام، والظلمات مثل لما فيه من الإشكال على المنافقين، والرعد مثل لما فيه من الوعيد والزجر لهم، والبرق مثل لما فيه من البراهين الواضحة، فإن قيل: لم قال: ﴿رَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ بالافراد ولم يجمعه كما جمع ﴿ظُلُمَاتٌ﴾؟ فالجواب: أن الرعد والبرق مصدران والمصدر لا يجمع ويحتمل أن يكونا اسمين وترك جمعهما؛ لأنها في الأصل مصدران. ﴿يَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ﴾ أي: من أجل الصواعق، قال ابن مسعود رضي الله عنه: كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا القرآن في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فهو على هذا حقيقة في المنافقين، و"الصواعق" على هذا: ما يكرهونه من القرآن و﴿الْمَوْتِ﴾ هو ما يتخوفونه فيها مجازان، وقيل: إنه راجع لأصحاب المطر المشبه بهم فهو حقيقة فيهم، و"الصواعق" على هذا حقيقة وهي التي تكون مع المطر من شدة الرعد ونزول قطعة النار، و"الموت" أيضا حقيقة، وقيل: إنه راجع إلى المنافقين على وجه التشبيه لهم في خوفهم بمن جعل أصابعه في آذانه من شدة الخوف من المطر والرعد، فإن قيل: لم قال: "أصابعهم" ولم يقل أناملهم والأنامل هي التي أصلا تجعل في الآذان؟ فالجواب: أن ذكر الأصابع أبلغ؛ لأنها أعظم من الأنامل ولذلك جمعها مع أن الذي يجعل في الآذان السبابة خاصة. ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ أي: لا يفوتونه بل هم تحت قهره وهو قادر على عقابهم. ﴿يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ إن رجع إلى أصحاب المطر وهم الذين شبه بهم المنافقون فهو بين المعنى، وإن رجع إلى المنافقين فهو تشبيه بمن أصابه البرق على وجهين؛ أحدهما: تكاد زجر القرآن تلوح لهم كما يضيء البرق، وهذا مناسب لتمثيل البراهين بالبرق حسبما تقدم. والآخر: يكاد زجر القرآن ووعيده يأخذهم كما يكاد البرق يخطف أبصار أصحاب المطر المشبه بهم. ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوًا فِيهِ﴾ إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى أنهم يمشون بضوء البرق إذا لاح لهم، وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى أنه يلوح لهم من الحق ما يقربون به من الإيثار.

وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠٦﴾ يَتَأَيُّمُ النَّاسُ آعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢٠٧﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۗ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٠٨﴾

﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى أنهم إذا زال عنهم الضوء وقفوا متحيرين لا يعرفون الطريق، وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى أنه إذا ذهب عنهم ما لاح لهم من الإيثار ثبتوا على كفرهم، وقيل: إن المعنى كلما صلحت أحوالهم في الدنيا قالوا: هذا دين مبارك فهذا مثل الضوء، وإذا أصابتهم شدة أو مصيبة عابوا الدين وسخطوه فهذا مثل الظلمة، فإن قيل: لم قال مع الإضاءة "كلما" ومع الظلام "إذا"؟ فالجواب: أنهم لما كانوا حُرّاصا على المشي ذكر معه "كلما" لأنها تقتضي التكرار والكثرة. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ الآية، إن رجع إلى أصحاب المطر فالمعنى: لو شاء الله لأذهب سمعهم بالرعد وأبصارهم بالبرق، وإن رجع إلى المنافقين فالمعنى: لو شاء الله لأوقع بهم العذاب والفضيحة، وجاءت العبارة عن ذلك بإذهاب سمعهم وأبصارهم، والباء للتعديبة كما هي في قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾. ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ الآية، لما قدم اختلاف الناس في الدين وذكر ثلاث طوائف المؤمنين والكافرين والمنافقين، أتبع ذلك بدعوة الخلق إلى عبادة الله، وجاءت الدعوة عامة لجميع الناس لأن النبي ﷺ بعث إلى جميع الناس. ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ يدخل فيه الإيثار به سبحانه وتوحيده وطاعته؛ فالأمر بالإيثار به لمن كان جاحدا، والأمر بالتوحيد لمن كان مشركا، والأمر بالطاعة لمن كان مؤمنا. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يتعلق "بخلقكم" أي: خلقكم لتتقوه كقوله ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، أو بفعل مقدر من معنى الكلام أي: دعوتكم إلى عبادة الله لعلكم تتقون، وهذا أحسن، وقيل: يتعلق بقوله ﴿اعْبُدُوا﴾ وهذا ضعيف، وإن كانت "لعل" للترجي فتأويله؛ أنه في حق المخلوقين، جريا على عادة كلام العرب، وإن كانت للمقاربة أو التعليل فلا إشكال، والأظهر فيها أنها لمقاربة الأمر نحو: عسى، فإذا قالها الله فمعناها: إطاع العباد، وهكذا القول فيها حيث ما وردت في كلام الله تعالى. ﴿الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ تمثيل لما كانوا يقعدون وينامون عليها كالفرش فهو مجاز، وكذلك ﴿السَّمَاءَ بِنَاءً﴾. ﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ "من" للتبعية أو لبيان الجنس؛ لأن الثمر هو المأكول من الفواكه وغيرها، والباء في "به" سببية كقولك: كتبت بالقلم؛ لأن الماء سبب في خروج الثمرات بقدرته الله تعالى. ﴿فَلَا تَجْعَلُوا﴾ "لا" ناهية أو نافية، وانتصب الفعل بإضمار "أن" بعد الفاء في جواب "اعبدوا"، والأول أظهر. ﴿أَنْدَادًا﴾ يراد به هنا الشركاء المعبودون مع الله جل وعلا. ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ حذف مفعوله مبالغة وبلاغة أي: وأنتم تعلمون وحدانيته بما ذكر لكم من البراهين، وفي ذلك بيان لقبح كفرهم بعد معرفتهم بالحق، ويتعلق قوله "فلا تجعلوا" بما تقدم من البراهين، ويحتمل أن يتعلق بقوله "اعبدوا" والأول أظهر.

وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ

فوائد ثلاث: الأولى: هذه الآية تضمنت دعوة الخلق إلى عبادة الله بطريقتين؛ أحدهما: إقامة البراهين بخلفتهم وخلقة السموات والأرض والثمار والمطر، والأخرى: ملاطفة جميلة بذكر ما لله عليهم من الحقوق والإنعام؛ فذكر أولاً ربوبيته لهم، ثم ذكر خلقته لهم ولآبائهم لأن الخالق يستحق أن يعبد، ثم ذكر ما أنعم به عليهم من جعل الأرض فراشا والسماء بناء ومن إنزال المطر وإخراج الثمرات؛ لأن المنعم يستحق أن يعبد ويشكر، وانظر قوله: "جعل لكم" و"رزقا لكم" يدل على ذلك لتخصيص ذلك بهم، فما أجملها من ملاطفة وخطاب بديع! الثانية: المقصود الأعظم من هذه الآية؛ الأمر بتوحيد الله وترك ما عبد من دونه لقوله في آخرها "فلا تجعلوا لله أندادا" وذلك هو الذي يترجم عنه بقولنا: لا إله إلا الله، فيقتضي ذلك الأمر الدخول في دين الإسلام الذي قاعدته التوحيد وقول لا إله إلا الله. الثالثة: تكرر في القرآن ذكر المخلوقات والتنبيه على الاعتبار في الأرض والسموات والحيوان والنبات والرياح والأمطار والشمس والقمر والليل والنهار، وذلك أنها تدل بالعقل على عشرة أمور وهي: أن الله موجود؛ لأن الصنعة تدل على الصانع لا محالة، وأنه واحد لا شريك له؛ لأنه لا خالق إلا هو ﴿أَقَمَّنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ وأنه حي قدير عالم مريد؛ لأن هذه الصفات الأربع من شروط الصانع إذ لا تصدر صنعة عن عدم صفة منها، وأنه قديم؛ لأنه صانع للمحدثات فيستحيل أن يكون مثلها في الحدوث، وأنه باق؛ لأن ما ثبت قدمه استحاله عدمه، وأنه حكيم؛ لأن آثار حكمته ظاهرة في إتقانه للمخلوقات وتدييره للملكوت، وأنه رحيم؛ لأن في كل ما خلق منافع لبني آدم ﴿سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾. وأكثر ما يأتي ذكر المخلوقات في القرآن في معرض الاستدلال على وجوده تعالى وعلى وحدانيته. فإن قيل: لم قصر الخطاب بقوله "لعلكم تتقون" على المخاطبين دون الذين من قبلهم مع أنه أمر الجميع بالتقوى؟ فالجواب: أنه لم يقصره عليهم في المعنى ولكنه غلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمراد الجميع، فإن قيل: هلا قال: لعلكم تعبدون مناسبة لقوله "اعبدوا"؟ فالجواب: أن التقوى غاية العبادة وكما لها فكان قوله "تتقون" أبلغ وأوقع في النفوس. ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ الآية، إثبات لنبوة محمد ﷺ بإقامة الدليل على أن القرآن الذي جاء به من عند الله فلما قدم إثبات الألوهية أعقبها بإثبات النبوة، فإن قيل: كيف قال "إن كنتم في ريب" ومعلوم أنهم كانوا في ريب وفي تكذيب؟ فالجواب: أنه ذكر حرف "إن" إشارة إلى أن الريب بعيد عند العقلاء في مثل هذا الأمر الساطع البرهان فلذلك وضع حرف التوقع والاحتمال في الأمر الواقع، لبعده وقوع الريب وقبحه عند العقلاء كما قال تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾. ﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ هو النبي ﷺ والعبودية على وجهين؛ عامة: وهي التي بمعنى الملك، وخاصة: وهي التي يراد بها التشريف والتخصيص، وهي من أشرف أوصاف العباد، والله درالقائل:

لا تدعني إلا بيا عبداً فإنه أشرف أسمائي

﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾ أمر يراد به التعجيز. ﴿مِّمَّنْ مِّثْلِهِ﴾ الضمير عائد على "ما نزلنا" وهو القرآن، و"من" لبيان



وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۗ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأَتُوا بِهِءَ مُتَشَابِهًا ۗ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۗ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾

الجنس، وقيل: يعود على النبي ﷺ، ف"من" على هذا لابتداء الغاية ومعناه: من بشر مثله، والأول أرجح لتعيينه في يونس وهود، ومعنى "مثله" في فصاحته وفيما تضمن من العلوم والحكم العجيبة والبراهين الواضحة. ﴿شُهَدَاءَكُمْ﴾ آهتكم أو أعوانكم أو من يشهد لكم. ﴿مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غير الله، وقيل: هو من الدني الحقير، فهو مقلوب اللفظ. ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ اعتراض بين الشرط وجوابه فيه مبالغة وبلاغة، وهو إخبار بغيب ظهر مصداقه في الوجود إذ لم يقدر أحد أن يأتي بمثل هذا القرآن مع فصاحة العرب في زمان نزوله وتصرفهم في الكلام وحرصهم على التكذيب، وفي الإخبار بذلك معجزة أخرى، وقد اختلف في عجز الخلق عنه على قولين؛ أحدهما: أنه ليس في قدرتهم الإتيان بمثله وهو الصحيح، والثاني: أنه كان في قدرتهم وصرفوا عنه، والإعجاز حاصل على الوجهين، وقد بينا سائر وجوه إعجازه في المقدمات. ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ أي: فآمنوا لتنجوا من النار، وعبر باللازم عن ملازمه؛ لأن ذكر النار أبلغ في التفخيم والتهويل والتخويف. ﴿وَقُودُهَا﴾ حطبها. ﴿الْحِجَارَةُ﴾ قال ابن مسعود رضي الله عنه: هي حجارة الكبريت لسرعة اتقادها وشدة حرها وقبح رائحتها، وقيل: الحجارة المعبودة، وقيل: الحجارة على الإطلاق. ﴿أُعِدَّتْ﴾ دليل على أنها قد خلقت، وهو مذهب الجماعة وأهل السنة خلافا لمن قال: إنها تخلق يوم القيامة، وكذلك الجنة. ﴿وَبَشِّرِ﴾ يحتمل أن يكون خطابا للنبي ﷺ، أو خطابا لكل واحد، ورجح الزمخشري هذا لأنه أفخم. ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ دليل على أن الإيمان خلاف العمل لعطفه عليه، خلافا لمن قال: الإيمان اعتقاد وقول وعمل، وفيه دليل على أن السعادة بالإيمان مع الأعمال خلافا للمرجئة. ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: تحت أشجارها وتحت مبانها وهي: أنهار الماء واللبن والخمر والعسل، وهكذا تفسيره حيث وقع، وروي: أن أنهار الجنة تجري في غير أهدود. ﴿مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ﴾ "من الأولى للغاية أو للتبعيض أو لبيان الجنس، و"من" الثانية لبيان الجنس. ﴿رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: في الدنيا بدليل قولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ أي: في الدنيا؛ فإن في الجنة أجناس ثمر الدنيا وإن كانت خيرا منها في المطعم والمنظر. ﴿وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ أي: يشبه ثمر الدنيا في جنسه، وقيل: يشبه بعضه بعضا في المنظر ويختلف في المطعم، والضمير المجرور يعود على المرزوق الذي يدل عليه المعنى. ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ أي: من الحيض وأقذار النساء، ومن سائر الأقذار التي لا تختص بالنساء كالبول وغيره، ويحتمل أن يريد به طهارة الطباع وطيب الأخلاق.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٦﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ ءَأَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿لَا يَسْتَحْيِي﴾ تأول قوم؛ أن معناه لا يترك؛ لأنهم زعموا أن الحياء مستحيل على الله؛ لأنه عندهم انكسار يمنع من الوقوع في أمر، وليس كذلك، وإنما هو كرم وفضيلة تمنع من الوقوع فيما يعاب، ويرد عليهم قوله ﷺ: «إن الله حي كريم يستحي من العبد إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا» [الترمذي: 3904]. ﴿أَنْ يَضْرِبَ﴾ سبب الآية؛ أنه لما ذكر في القرآن الذباب والنمل والعنكبوت عاب الكفار ذلك، وقيل: لما ضرب المثليين المتقدمين في المنافقين تكلموا في ذلك فنزلت الآية ردا عليهم. ﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ إعراب "بعوضة" مفعول بـ"يضرب" و"مثلا" حال، أو "مثلا" مفعول و"بعوضة" بدل منه أو عطف بيان، أو هما مفعولان بـ"يضرب" لأنها على هذا المعنى تتعدى إلى مفعولين كجعل، و"ما" صفة للنكرة أو زائدة. ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ في الكبر، وقيل: في الصغر، والأول أظهر. ﴿فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ لأنه لا يستحيل على الله أن يذكر ما شاء، ولأن ذكر تلك الأشياء فيه حكمة وضرب أمثال وبيان للناس، ولأن الصادق جاء بها من عند الله ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ﴾ لفظه الاستفهام ومعناه: الاستبعاد والاستهزاء والتكذيب، وفي إعراب "ماذا" وجهان؛ أن تكون "ما" مبتدأ و"ذا" خبره وهي موصولة، وأن تكون كلمة مركبة في موضع نصب على المفعول بـ"أراد"، و"مثلا" منصوب على الحال أو التمييز. ﴿يُضِلُّ بِهِ﴾ من كلام الله جوابا للذين قالوا "ماذا أراد الله بهذا مثلا"، وهو أيضا تفسير لما أراد الله بضرب المثل من الهدى والضلال. ﴿عَهْدَ اللَّهِ﴾ مطلق في العهود وكذلك ما بعده من القطع والفساد، ويحتمل أن يشار بنقض عهد الله إلى اليهود؛ لأنهم نقضوا العهد الذي أخذ الله عليهم من الإيثار بمحمد ﷺ، ويشار بقطع ما أمر الله به أن يوصل إلى قريش؛ لأنهم قطعوا الأرحام التي بينهم وبين المؤمنين، ويشار بالفساد في الأرض إلى المنافقين لأن الفساد من أفعالهم حسبما تقدم في وصفهم. ﴿مِيثَاقِهِ﴾ الضمير للعهد أو لله تعالى. ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ "كيف" موضعها الاستفهام ومعناها هنا الإنكار والتوبيخ. ﴿وَكُنْتُمْ ءَأَمْوَاتًا﴾ أي: معدومين في أصلاب الآباء، أو نطفة في الأرحام. ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ أخرجكم إلى الدنيا. ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ الموت المعروف. ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بالبعث. ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ للجزاء، وقيل: الحياة الأولى حين أخرجكم من صلب آدم لأخذ

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٢٢﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٢٣﴾

العهد، وقيل: في الحياة الثانية؛ إنها في القبور؛ والراجح القول الأول لتعيينه في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾. فوائد ثلاث: الأولى: هذه الآية في معرض الرد على الكفار وإقامة البرهان على بطلان قولهم، فإن قيل: إنما يصح الاحتجاج عليهم بما يعترفون به فكيف يحتج عليهم بالبعث وهم ينكرونه؟ فالجواب: أنهم ألزموا من ثبوت ما اعترفوا به من الحياة والموت ثبوت البعث؛ لأن القدرة صالحة لذلك كله، الثانية: قوله "وكنتم أمواتا" في موضع الحال، فإن قيل: كيف جاء دون "قد" وهي لازمة مع الفعل الماضي إذا كان في موضع الحال؟ فالجواب: أنه قد جاء بعد الماضي مستقبل والمراد مجموع الكلام كأنه يقول: وحالكم هذه فلذلك لم تلزم قد، الثالثة: عطف "فأحياكم" بالفاء لأن الحياة أثر العدم ولا تراخي بينهما وعطف "ثم يميتكم" و"ثم يحييكم" ب"ثم" للتراخي الذي بينهما. ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ دليل على إباحة الانتفاع بما في الأرض. ﴿أَسْتَوَىٰ﴾ أي: قصد لها و﴿السَّمَاءِ﴾ هنا جنس، ولأجل ذلك أعاد عليها بعد ضمير الجماعة. ﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾ أي: اتقن خلقهن كقوله: ﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾ وقيل: جعلهن سواء. فائدة: هذه الآية تقتضي أنه خلق السماء بعد الأرض وقوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ ظاهره خلاف ذلك؟ والجواب: من وجهين أحدهما: أن الأرض خلقت قبل السماء ودحيت بعد ذلك فلا تعارض، والآخر: أن تكون "ثم" لترتيب الأخبار. ﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾ جمع ملك، واختلف في وزنه فقيل: فعل فالميم أصلية ووزن ملائكة على هذا فعائلة، وقيل: هي من الألوكة وهي الرسالة فوزنه مفعول وأصله مألوك ثم حذفت الهمزة ووزن ملائكة على هذا مفاعلة ثم قلبت وأخرت الهمزة فصار معافلة وذلك بعيد. ﴿خَلِيفَةً﴾ هو آدم عليه السلام لأن الله استخلفه في الأرض وقيل: ذريته لأن بعضهم يخلف بعضا، والأول أرجح ولو أراد الثاني لقال خلفاء. ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ الآية سؤال محض؛ لأنهم استبعدوا أن يستخلف الله من يعصيه، وليس فيه اعتراض لأن الملائكة منزهون عنه، وإنما علموا أن بني آدم يفسدون بإعلام الله إياهم بذلك، وقيل: كان في الأرض جن فأفسدوا فبعث الله إليهم ملائكة فقتلتهم فقامت الملائكة بني آدم عليهم. ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ اعتراف والتزام للتسبيح لا افتخار ولا منة. ﴿بِحَمْدِكَ﴾ أي حامدين لك، والتقدير: نسبح متلبسين بحمديك، فهو في موضع الحال. ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ يحتمل أن تكون الكاف مفعولا ودخلت عليها اللام كقولك: ضربت لزيد، أو أن يكون المفعول محذوفا أي: نقديسك على معنى ننزهك أو نعظمك وتكون اللام في "لك" للتعليل أي لأجلك، أو يكون التقدير نقديس أنفسنا؛ أي نظهرها لك. ﴿أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني ما يكون في بني آدم من الأنبياء والأولياء وغير ذلك

وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٥٢﴾ قَالَ يَتَّبِعُكُمْ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ وَقُلْنَا يَتَّعَدُمُ مَنْكُورٌ أَنْتَ وَرَوْحُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا

من المصالح والحكمة. ﴿الْأَسْمَاءُ كُلَّهَا﴾ أي: أسماء بني آدم وأسماء أجناس الأشياء كسمية الفرس والشجرة وغير ذلك. ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أي: عرض المسميات؛ وهي أشخاص بني آدم أو أجناس الأشياء. ﴿أَنْبِئُونِي﴾ أمر على وجه التعجيز. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: في قولكم: إن الخليفة يفسد في الأرض ويسفك الدماء وقيل: "إن كنتم صادقين" في جواب السؤال والمعرفة بالأسماء. ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ اعتراف. ﴿أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ أي: أنبئ الملائكة بأسماء ذريتك أو بأسماء أجناس الأشياء. ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ السجود له على وجه التحية، وقيل: عبادة لله وآدم كالقابلة. ﴿فَسَجَدُوا﴾ روي: أن أول من سجد إسرئيل ولذلك جازاه الله بولاية اللوح المحفوظ. ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ استثناء متصل عند من قال إنه كان ملكاً، ومنقطع عند من قال إنه كان من الجن. ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ لقوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾. ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ قيل: كفر بإبائته من السجود وذلك بناء على أن المعصية كفر، والأظهر أنه كفر باعتراضه على الله وتسفيهه له في أمره بالسجود لآدم، وليس كفره كفر جحود لا اعترافه بالربوبية. ﴿وَرَوْحُكَ﴾ هي حواء خلقها الله من ضلع آدم، ويقال: زوجة وزوج وهو أفصح. ﴿الْجَنَّةُ﴾ هي جنة الخلد عند الجماعة وأهل السنة خلافاً لمن قال هي غيرها. ﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾ النهي عن القرب يقتضي النهي عن الأكل بطريق الأولى، وإنما نهى عن القرب سدا للذريعة؛ فهذا أصل في سد الذرائع. ﴿الشَّجَرَةَ﴾ قيل: هي شجرة العنب، وقيل: شجرة التين، وقيل: الحنطة، وذلك مفتقر إلى نقل صحيح واللفظ مبهم. ﴿فَتَكُونَا﴾ عطف على "تقربا"، أو نصب بإضمار أن بعد الفاء في جواب النهي. ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ متعد من زلل القدم، وأزالها بالألف من الزوال. ﴿عَنْهَا﴾ الضمير عائد على الجنة أو على الشجرة فتكون "عن" على هذا سببية. فائدة: اختلفوا في أكل آدم من الشجرة؛ فالأظهر أنه كان على وجه النسيان لقوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ وقيل: سكر من خمر الجنة فحينئذ أكل منها؛ وهذا باطل لأن خمر الجنة لا تسكر، وقيل: أكل عمدا وهي معصية صغيرة وهذا عند من أجاز على الأنبياء الصغائر، وقيل: تناول آدم أن النهي عن شجرة معينة فأكل من غيرها من جنسها، وقيل: لما حلف له إبليس صدقه لأنه ظن أنه لا يحلف أحد كذبا.

فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٣٠﴾ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٣١﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٣٣﴾ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ

﴿ اهْبِطُوا ﴾ خطاب لآدم وزوجه وإبليس بدليل ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾. ﴿ مُسْتَقَرٌّ ﴾ موضع استقرار وهو في مدة الحياة، وقيل في بطن الأرض بعد الموت. ﴿ وَمَتَاعٌ ﴾ ما يتمتع به. ﴿ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ إلى الموت. ﴿ فَتَلَقَى ﴾ أي: أخذ على قراءة الجماعة، وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات ف"تلقى" على هذا من اللقاء. ﴿ كَلِمَاتٍ ﴾ هي قوله: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ بدليل ورودها في الأعراف، وقيل غير ذلك. ﴿ اهْبِطُوا ﴾ كرر ليناط به ما بعده، ويحتمل أن يكون أحد الهبوطين من السماء والآخر من الجنة، وأن يكون هذا الثاني لذرية آدم لقوله: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ والأول لآدم وزوجه وإبليس، وروي أن آدم نزل بسرنديب من أرض الهند ونزلت حواء بجدة وإبليس بالأبلة. ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ "إن" شرطية و"ما" زائدة للتأكيد، والهدى هنا يراد به كتاب الله ورسالاته. ﴿ فَمَنْ تَبِعَ ﴾ شرط وهو جواب الشرط الأول، وقيل: "فلا خوف" جواب الشرطين. ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ لما قدم دعوة الناس عموماً وذكر مبدأهم دعا بني إسرائيل خصوصاً وهم اليهود، وجرى الكلام معهم من هنا إلى حزب: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ ﴾ فتارة دعاهم بالملاطفة وذكر الإنعام عليهم وعلى آبائهم، وتارة بالتحذير، وتارة بإقامة الحجة وتوبيخهم على سوء أعمالهم وذكر العقوبات التي عاقبهم بها، فذكر من النعم عليهم عشرة أشياء؛ وهي: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾، و﴿ وَإِذْ قَرَّبْنَا بِلْحَمَّتِنَا الْبَحْرَ ﴾، و﴿ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾، و﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ﴾، و﴿ عَفَوْنَا عَنْكُمْ ﴾، و﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾، و﴿ يُغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ﴾، و﴿ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾، و﴿ فَاذْفَعِرْتُمْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾. وذكر من سوء أفعالهم عشرة أشياء؛ قولهم: ﴿ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾، و﴿ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ ﴾، وقولهم: ﴿ أَرَأَيْتُمُ اللَّيْلَ الْجَهْرَةَ ﴾، و﴿ قَبَدَلِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾، و﴿ لَنْ نُصِِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ ﴾، و﴿ يُحَرِّفُونَهُ ﴾، و﴿ تَوَلَّيْتُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ ﴾، و﴿ قَسَت قُلُوبُكُمْ ﴾، و﴿ وَكُفِّرْهُمْ بآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾. وذكر من عقوبتهم عشرة أشياء: ﴿ وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ ﴾، و﴿ وَالمَسْكَنَةَ ﴾، و﴿ وَبَاءَ وَبَعْضَ مِّنَ اللَّهِ ﴾، و﴿ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ ﴾، و﴿ قَاتِلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾، و﴿ كُونُوا قِرَدَةً ﴾، و﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾، و﴿ فَأَخَذْتُمُ الصَّاعِقَةَ ﴾، و﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾، و﴿ حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَّهُمْ ﴾. وهذا كله جزاء لآبائهم الأقدمين وخطوب به المعاصرون لمحمد ﷺ لأنهم متبعون لهم راضون بأحوالهم، وقد وُيِّنَ المعاصرون لمحمد ﷺ بتوبيخات آخر؛ وهي عشرة: كتابناهم أمر محمد ﷺ مع معرفتهم به،

أَذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ ﴿١٠٤﴾ وَءَامِنُوا بِمَا  
 أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۗ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونَ  
 ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعَالَمُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ

و﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾، و﴿يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، و﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ و﴿تُخْرِجُونَ قَرِيبًا مِّنْكُمْ مِّن دِيَارِهِمْ﴾، وحرصهم على الحياة، وعداوتهم لجبريل، واتباعهم للسحر، وقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾، وقولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ﴾. ﴿نِعْمَتِي﴾ اسم جنس؛ فهي مفردة بمعنى الجمع، ومعناها عام في جميع النعم التي على بني إسرائيل مما اشترك فيه معهم غيرهم وما اختصوا هم به كالمِن والسلوى، وللمفسرين فيه أقوال تحمل على أنها أمثلة واللفظ يعم جميعها. ﴿بِعَهْدِي﴾ مطلق في كل ما أخذ عليهم من العهود، وقيل الإيمان بمحمد ﷺ؛ وذلك قوي لأنه مقصود الكلام. ﴿بِعَهْدِكُمْ﴾ دخول الجنة. ﴿وَإِيَّايَ﴾ مفعول بفعل مضمَر مؤخر لانفصال الضمير، وليفيد الحصر، يفسره ﴿فَارْهَبُونَ﴾، ولا يصح أن يعمل فيه "فارهبون" لأنه قد أخذ معموله، وكذلك ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونَ﴾. ﴿بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ يعني القرآن. ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ أي: مصدقا للتوراة ولتصديق القرآن للتوراة وغيرها. وتصديق محمد ﷺ للأنبياء المتقدمين له ثلاث معان؛ أحدها: أنهم أخبروا به ثم ظهر كما قالوا فبين صدقهم في الإخبار به، والآخر: أنه ﷺ أخبر أنهم أنبياء وأن الله أنزل عليهم الكتب؛ فهو مصدق لهم أي شاهد بصدقهم، والثالث: أنه وافقهم فيما في كتبهم من التوحيد وذكر الدار الآخرة وغير ذلك من عقائد الشرائع؛ فهو مصدق لهم لاتفاقه معهم في الإيمان بذلك. ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ الضمير عائد على القرآن وهذا نهي عن المسابقة إلى الكفر به ولا يقتضي إباحة الكفر به في ثاني حال لأن هذا مفهوم معطل، بل يقتضي الأمر بمبادرتهم إلى الإيمان به لما يجدون في كتبهم من ذكره ولما يعرفون من علاماته. ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الاشتراء هنا استعارة في الاستبدال كقوله: ﴿اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾، والآيات هنا هي الإيمان بمحمد ﷺ، والثمن القليل: ما ينتفعون به في الدنيا من بقاء رياستهم وأخذ الرشا على تغيير أمر محمد ﷺ وغير ذلك، وقيل: كانوا يُعلمون دينهم بالأجرة فنهوا عن ذلك، واحتج الحنفية بهذه الآية على منع الإجارة على تعليم القرآن. ﴿الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ﴾ "الحق" هنا يراد به نبوة محمد ﷺ و"الباطل" الكفر به، وقيل: الحق التوراة والباطل ما زادوا فيها. ﴿وَتَكْتُمُوا﴾ معطوف على النهي أو منصوب بإضمار "أن" في جواب النهي، والواو بمعنى الجمع، والأول أرجح لأن العطف يقتضي النهي عن كل واحد من الفعلين بخلاف النصب بالواو، فإنه إنما يقتضي النهي عن الجمع بين الشئيين لا النهي عن كل واحد على انفراده. ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: تعلمون أنه حق. ﴿الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يراد بهما صلاة المسلمين وزكاتهم؛ فهو يقتضي الأمر بالدخول في الإسلام.

وَأَرْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿١٣٦﴾ \* أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ  
 أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٧﴾ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ  
 يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوْنَ رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٣٩﴾ يَبْنَئِ سَرَّاءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي  
 أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ  
 شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٤١﴾ وَإِذْ نَحْنُ بِكُمْ

﴿وَأَرْكَعُوا﴾ خصص الركوع بعد ذكر الصلاة؛ لأن صلاة اليهود بغير ركوع فكانه أمر بصلاة المسلمين التي فيها الركوع، وقيل: الركوع: الخضوع والانقياد. ﴿مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ هم المسلمون فيقتضي ذلك الأمر بالدخول في دينهم، وقيل: الأمر بالصلاة مع الجماعة. ﴿أَتَأْمُرُونَ﴾ تفرغ وتوبيخ لليهود. ﴿بِالْبِرِّ﴾ عام في أنواعه، فويخهم على أمر الناس به وتركهم له، وقيل: كان الأحرار يأمرهم من نصحوه في السر باتباع سيدنا محمد ﷺ ولا يتبعونه. وقال ابن عباس ؓ: كانوا يأمرهم بالتوراة ويخالفونها في جحدهم منها صفة سيدنا محمد ﷺ. ﴿وَتَنْسَوْنَ﴾ أي: تتركون؛ وهذا تفرغ. ﴿تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ حجة عليهم. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ توبيخ. ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ قيل: معناه استعينوا بها على مصائب الدنيا، وقد روي أن رسول الله ﷺ كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة [أبو داود: 1321]. ونعي إلى ابن عباس ؓ أخوه قثم فضلى ركعتين وقرأ الآية، وقيل: "استعينوا" بها على طلب الآخرة، وقيل: "الصبر" هنا الصوم، وقيل: "الصلاة" هنا الدعاء. ﴿وَإِنَّهَا﴾ الضمير عائد على العبادة التي تضمنها "الصبر والصلاة" أو على الاستعانة، أو على الصلاة. ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ أي شاقة صعبة. ﴿يَظُنُّونَ﴾ هنا يتيقنون. ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي أهل زمانهم، وقيل: تفضيل من وجه ما: وهو كثرة الأنبياء أو غير ذلك. ﴿لَا تَجْزِي﴾ لا تغني، و﴿شَيْئًا﴾ مفعول به أو صفة لمصدر محذوف، والجملة في موضع الصفة، وحذف الضمير أي: فيه. ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ ليس نفي الشفاعة مطلقاً؛ فإن مذهب أهل الحق ثبوت شفاعة النبي ﷺ وشفاعة الملائكة والأنبياء والمؤمنين، وإنما المراد: أنه لا يشفع أحد إلا بعد أن يأذن الله له؛ لقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، ولقوله: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ ولقوله: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾، وانظر ما ورد في الحديث: أن رسول الله ﷺ يسجد يوم القيامة يستأذن في الشفاعة فيقال له: «اشفع تشفع» [مسلم: 495] فكل ما ورد في القرآن من نفي الشفاعة مطلقاً يحمل على هذا؛ لأن المطلق يحمل على المقيد، فليس في هذه الآيات المطلقة دليل للمعتزلة على نفي الشفاعة. ﴿عَدْلٌ﴾ هنا فدية. ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ جمع لأن النفس المذكورة يراد بها نفوس. ﴿وَإِذْ نَحْنُ بِكُمْ إِذْ نَحْنُ بِكُمْ﴾ أي: نجينا آباءكم، وجاء الخطاب للمعاصرين للنبي ﷺ منهم؛ لأنهم ذريتهم وعلى دينهم ومتبعون

مِّنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُم سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ  
بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦١﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُم الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ  
تَنْظُرُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ  
﴿٦٣﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦٤﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ  
وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَلْقَوْتُمْ إِنكُم مِّنكُمْ ظَالِمَةٌ أَنْفُسِكُمْ  
بِاتِحَاحِكُمْ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِيكُمْ

لهم فحكمهم كحكمهم، وكذلك فيما بعد هذا من تعداد النعم؛ لأن الإنعام على الآباء إنعام على الأبناء، ومن ذكر مساوئهم؛ لأن ذريتهم راضون بذلك. ﴿مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ المراد: من فرعون وآله، وحذف لدلالة المعنى، و"آل فرعون" هم جنوده وأشياعه وأهل دينه، لا قرابته خاصة، ويقال: إن اسمه الوليد بن مصعب، وهو من ذرية عمليق، ويقال فرعون لكل من ولي مصر، وأصل "آل": أهل، ثم أبدلت من الهاء همزة وأبدل من الهمزة ألف. فائدة: كل ما ذكر في هذه السورة من الأخبار معجزات للنبي ﷺ؛ لأنه أخبر بها من غير تعلم. ﴿يَسُومُونَكُم سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أي: يلزمونكم، وهو استعارة من السوم في البيع وفسر "سوء العذاب" بقوله: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ ولذلك لم يعطفه هنا، وأما حيث عطفه في سورة إبراهيم فيحتمل: أن يراد بـ"سوء العذاب" غير ذلك فيكون عطف مغايرة، أو أراد به ذلك وعطفه لاختلاف اللفظ، وكان سبب قتل فرعون لأبناء بني إسرائيل؛ أنه أخبره الكهان والمنجمون أن هلاكه على يد مولود ذكر من بني إسرائيل، وقيل: إن آل فرعون تذكروا وعد الله لإبراهيم بأن يجعل في ذريته ملوكا وأنبياء فحسدوهم على ذلك، وروي أنه وكل بالنساء رجالا يحفظون من تحمل منهن، وقيل: بل وكل على ذلك القوابل، ولأجل هذا قيل: معنى "يستحيون نساءكم": يفتشون الحيا من كل امرأة؛ وهو فرجها، وهذا بعيد، والأظهر أنه من الحياة ضد الموت. ﴿فَرَقْنَا بِكُم الْبَحْرَ﴾ أي: فصلناه وجعلناه فرقا اثني عشر طريقا على عدد الأسباط، والباء سببية أو للمصاحبة، و"البحر" المذكور هنا هو بحر القلزم. ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ هي: شهر ذي القعدة وعشر ذي الحجة، وإنما خص الليالي بالذكر؛ لأن التاريخ بها والأيام تابعة لها، والمراد أربعين ليلة بأيامها. ﴿اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ اتخذتموها لها؛ فحذف لدلالة المعنى. ﴿مِن بَعْدِهِ﴾ أي: بعد غيبته في الطور. ﴿الْكِتَابَ﴾ هنا التوراة. ﴿وَالْفُرْقَانَ﴾ أي: المفرق بين الحق والباطل؛ وهو صفة للتوراة عطف عليها لاختلاف اللفظ، وقيل "الفرقان" هنا: فرق البحر، وقيل: آتينا موسى الكتاب وآتينا محمدا ﷺ والفرقان؛ وهذا بعيد لما فيه من الحذف من غير دليل عليه. ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: يقتل بعضكم بعضا



فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥١﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٣﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ يَغْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٥﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٦﴾ \* وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ

كقوله: ﴿فَسَلَّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ وروي: أن من لم يعبد العجل قتل من عبده، وروي: أن الظلام ألقى عليهم قتل بعضهم بعضا حتى بلغ القتلى سبعين ألفا فعفى الله عنهم، وإنما خص هنا اسم الباري؛ لأن فيه توبيخا للذين عبدوا العجل، كأنه يقول: كيف عبدتم غير الذي برأكم ومعنى الباري؛ الخالق. ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قبله محذوف لدلالة الكلام عليه وهو فحوى الخطاب: أي فعلتم ما أمرتم به من القتل فتاب عليكم. ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾ تعدي باللام لأنه تضمن معنى الانقياد. ﴿جَهْرَةً﴾ عيانا. ﴿الصَّاعِقَةُ﴾ الموت، وكانوا سبعين وهم الذين اختارهم موسى وحملهم إلى الطور فسمعوا كلام الله، ثم طلبوا الرؤية فوعقوا لسوء أديهم وجراتهم على الله. ﴿وَظَلَّلْنَا﴾ أي: جعلنا الغمام فوقكم كالظلة يقيكم حر الشمس، وكان ذلك في التيه، وكذا أنزل عليه فيه ﴿الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ لما عدموا الطعام، وقد فرسنا "المن والسلوى" في اللغات. ﴿كُلُوا﴾ معمول بقول محذوف. ﴿هَذِهِ الْقَرْيَةُ﴾ بيت المقدس، وقيل: أريحا، وقيل: قريب من بيت المقدس ﴿فَكُلُوا﴾ جاء هنا بالفاء التي للترتيب؛ لأن الأكل بعد الدخول، وجاء في الأعراف بالسوا بعد قوله: ﴿اسْكُنُوا﴾ لأن الأكل مقارن للسكنى. ﴿سُجَّدًا﴾ قيل معناه: ركعا؛ لأن الدخول لا يتأتى معه السجود، وقيل: متواضعين. ﴿حِطَّةٌ﴾ تقدم في اللغات ﴿وَسَنَزِيدُ﴾ أي: نزيدهم أجرا إلى المغفرة ﴿فَبَدَّلَ﴾ روي: أنه قالوا حنطة، وروي: حبة في شعرة. ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يعني المذكورين وضع الظاهر موضع المضمير لقصد ذمهم بالظلم وكرره زيادة في تقبيح أمرهم. ﴿رِجْزًا﴾ روي: أنهم أصابهم الطاعون فمات منهم سبعون ألفا. ﴿اسْتَسْقَى﴾ طلب السقيا لما عطشوا في التيه. ﴿الْحَجَرَ﴾ كان مربعا ذراعا في ذراع انفجر من كل جهة ثلاث عيون، وروي: أن آدم كان أهبطه من الجنة، وقيل: هو جنس غير معين؛ وذلك أبلغ في الإعجاز.

فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ  
 اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ  
 فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا  
 قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا  
 سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا  
 يَكْفُرُونَ بِفَايْتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا  
 يَعْتَدُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّبِيَّةَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ  
 وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٦﴾

﴿فَانْفَجَرَتْ﴾ قبله محذوف تقديره؛ فضربه فانفجرت. ﴿مَّشْرِبَهُمْ﴾ أي: موضع شربهم وكانوا اثني عشر  
 سبطا لكل سبط عين. ﴿كُلُوا﴾ أي: من المن والسلوى ﴿واشربوا﴾ من الماء المذكور. ﴿وَفُومِهَا﴾ هي الثوم  
 وقيل الحنطة. ﴿أَدْنَىٰ﴾ من الدني الحقير، وقيل: أصله أدون ثم قلب بتأخير عينه وتقديم لامه. ﴿مِصْرًا﴾ قيل:  
 البلد المعروف وصرف لسكون وسطه، وقيل: هو غير معين فهو نكرة لما روي: أنهم نزلوا بالشام، والأول  
 أرجح لقوله تعالى: ﴿وَأُورِثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يعني مصر. ﴿وَضُرِبَتْ﴾ أي: قضى عليهم بها وألزموها،  
 وجعله الزمخشري استعارة من ضرب القبة؛ لأنها تعلقو الإنسان وتحيط به. ﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾ الفاقة، وقيل: الجزية  
 ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ الإشارة إلى ضرب الذلة والمسكنة والغضب، والباء للتعليل. ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ الآيات المتلوة أو  
 العلامات. ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ معلوم أنه لا يقتل نبي إلا بغير حق، وإنما نص عليه تشنيعا لقبح فعلهم ولأنهم  
 اجترؤوا على قتلهم مع معرفتهم بأنه بغير حق، وذلك أقبح. فائدة: قال هنا "بغير الحق" بالتعريف باللام للعهد  
 لأنها تقرررت الموجبات لقتل النفس، وقال في الموضع الآخر من آل عمران: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ بالتنكير لاستغراق  
 النفسي لأن تلك نزلت في المعاصرين لمحمد ﷺ. ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا﴾ يحتمل أن يكون تأكيدا للأول وتكون  
 الإشارة بـ"ذلك" إلى الكفر والقتل، والباء للتعليل أي: اجترؤوا على الكفر وقتل الأنبياء لما انهمكوا في العصيان  
 والعدوان. ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ الآية، قال ابن عباس ؓ: نسخها ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا  
 فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ وقيل: معناها أن هؤلاء الطوائف من آمن منهم إيمانا صحيحا فله أجره؛ فيكون في حق المؤمنين  
 الثبات إلى الموت وفي حق غيرهم الدخول في الإسلام؛ فلا نسخ، وقيل: إنها فيمن كان قبل بعث النبي ﷺ فلا  
 نسخ. ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ مبتدأ خبره "فلهم أجرهم"، والجملة خبر "إن"، أو "من آمن" بدل. ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ خبر "إن".

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٠﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٧١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٧٢﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٧٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنِّي أَخَذْتُ مِيثَاقَكُمْ أَن تَذْخَبُوا بَقْرَةَ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿١٧٤﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ؕ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ وَلَا يَكْرَهُ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ ؕ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿١٧٥﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا ؕ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقْعُ لَوْثُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ ﴿١٧٦﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشْبَهُ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿١٧٧﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَخَبُوا مَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٧٨﴾

﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾ لما جاء موسى بالتوراة أبوا أن يقبلوها فرفع الجبل فوقهم، وقيل لهم إن لم تأخذوها وقع عليكم. ﴿ بِقُوَّةٍ ﴾ جد في تعلم التوراة أو العمل بها. ﴿ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ ﴾ اصطادوا فيه الحوت وكان محرما عليهم. ﴿ كُونُوا قِرَدَةً ﴾ عبارة عن مسخهم، و﴿ خَاسِئِينَ ﴾ صفة أو خبر ثان، ومعناه مبعدين كما يجسأ الكلب. ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا ﴾ الضمير للفعله وهي المسخ. ﴿ نَكَالًا ﴾ أي: عقوبة لما تقدم من ذنوبهم وما تأخر، وقيل: عبرة لمن تقدم ومن تأخر. ﴿ أَنْ تَذْخَبُوا بَقْرَةً ﴾ قصتها؛ أن رجلا من بني إسرائيل قتل قريبه ليرثه وادعى على قوم أنهم قتلوه فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوا القاتل ببعضها، ففعلوا فقام وأخبر بمن قتله ثم عاد ميتا. ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ جفاء وقلة أدب وتكذيب. ﴿ فَارِضٌ ﴾ مسنة. ﴿ بَكْرٌ ﴾ صغيرة. ﴿ عَوَانٌ ﴾ متوسطة. ﴿ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ أي: بين ما ذكر، ولذلك قال "ذلك" مع الإشارة إلى شيئين. ﴿ صَفْرَاءُ ﴾ من الصفرة المعروفة، وقيل: سوداء، وهو بعيد، والظاهر صفراء كلها، وقيل: القرن والظلف فقط، وهو بعيد. ﴿ فَاقْعُ ﴾ شديدة الصفرة. ﴿ تَسُرُّ النَّظِيرِينَ ﴾ حسن لونها، وقيل: لسمنها ومنظرها كله. ﴿ لَا ذَلُولٌ ﴾ أي غير مدللة للعمل. ﴿ تُثِيرُ الْأَرْضَ ﴾ أي: تحرثها، وهو داخل تحت النفي على الأصح. ﴿ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ ﴾ لا يسقى عليها. ﴿ مُسَلِّمَةٌ ﴾ من العمل أو من العيوب. ﴿ لَا شِيَةَ فِيهَا ﴾ لالعة غير الصفرة، وهو من "وشى"؛ ففاؤه واو محذوفة ك"عدة". ﴿ الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ﴾ العامل في الظرف "جئت"، وقيل العامل فيه مضمرة تقديره: الآن نذبحها، والأول أظهر؛ فإن كان قولهم: "أتخذنا هزوا" تكذيبا فهذا تصديق، وإن كان غير ذلك فالمعنى بالحق المبين. ﴿ وَمَا كَادُوا ﴾ لعصيانهم وكثرة

وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧١﴾ فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا  
 كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ  
 ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا  
 لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا  
 تَعْمَلُونَ ﴿٧٣﴾ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ  
 مَحْرَفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾

سؤالهم عن شأنها، أو لغلاء البقرة، فقد جاء: أنها كانت لتيمة وأنهم اشتروها بوزنها ذهباً، أو لقلّة وجود تلك الصفة فقد روي: أنهم لو ذبحوا أدنى بقرة لأجزأت عنهم ولكنهم شددوا فشدد عليهم. ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ هو أول قصة البقرة فرتبته التقديم قبل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ قال الزمخشري: إننا أخرج لتعدد توبيخهم لقصتين وهما: ترك المسارعة إلى الأمر وقتل النفس، ولو قدم لكان قصة واحدة وتوبيخاً واحداً. ﴿فَادَّارَأْتُمْ﴾ أي: اختلفتم، وهذا من المداراة؛ أي: المدافعة. ﴿مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ من أمر القتل ومن قتله. ﴿أَضْرِبُوهُ﴾ القتل أو قبره. ﴿بِبَعْضِهَا﴾ مطلقاً، وقيل: الفخذ، وقيل: اللسان، وقيل: الذنب. ﴿كَذَلِكَ﴾ إشارة إلى حياة القتيل، واستدلال بها على الإحياء للبعث، وقبله محذوف لا بد منه وهو: ففعلوا ذلك فقام القتيل. فائدة: استدلال المالكية بهذه القصة على قبول قول المقتول: فلان قتلني، وهو ضعيف؛ لأن هذا المقتول قام بعد موته ومعينة الآخرة، وقصته معجزة للنبي ﷺ فلا يتأتى أن يكذب المقتول بخلاف غيره، واستدلوا أيضاً بها على أن القاتل لا يرث، ولا دليل فيها على ذلك. ﴿قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ خطاب لبني إسرائيل. ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: بعد إحياء القتيل وما جرى في القصة من العجائب، وذلك بيان لقبح قسوة قلوبهم بعدما رأوا تلك الآيات. ﴿أَوْ أَشَدُّ﴾ عطف على موضع الكاف، أو خبر ابتداء أي: هذا أشد، و"أو" هنا؛ إما للإبهام، أو للتخيير؛ كأن من علم حالها مخير بين أن يشبهها بالحجارة أو بما هو أشد قسوة كالحديد، أو للتفصيل أي: فيهم كالحجارة وفيهم أشد، وإنما قال: "أشد قسوة" ولم يقل أقسى مع أن فعل القسوة ينبي منه أفعل لكون أشد أدل على فرط القسوة. ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ﴾ الآية، تفصيل الحجارة على قلوبهم. ﴿يَهْبِطُ﴾ أي: يتردى من علو إلى سفلى، والخشية عبارة عن انقيادها، وقيل حقيقة وأن كل حجر يهبط من خشية الله. ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ خطاب للمؤمنين. ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ يعني اليهود، وتعدى باللام لما تضمن معنى الانقياد. ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ السبعون الذين سمعوا كلام الله على الطور ثم حرفوه، وقيل: بنو إسرائيل حرفوا التوراة. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بيان لقبح فعلهم.

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ ؕ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ ؕ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانٍ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ۗ قُلْ أَتُخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ تُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ؕ أَمْ تَقُولُونَ عَلَىٰ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ۗ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ۗ وَيَالُوا لِلَّذِينَ إِحْسَنَّا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ۗ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ ؕ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

﴿قَالُوا ءَامَنَّا﴾ قالها رجل ادعى الإسلام من اليهود، وقيل: قالوها ليدخلوا إلى المؤمنين ويسمعوا أخبارهم. ﴿أُتُحَدِّثُونَهُمْ﴾ توبيخ. ﴿بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ فيه ثلاثة أوجه: بها حكم عليهم من العقوبات، وبها في كتبهم من ذكر سيدنا محمد ﷺ، وبها فتح الله عليهم من الخير والإنعام؛ وكل وجه حجة عليهم ولذلك قالوا: ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ قيل: في الآخرة، وقيل: أي في حكم ربكم وما أنزل في كتابه؛ ف"عنده" بمعنى حكمه. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ من بقية كلامهم توبيخاً لقولهم. ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾ الآية، من كلام الله رداً عليهم وفضيحة لهم. ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ﴾ أي: الذين لا يقرؤون ولا يكتبون فهم ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ والمراد قوم من اليهود، وقيل: من المجوس؛ وهذا غير صحيح؛ لأن الكلام كله مع اليهود. ﴿إِلَّا أَمَانٍ﴾ تلاوة بغير فهم، أو أكاذيب، أو ما تمنناه النفس. ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ تحقيق لافتراءهم. ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عرض الدنيا من الرياسة أو الرشوة وشبه ذلك. ﴿يَكْسِبُونَ﴾ من الدنيا، أو هي الذنوب. ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ أربعين يوماً عدد عبادتهم العجل، وقيل: سبعة أيام. ﴿أَتُخَذْتُمْ﴾ الآية تقرير يقتضي إبطال قولهم. ﴿بَلَىٰ﴾ تحقيق لطول مكثهم في النار، أو لقولهم ما لا يعلمون. ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ الآية في الكفار؛ لأنها ردت على اليهود ولقوله بعدها: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة في النار. ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ جواب القسم يدل عليه الميثاق، وقيل: خبر بمعنى النهي ويرجحه قراءة "لا تعبدوا"، وقيل: الأصل: بأن لا تعبدوا، ثم حذفت الباء وأن. ﴿وَيَالُوا لِلَّذِينَ﴾ يتعلق بـ ﴿إِحْسَانًا﴾ أو بمحذوف تقديره: أحسنوا ووكذب "إحساناً". ﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾ القرابة. ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ جمع يتيم

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ فَاسْبِرُوا لَهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾

وهو من فقد والده قبل البلوغ، واليتيم من سائر الحيوان من فقد أمه، وجاء الترتيب في هذه الآية بتقديم الأهم؛ فقدم الوالدين لحقهما الأعظم، ثم القرابة لأن فيهم أجر الإحسان وصلة الرحم، ثم اليتامى لقلة ذاتهم، ثم المساكين. ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ أي: لا يسفك بعضكم دم بعض، وإعراجه مثل "لا تعبدون". ﴿وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ لا يخرج بعضكم بعضا. ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ أقررتهم بالميثاق واعترفتهم بلزومه. ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ بأخذ الميثاق عليكم. ﴿هَؤُلَاءِ﴾ منصوب على التخصيص بفعل مضمر، وقال ابن الباذش: مبتدأ وخبره "أنتم"، و"تقتلون" حال لازمة تم بها المعنى. ﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ كانت قريظة حلفاء الأوس، والنضير حلفاء الخزرج وكان كل فريق يقاتل الآخر مع حلفائه وينفيه من موضعه إذا ظفر به. ﴿تَظَاهَرُونَ﴾ أي: تتعاونون. ﴿تُفَادُوهُمْ﴾ قرئ بالألف وبحذفها والمعنى واحد، وكذلك ﴿أَسَارَى﴾ بالألف وحذفها جمع أسير. ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ﴾ الضمير للإخراج من ديارهم وهو مبتدأ وخبره "محرم"، و"إخراجهم" بدل، أو الضمير للأمر والشأن، و"إخراجهم" مبتدأ و"محرم" خبره والجملة خبر الضمير. ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ فداؤهم الأسارى موافقة لما في كتبهم. ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ القتل والإخراج من الديار مخالفة لما في كتابهم. ﴿خِزْيٌ﴾ الجزية، أو الهزيمة لقريظة والنضير وغيرهم، أو مطلق. ﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ أي: جئنا من بعده بالرسول وهو مأخوذ من القفا أي: جاء بالثاني في قفا الأول. ﴿الْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات من إحياء الموتى وغير ذلك. ﴿بُرُوحِ الْقُدُسِ﴾ جبريل، وقيل: الإنجيل، وقيل: الاسم الذي كان يجي به الموتى، والأول أرجح لقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾، ولقوله ﷺ لحسان: ﴿اللهم أیده بروح القدس﴾ [البخاري: 453]. ﴿تَقْتُلُونَ﴾ جاء مضارعا مبالغة؛ لأنه أريد استحضاره في النفوس، أو لأنهم حاولوا قتل محمد ﷺ لولا أن الله عصمه.

وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ۖ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِيَسْمَا أَسْتَرُوا بِهِ ۖ أَنفُسَهُمْ وَ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغِيًّا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ ۗ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ

﴿ غُلْفٌ ﴾ جمع أغلف أي: عليها غلاف؛ وهو الغشاء فلا تفقه. ﴿ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ﴾ ردُّ عليهم، وبيان عدم فهمهم بسبب كفرهم. ﴿ فَقَلِيلًا ﴾ أي: إيمانًا قليلًا. ﴿ مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ "ما" زائدة، ويجوز أن تكون القلة بمعنى العدم، أو على أصلها؛ لأن من دخل منهم في الإسلام قليل، أو لأنهم آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض. ﴿ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ هو القرآن. ﴿ مُصَدِّقٌ ﴾ تقدم أن له ثلاثة معان. ﴿ يَسْتَفْتِحُونَ ﴾ أي: يستنصرون على المشركين؛ إذا قاتلوهم قالوا: اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان! ويقولون لأعدائهم من المشركين: قد أظلم زمان نبي يخرج، نقتلكم معه قتل عاد وإرم، وقيل "يستفتحون" أي: يعرفون الناس بالنبي ﷺ؛ فالسين على هذا للمبالغة كالسين في استعجب واستسخر، وعلى الأول للطلب. ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا ﴾ القرآن والإسلام ومحمد ﷺ. قال المبرد: ﴿ كَفَرُوا ﴾ جواب "لما" الأولى والثانية، وأعيدت الثانية لطول الكلام ولقصد التأكيد، وقال الزجاج: "كفروا" جواب "لما" الثانية وحذف جواب الأولى للاستغناء عنه بذلك، وقال الفراء: جواب "لما" الأولى "فلما" وجواب الثانية "كفروا". ﴿ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ أي: عليهم يعني اليهود، ووضع الظاهر موضع المضمير ليدل أن اللعنة بسبب كفرهم، واللام للعهد أو للجنس فيدخلون فيها مع غيرهم من الكفار. ﴿ بِيَسْمَا ﴾ فاعل "بئس" مضمرة، و"ما" مفسرة له، و﴿ أَنْ يَكْفُرُوا ﴾ هو المذموم، وقال الفراء: "بئسما" مركب كـ "حبذا"، وقال الكسائي: "ما" مصدرية أي اشتراؤهم؛ فهي فاعلة. ﴿ اسْتَرُوا ﴾ هنا بمعنى باعوا. ﴿ أَنْ يَكْفُرُوا ﴾ في موضع خبر ابتداء، أو مبتدأ كاسم المذموم في "بئس"، أو مفعول من أجله، أو بدل من المضمير في "به". ﴿ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ القرآن أو التوراة؛ لأنهم كفروا بما فيها من ذكر محمد ﷺ. ﴿ أَنْ يُنَزَّلَ ﴾ في موضع مفعول من أجله. ﴿ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ القرآن والرسالة. ﴿ مَنْ يَشَاءُ ﴾ يعني محمدا ﷺ، والمعنى: أنهم إنما كفروا حسداً لمحمد ﷺ لما تفضل الله عليه بالرسالة. ﴿ بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾ أي: بغضب لكفرهم بمحمد ﷺ، "على غضب" لكفرهم بعبسى عليه السلام، أو لعبادتهم العجل، أو لقولهم: عزيز ابن الله، أو لغير ذلك من قبائحهم. ﴿ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ القرآن. ﴿ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا ﴾ التوراة. ﴿ بِمَا وَرَاءَهُ ﴾ أي بما بعده وهو القرآن.

قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٦٠﴾ \* وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ  
بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ أَخَذْتُمْ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ - وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٦١﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا  
فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي  
قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٦٢﴾  
قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ  
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٣﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٦٤﴾

﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ ﴾ رد عليهم فيما ادعوا من الإيـان بالتوراة وتكذيب لهم، وذكر الماضي بلفظ المستقبل إشارة إلى ثبوته فكانه دائم لما رضي هؤلاء به. ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ شرطية بمعنى القـح في إيـانهم، وجوابها يدل عليه ما قبل، أو نافية فيوقف قبلها، والأول أظهر. ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ يعني: المعجزات كالعصا وقلق البحر وغير ذلك. ﴿ أَخَذْتُمْ الْعِجْلَ ﴾ ذكر هنا على وجه الـم لهم والإبطال لقولهم "نؤمنُ بيا أنزل علينا" وكذلك رفع الطور، وذكر قبل هذا على وجه تعداد النعم لقوله: ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ ﴾ ولقوله ﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾، وعطفه بـ"ثم" في الموضوعين إشارة إلى قبـح ما فعلوه من ذلك. ﴿ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ الضمير لموسى عليه السلام، أي: من بعد غيبته في مناجاة الله على جبل الطور. ﴿ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ أي سمعنا قولك وعصينا أمرك، ويحتـل أن يكونوا قالوه بلسان المقال أو بلسان الحال. ﴿ وَأَشْرَبُوا ﴾ عبارة عن تمكـن حب العجل في قلوبهم فهو مجاز تشبيها بشرب الماء أو بشرب الصبغ في الثوب، وفي الكلام محذوف أي: أشربوا حب العجل وقيل: إن موسى برد العجل بالمبرد ورمى برادته في الماء فشربه، فالشرب على هذا حقيقة، ويرد هذا قوله: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾. ﴿ بِكُفْرِهِمْ ﴾ الباء سببية للتعليل، أو بمعنى المصاحبة. ﴿ يَأْمُرُكُمْ ﴾ إسناد الأمر إلى إيـانهم مجاز على وجه التهكم فهو كقوله: ﴿ أَصْلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ ﴾ وكذلك إضافة الإيـان إليهم. ﴿ إِنْ كُنْتُمْ ﴾ شرط أو نفي. ﴿ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ ﴾ بالقلب واللسان أو باللسان خاصة، وذلك أمر على وجه التعجيز والتبكيـة؛ لأن من علم أنه من أهل الجنة اشتاق إليها، وورد أنهم لو تمناوا الموت لما اتوا في الحين، وقيل: إن ذلك معجزة للنبي ﷺ دامت طول حياته. ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ ﴾ إن قيل: لم قال في هذه السورة "ولن يتمنوه" وفي الجمعة ﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْهُ ﴾ فنفي هنا بـ"لن" وفي الجمعة بـ"لا"؟ فقال شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: الجواب أنه لما كان الشرط في البقرة مستقبلا وهو قوله: ﴿ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً ﴾ جاء جوابه بـ"لن" التي تخلص الفعل للاستقبال، ولما كان الشرط في الجمعة حالا وهو قوله: ﴿ إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ ﴾ جاء جوابه بـ"لا" التي تدخل على الحال وقد تدخل على المستقبل. ﴿ بِمَا قَدَّمْت ﴾ أي: لسبب ذنوبهم وكفرهم. ﴿ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ تهديد لهم.



وَلَتَجِدَنَّهُمْ وَأَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْحَرَ حَيْهٍ، مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾  
 قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ، عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٦٩﴾ أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ فيه وجهان؛ أحدهما: أن يكون عطفًا على ما قبله فيوصل به، والمعنى: أن اليهود أحرص على الحياة من الناس ومن الذين أشركوا، فحمل على المعنى كأنه قال: أحرص من الناس ومن الذين أشركوا، وخص "الذين أشركوا" بالذكر بعد دخولهم في عموم الناس؛ لأنهم لا يؤمنون بالآخرة بإفراط حبهم للحياة الدنيا، والآخر: أن يكون "ومن الذين أشركوا" ابتداءً لكلام فيوقف على ما قبله والمعنى: من الذين أشركوا قوم. ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ فحذف الموصوف، وقيل: أراد به المجوس؛ لأنهم يقولون للوكلهم عش ألف سنة والأول أظهر؛ لأن الكلام إنما هو في اليهود وعلى الثاني يخرج الكلام عنهم. ﴿ وَمَا هُوَ بِمُرْحَرَ حَيْهٍ ﴾ الآية فيها وجهان؛ أحدهما: أن يكون "هو" عائد على "أحدهم" و"أن يعمر" فاعل لمزحزحه، والآخر: أن يكون "هو" للتعير و"أن يعمر" بدل. ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ ﴾ الآية سببها: أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: جبريل عدونا لأنه ملك الشدائد والعذاب فلذلك لا نؤمن بك، ولو جاءك ميكائيل لآمنابك لأنه ملك الأمطار والرحمة. ﴿ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ ﴾ فيه وجهان؛ أحدهما: فإن الله نزل جبريل، والآخر: فإن جبريل نزل القرآن وهذا أظهر لأن قوله: ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ من أوصاف القرآن والمعنى: الرد على اليهود بأحد وجهين؛ أحدهما: من كان عدوا لجبريل فلا ينبغي له أن يعاديه؛ لأنه نزل على قلبك فهو مستحق للمحبة ويؤكد هذا قوله: ﴿ وَهُدًى وَبُشْرَى ﴾ والثاني: من كان عدوا لجبريل فإنما عاداه لأنه نزل على قلبك، فكان هذا تعليل لعداوتهم لجبريل، وجبريل وميكائيل ذكرا بعد الملائكة تجديدا للتشريف والتعظيم. ﴿ أَوْ كَلَّمَا ﴾ الواو للعطف وقال الأخفش: زائدة. ﴿ نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ نزلت في مالك بن الصيف اليهودي وكان قد قال: والله ما أخذ علينا عهدا أن نؤمن بمحمد رسولا، يعني محمدا ﷺ ﴿ كِتَابَ اللَّهِ ﴾ يعني القرآن أو التوراة لما فيها من ذكر محمد ﷺ.

وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْطِينَ  
كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا  
يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ  
بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا  
يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ  
أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٩﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ  
خَيْرٌ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١١٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا آنظُرْنَا

﴿وَاتَّبِعُوا﴾ أي: اليهود الذين في زمن محمد ﷺ أو المتقدمون. ﴿مَا تَتْلُوا﴾ هو من القراءة أو الاتباع. ﴿عَلَىٰ مُلْكٍ  
سُلَيْمَانَ﴾ أي: في ملك، أو على عهد ملك سليمان. ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ تنزيه له مما نسبوه إليه؛ وذلك أن سليمان  
عليه السلام دفن السحر ليذهبه فأخرجوه بعد موته ونسبوه إليه، وقالت اليهود: إنها كان سليمان ساحرا، وقيل:  
إن الشياطين استرقوا السمع وألقوه إلى الكهان، فجمع سليمان ما كتبوا من ذلك ودفنه، فلما مات قالوا ذلك علم  
سليمان. ﴿الشَّيْطَانِ كَفَرُوا﴾ بتعليم السحر، أو بالعمل به، أو بنسبته إلى سليمان عليه السلام. ﴿وَمَا أُنزِلَ﴾ نفي،  
أو عطف على "السحر" أو على "ما تتلوا". ﴿عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ إن كانت "ما" نافية فذلك تبرئة لهما من إنزال السحر  
عليهما إلا أن ذلك يرده آخر الآية، وإن كانت معطوفة بمعنى "الذي" فالمعنى أنها أنزل عليهما ضرب من السحر  
ابتلاء من الله لعباده أو ليعرف فيحذر منه، وقرئ "الملكين" بكسر اللام، وقال الحسن: هما عليجان؛ فعلى هذا يتعين  
أن تكون "ما" غير نافية. ﴿بِبَابِلَ﴾ موضع معروف. ﴿هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ اسمان علمان؛ وهما بدل من الملكين أو  
عطف بيان. ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ أي: محنة، وذلك تحذير من السحر. ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ أي: بتعلم السحر، ومن هنا  
أخذ مالك أن الساحر يقتل كفرا. ﴿يُفَرِّقُونَ﴾ زوال العصمة، أو المنع من الوطء. ﴿يَضُرُّهُمْ﴾ أي: في الآخرة.  
﴿عَلِمُوا﴾ أي اليهود والشياطين. ﴿اشْتَرَاهُ﴾ أي: اشتغل به، وذكر الشراء لأنهم كانوا يعطون الأجرة عليه.  
﴿شَرَوْا﴾ هنا بمعنى باعوا. ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ من الثواب وهو جواب ﴿لَوْ أَنَّهُمْ﴾، وإنما جاء جوابها بجملة اسمية  
وعدل عن الفعلية لما في ذلك من الدلالة على إثبات الثواب واستقراره، وقيل: الجواب محذوف أي: لا يثبوا. ﴿لَوْ  
كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ في الموضوعين نفي لعلمهم. فإن قيل: كيف نفاه وقد أثبتته في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾؟ فالجواب:  
أنهم لم ينفعهم علمهم فكأنهم لم يعلموا. ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ كان المسلمون يقولون للنبي ﷺ: يا رسول الله راعنا،  
وذلك من المراعاة؛ أي راقبنا وانظرنا، فكان اليهود يقولونها ويعنون بها معنى الرعونة على وجه الإذابة للنبي ﷺ،

وَأَسْمَعُوا ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٤﴾ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا  
 الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ سَخَطٌ بِرَحْمَتِهِ ۗ مَنْ يَشَأْ ۗ وَاللَّهُ ذُو  
 الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٥﴾ ۞ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ  
 عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُمْ مِنْ  
 دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٧﴾ أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ۗ  
 وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٨﴾ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ  
 يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا ۖ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ۖ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا

وربما كانوا يقولونها على معنى النداء، فهي الله المسلمين أن يقولوا هذه الكلمة لاشتراك معناها بين ما قصده  
 المسلمون وما قصده اليهود فالنهي سدا للذريعة، وأمرنا أن يقولوا: انظرونا، لخلوه عن ذلك الاحتمال المذموم؛  
 وهو من النظر أو الانتظار، وقيل: إنما نهي المسلمون عنها لما فيها من الجفاء وقلة التوقير. ﴿وَأَسْمَعُوا﴾ عطف على  
 "قولوا" لا على معمولها، والمعنى الأمر بالطاعة والانقياد. ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جنس يعم نوعين أهل الكتاب  
 والمشركين من العرب ولذلك فسره بهما، ومعنى الآية: أنهم لا يحبون أن ينزل الله خيرا على المسلمين. ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾  
 "من" للتبعية، وقيل زائدة لتقدم النفي في قوله "ما يود". ﴿بِرَحْمَتِهِ﴾ قيل: القرآن وقيل: النبوة، والعموم أولى،  
 ومعنى الآية الرد على من كره الخير للمسلمين. ﴿مَا نَنْسَخْ﴾ أي: نزيل حكمه ولفظه أو أحدهما، وقرئ بضم  
 النون؛ أي: نأمر بنسخه. ﴿أَوْ نُنْسِهَا﴾ من النسيان وهو ضد الذكر، أي: ينساها النبي ﷺ بإذن الله كقوله:  
 ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَىٰ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أو بمعنى الترك؛ أي: نتركها غير منزلة أو غير منسوخة، وقرئ بالهمز  
 بمعنى التأخير أي نؤخر إنزالها أو نسخها. ﴿بِخَيْرٍ﴾ في خفة العمل أو في الثواب أو أعم. ﴿قَدِيرٌ﴾ استدلال على  
 جواز النسخ لأنه من المقدرات خلافا لليهود لعنهم الله فإنهم أحالوه على الله، وهو جائز عقلا وواقع شرعا فكما  
 نسخت شريعتهم ما قبلها نسخها ما بعدها. ﴿تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ أي: تطلبوا منه الآيات، ويحتمل السؤال عن العلم  
 والأول أرجح لما بعده فإنه شبهه بسؤالهم لموسى وهو قولهم له: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾. ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾  
 أي: تمنوا ونزلت الآية في حبي بن أخطب وأخيه أبي ياسر وأشباههما من اليهود الذين كانوا يحرصون على فتنة  
 المسلمين ويطمعون أن يردوهم عن الإسلام. ﴿حَسَدًا﴾ مفعول من أجله، أو مصدر في موضع الحال والعامل فيه  
 ما قبله فيجب وصله معه، وقيل: هو مصدر والعامل فيه محذوف تقديره: يحسدونكم حسدا فعلى هذا يوقف على  
 ما قبله، والأول أظهر وأرجح. ﴿مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ يتعلق بـ"حسدا" وقيل بـ"يود". ﴿فَاعْفُوا﴾ منسوخ بالسيف.

وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا  
 الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ نَّحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٧﴾  
 وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا ۗ تِلْكَ أُمَمِيهِمْ ۗ قُلْ هَاتُوا  
 بُرْهَانَكُمْ ۖ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨﴾ بَلَىٰ مَن أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ  
 عِنْدَ رَبِّهِ ۖ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرِيَّةُ عَلَىٰ  
 شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرِيَّةُ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۗ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ  
 لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۗ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُم يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَن  
 أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَاسْمُ آبَائِهِ أَوْ آبَائِهِمْ أَوْ كَانَ  
 لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ۗ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢١﴾  
 وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۗ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢﴾

﴿بِأَمْرِهِ﴾ يعني: إباحة قتالهم أو وصول آجالهم. ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ﴾ الآية أي: قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا، وقالت النصراني: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا. ﴿هُودًا﴾ يعني: اليهود؛ وهذه الكلمة جمع هايد أو مصدر وصف به، وقال الفراء: حذفت منه ياء يهود على غير قياس. ﴿أُمَمِيهِمْ﴾ أكاديبهم أو ما يتمنون. ﴿هَاتُوا﴾ أمر على وجه التعجيز والرد عليهم، وهو من هاتي هاتي ولم ينطق به، وقيل: أصله آتوا وأبدل من الهمزة هاء. ﴿بَلَىٰ﴾ إيجاب لما نفوا، أي: يدخلها من ليس يهوديا ولا نصرانيا. ﴿مَن أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أي: دخل في الإسلام أو أخلص، وذكر الوجه لشرفه والمراد جملة الإنسان. ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ الآية سببها اجتماع نصراني نجران مع يهود المدينة فذمت كل طائفة الأخرى. ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ﴾ تقييح لقلوبهم مع تلاوتهم الكتاب. ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ المشركون من العرب لأنهم لا كتاب لهم. ﴿وَمَن أَظْلَمُ﴾ لفظها الاستفهام ومعناها: لا أحد أظلم منه حيث وقع. ﴿مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ قريش منعت الكعبة أو النصراني منعوا بيت المقدس أو على العموم. ﴿خَائِفِينَ﴾ في حق قريش لقوله عليه السلام: «لا يجح بعد هذا العام مشرك» [البخاري: 369]، وفي حق النصراني ضربهم عند بيت المقدس أو الجزية. ﴿خِزْيٌ﴾ في حق قريش غلبتهم وفتح مكة، وفي حق النصراني فتح بيت المقدس أو الجزية. ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾ في الحديث الصحيح: أنهم صلوا ليلة في سفر إلى غير القبلة بسبب الظلمة فنزلت، وقيل: هي في تنفل المسافر حيث ما توجهت به دابته، وقيل: هي راجعة إلى ما قبلها أي: إن مُنَعْتَم من مساجد الله فصلوا حيث كنتم، وقيل: إنها احتجاج على من أنكر تحويل القبلة فهي كقوله بعد هذا: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ الآية، والقول الأول هو الصحيح، ويؤخذ منه أن من أخطأ القبلة فلا تجب الإعادة عليه وهو مذهب مالك. ﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾ المراد به هنا كقوله: ﴿ابْتَغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ أي: رضاه، وقيل: معناه هنا الجهة التي وجهنا إليها، وأما قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ﴾ فهو من التشابه الذي يجب التسليم له من غير تكليف، ويرد علمه إلى الله،

وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحٰنَهُ ۗ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ۗ كُلُّ لَّهُ قٰنِیْنٌ ﴿۱۱﴾  
 بِدِیْعِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ۗ وَاِذَا قَضٰیٰٓ اَمْرًا فَاِنَّمَا یَقُوْلُ لَّهُ كُنْ فَاَیْکُوْنُ ﴿۱۲﴾ وَقَالَ الَّذِیْنَ لَا  
 یَعْلَمُوْنَ لَوْلَا یُكَلِّمُنَا اللّٰهُ اَوْ تَاْتِنَا ؕ اٰیَةٌ کَذٰلِکَ قَالَ الَّذِیْنَ مِنْ قَبْلِہِم مِّثْلَ قَوْلِہِمَّ

وقال الأصوليون: هو عبارة عن الذات أو عن الوجود، وقال بعضهم: هو صفة ثابتة بالسمع. ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ﴾  
 قالت اليهود: عزيز ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقالت الصابئون وبعض العرب: الملائكة بنات الله.  
 ﴿سُبْحٰنَهُ﴾ تنزيه له عن قولهم. ﴿بَلْ لَّهُ﴾ الآية رد عليهم؛ لأن الكل ملكه، والعبودية تنافي النبوة. ﴿قَانِیْنٌ﴾  
 أي: طائعون منقادون. ﴿بِدِیْعِ السَّمٰوٰتِ﴾ أي: مخترعها وخالقها ابتداء. ﴿وَاِذَا قَضٰیٰٓ اَمْرًا﴾ أي: قدره أو  
 أمضاه، قال ابن عطية: يتجه في الآية المعنيان؛ فعلى مذهب أهل السنة قدر في الأزل وأمضى فيه، وعلى مذهب  
 المعتزلة أمضى عند الخلق والإيجاد، قلت: لا يكون "قضى" هنا بمعنى قدر لأن القدر قديم، "وإذا" تقتضي  
 الحدوث والاستقبال وذلك يناقض القدم، وإنما "قضى" هنا بمعنى أمضى أو فعل أو أوجد كقوله: ﴿فَقَضَاهُنَّ﴾  
 سَبْعَ سَمَاوٰتٍ، وقد قيل: إنه بمعنى حتم الأمر أو بمعنى حكم، والأمر هنا بمعنى الشيء وهو واحد الأمور  
 وليس بمصدر: أمر يأمر. ﴿فَاِنَّمَا یَقُوْلُ لَّهُ كُنْ فَاَیْکُوْنُ﴾ قال الأصوليون: إن هذا عبارة عن نفوذ قدرة الله تعالى  
 وليس بقول حقيقي؛ لأنه إن كان قول "كن" خطاباً للشيء في حال عدمه لم يصح لأن المعدوم لا يخاطب، وإن كان  
 خطاباً للشيء في حال وجوده لم يصح لأنه قد كان، وتحصيل الحاصل غير مطلوب، وحمله المفسرون على حقيقته  
 وأجابوا عن ذلك بأربعة أوجه: أحدها: أن الشيء الذي يقول له "كن فيكون" هو موجود في علم الله، وإنما يقول له  
 "كن" ليخرجه إلى العيان لنا. والثاني: أن قول "كن" لا يتقدم على وجود الشيء ولا يتأخر عنه قاله الطبري. والثالث:  
 أن ذلك خطاب لمن كان موجوداً على حاله، فيؤمر بأن يكون على حالة أخرى؛ كإحياء الموتى ومسح الكفار؛ وهذا  
 ضعيف لأنه تخصيص من غير مخصص. والرابع: أن معنى "يقول له" يقول من أجله فلا يلزم خطابه، والأول  
 أحسن هذه الأجوبة، وقال ابن عطية: تلخيص المعتقد في هذه الآية: أن الله عز وجل لم يزل أمر اللعدومات بشرط  
 وجودها، فكل ما في الآية مما يقتضي الاستقبال فهو بحسب المأمورات، إذ المحدثات تجيء بعد أن لم تكن. "فيكون"  
 رفع على الاستئناف. قال سيبويه: معناه فهو يكون وقال غيره: "يكون" عطف على "يقول" واختاره الطبري. قال ابن  
 عطية: وهو فاسد من جهة المعنى؛ لأنه يقتضي أن القول مع التكوين والوجود. وفي هذا نظر. ﴿وَقَالَ الَّذِیْنَ لَا  
 یَعْلَمُوْنَ﴾ هم هنا وفي الموضع الأول، كفار العرب على الأصح، وقيل: هنا هم اليهود والنصارى. ﴿قَالَ الَّذِیْنَ مِنْ  
 قَبْلِہِم﴾ يعني اليهود والنصارى على القول بأن "الذين لا يعلمون" كفار العرب، وأما على القول بأن "الذين لا  
 يعلمون" اليهود والنصارى ف"الذين من قبلهم" أمم الأنبياء المتقدمين. ﴿لَوْلَا یُكَلِّمُنَا اللّٰهُ﴾ "لولا" هنا عرض  
 والمعنى: أنهم قالوا لن نؤمن لك حتى يكلمنا الله. ﴿أَوْ تَاْتِنَا ؕ اٰیَةٌ﴾ أي: دلالة من المعجزات كقولهم: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ  
 لَكَ حَتَّىٰ تَفْجَرَنَا مِنَ الْاَرْضِ یَنْبُوْعًا﴾ وما بعده. ﴿كَذٰلِکَ قَالَ الَّذِیْنَ مِنْ قَبْلِہِم﴾ يعني: اليهود والنصارى على

تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا آيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا  
وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١٣١﴾ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ  
قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا  
لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٣٢﴾ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ  
يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ ۗ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٣٣﴾

القول بأن "الذين لا يعلمون" كفار العرب، وأما على القول بأن "الذين لا يعلمون" اليهود والنصارى ف"الذين من قبلهم" هم أمم الأنبياء المتقدمين. ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الضمير ل"الذين لا يعلمون" و"الذين من قبلهم"، وتشابه قلوبهم هو في الكفر أو في طلب ما لا يصح أن يطلب وهو قولهم: ﴿لَوْلَا يَكْلُمُنَا اللَّهُ﴾. ﴿قَدْ بَيَّنَّا آيَاتِ﴾ أخبر تعالى أنه قد بين الآيات الدالة على وحدانيته وعلى صدق رسوله ﷺ فكيف تطلب الآيات بعد بيانها ولكن إنما فهمها الذين ﴿يُوقِنُونَ﴾ فلذلك خصهم بالذكر، بخلاف الكفار المعاندين فإنهم لا تنفعهم الآيات لعنادهم. ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ خطاب لمحمد ﷺ، والمراد "بالحق" التوحيد وكل ما جاءت به الشريعة. ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ أي: تبشر المؤمنين بالجنة وتذير الكافرين بالنار وهذا معناه حيث وقع. ﴿وَلَا تُسْأَلُ﴾ بالجزم نهي، وسببها: أن رسول الله ﷺ سأل عن حال آبائه في الآخرة فنزلت، وقيل: إن ذلك على معنى التهويل كقولك: لا تسأل عن فلان لشدة حاله. وقرأ غير نافع بضم التاء واللام؛ أي: لا تسأل في القيامة عن ذنوبهم. ﴿مِلَّتَهُمْ﴾ ذكرت مفردة وإن كانت ملتين لأنها متفتتان في الكفر فكأنها ملة واحدة. ﴿قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ رد على اليهود والنصارى، والمعنى أن الذي أنت عليه يا محمد هو الهدى الحقيقي؛ لأنه هدى من عند الله بخلاف ما يدعيه اليهود والنصارى. ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ جمع هوى، ويعني به ما هم عليه من الأديان الفاسدة والأقوال المضلة؛ لأنهم اتبعوها بغير حجة بل بهوى النفوس، والضمير لليهود والنصارى، والخطاب لمحمد ﷺ، وقد علم الله أنه لا يتبع أهواءهم ولكن قال ذلك على وجه التهديد لو وقع ذلك فهو على معنى الفرض والتقدير، ويحتمل أن يكون خطابا له ﷺ والمراد غيره. ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني: المسلمين و"الكتاب" على هذا القرآن، وقيل: هم من أسلم من بني إسرائيل و"الكتاب" على هذا التوراة، ويحتمل العموم ويكون "الكتاب" اسم جنس. ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ أي: يقرؤونه كما يجب من التدبر له والعمل به. وقيل: معناه يتبعونه حق اتباعه بامتثال أوامره واجتتاب نواهيه، والأول أظهر؛ فإن التلاوة وإن كانت تقال بمعنى القراءة وبمعنى الاتباع، فإنها أظهر في معنى التلاوة، لا سيما إذا كانت تلاوة الكتاب، ويحتمل أن تكون هذه الجملة في موضع خبر "الذين" فيتم الكلام ويوقف عليها، ويحتمل أن تكون هذه الجملة في موضع الحال ويكون الخبر ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ وهذا أرجح؛ لأن مقصود الكلام الثناء عليهم بالإيمان أو إقامة الحجة بإيمانهم على غيرهم ممن لم يؤمن.

يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا  
لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفْعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٣٢﴾  
﴿ وَإِذْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رِئْهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴿١٣٣﴾ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي  
قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٣٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخَذُوا مِنْ مَّقَامِ  
إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴿١٣٥﴾ وَعَهْدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ  
وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٣٦﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ الآية، تقدم الكلام على نظيرها. ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا ﴾ أي: اختر، فالعامل في "إذ" فعل مضمّر تقديره  
اذكروا، وقوله: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ ﴾. ﴿ بِكَلِمَاتٍ ﴾ قيل: مناسك الحج، وقيل: خصال الفطرة العشرة وهي: المضمضة  
والسواك والاستنشاق وقص الشارب وإعفاء اللحية وقص الأظافر ونتف الإبطين وحلق العانة والختان  
والاستنجاء، وقيل: هي ثلاثون خصلة عشرة ذكرت في براءة من قوله: ﴿ النَّاتِيُونَ الْعَابِدُونَ ﴾ وعشرة في الأحزاب  
من قوله: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾، وعشرة في المعارج من قوله: ﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾. ﴿ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ أي: عمل  
بهن. ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ استفهام أو رغبة. ﴿ عَهْدِي ﴾ الإمامة. ﴿ الْبَيْتِ ﴾ الكعبة. ﴿ مَثَابَةً ﴾ اسم مكان من قولك  
ثاب إذا رجع لأن الناس يرجعون إليه عاما بعد عام. ﴿ وَاتَّخَذُوا ﴾ بالفتح إخبار عن المتبعين لإبراهيم عليه السلام،  
وبالكسر أمر لهذه الأمة. وافق قول عمر رضي الله عنه: لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، وقيل: أمر لإبراهيم وشيعته،  
وقيل: لبني إسرائيل فهو على هذا عطف على قوله: ﴿ أَذْكُرُوا نِعْمَتِي ﴾ وهذا بعيد. ﴿ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ هو الحجر  
الذي صعد عليه حين بناء الكعبة، وقيل المسجد الحرام. ﴿ وَعَهْدْنَا ﴾ عبارة عن الأمر والوصية. ﴿ طَهِّرَا بَيْتِيَ ﴾  
عبارة عن بنيانه بنية خالصة كقوله: ﴿ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى ﴾ وقيل: المعنى طهراه عن عبادة الأصنام. ﴿ لِلطَّائِفِينَ ﴾  
هم الذين يطوفون بالكعبة، وقيل: الغرباء القادمون على مكة والأول أظهر. ﴿ وَالْعَاكِفِينَ ﴾ هم المعتكفون في  
المسجد، وقيل: المصلون، وقيل: المجاورون بمكة من الغرباء، وقيل: أهل مكة، والعكوف في اللغة اللزوم.  
﴿ بَلَدًا ﴾ يعني مكة. ﴿ آمِنًا ﴾ أي: مما يصيب غيره من الخسف والعذاب، وقيل: آمنا من إغارة الناس على أهله؛ لأن  
العرب كان يغير بعضهم على بعض، وكانوا لا يتعرضون لأهل مكة؛ وهذا أرجح لقوله: ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا  
حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ فإن قيل: لم قال في البقرة "هذا بلدا آمنا" وفي إبراهيم: ﴿ هَذَا الْبَلَدِ آمِنًا ﴾  
فعرف "البلد" في إبراهيم ونكره في البقرة؟ فعن ذلك ثلاثة أجوبة: الجواب الأول: قاله شيخنا الأستاذ أبو جعفر  
ابن الزبير: وهو أنه تقدم في البقرة ذكر البيت في قوله: ﴿ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾ وذكر البيت يقتضي بالملازمة ذكر  
البلد الذي هو فيه، فلم يحتج إلى تعريفه، بخلاف آية إبراهيم فإنها لم يتقدم قبلها ما يقتضي ذكر البلد ولا المعرفة به  
فذكره بلام التعريف. الجواب الثاني: قاله السهيلي: وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة حين نزول آية إبراهيم لأنها مكية؛

مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأَمَتَّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ  
وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ  
أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا  
مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا  
عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَنْ  
يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ  
لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَوْصَىٰ بِهَا  
إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ  
كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ  
وَالِإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ  
خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا كُونُوا

فلذلك قال فيه ﴿الْبَلَدُ﴾ بلام التعريف التي للحضور، كقولك هذا الرجل وهو حاضر، بخلاف آية البقرة  
فإنها مدنية، ولم تكن مكة حاضرة حين نزولها، فلم يُعرفها بلام الحضور؛ وفي هذا نظر؛ لأن ذلك الكلام  
حكاية عن إبراهيم عليه السلام، فلا فرق بين نزوله بمكة أو المدينة. الجواب الثالث: قاله بعض المشاركة: أنه  
قال ﴿هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ قبل أن يكون بلداً فكأنه قال: اجعل هذا الموضع بلداً آمناً وقال "هذا البلد" بعدما صار  
بلداً؛ وهذا يقتضي أن إبراهيم دعا بهذا الدعاء مرتين، والظاهر أنه مرة واحدة حكى لفظه فيها على وجهين.  
﴿مَنْ آمَنَ﴾ بدل بعض من كل. ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ أي: قال الله: وأرزق من كفر؛ لأن الله يرزق في الدنيا المؤمن  
والكافر. ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ على حذف القول أي: يقولون ذلك. ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ أي: علمنا مواضع  
الحج، وقيل: العبادات. ﴿فِيهِمْ﴾ أي: في ذريتنا ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ هو محمد ﷺ، ولذلك قال ﷺ: «أنا دعوة  
إبراهيم» [الحاكم: 3525] والضمير المجرور لذرية إبراهيم وإسماعيل وهم العرب الذين من نسل عدنان، وأما  
الذين من نسل قحطان؛ فاختلف فيهم هل هم ذرية إسماعيل أم لا؟ ﴿الْكِتَابَ﴾ هنا القرآن. ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾  
هنا هي السنة. ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي: يطهرهم من الكفر والذنوب. ﴿سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ منصوب على التشبيه بالمفعول  
به وقيل: الأصل في نفسه ثم حذف الجار فانتصب، وقيل: تمييز. ﴿وَأَوْصَىٰ بِهَا﴾ أي: بالكلمة والملة. ﴿وَيَعْقُوبُ﴾  
بالرفع عطف على "إبراهيم" فهو موصل، وقرئ بالنصب عطفاً على ﴿بَنِيهِ﴾ فهو موصل. ﴿أَمْ كُنْتُمْ﴾ "أم" هنا  
منقطعة معناها الاستفهام والإنكار. ﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾ كان عمه، والعم يسمى أباً. ﴿وَقَالُوا كُونُوا﴾ أي: قالت



هُودًا أَوْ نَصْرِي يَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٦﴾ قُولُوا ءَامَنَّا  
 بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ  
 مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٧﴾  
 فَإِنِ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِءَ فَقَدِ اهْتَدَوْا ۗ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقِ  
 فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٨﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ  
 لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٩﴾ قُلْ اتَّحَاجُونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلِنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ وَأَعْمَلَكُمْ  
 وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٤٠﴾ أَمْ يَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ  
 كَانُوا هُودًا أَوْ نَصْرِي ۗ قُلْ -أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ  
 اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۗ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ۗ وَلَا  
 تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٢﴾ \* سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي  
 كَانُوا عَلَيْهَا ۗ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۗ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٣﴾ وَكَذَٰلِكَ  
 جَعَلْنَاكُمْ ءُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ

اليهود: كونوا هودا، وقالت النصارى: كونوا نصارى. ﴿بَلْ مِلَّةٌ﴾ منصوب بإضمار فعل. ﴿لَا نُفَرِّقُ﴾ أي: لا  
 نؤمن بالبعض دون البعض، وهذا برهان لأن كل من أتى بالمعجزة فهو نبي، فالكفر ببعضهم والإيمان ببعضهم  
 تناقض. ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ﴾ وعد ظهر مصداقه بقتل بني قريظة وإجلاء بني النضير وغير ذلك. ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾  
 أي: دينه، وهو استعارة من صبغ الثوب وغيره، ونصبه على الإغراء أو على المصدر من المعاني المتقدمة أو بدل  
 من "ملة إبراهيم". ﴿كَتَمَ شَهَادَةً﴾ من الشهادة بأن الأنبياء على الحنيفة. ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ يتعلق بـ"كتم" أو بـ"عنده"؛  
 كأن المعنى شهادة تخلصت له من الله. ﴿سَيَقُولُ﴾ ظاهره الإعلام بقولهم قبل وقوعه إلا أن ابن عباس رضي الله عنه قال:  
 نزلت بعد قولهم. ﴿السُّفَهَاءُ﴾ هنا اليهود أو المشركون أو المنافقون. ﴿مَا وَاللَّهِمُ﴾ أي: ما ولي المسلمين ﴿عَن  
 قِبْلَتِهِمْ﴾ الأولى وهي بيت المقدس إلى الكعبة. ﴿لِلَّهِ الْمَشْرِقُ﴾ الآية رد عليهم بأن الله يحكم ما يريد، ويولي  
 عباده حيث شاء؛ لأن الجهات كلها له. ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي كما هديناكم. ﴿جَعَلْنَاكُمْ ءُمَّةً وَسَطًا﴾ أي: خيارا.  
 ﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ أي: تشهدون يوم القيامة بإبلاغ الرسل إلى قومهم. ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أي: بأعمالكم، قال  
 عليه الصلاة والسلام: «أقول كما قال أخي عيسى ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ الآية» [البخاري: 3447].

وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ ۖ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٧﴾ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۗ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۗ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۗ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ۚ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَيْنَ آتَبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۚ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٢٩﴾

فإن قيل: لم قدم المجرور في قوله "عليكم شهيدا" وآخره في قوله "شهداء على الناس"؟ فالجواب: أن تقديم المعمولات يفيد الحصر فقدم المجرور في قوله "عليكم شهيدا" لاختصاص شهادة النبي ﷺ بأمرته، ولم يقدمه في قوله "شهداء على الناس" لأنه لم يقصد الحصر. ﴿الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ فيها قولان؛ أحدهما: أنها الكعبة وهو قول ابن عباس ؓ، والآخر: أنها بيت المقدس وهو قول قتادة وعطاء والسدي، وهذا مع ظاهر قوله: "كنت عليها" لأن النبي ﷺ كان يصلي إلى بيت المقدس ثم انصرف عنه إلى الكعبة، وأما قول ابن عباس ؓ فتأويله بوجهين؛ الأول: أن "كنت" بمعنى أنت، والثاني: قيل إن النبي ﷺ صلى إلى الكعبة قبل بيت المقدس، وإعراب "التي كنت عليها" مفعول بـ"جعلنا" أو صفة للقبة، ومعنى الآية على القولين: اختبار وفتنة للناس بأمر القبة، فأما على قول قتادة: فإن الصلاة إلى بيت المقدس فتنة للعرب لأنهم كانوا يعظمون الكعبة، أو فتنة لمن أنكر تحويلها، وتقديره على هذا: ما جعلنا صرف القبة التي كنت عليها، وهذا أظهر؛ لأن الفتنة إنما وقعت عند صرف القبة، وأما على قول ابن عباس ؓ، فإن الصلاة إلى الكعبة فتنة لليهود؛ لأنهم يعظمون بيت المقدس، وهم مع ذلك ينكرون النسخ فأنكروا صرف القبة، أو فتنة لضعفاء المسلمين حتى رجع بعضهم عن الإسلام حين صرفت القبة. ﴿لِنَعْلَمَ﴾ أي: العلم الذي تقوم به الحجة على العبد، وهو إذا ظهر في الوجود ما علمه الله. ﴿يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ﴾ عبارة عن الارتداد عن الإسلام، وهو تشبيه بمن رجع يمشي إلى وراء. ﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ "إن" مخففة من الثقيلة، واسم "كان" ضمير الفعلة، وهي التحول عن القبة. ﴿إِيمَانَكُمْ﴾ هنا قيل: صلاتكم إلى بيت المقدس، واستدل به من قال: إن الأعمال من الإيثار. وقيل معناه: ثبوتكم على الإيثار حين انقلب غيركم بسبب تحويل القبة. ﴿تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ كان النبي ﷺ يرفع رأسه إلى السماء رجاء أن يؤمر بالصلاة إلى الكعبة. ﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ﴾ جهته. ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ﴾ خبر يتضمن النهي، ووحدهم قبلتهم وإن كانت جهتين لاستوائهما في البطلان. ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ لأن اليهود يستقبلون المغرب

الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٣٢﴾ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيُهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٣٣﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٣٥﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَادْكُرُونِي أذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٣٧﴾

والنصارى المشرق. ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ أي: يعرفون النبي ﷺ، أو القرآن، أو أمر القبلة. ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ مبالغة في وصف المعرفة، وقال عبد الله بن سلام رضي الله عنه: معرفتي بالنبي ﷺ أشد من معرفتي بابني؛ لأن ابني قد يمكن فيه الشك. ﴿وَلِكُلِّ﴾ أي: ولكل أحد، أو لكل طائفة. ﴿وِجْهَةٍ﴾ أي: جهة، ولم تحذف الواو لأنه ظرف مكان، وقيل: إنه مصدر ثبت فيه الواو على غير قياس. ﴿هُوَ مُوَلِّيُهَا﴾ أي: موليتها وجهه، وقرئ "مولاها" أي: وآله الله إليها، والمعنى: أن الله جعل لكل أمة قبلة. ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ أي: بادروا إلى الأعمال الصالحات. ﴿يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ﴾ أي: يبعثكم من قبوركم. ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ كرر تأكيدا أو ليناط به ما بعده. ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ الآية معناها: أن الصلاة إلى الكعبة ترفع حجة المعارضين من الناس؛ فإن أريد بـ"الناس" اليهود؛ فحجتهم أنهم يجدون في كتبهم أن النبي ﷺ يصلي إلى الكعبة فلما صلى إليها لم تبق لهم حجة على المسلمين، وإن أريد بهم قريش؛ فحجتهم أنهم قالوا قبلة آبائهم أولى به. ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ أي: من يتكلم بغير حجة ويعترض التحول إلى الكعبة، والاستثناء متصل لأنه استثناء من عموم الناس، ويحتمل الانقطاع على أن يكون استثناء ممن له حجة فإن "الذين ظلموا" هم الذين ليس لهم حجة. ﴿وَلَا تَمَّ﴾ متعلق بمحذوف أي: فعلت ذلك لأنتم، أو معطوف على "لئلا يكون". ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾ متعلق بقوله "لأنتم" أو بقوله "فاذكروني" والأول أظهر. ﴿فَادْكُرُونِي أذْكُرْكُمْ﴾ قال سعيد ابن المسيب: معناه اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب، وقيل: اذكروني بالدعاء والتسبيح ونحو ذلك، وقد أكثر المفسرون لا سيما المتصوفة في تفسير هذا الموضع بألفاظ لها معاني مخصوصة ولا دليل على التخصيص، وبالجملة هذه الآية بيان لشرف الذكر وبينها قول رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين

## يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢١٦﴾

يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، [البخاري: 7405]. والذكر ثلاثة أنواع؛ ذكر بالقلب، وباللسان، وبهما معا، واعلم أن الذكر أفضل الأعمال على الجملة، وإن ورد في بعض الأحاديث تفضيل غيره من الأعمال كالصلاة وغيرها فإن ذلك لما فيها من معنى الذكر والحضور مع الله تعالى، والدليل على فضيلة الذكر من ثلاثة أوجه؛ الأول: النصوص الواردة بتفضيله على سائر الأعمال قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة في سبيل الله، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «ذكر الله» [الترمذي: 3704]. وسئل ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال: «ذكر الله»، قيل: الذكر أفضل أم الجهاد في سبيل الله؟ فقال: «لو ضرب المجاهد بسيفه في الكفار حتى ينقطع سيفه ويختضب دما، لكان الذاكر لله أفضل منه» [الترمذي: 3703]. الوجه الثاني: أن الله تعالى حيث ما أمر بالذكر أو أثنى على الذاكرين اشترط فيه الكثرة فقال: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ولم يشترط ذلك في سائر الأعمال. الوجه الثالث: أن في الذكر مزية هي له خاصة ليست لغيره وهي الحضور في الحضرة العلية والوصول إلى القرب الذي عبر عنه ما ورد في الحديث من المجالسة والمعية، فإن الله تعالى يقول: «أنا جليس من ذكرني» [الديلمي: 4533]، ويقول: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني» [البخاري: 6856]. وللناس في المقصد بالذكر مقامان؛ فمقصد العامة اكتساب الأجور ومقصد الخاصة القرب والحضور؛ وبين المقامين بون بعيد فكم بين من يأخذ أجره وهو من وراء حجاب، وبين من يقرب حتى يكون من خواص الأحاب. واعلم أن الذكر على أنواع كثيرة؛ فمنها التهليل والتسبيح والتكبير والحمد والحوقة والحسبلة، وذكر كل اسم من أسماء الله تعالى، والصلاة على النبي ﷺ، والاستغفار، وغير ذلك، ولكل ذكر خاصية وثمره؛ فأما التهليل؛ فثمرته التوحيد؛ أعني التوحيد الخاص؛ فإن التوحيد العام حاصل لكل مؤمن، وأما التكبير؛ فثمرته التعظيم والإجلال لذي الجلال، وأما الحمد والأسماء التي معناها الإحسان والرحمة؛ كالرحمن الرحيم والكريم والغفار وشبه ذلك؛ فثمرتها ثلاث مقامات؛ وهي الشكر وقوة الرجاء والمحبة، فإن المحسن محبوب لا محالة، وأما الحوقة والحسبلة؛ فثمرتها التوكل على الله والتفويض إلى الله والثقة بالله، وأما الأسماء التي معانيها الاطلاع والإدراك؛ كالعليم والسميع والبصير والرقيب وشبه ذلك؛ فثمرتها المراقبة، وأما الصلاة على النبي ﷺ؛ فثمرتها شدة المحبة فيه والمحافظة على اتباع سنته، وأما الاستغفار؛ فثمرته الاستقامة على التقوى والمحافظة على شروط التوبة مع انكسار القلب بسبب الذنوب المتقدمة، ثم إن ثمرات الذكر بجميع الأسماء والصفات مجموعة في الذكر الفرد، وهو قولنا: الله، الله؛ فذلك هو الغاية وإليه المنتهى. ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ قد ذكر. ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ أي: بمعونته.

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ  
بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ﴿١٥٥﴾ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٦﴾  
الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٧﴾ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ  
مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ \* إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرَوَةَ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ﴾ قيل: إنها نزلت في الشهداء المقتولين في غزوة بدر، وكانوا أربعة عشر رجلاً؛ لما قتلوا حزن عليهم أقاربهم؛ فنزلت الآية مبينة لمنزلة الشهداء عند الله ومسلية لأقاربهم، ولا يخصصها نزولها فيهم بل حكمها على العموم في الشهداء. ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أي: نختبركم، وحيث ما جاء الاختبار في حق الله فمعناه أن يظهر في الوجود ما في علمه لتقوم الحجة على العبد، وليس كاختبار الناس بعضهم بعضاً؛ لأن الله يعلم ما كان وما يكون، والخطاب بهذا الابتلاء للمسلمين، وقيل: لكفار قريش، والأول أظهر لقوله بعد هذا "وبشر الصابرين". ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾ من الأعداء. ﴿وَالْجُوعِ﴾ بالجذب. ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ﴾ بالخسارة. ﴿وَالْأَنْفُسِ﴾ بالقتل، ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ بالجوائح، وقيل: ذلك كله بسبب الجهاد. ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ اللام للملك، والمالك يفعل في ملكه ما يشاء. ﴿رَاجِعُونَ﴾ تذكروا الآخرة لتهون عليهم مصائب الدنيا، وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «من أصابته مصيبة فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبي هذه وأخلف لي خيراً منها، أخلف الله له خيراً مما أصابه» قالت أم سلمة ؓ: فلما مات زوجي أبو سلمة ؓ قلت ذلك، فأبدلني الله به رسول الله ﷺ [مسلم: 2165]. فائدة: ورد ذكر الصبر في القرآن في أكثر من سبعين موضعاً، وذلك لعظمة موقعه في الدين، قال بعض العلماء: كل الحسنة لها أجر محصور من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصبر فإنه لا يحصر أجره لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. وذكر الله للصابرين ثمانية أنواع من الكرامة؛ أولها: المحبة قال: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾، والثاني: النصر قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، والثالث: غرفات الجنة قال: ﴿يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾، والرابع: الأجر الجزيل قال: ﴿إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، والأربعة الأخرى المذكورة في هذه الآية؛ فمنها البشارة قال: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾، والصلاة والرحمة والهداية قال: ﴿أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾، والصبر على أربعة أوجه؛ صبر على البلاء؛ وهو منع النفس من التسخط والهلع والجزع، وصبر على النعم؛ وهو تقيدها بالشكر وعدم الطغيان وعدم التكبر بها، وصبر على الطاعات: بالمحافظة والدوام عليها، وصبر على المعاصي: بكف النفس عنها، وفوق الصبر؛ التسليم، وهو ترك الاعتراض والتسخط ظاهراً وترك الكراهة باطناً، وفوق التسليم؛ الرضا بالقضاء، وهو سرور النفس بفعل الله، وهو صادر عن المحبة وكل ما يفعل المحبوب محبوب. ﴿إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرَوَةَ﴾ جبلان صغيران بمكة. ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أي: معالم دينه واحداها

فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٢٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّوْا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٣٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُّ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٣٢﴾ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٣٣﴾

شعيرة أو شعارة. ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ إباحة للسعي بين الصفا والمروة، والسعي بينهما واجب عند مالك والشافعي، وإنما جاء بلفظ يقتضي الإباحة لأن بعض الصحابة امتنعوا من السعي بينهما؛ لأنه كان في الجاهلية على الصفا صنم يقال له: أساف، وعلى المروة صنم يقال له: نائلة، فخافوا أن يكون السعي بينهما تعظيماً للصنمين، فرفع الله ما وقع في نفوسهم من ذلك، ثم إن السعي بينهما واجب بالسنة، قالت عائشة ؓ: سن رسول الله ﷺ السعي بين الصفا والمروة وليس لأحد تركه، وقيل: إن الوجوب يؤخذ من قوله "شعائر الله"، وهذا ضعيف؛ لأن شعائر الله منها واجبة ومنها مندوبة، وقد قيل: إن السعي مندوب. ﴿يَطَّوَّفُ﴾ أصله يتطوف، ثم أدمجت التاء في الطاء، وهذا الطواف يراد به السعي سبعة أشواط. ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ﴾ عام في أفعال البر أو خاصة بالسعي بين الصفا والمروة، فيقتضي أن السعي بينهما تطوع، ويؤخذ الوجوب من السنة أو معنى "تطوع" التطوع بحج بعد حج الفريضة. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ اليهود كتموا أمر محمد ﷺ. ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ التوراة هنا. ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الملائكة والمؤمنون، وقيل: المخلوقات إلا الثقلين، وقيل: البهائم لما يصيبهم من الجذب بذنوب الكافرين للحق. ﴿وَبَيَّنَّوْا﴾ إنما شرط في توبتهم أن يبينوا لأنهم كتموا. ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ هم المؤمنون فهو عام يراد به الخصوص؛ لأن المؤمنين هم الذين يعتد بلعنهم للكافرين، وقيل: يلعنهم جميع الناس في الآخرة. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: في اللعنة، وقيل: في النار. ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ من أنظر إذا أخر؛ أي: لا يؤخرون عن العذاب ولا يمهلون، أو من نظر لقوله: ﴿وَلَا يَنْظَرُ إِلَيْهِمْ﴾ إلا أن هذا يتعدى بإلى. ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ الواحد له ثلاثة معان كلها صحيحة في حق الله تعالى؛ أحدها: أنه لا ثاني له فهو نفي للعدد، والآخر: أنه لا شريك له ولا نظير، والثالث: أنه واحد لا يتبعض ولا ينقسم، وقد فسر المراد به هنا في قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾. واعلم أن توحيد الخلق لله تعالى على ثلاث درجات؛ الأولى: توحيد عامة المسلمين، وهو الذي يعصم النفس من الهلك في الدنيا وينجي من الخلود في النار في الآخرة، وهو نفي الشركاء والأنداد، والصاحبة والأولاد، والأشباه والأضداد، الدرجة الثانية: توحيد الخاصة، وهو أن يرى الأفعال كلها صادرة من الله وحده، يشاهد ذلك بطريق المكاشفة لا بطريق الاستدلال؛ فإن معرفة ذلك

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَضْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٣٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ

بطريق الاستدلال حاصلة لكل مؤمن، وإنما مقام الخاصة يقين في القلب بعلم ضروري لا يحتاج إلى دليل، وثمرة هذا العلم الانقطاع إلى الله تعالى والتوكل عليه وحده، واطراح جميع الخلق فلا يرجو إلا الله ولا يخاف أحدا سواه، إذ ليس يرى فاعلا إلا إياه، ويرى جميع الخلق في قبضة القهر ليس بيدهم شيء من الأمر؛ فيطرح الأسباب وينبذ الأرباب، والدرجة الثالثة: ألا يرى في الوجود إلا الله وحده، فيغيب عن النظر إلى المخلوقات حتى كأنها عنده معدومة، وهذا هو الذي تسميه الصوفية: مقام الفناء؛ بمعنى الغيبة عن الخلق حتى أنه قد يفنى عن نفسه وعن توحيده، أي: يغيب عن ذلك باستغراقه في مشاهدة الله. ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية، ذكر فيها ثمانية أصناف من المخلوقات، تنبئها على ما فيها من العبر، واستدلالا على التوحيد المذكور قبلها في قوله "ولهكم إله واحد". ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: اختلاف وصفها من الضياء والظلام، والطول والقصر، وقيل: المعنى إن أحدهما يخلفه الآخر. ﴿بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ من التجارة وغيرها. ﴿وَتَضْرِيفِ الرِّيَّاحِ﴾ إرسالها من جهات مختلفة؛ وهي الجهات الأربع وما بينهما وبصفات مختلفة؛ فمنها: ملقحة للشجر، وعقيم، وصر، وللنصر، وللهلاك. ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ اعلم أن محبة العبد لربه على درجتين؛ إحداهما: المحبة العامة التي لا يخلو عنها كل مؤمن وهي واجبة، والأخرى: المحبة الخاصة التي ينفر ذبها العلماء الربانيون والأصفياء والأولياء، وهي أعلى المقامات وغاية المطلوبات؛ فإن سائر مقامات الصالحين كالخوف والرجاء والتوكل وغير ذلك، وهي مبنية على حظوظ النفوس، ألا ترى أن الخائف إنما يخاف على نفسه وأن الراجي إنما يرجو منفعة نفسه، بخلاف المحبة فإنها من أجل المحبوب فليست من المعاوضة. واعلم أن سبب محبة الله معرفته، فتقوى المحبة على قدر قوة المعرفة، وتضعف على قدر ضعف المعرفة؛ فإن الموجب للمحبة أحد أمرين، أو كلاهما إذا اجتماعا ولا شك أنها اجتماعا في حق الله تعالى على غاية الكمال، فالموجب الأول: الحسن والجمال، والآخر: الإحسان والإجمال؛ فأما الجمال: فهو محبوب بالطبع فإن الإنسان بالضرورة يحب كل ما يستحسن، والإجمال: مثل جمال الله تعالى في حكمته البالغة وصنائه البديعة وصفاته الجميلة الساطعة الأنوار التي تروق العقول وتبهج القلوب، وإنما يدرك جماله تعالى بالبصائر لا بالأبصار، وأما الإحسان: فقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وإحسان الله إلى عباده متواتر وإنعامه عليهم باطن وظاهر ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾، وكيفيك أنه يحسن إلى المطيع والعاصي،

وَلَوْ تَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرَأُ فَنَنْتَبِرَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ﴿١٦٧﴾ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٨﴾ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْآرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٩﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوْءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْكَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧١﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا

وإلى المؤمن والكافر، وكل إحسان ينسب إلى غيره فهو في الحقيقة منه وحده فهو المستحق للمحبة وحده، واعلم أن محبة الله إذا تمكنت من القلب ظهرت آثارها على الجوارح، من الجد في طاعته والنشاط لخدمته، والحرص على مرضاته، والتلذذ بمناجاته، والرضا بقضائه، والشوق إلى لقائه، والأنس بذكره، والاستيحاء من غيره، والفرار من الناس، والانفراد في الخلوات، وخروج الدنيا من القلب، ومحبة كل ما يحب الله، وإيثار الله على كل من سواه، قال الحارث المحاسبي: المحبة ميلك إلى المحبوب بكليتك، ثم إيثارك له على نفسك وروحك، ثم موافقته سرا وجهرا، ثم علمك بتقصيرك في حبه. ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ من رؤية العين. و﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ مفعول، وجواب "لو" محذوف وهو العامل في "أن"، والتقدير: ولو ترى الذين ظلموا لعلمت أن القوة لله، أو لعلموا أن القوة لله، وقرئ: "يرى" بالياء، وهو على هذه القراءة من رؤيا القلب، و"الذين ظلموا" فاعل و﴿أَنَّ الْقُوَّةَ﴾ مفعول "يرى"، وجواب "لو" محذوف وتقديره: لو يرى الذين ظلموا أن القوة لله لندموا ولاستعظموا ما حل بهم. ﴿إِذْ تَبَرَّأَ﴾ بدل من ﴿إِذْ يَرُونَ﴾ أو استئناف، والعامل فيه محذوف تقديره: اذكر. ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ هم الآلهة أو الشياطين أو الرؤساء من الكفار والعموم أولى. ﴿الْأَسْبَابُ﴾ هنا الوصلات من الأرحام والمودات. ﴿أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ﴾ أي: سيئاتهم، وقيل: حسراتهم إذ لم تقبل منهم، أو ما عملوا لآهنتهم. ﴿كُلُّوْا﴾ أمر محمول على الإباحة. ﴿حَلَلًا﴾ حال ﴿مِمَّا فِي الْآرْضِ﴾، أو مفعول ب"كلوا"، أو صفة لمفعول محذوف أي: شيئا حلالا. ﴿طَيِّبًا﴾ يحتمل أن يريد الحلال أو اللذيذ. ﴿خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ ما يأمر به، وأصله من خطوة المشي، قال المنذر بن سعيد: يحتمل أن يكون من الخطيئة ثم سهلت همزته، وقرئ بضم الطاء وإسكانها وهما لغتان. ﴿بِالسُّوْءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ المعاصي. ﴿وَأَنْ تَقُولُوا﴾ الإشراك وتحريم الحلال كالبحيرة وغير ذلك. ﴿أَوْلَوْكَانَ أَبَاؤُهُمْ﴾ رد على قولهم: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ﴾، والآية في كفار العرب، وقيل في اليهود، والمعنى: أتتبعونهم ولو كانوا ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ فدخلت همزة الإنكار على واو الحال. ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية، في معناها قولان؛



كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧٦﴾ يَأْتِيهَا  
 الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ رِئَاءَهُ تَعْبُدُونَ  
 ﴿١٧٧﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ ۖ لَعَنَ اللَّهُ فَمَنْ أَضْطَرَّ  
 غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٨﴾

الأول: تشبيه الذين كفروا بالبهائم في قلة فهمهم وعدم استجابتهم لمن يدعوهم، ولا بد في هذا من محذوف، وفيه وجهان؛ أحدهما: أن يكون المحذوف أول الآية، والتقدير: مثل داعي الذين كفروا إلى الإيثار ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾ أي: يصيح ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾ وهي البهائم التي لا تسمع ﴿إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ ولا تعقل معناه. والآخر: أن يكون المحذوف بعد ذلك، والتقدير: مثل الذين كفروا كمثل مدعو الذي ينطق ويكون "دعاء ونداء" على الوجهين مفعولا "يسمع"، والنعيق هو زجر الغنم والصياح عليها، فعلى هذا القول شبه الكفار بالغنم، وشبه داعيهم بالذي يزجرها ويصيح عليها، القول الثاني: تشبيه الذين كفروا في دعائهم وعبادتهم لأصنامهم بمن ينطق بما لا يسمع؛ لأن الأصنام لا تسمع شيئا، ويكون "دعاء ونداء" على هذا منقطعاً أي: أن الداعي يتعب نفسه بالدعاء والنداء لمن لم يسمعه من غير فائدة؛ فعلى هذا شبه الكفار بالناعق. ﴿صُمُّ﴾ وما بعده راجع إلى الكفار، وذلك يقوي التأويل الأول، ورفع على إضمار مبتدأ. ﴿وَاشْكُرُوا﴾ الآية دليل على وجوب الشكر لقوله ﴿إِن كُنتُمْ رِئَاءَهُ تَعْبُدُونَ﴾. ﴿الْمَيْتَةَ﴾: ما مات حتف أنفه، وهو عموم خص منه الحوت والجراد، وأجاز مالك أكل الطافي من الحوت ومنعه أبو حنيفة، ومنع مالك الجراد حتى يسبب موتها بقطع عضو منها، أو وضعها في الماء وغير ذلك، وأجازه ابن عبد الحكم دون ذلك. ﴿وَالدَّمَ﴾ يريد المسفوح لتقييده بذلك في سورة الأنعام، ولا خلاف في إباحة ما خالط اللحم من الدم. ﴿وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾ هو حرام سواء ذكي أو لم يذك وكذلك شحمه بإجماع، وإنما خص اللحم بالذكر؛ لأنه الغالب في الأكل ولأن الشحم تابع له، ولذلك من حلف أن لا يأكل لحماً فأكل شحمها حث بخلاف العكس. ﴿وَمَا أُهْلَ بِهِ﴾ أي: صيح؛ لأنهم كانوا يصيحون باسم من ذبح له ثم استعمل في النية في الذبيحة. ﴿لَعَنَ اللَّهُ﴾ الأصنام وشبهها. ﴿أَضْطَرَّ﴾ بالجوع أو بالإكراه، وهو مشتق من الضرورة، ووزنه افتعل وأبدل من التاء طاء. ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ قيل: باغ على المسلمين وعاد عليهم، ولذلك لم يرخص مالك في رواية عنه للعاصي بسفره أن يأكل الميتة، والمشهور عنه الترخيص له، وقيل: باغ باستعمالها من غير إضرار، وقيل: "باغ" أي: متزدد على إمساك رفقته، ولهذا لم يجز الشافعي للمضطر أن يشبع من الميتة، وقال مالك: بل يشبع ويتزود. ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ رفع للحرج، ويجب على المضطر أكل الميتة لئلا يقتل نفسه بالجوع، وإنما تدل الآية على الإباحة ويؤخذ الوجوب من غيرها، وقد اختلف: هل يباح له أكل الميتة والدم ولحم الخنزير، أو أكل ما عدا الخنزير؟

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَدَشَرُوا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا أَوْلِيكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أَوْلِيكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابُ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ - أَمَّنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى

واختلف هل يباح له أكل ميتة بني آدم أم لا؟ فمنعه مالك، وأجازه الشافعي لعموم الآية. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ اليهود ﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ أي: أكلهم للدنيا يقودهم إلى النار، فوضع السبب موضع المسبب، وقيل: يأكلون النار حقيقة في جهنم. ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ عبارة عن غضبه عليهم، وقيل: لا يكلمهم بما يحبون. ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ لا يثني عليهم. ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ تعجب من جرأتهم على ما يقودهم إلى النار، أو من صبرهم على عذاب النار في الآخرة، وقيل: إنه استفهام، و"أصبرهم" بمعنى صبرهم؛ وهذا بعيد وإنما حمل قائله عليه اعتقاده أن التعجب مستحيل على الله؛ لأنه استعظام خفي سببه، وذلك لا يلزم؛ فإنه في حق الله غير خفي السبب. ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى العذاب، ورفع بالابتداء أو بفعل مضمرة. ﴿بِأَنَّ اللَّهَ﴾ الباء سببية. ﴿نَزَلَ الْكِتَابَ﴾ القرآن هنا. ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: بالواجب، أو بالإخبار بالحق أي: الصادق، والباء فيه سببية أو للمصاحبة. ﴿الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ اليهود والنصارى و"الكتاب" على هذا التوراة والإنجيل، وقيل: "الذين اختلفوا" العرب و"الكتاب" على هذا القرآن، ويحتمل جنس الكتاب في الموضوعين. ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ أي: بعيد من الحق والاستقامة. ﴿لَيْسَ الْبِرُّ﴾ الآية خطاب لأهل الكتاب؛ لأن المغرب قبله اليهود والمشرق قبله النصارى، أي: إنما البر التوجه إلى الكعبة، وقيل: خطاب للمؤمنين، أي: ليس البر الصلاة خاصة؛ بل البر جميع الأشياء المذكورة بعد هذا. ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ - أَمَّنَ﴾ لا يصح أن يكون "من آمن" خبرا عن "البر"؛ فتأويله: لكن صاحب البر من آمن، أو لكن البربر من آمن، أو يكون "البر" مصدرا وصف به. ﴿وَأَتَى الْمَالَ﴾ صدقة التطوع، وليست بالزكاة؛ لقوله بعد ذلك: ﴿وَأَتَى الزَّكَاةَ﴾ ﴿عَلَى حُبِّهِ﴾ الضمير عائد على "المال" لقوله: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ الآية، وهو الراجح من طريق المعنى، وعود الضمير على الأقرب، وهو على هذا تتميم، وهو من أدوات البيان، وقيل: يعود على مصدر "أتى"، وقيل على "الله". ﴿ذَوِي الْقُرْبَى﴾ وما بعده مرتب بتقديم الأهم والأفضل؛ لأن الصدقة على القرابة صدقة وصلة بخلاف من بعدهم، ثم اليتامى؛ لصغرهم وحاجتهم، ثم المساكين؛ للحاجة خاصة.

وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ  
وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَآءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ  
الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي  
الْقَتْلِ أَلْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ  
بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ

﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ الغريب، وقيل: الضعيف. ﴿وَالسَّائِلِينَ﴾ وإن كانوا غير محتاجين. ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ عتقها.  
﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾ أي: العهد مع الله ومع الناس. ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ نصب بإضمار فعل. ﴿فِي الْبَأْسَاءِ﴾  
الفقر، ﴿وَالصَّرَآءِ﴾ المرض، ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ القتال، ﴿صَدَقُوا﴾ في القول والفعل والعزيمة. ﴿كُتِبَ  
عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ أي: شرع لكم، وليس بمعنى فرض؛ لأن ولي المقتول مخير بين القصاص والدية والعفو،  
وقيل: بمعنى فرض، أي: فرض على القاتل الانقياد إلى القصاص، وعلى ولي المقتول أن لا يتعداه إلى قتل  
غيره كفعل الجاهلية، وعلى الحكام التمكين من القصاص. ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ﴾  
ظاهره اعتبار التساوي بين القاتل والمقتول في الحرية والذكورية، وأن لا يقتل حر بعبد ولا ذكر بأنثى، إلا أن  
العلماء أجمعوا على قتل الذكر بالأنثى، وزاد قوم أن يعطى أولياؤها حيثئذ نصف الدية لأولياء الرجل المقتص  
منه خلافاً لمالك والشافعي وأبي حنيفة، وأما قتل الحر بالعبد فهو مذهب أبي حنيفة خلافاً لمالك والشافعي،  
فعلى هذا لم يأخذ أبو حنيفة بشيء من ظاهر الآية لا في الذكورية ولا في الحرية لأنها عنده منسوخة، وأخذ  
مالك بظاهرها في الحرية لا في الذكورية، وتأويلها عنده أن قوله "الحر بالحر والعبد بالعبد" عموم يدخل فيه  
الذكر بالذكر، والأنثى بالأنثى، والأنثى بالذكر، والذكر بالأنثى، ثم كرر قوله "الأنثى بالأنثى" تجريداً للتأكيد،  
لأن بعض العرب كانوا إذا قتل منهم أنثى قتلوا بها ذكراً تكبراً وعدواناً، وقد يتوجه قول مالك على نسخ  
جميعها، ثم يكون عدم قتل الحر بالعبد من السنة وهو قوله ﷺ: ﴿لَا يَقْتُلُ حُرٌّ بَعْبِدًا﴾ [الدارقطني: 3300] والناسخ  
لها على القول بالنسخ عموم قوله: ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ على أن هذا ضعيف لأنه إخبار عن حكم بني  
إسرائيل. ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ﴾ الآية، فيها تأويلان؛ أحدهما: أن المعنى من قتل وعُفي عنه فعلية أداء الدية بإحسان،  
وعلى أولياء المقتول اتباعه بها بمعروف، فعلى هذا "مَنْ" كناية عن القاتل، وأخوه هو المقتول أو وليه، و"عفي"  
من العفو عن القصاص، وأصله أن يتعدى بعن، وإنما تعدى هنا باللام لأنه كقولك: تجاوزت لفلان عن  
ذنبه، والثاني: أن المعنى: من أعطيته الدية فعلية اتباع بمعروف وعلى القاتل أداء بإحسان، فعلى هذا "من"  
كناية عن أولياء المقتول، و"أخوه" هو القاتل أو عاقلته، و"عفي" بمعنى يسر كقوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ أي: ما  
تيسر، ولا إشكال في تعدي "عفي" باللام على هذا المعنى. ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ﴾ إشارة إلى جواز أخذ الدية؛

فَمَنْ أَعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۗ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٧٨﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧٩﴾ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٠﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨١﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ۗ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامِ مَسْكِينٍ ۗ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ۗ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ ۗ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾

لأن بني إسرائيل لم تكن عندهم دية وإنما هو القصاص. ﴿فَمَنْ أَعْتَدَى﴾ أي: قتل قاتل وليه بعد أن أخذ الدية. ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ القصاص منه، وقيل: عذاب الآخرة. ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ بمعنى قولهم: القتل أنفى للقتل، أي: أن القصاص يردع الناس عن القتل، وقيل: المعنى أن القصاص أقل قتلا؛ لأنه قتل واحد بواحد بخلاف ما كان في الجاهلية من اقتتال قبيلتي القاتل والمقتول حتى يقتل بسبب ذلك جماعة. ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ كانت فرضا قبل الميراث ثم نسخها آية المواريث مع قوله ﷺ: «لا وصية لوارث» [أبرود: 2872] وبقيت الوصية مندوبة لمن لا يرث من الأقربين، وقيل: معناها الوصية بتوريث الوالدين والأقربين على حسب الفرائض فلا تعارض بينها وبين المواريث ولا نسخ، والأول أشهر. ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ أي: فرض، القصد بقوله ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ وبقوله: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ تسهيل الصيام على المسلمين، وكأنه اعتذار عن كتبه عليهم وملاطفة جميلة، والذي كُتب على الذين من قبلنا الصيام مطلقا، وقيل: كُتب على الذين من قبلنا رمضان فبدلوه. ﴿أَيَّامًا﴾ منصوب بـ"الصيام" أو بمحذوف، وبعد انتصابه بـ"تتقون". ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا﴾ الآية إباحة للفطر مع المرض والسفر، وقد يجب الفطر إذا خاف الهلاك، وفي الكلام عند الجمهور محذوف يسمى فحوى الخطاب، وتقديره: فمن كان منكم مريضا أو على سفر فأفطر فعليه عدة من أيام أخر، ولم يقل الظاهرية بهذا المحذوف فرأوا أن صيام المريض والمسافر لا يصح، وأوجبوا عليه عدة من أيام أخر وإن صام في رمضان، وهذا منهم جهل بكلام العرب، وليس في الآية ما يقتضي تحديد السفر وبذلك قال الظاهرية، وحده في مشهور مذهب مالك أربعة برد. ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ﴾ قيل: يطيقونه من غير مشقة فيفطرون ويكفرون، ثم نسخ جواز الإفطار

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتَكُمْ ۗ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۗ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةُ الصِّيَامِ الرَّفْقُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۗ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ۗ فَالَّذِينَ بَشِرُوا هُنَّ وَأَتَّعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَكُلُوا

بقوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ وقيل: يطيقونه بمشقة كالشيخ الهرم، فيجوز له الفطر ويكفر بالإطعام؛ فلا نسخ على هذا. ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ﴾ أي: صام ولم يأخذ بالفطر والكفارة، وذلك على القول بالنسخ، وقيل: تطوع بالزيادة في مقدار الإطعام، وذلك على القول بعدم النسخ. ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ مبتدأ، أو خبر ابتداء مضمرة، أو بدل من "الصيام" ﴿أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر من رمضان، ثم نزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم بطول عشرين سنة، وقيل: المعنى أنزل في شأنه القرآن، كقولك: أنزل القرآن في فلان، وقيل: المعنى ابتداء فيه إنزال القرآن. ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ أي: أن القرآن هدى، ثم هو مع ذلك من مبيّنات الهدى؛ وذلك أن الهدى على نوعين: مطلق، وموصوف بالبينات، فالهدى الأول هنا على الإطلاق، وقوله: "وبينات من الهدى" أي: وهو من الهدى المبين؛ فهو من عطف الصفات كقولك: فلان عالم، وجليل من العلماء. ﴿فَمَنْ شَهِدَ﴾ أي: كان حاضرا غير مسافر، و﴿الشَّهْرُ﴾ منصوب على الظرفية، و﴿العُسْرُ﴾ و﴿اليُسْرُ﴾ على الإطلاق، وقيل "اليسر" الفطر في السفر و"العسر" الصوم فيه ﴿وَلِتُكْمِلُوا﴾ متعلق بمحذوف تقديره: شرع، أو عطف على "اليسر". ﴿الْعِدَّةُ﴾ الأيام التي أفطر فيها. ﴿وَلِتُكَبِّرُوا﴾ التكبير يوم العيد أو مطلق. ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ مقيد بمشيئة الله وموافقة القدر، وهو جواب من قال: كيف لا يستجاب الدعاء مع وعد الله بالاستجابة؟ ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ أي: في امتثال ما دعوتهم إليه من الإيمان والطاعة. ﴿أَجَلٌ لَّكُمْ﴾ الآية، كان الأكل والجماع محرما بعد النوم في ليل رمضان، فجرت في ذلك قصة لعمر بن الخطاب ولصرمة بن مالك رضي الله عنه، فأحلها الله تخفيفا على عباده. ﴿الرَّفْقُ﴾ هنا الجماع، وإنما تعدى بـ"إلى" لأنه في معنى الإفضاء ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ تشبيهه بالثياب لاشتمال كل واحد من الزوجين على الآخر، وهذا تعليل للإباحة. ﴿تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: تأكلون وتجامعون بعد النوم في رمضان. ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ أي: غفر ما وقعتم فيه من ذلك، وقيل: رفع عنكم ذلك الحكم. ﴿بَشِرُوا هُنَّ﴾ إباحة ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قيل:

وَأَشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا  
 الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَنِكُمْ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا  
 تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٢٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ  
 بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِنَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ  
 وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢٨﴾ \* يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْهَيْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ

الولد يتغى بالجماع، وقيل: الرخصة في الأكل والجماع لمن نام في ليل رمضان بعد منعه. ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ بيان  
 للخيط الأبيض لا للأسود؛ لأن الفجر ليس له سواد، و"الخيط" هنا استعارة يراد به «الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ» بياض  
 الفجر، و«الْخَيْطُ الْأَسْوَدُ» سواد الليل، وروي أن قوله "من الفجر" نزل بعد ذلك بيانا لهذا المعنى؛ لأن بعضهم  
 جعل خيطا أبيض وخيطا أسود عند سادته وأكل حتى تبين له، فقال له النبي ﷺ: «إِنَّمَا هُوَ بِيَاضُ النَّهَارِ وَسَوَادُ  
 اللَّيْلِ» [الترمذي: 3233]. ﴿إِلَى اللَّيْلِ﴾ أي: إلى أول الليل وهو غروب الشمس، فمن أفطر قبل ذلك فعليه القضاء  
 والكفارة، ومن شك هل غربت الشمس أم لا؟ فأفطر فعليه القضاء والكفارة، وقيل: القضاء فقط. وقالت  
 عائشة ؓ: «إِلَى اللَّيْلِ» يقتضي المنع من الوصال، وقد جاء ذلك في الحديث. ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ﴾ تحريم للمباشرة  
 حين الاعتكاف، قال الجمهور: المباشرة هنا الجماع وما دونه، وقيل: الجماع فقط. ﴿فِي الْمَسَاجِدِ﴾ دليل على  
 جواز الاعتكاف في كل مسجد، خلافا لمن قال: لا اعتكاف إلا في المسجد الحرام ومسجد المدينة وبيت  
 المقدس، وفيه أيضا دليل على أن الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد لا في غيرها، خلافا لمن أجازها في غيرها من  
 مفهوم الآية. ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي أحكامه التي أمر بالوقوف عندها. ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ أي: لا تقربوا مخالفتها،  
 واستدل بعضهم به على سد الذرائع؛ لأن المقصود النهي عن المخالفة للمحدود لقوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا  
 تَعْتَدُوهَا﴾، ثم نهى هنا عن مقارنة المخالفة سدا للذريعة. ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ﴾ أي: لا يأكل بعضكم مال  
 بعض ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ كالفسار والغصب وجحد الحقوق وغير ذلك. ﴿وَتَدُلُّوا﴾ عطف على "لا تأكلوا" أو نصب  
 بإضمار أن، وهو من أدلى الرجل بحجته إذا قام بها، والمعنى: نهى عن أن يحتج بحجة باطلة ليصل بها إلى أكل مال  
 الناس، وقيل: نهى عن رشوة الحكام بالأموال للوصول إلى أكل أموال الناس، فالباء على الأول سببية، وعلى  
 الثاني للإلصاق ﴿بِالْإِثْمِ﴾ الباء سببية أو للمصاحبة، و"الإثم" على القول الأول في: "تدلوا" إقامة للحجة الباطلة  
 كشهادة الزور والأيمان الكاذبة، وعلى الثاني: الرشوة. ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: تعلمون أنكم على الباطل، وذلك  
 مبالغة في المعصية والجرأة. ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْهَيْلَةِ﴾ سببها: أنهم سألوا عن الهلال، وما فائدة إحاقه وكما له  
 ومخالفته لحال الشمس؟ والهلال ليلتان من أول الشهر، وقيل ثلاث، ثم يقال له قمر. ﴿مَوَاقِيتُ﴾ جمع ميقات

وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنْ أَتَقَى<sup>١</sup> وَاتُّوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا<sup>٢</sup> وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿١٨٨﴾ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا<sup>٣</sup> إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٨٩﴾ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ<sup>٤</sup> وَلَا تُقْتَلُواهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقْتَلُوا فِيهِ فَإِن قَتَلْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكٰفِرِينَ ﴿١٩٠﴾ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩١﴾ وَقَتِلُواهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٢﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ

لمحل الديون والأكرية وانقضاء العدد وغير ذلك، ثم ذكر الحج اهتماماً بذكره وإن كان قد دخل في المواقيت للناس. ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ﴾ الآية، كان قوم إذا رجعوا من الحج لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها وإنما يدخلون من ظهورها، ويقولون: لا يحول بيننا وبين السماء شيء، فنزلت الآية إعلماً بأن ذلك ليس من البر وإنما ذكر ذلك بعد ذكر الحج لأنه كان عندهم من تمام الحج، وقيل: إن المعنى ليس البر أن تسألوا عن الأهله وغيرها مما لا فائدة لكم فيه فتأتون الأمور على غير ما يجب، فعلى هذا «الْبُيُوتُ» و«أَبْوَابُهَا» و«ظُهُورُهَا» استعارات؛ يراد بـ«البيوت» المسائل، وبـ«ظهورها» السؤال عما لا يفيد، و«أبوابها» السؤال عما يحتاج إليه. «الْبِرُّ مِنْ أَتَقَى» تأويله مثل «الْبِرُّ مَنْ - أَمَنَّ» «الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ» كان القتال غير مباح في أول الإسلام، ثم أمر بقتال الكفار الذين يقاتلون المسلمين دون من لم يقاتل، وذلك مقتضى هذه الآية، ثم أمر بقتال جميع الكفار في قوله: «وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً» «وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» فهذه الآية منسوخة، وقيل: إنها محكمة، وأن المعنى قاتلوا الرجال الذين هم بحال من يقاتلونكم دون النساء والصبيان الذين لا يقاتلونكم، والأول أرجح وأشهر. «وَلَا تَعْتَدُوا» أي: بقتال من لم يقاتلكم على القول الأول، وبقتال النساء والصبيان على الثاني. «وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ» أي: من مكة، لأن قريشاً أخرجوا منها المسلمين «وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ» أي: فتنة المؤمن عن دينه أشد عليه من قتله، وقيل: كفر الكفار أشد من قتل المؤمنين لهم في الجهاد. «عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» منسوخ بقوله «حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ»، وذلك يقوي نسخ «الذين يقاتلونكم» «فَإِنِ انْتَهَوْا» أي: عن الكفر فأسلموا، بدليل قوله «عَفُورٌ رَّحِيمٌ»، وإنما يغفر للكافر إذا أسلم. «لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ» أي: لا يبقى دين كفر. «الشَّهْرُ الْحَرَامُ» الآية، نزلت لما صد الكفار النبي ﷺ والمسلمين عن دخول مكة للعمرة عام الحديبية في شهر ذي قعدة، فدخلها في العام بعده في شهر ذي قعدة، أي: «الشهر الحرام» الذي دخلتم فيه مكة بالشهر الحرام الذي صدتكم فيه عن دخولها. «وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ» أي: حرمة الشهر والبلد حين دخلتموها قصاص بحرمة الشهر والبلد حين صدتكم عنها. «فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ» تسمية للعقوبة

مَا أَعْتَدِي عَلَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٧٧﴾ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٧٨﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ فَإِذَا أُمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ

باسم الذنب؛ أي: قاتلوا من قاتلكم، ولا تبالوا بحرمة من صدكم عن مكة. ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ قال أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه: المعنى لا تشتغلوا بأموالكم عن الجهاد، وقيل: لا تركوا النفقة في الجهاد خوف العيلة، وقيل: لا تقنطوا من التوبة، وقيل: لا تقتحموا المهالك، والباء في "بأيديكم" زائدة، وقيل التقدير: لا تلقوا أنفسكم بأيديكم. ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أي: أكملوها إذا ابتدأتم عملها؛ قال ابن عباس رضي الله عنه: إتمامها إكمال المناسك، وقال علي رضي الله عنه: إتمامها أن تحرم بهما من دارك، ولا حجة فيه لمن أوجب العمرة؛ لأن الأمر إنهما هو بالإتمام لا بالابتداء. ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ المشهور في اللغة أحصره المرض بالألف، وحصره العدو، وقيل: بالعكس، وقيل: هما بمعنى واحد، فقال مالك: "أحصرتم" هنا بالمرض على مشهور اللغة، فأوجب عليه الهدي ولم يوجهه على من حصره العدو، وقال الشافعي وأشهب: يجب الهدي على من حصره العدو، وحلا الآية على ذلك، واستدلا بنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدي بالحديبية، وقال أبو حنيفة: يجب الهدي على المحصور بعدو أو مرض. ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ أي: فعليكم ما استيسر من الهدي وذلك شاة. ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ﴾ خطاب للمحصر بمرض عند مالك، لأنه لا يتحلل بالحلقة. ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ أي: موضع نحره وهو مكة أو منى عند مالك، وقال الشافعي: محله حيث أحصر وقيل هو خطاب للمحصر وغيره. ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا﴾ الآية، نزلت في كعب بن عجرة رضي الله عنه حين رآه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له صلى الله عليه وسلم: «لعلك آذاك هوامك»، قال: نعم يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «احلق رأسك وضم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين، أو انسك بشاة» [البخاري: 4190] فمعنى الآية: أن من كان في الحج واضطره مرض أو قمل إلى حلق رأسه قبل يوم النحر جاز له حلقه وعليه صيام أو صدقة أو نسك حسبما تفسر في الحديث، وقاس الفقهاء على حلق الرأس سائر الأشياء التي يمنع الحاج منها إلا الصيد ووطء النساء، وقصر الظاهرية ذلك الحكم على حلق الرأس، ولا بد في الآية من مضمحل لا يقتل الكلام دونه، وهو المسمى فحوى الخطاب، وتقديرها: فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه فحلق رأسه فعليه فدية. ﴿فَإِذَا أُمِنْتُمْ﴾ أي: من المرض على قول مالك، ومن العدو على قول غيره، والمعنى: إذا كنتم بحال آمن سواء تقدم مرض أو خوف عدو أو لم يتقدم. ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾ التمتع



فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٣١﴾ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿٣٢﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَقْضَيْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ

عند مالك وغيره: هو أن يعتمر الإنسان في أشهر الحج ثم يحج من عامه، فهو قد تمتع بإسقاط أحد السفرين للحج أو العمرة. وقال عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: هو أن يحصر بعدو عن الحج حتى يفوته الحج فيعتمر عمرة يتحلل بها من إحرامه، ثم يحج من قابل قضاء الحجته؛ فهو قد تمتع بفعل الممنوعات في الحج من وقت تحلله بالعمرة إلى الحج القابل، وقيل: التمتع هو قران الحج والعمرة. ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ شاة ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾ وقتها من إحرامه إلى يوم عرفة، فإن فاته صام أيام التشريق. ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ أي: إلى بلادكم أو في الطريق. ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ﴾ فائدته: أن السبع تصام بعد الثلاثة فتكون عشرة، ورفع لتوهم أن السبعة بدل من الثلاثة، وقيل: هو مثل الفذلكة؛ وهو قول الناس بعد الأعداد فذلك كذا، وقيل: كاملة في الثواب. ﴿لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يعني غير أهل مكة وذي طوى بإجماع، وقيل: أهل الحرام كله، وقيل: من كان دون المواقيت، وقوله "ذلك" إشارة إلى الهدى أو الصيام، أي: إنما يجب الهدى أو الصيام بدلا منه على الغرباء لا على أهل مكة، وقيل ذلك إشارة إلى التمتع. ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ﴾ التقدير: أشهر الحج أشهر، أو الحج في أشهر؛ وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة، وقيل: العشر الأول منه وينبغي على ذلك: من آخر طواف الإفاضة إلى آخر ذي الحجة فعليه دم على القول بالعشر الأول، ولا دم عليه على القول بجميع الشهر، واختلف فيمن أحرم بالحج قبل هذه الأشهر؛ فأجازته مالك على كراهة، ولم يجزه الشافعي وداود لتعيين هذه الأشهر لذلك، فكانها كوقت الصلاة. ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾ أي: ألزم الحج نفسه. ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ الرفث: الجماع، وقيل: الفحش من الكلام، والفسوق المعاصي، والجidal: المراءى مطلقا، وقيل: المجادلة في مواقف الحج، وقيل: النسيء الذي كانت العرب تفعله. ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾ قيل: احموا إذا في السفر، وقيل: تزودوا للآخرة بالتقوى، وهو الأرجح لما بعده. ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ التجارة في أيام الحج أباحها الله تعالى، وقرأ ابن عباس رضي الله عنه: فضلا من ربكم في مواسم الحج. ﴿أَقْضَيْتُمْ﴾ اندفعتم جملة واحدة. ﴿مِّن عَرَفَاتٍ﴾ اسم علم للموقف، والتنوين فيه في مقابلة النون في جمع المذكر لا تنوين صرف؛ فإن فيه التعريف والتأنيث. ﴿الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ المزدلفة والوقوف بها سنة.

كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٨٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ  
النَّاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا  
اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا  
وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿١٩٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ  
حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٢﴾  
وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ

﴿ كَمَا هَدَاكُمْ ﴾ الكاف للتعليل. ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ ﴾ "إن" مخففة من الثقيلة، ولذلك جاء اللام في خبرها. ﴿ مَنْ قَبْلِهِ ﴾ أي: من قبل الهدى. ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ فيه قولان؛ أحدهما: أنه أمر للحمس، وهم قريش ومن تبعهم، كانوا يقفون بالمزدلفة لأنها حرم، ولا يقفون بعرفة مع سائر الناس لأنها حل، ويقولون: نحن أهل الحرم فلا نقف إلا بالحرم، فأمرهم الله تعالى أن يقفوا بعرفة مع الناس ويفيضوا منها، وقد كان النبي ﷺ قبل ذلك يقف مع الناس بعرفة توفيقاً من الله تعالى له، والقول الثاني: أنها خطاب لجميع الناس، ومعناها: أفيضوا من المزدلفة إلى منى، ف"ثم" على هذا القول على بابها من الترتيب، وأما على القول الأول فليست للترتيب بل للعطف خاصة، قال الزمخشري: هي كقولك أحسن إلى الناس ثم لا تحسن إلا إلى كريم، فإنها معناها التفاوت بين ما قبلها وما بعدها وأن ما بعدها أكد. ﴿ قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ ﴾ أي: فرغتم من أعمال الحج ﴿ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ ﴾؛ لأن الإنسان كثيراً ما يذكر آباه، وقيل: كانت العرب يذكرون آباءهم مفاخرة عند الجمره، فأمروا بذكر الله عوضاً من ذلك. ﴿ آتِنَا فِي الدُّنْيَا ﴾ كان الكفار إنما يدعون بخير الدنيا خاصة لأنهم لا يؤمنون بالآخرة. ﴿ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ قيل: العمل الصالح، وقيل: المال، وقيل: المرأة الصالحة. ﴿ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ الجنة. ﴿ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا ﴾ يحتمل أن تكون "من" سببية، أي: لهم نصيب عند الله من أجل ما كسبوا من الحسنات، وأن تكون لبيان الجنس، أي: لهم نصيب من الحسنات التي اكتسبوها؛ والنصيب على هذا الثواب. ﴿ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ فيه وجهان؛ أحدهما: أن يراد به سرعة مجيء يوم القيامة؛ والآخر أن يراد به سرعة وقوع الحساب يوم القيامة؛ لأن الله لا يحتاج إلى مدة ولا فكرة، وقيل لعلي ﷺ: كيف يحاسب الله الناس على كثرتهم؟ قال: كما يرزقهم على كثرتهم. ﴿ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴾ ثلاثة بعد يوم النحر؛ وهي أيام التشريق، والذكر فيها التكبير أدبار الصلوات وعند رمي الجمار وغير ذلك. ﴿ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ أي: انصرف في اليوم الثاني من أيام التشريق. ﴿ وَمَنْ تَأَخَّرَ ﴾ أي إلى اليوم الثالث فرمى فيه بقية الجمار، وأما المتعجل؛ فقيل يترك رمي جمار اليوم الثالث، وقيل: يقدمها في اليوم الثاني. ﴿ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ في الموضعين قيل إنه إباحة للتعجل

لِمَنْ آتَقَى ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ رَاجِعُونَ ۖ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۖ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَبْعًا فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۖ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۖ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۖ وَلَيْسَ الْمَهَادُ ۖ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ۖ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آدْخُلُوا فِي السَّلَامِ

والتأخر، وقيل: إنه إخبار عن غفران الإثم؛ وهو الذنب للحاج سواء تعجل أو تأخر. ﴿لِمَنْ آتَقَى﴾ أما على القول بأن معنى "فلا إثم عليه" الإباحة؛ فالمعنى: أن الإباحة في التعجل والتأخر لمن اتقى أن يآثم فيها، فقد أبيض له ذلك من غير إثم، وأما على القول بأن معنى "فلا إثم عليه" إخبار بغفران الذنوب، فالمعنى أن الغفران إنما هو لمن اتقى الله في حجه؛ كقوله ﷺ: «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» [البخاري: 1521] فاللام متعلقة إما بالغفران أو بالإباحة المفهومين من الآية. ﴿مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾ الآية نزلت في الأخنس بن شريق، فإنه أظهر الإسلام ثم خرج فقتل دواب المسلمين وأحرق لهم زرعاً، وقيل: في المنافقين، وقيل: عامة، وقيل: في كل من كان على هذه الصفة. ﴿فِي الْحَيَاةِ﴾ متعلق بـ"قوله" أي: يعجبك ما يقول في أمر الدنيا، ويحتمل أن يتعلق بـ"يعجبك" ﴿وَيُشْهَدُ اللَّهُ﴾ أي يقول: الله يعلم إنني لصادق. ﴿أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ شديد الخصومة. ﴿تَوَلَّىٰ﴾ أدبر بجسده أو أعرض بقلبه، وقيل: صار والياً. ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ على القول بأنها في الأخنس؛ فإهلاك الحرث حرقه للزرع، وإهلاك النسل قتله الدواب، وعلى القول بالعموم فالمعنى: مبالغة في الفساد وعبر عن ذلك بإهلاك الحرث والنسل؛ لأنها قوام معيشة ابن آدم؛ فإن "الحرث" هو الزرع والفواكه وغير ذلك من النبات، و"النسل" هو الإبل والبقر والغنم وغير ذلك مما يتناسل. ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ المعنى: أنه لا يطيع من أمره بالتقوى تكبراً وطغياناً، والباء محتمل: أن تكون سببية، أو بمعنى مع، وقال الزمخشري: هي كقولك: أخذ الأمير الناس بكذا، أي: ألزمهم إياه، فالمعنى: حملته العزة على الإثم. ﴿مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ﴾ أي: يبيعها، قيل: نزلت في صهيب ؓ وقيل: على العموم. وبيع النفس في الهجرة أو الجهاد، وقيل: في تغيير المنكر، وأن الذي قبلها فيمن غير عليه فلم ينزجر. ﴿السَّلَامِ﴾ بفتح السين المسالمة، والمراد بها هنا عقد الذمة بالجزية، فالأمر على هذا لأهل الكتاب، وخوطبوا بـ"الذين آمنوا" لإيمانهم بأنبيائهم وكتبهم المتقدمة، وقيل هو الإسلام، وكذلك هو بكسر السين، فيكون الخطاب لأهل الكتاب على معنى الأمر لهم بالدخول في الإسلام، وقيل إنها نزلت في قوم من اليهود أسلموا وأرادوا أن يعظموا البيت كما كانوا، فالمعنى على هذا؛ ادخلوا في الإسلام واتركوا سواه، ويحتمل أن يكون الخطاب للمسلمين على معنى

كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٦﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٧﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمِّ وَالْأَلْمَلِكَةِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢٠٨﴾ سَلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٠٩﴾ زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَسَخَّرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٠﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ

الأمر بالثبوت عليه والدخول في جميع شرائعه من الأوامر والنواهي. ﴿كَآفَّةً﴾ عموم في المخاطبين أو في شرائع الإسلام. ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ تهديد لمن زل بعد البيان. ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون. ﴿يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ تأويله عند المتأولين: يأتيهم عذاب الله في الآخرة أو أمره في الدنيا، وهي عند السلف الصالح ومن تبعهم: من المشابه فيجب الإيذان بها من غير تكييف، ويحتمل أن لا تكون من المشابه؛ لأن قوله: "ينظرون" بمعنى يطلبون ذلك بجهلهم كقولهم: ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾. ﴿فِي ظُلَلٍ﴾ جمع ظلة، وهي ما علاك من فوق؛ فإن كان ذلك لأمر الله فلا إشكال، وإن كان لله فهو من المشابه. ﴿الْغَمِّ﴾ السحاب. ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ فرغ منه، وذلك كناية عن وقوع العذاب. ﴿سَلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ على وجه التوبيخ لهم وإقامة الحجة عليهم. ﴿مَنْ آيَةٍ﴾ معجزات موسى، أو الدلالات على نبوة محمد ﷺ. ﴿وَمَنْ يُبَدِّلُ﴾ وعيد. ﴿وَسَخَّرُونَ﴾ كفار قريش سخروا من فقراء المسلمين كبلال وصهيب ؓ. ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ هم المؤمنون الذين سخر الكفار منهم. ﴿فَوْقَهُمْ﴾ أي: أحسن حالا منهم، ويحتمل فوقية المكان؛ لأن الجنة في السماء. ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ إن أراد في الآخرة ف"مَنْ" كناية عن المؤمنين، والمعنى رد على الكفار أي: إن رزق الكفار في الدنيا فإن المؤمنين يرزقون في الآخرة، وإن أراد في الدنيا؛ فيحتمل أن تكون "مَنْ" كناية عن المؤمنين أي: سيرزقهم الله، ففيه وعد لهم، وأن تكون كناية عن الكافرين أي: أن رزقهم في الدنيا بمشيئة الله لا على وجه الكرامة لهم. ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ إن كان للمؤمنين فيحتمل أن يريد بغير تضييق أو من حيث لا يحاسبون أو لا يحاسبون عليه، وإن كان للكفار فمن غير تضييق. ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: متفقين في الدين، وقيل: كفار في زمن نوح عليه السلام، وقيل: مؤمنون ما بين آدم ونوح، أو من كان مع نوح في السفينة وعلى ذلك يقدر، فاختلَفوا بعد اتفاقهم، ويدل عليه قوله: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾. ﴿الْكِتَابِ﴾ هنا جنس، أو مع كل نبي كتابه. ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ الضمير المجرور يعود على "الكتاب"، أو على الضمير المجرور

مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اٰخْتَلَفُوا فِيهِ  
 مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٦﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا  
 الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ۗ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى  
 يَقُولُ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٧﴾ يَسْأَلُونَكَ  
 مَاذَا يُنْفِقُونَ ۗ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ  
 السَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٨﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ  
 وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ  
 يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٩﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۗ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ

المتقدم، وقال الزمخشري: يعود على "الحق". وأما الضمير في "أوتوه" فيعود على "الكتاب"، والمعنى: تقيح  
 الاختلاف بين الذين أوتوا الكتاب بعد أن جاءتهم البيّنات. ﴿بَغْيًا﴾ أي: حسداً أو عدواناً، وهو مفعول من  
 أجله، أو مصدر في موضع الحال. ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني: أمة محمد ﷺ. ﴿لِمَا اٰخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي:  
 للحق فيما اختلفوا فيه؛ ف"ما" بمعنى الذي، وقبلها مضاف محذوف، والضمير في "اختلفوا" لجميع الناس؛  
 يريد اختلافهم في الأديان، فهدى الله المؤمنين لدين الحق، وتقدير الكلام: فهدى الله الذين آمنوا لإصابة ما  
 اختلف فيه الناس من الحق، و"من" في قوله ﴿مِنَ الْحَقِّ﴾ لبيان الجنس، أي: جنس ما وقع فيه الخلاف.  
 ﴿بِإِذْنِهِ﴾ قيل: بعلمه، وقيل: بأمره. ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ خطاب للمؤمنين على وجه التشجيع لهم، والأمر بالصبر  
 على الشدائد. ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ﴾ أي: لا تدخلوا الجنة حتى يصيبكم مثل ما أصاب من قبلكم. ﴿مَثَلُ الَّذِينَ﴾  
 أي: حالهم، وعبر عنه بالمثل لأنه في شدته يضرب به المثل. ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ بالتخويف والشدائد. ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ  
 اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ يحتمل أن يكون جواباً للذين قالوا "متى نصر الله"، وأن يكون إخباراً مستأنفاً، وقيل: إن الرسول  
 قال ذلك لما قال الذين معه "متى نصر الله". ﴿فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ إن أريد بالنفقة الزكاة فذلك منسوخ،  
 والصواب أن المراد التطوع فلا نسخ، وقدم في الترتيب الأهم فالأهم، وورد السؤال عن المنفق، والجواب  
 عن مصرفه؛ لأنه كان المقصود بالسؤال، وقد حصل الجواب عن المنفق في قوله "من خير". ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ  
 الْقِتَالُ﴾ إن كان على الأعيان فنسخه ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً﴾ فصار القتال فرض كفاية، وإن كان  
 على الكفاية فلا نسخ. ﴿كُرْهٌ﴾ مصدر كره للمبالغة، أو اسم مفعول، كالتخيز بمعنى: المخبوز. ﴿وَعَسَى أَنْ  
 تَكْرَهُوا﴾ حض على القتال. ﴿الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ جنس، وهي أربعة أشهر: رجب وذو القعدة وذو الحجة  
 والمحرم. ﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾ بدل من "الشهر"، وهو مقصود السؤال. ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ أي: ممنوع، ثم نسخه

وَصَدُّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ، مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ  
وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ وَإِنْ  
أَسْتَطَعُوا ۖ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ، فَيَمُتْ وَهُوَ كَاْفِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي  
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا  
وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ  
﴿٢١٨﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۗ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا  
أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ۗ وَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ۗ قُلِ الْعَفْوَ ۗ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ

﴿قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ وذلك بعيد فإن "حيث وجدتموهم" عموم في الأمكنة لا في الأزمنة،  
ويظهر أن ناسخه: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ بعد ذكر الأشهر الحرم فكان التقدير: قاتلوا فيها، ويدل عليه:  
﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾، ويحتمل أن يكون المراد وقوع القتال في الشهر الحرام أي: بإباحته حسبا  
استقر في الشرع؛ فلا تكون الآية منسوخة بل ناسخة لما كان في أول الإسلام من تحريم القتال في الأشهر  
الحرم. ﴿وَصَدُّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ابتداء وما بعده معطوف عليه، و﴿أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ خبر الجميع أي: أن هذه  
الأفعال القبيحة التي فعلها الكفار أعظم عند الله من القتال في الشهر الحرام الذي عير به الكفار المسلمين في  
سرية عبد الله بن جحش ۞ حين قاتل في أول يوم من رجب، وقد قيل: إنه ظن أنه آخر يوم من جمادى.  
﴿وَالْمَسْجِدِ﴾ عطف على "سبيل الله" ﴿حَتَّى يَرُدُّوكُمْ﴾ قال الزمخشري: "حتى" هنا للتعليل. ﴿فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ  
أَعْمَالُهُمْ﴾ ذهب مالك إلى أن المرتد يحبط عمله بنفس الارتداد سواء رجع إلى الإسلام أو مات على الارتداد،  
ومن ذلك انتقاض وضوئه وبطلان صومه، وذهب الشافعي إلى أنه لا يحبط إلا إن مات كافرا؛ لقوله "فيمت  
وهو كافر"، وأجاب المالكية: بأن قوله: "حبطت أعمالهم" جزاء على الردة، وقوله ﴿أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا  
خَالِدُونَ﴾ جزاء على الموت على الكفر، وفي ذلك نظر. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية نزلت في عبد الله بن جحش  
وأصحابه ۞. ﴿الْخَمْرِ﴾ كل مسكر من العنب وغيره. ﴿وَالْمَيْسِرِ﴾ القمار، وكان ميسر العرب بالقداح في لحم  
الجزور، ثم يدخل في ذلك النرد والشطرنج وغيرهما، وروي أن السائل عنها كان حمزة بن عبد المطلب ۞.  
﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ نص في التحريم وأنها من الكبائر؛ لأن الإثم حرام لقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ  
مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ۗ وَالْإِثْمَ﴾ خلافا لمن قال إنها حرمتها آية المائدة لا هذه الآية. ﴿وَمَنْتَفِعٌ﴾ في الخمر التلذذ والطرب،  
وفي القمار الاكتساب به، ولا يدل ذكر المنافع على الإباحة، قال ابن عباس ۞: المنافع قبل التحريم والإثم بعده.  
﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ تغليبا للإثم على المنفعة، وذلك أيضا بيان للتحريم. ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾ أي: السهل من

لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٣﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى ۗ قُلْ إِصْلَحْ لَهُمْ خَيْرٌ ۗ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِحْوَانُكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ ۗ وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ ۗ وَلَا وَعَجَبْتُمْ ۗ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۗ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ ۗ وَلَا أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى الْبِنَارِ ۗ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۗ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣٥﴾ وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۗ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي

غير مشقة، وقراءة الجماعة بالنصب بإضمار فعل، مشاكلة للسؤال على أن يكون "ماذا" مركبا مفعول "ينفقون"، وقرأ أبو عمرو بالرفع بالابتداء مشاكلة للسؤال على أن يكون "ما" مبتدأ و"ذا" خبره. ﴿تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ أي: في أمرهما. ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ كانوا قد تجنبوا اليتامى تورعا، فنزلت الآية بإباحة مخالطتهم بالإصلاح لهم، فإن قيل: لم جاء "يسألونك" بالواو ثلاث مرات، وبغير واو ثلاث مرات قبلها؟ فالجواب: أن سؤالهم عن المسائل الثلاث الأول وقع في أوقات مفترقة فلم يأت بحرف عطف وجاءت الثلاثة الأخيرة بالواو لأنها كانت متناسقة. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ تحذير من الفساد؛ وهو أكل أموال اليتامى. ﴿لَأَعْنَتَكُمْ﴾ لضيق عليكم بالمنع من مخالطتهم، قال ابن عباس ؓ: لأهلككم بما سبق من أكلكم لأموال اليتامى. ﴿وَلَا تَنْكِحُوا﴾ أي: لا تتزوجوا؛ والنكاح مشترك بين الوطاء والعقد. ﴿الْمُشْرِكَاتِ﴾ عباد الأوثان من العرب، فلا تتناول اليهود ولا النصراني المباح نكاحهن في المائدة، فلا تعارض بين الموضوعين ولا نسخ خلافا لمن قال آية المائدة نسخت هذه، ولمن قال هذه نسخت آية المائدة فمنع نكاح الكتابيات، ونزلت الآية بسبب مرثد الغنوي أراد أن يتزوج امرأة مشركة. ﴿وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾ أي: أمة لله حرة كانت أو مملوكة، وقيل: أمة مملوكة مؤمنة خير من حرة مشركة. ﴿وَلَوْ أَعْجَبْتُمْ﴾ في الجهال والمال وغير ذلك. ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: لا تزوجوهم نساءكم، وانعقد الإجماع على أن الكافر لا يتزوج مسلمة سواء كان كتابيا أو غيره، واستدل المالكية على وجوب الولاية في النكاح بقوله: "ولا تنكحوا المشركين"؛ لأنه أسند نكاح النساء إلى الرجال. ﴿وَلَعَبْدٌ﴾ أي: عبد لله، وقيل: مملوك. ﴿أُولَٰئِكَ﴾ المشركات والمشركون. ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ إلى الكفر الموجب للنار. ﴿بِإِذْنِهِ﴾ أي: بإرادته أو علمه. ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ سأل عن ذلك عباد بن بشر وأسيد بن حضير ؓ، قال لرسول الله ﷺ: ألا نجتمع النساء في المحيض خلافا لليهود؟ ﴿هُوَ أَذَىٰ﴾ مستقذر، وهذا تعليل لتحريم الجماع في المحيض. ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ﴾ اجتنبوا جماعهن، وقد فسر ذلك الحديث بقوله: «لتشد عليها إزارها وشأنك بأعلاها» [الموطأ: 125].

الْمَجِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٣﴾ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ وَابْنِي شِعْمَةَ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوَةٌ ۗ وَنَشِرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٤﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ۖ أَنْ تَبْرُوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ۖ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۗ

﴿حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾ أي: ينقطع عنهن الدم. ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ أي: اغتسلن بالماء، وتعلق الحكم بالغاية الأخيرة عند مالك والشافعي، فلا يجوز عندهما وطء الحائض حتى تغتسل، وبالغاية الأولى عند أبي حنيفة فأجاز الوطء عند انقطاع الدم وقبل الغسل، وقرئ "حتى يطهرن" بالتشديد، ومعنى هذه القراءة: بالماء، فتكون الغايتان بمعنى واحد وذلك حجة لمالك. ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ قبل المرأة. ﴿التَّوَّابِينَ﴾ من الذنوب. ﴿الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ بالماء أو من الذنوب. ﴿حَرْثٌ لَكُمْ﴾ أي: موضع حرث، وذلك تشبيه للجماع في إلقاء النطفة وانتظار الولد بالحرث في إلقاء البذر وانتظار الزرع. ﴿أَبْنِي شِعْمَةَ﴾ أي: كيف شتتم من الهيثات أو متى شتتم، لا أين شتتم؛ لأنه يوهم الإتيان في الدبر، وقد افترى من نسب جوازه إلى مالك، وقد تبرأ هو من ذلك، وقال: إنما الحرث في موضع الزرع. ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ أي: الأعمال الصالحة. ﴿عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ أي: لا تكثروا الحلف بالله فتبدلوا اسمه، و﴿أَنْ تَبْرُوا﴾ على هذا علة للنهي؛ فهو مفعول من أجله أي: نهيتهم عن كثرة الحلف كي تبروا، وقيل: المعنى لا تحلفوا على أن تبروا وتتقوا، وافعلوا البر والتقوى دون يمين؛ ف"أن تبروا" على هذا هو المحلوف عليه، وال"عرضة" مانع، من قولك: عرض له أمر حال بينه وبين كذا، أي: لا تمتنعوا بالحلف بالله من فعل البر والتقوى، ومن ذلك يمين أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن لا ينفق على مسطح، ف"أن تبروا" على هذا علة لا تمتنعهم؛ فهو مفعول من أجله، أو مفعول بـ"عرضة" لأنها بمعنى مانع. ﴿بِاللَّغْوِ﴾ الساقط، وهو عند مالك قولك: نعم والله ولا والله، الجاري على اللسان من غير قصد، وفاقا للشافعي، وقيل: أن يحلف على الشيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه وفاقا لأبي حنيفة، وقال ابن عباس رضي الله عنه: اللغو الحلف حين الغضب، وقيل: اللغو اليمين على المعصية، والمؤاخذه العقاب أو وجوب الكفارة. ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي: قصدت فهو خلاف اللغو، وقال ابن عباس رضي الله عنه: هو اليمين الغموس، وذلك أن يحلف على الكذب متعمدا، وهو حرام إجماعا، وليس فيه كفارة عند مالك خلافا للشافعي. ﴿يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ يحلفون على ترك وطئهن، وإنما



فَإِنْ فَاءٌ وَإِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٧﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۖ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۗ وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيَنَّ بِالْعُرُوفِ ۗ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٨﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَيْنِ ۖ فإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ

تعدى بـ"من" لأنه تضمن معنى البعد منهن، ويدخل في عموم قوله: "الذين" كل حالف حرا كان أو عبدا؛ إلا أن مالكا جعل مدة إيلاء العبد شهرين خلافا للشافعي، ويدخل في إطلاق الإيلاء اليمين بكل ما يلزم عنه حكم، خلافا للشافعي في قصره الإيلاء على الحلف بالله؛ ووجهه أنها اليمين الشرعية، ولا يكون موليا عند مالك والشافعي إلا إذا حلف على مدة أكثر من أربعة أشهر، وعند أبي حنيفة أربعة أشهر فصاعدا، فإذا انقضت الأربعة الأشهر وقف المولي عند مالك والشافعي؛ فإما فاء وإلا طلق، فإن أبى طلق عليه الحاكم، وقال أبو حنيفة: إذا انقضت الأربعة الأشهر وقع الطلاق دون توقيف. ولفظ الآية يحتمل القولين. ﴿فَإِنْ فَاءٌ﴾ رجعوا إلى الوطء وكفروا عن اليمين. ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: يغفر ما في الإيلاء من الإضرار بالمرأة. ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ العزيمة على قول مالك؛ التطبيق أو الإيابة فيطلق عليه الحاكم، وعند أبي حنيفة ترك الفيء حتى تنقضي الأربعة الأشهر، والطلاق في الإيلاء رجعي عند مالك، بائن عند الشافعي وأبي حنيفة. ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ بيان للعدة، وهو عموم مخصوص خرجت منه الحامل بقوله تعالى: ﴿وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾، واليائسة والصغيرة بقوله: ﴿وَاللَّائِي يَيْئَسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ﴾ الآية، والتي لم يدخل بها بقوله: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾ فبقي حكمها في المدخول بها وهي في سن من تحيض، وقد خص مالك منها الأمة فجعل عدتها قرءين. و"يتربصن" خبر بمعنى الأمر. ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ انتصب "ثلاثة" على أنه مفعول به هكذا قال الزمخشري، و"قروء" جمع قرء، وهو مشترك في اللغة بين الطهر والحيض، فحملة مالك والشافعي على الطهر لإثبات التاء في "ثلاثة"؛ فإن الطهر مذكر والحيض مؤنث، ولقول عائشة رضي الله عنها: الأقرء هي الأطهار. وحملة أبو حنيفة على الحيض؛ لأنه الدليل على براءة الرحم، وذلك مقصود العدة؛ فعلى قول مالك تنقضي العدة بالدخول في الحيضة الثالثة إذا طلقها في طهر لم يمسه فيها، وعند أبي حنيفة بالطهر منها. ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ يعني: الحمل والحيض ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾ جمع بعل، وهو هنا الزوج. ﴿فِي ذَلِكَ﴾ أي: في زمان العدة. ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيَنَّ﴾ من الاستمتاع وحسن المعاشرة. ﴿دَرَجَةٌ﴾ في الكرامة، وقيل: بالإنفاق، وقيل: كون الطلاق بيده. ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَيْنِ﴾ بيان لعدد الطلاق الذي يرتجع منه دون زوج آخر، وقيل: بيان لعدد الطلاق الذي يجوز إيقاعه، وهو طلاق السنة. ﴿فَإِمْسَاكٌ﴾ ارتجاع؛ وهو مرفوع بالابتداء أو بالخبر. ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ حسن المعاشرة وتوفية الحقوق. ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ﴾ هو تركها حتى تنقضي العدة

بِإِحْسَانٍ ۗ وَلَا تَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ تَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۗ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۗ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٠٦﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ۗ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا

فتبين منه. ﴿بِإِحْسَانٍ﴾ المتعة، وقيل: التسريح هنا الطلقة الثالثة بعد الاثنتين، وروي في ذلك حديث ضعيف، وهو بعيد؛ لأن قوله بعد ذلك: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ هو الطلقة الثالثة، وعلى ذلك يكون تكراراً، والطلقة الرابعة لا معنى لها. ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا﴾ الآية نزلت بسبب ثابت بن قيس اشتكت منه امرأته ﷺ إلى رسول الله ﷺ فقال لها: «أتردين عليه حديثه؟» قالت: نعم، فدعاها فطلقها على ذلك [البخاري: 5273]. وحكمها على العموم، وهي خطاب للأزواج في حكم الفدية؛ وهي الخلع، وظاهرها أنه لا يجوز الخلع إلا إذا خاف الزوجان. ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ وذلك إذا ساء ما بينها وقبحت معاشرتها. ثم إن المخالعة على أربعة أحوال؛ الأول: أن تكون من غير ضرر من الزوج ولا من الزوجة؛ فأجازها مالك وغيره لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ الآية، ومنعها قوم لقوله في هذه الآية: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾. الثاني: أن يكون الضرر منها جميعاً؛ فمنعه مالك في المشهور لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَآءِ آتَيْتُمُوهُنَّ﴾، وأجازه الشافعي لقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾. الثالث: أن يكون الضرر من الزوجة خاصة؛ فأجازها الجمهور لظاهر هذه الآية. الرابع: أن يكون الضرر من الزوج خاصة؛ فمنعه الجمهور لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ الآية. وقد منع بعضهم الخلع مطلقاً لقوله: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ﴾ وأجازه أبو حنيفة مطلقاً، وقوله في ذلك مخالف للكتاب والسنة. ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ خطاب للحكام والمتوسطين في هذا الأمر. ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ هذه هي الطلقة الثالثة بعد الطلقتين المذكورتين في قوله: "الطلاق مرتان". ﴿حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ أجمعت الأمة على أن النكاح هنا العقد مع الدخول والوطء؛ لقوله ﷺ للمطلقة ثلاثاً حين أرادت الرجوع إلى مطلقها قبل أن يمسه الزوج الآخر: «لا، حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلاتك» [البخاري: 2639]، وروي عن سعيد بن المسيب أن العقد يجلها دون وطء؛ وهو قول مرفوض لمخالفته للحديث وخرقه للإجماع، وإنما تحل عند مالك إذا كان النكاح صحيحاً لا شبهة فيه، والوطء مباحاً في غير حيض ولا إحرام ولا اعتكاف ولا صيام، خلافاً لابن الماجشون في الوطاء غير المباح، وأما نكاح المحلل فحرام، ولا يُجمل الزوجة لزوجها عند مالك، خلافاً لأبي حنيفة، والمعتبر في ذلك نية المحلل، لانية المرأة ولا نية المحلل له، وقال قوم: من نوى التحليل منهم أفسد ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ يعني هذا الزوج الثاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ أي: على الزوجة والزوج الأول.

إِنْ ظَنَّ أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ  
النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا  
لِتَعْتَدُوا ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا ۚ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ  
اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ  
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ  
إِذَا تَرَضَوْا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ ۚ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ  
ذَلِكَُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٥﴾ \* وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ

﴿ أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ أي: أوامره فيما يجب من حقوق الزوجة. ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ الآية خطاب  
للأزواج، وهو نهي عن أن يطيل الرجل العدة على المرأة مضارة منه لها، بأن يرتجع قرب انقضاء العدة ثم يطلق  
بعد ذلك، ومعنى ﴿ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ في هذا الموضع قاربين انقضاء العدة وليس المراد انقضاءها؛ لأنه ليس  
بيده إمساك حينئذ. ومعنى ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ ﴾ راجعوهن. ﴿ بِمَعْرُوفٍ ﴾ هنا قيل: هو الإشهاد، وقيل: النفقة.  
﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ الآية، هذه الأخرى خطاب للأولياء، وبلوغ الأجل هنا انقضاء العدة. ﴿ فَلَا  
تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ أي: لا تمنعهن ﴿ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ ﴾ أي: يراجعن الأزواج الذين طلقوهن، قال السهيلي:  
نزلت في معقل بن يسار ؓ، كان له أخت فطلقها زوجها، ثم أراد مراجعتها وأرادت هي مراجعته، فمنعها  
أخوها، وقيل: نزلت في جابر بن عبد الله ؓ، وذلك أن رجلا طلق أخته وتركها حتى تمت عدتها، ثم أراد  
ارتجاعها، فمنعها جابر ؓ وقال: تركتها وأنت أملك بها، لا زوجتكها أبدا، فنزلت الآية. و﴿ بِالْمَعْرُوفِ ﴾  
هنا: الصداق، وقيل: الإشهاد، وهذه الآية تقتضي ثبوت حق الولي في نكاح وليته خلافا لأبي حنيفة. ﴿ ذَلِكَ  
يُوعِظُ بِهِ ﴾ خطاب للنبي ﷺ، أو لكل أحد على حدته؛ ولذلك وحد ضمير الخطاب. ﴿ ذَلِكَُمْ أَزْكَى لَكُمْ ﴾  
خطابا للمؤمنين، والإشارة إلى ترك العضل، ومعنى "أزكى" أطيب للنفس ومعنى ﴿ أَطْهَرُ ﴾ للدين والعرض.  
﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ ﴾ خبر بمعنى الأمر، وتقتضي الآية حكيمين؛ الأول: من يرضع الولد؟  
فمذهب مالك: أن المرأة يجب عليها إرضاع ولدها ما دامت في عصمة والده، إلا أن تكون شريفة لا يرضع  
مثلا فلا يلزمها ذلك، وإن كان والده قد مات وليس للولد مال لزمها إرضاعه في المشهور، وقيل:  
أجرة رضاعه على بيت المال، وإن كانت مطلقة بائنا لم يلزمها إرضاعه؛ لقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ  
فَأْتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ ﴾ إلا أن تشاء هي فهي أحق به بأجرة المثل، فإن لم يقبل غيرها وجب عليها إرضاعه،  
ومذهب الشافعي وأبي حنيفة أنها لا يلزمها إرضاعه أصلا، والأمر في هذه الآية عندهما على الندب،

حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضْعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ  
لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ  
مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا

وقال: أبو ثور: يلزمها على الإطلاق لظاهر الآية وحملها على الوجوب، وأما مالك فحملها في موضع على الوجوب، وفي موضع على الندب، وفي موضع على التخيير، حسب ما ذكر من التقسيم في المذهب، الحكم الثاني: مدة الرضاع، وقد ذكرها في قوله: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ وإنما وصفها بكاملين؛ لأنه يجوز أن يقال في حول وبعض آخر حولان، فرغ ذلك الاحتمال وأباح الفطام قبل تمام الحولين بقوله تعالى: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضْعَةَ﴾ واشترط أن يكون الفطام عن تراضي الأبوين بقوله: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾ الآية، فإن لم يكن على الولد ضرر في الفطام ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾، ومن دعا منها إلى تمام الحولين فذلك له، وأما بعد الحولين فمن دعا منها إلى الفطام فذلك له، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إنما يرضع حولين من مكث في البطن ستة أشهر، فإن مكث سبعة فرضاعه ثلاثة وعشرون شهرا، وإن مكث تسعة فرضاعه إحدى وعشرون لقوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾. ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ في هذه النفقة والكسوة قولان؛ أحدهما: أنها أجرة رضاع الولد أوجبها الله للأب على الوالد؛ وهو قول الزمخشري وابن العربي، والثاني: أنها نفقة الزوجات على الإطلاق، وقال منذر بن سعيد البلوطي: هذه الآية نص في وجوب نفقة الرجل على زوجته، وعلى ذلك حملها ابن الفرس. ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: على قدر حال الزوج في ماله والزوجة في منصبها، وقد بين ذلك بقوله: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾ قرئ بفتح الراء لالتقاء الساكنين على النهي، ويرفعها على الخبر ومعناه النهي، ويحتمل على كل واحد من الوجهين: أن يكون الفعل مسندا إلى الفاعل، فيكون ما قبل الآخر مكسورا قبل الإدغام، أو يكون مسندا إلى المفعول فيكون مفتوحا، والمعنى على الوجهين: النهي عن إضرار أحد الوالدين بالآخر بسبب الولد، ويدخل في عموم النهي وجوه الضرر كلها، والباء في قوله "بولدها" و"بولده" سببية، والمراد بقوله: ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ﴾ الوالد، وإنما ذكره بهذا اللفظ إعلاما بأن الولد ينسب له لا للأب. ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ اختلف في "الوارث" فقيل: وارث المولود له، وقيل: وارث الصبي لومات، وقيل: هو الصبي نفسه، وقيل: من بقي من أبويه، واختلف في المراد بقوله "مثل ذلك"، فقال مالك وأصحابه: عدم المضارة، وذلك يجري مع كل قول في "الوارث" لأن ترك الضرر واجب على كل أحد، وقيل: المراد أجرة الرضاع من النفقة والكسوة، ويختلف هذا القول بحسب الاختلاف في الوارث فأما على القول بأن الوارث هو الصبي فلا إشكال؛ لأن أجرة رضاعه في ماله، وأما على سائر الأقوال، فقيل: إن الآية منسوخة فلا تجب أجرة الرضاع على أحد غير الوالد، وقيل: إنها محكمة فتجب أجرة الرضاع على وارث الصبي لومات

وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ ۗ  
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٠﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا  
يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي  
أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣١﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ  
خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ  
سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا ۖ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ ۗ  
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ۗ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٢﴾

أو على وارث الوالد؛ وهو قول قتادة والحسن البصري. ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا﴾ إباحة لاتخاذ الضئر.  
﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: دفعتم أجرة الرضاع. ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا  
يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ الآية عموم في كل متوفى عنها، سواء توفي زوجها بعد الدخول أو  
قبله؛ إلا الحامل فعدتها وضع حملها سواء وضعت قبل الأربعة الأشهر والعشرة أو بعدها عند مالك  
والشافعي وجهور العلماء، وقال علي بن أبي طالب ؓ: عدتها أبعد الأجلين. وخص مالك من ذلك الأمة  
فعدتها في الوفاة شهران وخمس ليال، و"يتربصن" معناه: عن التزويج، وقيل: عن الزينة فيكون أمرا بالإحداد،  
وإعراب "الذين" مبتدأ، وخبره "يتربصن" على تقدير أزواجهم يتربصن، وقيل: التقدير: وأزواج الذين  
يتوفون منكم يتربصن، وقال الكوفيون: الخبر عن "الذين" متروك، والقصد الإخبار عن أزواجهم. ﴿فِيمَا  
فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ من التزوج والزينة. ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ هنا: إذا كان غير منكر، وقيل: معناه الإشهاد. ﴿وَلَا  
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ﴾ الآية إباحة التعريض بخطبة المرأة المعتدة، ويقضي ذلك النهي عن التصريح  
ثم أباح ما يضم في النفس بقوله: ﴿أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾. ﴿سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ أي: تذكروهن في أنفسكم  
وبالاستكم لمن يخف عليكم، وقيل: أي ستخطبونهن إن لم تنتهوا عن ذلك. ﴿لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أي: لا  
تواعدوهن في العدة خفية بأن تتزوجوهن بعد العدة، وقال مالك فيمن يعد في العدة ثم يتزوج بعدها: فراقها  
أحب إلي، ثم يكون خاطبا من الخطاب، وقال ابن القاسم: يجب فراقها. ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾  
استثناء منقطع، والقول المعروف هنا: ما أبيح من التعريض كقوله: إنكم لأكفاء كرام، وقوله: إن الله  
سيفعل معك خيرا، وشبه ذلك. ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ الآية نهي عن عقد النكاح قبل إتمام العدة،  
و﴿الْكِتَابُ﴾ هنا: القدر الذي شرع من العدة، ومن تزوج امرأة في عدتها فرق بينها اتفاقا، فإن دخل بها  
حرمت عليه على التأييد عند مالك خلافا للشافعي وأبي حنيفة، واختلف عن مالك في تأييد التحريم إذا لم

لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٣﴾  
 وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى

يدخل بها، وإذا دخل بها ولم يطأها. ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ﴾ الآية، قيل: إنها إباحة للطلاق قبل الدخول، لما نهى عن التزويج بمعنى الذوق وأمر بالتزويج طلب العصمة ودوام الصحبة، ظن قوم أن من طلق قبل البناء وقع في المنهي عنه، فنزلت الآية رافعة للجناح في ذلك، وقيل: إنها في بيان ما يلزم من الصداق والمتعة في الطلاق قبل الدخول؛ وذلك أن من طلق قبل الدخول، فإن كان لم يفرض لها صداقا؛ وذلك في نكاح التفويض فلا شيء عليه من الصداق لقوله: "لا جناح عليكم إن طلقتم النساء" الآية فالمعنى: لا طلب عليكم بشيء من الصداق، ويؤمر بالمتعة لقوله تعالى: ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾، وإن كان قد فرض لها فعليه نصف الصداق لقوله تعالى: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ ولا متعة عليه؛ لأن المتعة إنما ذكرت لمن لم يفرض لها بقوله: ﴿أَوْ تَفْرِضُوا﴾، "أو" فيه بمعنى الواو. ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ أي: أحسنوا إليهن وأعطوهن شيئا عند الطلاق، والأمر بالمتعة مندوب عند مالك واجب عند الشافعي. ﴿عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرَهُ﴾ أي: يتمتع كل واحد على قدر ما يجيد، و"الموسع" الغني، و﴿الْمُقْتِرِ﴾ الضيق الحال، وقرئ بإسكان دال "قدره" وفتحها وهما بمعنى، و﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ هنا أي: لا حيل فيه ولا تكلف على أحد الجانبين. ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ تعلق الشافعي في وجوب المتعة بقوله "حقا"، وتعلق مالك في الندب بقوله "على المحسنين"؛ لأن الإحسان تطوع بها لا يلزم. ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ الآية، بيان أن المطلقة قبل الدخول لها نصف الصداق إذا كان قد فرض لها صداق مسمى، بخلاف نكاح التفويض. ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ﴾ النون فيه نون جماعة النسوة يريد المطلقات، والعفو هنا بمعنى الإسقاط أي: للمطلقات قبل الدخول نصف الصداق إلا أن يسقطنه، وإنما يجوز إسقاط المرأة إذا كانت مالكة أمر نفسها. ﴿أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ قال ابن عباس ؓ ومالك وغيرهما: هو الولي الذي تكون المرأة في حجره، كالأب في ابنته المحجورة والسيد في أمته، فيجوز له أن يسقط نصف الصداق الواجب لها بالطلاق قبل الدخول، وأجاز شريح إسقاط غير الأب من الأولياء، وقال علي بن أبي طالب ؓ والشافعي: "الذي بيده عقدة النكاح" هو الزوج، وعفوه أن يعطي النصف الذي سقط عنه من الصداق، ولا يجوز عندهما أن يسقط الأب النصف الواجب لابنته، وحجة مالك أن قوله "الذي بيده عقدة النكاح" في الحال، والزوج ليس بيده بعد الطلاق عقدة النكاح، وحجة الشافعي قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ فإن الزوج إذا تطوع بإعطاء النصف الذي لا يلزمه فذلك فضل، وأما إسقاط الأب

وَلَا تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٧٧﴾ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ  
وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿١٧٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَا أَمِنْتُمْ  
فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٧٩﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ  
وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ ۖ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ  
عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٨٠﴾

لحق ابنته فليس فيه تقوى؛ لأنه إسقاط حق الغير. ﴿وَلَا تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ قيل: إنه يعني إسقاط المرأة نصف صداقتها، أو دفع الرجل النصف الساقط عنه، واللفظ أعم من ذلك. ﴿وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ جرد ذكرها بعد دخولها في ﴿الصَّلَوَاتِ﴾ اعتناء بها، وهي الصبح عند مالك وأهل المدينة، والعصر عند علي بن أبي طالب ؓ لقوله ﷺ: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر» [البخاري: 2931]، وقيل: هي الظهر، وقيل: المغرب، وقيل: العشاء الآخرة، وقيل: الجمعة، وسميت الوسطى لتوسطها في عدد الركعات، وعلى القول بأنها المغرب لأنها بين الركعتين والأربع، أو لتوسط وقتها على القول بأنها الصبح لأنها متوسطة بين الليل والنهار، وعلى القول بأنها الظهر أو الجمعة لأنها في وسط النهار أو لفضلها من الوسط وهو الخيار، وعلى هذا يجري اختلاف الأقوال فيها. ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ﴾ معناه في صلاتكم ﴿قَانِتِينَ﴾ هنا: ساكتين وكانوا يتكلمون في الصلاة حتى نزلت، قاله ابن مسعود وزيد بن أرقم ؓ، وقيل: خاشعين، وقيل: هنا طول القيام. ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ أي: من عدو أو سبع أو غير ذلك مما يخاف منه على النفس ﴿فَرِجَالًا﴾ جمع راجل أي: على رجليه. ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ جمع زاكب أي: صلوا كيف ما كنتم من ركوب أو غيره وذلك في صلاة المسافرة، ولا ينقص فيها من ركعتين في السفر وأربع في الحضر عند مالك. ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ الآية، قيل: المعنى إذا زال الخوف فصلوا الصلاة التي علمتموها وهي التامة، وقيل: إذا أتمتم فاذكروا الله. ﴿كَمَا عَلَّمَكُمْ﴾ هذه الصلاة التي تجزئكم في حال الخوف، فالذكر على القول الأول بمعنى الصلاة، وعلى الثاني بمعنى الشكر. ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ هذه الآية منسوخة ومعناها: أن الرجل إذا مات كان لزوجته أن تقيم في منزله سنة وينفق عليها من ماله وذلك وصية لها، ثم نسخ إقامتها سنة بالأربعة الأشهر والعشر، ونسخت النفقة بالربع أو الثمن الذي لها من الميراث حسبما ذكر في سورة النساء، وإعراب "وصية" مبتدأ وخبره "لأزواجهم"، أو مضمرة تقديره فعلهم وصية، وقرئت بالنصب على المصدر تقديره ليوصوا وصية، و﴿مَتَاعًا﴾ نصب على المصدر. ﴿غَيْرِ إِخْرَاجٍ﴾ أي: ليس لأولياء الميت إخراج المرأة ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ معناه إذا كان الخروج من قبل المرأة ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ على أحد فيما فعلت في نفسها من تزوج وزينة.

وَلَمَّا طَلَّكَتِ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ ۗ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٢١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٢٢﴾ \* أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَمْضَاعًا كَثِيرَةً ۗ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٢٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ هُمْ أَجَعَتْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٢٦﴾

﴿وَلَمَّا طَلَّكَتِ مَتَّعٌ﴾ عام في إمتاع كل مطلقة ويعمومه أخذ أبو ثور، واستثنى الجمهور المطلقة قبل الدخول وقد فرض لها بالآية المتقدمة، واستثنى مالك المختلعة والملاعة. ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ يدل على وجوب المتعة وهي الإحسان للمطلقات؛ لأن التقوى واجبة ولذلك قال بعضهم: نزلت مؤكدة للمتعة لأنه نزل قبلها "حقا على المحسنين"، فقال رجل: فإن لم أرد أن أحسن لم أمتع فنزلت "حقا على المتقين". ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ رؤية قلب. ﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ قوم من بني إسرائيل أمروا بالجهاد، فخافوا الموت بالقتال، فخرجوا من ديارهم فرارا من ذلك فأماهم الله ليعرفهم أنهم لا ينجيهم من الموت شيء، وقيل: بل فروا من الطاعون. ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ جمع ألف، قيل: ثمانون ألفا، وقيل: ثلاثون ألفا، وقيل: ثمانية آلاف، وقيل: هو من الألفة؛ وهذا ضعيف. ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ عبارة عن إمامتهم، وقيل: إن ملكين صاحبا بهم: موتوا؛ فماتوا ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ ليستوفوا آجالهم. ﴿وَقَاتِلُوا﴾ خطاب لهذه الأمة، وقيل: للذين أماتهم الله ثم أحياهم. ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ استفهام يراد به الطلب والحض على الإنفاق، وذكر لفظ القرض تقريبا للأفهام؛ لأن المنفق ينتظر الثواب كما ينتظر المسلف رد ما أسلف، وروي أن الآية نزلت في أبي الدحداح ؓ حين تصدق بحائط لم يكن له غيره. ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي: خالصا طيبا من حلال من غير من ولا أذى. ﴿فَيُضَاعِفُهُ﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف وبالرفع على الاستئناف، أو عطفا على "يقرض" وبالنصب في جواب الاستفهام. ﴿أَمْضَاعًا كَثِيرَةً﴾ عشرة فما فوقها إلى سبعمائة. ﴿يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾ إخبار يراد به الترغيب في الإنفاق. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ﴾ رؤية قلب، وكانوا قوما نالتهم الذلة من أعدائهم فطلبوا الإذن في القتال فلما أمروا به كرهوه. ﴿لِنَبِيِّهِمْ﴾ قيل: اسمه شمویل، وقيل: شمعون. ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ أي: قاربتم وأراد النبي المذكور أن يتوثق منهم، ويجوز في



وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنْ يَكُونَ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا  
 وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ  
 بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ وَقَالَ لَهُمْ  
 نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ  
 آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم تَرَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ  
 ﴿١٧٥﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي  
 وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا  
 جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۗ

السين من "عسيتم" الكسر والفتح وهو أفصح ولذلك انفرد نافع بالكسر، وأما إذا لم يتصل بعسى ضمير فلا  
 يجوز فيها إلا الفتح. ﴿طَالُوتَ مَلِكًا﴾ قال وهب بن منبه: أوحى الله إلى نبيهم إذا دخل عليك رجل فنش  
 الدهن الذي في القرن فهو ملكهم، وقال السدي: أرسل الله إلى نبيهم عصا، وقال له: إذا دخل عليك رجل  
 على طول هذه العصا فهو ملكهم، فكان ذلك طالوت. ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ روي: أنه كان دباغا ولم  
 يكن من بيت الملك، والواو في قوله "ونحن" واو الحال، وفي قوله ﴿وَلَمْ يُؤْتَ﴾ لعطف الجملة على الأخرى.  
 ﴿بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ كان عالما بالعلوم، وقيل: بالحروب، وكان أطول رجل يصل إلى منكبه. ﴿وَاللَّهُ  
 يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ رد عليهم في اعتقادهم أن الملك يستحق بالبيت أو المال. ﴿أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ كان  
 هذا التابوت قد تركه موسى عند يوشع، فجعله يوشع في البرية، فبعث الله ملائكة حملته فجعلته في دار  
 طالوت، وفيه قصص كثيرة غير ثابتة. ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ قيل: رمح لها رأس ووجه كوجه الإنسان، وقيل:  
 طست من ذهب تغسل فيه قلوب الأنبياء، وقيل: رحمة، وقيل: وقار. ﴿وَبَقِيَّةٌ﴾ قال ابن عباس: هي  
 عصى موسى ورضاض الألواح، وقيل: العصا والنعلان، وقيل: ألواح من التوراة. ﴿آلُ مُوسَىٰ وَآلُ  
 هَارُونَ﴾ يعني أقاربها قال الزمخشري: يعني الأنبياء من بني إسرائيل، ويحتمل أن يريد موسى وهارون  
 وأقحم الآل. ﴿فَصَلَ طَالُوتُ﴾ أي: خرج من موضعه إلى الجهاد. ﴿بِنَهَرٍ﴾ قيل: هو نهر فلسطين. ﴿فَمَنْ  
 شَرِبَ مِنْهُ﴾ الآية، اختبر طاعتهم بمنعهم من الشرب باليد ﴿إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ﴾ رخص لهم في الغرفة باليد،  
 وقرئ بفتح الغين وهو المصدر وبضمها وهو الاسم ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قيل: كانوا ثمانين ألفا فشرَبوا  
 منه كلهم إلا ثلاثمائة وبضعة عشر عدد أصحاب بدر، فأما من شرب فاشتد عليه العطش، وأما من لم يشرب  
 فلم يعطش. ﴿بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ كان كافرا عدوا لهم وهو ملك العماليق، ويقال: إن البربر من ذريته.

قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلِقُوا اللَّهَ كَمْ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ عَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ  
وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٨﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أفرغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ  
أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ  
وَأَتَتْهُ اللَّهُ الْمَلَكُ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴿٢٥٠﴾ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ  
لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا  
عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ \* تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ  
مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ  
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ  
مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ  
ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ ﴿٢٥٤﴾

﴿يَظُنُّونَ﴾ أي: يوقنون وهم أهل البصائر من أصحابه. ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾ كان داود في جند طالوت، فقتل جالوت، فأعطاه الله ملك بني إسرائيل، وفي ذلك قصص كثيرة غير صحيحة. ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ هنا النبوة أو الزبور. ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ صنعة الدروع، ومنطق الطير، وغير ذلك. ﴿وَلَوْلَا دَفَاعُ اللَّهِ﴾ الآية، منه على العباد بدفع بعضهم ببعض، وقرئ "دفاع" بالألف، و"دفع" بغير ألف والمعنى متفق. ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾ الإشارة إلى جماعتهم. ﴿فَضَّلْنَا﴾ نص في التفضيل في الجملة من غير تعيين مفضول كقوله ﷺ: «لا تخبروا بين الأنبياء» [البخاري: 2412] و«لا تفضلوني على يونس بن متى» [البخاري: 3415]، فإن معناه النهي عن تعيين المفضول؛ لأنه تنقيص له وذلك غيبة ممنوعة، وقد صرح ﷺ بفضله على جميع الأنبياء بقوله: «أنا سيد ولد آدم» [مسلم: 6079] لا بفضله على واحد بعينه فلا تعارض بين الحديثين. ﴿مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ موسى عليه السلام. ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ﴾ قيل: هو محمد ﷺ لتفضيله على الأنبياء بأشياء كثيرة، وقيل: هو إدريس لقوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ فالرفعة على هذا في المسافة، وقيل: هو مطلق في كل من فضله الله منهم. ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: من بعد الأنبياء، والمعنى: بعد كل نبي لا بعد الجميع. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلُوا﴾ كرهه تأكيداً وليبني عليه ما بعده. ﴿أَنفِقُوا﴾ يعم الزكاة والتطوع. ﴿لَا بَيْعَ فِيهِ﴾ أي: لا يتصرف أحد في ماله، والمراد: لا تقدرين فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق في الدنيا، ويدخل فيه نفي الفدية؛ لأنها شراء الإنسان نفسه. ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ أي: مودة نافعة؛ لأن كل أحد يومئذ مشغول بنفسه. ﴿وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ أي: ليس في يوم القيامة شفاعة إلا بإذن الله،

وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٤٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٤٧﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٨﴾

فهي في الحقيقة رحمة من الله للمشفوع فيه، وكرامة للشافع، ليس فيها تحكم على الله، وعلى هذا يحمل ما ورد من نفي الشفاعة في القرآن، أعني أنها لا تقع إلا بإذن الله، فلا تعارض بينه وبين إثباتها، وحيث ما كان سياق الكلام في أهوال يوم القيامة والتخويف بها، نفيت الشفاعة على الإطلاق ومبالغة في التهويل، وحيث ما كان سياق الكلام تعظيم لله نفيت الشفاعة إلا بإذنه. ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ قال عطاء بن دينار: الحمد لله الذي قال هكذا ولم يقل: الظالمون هم الكافرون. ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ هذه آية الكرسي، وهي أعظم آية في القرآن حسبها ورد في الحديث، وجاء فيها فضل كبير في الحديث الصحيح وغيره. ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ تنزيهه لله تعالى عن الآفات البشرية، والفرق بين السَّنة والنوم: أن السنة هي ابتداء النوم لا نفسه؛ كقول القائل: في عينه سنة وليس بنائم. ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ استفهام يراد به نفي الشفاعة إلا بإذن الله، فهي في الحقيقة راجعة إليه. ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الضمير عائد على من يعقل ممن تضمنه قوله ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ والمعنى يعلم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم، وقال مجاهد: "ما بين أيديهم" الدنيا "وما خلفهم" الآخرة. ﴿مَنْ عِلْمِهِ﴾ من معلوماته، أي: لا يعلم عباده من معلوماته إلا ما شاء هو أن يعلموه. ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ الكرسي مخلوق عظيم بين يدي العرش؛ وهو أعظم من السموات والأرض، وهو بالنسبة إلى العرش كأصغر شيء، وقيل: كرسية علمه، وقيل: كرسية ملكه. ﴿وَلَا يَؤُودُهُ﴾ أي: لا يثقله ولا يشق عليه. ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ المعنى: أن دين الإسلام في غاية الوضوح وظهور البراهين على صحته بحيث لا يحتاج أن يكره أحد على الدخول فيه؛ بل يدخل فيه كل ذي عقل سليم من تلقاء نفسه دون إكراه، ويدل على ذلك قوله: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ أي: قد تبين أن الإسلام رشد وأن الكفر غي، فلا يفتقر بعد بيانه إلى إكراه، وقيل: معناها المواعدة، وأن لا يكره أحد بقتال على الدخول في دين الإسلام، ثم نسخت بالقتال؛ وهذا ضعيف؛ لأنها مدنية، وإنما آية المسالبة وترك القتال بمكة. ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ العروة في الأجرام: هي موضع الإمساك وشد الأيدي، وهي هنا تشبيه واستعارة في الإيثار. ﴿لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ لا انكسار

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ  
 الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا  
 خَالِدُونَ ﴿٢٠٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ  
 إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي  
 بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
 الظَّالِمِينَ ﴿٢٠٨﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ

لها ولا انفصال. ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي: من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان. ﴿أَوْلِيَاؤُهُمُ  
 الظُّلُمَاتُ﴾ جمع الطاغوت هنا، وأفرد في غير هذا الموضع، فكأنه اسم جنس لما عبد من دون الله، ولمن  
 يضل الناس من الشياطين وبني آدم. ﴿الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ﴾ هو نمرود الملك، وكان يدعي الربوبية فقال  
 لإبراهيم: من ربك؟ قال: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ فقال نمرود: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ وأحضر رجلين؛  
 فقتل أحدهما وترك الآخر، فقال: قد أحييت هذا وأمت هذا، فقال له إبراهيم: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ  
 مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ﴾ أي: انقطع وقامت عليه الحجة، فإن قيل: لم انتقل إبراهيم  
 عن دليله الأول إلى هذا الدليل الثاني، والانتقال علامة الانقطاع؟ فالجواب: أنه لم ينقطع، ولكنه لما  
 ذكر الدليل الأول؛ وهو الإحياء والإماتة، كان له حقيقة وهو فعل الله، ومجاز وهو فعل غيره، فتعلق  
 نمرود بالمجاز غلطا منه أو مغالطة، فحينئذ انتقل إبراهيم إلى الدليل الثاني؛ لأنه لا مجاز له، ولا يمكن  
 الكافر عدول عنه. ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ تقديره: أو رأيت مثل الذي، فحذف لدلالة "ألم تر" عليه؛  
 لأن كليهما كلمتا تعجب، ويجوز أن يحمل على المعنى كأنه قال: رأيت كالذي حاج إبراهيم أو كالذي  
 مر على قرية، وهذا المار، قيل: إنه عزيز، وقيل: الخضر، فقوله: ﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ﴾ ليس إنكارا للبعث  
 ولا استبعادا، ولكنه استعظام لقدرة الذي يحيى الموتى، أو سؤال عن كيفية الإحياء، وصورته لا شك في  
 وقوعه، وذلك مقتضى كلمة "أنى" فأراه الله ذلك عيانا ليزداد بصيرة، وقيل: بل كان كافرا وقالها إنكارا  
 للبعث واستبعادا، فأراه الله الحياة بعد الموت في نفسه وذلك أعظم برهان. ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾  
 أي: خالية من الناس، وقال السدي: سقطت سقوفها وهي العروش ثم سقطت الحيطان على السقف.  
 ﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ﴾ ظاهر هذا اللفظ إحياء هذه القرية بالعمارة بعد الخراب، ولكن المعنى إحياء  
 أهلها بعد موتهم؛ لأن ذلك هو الذي يمكن فيه الشك والإنكار، ولذلك أراه الله الحياة بعد موته،  
 والقرية كانت بيت المقدس لما خربها بختنصر، وقيل: قرية الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف.

بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ  
 قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ  
 وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا  
 تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٦﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي  
 كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا قَالَ فَاخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ  
 الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ

﴿ كَمْ لَبِثْتَ ﴾ سؤال على وجه التقرير. ﴿ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ استقل مدة موته، قيل: أماته الله غدوة يوم، ثم بعثه قبل الغروب من يوم آخر بعد مائة عام، فظن أنه يوم واحد، ثم رأى بقية من الشمس فخاف أن يكذب في قوله "يومًا"، فقال "أو بعض يوم". ﴿ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ ﴾ قيل: كان طعامه تينا وعنبا، وأن شرابه كان عصيرا ولبنا. ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ معناه: لم يتغير؛ بل بقي على حاله طول مائة عام، وذلك أعجوبة إلهية، واللفظ يحتمل أن يكون مشتقا من السنة؛ لأن لامها هاء، فتكون الهاء في "يتسنه" أصلية، أي: لم تغيره السنون، ويحتمل أن يكون مشتقا من قولك: تسنن الشيء إذا فسد، ومنه: الحمأ المسنون، ثم قلبت النون حرف علة؛ كقولهم: قصيت أظفاري، ثم حذف حرف العلة للجزم، والهاء على هذا هاء السكت. ﴿ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ ﴾ قيل: بقي حماره حيا طول المائة عام دون علف ولا ماء، وقيل: مات ثم أحياه الله وهو ينظر إليه. ﴿ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ﴾ التقدير: فعلنا بك هذا لتكون آية للناس، وروي: أنه قام شابا على حالته يوم مات فوجد أولاده وأولادهم شيوخا. ﴿ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ ﴾ هي عظام نفسه، وقيل: عظام الحمار على القول بأنه مات. ﴿ نُنشِرُهَا ﴾ بالراء: نحييها، وقرئ بالزاي؛ ومعناه: نرفعها للإحياء. ﴿ قَالَ أَعْلَمُ ﴾ بهمزة قطع وضم الميم، أي: قال الرجل ذلك اعترافا، وقرئ بألف وصل والجزم على الأمر، أي: قال له الملك ذلك. ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ ﴾ الآية، قال الجمهور: لم يشك إبراهيم في إحياء الموتى، وإنما طلب المعاينة؛ لأنه رأى دابة قد أكلتها السباع والحيات فسأل ذلك السؤال، ويدل على ذلك قوله ﴿ كَيْفَ ﴾؛ فإنها سؤال عن حال الإحياء وصورته، لا عن وقوعه. ﴿ وَلَٰكِن لِّيَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا ﴾ أي: بالمعاينة. ﴿ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ ﴾ قيل: هي الديك والطاوس والحمام والغراب، فقطعها وخلط أجزاءها، ثم جعل من المجموع جزءا على كل جبل وأمسك رؤوسها بيده، ثم قال: تعالين ياذن الله، فتطايرت تلك الأجزاء حتى التأمت وبقيت بلا رؤوس، ثم كرر النداء فجاءته تسعى حتى وضعت أجسادها في رؤوسها وطارت ياذن الله. ﴿ فَصُرْهُنَّ ﴾ أي: ضمهن، وقيل: قطعهن على كل جبل، قيل: أربعة جبال، وقيل: سبعة، وقيل: الجبال التي وصل إليها حيثئذ من غير حصر بعدد.

أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢١٦﴾ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ ۗ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١٧﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ وَأَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢١٨﴾ \* قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذًى ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢١٩﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۗ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٢٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيئًا

﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ظاهره الجهاد، وقد يحمل على جميع وجوه البر. ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ ﴾ كل ما يزرع ويقط، وأشهره القمح، وفي الكلام حذف تقديره: مثل نفقة الذين ينفقون كمثل حبة، أو يقدر في آخر الكلام: كمثل صاحب حبة. ﴿ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ ﴾ بيان أن الحسنة بسبعمئة، كما جاء في الحديث: أن رجلا جاء بناقة فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «لك بها يوم القيامة سبعمئة ناقة» [مسلم: 5005]. ﴿ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ أي: يزيده على سبعمئة، وقيل: هي تأكيد وبيان للسبعمئة، والأول أرجح؛ لأنه ورد في الحديث ما يدل عليه. ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ ﴾ الآية، قيل نزلت في عثمان ؓ، وقيل: في علي ؓ، وقيل: في عبد الرحمن بن عوف ؓ. ﴿ مَنًّا وَلَا أَذًى ﴾ المن: ذكر النعمة على معنى التعديد لها والتفريع بها، والأذى: السب. ﴿ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ ﴾ هو رد النسائل بجميل من القول كالدعاء له والتأنيس. ﴿ وَمَغْفِرَةٌ ﴾ أي: عفو عن السائل إذا وجد منه جفاء، وقيل: مغفرة من الله بسبب الرد الجميل، والمعنى: تفضيل عدم العطاء إذا كان بقول معروف ومغفرة على العطاء الذي يتبعه أذى. ﴿ لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ ﴾ عقيدة أهل السنة: أن السيئات لا تبطل الحسنات، وقالوا في هذه الآية: إن الصدقة التي يعلم الله من صاحبها أنه يمن أو يؤذي لا تقبل منه، وقيل: إن المن والأذى دليل على أن نيته لم تكن خالصة فلذلك بطلت صدقته. ﴿ كَالَّذِي يُنْفِقُ ﴾ تمثيل لمن يمن ويؤذي بالذي ينفق رياء وهو غير مؤمن. ﴿ فَمَثَلُهُ ﴾ أي: مثل المرائي في نفقته كحجر عليه تراب يظنه من يراه أرضا منبثة طيبة فإذا نزل عليه المطر انكشف التراب، فيبقى الحجر لا منفعة فيه، فكذلك المرائي يظن أن له أجرا، فإذا كان يوم القيامة انكشف سره ولم تنفعه نفقته. ﴿ صَفْوَانٍ ﴾ حجر كبير. ﴿ وَابِلٌ ﴾ مطر كثير. ﴿ صَلْدًا ﴾ أملس. ﴿ لَا يَقْدِرُونَ ﴾ أي: لا يقدرُونَ على الانتفاع بثواب شيء من إنفاقهم، وهو كسبهم. ﴿ وَتَثْبِيئًا ﴾ أي: تيقنا وتحقيقا للثواب لأن أنفسهم لها بصائر تحملهم على الإنفاق، ويحتمل أن يكون معنى التثبيت أنهم يثبتون أنفسهم على

مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَفَاتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ  
 فَطَلٌّ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٦٥﴾ أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ ۖ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ  
 وَأَعْنَبٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ  
 ضُعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ۗ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ  
 تَتَفَكَّرُونَ ﴿١٦٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ  
 مِنَ الْأَرْضِ ۗ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ۗ  
 وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يُعِدُّكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ۗ وَاللَّهُ  
 يُعِدُّكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦٨﴾ يُوتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَنْ يُوتِ

الإيمان باحتمال المشقة في بذل المال، وانتصاب "ابتغاء" على المصدر في موضع الحال، وعطف عليه "وتثبिता"، ولا  
 يصح في "تثبिता" أن يكون مفعولا من أجله؛ لأن الإنفاق ليس من أجل التثبیت، فامتنع ذلك في المعطوف عليه  
 وهو "ابتغاء". ﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍ ﴾ تقديره: كمثل صاحب جنة، أو يقدر أولاً: مثل نفقة الذين ينفقون. ﴿ بِرَبْوَةٍ ﴾  
 لأن ارتفاع موضع الجنة أطيب لتربتها وهوائها. ﴿ فَطَلٌّ ﴾ المطر الرقيق الخفيف، والمعنى: يكفي هذه الجنة لكرم  
 أرضها. ﴿ أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ ﴾ الآية، مثل ضرب للإنسان يعمل عملا صالحا حتى إذا كان عند آخر عمره ختم عليه  
 بعمل السوء، أو مثل للكافر أو المنافق أو المرائي المتقدم ذكره آفا، أو ذي المن والأذى؛ فإن كل واحد منهم يظن  
 أنه ينتفع بعمله، فإذا كان يوم حاجته إليه لم يجد شيئا، فشبهم الله بمن كانت له جنة ثم أصابها الجائحة  
 المهلكة، أحوج ما كان إليها لشيخوخته وضعف ذريته، فالواو في قوله: ﴿ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ ﴾ للحال. ﴿ إِعْصَارٌ ﴾  
 أي: ريح فيها سموم محرقة. ﴿ مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ الطيبات هنا عند الجمهور: الجيد غير الرديء، فقيل:  
 إن ذلك في الزكاة فيكون واجبا، وقيل: في التطوع فيكون مندوبا لا واجبا؛ لأنه كما يجوز التطوع بالقليل يجوز  
 بالرديء. ﴿ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا ﴾ النبات والمعادن وغير ذلك. ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ ﴾ أي: لا تقصدوا الرديء.  
 ﴿ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ﴾ في موضع الحال. ﴿ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ ﴾ السواو للحال، والمعنى: أنكم لا تأخذونه في حقوقكم  
 وديونكم إلا أن تتساحموا فيه، و﴿ تُغْمِضُوا ﴾ من قولك: أغمض فلان عن بعض حقه، إذا لم يستوفه، أو إذا  
 غص بصره. ﴿ الشَّيْطَانُ يُعِدُّكُمْ الْفَقْرَ ﴾ الآية، دفع لما يوسوس به الشيطان من خوف الفقر، ففي ضمن ذلك  
 حض على الإنفاق، ثم بين عداوة الشيطان بأمره ﴿ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ وهي المعاصي، وقيل: الفحشاء البخل،  
 والفاحش عند العرب: البخيل، قال ابن عباس ؓ: في الآية اثنتان من الشيطان واثنتان من الله، والفضل هو  
 الرزق والتوسعة. ﴿ يُوتِي الْحِكْمَةَ ﴾ قيل: هي المعرفة بالقرآن، وقيل: النبوة، وقيل: الإصابة في القول والفعل.

الْحِكْمَةَ فَقَدْ أَوْقَىٰ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٢٨﴾ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِّنْ نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٢٩﴾ إِنْ تُبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَبِعِمَّا هِيَ ۗ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُوتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَتُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٣٠﴾ \* لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ ۗ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿١٣٢﴾

﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ نَّفَقَةٍ ﴾ الآية، ذكر نوعين، وهما ما يفعله الإنسان تبرعا، وما يفعله بعد إلزامه نفسه بالنذر، وفي قوله: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴾ وعد بالثواب، وفي قوله: ﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ وعيد لمن يمنع الزكاة أو ينفق ماله لغير الله. ﴿ إِنْ تُبَدُّوا الصَّدَقَاتِ ﴾ هي التطوع عند الجمهور؛ لأنها يحسن إخفاؤها وإبداء الواجبة في الصلوات. ﴿ فَبِعِمَّا هِيَ ﴾ ثناء على الإظهار، ثم حكم أن الإخفاء خير من ذلك الإبداء و"ما" من "نعما" في موضع نصب تفسير للمضمرة والتقدير: فنعم شيء إبدائها ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾ قيل: إن المسلمين كانوا لا يتصدقون على أهل الذمة، فنزلت الآية مبيحة للصدقة على من ليس على دين الإسلام، وذلك في التطوع، وأما الزكاة فلا تدفع لكافر أصلا، فالضمير في "هداهم" على هذا القول للكفار، وقيل: ليس عليك أن تهديهم لما أمروا به من الإنفاق وترك المن والأذى والرياء والإنفاق من الخبيث، إنما عليك أن تبلغهم، والهدى بيد الله، فالضمير على هذا للمسلمين. ﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ ﴾ أي: إن منفعته لكم؛ لقوله: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ﴾. ﴿ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ﴾ قيل: إنه خبر عن الصحابة أنهم لا ينفقون إلا ابتغاء وجه الله، ففيه تركية لهم وشهادة بفضلهم، وقيل: ما تنفقون نفقة تقبل منكم إلا ابتغاء وجه الله، ففي ذلك حض على الإخلاص. ﴿ لِلْفُقَرَاءِ ﴾ متعلق بمحذوف تقديره: الإنفاق للفقراء، وهم هنا المهاجرون. ﴿ أَحْصَرُوا ﴾ حبسوا بالعدو أو بالمرض. ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ يحتمل الجهاد، أو الدخول في الإسلام. ﴿ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ ﴾ هو التصرف في التجارة وغيرها. ﴿ يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ ﴾ أي: يظن الجاهل بحالهم أنهم أغنياء لقله سؤلهم، و﴿ التَّعَفُّفِ ﴾ هنا هو عن الطلب، و"من" سببية، وقال ابن عطية: لبيان الجنس. ﴿ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾ علامة وجوههم، وهي ظهور الجهد والفاقة وقلة النعمة، وقيل: الخشوع، وقيل: السجود. ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ الإلحاف هو الإلحاح في السؤال، والمعنى: أنهم إذا سألوها يتلطفون ولا يلحون، وقيل: هو نفي للسؤال والإلحاح معا، وباقي الآية وعد.



الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا

﴿ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ تعميم لوجوه الإنفاق وأوقاته، قال ابن عباس رضي الله عنه: نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فإنه تصدق بدرهم بالليل وبدرهم بالنهار، وبدرهم سرا وبدرهم علانية، وقال أبو هريرة رضي الله عنه: نزلت في علف الخيل. ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا ﴾ أي: ينتفعون به، وعبر عن ذلك بالأكل لأنه أغلب المنافع، وسواء من أعطاه أو من أخذه، والربا في اللغة الزيادة، ثم استعمل في الشريعة في بيوعات ممنوعة أكثرها راجع إلى الزيادة، فإن غالب الربا في الجاهلية قوهم للغريم: أتقضي أم تُربي، فكان الغريم يزيد في عدد المال ويصبر الطالب عليه، ثم إن الربا على نوعين؛ ربا النسئئة، وربا التفاضل، وكلاهما يكون في الذهب والفضة وفي الطعام، فأما النسئئة فتحرم في بيع الذهب بالذهب، وبيع الفضة بالفضة، وفي بيع الذهب بالفضة وهو الصرف، وفي الطعام بالطعام مطلقا، وأما التفاضل فإنما يحرم في بيع الجنس الواحد بجنسه من النقدين ومن الطعام، ومذهب مالك أنه يحرم التفاضل في المقتات المدخر من الطعام، ومذهب الشافعي أنه يحرم في كل طعام، ومذهب أبي حنيفة أنه يحرم في المكمل والموزون من الطعام وغيره. ﴿ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ أجمع المفسرون أن المعنى: لا يقومون من قبورهم في البعث إلا كالمجنون و"يتخبطه" يتفعله من قولك: خبط يخبط، و"المس" الجنون، و"من" تتعلق بـ"يقوم". ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ﴾ تعليل للعقاب الذي يصيبهم، وإنما هذا للكفار لأن قوهم: ﴿ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾ رد على الشريعة وتكذيب لها، ثم قد يأخذ العصاة بحظ من هذا الوعيد، فإن قيل: هلا قيل: إنما الربا مثل البيع؛ لأنهم قاسوا الربا على البيع في الجواز؟ فالجواب: أن هذا مبالغة، فإنهم جعلوا الربا أصلا حتى شبهوا به البيع. ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ ﴾ عموم يخرج منه البيوع الممنوعة شرعا، وقد عددناها في الفقه ثمانين نوعا. ﴿ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ رد على الكفار، وإنكار للتسوية بين البيع والربا، وفي ذلك دليل على أن القياس يهدمه النص؛ لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم تحليل الله وتحريمه. ﴿ قَلَّ مَا سَلَفَ ﴾ أي: له ما أخذ من الربا، أي: لا يؤاخذ بها فعل منه قبل نزول التحريم. ﴿ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ الضمير عائد على صاحب الربا، والمعنى: أن الله يحكم فيه يوم القيامة فلا تؤاخذوه في الدنيا، وقيل: الضمير عائد على "الربا"، والمعنى: أن أمر الربا إلى الله في تحريمه أو غير ذلك. ﴿ وَمَنْ عَادَ ﴾ الآية، يعني من عاد إلى فعل الربا وإلى القول "إنما البيع مثل الربا"، ولذلك حكم عليه بالخلود في النار؛ لأن ذلك القول لا يصدر إلا من كافر، فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة لكونها في الكفار. ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا ﴾

وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧١﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
 وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ  
 يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٢﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ  
 ﴿٢٧٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتِغُوا فَلََكُمْ رءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا  
 تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٤﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ  
 لَّكُمْ ءَ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧٥﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ  
 مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٧٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى

ينقصه ويذهب «وَيُرِي الصَّدَقَاتِ» ينميها في الدنيا بالبركة وفي الآخرة بمضاعفة الثواب. «كَفَّارٍ أَثِيمٍ»  
 أي: من يجمع بين الكفر والإثم بفعل الربا، وهذا يدل على أن الآية في الكفار. «وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا»  
 سبب الآية: أنه كان بين قريش وثقيف ربا في الجاهلية، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة قال في خطبته: «كل  
 ربا كان في الجاهلية موضوع» [مسلم: 3009]، ثم إن ثقيف أرسلت تطلب الربا الذي كان لهم على قريش فأبوا  
 من دفعه، وقالوا: قد وضع الربا، فتحاكموا إلى عتاب بن أسيد ؓ أمير مكة، فكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ  
 فنزلت الآية. «إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» شرط لمن خاطب به من ثقيف وغيرهم. «فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا  
 بِحَرْبٍ» أي: إن لم تنتهوا عن الربا حوربتهم، ومعنى "فأذنوا" اعلموا، وقرئ بالمد أي: اعلموا غيركم، ولما  
 نزلت قالت ثقيف: لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله. «لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ» أي: "لا تظلمون" بأخذ  
 زيادة على رؤوس أموالكم، "ولا تظلمون" بالنقص منها. «وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ» "كان" تامة بمعنى حضر  
 أو وقع، وقرئ "ذا عسرة" أي: إن كان الغريم ذا عسرة فنظرة إلى ميسرة، حكم الله للمعسر بالإنظار إلى  
 أن يوسر، وقد كان قبل ذلك يباع فيما عليه. و«نَظِرَةٌ» مصدر معناه التأخير، وهو مرفوع على أنه خبر  
 ابتداء، تقديره: فالواجب نظرة أو مبتدأ، و«مَيْسَرَةٍ» أيضا مصدر، وقرئ بضم السين وفتحها. «وَأَن  
 تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ» ندب الله إلى الصدقة على المعسر بإسقاط الدين عنه، فذلك أفضل من إنظاره، وباقي  
 الآية وعظ، وقيل: إن آخر آية نزلت آية الربا، وقيل: بل قوله «وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ» الآية،  
 قيل: آية الدين المذكورة بعد. «إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ» أي: إذا عامل بعضكم بعضا بدين، وإنما ذكر الدين وإن  
 كان مذكورا في "تدايتم" ليعود عليه الضمير في "اكتبهوه"، وليزول الاشتراك الذي في "تدايتم"، إذ قد يقال  
 بمعنى الجزاء. «إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى» دليل على أنه لا يجوز إلى أجل مجهول، وأجاز مالك البيع إلى الجذاذ  
 والحصاد لأنه معروف عند الناس، ومنعه الشافعي وأبو حنيفة، قال ابن عباس ؓ: نزلت الآية في السلم

فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْعًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيَمْلِكْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ

خاصة، يعني أن سلم أهل المدينة كان سبب نزولها، قال مالك: وهذا يجمع الدين كله، يعني أنه يجوز التأخير في السلم والسلف وغيرهما. ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ ذهب قوم إلى أن كتابة الدين واجبة بهذه الآية، وقال قوم: إنها منسوخة لقوله ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾، وقال قوم: إنها على الندب. ﴿وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ﴾ قال قوم: يجب على الكاتب أن يكتب، وقال قوم: نسخ ذلك بقوله: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾، وقال آخرون: يجب عليه إذا لم يوجد كاتب سواه، وقال قوم: إن الأمر بذلك على الندب؛ ولذلك جاز أخذ الأجرة على كتب الوثائق. ﴿بِالْعَدْلِ﴾ يتعلق عند ابن عطية بقوله "وليكتب"، وعند الزمخشري بقوله "كاتب"، فعلى الأول تكون الكتابة بالعدل وإن كان الكاتب غير مرضي، وعلى الثاني يجب أن يكون الكاتب مرضيا في نفسه، قال مالك: لا يكتب الوثائق إلا عارف بها عدل في نفسه مأمون. ﴿وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ﴾ نهى عن الإباية وهو يقوي الوجوب. ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ يتعلق بقوله "أن يكتب" والكاف للتشبيه أي: يكتب مثل ما علمه الله، أو للتعليل أي: ينفع الناس بالكتابة كما علمه الله؛ لقوله: ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾، وقيل: يتعلق بقوله بعدها: ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾. ﴿وَلْيَمْلِكْ﴾ يقال: أمليت الكتاب وأمليتته، فورد هنا على اللغة الواحدة، وفي قوله تعالى: ﴿تُمَلِّ عَلَيْهِ﴾ على الأخرى. ﴿الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ لأن الشهادة إنما هي باعتدافه، فإن كتبت الوثيقة دون إملاله ثم أقر بها جاز. ﴿وَلَا يَبْخَسُ﴾ أمر الله بالتقوى فيما يملئ ونهاه عن البخس وهو نقص الحق. ﴿سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾ السفية: الذي لا يحسن النظر في ماله، والضعيف: الصغير وشبهه، والذي لا يستطيع أن يمل: الأخرس وشبهه. ﴿وَلِيُّهُ﴾ أبوه أو وصيه، والضمير عائد على "الذي عليه الحق". ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ﴾ شهادة الرجلين جائزة في كل شيء إلا في الزنا، فلا بد من أربعة ﴿مِنْ رَجَالِكُمْ﴾ نص في رفض شهادة الكفار والصبيان والنساء، وأما العبيد فاللفظ يتناولهم، ولذلك أجاز ابن حنبل شهادتهم، ومنعها مالك والشافعي لنقص الرق. ﴿فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ قال قوم: لا تجوز شهادة المرأتين إلا مع عدم الرجال، وقالوا: معنى الآية "إن لم يكونا" أي: إن لم يوجد، وأجازه الجمهور؛ لأن المعنى: إن لم يستشهد رجلان فرجل وامرأتان، وإنما يجوز عند مالك شهادة الرجل والمرأتين في الأموال لا في غيرها، وتجوز شهادة المرأتين دون رجل فيما لا يطلع عليه الرجال؛ كالولادة والاستهلال وعيوب النساء، وارتفع "رجل"

مِمَّن تَرَضُونَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ وَأَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ

بفعل مضممر تقديره: فليكن رجل فهو فاعل، أو تقديره: فليستشهد رجل فهو مفعول لم يسم فاعله، أو بالابتداء تقديره: فرجل وامرأتان يشهدون. ﴿مِمَّن تَرَضُونَ﴾ صفة للرجل والمرأتين، وهو مشروط أيضا في الرجلين الشاهدين؛ لأن الرضا مشروط في الجميع، وهو العدالة، ومعناها اجتناب الذنوب الكبائر وتوقي الصغائر مع المحافظة على المروءة. ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾ مفعول من أجله، والعامل فيه هو المقدر العامل في "رجل وامرأتان"، والضلال في الشهادة هو نسيانها أو نسيان بعضها، وإنما جعل ضلال إحدى المرأتين مفعولا من أجله، وليس هو المراد؛ لأنه سبب لتذكير الأخرى لها وهو المراد، فأقيم السبب مقام المسبب، وقرئ "إن تضل" بكسر الهمزة على الشرط، وجوابه الفاء في ﴿فَتُذَكَّرُ﴾، ولذلك رفعه من كسر الهمزة، ونصبه من فتحها على العطف، وقرئ "تذكر" بالتشديد والتخفيف والمعنى واحد. ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ أي: لا يمتنعوا إذا دعوا إلى أداء الشهادة، وقد ورد تفسيره بذلك عن النبي ﷺ. واتفق العلماء على أن أداء الشهادة واجب إذا دعي إليها، وقيل: إذا دعوا إلى تحصيل الشهادة وكتبتها، وقيل: إلى الأمرين. ﴿وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾ أي: لا تملوا من الكتابة إذا ترددت وكثرت، سواء كان الحق ﴿صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا﴾، ونصب "صغيرا" على الحال. ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارة إلى الكتابة. ﴿أَقْسَطُ﴾ من القسط وهو العدل. ﴿وَأَقْوَمُ﴾ بمعنى وأشد إقامة، وبنى أفعل فيهما من الرباعي، وهو قليل. ﴿وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ أي: أقرب إلى عدم الشك في الشهادة. ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾ "أن" في موضع نصب على الاستثناء المنقطع؛ لأن الكلام المتقدم في الدين المؤجل، والمعنى إباحة ترك الكتابة في التجارة الحاضرة، وهو ما يباع بالنقد. وقوله: ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ يقتضي القبض والبيئونة. ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ ذهب قوم إلى وجوب الإشهاد على كل بيع صغيرا أو كبيرا وهم الظاهرية، خلافا للجمهور، وذهب قوم إلى أنه منسوخ بقوله: ﴿فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾، وذهب قوم إلى أنه على الندب. ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ يحتمل أن يكون "كاتبا" فاعلا على تقدير كسر الراء المدغمة من "يضار"، والمعنى على هذا: نهي للكاتب والشاهد أن يضرا صاحب الحق، أو الذي عليه الحق بالزيادة فيه، أو النقصان منه، أو الامتناع من الكتابة، أو الشهادة، ويحتمل أن يكون "كاتبا" مفعولا لم يسم فاعله على تقدير فتح الراء المدغمة، ويقوي ذلك قراءة عمر بن الخطاب ؓ:

وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ<sup>ط</sup> وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٢٨﴾  
 \* وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ  
 الَّذِي أَوْثَمَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ  
 قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٢٩﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي  
 أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ<sup>ط</sup>

"لا يضارر" بالتفكيك وفتح الراء، والمعنى: النهي عن الإضرار بالكاتب والشهيد بإذابتها بالقول أو بالفعل.  
 ﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا﴾ أي: إن وقعتم في الإضرار، ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ﴾ حال ﴿بِكُمْ﴾، ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ إخبار على وجه الامتنان، وقيل: معناه: الوعد بأن من اتقى الله علمه وأهمه، وهذا المعنى صحيح، ولكن لفظ الآية لا يعطيه، لأنه لو كان كذلك لجزم "يعلمكم" في جواب "اتقوا". ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ﴾ الآية، لما أمر الله تعالى بكتابة الديون، جعل الرهن توثيقاً للحق عوضاً عن الكتابة حيث تتعذر الكتابة في السفر، وقال الظاهرية: لا يجوز الرهن إلا في السفر لظاهر الآية، وأجازاه مالك وغيره في الحضر؛ لأن النبي ﷺ رهن درعه بالمدينة [البخاري: 2509]. ﴿فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ يقتضي بينونة المرتهن بالرهن، وأجمع العلماء على صحة قبض المرتهن وقبض وكيله، وأجاز مالك والجمهور وضعه على يد عدل، والقبض للرهن شرط في الصحة عند الشافعي وغيره؛ لقوله تعالى: "مقبوضة"، وهو عند مالك شرط كمال. ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ الآية، أي إن أمن صاحب الحق المديان لحسن ظنه به فليستغن عن الكتابة وعن الرهن، فأمر أولاً بالكتابة، ثم بالرهن، ثم بالائتمان؛ فللدين ثلاثة أحوال، ثم أمر المديان بأداء الأمانة ليكون عند ظن صاحبه به. ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ محمول على الوجوب. ﴿فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ معناه قد تعلق به الإثم اللاحق من المعصية في كتمان الشهادة، وارتفع "آثم" بأنه خبر "إن"، و"قلبه" فاعل به، ويجوز أن يكون "قلبه" مبتدأ و"آثم" خبره، وإنما أسند الإثم إلى القلب وإن كانت جملة الكاتم هي الأئمة؛ لأن الكتمان من فعل القلب إذ هو يضمها، ولئلا يظن أن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان. ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ الآية، مقتضاها المحاسبة على ما في نفوس العباد من الذنوب، سواء أبدوه أو أخفوه، ثم المعاقبة على ذلك لمن يشاء الله أو الغفران لمن شاء الله، وفي ذلك إشكال؛ لمعارضته لقول رسول الله ﷺ: «إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها» [البخاري: 5269] ففي الحديث الصحيح عن أبي هريرة ؓ: «أنه لما نزلت شق ذلك على الصحابة، وقالوا: هلكتنا إن حوسبنا بخواطر أنفسنا، فقال لهم النبي ﷺ: «قولوا سمعنا وأطعنا»،

فَيَغْفِرَ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبَ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٤٤﴾ - اٰمَنَ الرَّسُوْلُ بِمَا  
 اَنْزَلَ اِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۗ وَالْمُؤْمِنُوْنَ كُلُّهُمْ اٰمَنَ بِاللّٰهِ وَمَلٰئِكَتِهِ ۗ وَكُتُبِهِ ۗ وَرُسُلِهِ ۗ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ  
 اَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ ۗ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَاَطَعْنَا ۗ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَاِلَيْكَ الْمَصِيْرُ ﴿٣٤٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللّٰهُ  
 نَفْسًا اِلَّا وُسْعَهَا ۗ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ

فقالوها، فأنزل الله بعد ذلك: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [مسلم: 344]، فكشف عنهم الكربة، ونسخ  
 بذلك هذه الآية، وقيل: هي في معنى كتم الشهادة وإبدائها وذلك محاسب به، وقيل: يحاسب الله خلقه على  
 ما في نفوسهم، ثم يغفر للمؤمنين ويعذب الكافرين والمنافقين، والصحيح التأويل الأول؛ لوروده في  
 الصحيح، وقد ورد أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره، فإن قيل: إن الآية خبر، والأخبار لا يدخلها النسخ؟  
 فالجواب: أن النسخ إنما وقع في المؤاخذه والمحاسبة، وذلك حكم يصح دخول النسخ فيه، فلفظ الآية  
 خبر ومعناها حكم. ﴿فَيَغْفِرُ﴾ و﴿يُعَذِّبُ﴾ قرئ بجزمها عطفًا على "يحاسبكم" ويرفعها على تقدير: فهو  
 يغفر. ﴿اٰمَنَ الرَّسُوْلُ﴾ الآية، سببها ما تقدم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه لما قالوا: سمعنا وأطعنا، مدحهم الله  
 بهذه الآية، وقدم ذلك قبل كشف ما شق عليهم. ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ عطف على "الرسول"، أو مبتدأ؛ فعلى  
 الأول يوقف على "المؤمنون"، وعلى الثاني يوقف على "من ربه"، والأول أحسن. ﴿كُلُّ اٰمَنَ بِاللّٰهِ﴾ إن كان  
 "المؤمنون" معطوفاً فـ"كل" عموم في "الرسول والمؤمنين"، وإن كان مبتدأ فـ"كل" عموم في المؤمنين،  
 ووحده الضمير في "آمن" على معنى: كل واحد منهم آمن. ﴿وَكُتُبِهِ﴾ قرئ بالجمع أي: كل كتاب أنزله الله،  
 وقرئ بالتوحيد يريد القرآن أو الجنس. ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ اَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ﴾ التقدير: يقولون لا نفرق،  
 والمعنى: لا نفرق بين أحد من الرسل وبين غيره في الإيثار؛ بل نؤمن بجميعهم، ولسنا كاليهود والنصارى  
 الذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض. ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَاَطَعْنَا﴾ حكاية قول المؤمنين على وجه المدح  
 لهم. ﴿غُفْرَانَكَ﴾ مصدر، والعامل فيه مضمرة، ونصبه على المصدرية تقديره: اغفر غفرانك، وقيل على  
 المفعولية تقديره: نطلب غفرانك. ﴿وَاِلَيْكَ الْمَصِيْرُ﴾ إقرار بالبعث مع تدلل وانقياد، وهنا تمت حكاية  
 كلام المؤمنين. ﴿لَا يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْسًا اِلَّا وُسْعَهَا﴾ إخبار من الله تعالى برفع تكليف ما لا يطاق، وهو جائز  
 عقلا عند الأشعرية، ومحال عقلا عند المعتزلة، واتفقوا على أنه لم يقع في الشريعة. ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ أي:  
 من الحسنات. ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ أي: من السيئات، وجاءت العبارة بـ"لها" في الحسنات؛ لأنها مما  
 ينتفع به العبد، وجاءت في السيئات بـ"عليها" لأنها مما يضر بالعبد، وإنما قال في الحسنات "كسبت"، وفي  
 الشر "اكتسبت"؛ لأن في الاكتساب ضرباً من الاعتمال والمعالجة حسباً تقتضيه صيغة افتعل؛ فالسيئات

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِكْرَامًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

فاعلمها يتكلف مخالفة أمر الله ويتعداه، بخلاف الحسنات فإنه فيها على الجادة من غير تكلف، أو لأن السيئات يجدي في فعلها لميل النفس إليها، فجعلت لذلك مكتسبة، ولما لم يكن الإنسان في الحسنات كذلك وصفت بها لا دلالة فيه على الاعتمال. ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ أي: قولوا ذلك في دعائكم، ويحتمل أن يكون من بقية حكاية قولهم كما حكى عنهم قولهم "سمعنا وأطعنا"، والنسيان هنا هو الذهول الغالب على الإنسان، والخطأ غير العمد، فذلك معنى قوله ﷺ: «رفع عن أمي الخطأ والنسيان» [ابن ماجه: 2123]، وقد كان يجوز أن يؤاخذ به لولا أن الله رفعه. ﴿وَلَا تُحْمِلْ عَلَيْنَا إِكْرَامًا﴾ التكليف الصعبة كانت قد كلفت لمن تقدم من الأمم، كقتل أنفسهم وقرض أبدانهم، ورفعت عن هذه الأمة، قال تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾، وقيل: الإصر المسخ قرودة وخنازير. ﴿وَلَا تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ هذا الدعاء دليل على جواز تكليف ما لا يطاق، لأنه لا يُدعى برفع ما لا يجوز أن يقع، ثم إن الشرع دفع وقوعه، وتحقيق ذلك: أن ما لا يطاق أربعة أنواع؛ الأول: عقلي محض؛ كتكليف الإيمان لمن علم الله أنه لا يؤمن، فهذا جائز وواقع بالاتفاق، والثاني: عادي كالطيران في الهواء، والثالث: عقلي وعادي؛ كالجمع بين الضدين، فهذا وقع الخلاف في جواز التكليف بهما، والاتفاق على عدم وقوعه، والرابع: تكليف ما يشق ويصعب، فهذا جائز اتفاقاً، وقد كلفه الله من تقدم من الأمم ورفعته عن هذه الأمة. ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا﴾ ألفاظ متقاربة المعنى وبينها من الفرق: أن العفو ترك المؤاخذه بالذنب، والمغفرة تقتضي مع ذلك الستر، والرحمة تجمع ذلك مع التفضل بالإنعام. ﴿مَوْلَانَا﴾ ولينا وسيدنا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ  
بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ  
الْفُرْقَانَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۝ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ۝ إِنَّ  
اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ  
كَيْفَ يَشَاءُ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ  
مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ

## سورة آل عمران

نزل صدرها نيف وثمانون آية؛ لما قدم نصارى نجران المدينة يناظرون رسول الله ﷺ في عيسى بن مريم عليه السلام. ﴿الم﴾ تقدم الكلام على حروف الهجاء، وقرأ الجمهور بفتح الميم هنا في الوصل لالتقاء الساكنين نحو ﴿مَنْ النَّاسِ﴾، وقال الزمخشري: هي حركة الهمزة نقلت إلى الميم؛ وهذا ضعيف لأنها ألف وصل تسقط في الدرج. ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ رد على النصارى في قولهم: إن عيسى هو الله؛ لأنهم زعموا أنه صلب فليس بحي وليس بقيوم. ﴿الْكِتَابِ﴾ هنا القرآن. ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: تضمن الحق من الأخبار والأحكام وغيرها، أو بالاستحقاق. ﴿مُصَدِّقًا﴾ قد تقدم في ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾. ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ الكتب المتقدمة. ﴿التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ أعجميان، فلا يصح ما ذكره النحاة من اشتقاقهما ووزنهما. ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ هو القرآن؛ وإنما كرر ذكره ليصفه بأنه المفرق بين الحق والباطل، ويحتمل أن يكون ذكره أولاً على وجه الإثبات؛ لإنزاله بقوله ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ثم ذكره ثانياً على وجه الامتنان بالهدى به، كما قال في التوراة والإنجيل: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ فكأنه قال: وأنزل الفرقان هدى للناس، ثم حذف ذلك لدلالة الهدى الأول عليه، فلما اختلف قصد الكلام في الموضوعين لم يكن ذلك تكراراً، وقيل: "الفرقان" هنا كل ما فرق بين الحق والباطل من كتاب وغيره، وقيل: هو الزبور، وهذا بعيد. ﴿لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ خبر عن إحاطة علم الله بجميع الأشياء على التفصيل، وهذه صفة لم تكن لعيسى ولا لغيره ففي ذلك رد على النصارى. ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ﴾ برهان على إثبات علم الله المذكور قبل، وفيه رد على النصارى؛ لأن عيسى لا يقدر على التصوير بل كان مصوراً كسائر بني آدم. ﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من طول وقصر وحسن وقبح ولون وغير ذلك. ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ المحكم من القرآن: هو البين المعنى الثابت الحكم، والمتشابه: هو الذي يحتاج إلى تأويل، أو يكون مستغلق المعنى كحروف الهجاء، قال ابن عباس ؓ: المحكمات الناسخات والحلال والحرام، والمتشابهات المنسوخات والمقدم والمؤخر، وهذا تمثيل لما قلنا ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي: عمدة ما فيه ومعظمه. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ نزلت في نصارى نجران، فإنهم قالوا للنبي ﷺ: أليس في كتابك أن عيسى كلمة الله وروح منه؟ قال: «نعم» قالوا: فحسبنا إذاً [ابن أبي حاتم 3187]،



أَبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَأَبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ ۚ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٠﴾ رَبَّنَا لَا تَرُغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿١١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَأُولَئِكَ هُمُ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٣﴾ كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۖ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٤﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٥﴾

فهذا من المتشابه الذي اتبعوه، وقيل: نزلت في أبي ياسر بن أخطب اليهودي وأخيه حبي، ثم يدخل في ذلك كل كافر، أو مبتدع، أو جاهل يتبع المتشابه من القرآن. ﴿أَبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ أي: ليفتنوا به الناس. ﴿وَأَبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ أي: يبتغون أن يتأولوه على ما تقتضي مذاهبتهم، أو يبتغون أن يصلوا من معرفة تأويله إلى ما لا يصل إليه مخلوق. ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ إخبار عن انفراد الله بعلم تأويل المتشابه من القرآن، وذم لمن طلب علم ذلك من الناس. ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ مبتدأ مقطوع مما قبله، والمعنى: أن الراسخين لا يعلمون تأويل المتشابه وإنما ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ﴾ على وجه التسليم والانقياد والاعتراف بالعجز عن معرفته، وقيل: إنه معطوف على ما قبله، وأن المعنى: أنهم يعلمون تأويله، وكلا القولين مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما، الأول قول أبي بكر الصديق وعائشة وعروة بن الزبير رضي الله عنهم وهو أرجح. وقال ابن عطية: المتشابه نوعان؛ نوع انفراد الله بعلمه، ونوع يمكن وصول الخلق إليه، فيكون "الراسخون" ابتداء بالنظر إلى الأول، وعطفا بالنظر إلى الثاني. ﴿كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ أي: المحكم والمتشابه من عند الله. ﴿رَبَّنَا لَا تَرُغْ قُلُوبَنَا﴾ حكاية عن الراسخين، ويحتمل أن يكون منقطعا على وجه التعليم؛ والأول أرجح لاتصال الكلام، وأما قوله: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ فهو من كلام الله تعالى لا حكاية قول الراسخين. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ﴾ استدلال على البعث، ويحتمل أن يكون من تمام كلام الراسخين، أو منقطعا فهو من كلام الله تعالى. ﴿كَذَّابٌ﴾ في موضع رفع أي: دأب هؤلاء كذاب ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾، وفي ذلك تهديد. ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ عطف على "آل فرعون"، ويعني بهم قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم، والضمير عائد على "آل فرعون". ﴿بِآيَاتِنَا﴾ البراهين أو الكتب. ﴿سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾ قرئ بقاء الخطاب ليهود المدينة، وقيل: لكفار قريش، وقرئ بالياء إخبارا عن يهود المدينة، وقيل: عن قريش؛ وهو صادق على كل قول، أما اليهود فغلبوا يوم قريظة والنضير وقينقاع، وأما قريش ففي بدر وغيرها، والأشهر أنها في بني قينقاع؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاهم إلى الإسلام بعد غزوة بدر، فقالوا له: لا يغرنك أنك قتلت نفرا من قريش لا يعرفون القتال،

قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ اللَّتَقَتَا فِئَةٌ تَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ تَرَوْنَهُمْ  
مِثْلِيهِمْ رَأَى الْآيَةَ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ  
﴿٣٦﴾ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ  
وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ

فلو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، فنزلت الآية، ثم أخرجهم رسول الله ﷺ من المدينة. ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾  
قيل: خطاب للمؤمنين، وقيل: لليهود، وقيل: لقريش؛ والأرجح أنه لبني قينقاع الذين قيل لهم "ستغلبون"،  
ففيه تهديد لهم وعبرة لما جرى لغيرهم. ﴿فِي فِئَتَيْنِ اللَّتَقَتَا فِئَةٌ﴾ المسلمون والمشركون يوم بدر. ﴿تَرَوْنَهُمْ  
مِثْلِيهِمْ﴾ قرئ "ترونها" بالتاء خطاباً لمن خوطب بقوله "قد كان لكم آية"، والمعنى: ترون الكفار مثلي  
المسلمين، ولكن الله أيد المسلمين بنصره على قلة عددهم، وقرئ بالياء، والفاعل في "يرونها" المؤمنون  
والمفعول به هم المشركون والضمير في "مثليهم" للمؤمنين، والمعنى على حسب ما تقدم. فإن قيل: إن الكفار  
كانوا يوم بدر أكثر من مثلي المسلمين؟ فالجواب من وجهين؛ أحدهما؛ أن الكفار كانوا ثلاثة أمثال المؤمنين؛ لأن  
الكفار كانوا قريباً من ألف، والمؤمنون ثلاثمائة وثلاثة عشر، ثم إن الله تعالى قلل عدد الكفار في أعين المؤمنين؛  
حتى حسبوا أنهم مثلهم مرتين؛ ليتجاسروا على قتالهم إذا ظهر لهم أنهم على ما أمروا به من قتال الواحد للآخرين  
في قوله: ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِّثَّةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ﴾، وهذا المعنى موافق لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ  
التَّقِيْتُمْ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلاً﴾، والآخر: أنه رجع قوم من الكفار حتى بقي منهم ستمائة وستة وعشرون رجلاً  
وذلك قدر عدد المسلمين مرتين، وقيل: إن الفاعل في "يرونها" ضمير المشركين، والمفعول ضمير المؤمنين، وأن  
الضمير في "مثليهم" يحتمل أن يكون للمؤمنين أو للمشركين، والمعنى على هذا: أن الله كثر عدد المسلمين في  
أعين المشركين حتى حسب الكفار المؤمنين مثلي الكافرين، أو مثلي المؤمنين، وهم أقل من ذلك، وإنما كثرهم الله  
في أعينهم ليرهبوهم، ويرد هذا قوله تعالى: ﴿وَيَقَلِّلُكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ﴾. ﴿رَأَى الْآيَةَ﴾ نصب على المصدرية،  
ومعناه معاينة ظاهرة لا شك فيها. ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ﴾ أي: أن النصر بمشيئة الله لا بالقلة ولا بالكثرة، فإن فئة  
المسلمين غلبت فئة الكافرين مع أنهم كانوا أكثر منهم. ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ﴾ قيل: الزين هو الله، وقيل: الشيطان؛ ولا  
تعارض بينهما؛ فتزين الله بالإيجاد، والتهيئة للانتفاع، وإنشاء الجبل على الميل إلى الدنيا، وتزين الشيطان  
بالوسوسة والخديعة. ﴿وَالْقَنَاطِيرِ﴾ جمع قنطرة؛ وهو ألف ومائتا أوقية، وقيل: ألف ومائتا مثقال، وكلاهما  
مروي عن النبي ﷺ. ﴿الْمُقَنْطَرَةُ﴾ مبنية من لفظ القنطرة للتأكيد؛ كقولهم: ألف مؤلفة، وقيل: المضروبة دنائير  
أو دراهم. ﴿الْمُسَوَّمَةُ﴾ الراعية من قولك: سام الفرس وغيره إذا جال في المسارح، وقيل: المعلمة في وجوهها  
شيات، فهي من السيام بمعنى العلامة، وقيل: المعدة للجهاد. ﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ تحقير لها ليزهد فيها

حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٠﴾ \* قُلْ أَوْبَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَمُ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١١﴾  
 الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٢﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ  
 وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَشْجَارِ ﴿١٣﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
 وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ  
 اللَّهِ أَلْسِنَةٌ وَمَا اٰخْتَلَفَ الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ  
 يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٥﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ

الناس. ﴿قُلْ أَوْبَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَمُ﴾ تفضيل للأخرة على الدنيا ليرغب فيها، وتام الكلام في قوله: "من ذلكم"، ثم ابتداء قوله: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ تفسيراً لذلك ف﴿جَنَّاتٌ﴾ على هذا مبتدأ وخبره "للذين اتقوا"، وقيل: إن قوله: "للذين اتقوا" متعلق بما قبله، ويتم الكلام في قوله: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ف"جنات" على هذا خبر ابتداء مضمرة. ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ زيادة إلى نعيم الجنة، وهو أعظم من النعيم حسبما ورد في الحديث. ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ نعت "للذين اتقوا"، أو رفع بالابتداء ونصب بإضمار فعل. ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ في الأقوال والأفعال. ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ العابدين أو المطيعين. ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ الاستغفار هو طلب المغفرة، قيل لرسول الله ﷺ: كيف نستغفر؟ فقال: ﴿قولوا: اللهم اغفر لنا وارحمنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم﴾ [السنن الكبرى: 10296]. ﴿بِالْأَشْجَارِ﴾ جمع سحر، وهو آخر الليل، يقال: إنه الثلث الأخير، وهو الذي ورد أن الله يقول حينئذ: «من يستغفرني فأغفر له» [بخاري: 1145]. ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ الآية، شهادة من الله سبحانه لنفسه بالوحدانية، وقيل: معناها إعلامه لعباده بذلك. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ عطف على اسم "الله"؛ أي: هم شهداء بالوحدانية، ويعني بأولي العلم: العارفين بالله الذين يقيمون البراهين على وحدانيته. ﴿قَائِمًا﴾ منصوب على الحال من اسم "الله"، أو من "هو"، أو منصوب على المدح. ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ إنما كرر التهليل لوجهين؛ أحدهما: أنه ذكر أولاً الشهادة بالوحدانية، ثم ذكرها ثانياً بعد ثبوتها بالشهادة المتقدمة، والآخر: أن ذلك تعليم لعباده ليكثروا من قولها. ﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾ بكسر الهمزة ابتداء، وبفتحها بدل من "أنه" وهو بدل شيء من شيء؛ لأن التوحيد هو الإسلام. ﴿وَمَا اٰخْتَلَفَ الَّذِينَ﴾ الآية، إخبار أنهم اختلفوا بعد معرفتهم بالحقائق من أجل البغي؛ وهو الحسد، والآية في اليهود، وقيل: في النصارى، وقيل: فيها. ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ قد تقدم معناه في البقرة، وهو هنا تهديد، ولذلك وقع في جواب: ﴿مَنْ يَكْفُرْ﴾. ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ أي: جادلوك في الدين، والضمير لليهود ونصارى نجران. ﴿أَسَلَّمْتُ وَجْهِي﴾ أي: أخلصت نفسي وجمعتي لله، وعبر بالوجه عن الجملة،

وَمَنْ اتَّبَعْنِي ۖ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا ۗ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٤٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٤٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿١٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّوْا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿١٤٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٥٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ۖ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ

ومعنى الآية إقامة الحجة عليهم؛ لأن من أسلم وجهه لله فهو على الحق بلا شك، فسقطت حجة من خالفه. ﴿وَمَنْ اتَّبَعْنِي﴾ عطف على التاء في "أسلمت"، ويجوز أن يكون مفعولا معه. ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ تقرير بعد إقامة الحجة عليهم، أي: قد جاءكم من البراهين ما يقتضي أن تسلموا. ﴿فَأَتَمَّا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ أي: إنما عليك أن تبلغ رسالة ربك، فإذا أبلغتها فقد فعلت ما عليك، وقيل: إن فيها موادة نسختها آية السيف. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ الآية، نزلت في اليهود والنصارى توبيخا لهم ووعيدا على قبح أفعالهم وأفعال أسلافهم. ﴿الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ هم اليهود، و"الكتاب" هنا التوراة أو جنس. ﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: دخل رسول الله ﷺ على جماعة من اليهود، فيهم النعمان بن عمرو والحارث بن زيد، فقالوا له: على أي دين أنت؟ فقال: «على دين إبراهيم» فقالوا: فإن إبراهيم كان يهوديا! فقال لهم النبي ﷺ: «فهلما إلى التوراة فهي بيننا وبينكم» فأبوا عليه فنزلت الآية [الطبري: 6781]. ف"كتاب الله" على هذا التوراة، وقيل: هو القرآن، كان النبي ﷺ يدعوهم إليه فيعرضون عنه. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ الإشارة إلى إعراضهم عن كتاب الله، والبلاء سببية، والمعنى أن كفرهم بسبب اغترارهم وأكاذيبهم، والأيام المعدودات قد ذكرت في البقرة. ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ﴾ أي: كيف يكون حالهم يوم القيامة، والمعنى تهويل واستعظام لما أعد لهم. ﴿اللَّهُمَّ﴾ منادى، والميم فيه عوض من حرف النداء عند البصريين؛ ولذلك لا يجتمعان، وقال الكوفيون: أصله يا الله أمانة بخير؛ فالميم عندهم من أمانة. ﴿مَالِكِ الْمَلِكِ﴾ منادى عند سيبويه، وأجاز الزجاج أن يكون صفة لاسم الله، وقيل: إن الآية نزلت ردا على النصارى في قولهم: إن عيسى هو الله؛ لأن هذه الأوصاف ليست لعيسى، وقيل: لما أخبر النبي ﷺ أن أمته يفتحون ملك كسرى وقيصر، استبعد ذلك المنافقون، فنزلت الآية.

مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٧﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي  
 اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ  
 ﴿٦٨﴾ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ  
 مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتِلُوا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٦٩﴾  
 قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوا يَعْزِمُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي  
 الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ  
 مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ  
 وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٧١﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ قيل المراد: بيدك الخير والشر، فحذف أحدهما لدلالة الآخر عليه، وقيل: إنها خص الخير بالذكر؛ لأن الآية في معنى دعاء ورغبة، فكأنه يقول: بيدك الخير فأجزل حظي منه. ﴿تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: هي النطفة تخرج من الرجل ميتة وهو حي، ويخرج الرجل منها حيا وهي ميتة، وقال عكرمة: هو إخراج الدجاجة من البيضة، والبيضة من الدجاجة، وقيل: يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن؛ فالحياة والموت على هذا استعارة، وفي ذكر الحي مع الميت المطابقة وهي من أدوات البيان، وفيه أيضا القلب؛ لأنه قدم الحي على الميت ثم عكس. ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بغير تضييق، وقيل: بغير محاسبة. ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الآية عامة في جميع الأعصار، وسببها ميل بعض الأنصار إلى بعض اليهود، وقيل: كتاب حاطب رضي الله عنه إلى مشركي قريش. ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ تبرؤ ممن فعل ذلك ووعيد على موالاته الكفار، وفي الكلام حذف، تقديره: ليس من التقرب إلى الله في شيء، وموضع "في شيء" نصب على الحال من الضمير في "ليس من الله" قاله ابن عطية. ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ﴾ إباحة لموالاتهم إن خافوا منهم، والمراد موالاته بالظاهر مع البغضاء في الباطن. ﴿تُقَاتِلُوا﴾ وزنه فعلة بضم الفاء وفتح العين، وفاؤه واو أبدل منها تاء، ولامه ياء أبدل منها ألف وهو منصوب على المصدرية، ويجوز أن ينصب على الحال من الضمير في "تتقوا". ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ تخويف. ﴿يَوْمَ تَجِدُ﴾ منصوب على الظرفية، والعامل فيه فعل مضمر تقديره: اذكروا أو خافوا، وقيل: العامل فيه "قدير"، وقيل: "المصير"، وقيل: "يحذركم". ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ﴾ مبتدأ خبره ﴿تَوَدُّ﴾ أو معطوف. ﴿أَمَدًا﴾ أي: مسافة. ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ﴾ ذكر بعد التحذير تأنيسا لئلا يفراط الخوف، أو لأن التحذير والتنبية رأفة. ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ جعل اتباع النبي صلى الله عليه وسلم علامة على محبة العبد لله تعالى

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٦﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٥٧﴾  
 \* إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٥٨﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا  
 مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي  
 مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ  
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا

وشرطا في حبة الله للعبد ومغفرته له، وقيل: إن الآية خطاب لنصاري نجران، ومعناها على العموم في  
 جميع الناس. ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى﴾ الآية، لما مضى صدر من محاجة نصاري نجران، أخذ بين لهم ما اختلفوا  
 فيه وأشكل عليهم من أمر عيسى عليه السلام وكيفية ولادته، وبدأ بذكر آدم ونوح عليها السلام تكميلا  
 للأمر؛ لأنها أبوان لجميع الأنبياء ثم ذكر إبراهيم تدريجا إلى ذكر عمران والد مريم أم عيسى عليه السلام،  
 وقيل: إن عمران هنا هو والد موسى، وبينهما ألف وثمانمائة سنة، والأظهر أن المراد هنا والد مريم؛ لذكر  
 قصتها بعد ذلك. ﴿وَأَلَّ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ﴾ يحتمل أن يريد بالآل القرابة أو الأتباع، وعلى الوجهين  
 يدخل نبينا محمد ﷺ في "آل إبراهيم". ﴿ذُرِّيَّةً﴾ بدل مما تقدم، أو حال، ووزنه فعلية منسوب إلى الذر؛  
 لأن الله تعالى أخرج الخلق من صلب آدم كالذر، وغير أوله في النسب، وقيل: أصل ذرية ذرورة، وزنها  
 فعولة، ثم أبدل من الراء الأخيرة ياء فصار ذروية، ثم أدغمت الواو في الياء وكسرت الراء فصار: ذرية. ﴿إِذْ  
 قَالَتْ﴾ العامل فيه محذوف تقديره: اذكر، وقيل: "عليم"، وقال الزجاج: العامل فيه معنى الاصطفاء.  
 ﴿امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ اسمها حنة بالنون وهي أم مريم، وعمران هنا هو والد مريم. ﴿نَذَرْتُ﴾ أي: جعلت  
 ندرا علي أن يكون هذا الولد الذي في بطني حيسا على خدمة بيتك، وهو بيت المقدس. ﴿مُحَرَّرًا﴾ أي: عتيقا  
 من كل شغل إلا خدمة المسجد. ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ الآية، كانوا لا يجرون الإناث لخدمة المساجد، فقالت:  
 ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ﴾ تحسرا وتلهفا على ما فاتها من النذر الذي نذرت. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ قرئ  
 "وضعت" بإسكان التاء، وهو من كلام الله تعظيما لموضوعها، وقرئ بضم التاء وسكون العين، وهو على هذا  
 من كلامها. ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ يحتمل أن يكون من كلام الله، فالمعنى: ليس الذكر الذي طلبت  
 كالأنثى التي وهبت لك، وأن يكون من كلامها، فالمعنى: ليس الذكر كالأنثى في خدمة المساجد؛ لأن  
 الذكور كانوا يخدمونها دون الإناث. ﴿سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ إنما قالت لربها "سميتها مريم"؛ لأن مريم في لغتهم  
 بمعنى العابدة، فأرادت بذلك التقرب إلى الله، ويؤخذ من هذا تسمية المولود يوم ولادته، وامتنع "مريم" من  
 الصرغ للتعريف والتأنيث، وفيه أيضا العجمة. ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ﴾ ورد في الحديث: «ما من مولود إلا  
 نخسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخا، إلا مريم وابنها» لقوله: "وإني أعيذها بك" الآية، [البخاري: 4548].

مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١٣٧﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَاءَ ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَاءُ الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُ أَبْنَى لَكَ هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٣٨﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَاءُ رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿١٣٩﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٤٠﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذٰلِكَ اللَّهُ

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ أي: رضيها للمسجد مكان الذكر. ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ فيه وجهان؛ أحدهما: أن يكون مصدرا على غير المصدر، والآخر: أن يكون اسما لما يقبل به كالسقوط لما يسقط به. ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ عبارة عن حسن النشأة. ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَاءَ﴾ أي: ضمها إلى إنفاقه وحضانتها، والكافل هو الحاضن، وكان زكريا زوج خالتها، وقيل: زوج أختها. وقرئ "كفلها" بتشديد الفاء ونصب "زكريا"؛ أي: جعله الله كافلها. ﴿الْمِحْرَابَ﴾ في اللغة أشرف المجالس، وبذلك سمي موضع الإمام، ويقال: إن زكريا بنى لها غرفة في المسجد؛ وهي "المحراب" هنا، وقيل: "المحراب" موضع العبادة. ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، ويقال: إنها لم ترضع ثديا قط، وكان الله يرزقها. ﴿أَبْنَى لَكَ هَذَا﴾ أي: كيف، ومن أين؟. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ﴾ من كلام مريم، أو من كلام الله تعالى. ﴿هُنَالِكَ﴾ إشارة إلى مكان، وقد يستعمل في الزمان، وهو الأظهر هنا؛ أي: لما رأى زكريا كرامة الله تعالى لمريم سأله من الله الولد. ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلٰٓئِكَةُ﴾ أنت رعياء للجماعة، وقرئ بالألف على التذكير، وقيل: إن الذي ناداه جبريل وحده، وإنما قيل "الملائكة" كقولهم: فلان يركب الخيل؛ أي: جنس الخيل، وإن كان فرسا واحدا. ﴿بِيَحْيَىٰ﴾ اسم سباه الله تعالى به قبل أن يولد، وهو اسم بالعبرانية صادف اشتقاقا وبناء في العربية، وهو لا ينصرف، فإن كان أعجميا ففيه التعريف والعجمة، وإن كان عربيا فالتعريف ووزن الفعل. ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي مصدقا بعيسى عليه السلام، مؤمنا به، وسمي عيسى كلمة الله؛ لأنه لم يوجد إلا بكلمة الله وحدها وهي قوله: ﴿كُنْ﴾، لا بسبب آخر وهو الوالد كسائر بني آدم. ﴿وَسَيِّدًا﴾ السيد هو الذي يسود قومه؛ أي: يفوقهم في الشرف والفضل. ﴿وَحَصُورًا﴾ أي: لا يأتي النساء، فقيل: خلقه الله كذلك، وقيل: كان يمسك نفسه، وقيل: الحصور الذي لا يأتي الذنوب. ﴿أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ تعجب واستبعاد أن يكون له ولد مع شيخوخته وعقم امرأته، ويقال: إنه كان له تسع وتسعون سنة، ولامرأته ثمان وتسعون سنة، فاستبعد ذلك في العادة، مع علمه بقدرة الله تعالى على ذلك، فسأله لعلمه بقدرة الله، واستبعده لأنه نادر في العادة، وقيل: سأله وهو شاب، وأجيب وهو شيخ ولذلك استبعده. ﴿كَذٰلِكَ اللَّهُ﴾ أي: مثل هذه الفعلة العجيبة يفعل الله ما يشاء، فالكاف لتشبيهه

يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۗ قَالَ ءَايَتُكَ اَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ اَيَّامٍ اِلَّا رَمَزًا ۗ وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيْرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْاِبْكَرِ ﴿١١﴾ وَاذْ قَالَتْ اَلْمَلٰٓئِكَةُ يٰمَرْيَمُ اِنَّ اِلٰهَكَ اَصْطَفٰٓكِ وَطَهَّرَكِ وَاَصْطَفٰٓكِ عَلٰٓى نِسَآءِ الْعٰلَمِيْنَ ﴿١٢﴾ يٰمَرْيَمُ اقْنُتِيْ لِرَبِّكِ وَاَسْجُدِيْ وَاَرْكَعِيْ مَعَ الرَّاكِعِيْنَ ﴿١٣﴾ ذٰلِكَ مِنْ اَنْبَآءِ الْغَيْبِ نُوْحِيْهِ اِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ وَاِذْ يُلْقَوْنَ اَقْلَمَهُمْ وَاِذْ

أفعال الله العجيبة بهذه الفعل، والإشارة بـ"ذلك" إلى هبة الولد لذكرياء، واسم "الله" مرفوع بالابتداء، و"كذلك" خبره، فيجب وصله معه، وقيل: إن الخبر ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾، ويحتمل "كذلك" على هذا وجهين؛ أحدهما: أن يكون في موضع الحال من فاعل "يفعل"، والآخر: أن يكون في موضع خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمر كذلك، أو أنتما كذلك، وعلى هذا يوقف على "كذلك"؛ والأول أرجح؛ لاتصال الكلام وارتباط قوله "يفعل ما يشاء" مع ما قبله، ولأن له نظائر كثيرة في القرآن منها قوله: ﴿وَكَذٰلِكَ اٰخَذْنَا رَبَّكَ﴾. ﴿اجْعَلْ لِّيْ آيَةً﴾ أي: علامة على حمل المرأة ﴿ءَايَتُكَ اَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ أي: علامتك أن لا تقدر على كلام الناس. ﴿ثَلَاثَةَ اَيَّامٍ﴾ يمنع لسانه عن ذلك مع إبقاء قدرته على التكلم بذكر الله، ولذلك قال: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيْرًا﴾، وإنما حبس لسانه عن الكلام تلك المدة ليخلص فيها لذكر الله شكرا على استجابة دعائه، ولا يشغل لسانه بغير الشكر والذكر. ﴿اِلَّا رَمَزًا﴾ إشارة باليد أو بالرأس أو غيرهما، فهو استثناء منقطع. ﴿بِالْعَشِيِّ﴾ من زوال الشمس إلى غروبها. ﴿وَالْاِبْكَارِ﴾ من طلوع الفجر إلى الضحى. ﴿وَاِذْ قَالَتْ الْمَلٰٓئِكَةُ﴾ اختلف هل المراد جبريل، أو جمع من الملائكة؟ والعامل في "إذ" مضمرة. ﴿اَصْطَفَاكِ﴾ أو لا حين تقبلتك من أمك. ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ من كل عيب في خلق أو خلق أو دين. ﴿وَاَصْطَفَاكِ عَلٰٓى نِسَآءِ الْعٰلَمِيْنَ﴾ يحتمل أن يكون هذا الاصطفاء مخصوصا بأن وهب لها عيسى من غير أب، فيكون على "نساء العالمين" عاما، وأن يكون الاصطفاء عاما فيخص "من نساء العالمين" خديجة وفاطمة، أو يكون المعنى على نساء زمانها، وقد قيل: بتفضيلها على الإطلاق، وقيل: إنها كانت نبيه لتكليم الملائكة لها. ﴿اقْنُتِيْ﴾ القنوت هنا بمعنى الطاعة والعبادة، وقيل: طول القيام في الصلاة، وهو قول الأكثرين. ﴿وَاَسْجُدِيْ وَاَرْكَعِيْ﴾ أمرت بالصلاة فذكر القنوت والسجود لكونها من هيئات الصلاة وأركانها، ثم قيل لها: ﴿وَاَرْكَعِيْ مَعَ الرَّاكِعِيْنَ﴾ بمعنى: ولتكن صلاتك مع المصلين؛ أي: في الجماعة، فلا يقتضي الكلام على هذا تقديم السجود على الركوع؛ لأنه لم يرد الركوع والسجود المنضمين في ركعة واحدة، وقيل: أراد ذلك، وقدم السجود لأن الواو لا ترتب، ويحتمل أن تكون الصلاة في ملتهم تقديم السجود على الركوع. ﴿ذٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما تقدم من القصص، وهو خطاب للنبي ﷺ. ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ احتجاجا على نبوته ﷺ؛ لكونه أخبر بهذه الأخبار وهو لم يحضر معهم. ﴿يُلْقَوْنَ اَقْلَمَهُمْ﴾ أي: أزلامهم؛ وهي قِداحهم،



أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ وَإِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿١٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿١٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَإِنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْكَلْبَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ

وقيل: الأقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة، اقترعوا بها على كفالة مريم حرصا عليها وتنافساً في كفالتهما، وتدل الآية على جواز القرعة، وقد ثبتت أيضا من السنة. ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ مبتدأ وخبر في موضع نصب بفعل تقديره: ينظرون أيهم. ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ يختلفون فيمن يكفلها منهم. ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾ "إذ" بدل من "إذ" قالت، "أو من" "إذ يختصمون"، أو العامل فيه مضمرة. ﴿اسْمُهُ﴾ أعاد الضمير المذكور على الكلمة؛ لأن المسمى بها ذكر. ﴿الْمَسِيحُ﴾ قيل: هو مشتق من ساح في الأرض فوزنه مفعول، وقال الأكثرون: من مسح؛ لأنه مسح بالبركة فوزنه فعيل، وإنما قال: ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ والخطاب لمريم لينسب إليها، إعلاماً بأنه يولد من غير والد. ﴿وَجِيهًا﴾ نصب على الحال، ووجهته في الدنيا النبوة والتقدم على الناس، وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة. ﴿فِي الْمَهْدِ﴾ في موضع الحال. ﴿وَكَهْلًا﴾ عطف عليه، والمعنى أنه يكلم الناس صغيراً؛ آية تدل على براءة أمه مما قذفها به اليهود، وتدل على نبوته، ويكلمهم أيضا كبيرا؛ ففيه إعلام بعيشه إلى أن يبلغ سن الكهولة وأوله ثلاث وثلاثون سنة، وقيل: أربعون. ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ عطف على "يبشرك"، أو على "ويكلم". ﴿الْكِتَابَ﴾ هنا جنس، وقيل: الخط باليد. ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ هنا العلوم الدينية، أو الإصابة في الفعل والقول. ﴿وَرَسُولًا﴾ حال معطوفة على "ويعلمه"؛ إذ التقدير: ومعلماً الكتاب، أو يضم له فعل تقديره: أرسل رسولا، أو جاء رسولا. ﴿إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أرسل إليهم عيسى عليه السلام مبينا لحكم التوراة. ﴿أَنِّي﴾ تقديره بأنني. ﴿إِنِّي أَخْلَقُ﴾ بفتح الهمزة بدل من "أني الأولى، أو من" آية، وبكسرها ابتداء كلام. ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ ذكر هنا الضمير؛ لأنه يعود على "الطير"، أو على الكاف من "كهية"، وأنت في المائدة؛ لأنه يعود على الهيئة. ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ قيل: إنه لم يخلق غير الخفاش، وقرئ "طيرا" بياء ساكنة على الجمع، وبالألِف وهمزة على الإنفراد، وكرر ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ رفعا لوهم من توهم في عيسى الربوبية. ﴿وَأُبْرِئُ﴾ روي أنه كان يجتمع إليه جماعة من العميان والبرصا، فيدعو لهم فيبرؤون. ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ روي أنه كان يضرب

وَأَنْبِئِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُمْ بِبَايَةِ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١٢﴾ \* فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٣﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿١٤﴾ وَمَكْرُؤًا لِّمَكَرِ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿١٥﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ

بعصاه الميت أو القبر فيقوم الميت ويكلمه، وروي أنه أحيا سام بن نوح. ﴿وَأَنْبِئِكُمْ﴾ كان يقول: يا فلان أكلت كذا، وادخرت في بيتك كذا. ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ عطف على "رسولا"، أو على موضع "بآية من ربكم"؛ لأنه في موضع الحال، وهو أحسن، لأنه من جملة كلام عيسى؛ فالتقدير: جئتم بآية من ربكم وجئتم مصدقا. ﴿وَلَا حِلَّ لَكُمْ﴾ عطف على "بآية من ربكم"، وكانوا قد حرم عليهم الشحم ولحم الإبل وأشياء من الحيتان والطيور، فأحل لهم عيسى بعض ذلك. ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ رد على من نسب الربوبية لعيسى، وانتهى كلام عيسى عليه السلام إلى قوله: ﴿صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾، وابتدأه من قوله "أني قد جئتمكم"، وكل ذلك يحتمل أن يكون مما ذكرت الملائكة لمريم، حكاية عن عيسى عليه السلام أنه سيقوله، ويحتمل أن يكون خطاب مريم قد انقطع، ثم استؤنف الكلام من قوله "ورسولا"، على تقدير: جاء عيسى رسولا بأني قد جئتمكم بآية من ربكم، ثم استمر كلامه إلى آخره. ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ﴾ أي: علم علما ظاهرا كعلم ما يدرك بالحواس. ﴿مَنْ أَنْصَارِي﴾ طلب النصرة، والأنصار جمع ناصر. ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ تقديره من يضيف أنفسهم في نصرتي إلى الله، فلذلك قيل: "إلى" هنا بمعنى مع، أو يتعلق بمحذوف تقديره ذاهبا إلى الله، أو ملتجئا إلى الله. ﴿الْحَوَارِيُّونَ﴾ حواري الرجل صفوته وخاصته؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي حواري، وإن حواري الزبير» [البخاري: 2846] وقيل: إن الحواريين كانوا قصارين يجورون الثياب؛ أي: يبيضونها ولذلك سماهم الحواريين. ﴿بِمَا أَنْزَلْتَ﴾ يريدون الإنجيل، و﴿الرَّسُولَ﴾ هنا عيسى عليه السلام. ﴿مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ أي: مع الذين يشهدون بالحق من الأمم، وقيل: مع أمة محمد ﷺ؛ لأنهم يشهدون على الناس. ﴿وَمَكْرُؤًا﴾ الضمير لكفار بني إسرائيل؛ ومكرهم أنهم وكلوا بعيسى من يقتله غيلة. ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ أي: رفع عيسى إلى السماء، وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل عوضا منه، وعبر عن فعل الله بالمكر مشاكلة لقوله "مكروا". ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ أي: أقواهم، وهو فاعل ذلك بحق، والماكر من البشر فاعل بالباطل. ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ العامل فيه فعل مضمر أو "يمكر" ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ قيل: وفاة موت، ثم أحياه الله في السماء، وقيل: رفع حيا، ووفاة الموت بعد أن ينزل إلى الأرض فيقتل الدجال،

وَرَأْفَعَكَ إِلَىٰ وَمُطَهَّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ  
 الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا  
 فَأَعْدَبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَتُوفِّيهِمْ أَجْرُهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ  
 آيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ  
 قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا  
 جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ  
 نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا  
 اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَا أَهْلَ  
 الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ  
 بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾

وقيل: يعني وفاة نوم، وقيل: المعنى قابضك من الأرض إلى السماء. ﴿وَرَأْفَعَكَ إِلَىٰ﴾ أي: إلى السماء.  
 ﴿وَمُطَهَّرَكَ﴾ أي: من سوء جوارهم. ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾ هم المسلمون، وعلوهم على الكفار بالحجة وبالسيف  
 في غالب الأمر، وقيل: "الذين اتبعوك" النصارى، و﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اليهود؛ فالآية مخبرة عن عزة النصارى  
 على اليهود وإذلالهم لهم. ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ﴾ إشارة إلى ما تقدم من الأخبار. ﴿مِنَ الْآيَاتِ﴾ المتلوة أو المعجزات.  
 ﴿الذِّكْرِ﴾ القرآن. ﴿الحَكِيمِ﴾ الناطق بالحكمة. ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى﴾ الآية، حجة على النصارى في قولهم: كيف  
 يكون ابن دون أب، فمثله الله بآدم الذي خلقه الله دون أم ولا أب؛ وذلك أغرب مما استبعدوه، فهو أقطع  
 لقولهم. ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ تفسير لحال آدم، فيكون حكاية حال ماضية، والأصل لو قال خلقه من تراب،  
 ثم قال له "كن" فكان، لكنه وضع المضارع موضع الماضي؛ ليصور في نفوس المخاطبين أن الأمر كأنه حاضر  
 دائم. ﴿الحَقُّ﴾ خبر ابتداء مضمرة. ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾ أي: في عيسى، وكان الذي حاجه فيه وفد نجران من  
 النصارى، وكان لهم سيدان يقال لأحدهما السيد والآخر العاقب. ﴿نَبْتَهِلْ﴾ نلتعن، والبهلة اللعنة؛ أي: نقول  
 لعنة الله على الكاذب منا ومنكم، هذا أصل الابتهاال، ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن لعنة، ولما  
 نزلت الآية أرسل رسول الله ﷺ إلى علي وفاطمة والحسن والحسين، ودعا نصارى نجران إلى الملاعنة، فخافوا  
 أن يهلكهم الله، أو يمسخهم الله قردة وخنزير، فأبوا من الملاعنة وأعطوا الجزية. ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾  
 خطاب لِنصارى نجران، وقيل: لليهود. ﴿سَوَاءٍ﴾ أي: عدل ونصف. ﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾ بدل من "كلمة"، أو رفع

يَأْهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ ۚ  
 أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٥﴾ هَآنَتْ هُنُوْلَاءُ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ ۚ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا  
 لَيْسَ لَكُمْ بِهِ ۚ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا  
 وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ  
 اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾ وَدَّتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ  
 الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٩﴾ يَأْهَلِ الْكِتَابِ لِمَ  
 تَكْفُرُونَ بِقَايَتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٢٠﴾ يَأْهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ  
 وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ  
 عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفِّرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَا تُوْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ  
 تَبَعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ ۗ

على تقدير: هي، ودعاهم ﷺ إلى توحيد الله، وترك ما عبده من دونه كالمسيح والأحبار والرهبان. ﴿لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ قالت اليهود: كان إبراهيم يهوديا، وقالت النصارى: كان نصرانيا؛ فنزلت الآية ردا عليهم؛ لأن ملة اليهود والنصارى إنما وقعت بعد موت إبراهيم بمدة طويلة. ﴿هَآنَتْ هُنُوْلَاءُ﴾ "ها" تنبيه، وقيل: بدل من همزة الاستفهام، و"أنتم" مبتدأ، و﴿هُوْلَاءُ﴾ خبره، و﴿حَاجَجْتُمْ﴾ استئناف، أو "هؤلاء" منصوب على التخصيص، و"حاججتم" الخبر. ﴿فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ فيما نطقت به التوراة والإنجيل. ﴿فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ ما تقدم على ذلك من حال إبراهيم. ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ ردا على اليهود والنصارى. ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ نفي للإشراك الذي هو عبادة الأوثان، ودخل في ذلك الإشراك الذي يتضمنه دين اليهود والنصارى. ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ عطف على الذين اتبعوه، أي: محمد ﷺ. ﴿أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾ لأنه على دينه. ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أمة محمد ﷺ. ﴿وَدَّتْ طَآئِفَةٌ﴾ هم اليهود، دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا ﷺ إلى اليهودية. ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: لا يعود وبال الإضلال إلا عليهم. ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ أي: تعلمون أن محمد ﷺ نبي. ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ﴾ أي: تخلطون، و﴿الْحَقَّ﴾ نبوة محمد ﷺ و﴿الباطل﴾ الكفر به. ﴿ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ﴾ كان قوم من اليهود أظهروا الإيمان أول النهار ثم كفروا آخره؛ ليخدعوا المسلمين، فيقولوا ما رجح هؤلاء إلا عن علم، وقال السهيلي: إن هذه الطائفة هم عبد الله بن الصيف وعدي بن زيد والحارث بن عوف. ﴿أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ﴾ يحتمل أن يكون من تمام الكلام الذي أمر النبي ﷺ أن يقوله، فيكون متصلا بقوله "إن الهدى هدى الله"، وأن يكون من كلام أهل الكتاب فيكون متصلا بقوله: "ولا تؤمنوا إلا

أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنْ أَلْفُضَلْ بِيَدِ اللَّهِ يُوتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٦﴾ يَخْتَصُّ  
 بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٦٧﴾ \* وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن إِنْ تَأَمَّنْهُ بِقِنْطَارٍ  
 يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَن إِنْ تَأَمَّنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ۗ ذَٰلِكَ  
 بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ  
 ﴿٦٨﴾ بَلَىٰ مَن أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٦٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ  
 وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ  
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُمْ  
 بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِن عِنْدِ اللَّهِ وَمَا  
 هُوَ مِن عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾

لمن تبع دينكم"، ويكون "إن الهدى" اعتراضاً بين الكلامين؛ فعلى الأول: يكون المعنى كراهة أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، قلت ما قلتكم، ودبرتم ما دبرتم من الخداع، فموضع "أن يؤتى" مفعول من أجله، أو منصوب بفعل مضمير تقديره: فلا تنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الكتاب والنبوة، وعلى الثاني: يكون المعنى لا تؤمنوا، أي: لا تقروا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم. ﴿إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ واکتموا ذلك عمن لم يتبع دينكم لئلا يدعوهم إلى الإسلام، فموضع "أن يؤتى" مفعول بـ"تؤمنوا" المضمن معنى تقروا، ويمكن أن يكون في موضع المفعول من أجله، أي: لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم كراهة أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم. ﴿أَوْ يُحَاجُّوكُمْ﴾ عطف على "أن يؤتى"، وضمير الفاعل للمسلمين، وضمير المفعول لليهود. ﴿إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ رد على اليهود في قولهم: لم يؤت الله أحداً مثل ما أوتي بنو إسرائيل من النبوة والشرف. ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الآية، إخبار أن أهل الكتاب على قسمين؛ أمين وخائن، وذكر القنطار مثلاً للكثير، فمن أداه أدى ما دونه، وذكر الدينار مثلاً للقليل فمن منعه منع ما فوّه بطريق الأولى. ﴿قَائِمًا﴾ يحتمل أن يكون من القيام الحقيقي بالجسد، أو من القيام بالأمر وهو العزيمة عليه. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ الإشارة إلى خيانتهم، والباء للتعليل. ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا﴾ زعموا أن أموال الأميين وهم العرب حلال لهم. ﴿الْكَذِبَ﴾ هنا قولهم: إن الله أحلها لهم في التوراة، أو كذبهم على الإطلاق. ﴿بَلَىٰ﴾ أي: عليهم سبيل وتباعة في أموال الأميين. ﴿بِعَهْدِهِ﴾ الضمير يعود على "من"، أو على "الله". ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ الآية، قيل نزلت في اليهود؛ لأنهم تركوا عهد الله في التوراة لأجل الدنيا، وقيل: نزلت بسبب خصومة بين الأشعث بن قيس وآخر؛ فأراد خصمه أن يجلف كاذباً. ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ الضمير عائد على أهل الكتاب. ﴿يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُمْ﴾ أي: يحرفون اللفظ أو المعنى. ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ الضمير يعود على ما دل عليه قوله "يلوون"

مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُوتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٦﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٧٧﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ - وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ وَأَصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٧٩﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ - إِنَّمَا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ

أستهم"، وهو الكلام المحرف. ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ الآية، هذا النفي متسلط على ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ﴾، والمعنى: لا يدعي الربوبية من آتاه الله النبوة، والإشارة إلى عيسى عليه السلام، رد على النصارى الذين قالوا إنه الله، وقيل: إلى محمد ﷺ؛ لأن اليهود قالوا له: يا محمد! أتريد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى؟ فقال: «معاذ الله، ما بذلك أمرت، ولا إليه دعوت» [دلائل النبوة: 2125]. ﴿رَبَّانِيَّيْنَ﴾ جمع رباني؛ وهو العالم، وقيل: الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره. ﴿بِمَا كُنْتُمْ﴾ الباء سببية، و"ما" مصدرية. ﴿تَعْلَمُونَ﴾ بالتخفيف تعرفون، وقرئ بالتشديد من التعليم. ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾ بالرفع استئناف، والفاعل "الله" أو البشر المذكور، وقرئ بالنصب عطف على "أن يوتيه"، أو على "ثم يقول" والفاعل على هذا البشر. ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ معنى الآية: أن الله أخذ العهد والميثاق على كل نبي أن يؤمن بمحمد ﷺ وينصره إن أدركه، وتضمن ذلك أخذ هذا الميثاق على أمم الأنبياء، واللام في قوله: ﴿لَمَّا آتَيْنَاكُمْ﴾ لام التوطئة، لأن أخذ الميثاق في معنى الاستخلاف، واللام في "لتؤمنن" جواب القسم، و"ما" يحتمل أن تكون شرطية، و"لتؤمنن" سد مسد جواب القسم والشرط، وأن تكون موصولة بمعنى الذي آتيناكموه. ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ والضمير في "به" و﴿لَتَنْصُرُنَّهُ﴾ عائد على "الرسول". ﴿أَقْرَرْتُمْ﴾ اعترفتم. ﴿إِصْرِي﴾ عهدي. ﴿فَاشْهَدُوا﴾ أي: على أنفسكم وعلى أممكم بالتزام هذا العهد. ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ﴾ تأكيد للعهد بشهادة رب العزة جل جلاله. ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: من تولى عن الإيمان بهذا النبي ﷺ بعد هذا الميثاق فهو فاسق متمرد في كفره. ﴿أَفَغَيْرَ﴾ الهمزة للإنكار، والفاء عطفت جملة على جملة، و"غير" مفعول قدم للاهتمام به أو للحصر. ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾ أي: انقاد واستسلم. ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ مصدر في موضع الحال والطوع للمؤمنين، والكره للكافر إذا عين الموت، وقيل: عند أخذ الميثاق المتقدم، وقيل: إقرار كل كافر بالصانع هو إسلامه كرها. ﴿قُلْ - إِنَّمَا بِاللَّهِ﴾ أمر النبي ﷺ أن يخبر عن نفسه وعن أمته بالإيمان. ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ تعدى هنا ب"على" مناسبة لقوله

وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٤٦﴾ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ وَأَنَّ عَلَيْهِمُ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٤٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفْرًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ آفَتَدَىٰ بِهِ ۗ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥١﴾

"قل"، وفي البقرة بـ ﴿إِلَى﴾ لقوله ﴿قُولُوا﴾؛ لأن "على" حرف استعلاء يقتضي النزول من علو، ونزوله على هذا المعنى مختص بالنبي ﷺ، و﴿إِلَى﴾ حرف غاية، وهو موصل إلى جميع الأمة. ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ الْآيَةَ﴾، إبطال لجميع الأديان غير الإسلام، وقيل: نسخت ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى﴾ الآية. ﴿كَيْفَ﴾ سؤال، والمراد به هنا استبعاد الهدى. ﴿قَوْمًا كَفَرُوا﴾ نزلت في الحارث بن سويد وغيره، أسلموا، ثم ارتدوا ولحقوا بالكفار، ثم كتبوا إلى أهلهم: هل لنا من توبة؟ فنزلت الآية إلى قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ فرجعوا إلى الإسلام، وقيل: نزلت في اليهود والنصارى شهدوا بصفة النبي ﷺ وآمنوا به ثم كفروا به لما بعث. ﴿وَشَهِدُوا﴾ عطف على "إيمانهم"؛ لأن معناه بعد أن آمنوا، وقيل: الواو للحال، وقال ابن عطية: عطف على "كفروا" والواو للترتيب. ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ عموم بمعنى الخصوص في المؤمنين، أو على عمومهم، وتكون اللعنة في الآخرة. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ الضمير عائد على اللعنة، وقيل: على النار وإن لم تذكر؛ لأن المعنى يقتضيها. ﴿ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ قيل: هم اليهود كفروا بعيسى بعد إيمانهم بموسى، ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد ﷺ، وقيل: كفروا بمحمد ﷺ بعد ما كانوا مؤمنين به قبل بعثته، ثم ازدادوا كفرا بعد رؤيتهم له وطعنهم عليه، وقيل: هم الذين ارتدوا. ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ قيل: ذلك عبارة عن موتهم على الكفر أي: ليس لهم توبة فتقبل، وذلك في قوم بأعيانهم ختم الله لهم بالكفر، وقيل: لن تقبل توبتهم مع إقامتهم على الكفر فذلك عام. ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ﴾ جزم بالعذاب لكل من مات على الكفر، والواو في قوله: ﴿وَلَوْ آفَتَدَىٰ بِهِ﴾ قيل: زائدة، وقيل: للعطف على محذوف، كأنه قال: لن يقبل من أحدهم لو تصدق به ولو افتدى به، وقيل: نفى أو لا القبول جملة على الوجوه كلها، ثم خص الفدية بالنفي، كقولك: أنا لا أفعل كذا أصلا ولو رغبت إلي.

﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾  
 ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَاتَوْا بِالَّتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ

﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ ﴾ أي: لن تكونوا من الأبرار، أو لن تنالوا البر الكامل. ﴿ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ من أموالكم، ولما نزلت قال أبو طلحة ؑ: إن أحب أموالي إلي بيرحاء وإنما صدقة، وكان ابن عمر ؓ يتصدق بالسكر، ويقول: إني لأحبه. ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ ﴾ الآية، إخبار أن الأطعمة كانت حلالا لبني إسرائيل إلا ما حرم أبوهم على نفسه، وهو لحم الإبل ولبنها، ثم حرمت عليهم أنواع من الأطعمة كالشحوم وغيرها عقوبة لهم على معاصيهم، وفيها رد عليهم في قولهم: إنهم على ملة إبراهيم عليه السلام، وأن الأشياء التي هي محرمة عليهم كانت محرمة على إبراهيم، وفيها دليل على جواز النسخ ووقوعه؛ لأن الله حرم عليهم تلك الأشياء بعد حلها خلافا لليهود في قولهم: إن النسخ محال على الله، وفيها معجزة للنبي ﷺ؛ لإخباره بذلك من غير تعلم من أحد، وسبب تحريم إسرائيل لحوم الإبل على نفسه؛ أنه مرض فنذر إن شفاه الله أن يحرم أحب الطعام إليه شكر الله وتقربا إليه، ويؤخذ من ذلك أنه يجوز للأنبياء أن يحرموا على أنفسهم باجتهادهم. ﴿ فَاتَّوُوا بِالتَّوْرَةِ ﴾ تعجيزا لليهود، وإقامة الحجة عليهم، وروي: أنهم لم يحسروا على إخراج التوراة. ﴿ فَمَنْ أَفْتَرَى ﴾ أي: من زعم بعد هذا البيان أن الشحم وغيره كان محرما على بني إسرائيل قبل نزول التوراة فهو الظالم المكابر بالباطل. ﴿ صَدَقَ اللَّهُ ﴾ أي: الأمر كما وصف، لا كما تكذبون أنتم، ففيه تعريض بكذبهم. ﴿ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ إلزام لهم أن يسلموا، لما ثبت أن ملة الإسلام هي ملة إبراهيم التي لم يحرم فيها شيء مما هو محرم عليهم. ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ ﴾ أي: أول مسجد بني في الأرض، وقد سأل أبو ذر ؓ النبي ﷺ أي مسجد بني أولا؟ قال: «المسجد الحرام ثم بيت المقدس» [مسلم: 1189]. وقال علي بن أبي طالب ؓ: المعنى أنه أول بيت وضع مباركاً وهدى، وقد كانت قبله بيوت. ﴿ بِبَكَّةَ ﴾ هي مكة، والباء بدل من الميم، وقيل: مكة الحرم كله، وبكة المسجد وما حوله. ﴿ مُبَارَكًا ﴾ نصب على الحال، والعامل فيه على قول علي ؓ "وضع" لأنه حال من الضمير الذي فيه، وعلى القول الأول هو حال من الضمير الذي في الجرور، والعامل فيه العامل في الجرور من معنى الاستقرار. ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ آيات البيت كثيرة: منها الحجر الذي هو مقام إبراهيم؛ وهو الذي قام عليه حين رفع القواعد من البيت، فكان كلما طال البناء ارتفع به الحجر في الهواء حتى أكمل البناء، وغرقت قدم



مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِقَايَتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبِعُونَهَا ءَوْجًا وَانْتُمْ شُهَدَاءُ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ ءَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتَّبِلُونَ

إبراهيم في الحجر كأنها في طين، وذلك الأثر باق إلى اليوم، ومنها أن الطير لا تعلقه، ومنها إهلاك أصحاب الفيل، ورد الجبابرة عنه، ونبع زمزم لهاجر أم إسماعيل بهمز جبريل بعقبه، وحفر عبد المطلب لها بعد دثورها، وأن ماءها ينفع لما شرب له إلى غير ذلك. ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ قيل: إنه بدل من الآيات أو عطف بيان، وإنما جاز بدل الواحد من الجمع؛ لأن المقام يحتوي على آيات كثيرة، لدلالته على قدرة الله تعالى وعلى نبوة إبراهيم وغير ذلك، وقيل: الآيات مقام إبراهيم وأمن من دخله، فعلى هذا يكون قوله ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ﴾ عطفًا، وعلى الأول استثناء، وقيل: التقدير: منهن مقام إبراهيم، فهو على هذا مبتدأ، والمقام هو الحجر المذكور، وقيل: البيت كله، وقيل: مكة كلها. ﴿كَانَ ءَامِنًا﴾ أي: آمنًا من العذاب، فإنه كان في الجاهلية إذا فعل أحد جريمة، ثم لجأ إلى البيت، لا يطلب ولا يعاقب، فأما في الإسلام، فإن الحرم لا يمنع من الحدود ولا من القصاص، وقال ابن عباس رضي الله عنه وأبو حنيفة: ذلك الحكم باق في الإسلام، إلا أن من وجب عليه حد أو قصاص فدخل الحرم لا يطعم ولا يباع منه حتى يخرج، وقيل: آمنًا من النار. ﴿حِجُّ الْبَيْتِ﴾ بيان لوجوب الحج، واختلف: هل هو على الفور أو على التراخي؟ وفي الآية رد على اليهود لما زعموا أنهم على ملة إبراهيم، قيل لهم: إن كنتم صادقين فحجوا البيت الذي بناه إبراهيم ودعا الناس إليه. ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ﴾ "من" بدل من "الناس"، وقيل: فاعل بالمصدر وهو "حج"، وقيل: شرط مبتدأ؛ أي: من استطاع فعله الحج. والاستطاعة عند مالك، هي القدرة على الوصول إلى مكة بصحة البدن، إما راجلا وإما ركابا، مع الزاد المبلغ والطريق الآمن، وقيل: الاستطاعة الزاد والراحلة، وهو مذهب الشافعي وعبد الملك بن حبيب، وروي في ذلك حديث ضعيف. ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ قيل المعنى: من لم يحج، وعبر عنه بالكفر تغليظا كقوله صلى الله عليه وسلم: «من ترك الصلاة فقد كفر» [ابن حبان: 1463]، وقيل: أراد اليهود لأنهم لا يحجون، وقيل: من زعم أن الحج ليس بواجب. ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ﴾ توبيخ لليهود ﴿لِمَ تَصُدُّونَ﴾ توبيخ أيضا، وكانوا يمنعون الناس من الإسلام، ويرومون فتنة المسلمين عن دينهم. و﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هنا الإسلام. ﴿تَبِعُونَهَا ءَوْجًا﴾ الضمير يعود على "السبيل"؛ أي: تطلبون لها الأعوجاج. ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ أي: تشهدون أن الإسلام حق. ﴿إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا﴾ الآية، لفظها عام، والخطاب للأوس والخزرج، إذ كان اليهود يريدون فتنهم. ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ إنكار واستبعاد.

عَلَيْكُمْ وَآيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١١﴾  
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٢﴾ ۖ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ  
اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۖ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ  
فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ۗ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ  
وَآيَاتِهِ ۖ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٣﴾ ۖ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ  
الْمُنْكَرِ ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٤﴾ ۖ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ  
الْبَيِّنَاتُ ۖ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ۖ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ  
وُجُوهُهُمْ ۖ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٦﴾ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ  
وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ ۖ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۗ وَمَا اللَّهُ  
يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٨﴾ ۖ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْاُمُورُ ﴿١٩﴾

﴿ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ قيل: نسخها ﴿ فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾، وقيل: لا نسخ إذ لا تعارض، فإن العباد أمروا  
بالتقوى على الكمال فيما استطاعوا، تحرزا من الإكراه وشبهه. ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ ﴾ أي: تمسكوا، والحبل  
هنا مستعار من الحبل الذي يشد عليه اليد، والمراد به هنا القرآن، وقيل: الجماعة. ﴿ وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ نهي عن  
التدابر والتقاطع، إذ قد كان الأوس قد هموا بالقتال مع الخزرج لما رام اليهود إيقاع الشر بينهم، ويحتمل  
أن يكون نهيًا عن التفرق في أصول الدين، ولا يدخل النهي الاختلاف في الفروع. ﴿ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً ﴾ كان  
بين الأوس والخزرج عداوة وحروب عظيمة إلى أن جمعهم الله على الإسلام. ﴿ شَفَا حُفْرَةٍ ﴾ أي: جرف  
حفرة، وذلك تشبيه لما كانوا عليه من الكفر والعداوة التي تقودهم إلى النار. ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ ﴾ الآية،  
دليل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب، وقوله "منكم" دليل على أنه فرض كفاية؛ لأن  
"من" للتبعض، وقيل: إنها لبيان الجنس، وأن المعنى: كونوا أمة، وتغيير المنكر يكون باليد واللسان  
وبالقلب على حسب الأحوال. ﴿ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا ﴾ هم اليهود والنصارى، نهي الله المسلمين أن يكونوا  
مثلهم، ورد في الحديث أنه ﷺ قال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترت النصارى على ثنتين  
وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار، إلا واحدة» قيل: ومن تلك الواحدة؟  
قال: «من كان على ما أنا وأصحابي عليه» [ابن ماجه: 4127]. ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ ﴾ العامل فيه محذوف، وقيل:  
"عذاب عظيم" ﴿ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ أي: يقال لهم: أكفرتم؟ والخطاب لمن ارتد عن الإسلام، وقيل:  
للخوارج، وقيل: لليهود؛ لأنهم آمنوا بصفة النبي ﷺ المذكورة في التوراة، ثم كفروا به لما بعث.

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ  
 وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ مِمَّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ۚ  
 لَنْ يَضُرُّوكُمْ وَآلَآءُكُمْ إِلَّا أَذًى ۗ وَإِنْ يُقْتَلُوا يُمْسِكُوا بِرِشْوَتِهِمْ ۚ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٠١﴾  
 ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفَقَّهُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ  
 وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْآبِيَاءَ بِغَيْرِ  
 حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١٠٢﴾ ۚ لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ  
 يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١٠٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ  
 بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَسِرْجُونَ ۚ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٤﴾ وَمَا  
 تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ نُكَفِّرُوهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ  
 عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۗ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٦﴾  
 مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا  
 أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ ۗ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ كان هنا هي التي تقتضي الدوام، كقوله: ﴿ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ وقيل: كنتم في علم الله،  
 وقيل: كنتم فيما وصفتم به في الكتب المتقدمة، وقيل: كنتم بمعنى أنتم، والخطاب لجميع المؤمنين، وقيل:  
 للصحابة خاصة. ﴿ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ﴾ أي: بالكلام خاصة وهو أهون المضرة. ﴿ يُؤَلُّوكُمُ الْآدِبَارَ ﴾ إخبار  
 بغيب ظهر في الوجود صدقه. ﴿ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ إخبار مستأنف غير معطوف على "يولوكم"، وفائدة ذلك:  
 أن توليهم الأدبار مقيدة بوقت القتال، وعدم النصر على الإطلاق، وعطفت الجملة على جملة الشرط والجزاء،  
 و"ثم" لترتيب الأحوال؛ لأن عدم نصرهم على الإطلاق أشد من توليهم الأدبار حين القتال. ﴿ إِلَّا بِالْحَبْلِ مِنَ  
 اللَّهِ ﴾ هو هنا العهد والذمة. ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ﴾ أي: ليس أهل الكتاب مستوين في دينهم. ﴿ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ أي: قائمة  
 بالحق، وذلك فيمن أسلم من اليهود؛ كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيد وأخيه أسد ۞ وغيرهم. ﴿ وَهُمْ  
 يَسْجُدُونَ ﴾ يدل أن تلاوتهم للكتاب في الصلاة. ﴿ فَلَنْ نُكَفِّرُوهُ ﴾ أي: لا تحرمون ثوابه. ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ ﴾  
 الآية، تشبيه لنفقة الكفار بزراع أهلكتهم ريح باردة فلن ينتفع به أصحابه، وكذلك لا ينتفع الكفار بما ينفقون، وفي  
 الكلام حذف تقديره: مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح، أو مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح، وإنما  
 احتج لهذا؛ لأن "ما ينفقون" ليس شبيها بالريح، إنما هو تشبيه بالزراع الذي أهلكتهم الريح. ﴿ صِرٌّ ﴾ أي: برْدٌ.  
 ﴿ حَرْثٌ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ أي: عصوا الله فعاقبهم بإهلاك حرثهم. ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ ﴾ الضمير للكفار

وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مَنْ دُونَكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوًّا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَقْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ ءَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ ءَايَاتٍ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ هَآئِنْتُمْ ءَوَالِيءٌ مُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَآبِ كُلِّهٖ وَإِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٧٢﴾ إِنْ تَمَسَّسْتُمْ حَسَنَةً تَسَوْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضِرْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٧٣﴾ وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ ٱلْقِتَالِ ءَ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ إِذْ هَمَّت طَآئِفَتَيْنِ مِنْكُمْ ءَ أَنْ تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَٰلِيَهُمَا ءَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلَيْتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٧٥﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ ءَ أَذِلَّةٌ

والمنفقين أو لأصحاب الحرب، والأول أرجح؛ لأن قوله: ﴿أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فعل حال يدل على أنه للحاضرين. ﴿بِطَانَةَ مَنْ دُونَكُمْ﴾ أي: أولياء من غيركم، فالمعنى: نهي عن استخلاص الكفار وموالاتهم، وقيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن هنا رجلا من النصارى لا أحد أحسن خطأ منه، أفلا يكتب عنك؟ فقال: إذا أخذ بطانة من دون المؤمنين. ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ أي: لا يقصرون في فسادكم، والخبال: الفساد. ﴿وَدُوًّا مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: تمنوا مضر تكم، و"ما" مصدرية، وهذه الجملة والتي قبلها صفة للبطانة أو استئناف. ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَآبِ كُلِّهٖ﴾ أي: بكل كتاب أنزله الله، واليهود لا يؤمنون بقراء تكم. ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ﴾ عبارة عن شدة الغيظ مع عدم القدرة على إنفاذه، و"الأنامل" جمع أملة، بضم الميم وفتحها. ﴿مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ تفرغ وإغاظة، وقيل: دعاء. ﴿إِنْ تَمَسَّسْتُمْ حَسَنَةً﴾ الحسنة هنا الخيرات من النصر والرزق وغير ذلك، والسيئة ضدها. ﴿لَا يَضِرْكُمْ﴾ من الضير بمعنى الضر. ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ نزلت في غزوة أحد، وكان غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال صبيحة يوم السبت، وخرج من المدينة يوم الجمعة بعد الصلاة، وكان قد شاور أصحابه قبل الصلاة. ﴿تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: تنزلهم، وذلك يوم السبت حين حضر القتال، وقيل: ذلك يوم الجمعة بعد الصلاة حين خرج من المدينة؛ وذلك ضعيف؛ لأنه لا يقال غدوت فيها بعد الزوال إلا على المجاز، وقيل: ذلك يوم الجمعة قبل الصلاة حين شاور الناس؛ وذلك ضعيف؛ لأنه لم يبيء حينئذ مقاعد للقتال، إلا أن يراد أنه بواهم بالتدبير حين المشاورة. ﴿مَقَاعِدَ﴾ مواضع، وهو جمع مقعد. ﴿طَآئِفَتَيْنِ مِنْكُمْ﴾ هما بنو حارثة من الأوس وبنو سلمة من الخزرج، لما رأوا كثرة المشركين وقلة المسلمين هموا بالانصراف، فعصمهم الله ونهضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. ﴿أَنْ تَفْشَلَا﴾ الفشل في البدن هو الإعياء، والفشل في الرأي هو العجز والحيرة وفساد العزم. ﴿وَٱللَّهُ وَٰلِيَهُمَا﴾ أي: ثبتهما الله، وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: ما وددنا أنها لم تنزل لقوله "والله وليهما" ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرِ﴾ تذكير بنصر الله لهم يوم بدر لتقوى قلوبهم. ﴿وَأَنْتُمْ ءَ أَذِلَّةٌ﴾ هذه الذلة؛ هي قلة

فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣٧﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ  
 ءَالَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ﴿١٣٨﴾ بَلَىٰ إِنَّ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ  
 رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَالَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٣٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ  
 قُلُوبُكُمْ بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٤٠﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا  
 أَوْ يَكْتَسِبَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا حَآبِئِينَ ﴿١٤١﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۗ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ  
 فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤٢﴾ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ  
 يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَاكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً  
 وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٤٤﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ  
 وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٤٦﴾ \* سَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا

عَدَدُهُمْ، وضعف عددهم، كانوا يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا، ولم يكن لعهم إلا فرس واحد، وكان  
 المشركون ما بين التسعمائة والألف، وكان معهم مائة فرس، فقتل من المشركين سبعون، وأسر منهم سبعون،  
 وانهمز سائرهم. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ متعلق بـ"نصركم" أو بـ"اتقوا"، والأول أظهر. ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾  
 كان هذا القول يوم بدر، وقيل: يوم أحد، فالعامل في "إذ" على الأول محذوف، وعلى الثاني هي بدل من "إذ  
 غدوت" ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ﴾ تقرير، جوابه بلى، وإنما جاب المتكلم لصحة الأمر وبيانه كقوله: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ  
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾. ﴿وَيَأْتُوكُمْ مِّن فَوْرِهِمْ﴾ الضمير للمشركين، والفور السرعة، أي: من ساعتهم،  
 وقيل: المعنى من سفرهم. ﴿بِخَمْسَةِ ءَالَافٍ﴾ بأكثر من العدد الذي يكفيكم؛ ليزيد ذلك في قوتهم، فإن كان هذا  
 يوم بدر فقد قاتلت فيه الملائكة، وإن كان يوم أحد فقد شرط في قوله "إن تصبروا وتتقوا"، فلما خالفوا الشرط لم  
 تنزل الملائكة. ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ بفتح الواو وكسرها، أي: معلمين، أو معلمين أنفسهم أو خيلهم، وكانت سيما  
 الملائكة يوم بدر عمام بيضاء، إلا جبريل فإنه كانت عمامته صفراء، وقيل: كانوا بعمائم صفراء، وكانت خيلهم  
 مجزوزة الأذنان، وقيل: كانوا على خيل بلق. ﴿وَمَا جَعَلَهُ﴾ الضمير عائد على الإنزال والإمداد. ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾  
 معطوف على "بشرى" لأن هذا الفعل بتأويل المصدر، وقيل: يتعلق بفعل مضمر يدل عليه "جعله". ﴿لِيَقْطَعَ﴾  
 يتعلق بقوله "ولقد نصركم الله"، أو بقوله "وما النصر". ﴿لَيْسَ لَكَ﴾ جملة اعتراض بين المعطوفين، ونزلت لما  
 دعا رسول الله ﷺ في الصلاة على أحياء العرب، فترك الدعاء عليهم. ﴿أَوْ يَتُوبَ﴾ معناه: يسلمون. ﴿أَضْعَافًا  
 مُضَاعَفَةً﴾ كانوا يزيدون فيه كل ما حل عاما بعد عام. ﴿سَارِعُوا﴾ بغير واو استئناف، وبالواو عطف على ما  
 تقدم. ﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ﴾ أي: إلى الأعمال التي تستحقون بها المغفرة ﴿عَرْضُهَا﴾ قال ابن عباس ؓ: تقرن السماوات

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣١﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ  
الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ  
ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى  
مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٣﴾ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا  
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَنَعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٤﴾ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ  
فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١٣٥﴾ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ  
﴿١٣٦﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا ۗ أَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٧﴾ إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ  
مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ۗ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا  
وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ  
الْكَافِرِينَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ  
الصَّابِرِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤١﴾

والأرض بعضها إلى بعض كما تبسط الثياب، فذلك عرض الجنة، ولا يعلم طولها إلا الله، وقيل: ليس العرض هنا خلاف الطول، وإنما سعتها كسعة السموات والأرض. ﴿فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ في اليسر والعسر. ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ حذف مفعوله، وتقديره: وهم يعلمون أنهم قد أذنبوا. ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ خطاب للمؤمنين تأنيسا لهم، وقيل: للكفار تحويفا لهم. ﴿فَانظُرُوا﴾ من نظر العين عند الجمهور، وقيل: هو بالفكر. ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ تقوية لقلوب المؤمنين. ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ إخبار بعلو كلمة الإسلام. ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ﴾ الآية، معناها: إن مسكم قتل أو جراح في أحد، فقد مس الكفار مثله في بدر، وقيل: قد مس الكفار يوم أحد مثل ما مسكم فيه، فإنهم نالوا منكم وقلتم منهم، وذلك تسلية للمؤمنين بالتأسي. ﴿نُدَاوِلُهَا﴾ تسلية أيضا عما جرى يوم أحد. ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ متعلق بمحذوف تقديره: أصابكم ما أصاب يوم أحد ليعلم، والمعنى ليعلم ذلك علما ظاهرا لكم تقوم به الحجة. ﴿شُهَدَاءَ﴾ من قتل من المسلمين يوم أحد. ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ أي: يظهر، وقيل: يميز، وهو معطوف على ما تقدم من التعليلات لقصة أحد، والمعنى: أن إدالة الكفار على المسلمين إنما هي لتمحيص المؤمنين، وأن نصر المؤمنين على الكفار إنما هو ليمحق الله الكافرين؛ أي: يهلكهم. ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ "أم" هنا منقطعة، مقدره ببل والهمزة عند سيبويه، وهذه الآية وما بعدها معاتبه لقوم من المؤمنين صدرت منهم أشياء يوم أحد. ﴿تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ خوطب به قوم فاتتهم غزوة بدر، فتمنوا حضور قتال الكفار مع

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رِثْيُونٌ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَتَابَتْهُمْ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسُنَ ثَوَابُ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

النبى ﷺ ليستدرکوا ما فاتهم من الجهاد، فعلى هذا إنما تمنوا الجهاد وهو سبب الموت، وقيل: إنما تمنوا الشهادة في سبيل الله. ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ المعنى: أن محمداً ﷺ رسول كسائر الرسل، قد بلغ الرسالة كما بلغوا، فيجب عليكم التمسك بدينه في حياته وبعد موته، وسببها: أنه صرخ صارخ يوم أحد إن محمداً قد مات فتزلزل بعض الناس. ﴿أَفَإِنْ مَاتَ﴾ دخلت ألف التوييح على جملة الشرط والجزاء، ودخلت الفاء لتربط الجملة الشرطية بالجملة التي قبلها، والمعنى: أن موت رسول الله ﷺ أو قتله لا يقتضي انقلاب أصحابه على أعقابهم، لأن شريعته قد تقررت، وبراهينه قد صحت، فعاتبهم على تقدير أن لو صدر منهم انقلاب لو مات ﷺ أو قتل، وقد علم أنه لا يقتل، ولكن ذكر ذلك لما كان قد صرخ به صارخ ووقع في نفوسهم. ﴿الشَّاكِرِينَ﴾ قال علي بن أبي طالب ؑ: الثابتون على دينهم. ﴿كِتَابًا مُوَجَّلًا﴾ نصب على المصدر؛ لأن المعنى كتب الموت كتاباً، وقال ابن عطية: نصب على التمييز. ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ في ثواب الدنيا مقيد بالمشيئة، بدليل قوله: ﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾. ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ﴾ الفعل مسند إلى ضمير الـ"نبي"، و﴿مَعَهُ رِثْيُونٌ﴾ على هذا في موضع الحال، وقيل: إنه مسند إلى "ريون"، ويكون "ريون" على هذا مفعولاً لما لم يسم فاعله، فعلى الأول يوقف على قوله "قتل"، ويترجح الأول بما صرخ به الصارخ يوم أحد إن محمداً قد قتل، فضررب لهم المثل بنبي قتل، ويترجح الثاني بأنه لم يقتل قط نبي في محاربة. ﴿رِثْيُونٌ﴾ علماء مثل ربانيين، وقيل: جموع كثيرة. ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ الضمير لـ"ريون" على إسناد القتل للنبي، وهو لمن بقي منهم على إسناد القتل إليهم. ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ أي: لم يذلوا للكفار، قال بعض النحاة: استكان مشتق من السكون، ووزنه: افتعلوا، مطلت فتحة الكاف فحدث عن مطلقها ألف، وذلك كالإشباع، وقيل: إنه من كان يكون، فوزنه استفعلوا، وقوله: "فما وهنوا" وما بعده تعريض بما صدر من بعض الناس يوم أحد. ﴿وَتَّبِيتْ أَقْدَامَنَا﴾ أي: في الحرب ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ النصر ﴿ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ الجنة.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرْذُوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا  
خَاسِرِينَ ﴿١٦١﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٦٢﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا  
الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ ۖ سُلْطَنَا ۖ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ وَبِئْسَ مَثْوَى  
الظَّالِمِينَ ﴿١٦٣﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ۚ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ  
وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّن بَعْدَ مَا أَرْسَلْنَا مَا تَحِبُّونَ ۗ مِّنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا  
وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ ثُمَّ صَرَّفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو  
فَضْلٍ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٤﴾ \* إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلُودُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ ۖ وَالرُّسُولُ  
يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ فَأَتَيْتُمُ غَمًّا بَعْثًا

﴿إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هم المنافقون الذين قالوا في قصة أحد ما قالوا، وقيل: مشركوا قريش، وقيل: اليهود. ﴿الرُّعْبَ﴾ قيل: ألقى الله الرعب في قلوب المشركين بأحد، فرجعوا إلى مكة من غير سبب، وقيل: لما كانوا ببعض الطريق هموا بالرجوع ليستأصلوا المسلمين، فألقى الله الرعب في قلوبهم فأمسكوا، والآية بعد تناول جميع الكفار لقوله ﷺ: «نصرت بالرعب» [البخاري: 335]. ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ كان رسول الله ﷺ قد وعد المسلمين عن الله بالنصر، فنصرهم الله أولا، وانهزم المشركون، وقتل منهم اثنان وعشرون رجلا، وكان رسول الله ﷺ قد أمر الرماة أن يشبوا في مكانهم ولا يبرحوا، فلما رأوا المشركين قد انهزموا طمعوها في الغنيمة، واتبعوهم، وخالفوا ما أمروا به من الثبات في مكانهم، فانقلبت الهزيمة على المسلمين. ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُمُ﴾ أي: تقتلونهم قتلا ذريعا، يعني في أول الأمر. ﴿وَتَنَزَعْتُمْ﴾ وقع التنازع بين الرماة، فثبت بعضهم كما أمروا ولم يثبت بعضهم. ﴿وَعَصَيْتُمْ﴾ أي: خالفتم ما أمرتم به من الثبات، وجاءت المخاطبة في هذا لجميع المؤمنين، وإن كان المخالف بعضهم، وعظا للجميع، وسترا على من فعل ذلك، وجواب "إذ" محذوف تقديره: انهزمتم. ﴿مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ الذين حرصوا على الغنيمة. ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ معناه ليُنزل بكم ما نزل من القتل والتحصيص. ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ إعلام بأن الذنب كان يستحق أكثر مما نزل بهم لولا عفو الله عنهم، فمعناه: لقد أبقى عليكم، وقيل: هو عفو عن الذنب. ﴿إِذْ تَصْعَدُونَ﴾ العامل في "إذ" "عفا"، فيوصل "إذ تصعدون" مع ما قبله، ويحتمل أن يكون العامل فيه مضمرا. ﴿وَلَا تَلُودُونَ﴾ مبالغة في صفة الانهزام. ﴿وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ كان رسول الله ﷺ يقول: «إلى عباد الله» وهم يفرّون. ﴿فِي أَخْرَابِكُمْ﴾ في ساقثكم، وفيه مدح للنبي ﷺ، فإن الآخر هو موقف الأبطال. ﴿فَأَتَيْتُمُ غَمًّا بَعْثًا﴾ أي: جازاكم ﴿غَمًّا بَعْثًا﴾ قيل: أتابكم غما بسبب الغم الذي أدخلتموه على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين إذ عصيتم وتنازعتم، وقيل: أتابكم غما متصلا بغم،



لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٠٣﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ  
عَلَيْكُمْ مِنَ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنْكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ  
بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ  
تُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا ۗ قُلْ لَوْ  
كُنْتُمْ فِي بَيُوتِكُمْ لَبُرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ  
وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٠٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى  
الْجَمْعَيْنِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۗ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ  
﴿١٠٥﴾ يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ

وأحد الغممين ما أصابهم من القتل والجراح، والآخر: ما أُرْجِفَ به من قتل رسول الله ﷺ. ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من النصر والغنيمة. ﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ من القتل والجراح والانهزام. ﴿أَمَنَةً نُعَاسًا﴾ قال ابن مسعود رضي الله عنه: نعسنا يوم أحد، والنعاس في الحرب أمن من الله. ﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً﴾ هم المؤمنون المخلصون، غشيهم النعاس تأمينا لهم. ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ هم المنافقون، كانوا خائفين من أن يرجع إليهم أبو سفيان والمشركون. ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ معناه: يظنون أن الإسلام ليس بحق وأن الله لا ينصره. و﴿ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ بدل، وهو على حذف موصوف، تقديره: ظن المدة الجاهلية أو الفرقة الجاهلية. ﴿هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ قالها عبد الله بن أبي ابن سلول، والمعنى: ليس لنا رأي ولا يسمع قولنا، أو لسنا على شيء من الأمر الحق، فيكون قولهم على هذا كفرا. ﴿تُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ يحتمل أن يريد الأقوال التي قالوها أو الكفر. ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ قاله معتب بن قشير، ويحتمل من المعنى ما احتل قول عبد الله بن أبي. ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بَيُوتِكُمْ﴾ الآية، رد عليهم وإعلام بأن أجل كل إنسان إنما هو واحد، وأن من لم يقتل يموت لأجله ولا يؤخر، وأن من كتب عليه القتل لا ينجيه منه شيء. ﴿وَلِيَبْتَلِيَ﴾ متعلق بفعل تقديره فعل بكم ذلك ليبتلي. ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا﴾ الآية، نزلت فيمن فر يوم أحد. ﴿اسْتَزَلَّهُمْ﴾ أي: طلب منهم أن يزلوا، ويحتمل أن يكون معناه أزلهم أي: أوقعهم في الزلل. ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ أي: كانت لهم ذنوب عاقبهم الله عليها بأن مكن الشيطان من استزلالهم. ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أي: غفر لهم ما وقعوا فيه من الفرار. ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هم المنافقون. ﴿لِإِخْوَانِهِمْ﴾ هي أخوة القرابة؛ لأن المنافقين كانوا من الأوس والخزرج، وكان أكثر المقتولين يوم أحد منهم، ولم يقتل من المهاجرين إلا أربعة. ﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: سافروا، وإنما قال "إذا" التي للاستقبال مع "قالوا" لأنه على حكاية الحال الماضية.

أَوْ كَانُوا غُرَىٰ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ  
 يُحْيِي ۖ وَيُمِيتُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥١﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمُ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ  
 وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٢﴾ وَلَئِن مِّتُّمُ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٣﴾ فِيمَا رَحْمَةٍ  
 مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّيَسَّرَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۗ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ  
 لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۗ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٤﴾

﴿أَوْ كَانُوا غُرَىٰ﴾ جمع غاز، وزنه فعل بضم الفاء وتشديد العين. ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا﴾ اعتقاد منهم فاسد؛ لأنهم ظنوا أن إخوانهم لو كانوا عندهم لم يموتوا ولم يقتلوا، وهذا قول من لا يؤمن بالقدر والأجل المحتوم، ويقرب منه مذهب المعتزلة في القول بالأجلين. ﴿لِيَجْعَلَ﴾ متعلق بـ"قالوا" أي: قالوا ذلك فكان ﴿حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فاللام لام الصيرورة لبيان العاقبة. ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى قولهم واعتقادهم الفاسد الذي أوجب لهم الحسرة؛ لأن الذي يتيقن بالقدر والأجل تذهب عنه الحسرة. ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ رد على قولهم واعتقادهم. ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية، إخبار أن مغفرة الله ورحمته لهم إذا قتلوا وماتوا في سبيل الله. ﴿خَيْرٌ﴾ لهم ﴿مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من الدنيا. ﴿وَلَئِن مِّتُّمُ﴾ الآية، إعلام أن من مات أو قتل فإنه يحشر إلى الله. ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ﴾ "ما" زائدة للتأكيد. ﴿لَانْفَضُّوا﴾ أي: تفرقوا. ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ فيما يختص بك. ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فيما يختص بحق الله. ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾ المشاورة مأمور بها شرعا، وإنما يشاور النبي ﷺ في الرأي والحروب وغيرها، لا في أحكام الشريعة، وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما: "وشاورهم في بعض الأمر". ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ التوكل: هو الاعتماد على الله في تحصيل المنافع أو حفظها بعد حصولها، وفي دفع المضرات أو رفعها بعد وقوعها، وهو من أعلى المقامات لوجهين؛ أحدهما: قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾، والآخر: الضمان الذي في قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، وقد يكون واجبا لقوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فجعله شرطا في الإيمان، ولظاهر قوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فإن الأمر محمول على الوجوب. واعلم أن الناس في التوكل على ثلاثة مراتب؛ الأولى: أن يعتمد العبد على ربه، كاعتماد الإنسان على وكيله المأمون عنده الذي لا يشك في نصيحته له وقيامه بمصالحه، والثانية: أن يكون العبد مع ربه، كالطفل مع أمه فإنه لا يعرف سواها ولا يلجأ إلا إليها، والثالثة: أن يكون العبد مع ربه، كالميت بين يدي الغاسل قد أسلم إليه نفسه بالكلية؛ فصاحب الدرجة الأولى عنده حظ من النظر لنفسه، بخلاف صاحب الدرجة الثانية، وصاحب الثانية له حظ من الاختيار، بخلاف صاحب الثالثة، وهذه الدرجات مبنية على التوحيد الخاص الذي تكلمنا عليه في قوله: ﴿وَالْهَكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ فهي تقوى بقوته وتضعف بضعفه. فإن قيل: هل يشترط في التوكل ترك الأسباب أم لا؟ فالجواب: أن الأسباب

إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ  
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ ثُمَّ  
تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ  
مِّنَ اللَّهِ وَمَا أُوْبَهُ جَهَنَّمَ ۚ وَيَسَّ الْأَصِيرُ ﴿١٨﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بِصِيرِهِمْ يَعْمَلُونَ  
﴿١٩﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ وَأَيَّتَهُ  
وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٠﴾

على ثلاثة أقسام؛ أحدها: سبب معلوم قطعاً قد أجراه الله تعالى، فهذا لا يجوز تركه كالأكل لدفع الجوع  
واللباس لدفع البرد. والثاني: سبب مظنون كالتجارة وطلب المعاش وشبه ذلك، فهذا لا يقدر فعله في  
التوكل، فإن التوكل من أعمال القلب لا من أعمال البدن، ويجوز تركه لمن قوي على ذلك. والثالث: سبب  
موهوم بعيد، فهذا يقدر فعله في التوكل، ثم إن فوق التوكل التفويض وهو الاستسلام لأمر الله تعالى بالكلية،  
فإن المتوكل له مراد واختيار وهو يطلب مراده باعتياده على ربه، وأما المفوض فليس له مراد ولا اختيار، بل  
أسند الاختيار إلى الله تعالى فهو أكمل أدبا مع الله تعالى. ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ هو من الغلول؛ وهو أخذ  
الشيء في خفية من الغنائم وغيرها، وقرئ بفتح الياء وضم الغين، ومعناه تبرئة النبي ﷺ من الغلول؛ وسببها:  
أنه فقدت من المغنم قطيفة حمراء، فقال بعض المنافقين: لعل رسول الله ﷺ أخذها، وقرئ بضم الياء وفتح  
الغين، أي: ليس لأحد أن يغل نبياً، أي: يخونه في المغنم، وخص النبي ﷺ بالذكر، وإن كان ذلك محظوراً مع  
الأمر؛ لشنعة الحال مع النبي ﷺ، فإن المعاصي تعظم بحضرتة، وقيل: معنى هذه القراءة أن يوجد غالا، كما  
تقول أمحدت الرجل إذا أصبته محمودا، فعلى هذا القول يرجع معنى هذه القراءة إلى معنى فتح الياء. ﴿وَمَنْ  
يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ﴾ وعيد لمن غل بأن يسوق يوم القيامة على رقبته الشيء الذي غل، وقد جاء ذلك مفسراً في  
الحديث، قال رسول الله ﷺ: «لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير، لا ألفين أحدكم على رقبته فرس، لا  
ألفين أحدكم على رقبته رفاع، لا ألفين أحدكم على رقبته صامت، لا ألفين أحدكم على رقبته إنسان؛ فيقول: يا رسول  
الله! أغثنسي، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً، قد بلغتك» [البخاري: 3073]. ﴿أَفَمَنْ أَتَّبَعَ﴾ الآية، قيل: إن الذي اتبع  
رضوان الله من لم يغل، والذي باء بالسخط من غل، وقيل: الذي اتبع الرضوان من استشهد بأحد، والذي باء  
بالسخط المنافقون الذين رجعوا عن الغزو، و﴿هُمْ دَرَجَاتٌ﴾ أي ذوا درجات، والمعنى تفاوت ما بين منازل  
أهل الرضوان وأهل السخط، أو التفاوت بين درجات أهل الرضوان، فإن بعضهم فوق بعض وكذلك درجات  
أهل السخط. ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ﴾ الآية، إخبار بفضل الله على المؤمنين ببعث رسول الله ﷺ. ﴿مَنْ أَنفُسِهِمْ﴾ معناه  
في الجنس واللسان، فكونه من جنسهم يوجب الأنس به وقلة الاستيحاش منه، وكونه بلسانهم يوجب حسن

أَوْلَمَّا أَصَبْتُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ رَبِّ إِنِّي هَذَا قُلٌّ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ رَبِّ إِنَّ اللَّهَ  
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَيْنِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾  
 وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا  
 لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَافِرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ  
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ  
 أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ  
 أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَاسْتَبَشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ  
 يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ رَبِّ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ \* يَسْتَبَشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ

الفهم منه، ولكونه منهم يعرفون حسبه وصدقه وأمانته ﷺ ويكون هو ﷺ أشفق عليهم وأرحم بهم من  
 الأجنيبين. ﴿أَوْلَمَّا أَصَابْتُمْ مُصِيبَةً﴾ الآية، عتاب للمسلمين على كلامهم فيمن أصيب منهم يوم أحد،  
 ودخلت ألف التوبيخ على واو العطف، والجملة معطوفة على ما تقدم من قصة أحد أو على محذوف. ﴿قَدْ أَصَبْتُمْ  
 مِثْلَهَا﴾ قتل من المسلمين يوم أحد سبعون، وكان قد قتل من المشركين يوم بدر سبعون وأسر سبعون. ﴿قُلْ هُوَ  
 مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ قيل: معناه أنهم عوقبوا بالهزيمة لمخالفتهم رسول الله ﷺ حين أراد أن يقيم بالمدينة ولا يخرج  
 إلى المشركين، فأبوا إلا الخروج، وقيل: بل ذلك إشارة إلى عصيان الرماة حسبا تقدم. ﴿يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ﴾ أي:  
 جمع المسلمين والمشركين يوم أحد. ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾ الآية، كان رأي عبد الله بن أبي بن سلول ألا يخرج  
 المسلمون إلى المشركين، فلما طلب الخروج قوم من المسلمين، فخرج رسول الله ﷺ، غضب عبد الله وقال:  
 أطاعهم وعصاني، فرجع ورجع معه نحو ثلاثمائة رجل، فمشى في أثرهم عبد الله بن عمر بن حزام الأنصاري  
 فقال: لهم ارجعوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا، فقال له عبد الله بن أبي: ما أرى أن يكون قتال، ولو علمنا أنه يكون  
 قتال لكننا معكم. ﴿أَوْ ادْفَعُوا﴾ أي: كثروا السواد وإن لم تقاتلوا. ﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾ بدل من "الذين نافقوا"،  
 و﴿لِإِخْوَانِهِمْ﴾ في النسب؛ لأنهم كانوا من الأوس والخزرج. ﴿قُلْ فَادْرَءُوا﴾ أي: ادفعوا، والمعنى رد عليهم.  
 ﴿بَلْ أَحْيَاءُ﴾ إعلام بأن حال الشهداء حال الأحياء من التمتع بأرزاق الجنة، بخلاف سائر الأموات من المؤمنين،  
 فإنهم لا يتمتعون بالأرزاق حتى يدخلوا الجنة يوم القيامة. ﴿وَيَسْتَبَشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ المعنى: أنهم  
 يفرحون بإخوانهم الذين بقوا في الدنيا من بعدهم؛ لأنهم يرجون أن يستشهدوا مثلهم، فينالوا مثل ما نالوا من  
 السعادة. ﴿أَلَّا خَوْفٌ﴾ في موضع المفعول من أجله، أو بدل من "الذين". ﴿يَسْتَبَشِرُونَ﴾ كرر ليذكر ما تعلق به

وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا  
 أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ  
 النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾  
 فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ  
 ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا دَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾

من النعمة والفضل. ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾ صفة للمؤمنين، أو مبتدأ، وخبره ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ الآية، ونزلت في الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ في اتباع المشركين بعد غزوة أحد، فبلغ بهم إلى حمراء الأسد، وهي على ثمانية أميال من المدينة، وأقام بها ثلاثة أيام، وكانوا قد أصابتهم جراحات وشدائد، فتجلدوا وخرجوا، فمدحهم الله بذلك. ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ الآية، لما خرج رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد بعد أحد بلغ ذلك أبا سفيان، فمر عليه ركب من عبد القيس يريدون المدينة بالميرة، فجعل لهم حمل بعير من زبيب على أن يثبتوا المسلمين عن اتباع المشركين، فخوفوهم بهم، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، وخرجوا، ف"الناس" الأول ركب عبد القيس، و﴿النَّاسُ﴾ الثاني مشركوا قريش، وقيل: نادى أبو سفيان يوم أحد: موعدا بدر في العام القابل فقال رسول الله ﷺ: «إن شاء الله»، فلما كان العام القابل خرج رسول الله ﷺ إلى بدر للميعاد، فأرسل أبو سفيان نعيم بن مسعود الأشجعي يثبت المسلمين، فعلى هذا "الناس" الأول نعيم، وإنما قيل له "الناس" وهو واحد؛ لأنه من جنس الناس؛ كقولك: ركبت الخيل، إذا ركبت فرسا. ﴿فَزَادَهُمْ﴾ الفاعل ضمير المفعول، وهو "إن الناس قد جمعوا لكم"، والصحيح أن الإيمان يزيد وينقص؛ فمعناه هنا: قوَى يقينهم وثقتهم بالله. ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ كلمة يدفع بها ما يخاف ويكره، وهي التي قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار، ومعنى "حسبنا الله": كافينا الله وحده فلا نخاف غيره، ومعنى "ونعم الوكيل" ثناء على الله، وأنه خير من يتوكل العبد عليه ويلجأ إليه. ﴿فَانْقَلَبُوا﴾ أي: رجعوا. ﴿بِنِعْمَةٍ﴾ السلامة وفضل الأجر. ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ بخروجهم مع رسول الله ﷺ ﴿ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ المراد به هنا أبو سفيان، أو نعيم الذي أرسله أبو سفيان، أو إبليس، و"ذلكم" مبتدأ، و"الشيطان" خبره، وما بعده استئناف، أو "الشيطان" نعت وما بعده خبر. ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ أي: يخوفكم أيها المؤمنون "أولياءه" وهم الكفار، فالمفعول الأول محذوف، ويدل عليه قوله ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ وقراءة ابن مسعود وابن عباس ؓ: "يخوفكم أولياءه"، وقيل: المعنى يخوف المنافقين،

وَلَا تُحْزِنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ ۗ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٢﴾ وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُكَلِّمُهُمْ بِأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُكَلِّمُهُمْ لِيُزَادُوا إِثْمًا ۗ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٧٣﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۗ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۗ وَإِن تَوَمَّنُوا ۖ وَتَتَّقُوا ۖ فَلكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٤﴾ وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۖ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ ۗ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۗ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ ۖ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٧٥﴾ ۖ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ۗ

وهم أولياؤه من كفار قريش، فالمفعول الثاني على هذا محذوف. ﴿وَلَا تُحْزِنُكَ﴾ تسليية للنبي ﷺ، وقرئ بفتح الياء وضم الزاي حيث وقع مضارعا، من حزن الثلاثي، وهو أشهر في اللغة من أحزن. ﴿الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ أي: يبادرون إلى أقواله وأفعاله؛ وهم المنافقون والكفار. ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا﴾ الآية، هم المذكورون قبل، أو على العموم في جميع الكفار. ﴿أَنَّمَا نُكَلِّمُهُمْ خَيْرٌ﴾ أي: نهملهم، و"أن" مفعول "يحسبن"، و"ما" اسم "أن"، فحقها أن تكتب منفصلة، و"خير" الخبر. ﴿إِنَّمَا نُكَلِّمُهُمْ﴾ "ما" هنا كافة، والمعنى: رد عليهم؛ أي: أن الإملاء لهم ليس خيرا لهم، إنها هو استدراج ليكتسبوا الإثم. ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية، خطاب للمؤمنين، والمعنى: ما كان الله ليدع المؤمنين مختلطين بالمنافقين، ولكنه ميز هؤلاء من هؤلاء بما ظهر في غزوة أحد من الأقوال والأفعال التي تدل على الإيثار أو النفاق. ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ أي: ما كان الله ليطلِعكم على ما في القلوب من الإيثار والنفاق، أو ما كان الله ليطلِعكم على أنكم تغلبون أو تغلبون. ﴿يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ﴾ أي: يختار من شاء من رسله فيطلعه على ما شاء من غيبه. ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ يمنعون الزكاة وغيرها. ﴿هُوَ خَيْرٌ﴾ هو "فصل، و"خيرا" مفعول ثان، والأول محذوف تقديره: لا يحسبن البخل خيرا لهم. ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾ أي: يلزمون إثم ﴿مَا بَخَلُوا بِهِ﴾، وقيل: يجعل "ما بخلوا به" حية يطوقها في عنقه ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾. ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ الآية، لما نزلت: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ قال بعض اليهود؛ وهو فنحاص أو حبي بن أخطب أو غيرهما: إنها يستقرض الفقير من الغني،

سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْآيَاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٤١﴾ ذَلِكَ بِمَا  
 قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٤٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا  
 نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ  
 وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ؟ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن  
 قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٤٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ  
 أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا  
 إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٤٥﴾ \* لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا  
 الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَىٰ كَثِيرًا وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ  
 مِّن عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٤٦﴾ وَإِذ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا  
 تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَتُوا بِهِ ثُمَّ قَلِيلًا فَيَسَّ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٤٧﴾

فالله فقير ونحن أغنياء؛ فنزلت هذه الآية، وكان ذلك القول منهم اعتراضاً على القرآن، أوجه قلة  
 فهمهم أو تحريفهم للمعاني، فإن كانوا قالوه باعتقاد فهو كفر، وإن قالوه بغير اعتقاد فهو استخفاف  
 وعناد. ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ أي: تكتبه الملائكة في الصحف. ﴿وَقَتْلَهُمُ الْآيَاتِ﴾ أي: قتل آياتهم  
 للأنبياء، وأسند إليهم؛ لأنهم راضون به ومتبعون لمن فعله من آياتهم. ﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾ صفة لـ "الذين"  
 وليس صفة لـ "العبيد". ﴿حَتَّىٰ يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ﴾ كانوا إذا أرادوا أن يعرفوا قبول الله لصدقة أو غيرها،  
 جعلوه في مكان فتتزل نار من السماء فتحرقه، وإن لم تنزل فليس بمقبول، فزعموا أن الله جعل لهم ذلك  
 علامة على صدق الرسل. ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ الآية، رد عليهم؛ لأن الرسل قد جاؤوهم بمعجزات  
 توجب الإيمان بهم، وجاؤوهم أيضاً بالقربان الذي تأكله النار، ومع ذلك كذبوهم وقتلوهم؛  
 فذلك يدل على أن كفرهم عناد، وأنهم كذبوا في قولهم "إن الله عهد إلينا". ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ﴾  
 الآية، تسلياً للنبي ﷺ بالتأسي بغيره. ﴿فَمَن زُحِرَ﴾ أي: نُحِيَ وأبعد. ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ الآية، خطاب  
 للمسلمين، والبلاء في الأنفس بالموت والأمراض، وفي الأموال بالمصائب والإنفاق. ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ﴾ الآية،  
 سببها قول اليهود: إن الله فقير، وسببهم للنبي ﷺ وللمسلمين. ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه:  
 هي في اليهود، أخذ عليهم العهد في أمر محمد ﷺ فكتموه. وقيل: هي عامة في كل من علمه الله علماً.

لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبَنَّهُمْ  
بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ۗ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٢٦﴾ ۗ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَى  
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٧﴾ ۗ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ  
لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٢٨﴾ ۗ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي  
خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٢٩﴾ ۗ  
رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٣٠﴾ ۗ رَبَّنَا إِنَّا  
سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۗ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا  
وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٣١﴾ ۗ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ  
وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿١٣٢﴾ ۗ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا  
أَضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۗ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ

﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا﴾ الآية، قال ابن عباس ؓ: نزلت في أهل الكتاب، سألم النبي ﷺ عن شيء فكتموه  
إياه وأخبروه بغيره، فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألم عنه، واستحمدوا إليه بذلك، وفرحوا بما أتوا  
من كتابهم إياه ما سألم عنه، وقال أبو سعيد الخدري ؓ: نزلت في المنافقين، كانوا إذا خرج النبي ﷺ إلى  
الغزو تخلفوا وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ، وإذا قدم النبي ﷺ اعتذروا إليه وأحبوا أن يحمدا بما  
لم يفعلوا. ﴿فَلَا تَحْسِبَنَّهُمْ﴾ بالتاء وفتح الباء خطاب للنبي ﷺ، وبالياء وضم الباء: أسند الفعل لـ"الذين  
يفرحون"؛ أي: لا يحسبن أنهم ﴿بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾، ومن قرأ "تحسبن" بالتاء فهو أيضا خطاب للنبي ﷺ،  
و"الذين يفرحون" مفعول به، و"بمفازة" المفعول الثاني، وكرر "فلا تحسبنهم" للتأكيد، ومن قرأ "لا يحسبن"  
بالياء من أسفل، فإنه حذف المفعولين؛ لدلالة مفعولي "لا تحسبنهم" عليهما. ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ذكر في  
البقرة. ﴿قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ أي: يذكرون الله على كل حال، فكأن هذه الهيآت حصر لحال بني آدم،  
وقيل: إن ذلك في الصلاة يصلون قياما، فإن لم يستطيعوا صلوا قعودا، فإن لم يستطيعوا صلوا على جنوبهم.  
﴿رَبَّنَا﴾ أي: يقولون ربنا ما خلقت هذا غير فائدة، بل خلقت البشر لينظروا فيه فيعرفوك فيعبدوك.  
﴿سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ هو النبي ﷺ. ﴿مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ أي: على السنة رسلك. ﴿مَنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ﴾ "من"  
ليبان الجنس، وقيل: زائدة لتقدم النفي. ﴿بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ أي: الرجال والنساء سواء في الأجور



فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِمَّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٠٥﴾ \* لَا يَغْرَنَّاكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٠٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاؤُنْهَمُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمِهَادُ ﴿١٠٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِمَّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلَّابِرَارِ ﴿١٠٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِبَايَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ؕ أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ؕ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٠٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصَابِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١١٠﴾

والخيرات. ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ هم المهاجرون آذاهم المشركون بمكة حتى خرجوا منها. ﴿ثَوَابًا﴾ منصوب على المصدرية. ﴿لَا يَغْرَنَّاكَ﴾ الآية، تسلية للنبي ﷺ؛ أي: لا تظنوا أن حال الكفار في الدنيا دائمة، فتهتموا لذلك وأنزل "لا يغرنك" منزلة "لا يحزنك". ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ أي: تقلبهم في الدنيا قليل بالنظر إلى ما فاتهم في الآخرة. ﴿نُزُلًا﴾ منصوب على الحال من "جنات" أو على المصدرية. ﴿لِلَّابِرَارِ﴾ جمع بار أو بر؛ ومعناه العاملون بالبر، وهي غاية التقوى والعمل الصالح. قال بعضهم: الأبرار هم الذين لا يؤذون أحدا. ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الآية، قيل: نزلت في النجاشي ﷺ، ملك الحبشة، فإنه كان نصرانيا فأسلم. وقيل: في عبد الله بن سلام ﷺ وغيره ممن أسلم من اليهود. ﴿لَا يَشْتُرُونَ﴾ مدح لهم، وفيه تعريض بدم غيرهم ممن اشترى بآيات الله ثمنا قليلا. ﴿وَصَابِرُوا﴾ أي: صابروا أعداءكم في القتال. ﴿وَرَابِطُوا﴾ أي: أقيموا في الثغور مرابطين خيلكم مستعدين للجهاد، وقيل: هو مرابطة العبد فيما بينه وبين الله، أي: معاهدته على فعل الطاعة وترك المعصية؛ والأول أظهر وأشهر. قال ﷺ: «رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه» [مسلم: 5047]، وأما قوله في انتظار الصلاة: «فذلكم الرباط» [مسلم: 610] فهو تشبيه بالرباط في سبيل الله لعظمة أجره، والرباط عند الفقهاء: هو الذي يسكن الثغور ليرابط فيها وهي غير موطنه، فأما سكانها دائما بأهلهم لمعايشهم فليسوا بمرابطين ولكنهم حماة. حكاه ابن عطية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۚ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَءَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ

سورة النساء

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ خطاب على العموم، وقد تكلمنا على التقوى في أول البقرة. ﴿مَنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ هو آدم عليه السلام. ﴿زَوْجَهَا﴾ هي حواء، خلقت من ضلع آدم. ﴿وَبَثَّ﴾ نشر ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ أي يقول بعضكم لبعض: أسألك بالله أن تفعل كذا. ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ بالنصب عطفًا على اسم "الله"؛ أي: اتقوا الأرحام فلا تقطعوها، أو على موضع الجار والمجرور وهو "به"؛ لأن موضعه نصب، وقرئ بالخفض عطف على الضمير في "به"، وهو ضعيف عند البصريين؛ لأن الضمير المخفوض لا يعطف عليه إلا بإعادة الخافض. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ إذا تحقق العبد بهذه الآية وأمثالها استفاد مقام المراقبة، وهو مقام شريف، أصله علم وحال، ثم يثمر حالين، أما العلم؛ فهو معرفة العبد بأن الله مطلع عليه، ناظر إليه، يرى جميع أعماله، ويسمع جميع أقواله، ويعلم كل ما يخطر على باله، وأما الحال؛ فهي ملازمة هذا العلم للقلب بحيث يغلب عليه ولا يغفل عنه، ولا يكفي العلم دون هذه الحال، فإذا حصل العلم والحال كانت ثمرتها عند أصحاب اليمين الحياء من الله؛ وهو يوجب بالضرورة ترك المعاصي والجد في الطاعات، وكانت ثمرتها عند المقربين المشاهدة؛ التي توجب التعظيم والإجلال لذي الجلال، وإلى هاتين الثمرتين أشار رسول الله ﷺ بقوله: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» [البخاري: 48]. فقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه» إشارة إلى الثمرة الثانية؛ وهي المشاهدة الموجبة للتعظيم، كمن يشاهد ملكًا عظيمًا، فإنه يعظمه إذ ذاك بالضرورة، وقوله: «فإن لم تكن تراه فإنه يراك» إشارة إلى الثمرة الأولى، ومعناه: إن لم تكن من أهل المشاهدة التي هي مقام المقربين، فاعلم أنه يراك، فكن من أهل الحياء الذي هو مقام أصحاب اليمين، فلما فسر الإحسان أول مرة بالمقام الأعلى، رأى أن كثيرًا من الناس قد يعجزون عنه، فنزل عنه إلى المقام الآخر. واعلم أن المراقبة لا تستقيم حتى تقدم قبلها المشاركة والمرابطة، ويتأخر عنها المحاسبة والمعاقبة؛ فأما المشاركة: فهي اشتراط العبد على نفسه التزام الطاعة وترك المعاصي. وأما المرابطة: فهي معاهدة العبد لربه على ذلك، ثم بعد المشاركة والمرابطة في أول الأمر تكون المراقبة إلى آخره، وبعد ذلك يحاسب العبد نفسه على ما اشترطه وعاهد عليه، فإن وجد نفسه قد أوفى بما عهد عليه الله حمد الله، وإن وجد نفسه قد حل عقد المشاركة ونقض عهد المرابطة عاقب النفس عقابًا بزجرها على العودة إلى مثل ذلك، ثم عاد إلى المشاركة والمرابطة وحافظ على المراقبة، ثم اختبر بالمحاسبة، فهكذا يكون إلى أن يلقي الله تعالى. ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ خطاب للأوصياء، وقيل: للعرب الذين لا يورثون الصغير مع الكبير، فأمرُوا أن يورثوهم، وعلى القول بأن الخطاب للأوصياء،

وَلَا تَتَّبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٦٦﴾  
 وَإِنْ خِفْتُمْ وَلَا تَقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثًى وَتِلْكَ وَرُبَعٌ  
 فَإِنْ خِفْتُمْ وَلَا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَلِكَ أُذُنِي ۚ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٦٧﴾

فالمراد أن يعطوا اليتامى من أموالهم ما يأكلون ويلبسون في حال صغرهم، فيكون اليتيم على هذا حقيقة. وقيل: المراد دفع أموالهم إذا بلغوا، ويكون اليتيم على هذا مجازاً؛ لأن اليتيم قد كبر. ﴿وَلَا تَتَّبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ كان بعضهم يبدل الشاة السمينة من مال اليتيم بالمهزولة من ماله، والدرهم الطيب بالزائف فنهوا عن ذلك. وقيل: المعنى لا تأكلوا أموالهم وهو الخبيث، وتدعوا أموالكم وهو الطيب. ﴿إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ المعنى نهى أن يأكلوا أموال اليتامى مجموعة إلى أموالهم، وقيل: نهى عن خلط أموالهم بأموال اليتامى، ثم أبيح ذلك بقوله: ﴿وَإِنْ تُحَالِطُوهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ﴾، وإنما تعدى الفعل بـ"إلى" لأنه تضمن معنى الجمع والضم، وقيل: "إلى" بمعنى مع. ﴿حُوبًا﴾ أي: ذنباً ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ الآية، قالت عائشة رضي الله عنها: نزلت في أولياء اليتامى الذين يعجبهم جمال ولياتهم، فيريدون أن يتزوجوهن ويبخسوهن في الصداق، لمكان ولايتهم عليهن، فقيل لهم: أقسطوا في مهورهن، فمن خاف أن لا يقسط فليتزوج ما طاب له من الأجنبية اللاتي يوفيهن حقوقهن. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن العرب كانت تتحرج في أموال اليتامى، ولا تتحرج في العدل بين النساء فنزلت الآية في ذلك؛ أي: كما تخافون أن لا تقسطوا في اليتامى فكذلك خافوا في النساء. وقيل: إن الرجل منهم كان يتزوج العشر وأكثر، فإذا ضاق ماله أخذ من مال يتيمة، فقيل لهم: إن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فاقصروا في النساء. ﴿مَا طَابَ﴾ أي: ما حل، وإنما قال "ما" ولم يقل: من؛ لأنه أراد الجنس، وقال الزمخشري: لأن الإناث من العقلاء يجري مجرى غير العقلاء، ومنه قوله ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾. ﴿مَثًى وَتِلْكَ وَرُبَاعٌ﴾ لا تنصرف للعدل والوصف، وهي حال من "ما طاب"، وقال ابن عطية: بدل، وهي معدولة عن أعداد مكررة، ومعنى التكرار فيها، أن الخطاب لجماعة فيجوز لكل واحد منهم أن ينكح ما أراد من تلك الأعداد فتكررت الأعداد بتكرار الناس، والمعنى انكحوا اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً، وفي ذلك منع لما كان في الجاهلية من تزوج ما زاد على الأربع. وقال قوم لا يعبا بقولهم: إنه يجوز الجمع بين تسع؛ لأن مثنى وثلاث ورباع يجتمع منه تسعة، وهذا خطأ؛ لأن المراد التخير بين تلك الأعداد لا الجمع، ولو أراد الجمع لقال تسع ولم يعدل عن ذلك إلى ما هو أطول منه وأقل بيانا، وأيضا قد انعقد الإجماع على تحريم ما زاد على الرابعة. ﴿فَوَاحِدَةً﴾ أي: إن خفتم أن لا تعدلوا بين الاثنين أو الثلاث أو الأربع، فاقصروا على واحدة، أو على ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من قليل أو كثير، رغبة في العدل، وانتصاب "واحدة" بفعل مضمّر تقديره: فانكحوا واحدة. ﴿ذَلِكَ أُذُنِي ۚ أَلَّا تَعُولُوا﴾ الإشارة إلى الاقتصار على الواحدة، والمعنى: أن ذلك أقرب إلى أن

وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٤١﴾ وَلَا تُوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّرْغُوفًا ﴿٤٢﴾ وَابْتَلُوا الَّتِي تَحِبُّ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٤٣﴾

لا تعولوا، ومعنى "تعولوا" تملوا، وقيل: يكثر عيالكم. ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ﴾ خطاب للأزواج، وقيل: للأولياء؛ لأن بعضهم كان يأكل صداق وليته، وقيل: هو نهي عن الشغار. ﴿نِحْلَةً﴾ أي: عطية منكم لمن، أو عطية من الله، وقيل: معنى "نحلة" أي: شرعة وديانة، وانتصابه على المصدر من معنى آتوهن، أو على الحال من ضمير المخاطبين. ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ﴾ الآية، إباحة للأزواج أو الأولياء على ما تقدم من الخلاف أن يأخذوا ما دفعه النساء من صدقاتهن عن طيب أنفسهن، والضمير في ﴿مِّنْهُ﴾ يعود على الصداق أو على الإيتاء. ﴿هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ عبارة عن التحليل ومبالغة في الإباحة، وهما صفتان من قولك: هنؤ الطعام ومرؤ؛ إذا كان سائغا لا تنغص فيه، وهما وصف للمصدر؛ أي: أكلا هنيئا، أو حال من ضمير الفاعل، وقيل: يوقف على "فكلوه" ويبتدأ "هنيئا مريئا" على الدعاء. ﴿وَلَا تُوتُوا السُّفَهَاءَ﴾ قيل: هم أولاد الرجل وامراته، أي: لا تؤتوهم أموالكم للتبذير، وقيل: السفهاء المحجورون، و﴿أَمْوَالِكُمْ﴾ أي: أموال المحجورين، وأضافها إلى المخاطبين لأنهم ناظرون عليها وهي تحت ولايتهم. ﴿قِيَمًا﴾ جمع قيمة، وقيل: بمعنى قياما بالألف أي تقوم بها معاشكم. ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ قيل: إنها فيمن تلزم الرجل نفقته من زوجته وأولاده، وقيل: في المحجورين يرزقون ويكسون من أموالهم. ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّرْغُوفًا﴾ أي: ادعوا لهم بخير، أو عدوهم وعدا جميلا؛ أي: إن رشدتم دفعنا لكم أموالكم. ﴿وَابْتَلُوا الَّتِي تَحِبُّ﴾ أي: اختبروا ارشدهم. ﴿بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ بلغوا مبلغ الرجال. ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ الرشد: هو المعرفة بمصالحه وتدبير ماله، وإن لم يكن من أهل الدين، واشترط قوم الدين، واعتبر مالك البلوغ والرشد، وحينئذ يدفع المال، واعتبر أبو حنيفة البلوغ وحده ما لم يظهر سفهه، وقوله مخالف للقرآن. ﴿وَبِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا﴾ معناه: مبادرة لكبرهم، أي: أن الوصي يستغنى عن مال اليتيم قبل أن يكبر، وموضع "أن يكبروا" نصب على المفعولية بـ"بدارا"، أو على المفعول من أجله، تقديره: مخافة أن يكبروا. ﴿فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ أمر الوصي الغني أن يستعفف عن مال المحجور ولا يأكل منه شيئا. ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ قال عمر بن الخطاب ؓ: المعنى أن يستسلف الوصي الفقير من مال اليتيم فإذا أيسر رده، وقيل: المراد أن يكون له أجره بقدر عمله وخدمته، ومعنى "بالمعروف" من غير إسراف، وقيل: نسخها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى﴾. ﴿فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ﴾ أمر بالتحرز والحزم فهو

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ  
وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ  
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ  
تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ضَعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ  
الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا  
﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ۗ

ندب، وقيل: فرض. ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ الآية، سببها: أن بعض العرب كانوا لا يورثون النساء، فنزلت الآية  
ليرث الرجال والنساء. ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ منصوب انتصاب المصدر المؤكد لقوله: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾،  
وقال الزمخشري: منصوب على التخصيص بمعنى نصيبا. ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ الآية، خطاب للوارثين،  
أمروا أن يتصدقوا من الميراث على قرابتهم وعلى اليتامى وعلى المساكين، فقيل: إن ذلك على الوجوب،  
وقيل: على الندب، وهو الصحيح، وقيل: نسخ بآية الموارث. ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ﴾ الآية، معناها الأمر لأولياء  
اليتامى أن يحسنوا إليهم في نظر أموالهم، فيخافوا الله على أيتامهم كخوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا،  
ويقدروا ذلك في أنفسهم حتى لا يفعلوا خلاف الشفقة والرحمة، وقيل: هم الذين يجلسون إلى المريض  
فيأمره أن يتصدق بهاله حتى يحفف بورثته، فأمروا أن يخشوا على الورثة كما يخشوا على أولادهم، وحذف  
مفعول "وليخش" و﴿خَافُوا﴾ جواب "لو". ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ على القول الأول: ملاطفة الوصي لليتيم  
بالكلام الحسن، وعلى القول الثاني: أن يقول للموروث لا تسرف في وصيتك وأرفق بورثتك. ﴿إِنَّ الَّذِينَ  
يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى﴾ الآية، قيل: نزلت في الذين لا يورثون الإناث، وقيل: في الأوصياء؛ ولفظها عام في كل  
من أكل مال يتيم بغير حق. ﴿يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ أي: إن أكلهم لمال اليتامى يؤول إلى دخولهم النار،  
وقيل: يأكلون النار في جهنم. ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ هذه الآية نزلت بسبب بنات سعد بن الربيع رضي الله عنه،  
وقيل: بسبب جابر بن عبد الله رضي الله عنه إذ عاده رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه. ورفعت ما كان في الجاهلية من ترك  
توريث النساء والأطفال، وقيل: نسخت: ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْأَقْرَبِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾. وإنما قال "يوصيكم" بلفظ الفعل  
الدائم، ولم يقل أوصاكم، تنبيها على نسخ ما مضى والشروع في حكم آخر، وإنما قال "يوصيكم الله" بالاسم  
الظاهر ولم يقل يوصيكم؛ لأنه أراد تعظيم الوصية، فجاء بالاسم الذي هو أعظم الأسماء، وإنما قال: "في  
أولادكم" ولم يقل في أبنائكم؛ لأن الابن يقع على الابن من الرضاعة وعلى ابن البنت وعلى ابن المتبنى  
وليسوا من الورثة. ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ هذا بيان للوصية المذكورة، فإن قيل: هلا قال للأنثيين مثل  
حظ الذكر، أو للأنثى نصف حظ الذكر؟ فالجواب: أنه بدأ بالذكر لفضله، ولأن القصد ذكر حظه،

فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلَا بَوَيْهَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ - أَبَاؤُكُمْ

ولو قال للثنتين مثل حظ الذكر لكان فيه تفضيل للإناث. ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً﴾ إنما أنت ضمير الجماعة في "كن"؛ لأنه قصد الإناث، وأصله أن يعود على الأولاد؛ لأنه يشمل الذكور والإناث، وقيل: يعود على المتروكات، وأجاز الزمخشري أن تكون كان تامة، والضمير مبهم، و"نساء" تفسير. ﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ ظاهره أكثر من اثنتين، ولذلك أجمع على أن للثلاث فما فوقهن الثلثين، وأما البنتان فاختلف فيهما، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: لهما النصف كالبنت الواحدة، وقال الجمهور: لهما الثلثان، وتأولوا "فوق اثنتين" أن المراد اثنتان فما فوقهما، وقال قوم: إن "فوق" زائدة؛ كقوله ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾، وهذا ضعيف، وقال قوم: إنما وجب لهما الثلثان بالسنة لا بالقرآن، وقيل: بالقياس على الأختين. ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً﴾ بالرفع فاعل، و"كان" تامة، وبالنصب خبر "كان". وقوله: ﴿فَلَهَا النِّصْفُ﴾ نص على أن للبنت النصف إذا انفردت، ودليل على أن للابن جميع المال إذا انفرد؛ لأن للذكر مثل حظ الأنثيين. ﴿إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ الولد يقع على الذكر والأنثى، والواحد والاثنتين والجماعة، سواء كان للصلب أو ولد ابن، وكلهم يرد الأبوين إلى السدس. ﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ لم يجعل الله للأم الثلث إلا بشرطين؛ أحدهما: عدم الولد، والآخر: إحاطة الأبوين بالميراث؛ ولذلك دخلت الواو لعطف أحد الشرطين على الآخر، وسكت عن حظ الأب استغناء بمفهومه؛ لأنه لا يبقى بعد "الثلث" إلا الثلثان، ولا وارث إلا الأبوان، فاقتضى ذلك أن الأب يأخذ بقية المال؛ وهو الثلثان. ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ أجمع العلماء رضي الله عنهم على أن ثلاثة من الإخوة يردون الأم إلى السدس، واختلفوا في الاثنين، فذهب الجمهور: أنها يردانها إلى السدس، ومذهب ابن عباس رضي الله عنهما: أنها لا يردانها إليه، بل هما كالأخ الواحد، وحجته أن لفظ "الإخوة" لا يقع على الاثنين؛ لأنه جمع لاثنية، وأقل الجمع ثلاثة، وقال غيره: إن لفظ الجمع قد يقع على الاثنين، كقوله ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾، و﴿تَسْوَرُوا الْمِحْرَابَ﴾، و﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾، واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم: «الانثان فما فوقهما جماعة» [ابن ماجه: 1025]، وقال مالك: مضت السنة أن الإخوة اثنان فصاعداً، ومذهبه أن أقل الجمع اثنان، فعلى هذا يجب الأخوان فصاعداً الأم عن الثلث إلى السدس، سواء كانا شقيقين، أو لأب، أو لأم، أو مختلفين، وسواء كانا ذكراً، أو أنثيين، أو ذكراً وأنثى، فإن كان معهما أب ورث بقية المال، ولم يكن للإخوة شيء عند الجمهور، فهم يحبون الأم ولا يرثون. وقال قوم: يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الأم، وإن لم يكن أب ورثوا. ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ قوله "من بعد" يتعلق بالاستقرار المضمرة في قوله "فلهن ثلثا ما ترك" أي: استقر لهن الثلثان من بعد وصية، ويمتنع أن يتعلق بـ"ترك"، وفاعل "يوصي" الميت، وإنما قدمت الوصية على الدين، والدين مقدم

وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ وَلَكُمْ بِصَفِّ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرَّبُوعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دِينَ وَلَهُنَّ الرَّبُوعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دِينَ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَهِيَ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ

عليها في الشريعة، اهتماما بها وتأكيذا للأمر بها ولثلا يتهاون بها، وأخر الدين لأن صاحبه يتقاضاه فلا يحتاج إلى تأكيد في الأمر بإخراجه، وتخرج الوصية من الثلث، والدين من رأس المال بعد الكفن، وإنما ذكر الوصية والدين نكرتين؛ ليدل على أنها قد يكونان، وقد لا يكونان، فدل ذلك على سقوط وجوب الوصية. ﴿أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ قيل: بالإنفاق إذا احتيج إليه، وقيل: بالشفاعة في الآخرة، ويحتمل أن يريد نفعاً بالميراث من ماله، وهو أليق بسياق الكلام. ﴿وَلَكُمْ بِصَفِّ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ الآية، خطاب للرجال، وأجمع العلماء على ما تضمنته هذه الآية من ميراث الزوج والزوجة، وأن ميراث الزوجة تنفرد به إن كانت واحدة، ويقسم بينهن إن كن أكثر من واحدة، ولا ينقص من ميراث الزوج والزوجة وسائر أهل السهام إلا ما نقصه العول على مذهب جمهور العلماء، خلافا لابن عباس رضي الله عنه فإنه لا يقول بالعول، فإن قيل لم كرر قوله: ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ﴾ مع ميراث الزوج وميراث الزوجة، ولم يذكره قبل ذلك إلا مرة واحدة في ميراث الأولاد والأبوين؟ فالجواب: أن الموروث في ميراث الزوج هو الزوجة، والموروث في ميراث الزوجة هو الزوج، فكل واحدة قضية على انفرادها؛ فلذلك ذكر ذلك مع كل واحدة، بخلاف الأولى، فإن الموروث فيها واحد ذكر حكم ما يرث منه أولاده وأبواه وهي قضية واحدة؛ فلذلك قال فيها "من بعد وصية" مرة واحدة. ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَلَةً﴾ الكلاله هي انقطاع عمود النسب، وهي خلو الميت عن ولد ووالد، ويحتمل أن تطلق هنا على الميت الموروث، أو على الورثة، أو على الوراثة، أو على القرابة، أو على المال؛ فإن كانت للميت، فأعراها خبر "كان"، و"يورث" في موضع الصفة، أو "يورث" خبر "كان"، و"كلالة" حال من الضمير في "يورث"، أو تكون "كان" تامة، و"يورث" في موضع الصفة، و"كلالة" حال من الضمير، وإن كانت للورثة فهي خبر "كان"، على حذف مضاف تقديره: ذا كلالة، أو حال على حذف مضاف أيضا، وإن كانت للوراثة فهي مصدر في موضع الحال، وإن كانت للقرابة فهي مفعول من أجله، وإن كانت للمال فهي مفعول ثانٍ لـ"يورث"، وكل وجه من هذه الوجوه على أن تكون "كان" تامة و"يورث" في موضع الصفة، وأن تكون ناقصة و"يورث" خبرها. ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ﴾ المراد هنا الأخ للأخ والأخت للأخت بإجماع، وقرأ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: "وله أخ أو أخت لأمه"، وذلك تفسير للمعنى. ﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ إذا كان

فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ  
غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ  
وَرَسُولَهُ نُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ  
الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ نُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ  
عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾ وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَأَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ  
أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ  
اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَأَازِوهُمَا فَإِنَّ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا  
عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ

الأخ للأم واحدا فله السدس، وكذلك إذا كانت الأخت للأم واحدة. ﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ إذا كان  
الإخوة للأم اثنين فأكثر، فلهم الثلث بالسواء بين الذكر والأنثى؛ لأن قوله "شركاء" يقتضي التسوية بينهم، ولا  
خلاف في ذلك. ﴿غَيْرِ مُضَارٍّ﴾ منصوب على الحال، والعامل فيه "يوصي"، و"مضار" اسم فاعل، قال  
ابن عباس رضي الله عنه: الضرر في الوصية من الكبائر، ووجه المضار كثيرة منها؛ الوصية لوارث، والوصية بأكثر من  
الثلث، أو بالثلث فرارا عن وارث محتاج، فإن علم أنه قصد بوصيته الإضرار رد ما زاد على الثلث اتفاقا،  
واختلف هل يرد الثلث على قولين في المذهب والمشهور أنه ينفذ. ﴿وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لقوله  
"يوصيكم الله"، ويجوز أن ينتصب بغير مصدر. ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ إشارة إلى ما تقدم من الموارث وغيرها.  
﴿وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية، تعلق بها المعتزلة في قولهم: إن العصاة من المؤمنين يخلدون في النار، وتأولها  
الأشعرية على أنها في الكفار. ﴿يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ﴾ هي هنا الزنا. ﴿مِنْ نِّسَائِكُمْ﴾ أي: من المسلمات؛ لأن المسلمة  
تحدهم الزنا، وأما الكافر والكافرة، فاختلف: هل يحد أو يعاقب؟ ﴿فَأَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ﴾ قيل:  
إنما جاء شهداء الزنا أربعة تغليظا على المدعي، وسترا على العباد، وقيل: ليكون شاهدان على كل واحد من  
الزانيين. ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ﴾ كانت عقوبة الزنا الإمساك في البيوت، ثم نسخ ذلك بالأذى المذكور بعد  
هذا وهو السب والتوبيخ، وقيل: إن الإمساك في البيوت للنساء، والأذى للرجال؛ فلا نسخ بينهما، ورجحه ابن  
عطية وابن الفرس، بقوله في الإمساك "من نسائكم"، وفي الأذى ﴿مِنْكُمْ﴾، ثم نسخ الإمساك والأذى بالرجم  
للمحصن، وبالجلد لغير المحصن، واستقر الأمر على ذلك. فأما الجلد فمذكور في سورة النور، وأما الرجم  
فقد كان في القرآن، ثم نسخ لفظه وبقي حكمه، وقد رجم النبي صلى الله عليه وسلم ماعز الأسلمي رضي الله عنه وغيره. ﴿فَأَعْرِضُوا  
عَنْهُمَا﴾ لما أمر بالأذى للزاني، أمر بالإعراض عنه إذا تاب وهو ترك الأذى. ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: إنما



لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ  
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ  
أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ آلَانَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا  
لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرهًا وَلَا  
تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ

يقبل الله توبة من كان على هذه الصفة، وإذا تاب العبد توبة صحيحة بشر وطها، فيقطع بقبول الله لتوبته عند جمهور العلماء، وقال أبو المعالي: يغلب ذلك على الظن، ولا يقطع به. ﴿يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ أي: بسفاهة وقلّة تحصيل أدت إلى المعصية، وليس المعنى أنه يجهل أن يكون ذلك الفعل معصية، قال أبو العالية: أجمع الصحابة رضي الله عنهم على أن كل معصية فهي بجهالة، سواء كانت عمدا أو جهلا. ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ قيل: قبل المرض والموت، وقيل: قبل السياق ومعاناة الملائكة، وفي هذا قال رسول الله ﷺ: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يعاينه الموت، فإن كانوا كفارا فهم مخلدون في النار بإجماع، وإن كانوا مسلمين فهم في مشيئة الله، إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم، فقله: ﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ثابت في حق الكفار، ومنسوخ في حق العصاة من المسلمين بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فعذابهم مقيد بالمشيئة. ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانوا في الجاهلية إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاؤوا تزوجها أحدهم، وإن شاؤوا زوجها من غيرهم، وإن شاؤوا منعوها التزويج، فنزلت الآية في ذلك، فمعنى الآية على هذا: لا يحل لكم أن تجعلوا النساء يورثن عن الرجال كما يورث المال، وقيل: الخطاب للأزواج الذين يمسكون المرأة في العصمة ليرثوا مالها من غير غبطة بها، وقيل: الخطاب للأولياء الذين يمنعون ولياتهم من التزويج ليرثوهن دون الزوج. ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ معطوف على "أن ترثوا"، أو نهي، والعضل: المنع، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: هي أيضا في أولياء الزوج الذين يمنعون زوجته من التزوج بعد موته، إلا أن قوله: ﴿مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ على هذا معناه: ما آتاها الرجل الذي مات، وقال ابن عباس رضي الله عنهما أيضا: هي في الأزواج الذين يمسكون المرأة ويسيتون عشرتها حتى تفتدي بصدقتها، وهو ظاهر اللفظ في قوله "ما آتيتموهن"، ويقويه قوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ فإن الأظهر فيه أن يكون في الأزواج، وقد يكون في غيرهم، وقيل: هي للأولياء. ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ قيل: الفاحشة هنا الزنا، وقيل: نشوز المرأة وبغضها في زوجها، فإذا نشزت جاز له أن يأخذ ما آتاها من صداق وغير ذلك من مالها، وهذا جار على مذهب مالك في جواز الخلع إذا كان الضرر من المرأة. والزنا أصعب على الزوج من النشوز فيجوز له أخذ الفدية معه.

فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُنَّ شَيْئًا وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿٣٧٢﴾ وَإِنْ أَرَدْتُمْ  
 أَسْتَبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا  
 أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٣٧٣﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ  
 بَعْضٍ وَأَخَذَتِ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٣٧٤﴾ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ  
 النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٧٥﴾

﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ الآية، معناها: إن كرهتم النساء لوجه، فاصبروا عليه، فعسى أن يجعل الله الخير في وجه  
 آخر، وقيل: الخير الكثير الولد؛ والأحسن العموم، وهو معنى قوله ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن سخط منها  
 خلقا رضي منها آخر» [مسلم: 3721]. ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتَبْدَالَ زَوْجٍ﴾ الآية، معناها المنع من أن يأخذ الرجل من  
 المرأة فدية على الطلاق إذا أراد أن يبدلها بأخرى، وعلى هذا جرى مذهب مالك وغيره في المنع من الفدية إذا  
 كان الضرر وأرادت الفراق من الزوج، وقال قوم: إن هذه الآية منسوخة بقوله في البقرة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا  
 فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾، وقال قوم: هي ناسخة؛ والصحيح أنها غير ناسخة ولا منسوخة، فإن جواز الفدية على  
 وجه ومنعها على وجه فلا تعارض ولا نسخ. ﴿قِنطَارًا﴾ مثال على وجه المبالغة في الكثرة، وقد استدلت به  
 المرأة على جواز المغالاة في المهور حين نهي عمر بن الخطاب ؓ عن ذلك، فقال عمر ؓ: امرأة أصابت  
 ورجل أخطأ، كل الناس أفاقه منك يا عمر!. ﴿أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ كناية عن الجماع. ﴿مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾  
 قيل: هو عقدة النكاح، وقيل: قوله ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾، وقيل: الأمر بحسن العشرة.  
 ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ كان بعض العرب يتزوج امرأة أبيه بعده، فنزلت الآية تحريما  
 لذلك، فكل امرأة تزوجها رجل حرمت على أولاده ما سفلوا، سواء دخل بها أو لم يدخل، فالنكاح في الآية  
 بمعنى العقد، و"ما نكح" يعني النساء، وإنما أطلق عليهن "ما" وإن كن ممن يعقل؛ لأن المراد الجنس، فإن زنى  
 رجل بامرأة، فاختلف هل يحرم تزوجها على أولاده أم لا؟ فحرمه أبو حنيفة، وأجازته الشافعي، وفي المذهب  
 قولان، واحتج من حرمه بهذه الآية، وحمل النكاح فيها على الوطء، وقال من أجازته: إن الآية لم تتناول؛ إذ  
 النكاح فيها بمعنى العقد. ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ أي: إلا ما فعلتم في الجاهلية من ذلك وانقطع بالإسلام فقد  
 عفي عنه، فلا تؤاخذون به، ويدل على هذا قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾ بعد قوله: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾  
 في المرة الأخرى في الجمع بين الأختين، قال ابن عباس ؓ: كانت العرب تحرم كل ما حرمته الشريعة إلا  
 امرأة الأب والجمع بين الأختين، وقيل: المعنى إلا ما قد سلف فدعوه. وقال الزمخشري: إلا ما قد سلف  
 فانكحوه إن أمكنكم، وذلك غير ممكن، فالمعنى المبالغة في التحريم. ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا﴾ "كان" في هذه  
 الآية تقتضي الدوام، كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾، وشبه ذلك، وقال المبرد: هي زائدة؛ وذلك خطأ؛

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ وَأُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخْوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخْوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ

لوجود خبرها منصوبا، وزاد هنا المقت على ما وصف به الزنا في قوله ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ دلالة على أن هذا أقبح من الزنا. ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ الآية، معناها تحريم نكاح من ذكر من النساء، والنساء المحرمات على التأيد ثلاثة أصناف: بالنسب، وبالرضاع، وبالمصاهرة؛ فأما النسب: فيحرم به سبعة أصناف، وهي المذكورة في هذه الآية؛ وضابطها: أنه يجرم على الرجل فصوله ما سفلت، وأصوله ما علت، وفصول أبويه ما سفلت، وأول فصل من كل أصل متقدم على أبويه. ﴿أُمَّهَاتُكُمْ﴾ يدخل فيه الوالدة، والجدات من الأم ومن الأب ما علون. ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ تدخل فيه البنت وبنت الابن وبنت ما سفلت. ﴿وَأَخْوَاتُكُمْ﴾ يدخل فيه الأخت الشقيقة والأخت للأب والأخت للأم. ﴿وَعَمَّاتُكُمْ﴾ يدخل فيه أخت الوالد وأخت الجدا ما علت سواء كانت شقيقة أو لأب أو لأم. ﴿وَخَالَاتُكُمْ﴾ يدخل فيه أخت الأم وأخت الجدا ما علت سواء كانت شقيقة أو لأب أو لأم. ﴿وَبَنَاتُ الْأَخِ﴾ يدخل فيه كل من تناسل من الأخ الشقيق أو للأب أو للأم. ﴿وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾ يدخل فيه كل من تناسل من الأخت الشقيقة أو للأب أو للأم. ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخْوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ﴾ ذكر تعالى صنفين من الرضاعة وهما: الأم والأخت، وقال رسول الله ﷺ: «يحرّم من الرضاع ما يحرم من النسب» [البخاري: 2645]، فاقضى ذلك تحريم الأصناف السبعة التي تحرم من النسب؛ وهي الأم والبنت والأخت والعمة والخالة وبنت الأخ وبنت الأخت، وتفصيل ذلك يطول، وفي الرضاع مسائل لم نذكرها لأنها ليس لها تعلق بألفاظ الآية. ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾ المحرمات بالمصاهرة أربع؛ وهن زوجة الأب وزوجة الابن وأم الزوجة وبنت الزوجة؛ فأما الثلاث الأولى فتحرم بالعقد دخل بها أو لم يدخل، وأما بنت الزوجة فلا تحرم إلا بعد الدخول بأمرها، فإن وطئها حرمت عليه بنتها بالإجماع، وإن تلذذ بها بسا دون الوطء فحرمها مالك والجمهور، وإن عقد عليها ولم يدخل بها لم تحرم بنتها إجماعا، وتحرم هذه الأربع بالرضاع كما تحرم بالنسب. ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ الربيبة: هي بنت امرأة الرجل من غيره سميت بذلك؛ لأنه يرببها فلفظها فعيلة بمعنى مفعولة، وقوله "اللاتي في حجوركم" على غالب الأمر إذ الأكثر أن تكون الربيبة في حجر زوج أمها، وهي محرمة سواء كانت في حجره أم لا، هذا عند الجمهور من العلماء إلا ما روي عن علي بن أبي طالب ؑ أنه أجاز نكاحها إن لم تكن في حجره. ﴿مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ اشترط الدخول في تحريم بنت الزوجة خاصة، ولم يشترطه في تحريم غيرها، وعلى ذلك جمهور العلماء إلا ما روي عن علي بن أبي طالب ؑ أنه اشترط الدخول في تحريم الجميع، وقد انعقد الإجماع بعده

فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَالٌ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٠﴾ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأَحَلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً

على خلاف ذلك. ﴿وَحَلَالٌ أَبْنَائِكُمُ﴾ الحلائل جمع حليلة؛ وهي الزوجة. ﴿الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ تخصيص ليخرج عنه زوجة الابن الذي يتبناه الرجل وهو أجنبي عنه؛ كتزويج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش ﷺ امرأة زيد بن حارثة الكلبي ﷺ، الذي كان يقال له زيد ابن محمد ﷺ. ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ يقتضي تحريم الجمع بين الأختين، سواء كانتا شقيقتين، أو لأب، أو لأم، وذلك في الزوجتين، وأما الجمع بين الأختين المملوكتين في الوطء، فمنعه مالك والشافعي وأبو حنيفة وغيرهم، ورأوا أنه داخل في عموم لفظ الأختين، وأجازه الظاهرية؛ لأنهم قصرُوا الآية على الجمع بالنكاح، وأما الجمع بين الأختين في الملك دون وطاء فجاز باتفاق. ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ المعنى: إلا ما فعلتم من ذلك في الجاهلية وانقطع بالإسلام، فقد عفى عنكم فلا تؤاخذون به. هذا أرجح الأقوال حسبا تقدم في الموضوع الأول. ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ المراد هنا ذوات الأزواج، وهو معطوف على المحرمات المذكورات قبله، والمعنى: أنه لا يحل نكاح المرأة إذا كانت في عصمة الرجل. ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ يريد السبايا في أشهر الأقوال، والاستثناء متصل، والمعنى: أن المرأة الكافرة إذا كان لها زوج ثم سُبِّتَ جاز لمن ملكها من المسلمين أن يطأها، وسبب ذلك: أن رسول الله ﷺ بعث جيشا إلى أوطاس فأصابوا سبايا من العدو هن أزواج من المشركين، فتأم المسلمون من غشيانهن، فنزلت الآية مبيحة لذلك، ومذهب مالك أن السبي يهدم النكاح، سواء سبي الزوجان الكافران معا، أو سبي أحدهما قبل الآخر، وقال ابن المواز: لا يهدم السبي النكاح. ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ منصوب على المصدرية، أي: كتب الله ذلك عليكم كتابا، وهو تحريم ما حرم، وهو عند الكوفيين منصوب على الإغراء. ﴿وَأَحَلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ معناه: أحل لكم تزوج من سوى ما حرم من النساء، وعطف "أحل" على الفعل المضمر الذي نصب "كتاب الله"، والفاعل هو الله أي: كتب الله عليكم تحريم من ذكر وأحل لكم ما وراء ذلكم. ﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾ مفعول من أجله، أو بدل من "ما وراء ذلكم"، وحذف مفعوله وهو النساء. ﴿مُحْصِنِينَ﴾ هنا: أعفة، ونصبه على الحال من الفاعل في "تبتغوا". ﴿غَيْرَ مُسْفِحِينَ﴾ أي: غير زناة، والسفاح هو الزنا. ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ قال ابن عباس ﷺ وغيره: معناها: إذا استمتعتم بالزوجة ووقع الوطء فقد وجب إعطاء الأجر، وهو الصداق كاملا. وقيل: إنها في

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ، مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾  
 وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ  
 مِنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ  
 وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرٍ مُسَفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ﴿٢٥﴾

نكاح المتعة؛ وهو النكاح إلى أجل من غير ميراث، وكان جائزا في أول الإسلام، فنزلت هذه الآية في وجوب  
 الصداق فيه، ثم حرم عند جمهور العلماء، فالآية على هذا منسوخة بالخبر الثابت في تحريم نكاح المتعة، وقيل:  
 نسخها آية الفرائض؛ لأن نكاح المتعة لا ميراث فيه، وقيل: نسخها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِقُورِهِمْ حَافِظُونَ﴾،  
 وروي عن ابن عباس رضي الله عنه جواز نكاح المتعة، وروي أنه رجع عنه. ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ﴾  
 من قال إن الآية المتقدمة في مهور النساء؛ فمعنى هذه جواز ما يتراضون به من حط الصداق، أو تأخيره بعد  
 استقرار الفريضة، ومن قال إن الآية في نكاح المتعة؛ فمعنى هذه جواز ما يتراضون به من زيادة في مدة المتعة  
 وزيادة في الأجر. ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ  
 فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ معناها إباحتها تزويج الفتيات؛ وهن الإماء للرجل، إذا لم يجد طولا للمحصنات،  
 والطول: هو السعة في المال، و"المحصنات" هنا يراد بهن الحررات غير المملوكات، ومذهب مالك وأكثر  
 أصحابه: أنه لا يجوز للحر نكاح أمة إلا بشرطين؛ أحدهما: عدم الطول؛ وهو ألا يجد ما يتزوج به حرة،  
 والآخر: خوف العنت؛ وهو الزنا، لقوله بعد هذا: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾، وأجاز ابن القاسم  
 نكاحهن دون الشرطين، على القول بأن دليل الخطاب لا يعتبر، وانفقوا على اشتراط الإسلام في الأمة التي  
 تتزوج لقوله: "من فتياتكم المؤمنات"، إلا أن أهل العراق لم يشترطوه، وإعراب "طولا": مفعول  
 بالاستطاعة، و"أن ينكح" بدل منه، فهو في موضع نصب بتقدير: لأن ينكح، ويحتمل أن يكون "طولا"  
 نصب على المصدر، والعامل فيه الاستطاعة، لأنها بمعنى يتقارب، و"أن ينكح" على هذا مفعول بالاستطاعة  
 أو بالمصدر. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ معناه أنه يعلم بواطن الأمور، ولكم ظواهرها، فإذا كانت الأمة  
 ظاهرة الإيمان فنكاحها صحيح وعلم باطنها إلى الله. ﴿بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ أي: إماءكم منكم، وهذا تأنيس  
 بنكاح الإماء؛ لأن بعض العرب كان يأنف من ذلك. ﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ أي: بإذن ساداتهن المالكين  
 لهن. ﴿وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ أي: صدقاتهن، وهذا يقتضي أنهن أحق بصدقاتهن من ساداتهن، وهو مذهب  
 مالك. ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: بالشرع على ما تقتضيه السنة. ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرٍ مُّسَافِحَاتٍ﴾ أي: عفيفات غير  
 زانيات، وهو منصوب على الحال، والعامل فيه "فانكحوهن". ﴿وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ جمع خدن وهو  
 الخليل، وكان من نساء الجاهلية من تتخذ خدنا تزني معه خاصة، ومنهن من كانت لا ترد يد لأمس.

فَإِذَا أَحْصِنَ فَإِنَّ آتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ٤  
 ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ ٥ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ ٦ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٧ يُرِيدُ اللَّهُ  
 لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ٨ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٩  
 وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ١٠  
 يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ١١ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ١٢ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا  
 أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ ١٣

﴿فَإِذَا أَحْصِنَ فَإِنَّ آتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ معنى ذلك: أن الأمة إذا  
 زنت بعد أن أحصنت فعليها نصف حد الحرة، فإن الحرة تجلد في الزنا مائة جلدة، والأمة تجلد خمسين، "فإذا  
 أحصن" هنا يراد به: تزوجن، وال"فاحشة" هنا الزنا، و"المحصنات" هنا الحرائر، و"العذاب" هنا الحد،  
 فاقتضت الآية حد الأمة إذا زنت بعد أن تزوجت، ويؤخذ حد غير المتزوجة من السنة، وهو مثل حد  
 المتزوجة، وهذا على قراءة "أحصن" بضم الهمزة وكسر الصاد، وقرئ بفتحها، ومعناه: أسلمن، وقيل:  
 تزوجن. ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾ الإشارة إلى تزوج الأمة، أي: إنها يجوز لمن خشي على نفسه الزنا لا  
 لمن يملك نفسه. ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ المراد الصبر عن نكاح الإماء، وهذا نذب إلى تركه، وعلته ما  
 يؤدي إليه من استرقاق الولد. ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ قال الزمخشري: أصله أن يبين، فزيدت اللام مؤكدة  
 كما زيدت في: لا أباك. وقال الكوفيون: اللام مصدرية مثل أن. ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي:  
 يهديكم مناهج من كان قبلكم من الأنبياء والصالحين لتقتدوا بهم. ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ كرر  
 توطئة لفساد إرادة ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ وهم هنا الزناة عند مجاهد، وقيل: المجوس لنكاحهم ذوات  
 المحارم، وقيل: عام في كل متبع شهوة، وهو أرجح. ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ يقتضي سياق الكلام  
 التخفيف الذي وقع في إباحة نكاح الإماء، وهو مع ذلك عام في كل ما خفف الله عن عباده وجعل دينه  
 يسرا. ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ قيل: معناه لا يصبر على النساء، وذلك مقتضى سياق الكلام، واللفظ أعم  
 من ذلك. ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ يدخل فيه القمار والغصب والسرقة وغير ذلك. ﴿إِلَّا أَنْ  
 تَكُونَ تِجَارَةً﴾ استثناء منقطع؛ والمعنى: لكن إن كانت تجارة فكلوها، وفي إباحة التجارة دليل على أنه يجوز  
 للإنسان أن يشتري بدرهم سلعة تساوي مائة، والمشهور إمضاء البيع، وحكي عن ابن وهب؛ أنه يرد إذا كان  
 الغبن أكثر من الثلث، وموضع "أن" نصب، و"تجارة" بالرفع فاعل "تكون" وهي تامة، وقرئ بالنصب خبر  
 "تكون" وهي ناقصة. ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾ أي: اتفاق، وبهذا استدل المالكية على تمام البيع بالعقد دون  
 التفرق، وقال الشافعي: إنما يتم بالتفرق بالأبدان؛ لقوله ﷺ: «المتبايعان بالخيار ما لم يتفرقا» [البخاري: 2111].

وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿١٧٨﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُضَلِّهِ نَارًا ۖ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٧٩﴾ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُهَوَّنُ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا ﴿١٨٠﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿١٨١﴾ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿١٨٢﴾

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ قال ابن عطية: أجمع المفسرون أن المعنى لا يقتل بعضهم بعضا. قلت: ولفظها يتناول قتل الإنسان لنفسه، وقد حملها عمرو بن العاص رضي الله عنه على ذلك، ولم ينكره رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ سمعه. ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ إشارة إلى القتل لأنه أقرب مذکور، وقيل: إليه وإلى أكل المال بالباطل، وقيل: إلى كل ما تقدم من المنهيات من أول السورة. ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُهَوَّنُ عَنْهُ﴾ اختلف الناس في الكبائر ما هي؟ فقال ابن عباس رضي الله عنه: كل ذنب ختمه الله بنار أو لعنة أو غضب، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: هي الذنوب المذكورة من أول هذه السورة إلى هذه الآية، وقال بعض العلماء: كل ما عصي الله به فهو كبيرة، وعدها بعضهم سبعة عشر، وفي البخاري [2766] عن النبي صلى الله عليه وسلم: «اتقوا السبع الموبقات؛ الإشراف بالله، والسحر، وقتل النفس، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات». فلا شك أن هذه من الكبائر للنص عليها في الحديث، وزاد بعضهم عليها أشياء ورد في الأحاديث النص على أنها كبائر، وورد في القرآن أو في الحديث وعيد عليها، فمنها عقوق الوالدين، وشهادة الزور، واليمين الغموس، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، والنهبة، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله، ومنع ابن السبيل الماء، والإلحاد في البيت الحرام، والنميمة، وترك التحرز من البول، والغلول، واستطالة المرء في عرض أخيه، والجور في الحكم. ﴿نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ وعد بغفران الذنوب الصغائر إذا اجتنبت الكبائر. ﴿مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾ اسم مكان، وهو هنا الجنة. ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا﴾ الآية، سببها أن النساء قلن: ليتنا استويننا مع الرجال في الميراث وشاركناهم في الغزو، فنزلت نهيًا عن ذلك؛ لأن في تمنيهما ردا على حكم الشريعة، فيدخل في النهي تمنى مخالفة الأحكام الشرعية كلها. ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا﴾ الآية، أي: من الأجر والحسنات، وقيل: من الميراث؛ ويرده لفظ الاكتساب. ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي﴾ الآية، في معناها وجهان؛ أحدهما: لكل شيء من الأموال جعلنا موالى يرثونه، ف"مما ترك" على هذا بيان "لكل"، والآخر: لكل أحد جعلنا موالى يرثون. ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ ف"مما ترك" على هذا يتعلق بفعل مضمر وال "موالي" هنا الورثة والعصبة. ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ اختلف هل هي منسوخة أو محكمة؟ فالذين قالوا إنها

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ  
 أَمْوَالِهِمْ ۖ فَالصَّالِحَاتُ قَنِينَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۗ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ  
 فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاصْرَبُوهُنَّ ۗ فَإِنِ اطَّعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ  
 سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿١٧٩﴾ وَإِنِ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا

منسوخة، قالوا معناها الميراث بالحلف الذي كان في الجاهلية، وقيل: بالمؤاخاة التي أوحى رسول الله ﷺ بين  
 أصحابه، ثم نسخها ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾ فصار الميراث للأقارب. والذين قالوا إنها محكمة  
 اختلفوا؛ فقال ابن عباس ؓ: هي المؤازرة والنصرة بالحلف لا في الميراث به، وقال أبو حنيفة: هي في الميراث،  
 وأن الرجلين إذا والى أحدهما الآخر على أن يتوارثا صح ذلك، وإن لم تكن بينهما قرابة. ﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى  
 النِّسَاءِ ﴾ قوام: بناء مبالغة من القيام على الشيء والاستبداد بالنظر فيه، قال ابن عباس ؓ: الرجال أمراء على  
 النساء. ﴿ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ ﴾ الباء للتعليل، و"ما" مصدرية، والتفضيل بالجهد والإمامة وملك الطلاق وكمال  
 العقل وغير ذلك. ﴿ وَبِمَا أَنْفَقُوا ﴾ هو الصداق والنفقة المستمرة على الزوجات. ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِنَاتٌ ﴾ أي:  
 النساء الصالحات في دينهن مطيعات لأزواجهن، أو مطيعات لله في حق أزواجهن. ﴿ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ ﴾ أي:  
 تحفظ كلما غاب عن علم زوجها، فيدخل في ذلك صيانة نفسها، وحفظ ماله وبيته، وحفظ أسراره. ﴿ بِمَا  
 حَفِظَ اللَّهُ ﴾ أي: بحفظ الله ورعايته، أو بأمره للنساء أن يطعن الزوج ويحفظنه، ف"ما" مصدرية أو بمعنى  
 الذي. ﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾ قيل: الخوف هنا بمعنى اليقين، وقيل: هو على أصله. ﴿ فَعِظُوهُنَّ  
 وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاصْرَبُوهُنَّ ﴾ هذه أنواع من تأديب المرأة إذا نشزت على زوجها وهي على مراتب؛  
 فالوعظ في النشوز الخفيف، والهجران فيما هو أشد منه، والضرب فيما هو أشد منهما، ومهما انتهت عن  
 النشوز بوجه من الوجوه لم يتعد إلى ما بعده، والهجران هنا هو ترك مضاجعتها، وقيل: ترك الجماع إذا  
 ضاجعها، والضرب غير مبرح. ﴿ فَإِنِ اطَّعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾ أي: إذا أطاعت المرأة زوجها  
 فليس له أن يؤذيها بهجران ولا ضرب. ﴿ وَإِنِ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ﴾ الشقاق: الشر والعداوة، وكان الأصل:  
 إن خفتم شقاقا بينهما، ثم أضيف الظرف إلى الشقاق على طريقة الاتساع، كقوله تعالى: ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ  
 وَالتَّهَارِ ﴾، وأصله مكر بالليل والنهار. ﴿ فَابْعَثُوا حَكَمًا ﴾ الآية، ذكر تعالى الحكم في نشوز المرأة، والحكم في  
 طاعتها، ثم ذكر هنا حالة أخرى وهي: إذا ساء ما بين الزوجين ولم يقدر على الإصلاح بينهما، ولا علم من  
 الظالم منهما، فيبعث حكمان مسلمان لينظرا في أمرهما وينفذ ما ظهر لهما من تطليق وخلع من غير إذن الزوج،  
 وقال أبو حنيفة: ليس لهما الفراق إلا إن جعل لهما، وإن اختلفا لم يلزم شيء إلا باتفاقهما، ومشهور مذهب  
 مالك: أن الحاكم هو الذي يبعث الحكامين، وقيل: يبعثها الزوجان، وجرت عادة القضاة أن يبعثوا امرأة



مَنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَ إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٥٥﴾ \* وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۗ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٥٦﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَاؤُنْفُسَهُمْ وَالَّذِينَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٥٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأُنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٥٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۗ وَإِن تَكَ حَسَنَةً يُّضْعِفْهَا

أمانة ولا يعيشوا حكيمين، قال بعض العلماء: هذا تغيير لحكم القرآن والسنة الجارية. ﴿مَنْ أَهْلِهِ﴾ يجوز في المذهب أن يكون الحكمان من غير أهل الزوجين، والأكمل أن يكونا من أهلها كما ذكر الله. ﴿إِنْ يُرِيدَ إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ الضمير في "يريد" للحكيمين، وفي "بينهما" للزوجين على الأظهر، وقيل: الضميران للزوجين، وقيل: للحكيمين. ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ قال ابن عباس ؓ: "الجار ذي القربى" هو القريب النسب، "الجار الجنب" هو الأجنبي، وقيل: "ذو القربى" القريب المسكن منك، و"الجنب" البعيد المسكن عنك، وحد الجوار عند بعضهم أربعون داراً من كل ناحية. ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ قال ابن عباس ؓ: الرفيق في السفر، وقال علي بن أبي طالب ؓ: الزوجة. ﴿مُخْتَالًا﴾ اسم فاعل وزنه مفتعل من الخيلاء، وهو الكبر وإعجاب المرء بنفسه. ﴿فَخُورًا﴾ شديد الفخر ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ بدل من قوله "مختالاً"، أو نصب على الذم، أو رفع بخبر ابتداء مضمراً، أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره يعذبون، والآية في اليهود نزلت في قوم منهم؛ كزدم وحيي بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت؛ كانوا يقولون للأنصار: لا تنفقوا أموالكم في الجهاد والصدقات، وهي مع ذلك عامة فيمن فعل هذه الأفعال من المسلمين. ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾ عطف على "الذين يبخلون"، وقيل: على "الكافرين"، والآية في المنافقين الذين كانوا ينفقون في الزكاة والجهاد رياء ومصانعة، وقيل: في اليهود، وقيل: في مشركي مكة الذين أنفقوا أموالهم في حرب المسلمين. ﴿قَرِينًا﴾ أي: ملازماً له يغويه. ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا﴾ الآية، استدعاء لهم بملاطفة، أو توبيخ على ترك الإيثار والإنفاق، كأنه يقول: أي مضره عليهم في ذلك. ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي: وزنها، وهي النملة الصغيرة، وذلك تمثيل بالقليل تنبيهاً على الكثير. ﴿وَإِن تَكَ حَسَنَةً﴾ بالرفع فاعل و"تك" تامة، وبالنصب خبر على أنها ناقصة واسمها مضمراً فيها. ﴿يُضَاعَفْهَا﴾ أي: يكثرها، واحدة بعشر أمثالها إلى سبعمائة وأكثر.

وَيُوتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿١٢﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُولَ لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿١٣﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا ﴿١٤﴾

﴿ وَيُوتِ مِنْ لَدُنْهُ ﴾ أي: من عنده تفضلا وزيادة على ثواب العمل. ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا ﴾ تقديره: كيف يكون الحال إذا جئنا ﴿ بِشَهِيدٍ ﴾ هو نبيهم يشهد عليهم بأعمالهم. ﴿ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ أي: تشهد على قومك، ولما قرأ ابن مسعود رضي الله عنه هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذرفت عيناه. ﴿ لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ ﴾ أي: يتمنون أن يدفنوا فيها ثم تسوى بهم كما تسوى بالموتى، وقيل: يتمنون أن يكونوا سواء مع الأرض كقوله ﴿ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾، وذلك لما يرون من أهوال يوم القيامة. ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ استئناف إخبار أنهم لا يكتُمون يوم القيامة عن الله شيئا. فإن قيل: كيف هذا مع قولهم: ﴿ وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾؟ فالجواب من وجهين؛ أحدهما: أن الكتم لا ينفعهم؛ لأنهم إذا كتموا تنطق جوارحهم فكأنهم لم يكتموا، والآخر: أنهم طوائف مختلفة ولهم أوقات مختلفة، وقيل: إن قوله "ولا يكتُمون" عطف على "تسوى"؛ أي: يتمنون أن لا يكتُموا لأنهم إذا كتموا افتضحوا. ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى ﴾ سببها أن جماعة من الصحابة شربوا الخمر قبل تحريمها ثم قاموا إلى الصلاة وأمهم أحدهم فخلط في القراءة، فمعناها النهي عن الصلاة في حال السكر، وقال بعض الناس: هي منسوخة بتحريم الخمر؛ وذلك لا يلزم؛ لأنها ليس فيها ما يقتضي إباحة الخمر، إنما هي نهي عن الصلاة في حال السكر، وذلك حكم ثابت في حال إباحة الخمر وفي حين تحريمها، وقال بعضهم: معناها لا يكن منكم سكر يمنع قرب الصلاة، إذ المرء مأمور بالصلاة، فكأنها تقتضي النهي عن السكر وعن سببه وهو الشرب، وهذا بعيد من مقتضى اللفظ. ﴿ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ أي: حتى تعود إليكم عقولكم فتعلمون ما تقرؤون، ويظهر من هذا أن السكران لا يعلم ما يقول، فأخذ بعض الناس من ذلك أن السكران لا يلزمه طلاقه ولا إقراره. ﴿ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ ﴾ عطف "ولا جنبا" على موضع "أنتم سكران" إذ هو في موضع الحال، والجنب هنا غير الظاهر بإنزال أو إيلاج، وهو واقع على جماعة، بدليل استثناء الجمع منه، واختلف في "عابري سبيل" فقيل: إنه المسافر، ومعنى الآية على هذا: نهى أن يقرب الصلاة وهو جنب إلا في السفر فيصلي بالتيمة دون اغتسال؛ فمقتضى الآية إباحة التيمم للجنب في السفر، ويؤخذ أيضا إباحة التيمم للجنب في الحضر من الحديث، وقيل: عابر السبيل المار في المسجد، و"الصلاة" هنا يراد بها المسجد لأنه موضع الصلاة، فمعنى الآية على هذا النهي ألا يقرب الجنب المسجد إلا خاطرا عليه، وعلى هذا حمل الشافعي الآية؛ لأنه يميز للجنب أن يمر في المسجد، ولا يميز له أن يقعد فيه، ومنع مالك المرور والقعود، وأجازهما داود.

## وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ الآية، سببها عدم الصحابة للماء في غزوة المريسيع، فأبيح لهم التيمم في عدم الماء، ثم إن عدم الماء على ثلاثة أوجه؛ أحدها: عدمه في السفر، والثاني: عدمه في المرض، فيجوز التيمم في هذين الوجهين بإجماع؛ لأن الآية نص في المرض والسفر إذا عدم الماء فيهما، لقوله "وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ" ثم قال ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾، الوجه الثالث: عدم الماء في الحضر دون مرض؛ فاختلف الفقهاء فيه: فمذهب أبي حنيفة أنه لا يجوز فيه التيمم؛ لأن ظاهر الآية أن عدم الماء إنما يعتبر مع المرض والسفر، ومذهب مالك والشافعي أنه يجوز فيه التيمم، فإن قلنا: إن الآية لا تقتضيه، فيؤخذ جوازه من السنة، وإن قلنا إن الآية تقتضيه، فيؤخذ جوازه منها وهذا هو الأرجح إن شاء الله، وذلك أنه ذكر في أول الآية المرض والسفر، ثم ذكر الأحداث دون مرض ولا سفر، ثم قال بعد ذلك كله "فلم تجدوا ماء"، فيرجع قوله "فلم تجدوا ماء" إلى المرض وإلى السفر وإلى من أحدث في غير مرض ولا سفر، فيجوز التيمم على هذا لمن عدم الماء في غير مرض ولا سفر، فيكون في الآية حجة لمالك والشافعي، ويجوز التيمم أيضا في مذهب مالك للمريض إذا وجد الماء ولم يقدر على استعماله لضرر بدنه، فإن قلنا إن الآية لا تقتضيه، فيؤخذ جوازه من السنة، وإن قلنا إن الآية تقتضيه، فيؤخذ جوازه منها على أن يتناول قوله "وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ" أن معناه مرضى لا تقدر على مس الماء. وحد المرض الذي يجوز فيه التيمم عند مالك: هو أن يخاف الموت، أو زيادة المرض، أو تأخر البرء، وعند الشافعي خوف الموت لا غير، وحد السفر: الغيبة عن الحضر، كان مما تقصر فيه الصلاة أم لا. ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ﴾ في "أو" هنا تأويلان؛ أحدهما: أن تكون للتفصيل والتنويع على بابها، والآخر: أنها بمعنى الواو؛ فعلى القول بأنها على بابها يكون، قوله "فلم تجدوا ماء" راجعا إلى المريض والمسافر وإلى من جاء من الغائط وإلى من لامس، سواء كانا مريضين أو مسافرين أم لا حسبنا ذكرنا قبل هذا؛ فيقتضي ذلك جواز التيمم للحاضر الصحيح إذا عدم الماء، وهو مذهب مالك والشافعي، فيكون في الآية حجة لهما، وعلى القول بأنها بمعنى الواو، يكون قوله "فلم تجدوا ماء" راجعا إلى المريض والمسافر، فيقتضي ذلك أنه لا يجوز التيمم إلا في المرض والسفر مع عدم الماء، وأنه لا يجوز للحاضر الصحيح إذا عدم الماء، ولكن يؤخذ جواز التيمم له من موضع آخر، والراجح أن تكون "أو" على بابها لوجهين؛ أحدهما: إن جعلها بمعنى الواو إخراج لها عن أصلها، وذلك ضعيف، والآخر: أنها إذا كانت على بابها كان فيها فائدة إباحة التيمم للحاضر الصحيح إذا عدم الماء على ما ظهر لنا فيها، وإذا كانت بمعنى الواو لم تعط هذه الفائدة. وحجة من جعلها بمعنى الواو: أنه لو جعلها على بابها لاقتضى المعنى أن المرض والسفر حدث يوجب الوضوء كالغائط لعطفه عليهما، وهذا لا يلزم؛ لأن العطف بـ"أو" هنا للتنويع والتفصيل، ومعنى الآية: كأنه قال: يجوز لكم التيمم إذا لم تجدوا ماء إن كنتم مرضى أو على سفر أو أحدثتم في غير مرض ولا سفر. ﴿الْغَائِطِ﴾ أصله المكان المنخفض وهو هنا كناية عن الحدث الخارج من المخرجين،

أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا ﴿٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٥﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَابِكُمْ ۖ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٦﴾  
مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا وَمَحْرِفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۗ

وهو العذرة والريح والبول، لأن من ذهب إلى الغائط تكون منه هذه الأحداث الثلاث، وقيل: إنها هو كناية عن العذرة، وأما البول والريح فيؤخذ وجوب الوضوء لهما من السنة، وكذلك الودي والمذي. ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ اختلف في المراد بالملامسة هنا على ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنها الجماع، وما دونه من التقبيل واللمس باليد وغيرها، وهو قول مالك، فعلى هذا ينتقض الوضوء باللمس الذي هو دون الجماع على تفصيل في المذهب، ويجب معه التيمم إذا عدم الماء، ويكون الجنب من أهل التيمم، والقول الثاني: أنها ما دون الجماع، فعلى هذا ينتقض الوضوء باللمس، ولا يجوز التيمم للجنب، وقد قال بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويؤخذ جوازه عند من أجازاه من الحديث، والثالث: أنها الجماع لا غير؛ فعلى هذا يجوز التيمم للجنب، ولا يكون ما دون الجماع ناقضا للوضوء وهو مذهب أبي حنيفة. ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ هذا يفيد وجوب طلب الماء، وهو مذهب مالك، خلافا لأبي حنيفة، فإن وجده بثمن، فاختلف هل يجوز له التيمم أم لا؟ وإن وُهب له، فاختلف هل يلزمه قبوله أم لا؟ ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ التيمم في اللغة: القصد، وفي الفقه: الطهارة بالتراب، وهو منقول من المعنى اللغوي. ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ الصعيد عند مالك: هو وجه الأرض كان ترابا أو رملا أو حجارة؛ فأجاز التيمم بذلك كله، وهو عند الشافعي التراب لا غير، والطيب هنا الطاهر، واختلف في التيمم بالمعادن كالذهب وبالملح وبالتراب المنقول كالمجعول في طبق وبالأجر وباللص المطبوخ وبالجدار وبالنبات الذي على وجه الأرض، وذلك كله على الاختلاف في معنى الصعيد. ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ لا يكون التيمم إلا في هذين العضوين، ويقدم الوجه على اليدين لظاهر الآية، وذلك على الندب عند مالك، ويستوعب الوجه بالمسح، وأما اليدين فاختلف هل يمسحهما إلى الكوعين أو إلى المرفقين؟ ولفظ الآية محتمل لأنه لم يحد، وقد احتج من قال إلى المرفقين بأن هذا مطلق فيحمل على المقيد وهو تحديدها في الوضوء بالمرفقين. ﴿الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ هم اليهود هنا، وفي الموضع الثاني. قال السهيلي: فالموضع الأول نزل في رفاة بن زيد بن تابوت، وفي الثاني نزل في كعب بن الأشرف. ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالََةَ﴾ عبارة عن إثارة الكفر على الإيمان، فالشراء مجاز، كقوله ﴿اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهَدَىٰ﴾، وفي تكرار قوله: ﴿كَفَىٰ بِاللَّهِ﴾ مبالغة. ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ "من" راجعة إلى "الذين أوتوا نصيبا"، أو إلى "أعدائكم" فهي بيان، وقال الفارسي: هي ابتداء كلام، تقديره: من الذين هادوا قوم، وقيل: هي متعلقة بـ"نصيرا" وهو ضعيف، ويوقف على "نصيرا" على قول الفارسي.

وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا  
 سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا  
 قَلِيلًا ﴿١٧﴾ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ  
 وُجُوهًا فَتَرُدَّهَا عَلَى أَدْبِرِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ ﴿١٨﴾ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿١٩﴾ إِنَّ اللَّهَ  
 لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٢١﴾

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ يحتمل تحريف اللفظ أو المعنى، وقيل: "الكلم" هنا التوراة، وقيل: كلام النبي ﷺ. ﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ معناه لا سمعت. ﴿وَرَاعِنَا﴾ ذكر في البقرة. ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ عوض من قولهم "سمعنا وعصينا"، ﴿وَاسْمَعْ﴾ عوض من قولهم "اسمع غير مسمع" ﴿وَانظُرْنَا﴾ عوض من قولهم "راعنا" وهو من النظر أو الانتظار؛ فهذه الأشياء الثلاثة مقابلة الأشياء الثلاثة التي ذمهم على قولها، لما فيها من سوء الأدب مع رسول الله ﷺ، وأخبر أنهم لو قالوا هذه الثلاثة الأخر عوضا عن تلك ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾، فإن هذه ليس فيها سوء أدب. ﴿مُصَدِّقًا﴾ ذكر في البقرة. ﴿أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا﴾ قال ابن عباس ؓ: طمسها أن تزال العينان منها وترد في القفا، فيكون ذلك ردا على الدبر، وقيل: طمسها محو تخطيط صورها من أنف وعين وحاجب حتى تصير كالإدبار في خلوها عن الحواس. ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ أي: نمسخهم كما مسخ ﴿أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ وقد ذكر في البقرة، أو يكون من اللعن المعروف، والضمير يعود على الوجوه، والمراد أصحابها، أو يعود على "الذين أوتوا الكتاب" على الالتفات. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ هذه الآية هي الحاكمة في مسألة الوعيد، وهي المبينة لما تعارض فيها من الآيات، وهي الحجة لأهل السنة، والقاطعة بالخوارج والمعتزلة والمرجئة، وذلك أن مذهب أهل السنة: أن العصاة من المؤمنين في مشيئة الله، إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم، وحثهم هذه الآية؛ فإنها نص في هذا المعنى، ومذهب الخوارج: أن العصاة يعذبون، سواء كانت ذنوبهم صغائر أو كبائر، ومذهب المعتزلة: أنهم يعذبون على الكبائر ولا بد، ويرد على الطائفتين قوله "ويغفر ما دون ذلك"، ومذهب المرجئة: أن العصاة كلهم يغفر لهم ولا بد، وأنه لا يضر ذنب مع الإيمان، ويرد عليهم قوله "لمن يشاء"؛ فإنه تخصيص لبعض العصاة، وقد تأولت المعتزلة الآية على مذهبهم، فقالوا "لمن يشاء" هو التائب؛ فإن التائب لا خلاف أنه لا يعذب، وهذا التأويل بعيد؛ لأن قوله "إن الله لا يغفر أن يشرك به" في غير التائب من الشرك، وكذلك قوله "ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" في غير التائب من العصيان؛ ليكون أول الآية وآخرها على نسق واحد، وتأولتها المرجئة على مذهبهم فقالوا "لمن يشاء" معناه: لمن يشاء أن يؤمن، وهذا أيضا بعيد لا يقتضيه اللفظ، وقد ورد في القرآن آيات كثيرة في الوعيد، فحملها المعتزلة على العصاة، وحملها المرجئة على الكفار، وحملها أهل السنة على الكفار، وعلى من لا يغفر الله له من العصاة، كما حملوا آية الوعد على

أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يُزُكُّونَ أَنفُسَهُمْ ۗ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿١٧﴾ أَنْظَرَ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۖ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿١٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن نَّجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٢١﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ۖ وَءَاتَيْنَاهُم مَّلَكًا عَظِيمًا ﴿٢٢﴾

المؤمنين الذين لم يذنبوا، وعلى المذنبين التائبين، وعلى من يغفر الله له من العصاة غير التائبين، فعلى مذهب أهل السنة لا يبقى تعارض بين آيات الوعد وآية الوعيد؛ بل يجمع بين معانيها، بخلاف قول غيرهم، فإن الآيات فيها تتعارض. وتلخيص المذاهب أن الكافر إذا تاب من كفره غفر له بإجماع، وإن مات على كفره لم يغفر له وخلد في النار بإجماع، وأن العاصي من المؤمنين إن تاب غفر له، وإن مات دون توبة فهو الذي اختلف الناس فيه. ﴿الَّذِينَ يُزُكُّونَ أَنفُسَهُمْ﴾ هم اليهود، وتركبتهم قولهم ﴿تَحْنُ أُنْبَاءُ اللَّهِ وَأَجْبَاؤُهُ﴾، وقيل: مدحهم لأنفسهم. ﴿فَتِيلًا﴾ الفتيل هو الخيط الذي في شق نواة التمرة، وقيل: ما يخرج بين إصبعيك وكفيك إذا فلتتها، وهو تمثيل وعبارة عن أقل الأشياء فيدل على الأكثر بطريق الأولى. ﴿يَفْتَرُونَ﴾ دليل على أن تركبتهم لأنفسهم بالباطل. ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ قال ابن عباس ؓ: "الجبت" هنا هو حيي بن أخطب "والطاغوت" كعب بن الأشرف، وقال عمر بن الخطاب ؓ: "الجبت" السحر، "والطاغوت" الشيطان، وقيل: "الجبت" الكاهن، "والطاغوت" الساحر، وبالجملة هما كل ما عبد أو أطيع من دون الله. ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية، سببها أن حيي بن أخطب أو كعب بن الأشرف أو غيرهما من اليهود قالوا لكفار قريش: أنتم أهدى سبيلا من محمد وأصحابه. ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ﴾ الهزمة للاستفهام مع الإنكار. ﴿نَقِيرًا﴾ النقيير هو النقرة في ظهر النواة، وهو تمثيل وعبارة عن أقل الأشياء، والمراد: وصف اليهود بالبخل لو كان لهم نصيب من الملك، وأنهم حينئذ يبخلون بالنقيير الذي هو أقل الأشياء، ويبخلون بما هو أكثر منه من باب أولى. ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ وصفهم بالحسد مع البخل، و"الناس" هنا يراد بهم النبي ﷺ وأمته، والفضل النبوة، وقيل: النصر والعزة، وقيل: "الناس" العرب، والفضل كون النبي ﷺ منهم. ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ المراد بـ"آل إبراهيم" ذريته من بني إسرائيل وغيرهم ممن آتاه الله الكتب التي أنزلها والحكمة التي علمها، والقصد بالآية: الرد على اليهود في حسدكم لمحمد ﷺ، ومعناها إلزام لهم بما عرفوه من فضل الله تعالى على آل إبراهيم، فلا شيء تخصون محمدا ﷺ بالحسد دون غيره ممن أنعم الله عليهم. ﴿مَّلَكًا عَظِيمًا﴾ الملك في

فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا  
سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ  
كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٩١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا  
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا هُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٩٢﴾ \* إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ  
أَنْ تَوَدُّوا آلَ مَنْتَبِتٍ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا  
يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ  
وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٩٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ  
إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ  
الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٩٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ  
رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٩٦﴾

آل إبراهيم هو ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام. ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ﴾ الآية، قيل: المراد من اليهود  
من آمن بالنبي ﷺ، أو بالقرآن المذكور في قوله: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾، أو بما ذكر من حديث إبراهيم، فهذه  
ثلاثة أوجه في ضمير "به"، وقيل: "منهم" أي: من آل إبراهيم من آمن بإبراهيم، و"منهم" من كفر بقوله: ﴿فَمِنْهُمْ  
مُتَّهَدٍ وَكَبِيرٍ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾. ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ﴾ الآية، قيل: تبدل لهم جلود بعد جلود آخر؛ إذ  
نفوسهم هي المعذبة، وقيل: تبدل الجلود تغيير صفاتها بالنار، وقيل: الجلود السراويل؛ وهو بعيد. ﴿أَزْوَاجٌ  
مُّطَهَّرَةٌ﴾ ذكر في البقرة. ﴿ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ صفة من لفظ الظل للتأكيد؛ أي: دائما لا تنسخه الشمس، وقيل: بقي  
الحر والبرد. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ الآية، قيل: هي خطاب للولاية، وقيل: للنبي ﷺ حين أخذ مفتاح الكعبة من  
عثمان بن طلحة، ولفظها عام، وكذلك حكمها. ﴿وَأُولَى الْأَمْرِ﴾ هم الولاية، وقيل: العلماء، ونزلت في عبد الله بن  
حذافة رضي الله عنه رسول الله ﷺ في سرية. ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ الرد إلى الله هو النظر في كتابه، والرد إلى  
الرسول ﷺ هو سؤاله في حياته، والنظر في سنته بعد وفاته. ﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾ يحتمل أن يكون هذا الشرط راجعا  
إلى قوله "فردوه"، أو إلى قوله "أطيعوا"، والأول أظهر لأنه أقرب إليه. ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أي: مآلا وعاقبة،  
وقيل: أحسن نظرا منكم. ﴿الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ الآية، نزلت في المنافقين، وقيل: في منافق ويهودي كان بينهما  
خصومة فتحاكما إلى كعب بن الأشرف اليهودي، وقيل: إلى كاهن. ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ﴾ وضع الظاهر

فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ تَخَلِّفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا  
 وَتَوْفِيقًا ﴿١٢﴾ أَوْلَيْكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي  
 أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿١٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا  
 أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ فَلَا  
 وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا  
 قَضَيْتَ وَوَسَلِمُوا تَسْلِيمًا ﴿١٥﴾ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ  
 مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ﴿١٦﴾  
 وَإِذَا لَا تَأْتِنَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ  
 وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ

موضع المضمير ليدمهم بالنفاق، ودل ذلك على أن الآية المتقدمة نزلت في المنافقين. ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ  
 مُصِيبَةٌ﴾ الآية، أي: كيف يكون حالهم إذا عاقبهم الله بذنوبهم ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ﴾ يحتمل أن يكون هذا معطوفا  
 على ما قبله، أو يكون معطوفا على قوله "يصدون"، ويكون قوله "فكيف إذا أصابتهم" اعتراضا. ﴿فَأَعْرِضْ  
 عَنْهُمْ﴾ أي: عن معاقبتهم، وليس المراد بالإعراض القطيعة؛ لقوله ﴿وَعِظْهُمْ﴾. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا  
 أَنْفُسَهُمْ﴾ الآية، وعد بالمغفرة لمن استغفر، وفيه استدعاء للاستغفار والتوبة، ومعنى ﴿جَاءُوكَ﴾ أتوك تائين  
 معترزين من ذنوبهم يطلبون أن تستغفر لهم الله. ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ "لا" هنا مؤكدة للنفي الذي بعدها. ﴿شَجَرَ  
 بَيْنَهُمْ﴾ أي: اختلطوا واختلوا فيه، ومعنى الآية: أنهم لا يؤمنون حتى يرضوا بحكم النبي ﷺ، ونزلت بسبب  
 المنافقين الذين تخاصموا، وقيل: بسبب خصام الزبير ؓ مع رجل من الأنصار في الماء، وحكمها عام. ﴿وَلَوْ  
 أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ الآية، معناها لو فرض عليهم ما فرض على من كان قبلهم من المشقات لم يفعلوها، لقلة  
 انقيادهم، إلا القليل منهم الذين هم مؤمنون حقا، وقد روي أن من هؤلاء القليل أبو بكر وعمر وابن مسعود  
 وعمار بن ياسر وثابت بن قيس ؓ. ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ بالرفع بدل من المضمير، وقرأ ابن عامر وحده بالنصب  
 على أصل الاستثناء، أو على إلا فعلا قليلا. ﴿مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ من اتباع النبي ﷺ وطاعته والانقياد له. ﴿أَشَدَّ  
 تَثْبِيثًا﴾ أي: تحقيقا لإيمانهم. ﴿وَإِذَا لَا تَأْتِنَاهُمْ﴾ جواب لسؤال مقدر عن حالهم لو فعلوا ذلك. ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ  
 الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ ثواب على الطاعة؛ أي: هم معهم في الجنة، وهذه الآية مفسرة لقوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ  
 أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، والصدق: فعيل من الصدق، أو من التصديق، والمراد به المبالغة، والصدقون أرفع الناس



وَحَسَنَ أَوْلِيَّتِكَ رَفِيقًا ﴿٦٥﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنْ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٦٦﴾ يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ  
 ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ  
 فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شُهَدَاءَ ﴿٦٨﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ  
 فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلْبِئْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا  
 عَظِيمًا ﴿٦٩﴾ \* فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ  
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ  
 اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ  
 هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧١﴾

درجة بعد الأنبياء، والشهداء المقتولون في سبيل الله، ومن جرى مجراهم من سائر الشهداء، كالغريق وصاحب  
 الهدم، حسبما ورد في الحديث أنهم سبعة. ﴿وَحَسَنَ أَوْلِيَّتِكَ رَفِيقًا﴾ الإشارة إلى الأصناف الأربعة المذكورة،  
 والرفيق يقع على الواحد والجماعة كالخليط، وهو مفرد بين به الجنس، ومعنى الكلام إخبار واستدعاء للطاعة  
 التي ينال بها مرافقة هؤلاء. ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ﴾ الإشارة إلى الثواب على الطاعة بمرافقة من ذكر في الجنة، و"الفضل"  
 صفة أو خبر. ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ أي: تحرزوا من عدوكم واستعدوا له. ﴿فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ﴾ أي: اخرجوا للجهاد  
 جماعات مفترقين، وذلك كناية عن السرايا، وقيل: إن "الثبات" ما فوق العشرة، ووزنها فعلة بفتح العين ولاهما  
 محذوفة. ﴿أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ أي: مجتمعين في الجيش الكثيف، فخيرهم في الخروج إلى الغزو في قلة أو كثرة. ﴿وَإِنَّ  
 مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾ الخطاب للمؤمنين، والمراد به المنافقون، وعبر عنهم "بمنكم" إذ هم يزعمون أنهم من المؤمنين  
 ويقولون آمننا، واللام في "لمن" للتأكيد، وفي "ليبطئن" جواب قسم محذوف، ومعناه يبطئ غيره أي: يشبطه عن  
 الجهاد ويحمله على التخلف عن الغزو، وقيل: يبطئ يتخلف هو عن الغزو ويتناقل. ﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ﴾  
 أي: قتل وهزيمة، والمعنى: أن المنافق تسره غيبته عن المؤمنين إذا هزموا، و﴿شُهَدَاءَ﴾ معناه حاضر معهم. ﴿وَلَئِنْ  
 أَصَابَكُمْ فَضْلٌ﴾ أي: نصر وغنيمة، والمعنى: أن المنافق يندم على ترك الغزو معهم إذا غنموا فيتمنى أن يكون  
 معهم. ﴿كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ جملة اعتراض بين القول ومعموله فلا يجوز الوقف عليها، وهذه  
 المودة في ظاهر المنافق لا في اعتقاده. ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ﴾ أي: يبيعون ﴿فَيُقَاتِلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ ذكر الحالتين للمقاتل،  
 ووعد بالأجر على كل واحدة منهما. ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ﴾ تحريض على القتال، "وما" مبتدأ، والمجرور خبر،  
 و"لا تقاتلون" في موضع الحال. ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ هم الذين حبسهم شركوا قريش بمكة ليفتنوهم عن  
 الإسلام، وهو عطف على اسم "الله"، أو مفعول معه. ﴿الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ هي مكة حين كانت للمشركين.

الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ فَآمَنُوا عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ تَحَشَّوْنَ النَّاسَ كَحَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ حَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعَ الدُّنْيَا قَلِيلًا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ

﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وما بعده إخبار قصد به تقوية قلوب المسلمين، وتحريضهم على القتال. ﴿الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ الآية، قيل: هي في قوم من الصحابة كانوا قد أمروا بالكف عن القتال قبل أن يفرض الجهاد، فتمنوا أن يؤمروا به، فلما أمروا به كرهوه، لا شكا في دينهم، ولكن خوفا من الموت، وقيل: هي في المنافقين؛ وهو أليق بسياق الكلام. ﴿مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ تحقير للدنيا يتضمن ردا عليهم في كراهتهم الموت. ﴿فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ أي: في حصون منيعة، وقيل: الـ"مشيدة" المطولة، وقيل: المبنية بالشيد وهو الجص. ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾ الآية، الـ"حسنة" هنا النصر والغنيمة وشبه ذلك من المحبوبات، والـ﴿سَيِّئَةٌ﴾ الجوع والهزيمة وشبه ذلك، والضمير في "تصيبهم"، وفي "يقولون" الـ"الذين قيل لهم كفوا أيديكم"، وهذا يدل على أنها في المنافقين؛ لأن المؤمنين لا يقولون للنبي ﷺ إن السيئات من عنده. ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ رد على من نسب السيئة إلى رسول الله ﷺ، وإعلام أن الحسنه والسيئة، والخير والشر، من عند الله، أي: بقضائه وقدره. ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ﴾ توبيخ لهم على قلة فهمهم. ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ، والمراد به كل مخاطب على الإطلاق، فدخل فيه غيره من الناس، وفيه تأويلان؛ أحدهما: نسبة الحسنه إلى الله، والسيئة إلى العبد تأدبا مع الله في الكلام، وإن كان كل شيء منه في الحقيقة، وذلك كقوله ﷺ: «والخير كله بيديك والشر ليس إليك» [مسلم: 7481]. وأيضا فنسبة السيئة إلى العبد لأنها بسبب ذنوبه لقوله: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، فهي من العبد بتسببه فيها ومن الله بالخلقة والاختراع، والثاني: أن هذا من كلام القوم المذكورين قبل، والتقدير: يقولون كذا، فمعناها كمنعني التي قبلها. ﴿مَّن يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ هذه الآية من

وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ۗ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۖ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ ۗ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ۗ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۗ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ

فضائل رسول الله ﷺ، وإنما كانت طاعته كطاعة الله؛ لأنه يأمر وينهى عن الله. ﴿وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ أي: من أعرض عن طاعتك فما أنت عليه بحفيظ تحفظ أعماله، بل حسابه وجزاؤه على الله، وفي هذا متاركة وموادعة منسوخة بالقتال. ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾ أي: أمرنا وشأننا طاعة لك، وهي في المنافقين بإجماع. ﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ "بيت" أي: دبر الأمر بالليل، والضمير في "تقول" للمخاطب، وهو النبي ﷺ، أو للطائفة. ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: لا تعاقبهم. ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ﴾ حض على التفكير في معانيه لتظهر أدلته وبراهينه. ﴿اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ أي: تناقضا كما في كلام البشر، أو تفاوتاً في الفصاحة، لكن القرآن منزّه عن ذلك، فدل على أنه كلام الله، وإن عرضت لأحد شبهة وظن اختلافاً في شيء من القرآن، فالواجب أن يتهم نظره، ويسأل أهل العلم ويطلع تواليهم حتى يعلم أن ذلك ليس باختلاف. ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ قيل: هم المنافقون، وقيل: قوم من ضعفاء المسلمين كانوا إذا بلغهم خبر عن السرايا والجيوش وغير ذلك "أذاعوا به" أي: تكلموا به وشهروه قبل أن يعلموا صحته، وكان في إذاعتهم له مفسدة على المسلمين، مع ما في ذلك من العجلة، وقلة التثبت، فأنكر الله عليهم ذلك. ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ أي: لو ترك هؤلاء القوم الكلام بذلك الأمر الذي بلغهم، وردوه إلى رسول الله ﷺ وإلى أولي الأمر منهم، وهم كبراء الصحابة وأهل البصائر منهم؛ لعلمه القوم الذين يستنبطونه؛ أي: يستخرجونه من الرسول وأولي الأمر؛ فالذين يستنبطونه" على هذا طائفة من المسلمين، يسألون عنه الرسول عليه الصلاة والسلام وأولي الأمر، وحرف الجر في قوله "يستنبطونه منهم" لا ابتداء الغاية، وهو يتعلق بالفعل، والضمير المجرور يعود على "الرسول وأولي الأمر"، وقيل "الذين يستنبطونه" هم أولوا الأمر كما جاء في الحديث عن عمر ؓ أنه سمع أن رسول الله ﷺ طلق نساءه، فدخل عليه فقال: أطلقت نساءك؟ فقال: "لا" فقام على باب المسجد، فقال: إن رسول الله ﷺ لم يطلق نساءه، فأنزل الله هذه القصة. قال: وأنا الذي استنبطته. [مسلم: 4673]. فعلى هذا "يستنبطونه" هم أولوا الأمر، والضمير المجرور يعود عليهم، و"منهم" لبيان الجنس، واستنباطه على هذا هو بسؤالهم النبي ﷺ أو بالنظر والبحث، واستنباطه على التأويل الأول؛ هو بسؤال الذين أذاعوه للرسول عليه الصلاة والسلام ولأولي الأمر.

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٣٨﴾ فَكَتَلَبُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكُلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۗ وَحَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۗ وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٣٩﴾ مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا ۗ وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا حُيِّمَتْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٤١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ۖ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَتَيْنِ

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ أي: هداه وتوفيقه، أو بعثه للرسول وإنزاله للكتب، والخطاب في الآية للمؤمنين. ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: إلا اتباعا قليلا؛ فالاستثناء من المصدر، والمعنى لولا فضل الله ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا في أمور قليلة كنتم لا تتبعونه فيها، وقيل: إنه استثناء من الفاعل في "اتبعتهم" أي: إلا قليلا منكم، وهم الذين كانوا قبل الإسلام غير متبعين للشيطان كورقة بن نوفل، والفضل والرحمة على هذا بعث الرسول وإنزال الكتاب، وقيل: الاستثناء من قوله "أذاعوا به". ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ لما تناقل بعض الناس عن القتال قيل هذا للنبي ﷺ أي: إن أفردوك فقاتل وحدك فإنما عليك ذلك. ﴿وَحَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ليس عليك في شأن المؤمنين إلا التحريض. ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قيل: عسى من الله واجبة، و"الذين كفروا" هنا قريش، وقد كفهم الله بهزيمتهم في بدر وغيرها وافتتح مكة. ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ أي: عقابا وعذابا. ﴿شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾ هي الشفاعة في مسلم؛ لتفرج عنه كربة أو ترفع مظلمة، أو تجلب إليه خيرا، والشفاعة السيئة بخلاف ذلك، وقيل: الشفاعة الحسنة؛ هي الطاعة، والشفاعة السيئة؛ هي المعصية، والأول أظهر، والكفل هو النصيب. ﴿مُقْتَدِرًا﴾ قيل: قديرا، وقيل: حفيظا، وقيل: الذي يقيت الحيوان؛ أي يرزقهم القوت. ﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ معنى ذلك الأمر برد السلام، والتخيير بين أن يرد بمثل ما سلم عليه أو بأحسن منه والأحسن أفضل؛ مثل أن يقال له: سلام عليك، فيرد السلام ويزيد الرحمة، أو يزيد الرحمة والبركة، ورد السلام واجب على الكفاية عند مالك والشافعي، وقال بعض الناس: هو فرض عين، واختلف في الرد على الكفار؛ فقيل: يرد عليهم لعموم الآية، وقيل: لا يرد عليهم، وقيل: يقال لهم «عليكم» حسبما جاء في الحديث [البخاري: 6042] وهو مذهب مالك، ولا يبتدؤون بالسلام. ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ جواب قسم محذوف، وتضمن معنى الحشر ولذلك تعدى ب"إلى". ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ﴾ لفظه استفهام ومعناه: لا أحد أصدق من الله. ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَتَيْنِ﴾ "ما" استفهامية بمعنى التوبيخ، والخطاب للمسلمين، ومعنى "فتنتين" أي: طائفتين مختلفتين، وهو منصوب على الحال، والمراد ب"المنافقين" هنا ما قال ابن عباس ؓ: أنها

وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا ۖ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۖ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٢٤﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ ۖ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ ۖ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وُليَاءَ وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ۖ وَأَنْ يُقَاتِلُوكُمْ ۖ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ۚ فَإِنْ آعَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ ۖ وَالْقَوَا إِلَىٰ كُمْ ۖ السَّلَامَ ۖ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿١٢٦﴾ سَتَجِدُونَ ۖ آخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ ۚ كُلٌّ مَا رَدُّوْا إِلَىٰ الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا ۚ فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ

نزلت في قوم كانوا بمكة مع المشركين، فزعموا أنهم آمنوا ولم يهاجروا، ثم سافر قوم منهم إلى الشام بتجارا، فاختلف المسلمون؛ هل يقاتلونهم ليغنموا تجارتهم لأنهم لم يهاجروا، أو هل يتركونهم لأنهم مؤمنون؟ وقال زيد بن ثابت رضي الله عنه: نزلت في المنافقين الذين رجعوا عن القتال يوم أحد؛ فاختلف الصحابة في أمرهم، ويرد هذا قوله: ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾. ﴿أَرْكَسَهُمْ﴾ أي: أضلهم وأهلكهم. ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ الضمير لـ "المنافقين" أي: تمنوا أن تكفروا. ﴿فَخُذُوهُمْ﴾ يريد به الأسر. ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ الآية، استثناء من قوله: "فخذوهم واقتلوهم"، ومعناها: أن من وصل من الكفار غير المعاهدين إلى الكفار المعاهدين، وهم الذين بينهم وبين المسلمين عهد ومهادنة، فحكمه كحكمهم في المسالمة وترك القتال، وكان ذلك في أول الإسلام، ثم نسخ بالقتال في سورة براءة. قال السهيلي وغيره: "الذين يصلون" هم بنو مدلج ابن كنانة. ﴿إِلَىٰ قَوْمِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ بنو خزاعة، فدخل بنو مدلج في صلح خزاعة مع رسول الله ﷺ، فمعنى "يصلون إلى قوم" يتتهون إليهم ويدخلون فيما دخلوا فيه من المهادنة، وقيل: معنى "يصلون": يتتسبون؛ وهذا ضعيف جدا، بدليل قتال رسول الله ﷺ لقريش وهم أقاربه وأقارب المؤمنين، فكيف لا يقاتل أقارب الكفار المعاهدين. ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ عطف على "يصلون" أو على صفة قوم؛ وهي "بينكم وبينهم ميثاق" والمعنى يختلف على ذلك، والأول أظهر، و"حصرت صدورهم" في موضع الحال، بدليل قراءة يعقوب "حصرة" ومعناه: ضاقت عن القتال وكرهته، ونزلت في قوم جاؤوا إلى المسلمين وكرهوا أن يقاتلوا المسلمين، وكرهوا أيضا أن ﴿يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ وهم أقاربهم الكفار، فأمر الله بالكف عنهم، ثم نسخ ذلك أيضا بالقتال. ﴿فَإِنْ آعَزَلُوكُمْ﴾ أي: سالوكم فلا تقاتلوهم، و﴿السَّلَامَ﴾ هنا الانقياد. ﴿سَتَجِدُونَ ۖ آخِرِينَ﴾ الآية، نزلت في قوم مخادعين، وهم من أسد وغطفان، كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا؛ ليأمنوا المسلمين، فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا؛ ليأمنوا قومهم و﴿الْفِتْنَةَ﴾ هنا الكفر على الأظهر، وقيل: الاختبار.

وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا  
لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا  
خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهَا إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ  
عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِيثَاقٌ

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ﴾ نزلت بسبب قتل عياش بن ربيعة للحارث بن زيد، وكان  
الحارث يعذبه على الإسلام، ثم أسلم وهاجر ولم يعلم عياش بإسلامه فقتله. وقيل: إن الاستثناء هنا منقطع،  
والمعنى: لا يحل لمؤمن أن يقتل مؤمنا بوجه، لكن الخطأ قد يقع، والصحيح أنه متصل؛ والمعنى: لا ينبغي  
لمؤمن ولا يليق به أن يقتل مؤمنا إلا على وجه الخطأ من غير قصد ولا تعمد، إذ هو مغلوب فيه، وانتصاب  
"خطأ" على أنه مفعول من أجله، أو حال، أو صفة لمصدر محذوف. ﴿ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ  
مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ ﴾ هذا بيان ما يجب على القاتل خطأ، فأوجب الله عليه التحرير والدية؛ فأما التحرير ففي مال  
القاتل، وأما الدية ففي مال عاقلته، وجاء ذلك عن النبي ﷺ وهو بيان للآية؛ إذ لفظها يحتمل ذلك وغيره،  
وأجمع الفقهاء عليه، واشترط مالك في الرقبة التي تعتق أن تكون "مومنة" ليس فيها عقد من عقود الحرية  
سائلة من العيوب؛ فأما إيمانها فنص هنا، ولذلك أجمع العلماء عليه هنا، واختلفوا في رقبة الظهار وكفارة  
اليمين، وأما سلامتها من عقود الحرية فيظهر من قوله "فتحرير رقبة"؛ لأن ظاهره أنه ابتداء عتق عند التكفير  
بها، وأما سلامتها من العيوب فزعموا أن إطلاق الـ"رقبة" يقتضيه؛ وفي ذلك نظر، ولم يبين في الآية مقدار  
الدية، وهي عند مالك مائة من الإبل على أهل الإبل، وألف دينار شرعية على أهل الذهب، واثنان عشر ألف  
درهم شرعية على أهل الورق، وروي ذلك عن عمر بن الخطاب ؓ. ﴿ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ أي: مدفوعة  
إليهم، والأهل هنا الورثة، واختلف في مدة تسليمها؛ فقيل: هي حالة عليهم، وقيل: يؤدونها في ثلاث سنين،  
وقيل: في أربع؛ ولفظ التسليم مطلق، وهو أظهر في الحلول، لولا ما جاء من السنة في ذلك. ﴿ إِلَّا أَنْ  
يَصَّدَّقُوا ﴾ الضمير يعود على أولياء المقتول، أي: إذا أسقطوا الدية سقطت، وإذا أسقطها المقتول سقطت  
أيضا عند مالك والجمهور خلافا لأهل الظاهر، وحجتهم عود الضمير على الأولياء، وقال الجمهور: إنما  
هذا إذا لم يسقطها المقتول. ﴿ فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ﴾ معنى الآية: أن  
المقتول خطأ إن كان مؤمنا وقومه كفار أعداء وهم المحاربون، فإنما في قتله التحرير خاصة دون الدية، فلا  
تدفع لهم لثلا يتقوا بها على المسلمين، ورأى ابن عباس ؓ أن ذلك إنما هو فيمن آمن وبقي في دار الحرب لم  
يهاجر، وخالفه غيره، ورأى مالك أن الدية في هذا لبيت المال؛ فالآية عنده منسوخة. ﴿ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ  
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ﴾ الآية، معناها: أن المقتول خطأ إن كان قومه كفارا معاهدين، ففي قتله تحرير رقبة،

فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ، وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ۖ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً  
مِّنَ اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٥١﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا  
فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٥٢﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ  
فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ أَلْسَلِمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا

والدية إلى أهله؛ لأجل معاهدتهم، والمقتول على هذا مؤمن؛ ولذلك قال مالك: لا كفارة في قتل الذمي،  
وقيل: إن المقتول في هذه الآية كافر، فعلى هذا تجب الكفارة في قتل الذمي، وقيل: هي عامة في المؤمن  
والكافر، ولفظ الآية مطلق إلا أن قيده قوله "وهو مؤمن" في الآية التي قبلها، وقرأ الحسن هنا "وهو مؤمن".  
﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾ أي: من لم يجد العتق ولم يقدر عليه، فصيام الشهرين المتتابعين عوض منه.  
﴿تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ منصوب على المصدر، ومعناه: رحمة منه وتخفيفا. ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ  
خَالِدًا فِيهَا﴾ الآية، نزلت بسبب مقيس بن صبابه، كان قد أخذ دية أخيه هشام المقتول خطأ، ثم قتل رجلا  
من القوم الذين قتلوا أخاه وارثا مشركا، فأمر رسول الله ﷺ بقتله، والمتعمد عند الجمهور: هو الذي يقصد  
القتل بحديد أو حجر أو عصا أو غير ذلك. وهذه الآية معضلة على مذهب الأشعرية وغيرهم ممن يقول لا يخلد  
عصاة المؤمنين في النار، واحتج بها المعتزلة وغيرهم ممن يقول بتخليد العصاة في النار؛ لقوله "خالدا فيها"،  
وتأولها الأشعرية بأربعة أوجه؛ أحدها: أن قالوا إنها في الكافر إذا قتل مؤمنا، والثاني: قالوا معنى المتعمد هنا:  
المستحل للقتل وذلك يؤول إلى الكفر، والثالث: قالوا الخلود فيها ليس بمعنى الدوام الأبدي، وإنما هو  
عبارة عن طول المدة، والرابع: أنها منسوخة بقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ  
يَشَاءُ﴾. وأما المعتزلة فحملوها على ظاهرها ورأوا أنها ناسخة لقوله "ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" واحتجوا  
على ذلك بقول زيد بن ثابت ؓ: نزلت الشديدة بعد الهينة، ويقول ابن عباس ؓ: الشرك والقتل من مات  
عليها خلد، ويقول رسول الله ﷺ: «كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرا والرجل يقتل المؤمن  
متعمدا» [أبوداود: 4272]. وتقتضي الآية وهذه الآثار أن للقتل حكما يخصه من بين سائر المعاصي، واختلف  
الناس في القاتل عمدا إذا تاب هل تقبل توبته أم لا؟ وكذلك حكى ابن رشد الخلاف في القاتل إذا اقتص  
منه، هل يسقط عنه العقاب في الآخرة أم لا؟. والصحيح أنه يسقط عنه لقول رسول الله ﷺ: «من أصاب ذنبا  
فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة» [البخاري: 81]، وبذلك قال جمهور العلماء. ﴿ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: سافرتم  
في الجهاد. ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ من البيان، وقرئ بالثاء المثلثة من الثبات، والتفعل فيها بمعنى الاستفعال؛ أي: اطلبوا  
بيان الأمر وثبوته. ﴿أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ﴾ بغير ألف أي: انقاد وألقى بيده، وقرئ "السلام" بمعنى التحية،  
ونزلت في سرية لقيت رجلا فسلم عليهم وقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فحمل عليه أحدهم فقتله،

تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٠٤﴾ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٠٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿١٠٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا ﴿١٠٩﴾ \*

فشق ذلك على رسول الله ﷺ، وكان القاتل محلم بن جثامة، والمقتول عامر بن الأضبط، وقيل: القاتل: أسامة ابن زيد، والمقتول مرداس بن نبيك. ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني الغنيمة؛ وكان للرجل المقتول غنم. ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ﴾ وعد وتزهد في غنيمة من أظهر الإسلام. ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ﴾ قيل: معناه كنتم كفارا فهداكم الله للإسلام، وقيل: كنتم تخفون إيمانكم من قومكم. ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالعزة والنصر حتى أظهرتموه. ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾ الآية: معناها تفضيل المجاهدين على من لم يجاهد وهم القاعدون. ﴿غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ﴾ لما نزلت الآية قام ابن أم مكتوم الأعمى ﷺ فقال: يا رسول الله! هل من رخصة فإني ضير البصر؟ فنزل "غير أولي الضرر" وقرئ "غير" بالحركات الثلاث، بالرفع صفة للقاعدين، وبالنصب على الاستثناء أو الحال، وبالخفض صفة للمؤمنين. ﴿دَرَجَةً﴾ قيل: هي تفضيل على القاعدين من أهل العذر، والدرجات على القاعدين بغير عذر، وقيل: إن الدرجات مبالغة وتأکید "الدرجة". ﴿الْحُسْنَى﴾ الجنة. ﴿أَجْرًا﴾ منصوب على الحال من "درجات" أو على المصدرية من معنى "فضل"، وانتصب ﴿دَرَجَاتٍ﴾ على البدل من الأجر، أو بفعل مضمَر، وانتصب ﴿مَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ بإضمار فعلها، أي: غفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة. ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية: نزلت في قوم أسلموا بمكة ولم يهاجروا، فلما كان يوم بدر خرجوا مع الكفار فقتلوا منهم قيس بن الفاكه والحارث بن زمة وقيس بن الوليد بن المغيرة وعلي بن أمية بن خلف، ويحتمل "توفاهم" أن يكون ماضيا أو مضارعًا، وانتصب ﴿ظَالِمِينَ﴾ على الحال. ﴿قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ﴾ أي: في أي شيء كنتم من أمر دينكم؟. ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ اعتذار عن التوبيخ الذي وبخهم به الملائكة، أي: لم نقدر على الهجرة؛ وكان اعتذارا بالباطل. ﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً﴾ رد عليهم وتكذيب لهم في اعتذارهم. ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ أي:



وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٦٥﴾  
وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿١٦٦﴾

الذين كان استضعافهم حقا، قال ابن عباس رضي الله عنه: كنت أنا وأبي وأمي ممن عنى الله هذه الآية. ﴿مُرَاعِمًا﴾ أي: متحولا وموضعا يرغم عدوه بالذهاب إليه. ﴿وَسَعَةً﴾ أي: اتساع في الأرض، وقيل: في الرزق. ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: ثبت وصح. ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ﴾ الآية: حكمها على العموم، ونزلت في ضمرة ابن العيص رضي الله عنه، وكان من المستضعفين بمكة، وكان مريضا، فلما سمع ما أنزل الله في الهجرة، قال: أخرجوني فهبي له فراش فوضع عليه، وخرج فبات في الطريق. وقيل: نزلت في خالد بن حزام رضي الله عنه فإنه هاجر إلى أرض الحبشة، فنهشته حية في الطريق، فبات قبل أن يصل إلى أرض الحبشة. ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اختلف العلماء في تأويلها على خمسة أقوال؛ الأول: أنها في قصر الصلاة الرباعية إلى ركعتين في السفر، وأن ذلك لا يجوز إلا في حال الخوف على ظاهر الآية، وهو قول عائشة، وعثمان بن عفان رضي الله عنه. الثاني: أن الآية تقتضي ذلك، ولكن يؤخذ القصر في السفر دون الخوف من السنة، ويؤيد هذا حديث يعلى بن أمية رضي الله عنه قال: قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن الله يقول: "إن خفتهم" وقد أمن الناس؟ فقال: عجبت مما عجبت منه، فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: «صدقة تصدق بها الله عليكم فاقبلوا صدقته» [مسلم: 1605]. وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر في السفر وهو آمن. الثالث: أن قوله "إن خفتهم" راجع إلى قوله ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾ الآية التي بعد ذلك، والواو زائدة؛ وهذا بعيد. الرابع: أنها في صلاة الخوف على قول من يرى أن تصلي كل طائفة ركعة خاصة، قال ابن عباس رضي الله عنه: فرضت الصلاة في الحضر أربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة. الخامس: أنها في صلاة المسايقة، فالقصر على هذا هو من هيئة الصلاة كقوله ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَاتًا﴾، وإذا قلنا إنها في القصر في السفر، فظاهرها أن القصر رخصة والإتمام أفضل، وهو مذهب الشافعي، وقال مالك: القصر أفضل، وقيل: إنهما سواء، وأوجب أبو حنيفة القصر، وليس في لفظ الآية ما يدل على مقدار المسافة التي يقصر فيها؛ لأن قوله ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ معناه السفر مطلقا؛ ولذلك أجاز الظاهرية القصر في كل سفر طويل أو قصير، ومذهب مالك والشافعي؛ أن مسافة القصر ثمانية وأربعون ميلا، واحتجوا بآثار عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنه، وكذلك ليس في الآية ما يدل على تخصيص القصر بسفر القربة أو السفر المباح دون سفر المعصية؛ فإن لفظها مطلق في السفر، ولذلك أجاز أبو حنيفة القصر في سفر القربة وفي المباح وفي سفر المعصية، ومنعه مالك في

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَهُمْ فَإِذَا  
 سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا  
 حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَهُمْ ۗ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ  
 عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى

سفر المعصية، ومنعه ابن حنبل في المعصية وفي المباح. وللقصر أحكام لا تتعلق بالآية فأضربنا عن ذكرها،  
 والمراد بالفتنة في هذه الآية: القتال أو التعرض بما يكره. ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾ الآية، في صلاة الخوف؛  
 وظاهرها يقتضي أنها لا تصلى بعد رسول الله ﷺ؛ لأنه شرط كونه فيهم، وبذلك قال أبو يوسف، وأجازها  
 الجمهور بعده ﷺ؛ لأنهم رأوا أن الخطاب له يتناول أمته، وقد فعلها الصحابة بعده ﷺ. واختلف الناس في  
 صفة صلاة الخوف على عشرة أقوال؛ لاختلاف الأحاديث فيها، ولسنا نضطر إلى ذكرها، فإن تفسيرها لا  
 يتوقف على ذلك، وكانت صلاة رسول الله ﷺ لصلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع. ﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ  
 مَعَكَ﴾ يقسم الإمام المسلمين على طائفتين؛ فيصلي بالأولى نصف الصلاة، وتقف الأخرى تحرس، ثم يصلى  
 بالثانية بقية الصلاة، وتقف الأولى تحرس، واختلف؛ هل تتم كل طائفة صلاتها وهو مذهب الجمهور أم لا؟  
 وعلى القول بالإتمام اختلف هل يتمونها في أثر صلاتهم مع الإمام أو بعد ذلك؟. ﴿وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَهُمْ﴾  
 اختلف من المأمور بأخذ الأسلحة؟ فقيل: الطائفة المصلية، وقيل: الحارسة؛ والأول أرجح؛ لأنه قد قال بعد  
 ذلك في الطائفة الأخرى ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ ويدل ذلك على أنهم إن قوتلوا وهم في الصلاة  
 جاز لهم أن يقاتلوا من قاتلهم، وإلا لم يكن معنى لأخذ الأسلحة إذا لم يدفعا بها من قاتلهم. ﴿فَإِذَا سَجَدُوا  
 فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ﴾ الضمير في قوله "سجدوا" للمصلين، والمعنى: إذا سجدوا معك في الركعة الأولى،  
 وقيل: إذا سجدوا في ركعة القضاء، والضمير في قوله "فليكونوا من ورائكم" يحتمل أن يكون للذين سجدوا؛  
 أي: إذا سجدوا فليقوموا وليرجعوا وراءكم، وعلى هذا إن كان السجود هنا الركعة الأولى، فيقتضي ذلك  
 أنهم يقومون للحراسة بعد انقضاء الركعة الأولى، ثم يحتمل بعد ذلك أن يقضوا بقية صلاتهم أو لا يقضونها،  
 وإن كان السجود في ركعة القضاء، فيقتضي ذلك أنهم لا يقومون للحراسة إلا بعد القضاء؛ وهو مذهب  
 مالك والشافعي، ويحتمل أن يكون الضمير في قوله "فليكونوا" للطائفة الأخرى؛ أي: يقفون وراء المصلين  
 يجرسونهم في حال سجودهم. ﴿وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى﴾ يعني الطائفة الحارسة. ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية،  
 إخبار عما جرى في غزوة ذات الرقاع من عزم الكفار على الإيقاع بالمسلمين إذا اشتغلوا بصلاتهم، فنزل  
 جبريل على النبي ﷺ وأخبره بذلك، وشرعت صلاة الخوف؛ حذرا من الكفار، وفي قوله ﴿مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾  
 مبالغة؛ أي: مستأصلة لا يحتاج معها إلى ثانية. ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَى مِنْ مَطَرٍ﴾ الآية،

أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ ۗ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٣٧﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيلًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۗ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ ۗ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٣٩﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبِكَ اللَّهُ ۗ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ﴿١٤٠﴾ وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤١﴾ وَلَا تَجِدِ لِعَنِ الَّذِينَ يَحْتَمِلُونَ أَنْفُسَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ حَوَانًا أَيْمًا ﴿١٤٢﴾

نزلت بسبب عبد الرحمن بن عوف ؓ كان مريضاً فوضع سلاحه، فعنفه بعض الناس، فرخص الله في وضع السلاح في حال المرض والمطر، ويقاس عليها كل عذر يحدث في ذلك الوقت. ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ إن قيل: كيف طابق الأمر بالحذر للعذاب المهين؟ فالجواب: أن الأمر بالحذر من العدو يقتضي توهم قوتهم وعزتهم، فنفي ذلك الوهم بالإخبار أن الله يهينهم ولا ينصرهم لتقوى قلوب المؤمنين، قال ذلك الزمخشري، وإنما يصح ذلك إذا كان العذاب المهين في الدنيا، والأظهر أنه في الآخرة. ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾ الآية، أي: إذا فرغتم من الصلاة فاذكروا الله بألسنتكم، وذكر القيام والقعود وعلى الجنوب ليعم جميع أحوال الإنسان، وقيل: المعنى إذا تلبستم بالصلاة فافعلوها قياماً، فإن لم تقدرُوا فقعوداً، فإن لم تقدرُوا فعلى جنوبكم. ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: إذا اطمأننتم من الخوف فأقيموا الصلاة على هيئتها المعهودة. ﴿كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ أي: محدوداً بالأوقات، وقال ابن عباس ؓ: فرضاً مفروضاً. ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ أي: لا تضعفوا في طلب الكفار. ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا﴾ الآية، معناها: إن أصابكم ألم من القتال فكذلك يصيب الكفار ألم مثله، ومع ذلك فأنكم ترجون إذا قاتلتموهم النصر في الدنيا والأجر في الآخرة، وذلك تشجيع للمسلمين. ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ﴾ يحتمل أن يريد بالوحي، أو بالاجتهاد، أو بهما، وإذا تضمنت الاجتهاد؛ ففيها دليل على إثبات النظر والقياس خلافاً لمن منع ذلك من الظاهرية وغيرهم. ﴿وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾ نزلت الآية وما بعدها في قصة طعمة بن الأبيرق إذ سرق طعاماً وسلاحاً لبعض الأنصار، وجاء قومه إلى النبي ﷺ وقالوا: إنه بريء، ونسبوا السرقة إلى غيره، وظن رسول الله ﷺ أنهم صادقون، فجادل عنهم ليدفع ما نسب إليهم، حتى نزل القرآن فافتضحوا، فالخائون في الآية هم السراق بنو الأبيرق، وقال السهيلي: هم بشر وبشير ومبشر وأسير، ومعناها: لا تكن لأجل الخائنين محاصماً لغيرهم. ﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ أي: من خصامك عن الخائنين، على أنه ﷺ إنما تكلم على الظاهر وهو يعتقد براءتهم.

يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ وَإِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ<sup>٤</sup>  
 وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿٥﴾ هَاتُمُ هَتُولَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِلُ  
 اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا ﴿٦﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ  
 يَسْتَغْفِرِ اللَّهُ يَجِدِ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧﴾ وَمَنْ يَكْسِبِ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ<sup>٥</sup> وَكَانَ  
 اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٨﴾ وَمَنْ يَكْسِبِ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا  
 مُّبِينًا ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضْلُوكَ وَمَا يُضْلُونَ  
 إِلَّا أَنْفُسَهُمْ<sup>٦</sup> وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ<sup>٥</sup> وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ  
 تَكُن تَعْلَمُ<sup>٥</sup> وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١٠﴾ \* لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ  
 أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ<sup>٥</sup> وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ  
 فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١﴾ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ  
 غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ<sup>٦</sup> جَهَنَّمَ<sup>٦</sup> وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ  
 أَنْ يُشْرَكَ بِهِ<sup>٥</sup> وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ<sup>٥</sup> وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣﴾

﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ أي: يدبرون ليلاً، وإنما سُميَ التدبير قولاً؛ لأنه كلام النفس، وربما كان معه كلام باللسان. ﴿وَمَنْ  
 يَكْسِبُ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا﴾ قيل: إن الخطيئة تكون عن عمد وعن غير عمد، والإثم لا يكون إلا عن عمد، وقيل:  
 هما بمعنى، وكرر لاختلاف اللفظ. ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾ كان القوم قد نسبوا السرقة إلى لبيد بن سهل. ﴿لَهَمَّتْ  
 طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضْلُوكَ﴾ هم الذين جاؤوا إلى النبي ﷺ وأبرؤوا ابن الأبيرق من السرقة، وهذه الآية وإن كانت  
 إنما نزلت بسبب هذه القصة، فهي أيضاً تتضمن أحكام غيرها، وبقية الآية تشرى للنبي ﷺ وتقرير لنعم الله  
 عليه. ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ﴾ إن كانت النجوى هنا بمعنى الكلام الخفي، فالاستثناء الذي بعد هذا  
 منقطع، وقد يكون متصلاً على حذف مضاف، تقديره: إلا نجوى من أمر، وإن كانت النجوى بمعنى الجماعة  
 فالاستثناء متصل. ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ أي: يعاديه، والشقاق هو العداوة، ونزلت الآية بسبب ابن الأبيرق؛  
 لأنه ارتد وسار إلى المشركين ومات على الكفر، وهي عامة فيه وفي غيره. ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ استدل  
 الأصوليون بها على صحة إجماع المسلمين، وأنه لا يجوز مخالفتها؛ لأن من خالفه اتبع غير سبيل المؤمنين، وفي ذلك  
 نظر. ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾ أي: نتركه مع اختياره الفاسد. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ قد تقدم الكلام على نظيرتها.

إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتَنَا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴿٧٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿٧٨﴾ وَلَا ضَلُّنَهُمْ وَلَا مَتِّبِنَهُمْ وَلَا مُرْتَبِّعَهُمْ فَلْيَبْتِكُنْ إِذَانَ الْآتَعَمِ وَلَا مُرْتَبِّعَهُمْ فَلْيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿٧٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٨٠﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَخْرُجُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿٨٢﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ ائْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ نَقِيرًا ﴿٨٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ

﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتَنَا﴾ الضمير في "يدعون" للكفار، ومعنى "يدعون" يعبدون، واختلف في الإناث هنا؛ فقيل: هي الأصنام؛ لأن العرب كانت تسمي الأصنام بأسماء مؤنثة كاللات والعزى، وقيل: المراد الملائكة؛ لقول الكفار إنهم إناث، وكانوا يعبدونهم، فذكر ذلك على وجه إقامة الحجة عليهم بقولهم الفاسد، وقيل: المراد الأصنام؛ لأنها لا تعقل، فيخبر عنها كما يخبر عن المؤنث. ﴿إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ يعني إبليس، وإنما قال إنهم يعبدونه، لأنهم يطيعونه في الكفر والضلال، والمريد هو الشديد العتو والإضلال. ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ صفة للشيطان. ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ الضمير في "قال" للشيطان، و"مفروضاً" أي: فرضته لنفسي من قولك: فرض للجند وغيرهم، والمراد بهم أهل الضلال. ﴿وَلَا مَتِّبِنَهُمْ﴾ أي: أعدهم الأمانى الكاذبة. ﴿فَلْيَبْتِكُنْ إِذَانَ الْآتَعَمِ﴾ أي: يقطعونها؛ والإشارة بذلك إلى البحيرة وشبهها. ﴿فَلْيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ التغيير هنا الخفاء وشبهه، وقد رخص جماعة من العلماء في خفاء البهائم إذا كان فيه منفعة، ومنعه بعضهم لظاهر الآية، وقيل: التغيير هو الوشم وشبهه؛ ويدل على هذا الحديث الذي لعن فيه الواشيات والمستوشيات، والمتنصتات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله [البخاري: 4486]. ﴿مَحِيصًا﴾ أي: معدلاً ومهرباً. ﴿وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا﴾ مصدران: الأول مؤكد للوعد الذي يقتضيه قوله "سندخلهم جنات"، والثاني مؤكد لـ "وعد الله". ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ الآية، اسم "ليس" مضمرة تقديره الأمر وشبهه، والخطاب للمسلمين، وقيل: للمشركين، أي: لا يكون ما تتمنون ولا ما يتمنى أهل الكتاب، بل يحكم الله بين عباده ويجازيهم بأعمالهم. ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ﴾ وعيد حتم في الكفار، ومقيد بمشيئة الله في المسلمين. ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ دخلت "من" للتبعض رفقا بالعباد؛ لأن "الصالحات" على الكمال لا يطيقها البشر. ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ تقييد باشتراط الإيثار، فإنه لا يقبل عمل إلا به. ﴿نَقِيرًا﴾ هو النقرة

وَاتَّبَعَ مَلَائِكَةً حَنِيفًا ۖ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٤﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي  
 الْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٥﴾ وَتَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ۗ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ  
 فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتْلَىٰ النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ  
 وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ ۗ  
 وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٦﴾ وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا  
 أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصَالِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا

التي في ظهر نواة التمرة، والمعنى تمثيل بأقل الأشياء. ﴿وَاتَّبَعَ مَلَائِكَةً حَنِيفًا﴾ أي: دين الإسلام. ﴿حَنِيفًا﴾  
 حال من المتبع أو من "إبراهيم". ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ أي: صفيًا، وهو مشتق من الخلة بمعنى المودة،  
 وفي ذلك تشريف لإبراهيم، وترغيب في اتباعه. ﴿وَتَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ أي: يسألونك عما يجب عليهم في  
 أمر النساء. ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ عطف على اسم "الله" أي: يفتيكم الله، والمتلو في الكتاب يعني القرآن. ﴿فِي  
 يَتْلَىٰ النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ كان الرجل من العرب يتزوج اليتيمة من أقاربه بدون ما  
 تستحقه من الصداق، فقوله "ما كتب لها" يعني ما تستحقه المرأة من الصداق، وقوله ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ  
 تَنْكِحُوهُنَّ﴾ يعني لجمالهن وماهن، من غير توفية حقوقهن، فنهاهم الله عن ذلك في قوله أول السورة ﴿وَإِنْ  
 خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ الآية، وهذه الآية هي التي تليت عليهم في يتامى النساء. ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ  
 الْوِلْدَانِ﴾ عطف على "يتامى النساء" أي: والذي يتلى في المستضعفين من الولدان وهو قوله ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي  
 أَوْلَادِكُمْ﴾؛ لأن العرب كانت لا تورث البنت ولا الابن الصغير، فأمر الله أن يأخذوا نصيبهم من الميراث.  
 ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ﴾ عطف على "المستضعفين" أي: والذي يتلى عليكم في أن تقوموا لليتامى  
 بالقسط، ويجوز أن يكون منصوبًا، تقديره: ويأمركم أن تقوموا، والخطاب في ذلك للأولياء والأوصياء أو  
 القضاة وشبههم، والذي يتلى عليهم في ذلك هو قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ الآية، وقوله  
 ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ إلى غير ذلك. ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا  
 جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصَالِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ معنى الآية: إباحة الصلح بين الزوجين إذا خافت النشوز أو  
 الإعراض، وكما يجوز الصلح مع الخوف، كذلك يجوز بعد وقوع النشوز والإعراض، وقد تقدم معنى النشوز،  
 وأما الإعراض فهو أخف منه، ووجه الصلح كثيرة منها؛ أن يعطيها الزوج شيئًا أو تعطيه هي أو تسقط حقها  
 من النفقة أو الاستمتاع، أو غير ذلك، وسبب الآية؛ أن سودة بنت زمعة ؓ لما كبرت خافت أن يطلقها  
 رسول الله ﷺ، فقالت له: أمسكني في نسائك ولا تقسم لي، وقد وهبت يومي لعائشة ؓ [الترمذي: 3314].

وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ ؕ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِهَا النَّاسُ وَيَاتِ بِآخَرِينَ ؕ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكِ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ \* يَأْتِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ لفظ عام يدخل فيه صلح الزوجين وغيرهما، وقيل: معناه صلح الزوجين خير من فراقهما، فـ"خير" على هذا للتفضيل، واللام في "الصلح" للعهد. ﴿ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ ﴾ معناه أن الشح جعل حاضرا مع النفوس لا يغيب عنها؛ لأنها جبلت عليه، والشح: هو أن لا يسمح الإنسان لغيره بشيء من حظوظ نفسه، وشح المرأة من هذا هو طلبها لحقها من النفقة والاستمتاع، وشح الزوج: هو منع الصداق، والتضييق في النفقة، وزهده في المرأة؛ لكبر سنها أو قبح صورتها. ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ ﴾ معناه: العدل التام الكامل في الأقوال والأفعال والمحبة وغير ذلك، فرفع الله ذلك عن عباده، فإنهم لا يستطيعون، وقد كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه، ثم يقول: «اللهم هذا فعلي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما لا أملك» [النسائي: 3960] يعني ميله بقلبه، وقيل: إن الآية نزلت في ميله ﷺ بقلبه إلى عائشة ؓ، ومعناها اعتذار من الله تعالى عن عباده، ﴿ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ﴾ أي: لا ذات زوج ولا مطلقة. ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا ﴾ الآية، معناه إن تفرق الزوجان بطلاق؛ أغنى الله كل واحد منهما من فضله عن صاحبه، وهذا وعد بخير وتأنيس. ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ﴾ الآية، إخبار أن الله وصى الأولين والآخرين بأن يتقوه. ﴿ وَيَاتِ بِآخَرِينَ ﴾ أي: يقوم غيركم، وروي أن النبي ﷺ لما نزلت ضرب بيده على كتف سلمان الفارسي ؓ وقال: «هم قوم هذا» [الطبري: 10676]. ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا ﴾ الآية، تقتضي الترغيب في طلب ثواب الآخرة؛ لأنه خير من ثواب الدنيا، وتقتضي أيضا أن يطلب ثواب الدنيا والآخرة من الله وحده؛ فإن ذلك بيده لا بيد غيره، وعلى أحد هذين الوجهين يرتبط الشرط بجوابه، فالتقدير على الأول: من كان يريد ثواب الدنيا فلا يقتصر عليه خاصة، فعند الله ثواب

كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ  
 فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوْتُمْ أَوْ لَعَنْتُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا  
 تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ءَ  
 وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِن قَبْلُ ءَ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ءَ وَكُتُبِهِ ءَ وَرُسُلِهِ ءَ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ  
 فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَادُوا كُفْرًا لَّمْ  
 يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿٣﴾ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٤﴾ الَّذِينَ  
 يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْتَتَّغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿٥﴾

الدنيا والآخرة، وعلى الثاني: من كان يريد ثواب الدنيا فليطلبه من الله فعند الله ثواب الدنيا والآخرة.  
 ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ﴾ أي: مجتهدين في إقامة العدل. ﴿ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾ معناه لوجه الله ولمرضاته. ﴿ وَلَوْ عَلَىٰ  
 أَنفُسِكُمْ ﴾ يتعلق بـ"شهداء"، وشهادة الإنسان على نفسه هي إقراره بالحق، ثم ذكر ﴿ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾  
 إذ هم مظنة للتعصب والميل، فإقامة الشهادة على الأجنبيين من باب أولى وأحرى. ﴿ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ  
 فَقِيرًا ﴾ جواب "إن" محذوف على الأظهر، أي: إن يكن المشهود عليه غنيا فلا تمتنع من الشهادة عليه تعظيما  
 له، وإن كان فقيرا فلا تمتنع من الشهادة عليه إشفاقا عليه؛ فإن الله أولى بالغني والفقير، أي: بالنظر إليهما.  
 ﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ﴾ "أن" مفعول من أجله، ويحتمل أن يكون المعنى من العدل؛ فالتقدير إرادة  
 أن تعدلوا بين الناس، أو من العدول، فالتقدير؛ كراهة أن تعدلوا عن الحق. ﴿ وَإِن تَلَوْتُمْ أَوْ لَعَنْتُمْ ﴾ قيل:  
 إن الخطاب للحكام، وقيل: للشهود؛ واللفظ عام في الوجهين، واللي: هو تحريف الكلام، أي: "إن تلووا"  
 عن الحكم بالعدل أو عن الشهادة بالحق، "أو لعنتم" عن صاحب الحق أو عن المشهود له؛ فإن الله  
 يجازيكم، فإنه خير بما تعملون، وقرئ "وإن تلووا" بضم اللام من الولاية، أي: إن وليتم إقامة الشهادة أو  
 أعرضتم عنها. ﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ ﴾ الآية، خطاب للمسلمين، معناه: الأمر بأن يكون إيمانهم على الكمال بكل  
 ما ذكر، أو يكون أمرا بالدوام على الإيمان، وقيل: خطاب لأهل الكتاب الذين آمنوا بالأنبياء المتقدمين؛  
 معناه: الأمر بأن يؤمنوا مع ذلك بمحمد ﷺ، وقيل: خطاب للمنافقين، معناه: الأمر بأن يؤمنوا بألستهم  
 وقلوبهم. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ﴾ الآية، قيل: هي في المنافقين؛ لترددهم بين الإيمان والكفر، وقيل:  
 في اليهود والنصارى؛ لأنهم آمنوا بأنبيائهم وكفروا بمحمد ﷺ، والأول أرجح؛ لأن الكلام من هنا  
 فيهم، والأظهر أنها فيمن آمن بمحمد ﷺ، ثم ارتد، ثم عاد إلى الإيمان، ثم ارتد، وازداد كفرا. ﴿ لَّمْ يَكُنِ  
 اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ ﴾ ذلك فيمن علم الله أنه يموت على كفره، وقد يكون إضلالهم عقابا لهم بسوء أفعالهم.



وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَتُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى تَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٠٤﴾ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلَنْ نَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٠٥﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٠٦﴾ مُدْبِذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ ۚ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٠٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٠٨﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٠٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۗ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٠﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ ۖ إِنَّ شِكْرَتُمْ ءَءَامَنْتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١١١﴾

﴿وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ الآية، إشارة إلى قوله ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ وغيرها، وفي الآية دليل على وجوب تجنب أهل المعاصي، والضمير في قوله ﴿مَعَهُمْ﴾ يعود على ما يدل عليه سياق الكلام من الكافرين والمنافقين. ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ صفة للمنافقين، أي: ينتظرون بكم دوائر الزمان. ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: نغلب على أمركم بالنصرة لكم والحمية. ﴿وَلَنْ نَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ قال علي بن أبي طالب ؑ وغيره: ذلك في الآخرة، وقيل: السبيل هنا: الحجة البالغة. ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ ذكر في البقرة. ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ تسمية للعقوبة باسم الذنب؛ لأن وبال خداعهم راجع عليهم. ﴿مُدْبِذِينَ﴾ أي: مضطربين مترددين لا إلى المسلمين ولا إلى الكفار. ﴿سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ أي: حجة ظاهرة. ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ﴾ أي: في الطبقة السفلى من جهنم وهي سبع طبقات، وفي ذلك دليل على أنهم شر من الكفار. ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ استثناء من المنافقين، والتوبة هنا: الإيثار الصادق في الظاهر والباطن. ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ المعنى: أي حاجة أو منفعة لله بعذابكم، وهو الغني عنكم، وقدم الشكر على الإيثار؛ لأن العبد ينظر إلى النعم فيشكر عليها، ثم يؤمن بالمنعم، فكان الشكر سبب للإيمان متقدم عليه،

﴿ لَا تُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ﴾ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿٢٨﴾ إِنْ تَبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُحْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا ﴿٢٩﴾ إِنْ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ نُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٣٢﴾ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَعَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿٣٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٣٤﴾ فِيمَا نَقُضُهُمْ مِّيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمْ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٣٥﴾

ويحتمل أن يكون الشكر يتضمن الإيمان، ثم ذكر الإيمان بعده توكيدا واهتماما به، والشاكر اسم الله ذكر في اللغات. ﴿إِلَّا مَنْ ظَلِمَ﴾ أي: إلا جهر المظلوم؛ فيجوز له من الجهر أن يدعو على من ظلمه، وقيل: أن يذكر ما فعل به من الظلم، وقيل: أن يرد عليه بمثل مظلمته إن كان شتمه. ﴿إِنْ تَبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُحْفُوهُ﴾ الآية، ترغيب في فعل الخير سرا وعلانية، وفي العفو عن الظلم بعد أن أباح الانتصار؛ لأن العفو أحب إلى الله من الانتصار، وأكد ذلك بوصفه تعالى نفسه بالعفو مع القدرة. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ الآية، نزلت في اليهود والنصارى؛ لأنهم آمنوا بأنبيائهم وكفروا بمحمد ﷺ وغيره، ومعنى التفريق بين الله ورسوله: الإيمان به والكفر برسله، وكذلك التفريق بين الرسل: هو الكفر ببعضهم والإيمان ببعضهم، فحكم الله على من كان كذلك بحكم الكفر الحقيقي الكامل. ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية، في أمة محمد ﷺ؛ لأنهم آمنوا بالله وجميع رسله. ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ الآية، روي أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: لن نؤمن بك حتى تأتينا بكتاب من السماء جملة، كما أتى موسى بالتوراة، وقيل: كتاب إلى فلان وكتاب إلى فلان بأنك رسول الله، وإنما طلبوا ذلك على وجه التعنت، فذكر الله سؤالهم من موسى، وسوء أدبهم معه؛ تسلية للنبي ﷺ بالتأسي بغيره، ثم ذكر أفعالهم القبيحة؛ لبيان أن كفرهم إنما هو عناد، وقد تقدم في البقرة ذكر طلبهم للرؤيا، واتخاذهم العجل، ورفع الطور فوقهم، واعتدائهم في السبت، وغير ذلك مما أشير إليه هنا. ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِّيثَاقَهُمْ﴾ "ما" زائدة

وَبِكْفَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بَهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥١﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٢﴾

للتأكيد، والباء تتعلق بمحذوف تقديره: بسبب نقضهم فعلنا بهم ما فعلنا، أو تتعلق بقوله ﴿حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ﴾ ويكون ﴿فَبِظُلْمٍ﴾ على هذا بدلا من قوله "فبما نقضهم". ﴿بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ هو أن رموا مريم بالزنا مع رؤيتهم الآية في كلام عيسى في المهدي. ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ عدد الله في جملة قبائحهم قولهم "إنا قتلنا المسيح"؛ لأنهم قالوها افتخارا وجرأة مع أنهم كذبوا في ذلك، ولزمهم الذنب، وهم لم يقتلوه؛ لأنهم صلبوا الشخص الذي ألقى عليه شبهه، وهم يعتقدون أنه عيسى، وروي أن عيسى قال للحواريين: أيكم يلقي عليه شبهي فيقتل ويكون رفيقي في الجنة؟ فقال أحدهم: أنا، فألقي عليه شبه عيسى، فقتل على أنه عيسى، وقيل: بل دل على عيسى يهودي، فألقى الله شبه عيسى على اليهودي، فقتل اليهودي، ورفع عيسى إلى السماء حيا حتى ينزل إلى الأرض فيقتل الدجال. ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾ إن قيل: كيف قالوا فيه "رسول الله" وهم يكفرون به ويسبونونه؟ فالجواب من ثلاثة أوجه؛ أحدها: أنهم قالوا ذلك على وجه التهكم والاستهزاء، والثاني: أنهم قالوه على حسب اعتقاد المسلمين فيه؛ كأنهم قالوا رسول الله عندكم أو بزعمكم، والثالث: أنه من قول الله لا من قولهم فيوقف قبله، وفائدته: تعظيم ذنبهم وتقييح قولهم إنا قتلناه. ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ رد عليهم وتكذيب لهم وللنصارى أيضا في قولهم: إنه صلب، حتى عبدوا الصليب من أجل ذلك، والعجب كل العجب من تناقضهم في قولهم إنه إله أو ابن إله ثم يقولون إنه صلب. ﴿وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ فيه تأويلان؛ أحدهما: ما ذكرناه من إلقاء شبهه على الحواري أو على اليهودي، والآخر: أن معناه شبه لهم الأمر، أي: خلط لهم القوم الذين حاولوا قتله بأنهم قتلوا رجلا آخر وصلبوه، ومنعوا الناس أن يقربوا منه حتى تغير؛ بحيث لا يعرف، وقالوا للناس هذا عيسى، ولم يكن عيسى، فاعتقد الناس صدقهم وكانوا متعمدين للكذب. ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ روي أنه لما رفع عيسى وألقي شبهه على غيره فقتلوه، قالوا: إن كان هذا المقتول عيسى، فأين صاحبنا؟ وإن كان هذا صاحبنا، فأين عيسى؟ فاختلَفوا فقال بعضهم: هو هو، وقال بعضهم: ليس هو، فأجمعوا أن شخصا قتلوا واختلَفوا من كان. ﴿إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ استثناء منقطع؛ لأن العلم بتحقيق والظن تردد، وقال ابن عطية: هو متصل؛ إذ الظن والعلم يجمعها جنس المعتقدات، فإن قيل: كيف وصفهم بالشك وهو تردد بين احتمالين على السواء، ثم وصفهم بالظن وهو ترجيح أحد الاحتمالين؟ فالجواب: أنهم كانوا على الشك، ثم لاحت لهم أمارات فظنوا، قاله الزمخشري، وقد يقال: الظن بمعنى الشك وبمعنى الوهم الذي هو أضعف من الشك. ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ أي: ما قتلوه

بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ ۚ قَبْلَ  
 مَوْتِهِ ۗ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ  
 طَيِّبَاتٍ ۚ حَلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدَّحُوا عَنْهُ وَأَكَلِهِمْ  
 أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ  
 مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۗ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ۗ وَالْمُؤْتُونَ  
 الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ إِنَّا أَوْحَيْنَا  
 إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۗ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ  
 وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ۗ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۗ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾

قتلا يقينا، فأعراب "يقينا" على هذا صفة لمصدر محذوف، وقيل: هو مصدر في موضع الحال، أي: ما قتلوه  
 متيقنين، وقيل: هو تأكيد للنفي الذي في قوله "وما قتلوه" أي: تيقن نفي قتله، وهو على هذا منصوب على  
 المصدرية. ﴿بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى سماءه، وقد ورد في حديث الإسراء أنه في السماء الثانية. ﴿وَإِن مِّنْ  
 أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ فيها تأويلان؛ أحدهما: أن الضمير في "موته" لـ "عيسى"، والمعنى: أن  
 كل أحد من أهل الكتاب يؤمن بعيسى حين ينزل إلى الأرض قبل أن يموت عيسى، وتصير الأديان كلها  
 حينئذ دينا واحدا وهو دين الإسلام، والثاني: أن الضمير في "موته" للكتابي الذي تضمنه قوله "وإن من أهل  
 الكتاب" التقدير: وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمن بعيسى، ويعلم أنه نبي قبل أن يموت هذا الإنسان،  
 وذلك حين معاينة الموت، وهو إيمان لا ينفعه، وقد روي هذا المعنى عن ابن عباس ؓ وغيره، وفي مصحف  
 أبي بن كعب ؓ "قبل موتهم" وفي هذه القراءة تقوية للقول الثاني، والضمير في "به" لـ "عيسى" على الوجهين،  
 وقيل: هو لمحمد ﷺ. ﴿وَبِصَدِّهِمْ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى الإعراض فيكون ﴿كَثِيرًا﴾ صفة لمصدر  
 محذوف تقديره: صدأ كثيرا، أو بمعنى صددهم لغيرهم؛ فيكون "كثيرا" مفعولا بالصد أي: صدوا كثيرا من  
 الناس عن سبيل الله. ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ هو عبد الله بن سلام ومخبرق ؓ ومن جرى  
 مجراهم. ﴿وَالْمُقِيمِينَ﴾ منصوب على المدح بإضمار فعل، وهو جائز كثيرا في الكلام، وقالت عائشة ؓ: هو  
 من لحن كتاب المصحف، وفي مصحف ابن مسعود ؓ "والمقيمون" على الأصل. ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ الآية  
 رد على اليهود الذين سألوا من النبي ﷺ أن ينزل عليهم كتابا من السماء، واحتجاج عليهم بأن الذي أتى به  
 وحى كما أتى من تقدم من الأنبياء بالوحي من غير إنزال كتاب من السماء؛ ولذلك أكثر من ذكر الأنبياء

وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۗ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٠٦﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٠٧﴾ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ ۗ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۗ وَالْمَلٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۗ وَكَهَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٠٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلٰٓلًا بَعِيدًا ﴿١٠٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١١٠﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۗ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١١١﴾ يَتَأْتِيَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَتَأْمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ ۗ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١٢﴾ يَتَأَهَّلِ الْكُتٰبُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۗ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ رَسُوْلُ اللَّهِ ۗ وَكَلِمَتُهُ أُلْقِنَهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوْحٌ مِّنْهُ ۗ

الذين كان شأنهم هذا لتقوم بهم الحجة. ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ﴾ منصوب بفعل مضمر، أي: أرسلنا رسلا. ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ تصريح بالكلام مؤكد بالمصدر، وذلك دليل على بطلان قول المعتزلة: إن الشجرة هي التي كلمت موسى. ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ﴾ منصوب بفعل مضمر أو على البدل. ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ أي: بعثهم الله ليقطع حجة من يقول لو أرسل إلي رسولا لآمنت. ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ﴾ الآية، معناها أن الله يشهد بأن القرآن من عنده، وكذلك تشهد الملائكة بذلك، وسبب الآية إنكار اليهود للوحي، فجاء الاستدراك على تقدير أنهم قالوا: لن نشهد بما أنزل إليك، فقيل: لكن الله يشهد بذلك، وفي الآية من أدوات البيان؛ التريديد: وهو ذكر الشهادة أولا ثم ذكرها في آخر الآية. ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ في هذا دليل لأهل السنة على إثبات علم الله، خلافا للمعتزلة في قولهم: إنه عالم بلا علم، وقد تأولوا الآية بتأويل بعيد. ﴿يَأْتِيَا النَّاسُ﴾ خطاب عام؛ لأن النبي ﷺ بعث إلى جميع الناس. ﴿فَأْمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ انتصب "خيرا" هنا وفي قوله ﴿انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ بفعل مضمر لا يظهر تقديره: إيتوا خيرا لكم، هذا مذهب سيبويه، وقال الخليل: انتصب بقوله "آمنوا" و"انتهوا" على المعنى، وقال الفراء: فأمنوا إيماننا خيرا لكم، فنصبه على النعت لمصدر محذوف، وقال بعض الكوفيين: هو خبر كان المحذوفة تقديره: يكن الإيمان خيرا لكم. ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: هو غني عنكم لا يضره كفركم. ﴿يَأْ أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ هذا خطاب للنصارى؛ لأنهم غلوا في عيسى حتى كفروا، فلفظ "أهل الكتاب" عموم يراد به الخصوص في النصارى، بدليل ما بعد ذلك، والغل هو الإفراط وتجاوز الحد. ﴿وَكَلِمَتُهُ﴾ أي: مكون عن كلمته، والتي هي "كن" من غير واسطة أب ولا نطفة. ﴿وَرُوْحٌ مِّنْهُ﴾ أي: ذو روح من الله

فَقَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۗ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۗ اٰنْتَهُوٓا خَيْرًا لَّكُمْ ۗ اِنَّمَا اللّٰهُ اِلٰهُ وَاَحَدٌ ۗ سُبْحٰنَهُ ۗ اَنْ يَّكُوْنَ لَهُ وَاَلِدٌ ۗ لَهُ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْاَرْضِ ۗ وَكَفٰى بِاللّٰهِ وَكِيلًا ﴿٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيْحُ اَنْ يَّكُوْنَ عَبْدًا لِلّٰهِ وَلَا الْمَلٰٓئِكَةُ الْمُقَرَّبُوْنَ ۗ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَن عِبَادَتِهِ ۗ وَيَسْتَكْبِرْ ۗ فَسَيَحْشُرُهُمْ ۗ اِلَيْهِ جَمِيْعًا ﴿٧٢﴾ فَاَمَّا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا وَعَمِلُوْا الصّٰلِحٰتِ ۗ فَيُوَفِّيهِمْ ۗ اُجُوْرَهُمْ وَيَزِيْدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ ۗ ۗ وَاَمَّا الَّذِيْنَ اَسْتَنْكَفُوْا وَاَسْتَكْبَرُوْا فَيَعَذِّبُهُمْ ۗ عَذَابًا اَلِيْمًا وَلَا يَجِدُوْنَ لَهُمْ مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ وٰلِيًا وَلَا نَصِيْرًا ﴿٧٣﴾ يٰٓاَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهٰنٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ ۗ وَاَنْزَلْنَا اِلَيْكُمْ نُوْرًا مُّبِيْنًا ﴿٧٤﴾ فَاَمَّا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا بِاللّٰهِ وَاَعْتَصَمُوْا بِهِ ۗ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ ۗ وَيَهْدِيْهِمْ ۗ اِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيْمًا ﴿٧٥﴾ يَسْتَفْتُوْنَكَ قُلِ اللّٰهُ يُفْتِيْكُمْ فِى الْكَلٰلَةِ ۗ اِنْ اَمْرُوْا هَلٰكٌ لِّسَ لَهٗ وَاَلِدٌ ۗ وَوَلَدٌ ۗ وَاَهٗرٌ ۗ اُخْتُ ۗ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۗ وَهُوَ يَرِثُهَا ۗ اِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهَا وَاَلِدٌ ۗ فَاِنْ كَانَتَا اِثْنَتَيْنِ ۗ فَلَهُمَا اَلْتُلُثُنِ ۗ مِمَّا تَرَكَ ۗ وَاِنْ كَانُوْا اِخْوَةً رِّجَالًا ۗ وَنِسَاءً ۗ فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْاُنثٰيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ ۗ اَنْ تَضِلُّوْا ۗ وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ ﴿٧٦﴾

فمن " هنا لا ابتداء الغاية، والمعنى من عند الله، وجعله من عند الله؛ لأن الله أرسل به جبريل عليه السلام إلى مريم. ﴿ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ﴾ نهي عن التثليث الخبيث، وهذا مذهب النصارى، وإعراب "ثلاثة" خبر ابتداء مضمرة. ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ برهان على تنزيهه تعالى عن الولد؛ لأنه مالك كل شيء. ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيْحُ ﴾ لن يأنف، وكذلك معناه حيث وقع. ﴿ وَلَا الْمَلَأَيْكَةُ ﴾ فيه دليل لمن قال: إن الملائكة أفضل من الأنبياء؛ لأن المعنى لن يستنكف عيسى ولا من فوقه. ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ ﴾ هو القرآن وهو أيضا النور المبين، ويحتمل أن يريد بالبرهان الدلائل والحجج، وبالنور النبي ﷺ؛ لأنه سماه سراجا. ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ ﴾ أي: يطلبون منك الفتيا، ويحتمل أن يكون هذا الفعل طالبا للكلالة، و﴿ يُفْتِيكُمْ ﴾ أيضا طالبا لها فيكون من باب الإعمال، وإعمال العامل الثاني على اختيار البصريين، أو يكون "يستفتونك" مقطوعا عن ذلك فيوقف عليه؛ والأول أظهر، وقد تقدم معنى الكلالة في أول السورة، والمراد بالأخ والأخت هنا: الشقائق والذين للأب إذا عدم الشقائق، وقد تقدم حكم الإخوة للأُم في قوله ﴿ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً ﴾ الآية. ﴿ إِنْ أَمْرُوًا هَلَكٌ ﴾ ارتفع بفعل مضمرة عند البصريين، ولا إشكال فيما ذكر هنا من أحكام الموارث. ﴿ أَنْ تَضِلُّوْا ﴾ مفعول من أجله، تقديره: كراهة أن تضلوا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ  
 الْآنَعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ سَخِيكٌ مَّا يُرِيدُ ۖ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
 ءَامَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ

## سورة المائدة

﴿ أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ قيل: إن "العقود" هنا ما عقده الإنسان مع غيره من بيع ونكاح وعتق وشبه ذلك، وقيل: ما عقده مع ربه من الطاعات كالحج والصيام وشبه ذلك، وقيل: ما عقده الله عليهم من التحليل والتحريم في دينه؛ ذكر مجملاً ثم فصل بعد ذلك في قوله: ﴿ أُحِلَّتْ لَكُمْ ﴾ وما بعده. ﴿ بَهِيمَةُ الْآنَعَامِ ﴾ هي الإبل والبقر والغنم، وإضافة الـ "بهيمة" إليها من باب إضافة الشيء إلى ما هو أخص منه؛ لأن البهيمة تقع على الأنعام وغيرها، قال الزجاج: هي الإضافة التي بمعنى "من" كخاتم من حديد، أي: البهيمة من الأنعام، وقيل: هي الوحش كالظباء وبقر الوحش، والمعروف من كلام العرب أن الأنعام لا تقع إلا على الإبل والبقر والغنم، وأن البهيمة تقع على كل حيوان ما عدا الإنسان. ﴿ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾ يريد الميتة وأخواتها. ﴿ غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ ﴾ نصب على الحال من الضمير في "لكم". ﴿ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ﴾ حال من "محلي الصيد"، و"حرم" جمع حرام وهو المحرم بالحج؛ فالاستثناء بـ "إلا" من البهائم المحللة، والاستثناء بـ "غير" من القوم المخاطبين. ﴿ لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ ﴾ قيل: هي مناسك الحج؛ كان المشركون يججون ويعتمرون فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم، فقبل لهم: "لا تحلوا شعائر الله" أي: لا تغيروا عليهم ولا تصدوهم، وقيل: هي الحرم؛ وإحلاله الصيد فيه، وقيل: هي ما يحرم على الحاج من النساء والطيب والصيد وغير ذلك؛ وإحلاله فعله. ﴿ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ ﴾ قيل: هو جنس الأشهر الحرم الأربعة؛ وهي رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، وقيل: أشهر الحج؛ وهي شوال، وذو القعدة، وذو الحجة؛ وإحلالها هو القتال فيها وتغيير حالها. ﴿ وَلَا الْهَدْيَ ﴾ هو ما يهدى إلى البيت الحرام من الأنعام، ويذبح تقرباً إلى الله، فنهى الله أن يستحل بأن يغار عليه أو يصد عن البيت. ﴿ وَلَا الْقَلَائِدَ ﴾ قيل: هي التي تعلق في أعناق الهدي، فنهى عن التعرض لها، وقيل: أراد ذوات القلائد من الهدي وهي البدن، وجردها بالذكر بعد دخولها في الهدي اهتماماً بها وتأكيدها لأمرها. ﴿ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ﴾ أي: قاصدين إلى البيت الحرام أو عمرة، فنهى الله عن الإغارة عليهم أو صداهم عن البيت، ونزلت الآية على ما قال السهيلي بسبب الحكم البكري واسمه شريح ابن ضبيعة، أخذته خيل رسول الله ﷺ وهو يقصد إلى الكعبة ليعتمر، وهذا النهي عن إحلال هذه الأشياء عام في المسلمين والمشركين، ثم نسخ النهي عن قتال المشركين بقوله: ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾، ويقول: ﴿ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ﴾، ويقول: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ ﴾.

يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ  
 أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا  
 تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٦﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ  
 الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ  
 وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ الفضل الربح في التجارة، والرضوان الرحمة في الدنيا وفي الآخرة.  
 ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ أي: إذا حللتكم بالحج فاصطادوا إن شئتم، فالأمر هنا بإباحة بإجماع.  
 ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾ معنى "لا يجرمكم"، لا يكسبكم،  
 يقال: جرم فلان فلانا هذا الأمر، إذا أكسبه إياه وحمله عليه، والشنان: هو البغض والحقد، ويقال: بفتح  
 النون وإسكانها، و"أن صدوكم" مفعول من أجله، و"أن تعتدوا" مفعول ثانٍ لـ"يجرمكم"، ومعنى الآية: لا  
 تحملكم عداوة قوم على أن تعتدوا عليهم؛ من أجل أن صدوكم عن المسجد الحرام، ونزلت عام الفتح حين  
 ظفر المسلمون بأهل مكة، فأرادوا أن يستأصلوهم بالقتل؛ لأنهم كانوا قد صدوهم عن المسجد الحرام عام  
 الحديبية، فنهاهم الله عن قتلهم؛ لأن الله علم أنهم يؤمنون. ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ وصية عامة،  
 والفرق بين "البر" و"التقوى": أن البر عام في فعل الواجبات والمندوبات وترك المحرمات وفي كل ما يقرب  
 إلى الله، والتقوى في الواجبات وترك المحرمات دون فعل المندوبات؛ فالبر أعم من التقوى. ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى  
 الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ الفرق بينهما: أن "الإثم" كل ذنب بين العبد وبين الله أو بينه وبين الناس، و"العدوان" على  
 الناس. ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾ تقدم الكلام عليها في البقرة. ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ هي التي  
 تحنق بحبل وشبهه. ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ هي المضروبة بعضاً أو حجر وشبهه. ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ هي التي تسقط من  
 جبل وشبه ذلك. ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ هي التي نطحتها هيمة أخرى. ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾ أي: أكل بعضه؛ و"السبع":  
 كل حيوان مفترس كالذئب والأسد والنمر والثعلب والعقاب والنسر. ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ قيل: إنه استثناء  
 منقطع؛ وذلك إذا أريد بالمنخقة وأخواتها ما مات من الاختناق، والوقذ، والتردية، والنطح، وأكل السبع،  
 والمعنى: حرمت عليكم هذه الأشياء، لكن ما ذكيتم من غيرها فهو حلال، وهذا القول ضعيف؛ لأنها إذا  
 ماتت بهذه الأسباب فهي ميتة، فقد دخلت في عموم الميتة، فلا فائدة في ذكرها بعدها، وقيل: إنه استثناء  
 متصل؛ وذلك إن أريد بالمنخقة وأخواتها ما أصابته تلك الأسباب وأدركت ذكاته، والمعنى على هذا: إلا ما  
 أدرتكم ذكاته من هذه الأشياء فهو حلال، ثم اختلف أهل هذا القول هل يشترط أن تكون لم تنفذ مقاتلتها أم لا؟



وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٥﴾  
يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ

وأما إذا لم تشرف على الموت من هذه الأسباب فذكاتها جائزة باتفاق. ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ عطف على المحرمات المذكورة، و"النصب" حجارة كان أهل الجاهلية يعظمونها ويذبحون عليها، وليست بالأصنام؛ لأن الأصنام مصورة و"النصب" غير مصورة، وهي الأنصاب والمفرد نصاب، وقد قيل: إن "النصب" بضمين مفرد وجمعه أنصاب. ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ﴾ عطف على المحرمات أيضا، والاستقسام: هو طلب ما قسم له، والأزلام: هي السهام، واحدها زلم بضم الزاي وفتحها، وكانت ثلاثة قد كتب على أحدها: افعل، وعلى الآخر: لا تفعل، والثالث مهمل، فإذا أراد الإنسان أن يعمل أمرا جعلها في خريطة، وأدخل يده، وأخرج أحدها؛ فإن خرج له الذي فيه: افعل فعل ما أراد، وإن خرج له الذي فيه لا تفعل، تركه، وإن خرج له المهمل، أعاد الضرب. ﴿ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ الإشارة إلى تناول المحرمات المذكورة كلها أو إلى الاستقسام بالأزلام، وإنما حرمه الله وجعله فسقا؛ لأنه دخول في علم الغيب الذي انفرد الله به، فهو كالكهانة وغيرها مما يرام به الاطلاع على الغيوب. ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ أي: يتسوا أن يغلبوه أو يظلموه، ونزلت بعد العصر من يوم الجمعة يوم عرفة في حجة الوداع، فذلك هو اليوم المذكور لظهور الإسلام فيه وكثرة المسلمين، ويحتمل أن يكون المراد بـ"اليوم" الزمان الحاضر لا اليوم بعينه. ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ هذا الإكمال يحتمل أن يكون بالنصر والظهور، أو بتعليم الشرائع وبيان الحلال والحرام. ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ راجع إلى المحرمات المذكورة قبل هذا؛ أباحها الله تعالى عند الاضطرار. ﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾ في مجاعة. ﴿غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ﴾ هو بمعنى: ﴿غَيْرَ بَاجٍ وَلَا عَادٍ﴾ وقد تقدم في البقرة. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قام مقام: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ وتضمن زيادة الوعد. ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ سببها: أن المسلمين سألوا رسول الله ﷺ عما يحل لهم من المأكول، وقيل: لما أمر رسول الله ﷺ بقتل الكلاب سأله: ماذا يحل لنا من الكلاب؟ فنزلت مبينة للصيد بالكلاب. ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ هي عند مالك الحلال؛ وذلك ما لم يرد تحريمه في كتاب ولا سنة، وعند الشافعي الحلال المستلذ، فحرم كل مستقذر كالخنافس وشبهها؛ لأنها من الخبائث. ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ﴾ عطف على "الطيئات" على حذف مضاف تقديره: وصيد ما علمتم، أو مبتدأ وخبره: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ وهذا أحسن؛ لأنه لا حذف فيه، و"الجوارح": هي الكلاب ونحوها مما يُصَاد به، وسميت جوارح؛ لأنها كواسب لأهلها، فهو من الجرح بمعنى الكسب، ولا خلاف في

مُكَلِّبِينَ تَعْلَمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ  
 إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥٦﴾ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ

جواز الصيد بالكلاب، واختلف فيها سواها، ومذهب الجمهور الجواز للأحاديث الواردة في البزات وغيرها، ومنع بعضهم ذلك لقوله "مكلبين"؛ فإنه مشتق من الكلب، ونزلت الآية بسبب عدي بن حاتم ؓ؛ فإنه كان له كلاب يصطاد بها، فسأل رسول الله ﷺ عما يحل من الصيد. ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ أي: معلمين للكلاب الاصطياد، وقيل: معناه أصحاب كلاب، وهو منصوب على الحال من ضمير الفاعل في "علمتم" ويقضي قوله "علمتم"، و"مكلبين" أنه لا يجوز الصيد إلا بجراح معلم؛ لقوله "ما علمتم" ولقوله "مكلبين" على القول الأول، ولتأكيد ذلك بقوله "تعلمونهن". وحُدِّثَ التعليم عند ابن القاسم: أن يفهم الجراح الإشلاء والزجر، وقيل: الإشلاء خاصة، وقيل: الزجر خاصة، وقيل: أن يجيب إذا دعي. ﴿تَعْلَمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ أي: تعلمونهن من الحيلة في الاصطياد، وتأتي تحصيل الصيد، وهذا جزء مما علمه الله الإنسان، ف"من" للتبعيض، ويحتمل أن تكون لابتداء الغاية، والجملة في موضع الحال أو استئناف. ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ الأمر هنا إباحة، ويحتمل أن يريد "مما أمسكن" سواء أكلت منه أو لم تأكل، وهو ظاهر إطلاق اللفظ، وبذلك أخذ مالك، ويحتمل أن يريد مما أمسكن ولم يأكلن منه، وبذلك فسره رسول الله ﷺ بقوله: «فإن أكل منه فلا تأكل، فإنه إنما أمسك على نفسه» [البخاري: 5476]. وقد أخذ بهذا بعض العلماء، وقد ورد في حديث آخر: «إذا أكل فكل» [أبو داود: 2854]، وهو حجة لمالك. ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ هذا أمر بالتسمية على الصيد ويجري الذبح مجراه، وقد اختلف الناس في حكم التسمية؛ فقال الظاهرية: إنها واجبة؛ حملا للأمر على الوجوب، فإن تركت التسمية عمدا أو نسيانا لم تؤكل عندهم، وقال الشافعي: إنها مستحبة؛ حملا للأمر على الندب، وتؤكل عنده سواء تركت التسمية عمدا أو نسيانا، وجعل بعضهم الضمير في "عليه" عائدا على الأكل، فليس فيها على هذا أمر بالتسمية على الصيد، ومذهب مالك أنه إن تركت التسمية عمدا لم تؤكل، وإن تركت نسيانا أكلت، فهي عنده واجبة مع الذكر ساقطة مع النسيان. ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ معنى "حل" حلال، و"الذين أوتوا الكتاب" هم اليهود والنصارى، واختلف في نصارى بني تغلب من العرب، وفيمن كان مسلما ثم ارتد إلى اليهودية أو النصرانية، هل يحل لنا طعامهم أم لا؟ ولفظ الآية يقتضي الجواز؛ لأنهم من أهل الكتاب، واختلف في المجوس والصابئين هل هم أهل كتاب أم لا؟ وأما الطعام فهو على ثلاثة أقسام؛ أحدها: الذبائح، وقد اتفق العلماء على أنها مرادة في الآية، فأجازوا أكل ذبائح اليهود والنصارى، واختلفوا فيما هو محرم عليهم في دينهم هل يحل لنا أم لا؟ على ثلاثة أقوال: الجواز والمنع والكراهة، وهذا الاختلاف مبني على هل هو من طعامهم أم لا؟ فإن أريد بطعامهم ما ذبحوه جاز، وإن أريد

وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَّهُمْ وَالْحَصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْحَصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِينَ غَيْرِ مُسْلِفِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ

به ما يحل لهم منع، والكراهة توسط بين القولين، القسم الثاني: ما لا محاولة لهم فيه كالقمح والفاكهة فهو جائز باتفاق، والثالث: ما فيه محاولة كالخيز وتعصير الزيت وعقد الجبن وشبه ذلك مما يمكن استعمال النجاسة فيه، فمنعه ابن عباس رضي الله عنه؛ لأنه رأى أن طعامهم هو الذبائح خاصة، ولأنه يمكن أن يكون نجسا، وأجاز الجمهور؛ لأنه رأوه داخلا في طعامهم، وهذا إذا كان استعمال النجاسة فيه محتملا، فأما إذا تحققنا استعمال النجاسة فيه كالخمر والخنزير والميتة فلا يجوز أصلا، وقد صنف الطرطوشي في تحريم جبن النصارى، وقال: إنه ينجس البائع والمشتري والآلة؛ لأنهم يعقدونه بأنفحة الميتة، ويجري مجرى ذلك الزيت إذا علمنا أنهم يجعلونه في ظروف الميتة. ﴿وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَّهُمْ﴾ هذه إباحة للمسلمين أن يطعموا أهل الكتاب من طعامهم. ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ عطف على الطعام المحلل، وقد تقدم أن الإحصان له أربعة معان: الإسلام، والتزوج، والعفة، والحرية؛ فأما الإسلام فلا يصح أيضا؛ لأن ذات الزوج لا تحل لغيره، ويحتمل هنا العفة والحرية، فمن حمله على العفة أجاز نكاح المرأة الكتابية سواء كانت حرة أو أمة، ومن حمله على الحرية أجاز نكاح الكتابية الحرة ومنع الأمة؛ وهو مذهب مالك، ولا تعارض بين هذه الآية وبين قوله ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ﴾؛ لأن هذه في الكتابيات، والأخرى في المشركين من العرب، وقد جعل بعض الناس هذه ناسخة لتلك، وقيل: بالعكس، وقد تقدم معنى ﴿ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ ومعنى الـ﴿أَخْدَانٍ﴾. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ الآية، نزلت في غزوة المريسيع، حين انقطع عقد عائشة رضي الله عنها فأقام الناس على التماسه، وليسوا على ماء ولا معهم ماء، فنزلت الرخصة في التيمم، فقال أسيد بن حضير رضي الله عنه: ما هذه بأول بركاتكم يا آل أبي بكر؛ ولذلك سميت الآية آية التيمم، وقد كان الوضوء مشروعا قبلها ثابتا بالسنة، وقوله "إذا قمتم إلى الصلاة" معناه: إذا أردتم القيام إلى الصلاة فتوضأوا، ويقتضي ظاهرها وجوب تجديد الوضوء لكل صلاة، وهو مذهب ابن سيرين وعكرمة، ومذهب الجمهور: أنه لا يجب، واختلفوا في تأويل الآية على أربعة أقوال؛ الأول: أن وجوب تجديد الوضوء لكل صلاة منسوخ بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد [سلم: 664]، والثاني: أن ما تقتضيه الآية من التجديد يحمل على الندب، والثالث: أن تقديرها إذا قمتم محدثين؛ فإنما يجب على من أحدث، والرابع: أن تقديرها إذا قمتم من النوم. ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ ذكر في

وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ  
أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا  
صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ

هذه الآية أربعة أعضاء؛ اثنين محدودين؛ وهما: اليدين والرجلان، واثنين غير محدودين؛ وهما: الوجه والرأس؛ أما المحدودان فتغسل اليدين إلى المرفقين والرجلان إلى الكعبين وجوبا بإجماع؛ فإن ذلك هو الحد الذي جعله الله لهما، واختلف هل يجب غسل المرفقين مع اليدين وغسل الكعبين مع الرجلين أم لا؟ وذلك مبني على معنى "إلى"؛ فمن جعل "إلى" بمعنى "مع" في قوله "إلى المرافق" و"إلى الكعبين" أوجب غسلهما، ومن جعلها بمعنى الغاية لم يوجب غسلهما، واختلف في "الكعبين" هل هما اللذان عند معقد الشراك أو العظمان الناتان في طرف الساق؟ وهو أظهر؛ لأنه ذكرهما بلفظ التثنية، ولو كان اللذان عند معقد الشراك لذكرهما بلفظ الجمع كما ذكر "المرافق"؛ لأنه على ذلك في كل رجل كعب واحد. وأما غير المحدودين؛ فاتفق على وجوب إيعاب الوجه؛ وحده طولا من أول منابت الشعر إلى آخر الذقن أو اللحية، وحده عرضا من الأذن إلى الأذن، وقيل: من العذار إلى العذار. وأما الرأس؛ فمذهب مالك وجوب إيعابه كالوجه، ومذهب كثير من العلماء جواز الاقتصار على بعضه؛ لما ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ مسح على ناصيته [سلم: 656]، ولكنهم اختلفوا في القدر الذي يجزئ على أقوال كثيرة. ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ اختلف في هذه الباء؛ فقال قوم: إنها للتبعض؛ وبنوا على ذلك جواز مسح بعض الرأس، وهذا القول غير صحيح عند أهل العربية، وقال القرافي: إنها باء الاستعانة التي تدخل على الآلات، وأن المعنى امسحوا أيديكم برؤوسكم؛ وهذا ضعيف؛ لأن الرأس على هذا مسح لا مسح، وذلك خلاف المقصود، وقيل: إنها زائدة؛ وهو ضعيف؛ لأن هذا ليس موضع زيادتها، والصحيح عندي أنها باء الإلصاق التي توصل الفعل إلى مفعوله؛ لأن المسح تارة يتعدى بنفسه وتارة بحرف الجر كقوله ﴿فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾، وكقوله ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾. ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ قرئ "وأرجلكم" بالنصب عطفًا على الوجه والأيدي؛ فيقتضي ذلك وجوب غسل الرجلين، وقرئ بالخفض، فحمله بعضهم على أنه عطف على قوله "برؤوسكم" فأجاز مسح الرجلين، روي ذلك عن ابن عباس ؓ، وقال الجمهور: لا يجوز مسحها بل يجب غسلها، وتأولوا قراءة الخفض بثلاث تأويلات؛ أحدها: أنه خفض على الجوار لا على العطف، والآخر: أنه يراد به المسح على الخفين، والثالث: أن ذلك منسوخ بالسنة. والفرق بين المسح والغسل: أن المسح إمرار اليد بالبلل الذي يبقى من الماء، والغسل عند مالك إمرار اليد بالماء، وعند الشافعي إمرار الماء وإن لم يدلك باليد. ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ تقدم الكلام على نظيرتها في النساء.

مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ ۖ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ \* وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَةً

﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ ﴾ أي: من ضيق ولا مشقة، كقول رسول الله ﷺ: «دين الله يسر» [أحمد: 20688]، وبقية الآية تفضل من الله على عباده ورحمة، وفي ضمن ذلك ترغيب في الطهارة وتنشيط عليها. ﴿ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ ﴾ هو ما وقع في بيعة العقبة وبيعة الرضوان، وكل موطن قال المسلمون: فيه سمعنا وأطعنا. ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ ﴾ تقدم الكلام على نظيرتها في النساء. ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾ أي: لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم. ﴿ إِذْ هُمْ قَوْمٌ ۖ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾ في سببها أربعة أقوال؛ الأول: أن النبي ﷺ ذهب إلى بني النضير من اليهود، فهموا أن يصبوا عليه صخرة يقتلونه بها، فأخبره جبريل بذلك فقام من المكان، ويقوي هذا القول ما ورد من الآيات بعد هذا في غدر اليهود، والثاني: أنها نزلت في شأن الأعرابي الذي سل السيف على رسول الله ﷺ حين وجده في سفر وهو وحده، فقال له: من يمنعك مني؟ فقال: «الله»، فأعمد السيف وجلس [البخاري: 2910]، واسمه غورث بن الحارث الغطفاني، الثالث: أنها فيما هم به الكفار من الإيقاع بالمسلمين حين نزلت صلاة الخوف، الرابع: أنها على الإطلاق في دفع الله الكفار عن المسلمين. ﴿ اثنى عشر نقيبًا ﴾ النقيب: هو كبير القوم القائم بأموالهم. ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ ﴾ أي: بنصري، والخطاب لبني

مُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ۗ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۗ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٥﴾ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّوْا أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۗ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۗ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٦﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ۖ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿٦٧﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ ۗ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٨﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۗ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرِيُّوْا نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ ۗ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۗ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۗ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٧٠﴾

إسرائيل، وقيل: للقباء. ﴿مُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ اختلف هل أريد تحريف الألفاظ أو المعاني؟ ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ أي: على خيانة؛ فهو مصدر كالعاقبة، وقيل: على طائفة خائنة؛ وهو إخبار بأمر مستقبل. ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ منسوخ بالسيف والجزية. ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارِيُّوْا﴾ أي: ادعوا أنهم أنصار الله، وسموا أنفسهم بذلك، ثم كفروا بالله ووصفوه بها لا يليق به، ويتعلق "من الذين" بـ ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ والضمير عائد على النصاري. ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ أي: أثبتنا وألصقنا، وهو مأخوذ من الإغراء. ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ في الموضوعين يعم اليهود والنصارى، وقيل: إنها نزلت بسبب اليهود الذين كانوا بالمدينة؛ فإنهم كانوا يذكرون رسول الله ﷺ ويصفونه بصفته فلما حل بالمدينة كفروا به. ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ يعني محمدا ﷺ، وفي الآية دلالة على صحة نبوته؛ لأنه بين لهم ما أخفوه مما في كتبهم وهو أُمِّي لم يقرأ كتبهم. ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ أي: يتركه ولا يفضحكم فيه. ﴿نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ محمد ﷺ والقرآن. ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ الآية، رد على الذين قالوا إن الله هو عيسى، وهم فرقة من النصاري. ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ إشارة إلى خلقه عيسى من غير والد. ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارِيُّوْا﴾ أي: قالت كل فرقة عن نفسها أنهم ﴿أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾، والبنوة هنا بنوة الحنان والرافة، وقال الزمخشري: المعنى نحن أشياع أبناء الله عندهم وهما المسيح وعزير، كما يقول حشم الملوك: نحن الملوك. ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ﴾ رد عليهم؛ لأنهم

يَأْهَلِ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ آذِكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَيْنَكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ يَنْقُومِ آذِكُرُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا يَمْوَسِي إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى تَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ تَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ رَجُلَيْنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِمَا آذِكُرُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ إِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَلِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ قَالُوا يَمْوَسِي إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبِّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٦٦﴾

اعترفوا أنهم يدخلون النار أياما معدودات، وقد أخذ الصوفية من الآية أن المحب لا يعذب حبيبه؛ ففي ذلك بشارة لمن أحبه الله. ﴿ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا ﴾ قيل: جعل منكم ملوكا، أي: أمراء، وقيل: الملك من له مسكن وامرأة وخادم. ﴿ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ قيل: يعني المن والسلوى والغمام وغير ذلك من الآيات، وعلى هذا يكون "العالمين" خاصا بأهل زمانهم؛ لأن أمة محمد ﷺ قد أوتيت من آياته مثل ذلك وأعظم، وقيل: المراد كثرة الأنبياء، فعلى هذا يكون عاما؛ لأن الأنبياء في بني إسرائيل أكثر منهم في سائر الأمم. ﴿ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ﴾ أرض بيت المقدس، وقيل: الطور، وقيل: دمشق. ﴿ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ أي: قضى أن تكون لكم. ﴿ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ ﴾ يحتمل أن يريد الارتداد عن الدين والطاعة، والرجوع إلى الطريق الذي جاؤوا منه؛ فإنه روي أنه لما أمرهم موسى عليه السلام بدخول الأرض المقدسة خافوا من الجبارين الذين فيها، وهموا أن يقدموا على أنفسهم رئيسا ويرجعوا إلى مصر. ﴿ قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾ هم العمالقة. ﴿ قَالَ رَجُلَانِ ﴾ هما يوشع وكالب، ﴿ يَخَافُونَ ﴾ أي: يخافون الله، وقيل: يخافون الجبارين؛ ولكن الله أنعم عليها بالصبر والثبوت لصديق إيمانها. ﴿ آذِكُرُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ ﴾ أي: باب المدينة. ﴿ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبِّكَ ﴾ إفراط في العصيان وسوء الأدب بعبارة تقتضي الكفر والاستهانة بالله ورسوله، وأين هؤلاء من الذين قالوا الرسول الله ﷺ: لسنا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى، ولكن نقول لك: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون [البخاري: 3952]. ﴿ لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ﴾ قاله موسى عليه السلام ليتبرأ إلى الله من قول بني إسرائيل، ويبدل جهده في طاعة الله، ويعتذر إلى الله، وإعراب "أخي" عطف على "نفسى"؛ لأن أخاه هارون كان يطيعه، وقيل: عطف على الضمير في "لا أملك" أي: لا أملك أنا إلا نفسي ولا يملك أخي إلا نفسه، وقيل: مبتدأ وخبره محذوف، أي: أخي لا يملك إلا نفسه. ﴿ فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ أي: فارق بيننا وبينهم، فهو من الفرقة، وقيل: افصل بيننا

قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٦٦﴾  
 ﴿٦٦﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبْنَا قُورْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ آحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ  
 قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ  
 يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ

وبينهم بحكم. ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ الضمير في "قال" لله تعالى، وحرّم الله على جميع بني إسرائيل دخول تلك المدينة أربعين سنة، وتركهم في تلك المدة. ﴿يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: في أرض التيه، وهو ما بين مصر والشام، حتى مات كل من قال "إننا لن ندخلها" ولم يدخلها أحد من ذلك الجيل إلا يوشع وكالب، ومات هارون في التيه، ومات موسى بعده في التيه أيضا، وقيل: إن موسى وهارون لم يكونا في التيه لقوله "فأفرق بيننا وبين القوم الفاسقين"، وخرج يوشع ببني إسرائيل بعد الأربعين سنة وقتل الجبارين وفتح المدينة. والعامل في "أربعين" "محرمة" على الأصح، فيجب وصله معه، وقيل: العامل فيه "يتيهون"؛ فعلى هذا يجوز الوقف على قوله "محرمة عليهم"؛ وهذا ضعيف؛ لأنه لا حامل على تقديم المعمول هنا، مع أن القول الأول أكمل معنى؛ لأنه بيان لمدة التحريم والتيه. ﴿يَتِيهُونَ﴾ أي: يتحIRON، وروى: أنهم كانوا يسيرون الليل كله، فإذا أصبحوا وجدوا أنفسهم في الموضع الذي كانوا فيه. ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ أي: لا تحزن، والخطاب لموسى، وقيل: لمحمد ﷺ، ويراد بالفاسقين: من كان في عصره من اليهود. ﴿نَبَأَ آدَمَ﴾ هما قاييل وهاييل. ﴿إِذْ قَرَّبْنَا قُورْبَانًا﴾ روى: أن قاييل كان صاحب زرع، فقرب أرذل زرعه، وكان هاييل صاحب غنم فقرب أحسن كبش كان عنده، وكانت العادة حينئذ أن يقرب الإنسان قربانه إلى الله ويقوم يصلي، فإذا نزلت نار من السماء وأكلت القربان فذلك دليل على القبول، وإلا فلا قبول؛ فنزلت النار فأخذت كبش هاييل ورفعته، وتركت زرع قاييل، فحسده قاييل فقتله. ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ استدل بها المعتزلة وغيرهم على أن العاصي لا يتقبل عمله، وتأولها الأشعرية بأن التقوى هنا يراد بها تقوى الشرك. ﴿لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ﴾ الآية، قيل: معناها: لئن بدأتني بالقتل لم أبدأك به، وقيل: لئن بدأتني بالقتل لم أذفعك، ثم اختلف على هذا القول هل تركه لدفاعه عن نفسه تورعاً منه وفضيلة؟ وهو الأظهر والأشهر، أو كان واجبا عندهم أن لا يدافع أحد عن نفسه وهو قول مجاهد، وأما في شرعنا فيجوز دفع الإنسان عن نفسه بل يجب. ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ الإرادة هنا ليست بإرادة محبة وشهوة، وإنما هو تحخير في أهون الشرين، كأنه قال: إن قتلتني فذلك أحب إلي من أن أقتلك، كما ورد في الأثر: «كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل» [أحمد: 23162]. وأما قوله "بإثمي وإثمك" فمعناه بإثم قتل لك لو قتلتك وبإثم قتلك لي، وإنما يحمل القاتل الإثمين؛ لأنه ظالم فذلك مثل قوله ﷺ: «المستبان ما قالوا فهو على البادي» [مسلم: 6756]، وقيل: "بإثمي" أي: تحمل عني سائر ذنوبي؛



فَتَكُونُ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ ۗ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ۗ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخٰسِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يَنْوِيْلِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي سَوَاءَ أَخِي ۗ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٢٣﴾ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٢٤﴾

لأن الظالم تجعل عليه يوم القيامة ذنوب المظلوم. "واثمك" أي: في قتلك لي وفي غير ذلك من ذنوبك. ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ يحتمل: أن يكون من كلام هابيل أو استئنافا من كلام الله تعالى. ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا﴾ الآية، روي: أن غرابين اقتتلا حتى قتل أحدهما الآخر، ثم جعل القاتل يبحث عن التراب ويواري الميت، وقيل: بل كان غرابا واحدا يبحث ويلقي التراب على هابيل. ﴿سَوَاءَ أَخِي﴾ أي: عورته وخصت بالذكر؛ لأنها أحق بالستر من سائر الجسد، والضمير في "أخيه" عائد على ابن آدم، ويظهر من هذه القصة أن هابيل كان أول من دفن من بني آدم. ﴿قَالَ يَا وَيْلَتَى﴾ أصله يا ويلتي ثم أبدل من الياء ألف وفتحت التاء، وكذلك ﴿يَا أَسْفَى﴾، و﴿يَا حَسْرَتِي﴾. ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ على ما وقع فيه من قتل أخيه، واختلف في قابيل هل كان كافرا أو عاصيا؟ والصحيح أنه لم يكن كافرا؛ لأنه قصد التقرب إلى الله بالقربان، ولأنه لم يكن في تلك المدة كافرا، و"أصبح" هنا وفي الموضع الأول: عبارة عن جميع الأوقات لا مختصة بالصباح. ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ يتعلق بـ"كتبنا"، وقيل: بـ"النادمين" وهو ضعيف. ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: فرضنا عليهم أو كتبناه في كتبهم. ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ معناه: من غير أن يقتل نفسا يجب عليه به القصاص. ﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: الفساد الذي يجب به القتل كالحراقة. ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ تمثيل قاتل الواحد بقاتل الجميع يتصور من ثلاث جهات؛ إحداها: القصاص؛ فإن القصاص في قتل الواحد والجميع سواء، والثاني: انتهاك الحرمات والإقدام على العصيان، والثالث: الإثم والعذاب الأخروي، قال مجاهد: وعد الله قاتل النفس بجهنم، والخلود فيها، والغضب، واللعة، والعذاب العظيم، فلو قتل جميع الناس لم يزد على ذلك؛ وهذا الوجه هو الأظهر؛ لأن القصد بالآية تعظيم قتل النفس، والتشديد فيه؛ ليزجر الناس عنه، وكذلك الثواب في إحياؤها كثواب إحياء الجميع؛ لتعظيم الأمر والترغيب فيه. وإحياؤها هو بإنقاذها من الموت، وإنقاذ الحريق، والغريق، وشبه ذلك، وقيل: بترك قتلها، وقيل: بالعضو إذا وجب القصاص. ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ﴾ الضمير: لبني إسرائيل، والمعنى تقييح أفعالهم، وفي ذلك إشارة إلى ما هموا به من قتل رسول الله ﷺ.

إِنَّمَا جَزَأُوا الَّذِينَ مُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٥﴾

﴿إِنَّمَا جَزَأُوا الَّذِينَ مُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية، سببها عند ابن عباس ؓ: قوم من اليهود كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل، وقال جماعة: نزلت في نفر من عكل وعرينة أسلموا، ثم إنهم قتلوا راعي رسول الله ﷺ وأخذوا إبله، ثم حكمها بعد ذلك في كل محارب، والحرابة عند مالك: هي حمل السلاح على الناس في بلد أو في خارج بلد، وقال أبو حنيفة: لا يكون المحارب إلا خارج البلدان، وقوله "يحاربون الله" تغليظ ومبالغة، قال بعضهم: تقديره يحاربون رسول الله ﷺ وذلك ضعيف؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام قد ذكر بعد ذلك، وقيل: يحاربون عباد الله؛ وهو أحسن. ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ الآية، بيان للحرابة، وهي على درجات؛ فأدناها إخافة الطريق، ثم أخذ الأموال، ثم قتل الناس. ﴿أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا﴾ الصلب مضاف إلى القتل، فقيل: يقتل ثم يصلب ليراه أهل الفساد فيزدجروا، وهو قول أشهب، وقيل: يصلب حيا ويقتل في الخشبة، وهو قول ابن القاسم. ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ﴾ معناه أن تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى، ثم إن عاد قطعت يده اليسرى ورجله اليمنى، وقطع اليد عند مالك والجمهور من الرسغ، وقطع الرجل من المفصل؛ وذلك في الحرابة وفي السرقة. ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ مشهور مذهب مالك: أن ينفي من بلد إلى بلد آخر يسجن فيه إلى أن تظهر توبته، وروى عنه مطرف: أنه يسجن في البلد بعينه، وبذلك قال أبو حنيفة، وقيل: ينفي إلى بلد آخر دون أن يسجن فيه، ومذهب مالك: أن الإمام مخير في المحارب بين أن يقتله ويصلبه، أو يقتله ولا يصلبه، أو يقطع يده ورجله، أو ينفيه، إلا أنه قال: إن كان قتل فلا بد من قتله، وإن لم يقتل فالأحسن أن يأخذ فيه بأيسر العقاب، وقال الشافعي وغيره: هذه العقوبات مرتبة؛ فمن قتل وأخذ المال قتل وصلب، ومن قتل ولم يأخذ مال قتل ولم يصلب، ومن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله، ومن أخاف السبيل ولم يقتل ولم يأخذ مالا نفي. وحجة مالك عطف هذه العقوبات بـ"أو" التي تقتضي التخيير. ﴿خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾ هو العقوبة، وعذاب الآخرة النار، وظاهر هذا أن العقوبة في الدنيا لا تكون كفارة للمحارب بخلاف سائر الحدود، ويحتمل أن يكون الخزي في الدنيا لمن عوقب، والعذاب في الآخرة لمن لم يعاقب. ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ قيل: هي في المشركين، وهو ضعيف؛ لأن المشرك لا يختلف حكم توبته قبل القدرة عليه وبعدها، وقيل: هي في المحاربين من المسلمين؛ وهو الصحيح، وهم الذين جاءت فيهم العقوبات المذكورة، فمن تاب منهم قبل أن يقدر عليه فقد سقط عنه حكم الحرابة لقوله: ﴿فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ واختلف هل يطالب بما عليه من حقوق الناس

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿٥١﴾ يُرِيدُونَ أَنْ تَخْرُجُوا مِنَ الْبَارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٥٢﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٥٣﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٥﴾ \* يَتَأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا تَحْزِنِكَ الَّذِينَ يَسْعُرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا

في الدنيا من الأموال أم لا؟ فوجه المطالبة بها أنها زائدة على حد الحرابة التي سقطت عنه بالتوبة، ووجه سقوطها إطلاق قوله "غفور رحيم". ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ أي: ما يتوسل به ويتقرب به إليه من الأعمال الصالحة والدعاء وغير ذلك. ﴿لَيَفْتَدُوا بِهِ﴾ إن قيل: لم وحد الضمير وقد ذكر شيئين وهما "ما في الارض" و"مثله"؟ فالجواب: أنه وضع المفرد موضع الاثنين، أو أجرى الضمير مجرى أسماء الإشارة كأنه قال: ليفتدوا بذلك، أو تكون الواو بمعنى مع. ﴿عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ أي: دائم، وكذلك ﴿نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾. ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ عموم الآية يقتضي قطع كل سارق، إلا أن الفقهاء اشترطوا في القطع شروطا خصصوا بها العموم، فمن ذلك؛ أن من اضطره الجوع إلى السرقة لم يقطع عند مالك لتحليل الميتة له، وكذلك من سرق مال ولده أو مال سيده، أو سرق من غير حرز، أو سرق أقل من النصاب؛ وهو عند مالك ربع دينار من الذهب، أو ثلاثة دراهم من الفضة، أو ما يساوي أحدهما، وأدلة التخصيص بهذه الأشياء في غير هذه الآية، وقد قيل: إن الحرز مأخوذ من الآية؛ لأن ما أهمل بغير حرز، أو ائتمن عليه، فليس أخذه سرقة، وإنما هو اختلاس أو خيانة. وإعراب "السارق" عند سيبويه مبتدأ وخبره محذوف، كأنه قال: فيما يتلى عليكم السارق والسارقة، والخبر عند المبرد وغيره "فاقطعوا أيديهما" ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط. ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ الآية، توبة السارق هو أن يندم على ما مضى، ويقطع فيما يستقبل، ويرد ما سرق إلى من يستحقه، واختلف إذا تاب قبل أن يصل إلى الحاكم هل يسقط عنه القطع؟ وهو مذهب الشافعي؛ لظاهر الآية، أو لا يسقط عنه وهو مذهب مالك؛ لأن الحدود عنده لا تسقط بالتوبة إلا المحارب؛ للنص عليه. ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ قدم العذاب على المغفرة؛ لأنه قوبل بذلك تقدم السرقة على التوبة. ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ الآية، خطاب للنبي ﷺ على وجه التسلية له. ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ هم المنافقون. ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ يحتمل أن يكون عطفًا على "الذين قالوا"،

سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ  
 مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ  
 فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا  
 خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٥﴾ سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّخْتِ فَإِنْ  
 جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ  
 فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ مُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١١٦﴾ وَكَيْفَ يُحْكِمُوكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ  
 فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٧﴾

ثم يكون ﴿سَمَّعُونَ﴾ استئناف، إخبار عن الصنفين؛ المنافقين واليهود، ويحتمل أن يكون "من الذين هادوا"  
 استئنافا مقطوعا مما قبله، و"سَمَّعُونَ" راجع إليهم خاصة. ﴿سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ﴾ أي: سماعون كلام قوم  
 آخرين من اليهود الذين لا يأتون النبي ﷺ؛ لإفراط البغضة والمجاهرة بالعداوة، فقوله ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾ صفة  
 لـ"قوم آخرين"؛ والمراد بالقوم الآخرين يهود خيبر، والـ"سَمَّعُونَ للكذب" بنو قريظة. ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ  
 مَوَاضِعِهِ﴾ أي: يبدلونه من بعد أن يوضع في مواضعه، وقصدت به وجوهه القويمة، وذلك من صفة اليهود.  
 ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ نزلت بسبب؛ أن يهوديا زنى بيهودية، فسأل رسول الله ﷺ اليهود عن حد  
 الزاني عندهم؟ فقالوا: نجلدهما ونحمم وجوههما، فقال لهم رسول الله ﷺ: ﴿إِنْ فِي التَّوْرَةِ الرَّجْمُ﴾ فأنكروا  
 ذلك، فأمرهم أن يأتوا بالتوراة فقرأوها، وجعل أحدهم يده على آية الرجم، فقال له عبدالله بن سلام: ارفع  
 يدك فرفع، فإذا آية الرجم، فأمر رسول الله ﷺ باليهودي واليهودية فرجا [البخاري: 4556]. فمعنى قولهم "إن  
 أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ": إن أُوتِيتُمْ هذا الذي ذكرتم من الجلد والتحميم فخذوه واعملوا به. ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ﴾  
 وأفتاكم محمد ﷺ بغيره ﴿فَاحْذَرُوا﴾. ﴿فِتْنَتَهُ﴾ أي: ضلالته في الدنيا أو عذابه في الآخرة. ﴿فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾  
 أي: الذلة والمسكنة والجزية. ﴿سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ إن كان الأول في اليهود فكررها هنا تأكيدا، وإن كان الأول  
 في المنافقين واليهود فهذا في اليهود خاصة. ﴿أَكَلُونَ لِلسُّخْتِ﴾ أي: للحرام؛ من الرشوة والربا وشبه ذلك.  
 ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ هذا تخيير للنبي ﷺ في أن يحكم بين اليهود أو يتركهم، وهو أيضا يتناول  
 الحكام، وقيل: إنه منسوخ بقوله ﴿وَأَنْ أَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾. ﴿وَكَيفَ يُحْكِمُوكَ﴾ الآية، استبعاد  
 لتحكيمهم النبي ﷺ، وهم لا يؤمنون به، مع أنهم يخالفون حكم التوراة التي يدعون الإيمان بها، فمعنى ﴿ثُمَّ  
 يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: يتولون عن اتباع حكم الله في التوراة، من بعد كون حكم الله فيها موجودا عندهم،  
 ومعلوما في قضية الرجم وغيرها. ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني أنهم لا يؤمنون بالتوراة وبموسى عليه السلام،

إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ مَحْكُمٌ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّيْسِيُّونَ  
وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا وَلَا تَشْتَرُوا  
بِقَائِي تَمَنَّا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١١﴾ وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ  
بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأَذْنَ بِالْأَذَنِ وَاللِّسْنَ بِاللِّسَنِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ

وهذا إلزام لهم؛ لأن من خالف كتاب الله وبدله فدعواه الإيوان به باطلة. ﴿التَّيْبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ هم  
الأنبياء الذين بين موسى ومحمد عليهم السلام، ومعنى "أسلموا" هنا: أخلصوا الله، وهي صفة مدح  
أريد بها التعريض باليهود؛ لأنهم بخلاف هذه الصفة، وليس المراد هنا الإسلام الذي هو ضد الكفر؛  
لأن الأنبياء لا يقال فيهم أسلموا على هذا المعنى؛ لأنهم لم يكفروا قط، وإنما هو كقول إبراهيم عليه  
السلام ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وقوله تعالى ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾. ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ متعلق  
بـ"يحكم" أي: يحكم الأنبياء بالتوراة للذين هادوا ويحملونهم عليها، وقيل: يتعلق بقوله "فيها هدى  
ونور". ﴿بِمَا اسْتَحْفَظُوا﴾ أي: كلفوا حفظه، والباء هنا سببية قاله الزمخشري، ويحتمل أن تكون بدلا من  
المجرور في قوله "يحكم بها". ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ﴾ وما بعده خطاب لليهود، ويحتمل أن يكون وصية  
للمسلمين يراد بها التعريض باليهود؛ لأن ذلك من أفعالهم. ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ  
الْكَافِرُونَ﴾ قال ابن عباس ؓ: نزلت الثلاثة في اليهود: ﴿الْكَافِرُونَ﴾، و﴿الظَّالِمُونَ﴾، و﴿الْفَاسِقُونَ﴾،  
وقد روي في هذا حديث عن النبي ﷺ، وقال جماعة: هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من اليهود  
والمسلمين وغيرهم، إلا أن الكفر في حق المسلمين كفر معصية لا يخرجهم عن الإيوان، وقال الشافعي:  
"الكافرون" في المسلمين، و"الظالمون" في اليهود، و"الفاسيقون" في النصارى. ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ كتبنا  
بمعنى الكتابة في الألواح، أو بمعنى الفرض والإلزام، والضمير في "عليهم" لـ"بني إسرائيل"، وفي قوله  
"فيها" لـ"التوراة". ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ أي: تقتل النفس إذا قتلت نفسا، وهذا إخبار عما في التوراة؛  
وهو حكم في شريعتنا بإجماع، إلا أن هذا اللفظ عام وقد خصص العلماء منه أشياء، فقال مالك: لا يقتل  
مؤمن بكافر للحديث الوارد في ذلك، ولا يقتل حر بعبد لقوله ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾، وقد تقدم  
الكلام على ذلك في البقرة. ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ وما بعده حكم القصاص في الأعضاء، والقراءة بنصب  
"العين"، وما بعده عطف على "النفس"، وقرئ بالرفع؛ ولها ثلاثة أوجه؛ أحدها: العطف على موضع  
"النفس"؛ لأن المعنى: قلنا لهم النفس بالنفس، والثاني: العطف على الضمير الذي في الخبر وهو "بالنفس"،  
والثالث: أن يكون مستأنفا مرفوعا بالابتداء. ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ بالنصب عطف على المنصوبات  
قبله، وبالرفع على الأوجه الثلاثة التي في رفع "العين"، وهذا اللفظ عام يراد به الخصوص في الجراح

فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ، فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفِينَا عَلَىٰ ءَابَثِهِمْ بِعَيْسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ، وَإِذْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ، فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا ءَاتَيْتُمْ، فَاسْتَبِقُوا الْحَيَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾

التي لا يخاف على النفس منها. ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ فيه تأويلان؛ أحدهما: من تصدق من أصحاب الحق بالقصاص، وعفا عنه؛ فذلك كفارة له يكفر الله ذنوبه لعفوه وإسقاطه حقه، والثاني: من تصدق وعفا، فهو كفارة للقاتل أو الجارح بعفو الله عنه في ذلك؛ لأن صاحب الحق قد عفا عنه، فالضمير في "له" على التأويل الأول يعود على "من" التي هي كناية عن المقتول، أو المجروح، أو الولي، وعلى الثاني يعود على القاتل، أو الجارح وإن لم يجز له ذكر، ولكن سياق الكلام يقتضيه؛ والأول أرجح لعود الضمير على المذكور وهو "من"، ومعناها واحد على التأويلين، والصدقة بمعنى العفو على التأويلين، إلا أن التأويل الأول بيان لأجر من عفا، وترغيب في العفو، والتأويل الثاني بيان لسقوط الإثم عن القاتل أو الجارح إذا عفي عنه. ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قد تقدم معنى ﴿مُصَدِّقًا﴾ في البقرة، و"لما بين يديه" يعني التوراة؛ لأنها قبله، والقرآن مصدق للتوراة والإنجيل؛ لأنها قبله، و"مصدقاً" عطف على موضع قوله "فيه هدى ونور"؛ لأنه في موضع الحال. ﴿وَمُهَيِّمًا﴾ ابن عباس رضي الله عنه: شاهداً، وقيل: مؤتمناً. ﴿عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ تضمن الكلام معنى لا تنصرف أو لا تنحرف، ولذلك تعدي بـ"عن". ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ ابن عباس رضي الله عنه: سبيلاً وسنة، والخطاب للأنبياء أو الأمم، والمعنى: أن الله جعل لكل أمة شريعة يتبعونها، وقد استدل بها من قال: إن شريعة من قبلنا ليس بشرع لنا، وذلك في الأحكام والفروع، وأما في الاعتقادات فالدين فيها واحد لجميع العالم؛ وهو الإيمان بالله وتوحيده وتصديق رسوله والإيمان بالدار الآخرة. ﴿فَاسْتَبِقُوا الْحَيَاتِ﴾ استدل بها قوم على أن تقديم الواجبات أفضل من تأخيرها؛ وهذا متفق عليه في العبادات كلها إلا الصلاة ففيها خلاف؛ فمذهب الشافعي أن تقديمها في أول وقتها أفضل، وعكس أبو حنيفة، وفي مذهب مالك خلاف وتفصيل، واتفقوا أن تقديم المغرب أفضل.

وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ وَأَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١٢﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿١١٣﴾ يَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ

﴿ وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ ﴾ عطف على "الكتاب" في قوله "وأنزلنا إليك الكتاب"، أو على "الحق" في قوله "بالحق"، وقال قوم: إن هذا وقوله قبله "فاحكم بينهم" ناسخ لقوله "فاحكم بينهم"، أو أعرض عنهم "أي: ناسخ للتخيير الذي في الآية، وقيل: إنه ناسخ للحكم بالتوراة، ونزلت الآية بسبب قوم من اليهود طلبوا من رسول الله ﷺ أن يحكم بينهم فأبى من ذلك، ونزلت الآية تقتضي أن يحكم بينهم. ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ توبيخ لليهود، وقرئ بالياء إخبارا عنهم، وبالتاء خطابا لهم. ﴿ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ قال الزمخشري: اللام للبيان، أي: هذا الخطاب لقوم يوقنون؛ فإنهم الذين يتبين لهم أنه لا أحسن من الله حكما. ﴿ لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ﴾ سببها: موالة عبد الله بن أبي ابن سلول يهود بني قينقاع، وخلع عبادة بن الصامت ﷺ الحلف الذي بينه وبينهم، ولفظها عام وحكمها باق، ولا يدخل فيه معاملتهم في البيع وشبهه. ﴿ فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ ﴾ تغليظ في الوعيد، فمن كان يعتقد معتقدهم فهو منهم من كل وجه، ومن خالفهم في اعتقادهم وأحبههم فهو منهم في المقت عند الله واستحقاق العقوبة. ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ هم المنافقون، والمراد هنا: عبد الله بن أبي بن سلول ومن كان معه. ﴿ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾ كان عبد الله بن أبي يوالي اليهود ويستكثر بهم، ويقول: إني رجل أخشى الدوائر. ﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ ﴾ الفتح: هو ظهور النبي ﷺ والمسلمين، والأمر من عنده: هو هلاك الأعداء بأمر من عنده لا يكون فيه تسبب لمخلوق، أو أمر من الله لرسوله عليه الصلاة والسلام بقتل اليهود. ﴿ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ الضمير في "فيصبحوا" للمنافقين، والذي أسروه: هو قصدهم الاستعانة باليهود على المسلمين، وإضمار العداوة للمسلمين. ﴿ يَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ قرئ "يقول" بغير واو، استئناف إخبار، وقرئ بالواو والرفع؛ وهو عطف جملة على جملة، وبالواو والنصب عطف على "أن يأتي الله"، أو على "فيصبحوا". ﴿ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا ﴾ الإشارة إلى المنافقين؛ لأنهم كانوا يجلفون أنهم مع المؤمنين،

جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ وَإِنَّمَا لَعَنَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَسِرِينَ ﴿٥٥﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
 مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ، فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ  
 عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ  
 يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٦﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ  
 وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٧﴾

وانتصب ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ على المصدر المؤكد. ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ يحتمل أن يكون من كلام المؤمنين أو من  
 كلام الله، ويحتمل أن يكون دعاء أو خبراً. ﴿مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ﴾ خطاب على وجه التحذير والوعيد؛  
 وفيه إعلام بارتداد بعض المسلمين؛ فهو إخبار بالغيب قبل وقوعه، ثم وقع فارتد في حياة رسول الله ﷺ بنو  
 حنيفة قوم مسيلمة الكذاب، وبنو مدلج قوم الأسود العنسي الذي ادعى النبوة وقتل في حياة رسول الله ﷺ،  
 وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد الذي ادعى النبوة ثم أسلم وجاهد، ثم كثر المرتدون وفشا أمرهم بعد موت  
 رسول الله ﷺ حتى كفى الله أمرهم على يد أبي بكر الصديق ؓ، وكانت القبائل التي ارتدت بعد وفاة النبي ﷺ  
 سبع قبائل؛ بنو فزارة، وغطفان، وبنو سليم، وبنو يربوع، وكندة، وبنو بكر بن وائل، وبعض بني تميم، ثم ارتدت  
 غسان في زمان عمر بن الخطاب ؓ؛ وهم قوم جبلة بن الأيهم الذي تنصر من أجل اللطمة. ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي  
 اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ روي أن رسول الله ﷺ قرأها وقال: «هم قوم هذا» يعني أبا موسى الأشعري ؓ  
 [الطبراني: 14423]. والإشارة بذلك والله أعلم إلى أهل اليمن؛ لأن الأشعريين من أهل اليمن، وقيل المراد: أبو  
 بكر الصديق وأصحابه ؓ الذين قاتلوا أهل الردة، ويقوي ذلك ما ظهر من أبي بكر الصديق ؓ من الجد في  
 قتالهم والعزم عليه حين خالفه في ذلك بعض الناس، فاشتد عزمه حتى وافقوه وأجمعوا معه، فنصرهم الله  
 على أهل الردة، ويقوي ذلك أن الصفات التي وصف بها هؤلاء القوم هي أوصاف أبي بكر ؓ، ألا ترى  
 قوله ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ وكان أبو بكر ؓ ضعيفاً في نفسه قوياً في الله، وكذلك قوله  
 ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ إشارة إلى من خالف أبا بكر ؓ ولامه في قتال أهل الردة فلم يرجع عن عزمه.  
 ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ كقوله ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، وإنما تعدى "أذلة" بـ"على" لأنه تضمن  
 معنى العطف والحنو، فإن قيل: أين الراجع من الجزاء إلى الشرط؟ فالجواب: أنه محذوف تقديره: من يرتد  
 منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم مكانهم أو يقوم بقاتلونهم. ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ ذكر الولي بلفظ المفرد؛ أفراد  
 اسمه تعالى بها ثم عطف على الله تعالى الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين على سبيل التبع، ولو قال: إنما  
 أولياؤكم لم يكن في الكلام أصل وتبع. ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ قيل: نزلت في علي بن أبي طالب ؓ؛ فإنه سأله  
 سائل وهو راکع في الصلاة فأعطاه خاتمه، وقيل: هي عامة، وذكر الركوع بعد الصلاة؛ لأنه من أشرف أعمالها،



وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمُ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُؤًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنبِئُكُمْ بِشَرِّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ

فالواو على القول الأول واو الحال، وعلى الثاني عطف على "الذين". ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ﴾ هذا من إقامة الظاهر مقام المضمرة؛ معناه: فإنهم هم الغالبون. ﴿وَالْكَافِرَ﴾ بالنصب عطف على "الذين اتخذوا"، وقرئ بالخفض عطف على "الذين أوتوا الكتاب"؛ ويعضده قراءة ابن مسعود "ومن الكفار" ويراد بهم المشركون من العرب. ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمُ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ الآية، روي أن رجلا من النصارى كان بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول: أشهد أن محمدا رسول الله، قال: حرق الله الكاذب فوقعت النار في بيته فاحترق هو وأهله. واستدل بعضهم بهذه الآية على ثبوت الأذان من القرآن. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ جعل قلة عقولهم علة لاستهزائهم بالدين. ﴿هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا﴾ أي: هل تعيرون علينا وتتكرون منا إلا إيماننا بالله وبجميع كتبه ورسوله، وذلك أمر لا ينكر ولا يعاب، ونظير هذا في الاستثناء العجيب قول النابغة:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتاب

ونزلت الآية بسبب أبي ياسر بن أخطب ونافع بن أبي نافع وجماعة من اليهود؛ سألوا رسول الله ﷺ عن الرسل الذين يؤمن بهم فتلا ﴿ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ إلى آخر الآية، فلما ذكر عيسى قالوا: لا نؤمن بعيسى ولا بمن آمن به. [ابن أبي حاتم: 6595]. ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ قيل: إنه معطوف على "آمنا"، وقيل: على "ما أنزل"، وقيل: هو تعليل معطوف على تعليل محذوف تقديره: هل تنقمون منا إلا لقلة إنصافكم، ولأن أكثركم فاسقون، ويحتمل أن يكون "وأن أكثركم" مبتدأ وخبره محذوف تقديره: فسقكم معلوم أو ثابت. ﴿قُلْ هَلْ أُنبِئُكُمْ بِشَرِّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ لما ذكر أن أهل الكتاب يعيرون على المسلمين بالإيمان بالله ورسوله، ذكر عيوب أهل الكتاب في مقابلة ذلك ردا عليهم، فالخطاب في "انبتكم" لليهود، والإشارة بـ"ذلك" إلى ما تقدم من حال المؤمنين. ﴿مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ﴾ هي من الشواب، ووضع الشواب موضع العقاب تهكما بهم نحو قوله ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. ﴿مَن لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ يعني اليهود، و"من" في موضع رفع بخبر ابتداء مضمرة؛ تقديره: هو من لعنه الله، أو في موضع خفض على البدل من "شر"، ولا بد في الكلام من حذف مضاف تقديره: بشر من أهل ذلك، أو تقديره: دين من لعنه الله.

وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦﴾ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ءُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٧﴾ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَّبِّكَ طُعْنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠﴾

﴿وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ مسخ قوم من اليهود قرودا حين اعتدوا في السبت، ومسخ قوم منهم خنازير حين كذبوا بعباس بن مريم. ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ القراءة بفتح الباء فعل معطوف على "لعنه الله"، وقرئ بضم الباء وخفض "الطاغوت" على أن يكون "عبد" اسما على وجه المبالغة كيقظ، أضيف إلى "الطاغوت"، وقرئ "وعابد" و"عباد" وهو في هذه الوجوه عطف على "القردة والخنازير". ﴿شَرٌّ مَكَانًا﴾ أي: منزلة، ونسب الشر للمكان وهو في الحقيقة لأهله، وذلك مبالغة في الذم. ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ﴾ نزلت في منافقين من اليهود. ﴿دَخَلُوا بِالْكَفْرِ﴾ تقديره: ملتبسين بالكفر، والمعنى: دخلوا كفارا وخرجوا كفارا، ودخلت "قد" على "دخلوا"، و"خَرَجُوا" تقريبا للماضي من الحال؛ أي: ذلك حالهم في دخولهم وخروجهم على الدوام. ﴿فِي الْإِثْمِ﴾ الكذب وسائر المعاصي. ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ الظلم. ﴿السُّحْتِ﴾ الحرام. ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمْ﴾ عرض وتحضيض وتقريع. ﴿لَيْسَ﴾ اللام في الموضعين للقسم ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ غل اليد كناية عن البخل، وبسطها كناية عن الجود، ومنه ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾ أي: لا تبخل كل البخل، ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ أي: لا تجحد كل الجود، وروي أن اليهود أصابتهم سنة جهد، فقالوا هذه المقالة الشنيعة، وكان الذي قالها فنحاص، ونسبت إلى جملة اليهود لأنهم رضوا بقوله. ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ يحتمل أن يكون دعاء أو خبرا، ويحتمل أن يكون في الدنيا أو في الآخرة؛ فإن كان في الدنيا فيحتمل أن يراد به البخل، أو غل أيديهم في الأسر، وإن كان في الآخرة فهو جعل الأغلال في جهنم. ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ عبارة عن إنعامه وجوده، وإنما ثبتت اليدان هنا وأفردت في قول اليهود "يد الله مغلولة"، ليكون ردا عليهم ومبالغة في وصفه تعالى بالجود، كقول العرب: فلان يعطي بكتلتا يديه إذا كان عظيم السخاء. ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ إيقاد النار: عبارة عن محاولة الحرب، وإطفائها: عبارة عن خذلانهم وعدم نصرهم، ويحتمل أن يراد بذلك أسلافهم، أو يراد من كان معاصرا للنبي ﷺ منهم ومن يأت بعدهم؛ فيكون

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٥﴾  
 وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ  
 أَرْجُلِهِمْ مِمَّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۗ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ \* يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ  
 إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۗ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتِهِ ءِ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا  
 يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ  
 وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا  
 وَكُفْرًا ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابُونَ

على هذا إخبار بغيب وبشارة للمسلمين. ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا﴾ الآية، يحتمل أن يراد أسلافهم أو  
 المعاصرون للنبي ﷺ فيكون على هذا ترغيباً لهم في الإيمان والتقوى. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾  
 إقامتها بالعلم والعمل، وذكر الإنجيل دليل على دخول النصرى في لفظ "أهل الكتاب". ﴿لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ  
 وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ قيل: "من فوقهم" عبارة عن المطر، و"من تحتهم" عبارة عن النبات والزرع، وقيل: ذلك  
 استعارة في توسعة الرزق من كل وجه. ﴿أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ أي: معتدلة، ويراد به من أسلم منهم؛ كعبد الله بن  
 سلام ؓ، وقيل: من لم يعاد الأنبياء المتقدمين. ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أمر بتبليغ جميع  
 ما أوحى إليه على الاستيفاء والكمال؛ لأنه كان قد بلغ، وإنما أمر هنا ألا يتوقف عن شيء مخافة أحد. ﴿وَإِنْ لَمْ  
 تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ هذا وعيد على تقدير عدم التبليغ، وفي ارتباط هذا الشرط مع جوابه قولان؛  
 أحدهما: أن المعنى إن تركت منه شيئاً فكأنك لم تبلغ شيئاً، وصار ما بلغت لا يعتد به، فمعنى "إن لم تفعل" إن  
 لم تستوف التبليغ على الكمال، والآخر: أن المعنى إن لم تبلغ الرسالة وجب عليك عقاب من كتبتها، ووضع  
 السبب موضع المسبب. ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ وعد وضمان للعصمة، وكان رسول الله ﷺ يخاف  
 أعداءه، ويحترس منهم في غزواته وغيرها، فلما نزلت هذه الآية قال: يا أيها الناس انصرفوا، فإن الله قد عصمني  
 وترك الاحتراس [الترمذي: 3320]. ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ الآية، أي: لستم على دين يعتد به  
 يسمى شيئاً. ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ ومن إقامتها الإبان بمحمد ﷺ، وقوله ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾  
 قال ابن عباس ؓ: يعني القرآن، ونزلت الآية بسبب رافع بن حارثة، وسلام بن مشكم، ورافع بن حريملة،  
 وغيرهم من اليهود، جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنا نتبع التوراة ولا نتبع غيرها، ولا نؤمن بك ولا  
 نتبعك. ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ تقدم الكلام على نظيرتها في البقرة. ﴿وَالصَّابُونَ﴾ قراءة السبعة  
 بالواو وهي مشكلة حتى قالت عائشة ؓ: هي من لحن كتاب المصحف، وإعرابها عند أهل البصرة:  
 مبتدأ، وخبره محذوف تقديره: والصابئون كذلك، وهو مقدم في نية التأخير، وأجاز بعض الكوفيين فيه:

وَالنَّصْرِي مَنْ - امْرَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٦﴾  
 لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ  
 فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٦٧﴾ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ  
 ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ  
 اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۗ إِنَّهُ مَنْ  
 يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ كَفَرَ  
 الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۗ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ ۗ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ  
 لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٠﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۗ وَاللَّهُ  
 غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧١﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ  
 كَانَا يَأْكُلَنِ الطَّعَامَ ۗ أَنْظِرْ كَيْفَ تُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ إِنِّي يُوفِّكَوْنَ ﴿٧٢﴾

أن يكون معطوفا على موضع اسم "إن"، وقيل: "إن" هنا بمعنى نعم وما بعدها مرفوع بالابتداء؛ وهو ضعيف. ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: بلاء واختبار، وقرئ "تكون" بالرفع على أن تكون "أن" مخففة من الثقيلة، وبالنصب على أنها مصدرية. ﴿فَعَمُوا وَصَمُوا﴾ عبارة عن تماديهم على المخالفة والعصيان. ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ قيل: إن هذه التوبة رد ملكهم ورجوعهم إلى بيت المقدس بعد خروجهم منه، ثم أخرجوا المرة الثانية فلم ينجر حالهم أبدا، وقيل: التوبة بعث عيسى عليه السلام، وقيل: بعث محمد ﷺ. ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ بدل من الضمير، أو فاعل على لغة أكلوني البراغيث؛ والبدل أرجح وأصح. ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ﴾ الآية رد على النصارى وتكذيب لهم. ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ يحتمل أن يكون من كلام المسيح أو من كلام الله. ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ﴾ الآية رد على من جعله إلهًا. ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ بناء مبالغة من الصدق أو من التصديق، ووصفها بهذه الصفة دون النبوة يدفع قول من قال إنها نبية. ﴿كَانَا يَأْكُلَنِ الطَّعَامَ﴾ استدلال على أنها ليسا بإلهين لاحتياجهما إلى الغذاء الذي لا يحتاج إليه إلا محدث مفتقر، ومن كان كذلك فليس بإله؛ لأن الإله منزه عن صفات الحدوث، وعن كل ما يلحق البشر، وقيل: إن قوله "ياكلان الطعام" عبارة عن الاحتياج إلى الغائط؛ ولا ضرورة تدعو إلى إخراج اللفظ عن ظاهره؛ لأن الحجة قائمة بالوجهين. ﴿ثُمَّ أَنْظِرْ﴾ دخلت "ثم" لتفاوت الأمرين، ولقصده التعجيب من كفرهم بعد بيان الآيات.

قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٦﴾  
 قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ  
 وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٧﴾ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى  
 لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦٨﴾ كَانُوا لَا  
 يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِيسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٦٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ  
 يَقُولُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِيسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ  
 هُمْ خَالِدُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا آلِهَةً  
 وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٧١﴾ \* لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ  
 وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيَّ ذَلِكَ  
 بِأَنَّهُمْ قَيْسِيَّيْنَ وَرُهَبَانَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ الآية، إقامة الحجة على من عبد عيسى وأمه وهما لا يملكان ضرا ولا نفعاً.  
 ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ خطاب للنصارى، والغلو الإفراط؛ وسبب ذلك كفر النصارى.  
 ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ﴾ قيل: هم أمتهم في دين النصرانية كانوا على ضلال في عيسى. ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾  
 من الناس، ثم ﴿ضَلُّوا﴾ بكفرهم بمحمد ﷺ، وقيل: هم اليهود؛ والأول أرجح لوجهين؛ أحدهما: أن  
 الضلال وصف لازم للنصارى؛ ألا ترى قوله تعالى ﴿وَالصَّالِّينَ﴾، والآخر: أنه يبعد نهي النصارى عن  
 اتباع اليهود مع ما بينهم من الخلاف والشقاق. ﴿عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ أي: في الزبور  
 والإنجيل. ﴿لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنْكَرٍ﴾ أي: لا ينهى بعضهم بعضاً. ﴿فَإِن قِيلَ﴾ لم وصف المنكر بقوله  
 ﴿فَعَلُوهُ﴾ والنهي لا يكون بعد الفعل؟ فالجواب: أن المعنى لا يتناهون عن مثل منكر فعلوه، أو عن منكر إن  
 أرادوا فعله. ﴿تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ إن أراد أسلافهم فالرؤية بالقلب، وإن أراد المعاصرين للنبي ﷺ وهو  
 الأظهر فهي رؤية عين. ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾ يعني محمداً ﷺ. ﴿مَا اتَّخَذُوا آلِهَةً﴾ يعني ما اتخذوا  
 الكفار أولياء. ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً﴾ الآية، إخبار عن شدة عداوة اليهود وعبدة الأوثان للمسلمين.  
 ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً﴾ الآية، إخبار أن النصارى أقرب إلى مودة المسلمين، وهذا الأمر باق إلى آخر الدهر،  
 فكل يهودي شديد العداوة للإسلام والكيد لأهله. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَيْسِيَّيْنَ وَرُهَبَانًا﴾ تعليل لقرب  
 مودتهم، والقيسيس: العالم، والراهب: العابد. ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ الآية، هي في النجاشي  
 وفي الوفد الذين بعثهم إلى رسول الله ﷺ؛ وهم سبعون رجلاً، فقرأ عليهم رسول الله ﷺ القرآن فبكوا

تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٥٧﴾ فَأَثَبُهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥٩﴾ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٦٠﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِءِ مُؤْمِنُونَ ﴿٦١﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْآيْمَانَ ۖ فَكَفَرْتُمُوهٗ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ ۗ

كما بكى النجاشي ﷺ حين قرأ عليه جعفر بن أبي طالب ﷺ سورة مريم. وقال السهيلي: نزلت في وفد نجران، وكانوا نصارى عشرون رجلا، فلما سمعوا القرآن بكوا. ﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ "من الأولى سببية، والثانية لبيان الجنس. ﴿ءَامَنَّا﴾ أي: بالقرآن من عند الله. ﴿مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ أي: مع المسلمين، وكذلك ﴿مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾. ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ توقيف لأنفسهم، أو محاجة لغيرهم. ﴿وَنَطْمَعُ﴾ قال الزمخشري: الواو للحال، وقال ابن عطية: لعطف جملة على جملة لا لعطف فعل على فعل. ﴿لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ سببها: أن قوما من الصحابة ﷺ غلب عليهم خوف الله إلى أن حرم بعضهم النساء، وبعضهم النوم بالليل، وبعضهم أكل اللحم، وهم بعضهم أن يحتصوا أو يسيحوا في الأرض، فقال لهم رسول الله ﷺ: «أما أنا فأقوم وأنا، وأصوم وأفطر، وآتي النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني» [البخاري: 5063]. ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ أي: لا تفرطوا في التشديد على أنفسكم أكثر مما شرع لكم. ﴿وَكُلُوا﴾ أي: تمتعوا بالماكل الحلال وبالنساء وغير ذلك، وإنما خص الأكل بالذكر؛ لأنه أعظم حاجات الإنسان ﴿بِاللَّغْوِ﴾ تقدم في البقرة. ﴿بِمَا عَقَدْتُمُ الْآيْمَانَ﴾ أي: بما قصدتم عقده بالنية، وقرئ "عقدتم" بالتخفيف و"عاقدم" بالألف. ﴿إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينٍ﴾ اشتراط المسكنة دليل على أنه لا يجزئ في الكفارة إطعام غني، فإن أطعمه جهلا لم يجزه على المشهور من المذهب، واشترط مالك أيضا أن يكونوا أحرارا مسلمين، وليس في الآية ما يدل على ذلك. ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ اختلف في هذا التوسط؛ هل هو في القدر أو في الصنف؟ واللفظ يحتمل الوجهين، فأما القدر؛ فقال مالك: يطعم بالمدينة مد بمد النبي ﷺ، وبغيرها وسط من الشبع، وقال الشافعي وابن القاسم: يجزئ المد في كل مكان، وقال أبو حنيفة: إن غداهم وعشاهم أجزاء، وأما الصنف، فاختلف؛ هل يطعم من عيش نفسه أو من عيش أهل بلده؟ فمعنى الآية على التأويل الثاني: من أوسط ما تطعمون أيها الناس أهليكم على الجملة، وعلى الأول يختص الخطاب بالمكفر.

أَوْ كَسَوْتُهُمْ<sup>٤</sup> أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ<sup>٥</sup> فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ<sup>٦</sup> ذَلِكَ كَفَّارَةٌ أَيْمَانِكُمْ<sup>٧</sup> إِذَا حَلَفْتُمْ<sup>٨</sup>  
 وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ<sup>٩</sup> كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ<sup>١٠</sup> آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا  
 الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا  
 يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْحَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ  
 الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٤٠﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا  
 عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿٤١﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا

﴿أَوْ كَسَوْتُهُمْ﴾ قال كثير من العلماء: يجزئ ثوب واحد لمسكين؛ لأنه يقال فيه كسوة، وقال مالك: إنها يجزئ ما تصح به الصلاة؛ فللرجل ثوب واحد وللمرأة قميص وخمار. ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ اشترط مالك فيها أن تكون مؤمنة لتقيدها بذلك في كفارة القتل، فحمل هذا المطلق على ذلك المقيد، وأجاز أبو حنيفة هنا عتق الكافر؛ لإطلاق اللفظ هنا، واشترط مالك أيضا أن تكون سليمة من العيوب، وليس في اللفظ ما يدل على ذلك. ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ أي: من لم يملك ما يعتق ولا ما يطعم ولا ما يكسو، فعليه صيام ﴿ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ فالخصال الثلاثة على التخيير، والصيام مرتب بعدها لمن عدمها، وهو عند مالك من لم يفضل عن قوته وقوت عياله في يومه زيادة. ﴿ذَلِكَ كَفَّارَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ معناه: إذا حلفتם وخشيتهم أو أردتم الحنث، واختلف؛ هل يجوز تقديم الكفارة على الحنث أم لا؟. ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ أي: احفظوها فبروا فيها ولا تحشوا، وقيل: احفظوها بأن تكفروها إذا حنثتم، وقيل: احفظوها، أي: لا تنسوها تهاونا بها. ﴿الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ ذكر في البقرة. ﴿وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ﴾ مذكوران في أول هذه السورة. ﴿رِجْسٌ﴾ هو في اللغة: كل مكروه مذموم، وقد يطلق بمعنى النجس، وبمعنى الحرام، وقال ابن عباس هنا معنى "رجس": سخط. ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ نص في التحريم، والضمير يعود على الـ"رجس" الذي هو خبر عن جميع الأشياء المذكورة. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْحَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ تقييح للخمر والميسر وذكر لبعض عيوبها، وتعليل لتحريمها، وقد وقعت في زمان الصحابة ﷺ عداوة بين أقوام بسبب شربهم لها قبل تحريمها، ويقال: إن ذلك كان سبب نزول الآية. ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ توقيف يتضمن الزجر والوعيد، ولذلك قال عمر رضي الله عنه: لما نزلت: انتهينا انتهينا. ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ فيها تأويلان؛ أحدهما: أنه لما نزل تحريم الخمر، قال قوم من الصحابة ﷺ: فكيف بمن مات منا وهو يشربها؟ فنزلت الآية معلمة أنه لا جناح على من شربها قبل التحريم؛ لأنه لم يعص الله بشربها حينئذ. والآخر: أن المعنى رفع الجناح عن المؤمنين فيما طعموا من المطاعم إذا اجتنبوا الحرام منها، وعلى هذا أخذها عمر رضي الله عنه حين

إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ نُحِبُّ  
 الْحَسِينَ ﴿٣١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ  
 لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن سَخَّافُ بِالْغَيْبِ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ  
 ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ۗ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ

قال لقدامة: إنك إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم عليك، وكان قدامة قد شربها، واحتج بهذه الآية على رفع  
 الجناح عنه، فقال له عمر رضي الله عنه: أخطأت التأويل. ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا﴾ الآية، قيل: كرر التقوى مبالغة،  
 وقيل: الرتبة الأولى اتقاء الشرك، والثانية اتقاء المعاصي، والثالثة اتقاء ما لا بأس به حذرا عما به البأس، وقيل:  
 الأولى للزمان الماضي، والثانية للحال، والثالثة للمستقبل. ﴿وَأَحْسَنُوا﴾ يحتمل أن يريد الإحسان إلى الناس  
 أو الإحسان في طاعة الله، وهو المراقبة؛ وهذا أرجح لأنه درجة فوق التقوى، ولذلك ذكره في المرة الثالثة،  
 وهي الغاية، ولذلك قالت الصوفية: المقامات ثلاثة؛ مقام الإسلام، ثم مقام الإيمان، ثم مقام الإحسان.  
 ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ﴾ أي: يختبر طاعتكم من معصيتكم بما يظهر لكم من الصيد مع الإحرام  
 أو في الحرم، وكان الصيد من معاش العرب ومستعملا عندهم، فاختبروا بتركه كما اختبر بنو إسرائيل  
 بالحيات في السبت، وإنما قلله في قوله "بشيء من الصيد" إشعارا بأنه ليس من الفتن العظام، وإنما هو من  
 الأمور التي يمكن الصبر عنها. ﴿تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ قال مجاهد: الذي تناله الأيدي: الفراخ والبيض  
 وما لا يستطيع أن يفر، والذي تناله الرماح: كبار الصيد؛ والظاهر عدم هذا التخصيص. ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ أي:  
 يعلمه علما تقوم به الحجة، وذلك إذا ظهر في الوجود. ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ﴾ أي: بقتل الصيد وهو محرم، والعذاب  
 الأليم هنا في الآخرة. ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ معنى "حرم": داخلين في الإحرام أو في الحرم، و"الصيد"  
 هنا عام خصص منه الحديث: «الغراب والحداة والفأرة والعقرب والكلب العقور» [البخاري: 1828]، وأدخل مالك في  
 الكلب العقور: كل ما يؤذي الناس من السباع وغيرها، وقاس الشافعي على هذه الخمسة كل ما لا يؤكل  
 لحمه، ولفظ "الصيد" يدخل فيه ما صيد وما لم يصد مما شأنه أن يصاد، وورد النهي هنا عن القتل قبل أن  
 يصاد وبعد أن يصاد، وأما النهي عن الاصطياد فيؤخذ من قوله ﴿وَحَرَّمَ عَلَيْنَا صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا﴾.  
 ﴿وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾ مفهوم الآية يقتضي أن جزاء الصيد على المتعمد لا على الناسي، وبذلك قال أهل  
 الظاهر، وقال جمهور الفقهاء: إن المتعمد والناسي سواء في وجوب الجزاء، ثم اختلفوا في تأويل قوله "متعمدا"  
 على ثلاثة أقوال؛ أحدها: أن المتعمد إنما ذكر ليناط به الوعيد الذي في قوله ﴿وَمَن عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾  
 إذ لا وعيد على الناسي، والثاني: أن الجزاء على الناسي بالقياس على المتعمد، والثالث: أن الجزاء على المتعمد  
 ثبت بالقرآن، وأن الجزاء على الناسي ثبت بالسنة. ﴿فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ﴾ المعنى: فعليه جزاء، وقرئ



يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةَ طَعَامٍ مَّسْكِينٍ أَوْ عَدَلَ ذَلِكَ صِيَامًا لَّيْذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ۗ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٢٣٦﴾

بإضافة "جزاء" إلى "مثل" وهو من إضافة المصدر إلى المفعول به، وقيل "مثل" زائدة؛ كقولك أنا أكرم مثلك، أي أكرمك، وقرئ "فجزاء" بالتثنية، و"مثل" بالرفع على البدل أو الصفة، و"النعم" الإبل والبقر والغنم خاصة، ومعنى الآية عند مالك والشافعي: أن من قتل صيدا وهو محرم؛ أن عليه في الفدية ما يشبه ذلك الصيد في الخلقة والمنظر؛ ففي النعامة بدنة، وفي حمار الوحش بقرة، وفي الغزالة شاة، فالمثلثة على هذا هي في الصورة والمقدار، فإن لم يكن له مثل أطعم أو صام، ومذهب أبي حنيفة أن المثل القيمة؛ يقوّم الصيد المقتول ويخبر القاتل بين أن يتصدق بالقيمة أو يشتري بالقيمة من النعم ما يهديه. ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ هذه الآية تقتضي أن الحكم شرط في إخراج الجزاء، ولا خلاف في ذلك؛ فإن أخرج أحد الجزاء قبل الحكم عليه فعليه إعادته بالحكم، إلا حمم مكة فإنه لا يحتاج إلى حكمين؛ قاله مالك، ويجب عند مالك التحكيم فيما حكمت به الصحابة وفيما لم يحكموا به لعدم لفظ الآية، وقال الشافعي: يكفي في ذلك بما حكمت به الصحابة. ﴿هَدْيًا﴾ يقتضي ظاهره أن ما يخرج من النعم جزاء عن الصيد يجب أن يكون مما يجوز أن يهدى، وهو الجذع من الضأن والثني مما سواه، وقال الشافعي: يخرج المثل في اللحم ولا يشترط السن. ﴿بِالْكَعْبَةِ﴾ لم يرد الكعبة بعينها وإنما أراد الحرم، ويقتضي أن يصنع بالجزاء ما يصنع بالهدى من سوقه من الحل إلى الحرم، وقال الشافعي وأبو حنيفة: إن اشتراه في الحرم أجزاءه. ﴿أَوْ كَفَرَةَ طَعَامٍ مَّسْكِينٍ أَوْ عَدَلَ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ عدد تعالى ما يجب في قتل المحرم الصيد؛ فذكر أولا الجزاء من النعم، ثم الطعام، ثم الصيام، ومذهب مالك والجمهور أنها على التخيير، وهو الذي يقتضيه العطف بـ"أو"، ومذهب ابن عباس رضي الله عنهما أنها على الترتيب، ولم يبين الله هنا مقدار الطعام، فرأى العلماء أن يقدر بالجزاء من النعم؛ إلا أنهم اختلفوا في كيفية التقدير، فقال مالك: يقدر الصيد المقتول نفسه بالطعام، أو بالدرهم، ثم تقوم الدراهم بالطعام، فينظر كم كان يساوي من طعام أو من دراهم وهو حي، وقال بعض أصحاب مالك: تقدير الصيد بالطعام أن يقال: كم كان يشبع الصيد من نفس ثم يخرج قدر شعهم طعاما، وقال الشافعي: لا يقدر الصيد نفسه وإنما يقدر مثله وهو الجزاء الواجب على القاتل له. ﴿أَوْ عَدَلَ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ تحتمل الإشارة بـ"ذلك" أن تكون إلى الـ"طعام" وهو أحسن؛ لأنه أقرب، أو إلى "الصيد"، واختلف في صفة تعديل الصيام بالطعام؟ فقال مالك: يصوم مكان كل مد يوما، وقال أبو حنيفة: مكان كل مدين يوما، وقيل: مكان كل صاع يوما، ولا يجب الجزاء، ولا الإطعام، ولا الصيام؛ إلا بقتل الصيد، لا بأخذه دون قتل لقوله "ومن قتله"، وفي كل وجه يشترط حكم الحكمين، وإنما لم يذكره الله في الطعام والصيام استغناء بذكره في الجزاء. ﴿لَّيْذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ الذوق هنا مستعار؛ لأن حقيقته بحاسة اللسان، والوبال: سوء العاقبة، وهو هنا لزمه من التكفير. ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ أي: عما فعلتم في الجاهلية من قتل الصيد في الحرم. ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ أي: من عاد إلى قتل الصيد وهو محرم

أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشُرُونَ ﴿١١﴾ ۖ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ۚ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ۖ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٣﴾ ۖ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿١٤﴾ ۖ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ أَوَّلِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴿١٥﴾ ۖ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تُبَدَّ لَكُمْ تَسْوَأٌ

بعد النهي عن ذلك، فينتقم الله منه بوجوب الكفارة عليه أو بعذابه في الآخرة. ﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ أحل الله بهذه الآية صيد البحر للحلال والمحرم، والـ"صيد" هنا المصيد، و"البحر" هنا: هو الماء الكثير سواء كان ملحا أو عذبا كالبرك ونحوها. ﴿وَطَعَامُهُ﴾ هو ما يطفوا عن الماء وما قذف به البحر؛ لأن ذلك طعام وليس بصيد قاله أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب ؓ، وقال ابن عباس ؓ: طعامه ما ملح منه وبقي. ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ الخطاب بـ"لكم" للحاضرين في البحر، و"السيارة" المسافرين أي: هو متاع تأدمون به. ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ الـ"صيد" هنا يحتمل؛ أن يراد به المصدر، أو الشيء المصيد، أو كلاهما، فنشأ من هذا أن ما صاده المحرم فلا يحل له أكله بوجه، ونشأ الاختلاف فيما صاد غيره، فإذا اصطاد حلال، فقيل: يجوز للمحرم أكله، وقيل: لا يجوز إن اصطاده لمحرم، والأقوال الثلاثة مروية عن مالك، وإن اصطاد حرام لم يجز لغيره أكله عند مالك خلافا للشافعي. ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾ أي: أمرًا يقوم للناس بالأمن والمنافع، وقيل: موضع قيام بالمناسك، ولفظ "الناس" هنا عام، وقيل: أراد العرب خاصة؛ لأنهم الذين كانوا يعظمون الكعبة. ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ يريد جنس الأشهر الحرم الأربعة؛ لأنهم كانوا يكفون عن القتال فيها. ﴿وَالْهَدْيَ﴾ يريد أنه أمان لمن يسوقه؛ لأنه يعلم أنه في عبادة لم يأت لحرب. ﴿وَالْقَلَائِدَ﴾ كان الرجل إذا خرج يريد الحج تقلد شيئا من السمر، وإذا رجع تقلد شيئا من شجر الحرم ليعلم أنه كان في عبادة فلا يتعرض له أحد بشيء، فـ"القلائد" هنا: ما تقلده المحرم من الشجر، وقيل: أراد قلائد الهدى، قال سعيد بن جبير: جعل الله هذه الأمور للناس في الجاهلية وشدها في الإسلام. ﴿ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا﴾ الإشارة إلى جعل هذه الأمور قياما للناس، والمعنى: جعل الله ذلك لتعلموا أنه يعلم تفاصيل الأمور. ﴿لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ لفظ عام في جميع الأمور من المكاسب والأعمال والناس وغير ذلك. ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تُبَدَّ لَكُمْ تَسْوَأٌ﴾ قيل: سببها سؤال عبد الله بن حذافة ؓ: من أبي؟

وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٦٧﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٦٨﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بُحَيْرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَٰئِكَ كَانُوا آبَاءَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾

فقال له النبي ﷺ «أبوك حذافة»، وقال آخر: أين أبي؟ قال: «في النار» [البخاري: 7294]. وقيل: سبها أن النبي ﷺ قال: «إن الله كتب عليكم الحج فحجوا» فقالوا: يا رسول الله أفي كل عام؟ فسكت، فأعادوا، قال: «لا، ولو قلت نعم لوجبت» [مسلم: 3321]. فعلى الأول "تسؤكم" بالإخبار بما لا يعجبكم، وعلى الثاني "تسؤكم" بتكليف ما يشق عليكم؛ ويقوي هذا قوله ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ أي: سكت عن ذكرها ولم يطالبكم بها كقوله ﷺ «عفا الله عن الزكاة في الخيل» [أبو داود: 1576]. وقيل: إن معنى "عفا الله عنها" عفا عنكم فيما تقدم من سؤالكم فلا تعودوا إليه. ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ﴾ فيه معنى الوعيد على السؤال، كأنه قال لا تسألوا وإن سألتكم أبدي لكم ما يسوؤكم، والمراد بـ"حين ينزل القرآن" زمان الوحي. ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ﴾ الضمير في "سألها" راجع إلى المسألة التي دل عليها "لا تسألوا" وهي مصدر، ولذلك لم يتعد بعن كما تعدى قوله "وإن تسألوا عنها"؛ وذلك أن بني إسرائيل كانوا يستفتون أنبياءهم عن أشياء، فإذا أمروا بها تركوها فهلكوا، فالكفر هنا عبارة عن ترك ما أمروا به. ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بُحَيْرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ لما سأل قوم عن هذه الأمور التي كانت في الجاهلية هل تعظم كتعظيم الكعبة والهدى؟ أخبرهم الله أنه لم يجعل شيئا من ذلك لعباده، أي: لم يشرعه لهم، وإنما الكفار جعلوا ذلك؛ فأما البحيرة: فهي فعيلة بمعنى مفعولة من بحر إذا شق، وذلك أن الناقة إذا أنتجت عشرة أبطن شقوا أذنها وتركوها ترعى ولا ينتفع بها، وأما السائبة: فكان الرجل يقول إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة، وجعلها كالبحيرة في عدم الانتفاع بها، وأما الوصيلة: فكانوا إذا ولدت الناقة ذكرا وأنثى في بطن، قالوا: وصلت الناقة أخاها فلم يذبوحها، وأما الحامي: فكانوا إذا نتج من صلب الجمل عشرة بطون، قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه شيء. ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ أي: يكذبون عليه بتحريمهم ما لم يحرم. ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الذين يفترون هم الذين اخترعوا تحريم تلك الأشياء، والذين لا يعقلون هم أتباعهم المقلدون لهم. ﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ أي: يكفيننا دين آباءنا. ﴿أُولَٰئِكَ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾ قال الزمخشري: الواو واو الحال دخلت عليها همزة الإنكار كأنه قيل: أحسبهم هذا وآبؤهم لا يعقلون، وقال ابن عطية: ألف التوقيف دخلت على واو العطف، وقول الزمخشري أحسن في المعنى.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ ءَأَنْفُسُكُمْ ۗ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۗ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ  
جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ ءَ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ  
الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ءَوْ أَحْرَانٍ مِّنْ غَيْرِكُمْ ءَ

﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قيل: إنها منسوخة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،  
وقيل: إنها خطاب للمسلمين من ذرية الذين حرموا البحيرة وأخواتها، كأنه يقول لا يضركم ضلال أسلافكم  
إذا اهتديتم؛ والقول الصحيح فيها ما ورد عن أبي ثعلبة الخشني ؓ أنه قال: سألت عنها رسول الله ﷺ فقال:  
«مروا بالمعروف وانها عن المنكر؛ فإذا رأيتم شحا مطاعا، وهوى متبعا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه؛  
فعليك بخويصة نفسك وذو عوامهم» [أبو داود: 4343]. ومثل ذلك قول عبد الله بن مسعود ؓ: ليس هذا بزمان  
هذه الآية، قولوا الحق ما قبل منكم، فإذا رد عليكم فعليكم أنفسكم. ﴿شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ  
الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ﴾ قال مكِّي: هذه الآية أشكل آية في القرآن إعرابا ومعنى وحكما، ونحن نبين  
معناها على الجملة، ثم نبين أحكامها وإعرابها على التفصيل؛ وسببها: أن رجلين خرجا إلى الشام، وخرج  
معهما رجل آخر لتجارة، فمرض في الطريق، فكتب كتابا قيد فيه كل ما معه، وجعله في متاعه، وأوصى  
الرجلين أن يؤديا رحله إلى ورثته، فهات، فقدم الرجلان المدينة، ودفعا رحله إلى ورثته، فوجدوا فيه كتابه،  
وفقدوا منه أشياء قد كتبها، فسألوهما عنها فقالا: لا ندري، هذا الذي قبضناه، فرفعهما إلى رسول الله ﷺ  
فاستحلفهما رسول الله ﷺ، فبقي الأمر مدة، ثم عثر على إناء عظيم من فضة، فقيل لمن وجد عنده: من أين لك  
هذا؟ فقال: اشتريته من فلان وفلان، يعني الرجلين، فارتفع الأمر في ذلك إلى رسول الله ﷺ فأمر رسول الله ﷺ  
رجلين من أولياء الميت أن يحلفا، فحلفا واستحقا. فمعنى الآية: إذا حضر الموت أحدا في السفر فليشهد  
عدلين بما معه، فإن وقعت ريبة في شهادتهما، حلفا أنها ما كذبا ولا بدلا، فإن عثر بعد ذلك على أنها كذبا أو  
خانا، حلف رجلان من أولياء الميت، وغرم الشاهدان ما ظهر عليهما. "شهادة بينكم" مرفوع بالابتداء  
وخبره "اثنان"، التقدير: شهادة بينكم شهادة اثنين، أو مقيم شهادة بينكم اثنان، "إذا حضر" أي: إذا قارب  
الحضور، والعامل في "إذا" المصدر الذي هو "شهادة"، وهذا على أن يكون "إذا" بمنزلة - حين - لا تحتاج  
جوابا، ويجوز أن تكون شرطية وجوابها محذوف، يدل عليه ما تقدم قبلها؛ فإن المعنى: إذا حضر أحدكم  
الموت فينبغي أن يشهد. "حين الوصية" ظرف العامل فيه "حضر"، أو يكون بدلا من "إذا". ﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾ صفة  
للساهدين. ﴿مِّنكُمْ ءَوْ أَحْرَانٍ مِّنْ غَيْرِكُمْ﴾ قيل: معنى "منكم" من عشيرتكم وأقاربكم، و"من غيركم" من  
غير العشيرة والقراية، وقال الجمهور "منكم" أي: من المسلمين، و"من غيركم" أي: من الكفار إن لم يوجد  
مسلم، ثم اختلف على هذا هل هي منسوخة بقوله ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ فلا تجوز شهادة الكفار

إِن أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَلَبْتُمْ مُصِيبَةَ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَنْ بِاللَّهِ  
 إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَثِمِينَ ﴿١٦﴾  
 فَإِنْ عُرِّرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّ إِثْمًا فَاخْرَأَنَّ يَوْمَ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ

أصلاً، وهو قول مالك والشافعي والجمهور، أو هي محكمة وأن شهادة الكفار جائزة على الوصية في السفر، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه. ﴿إِن أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: سافرتم، وجواب "إن" محذوف يدل عليه ما تقدم قبلها، والمعنى: إن ضربتم في الأرض ﴿فَأَصَلَبْتُمْ مُصِيبَةَ الْمَوْتِ﴾ فشهادة بينكم شهادة اثنين. ﴿تَحْسِبُونَهُمَا﴾ قال أبو علي الفارسي: هو صفة لـ "اخراّن"، واعترض بين الصفة والموصوف بقوله "إن انتم" إلى قوله "الموت"؛ ليفيد أن العدول إلى آخرين من غير الملة إنما يجوز لضرورة الضرب في الأرض وحلول الموت في السفر، وقال الزمخشري: "تحسبونهما" استئناف كلام. ﴿مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ قال الجمهور: هي صلاة العصر؛ فاللام للعهد؛ لأنها وقت اجتماع الناس، وبعدها أمر النبي صلى الله عليه وسلم باللعان، وقال: «من حلف على سلعة بعد صلاة العصر» [البخاري: 2369]. وكان التحليف بعدها معروفا عندهم، وقال ابن عباس رضي الله عنه: هي صلاة الكافرين في دينهما؛ لأنها لا يعظمان صلاة العصر. ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ أي: يحلفان، ومذهب الجمهور أن تحليف الشاهدين منسوخ، وقد أحلفها علي بن أبي طالب وأبو موسى الأشعري رضي الله عنه. ﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ أي: شككتم في صدقها وأمانتها، وهذه الكلمة اعتراض بين القسم والمقسم عليه، وجواب "إن" محذوف يدل عليه "يقسمان". ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا﴾ هذا هو المقسم عليه، والضمير في "به" للمقسم وفي ﴿كَانَ﴾ للمقسم له أي: لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضاً من الدنيا، أي: لا نحلف بالله كاذبين لأجل المال ولو كان من قسم له قريبا لنا، وهذا لأن عادة الناس الميل إلى أقاربهم. ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ أي: الشهادة التي أمر الله بحفظها وأدائها، وإضافها إلى "الله" تعظيماً لها. ﴿فَإِنْ عُرِّرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّ إِثْمًا﴾ أي: إن اطلع بعد ذلك على أنها فعلاً ما أوجب إثماً، والإثم الكذب والخيانة، واستحقاقه الأهلية للوصف به. ﴿فَاخْرَأَنَّ يَوْمَ مَقَامَهُمَا﴾ أي: اثنان من أولياء الميت يقومان مقام الشاهدين في اليمين. ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ أي: من الذين استحق عليهم الإثم أو المال، ومعناه: من الذين جني عليهم وهم أولياء الميت. ﴿الْأَوْلِيَانِ﴾ ثنية أولى بمعنى أحق، أي: الأحق بالشهادة لمعرفة، أو الأحق بالمال لقربتهما، وهو مرفوع على أنه خبر ابتداء تقديره: هما الأوليان، أو مبتدأ مؤخر تقديره: الأوليان آخران يقومان، أو بدل من الضمير في "يقومان"، ومنع الفارسي أن يسند "استحق" إلى "الأوليان" وأجازه ابن عطية، وأما على قراءة "استحق" بفتح التاء والحاء على البناء للفاعل، فـ"الأوليان" فاعل بـ"استحق"، ومعنى "استحق" على هذا أخذ المال وجعل يده عليه، و"الأوليان" على هذا هما الشاهدان اللذان ظهرت خيانتها أي: الأوليان بالتحليف والتعنيف

فَيُقْسِمَنَ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِّنْ شَهَادَتَيْهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٧٤﴾ ذَلِكَ  
 أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهَيْهَا أَوْ خَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانُهُمْ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا  
 وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٧٥﴾ \* يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ۗ قَالُوا لَا عِلْمَ  
 لَنَا ۗ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ  
 وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۗ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ  
 وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۗ وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَدْنَىٰ فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا

والفضيحة، وقرئ "الأولين" جمع أول وهو مخفوض على الصفة لـ "الذين استحق عليهم" أو منصوب بإضمار  
 فعل، ووصفهم بالأولية لتقديمهم على الأجانب في استحقاق المال وفي صدق الشهادة. ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ  
 لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتَيْهِمَا﴾ أي: يحلف هذان الآخرون أن شهادتهما أحق، أي: أصح من شهادة الشاهدين  
 الذين ظهرت خيانتها. ﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: إن اعتدنا فإننا من الظالمين، وذلك على وجه التبرئة،  
 ومثله قول الأولين ﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْإِيمَانِ﴾. ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهَيْهَا﴾ الإشارة بـ "ذلك" إلى  
 الحكم الذي وقع في هذه القضية، ومعنى "أدنى" "أقرب" و"على وجهها" أي: كما وقعت من غير تبديل ولا تغيير.  
 ﴿أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي: يخافون أن يحلف غيرهم بعدهم فيفتضحوا. ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ  
 الرُّسُلَ﴾ هو يوم القيامة، وانتصاب الظرف بفعل مضمر. ﴿فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ أي: ماذا أجابكم به الأمم من  
 إيمان وكفر، وطاعة ومعصية، والمقصود بهذا السؤال توبيخ من كفر من الأمم وإقامة الحجة عليهم، وانتصب  
 "ما ذا أجبتهم" انتصاب مصدره، ولو أريد الجواب لقليل بماذا أجبتهم. ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ إنها قالوا ذلك تأدبا مع  
 الله، فوكلوا العلم إليه، قال ابن عباس ؓ: المعنى لا علم لنا إلا ما علمتنا، وقيل: المعنى علمنا ساقط في جنب  
 علمك، ويقوي ذلك قولهم ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾؛ لأن من علم الخفيات لم تحف عليه الظواهر، وقيل:  
 ذهبوا عن الجواب لهول ذلك اليوم، وهذا بعيد؛ لأن الأنبياء في ذلك اليوم آمنون، وقيل: أرادوا بذلك توبيخ  
 الكفار. ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ يحتمل أن يكون "إذ" بدل من "يوم يجمع"؛ ويكون هذا القول يوم القيامة أو يكون  
 العامل في "إذ" مضمرا، ويحتمل على هذا أن يكون القول في الدنيا أو يوم القيامة، وإذا جعلناه يوم القيامة فقوله  
 "قال" بمعنى يقول، وقد تقدم تفسير ألفاظ هذه الآية في آل عمران. ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ الضمير المؤنث عائد على  
 الكاف لأنها صفة للهيئة، وكذلك الضمير في ﴿فَتَكُونُ﴾ وكذلك الضمير المذكور في قوله في آل عمران  
 ﴿فَيَنفُخُ فِيهِ﴾ عائد على الكاف أيضا؛ لأنها بمعنى مثل، وإن شئت أن تقول: هو في الموضعين عائد على  
 الموصوف المحذوف الذي وصف بقوله ﴿كَهَيْئَةِ﴾؛ فتقديره في التأنيث صورة؛ وفي التذكير شخصا أو خلقا  
 وشبه ذلك، وقيل: المؤنث يعود على الهيئة، والمذكر يعود على ﴿الطَّيْرِ﴾ أو على ﴿الطِّينِ﴾ وهو بعيد في المعنى.

بِإِذْنِي وَتُبِّرِي أَلَا كَمَهُ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ  
إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ - آمِنُوا يَا بَوِّسُوا بِرَسُولِي قَالُوا ءَأَمَنَّا وَآشَهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٠١﴾ إِذْ قَالَ  
الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقُولُوا  
اللَّهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْبِخَنَ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا

﴿بِإِذْنِي﴾ كرهه مع كل معجزة ردا على من نسب الربوبية لعيسى. ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ﴾ يعني:  
اليهود حين هموا بقتله فرعه الله إليه. ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ﴾ معطوف على ما قبله، فهو من جملة نعم الله على عيسى،  
والوحي هنا يحتمل؛ أن يكون وحي إلهام، أو وحي كلام. ﴿وَآشَهَدُ﴾ يحتمل أن يكون خطابا لله تعالى، أو لعيسى  
عليه السلام. ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ نداؤهم له باسمه دليل على أنهم لم يكونوا يعظمونه  
كتعظيم المسلمين لمحمد ﷺ؛ فإنهم كانوا لا ينادونه باسمه، وإنما يقولون يا رسول الله! يا نبي الله!، وقولهم "ابن  
مريم" دليل على أنهم كانوا يعتقدون فيه الاعتقاد الصحيح من نسبته إلى أم دون والد بخلاف ما اعتقده  
النصارى. ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ ظاهر هذا اللفظ أنهم شكوا في قدرة الله على إنزال المائدة، وعلى هذا أخذ  
الزمخشري وقال: ما وصفهم الله بالإيمان، وإنما حكى دعواهم في قولهم "ءأمننا". وقال ابن عطية وغيره: ليس  
أنهم شكوا في قدرة الله، لكنه بمعنى: هل يفعل ربك هذا، وهل تقع منه إجابة إليه؟ وهذا أرجح؛ لأن الله تعالى  
أثنى على الحواريين في مواضع من كتابه، مع أن في اللفظ بشاعة تنكر، وقرئ "تستطيع" بقاء الخطاب، "ربك"  
بالنصب، أي: هل تستطيع سؤال ربك؟ وهذه القراءة لا تقتضي أنهم شكوا، وبها قرأت عائشة ؓ وقالت: كان  
الحواريون أعرف بربهم من أن يقولوا: هل يستطيع ربك؟ ﴿أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ موضع "أن"  
مفعول بقوله "يستطيع" على القراءة بالياء، ومفعول بالمصدر وهو السؤال المقدر على القراءة بالتاء، وال"مائدة"  
التي عليها طعام، فإن لم يكن عليها طعام فهي خوان. ﴿قَالَ أَتَقُولُوا اللَّهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ قوله لهم "اتقوا الله"  
يحتمل أن يكون زجرا عن طلب المائدة واقتراح الآية، ويحتمل أن يكون زجرا عن الشك الذي يقتضيه قولهم "هل  
يستطيع ربك" على مذهب الزمخشري، أو عن البشاعة التي في اللفظ وإن لم يكن فيه شك. وقوله "إن كنتم  
مؤمنين" هو على ظاهره على مذهب الزمخشري، وأما على مذهب ابن عطية وغيره فهو تقرير لهم كما تقول: افعل  
كذا إن كنت رجلا، ومعلوم أنه رجل، وقيل: إن هذه المقالة صدرت منهم في أول الأمر قبل أن يروا معجزات  
عيسى. ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا﴾ أي: أكلنا نتشرف به بين الناس، وليس مرادهم شهوة البطن. ﴿وَتَطْمِئِنُّ  
قُلُوبُنَا﴾ أي: نعين الآية فيصير إيماننا بالضرورة والمشاهدة، فلا تعرض لنا الشكوك التي تعرض في الاستدلال.  
﴿وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ ظاهره يقوي قول من قال: إنهم إنما قالوا ذلك قبل تمكن إيمانهم، ويحتمل أن

وَتَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١٣٦﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ  
تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَأَنْزَلْنَا خَيْرَ الرِّزْقِينَ ﴿١٣٧﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُرْسِلُهَا  
عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٨﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ  
لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانِكُ مَا يَكُونُ لِي  
أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ  
إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١٣٩﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ  
عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٤٠﴾

يكون المعنى نعلم علما ضروريا لا يحتمل الشك. ﴿وَتَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ أي: نشهد بها عند من  
لم يحضرها من الناس. ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا﴾ أجابهم عيسى إلى سؤال المائدة من الله، وروي  
أنه لبس جبة شعر ورداء شعر وقام يصلي ويدعو ويبيكي. ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ قيل: نتخذ  
يوم نزولها عيدا يدور كل عام لأول الأمة ثم لمن بعدهم، وقال ابن عباس ؓ: المعنى تكون مجتمعا لجميعنا  
أولنا وآخرنا في يوم نزولها خاصة لا عيدا يدور. ﴿وَآيَةً مِنْكَ﴾ أي: علامة على صدقي. ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي  
مُرْسِلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ أجابهم الله إلى ما طلبوا، ونزلت المائدة عليها خبز وسمك، وقيل: زيتون وتمر ورمان،  
وقال ابن عباس ؓ: كان طعام المائدة ينزل عليهم حيثما نزلوا. وفي قصة المائدة قصص كثيرة غير  
صحيحة. ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا﴾ عادة الله تعالى عقاب من كفر بعد اقتراح آية  
فأعطيته، ولما كفر بعض هؤلاء مسخهم الله خنازير، قال عبد الله بن عمر ؓ: أشد الناس عذابا يوم القيامة  
من كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون والمنافقون. ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ  
اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس ؓ: والجمهور: هذا القول من الله يكون يوم القيامة على  
رؤوس الخلائق ليرى الكفار تبرئة عيسى مما نسبوه إليه، ويعلمون أنهم كانوا على باطل، وقال السدي: لما  
رفع الله عيسى إليه قالت النصارى ما قالت، وزعموا أن عيسى أمرهم بذلك، فسأله الله حينئذ عن ذلك  
فقال ﴿سُبْحَانَكَ﴾ الآية، فعلى هذا يكون "إذ قال" ماضيا في معناه كما هو في لفظه، وعلى قول ابن عباس ؓ  
يكون بمعنى المستقبل. ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾ نفي يعضده دليل العقل؛ لأن المحدث لا  
يكون لها. ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ اعتذار وبراءة من ذلك القول، ووكّل العلم إلى الله لتظهر براءته؛  
لأن الله علم أنه لم يقل ذلك. ﴿تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ أي: تعلم معلومي ولا أعلم  
معلومك، ولكنه سلك باللفظ مسلك المشاكلة فقال: "في نفسك" مقابلة لقوله "في نفسي"، وبقية كلامه  
تعظيم لله وإخبار بما قال للناس في الدنيا. ﴿أَنْ أَعْبُدُوا﴾ "أن" عبارة وتفسير، أو مصدرية بدل من الضمير



إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٥﴾ اللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١٦﴾

في "به". ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فيها سؤالان؛ الأول: كيف قال "وإن تغفر لهم" وهم كفار، والكفار لا يغفر لهم؟ والجواب: أن المعنى: تسليم الأمر لله، وأنه إن عذب أو غفر فلا اعتراض عليه؛ لأن الخلق عباده، والمالك يفعل في ملكه ما يشاء، ولا يلزم من هذا وقوع المغفرة للكفار، وإنما يقتضي جوازها في حكمة الله وعزته، وفرق بين الجواز والوقوع، وأما على قول من قال إن هذا الخطاب لعيسى عليه السلام حين رفعه الله إلى السماء، فلا إشكال؛ لأن المعنى إن تغفر لهم بالتوبة وكانوا حينئذ أحياء، وكل حي معرض للتوبة. السؤال الثاني: ما مناسبة قوله "فإنك أنت العزيز الحكيم" لقوله "إن تغفر لهم" والأليق مع ذكر المغفرة أن لو قيل: "فإنك أنت الغفور الرحيم؟" والجواب من ثلاثة أوجه؛ الأول: يظهر لي أنه لما قصد التسليم لله والتعظيم له كان قوله "فإنك أنت العزيز الحكيم" أليق؛ فإن الحكمة تقتضي التسليم له، والعزة تقتضي التعظيم له؛ فإن العزيز هو الذي يفعل ما يريد، ولا يغلبه غيره، ولا يمتنع عليه شيء أراد، فاقتضى الكلام تفويض الأمر إلى الله في المغفرة لهم أو عدم المغفرة؛ لأنه قادر على كلا الأمرين لعزته، وأيهما فعل فهو جميل لحكمته، الجواب الثاني: قاله شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: إنما لم يقل الغفور الرحيم؛ لئلا يكون في ذلك تعريض بطلب المغفرة لهم، فاقصر على التسليم والتفويض دون الطلب، إذ لا تطلب المغفرة لكافر؛ وهذا قريب من قولنا، الثالث: حكى شيخنا الخطيب أبو عبد الله بن رشيد عن شيخه إمام البلغاء في وقته حازم بن حازم، أنه كان يقف على قوله "وإن تغفر لهم" ويجعل "فإنك أنت العزيز الحكيم" استئنافاً، وجواب "إن" في قوله "فإنهم عبادك"؛ كأنه قال: إن تعذبهم وإن تغفر لهم فإنهم عبادك على كل حال. ﴿هَذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ عموم في جميع الصادقين، وخصوصاً في عيسى ابن مريم؛ فإن في ذلك إشارة إلى صدقه في الكلام الذي حكاه الله عنه، وقرأ غير نافع "هذا يوم" بالرفع على الابتداء أو الخبر، وقرأ نافع بالنصب وفيه وجهان؛ أحدهما: أن يكون "يوم" ظرف لـ"قال"؛ فعلى هذا لا تكون الجملة معمول القول، وإنما معموله "هذا" خاصة، والمعنى: قال الله هذا القصص، والخبر في "يوم"، وهذا بعيد مزيل لرواق الكلام، والآخر: أن يكون "هذا" مبتدأ، و"يوم" في موضع خبره، والعامل فيه محذوف تقديره: هذا واقع يوم ينفع الصادقين صدقهم، ولا يجوز أن يكون "يوم" مبنياً على قراءة نافع؛ لأنه أضيف إلى معرب، قاله الفارسي والزمخشري.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ  
وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ  
أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ  
يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا  
كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾

## سورة الأنعام

قال كعب الأحبار رضي الله عنه: أول الأنعام هو أول التوراة. ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ "جعل" هنا بمعنى خلق، و"الظلمات" الليل، و"النور" النهار والضوء الذي في الشمس والقمر وغيرهما، وإنما أفرد "النور"؛ لأنه أراد الجنس، وفي الآية رد على المجوس في عبادتهم النار وغيرها من الأنوار، وقولهم: إن الخير من النور والشر من الظلمة؛ فإن المخلوق لا يكون لها ولا فاعلا لشيء من الحوادث. ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ أي: يسوون ويمثلون؛ من قولك: عدلت فلانا بفلان إذا جعلته نظيره وقرينه، ودخلت "ثم" لتدل على استبعاد أن يعدلوا بربههم بعد وضوح آياته في خلق السموات والأرض والظلمات والنور، وكذلك قوله: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ استبعاد لأن يمتروا فيه بعدما ثبت أنه أحياهم وأماتهم، وفي ضمن ذلك تعجيب من فعلهم وتوبيخ لهم، و"الذين كفروا" هنا عام في كل مشرك، وقد يختص بالمجوس؛ بدليل ذكر الظلمات والنور، أو بعبدة الأصنام؛ لأنهم المجاورون للنبي صلى الله عليه وسلم، وعليهم يقع الرد في أكثر القرآن. ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ أي: خلق أباكم آدم من طين. ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ الأجل الأول: الموت، والثاني: يوم القيامة، وجعله عنده؛ لأنه استأثر بعلمه، وقيل: الأول: النوم، والثاني: الموت، ودخلت "ثم" هنا لترتيب الأخبار لا لترتيب الوقوع؛ لأن القضاء متقدم على الخلق. ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ يتعلق "في السموات" بمعنى اسم الله، فالمعنى كقوله ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ كما يقال: أمير المؤمنين الخليفة في المشرق والمغرب، ويحتمل أن يكون المجرور في موضع الخبر، فيتعلق باسم فاعل محذوف، والمعنى على هذا قريب من الأول، وقيل: المعنى أنه في السموات والأرض بعلمه كقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾، والأول أرجح وأفصح؛ لأن اسم الله جامع للصفات كلها من العلم والقدرة والحكمة وغير ذلك، فقد جمعها مع الإيجاز، ويرجع الثاني؛ بأن سياق الكلام في اطلاع الله تعالى وعلمه؛ لقوله بعدها ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾، وقيل: يتعلق بمحذوف تقديره: المعبود في السموات والأرض، وهذا المحذوف صفة لله، واسم الله على هذا القول وعلى الأول هو خبر المبتدأ، وأما إذا كان المجرور الخبر، فاسم الله بدل من الضمير. ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ "من" الأولى زائدة، والثانية للتبويض أو لبيان الجنس.

فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَتُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا  
 كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمْكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ  
 عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ  
 قَرْنًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ  
 هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا  
 يُنظَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ  
 اسْتَهْزَى بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٥﴾

﴿ بِالْحَقِّ ﴾ يعني ما جاء به محمد ﷺ. ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ ﴾ الآية، وعيد بالعذاب والعقاب على استهزائهم. ﴿ أَلَمْ يَرَوْا  
 كَمْ أَهْلَكْنَا ﴾ حض للكفار على الاعتبار بغيرهم، والـ ﴿ قَرْنٍ ﴾: مائة سنة، وقيل: سبعون، وقيل: أربعون.  
 ﴿ مَكَّنَّاهُمْ ﴾ الضمير عائد على الـ "قرن"؛ لأنه في معنى الجماعة. ﴿ مَا لَمْ نُمْكِنْ لَكُمْ ﴾ الخطاب لجميع أهل ذلك  
 العصر من مؤمن وكافر. ﴿ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ ﴾ "السماء" هنا المطر أو السحاب أو السماء حقيقة، و﴿ مِدْرَارًا ﴾  
 بناء مبالغة وتكثير من قولك: در المطر؛ إذا غزر. ﴿ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ التقدير: فكفروا وعصوا فأهلكناهم،  
 وهذا تهديد للكفار أن يصيبهم مثل ما أصاب هؤلاء على حال قوتهم وتمكينهم. ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي  
 قِرْطَاسٍ ﴾ الآية، إخبار أنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم أوضح الآيات، والمراد بقوله: ﴿ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ أي: لو  
 بالغوا في تمييزه وتقليبه ليرتفع الشك لعاندوا بعد ذلك، يشبه أن يكون سبب هذه الآية قول بعضهم للنبي ﷺ: لا  
 أو من بك حتى تأتيني بكتاب من السماء يأمرني بتصديقك، وما أراي بعد ذلك أصدقك. ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ  
 عَلَيْنَا مَلَكٌ ﴾ حكاية عن طلب بعض العرب، وروي أن العاصي بن وائل، والنضر بن الحارث، وزمعة بن  
 الأسود، والأسود بن عبد يغوث، قالوا للنبي ﷺ: يا محمد! لو كان معك ملك؟ ﴿ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾  
 قال ابن عباس ؓ: المعنى: لو أنزلنا ملكا فكفروا بعد ذلك لعجل لهم العذاب، ففي الكلام على هذا حذف؛  
 و"قضي الأمر" على هذا تعجيل أخذهم، وقيل: المعنى لو أنزلنا ملكا لماتوا من هول رؤيته؛ ف"قضي الأمر" على هذا  
 موتهم. ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ﴾ أي: لو جعلنا الرسول ملكا لكان في صورة رجل؛ لأنهم لا طاقة لهم  
 على رؤية الملك في صورته. ﴿ وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴾ أي: لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم وعلى  
 ضعفائهم؛ فإنهم إذا رأوا الملك في صورة إنسان، قالوا: هذا إنسان وليس بملك. ﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزَى ﴾ الآية،  
 إخبار قصد به تسلية النبي ﷺ عما كان يلقي من قومه. ﴿ فَحَاقَ ﴾ أي: أحاط بهم، وفي هذا الإخبار تهديد للكفار.

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١٦﴾ قُلْ لَمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ أَخْخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٩﴾

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية، حض على الاعتبار بغيرهم، إذا رآوا منازل الكفار الذين هلكوا قبلهم. ﴿ثُمَّ أَنْظِرُوا﴾ قال الزمخشري: إن قلت: أي فرق بين قوله ﴿فَأَنْظِرُوا﴾ وبين قوله "ثم انظروا"؟ قلت: جعل النظر سببا على السير في قوله "فانظروا"، فكأنه قال: سيروا لأجل النظر، وأما قوله "سيروا في الأرض ثم انظروا"، فمعناه إباحة السير للتجارة وغيرها من المنافع، وإيجاب النظر في الهالكين، ونبه على ذلك بـ"ثم" لتباعد ما بين الواجب والمباح. ﴿قُلْ لَمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾ القصد بالآية؛ إقامة برهان على صحة التوحيد، وإبطال الشرك، وجاء ذلك بصيغة الاستفهام لإقامة الحجة على الكفار، فسأل أولا: "لمن ما في السموات والأرض"؟ ثم أجاب عن السؤال بقوله: "قل لله"؛ لأن الكفار يوافقون على ذلك بالضرورة، فيثبت بذلك أن الإله الحق هو الله الذي له ما في السموات والأرض، وإنما يحسن أن يكون السائل مجيبا عن سؤاله إذا علم أن خصمه لا يخالفه في الجواب الذي يقيم به الحجة عليه. ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ أي: قضاهها، وتفسير ذلك بقول النبي ﷺ: «إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق السموات والأرض وفيه إن رحمتي سبقت غضبي»، وفي رواية «تغلب غضبي» [البخاري: 7115]. ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ مقطوع عما قبله، وهو جواب لقسم محذوف، وقيل: هو تفسير للرحمة المذكورة تقديره: أن يجمعكم؛ وهذا ضعيف لدخول النون الثقيلة في غير موضعها، فإنها لا تدخل إلا في القسم أو في غير الواجب. ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ قيل: "إلى" هنا بمعنى في وهو ضعيف، والصحيح أنها للغاية على بابها. ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ "الذين" مبتدأ وخبره "فهم لا يؤمنون"، ودخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط قاله الزجاج؛ وهو حسن، وقال الزمخشري: "الذين" نصب على الذم، أو رفع بخبر ابتداء مضمرة، وقيل: هو بدل من الضمير في "ليجمعنكم" وهو ضعيف، وقيل: منادى؛ وهو باطل. ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ عطف على قوله "قل لله"، ومعنى "سكن"؛ حل؛ فهو من السكنى، وقيل: هو من السكون؛ وهو ضعيف؛ لأن الأشياء منها ساكنة ومتحركة فلا يعم، والمقصود عموم ملكه تعالى لكل شيء. ﴿قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ أَخْخَذُ وَلِيًّا﴾ إقامة حجة على الكفار، ورد عليهم بصفات الله الكريمة التي لا يشاركه غيره فيها. ﴿أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ أي: من هذه الأمة؛ لأن النبي ﷺ سابق أمته إلى الإسلام. ﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾ في الكلام حذف تقديره: وقيل لي "ولا تكونن من المشركين"، أو يكون معطوفا على معنى "أمرت" فلا حذف،

قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٠﴾ مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ ۗ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٠١﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۗ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٢﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۗ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۗ قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۗ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ لَأُنذِرَكُمْ بِهِ ۗ وَمَنْ بَلَغَ أَبَيْتَكُمْ لَنَشْهَدُنَّ أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةٌ آخَرَىٰ ۗ قُلْ لَا أَشْهَدُ ۗ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٠٤﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۗ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٥﴾

وتقديره: أمرت بالإسلام ونهيت عن الإشراك. ﴿مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ أي: من يصرف عنه العذاب يوم القيامة فقد رحمه الله، وقرئ "يصرف" بفتح الياء، وفاعله الله. ﴿وَذَلِكَ﴾ إشارة إلى صرف العذاب أو إلى الرحمة. ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ معنى "يمسك" يصبك، وال"ضر" المرض وغيره على العموم في جميع المضرات، والخير العافية وغيرها على العموم أيضا، والآية برهان على الوحداية لانفراد الله تعالى بالضر والخير، وكذلك ما بعدها من الأوصاف براهين ورد على المشركين. ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ سؤال يقتضي جوابا يبنى عليه المقصود، وفيه دليل على أن الله يقال عليه شيء، ولكن ليس كمثل شيء. ﴿قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ يحتمل وجهين؛ أحدهما: أن يكون "الله" مبتدأ، و"شاهد" خبره، والآخر: أن يكون تمام الجواب عند قوله "قل الله"، بمعنى: الله أكبر شهادة، ثم يتدئ على تقدير: هو شهيد بيني وبينكم؛ والأول أرجح لعدم الإضمار، والثاني أرجح لمطابقتة للسؤال؛ فإن السؤال بمنزلة من يقول: من أكبر الناس؟ فيقال: في الجواب فلان، وتقديره: فلان أكبر الناس، والمقصود بالكلام: الاستشهاد بالله الذي هو أكبر شهادة على صدق رسول الله ﷺ، وشهادة الله بهذا هي علمه بصحة نبوة محمد ﷺ وإظهاره لمعجزاته الدالة على صدق نبوته. ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ عطف على ضمير المفعول في "لأنذركم" والفاعل يبلغ ضمير القرآن، والمفعول محذوف يعود على "من"، تقديره: ومن بلغه، والمعنى: أوحى إلي هذا القرآن لأنذر به المخاطبين وهم أهل مكة، وأنذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم إلى يوم القيامة، قال سعيد بن جبير: من بلغه القرآن فكانها رأى محمدا ﷺ. وقيل: المعنى ومن بلغ الحلم، وهو بعيد. ﴿أَتَيْنَكُمْ لَنَشْهَدُونَ﴾ الآية، تقرير للمشركين على شركهم ثم تبرأ من ذلك بقوله ﴿لَا أَشْهَدُ﴾ ثم شهد الله بالوحدانية، وروي: أنها نزلت بسبب قوم من الكفار، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمدا! أما تعلم مع الله إله آخر؟ ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ تقدم في البقرة. ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ مبتدأ وخبره "فهم لا يؤمنون"، وقيل: "الذين" نعت لـ"الذين آتيناهم الكتاب"، وهو فاسد؛

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٠﴾ وَيَوْمَ  
نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ  
فِتْنَتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٦٢﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ۗ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا  
كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۗ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا  
وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا إِيَّاهِ لَا يُؤْمِنُوهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ مُجِدِّلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا  
أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٤﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْقَرُونَ عَنْهُ ۗ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٥﴾

لأن الذين أتوا الكتاب استشهد بهم هنا ليقيم الحجة على الكفار. ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ لفظه استفهام، ومعناه: لا أحد أظلم. ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ﴾ وذلك تنصل من الكذب على الله، وإظهار لبراءة رسول الله ﷺ مما نسبوه إليه من الكذب، ويحتمل أن يريد بالافتراء على الله ما نسب إليه الكفار من الشركاء والأولاد. ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ أي: علاماته وبراهينه. ﴿أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ﴾ يقال لهم ذلك على وجه التوبيخ. ﴿تَزْعُمُونَ﴾ أي: تزعمون أنهم آلهة، فحذفه لدلالة المعنى عليه، والعامل في "يوم نحشرهم" محذوف. ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ﴾ الفتنه: هنا تحتمل أن تكون بمعنى الكفر، أي: لم تكن عاقبة كفرهم إلا جحوده والتبرؤ منه، وقيل: "فتنتهم" معذرتهم، وقيل: كلامهم، وقرئ "فتنتهم" بالنصب على خبر كان، واسمها ﴿أَنْ قَالُوا﴾، وقرئ بالرفع على اسم كان، وخبرها "أن قالوا". ﴿وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ جحود لشركهم، فإن قيل: كيف يجحدونه وقد قال الله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾؟ فالجواب: أن ذلك يختلف باختلاف طوائف الناس واختلاف المواطن؛ فيكتم قوم ويقر آخرون، ويكتمون في موطن ويقرون في موطن آخر؛ لأن يوم القيامة طويل، وقد قال ابن عباس ؓ لما سئل عن هذا السؤال: إنهم جحدوا طمعا في النجاة، فحتم الله على أفواههم، وتكلمت جوارحهم فلا يكتمون الله حديثا. ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ الضمير عائد على الكفار، وأفرد "يستمع" وهو فعل جماعة حملا على لفظ "من". ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ "أكنة" جمع كنان، وهو الغطاء، و"أن يفقهوه" في موضع مفعول من أجله؛ تقديره: كراهة أن يفقهوه، ومعنى الآية: أن الله حال بينهم وبين فهم القرآن إذا استمعوه، وعبر بالأكنة والوقر مبالغة وهو استعارة. ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: قصصهم وأخبارهم، وهو جمع أسطار أو أسطورة، وقال السهيلي: حيث ما ورد في القرآن "أساطير الأولين" فإن قائلها هو النضر ابن الحارث، وكان قد دخل بلاد فارس، وتعلم أخبار ملوكهم، فكان يقول: حديثي أحسن من حديث محمد. ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ "هم" عائد على الكفار، والضمير في "عنه" يعود على القرآن، والمعنى: هم ينهون الناس عن الإيمان به وينأون به عنه؛ أي: يبعدون، والنائي هو البعيد، وقيل: الضمير في "عنه" يعود على

وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ آلِبَارٍ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نُرُدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ  
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ ﴿٢٨﴾ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ  
 لَكَاذِبُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا  
 عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ  
 ﴿٣١﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَلْخَسِرْتَنَا عَلَىٰ مَا  
 فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ﴿٣٢﴾ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٣٣﴾

النبي ﷺ، ومعنى "ينهون عنه" ينهون الناس عن إذايته، وهم مع ذلك يبعدون عنه، والمراد بالآية على هذا أبو طالب ومن كان معه يحمي النبي ﷺ ولا يسلم، وفي قوله "ينهون"، و"ينأون" ضرب من ضروب التجنيس. ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ﴾ جواب "لو" محذوف هنا، وفي قوله ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾؛ وإنما حذف ليكون أبلغ ما يقدره السامع؛ أي: لو ترى لرأيت أمرا شنيعا هائلا، ومعنى "وقفوا" حبسوا، قاله ابن عطية، ويحتمل أن يريد بذلك: إذا دخلوا النار، وإذا عاينوها وأشرفوا عليها، ووضع "إذ" موضع إذا؛ لتحقيق وقوع الفعل حتى كأنه ماض. ﴿يَا لَيْتُنَا نُرُدُّ وَلَا نُكَذِّبُ﴾ قرئ برفع "نكذب". ﴿وَنَكُونُ﴾ على الاستئناف والقطع على التمني؛ ومثله سيبويه بقولك: دعني ولا أعود؛ أي: وأنا لا أعود، ويحتمل أن يكون حالا تقديره: نرد غير مكذبين، أو عطفًا على "نرد"، وقرئ بالنصب بإضمار أن بعد الواو في جواب التمني. ﴿بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ المعنى: ظهر لهم يوم القيامة في صحائفهم ما كانوا يخفون في الدنيا من عيوبهم وقبائحهم، وقيل: هي في أهل الكتاب، أي: بدا لهم ما كانوا يخفون من أمر محمد ﷺ، وقيل: هي في المنافقين، أي: بدا لهم ما كانوا يخفون من الكفر؛ وهذان القولان بعيدان؛ فإن الكلام من أوله ليس في حق المنافقين ولا أهل الكتاب، وقيل: إن الكفار كانوا إذا وعظهم النبي ﷺ خافوا، وأخفوا ذلك الخوف لثلا يشعربه أتباعهم، فظهر لهم ذلك يوم القيامة. ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا﴾ إخبار بأمر لا يكون لو كان كيف كان يكون، وذلك مما انفرد الله بعلمه. ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ يعني في قولهم "ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين"، ولا يصح أن يرجع إلى قولهم "يا ليتنا نرد"؛ لأن التمني لا يحتمل الصدق ولا الكذب. ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ حكاية عن قولهم في إنكار البعث الأخروي. ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾ تقرير لهم وتوبيخ. ﴿قَالُوا يَا خَسِرْتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا﴾ الضمير في "فيها" للحياة الدنيا؛ لأن المعنى يقتضي ذلك، وإن لم يجز لها ذكر، وقيل: الساعة، أي: فرطنا في شأنها والاستعداد لها؛ والأول أظهر. ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ كناية عن تحمل الذنوب، وقال: "على ظهورهم"؛ لأن العادة حمل الأثقال على الظهر، وقيل: إنهم يحملونها على ظهورهم حقيقة، وروي في ذلك أن الكافر يركبه عمله بعد أن يتمثل له في أقبح صورة، وأن المؤمن يركب عمله بعد أن يتصور له في أحسن صورة. ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ إخبار

وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لِيُخْزِنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِبَايِعَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٢﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوَدُوا حَتَّىٰ ابْتِغَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۗ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبِيِّ الْأُمُوسِيِّ ﴿٦٣﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِي نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٤﴾ ۚ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٦٥﴾

عن سوء ما يفعلون من الأوزار. ﴿قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لِيُخْزِنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ قرأ نافع: يُخْزِنُ؛ حيث وقع بضم الباء من أحزن إلا قوله: ﴿لَا يُخْزِنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ﴾، وقرأ الباقون بفتح الباء من حزن الثلاثي، وهو أشهر في اللغة، و"الذي يقولون": قولهم إنه ساحر، شاعر، كاهن. ﴿فَأِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ من قرأ بالتشديد فالمعنى: لا يكذبونك معتقدين لكذبك، وإنما هم يجحدون الحق مع علمهم به، ومن قرأ بالتخفيف، فقيل: معناه لا يجدونك كاذبا، يقال فلان فلانا، إذا وجدته كاذبا، كما يقال أهدته، إذا وجدته محمودا، وقيل: هي بمعنى التشديد؛ يقال: كذب فلان فلانا وأكذبه بمعنى واحد؛ وهو الأظهر؛ لقوله بعد هذا ﴿يَجْحَدُونَ﴾، ويؤيد هذا ما روي أنها نزلت في أبي جهل، فإنه قال لرسول الله ﷺ: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب ما جئت به، وأنه قال للأخنس بن شريق: والله إن محمدا لصادق، ولكني أحسده على الشرف. ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ أي: ولكنهم، ووضع الظاهر موضع المضمرة؛ للدلالة على أنهم ظلموا في جحودهم. ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ الآية، تسلية للنبي ﷺ وحض له على الصبر ووعده بالنصر. ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ أي: لمواعيده لرسوله، كقوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَاتُنَا لِإِعْبَادِنَا الْمُرسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ﴾، وفي هذا تقوية للوعد. ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبِيِّ الْأُمُوسِيِّ﴾ أي: من أخبارهم، ويعني بذلك صبرهم ثم نصرهم؛ وهذا أيضا تقوية للوعد والحض على الصبر، وفاعل "جاءك" محذوف تقديره: نبأ أو خبر، وقيل: هو المجرور. ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ الآية، مقصودها حمل النبي ﷺ على الصبر والتسليم لما أراد الله بعباده من إيمان أو كفر؛ فإنه ﷺ كان شديد الحرص على إيمانهم، فقيل له: إن استطعت أن تدخل في الأرض، أو تصعد إلى السماء، فتأتيهم بآية يؤمنوا بسببها فافعل، وأنت لا تقدر على ذلك فاستسلم لأمر الله، والنفق في الأرض معناه: منفذ تنفذ فيه إلى ما تحت الأرض، وحذف جواب "إن" لفهم المعنى. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ حجة أهل السنة على القدرية. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أي: من الذين يجهلون أن الله لو شاء لجمعهم على الهدى. ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ المعنى: إنما يستجيب لك الذين يسمعون فيفهمون ويعقلون. ﴿وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ فيه ثلاث



وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ۚ قُلْ إِنْ أَلَّ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ۚ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ ۚ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٩﴾

تأويلات: أحدها: أن "الموتى" عبارة عن الكفار لموت قلوبهم، والبعث يراد به الحشر يوم القيامة؛ فالمعنى: أن الكفار في الدنيا كالموتى في قلة سمعهم وعدم فهمهم، فيبعثهم الله في الآخرة وحيثئذ يسمعون، والآخر: أن "الموتى" عبارة عن الكفار، والبعث عبارة عن هدايتهم للفهم والسمع، والثالث: أن "الموتى" على حقيقته، والبعث على حقيقته؛ فهو إخبار عن بعث الموتى يوم القيامة. ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ الضمير في "قالوا" للكفار، و"لولا" عرض، والمعنى: أنهم طلبوا أن يأتي النبي ﷺ بآية على نبوته، فإن قيل: فقد أتى بآيات ومعجزات كثيرة فلم طلبوا آية؟ فالجواب: من وجهين؛ أحدهما: أنهم لم يعتدوا بما أتى به، فكانه لم يأت بشيء عندهم لعنادهم وجحدهم، والآخر: أنهم طلبوا آية تضطر إلى الإيذان من غير نظر ولا تفكير. ﴿قُلْ إِنْ أَلَّ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً﴾ جواب على قولهم، وقد حكى هذا القول عنهم في مواضع من القرآن، وجاوبوا عليه بأجوبة مختلفة؛ منها ما يقتضي الرد عليهم في طلبهم الآية، فإنه قد أتاهم بآيات، وتحصيل الحاصل لا ينبغي، كقوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ﴾، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾، ومنها ما يقتضي الإعراض عنهم؛ لأن الخصم إذا تبين عناده سقطت مكالمته، ويحتمل أن يكون من هذا قوله "إن الله قادر على أن ينزل آية"، ويحتمل أيضا أن يكون معناه: قادر على أن ينزل آية تضطرهم إلى الإيذان. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حذف مفعول "يعلمون" وهو يحتمل وجهين؛ أحدهما: لا يعلمون أن الله قادر، والآخر: لا يعلمون أن الله إنما منع الآية التي تضطر إلى الإيذان لمصالح العباد؛ فإنهم لورأوها ولم يؤمنوا العوجلوا بالعذاب. ﴿بِجَنَاحَيْهِ﴾ تأكيد وبيان وإزالة للاستعارة المتعاهدة في هذه اللفظة، فقد يقال طائر للسعد والنحس. ﴿أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ أي: في الخلق والرزق والحياة والموت وغير ذلك، ومناسبة هذا لما قبله من وجهين؛ أحدهما: أنه تنبيه على مخلوقات الله تعالى؛ فكانه يقول: تفكروا في آياته أي مخلوقاته، ولا تطلبوا غير ذلك من الآيات، والآخر: أنه تنبيه على البعث كأنه يقول: جميع الدواب والطيور يحشر يوم القيامة كما تحشرون أنتم، وهو أظهر؛ لقوله بعده: "ثم إلى ربهم يحشرون". ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: ما أغفلنا، و"الكتاب" هنا اللوح المحفوظ، والكلام على هذا عام، وقيل: هو القرآن، والكلام على هذا خاص، أي ما فرطنا فيه من شيء في هدايتكم والبيان لكم. ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ أي: تبعث الدواب والطيور يوم القيامة للجزاء والفصل بينها. ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ الآية، لما ذكر قدرته على بعث الخلق كلهم أتبعه بأن وصف من كذب بذلك بالصمم والبكم، وقوله: ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ يقوم مقام

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْتُكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ  
 صَادِقِينَ ﴿١٤١﴾ بَلِ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿١٤٢﴾  
 وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿١٤٣﴾  
 فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا  
 يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا  
 فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿١٤٥﴾ فَقَطَّعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا  
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَحَمَمَ عَلَى  
 قُلُوبِكُمْ مِّنَ اللَّهِ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظَرَ كَيْفَ نَصَرَ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿١٤٧﴾  
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْتُكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ  
 ﴿١٤٨﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ أَمَّنْ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا  
 هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٤٩﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٥٠﴾

الوصف بالعمى. ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ معناه: أخبروني، والضمير الثاني للخطاب، ولا محل له من الإعراب، وجواب  
 الشرط محذوف، تقديره: إن أتاكم عذاب الله، أو أتتكم الساعة من تدعون؟ ثم وقفهم على أنهم لا يدعون  
 حينئذ إلا الله، ولا يدعون آلهتهم، والآية احتجاج عليهم، وإثبات للتوحيد وإبطال للشرك. ﴿إِنْ شَاءَ﴾  
 استثناء، أي: يكشف ما نزل بكم إن أراد، ويصيبكم به إن أراد. ﴿وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ يحتمل أن يكون من  
 النسيان أو الترك. ﴿فَأَخَذْنَاَهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ كان ذلك على وجه التخويف والتأديب. ﴿فَلَوْلَا﴾ هنا عرض  
 وتحضيض، وفيه دليل على نفع التضرع حين الشدائد. ﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾ الآية، أي: لما تركوا الاعتاط بما ذكروا به  
 من الشدائد، فتح عليهم أبواب الرزق والنعم ليشكروا عليها؛ فلم يشكروا فأخذهم الله. ﴿مُبْلِسُونَ﴾ آيسون  
 من الخير. ﴿دَائِرُ الْقَوْمِ﴾ أي: آخرهم، وذلك عبارة عن استتصاهم بالكلية. ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ شكر على إهلاك  
 الكفار؛ لأنه نعمة على المؤمنين، وقيل: إنه على ما تقدم من ملاطفته في أخذه لهم بالشر ليزدجروا، أو بالخير  
 ليشكروا، حتى وجب عليهم العذاب بعد الإعذار والإنذار. ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ الآية، احتجاج على الكفار أيضا.  
 ﴿يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ الضمير عائد على المأخوذ. ﴿يَصْدِفُونَ﴾ أي: يعرضون. ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ الآية، وعيد وتهديد  
 والبغته: ما لم يتقدم لهم شعور به، والجهرة: ما بدت لهم مخايله، وقيل: ﴿بَغْتَةً﴾ بالليل، و﴿جَهْرَةً﴾ بالنهار.

قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٦﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ

﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ الآية، أي: لا أدعي شيئاً ينكر ولا يستبعد، إنما أنا نبي رسول كما كان غيري من الرسل. ﴿الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ مثال للضال والمهتدي. ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ الضمير في "به" يعود على "ما يوحى"، والإنذار عام لجميع الناس، وإنما خصص هنا بـ"الذين يخافون"؛ لأنه قد تقدم في الكلام ما يقتضي اليأس من إيمان غيرهم؛ فكانه يقول: أنذر الخائفين لأنه ينفعهم الإنذار، وأعرض عن من تقدم ذكره من الذين لا يسمعون ولا يعقلون. ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ في موضع الحال من الضمير في "يحشروا"، أو استئناف إخبار. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يتعلق بـ"أنذر". ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ الآية، نزلت في ضعفاء المؤمنين؛ كبلال، وعمار بن ياسر، وعبد الله بن مسعود، وخباب، وصهيب رضي الله عنهم، وأمثالهم، وكان بعض المشركين من قريش قد قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: لا يمكننا أن نختلط مع هؤلاء لشرفنا، فلو طردتهم لاتبعناك، فنزلت الآية. ﴿بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ الآية، قيل: هي الصلاة بمكة قبل فرض الخمس وكانت غدوة وعشية، وقيل: هي عبارة عن دوام الفعل، و"يدعون" هنا من الدعاء وذكر الله أو بمعنى العبادة. ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ إخبار عن إخلاصهم لله، وفيه تزكية لهم. ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ قيل: الضمير في "حسابهم" لـ"الذين يدعون" وقيل: للمشركين، والمعنى على هذا: لا تحاسب عنهم ولا يحاسبون عنك، فلا تهتم بأمرهم حتى تطرد هؤلاء من أجلهم؛ والأول أرجح لقوله: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، وقوله: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾، والمعنى على هذا: أن الله هو الذي يحاسبهم، فلا شيء تطردهم؟ ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ هذا جواب النفي في قوله "ما عليك". ﴿فَتَكُونَ﴾ هذا جواب النهي في قوله، "ولا تطرد" أو عطف على "تطردهم". ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ أي: ابتلينا الكفار بالمؤمنين، وذلك أن الكفار كانوا يقولون: هؤلاء العبيد والفقراء من الله عليهم بالتوفيق للحق والسعادة دوننا، ونحن أشرف أغنياء؟ وكان هذا الكلام منهم على جهة الاستبعاد لذلك. ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ رد على الكفار في قولهم المتقدم. ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ هم الذين نهى النبي صلى الله عليه وسلم

كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٦﴾ وَكَذَلِكَ نَفِصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ ۗ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ۗ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٦٩﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ۗ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧٠﴾ \* وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا

عن طردهم، أمر بأن يسلم عليهم إكراماً لهم، وأن يؤنسهم بها بعد هذا. ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ أي: حتمها، وفي الصحيح [7115]: «إن الله كتب كتاباً، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي». ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا﴾ الآية، وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وأصلح، وهو خطاب للقوم المذكورين قبل، وحكمه عام فيهم وفي غيرهم، والجهالة قد ذكرت في النساء، وقيل: نزلت بسبب أن عمر بن الخطاب ؓ أشار على رسول الله ﷺ أن يطرد الضعفاء عسى أن يسلم الكفار، فلما نزلت "لا تطرد" ندم عمر ؓ على قوله وتاب منه، فنزلت الآية، وقرئ "أنه" بالفتح على البدل من "الرحمة"، وبالكسر على الاستئناف، وكذلك: ﴿فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ بالكسر على الاستئناف، وبالفتح خبر ابتداء مضمرة تقديره: فأمره أنه غفور، وقيل: تكرار للأولى لطول الكلام. ﴿وَكَذَلِكَ نَفِصَلُ الْآيَاتِ﴾ الإشارة إلى ما تقدم من النهي عن الطرد، وغير ذلك، وتفصيل الآيات؛ شرحها وبيانها. ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ بناء الخطاب، ونصب الـ"سبيل" على أنه مفعول به، وقرئ ببناء التأنيث، ورفع الـ"سبيل" على أنه فاعل مؤنث بالياء، والرفع على تذكير الـ"سبيل"؛ لأنه يجوز فيه التذكير والتأنيث. ﴿الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ أي: تعبدون. ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ أي: إن اتبعت أهواءكم ضللت. ﴿عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ أي: على أمر بين من معرفة ربي، والهاء في "بينه" للمبالغة أو للتأنيث. ﴿وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾ الضمير عائد على الرب أو على البينة. ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ أي: العذاب الذي طلبوه في قولهم: ﴿أَمْ طَرُّ عَلَيْنَا حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ﴾، وقيل: الآيات التي اقترحوها؛ والأول أظهر. ﴿يَقْضُ الْحَقُّ﴾ من القصص، وقرئ "يقضي" بالضاد المعجمة، من القضاء؛ وهو أرجح لقوله: ﴿خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ أي: الحاكمين. ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي: لو كان عندي العذاب على التأويل الأول، أو الآيات المقترحة على التأويل الآخر؛ لوقع الانفصال وزال النزاع، لنزول العذاب أو لظهور الآيات. ﴿مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ استعارة، وعبارة عن التوصل إلى الغيوب كما يتوصل بالمفاتيح إلى ما في الخزائن، وهو جمع مفتاح بكسر الميم بمعنى مفتاح، ويحتمل أن يكون جمع مفتاح بالفتح، وهو المخزون.

وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي  
يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ  
إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ وَهُوَ الْغَايِبُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ  
عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ  
رُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحُسَيْنِ ﴿٦٤﴾ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِّنْ  
ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيِّنَ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ  
الشَّاكِرِينَ ﴿٦٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِّنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ  
عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ  
بَعْضُكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظَرْكُمْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٧﴾ وَكَذَّبَ بِهِ  
قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦٨﴾ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٩﴾

﴿وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ﴾ تنبيه بها على غيرها؛ لأنها أشد تغيباً من كل شيء. ﴿فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ اللوح  
المحفوظ، وقيل: علم الله. ﴿يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ أي: إذا نمتم، وفي ذلك اعتبار واستدلال على البعث الأخروي.  
﴿مَا جَرَحْتُمْ﴾ أي: ما كسبتم من الأعمال. ﴿يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ أي: يوظفكم من النوم، والضمير عائد على النهار؛  
لأن غالب اليقظة فيه، وغالب النوم بالليل. ﴿أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أجل الموت. ﴿حَفَظَةً﴾ جمع حافظ، وهم الملائكة  
الكااتبون. ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ الملائكة الذين مع ملك الموت. ﴿ثُمَّ رُدُّوهُ﴾ خروج من الخطاب إلى الغيبة،  
والضمير لجميع الخلق. ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ﴾ الآية، إقامة حجة، و﴿ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ عبارة عن شدائدهما  
وأهوالهما، كما يقال لليوم الشديد مظلم. ﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قيل: الذي من فوق إمطار  
الحجارة، ومن تحت الخسف، وقيل: "من فوقكم" تسليط أكابركم و"من تحت أرجلكم" تسليط سفلتكم؛  
وهذا بعيد. ﴿أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا﴾ أي: يخلطكم فرقا مختلفين. ﴿وَيُذِيقَ بَعْضُكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ بالقتال، واختلف  
هل الخطاب بهذه الآية للكفار أو للمؤمنين؟ وروي أنه لما نزلت "أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم" قال  
رسول الله ﷺ: «أعوذ بوجهك»، فلما نزلت "أو من تحت أرجلكم" قال: «أعوذ بوجهك»، فلما نزلت "أو  
يلبسكم شيعاً" قال النبي ﷺ: «هذه أهون» [البخاري: 4352]، فقضى الله على هذه الأمة بالفتن والقتال إلى يوم  
القيامة. ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾ الضمير عائد على القرآن، أو على الوعيد المتقدم، و"قومك" هم قريش. ﴿لَسْتُ  
عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ أي: بحفيظ ومتسلط، وفي ذلك متاركة نسخها القتال. ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ﴾ أي: غاية يعرف

وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ مَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ مَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۗ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٣٨﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَٰكِنْ ذِكْرِىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٣٩﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا ۚ وَذَكَرَ بِهِ ۗ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ۚ وَإِنْ تَعَدَلَ كُلُّ قَدْلٍ لَّا يُؤْخَذُ مِنْهَا ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا ۗ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤٠﴾

عندها صدقه من كذبه. ﴿يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ في الاستهزاء بها والظعن فيها. ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: قم ولا تجالسهم. ﴿وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾ "إما" مركبة من إن الشرطية وما الزائدة، والمعنى: إن أنساك الشيطان النهي عن مجالستهم، فلا تقعد بعد أن تذكر النهي. ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ "الذين يتقون" هم المؤمنون، والضمير في "حسابهم" للكفار والمستهزئين، والمعنى: ليس على المؤمنين شيء من حساب الكفار على استهزائهم وضلالهم، وقيل: إن ذلك يقتضي إباحة جلوس المؤمنين مع الكفار؛ لأنهم شق عليهم النهي عن ذلك، إذ كانوا لا بد لهم من مخالطتهم في طلب المعاش وفي الطواف بالبيت وغير ذلك، ثم نسخت بآية النساء وهي: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ الآية، وقيل: إنها لا تقتضي إباحة القعود. ﴿وَلَٰكِنْ ذِكْرِىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ فيه وجهان؛ أحدهما: أن المعنى ليس على المؤمنين حساب الكفار، ولكن عليهم تذكير لهم ووعظ، وإعراب "ذكرى" على هذا نصب على المصدر، وتقديره: يذكروهم ذكرى، أو رفع على المبتدأ، تقديره: عليهم ذكرى، والضمير في "لعلهم" عائد على الكفار أي: يذكروهم رجاء أن يتقوا، أو عائد على المؤمنين أي: يذكروهم ليكون تذكيرهم ووعظهم تقوى الله. الوجه الثاني: أن المعنى ليس نهي المؤمنين عن القعود مع الكفار بسبب أن عليهم من حسابهم شيء، وإنما هو ذكرى للمؤمنين، وإعراب "ذكرى" على هذا خبر ابتداء مضمر تقديره: ولكن نهيهم ذكرى، أو مفعول من أجله، تقديره: إنما نهيهم ذكرى، والضمير في "لعلهم" على هذا للمؤمنين لا غير. ﴿وَذَرِ الَّذِينَ﴾ قيل: إنها متاركة منسوخة بالسيف، وقيل: بل هي تهديد فلا متاركة، فلا نسخ فيها. ﴿اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ أي: اتخذوا الدين الذي كان ينبغي لهم لعبا ولهوا؛ لأنهم سخروا منه، واتخذوا الدين الذي يعتقدونه لعبا ولهوا؛ لأنهم لا يؤمنون بالبعث، فهم يلعبون ويلهون. ﴿وَذَكَرَ بِهِ﴾ الضمير عائد على الدين أو على القرآن. ﴿أَنْ تَبْسَلَ﴾ قيل: معناه تحبس، وقيل: تفضح، وقيل: تهلك، وهو في موضع مفعول من أجله أي: ذكر به كراهة أن تبسل نفس. ﴿وَإِنْ تَعَدَلَ كُلُّ قَدْلٍ﴾ أي: وإن تعط كل فدية. ﴿لَّا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾.

قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَتُرْذُ عَلَيَّ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ  
كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى آيَاتِنَا قُلْ  
إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ  
وَأَتَّقُوا وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٦٧﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ  
وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ  
وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٦٨﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَأَزَّرَ أَنْتَحِدُ أَصْنَامًا - إِلَهَةً  
إِنِّي أُرِيدُ أَنْ مَنِّعَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٩﴾ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

﴿ قُلْ أَدْعُوا ﴾ الآية، إقامة حجة وتوبيخ للكفار. ﴿ وَتُرْذُ عَلَيَّ أَعْقَابِنَا ﴾ أي: نرجع من الهدى إلى الضلال، وأصل الرجوع على العقب في المشي ثم استعير في المعاني، وهذه جملة معطوفة على "أندعوا"، والهمزة فيه للإنكار والتوبيخ. ﴿ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ ﴾ الكاف في موضع نصب على الحال من الضمير في "نرد"؛ أي: كيف نرجع مشبهين بمن استهوته الشياطين، أو نعت لمصدر محذوف تقديره: ردا كرد الذي، ومعنى "استهوته الشياطين" ذهبت به في مهامة الأرض وأخرجته عن الطريق، فهو استفعال من هوى يهوي في الأرض، إذا ذهب فيها، وقال الفارسي: استهوى بمعنى أهوى مثل استزل بمعنى أزل. ﴿ حَيْرَانًا ﴾ أي: ضال عن الطريق، وهو نصب على الحال من المفعول في "استهوته". ﴿ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى آيَاتِنَا ﴾ أي: لهذا المستهوى "أصحاب"، وهم رفقة "يدعونه إلى الهدى" أي: إلى أن يهدوه الطريق، يقولون له: "اتتنا" وهو قد تاه وبعد عنهم فلا يجيبهم، وهذا كله تمثيل لمن ضل في الدين عن الهدى، وهو يدعى إلى الإسلام، فلا يجيب، وقيل: نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ؓ حين كان أبواه ؓ يدعوانه إلى الإسلام، ويبطل هذا قول عائشة ؓ: ما نزل في آل أبي بكر شيء من القرآن إلا براءتي. ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا ﴾ عطف على "لنسلم"، أو على مفعول "أمرنا". ﴿ قَوْلُهُ الْحَقُّ ﴾ مرفوع بالابتداء، وخبره "يوم يقول" وهو مقدم عليه، والعامل فيه معنى الاستقرار، كقولك: يوم الجمعة القتال، واليوم بمعنى الحين، وفاعل يكون مضمرا، وهو فاعل كن أي: حين يقول لشيء كن فيكون ذلك الشيء. ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ ظرف لقوله "وله الملك"، كقوله ﴿ لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾. وقيل: في إعراب الآية غير هذا مما هو ضعيف أو تحليط. ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ خبر ابتداء مضمرا. ﴿ لِأَبِيهِ ءَأَزَّرَ ﴾ هو اسم أبي إبراهيم، فأعرابه عطف بيان أو بدل، ومنع من الصرف للعلمية والعجمة لا للوزن؛ فإن وزنه فاعل نحو عابر وشالح، وقرئ بالرفع على النداء، وقيل: إنه اسم صنم؛ لأنه ثبت أن اسم أبي إبراهيم تارح، فعلى هذا يحتمل أن يكون لقب به ملازمته له، أو أريد عابد آزر فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وذلك بعيد، ولا يبعد أن يكون له اسمان. ﴿ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَآهُ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ  
 قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن  
 لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ  
 هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَلْقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ  
 وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾  
 وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ۚ قَالَ أَتُحْجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ۗ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ ۚ

قيل: إنه فرج له السموات والأرض حتى رأى يبصره الملك الأعلى والأسفل؛ وهذا يفتقر إلى صحة نقل، وقيل: رأى ما يراه الناس من الملكوت، ولكنه وقع له بها من الاعتبار والاستدلال ما لم يقع لأحد من أهل زمانه. ﴿وَلِيَكُونَ﴾ متعلق بمحذوف تقديره: وليكون من الموقنين فعلنا به ذلك. ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ أي: ستره، يقال: جن عليه الليل وأجنه. ﴿رَآهُ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ يحتمل هذا الذي جرى لإبراهيم في الكوكب والقمر والشمس أن يكون قبل البلوغ والتكليف، وقد روي: أن أمه ولدته في غار خوفا من نمرود، إذ كان يقتل الأطفال؛ لأن المنجمين أخبروه أن هلاكه على يد صبي، ويحتمل أن يكون جرى له ذلك بعد بلوغه وتكليفه؛ وأنه قال ذلك لقومه على وجه الرد عليهم والتوبيخ لهم؛ وهذا أرجح لقوله بعد ذلك: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾، ولا يتصور أن يقول ذلك وهو منفرد في الغار؛ لأن ذلك يقتضي محاجة وردا على قوم، وذلك أنهم كانوا يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب، فأراد أن يبين لهم الخطأ في دينهم، وأن يرشدهم إلى أن هذه الأشياء لا يصح أن يكون واحدا منها إله، لقيام الدليل على حدوثها، وأن الذي أحدثها ودبر طلوعها وغروبها وأفولها وانتقالها هو الإله الحق وحده، فقوله: "هذا ربي"، قول من ينصف خصمه مع علمه أنه مبطل؛ لأن ذلك أدمى إلى الحق وأقرب إلى رجوع الخصم، ثم أقام عليهم الحجة بقوله: ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ أي: لا أحب عبادة المتغيرين؛ لأن التغير دليل على الحدوث، والحدوث ليس من صفة الإله، ثم استمر على ذلك المنهاج في القمر وفي الشمس، فلما أوضح البرهان وأقام عليهم الحجة جاهرهم بالبراءة من باطلهم، فقال: "إني بريء مما تشركون"، ثم أعلن بعبادته لله وتوحيده له فقال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ووصف الله تعالى بوصف يقتضي توحيده وانفراده بالملك، فإن قيل: لم احتج بالأفول دون الطلوع وكلاهما دليل على الحدوث؛ لأنها انتقال من حال إلى حال؟ فالجواب: أن الأفول أظهر في الدلالة؛ لأنه انتقال مع اختفاء واحتجاب. ﴿أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ﴾ أي: في الإيذان بالله وفي توحيده، والأصل: أتُحَاجُّونِي بنونين، وقرئ بالتشديد على إدغام أحدهما في الأخرى، وبالتخفيف على حذف أحدهما، واختلف هل حذف الأولى أو الثانية؟ ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ "ما" هنا بمعنى الذي، يريد به الأصنام، وكانوا قد خوفوه أن تصيبه



إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٦٤﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا  
 أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنْكُمْ وَاشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ  
 الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦٥﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ  
 أُولَئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٦٦﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ  
 دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٦٧﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا  
 وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ  
 وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَزَكَرِيَّا وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٦٩﴾  
 وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ  
 وَإِخْوَانِهِمْ وَأَجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧١﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ  
 يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمْ  
 الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٧٣﴾

أصنامهم بضر، فقال: لا أخاف منهم؛ لأنهم لا يقدرُونَ على شيء. ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ استثناء منقطع  
 بمعنى لكن، أي: إنما أخاف من ربي إن أراد بي شيئاً. ﴿وَكَيفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ أي: كيف أخاف شركاءكم  
 الذين لا يقدرُونَ على شيء؟ وأنتم لا تخافون ما فيه كل خوف وهو إشراككم بالله، فأنتم تنكرون علي الأمن في  
 موضع الأمن، ولا تنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف، ثم أوفهم على ذلك بقوله: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ  
 أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ يعني فريق المؤمنين وفريق الكافرين، ثم أجاب عن السؤال بقوله ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية، وقيل:  
 إن "الذين ءامنوا": استثناء، وليس من كلام إبراهيم. ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ لما نزلت هذه الآية أشفق  
 منها أصحاب النبي ﷺ، وقالوا: وأينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: ﴿إنما ذلك كما قال لقمان لابنه: يا بني  
 لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾ [البخاري 3181]. ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا﴾ إشارة إلى ما تقدم من استدلاله  
 واحتجاجه. ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ الضمير لـ "نوح"، أو لـ "إبراهيم" عليهما السلام؛ والأول هو الصحيح لذكر "لوط"  
 وليس من ذرية إبراهيم. ﴿دَاوُدَ﴾ عطف على "نوحاً" أي: وهدينا داود. ﴿وَعِيسَى﴾ فيه دليل على أن أولاد  
 البنات يقال لهم ذرية؛ لأن عيسى ليس له أب فهو ابن ابنة نوح. ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ﴾ في موضع نصب عطف على  
 "كلاً" أي: وهدينا بعض آبائهم. ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ﴾ أي: أهل مكة. ﴿وَكََلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾ هم الأنبياء المذكورون،  
 وقيل: الصحابة، وقيل: كل مؤمن؛ والأول أرجح لدلالة ما بعده على ذلك، ومعنى توكلهم بها توفيقهم

أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْنُهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرِي  
 لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ  
 أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ - مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ  
 كَثِيرًا وَعُلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ تَمَّ ذَرْهُمْ فِي حَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿١٠٧﴾  
 وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ  
 يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ - وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿١٠٨﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى  
 عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ  
 تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ - أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ

للإيمان بها والقيام بحقوقها. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ إشارة إلى الأنبياء المذكورين. ﴿فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ﴾ استدلال  
 به من قال: إن شرع من قبلنا شرع لنا، فأما أصول الدين من التوحيد والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله  
 واليوم الآخر فاتفقت فيه جميع الشرائع، وأما الفروع ففيها وقع الاختلاف بين الشرائع، والخلاف هل يقتدي  
 النبي ﷺ فيها بمن قبله أم لا؟ والهاء في "اقتده" للوقف فينبغي أن تسقط في الوصل، ولكن من أثبتتها فيه راعى  
 ثبوتها في خط المصحف. ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي: ما عرفوه حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة لهم،  
 إذ أنكروا بعثه للرسول وإنزاله الكتب، والقائلون هم اليهود بدليل ما بعده، وإنما قالوا ذلك مبالغة في إنكار  
 نبوة محمد ﷺ، وروي: أن الذي قالها منهم مالك بن الصيف، فرد الله عليهم بأن أزمهم ما لا بد لهم من  
 الإقرار به، وهو إنزال التوراة على موسى، وقيل: القائلون قريش، وألزموا ذلك؛ لأنهم كانوا مقرين بالتوراة.  
 ﴿وَعُلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ الخطاب لليهود، أو لقريش، على وجه إقامة الحجة والرد عليهم في قولهم: "ما أنزل الله  
 على بشر من شيء"، فإن كان لليهود فالذي علموه التوراة، وإن كان لقريش فالذي علموه ما جاء به محمد ﷺ.  
 ﴿قُلْ اللَّهُ﴾ جواب "من أنزل"، واسم "الله" مرفوع بفعل مضمرة تقديره: أنزله الله، أو مرفوع بالابتداء. ﴿وَلِتُنذِرَ﴾  
 عطف على صفة الكتاب. ﴿أُمَّ الْقُرَى﴾ مكة، وسميت "أم القرى"؛ لأنها مكان أول بيت وضع للناس، ولأنه جاء  
 أن الأرض دحيت منها، ولأنها يحج إليها أهل القرى من كل فج عميق. ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ هو مسيلمة وغيره  
 من الكذابين الذين ادعوا النبوة. ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ هو النضر بن الحارث؛ لأنه عارض القرآن،  
 واللفظ عام فيه وفي غيره من المستهزئين. ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ جوابه محذوف تقديره: لرأيت أمرا عظيما. و﴿الظَّالِمُونَ﴾  
 من تقدم ذكره من اليهود والكذابين والمستهزئين فتكون اللام للعهد، أو أعم من ذلك فتكون للجنس. ﴿بَاسِطُوا  
 أَيْدِيَهُمْ﴾ أي: تبسط الملائكة أيديهم إلى الكفار يقولون لهم: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، وهذه عبارة عن التعنيف في

الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ وَأُولَٰئِكَ أَهْلُ الْأَنْعَامِ ﴿٦٧﴾ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٨﴾ \* إِنَّ اللَّهَ فَلِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ﴿٦٩﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَأَبَىٰ تَوَفَّكُونَ ﴿٧٠﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٧١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٧٣﴾

السياق والشدة في قبض الأرواح. «الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ» يحتمل أن يريد بذلك الوقت بعينه، أو الوقت الممتد من حينئذ إلى الأبد. «الْهُون» الذلة. «فُرَادَى» منفردين عن أموالكم وأولادكم، أو عن شركائكم؛ والأول يترجح بقوله: «تَرَكَتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ» أي: ما أعطيناكم من الأموال والأولاد، ويترجح الثاني بقوله: «وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ». «تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ» تفرق شملكم، ومن قرأ بالرفع أسند الفعل إلى الظرف، واستعمله استعمال الأسماء، أو يكون البين بمعنى التفرقة، أو بمعنى الوصل، ومن قرأ بالنصب فالفاعل مصدر الفعل، أو محذوف تقديره: تقطع الاتصال بينكم. «فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ» أي: يفلق الحب تحت الأرض لخروج النبات منها، ويفلق النوى لخروج الشجر منها، وقيل: أراد الشقين الذين في النواة والحنطة؛ والأول أرجح لعمومه في أصناف الحبوب. «يُخْرِجُ الْحَيَّ» تقدم في آل عمران. «وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ» معطوف على "فالق". «فَالِقُ الْإِصْبَاحِ» أي: الصبح فهو مصدر سمي به الصبح، ومعنى فلقه إخراجها من الظلمة، وقيل: إن الظلمة هي التي تنفلق عن الصبح، فالتقدير: فالق ظلمة الإصباح. «سَكَنًا» أي: يسكن فيه عن الحركات ويستراح. «حُسْبَانًا» أي: يعلم بها حساب الأزمان والليل والنهار. «ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ» ما أحسن ذكر هذين الإسمين هنا؛ لأن "العزیز" يغلب كل شيء ويقهره، وهو قد قهر الشمس والقمر وسخرهما كيف شاء، و"العلیم" لما في تقدير الشمس والقمر والليل والنهار، من العلوم والحكمة العظيمة وإتقان الصنعة. «فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ» أي: في ظلمات الليل في البر والبحر، وأضاف الظلمات إليهما لئلا يفتقد لهما أو شبه الطرق المشتبهة بالظلمات. «فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ» من كسر القاف من "مستقر" فهو اسم فاعل، "ومستودع" اسم مفعول، والتقدير: فمنكم مستقر ومستودع، ومن فتحها فهو اسم مكان أو مصدر "ومستودع" مثله، والتقدير على هذا: لكم مستقر

وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرَجُ مِنْهُ حَبًّا مَاتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنَ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۗ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦١﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۗ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ سُبْحٰنَهُ ۗ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٦٢﴾ بَدِيعَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ يُكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ ۗ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۗ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٣﴾

ومستودع، والاستقرار في الرحم، والاستيداع في الصلب، وقيل: الاستقرار فوق الأرض، والاستيداع تحتها. ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ الضمير يعود على ال"ماء". ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ الضمير عائد على ال"نبات". ﴿خَضِرًا﴾ أي: أخضر غصا، وهو ما يتولد من أصل النبات من الفراخ. ﴿نُخْرَجُ مِنْهُ﴾ الضمير عائد على الخضر. ﴿حَبًّا مَاتَرَاكِبًا﴾ يعني: السنبل؛ لأن حبه بعضه على بعض، وكذلك الرمان وشبهها. ﴿قِنْوَانٌ﴾ جمع قنو، وهو العنقود من التمر، وهو مرفوع بالابتداء وخبره "من النخل"، ومن طلوعها بدل، والطلع أول ما يخرج من التمر في أكامه. ﴿دَانِيَةٌ﴾ أي: قريبة سهلة للتناول، وقيل: قريب بعضها من بعض. ﴿وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ بالنصب عطفًا على "نبات كل شيء"، وقرئ في غير السبع بالرفع عطفًا على "قنوان". ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ نصب على الحال من ﴿الزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾، أو من كل ما تقدم من النبات والمشتبه والمتشابه بمعنى واحد، أي: من النبات ما يشبه بعضه بعضًا في اللون والطعم والصورة، ومنه ما لا يشبه بعضه بعضًا، وفي ذلك دليل قاطع على الصانع المختار القدير العليم المريد. ﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ أي: انظروا إلى ثمره أول ما يخرج ضعيفا لا منفعة فيه، ثم ينقل من حال إلى حال حتى يينع أي: ينضج ويطيب. ﴿شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ نصب "الجن" على أنه مفعول أول لـ"جعلوا"، و"شركاء" مفعول ثان، وقدم لاستعظام الإشراف، أو "شركاء" مفعول أول، و"الله" في موضع المفعول الثاني، و"الجن" بدل من "شركاء"، والمراد بهم هنا الملائكة، وذلك ردُّ على من عبدهم، وقيل: المراد الجن، والإشراف بهم طاعتهم. ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ الواو للحال، والمعنى الرد عليهم؛ أي جعلوا لله شركاء وهو خلقهم، والضمير عائد على "الجن"، أو على الجاعلين، والحجة قائمة على الوجهين. ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾ أي: اختلقوا وزوروا، وال"بنين" قول النصارى في المسيح، وقول اليهود في عزيز، وال"بنات" قول العرب في الملائكة. ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: قالوا ذلك بغير دليل؛ بل مجرد افتراء. ﴿بَدِيعٌ﴾ ذكر معناه في البقرة، ورفع على أنه خبر ابتداء مضمرة، أو مبتدأ وخبره ﴿أَلَيْسَ يُكُونُ﴾ أو فاعل تعالى، والقصد به الرد على من نسب لله البنين والبنات وذلك من وجهين؛ أحدهما: أن الولد لا يكون إلا من جنس والده،

ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ  
 وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿٦٣﴾ قَدْ جَاءَكُمْ  
 بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٦٤﴾  
 وَكَذَٰلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٦٥﴾ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ  
 إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا  
 وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ  
 مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بَغِيْرَ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ  
 مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾

والله تعالى متعال عن الأجناس؛ لأنه مبدعها فلا يصح أن يكون له ولد، والآخر: أن الله خلق السموات والأرض، ومن كان هكذا فهو غني عن الولد وعن كل شيء. ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ مسبب عن مضمون الجملة أي: من كان هكذا فهو المستحق للعبادة وحده. ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ يعني في الدنيا، وأما في الآخرة فالحق أن المؤمنين يرون ربهم، بدليل قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، وقد جاءت في ذلك أحاديث صحيحة صريحة المعنى لا تحتمل التأويل، وقالت الأشعرية: إن رؤية الله تعالى في الدنيا جائزة عقلا؛ لأن موسى سألها من الله، ولا يسأل موسى ما هو محال، وقد اختلف الناس هل رأى رسول الله ﷺ ربه ليلة الإسراء أم لا؟. ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ قال بعضهم: الفرق بين الرؤية وبين الإدراك أن الإدراك يتضمن الإحاطة بالشيء والوصول إلى غايته؛ فلذلك نفى أن تدرك أبصار الخلق ربهم، ولا يقتضي ذلك نفى الرؤية وحسن على هذا قوله: "وهو يدرك الأبصار" لإحاطة علمه تعالى بالخفيات. ﴿اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ أي: لطيف عن أن تدركه الأبصار وهو الخبير بكل شيء فهو يدرك الأبصار. ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ﴾ جمع بصيرة، وهو نور القلب، والبصر نور العين، وهذا الكلام على لسان النبي ﷺ، لقوله: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾. ﴿وَلِيَقُولُوا﴾ متعلق بمحذوف تقديره: ليقولوا صرفنا الآيات. ﴿دَرَسْتَ﴾ بإسكان السين وفتح التاء أي: درست العلم وقرأته، و"دارست" بالالف أي: دارست العلماء وتعلمت منهم، و"درست" بفتح السين وإسكان التاء بمعنى قدمت هذه الآيات ودثرت. ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ﴾ الضمير لـ"الآيات"، وجاء مذكرا لأن المراد بها القرآن. ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ إن كان معناه: أعرض عما يدعونك إليه أو عن مجادلتهم، فهو محكم، وإن كان أعرض عن قتالهم وعقابهم، فهو منسوخ، وكذلك: ما أنا عليكم بحفيظ وبوكيل. ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: لا تسبوا آلهتهم فيكون ذلك سببا لأن يسبوا الله،

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا آيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٦﴾ وَتُقَلِّبُ أَفْعِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٧﴾ \* وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَلَائِكَةَ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قِبَلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ جَاهِلُونَ ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴿١٩﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْعَدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿٢١﴾

واستدل المالكية بهذا على سد الذرائع. ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: هي بيد الله لا بيدي. ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ أي: ما يدريكم، وهو من الشعور بالشيء، و"ما" نافية أو استفهامية. ﴿أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ من قرأ بفتح "أنها" فهو معمول "يشعركم" أي: ما يدريكم أن الآيات إذا جاءتهم لا يؤمنون بها، نحن نعلم ذلك وأنتم لا تعلمونه، وقيل: "لا" زائدة، والمعنى: ما يشعركم أنهم يؤمنون، وقيل: "أن" هنا بمعنى لعل، فمن قرأ بالكسر فهي استئناف إخبار، وتم الكلام في قوله "وما يشعركم" أي: ما يشعركم ما يكون منهم، فعلى القراءة بالكسر يوقف على "ما يشعركم"، وأما على القراءة بالفتح؛ فإن كانت "أن" مصدرية لم يوقف عليه لأنه عامل فيها، وإن كانت بمعنى لعل؛ فأجاز بعض الناس الوقف، ومنعه شيخنا أبو جعفر بن الزبير لما في لعل من معنى التعليل. ﴿وَتُقَلِّبُ أَفْعِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾ أي: نطبع عليها ونصدها عن الفهم فلا يفقهون. ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ الكاف للتعليل، أي: نطبع على أفئدتهم وأبصارهم عقوبة لهم على أنهم لم يؤمنوا به أول مرة، ويحتمل أن تكون للتشبيه، أي: نطبع عليها إذا رأوا الآيات مثلما إذا طبعنا عليها أول مرة. ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ الآية، رد عليهم في قسمهم أنهم لو جاءتهم آية لآمنوا بها، أي: لو أعطيناهم هذه الآية التي اقترحوها، وكل آية لم يؤمنوا إلا أن يشاء الله. ﴿قِبَلًا﴾ بكسر القاف وفتح الباء، أي: معاينة، فنصبه على الحال، وقرئ بضمين، ومعناه: مواجهة، كقوله ﴿قَدْ مِنْ قَبْلِ﴾، وقيل: جمع قبيل بمعنى كفيل، أي: كفلا بتصديق رسول الله ﷺ. ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ الآية، تسلية للنبي ﷺ بالتأسي بغيره. ﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ أي: المتمردين من الصنفين، ونصب "شياطين" على البدل من "عدوا" إذ هو بمعنى الجمع، أو مفعول أول و"عدوا" مفعول ثان. ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ أي: يوسوس ويلقي الشر. ﴿زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾ ما يزينه من القول. ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ الضمير عائد على وحيهم، أو على عداوة الكفار. ﴿فَذَرَهُمْ﴾ وعيد. ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ "ما" في موضع نصب على أنها مفعول معه، أو عطف على الضمير. ﴿وَلِتَصْغَىٰ﴾ أي: تميل، وهو متعلق بمحذوف، واللام لام الصيرورة. ﴿إِلَيْهِ﴾ الضمير لوحيمهم. ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا﴾ يكتسبوا.

أَفْعَيْرَ اللَّهِ أُبْتِنِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ۗ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ  
الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٦٦﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ  
رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۗ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٦٧﴾ وَإِن نُّطِعَ أَكْثَرُ مَنْ  
فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٦٨﴾ إِن  
رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ  
اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنْتُمْ بِقَائِلَاتِهِ ۖ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٠﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ  
فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ۖ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ  
عِلْمٍ ۗ إِن رَّبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١٧١﴾ وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ۗ إِنَّ الَّذِينَ  
يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٧٢﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ  
عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۗ وَإِن أَطَعْتُمُوهُمْ ۖ  
إِنَّكُمْ لَشُرَكَاءَ لَهُمْ ۗ أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ ۖ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ ۖ فِي النَّاسِ

﴿أَفْعَيْرَ اللَّهِ﴾ معمول لقول محذوف، أي: قل لهم. ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾ أي: صحت، والـ"كلمات" ما نزل  
على عباده من كتبه. ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ أي: صدقا فيما أخبر، وعدلا فيما حكم. ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ  
عَلَيْهِ﴾ القصد بهذا الأمر إباحة ما ذكر اسم الله عليه، والنهي عما ذبح للنصب وغيرها، وعن الميتة، وهذا  
النهي يقتضيه دليل الخطاب من الأمر، ثم صرح به في قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾، وقد  
استدل بذلك من أوجب التسمية على الذبيحة، وإنما جاء الكلام في سياق تحريم الميتة وغيرها، فإن حملناه على  
ذلك لم يكن فيه دليل على وجوب التسمية على ذبائح المسلمين، وإن حملناه على عمومه كان فيه دليل على ذلك،  
وقال عطاء: هذه الآية أمر بذكر الله على الذبح والأكل والشرب. ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا﴾ المعنى: أي غرض  
لكم في ترك الأكل مما ذكر اسم الله عليه، وقد تبين لكم الحلال من الحرام. ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ استثناء مما  
حرم. ﴿وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ لفظ يعم أنواع المعاصي؛ لأن جميعها إما باطن وإما ظاهر، وقيل: الظاهر  
الأعمال والباطن الاعتقاد. ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ الضمير لمصدر "لا تاكلوا". ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ  
لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ سببها؛ أن قوما من الكفار قالوا: إنا نأكل ما قتلنا، ولا نأكل ما قتل الله؛ يعنون الميتة. ﴿أَوْ مَن كَانَ  
مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ﴾ الموت هنا عبارة عن الكفر، والإحياء عبارة عن الإيمان، والنور نور الإيمان، والظلمات الكفر؛  
فهي استعارات، وفي قوله "ميتا فأحييناه" مطابقة، وهي من أدوات البيان، ونزلت الآية في عمار بن ياسر ؓ،

كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلْمَتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٦﴾  
 وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُّجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ  
 وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٣٧﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ اللَّهُ اللَّهُ  
 أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا  
 كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ  
 صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ  
 لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿٤٠﴾ هُمْ  
 دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَلْمَعَنَّ  
 الْجَنَّةُ قَدْ اسْتَكْرَثْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ

وقيل: في عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والذي في الظلمات أبو جهل، ولفظها أعم من ذلك. ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ﴾ "مثل"  
 هنا بمعنى صفة، وقيل: هو زائد، والمعنى كمن هو. ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا﴾ أي كما جعلنا في مكة  
 أكابرها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية، وإنما ذكر الأكابر؛ لأن غيرهم تبع لهم، والمقصود تسليية النبي صلى الله عليه وسلم.  
 "مجرميها" إعرابه مضاف إليه عند الفارسي وغيره، وقال ابن عطية وغيره: إنه مفعول أول بـ "جعلنا"، و"أكابر"  
 مفعول ثانٍ مقدم، وهذا جيد في المعنى، ضعيف في العربية؛ لأن "أكابر" جمع أكبر، وهو من أفعال، فلا  
 يستعمل إلا بمن أو بالإضافة. ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ﴾ الآية، قائل هذه المقالة أبو جهل، وقيل: الوليد بن المغيرة؛  
 لأنه قال: أنا أولى بالنبوة من محمد. ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ رد عليهم فيما طلبوه، والمعنى أن الله  
 علم أن محمداً صلى الله عليه وسلم أهل للرسالة فخصه بها، وعلم أنهم ليسوا بأهل لها فحرمهم إياها، وفي الآية من أدوات البيان  
 التردد، لكونه ختم كلامهم باسم الله، ثم رده في أول كلامه. ﴿صَغَارٌ﴾ أي: ذلة. ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُ﴾ شرح الصدر  
 وضيقه وحرجه ألقاظ مستعارة، ومن قرأ ﴿حَرَجًا﴾ بفتح الراء فهو مصدر وصف به. ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي  
 السَّمَاءِ﴾ أي: كأنها يحاول الصعود إلى السماء، وذلك غير ممكن، فكذلك يصعب عليه الإيمان، وأصل "يصعد"  
 المشدد يتصعد، وقرئ بالتخفيف. ﴿دَارُ السَّلَامِ﴾ الجنة والسلام هنا يحتمل؛ أن يكون اسم الله فأضافها إليه؛  
 لأنها ملكه وخلقه، أو بمعنى السلامة والتحية. ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ العامل في "يوم" محذوف تقديره: اذكروا، أو  
 تقديره: قلنا، ويكون على هذا عاملاً في "يوم"، وفي ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْرَثْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ أي: أضللتكم  
 منهم كثيراً وجعلتموهم أتباعكم، كما تقول استكثر الأمير من الجيش. ﴿اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ استمتاع الجن



وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْت لَنَا قَالَ النَّارُ مَثُونَكُمْ خَلِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ  
 حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١١٨﴾ وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١١٩﴾ يَمَعَشَرَ الْجِنِّ  
 وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا  
 قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَعَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا  
 كَافِرِينَ ﴿١٢٠﴾ ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٢١﴾  
 وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو  
 الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَأْ

بالإنس طاعتهم لهم، واستمتاع الإنس بالجن كقوله ﴿وَإِنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾  
 فإن الرجل كان إذا نزل واديا قال: أعود بصاحب هذا الوادي، يعني كبير الجن. ﴿وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا﴾ هو الموت،  
 وقيل: الحشر. ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ قيل: الاستثناء من الكاف والميم في ﴿مَثُونَكُمْ﴾، ف"ما" بمعنى من؛ لأنها  
 وقعت على صنف من الجن والإنس، والمستثنى على هذا: من آمن منهم، وقيل: الاستثناء من مدة الخلود، وهو  
 الزمان الذي بين حشرهم إلى دخول النار، وقيل: الاستثناء من النار، وهو دخولهم الزمهرير، وقيل: ليس  
 المراد هنا بالاستثناء الإخراج، وإنما هو على وجه الأدب مع الله، وإسناد الأمور إليه. ﴿نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ  
 بَعْضًا﴾ أي: نجعل بعضهم وليا لبعض، وقيل: تتبع بعضهم بعضا في دخولهم النار، وقيل: نسلط بعضهم على  
 بعض. ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾ تقرير للجن والإنس، فقيل: إن الجن بعث فيهم رسل منهم لظاهر الآية،  
 وقيل: إنما الرسل من الإنس خاصة، وإنما قال: "رسل منكم"؛ لأنه جمع الثقلين في الخطاب. ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ  
 أَنفُسِهِمْ﴾ لا تنافي بينه وبين قولهم ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ لما تقدم هنالك، فإن قيل: لم كرر شهادتهم على أنفسهم؟  
 فالجواب: أن قولهم "شهدنا على أنفسنا" قول قالوه هم، وقوله "شهدوا على أنفسهم" ذم لهم وتوبيخ لحالهم.  
 ﴿ذَلِكَ﴾ خبر ابتداء مضمرة تقديره: الأمر ذلك، أو مفعول بفعل مضمرة تقديره: فعلنا ذلك، والإشارة إلى  
 بعث الرسل. ﴿أَن لَّمْ يَكُنْ﴾ تعليل لبعث الرسل، وهو في موضع مفعول من أجله، أو بدل من "ذلك".  
 ﴿بِظُلْمٍ﴾ فيه وجهان؛ أحدهما: أن الله لم يكن ليهلك القرى دون بعث الرسل إليهم، فيكون إهلاكهم ظلما إذ  
 لم ينذرهم، فهو كقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، والآخر: أن الله لا يهلك القرى بظلم إذا  
 ظلموا دون أن ينذرهم، ففاعل الظلم على هذا أهل القرى، وغفلتهم عدم إنذارهم؛ حكى الوجهين ابن عطية  
 والزمخشري؛ والوجه الأول صحيح على مذهب المعتزلة، ولا يصح على مذهب أهل السنة؛ لأن الله لو أهلك  
 عباده بغير ذنب لم يكن ظلما عندهم. ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ﴾ أي: منازل في الجزاء على أعمالهم من الثواب والعقاب.

كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ - آخِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوْعَدُونَ لَأَتِي وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٤﴾ قُلْ يَتَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ وَإِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقَبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ

﴿مَنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ﴾ أي: من ذرية أهل سفينة نوح أو من كان قبلهم إلى آدم. ﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ الأمر هنا للتهديد، والمكانة التمكن. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد. ﴿مَنْ تَكُونُ لَهُ﴾ يحتمل أن تكون "من" موصولة في موضع نصب على المفعولية، أو استفهامية في موضع رفع بالابتداء. ﴿عَقَبَةُ الدَّارِ﴾ أي الآخرة أو الدنيا؛ والأول أرجح لقوله: ﴿عَقَبَى الدَّارِ جَنَاتٌ عَدْنٍ﴾. ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ الضمير في "جعلوا" لكفار العرب، قال السهيلي: هم حي من خولان يقال لهم: الأديم؛ كانوا يجعلون من زروعهم وثمارهم ومن أنعامهم نصيبا لله ونصيبا لأصنامهم، ومعنى "ذرا" خلق وأنشأ، ففي ذلك رد عليهم؛ لأن الله الذي خلقها وذرأها هو مالكها لا رب غيره. ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ أي: بدعواهم وقولهم من غير دليل ولا شرع، وأكثر ما يقال الزعم في الكذب، وقرئ بفتح الزاي وضمها، وهما لغتان. ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ﴾ الآية، كانوا إذا هبت الريح فحملت شيئا من الذي لله إلى الذي للأصنام أقروه، وإن حملت شيئا من الذي للأصنام إلى الذي لله ردوه، وإذا أصابتهم سنة أكلوا نصيب الله وتحاموا نصيب شركائهم. ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ﴾ كانوا يقتلون أولادهم بالوآد ويذبحونهم تقربا إلى الأصنام، و"شركاؤهم" هنا هم الشياطين، أو القائمون على الأصنام، وقرأ الجمهور بفتح الزاي من زَيْنَ عَلَى البناء للفاعل، ونصب "قتل" على أنه مفعول، وخفض "أولادهم" بالإضافة، ورفع "شركاؤهم" على أنه فاعل ب"زين"، والشركاء على هذه القراءة هم الذين زينوا القتل، وقرأ ابن عامر بضم الزاي على البناء للمفعول، ورفع "قتل" على أنه مفعول لم يسم فاعله، ونصب "أولادهم" على أنه مفعول ب"قتل"، وخفض "شركائهم" على الإضافة إلى "قتل" إضافة المصدر إلى فاعله، وفصل بين المضاف والمضاف إليه بقوله "أولادهم"؛ وذلك ضعيف في العربية، وقد سمع في الشعر، والشركاء على هذه القراءة هم القاتلون للأولاد. ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ أي: ليهلكوهم، وهو من الردى بمعنى الهلاك.

لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْتَعِمَ ظُهُورُهَا وَأَنْتَعِمَ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٦٦﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مِّمَّةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ ۗ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٦٧﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦٨﴾ \* وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرِ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا ۚ كُلُّهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرِّمَانَ مُتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ ۗ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۗ وَلَا تُسْرِفُوا ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٦٩﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ ۗ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۗ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٧٠﴾

﴿أَنْعَامٌ وَحَرْتُ جَبْرٌ﴾ أي: حرام، وهو فعل بمعنى مفعول نحو ذبح، فيستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع. ﴿لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ﴾ أي: لا يأكلها إلا من شاءوا، وهم القائمون على الأصنام أو الرجال دون النساء. ﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ أي: لا تركب وهي السائبة وأخواتها. ﴿وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ قيل: معناه لا يحج عليها، فلا يذكر اسم الله بالتلبية، وقيل: لا يذكر عليها إذا ذبحت. ﴿افْتِرَاءً عَلَيْهِ﴾ كانوا قد قسموا أنعامهم هذه الأقسام، ونسبوا ذلك إلى الله افتراءً وكذباً، ونصب على الحال، أو مفعول من أجله، أو مصدر مؤكد. ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾ الآية، كانوا يقولون في أجنة البحيرة والسائبة ما ولد منها حياً فهو للرجال خاصة ولا يأكل منه النساء، وما ولد منها ميتاً اشترك فيه الرجال والنساء، وأنت "خالصة" للحمل على المعنى وهي الأجنة، وذکر ﴿مُحَرَّمٌ﴾ حملاً على لفظ "ما"، ويجوز أن تكون التاء للمبالغة. ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: البحيرة والسائبة وشبههما. ﴿جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ﴾ مرفوعات على دعائم وشبهها. ﴿وَغَيْرِ مَعْرُوشَاتٍ﴾ متروكات على وجه الأرض، وقيل: الـ"معروشات" ما غرسه الناس في العمران، وغير معروشات ما أنبته الله في الجبال والبراري. ﴿مُخْتَلِفًا كُلُّهُ﴾ في اللون والطعم والرائحة والحجم؛ وذلك دليل على أن الخالق مختار مرید. ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ قيل: "حقه" هو الزكاة؛ وهو ضعيف لوجهين، أحدهما: أن الآية مكية وإنما فرضت الزكاة بالمدينة، والآخر: أن الزكاة لا تعطى يوم الحصاد، وإنما تعطى بعد ضم الحبوب والشمار، وقيل: "حقه" ما يتصدق به على المساكين يوم الحصاد، وكان ذلك واجباً ثم نسخ بالعشر، وقيل: هو ما يسقط من السنبل؛ والأمر هنا على اللندب. ﴿حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ﴾ عطف على "جنت" والـ"حمولة" الكبار،

ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ۗ قُلْ -الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَا  
 أَشْتَمَلْتُمْ عَلَيْهِ أَزْوَاجُ الْأُنثَيَيْنِ ۗ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٢﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ  
 وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ۗ قُلْ -الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَا أَشْتَمَلْتُمْ عَلَيْهِ أَزْوَاجُ الْأُنثَيَيْنِ ۗ أَمْ  
 كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَدَّكُمْ اللَّهُ بِهِذَا ۗ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ  
 النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا  
 عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ  
 أَوْ فِسْقًا أَهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۗ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرُ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٤﴾  
 وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ۗ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ  
 شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا

وال"فرش" الصغار كالعجاجيل والفصلان، وقيل: ال"حمولة" الإبل؛ لأنها يحمل عليها، وال"فرش" الغنم؛  
 لأنها تفرش للذبح، ويفرش ما ينسج من صوفها. ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ بدل من "حمولة وفرشا" وسأها أزواجا؛  
 لأن الذكر زوج للأثى والأنثى زوج للذكر. ﴿مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾ يريد الذكر والأنثى وكذلك فيما بعده.  
 ﴿قُلْ -الذَّكَرَيْنِ﴾ يعني الذكر من الضأن والذكر من المعز، ويعني بـ﴿الأنثيين﴾ الأثى من الضأن، والأنثى  
 من المعز، وكذلك فيما بعده من الإبل والبقر، والهمزة للإنكار. ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾ تعجيز وتوبيخ. ﴿افْتَرَىٰ عَلَى  
 اللَّهِ كَذِبًا﴾ يعني في تحريمهم ما لم يحرم الله، وذلك إشارة إلى العرب في تحريمهم أشياء كالبحيرة وغيرها.  
 ﴿قُلْ لَا أَجِدُ﴾ الآية، تقتضي حصر المحرمات فيما ذكر، وقد جاء في السنة تحريم أشياء لم تذكر هنا كالحوم  
 الحمر، فذهب قوم إلى أن السنة نسخت هذا الحصر، وذهب آخرون إلى أن الآية وردت على سبب فلا تقتضي  
 الحصر، وذهب آخرون إلى أن ما عدا ما ذكر إنما نهي عنه على وجه الكراهة لا على وجه التحريم. ﴿أَوْ فِسْقًا﴾  
 معطوف على المنصوبات قبله، وهو "ما أهل لغير الله" ساءه "فسقا" لتوغله في الفسق، وقد تقدم الكلام على هذه  
 المحرمات في البقرة. ﴿كُلُّ ذِي ظُفْرٍ﴾ هو ماله أصبع من دابة وطائر قاله الزمخشري، وقال ابن عطية: يراد به  
 الإبل والأوز والنعام ونحوه من الحيوان الذي هو غير منفرج الأصابع وله ظفر، وقال الماوردي مثله،  
 وحكى النقاش عن ثعلب: أن كل ما لا يصيد فهو ذو ظفر، وما يصيد فهو ذو مخلب وهذا غير مطرد؛ لأن  
 الأسد ذو ظفر. ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ يعني ما في الظهر والجنوب من الشحم. ﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾ هي المباعر،  
 وقيل: المصارين والحشوة ونحوهما مما يتحوى في البطن، وواحد حوايا حوية، على وزن فعيلة، فوزن "حوايا"

أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنٰهُمْ بِبَغْيِهِمْ ۗ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٦٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ  
رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٦٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا  
لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن  
قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۚ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ  
وَإِن أنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٦٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ۗ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ وَأَجْمَعِينَ ﴿١٦٩﴾ قُلْ هَلُمَّ  
شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۗ فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۗ وَلَا تَتَّبِعِ  
أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٧٠﴾

على هذا فاعائل كصحيفة وصحائف، وقيل: واحداها حاوية على وزن فاعلة، فـ"حاويا" على هذا فواعل  
كضاربة وضوارب، وهو معطوف على "ما" في قوله "إلا ما حملت ظهورهما" فهو من المستثنى من التحريم،  
وقيل: عطف على الظهور، فالمعنى إلا ما حملت الظهور أو حملت الحوايا، وقيل: عطف على الشحوم فهو  
من المحرم. ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ يريد في جميع الجسد. ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ أي: فيما أخبرنا به من التحريم،  
وفي ذلك تعريض بكذب من حرم ما لم يحرم الله. ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ أي: إن  
كذبوك فيما أخبرت به من التحريم، فقل لهم "ربكم ذو رحمة واسعة" إذ لا يعاجلكم بالعقوبة على شدة  
جرمكم، وهذا كما تقول عند رؤية معصية: ما أحلم الله! تريد لإمهاله عن مثل ذلك، ثم أعقب وصفه بالرحمة  
الواسعة بقوله: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: لا تغتروا بسعة رحمته، فإنه لا يرد بأسه عن مثلكم؛  
إما في الدنيا أو في الآخرة. ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ الآية، معناها أنهم يقولون إن  
شركهم وتحريمهم لما حرموا كان بمشيئة الله، ولو شاء الله أن لا يفعلوا ذلك ما فعلوه، واحتجوا على صحته  
بإرادة الله له، وتلك نزغة جبرية، ولا حجة لهم في ذلك؛ لأنهم مكلفون مأمورون ألا يشركوا بالله ولا يحرموا  
ما حلال الله، والإرادة خلاف التكليف، ويحتمل عندي أن يكون قولهم "لو شاء الله" قولا يقولونه في الآخرة  
على وجه التمني أن ذلك لم يكن، كقولك إذا ندمت على شيء: لو شاء الله ما كان هذا، أي يتمنى أن ذلك لم  
يكن، ويؤيد هذا أنه حكى قولهم بأداة الاستقبال وهي السين، فذلك دليل على أنهم يقولونه في المستقبل  
وهي الآخرة. ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ﴾ توقيف لهم وتعجيز. ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ لما أبطل حجتهم  
أثبت حجة الله ليظهر الحق ويبطل الباطل. ﴿هَلُمَّ﴾ قيل: هي بمعنى هات فهي متعدية، وقيل: بمعنى أقبل  
فهي غير متعدية، وهي عند بعض العرب فعل يتصل به ضمير الاثنين والجماعة والمؤنث، وعند بعضهم  
اسم فعل فيخاطب به الواحد والاثنان والجماعة والمؤنث على حد سواء، ومقصود الآية: تعجيزهم عن إقامة  
الشهداء. ﴿فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ أي: إن كذبوا في شهادتهم وزوروا فلا تشهد بمثل شهادتهم.

قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا  
أَوْلَادَكُمْ ۖ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ﴾ أمر الله نبيه ﷺ أن يدعو جميع الخلق إلى سماع تلاوة ما حرم الله عليهم، وذكر في هذه الآية المحرمات التي أجمعت عليها جميع الشرائع ولم تنسخ قط في ملة، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هي الكلمات العشر التي أنزل الله على موسى. ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ قيل: "أن" هنا حرف عبارة وتفسير، فلا موضع لها من الإعراب، و"لا" ناهية جازمة الفعل، وقيل: "أن" مصدرية في موضع رفع تقديره؛ الأمر ألا تشركوا، ف"لا" على هذا نافية، وقيل: "أن" في موضع نصب بدلا من قوله "ما حرم"، ولا يصح ذلك إلا إن كانت "لا" زائدة، وإن لم تكن زائدة فسد المعنى؛ لأن الذي حرم على ذلك يكون ترك الإشراك؛ والأحسن عندي أن تكون "أن" مصدرية في موضع نصب على البدل، و"لا" نافية، ولا يلزم ما ذكر من فساد المعنى؛ لأن قوله "ما حرم ربكم" معناه: ما وصاكم به ربكم، بدليل قوله في آخر الآية: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ﴾ فضمن التحريم معنى الوصية، والوصية في المعنى أعم من التحريم؛ لأن الوصية تكون بتحريم وتحليل ووجوب وندب، ولا ينكر أن يريد بالتحريم الوصية؛ لأن العرب قد تذكر اللفظ الخاص وتريد به العموم، كما تذكر اللفظ العام وتريد به الخصوص، فإذا تقرر هذا فتقدير الكلام: قل تعالوا أتل ما وصاكم به ربكم، ثم أبدل منه على وجه التفسير له والبيان، فقال "أن لا تشركوا به شيئا" أي: وصاكم ألا تشركوا به شيئا، ووصاكم بالإحسان بالوالدين، ووصاكم أن لا تقتلوا أولادكم، فجمعت الوصية ترك الإشراك، وفعل الإحسان بالوالدين وما بعد ذلك، ويؤيد هذا التأويل الذي تأولنا؛ أن الآيات اشتملت على أوامر كالإحسان بالوالدين، وقول العدل، والوفاء في الوزن، وعلى نواهي كالإشراك، وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، فلا بد أن يكون اللفظ المقدم في أولها لفظا يجمع الأوامر والنواهي؛ لأنها أجملت فيه، ثم فسرت بعد ذلك، ويصلح لذلك لفظ الوصية؛ لأنه جامع للأمر والنهي، فلذلك جعلنا التحريم بمعنى الوصية، ويدل على ذلك ذكر لفظ الوصية بعد ذلك، وإن لم يتأول على ما ذكرناه لزم في الآية إشكال؛ وهو عطف الأوامر على النواهي، وعطف النواهي على الأوامر، فإن الأوامر طلب فعلها والنواهي طلب تركها، وواو العطف تقتضي الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه، ولا يصح ذلك إلا على الوجه الذي تأولناه من عموم الوصية للفعل والترك، وتحتل الآية عندي تأويلا آخر؛ وهو أن يكون لفظ التحريم عاما، ويعم فعل المحرمات وترك الواجبات؛ لأن ترك الواجب حرام. ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ﴾ الـ"إملاق" الفاقة، و"من" هنا للتعليل، تقديرها من أجل إملاق؛ وإنما نهى عن قتل الأولاد لأجل الفاقة؛ لأن العرب كانوا يفعلون ذلك، فخرج مخرج الغالب فلا يفهم منه إباحة قتلهم لغير ذلك الوجه. ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ قيل: "ما ظهر" الزنا، و"ما بطن" اتخاذ الأخدان؛ والصحيح أن ذلك عام في جميع

وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥٦﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۗ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۗ لَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۗ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٧﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۗ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۗ ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٨﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّهِمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٩﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٦٠﴾

الفواحش. ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ فسرهُ قول رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاثة أمور: زنى بعد إحصان، وكفر بعد إيمان، وقتل نفس بغير نفس» [البخاري: 6484] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النهي عن القرب يعم وجوه التصرف، وفيه سد الذريعة؛ لأنه إذا نهى عن أن يقرب المال فالنهي عن أكله أولى وأحرى، و"التي هي أحسن" منفعة اليتيم وتميم ماله. ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ هو البلوغ مع الرشد، وليس المقصود هنا السن وحده، وإنما المقصود معرفته بمصالحه. ﴿لَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ لما أمر بالقسط في الكيل والوزن، وقد علم أن القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج ولا يتحقق الوصول إليه أمر بما في الوسع من ذلك وعفا عما سواه. ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ أي: ولو كان المقول له أو عليه في شهادة أو غيرها من أهل قرابة القائل فلا ينبغي أن يزيد ولا ينقص بل يعدل. ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي﴾ الإشارة بهذا إلى ما تقدم من الوصايا أو إلى جميع الشريعة، و"أن" بفتح الهمزة والتشديد عطف على ما تقدم أو مفعول من أجله أي: فاتبعوه؛ لأن هذا "صراطي مستقيماً"، وقرئ بالكسر على الاستئناف، وبالفتح والتخفيف على العطف، وهي على هذا مخففة من الثقيلة. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية وغيرهما من الأديان الباطلة، ويدخل فيه أيضاً البدع والأهواء المضلة، وفي الحديث أن النبي ﷺ خط خطاً ثم قال: «هذا سبيل الله» ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال: «هذه كلها سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه» [ابن حبان: 6]. ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ أي: تفرقكم عن سبيل الله، والفعل مستقبل حذف منه تاء المضارعة؛ ولذلك شدده البزي. ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَىٰ مَعْطُوفٍ عَلَىٰ "وَصَاكُم بِهِ"، فَإِنْ قِيلَ: فَإِنْ إِيْتَاءِ مُوسَى الْكِتَابِ مُتَقَدِّمٍ عَلَىٰ هَذِهِ الْوَصِيَّةِ فَكَيْفَ عَطَفَهُ عَلَيْهَا بِ"ثُمَّ"؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ قَدِيمَةٌ لِكُلِّ أُمَّةٍ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهَا فَصَحَّ التَّرْتِيبُ، وَقِيلَ: إِنَّهَا هُنَا لِتَرْتِيبِ الْأَخْبَارِ وَالْقَوْلِ لَا لِتَرْتِيبِ الْأَزْمَانِ. ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ فيه ثلاث تأويلات؛ أحدها: أن المعنى تماماً للنعمة على الذي أحسن من قوم موسى، ففاعل "أحسن"

أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾  
 أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ  
 وَهُدًى وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ  
 عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ  
 يَأْتِي رَبُّكَ أَوْ يَأْتِ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ  
 تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴿١٥٨﴾ قُلِ انْتظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٥٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ  
 فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴿١٦٠﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا  
 يَفْعَلُونَ ﴿١٦١﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا  
 وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٢﴾ قُلِ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

ضمير يعود على "الذي"، و"الذي أحسن" يراد به جنس المحسنين، والآخر: أن المعنى "تماماً" أي: تفضلاً وجزءاً على ما أحسن موسى عليه السلام من طاعة ربه وتبليغ رسالته، فالفاعل على هذا ضمير "موسى" عليه السلام، و"الذي" صفة لعمل موسى، والثالث: "تماماً" أي: إكمالاً على ما أحسن الله به إلى عباده، فالعامل على هذا ضمير الله تعالى. ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ في موضع مفعول من أجله تقديره: كراهة أن تقولوا. ﴿عَلَى طَائِفَتَيْنِ﴾ أهل التوراة والإنجيل. ﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ أي: لم ندرس مثل دراستهم، ولم نعرف ما درسوا من الكتب، فلا حجة علينا، وإن هنا مخففة من الثقيلة. ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ إقامة حجة عليهم. ﴿وَصَدَفَ﴾ أعرض. ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ الآية، تقدمت نظيرتها في البقرة. ﴿بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ أشرط الساعة كطلوع الشمس من مغربها، فحينئذ لا يقبل إيمان كافر، ولا توبة عاص، فقوله: ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا﴾ يعني أن إيمان الكافر لا ينفعه حينئذ، وقوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ يعني: أن من كان مؤمناً ولم يكسب حسناً قبل ظهور تلك الآيات ثم تاب إذا ظهرت لم ينفعه؛ لأن باب التوبة يغلق حينئذ. ﴿قُلِ انْتظِرُوا﴾ وعيد. ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ هم اليهود والنصارى، وقيل: أهل الأهواء والبدع، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» قيل: يارسول الله! ومن تلك الواحدة؟ قال: «من كان على ما أنا وأصحابي عليه» [الترمذي: 2614]. وقرئ "فارقوا" أي تركوا. ﴿وَكَانُوا شِيْعًا﴾ جمع شيعه أي: مفترقين، كل فرقة تشيع لمذهبها. ﴿لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي: أنت بريء منهم. ﴿عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ فضل عظيم على العموم في الحسنات،



دِينًا قِيمًا مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦١﴾ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ  
وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ  
أَبْعَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۗ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ  
رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُم خَلِيفَ الْآرَضِ وَرَفَعَ  
بَعْضُكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُم ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾

وفي العاملين، وهو أقل التضعيف للحسنات، فقد انتهي إلى سبعمائة وأزيد. ﴿دِينًا قِيمًا﴾ بدل من موضع  
"إلى صراط مستقيم"؛ لأن أصله هداني صراطا مستقيما بدليل: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾، والقيم فيعمل من القيام،  
وهو أبلغ من قائم، وقرئ "قيما" بكسر القاف وتخفيف الياء وفتحها، وهو على هذا مصدر وصف به.  
﴿مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ بدل من "دينا" أو عطف بيان. ﴿وَنُسُكِي﴾ أي: عبادتي، وقيل: ذبحي للبهائم، وقيل:  
حجتي، والأول أعم وأرجح. ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ أي: أعمالي في حين حياتي وعند موتي. ﴿لِلَّهِ﴾ أي:  
خالصة لوجهه وطلب رضاه، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ أي: لا أريد بأعمالي غير الله، فيكون  
نفيا للشرك الأصغر وهو الرياء، ويحتمل أن يريد: لا أعبد غير الله، فيكون نفيا للشرك الأكبر. ﴿وَبِذَلِكَ  
أُمِرْتُ﴾ الإشارة إلى الإخلاص الذي تقتضيه الآية قبل ذلك. ﴿أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ لأنه ﷺ سابق أمته.  
﴿قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ أَبْعَى رَبًّا﴾ تقرير وتوبيخ للكفار، وسببها أنهم دعوه إلى عبادة آلهتهم. ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾  
برهان على التوحيد ونفي الربوبية عن غير الله. ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ رد على الكفار؛ لأنهم  
قالوا له: اعبد آلهتنا ونحن نتكفل لك بكل تباعة تتوقعها في دنياك وأخراك، فنزلت هذه الآية، أي: ليس  
كما قلت، وإنما كسب كل نفس عليها خاصة. ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي: لا يحمل أحد ذنوب أحد،  
وأصل الوزر الثقل ثم استعمل في الذنوب. ﴿خَلَائِفَ﴾ جمع خليفة أي: يخلف بعضكم بعضا في السكنى  
في الأرض، أو خلائف عن الله في أرضه، والخطاب على هذا لجميع الناس، وقيل: لأمة محمد ﷺ لأنهم  
خلفوا الأمم المتقدمة. ﴿وَرَفَعَ بَعْضُكُمْ﴾ عموم في المال والجاه والقوة والعلوم وغير ذلك مما وقع فيه  
التفضيل بين العباد. ﴿لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُم﴾ ليختبر شكركم على ما أعطاكم وأعمالكم فيما مكنكم فيه.  
﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ جمع بين التخويف والترجية، وسرعة عقابه تعالى إما في الدنيا  
بمن عجل أخذه، أو في الآخرة؛ لأن كل آت قريب، ونسأل الله أن يغفر لنا ويرحمنا بفضلته ورحمته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْمَصَّ ۝ كَتَبْنَا نَزْلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ  
لِتُنذِرَ بِهِ ۖ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ أَتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن  
دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝ وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ  
قَائِلُونَ ۝ فَمَا كَانَ دَعْوَانُهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝  
فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ۝ فَلَنَقْصِّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا  
غَائِبِينَ ۝ وَالْوَزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ۖ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوَلِّتِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ  
۝ وَمَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوَلِّتِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ۝  
وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه.

### سورة الأعراف

﴿المص﴾ تكلمنا على حروف الهجاء في البقرة. ﴿حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ أي: ضيق من تبليغه مع تكذيب قومك، وقيل: الـ"حرج" هنا الشك، فتأويله كقوله ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَّيِّبِينَ﴾. ﴿لِتُنذِرَ﴾ متعلق بـ"انزل". ﴿وَذِكْرَى﴾ منصوب على المصدرية بفعل مضمرة تقديره: لتنذر وتذكر ذكري؛ لأن الذكر بمعنى التذكير، أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمرة، أو مخفوض عطفاً على موضع "لتنذر" أي: للإلذار والذكرى. ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ انتصب "قليلًا" بـ"تذكرون" أي: تذكرون تذكراً قليلاً، و"ما" زائدة للتأكيد. ﴿أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾ قيل: إنه من المقلوب، تقديره: جاءها بأسنا فأهلكناها، وقيل: معناه أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا؛ لأن مجيء البأس قبل الإهلاك، فلا يصح عطفه عليه بالفاء، ويحتمل أن يكون "فجاءها بأسنا" استثناءً على وجه التفسير للإهلاك، فلا يحتاج إلى تكلف، والمراد: أهلكنا أهلها فجاءهم، ثم حذف المضاف بدليل "أو هم قائلون". ﴿بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ "بيئات" مصدر في موضع الحال، بمعنى بائتين؛ أي: بالليل، و"قائلون" من القائلة؛ أي: بالنهار، وقد أصاب العذاب بعض الكفار المتقدمين بالليل وبعضهم بالنهار، و"أو" هنا للتنويع. ﴿دَعَاؤُهُمْ﴾ أي: ما كان دعاؤهم واستغاثتهم إلا للاعتراف بأنهم ظالمون، وقيل: المعنى أن "دعواهم" هنا ما كانوا يدعون من دينهم، فاعترفوا لما جاءهم العذاب أنهم كانوا ظالمين في ذلك. ﴿أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أسند الفعل إلى الجار والمجرور، ومعنى الآية: أن الله يسأل الأمم عما أجابوا به رسلهم، ويسأل الرسل عما أجابوا به. ﴿فَلَنَقْصِّنَّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على الرسل والأمم. ﴿وَالْوَزْنَ﴾ يعني: وزن الأعمال. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم يسأل الرسل وأمهم؛ وهو يوم القيامة. ﴿بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ أي: يكذبون بها ظلماً.

وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ  
يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٦﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۗ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ  
خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٧﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا  
فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٨﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٩﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ  
﴿٢٠﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِي لِأَفْعَدَنَّ لَهُم صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ لَا تَيَسَّرُ لِمَنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ  
وَمَنْ خَلْفَهُمْ وَعَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ أَخْرَجْ  
مِنهَا مَذْءُومًا مَّذْحُورًا ۗ لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢٣﴾ وَيَتَفَادَمُ  
أَسْكُنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ  
الظَّالِمِينَ ﴿٢٤﴾ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ  
مَا نَهَاكُمْ رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٥﴾

﴿ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ قيل: المعنى أردنا خلقكم وتصويركم. ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ وقيل:  
خلقنا أباكم آدم ثم صورناه، وإنما احتيج إلى التأويل ليصح العطف. ﴿ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾ "لا" زائدة للتأكيد. ﴿ إِذْ  
أَمَرْتُكَ ﴾ استدلل به بعض الأصوليين على أن الأمر يقتضي الوجوب والفور؛ ولذلك وقع العقاب على ترك  
المبادأة للوجود. ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ تعليل علل به إبليس امتناعه من السجود، وهو يقتضي الاعتراض على  
الله تعالى في أمره بسجود الفاضل للمفضول على زعمه، وبهذا الاعتراض كفر إبليس، إذ ليس كفره كفر  
جحود. ﴿ فَاهْبِطْ مِنْهَا ﴾ أي: من السماء. ﴿ فِيمَا أُغْوِيْتَنِي ﴾ الفاء للتعليل، وهي تتعلق بفعل قسم محذوف  
تقديره: أقسم بالله بسبب إغوائك لي لأغوين بني آدم، و"ما" مصدرية، وقيل: استفهامية، ويطلبه ثبوت الألف  
فيها مع حرف الجر. ﴿ صِرَاطَكَ ﴾ يريد طريق الهدى والخير، وهو منصوب على الظرفية. ﴿ ثُمَّ لَا تَيَسَّرُ مِّنْ بَيْنِ  
أَيْدِيهِمْ ﴾ الآية، أي من الجهات الأربع، وذلك عبارة عن تسليطه على بني آدم كيفما أمكنه، وقال ابن عباس رضي الله عنهما:  
"من بين أيديهم" الدنيا، ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ الآخرة، ﴿ وَعَنْ يَمَانِهِمْ ﴾ الحسنات. ﴿ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾ السيئات.  
﴿ مَذْءُومًا ﴾ من ذأمه بالهمزة إذا ذمه. ﴿ مَذْحُورًا ﴾ أي: مطرودا حيث وقع. ﴿ فَوَسَّوَسَ ﴾ إذا تكلم كلاما خفيا  
يكرره، فمعنى "وسوس لهما" ألقى لهما هذا الكلام. ﴿ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا ﴾ أي: ليظهر ما  
ستر من عوراتهما، واللام في قوله "ليبدي" للتعليل إن كان في انكشافها غرض لإبليس، أو للصيرورة إن وقع  
ذلك بغير قصد منه إليه. ﴿ الشَّجَرَةَ ﴾ ذكر في البقرة. ﴿ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ ﴾ أي: كراهة أن تكونا ملكين،

وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿١٦﴾ فَدَلِيهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتَا  
 هُمَا سَوْءَٰهُمَا وَطَفِقَا مَخَصِفَيْنِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَّرَقِ الْجَنَّةِ ۗ وَنَادِيَهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ آتِيَكُمَا عَنْ  
 تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٧﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن  
 لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ  
 وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٩﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا  
 تُخْرَجُونَ ﴿٢٠﴾ يَبْنِي ۗ ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۗ وَلِبَاسَ التَّقْوَىٰ  
 ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ - آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢١﴾ يَبْنِي ۗ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ  
 كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يُرِيَكُمْ هُوَ  
 وَقَبِيلُهُ مِمَّنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٢﴾

واستدل به من قال: إن الملائكة أفضل من الأنبياء، وقرئ "ملكين" بكسر اللام، ويقوي هذه القراءة قوله: ﴿وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾. ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ أي: حلف لهما إنه ﴿لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ وذكر قسم إبليس بصيغة المفاعلة التي تكون بين الاثنين؛ لأنه اجتهد فيه، أو لأنه أقسم لهما وأقسما له أن يقبل نصيحته. ﴿فَدَلَاهُمَا﴾ أي: أنزلها إلى الأكل من الشجرة. ﴿بِغُرُورٍ﴾ أي: غرهما بحلفه لهما؛ لأنها ظنا أنه لا يحلف كاذبا. ﴿بَدَتَا لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ أي: زال عنهما اللباس وظهرت عوراتهما، وكان لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر، وقيل: كان لباسهما نوزا يحول بينهما وبين النظر. ﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَّرَقِ الْجَنَّةِ﴾ أي: يصلان بعضه ببعض ليستترا به. ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا﴾ يحتمل أن يكون هذا النداء بواسطة ملك أو بغير واسطة. ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ الآية، اعتراف وطلب للمغفرة والرحمة؛ وتلك هي الكلمات التي تاب الله عليه بها. ﴿أَهْبِطُوا﴾ وما بعده مذكور في البقرة. ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ أي: في الأرض. ﴿لِبَاسًا﴾ أي: الثياب التي تستر، ومعنى أنزلنا خلقنا، وقيل: المراد أنزلنا ما يكون عنه اللباس وهو المطر، واستدل بعض الفقهاء بهذه الآية على وجوب ستر العورة. ﴿وَرِيشًا﴾ أي: لباس الزينة، وهو مستعار من ريش الطير. ﴿وَلِبَاسَ التَّقْوَىٰ﴾ استعار للتقوى لباسا، كقوله: لبسك الله قميص تقواه، وقيل: لباس التقوى ما يتقى به في الحرب من الدروع وشبهها، وقرئ بالرفع على الابتداء وخبره الجملة وهي: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾. ﴿ذَٰلِكَ مِنْ - آيَاتِ اللَّهِ﴾ الإشارة إلى ما أنزل من اللباس، وهذه الآية واردة على وجه الاستطراد عقيب ما ذكر من ظهور السوات، وخصف الورق عليهما؛ ليبين إنعامه على ما خلق من اللباس. ﴿يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ أي: كان سببا في نزع لباسهما عنهما. ﴿مِمَّنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ يعني في غالب الأمر،

وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ  
بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا  
وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا  
هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ \* يَنْبَىٰ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ  
وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي  
أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفِصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا  
ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا

وقد استدلل به من قال: إن الجن لا يرون، وقد جاءت في رؤيتهم أحاديث صحيحة، فتحمل الآية على  
الأكثر جمعاً بينها وبين الأحاديث. ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً﴾ قيل: هي ما كانت العرب تفعله من الطواف  
بالبيت عراة الرجال والنساء، ويحتمل العموم في الفواحش. ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾  
اعتذروا بعذرين باطلين؛ أحدهما: تقليد آبائهم، والآخر: افتراؤهم على الله. ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾ قيل:  
المراد إحضار النية والإخلاص لله، وقيل: فعل الصلاة والتوجه فيها. ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي: في كل  
مكان سجود، أو كل وقت سجود؛ والأول أظهر، والمعنى: إباحة الصلاة في كل موضع كقوله ﷺ:  
«جعلت لي الأرض مسجداً» [البخاري: 328] ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ احتجاج على البعث الأخرى بالبداة  
الأولى. ﴿فَرِيقًا﴾ الأول: منصوب بـ «هَدَىٰ» والثاني: منصوب بفعل مضمرة يفسره ما بعده. ﴿خُذُوا  
زِينَتَكُمْ﴾ قيل: المراد به الثياب الساترة، واحتج به من أوجب ستر العورة في الصلاة، وقيل: المراد به  
الزينة زيادة على الستر؛ كالتجمل للجمعة بأحسن الثياب، وبالسواك، والطيب. ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ الأمر  
فيهما للإباحة؛ لأن بعض العرب كانوا يجرمون أشياء من المأكّل. ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ أي: لا تكثروا من الأكل  
فوق الحاجة، وقال الأطباء: إن الطب كله مجموع في هذه الآية، وقيل: لا تسرفوا بأكل الحرام. ﴿قُلْ مَنْ  
حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ إنكار لتحريمها، وهي ما شرعه الله لعباده من اللباس والمأكّل، وكان بعض العرب إذا  
حجوا يجرمون الثياب، ويطوفون عراة، ويجرمون الشحم واللبن، فنزل ذلك رداً عليهم. ﴿خَالِصَةٌ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ﴾ أي: الزينة والطيبات في الدنيا للذين آمنوا ولغيرهم، وفي الآخرة خالصة لهم دون غيرهم،  
وقرئ خالصة بالنصب على الحال، والرفع على أنه خبر بعد خبر، أو خبر ابتداء مضمرة. ﴿وَالْإِثْمَ﴾ عام في

وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمُونَ ﴿٦٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَجِرُونَ  
سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦٧﴾ يَبْنِيءَ آدَمَ إِمًّا يَاتِيَنَّكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ يِقْضُونَ عَلَيْكُمْ وَأَيَّتِي  
فَمَنْ اتَّبَعِي وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيَّمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا  
وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦٩﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى  
اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا  
يَتَوَفَّوهُمْ قَالُوا أَإِنَّا مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَنَا مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ  
أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ  
كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ آخِثًا حَتَّى إِذَا آدَرَكُوهَا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ احْرِبْهُمْ لِأَوْلِيئِهِمْ رَبَّنَا  
هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَجَاءَتْهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾  
وَقَالَتْ أَوْلِيئِهِمْ لِأَحْرَابِهِمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ  
تَكْسِبُونَ ﴿٧٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا  
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۗ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٧٣﴾

كل ذنب. ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ﴾ أي: تفتروا عليه في التحريم وغيره. ﴿إِمًّا يَاتِيَنَّكُمْ﴾ هي "إن" الشرطية دخلت عليها "ما" الزائدة للتأكيد، ولزمتها النون الشديدة المؤكدة وجواب الشرط. ﴿فَمَنْ اتَّبَعِي﴾ الآية. ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ ذكر في الأنعام. ﴿يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ أي: يصل إليهم ما كتب لهم من الأرزاق وغيرها. ﴿ضَلُّوا عَنَّا﴾ أي: غابوا عنا. ﴿ادْخُلُوا فِي أُمَّةٍ﴾ أي: ادخلوا النار في جملة أمم؛ أي: مع أمم. ﴿آدَرَكُوهَا﴾ أي: تلاحقوا واجتمعوا. ﴿قَالَتْ أَحْرَابُهُمْ لِأَوْلِيئِهِمْ﴾ المراد بـ"أولاهم" الرؤساء والقادة، و"أحراهم" الأتباع والسفلة، والمعنى أن أحراهم طلبوا من الله أن يضاعف العذاب لأولاهم لأنهم أضلوه، وليس المعنى أنهم قالوا لهم ذلك خطابا لهم؛ إنما هو كقولك: قال فلان لفلان كذا أي: قاله عنه وإن لم يخاطبه به. ﴿وَقَالَتْ أَوْلَاهُمْ لِأَحْرَابِهِمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ أي: لم يكن لكم علينا فضل في الإيمان والتقوى، يوجب أن يكون عذابنا أشد من عذابكم؛ بل نحن وأنتم متساوون. ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ من قول أولاهم لأحراهم، أو من قول الله تعالى لجميعهم. ﴿لَا تُفَتِّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ أحدها: لا يصعد عملهم إلى السماء، والثاني: لا يدخلون الجنة فإن الجنة في السماء، والثالث: لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم إذا ماتوا كما تفتح لأرواح المؤمنين. ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾

هُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَيْنَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رَبَّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَن تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا نَعَمْ ۖ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۖ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ۖ

أي: حتى يدخل الجمل في ثقب الإبرة، والمعنى لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون أبدا، فلا يدخلونها أبدا. ﴿مِهَادٌ﴾ فراش. ﴿غَوَاشٍ﴾ أغطية. ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ جملة اعتراض بين المبتدأ والخبر؛ لبيان أنه إنما يطلب من الأعمال الصالحة ما في الوسع والطاقه. ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ﴾ أي: من كان في صدره غل لأخيه في الدنيا نزع منه في الجنة، وصاروا إخوانا أحبابا، وإنما قال: "نزعنا" بلفظ الماضي وهو مستقبل؛ لتحقق وقوعه في المستقبل، حتى عبر عنه بما يعبر عن الواقع، وكذلك كل ما جاء بعد هذا من الأفعال الماضية في اللفظ، وهي تقع في الآخرة كقوله ﴿نَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾، و﴿نَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ﴾، و﴿نَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ وغير ذلك. ﴿هَدَانَا لِهَٰذَا﴾ إشارة إلى الجنة، أو إلى ما أوجبها من الإيمان والتقوى. ﴿أَن تُلَكُمُ﴾ و﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا﴾، و﴿أَن لَعْنَةُ﴾، و﴿أَن سَلَامٌ﴾ يمتثل أن تكون "أن" في كل واحد منها مخففة من الثقيلة فيكون فيها ضميرا، أو حرف عبارة وتفسير لمعنى القول. ﴿مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ حذف مفعول وعد استغناء عنه بمفعول "وعدنا"، أو لإطلاق الوعد، فيتناول الثواب والعقاب. ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ أي: أعلم معلم وهو ملك. ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ أي: بين الجنة والنار، أو بين أصحابها؛ وهو أرجح لقوله ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بُسُورًا﴾. ﴿الْأَعْرَافِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: هو تل بين الجنة والنار، ومجاهد: حجاب بين الجنة والنار، وقيل: سور الجنة. ﴿رِجَالٌ﴾ هم أصحاب الأعراف، وورد في الحديث أنهم قوم من بني آدم استوت حسناتهم وسيئاتهم فلم يدخلوا الجنة ولا النار، وقيل: هم قوم خرجوا إلى الجهاد بغير إذن آبائهم فاستشهدوا، فمنعوا من الجنة لعصيان آبائهم، ونجوا من النار للشهادة. ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ أي: يعرفون أهل الجنة بعلامتهم من بياض وجوههم، ويعرفون أهل النار بعلامتهم من سواد وجوههم، وغير ذلك من العلامات.

وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٨﴾ أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿١٩﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسِيهِمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ جِئْتُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴿٢٣﴾

﴿وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا﴾ أي: سلم أصحاب الأعراف على أهل الجنة. ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ أي: أن أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون في دخولها من بعد. ﴿صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾ الضمير لأصحاب الأعراف، إذا رأوا أصحاب النار دعوا الله أن لا يجعلهم منهم. ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾ يعني: من الكفار الذين في النار، قالوا لهم ذلك على وجه التوبيخ. ﴿جَمْعُكُمْ﴾ يمتثل أن يريد جمعكم للمال، أو كثرتم. ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: استكباركم على الناس، أو استكباركم على الرجوع إلى الحق، ف"ما" هاهنا مصدرية، و"ما" في قوله ﴿مَا أَغْنَىٰ﴾ استفهامية أو نافية. ﴿أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾ من كلام أصحاب الأعراف خطاباً لأهل النار، والإشارة بـ"هؤلاء" إلى أهل الجنة، وذلك أن الكفار كانوا يقسمون في الدنيا أن الله لا يرحم المؤمنين ولا يعذبهم، فظهر خلاف ما قالوا، وقيل: هي من كلام الملائكة خطاباً لأهل النار، والإشارة بـ"هؤلاء" إلى أصحاب الأعراف. ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ خطاباً لأهل الجنة إن كان من كلام أصحاب الأعراف، تقديره: قد قيل لهم: ادخلوا الجنة، وخطاباً لأهل الأعراف إن كان من كلام الملائكة. ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾ دليل على أن الجنة فوق النار. ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من سائر الأطعمة والأشربة. ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ﴾ أي: نتركهم. ﴿كَمَا نَسُوا﴾ الكاف للتعليل. ﴿وَمَا كَانُوا﴾ عطف على "كما نسوا" أي: لنسيانهم ووجودهم. ﴿جِئْتَاهُمْ بِكِتَابٍ﴾ يعني القرآن. ﴿فَصَّلَّنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: علمنا كيف نفضله. ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ أي: هل ينظرون إلا عاقبة أمره، وما يؤول إليه من ظهور ما نطق به من الوعد والوعيد. ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ أي: قد تبين وظهر الآن أن



قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٦﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ  
حَيْثُا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ  
الْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ اَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٢٨﴾ وَلَا تُفْسِدُوا  
فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا

الرسول جاؤوا بالحق. ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ حيث وقع؛ حمله قوم على ظاهره منهم: ابن أبي زيد وغيره،  
وتأوله قوم بمعنى قصد، كقوله "ثم استوى إلى السماء"، ولو كان كذلك لقال استوى إلى العرش، وتأوله  
الأشعرية أن معنى "استوى" استولى بالملك والقدرة، والحق الإيمان به من غير تكيف، فإن السلامة في  
التسليم، وله در مالك بن أنس في قوله للذي سأله عن ذلك: الاستواء معلوم والكيفية مجهولة، والسؤال  
عن هذا بدعة، وقد روي مثل قول مالك عن أبي حنيفة، وجعفر الصادق، والحسن البصري ولم يتكلم  
الصحابه ولا التابعون في معنى الاستواء؛ بل أمسكوا عنه؛ ولذلك قال مالك: السؤال عنه بدعة. ﴿يُغْشِي  
اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ أي: يلحق الليل بالنهار، ويلحق النهار بالليل، يحتمل الوجهين هكذا قال الزمخشري، وأصل  
اللفظة من الغشاء، أي: يجعل أحدهما غشاء للآخر يغطيه، فيغطي ظلمة الليل نور النهار. ﴿يَطْلُبُهُ حَيْثُا﴾  
أي: سريعا، والجملة في موضع الحال من الليل أي: يطلب الليل النهار فيدركه. ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ قيل:  
"الخلق" المخلوقات، و"الأمر" مصدر أمر يأمر، وقيل: "الخلق" مصدر خلق، و"الأمر" واحد الأمور كقوله  
﴿إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾، والكل صحيح. ﴿تَبَارَكَ﴾ من البركة، وهو فعل غير متصرف لم تنطق له العرب  
بمضارع. ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ مصدر في موضع الحال، وكذلك ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، و"خفية" من الإخفاء،  
وقرى "خيفة" من الخوف. ﴿الْمُعْتَدِينَ﴾ المجاوزين للحد، وقيل: هنا هو رفع الصوت بالدعاء والتشطط  
فيه. ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ جمع الله الخوف والطمع ليكون العبد خائفا راجيا، كما قال تعالى ﴿يَرْجُونَ  
رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾، فإن موجب الخوف معرفة سطوة الله وشدة عقابه، وموجب الرجاء معرفة  
رحمة الله وعظيم ثوابه، قال تعالى ﴿تَبَيَّنَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ ومن  
عرف فضل الله رجاءه ومن عرف عذابه خافه؛ ولذلك جاء في الأثر: لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا.  
إلا أنه يستحب أن يكون العبد طول عمره يغلب عليه الخوف؛ ليقوده إلى فعل الطاعات وترك السيئات،  
وأن يغلب عليه الرجاء عند حضور الموت لقوله ﷺ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى»  
[مسلم: 2878]. واعلم أن الخوف على ثلاث درجات؛ الأولى: أن يكون ضعيفا يخطر على القلب ولا يؤثر

إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ تُنشُرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ ۖ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٦﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ ۗ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۗ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا ۗ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿١٧﴾

في الظاهر ولا في الباطن فوجود هذا كعدم، الثانية: أن يكون قويا فيوقظ العبد من الغفلة ويحملة على الاستقامة، الثالثة: أن يشتد حتى يبلغ إلى القنوط واليأس، وهذا لا يجوز، وخير الأمور أوسطها، والناس في الخوف على ثلاث مقامات؛ فخوف العامة من الذنوب، وخوف الخاصة من الخاتمة، وخوف خاصة الخاصة من السابقة، فإن الخاتمة مبنية عليها، والرجاء على ثلاث درجات؛ الأولى: رجاء رحمة الله مع التسبب فيها بفعل طاعته وترك معصيته، فهذا هو الرجاء المحمود، والثانية: الرجاء مع التفریط والعصيان، فهذا غرور، والثالثة: أن يقوى الرجاء حتى يبلغ إلى الأمن؛ فهذا حرام، والناس في الرجاء على ثلاث مقامات؛ فمقام العامة رجاء ثواب الله، ومقام الخاصة رجاء رضوان الله، ومقام خاصة الخاصة رجاء لقاء الله حبا فيه وشوقا إليه. ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ حذفت تاء التأنيث من "قريب"، وهو خبر عن الـ"رحمت" على تأويل الـ"رحمت" بالرحم أو الترحم أو العفو، أو لأن تأنيث الـ"رحمت" غير حقيقي، أو لأنه صفة موصوف محذوف تقديره: شيء قريب، أو على تقدير النسب، أي: ذات قرب، وقيل: "قريب" هنا ليس خبرا عن الـ"رحمت"، وإنما هو ظرف لها. ﴿الرِّيحُ تُنشُرًا﴾ قرئ "الرياح" بالجمع؛ لأنها رياح المطر، وقد اضطرد في القرآن جمعها إذا كانت للرحمة، وإفرادها إذا كانت للعذاب، ومنه ورد في الحديث: «اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا» [الطبراني: 11533] وقرئ بالإفراد والمراد الجنس، وقرئ "نشرا" بفتح النون وإسكان الشين؛ وهو على هذا مصدر في موضع الحال، وقرئ بضمها وهو جمع ناشر، وقيل جمع منشور، وقرئ بضم النون وإسكان الشين وهو تخفيف من الضم كرسُل ورُسُل، وقرئ بالباء في موضع النون من البشارة. ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أي: قبل المطر. ﴿أَقَلَّتْ﴾ حملت. ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ لأنها تحمل الماء فتثقل به. ﴿سُقِنَاهُ﴾ الضمير للـ"سحاب". ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ يعني لا نبات فيه من شدة القحط، وكذلك معناه حيث وقع. ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ﴾ الضمير للـ"سحاب"، أو لـ"بلد" على أن تكون الباء ظرفية. ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ﴾ تمثيل لإخراج الموتى من القبور، وإخراج الزرع من الأرض، وقد وقع ذلك في القرآن في مواضع منها ﴿كَذَٰلِكَ التُّشْوُرُ﴾، و﴿كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾. ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ هو الكريم الأرض الجيد التراب. ﴿وَالَّذِي خَبثَ﴾ بخلاف ذلك كالسبخة ونحوها. و﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ عبارة عن السهولة والطيب، والنكد بخلاف ذلك، ويحتمل أن يكون المراد ما يقتضيه ظاهر اللفظ، فتكون متممة للمعنى الذي قبلها في المطر، وأن تكون تمثيلا للقلوب، فقيل:

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ، فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرِيكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ قَالَ يَتَقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦﴾ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٧﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرِيكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ قَالَ يَتَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿١٠﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَرَادَكُم فِي الْخَلْقِ بَصِطَةً

على هذا "الطيب" قلب المؤمن، والخبيث قلب الكافر، وقيل: هما الفهيم والبليد. ﴿مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ قرأ الكسائي بالخفض حيث وقع على اللفظ، وقرأه غيره بالرفع على الموضع. ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني يوم القيامة أو يوم إهلاكهم. ﴿الْمَلَأُ﴾ أشرف الناس. ﴿لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ إنما قال "ضلالة" ولم يقل ضلال كقولهم؛ لأن الضلالة أخص من الضلال، كما إذا قيل لك: عندك تمر؟ فتقول: ما عندي تمر، فتعم بالنفي. ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف، والمعنى واحد وهو في موضع رفع صفة لـ "رسول" أو استئناف. ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: من صفاته ورحمته وعذابه. ﴿أَوْعَجِبْتُمْ﴾ الهزمة للإنكار والواو للعطف، والمعطوف عليه محذوف كأنه قال: أكذبتهم وعجبتم من أن جاءكم ذكر. ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ أي: على لسان رجل. ﴿فِي الْفُلِكِ﴾ يتعلق بـ "معهم"، والتقدير: استقروا معه في الفلك، ويحتمل أن يتعلق بـ "أنجيناها". ﴿عَمِينَ﴾ جمع عم، وهو من عمى القلب. ﴿أَخَاهُمْ﴾ أي: واحد من قبيلتهم، وهو معطوف على "نوحا"، و"هودا" بدل منه، أو عطف بيان، وكذلك ﴿أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ وما بعده وما هو مثله حيث وقع. ﴿الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قيد هنا بالكفر؛ لأن في الملاء من قوم هود من آمن وهو مرثد بن سعد بخلاف قوم نوح، فإنهم لم يكن فيهم مؤمن، فأطلق لفظ "الملاء". ﴿أَمِينٌ﴾ يحتمل أن يريد أمانته على الوحي، أو أنهم كانوا قد عرفوه بالأمانة والصدق. ﴿خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ أي: خلفتموهم في الأرض أو جعلكم ملوكا. ﴿وَرَادَكُم فِي الْخَلْقِ بَصِطَةً﴾ كانوا عظام



لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِمَنْ - اَمِنْ مِنْهُمْ وَ اتَعْلَمُونَ اَنْ صَلِحًا مُرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ ۗ قَالُوا  
 اِنَّا بِمَا اُرْسِلَ بِهِء مُؤْمِنُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا اِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِء  
 كٰفِرُونَ ﴿٦٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ اَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَصْلِحُ اٰتِنَا بِمَا تَعِدُنَا اِنْ  
 كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٧﴾ فَاَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَاَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيْمِينَ ﴿٦٨﴾ فَتَوَلَّى  
 عَنْهُمْ وَقَالَ يٰ قَوْمِ لَقَدْ اَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلٰكِنْ لَا تُحِبُّونَ  
 النَّصِيْحَةَ ﴿٦٩﴾ وَلَوْ طَآ اِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ءَاتٰتُونَ الْفَلْحِشَةَ مَا سَبَقْتُمْ بِهَا مِنْ اَحَدٍ  
 مِّنَ الْعٰلَمِيْنَ ﴿٧٠﴾ اِنَّكُمْ لَتٰتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُوْبِ النِّسَاءِ ۗ بَلْ اَنْتُمْ قَوْمٌ  
 مُّسْرِفُونَ ﴿٧١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ءِ اِلَّا اَنْ قَالُوا اَخْرِجُوهُمْ مِّنْ  
 قَرْيَتِكُمْ ۗ اِنَّهُمْ وَاُنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿٧٢﴾ فَاَنْجَيْنَاهُ وَاَهْلَهُ ءِ اِلَّا اَمْرٰتَهُء كَانَتْ مِنْ  
 الْغٰبِرِيْنَ ﴿٧٣﴾ وَاَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطْرًا ۗ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِيْنَ ﴿٧٤﴾

بيوتا في الجبال، وكانوا يسكنون القصور في الصيف والجبال في الشتاء، وانتصب "بيوتا" على الحال وهو كقولك:  
 خبطت هذا الثوب قميصا. ﴿لِمَنْ - اَمِنْ مِنْهُمْ﴾ بدل من "الذين استضعفوا". ﴿اِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِء كٰفِرُونَ﴾ اِنما  
 لم يقولوا: اِننا بما اُرسل به كما قال الآخرون؛ لثلا يكون اعترافا برسالته. ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ نُسب العقير إلى  
 جميعهم؛ لأنهم رضوا به وإن لم يفعله إلا واحد منهم وهو الأحيمر. ﴿الرَّجْفَةُ﴾ الصيحة حيث وقعت، وذلك  
 أن الله أمر جبريل عليه السلام فصاح صيحة بين السماء والأرض فباتوا منها. ﴿جَثِيْمِينَ﴾ حيث وقع أي:  
 قاعدين لا يتحركون. ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ الآية، يحتمل أن يكون توليه عنهم وقوله لهم حين عقروا الناقة قبل نزول  
 العذاب بهم؛ لأنه روي أنه خرج حيثئذ من بين أظهرهم، أو أن يكون ذلك بعد أن هلكوا؛ وهو ظاهر الآية،  
 وعلى هذا خاطبهم بعد موتهم على وجه التفجع عليهم، وقوله ﴿لَا تُحِبُّونَ النَّصِيْحَةَ﴾ حكاية حال ماضية.  
 ﴿اِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ العامل في "إذ" أرسلنا المضمرة أو يكون بدلا من "لوط". ﴿مَا سَبَقْتُمْ بِهَا مِنْ اَحَدٍ مِّنْ  
 الْعٰلَمِيْنَ﴾ أي: لم يفعلها أحد من العالمين قبلكم، و"من" الأولى زائدة والثانية للتبعض أو للجنس. ﴿وَمَا كَانَ  
 جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ الآية، أي أنهم عدلوا عن جوابه على كلامه إلى الأمر بإخراجه وإخراج أهله. ﴿اُنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾  
 أي: يتنزهون عن الفاحشة. ﴿مِّنَ الْغٰبِرِيْنَ﴾ أي: من الهالكين، وقيل: من الذين غبروا في ديارهم فهلكوا،  
 وقيل: من الباقيين من أترابها، يقال: غبر بمعنى مضى وبمعنى بقي، وإنما قال "الغابرين" بجمع المذكر تغليبا  
 للرجال الغابرين. ﴿وَاَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطْرًا﴾ يعني الحجارة أصيب بها من كان منهم خارجا عن بلادهم، وقلبت

وإلى مدين أخاهم شعيباً قال ياقوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيرهُ قد  
 جاءكم بينة من ربكم فآوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم  
 ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين ﴿٥٥﴾  
 ولا تقعدوا بكل صراطٍ تُوعدون وتصُدون عن سبيل الله من آمن به وتبعونها  
 عوجاً وأذكروا إذ كنتم قليلاً فكتركم وأنظروا كيف كان عقبة المفسدين  
 ﴿٥٦﴾ وإن كان طائفة منكم تءمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا  
 حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ﴿٥٧﴾ قال ألمأله الذين استكبروا من  
 قومهم لنخرجنك يشعيب والذين ءامنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو  
 كنا كرهين ﴿٥٨﴾ قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها

البلاد بمن كان فيها. ﴿بينة من ربكم﴾ أي: آية ظاهرة ولم تُعين في القرآن آية شعيب. ﴿فأوفوا الكيل والميزان﴾ كانوا ينقصون في الكيل والوزن، فبعث شعيب لينهاهم عن ذلك، و"الكيل" هنا بمعنى المكيال الذي يكال به مناسبة للميزان كما جاء في هود ﴿المكيال والميزان﴾، ويجوز أن يكون "الكيل" و"الميزان" مصدرين. ﴿ولا تقعدوا بكل صراطٍ تُوعدون﴾ قيل: هي نهي عن السلب وقطع الطريق وكان ذلك من فعلهم، وقيل: كانوا يقعدون على الطريق، يردون الناس عن اتباع شعيب، ويوعدونهم إن اتبعوه. ﴿وتصدون﴾ أي: تمنعون الناس عن سبيل الله، وهو الإيهان، والضمير في ﴿به﴾ لـ"صراط" أو "الله". ﴿وتبعونها عوجاً﴾ ذكر في آل عمران. ﴿أو لتعودن في ملتنا﴾ أي: ليكونن أحد الأمرين: إما إخراجكم أو عودكم إلى ملة الكفر، فإن قيل: إن العود إلى الشيء يقتضي أنه قد كان فعل قبل ذلك؛ فيقتضي قولهم "لتعودن في ملتنا" أن شعيباً ومن كان معه كانوا أولاً على ملة قومهم، ثم خرجوا منها، فطلب قومهم أن يعودوا إليها؟ وذلك محال؛ فإن الأنبياء معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها! فالجواب من وجهين؛ أحدهما: قاله ابن عطية: وهو أن "عاد" قد تكون بمعنى "صار" فلا يقتضي تقدم ذلك الحال الذي صار إليه، والثاني: قاله الزمخشري: وهو أن المراد بذلك الذين آمنوا بشعيب دون شعيب، وإنما أدخلوه في الخطاب معهم بذلك لما أدخلوه في الخطاب معهم في قولهم "لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك"، فغلبوا في الخطاب بعود الجماعة على الواحد، وبمثل ذلك يجاب عن قوله "إن عدنا في ملتكم"، وما يكون لنا أن نعود فيها. ﴿قال أولو كنا كارهين﴾ الهمة للاستفهام والإنكار، والواو للحال تقديره: أنعود في ملتكم وما يكون لنا أن نعود فيها ونحن كارهون. ﴿قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم﴾ أي: إن عدنا فيها فقد

وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ  
تَوَكَّلْنَا رَبُّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ  
كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِيَنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَسِرُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا  
فِي دَارِهِمْ جَثِيمِينَ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْتَوِ فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا  
كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٤١﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّي وَنَصَحْتُ  
لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا  
أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّغُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا  
وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٤﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ  
الْقُرْيِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ  
بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٤٥﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرْيِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٤٦﴾  
أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرْيِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٤٧﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ

وقعنا في أمر عظيم من الافتراء على الله؛ وذلك تبرؤ من العود فيها. ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ هذا استسلام لقضاء الله على وجه التأدب مع الله، وإسناد الأمور إليه؛ وذلك أنه لما تبرأ من ملتهم، أخبر أن الله يحكم عليهم بما يشاء من عود وتركه؛ لأن القلوب بيده يقلبها كيف يشاء، فإن قلت: إن ذلك يصح في حق قومه، وأما في حق نفسه فلا، فإنه معصوم من الكفر؟ فالجواب: أنه قال ذلك تواضعا وتأدبا مع الله تعالى، واستسلاما لأمره، كقول نبينا ﷺ: «يا مقلب القلوب! ثبت قلبي على دينك» [الترمذي: 2140] مع أنه قد علم أنه يثبت. ﴿رَبُّنَا افْتَحَ بَيْنَنَا﴾ أي: احكم. ﴿كَأَنَّ لَمْ يَغْتَوِ فِيهَا﴾ أي: كأن لم يقيموا في ديارهم. ﴿فَكَيْفَ آسَىٰ﴾ أي: كيف أحزن عليهم وقد استحقوا ما أصابهم من العذاب بكفرهم. ﴿الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ قد تقدم. ﴿بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ أي: بدلنا البأساء والضراء بالنعيم اختبارا لهم بالحالتين. ﴿حَتَّىٰ عَفَوْا﴾ أي: كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم. ﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾ أي: قد جرى ذلك لأبائنا ولم يضرهم، فهو بالاتفاق لا بقصد الاختبار. ﴿بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: بالمطر والزرع. ﴿أَوْ آمِنَ﴾ من قرأ بإسكان الواو فهي أو العاطفة، ومن قرأ بفتحها فهي واو العطف دخلت عليها همزة التوبيخ كما دخلت على الفاء في قوله ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ أي: استدراجه وأخذه للعبد من حيث لا يشعر.

فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٣١﴾ أَوْلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ  
 أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٣٢﴾ تِلْكَ  
 الْقُرَى نَقِصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا  
 كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٣٣﴾ وَمَا وَجَدْنَا  
 لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٣٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى  
 بِبَيِّنَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٣٥﴾ وَقَالَ  
 مُوسَى يَنْفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٦﴾ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا  
 الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٧﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ  
 بِبَيِّنَاتٍ فَاتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٣٨﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿١٣٩﴾ وَنَزَعَ  
 يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٤٠﴾

﴿أَوْلَمْ يَهْدِ﴾ أي: أولم يتبين ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ﴾ أي: يسكنوها. ﴿أَنْ لَوْ نَشَاءُ﴾ هو فاعل "أولم يهد"  
 ومقصود الآية الوعيد. ﴿وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ عطف على "أصبناهم"؛ لأنه في معنى المستقبل، أو منقطع على  
 معنى الوعيد، وأجاز الزمخشري أن يكون عطفا على "يرثون الأرض"، أو على ما دل عليه معنى "أولم يهد" كأنه  
 قال: يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم. ﴿وَمَا وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ مِنْ عَهْدٍ﴾ الضمير لـ"أهل القرى"،  
 والمعنى وجدناهم ناقضين للعهود. ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ من قرأ "علي" بالتشديد على أنها  
 ياء المتكلم، فالمعنى ظاهر وهو أن موسى قال: حقيق عليه أن لا يقول على الله إلا الحق، وموضع "أن لا أقول"  
 على هذا رفع على أنه خبر "حقيق" و"حقيق" مبتدأ أو بالعكس، ومن قرأ بالتخفيف فموضع "أن لا أقول" خفض  
 بحرف الجر، و"حقيق" صفة لـ"رسول"، وفي المعنى على هذا وجهان؛ أحدهما: أن "علي" بمعنى الباء فمعنى  
 الكلام: رسول حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحق، والثاني: أن معنى "حقيق" حريص ولذلك تعدى بـ"علي".  
 ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ﴾ أي: بمعجزة تدل على صدقي وهي العصا، أو جنس المعجزات. ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي  
 إِسْرَائِيلَ﴾ أي: خلهم يذهبوا معي إلى الأرض المقدسة موطن آبائهم، وذلك أنه لما توفي يوسف عليه السلام  
 غلب فرعون على بني إسرائيل، واستعبدهم حتى أنقذهم الله على يد موسى، وكان بين اليوم الذي دخل فيه  
 يوسف مصر واليوم الذي دخل موسى أربعمائة عام. ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ﴾ كان موسى عليه السلام  
 شديد الأدمة، فأظهر يده لفرعون ثم أدخلها في جيبه ثم أخرجها، وهي بيضاء شديدة البياض كاللبن أو أشد  
 بياضا، وقيل: إنها كانت منيرة شفافة كالشمس، وكانت ترجع بعد ذلك إلى لون بدنه. ﴿لِلنَّاظِرِينَ﴾ مبالغة في



قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١٨﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ  
فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١٩﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٢٠﴾ يَا تُولَكِ بِكُلِّ  
سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿٢١﴾ وَجَاءَ السَّحْرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ  
﴿٢٢﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ  
نَحْنُ الْمُغْلَبِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا  
بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿٢٥﴾ \* وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٢٦﴾

وصف يده بالبياض، كان الناس يجتمعون للنظر إليها والتعجب منها. ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ حكى هذا الكلام هنا عن "الملأ"، وفي الشعراء عن فرعون كأنه قد قاله هو وهم، أو قاله هو ووافقوه عليه، كعادة جلساء الملوك في اتباعهم لما يقول الملك. ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾ أي: يخرجكم منها بالقتال أو بالحيل، وقيل: المراد إخراج بني إسرائيل، وكانوا خداما لهم، فتخرب الأرض بخروج الخدام والعمار منها. ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ من قول الملأ أو من قول فرعون، وهو من معنى المؤامرة أي المشاورة، أو من الأمر وهو ضد النهي. ﴿أَرْجِهْ﴾ من قرأه بالهمزة فهو من أرجأت الرجل إذا أخرته فمعناه: أخرهما حتى ننظر في أمرهما، وقيل: المراد بالإرجاء هنا السجن، ومن قرأه بغير الهمزة فتحتمل؛ أن تكون بمعنى المهموز وسهلت الهمزة، أو يكون بمعنى الرجاء أي: أطعمه، وأما ضم الهاء وكسرها فلغتان، وإما إسكانها فلغة أجري فيها الوصل مجرى الوقف. ﴿حَاشِرِينَ﴾ يعني الشرط، أي: جامعين للسحرة. ﴿وَجَاءَ السَّحْرَةُ﴾ قيل: هذا محذوف يدل عليه سياق الكلام، وهو أنه بعث إلى السحرة. ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ من قرأه بهمزتين فهو استفهام، ومن قرأه بهمزة واحدة فيحتمل؛ أن يكون خبرا، أو استفهاما حذفته الهمزة، و"الأجر" هنا الأجرة طلبوها من فرعون إن غلبوا موسى، فأنعم لهم فرعون بها وزادهم التقريب منه والجاه عنده. ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ عطف على معنى "نعم"، كأنه قال: نعم نعطيكم أجرا وتقربكم، واختلف في عدد السحرة اختلافا متباينا من سبعين رجلا إلى سبعين ألفا؛ وكل ذلك لا أصل له في صحة النقل. ﴿إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُغْلَبِينَ﴾ خيروا موسى بين أن يبدأ بالإلقاء أو يبدأواهم بإلقاء سحرهم، فأمرهم أن يلقوا، وانظر كيف عبروا عن إلقاء موسى بالفعل، وعبروا عن إلقاء أنفسهم بالجملة الاسمية إشارة إلى أنهم أهل الإلقاء المتمكنون فيه. ﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ أي: خوفوهم بما أظهروا لهم من أعمال السحر. ﴿أَنْ أَلْقِيَ عَصَاكَ﴾ لما ألقاها صارت ثعبانا عظيما على قدر الجبل، وقيل: إنه طال حتى جاوز النيل. ﴿تَلْقَفُ﴾ أي: تتلع. ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ أي: ما صوروا من إفكهم وكذبهم، وروي أن الثعبان أكل ملى الوادي من حبالهم

فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٨﴾ فَعَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿٣٩﴾ وَأَلْقَى  
 السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا ءَأَمْنَا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ  
 ءَأَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۗ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا  
 أَهْلَهَا ۗ فَسَوْفَ نَعْمُونَ ﴿٤٣﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ ۖ ثُمَّ لأَصْلَبَنَّكُمْ ۗ  
 أَجْمَعِينَ ﴿٤٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا نُنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَأَمَّنَّا بِرَبِّنَا  
 لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ  
 مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءِٰهْتَكَ ۗ قَالَ سَنَقْتُلُنَّ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي  
 نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿٤٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۗ إِنَّ  
 الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَءِٰلْعِٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ  
 أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۗ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ ۗ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي  
 الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِّن  
 الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَدْكَرُونَ ﴿٥٠﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ ۗ وَإِن تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ

وعصبيهم، ومد موسى يده إليه فصار عصا كما كان، فعلم السحرة أن ذلك ليس من السحر وليس في قدرة البشر،  
 فآمنوا بالله وبموسى عليه السلام. ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ﴾ الآية، وعيد من فرعون للسحرة، وليس في القرآن أنه  
 أنفذ ذلك، ولكن روي أنه أنفذه عن ابن عباس رضي الله عنه وغيره، وقد ذكر معنى ﴿مَنْ خِلَافٍ﴾ في العقود. ﴿قَالُوا إِنَّا  
 إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ أي: لا نبالي بالموت لانقلابنا إلى ربنا. ﴿وَمَا نُنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَأَمَّنَّا﴾ أي: ما تعيب منا إلا إيماننا.  
 ﴿لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: يخبروا ملك فرعون وقومه ويخالفوا دينه. ﴿وَيَذَرَكَ﴾ معطوف على "ليفسدوا"، أو  
 منصوب بإضمار أن بعد الواو. ﴿وَءِٰهْتَكَ﴾ قيل: إن فرعون كان قد جعل للناس أصناما يعبدونها، وجعل نفسه  
 الإله الأكبر، فلذلك قال ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَىٰ﴾، ف"اهتك" على هذا هي تلك الأصنام، وقرأ علي بن أبي طالب وابن  
 مسعود وابن عباس رضي الله عنهم "إِٰهَتَكَ" أي: عبادتك والتذلل لك. ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ﴾ تعليل للصبر الذي أمرهم به؛  
 يعني أرض الدنيا هنا وفي قوله ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾، وقيل: يعني أرض فرعون، فأشار لهم موسى أولا  
 بالنصر في قوله ﴿يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ ثم صرح به في قوله ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ الآية. ﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ حض  
 على الاستقامة والطاعة. ﴿بِالسِّنِينَ﴾ أي: بالجدب والقحط. ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ﴾ الآية، إذا جاءهم

يَطِيرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَئِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾  
 وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ  
 الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالِدَّمَ ۗ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا  
 مُّجْرِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ  
 لِيُنزِلَ عَلَيْنَا مَاءً طَيِّبًا ۗ فَالْحِجَابُ رَصَدٌ لِّئَلَّا تُبْصِرَ بَعْضَهُمْ إِلَّاءَ فِئْتَانٍ يَلُمَّ الْآخَرَ بِمَا  
 كَسَبَ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ ۗ إِنَّ رَبَّهُمْ لَعَلِيمٌ الْغُيُوبِ ﴿٦٩﴾ فَانقَمْنَا مِنْهُمِ الذَّلِيلَ وَالْمُهَيَّبَ  
 وَجِبْرَائِيلَ ۗ وَجِبْرَائِيلُ يَأْتِيهِمُ بِالْمَاءِ الْيُسْبَغِ فَتَطْمَئِنُّ بِهِمْ ۗ وَلَوْلَا إِدْرَاقُنَا  
 كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿٧٠﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ

الخصب، والرخاء قالوا: هذا لنا ويسعدنا ونحن مستحقون له، وإذا جاءهم الجذب والشدة ﴿يَطِيرُوا بِمُوسَىٰ﴾ أي قالوا: بشؤمه. فإن قيل: لم قال "إذا جاءهم الحسنة" ب"إذا" وتعريف "الحسنة" ﴿وإن تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ ب"إن" وتنكير ال"سيئة"؟ فالجواب: أن "الحسنة" وقوعها كثير وال"سيئة" وقوعها نادر، فعرف الكثير الوقوع باللام التي للعهد، وذكره ب"إذا"؛ لأنها تقتضي التحقيق، وذكر ال"سيئة" ب"إن" لأنها تقتضي الشك ونكرها للتقليل. ﴿أَلَا إِنَّمَا طَئِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: إنما حظهم ونصيبهم الذي قدر لهم من الخير والشر عند الله، وهو مأخوذ من زجر الطير، ثم سمي به ما يصيب الإنسان، ومقصود الآية؛ الرد عليهم فيما نسبوا إلى موسى من الشؤم. ﴿مَهْمَا﴾ هي ما الشرطية ضمت إليها "ما" الزائدة نحو: أينما ثم قلبت الألف هاء، وقيل: هي اسم بسيط غير مركب، والضمير في "به" عائد على مهما، وإنما قالوا "من آية" على تسمية موسى لها آية أو على وجه التهكم. ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ روي: أنه كان مطرا شديدا دائما مع فيض النيل حتى هدم بيوتهم، وكادوا يهلكون، وامتنعوا من الزراعة، وقيل: هو الطاعون. ﴿وَالْجُرَادَ﴾ هو المعروف، أكل زروعهم وثمارهم حتى أكل ثيابهم وأبوابهم وسقف بيوتهم. ﴿وَالْقُمَّلَ﴾ قيل: هي صغار الجراد، وقيل: البراغيث، وقيل: السوس، وقرئ "القمل" بفتح القاف والتخفيف فهي على هذا القمل المعروف، وكانت تتعلق بلحومهم وشعورهم. ﴿وَالضَّفَادِعَ﴾ هي المعروفة، كثرت عندهم حتى امتلأت بها فرشهم وأوانيهم، وإذا تكلم أحدهم وثب الضفدع إلى فمه. ﴿وَالِدَّمَ﴾ صارت مياههم دما، فكان يسقي من البئر القبطي والإسرائيلي في إناء واحد، فيخرج ما يلي القبطي دما وما يلي الإسرائيلي ماء. ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ أي: العذاب، وهو الأشياء المتقدمة، وكانوا مهما نزل بهم أمر منها عاهدوا موسى على أن يؤمنوا به إن كشفه عنهم، فإذا كشف عنهم؛ نقضوا العهد وتمادوا على كفرهم. ﴿بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ أي بزمالك إليه ووسائلك، والباء تحتل أن تكون للقسم، وجوابه ﴿لَتُؤْمِنَنَّ﴾ أو يتعلق ب﴿ادْعُ لَنَا﴾ أي: توسل إليه بما عهد عندك. ﴿فِي الَّتِي﴾ البحر حيث وقع. ﴿الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ﴾ هم بنو إسرائيل.

مَشْرِقِ الْأَرْضِ وَمَغْرِبِهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٧٧﴾ وَجَلَّوْنَا بِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ ۗ قَالُوا يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۗ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٧٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ وَإِذْ أَخْبَيْنَاكَ مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَ كُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَ كُمْ ۗ فِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٨١﴾ ۖ وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعِشْرِ فِتْمَ مِيقَاتُ رَبِّهِ ۗ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۗ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ ۗ أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٨٢﴾ ۖ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ۗ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ

﴿مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا﴾ الشام ومصر. ﴿بَارَكْنَا فِيهَا﴾ أي: بالخصب وكثرة الأرزاق. ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: نفذت لهم واستمرت، وال"كلمة" هنا ما قضي لهم في الأزل، وقيل: هي قوله ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية. ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ أي: يبنون، وقيل: هي الكروم وشبهها؛ فهو على الأول من العرش، وعلى الثاني من العريش. ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ أي: اجعل لنا صنما نعبده كما يعبد هؤلاء أصنامهم، ولما تم خبر موسى مع فرعون ابتداء خبره مع بني إسرائيل، من هنا إلى قوله ﴿وَإِذْ تَتَّقْنَا الْجِبَلِ﴾. ﴿مُتَّبِعُونَ﴾ من التبار وهو الهلاك. ﴿فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ وما بعده مذكور في البقرة. ﴿وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ روي: أن الثلاثين هي شهر ذي القعدة، وأن العشر بعدها هي العشر الأول من ذي الحجة؛ وذلك تفصيل الأربعين المذكورة في البقرة. ﴿مِيقَاتُ رَبِّهِ﴾ أي: ما وقت له من الوقت لمناجاته في الطور. ﴿أَخْلَفْنِي﴾ أي: كن خليفتي على بني إسرائيل مدة غيبي. ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظِرْ إِلَيْكَ﴾ لما سمع موسى كلام الله طمع في رؤيته؛ فسأها كما قال الشاعر:

وأفرح ما يكون الشوق يوماً إذا دنت الديار من الديار

فاستدلت الأشعرية بذلك على أن رؤية الله جائزة عقلاً، وأنها لو كانت محالاً لم يسألها موسى؛ فإن الأنبياء عليهم السلام يعلمون ما يجوز على الله وما يستحيل عليه، وتأول الزمخشري طلب موسى الرؤية بوجهين؛ أحدهما: أنه إنما سأل ذلك تبكيتاً لمن خرج معه من بني إسرائيل، فهم الذين طلبوا الرؤية فقالوا: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ فقال موسى

قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ  
لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا  
أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧٢﴾ قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلْمِي فَخُذْ  
مَا آتَيْتُكَ وَكُن مَنِ الشَّاكِرِينَ ﴿١٧٣﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً  
وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ

ذلك ليسمعوا الجواب بالمنع فيتأدبوا، والآخر: أن معنى "أرني أنظر اليك" عرفني نفسك تعريفا واضحا جليا،  
وكلا الوجهين بعيد والثاني أبعد وأضعف؛ فإنه لو لم يكن المراد الرؤية لم يقل له ﴿انظر إلى الجبل﴾ الآية. ﴿قَالَ  
لَنْ تَرَانِي﴾ قال مجاهد وغيره: إن الله قال لموسى "لن تراني" لأنك لا تطيق ذلك، ولكن سأتجلى للجبل الذي هو  
أقوى منك وأشد، فإن استقر وأطاق الصبر لهيبتني أمكن أن تراني أنت، وإن لم يطق الجبل فأحرى ألا تطيق  
أنت، فعلى هذا إنما جعل الله الجبل مثلا لموسى، وقال قوم: المعنى سأتجلى لك على الجبل؛ وهو ضعيف يبطله  
قوله ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ فإذا تقرر هذا، فقوله تعالى "لن تراني" نفى للرؤية، وليس فيه دليل على أنها محال؛  
فإنه إنما جعل علة النفي عدم إطاعة موسى للرؤية لا استحالتها، ولو كانت الرؤية مستحيلة لكان في الجواب  
زجر وإغلاظ كما قال الله لنوح ﴿فَلَا تَسْتَلِنَنَّ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾. فهذا المنع  
من رؤية الله إنما هو في الدنيا لضعف البنية البشرية عن ذلك، وأما في الآخرة فقد صرح بوقوع الرؤية كتاب الله  
وسنة رسوله ﷺ فلا ينكرها إلا مبتدع، وبين المعتزلة وأهل السنة في مسألة الرؤية نزاع طويل، وفي هذه القصة  
قصص كثيرة تركتها لعدم صحتها ولما فيها من الأقوال الفاسدة. ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ أي: مذكوكا فهو مصدر  
بمعنى مفعول، كقولك: ضرب الأمير، والدكُّ والدقُّ أخوان وهو التفتت، وقرئ "دكاء" بالمد والهمز أي: أرضا  
دكاء، وقيل: ذهب أعلى الجبل وبقي أكثره، وقيل: تفتت حتى صار غبارا، وقيل: ساخ في الأرض وأفضى إلى  
البحر. ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ أي: مغشيا عليه. ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ معناه تبنت من سؤال الرؤية في الدنيا وأنا لا  
أطيعها. ﴿أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: أول قومه أو أول زمانه، أو على وجه المبالغة في السبق إلى الإيمان. ﴿اصْطَفَيْتُكَ عَلَى  
النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي﴾ هو عموم يراد به الخصوص، فإن جميع الرسل قد شاركوه في الرسالة، واختلف هل  
كلم الله غيره من الرسل أم لا؟ والصحيح أنه كلم نبينا محمدا ﷺ ليلة الإسراء. ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ تأديبا، أي:  
اقنع بما أعطيتك من رسالتي وكلامي ولا تطلب غير ذلك. ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ﴾ أي: ألواح التوراة وكانت  
سبعة، وقيل: عشرة، وقيل: اثنان، وقيل: كانت من زمرد، وقيل: من ياقوت، وقيل: من خشب. ﴿مِنْ كُلِّ  
شَيْءٍ﴾ عموم يراد به الخصوص فيما يحتاجون إليه في دينهم، وكذلك ﴿تَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾. وموضع "من كل  
شيء" نصب على أنه مفعول "كتبنا"، و"موعظة" بدل منه. ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ أي: بجهد وحزم، والضمير للتوراة.

وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا حُذْوًا بِأَحْسَنِهَا ﴿١٠٠﴾ سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠١﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلاًّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴿١٠٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٠٣﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٤﴾ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُمْ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَد ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي

﴿يَا حُذْوًا بِأَحْسَنِهَا﴾ أي: فيها ما هو حسن وأحسن منه؛ كالقصاص مع العفو، وكذلك سائر المباحات مع المندوبات. ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: دار فرعون وقومه وهي مصر، والمعنى: أريكم كيف أفقرت منهم لما هلكوا، وقيل: منازل عاد وثمود ومن هلك من الأمم المتقدمة ليعتبروا بها، وقيل: جهنم، وقرأ ابن عباس ﴿سَأُورِيكُمْ﴾ بالثاء المثلثة من الوراثة، وهي على هذا مصر لقوله ﴿وَأُورِثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾. ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ﴾، الآيات هنا يمتثل أن يراد بها القرآن وغيره من الكتب، أو العلامات والبراهين، والصرف يراد به صدهم عن فهمها، وعن الإيثار بها عقوبة لهم على تكبرهم، وقيل: الصرف منعهم من إبطائها. ﴿وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ يجوز أن يكون من إضافة المصدر إلى المفعول به، أي: ولقائهم الآخرة، أو من إضافة المصدر إلى الظرف. ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ﴾ هم بنو إسرائيل. ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد غيبته في الطور. ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ بضم الحاء والتشديد جمع حلي نحو ثدي وثدي، وقرئ بكسر الحاء للإتباع، وقرئ بفتح الحاء وإسكان اللام، والحلي هو ما يتزين به من الذهب والفضة. ﴿جَسَدًا﴾ أي: جسماً دون روح، وانتصابه على البدل. ﴿لَهُ خُورٌ﴾ الخوار هو صوت البقر، وكان السامري قد قبض قبضة من تراب من أثر فرس جبريل يوم قطع البحر، فقذفه في العجل، فصار له خوار، وقيل: كان إبليس يدخل في جوف العجل، فيصيح فيه، فيسمع له الخوار. ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ رد عليهم وإبطال لمذهبهم الفاسد في عبادته. ﴿اتَّخَذُوهُ﴾ أي: اتخذوه إلهاً، فحذف المفعول الثاني للعلم به، وكذلك حذف من قوله "واتخذ قوم موسى". ﴿سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ أي: ندموا، يقال سقط في يد فلان، إذا عجز عما يريد، أو وقع فيما يكره. ﴿أَسِفًا﴾ شديد الحزن على ما فعلوا، وقيل: شديد الغضب، كقوله ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾. ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي﴾ أي: قمتم مقامي، وفاعل بئس مضمير يفسره "ما"

أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۗ وَالْقَى الْأَلْوَا حَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۗ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۗ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجَلَ سَيَبْتَهِمُ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَا حَ ۗ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَأَخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا ۗ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّيَّ

واسم المذموم محذوف، والمخاطب بذلك؛ إما القوم الذين عبدوا العجل مع السامري حيث عبدوا غير الله في غيبة موسى عنهم، أو رؤساء بني إسرائيل، كهارون عليه السلام حيث لم يكفوا الذين عبدوا العجل. ﴿أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ معناه: أعجلتم عن أمر ربكم، وهو انتظار موسى حتى يرجع من الطور، فإنهم لما رأوا أن الأمر قد تم ظنوا أن موسى عليه السلام قد مات فعبدوا العجل. ﴿وَالْقَى الْأَلْوَا حَ﴾ طرحها لما لحقه من الدهش والضجر غضبا لله من عبادة العجل. ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ أي: بشعر رأسه. ﴿يَجُرُّهُ﴾ لأنه ظن أنه فرط في كف الذين عبدوا العجل. ﴿ابْنَ أُمَّ﴾ كان هارون شقيق موسى، وإنما دعاه بأمه؛ لأنه أدمى إلى العطف والحنو، وقرئ "ابن أم" بالكسر على الإضافة إلى ياء المتكلم، وحذفت الياء بالفتح تشبيها بخمسة عشر، جعل الاسمان اسما واحدا فبني. ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا تظنني منهم، أو لا تجد علي في نفسك ما تجد عليهم يعني أصحاب العجل. ﴿غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ﴾ أي: غضب في الآخرة وذلة في الدنيا. ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ﴾ أي: سكن، وكذلك قرأ بعضهم، وقال الزمخشري: قوله "سكت" مثل، كأن الغضب كان يقول له: ألقى الألواح وجر برأس أخيك، ثم سكت عن ذلك. ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ أي: فيما ينسخ منها، والنسخة فعلة بمعنى مفعول. ﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ أي: يخافون، ودخلت اللام لتقدم المفعول كقوله ﴿لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾، وقال المبرد: تتعلق بمصدر تقديره: رهبتهم لربهم. ﴿وَأَخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ﴾ أي: من قومه. ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ حملهم معه إلى الطور، فسمعوا كلام الله لموسى، فقالوا: أرنا الله جهرة ف﴿أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ عقابا لهم على قولهم، وقيل: إنما أخذتهم الرجفة لعبادتهم العجل أو لسكوتهم عن عبادته؛ والأول أرجح لقوله ﴿فَقَالُوا أَرْنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾، ويحتمل أن تكون رجفة موت أو إغماء؛ والأول أظهر لقوله ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾. ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ﴾ يحتمل أن تكون "لو" هنا للتمني،

أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ  
 أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥١﴾ \* وَأَكْتَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا  
 حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ  
 كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٢﴾  
 الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ

أي: تمنوا أن يكون هو وهم قد ماتوا قبل ذلك؛ لأنه خاف من تشييب بني إسرائيل عليه إن رجع إليهم دون هؤلاء السبعين، ويحتمل أن يكون قال ذلك على وجه التضرع والاستسلام لأمر الله؛ كأنه قال: لو شئت أن تهلكنا قبل ذلك لفعلت، فإننا عبيدك وتحت قهرك وأنت تفعل ما تشاء، ويحتمل أن يكون قالها على وجه التضرع والرغبة؛ كأنه قال: لو شئت أن تهلكنا قبل اليوم لفعلت، لكنك عافيتنا وأبقيتنا فافعل معنا الآن كما وعدتنا، وأخي هؤلاء القوم الذين أخذتهم الرجفة. ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ أي: أتهلكنا وتهلك بني إسرائيل بما فعل السفهاء الذين طلبوا الرؤية والذين عبدوا العجل، فمعنى هذا إدلاء بحجته وتبرؤ من فعل السفهاء، ورغبة إلى الله أن لا يعم الجميع بالعقوبة. ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ أي: الأمور كلها بيدك. ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ﴾ ومعنى هذا اعتذار عن فعل السفهاء، فإنه كان بقضاء الله ومشيئته. ﴿إِنَّا هُدُنَا إِلَيْكَ﴾ أي: تبنا، وهذا الكلام الذي قاله موسى عليه السلام إنها هو كله استعطاف ورغبة إلى الله وتضرع إليه، ولا يقتضي شيئا مما توهم الجهال فيه من الجفاء في قوله "أتهلكنا بما فعل السفهاء منا"؛ لأننا قد بينا أنه إنما قال ذلك استعطافا لله وبراءة من فعل السفهاء. ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ﴾ قيل: الإشارة بذلك إلى الذين أخذتهم الرجفة؛ والصحيح أنه عموم يندرجون فيه مع غيرهم، وقرئ "من أساء" بالسین وفتح الهمزة من الإساءة، وأنكرها بعض المقرئين وقال: إنها تصحيف. ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ يحتمل أن يريد رحمته في الدنيا؛ فيكون خصوصا في الرحمة وعموما في كل شيء؛ لأن المؤمن والكافر، والمطيع والعاصي، تنالهم رحمة الله ونعمته في الدنيا، ويحتمل أن يريد رحمة الآخرة؛ فيكون خصوصا في كل شيء؛ لأن الرحمة في الآخرة مختصة بالمؤمنين، ويحتمل أن يريد جنس الرحمة على الإطلاق؛ فيكون عموما في الرحمة وفي كل شيء. ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ إن كانت الرحمة المذكورة رحمة الآخرة، فهي بلا شك مختصة بهؤلاء الذين كتبها الله لهم وهم أمة محمد ﷺ، وإن كانت رحمة الدنيا فهي أيضا مختصة بهم؛ لأن الله نصرهم على جميع الأمم وأعلى دينهم على جميع الأديان، ومكن لهم في الأرض ما لم يمكن لغيرهم، وإن كانت على الإطلاق فقول "فسأكتبها" تخصيص للإطلاق. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: يؤمنون بجميع الكتب والأنبياء وليس ذلك لغير هذه الأمة. ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ﴾ هذا الوصف خصص أمة محمد ﷺ، قال بعضهم: لما قال الله "ورحمتي وسعت كل



## النَّبِيِّءِ الْأَمِيِّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ

شيء" طمع فيها كل أحد حتى إبليس، فلما قال: "فسأكتبها للذين يتقون" يسس إبليس وبقيت اليهود والنصارى، فلما قال "الذين يتبعون الرسول" الآية، يسس اليهود والنصارى. ﴿النَّبِيِّءِ الْأَمِيِّ﴾ أي: الذي لا يقرأ ولا يكتب؛ وذلك من أعظم دلائل نبوته ﷺ لأنه أتى بالعلوم الجمة من غير قراءة ولا كتابة، ولذلك قال تعالى ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأَزْتَابِ الْمُبْطِلُونَ﴾ قال بعضهم: الأمي منسوب إلى الأم، وقيل: إلى الأمة. ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ ضمير الفاعل في "يجدونه" لبني إسرائيل وكذلك الضمير في "عندهم"، ومعنى "يجدونه" يجدون نعته وصفته، ولنذكر هنا ما ورد في التوراة والإنجيل وأخبار المتقدمين من ذكر نبينا محمد ﷺ؛ فمن ذلك ما ورد في البخاري [2018] وغيره أن في التوراة من صفة النبي ﷺ: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأمين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء؛ بأن يقولوا لا إله إلا الله، فيفتح به عيوننا عميا، وأدانا صما، وقلوبا غلفا. ومن ذلك ما ورد في التوراة مما أجمع عليه أهل الكتاب وهو باق بأيديهم إلى الآن: أن الملك نزل على إبراهيم، فقال له: في هذا العام يولد لك غلام اسمه إسحاق، فقال إبراهيم: يا رب ليت إسماعيل يعيش يخدمك، فقال الله لإبراهيم: ذلك لك قد استجيب لك في إسماعيل، وإني أباركه وأنميه وأكثره وأعظمه بماذا ما؛ وتفسير هذه الحروف محمد. ومن ذلك ما في التوراة: إن الرب تعالى جاء في طور سيناء وطلع من ساعر وظهر من جبال فاران؛ ويعني بطور سيناء موضع مناجاة موسى عليه السلام، وساعر موضع عيسى، وفاران هي مكة موضع مولد نبينا محمد ﷺ ومبعثه. ومعنى ما ذكر من مجيء الله وطلوعه وظهوره؛ هو ظهور دينه على يد الأنبياء الثلاثة المنسوين لتلك المواضع، ويفسر ذلك ما في كتاب أشعيا خطابا لمكة: قومي فأزهري مصباحك فقد دنا وقتك، وكرامة الله طالعة عليك، فقد تخلل الأرض الظلام، وغطا على الأمم المصاب، والرب يشرق عليك إشراقا، ويظهر كرامته عليك، تسير الأمم إلى نورك، والملوك إلى ضوء طلوعك، ارفعي بصرك إلى ما حولك، وتأمل في أنهم مستجمعون عندك، وتحج إليك عساكر الأمم. وفي بعض كتبهم: لقد تقطعت السماء من بهاء محمد المحمود، وامتألت الأرض من حمده؛ لأنه ظهر بخلاص أمته. ومن ذلك في التوراة: أن هاجر أم إسماعيل لما غضبت عليها سارة تراءى لها ملك، فقال لها: يا هاجر! أين تريدين ومن أين أقبلت؟ فقالت: أهرب من سيدتي سارة، فقال لها: ارجعي إلى سارة وستحبلين وتلدن ابنا اسمه إسماعيل، وهو يكون عين الناس، وتكون يده فوق الجميع، ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع. ووجه دلالة هذا الكلام على نبوة محمد ﷺ أن هذا الذي وعدها به الملك من أن يد ولدها فوق الجميع، وأن يد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع؛ إنما ظهر بمبعث محمد ﷺ وظهور دينه وعلو كلمته، ولم يكن ذلك لإسماعيل ولا

لغيره قبل محمد ﷺ. ومن ذلك في التوراة أيضا: أن الرب يقيم لهم نبيا من إخوانهم، وأي رجل لم يسمع ذلك الكلام الذي يؤديه ذلك النبي عن الله فينتقم الله منه. ودلالة هذا الكلام ظاهرة، فإن أولاد إسماعيل هم إخوة أولاد إسحاق، وقد انتقم الله من اليهود الذين لم يسمعوا كلام محمد ﷺ كبنى قريظة وبني قينقاع وغيرهم. ومن ذلك في التوراة: أن الله أوحى إلى إبراهيم عليه السلام: قد استجبت دعاءك في إسماعيل، وباركت عليه، وسيلد اثني عشر عظيما وأجعله لأمة عظيمة. ومن ذلك في الإنجيل: أن المسيح قال للحواريين: أنا ذاهب عنكم، وسيأتيكم البارقليط الذي لا يتكلم من قبل نفسه، وإنما يقول كما يقال له، وبهذا وصف الله نبينا محمدا ﷺ في قوله ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾، وتفسير البارقليط أنه مشتق من الحمد، واسم نبينا ﷺ محمد وأحمد، وقيل: معنى البارقليط: الشافع المشفع. ومن ذلك في التوراة: أن مولده بمكة، ومسكنه بطيبة، وأمه الحمادون. وبيان ذلك أن أمته يقرؤون "الحمد لله" في صلاتهم مرارا كثيرة في كل يوم وليلة، وعن شهر بن حوشب مثل ذلك في إسلام كعب الأبحار ؓ وهو من اليمن من حمير: أن كعبا أخبره بأمره وكيف كان ذلك، وقال: كان أبوه من مؤمني أهل التوراة برسول الله ﷺ، وكان من عظمائهم وخيارهم، قال كعب الأبحار: وكان من أعلم الناس بما أنزل الله على موسى من التوراة وبكتب الأنبياء، ولم يكن يدخر عني شيئا مما كان يعلم، فلما حضرته الوفاة دعاني فقال: يا بني، قد علمت أني لم أكن أدخر عنك شيئا مما كنت أعلم، إلا أني حبست عنك ورقتين فيها ذكر نبي يبعث، وقد أظل زمانه فكرهت أن أخبرك بذلك، فلا آمن عليك بعد وفاتي أن يخرج بعض هؤلاء الكذابين فقتبعه، وقد قطعتهما من كتابك، وجعلتهما في هذه الكوة التي ترى، وطينت عليهما فلا تتعرض لهما ولا تنظرهما زمانك هذا، وأقرهما في موضعهما حتى يخرج ذلك النبي، فإذا خرج فاتبعه، وانظر فيهما فإن الله يزيدك بذلك خيرا، فلما مات والدي لم يكن شيء أحب إلي من أن ينقضي المآثم حتى أنظر ما في الورقتين، فلما انقضى المآثم فتحت الكوة ثم استخرجت الورقتين فإذا فيهما: محمد رسول الله خاتم النبيين لا نبي بعده، مولده بمكة ومهاجره بطيبة، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يجزي بالسيئة الحسنة، ويعفو ويغفر ويصفح، أمته الحمادون؛ الذين يحمدون الله على كل شرف وعلى كل حال، وتذلل ألسنتهم بالتكبير، وينصر الله نبيهم على كل من ناوأه، يغسلون فروجهم بالماء، ويأتزون على أوساطهم، وأناجيلهم في صدورهم، ويأكلون قربانهم في بطونهم ويؤجرون عليها، وتراحمهم بينهم تراحم بني الأم والأب، وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم، وهم السابقون المقربون، والشافعون المشفع لهم. فلما قرأت هذا قلت في نفسي: والله ما علمني شيئا خيرا لي من هذا، فمكثت بهذا ما شاء الله حتى بعث النبي ﷺ وبينه وبينه بلاد بعيدة منقطعة لا أقدر على إتيانه، وبلغني أنه خرج بمكة فهو يظهر مرة ويستخفي مرة، فقلت: هو هذا،

وتخوفت ما كان والدي حذرني وخوفني من الكذابين، وجعلت أحب أن أتبين وأثبت، فلم أزل بذلك حتى بلغني أنه قد أتى المدينة، فقلت في نفسي: إني لأرجو أن يكون إياه، وجعلت ألتمس السبيل إليه، فلم يقدر لي حتى بلغني أنه توفي صلوات الله وسلامه عليه. فقلت في نفسي: لعله لم يكن الذي كنت أظن، ثم بلغني أن خليفة قام مقامه، ثم لم ألبث إلا قليلا حتى جاءتنا جنوده، فقلت في نفسي: لا أدخل في هذا الدين حتى أعلم أهم الذين كنت أرجو وأنتظر، وأنظر كيف سيرتهم وأعمالهم، وإلى ما تكون عاقبتهم، فلم أزل أدفع ذلك وأؤخره؛ لأتبين وأثبت، حتى قدم علينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلما رأيت صلاة المسلمين وصيامهم وبرهم ووفاءهم بالعهد، وما صنع الله لهم على الأعداء؛ علمت أنهم الذين كنت أنتظر، فحدثت نفسي بالدخول في الإسلام، فوالله إني ذات ليلة فوق سطح لي إذا رجل من المسلمين يتلو كتاب الله تعالى حتى أتى على هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدَقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرَدَهَا عَلَىٰ أَذْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ قال: فلما سمعت هذه الآية خشيت من الله ألا أصبح حتى يحول وجهي في قفائي، فما كان شيء أحب إلي من الصباح، فغدوت على عمر رضي الله عنه فأسلمت حين أصبحت، وقال كعب لعمر رضي الله عنه عند انصرافه عن الشام: يا أمير المؤمنين! إنه مكتوب في كتاب الله: إن هذه البلاد التي كان فيها بنو إسرائيل وأهلها، مفتوحة على يد رجل من الصالحين، رحيم بالمؤمنين شديد على الكافرين، سره مثل علانيته وعلانيته مثل سره، وقوله لا يخالف فعله، والقريب والبعيد عنده في الحق سواء، وأتباعه رهبان بالليل أسد بالنهار، متراحمون متواصلون متبادلون. فقال له عمر رضي الله عنه: ثكلتك أمك أحق ما تقول؟ فقال: إي والذي أنزل التوراة على موسى، والذي يسمع ما نقول إنه لحق. فقال عمر رضي الله عنه: الحمد لله الذي أعزنا وشرفنا وأكرمنا ورحمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبرحمته التي وسعت كل شيء. ومن ذلك كتاب فروة بن عمرو الجذامي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من ملوك العرب بالشام فكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من فروة بن عمرو: إني مقر بالإسلام مصدق، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم عليه السلام. فأخذه هرقل لما بلغه إسلامه وسجنه، فقال: والله لا أفارق دين محمد أبدا، فإنك تعلم أنه النبي الذي بشر به عيسى بن مريم، ولكنك حرصت على ملكك وأحببت بقاءه، فقال قيصر: صدق والإنجيل. [ابن عساکر 161/50]. ويشهد لهذا ما أخرجه البخاري [2782] ومسلم [1773] من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل، وسؤال هرقل عن أحواله وأخلاقه صلى الله عليه وسلم، فلما أخبر بها علم أنه رسول الله، وقال: إنه يملك موضع قدمي، ولو خلصت إليه لغسلت قدميه. ومن حديث زيد بن أسلم عن أبيه وهو عندنا بالإسناد: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج زمان الجاهلية مع ناس من قريش في تجارة إلى الشام، فقال: وإني لفي سوق من أسواقها إذا أنا ببطريق قد قبض على عنقي، فذهبت أنازعه، فقيل لي:



يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۗ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ، وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسُ مِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي ۖ وَيُمِيتُ ۗ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ ۗ الَّذِي يَوْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ۗ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٦٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْتَدُونَ بِالْحَقِّ وَيَبْغُونَ وَيَعْدِلُونَ ﴿٦٩﴾

قدموا على رسول الله ﷺ فلقبهم أبو بكر الصديق ﷺ فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: رهط من غسان قدمنا على محمد لنسمع كلامه، فقال لهم: انزلوا حيث تنزل الوفود، ثم اتوا رسول الله ﷺ فكلموه، فقالوا: وهل نقدر على كلامه كلما أردنا؟ فتبسم أبو بكر ﷺ وقال: إنه ليطوف في الأسواق ويمشي وحده ولا شرطة معه، ويرغب من يراه منه، فقالوا لأبي بكر: من أنت أيها الرجل؟ قال: أبو بكر بن أبي قحافة، فقالوا: أنت تقوم بهذا الأمر بعده، فقال أبو بكر: الأمر إلى الله، فقال لهم: كيف تخدعون عن الإسلام، وقد أخبركم أهل الكتاب بصفته، وأنه آخر الأنبياء؟ ثم لقوا رسول الله ﷺ فأسلموا. ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ يحتمل أن يكون هذا من وصف النبي ﷺ في التوراة، فتكون الجملة في موضع الحال من ضمير المفعول في "يجدون"، أو تفسير لما كتب من ذكره، أو يكون استئناف وصف من الله تعالى غير مذكور في التوراة والإنجيل. ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ مذهب مالك؛ أن "الطيبات" هي الحلال، وأن "الخبائث" هي الحرام، ومذهب الشافعي؛ أن "الطيبات" هي "المستلذات" إلا ما حرم الشرع منها كالخمر والخنزير، وأن "الخبائث" هي المستقذرات؛ كالخنافس والعقارب ونحوها. ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ هو مثل لما كلفوا في شرعهم من المشقات كقتل الأنفس في التوبة، وقطع موضع النجاسة من الثوب، وكذلك ﴿الْأَغْلَالَ﴾ عبارة عما منعت منه شريعتهم؛ كتحرим الشحوم، وتحريم العمل يوم السبت، وشبه ذلك. ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ أي: منعه بالنصر حتى لا يقوى عليه عدو. ﴿النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ هو القرآن أو الشرع كله، ومعنى "معه": مع بعثه ورسالته. ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم جَمِيعًا﴾ تفسيره قوله ﷺ: «كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة» [البخاري: 427]. فإعراب "جميعا" حال من الضمير في "إليكم". ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ نعت "الله"، أو منصوب على المدح بإضمار فعل، أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمرة. ﴿يَوْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ هي الكتب التي أنزلها الله عليه وعلى غيره من الأنبياء. ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ﴾ هم الذين ثبتوا حين تزلزل غيرهم في عصر موسى،

وَقَطَعْنَاهُمْ أَتْنَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَّمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقِنَهُ قَوْمَهُ أَنْ  
 أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ أَتْنَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ  
 مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَى كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا  
 رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٠١﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا  
 هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا تُغْفَرُ لَكُمْ  
 خَطِيئَتُكُمْ سَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٢﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي  
 قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٠٣﴾ وَسَأَلَهُمْ عَنِ  
 الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ  
 سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبُؤُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٠٤﴾

أو الذين آمنوا بمحمد ﷺ في عصره. «وَقَطَعْنَاهُمْ» أي: فرقناهم. «أَسْبَاطًا» السبط في بني إسرائيل  
 كالقبيلة في العرب، وانتصابه على البدل من "اتنتي عشرة" لا على التمييز؛ فإن تمييز اثني عشر لا يكون إلا  
 بمفرد، وقال الزمخشري: على التمييز؛ لأن كل قبيلة أسباطا لا سبط. «فَانْبَجَسَتْ» أي: انفجرت؛ إلا  
 أن الانبجاس أخف من الانفجار، وقال القزويني: الانبجاس أول الانفجار. «وَوَضَعْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ»  
 وما بعده إلى قوله «بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ» مذكور في البقرة. تنبيه: وقع الاختلاف في اللفظ بين هذا الموضع  
 من هذه السورة وبين سورة البقرة كقوله «فَانْفَجَرَتْ» و«انْبَجَسَتْ»، وقوله «وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا» و«وَإِذْ  
 قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا»، وقوله «وَكُلُوا» و«فَكُلُوا» بالفاء؛ فقال الزمخشري: لا بأس باختلاف العبارتين إذا  
 لم يكن هنالك تناقض، وعللها شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير في كتاب ملاك التأويل وصاحب الدرر  
 بتعليقات منها قوية وضعيفة وفيها طول فتركناها لطولها. «وَسَأَلَهُمْ» أي: أسأل اليهود على جهة  
 التقرير والتوبيخ. «عَنِ الْقَرْيَةِ» قيل: هي إيلياء، وقيل: طبرية، وقيل: مدين. «حَاضِرَةَ الْبَحْرِ» قرية  
 منه أو على شاطئه. «إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ» أي: يتجاوزون حد الله فيه، وهو اصطيادهم يوم السبت وقد  
 نهوا عنه، وموضع "إذ" بدل من "القرية"، والمراد أهلها وهو بدل اشتغال، أو منصوب بـ"كانت" أو  
 بـ"حاضرة". «إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا» كانت الحيتان تخرج من البحر يوم السبت حتى  
 تصل إلى بيوتهم، ابتلاء لهم؛ إذ كان صيدها محرما عليهم يوم السبت وتغيب عنهم في سائر الأيام،  
 و«سبتهم» مصدر من قولك: سبت اليهودي يسبت إذا عظم يوم السبت، ومعنى "شرعا" ظاهرة قرية  
 منهم، يقال: شرع منا فلان إذا دنا، و«إذ» في قوله "إذ تأتيهم" منصوب بـ"يعدون"، أو بدل من "إذ يعدون".

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ  
إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ  
وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بِّسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٢﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا  
عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ  
الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ  
﴿٣٤﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ  
بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٥﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ  
يَاخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلَهُ يَأْخُذُوهُ  
أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَا يَقُولُوا عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾ الآية، افرقت بنو إسرائيل ثلاث فرق؛ فرقة عصت بالصيد يوم السبت، وفرقة نهت عن ذلك واعتزلت القوم، وفرقة سكتت واعتزلت فلم تنه ولم تعص، وأن هذه الفرقة لما رأت مجاهرة الناهية وطغيان العاصية، قالوا للفرقة الناهية: لم تعظون قوما يريد الله أن يهلكهم أو يعذبهم فقالت الناهية: نهاهم معذرة إلى الله ولعلمهم يتقون؛ فهلكت الفرقة العاصية ونجت الناهية، واختلف في الثالثة: هل هلكت لسكوتهما أو نجت لاعتزالها وتركها العصيان؟ ﴿بِعَذَابٍ بِّسٍ﴾ أي: شديد، وقرئ بالهمز وتركه، وقرئ على وزن فاعيل وفعيل، وكلها من معنى البؤس. ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ﴾ أي: لما تكبروا عن ما نهوا عنه. ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ ذكر في البقرة، والمعنى: أنهم عذبوا أولا بعذاب شديد، فعتوا بذلك، فمسخوا قردة. وقيل: "فلما عتوا" تكرر لقوله "فلما نسوا"، والعذاب البئيس هو المسخ. ﴿تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ عزم، وهو من الإيدان بمعنى الإعلام. ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ الآية، أي يسلط عليهم، ومن ذلك أخذ الجزية وهو أنهم في جميع البلاد. ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: فرقناهم في البلاد، ففي كل بلد فرقة منهم وليس لهم إقليم يملكونه. ﴿مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ﴾ هم من أسلم كعبد الله بن سلام ﷺ أو من كان صالحا من المتقدمين منهم. ﴿بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ أي: بالنعمة والنقم. ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ﴾ أي: حدث بعدهم قوم سوء، وال"خلف" بسكون اللام ذم، وبفتحها مدح، والمراد من حدث من اليهود بعد المذكورين، وقيل: المراد النصارى. ﴿يَاخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ﴾ أي: عرض الدنيا. ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ ذلك اغترار منهم وكذب. ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلَهُ يَأْخُذُوهُ﴾ الواو للحال، أي: يرجون المغفرة وهم يعودون إلى مثل فعلهم. ﴿مِيثَاقِ الْكِتَابِ﴾ أي: التوراة. ﴿أَن لَا يَقُولُوا عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ إشارة إلى كذبهم في قولهم

وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ  
 وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿٣٨﴾ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ  
 وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٣٩﴾ وَإِذْ أَخَذَ  
 رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا  
 بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿٤٠﴾

"سيغفر لنا"، وإعراب "أن لا يقولوا" عطف بيان على "ميثاق الكتاب" أو تفسير له، أو تكون "أن" حرف عبارة وتفسير. ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف وهما بمعنى واحد، وإعراب "الذين" عطف على "الذين يتقون"، أو مبتدأ وخبره ﴿إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾، وقام ذكر "المصلحين" مقام الضمير؛ لأن المصلحين هم الذين يمسكون بالكتاب. ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ أي: اقتلعنا الجبل، ورفعناه فوق بني إسرائيل، وقلنا لهم خذوا التوراة حين أبوا من أخذها، وقد تقدم في البقرة تفسير الـ ﴿ظُلَّةٌ﴾ و﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾. ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ الآية، في معناها قولان؛ الأول: أن الله لما خلق آدم أخرج ذريته من صلبه وهم مثل الذر، وأخذ عليهم العهد بأنه ربهم، فأقروا بذلك والتزموه، روي هذا المعنى عن النبي ﷺ من طرق كثيرة، وقال به جماعة من الصحابة وغيرهم، والثاني: أن ذلك من باب التمثيل، وأن أخذ الذرية عبارة عن إيجادهم في الدنيا، وأما إسهادهم؛ فمعناه أن الله نصب لبني آدم الأدلة على ربوبيته، وشهدت بها عقولهم، فكانه أشهدهم على أنفسهم، وقال لهم: "ألست بربكم؟" وكانهم قالوا بلسان الحال: بلى أنت ربنا؛ والأول هو الصحيح لتواتر الأخبار به، إلا أن ألفاظ الآية لا تطابقه بظاهرها، فلذلك عدل عنه من قال بالقول الآخر، وإنما تطابقه بتأويل، وذلك أن أخذ الذرية إنما كان من صلب آدم، ولفظ الآية يقتضي أن أخذ الذرية من بني آدم، والجمع بينهما أنه ذكر "بني آدم" في الآية والمراد آدم كقوله ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ الآية، على تأويل: لقد خلقنا أبابكم آدم من صورته، وقال الزمخشري: إن المراد بـ "بني آدم" أسلاف اليهود، والمراد بـ "ذريتهم" من كان في عصر النبي ﷺ منهم، والصحيح المشهور أن المراد جميع بني آدم حسبما ذكرنا. ﴿قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ قولهم "بلى" إقرار منهم بأن الله ربهم، فإن تقديره: أنت ربنا، فإن "بلى" بعد التقرير تقتضي الإثبات بخلاف نعم؛ فإنها إذا وردت بعد الاستفهام تقتضي الإيجاب، وإذا وردت بعد التقرير تقتضي النفي، ولذلك قال ابن عباس ؓ في هذه الآية: لو قالوا نعم لكفروا، وأما قولهم "شهدنا" فمعناه: شهدنا بربوبيتك، فهو تحقيق لربوبية الله وأداء لشهادتهم بذلك عند الله، وقيل: إن "شهدنا" من قول الله والملائكة، أي: شهدنا على بني آدم باعترافهم. ﴿أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ في موضع مفعول من أجله، أي: فعلنا ذلك كراهية أن تقولوا، فهو من قول الله لا من قولهم، وقرئ بالتاء على الخطاب لبني آدم،



أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ  
 الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٦﴾ وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ آيَاتٍ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٧﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي  
 ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٨﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ  
 بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ  
 يَلْهَثَ أَوْ تَتْرُكَهُ يَلْهَثَ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِءَايَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ  
 لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٩﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِءَايَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٨٠﴾

وبالياء على الإخبار عنهم. ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ﴾ قال ابن مسعود رضي الله عنه: هو رجل من بني إسرائيل، بعثه موسى عليه السلام إلى ملك مدين داعياً إلى الله، فرشاه الملك وأعطاه الملك على أن يترك دين موسى ويتابع الملك على دينه؛ ففعل وأضل الناس بذلك. وقال ابن عباس رضي الله عنه: هو رجل من الكنعانيين اسمه بلعام كان عنده اسم الله الأعظم، فلما أراد موسى قتال الكنعانيين وهم الجبارون، سألوا من بلعام أن يدعو باسم الله الأعظم على موسى وعسكره فأبى، فألحوا عليه حتى دعا عليه ألا يدخل المدينة ودعا موسى عليه، فالآيات التي أعطيتها على هذا القول هي اسم الله الأعظم، وعلى قول ابن مسعود رضي الله عنه هي ما علمه موسى من الشريعة، وقيل: كان عنده من صحف إبراهيم، وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: هو أمية بن أبي الصلت، وكان قد أوتي علماً وحكمة، وأراد أن يسلم قبل غزوة بدر ثم رجع عن ذلك ومات كافراً، وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كاد أمية ابن أبي الصلت أن يسلم» [البخاري: 3629]. فالآية على هذا ما كان عنده من العلم، والانسلاخ عبارة عن البعد، والانسفال منها كالانسلاخ من الثياب والجلد. ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ﴾ أي: لرفعنا منزلته بالآيات التي كانت عنده. ﴿ وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ عبارة عن فعله لما سقطت به منزلته عند الله. ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ ﴾ أي: صفته كصفة الكلب، وذلك غاية في الخسة والردالة. ﴿ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ﴾ اللهث: هو تنفس بسرعة وتحريك أعضاء الفم وخروج اللسان، وأكثر ما يعترى ذلك للحيوانات مع الحر والتعب، وهي حالة دائمة للكلب، ومعنى "إن تحمل عليه" إن تفعل معه ما يشق عليه من طرد أو غيره، "أو تتركه" دون أن تحمل عليه فهو يلهث على كل حال، ووجه تشبيه ذلك الرجل به؛ أنه إن وعظته فهو ضال، وإن لم تعظه فهو ضال؛ فضلالته على كل حال كما أن لهث الكلب على كل حال، وقيل: إن ذلك الرجل خرج لسانه على صدره فصار مثل الكلب في صورته ولهته حقيقة. ﴿ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِءَايَاتِنَا ﴾ أي: صفة المكذبين كصفة الكلب في لهته أو كصفة الرجل المشبه به؛ لأنهم إن أنذروا لم يهتدوا وإن تركوا لم يهتدوا، وشبههم بالرجل في أنهم رأوا الآيات والمعجزات فلم تنفعهم كما أن الرجل لم ينفعه ما كان عنده من الآيات. ﴿ سَاءَ مَثَلًا ﴾ أي: مثل القوم. ﴿ وَأَنْفُسُهُمْ ﴾ قدم هذا

مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٦﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ  
كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ۗ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا  
وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُمْ ۗ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ  
﴿١٧٧﴾ وَ لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۗ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۗ سَيُجْزَوْنَ مَا  
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٨﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَتَّبِعُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا  
بِعَايَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٠﴾ وَأُمَلِّ لَهُمْ ءِتَٰنًا كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨١﴾

المفعول للاختصاص والحصص. ﴿كثيْرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾ هم الذين علم الله أنهم يدخلون النار بكفرهم، فأخبر أنه خلقهم لذلك كما جاء قوله: «هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي، وهؤلاء إلى النار ولا أبالي» [الحاكم: 84]. ﴿لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ ليس المعنى نفى الفهم والبصر والسمع جملة، وإنما المعنى نفيها عما ينفع في الدين. ﴿وَاللَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة» [البخاري: 2585]. وسبب نزول الآية: أن أبا جهل سمع بعض الصحابة يقرأ، فيذكر الله مرة والرحمن أخرى، فقال: يزعم محمد أن الإله واحد، وها هو يعبد آله كثيرة، فنزلت الآية مبينة أن تلك الأسماء الكثيرة هي لمسمى واحد، و"الحسنى" مصدر وصف به أو تأنيث أحسن، وحسن أسماء الله في أنها صفات مدح وتعظيم وتحميد. ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ أي: سموه بأسمائه، وهذا إباحة لإطلاق الأسماء على الله تعالى، فأما ما ورد منها في القرآن أو الحديث فيجوز إطلاقه على الله إجماعا، وأما ما لم يرد وفيه مدح، ولا تتعلق به شبهة، فأجاز أبو بكر بن الطيب إطلاقه على الله، ومنع ذلك أبو الحسن الأشعري وغيره، ورأوا أن أسماء الله موقوفة على ما ورد في القرآن والحديث، وقد ورد في كتاب الترمذي [3507] عدتها؛ أعني تعيين التسعة والتسعين، واختلف المحدثون هل تلك الأسماء المعدودة فيه مرفوعة إلى النبي ﷺ أو موقوفة على أبي هريرة ؓ، وإنما الذي ورد في الصحيح كونها تسعة وتسعين من غير تعيين. ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ قيل: معنى "ذروا" اتركوهم لا تحاجوهم ولا تعرضوا لهم؛ فالآية على هذا منسوخة بالقتال، وقيل: معنى "ذروا" الوعيد والتهديد كقوله ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ وهو الأظهر لما بعده، وإلحادهم في أسماء الله تعالى هو ما قال أبو جهل فنزلت الآية بسببه، وقيل: تسميته بها لا يليق به، وقيل: تسمية الأصنام باسمه كاشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز. ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً﴾ الآية، روي عن النبي ﷺ أنه قال: «هذه الآية لكم» [أبو يعلى: 3668] وقد تقدم مثلها لقوم موسى. ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ الاستدراج: استفعال من الدرجة، أي: نسوقهم إلى الهلاك شيئا بعد شيء وهم لا يشعرون، والإملاء هو الإمهال مع إرادة العقوبة. ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ سمي فعله بهم كيدا؛ لأنه شبيه بالكيد في أن ظاهره إحسان وباطنه خذلان.

أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جَنَّةٍ إِن هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٤٤﴾ أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ  
فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٤٥﴾ مَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ۗ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ  
يَعْمَهُونَ ﴿١٤٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِيهَا ۗ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي ۗ لَا يُجَلِّئُهَا  
لِقَوتِهَا إِلَّا هُوَ ۗ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ  
عَهَا ۗ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤٧﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ  
لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سَتَكُنَّ مِنَ الْخَيْرِ

﴿أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جَنَّةٍ﴾ يعني بصاحبهم النبي ﷺ فنفي عنه ما نسب له المشركون من الجنون،  
ويحتمل أن يكون قوله "ما بصاحبهم من جنة" معمولاً لقوله "أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا" فيوصل به، والمعنى: أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا  
فيعلموا أن ما بصاحبهم من جنة، ويحتمل أن يكون الكلام قد تم عند قوله "أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا"، ثم ابتدأ إخباراً مستأنفاً  
بقوله "ما بصاحبهم من جنة" والأول أحسن. ﴿أَوْلَمْ يَنْظُرُوا﴾ يعني نظر استدلال. ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ﴾ عطف على  
الـ"ملكوت"، ويعني بقوله ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني جميع المخلوقات، إذ جميعها دليل على وحدانية خالقها. ﴿وَأَنْ عَسَىٰ  
أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ﴾ "أن" الأولى مخففة من الثقيلة وهي عطف على الـ"ملكوت"، و"أن" الثانية مصدرية في  
موضع رفع بـ"عسى"، و"أجلهم" يعني يوم موتهم، والمعنى: لعلمهم يموتون عن قريب، فينبغي لهم أن يسارعوا إلى  
النظر فيما يخلصهم عند الله قبل حلول الأجل. ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ الضمير للقرآن. ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ  
السَّاعَةِ﴾ السائلون اليهود أو قريش، وسميت القيامة ساعة؛ لسرعة حسابها كقوله ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ  
الْبَصَرِ﴾. ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ معنى "أيان" متى، و"مرساها" وقوعها وحدوثها، وهي من الإرساء بمعنى الثبوت.  
﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ أي: استأثر الله بعلم وقت وقوعها ولم يطلع عليه أحد. ﴿لَا يُجَلِّئُهَا لِقَوتِهَا إِلَّا هُوَ﴾  
معنى "يجليها" يظهرها فهو من الجلا ضد الخفا، واللام في "لوقتها" ظرفية أي عند وقتها، والمعنى: لا يظهر الساعة  
عند مجيء وقتها إلا الله. ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ في معناه ثلاثة أقوال؛ الأول: ثقلت على أهل السموات  
والأرض لهيبها عندهم وخوفهم منها، والثاني: ثقلت على أهل السموات والأرض أنفسها لتفطر السماء فيها  
وتبديل الأرض، والثالث: معنى "ثقلت" أي: ثقل علمها، أي: خفي. ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنَّا﴾ الحفي  
بالشيء هو المهتل به المعتني به، والمعنى: يسألونك عنها كأنك حفي بعلمها، وقيل: المعنى يسألونك عنها كأنك  
حفي بهم لقربانك منهم، فـ"عنها" على هذين القولين يتعلق بـ"يسألونك"، وقيل: المعنى يسألونك كأنك حفي  
بالسؤال عنها. ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سَتَكُنَّ مِنَ الْخَيْرِ﴾ براءة من علم الغيب واستدلال على عدم علمه.

وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۗ إِنَّا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ۖ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّيَهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِن آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾  
 فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ۖ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾

﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ عطف على "لاستكثر من الخير" أي: لو علمت الغيب لاستكثر من الخير واحترست من السوء، ولكن لا أعلمه فيصيني ما قدر لي من الخير والشر، وقيل: إن قوله "وما مسني السوء" استئناف إخبار، و"السوء" على هذا هو الجنون، واتصاله بما قبله أحسن. ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يجوز أن يتعلق ب"بشير ونذير" معا، أي: أبشر المؤمنين وأنذرهم، وخص بهم البشارة والندارة؛ لأنهم هم الذين ينتفعون بها، ويجوز أن يتعلق بالبشارة وحدها ويكون المتعلق ب"نذير" محذوفاً أي: نذير للكافرين؛ والأول أحسن. ﴿مِن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني: آدم. ﴿زَوْجَهَا﴾ يعني: حواء. ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ يميل إليها ويستأنس بها. ﴿تَغَشَّيَهَا﴾ كناية عن الجماع. ﴿حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيفًا﴾ أي: خف عليها ولم تلق منه ما يلقي بعض الحبال من حملهن من الأذى والكرب، وقيل: الحمل الخفيف المني في فرجها. ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ قيل: معناه استمرت إلى حين ميلاده، وقيل: معناه قامت وقعدت. ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾ أي: ثقل حملها وصارت به ثقيلة. ﴿لَئِن آتَيْتَنَا صَالِحًا﴾ أي: ولدا سالماً صالحاً في بدنه. ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ أي: لما آتاهما ولدا صالحاً كما طلبا جعل أولادهما له شركاء، فالكلام على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وكذلك "فيما آتاهما" أي: فيما أتى أولادهما وذريتهما، وقيل: إن حواء لما حملت جاءها إبليس وقال لها: إن أطعيني وسميت ما في بطنك عبد الحارث فسأخلصه لك، وكان اسم إبليس الحارث، وإن عصيتني في ذلك قتلته، فأخبرت بذلك آدم، فقال لها: إنه عدونا الذي أخرجنا من الجنة، فلما ولدت مات الولد ثم حملت مرة أخرى، فقال لها إبليس مثل ذلك فعصته، فمات الولد فحملت مرة ثالثة، فسميها عبد الحارث طمعا في حياته، فقوله "جعل له شركاء فيما آتاهما" أي: في التسمية لا غير، لا في عبادة غير الله؛ والقول الأول أصح لثلاثة أوجه؛ أحدها: أنه يقتضي براءة آدم وزوجه من قليل الشرك وكثيره وذلك هو حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والثاني: أنه يدل على أن الذين أشركوا هم أولاد آدم وذريته قوله ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بضمير الجمع، والثالث: أن ما ذكروا من قصة آدم وتسمية الولد عبد الحارث يفتقر إلى نقل بسند صحيح وهو غير موجود في تلك القصة، وقيل "من نفس واحدة" هو قصي بن كلاب وزوجته، و"جعل له شركاء" أي: سمياً أولادهما عبد العزى وعبد الدار وعبد مناف، وهذا القول بعيد لوجهين؛ أحدهما: أن الخطاب على هذا خاص بذرية قصي من قريش، والظاهر أن الخطاب عام لبني آدم، والآخر: قوله "وجعل منها زوجها" فإن هذا يصح في حق حواء؛ لأنها خلقت من ضلع آدم، ولا يصح في زوجة قصي.

أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴿١١٦﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١١٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَالِمُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١٩﴾ أَلَمْ لَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْتَطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٢١﴾

﴿أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ﴾ هذه الآية رد على المشركين من بني آدم، والمراد بقوله "ما لا يخلق شيئاً" الأصنام وغيرها مما عبد من دون الله، والمعنى أنها مخلوقة غير خالقة، والله تعالى خالق غير مخلوق فهو الإله وحده. ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ المعنى: أن الأصنام لا ينصرون من عبدتهم، ولا ينصرون أنفسهم؛ فهم في غاية العجز والذلة فكيف يكونون آلهة. ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ المعنى: أن الأصنام لا تجيب إذا دعيت إلى أن تهدي أو إلى أن تهدي لأنها جمادات. ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ تأكيد وبيان لما قبلها، فإن قيل: لم قال "أم انتم صامتون" فوضع الجملة الاسمية موضع الجملة الفعلية، وهلا قال أو صمتتم؟ فالجواب: أن صمتهم عن دعاء الأصنام كانت حالة مستمرة، فعبّر عنها بجملة اسمية لتقتضي الاستمرار على ذلك. ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ رد على المشركين بأن آلهتهم عباد فكيف يعبد العبد مع ربه. ﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا﴾ أمر على وجه التعجيز. ﴿أَلَمْ لَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا﴾ وما بعده معناه: أن الأصنام جمادات عادمة للحس والجوارح والحياة وما كان كذلك لا يكون إلهاً، فإن من وصف الإله الإدراك والحياة والقدرة، وإنما جاء هذا البرهان بلفظ الاستفهام؛ لأن المشركين مقرون أن أصنامهم لا تمشي ولا تبطش ولا تبصر ولا تسمع فلزمتهم الحجة، والهمزة في قوله "ألم" للاستفهام مع التوبيخ، و﴿أَمْ﴾ في المواضع الثلاثة تضمنت معنى الهمزة ومعنى بل، وليست عاطفة. ﴿قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ﴾ المعنى: استنجدوا أصنامكم لمضرتي والكيد علي ولا تؤخروني، فإنكم وأصنامكم لا تقدرين على مضرتي، ومقصود الآية: الرد عليهم ببيان عجز أصنامهم وعدم قدرتها على المضرة، وفيها إشارة إلى التوكل على الله والاعتصام به وحده، وأن غيره لا يقدر على شيء، ثم أفصح بذلك في قوله ﴿إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ﴾ الآية، أي هو ناصرني وحافظي منكم، فلا تضروني ولو حرصتم أنتم وآهنتكم على مضرتي، ثم وصف الله بأنه ﴿الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ﴾، وبأنه ﴿يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾، وفي هذين الوصفين استدلال على صدق النبي ﷺ بإنزال الكتاب عليه، وبأن الله تولى حفظه؛ ومن يتولى الله حفظه فهو من الصالحين، والصالح لا بد أن يكون صادقاً في قوله ولا سيما فيما يقوله عن الله.

وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٨﴾ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩﴾ وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ﴾ الآية، رد على المشركين وقد تقدم معناه. ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا﴾ يحتمل أن يريد الأصنام فيكون تحقيرا لها وردا على من عبدها، فإنها جمادات لا تسمع شيئا، فيكون المعنى كالذي تقدم، أو يريد الكفار ووصفهم بأنهم لا يسمعون؛ يعني سمعا يتفعون به، لإفراط نفورهم، أو لأن الله طبع على قلوبهم. ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ إن كان هذا من وصف الأصنام فقوله "ينظرون" مجاز وقوله "لا يبصرون" حقيقة؛ لأن لهم صورة الأعين وهم لا يرون بها شيئا، وإن كان من وصف الكفار فـ"ينظرون" حقيقة، "ولا يبصرون" مجازا على وجه المبالغة كما وصفهم بـ"أنهم لا يسمعون". ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ فيه قولان؛ أحدهما: أن المعنى خذ من الناس في أقوالهم وأخلاقهم ومعاشرتهم ما تيسر لا ما يشق عليهم لثلا ينفروا، فـ"العفو" على هذا بمعنى السهل والسمح عنهم، وهو ضد الجهل والتكليف، كقول الشاعر:

خذي العفو مني تستديمي مودتي

والآخر: أن المعنى خذ من الصدقات ما سهل على الناس من أموالهم أو ما فضل لهم، وذلك قبل فرض الزكاة، فـ"العفو" على هذا بمعنى السهل أو بمعنى الكثرة. ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ أي: بالمعروف وهو أفعال الخير، وقيل: العرف الجاري بين الناس من العوائد، واحتج المالكية بذلك على الحكم بالعوائد. ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ أي: لا تكافئ السفهاء بمثل قولهم أو فعلهم واحلم عنهم، ولما نزلت هذه الآية سأل رسول الله ﷺ عنها جبريل فقال: «لا أدري حتى أسأل؟» ثم رجع فقال: «يا محمد! إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك» [الطبري: 15548]. وعن جعفر الصادق: أمر الله النبي ﷺ فيها بمكارم الأخلاق، وهي على هذا ثابتة الحكم، وهو الصحيح، وقيل: كانت مداراة للكفار ثم نسخت بالقتال. ﴿وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾ نزغ الشيطان: وسوسته بالتشكيك في الحق، والأمر بالمعاصي، أو تحريك الغضب، فأمر الله بالاستعاذة منه عند ذلك كما ورد في الحديث: أن رجلا اشتد غضبه، فقال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما به: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» [البخاري: 3108]. ﴿طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ معناه: لمة منه كما جاء: «إن للشيطان لمة وللملك لمة» [ابن حبان: 1997]. ومن قرأ "طائف" بالألف فهو اسم فاعل، ومن قرأ "طيف" بياء ساكنة فهو مصدر أو تخفيف من طيف المشدد كमित وميت. ﴿تَذَكَّرُوا﴾ حذف مفعوله ليعم كل ما يتذكر؛ من خوف عقاب الله، أو رجاء ثوابه، أو مراقبته، أو الحياء منه، أو عداوة الشيطان والاستعاذة منه،

فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٣١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يُمِدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَذُكِّرُوا لَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿٣٦﴾

أو النظر والاعتبار أو غير ذلك. ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ هو من بصيرة القلب. ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يُمِدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ﴾ الضمير في "إخوانهم" للشياطين، وأريد في قوله "طائف من الشيطان" الجنس، فلذلك أعيد عليه ضمير الجماعة، "وَإِخْوَانُهُمْ" هم الكفار، ومعنى "يمدوهم" يكونون مدادا لهم، أي: يعضدوهم، وضمير المفعول في "يمدوهم" للكفار وضمير الفاعل لـ"الشيطان"، ويحتمل أن يريد بالإخوان الشياطين، ويكون الضمير في "إخوانهم" للكفار، والمعنى على الوجهين: أن الكفار يمدهم الشياطين، وقري "يمدوهم" بضم الياء وفتحها والمعنى واحد، وفي الغي يتعلق بـ"يمدوهم"، وقيل: يتعلق بـ"إخوانهم" كما تقول إخوة في الله أو في الشيطان. ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ أي: لا يقصر الشياطين عن إمداد إخوانهم من الكفار، أو لا يقصر الكفار عن غيهم، وفي الآية من أدوات البيان لزوم ما لا يلزم لالتزام الصاد قبل الراء في "مبصرون" و"لا يقصرون". ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ الضمير في "لم تأتهم" للكفار، و"لولا" هنا عرض، وفي معنى "اجتبيتها" قولان؛ أحدهما: اخترعتها من قبل نفسك، فالآية على هذا من القرآن، وكان النبي ﷺ يتأخر عنه الوحي أحيانا فيقول الكفار: هلا جئت بقرآن من قولك؟ والآخر: أن معناها طلبتها من الله وتخيرتها عليه، فالآية على هذا معجزة، أي: يقولون اطلب المعجزة من الله. ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ معناه: لا اخترع القرآن على القول الأول، ولا أطلب آية من الله على القول الثاني. ﴿هَذَا بَصَائِرُ﴾ أي: علامات هدى، والإشارة إلى القرآن. ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ فيها ثلاثة أقوال؛ أحدها: أن الإنصات للمأمور به هو لقراءة الإمام في الصلاة، والثاني: أنه الإنصات للخطبة، والثالث: أنه الإنصات لقراءة القرآن على الإطلاق، وهو الراجح لوجهين؛ أحدهما: أن اللفظ عام ولا دليل على تخصيصه، والثاني: أن الآية مكية والخطبة إنما شرعت بالمدينة. ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ قال بعضهم: الرحمة أقرب شيء إلى مستمع القرآن هذه الآية. ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ يحتمل أن يريد الذكر بالقلب دون اللسان، أو الذكر باللسان سرا، فعلى الأول يكون قوله ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ عطفًا مغايرًا أي: حالة أخرى، وعلى الثاني: يكون بيانًا وتفسيرًا للأول. ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ أي: في الصباح والعشي، "والاصال" جمع أصل، والأصل جمع أصيل، قيل: المراد صلاة الصبح والعصر، وقيل: صلاة المسلمين قبل فرض الخمس؛ والأظهر الإطلاق. ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ هم الملائكة عليهم السلام، وفي ذكرهم تحريض للمؤمنين وتعريض بالكفار. ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ قدم المجرور لمعنى الحصر، أي: لا يسجدون إلا له وحده.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ

## سورة الأنفال

نزلت هذه السورة في غزوة بدر وغنائمها. ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، والسائلون هم الصحابة، و"الانفال" هي الغنائم، وذلك أن الصحابة كانوا يوم بدر ثلاث فرق؛ فرقة مع النبي ﷺ في العريش تحرسه وتؤنسه، وفرقة اتبعوا المشركين فقتلوهم وأسروهم، وفرقة أحاطوا بأسلاب العدو وعسكرهم لما انهزموا، فلما انجلت الحرب واجتمع الناس رأت كل فرقة أنها أحق بالغنيمة من غيرها، واختلفوا فيما بينهم فنزلت الآية، ومعناها: يسألونك عن حكم الغنيمة ومن يستحقها، وقيل "الانفال" هنا ما ينقله الإمام لبعض الجيش من الغنيمة زيادة على حظه. وقد اختلف الفقهاء هل يكون هذا التنفيل من الخمس وهو قول مالك، أو من الأربعة الأخماس، أو من رأس الغنيمة قبل إخراج الخمس. ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ أي: الحكم فيها لله وللرسول لا لكم. ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي: اتفقوا وائتلفوا ولا تنازعوا، و"ذات" هنا بمعنى الأحوال قاله الزمخشري، وقال ابن عطية: يراد بها في هذا الموضع نفس الشيء وحقيقته، وقال الزبيري: إن إطلاق الذات على نفس الشيء وحقيقته ليس من كلام العرب. ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يريد في الحكم في الغنائم، قال عبادة بن الصامت ؓ: نزلت فينا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا وساءت أخلاقنا، فنزع الله الأنفال من أيدينا وجعلها لرسول الله ﷺ، فقسمها على السواء [أحمد: 22805]. فكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين. ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ الآية، أي: الكاملون بالإيمان، ف"إنما" هنا للتأكيد والمبالغة والحصص. ﴿وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: خافت، وقرأ أبي بن كعب ؓ "فرعت". ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ أي: قوي تصديقهم وبقينهم، خلافا لمن قال إن الإيمان لا يزيد، وإن زيادته إنما هي بالعمل. ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ﴾ يعني في الجنة. ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ فيه ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن يكون الكاف في موضع رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هذه الحال كحال إخراجك؛ يعني أن حالهم في كراهة تنفيل الغنائم كحالهم في كراهة خروجك للحرب. والثاني: أن يكون موضع الكاف نصبا على أنه صفة لمصدر الفعل المقدر



مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٤٠﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ  
كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤١﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ  
وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ  
وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ إِذْ  
تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ وَأَنَّى مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ ﴿٤٤﴾

في قوله "الانفال لله والرسول"، أي: استقرت الأنفال لله والرسول استقرارا مثل استقرار خروجك. والثالث:  
أن تتعلق الكاف بقوله "يجادلونك". ﴿مِنْ بَيْتِكَ﴾ يعني مسكنه بالمدينة، إذ أخرجه الله منه لغزوة بدر. ﴿وَإِنَّ  
فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ أي: كرهوا قتال العدو، وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام فيها أموال  
عظيمة، ومعها أربعون راكبا، فأخبر بذلك جبريل رسول الله ﷺ، فخرج بالمسلمين فسمع بذلك أهل مكة،  
فاجتمعوا وخرجوا في عدد كثير ليمنعوا عيرهم، فنزل جبريل عليه السلام فقال: «يا محمد! إن الله قد وعدكم  
إحدى الطائفتين، إما العير وإما قريش» فاستشار النبي ﷺ أصحابه فقالوا: العير أحب إلينا من لقاء العدو،  
فقال: «إن العير قد مضت على ساحل البحر، وهذا أبو جهل قد أقبل» فقال له سعد بن عباد: امض لما شئت  
فإننا متبعوك، وقال سعد بن معاذ: والذي بعثك بالحق لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك فسر بنا على  
بركة الله. ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ كان جداهم في لقاء قريش بإيثارهم لقاء العير إذ كانت أكثر  
أموالا وأقل رجالا، وتبين الحق: هو إعلام رسول الله ﷺ بأنهم ينصرون. ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾  
تشبيه لحالهم في إفراط جزعهم من لقاء قريش. ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ يعني قريشا أو عيرهم،  
والعامل في "إذ" محذوف تقديره: اذكروا. ﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾ بدل من "إحدى الطائفتين". ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ  
الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ "الشوكة" عبارة عن السلاح سميت بذلك لحداثتها، والمعنى: تحبون أن تلقوا الطائفة  
التي لا سلاح لها وهي العير. ﴿أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ﴾ يعني يظهر الإسلام بقتل الكفار وهلاكهم يوم بدر. ﴿لِيُحِقَّ  
الْحَقَّ﴾ متعلق بمحذوف تقديره: ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك، وليس تكرارا للأول؛ لأن الأول  
مفعول "يريد" وهذا تعليل لفعل الله تعالى، ويحتمل أن يريد ب"الحق" الأول الوعد بالنصرة وب"الحق" الثاني  
الإسلام؛ فيكون المعنى: أنه نصرهم ليظهر الإسلام، ويؤيد هذا قوله: ﴿وَيُبْطِلُ الْبَاطِلَ﴾ أي: يبطل الكفر.  
﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ "إذ" بدل من "إذ يعدكم"، وقيل: تتعلق بقوله "ليحق الحق" أو بفعل مضمر، واستغاثتهم  
دعاؤهم بالغوث والنصر. ﴿مُؤَمِّدُكُمْ﴾ أي: مكثركم. ﴿مُرْدَفِينَ﴾ من قولك: ردفه إذا تبعه، وأردفته إياه إذا  
أتبعته إياه، والمعنى: يتبع بعضهم بعضا، فمن قرأه بفتح الدال فهو اسم مفعول، ومن قرأه بالكسر فهو اسم  
فاعل، وضح معنى القراءتين؛ لأن الملائكة المنزّلين تبع بعضهم بعضا فمنهم تابعون ومتبوعون.

وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠١﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١٠٢﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلِقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٠٣﴾

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ الضمير عائد على الوعد، أو على الإمداد بالملائكة. ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النَّعَاسَ﴾ "إذ" بدل من "إذ" يعدكم"، أو منصوب بـ"النصر"، أو بما في عند الله من معنى النصر، أو بإضمار فعل تقديره: اذكر، ومن قرأ "يغشيكم" بضم الياء والتخفيف فهو من أغشى، ومن قرأ بالضم والتشديد فهو من غشي المشدد، وكلاهما يتعدى إلى مفعولين، فينصب "النعاس" على أنه المفعول الثاني، والمعنى: يغطيكم به فهو استعارة من الغشا، ومن قرأ بفتح الياء والشين فهو من غشى المتعدي إلى واحد أي: ينزل عليكم النعاس. ﴿أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ أي: أماناً، والضمير الجرور يعود على "الله" تعالى، وانتصاب "أمنة" على أنه مفعول من أجله، قال ابن مسعود رضي الله عنه: النعاس عند حضور القتال علامة أمن من العدو. ﴿وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ تعديد لنعمة أخرى؛ وذلك أنهم عدموا الماء في غزوة بدر قبل وصولهم إلى بدر، وقيل: بعد وصولهم، فأنزل الله المطر حتى سالت الأودية. ﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾ كان منهم من أصابته جنابة فتطهر به، وتوضأ به سائرهم، وكانوا قبله ليس عندهم ماء للطهور ولا للوضوء. ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ كان الشيطان قد ألقى في نفوس بعضهم وسوسته بسبب عدمهم للماء، فقالوا: نحن أولياء الله وفينا رسوله فكيف نبقي بلا ماء؟ فأنزل الله عليهم المطر وأزال عنهم وسوسة الشيطان. ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ أي: يثبتها بزوال ما وسوس لها الشيطان، وبتنشيطها وإزالة الكسل عنها. ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ الضمير في "به" عائد على "الماء"؛ وذلك أنهم كانوا في رملة دهسة لا يثبت بها قدم، فلما نزل المطر تلبدت وتدمت الطريق وسهل المشي والوقوف، وروي أن ذلك المطر بعينه صعب الطريق على المشركين، فتبين أن ذلك من لطف الله. ﴿إِذْ يُوحِي﴾ يحتمل أن يكون بدلا من "إذ" المتقدمة كما أنها بدل من التي قبلها، أو يكون العامل فيها "يثبت". ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يحتمل أن يكون هذا التثبيت بقتال الملائكة مع المؤمنين، أو بأقوال مؤنسة مقوية للقلب قالوها إذ تصوروا في صور بني آدم، أو بإلقاء في نفوس المؤمنين. ﴿سَأَلِقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ يحتمل أن يكون من خطاب الله للملائكة في شأن غزوة بدر تكميلا لتثبيت المؤمنين، أو استئناف إخبار عما يفعله الله في المستقبل. ﴿فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ يحتمل أيضا أن يكون خطابا للملائكة أو للمؤمنين، ومعنى "فوق الأعناق" أي: أعالي الأعناق حيث المفصل بين الرأس والعنق؛ لأنه مذبح، والضرب فيها يطير الرأس، وقيل: المراد الرؤوس لأنها فوق الأعناق، وقيل: المراد الأعناق، و"فوق" زائدة. ﴿كُلَّ بَنَانٍ﴾ قيل: هي المفاصل،

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ<sup>١</sup> وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٦﴾  
 ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ الْبَارِئِ ﴿١٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ  
 كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمْ إِلَّا دَبْرًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا  
 إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ<sup>٢</sup> وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٩﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ  
 وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ<sup>٣</sup> وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً  
 حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠﴾ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ ﴿٢١﴾ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا

وقيل: الأصابع وهو أشهر في اللغة، وفائدة ذلك: أن المقاتل إذا ضربت أصابعه تعطل عن القتال، فأمكن أسره  
 وقتله. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الإشارة إلى ما أصاب الكفار يوم بدر، والباء للتعليل، و"شاقوا" من  
 الشقاق وهو العداوة والمقاطعة. ﴿ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ﴾ الخطاب هنا للكفار، و"ذلكم" مرفوع تقديره: ذلكم العقاب  
 أو العذاب، ويحتمل أن يكون منصوبا بقوله "فذوقوه" كقولك: زيدا فاضربه. ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ عطف على  
 "ذلكم" على تقدير رفعه أو نصبه أو مفعول معه، والواو بمعنى مع. ﴿زَحْفًا﴾ حال من "الذين كفروا"، أو من  
 الفاعل في "لقيتم"، ومعناه: متقابلين الصفوف والأشخاص، وأصل الزحف الاندفاع. ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمْ إِلَّا دَبْرًا﴾  
 نهى عن الفرار مقيدا بأن يكون الكفار أكثر من مثلي المسلمين حسبما ذكره في موضعه. ﴿وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾  
 أي: يوم اللقاء في أي عصر كان. ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ﴾ هو الكر بعد الفر ليري عدوه أنه منهزم ثم يعطف  
 عليه؛ وذلك من الخداع في الحرب. ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ أي: منحازا إلى جماعة من المسلمين، فإن كانت  
 الجماعة حاضرة في الحرب فالتحيز إليها جائز باتفاق، واختلف في التحيز إلى المدينة والإمام والجماعة إذا لم يكن  
 شيء من ذلك حاضرا، ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: أنا فئدة لكل مسلم [ابن أبي حاتم: 8898]. وهذا  
 إباحة لذلك، والفرار من الذنوب الكبائر، وانتصب قوله "متحرفا" على الاستثناء من قوله "ومن يولهم"،  
 وقال الزمخشري: انتصب على الحال وإلا لغو، ووزن "متحيز" متفيعل، ولو كان على مفتعل لقال متحوز لأنه  
 من حاز مجوز. ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ أي: لم يكن قتلهم في قدرتكم؛ لأنهم أكثر منكم وأقوى، ولكن الله قتلهم  
 بتأييدكم عليهم بالملائكة. ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ يوم بدر قبضة من تراب أو  
 حصى ورمى بها في وجوه الكفار فانهزموا [الطبري: 205/9] فمعنى الآية: أن ذلك من الله في الحقيقة. ﴿بَلَاءً  
 حَسَنًا﴾ يعني الأجر والنصر والغنيمة. ﴿مُوهِنٌ﴾ من الوهن وهو الضعف، وقرئ بالتشديد والتخفيف،  
 والمعنى واحد. ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا﴾ الآية، خطاب لكفار قريش؛ وذلك أنهم كانوا قد دعوا إلى الله أن ينصر أحب  
 الطائفتين إليه، وروي: أن الذي دعا بذلك أبو جهل، فنصر الله المؤمنين وفتح لهم، ومعنى "إن تستفتحوا"

فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِي عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ  
 شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا  
 تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٨﴾  
 إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا  
 لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ  
 وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ۖ وَأَنَّهُ  
 إِلَيْهِ يُحْشَرُونَ ﴿٢١﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ  
 شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ  
 يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَفَاوَنَكُمُ وَأَيْدِكُمْ بِنَصْرِهِ ۖ وَزَرَقَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ لِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾  
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ

تطلبوا الفتح، ويحتمل الفتح الذي طلبوه أن يكون بمعنى النصر أو بمعنى الحكم، وقيل: إن الخطاب للمؤمنين.  
 ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ إن كان الخطاب للكفار فـ"الفتح" هنا بمعنى الحكم، أي: قد جاءكم الحكم الذي حكم الله  
 عليكم بالهزيمة والقتل والأسر، وإن كان الخطاب للمؤمنين فـ"الفتح" هنا يحتمل أن يكون بمعنى الحكم لأن الله  
 حكم لهم، أو بمعنى النصر. ﴿وَإِنْ تَنْتَهُوا﴾ أي: ترجعوا عن الكفر، وهذا يدل على أن الخطاب للكفار. ﴿وَإِنْ  
 تَعُودُوا نَعُدْ﴾ أي: إن تعودوا للاستفتاح أو للقتال نعد لقتلكم والنصر عليكم. ﴿وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ﴾ الضمير  
 لرسول الله ﷺ، أو للأمر بالطاعة. ﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ أي: تسمعون القرآن والمواعظ. ﴿كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا  
 وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ هم الكفار، أي: سمعوا بأذانهم دون قلوبهم فسمعهم كلا سماع. ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ أي: كل  
 من يدب، والمقصود أن الكفار شر الخلق، قال ابن قتبية: نزلت هذه الآية في بني عبد الدار، فإنهم جدوا في القتال  
 مع المشركين. ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ أي: للطاعة، وقيل: للجهاد لأنه يحيا بالنصر. ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ قيل:  
 يميته، وقيل: يصرف قلبه كيف يشاء، فينقلب من الإيمان إلى الكفر، ومن الكفر إلى الإيمان، وشبه ذلك.  
 ﴿فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ أي: لا تصيب الظالمين وحدهم؛ بل تصيب معهم من لم يغير المنكر  
 ولم ينه عن الظلم وإن كان لم يظلم، وحكى الطبري: أنها نزلت في علي بن أبي طالب وعمار بن ياسر وطلحة  
 والزبير ؓ، وأن الـ"فتنة" ما جرى لهم يوم الجمل، ودخلت النون في "تصيين"؛ لأنه بمعنى النهي. ﴿إِذْ أَنْتُمْ  
 قَلِيلٌ﴾ الآية، أي: حين كانوا بمكة وأواكم بالمدينة وأيدكم بنصره في بدر وغيرها. ﴿لَا تَخُونُوا﴾ نزلت في قصة

وَتُحَوِّنُوا أَمَنَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٧٧﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا أَمْوَالِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ  
عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٨﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ  
عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٧٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا  
لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿١٨٠﴾ وَإِذَا تُبْلَى  
عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ  
﴿١٨١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ  
أَوْ آتِنَا بَعْدَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٨٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ  
وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨٣﴾ وَمَا لَهُمْ ءَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

أبي لبابة رضي الله عنه حين أشار إلى بني قريظة أن ليس عند رسول الله ﷺ إلا الذبح [سعيد بن منصور: 987]. وقيل: المعنى لا تخونوا بغلول الغنائم، ولفظها عام. ﴿وَتُحَوِّنُوا﴾ عطف على "لا تخونوا"، أو منصوب. ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ أي: تفرقة بين الحق والباطل، وذلك دليل على أن التقوى تنور القلب وتشرح الصدر وتزيد في العلم والمعرفة. ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عطف على "إذ أنتم قليل" أو استئناف، وهو إشارة إلى اجتماع قريش بدار الندوة بمحضر إبليس في صورة شيخ نجدى، الحديث بطوله. ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ أي: يسجنوك. ﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا﴾ قيل: نزلت في النضر بن الحارث كان قد تعلم من أخبار فارس والروم، فإذا سمع القرآن وفيه أخبار الأنبياء قال: لو شئت لقلت مثل هذا، وقيل: هي في سائر قريش. ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: أخبارهم المسطورة. ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ﴾ الآية، قالها النضر بن الحارث، أو سائر قريش لما كذبوا النبي ﷺ دعوا على أنفسهم إن كان أمره هو الحق، والصحيح أن الذي دعا بذلك أبو جهل، رواه البخاري [4371] ومسلم [2796] في كتابيهما، وانتصب ﴿الْحَقُّ﴾ لأنه خبر "كان"، وقال الزمخشري: معنى كلامهم جحود، أي: إن كان هذا هو الحق فعاقبنا على إنكاره، ولكنه ليس بحق فلا نستوجب عقابا، وليس مرادهم الدعاء على أنفسهم، إنما مرادهم نفي العقوبة عن أنفسهم. ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ إكرام للنبي ﷺ. ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي: لو آمنوا واستغفروا فإن الاستغفار أمان من العذاب، قال بعض السلف: كان لنا أمانان من العذاب وهما وجود النبي ﷺ والاستغفار، فلما مات النبي ﷺ ذهب الأمان الواحد وبقي الآخر، وقيل: الضمير في "يعذبهم" للكفار، وفي "وهم يستغفرون" للمؤمنين الذين كانوا بين أظهرهم. ﴿وَمَا لَهُمْ ءَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ المعنى: أي شيء يمنع من عذابهم. ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ أي: يمنعون المؤمن من ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ والجملة في موضع الحال، وذلك هو الموجب لعذابهم.

وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَمَا  
 كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ  
 ﴿٦٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ  
 تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ مُخْشَرُونَ ﴿٦٩﴾ لِيَمِيزَ  
 اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ  
 فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا  
 قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَقَتَلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ  
 وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ آنتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَإِنْ  
 تَوَلَّوْا فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانِكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٣﴾ \* وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ  
 مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآبِنِ السَّبِيلِ

﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ الضمير لـ "المسجد الحرام" أو "الله تعالى". ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً﴾  
 الـ "مكاء" التصفير بالفم، والـ "تصدية" التصفيق باليد، وكانوا يفعلونها إذا صلى المسلمون ليخلطوا عليهم  
 صلاتهم. ﴿يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ الآية، نزلت في إنفاق قريش في غزوة أحد، وقيل: إنها نزلت في أبي سفيان بن  
 حرب، فإنه استأجر العير من الأحابيش فقاتل بهم النبي ﷺ يوم أحد. ﴿تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ أي: يتأسفون  
 على إنفاقها من غير فائدة، أو يتأسفون في الآخرة. ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ إخبار بالغيب. ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ  
 الطَّيِّبِ﴾ معنى "يميز" يفرق بين الخبيث والطيب، و"الخبيث" هنا الكفار و"الطيب" المؤمنون، وقيل: "الخبيث"  
 ما أنفق الكفار و"الطيب" ما أنفق المؤمنون، واللام في "ليميز" على هذا تتعلق بـ "يغلبون"، وعلى الأول  
 بـ "يخشرون". ﴿فَيَرْكُمَهُ﴾ أي: يضمه ويجعل بعضه فوق بعض. ﴿إِنْ يَنْتَهُوا﴾ يعني عن الكفر؛ لأن الإسلام  
 يجب ما قبله ولا تصح المغفرة إلا به. ﴿وَإِنْ يَعُودُوا﴾ يعني إلى القتال ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ تهديد بما  
 جرى لهم يوم بدر أو بما جرى للأمم السالفة. ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ الـ "فتنة" هنا الكفر، فالمعنى: قاتلوهم حتى  
 لا يبقى كفر، وهو كقوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله» [البخاري: 25]. ﴿مَا غَنِمْتُمْ مِنْ  
 شَيْءٍ﴾ لفظه عام يراد به الخصوص؛ لأن الأموال التي تؤخذ من الكفار منها ما يخمس؛ وهو ما أخذ على وجه  
 الغلبة بعد القتال، ومنها ما لا يخمس؛ بل يكون جميعه لمن أخذه وهو ما أخذه من كان ببلاد الحرب من غير  
 إيجاب وما طرحه العدو خوف الغرق، ومنها ما يكون جميعه للإمام يأخذ منه حاجته ويصرف سائرته في مصالح  
 المسلمين؛ وهي الفياء الذي لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب. ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ الآية، اختلف في قسم الخمس

إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ أَجْمَعِينَ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠﴾ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ۗ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۗ وَلَكِنْ لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيْنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا ۗ وَلَوْ أَرَادْنَاكُم كَثِيرًا لَفْشَلْتُمْ وَلَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٢﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ ۗ إِذِ التَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٤﴾

على هذه الأصناف، فقال قوم: يصرف على ستة أسهم؛ سهم لله في عمارة الكعبة، وسهم للنبي ﷺ في مصالح المسلمين، وقيل: للوالي بعده، وسهم لذوي القربى الذين لا تحل لهم الصدقة، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل، وقال الشافعي: على خمسة أسهم ولا يجعل لله سهما مختصا وإنما بدأ عنده بالله لأن الكل ملكه، وقال أبو حنيفة: على ثلاثة أسهم لليتامى، والمساكين، وابن السبيل خاصة. وقال مالك: الخمس إلى اجتهاد الإمام يأخذ منه كفايته ويصرف الباقي في المصالح. ﴿إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾ راجع إلى ما تقدم، والمعنى: إن كنتم مؤمنين فاعلموا ما ذكر الله لكم من قسمة الخمس واعملوا بحسب ذلك ولا تخالفوه. ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ يعني النبي ﷺ، والذي أنزل عليه القرآن أو النصر. ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ أي: التفرقة بين الحق والباطل؛ وهو يوم بدر. ﴿التَّقَىٰ الْجُمُعَانِ﴾ يعني المسلمين والكفار. ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾ العامل في "اذ" "التقى"، و"العدوة" شفير الوادي، وقرئ بالضم والكسر وهما لغتان، و"الدنيا" القريبة من المدينة، و﴿الْقُصْوَىٰ﴾ البعيدة. ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ يعني العير التي كان فيها أبو سفيان، وكان قد نكب عن الطريق خوفا من النبي ﷺ، وكان جمع قريش المشركين قد حال بين المسلمين وبين العير. ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ أي: لو تواعدتم مع قريش ثم علمتم كثرتهم وقتلكم لاختلفتم ولم تجتمعوا معهم، أو لو تواعدتم لم يتفق اجتماعكم مثل ما اتفق بتيسير الله ولطفه. ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَةٍ﴾ أي: يموت من مات ببدر عن إعدار وإقامة حجة، ويعيش من عاش بعد البيان له، وقيل: "ليهلك" يكفر. ﴿وَيَحْيَىٰ﴾ يؤمن، وقرئ ﴿مَنْ حَيَّ﴾ بالإظهار والإدغام وهما لغتان. ﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ﴾ الآية، كان رسول الله ﷺ قد رأى الكفار في نومه قليلا فأخبر بذلك أصحابه فقويت نفوسهم. ﴿لَفْشَلْتُمْ﴾ أي: جبتم عن اللقاء. ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾ الآية، معناها: أن الله أظهر

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ<sup>ط</sup> وَأَصْبِرُوا<sup>ع</sup> إِنَّ اللَّهَ مَعَ  
 الصَّابِرِينَ ﴿١٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ  
 عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ<sup>ع</sup> وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٧﴾ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا  
 غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ<sup>ط</sup> فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئْتَنَ نَكَصَ عَلَى  
 عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ<sup>ط</sup> وَإِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ<sup>ع</sup> وَاللَّهُ شَدِيدُ  
 الْعِقَابِ ﴿١٨﴾ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ<sup>ط</sup> دِينُهُمْ<sup>ط</sup> وَمَنْ  
 يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَقَّى الَّذِينَ كَفَرُوا  
 الْمَلَائِكَةَ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ  
 أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلْمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢١﴾ كَذَّابٌ ءَالٍ فِرْعَوْنَ<sup>ط</sup> وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ<sup>ع</sup>  
 كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ<sup>ط</sup> إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ  
 لَمْ يَكْ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

كل طائفة قليلة في عين الأخرى، ليقع التجاسر على القتال. ﴿رِيحُكُمْ﴾ أي: قوتكم ونشاطكم، وذلك استعارة. ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ يعني: قريشا الكفار حين خرجوا بدر. ﴿بَطْرًا﴾ أي: اعتداء وتكبرا. ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ الآية، لما خرجت قريش إلى بدر تصور لهم إبليس في صورة سراقه بن مالك، فقال لهم: إني جار لكم من قومي، وكانوا قد خافوا من قومه، ووعدهم النصر. ﴿نَكَصَ﴾ أي: رجع إلى وراء. ﴿إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ رأى الملائكة تقاتل. ﴿يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ الذين كانوا بالمدينة، وقيل: الذين كانوا مع الكفار وهم نفر من قريش منهم قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس ابن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن ربيعة بن الأسود، وعلي بن أمية بن خلف، والعاصي بن منه بن الحجاج، وكانوا قد أسلموا ولم يهاجروا وخرجوا يوم بدر مع الكفار فقالوا هذه المقالة. ﴿غَرَّ هَوَاهُ دِينُهُمْ﴾ أي: اغتر المسلمون بدينهم فأدخلوا أنفسهم فيما لا طاقة لهم به. ﴿إِذْ يَتَوَقَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ﴾ ذلك فيمن قتل يوم بدر. ﴿وَأَدْبَارَهُمْ﴾ أي: إستاهم، وقيل: ظهورهم. ﴿وَذُوقُوا﴾ هذا من قول الملائكة لهم؛ تقديره: ويقولون لهم ذوقوا، والقول المحذوف ومعموله معطوف على "يضربون"، ويحتمل أن يكون ما بعده من قول الملائكة أو يكون مستأنفا. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ﴾ تقديره عند سبويه: الأمر ذلك، والباء سببية،



كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ ۖ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ  
وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ ۖ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا  
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا  
يَتَّقُونَ ﴿٢٦﴾ فَإِنَّمَا تَتَّقِ الَّذِينَ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَن حَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكُرُونَ ﴿٢٧﴾  
وَإِنَّمَا تَخَافُ ۖ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ ﴿٢٨﴾ وَلَا  
تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقُوا ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٢٩﴾ ۖ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ  
رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ ۚ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ۖ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ  
اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٣٠﴾  
وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣١﴾ وَإِنْ  
يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ۗ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبِصْرِهِ ۖ وَإِلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٢﴾

والمعنى: أن الله لا يغير نعمة على عبده حتى يغيروا هم بالكفر والمعاصي. ﴿كذَّابٍ﴾ ذكر في آل عمران.  
﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾ يريد بني قريظة. ﴿فَشَرِّدْ بِهِمْ مَن حَلَفَهُمْ﴾ أي: افعل بهم من النعمة ما يزرع  
غيرهم. ﴿وَإِنَّمَا تَخَافُ ۖ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ﴾ أي: نقضا للعهد. ﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ أي: رد العهد الذي بينك وبينهم،  
والمفعول محذوف تقديره: فانبد إليهم عهدهم. ﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ أي: على معادلة، وقيل: معناه أن تستوي  
معهم في العلم بنقض العهد. ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقُوا﴾ أي: لا تظن أنهم فاتوا ونجوا بأنفسهم.  
﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ أي: لا يفوتون في الدنيا ولا في الآخرة. ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ﴾ الضمير للذين يبنذ لهم العهد،  
أو للذين لا يعجزون، وحكمه عام في جميع الكفار. ﴿مَنْ قُوَّةٍ﴾ قال رسول الله ﷺ: «ألا إن القوة الرمي»  
[اسلم: 1917]. ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ الزمخشري: الـ"رباط" اسم للخيل التي تربط في سبيل الله، ابن عطية:  
"رباط" جمع ربط، أو مصدر. ﴿عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ يعني الكفار. ﴿وَأَخَرِينَ﴾ يعني: المنافقين، وقيل:  
بني قريظة، وقيل: الجن؛ لأنها تنفر من سهيل الخيل، وقيل: فارس؛ والأول أرجح لقوله: ﴿مَرَدُوا عَلَىٰ  
النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾. قال السهيلي: لا ينبغي أن يقال فيهم شيء؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿لَا  
تَعْلَمُونَهُمْ﴾ فكيف يعلمهم أحد؟ وهذا لا يلزم؛ لأن معنى قوله: "لا تعلمونهم": لا تعرفونهم، أي: لا  
تعرفون أحادهم وأعيانهم، وقد يعرف صنفهم بين الناس، ألا ترى أنه قال مثل ذلك في المنافقين! ﴿وَإِنْ جَنَحُوا  
لِلْسَّلْمِ﴾ "السلم" هنا المهادنة، والآية منسوخة بآية القتال في براءة؛ لأن مهادنة كفار العرب لا تجوز.

وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ<sup>٤</sup> لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ حَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ  
 اللَّهُ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ<sup>٥</sup> إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٣﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ<sup>٦</sup> حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ  
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ<sup>٧</sup> حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ  
 صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ<sup>٨</sup> وَإِنْ تَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ  
 قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٥﴾ أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ تَكُنْ  
 مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ<sup>٩</sup> وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ  
 مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيِّ<sup>١٠</sup> أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ  
 تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٧﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ  
 سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا عَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ  
 إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ<sup>١١</sup> قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ  
 اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ قيل: بين قلوب الأوس والخزرج، إذ كانت بينهما عداوة فذهبت بالإسلام، واللفظ عام. ﴿وَمَنِ اتَّبَعَكَ﴾ عطف على اسم الله، وقال الزمخشري: مفعول معه، والواو بمعنى مع، أي: حسبك وحسب من اتبعك الله. ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ﴾ الآية، إخبار يتضمن وعدا بشرط الصبر ووجوب ثبوت الواحد للعشرة، ثم نسخ بوجوب ثبوت الواحد للآخرين. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي: يقاثلون على غير دين ولا بصيرة فلا يثبتون. ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَى﴾ الآية، لما أخذ الأسرى يوم بدر أشار أبو بكر الصديق رضي الله عنه بحياتهم وأشار عمر رضي الله عنه بقتلهم، فنزلت الآية عتابا على استبقائهم [مسلم: 1763]. ﴿حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: يبالغ في القتال. ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ عتاب لمن رغب في فداء الأسرى. ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ الـ"كتاب" ما قضاه الله في الأزل من العفو عنهم، وقيل: ما قضاه من تحليل الغنائم لهم. ﴿فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ يراد به الأسرى وفداؤهم، لما نزلت الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو نزل عذاب ما نجا منه غيرك يا عمر» [ابن أبي حاتم: 10019]. ﴿فَكُلُوا مِمَّا عَنِمْتُمْ﴾ إباحة للغنائم وفداء الأسارى. ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ أي: إن علم في قلوبكم إيمانا جبر عليكم ما أخذ منكم من الفدية، قال العباس رضي الله عنه: في نزلت، وكان افتدي يوم بدر، ثم أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المال

وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦١﴾  
 إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا  
 وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ  
 مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ  
 وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٦٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۗ إِلَّا  
 تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا  
 وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ هُمْ الْمُمُونُونَ حَقًّا هُمْ مَغْفِرَةٌ  
 وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأَوْلِيَّكَ  
 مِنْكُمْ ۗ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٥﴾

ما لم يقدر أن يحمله، فقال: قد أعطاني الله خيرا مما أخذ مني، وأنا أرجو أن يغفر لي [الحاكم 5409]. ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ﴾ الآية، تهديد لهم. ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا﴾ إلى آخر السورة مقصودها: بيان منازل المهاجرين والأنصار، والذين آمنوا ولم يهاجروا، والذين هاجروا بعد الحديبية؛ فبدأ أولا بالمهاجرين، ثم ذكر الأنصار وهم الذين آووا ونصروا، وأثبت الولاية بينهم، وهي ولاية التعاون والتناصر، وقيل: هي ولاية الميراث، ثم نسخت بقوله: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾. ﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ﴾ لما نفى الولاية بين المؤمنين الذين هاجروا وبين المؤمنين الذين لم يهاجروا، أمر بنصرهم إذا استنصروا بالمؤمنين إلا إذا استنصروا على قوم بينهم وبين المؤمنين عهد فلا ينصرونهم عليهم. ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ﴾ "إلا" هنا مركبة من إن الشرطية ولا النافية، والضمير في "تفعلوه" لولاية المؤمنين ومعاونتهم، أو لحفظ الميثاق الذي في قوله "إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق"، أو للنصر الذي في قوله: "فعلیکم النصر"، والمعنى: إن لم تفعلوا ذلك تكن فتنة في الأرض. ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا﴾ الآية، ثناء على المهاجرين والأنصار ووعدهم، والرزق الكريم في الجنة. ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ﴾ يعني الذين هاجروا من بعد الحديبية وبيعة الرضوان. ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ قيل: هي ناسخة للتوارث بين المهاجرين والأنصار، وقال مالك: ليست في الميراث، وقال أبو حنيفة: هي في الميراث وأوجب بها ميراث الخال والعمة وغيرهما من ذوي الأرحام. ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي: في القرآن، وقيل: في اللوح المحفوظ.

بِرَاءَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٠﴾ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ  
 أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ۗ وَأَنَّ اللَّهَ مُحْزِي الْكٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ  
 وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ۗ

## سورة براءة

وتسمى سورة التوبة، وتسمى أيضا الفاضحة؛ لأنها كشفت أسرار المنافقين، واتفقت المصاحف والقراء على إسقاط البسملة من أولها، واختلف في سبب ذلك؟ فقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: أشبهت معانيها معاني الأنفال، وكانت تدعى القريتين في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلذلك قرنت بينهما، ووضعتهما في السبع الطوال وكان الصحابة قد اختلفوا: هل هما سورتان أو سورة واحدة؟ فتركت البسملة بينهما لذلك. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: البسملة أمان، وبراءة نزلت بالسيف؛ فلذلك لم تبدأ بالأمان. ﴿بِرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ المراد بال"براءة" التبرؤ من المشركين، وارتفاع "براءة" على أنه خبر ابتداء أو مبتدأ. ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ تقدير الكلام: براءة واصلة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين، ف"من" و"إلى" يتعلقان بمحذوف لا بـ"براءة"، وإنما أسند العهد إلى المسلمين في قوله "عاهدتم"؛ لأن فعل النبي صلى الله عليه وسلم لازم للمسلمين فكأنهم هم الذين عاهدوا المشركين، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد عاهد المشركين إلى آجال محددة، فمنهم من وفي فأمره الله أن يتم عهده إلى مدته، ومنهم من نقض أو قارب النقض، فجعل له أجل أربعة أشهر، وبعدها لا يكون له عهد. ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: سيروا آمنين أربعة أشهر، هي الأجل الذي جعل لهم، واختلف في وقتها، فقيل: هي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم؛ لأن السورة نزلت حينئذ، وذلك عام تسعة. وقيل: هي من عيد الأضحى إلى تمام العشر الأول من ربيع الآخر؛ لأنهم إنما أعلموا بذلك حينئذ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث تلك السنة أبا بكر الصديق رضي الله عنه فحج بالناس، ثم بعث بعده علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقرأ على الناس سورة براءة يوم عرفة، وقيل: يوم النحر. ﴿غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ أي: لا تفوتونه. ﴿وَأَذَانٌ﴾ أي: إعلام بتبرئ الله تعالى ورسوله من المشركين. ﴿إِلَى النَّاسِ﴾ جعل البراءة مختصة بالمعاهدين من المشركين، وجعل الإعلام بالبراءة عاما لجميع الناس، من عاهد ومن لم يعاهد، وللمشركين وغيرهم. ﴿الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ هو يوم عرفة أو يوم النحر، وقيل: أيام الموسم كلها، وعبر عنها بـ"يوم" كقولك: يوم صفين والجمل، وكانت أياما كثيرة. ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ﴾ تقديره: أذان بأن الله بريء، وحذفت الباء تخفيفا، وقرئ "إن الله" بالكسر؛ لأن الأذان في معنى القول. ﴿وَرَسُولُهُ﴾ ارتفع بالعطف على الضمير في "بريء"، أو بالعطف على موضع اسم "أن"، أو بالابتداء وخبره محذوف، وقرئ بالنصب عطفا على اسم "أن"، وأما الخفض فلا يجوز فيه بالعطف على "المشركين"؛ لأنه معنى فاسد، ويجوز على الجوار

فَإِنْ تَبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُواكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهَرُوا عَلَيْكُمْ وَأَحَدًا فَأْتُمُوا إِلَيْهِمْ وَعَاهَدُهُمْ إِلَىٰ مَدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ مُحِيبٌ الْمُتَّقِينَ ﴿٤١﴾ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا هُمُومًا إِنَّ اللَّهَ مُحِيبٌ الْمُتَّقِينَ ﴿٤٥﴾ كَيْفَ

أو على القسم؛ وهو مع ذلك بعيد والقراءة به شاذة. ﴿فَإِنْ تَبْتُمْ﴾ يعني التوبة من الكفر. ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ﴾ يريد الذين لم ينقضوا العهد. ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ﴾ هي الأشهر الأربعة التي جعلت لهم، فمن قال: إنها شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، فهي الحرم المعروفة، زاد فيها شوال ونقص منها رجب، وسميت حرما تغليبا للأكثر، ومن قال: إنها إلى ربيع الثاني، فسميت حرما لحرمتها ومنع القتال فيها حينئذ. ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ ناسخة لكل موادة في القرآن، وقيل: إنها نسخت أيضا: ﴿فَإِذَا مَنَّ اللَّهُ عَلَىٰ الْأَسِيرِ﴾ كل طريق، ونصبه على الظرفية. ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ يريد من الكفر ثم قرن بالإيمان الصلاة والزكاة، فذلك دليل على قتال تارك الصلاة والزكاة كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه، والآية في معنى قوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا "لا إله إلا الله"، ويقوموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة» [البخاري: 25]. ﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ تأمين لهم. ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ هو من الجوار، أي: استأمنك فأمنه حتى يسمع القرآن ليرى هل يسلم أم لا؟ ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ أي: إن لم يسلم فرده إلى موضعه، وهذا الحكم ثابت عند قوم، وقال قوم: نسخ بالقتال، وقيل: بقي مدة الأشهر الأربعة. ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾ لفظه استفهام، ومعناه إنكار واستبعاد. ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ قيل: المراد قريش، وقيل: قبائل بني بكر. ﴿فَمَا اسْتَقْتُمُوا﴾ "ما" ظرفية. ﴿كَيْفَ﴾ تأكيد للأولى، وحذف الفعل بعدها للعلم به، تقديره: كيف يكون لهم عهد؟

وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ  
 وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ أَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ۗ إِنَّهُمْ  
 سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ۗ وَأُولَئِكَ هُمُ  
 الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ  
 وَتُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي  
 دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا  
 تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ  
 أَنْتُمْ خَشِيتُمُوهُمْ ۗ قَالَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ  
 بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبَ غِظَ  
 قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا  
 يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ  
 وَلِجَهَّةٍ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ

﴿لَا يَرْقُبُوا﴾ أي: لا يراعوا. ﴿إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ الإل: القرابة، وقيل: الحلف، والذمة: العهد. ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾  
 استثنى من قضي له منهم بالإيمان. ﴿أُمَّةَ الْكُفْرِ﴾ أي: رؤساء أهله، قيل: إنهم أبو جهل، وأمية بن خلف، وعتبة  
 ابن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، وسهيل بن عمرو، حكى ذلك الطبري وهو ضعيف؛ لأن أكثر هؤلاء كان قد  
 مات قبل نزول هذه السورة؛ والأحسن أنها على العموم. ﴿لَا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ أي: لا إيمان لهم يوفون بها، وقرئ "لا  
 إيمان" بكسر الهمزة. ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ يتعلق "بقاتلوا". ﴿وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ قيل: يعني إخراجه من المدينة  
 حين قاتلوه بأحد والخندق، وقيل: يعني إخراجه من مكة إذ تشاوروا فيه بدار الندوة ثم خرج هو بنفسه. ﴿وَهُمْ  
 بَدءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يعني: إذ ائتمهم للنبي ﷺ والمسلمين بمكة. ﴿يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ يريد بالقتل والأسر،  
 وفي ذلك وعد للمسلمين بالظفر. ﴿قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ قيل: إنهم خزاعة، والإطلاق أحسن. ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ﴾ استئناف  
 إخبار بأن الله يتوب على بعض هؤلاء الكفار فيسلم. ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ الآية، معناها: أن الله لا يتركهم دون تمحيص  
 يظهر به الطيب من الخبيث، و"أم" هنا بمعنى: بل والهمزة. و﴿يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ أي: يعلم ذلك موجودا لتقوم به  
 الحجة. ﴿وَلِجَهَّةٍ﴾ أي: بطانة. ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ أي: ليس لهم ذلك بالحق

شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ ۗ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الْبَنَارِ هُمْ يَخْلَدُونَ ﴿١٧٧﴾  
 إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَن - أَمَنَ - بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ  
 وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ ۗ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٧٨﴾ \* أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ  
 الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَن - أَمَنَ - بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۗ  
 لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٧٩﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا  
 وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ  
 الْفَائِزُونَ ﴿١٨٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتٍ هُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿١٨١﴾  
 خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۗ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا  
 ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ ۗ أَوْلِيَاءَ ۗ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ  
 فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٨٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ  
 وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ  
 إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ ۗ فَتَرْتَضُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ  
 لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٨٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۗ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ

والواجب، وإن كانوا قد عمروها تغلبوا وظلما، ومن قرأ "مساجد" بالجمع أراد جميع المساجد، ومن قرأ بالتوحيد  
 أراد المسجد الحرام. ﴿شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ﴾ أي: أن أحوالهم وأقوالهم تقتضي الإقرار بالكفر،  
 وقيل: الإشارة إلى قولهم في التلبية: لا شريك لك إلا شريك هو لك. ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ الآية، سببها:  
 أن قوما من قريش افتخروا بسقاية الحاج وبيعارة المسجد الحرام، فبين الله أن الجهاد أفضل من ذلك. ونزلت  
 الآية في علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبه رضي الله عنهم افتخروا، فقال طلحة: أنا صاحب  
 البيت وعندني مفاتيحه، وقال العباس رضي الله عنه: أنا صاحب السقاية، وقال علي رضي الله عنه: لقد أسلمت قبل الناس  
 وجاهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. ﴿لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ﴾ الآية، قيل: نزلت فيمن ثبت عن الهجرة، ولفظها عام،  
 وكذلك حكمها. ﴿فَتَرْتَضُوا﴾ وعيد لمن أثار أهله أو ماله أو مسكنه على الهجرة والجهاد. ﴿بِأَمْرِهِ﴾ قيل: هو  
 فتح مكة، وقيل: هو إشارة إلى عذاب أو عقوبة. ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ عطف على "مواطن"، أو منصوب بفعل

إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْرِبِينَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾

مضمراً، وهو أحسن لوجهين؛ أحدهما: أن قوله "إذ اعجبتكم كثرتكم" مختص بحنين، ولا يصح في غيره من المواطن، فيضعف عطف "يوم حنين" على "المواطن" للاختلاف الذي بينها في ذلك. والآخر: أن الـ"مواطن" ظرف مكان، و"يوم حنين" ظرف زمان، فيضعف عطف أحدهما على الآخر، إلا أن يريد بالـ"مواطن" الأوقات. و"حنين" اسم علم لموضع عرف برجل اسمه حنين، وانصرف لأنه مذكر. ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ كانوا يومئذ اثني عشر ألفاً، فقال بعضهم: لن نغلب اليوم من قلة، فأراد الله إظهار عجزهم ففر الناس عن رسول الله ﷺ حتى بقي على بغلته في نفر قليل، ثم استنصر بالله وأخذ قبضة من تراب فرمى بها وجه الكفار، وقال: «شاهت الوجوه»، ونادى أصحابه فرجعوا إليه وهزم الله الكفار [اسلم: 1777]. وقصة حنين المذكورة في السير. ﴿بِمَا رَحِبَتْ﴾ أي: ضاقت على كثرة اتساعها، و"ما" هنا مصدرية. ﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ يعني الملائكة. ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ﴾ إشارة إلى إسلام هوازن الذين قاتلوا المسلمين بحنين. ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ قيل: إن نجاستهم بكفرهم، وقيل: بالجنابة. ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ نص على منع المشركين وهم عبدة الأوثان من المسجد الحرام، فأجمع العلماء على ذلك، وقاس مالك على المشركين سائر الكفار من أهل الكتاب وغيرهم، وقاس على المسجد الحرام سائر المساجد، فمنع جميع الكفار من جميع المساجد، وجعلها الشافعي عامة في الكفار، خاصة بالمسجد الحرام، فمنع جميع الكفار من دخول المسجد الحرام خاصة وأباح لهم دخول غيره، وقصرها أبو حنيفة على موضع النص، فمنع المشركين خاصة من دخول المسجد الحرام خاصة، وأباح لهم دخول سائر المساجد، وأباح دخول أهل الكتاب في المسجد الحرام وغيره. ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ يريد عام تسعة من الهجرة، حين حج أبو بكر رضي الله عنه بالناس، وقرأ عليهم علي رضي الله عنه سورة براءة. ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ أي: فقرا، كان المشركون يجلبون الأطعمة إلى مكة فخاف الناس قلة القوات بها إذ منع المشركون منها، فوعدهم الله بأن يغنيهم من فضله، فأسلمت العرب كلها، وتمادى جلب الأطعمة إلى مكة، ثم فتح الله للمسلمين سائر الأمصار.



قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا  
يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ  
صَاغِرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ  
قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْتَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿١٠٧﴾

﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ أمر بقتال أهل الكتاب، ونفى عنهم الإيمان بالله لقول اليهود:  
عزير ابن الله، وقول النصارى: المسيح ابن الله، ونفى عنهم الإيمان باليوم الآخر؛ لأن اعتقادهم فيه فاسد، فإنهم  
لا يقولون بالمعاد الجسماني. ﴿ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ لأنهم يستحلون الميتة والدم ولحم الخنزير وغير  
ذلك. ﴿ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ ﴾ أي: لا يدخلون في دين الإسلام. ﴿ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ بيان للذين أمر  
بقتالهم وحين نزلت هذه الآية خرج رسول الله ﷺ إلى غزوة تبوك لقتال النصارى. ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ ﴾ اتفق  
العلماء على قبول الجزية من اليهود والنصارى، ويلحق بهم المجوس؛ لقوله ﷺ «سنوا بهم سنة أهل الكتاب»  
[الموطأ: 616]. واختلفوا في قبولها من عبدة الأوثان والصابئين، ولا تؤخذ من النساء والصبيان والمجانين. وقدرها  
عند مالك أربعة دنانير على أهل الذهب، وأربعون درهما على أهل الورق، ويؤخذ ذلك من كل رأس. ﴿ عَنِ  
يَدٍ ﴾ فيه تأويلان؛ أحدهما: دفع الذمي لها بيده لا يبعثها مع أحد ولا يمطل بها، كقولك: يدا بيد، الثاني: عن  
انقياد واستسلام كقولك: ألقى فلان بيده. ﴿ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ أي: أذلاء. ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ ﴾ قال  
ابن عباس رضي الله عنه: إن هذه المقالة قالها أربعة من اليهود؛ وهم سلام بن مشكم، ونعمان بن أوفى، وشاس بن قيس،  
ومالك بن الصيف. وقيل: لم يقلها إلا فنحاص؛ ونسب ذلك إلى جميعهم لأنهم متبعون لمن قالها؛ والظاهر أن  
جماعتهم قالوها إذ لم ينكروها حين نسبت إليهم. وكان سبب قولهم ذلك أنهم فقدوا التوراة، فحفظها الله عزيرا  
وحده، فعلمها لهم، فقالوا: ما علم الله عزيرا التوراة إلا أنه ابنه، و"عزير" مبتدأ و"ابن الله" خبره، ومنع "عزير"  
التنوين لأنه أعجمي لا ينصرف، وقيل: بل هو منصرف، وحذف التنوين لالتقاء الساكنين؛ وهو ضعيف، وأما  
من نونه فجعله عربيا. ﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ قال أبو المعالي: أطبقت النصارى على أن المسيح إله  
وابن إله، وذلك كفر شنيع. ﴿ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ يتضمن معنيين؛ أحدهما: إلزامهم هذه المقالة والتأكيد في ذلك، والثاني:  
أنهم لا حجة لهم عليه، وإنما هو مجرد دعوى، كقولك لمن تكذبه: هذا قولك بلسانك. ﴿ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ  
كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ﴾ معنى "يضاهون" يشابهون، فإن كان الضمير لليهود والنصارى فالإشارة بقوله "الذين كفروا"  
من قبل "للمشركين من العرب إذ قالوا: الملائكة بنات الله، وهم أول كافر، أو للصابئين، أو لأمم متقدمة. وإن  
كان الضمير للمعاصرين للنبي ﷺ من اليهود والنصارى فالذين كفروا من قبل "هم أسلافهم المتقدمون."  
﴿ قَاتَلْتَهُمُ اللَّهُ ﴾ دعاء عليهم، وقيل: معناه لعنهم الله. ﴿ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ تعجب كيف يصرفون عن الحق والصواب.

اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۗ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ سُبْحٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٦٠﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٦١﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۗ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١٦٢﴾ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيُصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٦٣﴾ يَوْمَ نَحْمِي عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ ۗ هٰذَا مَا كَتَرْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿١٦٤﴾ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ ۗ مِنهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۗ ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۗ

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا ﴾ أي: أطاعوهم كما يطاع الرب وإن كانوا لم يعبدوهم. ﴿ وَالْمَسِيحَ ﴾ معطوف على الأحبار والرهبان. ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ﴾ أي: أمرهم بذلك عيسى ومحمد صلى الله عليهما. ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ ﴾ أي: يريدون أن ييطلوا نبوة محمد ﷺ، وما جاء به من عبادة الله وتوحيده. ﴿ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ إشارة إلى أقوالهم كقولهم: ساحر وشاعر، وفيه أيضا إشارة إلى ضعف حيلتهم فيما أرادوا. ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ الضمير للرسول ﷺ أو للدين، وإظهاره جعله أعلى الأديان وأقواها حتى يعم المشارق والمغرب، وقيل: ذلك عند نزول عيسى ابن مريم حتى لا يبقى دين إلا دين الإسلام. ﴿ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ﴾ هي الرشوة على الأحكام وغير ذلك. ﴿ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ﴾ ورد في الحديث: «أن كل ما أدت زكاته فليس بكنز، وما لم تؤد زكاته فهو كنز» [سنن البيهقي: 7023]. وقال أبو ذر ؓ وجماعة من الزهاد: كل ما فضل عن حاجة الإنسان فهو كنز. ﴿ وَلَا يُنْفِقُونَهَا ﴾ الضمير للأموال والكنوز التي يتضمنها المعنى، وقيل: هي الفضة واكتفى بذلك عن الذهب إذ الحكم فيهما واحد. ﴿ يَوْمَ نَحْمِي ﴾ العامل في الظرف "اليوم"، أو محذوف. ﴿ عَلَيْهَا ﴾ الضمير يعود على ما يعود عليه ضمير "ينفقونها". ﴿ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾ هي الأشهر المعروفة؛ أولها المحرم وآخرها ذو الحجة، وكان الذي جعل المحرم أول شهر من العام عمر بن الخطاب ؓ. ﴿ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ أي: في اللوح المحفوظ، وقيل: في القرآن؛ والأول أرجح لقوله ﴿ يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ ﴾. ﴿ مِنهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم. ﴿ ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ يعني أن تحريم الأشهر

فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِ أَنْفُسَكُمْ ۖ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتَلُونَكُمْ كَافَّةً  
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٤٦﴾ إِنَّمَا النَّسِيُّ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ  
كَفَرُوا مَحِلُّونَهُ عَامًا وَمُحَرَّمُونَهُ عَامًا لِيُؤَاطِعُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ  
اللَّهُ ۗ زَيْنٌ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ يَتَأَيَّهَا  
الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قَلْتُمْ ۗ إِلَى الْأَرْضِ  
أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۗ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلًا  
﴿١٤٨﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَنْصُرُوهُ شَيْئًا  
وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٩﴾ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ  
كَفَرُوا ثَانِيًا أَتَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْبَغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعَنَا ۗ

الحرم هو الدين المستقيم دين إبراهيم وإسماعيل، وكانت العرب قد تمسكت به حتى غيره بعضهم. ﴿فَلَا تَظْلِمُوا  
فِيهِ أَنْفُسَكُمْ﴾ الضمير في قوله "فيهن" للأشهر الحرم تعظيماً لأمرها وتغليظاً للذنوب فيها، وإن كان الظلم  
ممنوعاً في غيرها، وقيل: الضمير للإثني عشر شهراً وهي الزمان كله؛ والأول أظهر. ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾  
أي: قاتلوهم في الأشهر الحرم، فهذا نسخ لتحريم القتال فيها، و"كافة" حال من الفاعل أو المفعول. ﴿إِنَّمَا  
النَّسِيُّ﴾ هو تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر، وذلك أن العرب كانوا أصحاب حروب وإغارات، وكانت محرمة  
عليهم في الأشهر الحرم، فيشق عليهم تركها فيجعلونها في شهر حرام، ويحرمون شهراً آخر بدلاً منه، فربما أحلوا  
المحرم وحرموا صفر حتى يكملوا في العام أربعة أشهر محرمة. ﴿يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾ أي: تارة يحلونه  
وتارة يحرمونه، ولم يرد العام حقيقة. ﴿لِيُؤَاطِعُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ أي: ليوافقوا عدد الأشهر الحرم وهي الأربعة.  
﴿فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ يعني إحللهم القتال في الأشهر الحرم. ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا﴾ عتاب لمن تخلف  
عن غزوة تبوك. ﴿أَنَا قَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ عبارة عن تخلفهم، وأصل "أنا قلتم" تناقستم. ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ﴾  
شرط وجزاء، وهذا العذاب في الدنيا أو في الآخرة. ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ شرط وجواب، والضمير  
لرسول الله ﷺ. فإن قيل: كيف ارتبط هذا الشرط مع جوابه؟ فالجواب: أن المعنى إن لم تنصروه أنتم، فسينصره الله  
الذي نصره حين كان ثاني اثنين، فدل بقوله "فقد نصره الله" على نصره في المستقبل. ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾  
يعني خروجه من مكة مهاجراً إلى المدينة وأسند إخراجاً إلى الكفار؛ لأنهم فعلوا معه من الأذى ما اقتضى خروجه.  
﴿ثَانِيًا أَتَيْنِ﴾ هو وأبو بكر الصديق ﷺ. ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ﴾ يعني أبا بكر ﷺ. ﴿إِنَّا اللَّهُ مَعَنَا﴾ يعني

فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٢٨﴾ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٩﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۗ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَحَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٣٠﴾ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِي لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمُ الْكَاذِبِينَ ﴿١٣١﴾ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١٣٢﴾

بالنصر واللطف. ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ الضمير للرسول ﷺ، وقيل: لأبي بكر ؓ؛ لأن النبي ﷺ لم تزل معه السكينة، ويضعف ذلك بأن الضمائر بعدها للرسول عليه الصلاة والسلام. ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ يعني الملائكة يوم بدر وغيره. ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ﴾ يريد بإذلالها ودحضها. ﴿وَكََلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ قيل: هي "لا إله إلا الله"، وقيل: الدين كله. ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ أمر بالنفير إلى الغزو، والخفة استعارة لمن يمكنه السفر بسهولة، والثقل من يمكنه بصعوبة، وقال بعض العلماء: الخفيف الغني والثقل الفقير، وقيل: الخفيف الشاب والثقل الشيخ، وقيل: الخفيف النشط والثقل الكسلان؛ وهذه الأقوال أمثلة في الثقل والخفة، وقيل: إن هذه الآية منسوخة بقوله ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ﴾ الآية. ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾ الآية، نزلت هي وكثير مما بعدها في هذه السورة في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، وذلك أنها كانت إلى أرض بعيدة وكانت في شدة الحر وطيب الثمار والظلال فثقلت عليهم، فأخبر الله في هذه الآية أن السفر لو كان لعرض من الدنيا أو إلى مسافة قريبة لفعلوه. ﴿بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ أي: الطريق والمسافة. ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ إخبار بغيب وهو أنهم يعتذرون بأعذار كاذبة ويحلفون. ﴿يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب أو بتخلفهم عن الغزو. ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ﴾ الآية، كان بعض المنافقين قد استأذن النبي ﷺ في التخلف عن غزوة تبوك، فأذن لهم فعاتبه الله تعالى على إذنه لهم، وقدم العفو على العتاب إكراما له ﷺ، وقيل: إن قوله "عفا الله عنك" ليس للذنوب ولا عتاب، ولكنه استفتاح كلام كما تقول: أصلحك الله. ﴿حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِي لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمُ الْكَاذِبِينَ﴾ كانوا قد قالوا نستأذنه في القعود، فإن أذن لنا قعدنا، وإن لم يأذن لنا قعدنا، وإنما كان يظهر الصدق من الكذب لو لم يأذن لهم، فحيثئذ كان يقعد العاصي والمنافق ويسافر المطيع. ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ الآية، أي: لا يستأذنك في التخلف عن الغزو لغير عذر

إِنَّمَا يَسْتَلْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَبِّهِمْ  
 يَتَرَدَّدُونَ ﴿١٦﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ  
 وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿١٧﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا  
 خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ لَقَدْ ابْتَغَوْا  
 الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿١٩﴾  
 وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أُنْذِنَ لِي وَلَا تَفْتِنِي ۗ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ  
 بِالْكَافِرِينَ ﴿٢٠﴾ إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۗ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا  
 أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٢١﴾ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا  
 وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٢٢﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ ۗ

من يؤمن بالله واليوم الآخر. ﴿وارتابت قلوبهم﴾ أي: شكّت. ونزلت الآية في عبد الله بن أبي بن سلول  
 والجد بن قيس. ﴿ولو أرادوا الخروج﴾ الآية، أي لو كانت لهم نية في الغزو لاستعدوا له قبل أوامره.  
 ﴿انبعاثهم﴾ أي خروجهم. ﴿ثبّطهم﴾ أي: كسر عزمهم، وجعل في قلوبهم الكسل. ﴿وقيل اقعدوا﴾ يحتمل  
 أن يكون القائل لهم "اقعدوا" هو الله تعالى؛ وذلك عبارة عن قضائه عليهم بالعود، ويحتمل أن يكون ذلك  
 من قول بعضهم لبعض. ﴿مع القاعدین﴾ أي: مع النساء والصبيان وأهل الأعدار، وفي ذلك ذم لهم لاختلاطهم  
 في القعود مع هؤلاء. ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً﴾ أي: شرا وفسادا. ﴿ولأضعوا﴾ أي: أسرعوا  
 السير، والإيضاع سرعة السير، والمعنى: أنهم يسرعون بالفساد والنميمة. ﴿خلالكم﴾ أي: بينكم ﴿يبغونكم﴾  
 الفتنّة﴾ أي: يحاولون أن يفتنوكم. ﴿سماعون لهم﴾ قيل: يسمعون كلامهم، وقيل: يسمعون أخبارهم  
 وينقلونها إليهم. ﴿لقد ابتغوا الفتنّة من قبل﴾ أي: طلبوا الفساد، وروي: أنها نزلت في عبد الله بن أبي  
 وأصحابه من المنافقين. ﴿وقلبوا لك الأمور﴾ أي: دبروها من كل وجه فأبطل الله سعيهم. ﴿ومنهم من يقول  
 انذني ولا تفتني﴾ لما دعا النبي ﷺ الناس إلى غزوة تبوك قال الجد بن قيس وكان من المنافقين: انذني في  
 القعود ولا تفتني برؤية نبات الأصفر؛ فإني لا أصبر عن النساء. ﴿ألا في الفتنّة سقطوا﴾ أي: وقعوا في الفتنّة  
 التي فروا منها. ﴿إن تصيبك حسنة تسؤهم﴾ الـ "حسنة" هنا النصر والغنيمة وشبه ذلك. ﴿يقولوا قد أخذنا  
 أمراً﴾ أي: حذرنا وتأهبنا من قبل. ﴿قل لئن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا﴾ أي: ما قدر وقضى، وهذا رد على  
 المنافقين. ﴿قل هل ترصدون بنا إلا إحدى الحسينين﴾ أي: هل تنتظرون بنا إلا أحد أمرين؛ إما الظفر والنصر،

وَنَحْنُ نَرْتَبِصُ بِكُمْ ۗ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ ۗ أَوْ بِأَيْدِينَا ۗ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ ۗ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ ۗ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ ۗ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ ۗ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۗ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٢٨﴾ وَخَلِفُونَ ۗ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ ۗ وَمَا هُمْ بِمِنْكُمْ ۗ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٢٩﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَغْرَاتٍ أَوْ مُدْخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٣٠﴾ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَحْطُونَ ﴿٣١﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُوتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَرَسُولُهُ ۗ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ ۞ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ

وإما الموت في سبيل الله، وكل واحد من الخصلتين حسن. ﴿بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ﴾ المصائب وما ينزل من السماء، أو عذاب الآخرة. ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ يعني القتل. ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ تهديد. ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ﴾ تضمن الأمر هنا معنى الشرط فاحتاج إلى الجواب، والمعنى: لن يتقبل منكم سواء أنفقتم طوعاً أو كرهاً، والطوع والكره عموم في الإنفاق، أي: لن يتقبل على كل حال. ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾ الآية، تعليل لعدم قبول نفقاتهم بكفرهم، ويحتمل أن يكون "أنهم كفروا" فاعل "ما منعهم"، أو في موضع مفعول من أجله والفاعل الله. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا﴾ قيل: عذابهم في الدنيا بالمصائب، وقيل: بسا الزموا من أداء الزكاة. ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ إخبار بأنهم يموتون على الكفر. ﴿وَخَلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ﴾ أي: من المؤمنين. ﴿يَفْرُقُونَ﴾ أي: يخافون. ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأًا﴾ أي: ما يلجؤون إليه من المواضع. ﴿أَوْ مَغْرَاتٍ﴾ هي الغيران في الجبال. ﴿أَوْ مُدْخَلًا﴾ وزنه مفتعل من الدخول، ومعناه: نفق أو سرب في الأرض. ﴿يَجْمَحُونَ﴾ أي: يسارعون. ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ أي: يعيبك على قسمتها، والآية في المنافقين كالتي قبلها وبعدها، وقيل: هي في ذي الخويصرة الذي قال: اعدل يا محمد، فإنك لم تعدل! ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا﴾ الآية، ترغيب لهم فيها هو خير لهم، وجواب "لو" محذوف تقديره: لكان ذلك خيراً لهم. ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ الآية، "إنما" هنا تقتضي حصر "الصدقات"، وهي الزكاة في هذه الأصناف الثمانية؛

وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهِمْ وَالْمَوْلَافَةَ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ  
 فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢١٧﴾ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ  
 هُوَ أَذُنٌ قُلُوبِهِمْ خَيْرٌ لَّكُمْ يَوْمِنُ بِاللَّهِ وَيَوْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ  
 وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١٨﴾ تَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ  
 وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢١٩﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن  
 مُّحَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٢٢٠﴾

فلا يجوز أن يعطى منها غيرهم، ومذهب مالك أن تفريقها في هذه الأصناف إلى اجتهاد الإمام، فله أن يجعلها في بعضهم دون بعض، ومذهب الشافعي أنه يجب أن تقسم على جميع هذه الأصناف بالسواء. واختلف العلماء هل الفقير أشد حاجة من المسكين أو بالعكس؟ وقيل: هما سواء. وقيل: الفقير الذي يسأل الناس ويُعلم حاله، والمسكين ليس كذلك. ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهِمْ﴾ الذين يقبضونها ويفرقونها. ﴿وَالْمَوْلَافَةَ قُلُوبِهِمْ﴾ كفار يعطون ترغيباً في الإسلام. وقيل: هم مسلمون يعطون ليتمكن إيمانهم، واختلف هل بقي حكمهم، أو سقط للاستغناء عنهم؟ ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ يعني العبيد يشترطون ويعتقون. ﴿وَالْغُرَمِينَ﴾ يعني من كان عليه دين، ويشترط أن يكون استدان في غير فساد ولا سرف. ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني الجهاد، فيعطى منها المجاهدون، ويشترط أن يكون استدان في غير فساد ولا سرف. واختلف هل تصرف في بناء الأسوار وإنشاء الأساطيل؟ ﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ هو الغريب المحتاج. ﴿فَرِيضَةٌ﴾ أي: حقاً محدوداً، ونصبه على المصدر، فإن قيل: لم ذكر مصرف الزكاة في تضاعيف ذكر المنافقين؟ فالجواب: أنه حصر مصرف الزكاة في تلك الأصناف ليقطع طمع المنافقين فيها، فاتصلت هذه الآية في المعنى بقوله "ومنهم من يلمزك في الصدقات" الآية. ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ يعني من المنافقين، وإذا يتهم له ﷺ بالأقوال والأفعال. ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أَذُنٌ﴾ أي: يسمع كل ما يقال له ويصدق، وروي أن قائل هذه المقالة هو نبتل بن الحارث وكان من مردة المنافقين، وقيل: عتاب بن قيس. ﴿قُلُوبِهِمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: هو يسمع الخير والحق. ﴿وَيَوْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يصدقهم، يقال: آمنت لك إذا صدقتك، ولذلك تعدى الفعل هنا باللام، وتعدى "يومن بالله" بالباء. ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ بالرفع عطف على "أذن خير لكم"، وبالخفض عطف على "خير". ﴿يَخْلِفُونَ﴾ يعني: المنافقين. ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ تقديره: والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك؛ فهذا جملتان حذف الضمير من الثانية لدلالة الأولى عليه، وقيل: إنما وحده الضمير لأن رضا الله ورسوله واحد. ﴿يُحَادِدِ﴾ يعني: يعادي ويخالف. ﴿فَأَنَّ لَهُ﴾ "أن" هنا مكررة تأكيداً للأولى، وقيل: هي بدل منها، وقيل: التقدير فواجب أن له، فهي في موضع خبر مبتدأ محذوف.

يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۗ قُلِ اسْتَهْرُؤْا إِنَّا اللَّهُ مَخْرِجٌ مَا يُخْفُونَ ﴿١٥﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۗ قُلِ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٦﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۗ إِنْ يَعْفَ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ تُعَذِّبْ طَآئِفَةٌ بِآيِهِمْ ۗ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۗ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٨﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۗ هِيَ حَسْبُهُمْ ۗ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿١٩﴾ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا ۗ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: تنزل في شأنهم سورة على النبي ﷺ، والضائر في "عليهم" و"تنبئهم" و﴿قُلُوبِهِمْ﴾ تعود على المنافقين، وقال الزمخشري: الضمير في "عليهم" و"تنبئهم" للمؤمنين، و"في قلوبهم" للمنافقين؛ والأول أظهر. ﴿قُلِ اسْتَهْرُؤْا﴾ تهديد. ﴿إِنَّ اللَّهَ مَخْرِجٌ مَا يُخْفُونَ﴾ صنع ذلك بهم في هذه السورة لأنها فضحتهم. ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ نزلت في وداعة بن ثابت، بلغ النبي ﷺ أنه قال: هذا يريد أن يفتح قصور الشام هيهات هيهات! فسأله عن ذلك، فقال: إنما كنا نخوض ونلعب. ﴿إِنْ يَعْفَ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ﴾ كان رجل منهم اسمه مخشن بن حمير تاب ومات شهيدا. ﴿بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ نفي لأن يكونوا من المؤمنين. ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ كناية عن البخل. ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ أي: غفلوا عن ذكره. ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ تركهم من رحمته وفضله. ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ﴾ الأصل في الشر أن يقال: أوعد، وإنما يقال فيه: وعد إذا صرح بالشر. ﴿وَالْكُفَّارَ﴾ يعني: المجاهرين بالكفر. ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ خطاب للمنافقين والكاف في موضع نصب والتقدير: فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم، أو في موضع خبر مبتدأ تقديره: أنتم كالذين من قبلكم. ﴿وَخُضْتُمْ﴾ أي: خلطتم، وهو مستعار من الخوض في الماء، ولا يقال إلا في الباطل من الكلام. ﴿كَالَّذِي خَاضُوا﴾ تقديره: كالخوض الذي خاضوا، وقيل: كالذين خاضوا، ف"الذي" هنا على هذا بمعنى الجميع. ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ﴾ الآية،



وَالْمُوتِفِكَتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٦٧﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٨﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٩﴾ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿٧٠﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ أُولُو أَلْبَابٍ وَمَا يَنْتَظِرُونَ إِلَّا أَنْ آغْنِيَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

تهديد لهم بها أصاب الأمم المتقدمة. «وَالْمُوتِفِكَاتِ» يعني: مدائن قوم لوط. «بِالْبَيِّنَاتِ» أي: المعجزات. «بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ» في مقابلة قوله في المنافقين "بعضهم من بعض"؛ ولكنه خص المؤمنين بالوصف بالولاية. «جَنَّاتٍ عَدْنٍ» قيل "عدن" هي مدينة الجنة وأعظمها، وقال الزمخشري: هو اسم علم. «وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ» أي: رضوان الله أكبر من كل ما ذكر، وذلك معنى ما ورد في الحديث: «إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: أتريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: يا ربنا، وأي شيء تزيدينا؟ فيقول: رضواني فلا أسخط عليكم أبدا» [البخاري: 6183]. «جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ» جاهد الكفار بالسيف، وجاهد المنافقين باللسان، ما لم يظهر ما يدل على كفرهم؛ فإن ظهر منهم ذلك فحكمهم حكم الزنديق، وقد اختلف هل يقتل أم لا؟ «وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ» الغلظة ضد الرحمة والرأفة، وقد تكون بالفعل والقول وغير ذلك. «يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا» نزلت في الجلاس بن سويد، فإنه قال: لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمر، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقرر عليه، فحلف أنه ما قاله. [عبد الرزاق: 18303]. «وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ» يعني ما تقدم من قول الجلاس؛ لأن ذلك يقتضي التكذيب. «وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ» لم يقل بعد إيمانهم؛ لأنهم كانوا يقولون بألسنتهم آمنا، ولم يدخل الإيمان في قلوبهم. «وَهُمْ أُولُو أَلْبَابٍ» هم الجلاس بقتل من بلغ تلك المقالة عنه، وقيل: هم بقتل النبي ﷺ، وقيل: الآية نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول، وكلمة الكفر التي قالها قوله: سمن كلبك يأكلك، وهم بما لم يناله قوله: «لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ». «وَمَا تَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَعْنَاهُمُ اللَّهُ» أي: ما عابوا إلا الغنى الذي كان حقه أن يشكروا عليه، وذلك في الجلاس أو في عبد الله بن أبي. «فَإِنْ يَتُوبُوا» فتح الله لهم باب التوبة؛ فتاب الجلاس وحسن حاله.

وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٦﴾ \* وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنِ آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٨﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٩﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ ﴿٨٠﴾ الَّذِينَ يَلْمُزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٨١﴾ اسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٢﴾ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ ﴾ الآية، نزلت في ثعلبة بن حاطب؛ وذلك أنه قال: يا رسول الله! ادع الله أن يكثر مالي. فقال له ﷺ: «قليل تؤدي شكره، خير من كثير لا تطيقه» فأعاد عليه حتى دعا له، فكثر ماله فتشاغل به حتى ترك الصلوات ثم امتنع من أداء الزكاة، فنزلت فيه الآية، فجاء بزكاته إلى النبي ﷺ، فأعرض عنه ولم يأخذها منه، وقال: «إن الله أمرني أن لا آخذ زكاتك» ثم لم يأخذها منه أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ﷺ [الطبراني: 7873]. ﴿ بَخِلُوا بِهِ ﴾ إشارة إلى منعه الزكاة. ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا ﴾ ذلك عقوبة على العصيان بما هو أشد منه. ﴿ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ﴾ حكم يوفاته على النفاق. ﴿ الَّذِينَ يَلْمُزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ ﴾ نزلت في المنافقين حين تصدق عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف فقالوا: ما هذا إلا رياء. وأصل المطوعين: المتطوعين، والمراد به هنا من تصدق بكثير. ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾ هم الذين لا يقدرين إلا على القليل فيتصدقون به، نزلت في أبي عقيل تصدق بصاع من تمر، فقال المنافقون: إن الله غني عن صدقة هذا. ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ﴾ أي: يستخفون بهم. ﴿ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ تسمية للعقوبة باسم الذنب. ﴿ اسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ ﴾ يحتمل معنيين؛ أحدهما: أن يكون لفظ أمر ومعناه الشرط، بمعنى: إن استغفرت لهم أو لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم، كما جاء في سورة المنافقين، والآخر: أن يكون تحييراً، كأنه قال: إن شئت فاستغفر لهم، وإن شئت فلا تستغفر لهم، ثم أعلمه أنه لا يغفر لهم؛ وهذا أرجح لقوله ﷺ: «إن الله خيرني فاخترت»، وذلك حين قال له عمر ﷺ: أتصلي على عبد الله بن أبي وقد نهاك الله عن الصلاة عليه؟! [البخاري: 4393] ﴿ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾ ذكرها على وجه التمثيل للعدد الكثير. ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ ﴾ أي: الذين خلفهم الله عن بدر وأقعدهم عنه، وفي هذا تحقير وذم لهم، ولذلك لم يقل المتخلفون. ﴿ بِمَقْعَدِهِمْ ﴾ أي: بعودهم. ﴿ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ أي: بعده حين خرج

وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٤٦﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا  
وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَدْنُوكَ  
لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ  
مَرَّةٍ فَأَقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ۗ  
إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ ۗ  
إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أَنْزَلَتْ  
سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا  
نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٥١﴾ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا  
يَفْقَهُونَ ﴿٥٢﴾ لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ  
وَأَوْلِيائِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأَوْلِيائِكَ هُمُ الْمَفْلِحُونَ ﴿٥٣﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا  
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٤﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ

إلى تبوك ف"خلاف" على هذا ظرف، وقيل: هو مصدر من خالف، فهو على هذا مفعول من أجله. «وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ» قال هذه المقالة رجل من بني سلمة ممن صعب عليه السفر في الحر إلى تبوك. «فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا» أمر بمعنى الخبر؛ فضحكهم القليل في الدنيا مدة بقائهم فيها وبكاؤهم الكثير في الآخرة، وقيل: هو بمعنى الأمر؛ أي: يجب أن يكونوا يضحكون قليلا ويكون كثيرا في الدنيا لما وقعوا فيه. «إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ» إنما لم يقل إليهم؛ لأن منهم من تاب من النفاق وندم على التخلف. «لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا» عقوبة لهم فيها خزي وتوبيخ. «أَوَّلَ مَرَّةٍ» يعني في غزوة تبوك. «مَعَ الْخَالِفِينَ» أي: مع القاعدين وهم النساء والصبيان. «وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ» نزلت في شأن عبد الله بن أبي بن سلول وصلاة رسول الله ﷺ عليه حين مات، فروي أنه صلى عليه فنزلت الآية بعد ذلك [البخاري: 4393]. وروي أنه ﷺ لما تقدم ليصلي عليه جاءه جبريل فجبذ بثوبه وتلا عليه "ولا تصل على أحد منهم مات أبدا" الآية، فانصرف رسول الله ﷺ ولم يصل عليه [ابويعلى: 3622]. «وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ» قيل: يعني براءة؛ والأرجح أنه على الإطلاق. «أَنْ آمَنُوا» "أن" هنا مفسرة. «اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ» أي: أولوا الغنى والمال الكثير. «لَكِنَّ الرُّسُولَ» الآية، أي إن تخلف هؤلاء، فقد جاهد الرسول ومن معه. «الْخَيْرَاتُ» تعم منافع الدارين، وقيل: هي الحور العين؛ لقوله «خَيْرَاتٌ حِسَانٌ». «وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ» أصله المعتذرون، ثم

وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ<sup>٤</sup> سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ<sup>٥</sup> مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ<sup>٦</sup> وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿٧﴾ \* إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ<sup>٩</sup> إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ<sup>٩</sup> قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ مِنْ آخِبَارِكُمْ<sup>٩</sup> وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ<sup>٩</sup> ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾ سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ<sup>١٠</sup> وَإِذَا أَنْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِيُتَعَرَّضُوا عَنْهُمْ<sup>١٠</sup> فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ<sup>١٠</sup> وَإِنَّهُمْ رِجْسٌ<sup>١١</sup> وَمَا بُولُهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١١﴾ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِيَتَرَضُوا عَنْهُمْ<sup>١٢</sup> فَإِن تَرَضُوا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضِي عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٢﴾

أدغمت التاء في الذال ونقلت حركتها إلى العين، واختلف هل كانوا في اعتذارهم صادقين أو كاذبين؟ وقيل: هم المقصرون من عذر في الأمر إذا قصر فيه ولم يجد، فوزنه على هذا المفعول، وروي أنها نزلت في قوم من غفار. ﴿ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ هم قوم لم يجاهدوا ولم يعتذروا عن تخلفهم فكذبوا في دعواهم الإيذان. ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ ﴾ أي: من المعتذرين. ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى ﴾ الآية، هذا رفع للحرَج عن أهل الأعذار الصحيحة من ضعف البدن والفقر إذا تركوا الغزو، وقيل: إن "الضعفاء" هنا هم النساء والصبيان؛ وهذا بعيد. ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ ﴾ قيل: نزلت في بني مقرن، وهم ستة إخوة صحبوا النبي ﷺ، وقيل: في عبد الله بن مغفل المزني. ﴿ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ ﴾ يعني بنياتهم وأقوالهم، وإن لم يخرجوا للغزو. ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ وصفهم بالمحسنين؛ لأنهم نصحوا لله ورسوله، ورفع عنهم العقوبة والتعنيف واللوم. ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ﴾ قيل: هم بنو مقرن، وقيل: ابن مغفل، وقيل: سبعة نفر من بطون شتى؛ وهم البكاؤون، ومعنى "لتحملهم" على الإبل، وجواب "إذا" يحتمل أن يكون ﴿ قُلْتَ لَا أَجِدُ ﴾، أو ﴿ تَوَلَّوْا ﴾. ﴿ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾ يعني من غزوة تبوك. ﴿ لَنُؤْمِنَ لَكُمْ ﴾ لن نصدقكم. ﴿ مِنْ آخِبَارِكُمْ ﴾ نعت لمحذوف وهو المفعول الثاني، تقديره: قد نبأنا الله جملة

الْأَعْرَابِ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَلَىٰ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۗ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَىٰ لَهُمْ ۗ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٩﴾ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۗ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ۗ وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۗ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۗ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿٨١﴾ وَءَاخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٢﴾

من أخباركم. ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ هم أهل البوادي من العرب. ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ يعني أنهم أحق أن لا يعلموا الشرائع لبعدهم عن الحاضرة ومجالس العلم. ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا﴾ أي: يثقل عليه الزكاة والنفقة في سبيل الله ثقل المغموم الذي ليس بحق عليه. ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾ أي: ينتظر بكم مصائب الدنيا. ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ خبر أو دعاء. ﴿وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾ أي: دعواته لهم، وهو عطف على "قربات" أي: يقصدون بنفقاتهم التقرب إلى الله واغتنام دعاء الرسول لهم، وقيل: نزلت في بني مقرن. ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ﴾ قيل: هم من صلى للقبلتين، وقيل: من شهد بدرًا، وقيل: من حضر بيعة الرضوان. ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ﴾ سائر الصحابة، ويدخل في ذلك التابعون ومن بعدهم إلى يوم القيامة بشرط الإحسان. ﴿مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ أي: اجترأوا عليه، وقيل: أقاموا عليه. ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ العذاب العظيم هو عذاب النار، وأما المرتان قبله؛ فالثانية منها عذاب القبر، والأولى عذابهم بإقامة الحدود عليهم، وقيل: بفضيحتهم في النفاق. ﴿وَأَخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ الآية، قيل: إنها في أبي لبابة؛ فعمله الصالح الجهاد، وعمله السيء نصيحتة لبني قريظة. وقيل: هي فيمن تخلف عن تبوك من المؤمنين؛ فعملهم الصالح ما سبق لهم، وعملهم السيء تخلفهم عن تبوك. وروي أنهم ربطوا أنفسهم إلى سوارى المسجد وقالوا: لا نحل أنفسنا حتى يجلنا رسول الله ﷺ. وقيل: هي عامة في الأمة إلى يوم القيامة،

خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٥﴾ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٦﴾ وَءَاخَرُونَ مَرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٧﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ

قال بعضهم: ما في القرآن آية أرجى لهذه الأمة من هذه. ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ قيل: نزلت في المتخلفين الذين ربطوا أنفسهم لما تاب الله عليهم، قالوا: يا رسول الله! إنا نريد أن نتصدق بأموالنا، فنزلت هذه الآية، فأخذت ثلث أموالهم، وقيل: هي في الزكاة المفروضة، فالضمير على العموم لجميع المسلمين. ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ خطاب للنبي ﷺ في موضع صفة لـ "صدقة"، أو حال من الضمير في "خذ". ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: ادع لهم. ﴿سَكَنٌ لَهُمْ﴾ أي: تسكن بها نفوسهم، فهو عبارة عن صحة الاعتقاد أو عن طمأنينة نفوسهم إذا علموا أن الله تاب عليهم. ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ﴾ الضمير في "يعلموا" للتائبين من التخلف، وقيل: للذين تخلفوا ولم يتوبوا، وقيل: عام؛ وفائدة الضمير المؤكد تخصيص الله تعالى بقبول التوبة دون غيره. ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ قيل: معناه يأمر بها، وقيل: يقبلها من عباده. ﴿وَأَخْرُونَ مَرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ قيل: هم الثلاثة الذين خلفوا قبل أن يتوب الله عليهم، وقيل: هم الذين بنوا مسجد الضرار، وقرئ "مرجون" بالهمز وتركه، وهما لغتان، ومعناه التأخير. ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا﴾ قرئ "الذين" بغير واو، صفة لقوله "وَأَخْرُونَ مَرْجُونَ"، أو على تقدير: هم الذين، وهذه القراءة جارية على قول من قال في الـ "مرجون" لأمر الله: هم أهل مسجد الضرار، وقرئ "والذين" بالواو عطف على "أَخْرُونَ مَرْجُونَ"، وهذه القراءة جارية على قول من قال في الـ "مرجون": إنهم الثلاثة الذين خلفوا. ﴿ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾ كان بنو عمرو بن عوف من الأنصار قد بنوا مسجد قباء، وكان رسول الله ﷺ يأتيه ويصلي فيه، فحسداهم على ذلك قومهم بنو غنم ابن عوف وبنو سالم بن عوف، فبنوا مسجداً آخر مجاوراً له ليقطعوا الناس عن الصلاة في مسجد قباء، وذلك هو الضرار الذي قصدوا، وسألوا من رسول الله ﷺ أن يأتيه ويصلي لهم فيه، فنزلت عليه فيه هذه الآية. ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أرادوا أن يفترق المؤمنون عن مسجد قباء. ﴿وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: انتظاراً لمن حارب الله ورسوله، وهو أبو عامر الراهب الذي سباه رسول الله ﷺ: الفاسق، وكان من أهل المدينة، فلما قدمها رسول الله ﷺ جاهر بالكفر والنفاق، ثم خرج إلى مكة فحزب الأحزاب من المشركين،

وَلِيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٧٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا  
 لَمَسْجِدٍ أُسَسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ مُّحِبُّونَ أَنْ  
 يَتَطَهَّرُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٧٨﴾ أَفَمَنْ أُسَسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ  
 وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسَسَ بُنْيَانُهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْتَهَرَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا  
 يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٧٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ  
 قُلُوبُهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨٠﴾ ۖ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ

فلما فتحت مكة خرج إلى الطائف، فلما أسلم أهل الطائف خرج إلى الشام ليستنصر بقيصر فهلك هناك، وكان  
 أهل مسجد الضرار يقولون: إذا قدم أبو عامر المدينة يصلي في هذا المسجد، والإشارة بقوله "من قبل" إلى ما  
 فعل مع الأحزاب. ﴿وَلِيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ﴾ أي: الخصلة الحسنى، وهي الصلاة وذكر الله، فأكذبهم الله في  
 ذلك. ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ نهي عن إتيانه والصلاة فيه، وكان رسول الله ﷺ لا يمر بطريقه. ﴿لَمَسْجِدٍ أُسَسَ عَلَى  
 التَّقْوَىٰ﴾ قيل: هو مسجد قباء، وقيل: مسجد النبي ﷺ بالمدينة وقد روي ذلك عن رسول الله ﷺ. ﴿فِيهِ  
 رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ كانوا يستنجون بالماء، ونزلت في الأنصار على قول من قال: إن المسجد الذي  
 أسس على التقوى هو مسجد المدينة، ونزلت في بني عمرو بن عوف خاصة على قول من قال: إنه مسجد قباء.  
 ﴿أَفَمَنْ أُسَسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسَسَ بُنْيَانُهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ﴾ الآية، استفهام  
 بمعنى التقرير، والذي أسس على التقوى والرضوان مسجد المدينة، أو مسجد قباء، والذي أسس على شفا  
 جرف هار هو مسجد الضرار، وتأسيس البناء على التقوى والرضوان هو بحسن النية فيه، وقصد وجه الله،  
 وإظهار شرعه، والتأسيس على شفا جرف هار هو بفساد النية، وقصد الرياء، والتفريق بين المؤمنين، فذلك  
 على وجه الاستعارة والتشبيه البارع، ومعنى "شفا جرف" طرف حفرة، ومعنى "هار" ساقط أو واهي،  
 بحيث أشفى على السقوط، وأصل "هار" هابر، فهو من المقلوب؛ لأن لأمه جعلت في موضع العين. ﴿فَانْتَهَرَ  
 بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ أي: طاح في نار جهنم، وهذا ترشيح للمجاز؛ فإنه لما شبهه بالجرف وصفه بالانهار الذي  
 هو من شأن الجرف، وقيل: إن ذلك حقيقة، وإنه سقط في جهنم وخرج الدخان من موضعه؛ والصحيح أن  
 رسول الله ﷺ أمر بهدمه فهدم. ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: لا يزال في قلوب أهل  
 مسجد الضرار ريبة من بنيانه، أي: شك في الإسلام بسبب بنيانه، لاعتقادهم صواب فعلهم، أو غيظ بسبب  
 هدمه. ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: إلا أن يموتوا. ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ قيل: إنها  
 نزلت في بيعة العقبة، وحكمها عام في كل مؤمن يجاهد في سبيل الله إلى يوم القيامة، قال بعضهم: ما أكرم الله!

بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي  
 التَّوْبَةِ وَالْإِخْلَافِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ  
 الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٤﴾ التَّائِبُونَ الْعَبِيدُونَ الْحَمِيدُونَ  
 السَّاجِدُونَ الرَّكِعُونَ السَّجِدُونَ الْآمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ  
 وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٥﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ  
 يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ وَأَنَّهُمْ وَاصِحْبِ  
 الْجَحِيمِ ﴿١٠٦﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ  
 لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١٠٧﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا  
 بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠٨﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ  
 مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٩﴾

فإن أنفسنا هو خلقها، وأموالنا هو رزقها، ثم وهبها لنا، ثم اشتراها منا بهذا الثمن الغالي؛ فإنها لصفحة رابحة.  
 ﴿يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جملة في موضع الحال، بيان للشراء. ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾ قال  
 بعضهم: ناهيك عن بيع البائع فيه ربُّ العلاء، والثمن جنة المأوى، والواسطة محمد المصطفى ﷺ. ﴿التَّائِبُونَ﴾ وما  
 بعده أوصاف للمؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم تقديره هم التائبون. ﴿السَّاجِدُونَ﴾ قيل: معناه  
 الصائمون، ويقال: ساح في الأرض أي: ذهب. ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ نزلت في  
 شأن أبي طالب، فإنه لما امتنع أن يقول: "لا إله إلا الله" عند موته، قال له رسول الله ﷺ: «والله لأستغفرن لك  
 ما لم أُنه عنك» فكان يستغفر له حتى نزلت هذه الآية. [البخاري: 1294]. وقيل: إن النبي ﷺ استأذن ربه أن  
 يستغفر لأمه فنزلت الآية [دلائل النبوة: 1/190]. وقيل: إن المسلمين أرادوا أن يستغفروا لأبائهم المشركين فنزلت  
 [الطبري: 11/43]. ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ﴾ المعنى: لا حجة لكم أيها المؤمنون في استغفار  
 إبراهيم لأبيه، فإن ذلك لم يكن إلا لوعده تقدم، وهو قوله ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾. ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ  
 مِنْهُ﴾ قيل: تبين له ذلك بموت أبيه على الكفر، وقيل: لأنه نُهي عن الاستغفار له. ﴿أَوَّاهٌ﴾ قيل: كثير الدعاء،  
 وقيل: موقن، وقيل: فقيه، وقيل: كثير الذكر لله، وقيل: كثير التأوه من خوف الله. ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا﴾  
 الآية، نزلت في قوم من المسلمين استغفروا للمشركين من غير إذن، فخافوا على أنفسهم من ذلك، فنزلت الآية



لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ  
 مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾  
 وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ  
 أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ  
 الرَّحِيمُ ﴿١١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ  
 لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا  
 بِأَنْفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

تأنيسا لهم، أي: ما كان الله ليؤاخذكم بذلك قبل أن يتبين لكم المنع من ذلك. ﴿فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ يعني حين  
 محاولة غزوة تبوك، والـ"ساعة" هنا بمعنى الحين والوقت وإن كانت مدة، و"العسرة" الشدة وضيق الحال.  
 ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ يعني تزيغ عن الثبات على الإيمان، أو عن الخروج في تلك الغزوة  
 لما رأوا من الضيق والمشقة، وفي "كاد" ضمير الأمر والشأن، أو ترتفع بها القلوب. ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني  
 على هذا الفريق، أي: رجع بهم عما كادوا يقعون فيه. ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ هم كعب بن مالك،  
 وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع ؓ تخلفوا عن غزوة تبوك من غير عذر ومن غير نفاق ولا قصد للمخالفة،  
 فلما رجع رسول الله ﷺ عتب عليهم، وأمر أن لا يكلمهم أحد، وأمرهم أن يعتزلوا نساءهم، فبقوا على ذلك  
 مدة إلى أن أنزل الله توبتهم، وقد وقع حديثهم في البخاري [4156] ومسلم [2769] والسير. ومعنى "خلفوا"  
 هنا عن الغزو، وقال كعب بن مالك ؓ: معناه: خلفوا عن قبول العذر وليس بالتخلف عن الغزو، ويقوي  
 ذلك كونه جعل "إذا ضاقت" غاية للتخلف. ﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ﴾ عبارة عما أصابهم من الغم والخوف  
 من الله. ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ أي: رجع بهم ليستقيموا على التوبة. ﴿وَكَوْنُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ يحتمل أن  
 يريد صدق اللسان إذا كانوا هؤلاء الثلاثة قد صدقوا ولم يعتذروا بالكذب فنفعهم الله بذلك، ويحتمل أن  
 يريد أعم من صدق اللسان، وهو الصدق في الأقوال والأفعال والمقاصد والعزائم. والمراد بـ"الصادقين"  
 المهاجرون لقول الله في الحشر: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ إلى قوله ﴿هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، وقد احتج بها أبو بكر  
 الصديق ؓ على الأنصار يوم السقيفة، فقال: نحن الصادقون، قد أمركم الله أن تكونوا معنا؛ أي: تابعين لنا.  
 ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ الآية، عتاب لمن تخلف عن غزوة تبوك من أهل يثرب ومن جاورها من قبائل العرب.  
 ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾ أي: لا يمتنعوا من اقتحام المشقات التي تحملها هو ﷺ. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾  
 تعليل لما يجب من عدم التخلف. ﴿ظَمَأٌ﴾ أي: عطش. ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ أي: تعب. ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ أي: جوع.

وَلَا يَطُورُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٤﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٧﴾ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٨﴾

﴿وَلَا يَطُورُونَ﴾ يعني: بأرجلهم أو بدوابهم. ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا﴾ عموم في كل ما يصيب الكفار. ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: هذه الآية في البعث إلى الغزو والسرايا؛ أي: لا ينبغي خروج جميع المؤمنين في السرايا، وإنما يجب ذلك إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه، ولذلك عاتبهم في الآية المتقدمة على التخلف عنه. فالآية الأولى في الخروج معه صلى الله عليه وسلم، وهذه في السرايا التي كان يبعثها، وقيل: هي ناسخة لكل ما ورد من الأمر بخروج الجميع، فهي دليل على أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين، وقيل: هي في طلب العلم، ومعناها: أنها لا تجب الرحلة في طلب العلم على الجميع بل على البعض؛ لأنه فرض كفاية. ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ تحضيض على نفور بعض المؤمنين للجهاد أو لطلب العلم. ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ إن قلنا إن الآية في الخروج إلى طلب العلم فالضمير في "يتفقهوا" للفرقة التي تنفر؛ أي: ترحل، وكذلك الضمير في "ينذروا"، وفي "رجعوا"؛ أي: يعلمون قومهم إذا رجعوا إليهم من الرحلة. وإن قلنا: إن الآية في السرايا فالضمير في "يتفقهوا" للفرقة التي تقعد في المدينة ولا تخرج مع السرايا، وكذلك الضمير في "ينذروا"، وأما الضمير في "رجعوا" فهو للفرقة التي خرجت مع السرايا، وقيل: إن التفقه يكون حين خروجهم مع السرايا. ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ الضمير للقوم. ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ أمر بقتال الأقرب فالأقرب على التدرج، وقيل: إنها إشارة إلى قتال الروم بالشام؛ لأنهم كانوا أقرب الكفار إلى أرض العرب، وكانت أرض العرب قد عمها الإسلام، وكانت العراق حينئذ بعيدة. ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ أي: من المنافقين من يقول بعضهم لبعض أيكم زادته إيمانا على وجه الاستخفاف بالقرآن، كأنهم يقولون: أي عجب في هذا، وأي دليل في هذا؟ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ وذلك لما

وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٨﴾ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٩﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾

يتجدد عندهم من البراهين والأدلة عند نزول كل سورة. ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ المرض عبارة عن الشك والنفاق، ومعنى "زادتهم رجسا الى رجسهم": زادتهم كفرا الى كفرهم ونفاقهم. ﴿يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ﴾ قيل: يفتنون؛ أي: يختبرون بالأمراض والجوع، وقيل: بالأمر بالجهاد؛ واختار ابن عطية أن يكون المعنى يفضحون بها يكشف من سرائرهم. ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِّنْ أَحَدٍ﴾ أي: تغامزوا وأشار بعضهم إلى بعض على وجه الاستخفاف بالقرآن ثم قال بعضهم لبعض: "هل يراكم من احد" فينقل عنكم هذا الاستخفاف، فقولهم: "هل يراكم من احد" كان بسبب خوفهم أن ينقل عنهم ذلك، وقيل: معنى "نظر بعضهم إلى بعض" على وجه التعجب مما ينزل في القرآن من كشف أسرارهم، ثم قال بعضهم لبعض: "هل يراكم من احد" أي: هل رأى أحد أحوالكم فنقلها عنكم أو علمت من غير نقل، فهذا أيضا على وجه التعجب. ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا﴾ يحتمل أن يراد الانصراف بالأبدان، أو الانصراف بالقلوب عن الهدى. ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ دعاء أو خبر. ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ تعليل لصرف قلوبهم. ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ يعني النبي ﷺ، والخطاب للعرب، أو لقريش خاصة، أي: من قبيلتكم حيث تعرفون حسبه وصدقه وأمانته، أو لبني آدم كلهم أي: من جنسكم. وقرئ "من أنفسكم" بفتح الفاء؛ أي: من أشرفكم. ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يشق عليه عنتكم، والعنت هو ما يضركم في دينكم أو دنياكم، و"عزيز" صفة للـ"رسول"، و"ما عنتم" فاعل بـ"عزيز" و"ما" مصدرية، أو "ما عنتم" مبتدأ و"عزيز" خبر مقدم، والجملة في موضع الصفة. ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: حريص على إيمانكم وسعادتكم. ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ سماه الله هنا باسمين من أسمائه. ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ أي: إن أعرضوا عن الإيمان بك فاستعن بالله وتوكل عليه، وقيل: إن هاتين الآيتين نزلتا بمكة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الرَّبِّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صَدَقَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۗ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۗ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ۗ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۝ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۗ

## سورة يونس عليه السلام

﴿الر﴾ تكلمنا في أول البقرة على حروف الهجاء التي في أوائل السور. ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات، و"الكتاب" هنا القرآن. ﴿الْحَكِيمِ﴾ من الحكمة، أو من الحكم، أو من الإحكام للأمر؛ أي: أحكمه الله. ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ﴾ الهمزة للإنكار، و"عجبا" خبر "كان"، و"أن أوحينا" اسمها، و"أن أنذر" تفسير للوحي، والمراد ب"الناس" هنا كفار قريش وغيرهم، والـ "رجل" هنا رسول الله ﷺ، ومعنى الآية: الرد على من استبعد النبوة، أو تعجب من أن يبعث الله رجلا. ﴿قَدَمٌ صَدَقَ﴾ أي: عمل صالح قدموه، وقال ابن عباس ؓ: السعادة السابقة لهم في اللوح المحفوظ. ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ يعنون ما جاء به من القرآن، وقرئ "لساحر" يعنون النبي ﷺ، ويحتمل أن يكون كلامهم هذا تفسيراً لما ذكر قبل من تعجبهم من النبوة، أو يكون خبراً مستأنفاً. ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ﴾ تعريف بالله وصفاته ليعبدوه ولا يشركوا به، وفيه رد على من أنكر النبوة كأنه يقول: إنما أدعوكم إلى عبادة ربكم الذي خلق السماوات والأرض، فكيف تنكرون ذلك وهو الحق المبين؟! ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ أي: لا يشفع إليه أحد إلا بعد أن يأذن هو له في الشفاعة، وفي هذا رد على المشركين الذين يزعمون أن الأصنام تشفع لهم. ﴿وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا﴾ نصب "وعد" على المصدر المذكور المؤكد للرجوع إلى "الله"، ونصب "حقاً" على المصدر المؤكد لـ "وعد الله". ﴿يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي: يبدؤه في الدنيا ويعيده بعد الموت في الآخرة، والبدء دليل على العودة. ﴿لِيَجْزِيَ﴾ تعليل للعودة وهي البعث. ﴿بِالْقِسْطِ﴾ أي: بالعدل في جزائهم، أو بقسطهم في أعمالهم الصالحة. ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ وصف أفعال الله وحكمته وقدرته، والضياء أعظم من النور. ﴿وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ﴾ الضمير لـ "القمر"، والمعنى: قدر سيره في المنازل. ﴿وَالْحِسَابَ﴾ يعني حساب الأوقات من الأشهر والأيام والليالي.

مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ نَفْصِلُ آيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّ فِي آخْتِلَافِ اللَّيْلِ  
وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا  
يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا  
غَافِلُونَ ﴿١٢﴾ أُولَئِكَ مَاؤُنْهَمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ  
﴿١٤﴾ دَعْوَانَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّاتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَعَ إِخْرُ دَعْوَانَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ \* وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقَضَى إِلَيْهِمْ وَاجَلَّهُمْ  
فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ<sup>ط</sup>  
دَعَا لِحَبِيئِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ<sup>ط</sup>  
مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ  
لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ  
الْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

﴿ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ أي: ما خلقه عبثاً، والإشارة بـ"ذلك" إلى ما تقدم من المخلوقات. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا  
يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴾ قيل: معنى "يرجون" هنا يخافون، وقيل: لا يرجون حسن لقاءنا؛ فالرجاء على أصله، وقيل: لا  
يرجون: لا يتوقعونه أصلاً ولا يخطر ببالهم. ﴿ وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ أي: قنعوا أن تكون حظهم ونصيبهم.  
﴿ وَاطْمَأَنُّوا بِهَا ﴾ أي: سكنت نفوسهم عن ذكر الانتقال عنها. ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴾ يحتمل أن تكون  
هي الفرقة الأولى فيكون من عطف الصفات أو تكون غيرها. ﴿ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ﴾ أي: يسددهم بسبب  
إيمانهم إلى الاستقامة، أو يهديهم في الآخرة إلى طريق الجنة؛ وهذا أرجح لما بعده. ﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا ﴾ أي: دعاؤهم.  
﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ ﴾ أي: لو عجل الله للناس الشر كما يحبون  
تعجيل الخير لهلكوا سريعاً، ونزلت الآية عند قوم في دعاء إنسان على نفسه وماله وولده، وقيل: نزلت في الذين  
قالوا: ﴿ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَاباً مِنَ السَّمَاءِ ﴾. ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا ﴾ عتاب  
في ضمنه نهي لمن يدعو الله عند الضر، ويغفل عنه حين العافية. ﴿ لِحَبِيئِهِ ﴾ أي: مضطجعا، وروي أنها نزلت في أبي  
حذيفة بن المغيرة لمرض كان به. ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ ﴾ إخبار في ضمنه وعيد للكفار. ﴿ لِنَنْظُرَ ﴾ معناه ليظهر في

وَإِذَا تَبَلَّى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِ بِقرءٍ انِ غَيْرِ  
هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أبدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ  
إِلَيَّ ۖ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٠﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ  
عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١١﴾  
فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ  
الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ  
هَؤُلَاءِ شَفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ  
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٣﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ۗ وَلَوْلَا  
كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٤﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا  
أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٥﴾

الوجود لتقوم الحجة عليكم. ﴿وَإِذَا تَبَلَّى عَلَيْهِمْ﴾ يعني على قريش. ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: ما تلوته إلا بمشيئة الله؛ لأنه من عنده وما هو من عندي. ﴿وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾ أي: ولا أعلمكم به. ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ﴾ أي: بقيت بينكم أربعين سنة قبل البعث ما تكلمت في هذا حتى جاءني من عند الله. ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ تنصل من الافتراء على الله، وبيان لبراءته ﷺ مما نسبوه إليه من الكذب، وإشارة إلى كذبهم على الله في نسبة الشركاء له. ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ بيان لظلمهم في تكذيب رسول الله ﷺ. ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ الضمير في "يعبدون" لكفار العرب، و"ما لا يضرهم ولا ينفعهم" هي الأصنام. ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ كانوا يزعمون أن الأصنام تشفع لهم. ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ رد عليهم في قولهم بشفاعة الأصنام، والمعنى أن شفاعة الأصنام ليست بمعلومة لله الذي هو عالم بما في السماوات والأرض، وكل ما ليس بمعلوم لله فهو عدم محض ليس بشيء، فقوله: "أتنبئون" تقرير لهم على وجه التوبيخ والتهكم؛ أي: كيف تعلمون الله بما لا يعلم؟. ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ تقدم في البقرة في قوله ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ يعني القضاء. ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ كانوا يطلبون آية من الآيات التي اقترحوها، ولقد نزلت عليه آيات عظام فما اعتدوا بها لعنادهم وشدة ضلالهم. ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ أي: إن شاء فعل، وإن لم يشأ لم يفعل، ولا يطلع على ذلك أحد. ﴿فَانْتَظِرُوا﴾ أي: فانتظروا نزول ما اقترحوه. ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ أي: منتظر لعقابكم على كفركم.

وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسْتَهْمُونَ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿١٠١﴾ هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَخْبَتْنَا مِنَ هَذِهِ لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَخْبَتْهُمْ إِذَا هُمْ يَبْتَغُونَ فِي الْأَرْضِ بغيرِ الْحَقِّ يَتَأَيُّمُ النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيَّهَا أَتْنَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٠٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠٥﴾

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ﴾ هذه الآية في الكفار، وتتضمن النهي لمن كان كذلك من غيرهم، والمكر هنا الطعن في آيات الله وترك شكره، ومكر الله الموصوف بالسرعة هو عقابه لهم؛ سماه مكرًا مشاكلة لفعالهم وتسمية للعقوبة باسم الذنب. ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ الضمير المؤنث في "جرين" لـ"الفلك"، والضمير في "بهم" للناس، وفيه الخروج من الخطاب إلى الغيبة، وهو الذي يسمى الالتفات، وجواب "إذا كنتم" قوله ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾. وقوله: ﴿دَعَوُا اللَّهَ﴾ قال الزمخشري: هو بدل من "ظنوا"، ومعناه: دعوا الله وحده وكفروا بمن دونه. ﴿مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ رفع على أنه خبر ابتداء مضمرة تقديره: ذلك متاع، أو يكون خبر "إنما بغيكم"، ويختلف الوقف باختلاف الإعراب. ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ معنى الآية: تحقير الدنيا وبيان سرعة فناؤها، فشبها بالمطر الذي يخرج به النبات، ثم تصيب ذلك النبات أفة عند حسنه وكماله. ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ﴾ كالزراع والفواكه. ﴿وَالْأَنْعَامُ﴾ يعني المرعى التي ترعاه من العشب وغيرها. ﴿أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ تمثيل بالعروس إذا تزينت بالثياب والحلي. ﴿قَادِرُونَ عَلَيَّهَا﴾ أي: متمكنون من الانتفاع بها. ﴿أَتْنَاهَا أَمْرًا لَيْلًا﴾ أي: بعض الجوائح كالريح والصر وغير ذلك. ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾ أي: جعلنا زرعها كالذي حصد وإن كان لم يحصد. ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ﴾ أي: كأن لم تنعم. ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ أي: إلى الجنة؛ وسميت دار السلام أي: دار السلامة من الفناء والتعب، وقيل "السلام" هنا اسم الله، أي: يدعو إلى داره. ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ذكر الدعوة إلى الجنة عامة

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۗ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۗ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ وَأَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ ۖ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۗ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَارًا تَعْبُدُونَ ﴿١٧﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ۗ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَفْلِينَ ﴿١٨﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ۗ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٩﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ ۗ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۗ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٠﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۗ فَإِنِّي تُصَرِّفُونَ ﴿٢١﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا ۖ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٢﴾

مطلقة، والهداية خاصة بمن يشاء. ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ "الحسنى" الجنة، وال"زيادة" النظر إلى وجه الله، وقيل "الحسنى" جزاء الحسنه بعشر أمثالها، وال"زيادة" التضعيف فوق ذلك إلى سبعائه؛ والأول أصح لوروده في الحديث وكثرة القائلين به. ﴿قَتَرٌ﴾ أي: غبار يغير الوجه. ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ مبتدأ على حذف مضاف تقديره: جزاء الذين كسبوا السيئات ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾، أو على تقدير: لهم جزاء سيئة بمثلها، أو معطوف على "الذين أحسنوا"، ويكون "جزاء سيئة" مبتدأ، وخبره "بمثلها". ﴿مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ أي: لا يعصمهم أحد من عذاب الله. ﴿قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ من قرأ "قطعا" بفتح الطاء فهو جمع قطعة، وإعراب "مظلمًا" على هذه القراءة حال "من الليل"، ومن قرأ "قطعا" بإسكان الطاء ف"مظلمًا" صفة له أو حال "من الليل". ﴿مَكَانَكُمْ﴾ تقديره: الزموا مكانكم؛ أي: لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم. ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ أي: فرقنا. ﴿تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ أي: تختبر بما قدمت من الأعمال، وقرئ "تتلو" بتاءين بمعنى تتبع، أو تقرأه في المصاحف. ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ﴾ الآية، احتجاج على الكفار بحجج كثيرة واضحة لا محيص لهم عن الإقرار بها. ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ مذكور في آل عمران. ﴿رَبُّكُمْ الْحَقُّ﴾ أي: الثابت الربوبية بخلاف ما تعبدون من دونه. ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ أي: عبادة غير الله ضلال بعد وضوح الحق، وتدلل الآية على أنه ليس بين الحق والباطل منزلة في علم الاعتقادات؛ إذ الحق فيها في طرف واحد بخلاف مسائل الفروع. ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ المعنى كما حق الحق في الاعتقادات



قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۗ فَأَنْتَ  
تُوفِّكُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي  
إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ ۗ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٠١﴾ وَمَا  
يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا  
كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ  
الَّذِي كُتِبَ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ۖ وَادْعُوا  
مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٠٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ۖ وَلَمَّا  
يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ۚ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٥﴾  
وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ۖ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ ۗ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِنْ كَذَّبُوكَ  
فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلِكُمْ ۖ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٠٧﴾

كذلك حقت كلمات ربك على الذين عتوا وتمردوا في كفرهم أنهم لا يؤمنون، والـ"كلمة" يراد بها القدر والقضاء.  
﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ الآية، احتجاج أيضا على الكفار، فإن قيل: كيف يحتج عليهم  
بإعادة الخلق وهم لا يعترفون بها؟ فالجواب: أنهم معترفون أن شركاءهم لا يقدرون على الابتداء ولا على  
الإعادة؛ ففي ذلك إبطال لرؤيتهم، وأيضا فوضعت الإعادة هنا موضع المتفق عليه لظهور برهانها. ﴿أَمْ لِي لَمْ  
يَهْدِي﴾ بتشديد الدال، معناه: لا يهتدي في نفسه فكيف يهدي غيره، وقرئ بالتخفيف بمعنى يهدي غيره؛  
والقراءة الأولى أبلغ في الاحتجاج. ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ "ما" استفهامية معناها تقرير وتوبيخ، و"لكم" خبرها، ويوقف  
عليه. ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أي: تحكمون بالباطل في عبادتكم لغير الله. ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ أي: غير تحقيق؛  
لأنه لا يستند إلى برهان. ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ ذلك في الاعتقادات؛ إذ المطلوب فيها اليقين بخلاف  
الفروع. ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ مذكور في البقرة. ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ "أم" هنا بمعنى بل والهمزة. ﴿فَاتُوا بِسُورَةٍ﴾  
تعجيز لهم وإقامة حجة عليهم. ﴿مَنْ اسْتَطَعْتُمْ﴾ يعني: شركاءهم وغيرهم من الجن والإنس. ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾  
أي: غير الله. ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ أي: سارعوا إلى التكذيب بما لم يفهموه ولم يعلموا تفسيره.  
﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ أي: علم تأويله، أو يعني بـ"تأويله" الوعيد الذي لهم فيه. ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ الآية،  
فيها قولان؛ أحدهما: إخبار بما يكون منهم في المستقبل، وأن بعضهم يؤمن وبعضهم يتمادى على الكفر، والآخر:  
أنها إخبار عن حالهم أن منهم من هو مؤمن به ويكتم إيمانه ومنهم من هو مكذب. ﴿فَقُلْ لِي عَمَلِي﴾ الآية،

وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمِنْهُمْ  
 مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ  
 النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٤﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً  
 مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٥﴾  
 وَإِنَّمَا نُزِينُكَ بِعُضِّ الذِّبْيِ نَعِدُهُمْ وَآؤُتُوْفَيْنَاكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ  
 مَا يَفْعَلُونَ ﴿١٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ  
 لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ  
 لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ  
 سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿١٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ آتَيْنَاكُمْ عَذَابَهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ  
 مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٢٠﴾ أَتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنْتُمْ بِهِ ءَأَلْسَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢١﴾  
 ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٢﴾

موادعة منسوخة بالقتال. ﴿مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ أي: يستمعون القرآن، وجمع الضمير بالحمل على معنى  
 "من". ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ المعنى: أتريد أن تسمع الصم؟ وذلك لا يكون، لا سيما إذا انضاف إلى الصم  
 عدم العقل. ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى﴾ المعنى: أتريد أن تهدي العمي؟ وذلك لا يكون، لا سيما إذا انضاف إلى  
 عمى البصر عمى البصيرة، والصم والعمي عبارة عن قلة فهمهم. ﴿كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً﴾ تقليل لمدة  
 بقائهم في الدنيا أو في القبور. ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يعني يوم الحشر، فهو على هذا عامل في "يوم نحشرهم"،  
 أو حال من الضمير في "يلبثوا". ﴿وَإِنَّمَا نُزِينُكَ﴾ شرط جوابه ﴿فَالِإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾؛ والمعنى: إن أريناك بعض  
 عذابهم في الدنيا فذلك، وإن توفيناك قبل ذلك فإلينا مرجعهم. ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾ ذكرت "ثم" لترتيب  
 الأخبار لا لترتيب الأمر، قاله ابن عطية. وقال الزمخشري: ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها وهو العقاب.  
 فالترتيب على هذا صحيح. ﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ قيل: مجيئه في الآخرة للفصل، وقيل: مجيئه في الدنيا وهو  
 بعثه. ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ كلام فيه استبعاد واستخفاف. ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ أي: بالليل. ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ  
 مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ المعنى: أي شيء يستعجلون من العذاب وهو ما لا طاقة لكم به، وقوله "ماذا" جواب "إن  
 أتاكم"، والجملة متعلقة بـ"أرأيتم". ﴿أَتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾ دخلت همزة التقرير على "ثم" العاطفة،  
 والمعنى: إذا وقع العذاب وعايينتموه آمنتم به الآن، وذلك لا ينفعكم؛ لأنكم كنتم تستعجلون به مكذبين به.

وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلِ اِي وَرَبِّي اِنَّهُ لَحَقُّ وَمَا اَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْ اَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْاَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهٖ ۗ وَاَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَاوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ اَلَا اِنَّ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ اِلَّا اِنْ وَعَدَ اللّٰهُ حَقًّا وَلٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٨﴾ هُوَ سَمِيٌّ ۗ وَيُمِيتُ وَاِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٩﴾ يٰٓاَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَّوْعِظَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُوْرِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِيْنَ ﴿٦٠﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللّٰهِ وَبِرَحْمَتِهِ ۗ فَبِذٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوْا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٦١﴾ قُلْ اَرَايْتُمْ مَا اَنْزَلَ اللّٰهُ لَكُمْ مِّنْ رِّزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلٰلًا قُلْ - اللّٰهُ اٰذِنٌ لَّكُمْ ۗ اَمْرٌ عَلٰى اللّٰهِ تَفْتَرُونَ ﴿٦٢﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِيْنَ يَفْتَرُوْنَ عَلٰى اللّٰهِ الْكٰذِبِ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ ۗ اِنَّ اللّٰهَ لَذُو فَضْلٍ عَلٰى النَّاسِ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُوْنَ ﴿٦٣﴾ وَمَا تَكُوْنُ فِيْ شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوْا مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُوْنَ مِنْ عَمَلٍ اِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُوْهَدًا اِذْ تُفِيضُوْنَ فِيْهِ

﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ ﴾ أي: يسألونك هل الوعيد حق؟ أو هل الشرع والدين حق؟ والأول أرجح لقوله ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ أي: لا تفوتون من الوعيد. ﴿ قُلِ اِي ﴾ أي: نعم. ﴿ ظَلَمْتُمْ ﴾ صفة لـ"نفس"؛ أي: لو ملك الظالم الدنيا لافتدى بها من عذاب الآخرة. ﴿ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ ﴾ أي: أخفوها في نفوسهم، وقيل: أظهروها. ﴿ مَّوْعِظَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ ﴾ يعني القرآن. ﴿ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُوْرِ ﴾ أي: يشفي ما فيها من الجهل والشك. ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللّٰهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوْا ﴾ يتعلق "بفضل الله" بقوله "فليفرحوا"، وكرر الباء في قوله "بذلك" تأكيداً، والمعنى: الأمر أن يفرحوا بفضل الله ورحمته لا بغيرهما، وال"فضل" وال"رحمة" عموم، وقد قيل: ال"فضل" الإسلام وال"رحمة" القرآن. ﴿ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ أي: فضل الله ورحمته خير مما يجمعون من حطام الدنيا. ﴿ قُلْ اَرَايْتُمْ مَا اَنْزَلَ اللّٰهُ لَكُمْ مِّنْ رِّزْقٍ ﴾ الآية، مخاطبة لكفار العرب الذين حرّموا البحيرة والسائبة وغير ذلك. ﴿ - اللّٰهُ اٰذِنٌ لَّكُمْ ﴾ متعلق بـ"أرايتم"، وكرر "قل" للتأكيد، ولما قسم الأمر إلى إذن الله لهم أو افتراءهم ثبت افتراءهم؛ لأنهم معترفون أن الله لم يأذن لهم في ذلك. ﴿ وَمَا ظَنُّ ﴾ وعيد للذين يفترون. ﴿ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ ﴾ ظرف منصوب بال"ظن"، والمعنى: أي شيء يظنون أن يفعل بهم في ذلك اليوم؟. ﴿ وَمَا تَكُوْنُ فِيْ شَأْنٍ ﴾ ال"شأن" الأمر، والخطاب للنبي ﷺ، والمراد هو وجميع الخلق، ولذلك قال في آخرها ﴿ وَلَا تَعْمَلُوْنَ مِنْ عَمَلٍ ﴾ بمخاطبة الجماعة، ومعنى الآية إحاطة علم الله بكل شيء. ﴿ وَمَا تَتْلُوْا مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ ﴾ الضمير عائد على ال"قرآن"، وإن لم يتقدم ذكره لدلالة ما بعده عليه، كأنه قال: ما تلتوا شيئاً من القرآن، وقيل: يعود على ال"شأن"، والأول أرجح؛ لأن الإضمار قبل الذكر تفخيم للشيء. ﴿ اِذْ تُفِيضُوْنَ فِيْهِ ﴾

وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٤﴾ وَلَا يُحْزِنُكَ قَوْلُهُمْ وَإِنَّ الْغِزَةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٥﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَحْزَنُونَ ﴿١٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿١٧﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ هُوَ الْعَنِيُّ

يقال: أفاض الرجل في الأمر إذا أخذ فيه بجده. ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾ ما يغيب. ﴿مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ وزنها، والذرة "صغار النمل، قال الزمخشري: إن قلت: لم قدمت ﴿الأرض﴾ على ﴿السَّمَاءِ﴾ بخلاف سورة سبأ؟ فالجواب: أن "السَّمَاءَ" قدمت في سبأ لأن حقها التقديم، و قدمت "الأرض" هنا لما ذكرت الشهادة على أهل الأرض. ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾ من قرأهما بالفتح فهو عطف على لفظ "مِثْقَال"، ومن قرأهما بالرفع عطف على موضعه أو رفعه بالابتداء. ﴿أَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾ اختلف الناس في معنى الولي اختلافا كثيرا؛ والحق فيه ما فسر ه الله بعد هذا بقوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾؛ فمن جمع بين الإيثار والتقوى فهو الولي، وإعراب "الذين ءَامَنُوا" صفة لـ "أولياء"، أو منصوب على التخصيص، أو رفع بإضمار: هم الذين، ولا يكون ابتداء مستأنفا لثلاثا ينقطع مما قبله. ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أما بشرى الآخرة فهي الجنة اتفاقا، وأما بشرى الدنيا فهي الرُيَا الصالحة يراها الرجل الصالح أو تُرى له، روي ذلك عن رسول الله ﷺ، وقيل: محبة الناس للرجل الصالح، وقيل: ما بشر به في القرآن من الثواب. ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ أي: لا تغيير لأقواله ولا خلف لمواعيده، وقد استدلل بها ابن عمر ؓ على أن القرآن لا يقدر أحد أن يبدله. ﴿وَلَا يُحْزِنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ يعني ما يقوله الكفار من التكذيب. ﴿إِنَّ الْغِزَةَ لِلَّهِ﴾ إخبار في ضمنه وعد للنبي ﷺ بالنصر وتسليته له. ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ فيها وجهان؛ أحدهما: أن تكون "ما" نافية، وأوجب بقوله "إلا الظن" وكرر "إن يتبعون" تأكيدا، والمعنى: ما يتبع الكفار إلا الظن. والوجه الثاني: أن تكون "ما" استفهامية ويتم الكلام عند قوله "شركاء"، والمعنى: أي شيء يتبعون على وجه التحقير لما يتبعونه، ثم ابتداء الإخبار بقوله "إن يتبعون إلا الظن"، والعامل في "شركاء" على الوجهين "يدعون". ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ من السكون وهو ضد الحركة. ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي: مضيئا تبصرون فيه الأشياء. ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ الضمير للنصارى، ولمن قال إن الملائكة بنات الله. ﴿هُوَ الْعَنِيُّ﴾ وصف يقتضي نفي الولد،

لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَنِ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى  
 اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٧﴾ قُلِ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٧٨﴾  
 مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ  
 ﴿٧٩﴾ \* وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَلْقَوْنِي إِنْ كُنْتُمْ عَلِيمِينَ وَمَقَامِي وَمَقَامِي  
 بِغَايَةِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً  
 ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٨٠﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُمْ مِنْ آجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ  
 وَأُمِرْتُ أَنْ أكونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٨١﴾ فَكَذَّبُوهُ فَجَبْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ  
 خَلْفَةً وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُذْذَرِينَ ﴿٨٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ  
 بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ  
 كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى  
 فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ  
 عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٨٥﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا

والرد على من نسيه الله؛ لأن الغني المطلق لا يفتقر إلى اتخاذ ولد. ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ بيان وتأکید  
 لـ"الغني"، وباقي الآية توبيخ للكفار ووعيد لهم. ﴿مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا﴾ تقديره: لهم متاع في الدنيا. ﴿نُوحٍ﴾ روي أن  
 اسمه عبد الغفار، وإنما سمي نوحا لكثرة نوحه على نفسه من خوف الله. ﴿كَبُرَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: صعب وشق.  
 ﴿مَقَامِي﴾ أي: قيامي لو عظكم والكلام معكم، وقيل: معناه مكاني؛ يعني نفسه، كقولك: فعلت ذلك لمكان فلان.  
 ﴿فَأَجْمِعُوا﴾ بقطع الهمزة من أجمع الأمر إذا عزم عليه، وقرئ بألف وصل من الجمع. ﴿وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ أي: ما  
 تعبدون من دون الله، وإعرابه: مفعول معه، أو مفعول بفعل مضمر تقديره: ادعوا شركاءكم؛ هذا على القراءة  
 بقطع الهمزة، وأما على الوصل فهو معطوف. ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أي: لم يكن قصدكم إلى إهلاك  
 مستورا، ولكن مكشوفاتجاهروني به، وهو من قولك: غم الهلال إذا لم يظهر، والمراد بقوله "أمركم" في الموضعين  
 إهلاككم لنوح عليه السلام؛ أي: لا تقصروا في إهلاكه إن قدرتم على ذلك. ﴿ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ﴾ أي: انفذوا فيما  
 تريدون، ومعنى الآية: أن نوحا عليه السلام قال لقومه: إن صعب عليكم دعائي لكم إلى الله فاصنعوا بي غاية ما  
 تريدون، فإني لأبالي بكم لتوكلي على الله وثقتي به سبحانه. ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْفَةً﴾ أي: يخلفون من هلك بالغرق.  
 ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا﴾ يعني هودا وصالحا وإبراهيم وغيرهم. ﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾ قيل: إنه معمول "أتقولون"

وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمْ  
 الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ  
 ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ  
 مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ  
 اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ  
 عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ  
 لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَى يَنْقُومُ إِن كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ  
 مُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾

فهو من كلام قوم فرعون؛ وهذا ضعيف؛ لأنهم كانوا يصممون على أنه سحر، لقولهم "إن هذا لسحر مبين"، فكيف يستفهمون عنه؟ وقيل: إنه من كلام موسى تقريراً وتوبيخاً لهم، فيوقف على قوله "أتقولون للحق لما جاءكم"، ويكون معمول "أتقولون" محذوفاً تقديره: أتقولون للحق لما جاءكم إنه سحر، وبدل على هذا المحذوف ما حكى عنهم من قولهم "إن هذا لسحر مبين"، فلما تم الكلام ابتداءً موسى توبيخهم بقوله ﴿أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾، وهذا هو اختيار شيخنا الأستاذ أبي جعفر ابن الزبير رحمه الله. ﴿لِنَلْفِتَنَّا﴾ أي: لتصرفنا وتردنا عن دين آبائنا. ﴿وَتَكُونَ لَكُمْ الْكِبْرِيَاءُ﴾ أي: الملك، والخطاب لموسى وأخيه عليهما السلام. ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ﴾ "ما" موصولة مرفوعة بالابتداء، و"السحر" الخبر، وقرئ "السحر" بالاستفهام؛ ف"ما" على هذا استفهامية، و"السحر" خبر ابتداء مضمرة. ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ﴾ يحتتمل أن يكون من كلام موسى، أو إخبار من الله تعالى. ﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ﴾ الضمير عائد على "موسى"، ومعنى الـ"ذرية": شبان وفتيان من بني إسرائيل آمنوا به على خوفهم من فرعون، وقيل: إن الضمير عائد على "فرعون"، فالـ"ذرية" على هذا من قوم فرعون، وروي في هذا: أنها امرأة فرعون وخازنه وامرأة خازنه، وهذا بعيد؛ لأن هؤلاء لا يقال لهم ذرية، ولأن الضمير ينبغي أن يعود على أقرب مذكور. ﴿عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾ الضمير يعود على الـ"ذرية"؛ أي: آمنت ذرية من بني إسرائيل على خوف من فرعون وملائي بني إسرائيل؛ لأن الأكبر من بني إسرائيل كانوا يمتنعون أولادهم من الإيمان خوفاً من فرعون، وقيل: يعود على "فرعون" بمعنى آل فرعون، كما يقال: ربيعة ومضر، أو لأنه ذو أصحاب يأتمرون له. ﴿أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ بدل من "فرعون". ﴿لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: متكبر قاهر. ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا تمكنهم من عذابنا

وَجِنَّا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَ لِقَوْمِكَ بِمِصْرَ بُيُوتًا وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ فَاَسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَنَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ \* وَجَلَّوْنَا بِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَأَلَّنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾

فيقولون: لو كان هؤلاء على الحق ما عذبناهم؛ فيفتنون بذلك. ﴿أَنْ تَبَوَّءَ لِقَوْمِكَ بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ أي: اتخذ لهم بيوتاً للصلاة والعبادة، وقيل: إنه أراد الإسكندرية. ﴿وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ أي: مساجد، وقيل: موجهة إلى جهة القبلة، فإن قيل: لم خص موسى وهارون بالخطاب في قوله "أن تبوءا"، ثم خوطب معها بنو إسرائيل في قوله "واجعلوا"؟ فالجواب: أن قوله "أن تبوءا" من الأمور التي تختص بها الأنبياء وأولوا الأمر. ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أمر لموسى، وقيل: لمحمد صلى الله عليه وسلم. ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَن سَبِيلِكَ﴾ دعاء بلفظ الأمر، وقيل: اللام لام كي، ويتعلق بقوله "آتيت". ﴿اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ﴾ أي: أهلكها. ﴿وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: اجعلها شديدة القسوة. ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ جواب للدعاء الذي هو "اشدد"، ودعاء بلفظ النهي. ﴿قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ﴾ الخطاب لموسى وهارون على أنه لم يذكر الدعاء إلا عن موسى وحده، لكن كان موسى يدعو وهارون يؤمن على دعائه. ﴿فَاَسْتَقِيمَا﴾ أي: اثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة إلى الله. ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ﴾ أي: لحقهم، يقال: تبعه حتى أتبعه، هكذا قال الزمخشري، وقال ابن عطية: أتبع بمعنى تبع، وأما أتبع بالتشديد فهو طلب الأثر سواء أدرك أو لم يدرك. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ يعني: الله عز وجل، وفي لفظ فرعون مجهولة وتعلمم لكونه لم يصرح باسم الله. ﴿ءَأَلَّنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ أي: قيل له أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار، وذلك لا يقبل منك. ﴿نُنَجِّيكَ﴾ أي: نبعذك مما جرى لقومك من الوصول إلى قعر البحر، وقيل: نلقيك على نجوة من الأرض، أي: على موضع مرتفع. ﴿بِبَدَنِكَ﴾ أي: بجسدك جسدا دون روح، وقيل: بدرعك، وكان له درع من ذهب يعرف بها، والمجورور في موضع الحال، والباء للمصاحبة. ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً﴾ أي: لمن وراءك؛ وهم بنو إسرائيل.

وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ  
 الْعِلْمُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٦٦﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي  
 شَكِّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ۖ لَقَدْ جَاءَكَ  
 الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٧﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِ  
 اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ  
 ﴿٦٩﴾ وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٧٠﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ أَمَنَتْ  
 فَتَفْعَهَا إِيْمَانًا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ  
 الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٧١﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا

﴿مُبَوَّأً صِدْقٍ﴾ منزلا حسنا وهو مصر والشام. ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ قيل: يريد اختلافهم في دينهم، وقيل: اختلافهم في أمر محمد ﷺ. ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكِّ﴾ قيل: الخطاب للنبي ﷺ والمراد غيره، وقيل: ذلك كقول القائل لابنه: إن كنت ابني فبرني؛ مع أنه لا يشك أنه ابنه، ولكن من شأن الشك أن يزول بسؤال أهل العلم فأمره بسؤالهم، قال ابن عباس ؓ: لم يشك النبي ﷺ ولم يسأل، وقال الزمخشري: إن ذلك على وجه الفرض والتقدير أي: إن فرضت أن تقع في شك فاسأل. ﴿مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ قيل: يعني القرآن والشرع بجملته؛ وهذا أظهر، وقيل: يعني ما تقدم من أن بني إسرائيل ما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم الحق. ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يعني الذين يقرؤون التوراة والإنجيل، قال السهيلي: هم عبد الله بن سلام ومخبرق ومن أسلم من الأحبار؛ وهذا بعيد، لأن الآية مكية، وإنما أسلم هؤلاء بالمدينة، فحمل الآية على الإطلاق أولى. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ﴾ خطاب للنبي ﷺ والمراد غيره. ﴿حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾ أي: قضى أنهم لا يؤمنون. ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ أَمَنَتْ﴾ "لولا" هنا للتخصيص بمعنى هلا، وقرئ في الشاذ "هلا"، والمعنى: هلا كانت قرية من القرى المتقدمة أمنت قبل نزول العذاب فنفعها إيمانها، إذ لا ينفع بعد معاينة العذاب كما جرى لفرعون. ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ استثناء من "القرى"؛ لأن المراد أهلها، وهو استثناء منقطع بمعنى: ولكن قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم العذاب، ويجوز أن يكون متصلا، والجملة في معنى النفي كأنه قال: ما أمنت قرية إلا قوم يونس، وروي في قصصهم: أن يونس عليه السلام أُنذرهم بالعذاب، فلما رآه قد خرج من بين أظهرهم علموا أن العذاب ينزل بهم، فتأبوا وتضرعوا إلى الله تعالى؛ فرفعه عنهم. ﴿وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ يريد إلى آجالهم المكتوبة في الأزل.



أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَجَعَلَ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّنَكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦﴾ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدَكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٩﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٢٠﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٢١﴾

﴿أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ الهمة للإنكار؛ أي: أتريد أنت أن تكره الناس بإدخال الإيمان في قلوبهم، وتضطرمهم إلى ذلك؛ وليس ذلك إليك إنما هو بيد الله؟ وقيل: المعنى: أفأنت تكره الناس بالقتل حتى يؤمنوا؟ أو كان هذا في صدر الإسلام قبل الأمر بالجهاد، ثم نسخت بالسيف. ﴿انظُرُوا﴾ أمر بالاعتبار والنظر في آيات الله. ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يعني من قضى الله عليه أنه لا يؤمن، و"ما" نافية، أو استفهامية يراد بها النفي. ﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ﴾ الآية، تهديد. ﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾ اعتراض بين العامل ومعموله؛ وهما ﴿كَذَلِكَ﴾ و﴿نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾. ﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ﴾ الوجه هنا بمعنى القصد والدين. ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ منسوخ بالقتال، وكذلك قوله ﴿وَأَصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ وعد بالنصر والظهور على الكفار.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الرَّبِّ كِتَابٌ أَحْكَمَتْ - آيَتُهُ ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ  
 خَبِيرٍ ۝ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا  
 إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ۗ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي  
 أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ۝ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۗ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ أَلَّا إِتَّهَمُ  
 يَتْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ ۗ أَلَا حِينٍ يَسْتَعْشُونَ تِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ  
 وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا

## سورة هود عليه السلام

﴿الرَّكِتَابُ﴾ يعني القرآن، وهو خبر ابتداء مضمرة. ﴿أَحْكَمَتْ﴾ أي: أتقنت؛ فهو من الإحكام للشيء. ﴿ثُمَّ فَصَّلَتْ﴾ قيل: معناه بينت، وقيل: قطعت سورة سورة، و"ثم" هنا ليست للترتيب في الزمان، وإنما هي لترتيب الأحوال كقولك: فلان كريم الأصل ثم كريم الفعل. ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ "أن" مفسرة، وقيل: مصدرية في موضع مفعول من أجله، أو بدل من الـ"آيات"، أو يكون كلاماً مستأنفاً منقطعاً عما قبله على لسان رسول الله ﷺ؛ ويدل على ذلك قوله ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾. ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ أي: استغفروه لما تقدم من الشرك والمعاصي ثم ارجعوا إليه بالطاعة والإستقامة عليها. ﴿يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا﴾ أي: ينفعكم في الدنيا بالأرزاق والنعم والخيرات، وقيل: هو طيب عيش المؤمن برجائه في الله ورضاه بقضائه؛ لأن الكافر قد يمتع في الدنيا بالأرزاق. ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني الموت. ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ أي: يعطي في الآخرة كل ذي عمل جزاء عمله، والضمير يحتمل أن يعود على "الله" تعالى أو على "ذي فضل". ﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾ خطاب للناس، وهو فعل مستقبل حذف منه إحدى التائين. ﴿عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ يعني يوم القيامة أو غيره كيوم بدر. ﴿أَلَّا إِتَّهَمُ يَتْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ قيل: كان الكفار إذا لقيهم رسول الله ﷺ يردون إليه ظهورهم؛ لئلا يرونه من شدة البغضة والعداوة، والضمير في "منه" على هذا يعود على رسول الله ﷺ، وقيل: إن ذلك عبارة عما تنطوي عليه صدورهم من البغض والغل، وقيل: هو عبارة عن إعراضهم؛ لأن من أعرض عن شيء انثنى عنه وانحرف، والضمير في "منه" على هذا يعود على "الله" تعالى، أي: يريدون أن يستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله والمؤمنون على ما في قلوبهم. ﴿أَلَا حِينٍ يَسْتَعْشُونَ تِيَابَهُمْ﴾ أي: يجعلونها أغشية وأغطية كراهية لاستماع القرآن، والعامل في "حين" ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾، وقيل: المعنى يريدون أن يستخفوا حين يستغشون ثيابهم، فيوقف عليه على هذا، ويكون "يعلم" استثناءً. ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ وعد وضمان صادق، فإن قيل: كيف قال "على الله" بلفظ الوجوب، وإنما هو

وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۗ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ ۗ وَإِكْمَادُ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ  
وَلَيْسَ قَوْلُكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لِيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا  
سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۗ أَلَا يَوْمَ  
يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣﴾ وَلَئِنْ أَدَقْنَا  
الْإِنْسَانَ مِنْهُ رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ ۗ كَفُورٌ ﴿٤﴾ وَلَئِنْ أَدَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ  
ضُرَاءٍ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ۗ إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٦﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ ۗ  
وَضَآئِقٌ بِهِ ۗ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيهِ كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ۗ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ

تفضل لأن الله لا يجب عليه شيء؟ فالجواب: أنه ذكره كذلك تأكيداً في الضمان؛ لأنه لما وعد به صار واقعاً  
محالة، لأنه لا يخلف الميعاد. ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ المستقر: صلب الأب، والمستودع: بطن الأم،  
وقيل: المستقر المكان في الدنيا، والمستودع القبر. ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ دليل على أن العرش والماء كانا  
موجودين قبل خلق السموات والأرض. ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾ أي: ليختبركم اختباراً تقوم به الحجة عليكم؛ لأنه كان  
عالماً بأعمالكم قبل خلقكم، ويتعلق "ليلوكم" بـ "خلق". ﴿سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ يحتمل أن يشير إلى القرآن، أو إلى  
القول بالبعث، يعنون أنه باطل كبطلان السحر. ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ﴾ يحتمل أن يريد عذاب الدنيا أو  
الآخرة. ﴿إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾ أي: إلى وقت محدود. ﴿لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾ أي: شيء يمنع هذا العذاب  
الموعود به؟! وقولهم ذلك على وجه التكذيب والاستخفاف. ﴿وَلَئِنْ أَدَقْنَا﴾ الآية، ذم لمن يقنط عند الشدائد،  
ولمن يفخر ويتكبر عند النعم، والـ ﴿رَحْمَةً﴾ هنا والـ ﴿نِعْمَاءَ﴾ يراد بهما الخيرات الدنيوية، و﴿الْإِنْسَانَ﴾ عام  
يراد به الجنس، والاستثناء على هذا متصل. وقيل: المراد بـ "الإنسان" الكافر، فالاستثناء على هذا منقطع.  
﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ الآية، كان الكفار يقترحون على رسول الله ﷺ أن يأتي بكتز أو يأتي معه  
ملك، وكانوا يستهزؤون بالقرآن، فقال الله تعالى له: لعلك تترك أن تلقي إليهم بعض ما أنزل إليك ويثقل  
عليك تبليغهم من أجل استهزائهم، أو لعلك يضيق صدرك من أجل أن يقولوا: لولا أنزل عليه كتز أو جاء  
معه ملك. والمقصود بالآية: تسلية النبي ﷺ عن قولهم حتى يبلغ الرسالة ولا يبالي بهم، وإنما قال ﴿ضَآئِقٌ﴾ ولم  
يقل ضيق؛ ليدل على اتساع صدره ﷺ وقلة ضيقه. ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ أي: ليس عليك إلا الإنذار والتبليغ،

وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَاتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ  
 مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مِنِ اسْتِطْعَتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ  
 فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ  
 الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ وَأَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ  
 لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾  
 أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ

والله هو الوكيل الذي يقضي بما شاء من إيمانهم أو كفرهم. ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ "أم" هنا منقطعة بمعنى بل والهمزة، والضمير في "افتراه" لما يوحى إليه. ﴿قُلْ فَاتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ تحداهم أو لا بعشر سور، فلما بان عجزهم عنها تحداهم بسورة واحدة فقال ﴿فَاتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾، والمائلة المطلوبة في فصاحته وعلومه. ﴿مُفْتَرِيَاتٍ﴾ صفة لـ "عشر سور"، وذلك مقابلة لقولهم "افتراه" وليست المائلة في الافتراء. ﴿وَاذْعُوا مِنِ اسْتِطْعَتُمْ﴾ أي: استعينوا بمن شئتم. ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ فيها وجهان؛ أحدهما: أن تكون مخاطبة من الله للنبي ﷺ وللمؤمنين؛ أي: إن لم يستجب الكفار إلى ما دعوتهم إليه من معارضة القرآن فاعلموا أنه من عند الله، وهذا على معنى: دوموا على أعمالكم بذلك أو زيدوا يقينا به، والثاني: أن يكون خطابا من النبي ﷺ للكفار؛ أي: إن لم يستجب من تدعونه من دون الله إلى شيء من المعارضة ولا قدر جميعكم عليها، فاعلموا أنه من عند الله؛ وهذا أقوى من الأول لقوله ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾، ومعنى "بعلم الله" بإذنه أو بما لا يعلمه إلا الله من الغيوب، وقوله "فهل أنتم مسلمون" لفظه استفهام، ومعناه: استدعاء إلى الإسلام وإلزام الكفار أن يسلموا؛ لما قام الدليل على صحة الإسلام بعجزهم عن الاتيان بمثل القرآن. ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ الآية، نزلت في الكفار الذين يريدون الدنيا ولا يريدون الآخرة؛ إذ هم لا يصدقون بها، وقيل: نزلت في أهل الرياء من المؤمنين الذين يريدون بأعمالهم الدنيا، حسبما ورد في الحديث في القارئ والمنفق والمجاهد الذين أرادوا أن يقال ذلك؛ إنهم أول من تسعّر بهم النار؛ والأول أرجح لتقدم ذكر الكفار المناقضين للقرآن فإنما قصد بهذه الآية أولئك. ﴿نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾ أي: نوف إليهم أجور أعمالهم بما نعطيهم في الدنيا من الصحة والرزق، والضمير في "فيها" يعود على "الدنيا"، والمجرور يتعلق بقوله "نوف" أو بـ "أعمالهم". ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ الضمير في "فيها" هنا يعود على "الآخرة" إن تعلق المجرور بـ "حبط"، ويعود على "الدنيا" إن تعلق بـ "صنعوا". ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ الآية، معادلة لما تقدم، والمعنى: أفمن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بينة من ربه، والمراد بـ "من كان على بينة من ربه" النبي ﷺ

وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۗ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَمَنْ يَكْفُرْ  
بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَأَلْنَا مَوْعِدَهُ ۗ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۗ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ  
النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۗ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ  
عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ أَلَّا شَهِدْتُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۗ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ  
﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ أُولَٰئِكَ  
لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ۗ يُضَعِفُ لَهُمْ  
الْعَذَابَ ۗ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا  
أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسِرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ  
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَحْبَبُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ  
﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۗ هَلْ يَسْتَوِينَ مَثَلًا ۗ أَفَلَا  
تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ۖ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۗ

والمؤمنون؛ لقوله بعد ذلك ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، ومعنى الـ"بينة" البرهان العقلي والأمر الجلي. ﴿وَيَتْلُوهُ  
شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ الضمير في "يتلوه" للبرهان وهو البينة، أو لمن كان على بينة من ربه، والضمير في "منه" للرب  
تعالى، "ويتلوه" هنا بمعنى يتبع، والـ"شاهد" يراد به القرآن؛ فالمعنى: يتبع ذلك البرهان شاهد من الله وهو  
القرآن فيزيد وضوحه وتعظم دلالته، وقيل: إن الـ"شاهد" المذكور هنا هو علي بن أبي طالب ؑ. ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ  
كِتَابٌ مُّوسَىٰ﴾ أي: ومن قبل ذلك الشاهد كتاب موسى، وهو أيضا دليل آخر متقدم، وقد قيل أقوال كثيرة في  
معنى هذه الآية، وأرجحها ما ذكرنا. ﴿مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ أي: من أهل مكة. ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾ جمع شاهد  
كأصحاب، ويحتمل أن يكون من الشهادة فيراد به الملائكة والأنبياء، أو من الشهود بمعنى الحضور فيراد به  
كل من حضر الموقف. ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي: يطلبون اعوجاجها، أو يصفونها بالاعوجاج. ﴿لَمْ يَكُونُوا  
مُعْجِزِينَ﴾ أي: لا يفلتون. ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ إخبار عن تشديد عذابهم، وليس بصفة لـ"أولياء". ﴿مَا  
كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ الآية، "ما" نافية والضمير للكفار، والمعنى: وصفهم بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون  
كقوله ﴿حَتَّمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ الآية، وقيل غير ذلك وهو بعيد. ﴿لَا جَرَمَ﴾ أي: لا بد ولا شك. ﴿أَحْبَبُوا﴾  
أي: خشعوا، وقيل: أنابوا. ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ يعني المؤمنين والكافرين. ﴿كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالسَّمِيعِ﴾  
شبه الكافر بالأعمى والأصم، وشبه المؤمنين بالبصير والسميع؛ فهو على هذا تمثيل للمؤمنين بمثلين

إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَوْمِ ﴿١٠﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرْنَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرْنَكَ آتِبْعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِي الرَّأْيِ وَمَا نَرِي لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَذِبِينَ ﴿١١﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمِيتَ عَلَيْكُمْ ۖ أَنْزَلْنَاكُمْهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ ﴿١٢﴾ وَيَقَوْمِ لَا تَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْمَقُونَ ﴿١٣﴾ وَلِيَكْفِيَ أُرْبُكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿١٤﴾ وَيَقَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ ۖ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ۗ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ ۗ

وتمثيل للكافرين بمثلين، وقيل: التقدير كالأعمى الأصم والبصير السميع؛ فالواو لعطف الصفات. فهو على هذا تمثيل للمؤمن بمثال واحد وهو من جمع بين البصر والسمع، وتمثيل للكافر بمثال واحد وهو من جمع بين العمى والصمم. ﴿عَذَابَ يَوْمِ الْيَوْمِ﴾ وصف الـ"يوم" بالـ"اليوم" على وجه المجاز لوقوع الألم فيه. ﴿أَرَادُوا بِادِي الرَّأْيِ﴾ جمع أرذل، وهم سفلة الناس، وإنما وصفوهم بذلك لفقرهم جهلا منهم، واعتقادا أن الشرف هو بالمال والجاه، وليس الأمر كما اعتقدوا؛ بل المؤمنون كانوا أشرف منهم على حال فقرهم وخمولهم في الدنيا، وقيل: إنهم كانوا حاكة وحجامين، واختار ابن عطية أنهم أرادوا أنهم أرذل في أفعالهم لقول نوح ﴿وَمَا عَلَّمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. ﴿بَادِي الرَّأْيِ﴾ أي: أول الرأي من غير نظر ولا تدبير، و"بادي" منصوب على الظرفية، أصله وقت حدوث أول رأيهم، والعامل فيه "اتبك" على أصح الأقوال، والمعنى اتبعك الأراذل من غير نظر ولا تثبت، وقيل: هو صفة لـ"بشرا مثلنا"؛ أي: غير مثبت في الرأي. ﴿وَمَا نَرِي لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ أي: زيادة شرف، والخطاب لنوح عليه السلام ومن معه. ﴿عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ أي: على برهان وأمر جلي، وكذلك في قصة صالح وشعيب. ﴿وَءَاتَانِي رَحْمَةً﴾ يعني النبوة. ﴿فَعَمِيتَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: خفيت، والفاعل الـ"بينة" أو الـ"رحمة". ﴿أَنْزَلْنَاكُمْهَا﴾ أي: أنكرهكم على قبولها قهرا، وهذا هو جواب "أرايتم"، ومعنى الآية أن نوحا عليه السلام قال لقومه: أرايتم إن هداني الله وأضلكم، أأجبركم على الهدى وأنتم له كارهون؟ ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾ الضمير في "عليه" عائد على التبليغ. ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يقتضي أنهم طلبوا منه طرد الضعفاء. ﴿إِنَّهُمْ مُلْمَقُونَ رَبَّهُمْ﴾ المعنى: أنه يجازيهم على إيمانهم. ﴿مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ﴾ أي: من يدفع عني عقاب الله إن ظلمتهم بالطرد. ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ الآية، أي لا ادعي ما ليس لي فتتكرون قولي. ﴿تَزْدَرِي﴾ أي: تحتقر، من قولك: زريت على الرجل إذا قصرت به، والمراد

إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا يَنْبُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٢١﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٢٢﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ وَإِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَبُهُ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَحْرَمُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَوْحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٢٥﴾ وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَلَا نُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿١٢٦﴾ وَيَصْنَعِ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿١٢٧﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿١٢٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ

بالذين تزدرى أعينهم؛ ضعفاء المؤمنين. ﴿إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: إن قلت للمؤمنين ﴿لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾، والـ"خير" هنا يحتمل أن يريد به خير الدنيا أو الآخرة. ﴿جَادَلْتَنَا﴾ الجدال هو المخاصمة والمراجعة في الحجة. ﴿فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ أي: بالعذاب. ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي﴾ الآية، جزاء قوله ﴿إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ﴾ هو ما دل عليه قوله "نصحي"، وجزاء قوله ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ هو ما دل عليه قوله "لا ينفعكم نصحي"؛ فتقديرها: إن أراد الله أن يغويكم لم ينفعكم نصحي إن نصحت لكم، ثم استأنف قوله ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾، ولا يجوز أن يكون "هوربكم" جواب الشرط. ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَاهُ﴾ الآية، الضمير في "يقولون" لكفار قريش، وفي "افتراه" لمحمد ﷺ؛ هذا قول جميع المفسرين، واختار ابن عطية أن تكون في شأن نوح عليه السلام، فيكون الضمير في "يقولون" لـ"قوم نوح"، وفي افتراه لـ"نوح"؛ لثلا يعترض ما بين قصة نوح وغيرها؛ وهذا بعيد. ﴿إِجْرَامِي﴾ أي: ذنبي. ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ أي: فلا تحزن. ﴿وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: تحت نظرنا وحفظنا. ﴿وَوَحَيْنَا﴾ أي: تعليمنا لك كيف تصنع الفلك. ﴿وَلَا نُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: لا تشفع لي فيهم فإنني قد قضيت عليهم بالغرق. ﴿وَكُلَّمَا﴾ يحتمل أن يكون جوابها ﴿سَخِرُوا مِنْهُ﴾، أو ﴿قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي﴾. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد. ﴿وَمَنْ يَأْتِيهِ﴾ منصوب بـ"تعلمون". ﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ هو الغرق، والـ"عذاب" الـ"مقيم" عذاب النار. ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ غاية لقوله "يصنع الفلك". ﴿وَفَارَ التَّنُورُ﴾ أي: فار بالماء، وجعل الله تلك علامة لنوح ليركب حيثئذ في السفينة. والمراد بـ"التنور" الذي يوقد فيه، عند ابن عباس ؓ وغيره. وروي أنه كان تنور آدم خلص إلى نوح، وقيل: "التنور" وجه الأرض. ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ المراد بالـ"زوجين" الذكر والأنثى من الحيوان، وقرئ "من كل" بغير تنوين فعمل "احمل" في "اثنين"،

وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿١٠٦﴾ وَقَالَ  
 أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ يُحْرِبُهَا وَمُرْسِنَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٧﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي  
 مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْرَلٍ يَبُنِي أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ  
 الْكَافِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ سَعَاوَى إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَصِمَ الْيَوْمَ مِنْ  
 أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿١٠٩﴾ وَقِيلَ يَا تَرْضُ

وقرى بالتنوين؛ فعمل "احمل" في "زوجين"، وجعل "اثنين" توكيدا. ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي: قرابتك، وهو معطوف  
 على ما عمل فيه "احمل". ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ أي: من قضى عليه بالعذاب، فهو مستثنى من أهله،  
 والمراد بذلك ابنه الكافر وامرأته. ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ معطوف على "أهلك" أي: احمل أهلك ومن آمن من  
 غيرهم. ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قيل: كانوا ثمانين، وقيل: عشرة، وقيل: ثمانية. ﴿وَقَالَ أَرْكَبُوا﴾ الضمير  
 في "قال" لـ "نوح"، والخطاب لمن كان معه، والضمير في ﴿فِيهَا﴾ للسفينة، وروي أنهم ركبوا فيها في أول يوم  
 من رجب، واستقرت على الجودي يوم عاشوراء. ﴿بِسْمِ اللَّهِ يُحْرِبُهَا وَمُرْسَاهَا﴾ اشتقاق "مجرها" من الجري،  
 واشتقاق "مرساها" من الإرساء وهو الثبوت؛ أي: وقوف السفينة، ويمكن أن يكونا ظرفين للزمان أو  
 للمكان أو مصدرين، ويحتمل الإعراب وجهين؛ أحدهما: أن يكون "بسم الله" في موضع الحال من الضمير في  
 "اركبوا"؛ والتقدير: اركبوا متبركين باسم الله، أو قائلين بسم الله، فيكون "مجرها ومرساها" على هذا ظرفين  
 للزمان بمعنى وقت إجرائها وإرسائها، أو ظرفين للمكان، ويكون العامل فيهما ما في قوله "بسم الله" من  
 معنى الفعل، ويكون قوله "بسم الله" متصلا مع ما قبله، والجملة كلام واحد. والوجه الثاني: أن يكون  
 كلامين؛ فيوقف على "اركبوا فيها"، ويكون "بسم الله" في موضع خبر، و"مجرها ومرساها" مبتدأ بمعنى المصدر،  
 أي: إجراؤها وإرساؤها، ويكون "بسم الله" على هذا مستأنفا غير متصل بما قبله، ولكنه من كلام نوح حسبا  
 روي أن نوحا كان إذا أراد أن يُجري السفينة قال: بسم الله؛ فتجري، وإذا أراد وقوفها قال: بسم الله؛ فتقف. ﴿وَهِيَ  
 تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ روي: أن الماء طبق ما بين السماء والأرض فصار الكل كالبحر، قال ابن عطية: وهذا  
 ضعيف؛ وأين كان الموج كالجبال على هذا؟ وصوبه الزمخشري وقال: كانت تجري في موج كالجبال قبل التطبيق،  
 وقبل أن يغمر الماء الجبال. ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ اسمه كنعان، وقيل: يام، وكان له ثلاثة بنين سواه وهم؛ سام  
 وحام ويافث، ومنهم تناسل الخلق. ﴿فِي مَعْرَلٍ﴾ أي: في ناحية. ﴿لَا عَصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾  
 يحتمل أربعة أوجه؛ أحدها: أن يكون "عاصم" اسم فاعل، و"من رحم" كذلك بمعنى الراحم؛ فالعنى لا عاصم  
 إلا الراحم وهو الله تعالى، والثاني: أن يكون "عاصم" بمعنى ذي عصمة؛ أي: معصوم، و"من رحم" بمعنى  
 مفعول؛ أي: من رحمه الله، فالعنى: لا معصوم إلا من رحمه الله، والاستثناء على هذين الوجهين متصل،



أَبْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَاءُ أَقْلِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ  
 بُعْدًا لِّقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ  
 الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ يَنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ  
 صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ  
 رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ  
 مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٠٩﴾ قِيلَ يَنُوحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ

والثالث: أن يكون "عاصم" اسم فاعل، و"من رحم" بمعنى المفعول، والمعنى: لا عاصم من أمر الله، لكن من  
 رحمه الله فهو المعصوم، والرابع: عكسه، والاستثناء على هذين منقطع. ﴿ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ عبارة عن جفوف  
 الأرض من الماء. ﴿أَقْلِي﴾ أي: أمسكي عن المطر، وروي أنها أمطرت من كل موضع منها. ﴿وغيض  
 الماء﴾ أي: نقص. ﴿وقضى الأمر﴾ أي: تم وكمل. ﴿واستوتت على الجودي﴾ أي: استقرت السفينة على  
 الجودي، وهو جبل بالموصل. ﴿وقيل بعداً﴾ أي: هلاكاً، وانتصب على المصدر. ﴿ونادى نوح ربه﴾ يحتمل  
 أن يكون هذا النداء قبل الغرق، فيكون العطف من غير ترتيب أو يكون بعده. ﴿فقال رب إن ابني من أهلي﴾  
 أي: وقد وعدتني أن تنجي أهلي. ﴿قال يا نوح إنه ليس من أهلك﴾ أي: ليس من أهلك الذين وعدتكم  
 بنجاتهم لأنه كافر، وقال الحسن: لم يكن ابنه ولكن خاتمه أمه وكان لغير رشده؛ وهذا ضعيف؛ لأن الأنبياء  
 عليهم الصلاة والسلام قد عصمهم الله من أن تزني نساؤهم، ولقوله "ونادى نوح ابنه". ﴿إنه عمل غير  
 صالح﴾ فيه ثلاثة تأويلات على قراءة الجمهور؛ أحدها: أن يكون الضمير في "إنه" لسؤال نوح نجاه ابنه،  
 والثاني: أن يكون الضمير لابن نوح وحذف مضاف من الكلام تقديره: إنه ذو عمل غير صالح، والثالث: أن  
 يكون الضمير لابن نوح، و"عمل" مصدر وصف به مبالغة؛ كقولك: رجل صوم، وقرأ الكسائي "عمل" بفعل  
 ماض "غير صالح" بالنصب، والضمير على هذا لابن نوح بلا إشكال. ﴿فلا تستلن ما ليس لك به علم﴾  
 أي: لا تطلب مني أمراً لا تعلم أصواب هو أم غير صواب حتى تقف على كنهه، فإن قيل: لم سمي نداؤه  
 سؤالاً ولا سؤال فيه؟ فالجواب: أنه تضمن السؤال وإن لم يصرح به. ﴿إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾  
 "أن" في موضع مفعول من أجله تقديره: أعظك كراهة أن تكون من الجاهلين، وليس في ذلك وصف له  
 بالجهل بل فيه ملاطفة وإكرام. ﴿اهبط بسلام﴾ أي: اهبط من السفينة بسلامة. ﴿وعلى أمم ممن معك﴾ أي:  
 ممن معك في السفينة، واختار الزمخشري أن يكون المعنى من ذرية من معك، ويعني به المؤمنين إلى يوم القيامة،  
 ف"من" على هذا لابتداء الغاية، والتقدير: على أمم ناشئة من معك، وعلى الأول تكون "من" لبيان الجنس.

وَأُمِّ سَمْتَهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مَنَا عَذَابُ الْيَوْمِ ﴿١١﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢﴾ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنَّا أَنْتُمْ وَآلَاؤُكُمْ مُفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مَجْرِمِينَ ﴿١٥﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٦﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَآشْهَدُوكُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٧﴾ مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴿١٨﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٩﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ

﴿وَأُمِّ سَمْتَهُمْ﴾ يعني نمتعهم متاع الدنيا، وهم الكفار إلى يوم القيامة. ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ إشارة إلى القصة، وفي الآية دليل على أن القرآن من عند الله؛ لأن النبي ﷺ لم يكن يعلم ذلك قبل الوحي. ﴿إِنَّا أَنْتُمْ وَآلَاؤُكُمْ مُفْتَرُونَ﴾ يعني في عبادتكم لغير الله. ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ "السماء" هنا المطر، و"مدراراً" بناء تكثير من الدر؛ يقال: در المطر واللبن وغير ذلك، وفي الآية دليل على أن التوبة والاستغفار سبب لنزول الأمطار، وروى أن عاداً كان المطر قد حُبس عنهم ثلاث سنين، فأمرهم بالتوبة والاستغفار ووعدهم على ذلك بالمطر، والمراد بالتوبة هنا الرجوع عن الكفر ثم عن الذنوب؛ لأن التوبة من الذنوب لا تصح إلا بعد الإيمان. ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ أي: بمعجزة، وذلك كذب منهم وجحود، أو يكون معناه بآية تضطرنا إلى الإيمان بك، وإن كان قد أتاهم بآية نظرية. ﴿عَنْ قَوْلِكَ﴾ أي: بسبب قولك. ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ معناه: ما نقول إلا أن بعض آلهتنا أصابك بجنون؛ لما سببتها ونهيتها عن عبادتها. ﴿فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ﴾ هذا أمر بمعنى التعجيز، أي: لا تقدرون أنتم ولا آلهتكم على شيء، ثم ذكر سبب قوته في نفسه وعدم مبالاته بهم فقال: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ﴾ الآية. ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ أي: هي في قبضته وتحت قهره، والأخذ بالناصية تمثيل لذلك، وهذه الجملة تعليل لقوة توكله على الله وعدم مبالاته بالخلق. ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يريد أن أفعال الله جميلة، وقوله صدق ووعدته حق؛ فلا استقامة تامة. ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ﴾ أصل "تولوا" هنا تولوا؛ لأنه فعل مستقبل حذف منه تاء المضارعة، فإن قيل: كيف وقع الإبلاغ جواباً للشرط، وقد كان الإبلاغ

وَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿١٠﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿١١﴾ وَتِلْكَ ءَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٢﴾ وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ ءَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّءَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿١٣﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهِ غَيْرُهُ ۗ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ ۗ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿١٤﴾ قَالُوا يَا صَالِحُ أَتَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿١٥﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن عَصَيْتُهُ ۗ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿١٦﴾ وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾

قبل التولي؟ فالجواب: أن المعنى إن تتولوا فلا عتب علي؛ لأنني قد أبلغتكم رسالة ربي. ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾ أي: لا تنقصونه شيئاً إذا أهلككم واستخلف غيركم. ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ إن قيل: لم قال هنا وفي قصة شعيب "ولما" بالواو، وقال في قصة صالح ولوط "فلما" بالفاء؟ فالجواب على ما قال الزمخشري: أنه وقع ذلك في قصة صالح ولوط بعد الوعيد، فجيء بالفاء التي تقتضي التسيب، كما تقول: وعدتك فلما جاء الميعاد، بخلاف قصة هود وشعيب، فإنه لم يتقدم ذلك فيهما فعطف بالواو. ﴿وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ يحتمل أن يريد به عذاب الآخرة، ولذلك عطفه على النجاة الأولى التي أراد بها النجاة من الريح، ويحتمل أن يريد بالثاني أيضاً الريح، وكرره إعلاماً بأنه "عذاب غليظ"، وتعديدا للنعمة في نجاتهم. ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ في جمع الرسل هنا وجهان؛ أحدهما: أن من عصى رسولا واحداً لزمه عصيان جميعهم؛ فإنهم متفقون على الإيمان بالله وعلى توحيده، والثاني: أن يريد الجنس؛ كقولك: فلان يركب الخيل، وإن لم يكن يركب إلا فرسا واحداً. ﴿أَلَا إِنَّ ءَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ هذا تشنيع لكفرهم، وتهويل بحرف التنبيه، وبتكرار اسم "عاد". ﴿أَلَا بُعْدًا﴾ أي: هلاكاً، وهذا دعاء عليهم، وانتصابه بفعل مضمر، فإن قيل: كيف دعا عليهم بالهلاك بعد أن هلكوا؟ فالجواب: أن المراد أنهم أهل لذلك. ﴿لِّءَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ بيان لأن عاداً اثنان إحداهما قوم هود والأخرى إرم. ﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ﴾ لأن آدم خلق من تراب. ﴿وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ أي: جعلكم تعمرونها فهو من العمران للأرض، وقيل: هو من العمر، نحو: استبقاكم من البقاء. ﴿قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾ أي: كنا نرجو أن نتفع بك حتى قلت ما قلت، وقيل: معناه كنا نرجو أن تدخل في ديننا.

فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعَدُوٌّ غَيْرٌ مَّكَذُوبٍ ﴿١٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ  
 امْتَرْنَا نَجِينَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمٍئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ  
 الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جَثِمِينَ ﴿١٧﴾  
 كَأَن لَّمْ يَغْتَوْا فِيهَا إِلَّا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدًا لِّثَمُودٍ ﴿١٨﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا  
 إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿١٩﴾ فَأَمَّا رَبُّ  
 آيِدِيهِمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفِ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ  
 لُّوطٍ ﴿٢٠﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْتَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَّرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ ﴿٢١﴾

﴿ فِي دَارِكُمْ ﴾ أي: بلدكم. ﴿ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ﴾ قيل: إنها الخميس والجمعة والسبت؛ لأنهم عقروا الناقة يوم  
 الأربعاء وأخذهم العذاب يوم الأحد. ﴿ وَمِن خِزْيِ يَوْمٍئِذٍ ﴾ معطوف على "نجينا" أي: نجيناهم من  
 خزي يومئذ. ﴿ جَثِمِينَ ﴾ ذكر في الأعراف. ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْتَوْا فِيهَا ﴾ كأن لم يقيموا فيها، والضمير لـ "الديار"،  
 وكذلك في قصة شعيب. ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ ﴾ الـ "رسل" هنا الملائكة. ﴿ بِالْبُشْرَى ﴾ بشروه  
 بالولد. ﴿ قَالُوا سَلَامًا ﴾ نصب على المصدر، والعامل فيه فعل مضمّر تقديره: سلّمنا عليكم سلاماً.  
 ﴿ قَالَ سَلَامٌ ﴾ تقديره: عليكم سلام أو سلام عليكم، وهذا على أن يكون بمعنى التحية، وإنما رفع جوابه  
 ليدل على إثبات السلام، فيكون قد حياهم بأحسن مما حيوه، ويحتمل أن يكون السلام بمعنى السلامة،  
 ونصب الأول لأنه في معنى الطلب، ورفع الثاني لأنه في معنى الخبر. ﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ ﴾ أي: ما لبث  
 مجيئه بل عجل، و"ما" نافية، و"أن جاء" فاعل بـ"لبث". ﴿ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ أي: مشوي، وفعل هنا بمعنى  
 مفعول. ﴿ نَكِرَهُمْ ﴾ أي: أنكرهم ولم يعرفهم، يقال نكر وأنكر بمعنى واحد. ﴿ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾  
 قيل: إنه لم يعرفهم فخاف منهم لما لم يأكلوا طعامه، وقيل: عرف أنهم ملائكة ولكن خاف أن يكونوا  
 أرسلوا بها يخاف، فأمنوه بقولهم ﴿ لَا تَخَفْ ﴾. ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ ﴾ قيل: قائمة خلف ستر، وقيل: قائمة في  
 الصلاة، وقيل: قائمة تخدم القوم، واسمها سارة. ﴿ فَضَحِكَتْ ﴾ قيل: معناها حاضت؛ وهو ضعيف، وقال  
 الجمهور: هو الضحك المعروف، واختلفوا من أي شيء ضحكت؟ فقيل: سرورا بالولد الذي بشرت به،  
 وفي الكلام على هذا تقديم وتأخير، وقيل: سرورا بالأمن من بعد الخوف، وقيل: سرورا بهلاك قوم لوط.  
 ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ ﴾ أسند البشارة إلى ضمير الله تعالى لأنها كانت بأمره. ﴿ وَمِنْ وَّرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ ﴾ أي:  
 من بعده وهو ولده، وقيل: وراء ولد الولد، و"يعقوب" بالرفع مبتدأ وبالفتح معطوف على "إسحاق".

قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ۗ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٦﴾  
 قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ ۖ أَهْلَ الْبَيْتِ ۗ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ  
 ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنِ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ مُجَدِّلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٨﴾ إِنَّ  
 إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٩﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ۗ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ امْرَأَتُكَ  
 وَاتِّمَّتْ ۖ وَاتَّبِعْ ۚ وَاتَّبِعْ عَذَابَ غَيْرِ مَرْدُودٍ ﴿٨٠﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ  
 وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٨١﴾ وَجَاءَهُمْ قَوْمُهُمْ يَهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا  
 يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ۗ قَالَ يَلْقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۗ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَحْزُنُوا  
 فِي صَيْفِي ۗ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٨٢﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ  
 حَقِّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ﴿٨٣﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٤﴾

﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى﴾ الألف فيه مبدلة من ياء المتكلم، وكذلك في يا لهفا ويا أسفا ويا عجباً، ومعناه: التعجب من الولادة، وروي أنها كانت حينئذ بنت تسع وتسعين سنة، وإبراهيم ابن مائة سنة. ﴿رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ يحتمل الدعاء والخبر. ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ أي: أهل بيت إبراهيم، وهو منصوب بفعل مضمر على الاختصاص أو منادى. ﴿حَمِيدٌ﴾ أي: محمود. ﴿مَّجِيدٌ﴾ من المجد؛ وهو العلو والشرف. ﴿يُجَادِلُنَا﴾ هذا جواب "لما" على أن يكون المضارع موضع الماضي، أو على تقدير: ظل أو أخذ يجادلنا، أو يكون "يجادلنا" مستأنفاً والجواب محذوف، ومعنى جداله كلامه مع الملائكة في رفع العذاب عن قوم لوط، وقد ذكر في اللغات. ﴿حَلِيمٌ﴾ وفي براءة ﴿لَأَوَّاهٌ﴾. ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ أي: قلنا يا إبراهيم أعرض عن هذا، يعني عن المجادلة فيهم، فقد نفذ القضاء بعداهم. ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ﴾ الرسل هنا الملائكة، ومعنى "سيء بهم" أصابه سوء وضجر لما ظن أنه من بني آدم، وخاف عليهم من قومه. ﴿يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ أي: شديد. ﴿وَجَاءَهُمْ قَوْمُهُمْ يَهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ أي: يسرعون، وكانت امرأة لوط قد أخبرتهم بنزول الأضياف عنده، فأسرعوا ليعملوا بهم عملهم الخبيث. ﴿وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ أي: كانت عادتهم إتيان الفواحش في الرجال. ﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ المعنى: فتزوجوهن؛ وإنما قال ذلك ليقبي أضيافه ببناته، وقيل: إن اسم بنته الواحدة ريثا والأخرى غوثا، وإن اسم امرأته الهالكة والهة، واسم امرأة نوح والغة. ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقِّ﴾ أي: مالنا فيهن أرب. ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ﴾ يعنون نكاح الذكور. ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾ جواب "لو" محذوف تقديره: لو كانت لي قدرة على دفعكم لفعلت، ويحتمل أن تكون "لو" للتمني. ﴿أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ معنى

قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِبْ أَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ  
 مِنْكُمْ وَأَحَدُكُمْ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ وَإِنْ مَوَّعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ  
 بِقَرِيبٍ ﴿٣١﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ  
 ﴿٣٢﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٣٣﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ  
 شُعَيْبًا قَالَ يَلْقَوْمِ ااعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنَ إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ

"اوي" الجأ، والمراد بالركن الشديد ما يلجأ إليه من عشيرة أو أنصار يحمونه من قومه، وقال رسول الله ﷺ:  
 «رحم الله أخي لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد» [البخاري: 3192] يعني إلى الله وملائكته. ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا  
 رُسُلُ رَبِّكَ﴾ الضمير في "قالوا" للملائكة، والضمير في ﴿لَنْ يَصِلُوا﴾ لقوم لوط؛ وذلك أن الله طمس على  
 أعينهم حيثئذ. ﴿فَأَسْرِبْ أَهْلِكَ﴾ أي: اخرج بهم بالليل، فإن العذاب ينزل بأهل هذه المدائن، وقرئ "فأسر"  
 بوصل الألف وقطعها وهما لغتان، يقال: سرى وأسرى. ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾ أي: قطعة منه. ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ  
 مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ نها عن الالتفات؛ لثلاث تفتط أكبادهم مما جرى على قريتهم، وقيل: "يلتفت" معناه: يتلوى.  
 ﴿إِلَّا أَمْرَاتُكَ﴾ قرئ بالنصب والرفع؛ فالنصب استثناء من قوله "فأسر بأهلك"، فيقتضي هذا أنه لم يخرجها  
 مع أهله، والرفع بدل من "لا يلتفت منكم أحد"، وروي على هذا أنه أخرجها معه، وأنها التفتت وقالت:  
 يا قوماه! فأصابها حجر فقتلها. ﴿إِنَّ مَوَّعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ أي: وقت عذابهم. ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ ذكر أنهم  
 لما قالوا "إن موعدهم الصبح"، قال لهم لوط: هلا عذبوا الآن؟ فقالوا له "أليس الصبح بقريب". ﴿جَعَلْنَا  
 عَلَيْهَا سَافِلَهَا﴾ الضمير للمدائن، روي أن جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت مدائن قوم لوط، واقتلعها  
 فرفعها حتى سمع أهل السماء صراخ الديكة ونباح الكلاب، ثم أرسلها مقلوبة. ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً﴾  
 أي: على المدائن، والمراد أهلها، وروي أن من كان منهم خارج المدائن أصابته الحجارة من السماء، وأما من  
 كان في المدائن فهلك لما قلبت. ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ قيل: معناه من ماء وطين، وإنها كانت من الآجر المطبوخ،  
 وقيل: هو من سجّله إذا أرسله، وقيل: هو لفظ أعجمي. ﴿مَّنْضُودٍ﴾ أي: مضموم بعضه فوق بعض.  
 ﴿مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾ معناه معلمة بعلامة؛ روي أنها كان فيها بياض وحمرة، وقيل: كان في كل حجر اسم  
 صاحبه. ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ الضمير لـ "حجارة"، والمراد بـ "الظالمين" كفار قريش، فهذا تهديد  
 لهم؛ أي: ليس الرمي بالحجارة ببعيد منهم لأجل كفرهم، وقيل الضمير للمدائن، والمعنى: ليست ببعيد منهم  
 أفلا يعتبرون بها؟ كقوله ﴿وَلَقَدْ آتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوِيًّا﴾، وقيل: إن "الظالمين" على العموم.

إِنِّي أُرِيكُمْ نَجْرِي وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٥﴾ وَيَقَوْمٍ أَوفُوا أَلْمِكَالَ  
وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾  
بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٧﴾ قَالُوا يَلْبُسُ عِيبَ  
أَصْلَوَاتِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ  
الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٨﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا  
وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَيْتُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا  
تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٩﴾ وَيَقَوْمِ لَا تَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ  
مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَّوِطٍ مِّنكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٩٠﴾  
وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩١﴾ قَالُوا يَلْبُسُ عِيبَ مَا نَفَقَهُ  
كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِنَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩٢﴾

﴿إِنِّي أُرِيكُمْ نَجْرِي﴾ يعني رخص الأسعار وكثرة الأرزاق. ﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ يوم القيامة، أو يوم عذابهم في الدنيا. ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: ما أبقاء الله لكم من رزقه ونعمته. ﴿أَصْلَوَاتِكَ تَأْمُرُكَ﴾ الصلاة هي المعروفة، ونسب الأمر إليها مجازاً كقوله ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾، والمعنى: أصلواتك تأمرك بأن نترك عبادة الأوثان؟ وإنما قال الكفار هذا على وجه الاستهزاء. ﴿أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ يعنون ما كانوا عليه من بخس المكيال والميزان، و"ان نفعل" عطف على "أن نترك". ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ قيل: إنهم قالوا ذلك على وجه الاستهزاء والتهكم، وقيل: معناه الحليم الرشيد في نفسه. ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ أي: سالما من الفساد الذي أدخلتم أنتم في أموالكم، وجواب "أرأيتهم" محذوف يدل عليه المعنى؛ وتقديره: أرأيتهم إن كنت على بينة من ربي أيسلح لي ترك تبليغ رسالته. ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَيْتُمْ عَنْهُ﴾ يقال: خالفني فلان إلى كذا إذا قصده وأنت مول عنه، وخالفني عنه إذا ولي عنه وأنت قاصده. ﴿وَمَا قَوْمٌ لَّوِطٍ مِّنكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ أي: لا تكسبنكم عداوتي أن يصيبكم مثل عذاب الأمم المتقدمة، و"شِقَاقِي" فاعل، و"أن يصيبكم" مفعول. ﴿وَمَا قَوْمٌ لَّوِطٍ مِّنكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ يعني في الزمان؛ لأنهم كانوا أقرب الأمم المهلكين إليهم، ويحتمل أن يريد في البلاد. ﴿مَا نَفَقَهُ﴾ أي: ما نفهم. ﴿وَإِنَّا لَنَرِنَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ أي: ضعيف الانتصار والقدرة، وقيل: ناحل البدن، وقيل: أعمى. ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ الرهط: القرابة،





وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ  
 وَسَعِيدٌ ﴿١٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي الْبَارِ هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيْقٌ ﴿١٦﴾ خَلْدِيْنَ فِيهَا مَا دَامَتِ  
 السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۗ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا  
 فِي الْجَنَّةِ خَلْدِيْنَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۗ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوذٍ  
 ﴿١٨﴾ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ ۗ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِّن قَبْلُ  
 وَإِنَّا لَمُوقِفُوهُمْ غَيْرَ مُنْقَوِصٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَآخْتَلَفَ فِيهِ  
 وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ ۗ وَلَهُمْ لَئِي شَكٍّ مِّنْهُ مَرِيْبٌ ﴿٢٠﴾ وَإِن كَلَّا لَمَّا  
 لَيُوقِفَنَّهِنَّ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ۗ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢١﴾ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمِن تَابٍ مَّعَكَ  
 وَلَا تَطْغَوْا ۗ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ

يحضره الأولون والآخرون. ﴿يَوْمَ يَأْتِي﴾ العامل في الظرف "لا تكلم" أو فعل مضمر، وفاعل "ياتي" ضمير يعود على "يوم مشهود"، وقال الزمخشري: يعود على "الله" تعالى كقوله ﴿أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ﴾، ويعضده عود الضمير عليه في قوله ﴿بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ الضمير يعود على أهل الموقف الذين دل عليهم قوله "لا تكلم نفس". ﴿زَفِيرٌ وَشَهِيْقٌ﴾ الـ"زفير" هو إخراج النفس، والـ"شهيق" رده، وقيل: الزفير صوت المحزون، والشهيق صوت الباكي، وقيل الزفير من الحلق والشهيق من الصدر. ﴿مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ فيه وجهان؛ أحدهما: أن يراد به سموات الآخرة وأرضها وهي دائمة أبدا، والآخر: أن يكون عبارة عن التأييد كقول العرب: ما لاح كوكب وما ناح الحمام، وشبه ذلك مما يقصد به الدوام. ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ في هذا الاستثناء ثلاثة أقوال؛ قيل: إنه على طريق التأدب مع الله كقولك: إن شاء الله، وإن كان الأمر واجبا، وقيل: المراد به زمان إخراج المذنبين من النار، ويكون "الذين شقوا" على هذا يعم الكفار والمذنبين، وقيل: استثناء مدة كونهم في الدنيا وفي البرزخ، وأما الاستثناء في أهل الجنة، فيصح فيه القول الأول والثالث دون الثاني. ﴿غَيْرَ مَجْدُوذٍ﴾ أي: غير مقطوع. ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ﴾ الـ"مرية" الشك، والإشارة إلى عبدة الأصنام، أي لا تشك في فساد دين هؤلاء. ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ﴾ أي: هم متبعون لأبائهم تقليدا من غير برهان. ﴿وَإِنَّا لَمُوقِفُوهُمْ نَصِيْبُهُمْ﴾ يعني من العذاب. ﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ يعني القدر، وذلك أن الله قضى أن يفصل بينهم يوم القيامة، فلا يفصل بينهم في الدنيا. ﴿وَإِن كَلَّا﴾ قرئ بتشديد "إن" وبتخفيفها وإعمالها عمل الثقيلة، والتثنية في "كل" عوضا من المضاف إليه، يعني كلهم واللام في ﴿لَمَّا﴾ موطئة للقسمة و"ما" زائدة، و﴿لَيُوقِفَنَّهِنَّ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ خبر "إن"، وقرئ "لما" بالتشديد على أن تكون "إن" نافية و"لما" بمعنى إلا. ﴿لَيُوقِفَنَّهِنَّ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ يعني جزاء أعمالهم. ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يعني الكفار،

وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿١٢١﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ ﴿١٢٢﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٣﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَهُودَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصَلِحُونَ ﴿١٢٥﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١٢٦﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۗ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٧﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِن أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنثِثُ بِهِ ۗ فَوَازِكٌ ۖ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرِي لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٨﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ۖ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَانظُرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ۖ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۗ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٣١﴾

وقيل: إنهم الظلمة من الولاة وغيرهم. ﴿ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾ مستأنف غير معطوف، وإنما ذكره بـ"ثم" لبعده النصر. ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ الآية، يراد بها الصلوات المفروضة؛ فالطرف الأول الصبح، والطرف الثاني الظهر والعصر، والزلف من الليل المغرب والعشاء. ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ لفظ عام، وخصه أهل التأويل بأن "الحسنات" الصلوات الخمس، ويمكن أن يكون ذلك على وجه التمثيل، روي أن رجلا قبل امرأة ثم ندم، فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت الآية، فقال النبي ﷺ: «أين السائل؟» قال: ها أنا ذا! قال: «قد غفر لك» فقال الرجل: لي خاصة أم للمسلمين عامة؟ فقال: «بل للمسلمين عامة» [البخاري: 503]. والآية على هذا مدنية، وقيل: إن الآية كانت قبل ذلك، وذكرها النبي ﷺ للرجل مستدلا بها؛ والآية على هذا مكية كسائر السورة، وإنما تُذهب الحسنات عند الجمهور الصغائر إذا اجتنبت الكبائر. ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى الصلوات، أو إلى كل ما تقدم من وعظ ووعد ووعيد. ﴿فَلَوْلَا﴾ تحضيض بمعنى هلا. ﴿أُولُوا بَقِيَّةَ﴾ أي: أولو خير ودين بقي لهم دون غيرهم. ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ استثناء منقطع معناه: ولكن قليلا ممن أنجينا من القرون. ﴿يَهُودَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ وقيل: هو متصل؛ فإن الكلام الذي قبله في حكم النفي كأنه قال: ما كان فيهم من ينهى عن الفساد في الأرض إلا قليلا، على أن الوجه في مثل هذا البدل ويجوز فيه النصب. ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يعني الذين لم ينهوا عن الفساد. ﴿بِظُلْمٍ﴾ هذا المجرور في موضع الحال من "ربك"، والمعنى: أنه لا يهلك أهل القرى ظلما لهم، تعالى عن ذلك. ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ يعني مؤمنة لا خلاف بينهم في الإيمان. ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ يعني في الأديان والملل والمذاهب. ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قيل: الإشارة إلى الاختلاف، وقيل: إلى الرحمة، وقيل: إليهما. ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ﴾ انتصب "كلا" بـ"نقص"، و"ما" بدل من "كلا". ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ﴾ الإشارة إلى السورة. ﴿أَعْمَلُوا﴾ وانتظروا تهديد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الرَّبِّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا  
عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ  
هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ  
يَتَابِتْ بِنِيَّ فَإِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ  
يَبْنِي لِي قَصَصٌ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ  
مُبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ نَجْتَبِيكَ رُؤْيَاكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ  
عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ  
عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ \* لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْسَّالِفِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا  
لْيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨﴾

## سورة يوسف عليه السلام

﴿الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ يعني القرآن، و"المبين" يحتمل أن يكون بمعنى البين، فيكون غير متعد، أو يكون متعدياً بمعنى أنه أبان الحق؛ أي: أظهره. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يتعلق بـ"أنزلناه"، أو بـ"عربياً". ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ يعني قصة يوسف، أو قصص الأنبياء على الإطلاق، و"القصص" يكون مصدر أو اسم مفعول بمعنى المقصوص؛ فإن أريد به هنا المصدر فمفعول "نقص" محذوف؛ لأن ذكر القرآن يدل عليه. ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ الضمير في "قبله" لـ"القصص"؛ أي: من الغافلين عن معرفته، وفي هذا احتجاج على أنه من عند الله؛ لكونه جاء به من غير تعليم. ﴿إِذْ قَالَ﴾ العامل فيه اذكر المضمرة، أو "القصص". ﴿يَا أَبَتِ﴾ أي: يا أبي؛ والتاء للمبالغة، وقيل: للتأنيث وكسرت لأجل ياء المتكلم، والتاء عوض من ياء المتكلم. ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ كرر الفعل لطول الكلام، وأجرى الكواكب والشمس والقمر مجرى العقلاء في ضمير الجماعة، لما وصفها بفعل من يعقل وهو السجود، وتأويل الكواكب في المنام إخوته، والشمس والقمر أبواه، وسجودهم له تواضعهم له ودخولهم تحت كنفه وهو ملك. ﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ﴾ إنما قال ذلك؛ لأنه علم أن تأويلها ارتفاع منزلته، فخاف عليه من الحسد. ﴿يَجْتَبِيكَ﴾ يختارك. ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ قيل: هي عبارة الرؤيا؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿عَالِ يَعْقُوبَ﴾ يعني ذريته. ﴿آيَاتٌ لِلْسَّالِفِينَ﴾ أي: لمن سأل عنها، روي أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف، أو أمروا قريشا أن يسألوه عنها؛ فهم السائلون على هذا؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿لْيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ هو بنيامين وهو أصغر من يوسف، ويقال إنه شقيق يوسف، وكان أصغر أولاد يعقوب. ﴿وَنَحْنُ غُصْبَةٌ﴾ أي: جماعة نقدر على النفع والضرر بخلاف الصغيرين، والـ"عصبة" العشرة فما فوقها إلى الأربعين. ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أي: في خطأ

أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿١٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهُ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١١﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ ﴿١٢﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعِ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٣﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذَهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّيبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّيبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَسِرُونَ ﴿١٥﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٦﴾ وَجَاءَ وَآبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٧﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا فَاكَلَهُ الذِّيبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٨﴾

وخروج عن الصواب بإفراط حبه ليوסף وأخيه. ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ﴾ أي: لا يشارككم غيره في محبته لكم وإقباله عليكم. ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ أي: بالتوبة والاستقامة، وقيل: هو صلاح حالهم مع أبيهم. ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾ هو يهوذا، وقيل: روبيل. ﴿غَيْبَاتِ الْجَبِّ﴾ غوره وما غاب منه. ﴿السَّيَّارَةِ﴾ جمع سيار، وهم القوم الذين يسيرون في الأرض للتجارة وغيرها. ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ أي: هذا هو الرأي إن فعلتموه. ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾ أي: لم تخاف عليه منا؟ وقرأ السبعة بالإدغام والإشمام؛ لأن أصله بضم النون الأولى. ﴿يَرْتَعِ﴾ من قرأ بكسر العين فهو من الرعي؛ أي: من رعي الإبل، أو من رعي بعضهم لبعض وحرصته، ومن قرأه بالإسكان فهو من الرتع؛ وهو الإقامة في الخصب والتنعم، والتاء على هذا أصلية، ووزن الفعل يفعل، ووزنه على الأول يفتعل، ومن قرأ "يرتع" و﴿يَلْعَبُ﴾ بالياء، فالضمير لـ "يوسف"، ومن قرأه بالنون فالضمير للمتكلمين وهم إخوته، وإنما قالوا "نلعب" لأنهم لم يكونوا حينئذ أنبياء، وكان اللعب من المباح لتعلم القتال كالمسابقة بالخيل. ﴿وَأَجْمَعُوا﴾ أي: عزموا، وجواب "لما" محذوف، وقيل: إنه "أجمعوا" أو "أوحينا" على زيادة الواو. ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾ يحتمل أن يكون هذا الوحي بواسطة ملك أو بإلهام، والضمير في ﴿إِلَيْهِ﴾ لـ "يوسف"، وقيل "لـ" يعقوب؛ والأول هو الصحيح. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ في موضع الحال من "لتنبئهم" أي: لا يشعرون حين تنبئهم، فيكون خطابا لـ "يوسف" عليه السلام، أو من "أوحينا"، أي: لا يشعرون حين أوحينا إليه؛ فيكون خطابا لمحمد ﷺ. ﴿نَسْتَبِقُ﴾ أي: نجري على أقدامنا لننظر أيننا يسبق. ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ أي: بمصدق لمقاتلنا. ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ أي: لا تصدقنا ولو كنا عندك من أهل

وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ وَ أَنْفُسُكُمْ وَأَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۗ وَاللَّهُ  
 الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٤٠﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ ۗ قَالَ  
 يَبْشَرَايَ هَذَا غُلَامٌ ۚ وَأَسْرُوهُ بِضَعَّةٍ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ  
 دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَا مَرْأَتَهُ  
 أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۗ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ  
 وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَاوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۗ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ۗ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤٣﴾

الصدق، فكيف وأنت تتهمنا؟ وقيل: معناه لا تصدقنا، وإن كنا صادقين في هذه المقالة، فذلك على وجه  
 المغالطة منهم؛ والأول أظهر. ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ أي: ذى كذب، أو وصف بالمصدر مبالغة،  
 وروي أنهم لطحوا قميصه بدم جدي، وقالوا ليعقوب: هذا دمه في قميصه! فقال لهم: ما بال الذئب أكله  
 ولم يحرق قميصه؛ فاستدل بذلك على كذبهم. ﴿سَوَّلَتْ﴾ أي: زينت. ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ وعد من نفسه  
 بالصبر، وارتفاعة على أنه مبتدأ تقديره: فصبر جميل أمثل، أو خبر مبتدأ تقديره: شأني صبر جميل. ﴿وَجَاءَتْ  
 سَيَّارَةٌ﴾ روي أن هؤلاء السيارة من مدين، وقيل: هم أعراب. ﴿وَأَرْدَهُمْ﴾ الوارد هو الذي يستقي الماء  
 لجماعة، ونقل السهيلي أن اسم هذا الوارد مالك بن ذعر من العرب العاربة، ولم يكن له ولد فسأل يوسف  
 أن يدعو له بالولد، فدعا له فرزقه الله اثني عشر ولدا أعقب كل واحد منهم قبيلة. ﴿قَالَ يَا بَشْرَايَ﴾ أي:  
 نادى بالبشرى كقولك: يا حسرة، وأضافها إلى نفسه، وقرئ "يا بشرى" بحذف ياء المتكلم، والمعنى كذلك،  
 وقيل على هذه القراءة نادى رجلا منهم اسمه بشرى؛ وهذا بعيد، ولما أدلى الوارد الحبل في الحب تعلق به  
 يوسف، فحيث قال: يا بشرى هذا غلام. ﴿وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً﴾ الضمير الفاعل للـ "سيارة"، والضمير  
 المفعول لـ "يوسف" أي: أخفوه من الرفقة، وقالوا لهم: دفعه لنا قوم لنبيعه لهم بمصر. ﴿وَشَرَوْهُ﴾ أي:  
 باعوه، والضمير أيضا للذين أخذوه، وقيل: الضمير لإخوة يوسف وأنهم رجعوا إليه، فقالوا للسيارة هذا  
 عبدنا. ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ أي: ناقص عن قيمته، وقيل "الـ" بـ "بخس" هنا الظلم. ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ عبارة عن  
 قتلها. ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ أي: الذين اشتراه يعني العزيز، وكان حاجب الملك  
 وخازنه، وقال السهيلي: اسمه قطفير. ﴿مِنْ مِصْرَ﴾ هو البلد المعروف؛ ولذلك لم ينصرف، وكان يوسف قد  
 سيق إلى مصر، فنودي عليه في السوق حتى بلغ ثمنه ووزنه ذهباً وقيل: فضة، فاشتراه العزيز. ﴿تَاوِيلِ  
 الْأَحَادِيثِ﴾ قد تقدم. ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ في عودة الضمير وجهان؛ أحدهما: أن يعود على "الله"؛  
 فالمعنى: أنه يفعل ما يشاء لا راد لأمره، والثاني: أن يعود على "يوسف" أي: يدبر الله أمره بالحفظ له والكرامة.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۗ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ءَ وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ ۗ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ءَ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رِبًّا بُرْهَنَ رَبِّيَ ۗ كَذَلِكَ لِنَتَصَرَّفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۗ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾

﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ قيل في الأشد: البلوغ، وقيل: ثمان عشرة سنة، وقيل: ثلاث وثلاثون، وقيل: أربعون. ﴿حُكْمًا﴾ هو الحكمة والنبوة. ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي: طلبت منه ما يكون من الرجل إلى المرأة، وهي زليخا امرأة العزيز. ﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ روي: أنها كانت سبعة أبواب. ﴿هَيْت لَكَ﴾ اسم فعل معناه: تعال وأقبل، وقرئ بفتح الهاء وكسرهما، وبتفتح التاء وكسرهما وضمهما، والمعنى في ذلك كله واحد، وحركات التاء للبناء؛ وأما من قرأه بالهمز فهو فعل من تهيأت كقولك جئت. ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ منصوب على المصدرية، والمعنى أعوذ بالله. ﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾ يحتمل أن يكون الضمير "الله" تعالى، أو للذي اشتراه؛ لأن السيد يقال له رب؛ فالمعنى لا ينبغي لي أن أخونه. ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ﴾ الضمير للأمر والشأن، ويحتمل ذلك في الأول. ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ أكثر الناس الكلام في هذه الآية حتى ألفوا فيها التواليف، فمنهم مفرط ومفرط؛ وذلك أن منهم من جعل هم المرأة وهم يوسف من حيث الفعل الذي أرادته، وذكروا في ذلك روايات من جلوسه بين رجليها، وحله التكة وغير ذلك مما لا ينبغي أن يقال به؛ لضعف نقله ولنزاهة الأنبياء عن مثله، ومنهم من جعل أنها همت به لتضربه على امتناعه، وهم بها ليقتلها أو يضربها ليدفعها عن نفسه؛ وهذا بعيد يردده قوله ﴿لَوْلَا أَنَّ رِبًّا بُرْهَنَ رَبِّيَ﴾، ومنهم من جعل همها به حيث مرادها وهمه بها ليدفعها؛ وهذا أيضا بعيد لاختلاف سياق الكلام؛ والصواب إن شاء الله؛ أنها همت به من حيث مرادها، وهم بها كذلك؛ لكنه لم يعزم على ذلك ولم يبلغ إلى ما ذكر من حل التكة وغيرها، بل كان همه خطرة خطرت على قلبه لم يطعها ولم يتابعها، ولكنه بادر بالتوبة والإقلاع عن تلك الخطرة حتى محاها من قلبه لما رأى برهان ربه، ولا يقدر هذا في عصمة الأنبياء؛ لأنهم بالذنوب ليس بذنوب ولا نقص عليه في ذلك؛ فإنه من هم بذنوب ثم تركه كتبت له حسنة. ﴿لَوْلَا أَنَّ رِبًّا بُرْهَنَ رَبِّيَ﴾ جوابه محذوف تقديره: لولا أن رأى برهان ربه لخالطها، وإنما حذف لأن قوله "هم بها" يدل عليه، وقد قيل: إن "هم بها" هو الجواب؛ وهو ضعيف؛ لأن جواب لولا لا يتقدم عليها، واختلف في البرهان الذي رأى؟ فقيل: ناداه جبريل: يا يوسف! تكون في ديوان الأنبياء وتفعل فعل السفهاء؟ وقيل: رأى يعقوب بينها، وقيل: تفكر فاستبصر، وقيل: رأى زليخا غطت وجه صنم لها حياء منه، فقال: أنا أولى أن أستحي من الله. ﴿كَذَلِكَ لِنَتَصَرَّفَ﴾ الكاف في موضع نصب متعلقة بفعل مضمرة؛ التقدير: ثبتناه مثل ذلك التثبيت، أو في موضع رفع تقديره: الأمر مثل ذلك. ﴿السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ خيانة سيده، والوقوع في الزنا. ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾ قرئ بفتح اللام حيث وقع،

وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ  
 أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي  
 وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ  
 ﴿١٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ  
 قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿١٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا  
 وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿١٩﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ  
 الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٠﴾

أي: الذين أخلصهم الله لطاعته، وبالكسر أي: الذين أخلصوا دينهم لله. ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ معناه سابق كل واحد منهما صاحبه إلى الباب، فقصد هو الخروج والهروب عنها، وقصدت هي أن ترده، فإن قيل: كيف قال هنا "الباب" بالإنفراد، وقد قال "وغلقت الأبواب" بالجمع؟ فالجواب: أن المراد هنا الباب البراني الذي هو المخرج من الدار. ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾ أي: قطعته من وراء، وذلك أنها قبضت في قميصه من خلفه لترده فتحرق القميص، والقدر القطع بالطول، والقط بالعرض. ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾ أي: وجداز زوجها عند الباب. ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ﴾ لما رأت الفضيحة عكست القضية، وادعت أن يوسف راودها عن نفسها، فذكرت جزاء كل من فعل ذلك على العموم، ولم تصرح بذكر يوسف لدخوله في العموم، وبناء على أن الذنب ثابت عليه بدعواها، و"ما جزاء" يحتمل أن تكون "ما" نافية أو استفهامية. ﴿هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي﴾ برأ نفسه من دعواها. ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ قيل: هو ابن عمها، وقيل: كان طفلاً في المهدي فتكلم؛ وكونه من أهلها أوجب للحجة عليها وأوثق في براءة يوسف، وكونه لم يتكلم قط ثم تكلم بذلك كرامة ليوسف عليه السلام، والتقدير: شهد شاهد فقال، وضمنت الشهادة معنى القول. ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ﴾ لأنها كانت تدافعه فتقد قميصه من قُبُل. ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ﴾ لأنها جذته إلى نفسها حين فر منها فقدت قميصه من دبر. ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ﴾ فاعل "رأى" زوجها أو الشاهد. ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾ الضمير للأمر، أو لقولها "ما جزاء". ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ أي: اكنمه ولا تحدث به، و"يوسف" منادى حذف منه حرف النداء لأنه قريب، وفي حذف الحرف إشارة إلى تقريبه وملاطفته. ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾ خطاب لها، وذلك من كلام زوجها، أو من كلام الشاهد. ﴿الْخَاطِئِينَ﴾ جاء بلفظ التذكير، ولم يقل من الخاطئات تغليبا للذكور. ﴿نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ أي: في مصر، وروي أنهم خمس نسوة؛ امرأة الساقى، وامرأة الخباز، وامرأة صاحب الدواب، وامرأة صاحب السجن، وامرأة الحاجب. ﴿فَتَاهَا﴾ أي: خادمها، والفتى يقال بمعنى الشاب، وبمعنى الخادم. ﴿شَغَفَهَا﴾ بلغ شغاف قلبها وهو غلافه،

فَمَا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ فَمَا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَلَشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِّي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٢٨﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٩﴾ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوْا آيَاتٍ لَّيْسَ جُنُودُهُمْ حَتَّىٰ جِئَ ﴿٣٠﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَيْنِ

وقيل: السويداء منه، وقيل: الشغاف داء يصل إلى القلب. ﴿سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ أي: بقولهن؛ وسماه مكرًا؛ لأنه كان في خفية، وقيل: كانت قد استكتمتهن سرها فأفشيه عليها. ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا﴾ أي: أعدت لهن ما يتكأ عليه من الفرش ونحوها، وقيل: الـ"متكاً" طعام، وقرئ في الشاذ "متكا" بسكون التاء وتنوين الكاف وهو الأترج، وإعطاؤها السكاكين لهن يدل على أن الطعام كان مما يقطع بالسكاكين كالأترج، وقيل: كان لحما. ﴿وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّ﴾ أمر ليوسف؛ وإنما أطاعها لأنه كان مملوكاً لزوجها. ﴿أَكْبَرْتَهُ﴾ أي: عظم شأنه وجماله، وقيل: معنى "أكبرن" حِصْن، والهاء للسكت؛ وهذا بعيد جداً. ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ أي: اشتغلن بالنظر إليه، وبهتت من جماله حتى قطعن أيديهن وهنَّ لا يشعرن كما يقطع الطعام. ﴿حَلَشَ لِلَّهِ﴾ معناه: براءة وتنزيهه، أي: تنزيهه لله وتعجب من قدرته على خلقه مثله، وحاش في باب الاستثناء تخفض على أنها حرف، وأجاز المبرد النصب بها على أن تكون فعلاً، وأما هنا فقال أبو علي الفارسي: إنها فعل، والدليل على ذلك من وجهين؛ أحدهما: أنها دخلت على لام الجر وهو اللام في قوله "له"، ولا يدخل الحرف على حرف، والآخر: أنها حذفت منها الألف على قراءة الجماعة، والحروف لا يحذف منها شيء، وقرأ هنا أبو عمرو بالألف على الأصل، وإنما تحذف من الأفعال كقولك: لم يك، ولا أدر، والفاعل بـ"حاش" ضمير يعود على "يوسف" تقديره: بعد يوسف عن الفاحشة لخوف الله، وقال الزمخشري: إن "حاش" وضع موضع المصدر كأنه قال تنزيهاً، ثم قال "الله" لبيان من ينزهه، قال: وإنما حذفت منه التنوين مراعاة لأصله من الحرفية. ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ أخرجته من البشر وجعلته من الملائكة مبالغة في وصفه بالحسن. ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِّي فِيهِ﴾ توبيخ لهن على اللوم. ﴿فَاسْتَعْصَمَ﴾ أي: طلب العصمة وامتنع مما أرادت منه. ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ أي: أميل، وكلامه هذا تضرع إلى الله. ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ﴾ أي: ظهر، والفاعل محذوف تقديره: رأي، والضمير في "لهم" لزوجها وأهله، أو من تشاور معه في ذلك. ﴿رَأَوْا الآيَاتِ﴾ أي: الأدلة على براءته. ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ أي: شابان، وقيل: هنا محذوف لا بد منه وهو: فسجنوه،



قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرِنِّي أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرِنِّي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا  
تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۗ إِنَّا نَبْرُكُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ  
تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ ۗ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ  
قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ  
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۗ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۗ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا  
وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٨﴾ يَصْنَعِي السِّجْنَ عَرَبَاتٍ  
مُتَفَرِّقَاتٍ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٢٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ  
سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ ۗ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۗ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۗ أَمَرَ أَلَّا  
تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۗ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ يَصْنَعِي  
السِّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ۗ وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ  
مِنْ رَأْسِهِ ۗ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِينَ ﴿٣١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا

وكان يوسف قد قال لأهل السجن: إني أعبء الرؤيا، فلذلك سأله الفتيان عن منامهما، وقيل: إنها استعمالها  
ليجرباه، وقيل: رأيا ذلك حقا. ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ قيل: فيه سمي العنب خمرًا بما يؤول إليه، وقيل: هي لغة. ﴿إِنَّا  
نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ قيل: معناه في تأويل الرؤيا، وقيل: إحسانه إلى أهل السجن. ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ  
تُرْزَقَانِيهِ﴾ الآية، تقتضي أنه وصف لهما نفسه بكثرة العلم؛ ليجعل ذلك وصلة إلى دعائها لتوحيد الله، وفيها  
وجهان؛ أحدهما: أنه قال يخبرهما بكل ما يأتيهما في الدنيا من طعام قبل أن يأتيهما؛ وذلك من الإخبار بالغيوب  
الذي هو معجزة للأنبياء، والآخر: أنه قال لا يأتيكما طعام في المنام إلا أخبرتكما بتأويله قبل أن يظهر تأويله في  
الدنيا. ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ روي: أنها قالاه: من أين لك هذا العلم، وأنت لست بكاهن ولا منجم؟  
فقال: ذلكما مما علمني ربي. ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ يحتمل أن يكون هذا الكلام تعليلا لما قبله  
من قوله "علمني ربي"، أو يكون استئنافا. ﴿يَا صَاحِبِي السِّجْنِ﴾ نسبها إلى السجن؛ إما لأنها سكناه أو  
لأنهما صحباه في السجن، كأنه قال: يا صاحبي في السجن. ﴿عَرَبَاتٍ مُتَفَرِّقَاتٍ خَيْرٌ﴾ الآية، دعاها إلى  
توحيد الله، وأقام عليها الحجة رغبة في إيمانها. ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ﴾ أوقع الأسماء هنا موقع  
المسميات؛ والمعنى: سميتم آلهة ما لا يستحق الإلهية ثم عبدتموها. ﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أي: حجة وبرهان.  
﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ﴾ يعني الملك. ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ الـ"ظن" هنا يحتمل أن يكون بمعنى اليقين؛

أَذْكُرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ، فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ  
 الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعُ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ  
 يَابِسَتٍ يَتَأَيَّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءُوبِي إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ  
 وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴿١٤﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنْتَبِئُكُمْ  
 بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿١٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ  
 عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾

لأن قوله "قضي الامر" يقتضي ذلك، أو يكون على بابه؛ لأن عبارة الرؤيا ظن. ﴿أَذْكُرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي: عند الملك. ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ قيل: الضمير ليوسف، أي: نسي في ذلك الوقت أن يذكر الله ورجاه غيره، فعاقبه الله على ذلك بأن لبث في السجن، وقيل الضمير "للذي نجا منها"، وهو الساقى أي: نسي ذكر يوسف عند ربه، فأضاف الذكر إلى ربه إذ هو عنده، والرب على هذا التأويل الملك. ﴿بِضْعَ سِنِينَ﴾ البضع من الثلاثة إلى العشرة، وقيل: إلى التسعة، وقيل: إلى السبعة، وروي: أن يوسف عليه السلام سجن خمس سنين أولاً، ثم سجن بعد قوله ذلك سبع سنين. ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ هو ملك مصر الذي كان العزيز خادماً له، واسمه الريان بن الوليد، وقيل: مصعب بن الريان وكان من الفراعنة، وقيل: إنه فرعون موسى عمر أربعائة سنة حتى أدرك موسى؛ وذلك بعيد. ﴿إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ﴾ يعني في المنام. ﴿عِجَافٍ﴾ أي: ضعاف في غاية الهزال. ﴿يَأْتِيهَا الْمَلَأُ﴾ خطاب لجلسائه وأهل دولته. ﴿لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ أي: تعرفون تأويلها، يقال: عبرت الرؤيا بتخفيف الباء، وأنكر بعضهم التشديد، وهو مسموع من العرب، ودخلت اللام على المفعول به لما تقدم على الفعل. ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ أي: تخاليطها وأباطيلها، وما يكون منها من حديث نفس ووسوسة شيطان بحيث لا يعبر، وأصل الـ"أضغاث" ما جمع من أخلاط النبات، واحده ضغث، فإن قيل: لم قالوا "أضغاث أحلام" بالجمع وإنما كانت رؤيا واحدة؟ فالجواب: أن هذا كقولك: فلان يركب الخيل، وإن ركب فرسا واحداً. ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾ إما أن يريدوا تأويل الأحلام الباطلة، أو تأويل الأحلام على الإطلاق؛ وهو الأظهر. ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾ هو ساقى الملك. ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أي: بعد حين. ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ يقدر قبله محذوف لا بد منه، وهو: فأرسلوه فقال يا يوسف، وسماه صديقاً؛ لأنه كان قد جرب صدقه في تأويل الرؤيا وغيرها، والصديق مبالغة في الصدق. ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ﴾ أي: فيمن رأى سبع بقرات، وكان الملك قد رأى سبع بقرات سمان أكلتهن سبع عجاف، فتعجب كيف غلبتهن، وكيف وسعت في بطونهن، ورأى سبع سنبلات خضر، وقد التفت بها سبع يابسات حتى غطت خضرتها.

قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ ﴿٩﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿١٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ النَّحْصُحَصَّ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١١﴾

﴿ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ ﴾ هذا تعبير الرؤيا، وذلك أنه عبر البقرات السان بسبع سنين مخصبة، وعبر العجاف بسبع سنين مجدبة، وكذلك السنبلات الخضر واليابسة. ﴿ دَأْبًا ﴾ بسكون الهمزة وفتحها، مصدر دأب على العمل إذا دام عليه، وهو مصدر في موضع الحال. ﴿ فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ ﴾ هذا رأي أرشدهم يوسف إليه، وذلك أن أرض مصر لا يبقى فيها الطعام عامين، فعلمهم حيلة يبقى فيها من السنين المخصبة إلى السنين المجدبة، وهي أن يتركوه في سنبله غير مدروس، فإن الحبة إذا بقيت في غشائها انحفظت. ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴾ أي: لا تدرسوا منه إلا ما يحتاج للأكل خاصة. ﴿ سَبْعٌ شِدَادٌ ﴾ يعني: سبع سنين ذات شدة وجوع. ﴿ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ ﴾ أي: تأكلون فيهن ما أخزنتم من الطعام في سنبله، وأسند الأكل إلى السنين مجازا. ﴿ تَحْصِنُونَ ﴾ أي: تحزنون وتحبسون. ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ ﴾ هذا زيادة على ما تقتضيه الرؤيا، وهو الإخبار بالعام الثامن. ﴿ يُغَاثُ النَّاسُ ﴾ يحتل أن يكون من الغيث أي: يمطرون، أو من الغوث أي: يفرج الله عنهم. ﴿ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ ﴾ أي: يعصرون الزيتون والعنب والسَّمْسَمِ وغير ذلك مما يعصر. ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ﴾ قيل: هنا محذوف؛ وهو: فرجع الرسول إلى الملك، فقص عليه مقالة يوسف فرأى علمه وعقله، فقال: ائتوني به. ﴿ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلْهُ ﴾ لما أمر الملك بإخراج يوسف من السجن وإتيانه إليه، أراد يوسف أن يبرئ نفسه مما نسب إليه من مراودة امرأة العزيز عن نفسها، وأن يعلم الملك وغيره أنه سجن ظلما، فذكر طرفا من قصته لينظر الملك فيها فيتبين له الأمر، وكان هذا الأمر من يوسف صبورا وحلما، إذ لم يجب إلى الخروج من السجن ساعة دعي إلى ذلك بعد طول المدة، ومع ذلك فإنه لم يذكر امرأة العزيز رعيًا لئلا يظن زوجها واستراها، بل ذكر النسوة اللاتي قطعن أيديهن. ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ ﴾ الآية، جمع الملك النسوة وامرأة العزيز معهن، فسألهن عن قصة يوسف، وأسند المراودة إلى جميعهن؛ لأنه لم يكن عنده علم بأن امرأة العزيز هي التي راودته وحدها. ﴿ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ ﴾ تبرئة ليوسف، أو تبرئة لأنفسهن من مراودته، وتكون تبرئة يوسف بقولهن ﴿ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ﴾. ﴿ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ﴾ أي: تبين وظهر ثم اعترفت على

ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهِ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي  
 إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِي بِهِ  
 أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٢٨﴾ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ  
 الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ

نفسها بالحق. ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهِ بِالْغَيْبِ﴾ قيل: إنه من كلام امرأة العزيز متصلا بما قبله، والضمير في "يعلم" و"أخنه" على هذا ليوسف عليه السلام؛ أي: ليعلم يوسف أني لم أكذب عليه في حال غيبته، والإشارة بذلك إلى توبتها وإقرارها، وقيل: إنه من كلام يوسف عليه السلام، والضمير للعزيز أي: لم أخنه في زوجته في غيبته بل تعففت عنها، والإشارة بذلك إلى توفقه عن الخروج من السجن حتى تظهر براءته. ﴿وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي﴾ اختلف أيضا؛ هل هو من كلام امرأة العزيز، أو من كلام يوسف؟ فإن كان من كلامها فهو اعتراف بعد الاعتراف، وإن كان من كلامه فهو اعتراف بما هم به على وجه خطوره على قلبه، لا على وجه العزم والقصد، أو قاله في عموم الأحوال على وجه التواضع. ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ "النفس" هنا للجنس، والنفوس ثلاثة أنواع؛ أمارة بالسوء، ولوامة وهي التي تلوم صاحبها، ومطمئنة. ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ استثناء من "النفس" إذ هي بمعنى النفوس، أي الأنفوس المرحومة وهي المطمئنة؛ ف"ما" على هذا بمعنى الذي، ويحتمل أن تكون ظرفية، أي: إلا حين رحمة الله. ﴿أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾ أي: أجعله خاصتي وخلاصتي، قال أولا: "أتوني به" فلما تبين له حاله، قال: "أتوني به أستخلصه لنفسي". ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ أي: لما رأى حسن كلامه وعرف وفور عقله وعلمه، قال له: "إنك اليوم لدينا مكين أمين" والمكين من التمكين، والأمين من الأمانة. ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ لما فهم يوسف من الملك أنه يريد تصريفه والاستعانة به قال له ذلك، وإنما طلب منه الولاية رغبة منه في العدل وإقامة الحق والإحسان، وكان هذا الملك كافرا، ويستدل بذلك على أنه يجوز للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر إذا علم أنه يصلح بعض الأحوال، وقيل: إن الملك أسلم، وأراد بقوله "خزائن الأرض" أرض مصر إذ لم يكن للملك غيرها، والخزائن كل ما يخزن من طعام ومال وغير ذلك. ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ صفتان تعم وجوه المعرفة والضبط للخزائن، وقيل "حفيظ" للحساب "عليم" بالألسن؛ واللفظ أعم من ذلك، ويستدل بذلك على أنه يجوز للرجل أن يعرف بنفسه ويمدح نفسه بالحق إذا جهل أمره، وإذا كان في ذلك فائدة. ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ الإشارة بـ"ذلك" إلى ما تقدم من جميل صنع الله به، وروي أن الملك ولاه في موضع العزيز، وأسند إليه جميع الأمور حتى تغلب على أمره، وأن امرأة العزيز شاخت وافترقت، فتروجها يوسف ودعا الله فرد

نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ ۗ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَا أَجْرَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ  
 ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ  
 ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ اسْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ ۗ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي  
 الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَاتُونِي بِهِ ۖ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾  
 قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَتِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ  
 لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ  
 قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَّكَتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾

عليها جماها وشبابها، وأنه باع من أهل مصر في أعوام القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الأولى، حتى لم يبق لهم شيء منها، ثم بالحلي، ثم بالدواب، ثم بالضياح والعقار، ثم برقابهم حتى تملكهم جميعا، ثم أعتقهم ورد عليهم أملاكهم. ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ﴾ الرحمة هنا يراد بها في الدنيا، وكذلك الأجر في قوله ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بدليل قوله بعد ذلك ﴿وَلَا أَجْرَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾، فأخبر تعالى أن رحمته في الدنيا يصيب بها من يشاء من مؤمن وكافر ومطيع وعاص، وأن المحسن لا بد له من أجره في الدنيا؛ فالأول في المشيئة، والثاني واقع لا محالة، ثم أخبر أن أجر الآخرة خير من ذلك كله. ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ وفي الآية إشارة إلى أن يوسف عليه السلام جمع الله له بين خيري الدنيا والآخرة. ﴿وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ﴾ كان سبب مجيئهم؛ أنهم أصابتهم مجاعة ببلادهم، فخرجوا إلى مصر ليشتروا منها من الطعام الذي ادخره يوسف. ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ إنما أنكروه لبعد العهد به وتغير سنه، أو لأنه كان مثلثا، وروي أنهم دخلوا عليه وهو على هيئة عظيمة من الملك، وأنه سألهم عن أحوالهم وأخبروه أنهم تركوا أخاهم عند أبيهم، فحينئذ قال لهم: ﴿اسْتُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ وهو بنيامين شقيق يوسف. ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ﴾ الجهاز ما يحتاج إليه المسافر من زاد وغيره، والمراد به هنا الطعام الذي باع منهم. ﴿خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ أي: المضيفين. ﴿وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ أي: نفعل ذلك لا محالة. ﴿وَقَالَ لِفِتْيَتِهِ﴾ جمع فتى، وهو الخادم سواء كان حرا أو عبدا. ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾ أمر أن يجعلوا البضاعة التي اشتروا منه بها الطعام في أوعيتهم. ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾ أي: لعلهم يعرفون اليد والكرامة في رد البضاعة إليهم، وليس الضمير للبضاعة. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: لعل معرفتهم بها تدعوهم إلى الرجوع، وقصد برد البضاعة إليهم مع الطعام استئلافهم بالإحسان إليهم. ﴿مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلَ﴾ إشارة إلى قوله "فإن لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي"، فهو خوف من المنع في المستقبل. ﴿نَكْتَلْ﴾ وزنه نفتعل

قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا آمَنُتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَاللَّهُ خَيْرٌ حِفْظًا ۖ وَهُوَ  
 أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَعَهُمْ وَجَدُوا بِضَعَتَهُمْ زِدَّتِ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا يَا أَبَانَا  
 مَا نَبِغِي ۖ هَذِهِ بِضَعَتُنَا رَدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَتَزِدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٍ  
 ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿١٥﴾ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُتُونَ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي  
 بِهِ ۚ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿١٦﴾ وَقَالَ  
 يَبْنَئِي لَأَ تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ  
 اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۖ إِنَّ الْحَكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٧﴾ وَلَمَّا  
 دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ  
 فِي نَفْسٍ يَعْقُوبُ قَضِيهَا ۖ وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَلِيمٌ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا  
 يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا  
 تَبْتِيسَ ۖ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ

من الكيل. ﴿مَا نَبِغِي﴾ "ما" استفهامية، و"نبغي" بمعنى نطلب، والمعنى: أي شيء نطلب بعد هذه الكرامة؟ وهي رد البضاعة مع الطعام، ويحتمل أن تكون "ما" نافية، و"نبغي" من البغي؛ أي: لا نتعدى على أخينا ولا نكذب على الملك. ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ أي: نسوق لهم الطعام. ﴿وَتَزِدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٍ﴾ يريدون بعير أخيه، إذ كان يوسف لا يعطي إلا كيل بعير من الطعام لإنسان، فأعطاهم عشرة أبعرة، ومنع الحادي عشر لغيبة صاحبه حتى يأتي، والبعير الجمل. ﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ إن كانت الإشارة إلى الأحمال، فالمعنى: أنها قليلة لا تكفيهم حتى يضاف إليها كيل بعير، وإن كانت الإشارة إلى "كيل بعير"، فالمعنى: أنه يسير على يوسف، أي: قليل عنده أو سهل عليه فلا يمنعهم منه. ﴿تُتُونَ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ﴾ أراد أن يملفوا له، و﴿لَتَأْتُنِي بِهِ﴾ جواب اليمين. ﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ إلا أن تغلبوا فلا تطيقون الإتيان به. ﴿يَا بَنِيَّ لَأَ تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ﴾ خاف عليهم العين إن دخلوا مجتمعين؛ إذ كانوا أهل جمال وهيئة. ﴿مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ﴾ جواب "لما"، والمعنى أن ذلك لا يدفع ما قضاه الله. ﴿إِلَّا حَاجَةٌ﴾ استثناء منقطع، وال"حاجة" هنا هي شفقتهم عليهم ووصيته لهم. ﴿ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ أي: ضممه. ﴿قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾ أخبره بأنه أخوه واستكتمه ذلك. ﴿فَلَا تَبْتِيسَ﴾ أي: لا تحزن، وهو من البؤس. ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الضمير لإخوة يوسف؛ يعني ما فعلوه ليوسف وأخيه، ويحتمل أن يكون لفتيانه؛

جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٦﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلَمَن جَاءَ بِهِ - حَمَلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ - زَعِيمٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٩﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٨٠﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ - فَهُوَ جَزَاؤُهُ ۚ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٨١﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۚ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ

أي: لا تبالي بما تراه من تحيلى في أخذك. ﴿جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ "السقاية" هي الصواع؛ وهو إناء يشرب به الملك ويكال به الطعام، وكان من فضة، وقيل: من ذهب، وقصد بجعله في رحل أخيه أن يحتال على إمساكه معه، إذ كان شرع يعقوب: أن من سرق استعبده المسروق له. ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ أي: نادى مناد. ﴿أَيَّتُهَا الْعَيْرُ﴾ أي: أيها الرفقة. ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ خطاب لإخوة يوسف، وإنما استحل أن يرميهم بالسرقة، لما في ذلك من المصلحة من إمساك أخيه، وقيل: إن حافظ السقاية نادى إنكم لسارقون بغير أمر يوسف؛ وهذا بعيد لتفتيش الأوعية. ﴿وَلَمَن جَاءَ بِهِ حَمَلُ بَعِيرٍ﴾ أي: لمن جبره ورده حمل بعير من طعام على وجه الجعل. ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ أي: ضامن لحمل البعير لمن رد الصواع، وهذا من كلام المنادي. ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: استشهدوا بعلمهم، لما ظهر لهم من دياتهم في دخولهم أرضهم، حتى كانوا يجعلون الأكمة في أفواه إبلهم لئلا تنال زروع الناس. ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ أي: قال فتيان يوسف: ما جزاء أخذ الصواع إن كنتم كاذبين في قولكم "ما كنا سارقين"؟، فالضمير في قوله "جزاؤه" يعود على الأخذ المفهوم من الكلام. ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ المعنى: أن إخوة يوسف أفتوا فيما سئلوا عنه، فقالوا: جزاء السارق أن يستعبد ويؤخذ في السرقة، وأما الإعراب فيحتمل وجهين؛ أحدهما: أن يكون "جزاؤه" الأول مبتدأ، و"من" مبتدأ وهي شرطية أو موصولة، وخبرها "فهو جزاؤه"، والجملة خبر "جزاؤه" الأول. والوجه الثاني: أن يكون "من" خبر المبتدأ الأول على حذف مضاف، وتقديره: جزاؤه أخذ من وجد في رحله، وتم الكلام، ثم قال "فهو جزاؤه" أي: هذا الحكم جزاؤه. ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ من كلام إخوة يوسف، أي: هذا حكمنا في السارق، وقد كان هذا الحكم في أول الإسلام ثم نسخ بقطع الأيدي. ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ﴾ هذا تمكين للحيلولة ورفع للتهمة. ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ ليصح له بذلك إمساكه معه، وإنما أنت الصواع في هذا الموضع؛ لأنه سقاية أو لأن الصواع يذكر ويؤنث. ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ أي: صنعنا له هذا الصنع. ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ أي: في شرعه أو عادته؛ لأنه

نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٦٦﴾ ۗ قَالُوا إِن يَسْرِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ  
لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ ۖ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا ۗ وَاللَّهُ  
أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا  
مَكَانَهُ ۗ إِنَّا نَبْرَكُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا  
مَتَاعًا عِنْدَهُ ۗ إِنَّا إِذَا لَطَلِمُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ۗ قَالَ كَبِيرُهُمْ ۗ  
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ ۗ

إنما كان جزاء السارق عنده أن يضرب ويضاعف عليه الغرم، ولكن حكم في هذه القضية بحكم آل يعقوب.  
﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ﴾ يعني الرفعة بالعلم بدليل ما بعده. ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ أي: فوق كل  
عالم من هو أعلم منه من البشر أو الله عز وجل. ﴿قَالُوا إِن يَسْرِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ الضمير في  
"قالوا" لإخوة يوسف وأشاروا إلى يوسف، ومعنى كلامهم: إن يسرق بنيامين، فقد سرق أخوه يوسف من  
قبل، فهذا الأمر إنما صدر من ابني راحيل لا منا، وقصدوا بذلك دفع المعرة عن أنفسهم، ورموا بذلك  
يوسف وشقيقه، واختلف في السرقة التي رموا بها يوسف على ثلاثة أقوال؛ الأول: أن عمته ربهته فأراد والده  
أن يأخذه منها، وكانت تحبه ولا تصبر عنه، فجعلت عليه منقطة له، ثم قالت إنه أخذها فاستعبده بذلك،  
وبقي عندها إلى أن ماتت، والثاني: أنه أخذ صنما لجدته والد أمه فكسره، والثالث: أنه كان يأخذ الطعام من  
دار أبيه ويعطيه المساكين. ﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ﴾ قال الزمخشري: الضمير للجملته التي بعد ذلك وهي  
قوله: ﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾، والمعنى قال في نفسه أنتم شر مكانا، وقال ابن عطية: الضمير للحزاة التي وجد في  
نفسه من قولهم: "فقد سرق أخ له من قبل"، أسر كراهة مقاتلهم، ثم جاهرهم بقوله "أنتم شر مكانا" أي:  
لسوء أفعالكم. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ إشارة إلى كذبهم فيها وصفوه به من السرقة. ﴿إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا  
كَبِيرًا﴾ استعطاف، وكانوا قد أعلموه بشدة محبة أبيه فيه. ﴿فَخُذْ أَحَدًا مَكَانَهُ﴾ على وجه الضمان، أو  
الاسترهان، أو الاستعباد؛ وهذا هو الأظهر لقوله ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعًا عِنْدَهُ﴾. ﴿مِنَ  
الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: أحسنت إلينا فيما فعلت معنا قبل، أو على الإطلاق. ﴿اسْتَيْسَسُوا﴾ أي: يسوا. ﴿خَلَصُوا  
نَجِيًّا﴾ أي: انفردوا عن غيرهم يناجي بعضهم بعضا، والنجي يكون بمعنى المناجي ومصدرا. ﴿قَالَ  
كَبِيرُهُمْ﴾ قيل: كبيرهم في السن وهو روبييل، وقيل: كبيرهم في الرأي وهو شمعون، وقيل: يهوذا. ﴿وَمِن  
قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ تحتل "ما" وجوها؛ الأول: أن تكون زائدة، والثاني: أن تكون مصدرية، ومحلها  
الرفع بالابتداء تقديره؛ تفريطكم في يوسف وقع من قبل، والثالث: أن تكون موصولة، ومحلها أيضا الرفع



فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٦﴾ أَرْجِعُوا  
إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ  
حَافِظِينَ ﴿٨٧﴾ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ۗ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ  
﴿٨٨﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ وَأَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۗ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا  
إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٩﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفِي عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنُهُ  
مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُوا تَذَكَّرُ يُونُسَ

كذلك؛ والأول أظهر. ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾ يريد الموضع الذي وقعت فيه القصة. ﴿أَرْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ﴾ من قول كبيرهم، وقيل: من قول يوسف؛ وهو بعيد. ﴿إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾ قرأ الجمهور بفتح السين والراء، وروي عن الكسائي "سُرِّق" بضم السين وكسر الراء وتشديدها، أي: نسبت له السرقة. ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا﴾ أي: قولنا لك "إن ابنك سرق"، إنها هو شهادة بما علمنا من ظاهر ما جرى. ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ أي: ولا نعلم الغيب هل ذلك حق في نفس الأمر أم لا؟ إذ يمكن أن دس الصواع في رحله من غير علمه، وقال الزمخشري: المعنى "ما شهدنا إلا بما علمنا" من سرقة وتيقناه؛ لأن الصواع استخرج من وعائه، "وما كنا للغيب حافظين" أي: ما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الميثاق، وقراءة "سرق" بالفتح تعضد قول الزمخشري، والقراءة بالضم تعضد الأول. ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ تقديره: واسأل أهل القرية، وكذلك اسأل أهل العير؛ يعنون الرفقة، هذا قول الجمهور، وقيل: المراد سؤال القرية بنفسها والعير بنفسها؛ ولا يبعد أن تخبره الجهادات لأنه نبي؛ والأول أظهر وأشهر على أنه مجاز، و"القرية" هنا هي مصر. ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ قبله محذوف تقديره: فرجعوا إلى أبيهم فقالوا له هذا الكلام، فقال "بل سولت" الآية. ﴿بِهِمْ جَمِيعًا﴾ يعني يوسف وأخاه بنيامين وأخاه الكبير الذي قال: "لن أبرح الأرض". ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ لما لم يصدقهم أعرض عنهم ورجع إلى التأسف. ﴿وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُونُسَ﴾ تأسف على يوسف دون أخيه الثاني والثالث الذاهبين؛ لأن حزنه عليه كان أشد لإفراط محبته فيه، ولأن قضيته كانت السابقة. ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ أي: من البكاء الذي هو ثمرة الحزن، فقيل: إنه عمي، وقيل: إنه كان يدرك إدراكا ضعيفا، وروي عن النبي ﷺ: «أن يعقوب حزن حزن سبعين ثكلى، وأعطى أجر مائة شهيد، وما ساء ظنه بالله قط» [ابن جرير: 19719]. ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ قيل: إنه فعيل بمعنى فاعل، أي: كاظم لحزنه لا يظهره لأحد ولا يشكو إلا لله، وقيل: بمعنى مفعول كقوله ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ أي: مملوء القلب بالحزن، أو بالغيط على أولاده، وقيل: الكظيم الشديد الحزن. ﴿تَاللَّهِ تَفْتُوا﴾ أي: لا تفتوا، والمعنى: لا تزال، وحذف حرف النفي لأنه لا يلتبس بالإثبات؛ لأنه لو كان إثباتا

حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَتْنَا الْضُرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَهْنَاكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ

لكان مؤكدا باللام والنون. ﴿حَرَضًا﴾ أي: مشرفا على الهلاك. ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ رد عليهم في تفنيدهم له، أي: إنما أشكو إلى الله لا إليكم ولا إلى غيركم، والبت أشد الحزن. ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: أعلم من لطفه ورحمته ورأفته ما يوجب حسن ظني به، وقوة رجائي فيه. ﴿يَا بَنِي أَذْهَبُوا﴾ يعني إلى الأرض التي تركتم بها أخويكم. ﴿فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ أي: تعرفوا خبرهما، والتحسس طلب الشيء بالحواس السمع والبصر، وإنما لم يذكر الولد الثالث؛ لأنه بقي هناك اختيارا منه، ولأن يوسف وأخاه كانا أحب إليه. ﴿وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ﴾ أي: من رحمة الله. ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ إنما جعل اليأس من صفة الكفار؛ لأن سببه تكذيب بالربوبية، أو جهلا بصفات الله من قدرته وفضله ورحمته. ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ أي: على يوسف، وقبل هذا محذوف تقديره فرجعوا إلى مصر. ﴿الضَّرُّ﴾ يريدون به المجاعة، والهـم على إخوانهم. ﴿بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ﴾ يعنون الدراهم التي جاؤوا بها لشراء الطعام، والـ"مزجاة" القليلة، وقيل: الرديئة، وقيل: الناقصة، وقيل: إن بضاعتهم كانت عروضاً، فلذلك قالوا هذا. ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ قيل: يعنون بها بين الدراهم الجياد وبين دراهمهم، وقيل: أوف لنا الكيل الذي هو حقنا وزدنا على حقنا، وسموا الزيادة صدقة؛ ويقضي هذا أن الصدقة كانت حلالاً للأنبياء قبل محمد ﷺ، وقيل: "تصدق علينا" بردأخيـنا إلينا. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ قال النقاش: هو من المعارض؛ وذلك أنهم كانوا يعتقدون أنه كافر؛ لأنهم لم يعرفوه، فظنوا أنه على دين أهل مصر، فلو قالوا: إن الله يجزيك بصدقتك؛ كذبوا، فقالوا لفظاً يوهـم أنهم أرادوه وهم لم يريدوه. ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ لما شكوا إليه رَق لهم وعرفهم بنفسه، وروي أنه كان يكلمهم وعلى وجهه لثام ثم أزال اللثام ليعرفوه، وأراد بقوله "ما فعلتم يوسف وأخيه" التفريق بينهما في الصغر، ومضرتهم ليوسف وإذيتهم أخيه من بعده، فإنهم كانوا يذلونه ويشتمونه. ﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ اعتذار عنهم، فيحتمل أن يريد الجهل بقبح ما فعلوا أو جهل الشباب. ﴿قَالُوا أَأَنْتَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾ قرئ بالاستفهام والخبر؛ فالخبر على أنهم عرفوه، والاستفهام على أنهم توهموا أنه هو

قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠١﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴿١٠٢﴾ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٣﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ وَأَجْمَعِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿١٠٦﴾ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَدَ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالُوا يَا تَابَآنَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٩﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبْوِيهِ

ولم يحققوه. ﴿مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرُ﴾ قيل: أراد من يتق في ترك المعصية ويصبر على السجن؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿آثَرَكَ اللَّهُ﴾ أي: فضلك. ﴿لَخَاطِئِينَ﴾ أي: عاصين، وفي كلامهم استعطاف واعتراف. ﴿قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ﴾ عفو جميل، والتثريب التعنيف أو العقوبة، وقوله ﴿الْيَوْمَ﴾ راجع إلى ما قبله فيوقف عليه، وهو يتعلق بال"تثريب"، أو بالمقدر في "عليكم" من معنى الاستقرار، وقيل: إنه يتعلق بـ ﴿يَغْفِرُ﴾ وذلك بعيد لأنه تحكم على الله، وإنما "يغفر" دعاء، فكانه أسقط حق نفسه بقوله "لا تثريب عليكم اليوم"، ثم دعا إلى الله أن يغفر لهم حقه. ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي﴾ روي أن هذا القميص كان لإبراهيم كساه الله له حين أخرج من النار، وكان من ثياب الجنة، ثم صار لإسحاق، ثم ليعقوب، ثم دفعه يعقوب ليوسف؛ وهذا يحتاج إلى سند يوثق به، والظاهر أنه كان قميص يوسف الذي بمنزلة قميص كل أحد. ﴿يَأْتِ بَصِيرًا﴾ الظاهر أنه علم ذلك بوحى من الله. ﴿فَصَلَّتِ الْعِيرُ﴾ أي: خرجت من مصر متوجهة إلى يعقوب. ﴿قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ كان يعقوب بيست المقدس، ووجد ريح القميص وبينهما مسافة بعيدة. ﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ أي: تلومونني أو تردون على قولي، وقيل: معناه تقولون ذهب عقلك، لأن الفند هو الخرف. ﴿لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ أي: في ذهابك عن الصواب بإفراط محبتك في يوسف قديما. ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ روي أن "البشير" كان يهوذا؛ لأنه كان جاء بقميص الدم، فقال لإخوته: إني ذهبت إليه بقميص الترحه، فدعوني أذهب إليه بقميص الفرحة. ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ وعدهم بالاستغفار لهم، فقيل سوفهم إلى السحر؛ لأن الدعاء يستجاب فيه، وقيل: إلى ليلة الجمعة. ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾ هنا محذوفات يدل عليها الكلام، وهي: فرحل يعقوب بأهله حتى بلغوا يوسف. ﴿ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبْوِيهِ﴾ أي: ضمها

وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿١٢٤﴾ وَرَفَعَ أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا  
 وَقَالَ يَتَابِتْ هَذَا تَاوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي  
 مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي  
 لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٥﴾ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ  
 تَاوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا  
 وَالْحَقْقَى بِالصَّالِحِينَ ﴿١٢٦﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا  
 أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٨﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ  
 مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٢٩﴾

وأراد بالابوين أباه وأمه، وقيل: أباه وخالته؛ لأن أمه كانت قد ماتت، وسمى الخالة على هذا أما. ﴿إِنْ شَاءَ  
 اللَّهُ﴾ راجع إلى الأمن الذي في قوله ﴿ءَامِنِينَ﴾. ﴿وَرَفَعَ أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ﴾ أي: على سرير الملك. ﴿وَخَرُّوا  
 لَهُ سُجَّدًا﴾ كان السجود عندهم تحية وكرامة لا عبادة. ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَاوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني حين  
 رأى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر يسجدون له، وكان بين رؤياه وبين ظهور تآويلها ثمانون عاما، وقيل:  
 أربعون. ﴿أَحْسَنَ بِي﴾ يقال: أحسن به وإليه. ﴿أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ إنها لم يقل أخرجني من الجب  
 لوجهين؛ أحدهما: أن في ذكر الجب خزي إخوته وتعريفهم بما فعلوا، فترك ذكره توقيرا لهم، والآخر: أنه  
 خرج من الجب إلى الرق، ومن السجن إلى الملك، فالنعمة به أكثر. ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ أي: من البادية،  
 وكانوا أصحاب إيل وغنم، فعدت النعم مجيئهم للحاضرة. ﴿نَزَغَ الشَّيْطَانُ﴾ أي: أفسد وأغوى.  
 ﴿لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ﴾ أي: لطيف التدبير لما يشاء من الأمور. ﴿مِنَ الْمُلْكِ﴾ "من" للتبعية؛ لأنه لم يعطه الله  
 إلا بعض ملك الدنيا بل بعض ملك مصر. ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ لما عدد النعم التي أنعم الله عليه، اشتاق إلى لقاء  
 ربه ولقاء الصالحين من سلفه وغيرهم فدعا بالموت، وقيل: ليس ذلك دعاء بالموت، وإنما دعا أن يتم الله عليه  
 النعم بالوفاة على الإسلام إذا حان أجله. ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ احتجاج على صحة نبوة محمد ﷺ بإخباره  
 بالغيوب. ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ الخطاب للنبي ﷺ تأكيدا لحجته، والضمير لإخوة يوسف. ﴿إِذْ أَجْمَعُوا﴾ أي:  
 عزموا. ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ يعني فعلهم بيوسف. ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ عموم؛ لأن الكفار أكثر من المؤمنين،  
 وقيل: أراد أهل مكة. ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ اعتراض؛ أي: لا يؤمنون ولو حرصت على إيمانهم. ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ  
 عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: لست تسألهم أجرا على الإيثار، فيثقل عليهم بسبب ذلك، وهذا معناه حيث وقع.

وَكَايِن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٥﴾ وَمَا  
يُومِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ  
تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ  
أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا  
رِجَالًا يُؤْتِيهِمُ الْإِيمَانَ مِنَ أَهْلِ الْقُرَىٰ ۗ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ  
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ  
الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىٰ مِنْ نَّشَأٍ ۗ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ  
الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ  
وَلَكِن تَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢١﴾

﴿وَكَايِن مِّنْ آيَةٍ﴾ يعني المخلوقات والحوادث الدالة على الله سبحانه. ﴿وَمَا يُومِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ نزلت في كفار العرب الذين يقرون بالله ويعبدون معه غيره، وقيل: في أهل الكتاب لقولهم عزيز ابن الله والمسيح ابن الله. ﴿غَشِيَةٌ﴾ هي ما يغشى ويعم. ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾ إشارة إلى شريعة الإسلام. ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أي: أَدْعُو النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَأَنَا عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِي وَحُجَّةٌ وَاضِحَةٌ. ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ "أنا" تأكيد للضمير في "أدعو"، "ومن اتبعني" معطوف عليه، و"على بصيرة" في موضع الحال، وقيل: "أنا" مبتدأ و"على بصيرة" خبره؛ وهذا ضعيف، فعلى هذا يوقف على قوله "أدعو إلى الله". ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ تقديره وأقول سبحان الله. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ رد على من أنكر أن يكون النبي من البشر، وقيل: فيه إشارة أنه لم يبعث رسول من النساء. ﴿مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ أي: من أهل المدن لا من أهل البوادي، فإن الله لم يبعث رسولا من أهل البادية لجفائهم. ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ﴾ متصل في المعنى بقوله "وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا" إلى قوله "عاقبة الذين من قبلهم"، وبأسهم يحتمل أن يكون من إيمان قومهم أو من النصر؛ والأول أحسن. ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ قرئ بتشديد الذال وتخفيفها؛ فأما التشديد فالضمير في "ظنوا" و"كذبوا" للرسول، والظن يحتمل أن يكون على بابه، أو بمعنى اليقين؛ أي: علم الرسول أن قومهم قد كذبوهم فيسوا من إيمانهم، وأما التخفيف فالضمير ان فيه للقوم المرسل إليهم، أي: ظنوا أن الرسول قد كذبوهم فيما ادعوا من الرسالة، أو من النصرة عليهم. ﴿فِي قَصَصِهِمْ﴾ الضمير لـ "الرسول" على الإطلاق، أو لـ "يوسف وإخوته". ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ يعني القرآن. ﴿وَلَكِن تَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ تقدم معناه في البقرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 الْمَرْبُ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ  
 الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا  
 ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ  
 يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا  
 رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي  
 ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَلِّجَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرُوعٌ  
 وَخَيْلٌ صِنَوَانٍ وَغَيْرِ صِنَوَانٍ

## سورة الرعد

﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ﴾ أي: آيات هذه السورة، ويحتمل أن يريد آيات الكتب على الإطلاق، ويحتمل أن يريد القرآن؛ وهذا بعيد لتكرار القرآن بعد ذلك. ﴿ وَالَّذِي أُنزِلَ ﴾ يعني القرآن، وإعراجه مبتدأ، وخبره ﴿ الْحَقُّ ﴾. ﴿ بِغَيْرِ عَمَدٍ ﴾ أي: بغير شيء تقف عليه إلا قدرة الله. ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ قيل: الضمير لـ "السماوات"؛ فـ "ترونها" على هذا في موضع الحال أو استئناف، وقيل: الضمير لـ "عمد"؛ أي: ليس لها عمد مرئية، فيقتضي المفهوم أن لها عمدا لا ترى، وقيل: إن عمدها هو جبل قاف المحيط بالدنيا، وقال الجمهور: لا عمد لها ألبتة، فالمراد نفي العمدة ونفي رؤيتها. ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ ثم "هنا لترتيب الأخبار لا لترتيب وقوع الأمر، فإن العرش كان قبل خلق السماوات، وتقدم الكلام على الاستواء في الأعراف. ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴾ يعني أمر الملكوت. ﴿ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ ﴾ يعني آيات كتابه. ﴿ مَدَّ الْأَرْضَ ﴾ يقتضي أنها بسيطة لا مكورة، وهو ظاهر الشريعة، وقد يترتب لفظ المد والبسط مع التكوير؛ لأن كل قطعة من الأرض ممدودة على حدتها، وإنما التكوير لجملة الأرض. ﴿ رَوَاسِيَ ﴾ يعني الجبال الثابتة. ﴿ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ يعني صنفين من الثمر كالأسود والأبيض، والحلو والحامض، فإن قيل: تقتضي الآية أنه تعالى خلق من كل ثمرة صنفين، وقد خلق من كثير من الثمرات أصنافا كثيرة؟ فالجواب: أن ذلك زيادة في الاعتبار وأعظم في الدلالة على القدرة، فَذَكَرَ الْاِثْنَيْنِ لَأَنَّ دَلَالَتهُ غَيْرُهُمَا مِنْ بَابِ أَوْلَى، وَقِيلَ: إِنَّ الْكَلَامَ تَمَّ فِي قَوْلِهِ "وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ"، ثُمَّ ابْتَدَأَ بِقَوْلِهِ "جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ" يَعْنِي الذِّكْرَ وَالْأُنْثَى؛ وَالْأَوَّلُ أَحْسَنُ. ﴿ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ ﴾ أي: يلبسه إياه فيصير له كالغشاء وذلك تشبيه. ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَلِّجَاتٌ ﴾ يعني قرى متلاصقة، ومع تلاصقها فإن أرضها تنوع إلى طيب ووديء، وصلب ورخو، وغير ذلك، وكل ذلك دليل على الصانع المختار المريد القادر. ﴿ صِنَوَانٍ وَغَيْرِ صِنَوَانٍ ﴾ الـ "صنوان" هي

تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لُبَّهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ۖ أَذًا كُنَّا تُرَابًا إِنَّا لَنَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۖ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَدَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٢﴾

النخلات الكثيرة ويكون أصلها واحدا، وغير الصنوان: المفترق فردا فردا، وواحد الصنوان: صنو. ﴿تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لُبَّهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾ حجة وبرهان على أنه تعالى قادر ومريد؛ لأن اختلاف مذاقها وأشكالها وألوانها مع اتفاق الماء الذي تسقى به دليل على القدرة والإرادة، وفي ذلك رد على القائلين بالطبيعة. ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ أي: إن تعجب يا محمد، فإن إنكارهم للبعث حقيق أن يتعجب منه، فإن الذي قدر على إنشاء ما ذكرنا من السماوات والأرض والثمرات وغير ذلك؛ قادر على إنشاء الخلق بعد موتهم. ﴿أَيْذًا كُنَّا تُرَابًا إِنَّا لَنَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ هذا هو قول الكفار المنكرين للبعث، واختلف القراء في هذا الموضع وفي سائر المواضع التي فيها استفهامان، وهي أحد عشر موضعا؛ أولها هذا، وفي الإسراء موضعان، وفي المؤمنين موضع، وفي النمل موضع، وفي العنكبوت موضع، وفي الم السجدة موضع، وفي الصافات موضعان، وفي الواقعة موضع، وفي النازعات موضع؛ فمنهم من قرأ بالاستفهام في الأول والثاني، ومنهم من قرأ بالاستفهام في الأول فقط وهو نافع، ومنهم من قرأ بالاستفهام في الثاني فقط، وأصل الاستفهام في المعنى إنما هو عن الثاني في مثل هذا الموضع، فإن همزة الاستفهام معناها الإنكار، وإنما أنكروا أن يكونوا خلقا جديدا ولم ينكروا أن يكونوا ترابا؛ فمن قرأ بالاستفهام في الثاني فقط فهو على الأصل، ومن قرأ بالاستفهام في الأول فإنما القصد بالاستفهام الثاني، ومن قرأ بالاستفهام فيهما فذلك للتأكيد. ﴿وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ يحتمل أن يريد "الاعلال" في الآخرة فيكون حقيقة، أو يريد أنهم ممنوعون من الإيمان كقوله ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾، فيكون مجازا يجري مجرى الطبع والختم على القلوب. ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ أي: بالنقمة قبل العافية، والمعنى: أنهم يطلبون العذاب على وجه الاستخفاف. ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ﴾ جمع مثلة على وزن سمرة، وهي العقوبة العظيمة التي تجعل الإنسان مثلا، والمعنى: كيف يطلبون العذاب وقد أصابت العقوبات الأمم الذين كانوا قبلهم، أفلا يخافون من مثل ذلك؟ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ يريد ستره وإمهاله في الدنيا للكفار والعصاة، وقيل: يريد مغفرته لمن تاب؛

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ۗ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿١٤﴾  
 اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿١٥﴾  
 عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿١٦﴾ سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ  
 بِهِ ۗ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٧﴾ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ۗ

والأول أظهر هنا. ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية، اقترحوا نزول آية على النبي ﷺ من نزول ملك معه أو شبه ذلك، ولم يعتدوا بالقرآن ولا بغيره من الآيات العظام التي جاء بها، وذلك منهم معاندة. ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ أي: إنما عليك إنذارهم وليس عليك أن تأتيهم بآية؛ إنما ذلك إلى الله. ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ أحدها: أن يراد بالهادي الله تعالى؛ فالمعنى: إنما عليك الإنذار، والله هو الهادي لمن يشاء إذا شاء، والوجه الثاني: أن يراد بالهادي النبي ﷺ؛ فالمعنى: إنما أنت نبي منذر، ولكل قوم هاد من الأنبياء ينذرهم، فليس أمرك ببدع ولا مستنكر، الثالث: روي أنها لما نزلت قال رسول الله ﷺ: «أنا المنذر، وأنت يا علي الهادي» [الطبري: 20161].  
 ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ﴾ كقوله ﴿يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ وهي الخمس التي لا يعلمها إلا الله، ويعني: يعلم هل هو ذكر أم أنثى، أو تام أو مخدج، أو حسن أو قبيح، أو غير ذلك. ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ معنى "تغيض" تنقص، ومعنى "تزداد" من الزيادة، فقيل: إن الإشارة لدم الحيض فإنه يقل ويكثر، وقيل: للولد فالغيض السقط، أو الولادة لأقل من تسعة أشهر، والزيادة البقاء أكثر من تسعة أشهر، ويحتمل أن تكون "ما" في قوله "ما تحمل"، و"ما تغيض"، و"ما تزداد" موصولة أو مصدرية. ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ المعنى: أن الله يسمع كل شيء؛ فالجهر والإسرار عنده سواء، وفي هذا وما بعده تقسيم، وهو من أدوات البيان فإنه ذكر أربعة أقسام، وفيه أيضا مطابقة. ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ المعنى: سواء عند الله المستخفي بالليل؛ وهو في غاية الاختفاء، مع السارب بالنهار؛ وهو في غاية الظهور، ومعنى الـ"سارب": المتصرف في سره بالفتح أي: في طريقه ووجهه، والسارب والمستخفي اثنان قصد التسوية بينهما في اطلاع الله عليهما مع تباين حالهما، وقيل: إن المستخفي بالليل والسارب بالنهار صفتان لموصوف واحد يستخفي بالليل ويظهر بالنهار؛ ويعضد هذا كونه قال: "وسارب" فعطفه عطف الصفات، ولم يقل ومن هو سارب بتكرار "من"، كما قال "من أسر القول ومن جهر به"، إلا أن جعلها اثنتين أرجح؛ ليقابل "من أسر القول ومن جهر به"، فيكمل التقسيم إلى أربعة، وعلى هذا يكون قوله "وسارب" عطفًا على قوله "ومن هو مستخف" لا على "مستخف" وحده. ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ﴾ الـ"معقبات" هنا جماعات الملائكة، وسميت "معقبات"؛ لأن بعضهم يعقب بعضًا، والضمير في "له" يعود على "من" المتقدمة، كأنه قال: لمن أسر ولمن جهر، ولمن استخفى ولمن ظهر



تَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١٠﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١١﴾ وَتَسْبِحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٢﴾ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَسِطَ كَفِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ﴿١٣﴾ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾

معقبات، وقيل: يعود على "الله"، وهو قول ضعيف؛ لأن الضمائر التي بعده تعود على العبد باتفاق. ﴿يَحْفَظُونَهُ﴾ صفة للمعقبات، وهذا الحفظ يحتمل أن يراد به حفظ أعماله، أو حفظه وحراسته من الآفات. ﴿مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ صفة للمعقبات، أي: معقبات من أجل أمر الله إذ أمرهم بحفظه، وقرئ "بأمر الله" وهذه القراءة تعضد ذلك، ولا يتعلق "من أمر الله" على هذا بـ"يحفظونه"، وقيل: يتعلق به على معنى أنهم يحفظونه من عقوبة الله إذا أذنب بدعائهم له واستغفارهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ المعنى أن الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعم حتى يغيروا هم ما بأنفسهم بالمعاصي، فيقتضي ذلك أن الله لا يسلب النعم ولا ينزل النقم إلا بالذنوب. ﴿يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ الخوف مما يكون مع البرق من الصواعق والأمور الهائلة، والطمع في المطر الذي يكون معه. ﴿السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ وصفها بالثقل لأنها تحمل الماء. ﴿وَتَسْبِحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ "الرعد" اسم ملك وصوته المسموع تسبيح، وقد جاء في الأثر: أن صوته زجر للسحاب. فعلى هذا يكون تسبيحه غير ذلك. ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ قيل: إنها إشارة إلى الصاعقة التي نزلت على أربد الكافر، وقتلته حين هم بقتل النبي ﷺ هو وأخوه عامر بن الطفيل [الطبري: 126/13]، واللفظ أعم من ذلك. ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾ يعني الكفار، والواو للاستئناف أو للحال. ﴿شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ أي: شديد القوة، و"المحال" مشتق من الحيلة، فالميم زائدة ووزنه مفاعل، وقيل: معناه شديد المكر من قولك محل بالرجل إذا مكر به، فالميم على هذا أصلية ووزنه فعال، وتأويل المكر على هذا القول كتأويله في المواضع التي وردت في القرآن. ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ قيل: هي "لا إله إلا الله"، والمعنى: أن دعوة العباد بالحق لله، ودعوتهم بالباطل لغيره. ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ يعني بالذين يدعون من دون الله الأصنام وغيرها، والضمير في "يدعون" للكفار، والمعنى: أن المعبودين لا يستجيبون لمن عبدهم. ﴿إِلَّا كَبَسِطَ كَفِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾ شبه إجابة الأصنام لمن عبدهم بإجابة الماء لمن بسط إليه كفيه، وأشار إليه بالإقبال إلى فيه، ولا يبلغ فمه على هذا أبدا؛ لأن الماء جماد لا يعقل المراد، فكذلك الأصنام، والضمير في قوله "وما هو" للماء، وفي قوله "ببالغته" للفم.

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١٠﴾ قُلْ  
 مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ۖ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ  
 لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ  
 وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۗ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ  
 كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١١﴾ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا  
 فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا ۚ وَمِمَّا تُوْقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ ۗ

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ "من" لا تقع إلا على من يعقل فهي هنا يراد بها الملائكة  
 والإنس والجن، فإن جعلنا السجود بمعنى الانقياد لأمر الله وقضائه، فهو عام في الجميع من شاء منهم ومن أبي،  
 ويكون "طوعاً" لمن أسلم ورضي، "وكرهاً" لمن كره وسخط، وإن جعلنا السجود هو المعروف بالجسد، فيكون  
 سجود الملائكة والمؤمنين من الجن والإنس طوعاً، وأما الكره فهو سجود المنافق وسجود ظل الكافر. ﴿وِظِلَالُهُمْ﴾  
 معطوف على "من"، والمعنى: أن الظلال تسجد غدوة وعشية وسجودها انقيادها للتصرف بمشيئة الله، وقيل:  
 سجودها فيئها بالعشي. ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ جواب عن السؤال المتقدم وهو "من رب السماوات والارض"، وإنما جاء  
 الجواب والسؤال من جهة واحدة؛ لأنه أمر واضح لا يمكن جحده ولا المخالفة فيه، ولذلك أقام به الحجة على  
 المشركين بقوله ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ "الاعمى" تمثيل للكافر،  
 و"البصير" تمثيل للمؤمن. و﴿الظُّلُمَاتُ﴾ الكفر. و﴿وَالنُّورُ﴾ الإيوان، وذلك كله على وجه التشبيه والتمثيل.  
 ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ "أم" هنا بمعنى بل والهمزة، و"خلقوا" صفة  
 لـ"شركاء"، والمعنى: أن الله وقفهم، هل خلق شركاؤهم خلقاً كخلق الله، فحملهم ذلك واشتباهاه بها خلق الله  
 على أن جعلوا إلهاً غير الله؟ ثم أبطل ذلك بقوله ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فحصل الرد عليهم. ﴿أَنْزَلَ مِنَ  
 السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه؛ فمثل الحق وأهله بالماء  
 الذي ينزل من السماء فتسيل به الأودية وتتفجع به الأرض، وبالذهب والفضة والحديد والصفير وغيرها من  
 المعادن التي ينتفع بها الناس، وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله وزواله بالزبد الذي يرمي به السيل، وبزبد تلك  
 المعادن التي يطفو فوقها إذا أذيت، وليس في الزبد منفعة وليس له دوام. ﴿بِقَدَرِهَا﴾ يحتمل أن يريد ما قدر لها  
 من الماء، ويحتمل أن يريد بقدر ما تحتمله على قدر صغرها وكبرها. ﴿زَبَدًا رَابِيًا﴾ الزبد ما يحمله السيل من غشاء  
 ونحوه، والرابي: المنتفخ الذي ربي، ومنه الربوة. ﴿وَمِمَّا تُوْقِدُونَ﴾ المجرور في موضع خبر مقدم، والمبتدأ ﴿زَبَدٌ  
 مِثْلُهٗ﴾ أي: ينشأ من الأشياء التي يوقد عليها زبد مثل زبد السيل. ﴿ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ﴾ الذي يوقد عليه ابتغاء

كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۗ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿٧﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ ۗ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ سُوءَ الْحِسَابِ وَمَأْوَهُم جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٨﴾ ۗ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ۗ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ هُمُ عُقْبَى الدَّارِ ﴿١٢﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا

الحلي هو الذهب والفضة، والذي يوقد عليه ابتغاء متاع هو الحديد والرصاص والنحاس والصفير وشبه ذلك، ومعنى المتاع: ما يستمتع الناس به في مرافقهم وحوادثهم. ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ أي: يضرب الله أمثال الحق والباطل. ﴿جُفَاءً﴾ أي: يجفاه السيل، أي: يرمي به. ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ﴾ يريد الخالص من الماء ومن تلك الأحجار. ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ﴾ الذين استجابوا هم المؤمنون، وهذا استئناف كلام، و"الحسنى" الجنة، وإعرابها مبتدأ، وخبرها "للذين استجابوا". ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا﴾ مبتدأ، وخبره ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية، فيوقف على "الأمثال" وعلى "الحسنى"، وقيل: "للذين استجابوا" يتعلق بـ"يضرب"، و"الحسنى" مصدر من معنى "استجابوا" أي: استجابوا الاستجابة الحسنى. "والذين لم يستجيبوا" معطوف على "الذين استجابوا"، والمعنى: يضرب الله الأمثال للطائفتين، وعلى هذا إنما يوقف على "والذين لم يستجيبوا له". ﴿سُوءَ الْحِسَابِ﴾ أي: المناقشة والاستقصاء. ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ﴾ تقرير، والمعنى: أسواء من آمن ومن لم يؤمن؟ والـ ﴿أَعْمَى﴾ هنا من لم يؤمن بالنبى ﷺ، وقيل: إنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب ﷺ وأبي جهل لعنه الله. ﴿يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ القربات وغيرها. ﴿وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ قيل: يدفعون الشرك بقول لا إله إلا الله، وقيل: يدفعون من أساء إليهم بالنبي هي أحسن؛ والأظهر يفعلون الحسنات فيدرءون بها السيئات كقوله ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾، وقيل: إن هذه الآية نزلت في الأنصار؛ ثم هي عامة في كل من اتصف بهذه الصفات. ﴿عُقْبَى الدَّارِ﴾ يعني الجنة، ويحتمل أن يريد بـ"الدار" الآخرة، وأضاف الـ"عقبى" إليها لأنها فيها، ويحتمل أن يريد بـ"الدار" الدنيا، وأضاف الـ"عقبى" إليها لأنها عاقبتها. ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ﴾ بدل من "عقبى الدار"، أو خبر ابتداء مضمير تفسيرا لـ"عقبى الدار".

وَمَنْ صَلَحَ مِنْ - أَبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿١٣١﴾  
 سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ۖ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿١٣٢﴾ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ  
 وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ۖ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَهُمْ  
 سُوءُ الدَّارِ ﴿١٣٣﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۗ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ  
 الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿١٣٤﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ۗ قُلْ إِنْ  
 اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴿١٣٥﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا  
 بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿١٣٦﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ  
 مَا أَجْرٌ ﴿١٣٧﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أُوْحِيَآ  
 إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ۗ

﴿وَمَنْ صَلَحَ﴾ أي: من كان صالحا. ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: يقولون لهم سلام عليكم. ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ يتعلق بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم، ويجوز أن يتعلق بـ"سلام" أي: نسلم عليكم بما صبرتم. ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ إلى آخر الآية، أوصاف مضادة لما تقدم، وقيل: إنها في الخوارج؛ والأظهر أنها في الكفار. ﴿سُوءُ الدَّارِ﴾ يحتمل أن يراد بها الدنيا أو الآخرة. ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي: يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء، وهذا تفسيره حيث وقع. ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ إخبار في ضمنه ذم وتسفيه لمن فرح بالدنيا؛ ولذلك حقرها بقوله ﴿إِلَّا مَتَاعٌ﴾ أي: قليل بالنظر إلى الآخرة. ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ خرج مخرج التعجب منهم لما طلبوا آية، أي: قد جاءكم محمد ﷺ بالقرآن وآيات كثيرة فعميتم عنها وطلبتم غيرها وتماديتم على الكفر؛ لأن الله يضل من يشاء مع ظهور الآيات، وقد يهدي من يشاء دون ذلك. ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ﴾ بدل من "من أناب"، أو خبر ابتداء مضمرة، و﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بدل ثان أو مبتدأ. ﴿طُوبَىٰ﴾ مصدر من طاب كبشري، ومعناها أصبت خيرا وطيبا، وقيل: هي شجرة في الجنة، وإعرابها مبتدأ. ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ﴾ الكاف تتعلق بالمعنى الذي في قوله "يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب". ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ قيل: إنها نزلت في أبي جهل، وقيل: نزلت في قريش حين عاهدهم رسول الله ﷺ عام الحديبية، فكتب الكاتب "بسم الله الرحمن الرحيم"، فقال قائلهم: نحن لا نعرف الرحمن [ابن حبان: 4870] وهذا ضعيف؛ لأن الآية نزلت قبل ذلك،

قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ﴿١٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ  
 الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتَى بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِسَّ الَّذِينَ  
 ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا  
 قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ  
 اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿١٢﴾  
 أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ  
 بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِيْظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ ۚ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصَدُّوا عَنِ  
 السَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿١٣﴾

ولأن القصة إنما أنكروا فيها التسمية فقط، ومعنى الآية: أنهم يكفرون بالله مع تلاوة القرآن عليهم. ﴿مَتَابٍ﴾  
 مفعول من التوبة وهو اسم مصدر. ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ الآية، جواب "لو" محذوف تقديره: لو  
 أن قرأنا على هذه الصفة من تسيير الجبال به وتقطيع الأرض وتكليم الموتى لم يؤمنوا به، فالمعنى كقوله ﴿لَا  
 يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ﴾ وقيل: تقديره: لو أن قرأنا على هذه الصفة؛ لكان هذا القرآن الذي هو غاية في  
 التذكير ونهاية في الإنذار، كقوله ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا﴾، وقيل: هو متعلق  
 بما قبله؛ والمعنى: وهم يكفرون بالرحمن، ولو أن قرأنا سيرت به الجبال. ﴿أَفَلَمْ يَأْتِسَّ﴾ معناه: أفلم يعلم، وهي  
 لغة هوازن، وقرئ "أو لم يتبين". ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني كفار قريش والعرب. ﴿قَارِعَةٌ﴾ يعني مصيبة  
 في أنفسهم وأولادهم وأموالهم، أو غزوات المسلمين إليهم. ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ الفاعل ضمير الـ"قارعة"، والمعنى: أنها  
 إما أن تصيبهم وإما أن تقرب منهم، وقيل: التاء للخطاب والفاعل ضمير المخاطب وهو النبي ﷺ؛ والأول  
 أظهر. ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ هو فتح مكة، وقيل قيام الساعة. ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْءَ﴾ الآية، مقصودها تأنيس  
 وتسلية للنبي ﷺ، وهكذا حيث وقع. ﴿فَأَمَلَيْتُ﴾ أي: أمهلتهم. ﴿أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾  
 هو الله تعالى، أي: حفيظ رقيب على عمل كل أحد، والخبر محذوف تقديره: أفمن هو قائم على كل نفس بما  
 كسبت أحق أن يعبد أم غيره؟ ويدل على ذلك قوله ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾. ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ أي: اذكروا  
 أسماءهم. ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾ المعنى: أن الله لا يعلم لنفسه شركاء، وإذا لم يعلمهم هو فليسوا  
 بشيء، فكيف تفترون الكذب في عبادتهم وتعبدون الباطل، وذلك كقولك: قل لي من زيد، أم هو أقل من أن  
 يعرف فهو كالعدم. ﴿أَمْ بِيْظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ﴾ المعنى: أتسمونهم شركاء بظاهر اللفظ من غير أن يكون لذلك

لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ ۚ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿١٦﴾  
 مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ أُكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ  
 عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿١٧﴾ ۖ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ  
 بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ ۗ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا  
 أُشْرِكَ بِهِ ۗ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مآبٌ ﴿١٨﴾ ۖ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۗ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ  
 أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿١٩﴾ ۖ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا  
 رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ زُوجًا وَذُرِّيَّةً ۖ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ  
 اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٢٠﴾ ۖ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ۖ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٢١﴾

حقيقة كقوله ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾. ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني بالقتل والأسر والخوف وغير ذلك. ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ هنا وفي القتال؛ أي: صفتها، وليس بضرب مثل لها، والخبر عند سيبويه محذوف متقدم تقديره: فيما يتلى عليكم صفة الجنة، وقال الفراء: الخبر متأخر وهو ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾. ﴿أُكْلُهَا دَائِمٌ﴾ يعني ما يؤكل فيها من الثمرات وغيرها، والأكل بضم الهمزة المأكول، ويجوز فيه ضم الكاف وإسكانها، والأكل بفتح الهمزة المصدر. ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ يعني من أسلم من اليهود والنصارى كعبد الله بن سلام، والنجاشي، وأصحابه ﷺ، وقيل: يعني المؤمنين، و"الكتاب" على هذا القرآن. ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾ قيل: هم بنو أمية، وبنو المغيرة من قريش؛ والأظهر أنها في سائر كفار العرب، وقيل: هم اليهود والنصارى؛ لأنهم لا ينكرون القصص والأشياء التي في كتبهم، وإنما ينكرون البعض مما لا يعرفونه أو مما حرفوه. ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ﴾ وجه اتصاله بما قبله أنه جواب للمنكرين ورد عليهم، كأنه قال إنها أمرت بعبادة الله وتوحيده فكيف تنكرون هذا! ﴿مآبٍ﴾ مفعول من الأوب وهو الرجوع، أي: مرجعي في الآخرة، أو مرجعي بالتوبة. ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ زُوجًا وَذُرِّيَّةً﴾ رد على من أنكر أن يكون الرسول من البشر، أو يحتاج إلى مثل ما يحتاج إليه البشر من النساء والذرية، فالمعنى لست ببعد في ذلك؛ بل أنت كمن تقدم من الرسل. ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ رد على الذين اقترحوا الآيات. ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ قال الفراء: المعنى لكل كتاب أجل بالعكس؛ وهذا لا يلزم؛ بل المعنى صحيح من غير عكس؛ أي: لكل أجل كتاب كتبه الله في اللوح المحفوظ. ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ قيل: المعنى

وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿١٤﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۗ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۗ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٥﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا ۗ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَن عُقِبِيَ الدَّارِ ﴿١٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ۗ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿١٧﴾

ينسخ ما يشاء من القرآن والأحكام، ويثبت منها ما يشاء، وقيل: هي في آجال بني آدم؛ وذلك أن الله في ليلة القدر، وقيل: في ليلة النصف من شعبان، يكتب آجال من يموت في ذلك العام فيمحي من ديوان الأحياء، ويثبت من لا يموت في ذلك العام، وقيل: إن المحو والإثبات على العموم في جميع الأشياء؛ وهذا ترده القاعدة المقررة: أن القضاء لا يتبدل وأن علم الله لا يتغير، فقال بعضهم: المحو والإثبات في كل شيء إلا في السعادة والشقاوة الأخروية والآجال. ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أصل كل كتاب؛ وهو اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه مقادير الأشياء كلها. ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ﴾ "إن" شرطية دخلت عليها "ما" المؤكدة وجوابها ﴿فَاتِمًا﴾. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ الايتان هنا بالقدرة والأمر، و"الأرض" أرض الكفار، ونقصها هو بيا فتح الله على المسلمين منها، والمعنى: أولم يروا ذلك فيخافون أن نمكنك منهم، وقيل: "الأرض" جنس، ونقصها بموت الناس وهلاك الثمرات وخراب البلاد وشبه ذلك. ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ المعقب الذي يكر على الشيء فيبطله. ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ تسمية للعقوبة باسم الذنب. ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ﴾ تهديد، والمراد ب"الكافر" الجنس بدليل قراءة "الكفار" بالجمع، و﴿عُقِبِيَ الدَّارِ﴾ الدنيا والآخرة. ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أمره الله أن يستشهد بالله على صحة نبوته، وشهادة الله له هي علمه بذلك وإظهاره للآيات الدالة على ذلك. ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ معطوف على اسم الله على وجه الاستشهاد به، فقيل: المراد عبد الله بن سلام، ومن أسلم من اليهود والنصارى الذين يعلمون صفته ﷺ من التوراة والإنجيل، وقيل: المراد المؤمنون الذين يعلمون علم القرآن ودلالته على النبوة، وقيل: المراد الله تعالى فهو الذي عنده علم الكتاب، ويضعف هذا؛ لأنه عطف صفة على موصوف، ويقويه قراءة "وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ" ب"من" الجارة وخفض "عنده".

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 الرُّبُّ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى  
 النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا  
 فِي الْأَرْضِ ۗ وَيُوَلِّئُ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى  
 الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۗ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا  
 مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ۗ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۗ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۗ وَهُوَ  
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى  
 النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ  
 مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۗ إِذْ أَخْرَجَكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ۗ يَسُومُونَكُمْ  
 سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۗ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ  
 رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۗ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي  
 لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾

## سورة إبراهيم عليه السلام

﴿ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، و"الظلمات" الكفر والجهل، و"النور"  
 الإيمان والعلم. ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ أي: بأمره وهو إرساله. ﴿ إِلَى صِرَاطٍ ﴾ بدل من "إلى النور". ﴿ اللَّهُ ﴾ قرئ  
 بالرفع وهو مبتدأ، أو خبر مبتدأ مضمرة، وبالخفض بدل. ﴿ يَسْتَحِبُّونَ ﴾ أي: يؤثرون. ﴿ وَيَبْغُونَهَا ﴾ قد  
 ذكر. ﴿ بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ أي: بلغتهم وكلامهم. ﴿ أَنْ أَخْرِجَ ﴾ "أن" مفسرة، أو مصدرية على تقدير بأن.  
 ﴿ وَذَكَّرَهُمْ بِآيَاتِنَا ﴾ أي: عقوبات الأمم المتقدمة، وقيل: إنعامه على بني إسرائيل؛ واللفظ يعم النعم  
 والنقم، وعبر عنها بالآيات لأنها كانت في أيام، وفي ذلك تعظيم لها كقولهم: يوم كذا ويوم كذا. ﴿ وَيُذَبِّحُونَ  
 أَبْنَاءَكُمْ ﴾ ذكر هنا بالواو ليدل أن "سوء العذاب" غير الذبح أو أعم من ذلك، ثم جرد الذبح كقوله  
 ﴿ وَمَلَأَتْ كَيْتَهُ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ ﴾، وذكر في البقرة بغير واو تفسيراً للعذاب. ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ ﴾ من كلام  
 موسى عليه السلام، و"تأذن" بمعنى أذن؛ أي: أعلم كقولك: تواعد وأوعد، وإعلام الله مقترن بإنفاذ ما  
 أعلم به. ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ هذا معمول "تأذن"؛ لأنه يتضمن معنى قال، ويحتمل أن تكون الزيادة  
 من خير الدنيا، أو من الثواب في الآخرة، أو منها. ﴿ وَلَئِن كَفَرْتُمْ ﴾ يحتمل أن يريد كفر النعم، أو كفر الإيمان؛



أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ، وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿١١﴾ قَالُوا إِن أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَاتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾

والأول أرجح لمقابلته بالشكر. ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ عبارة عن كثرتهم كقوله ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾. ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ أحدها: أن الضمائر لقوم الرسل؛ والمعنى: أنهم ردوا أيديهم في أفواه أنفسهم غيظا على الرسل كقوله ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَثَامِلَ مِنَ الْعِظِ﴾، أو استهزاء وضحكا كمن غلبه الضحك فوضع يده على فمه، والثاني: أن الضمائر لهم؛ والمعنى: أنهم ردوا أيديهم في أفواه أنفسهم إشارة إلى الأنبياء بالسكوت، والثالث: أنهم ردوا أيديهم في أفواه الأنبياء تسكيتا لهم ودفعا لقولهم. ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ المعنى: أفي وجود الله شك أو في إلهيته، وقيل: في وحدانيته، والهزمة للتقرير والتوبيخ؛ لأنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة، ولذلك وصفه بعد بقوله ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. ﴿مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ قيل: إن "من" زائدة، ومنع سبويه زيادتها في الواجب، وهي عنده للتبويض، ومعناه: أنه يغفر للكافر إذا أسلم ما تقدم من ذنوبه قبل الإسلام، ويبقى ما يذنب بعده في المشيئة، فوقعت المغفرة للبعض، ولم يأت في القرآن غفران بعض الذنوب إلا للكفار كهذا الموضع والذي في الأحقاف وسورة نوح، وجاء للمؤمنين بغير "من" كالذي في الصف. ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قال الزمخشري وأهل مذهبه من المعتزلة: معناه يؤخركم إن آمنتُم إلى أجلكم، وإن لم تؤمنوا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت؛ وهذا بناء على قولهم بالأجلين، وأهل السنة يابون هذا، فإن الأجل عندهم واحد محتموم. ﴿قَالُوا إِن أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ يحتمل أن يكون قولهم استبعادا لتفضيل بعض البشر على بعض بالنبوة، أو يكون إحالة لنبوة البشر؛ والأول أظهر لطلبهم البرهان في قولهم ﴿فَاتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾، ولقول الرسل ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ أي: بالتفضيل بالنبوة.

وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْجَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ

﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ المعنى: أي شيء يمنعنا من التوكل على الله؟ ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ إن قيل لم كرر الأمر بالتوكل؟ فالجواب عندي: أن قوله "وعلى الله فليتوكل المؤمنون" راجع إلى ما تقدم من طلب الكفار لـ "سلطان مبین"؛ أي: حجة ظاهرة، فتوكل الرسل في ورودها على الله، وأما قوله "وعلى الله فليتوكل المتوكلون"، فهو راجع إلى قولهم "ولنصبرن على ما آذيتمونا" أي: نتوكل على الله في دفع أذاكم، وقال الزمخشري: إن هذا الثاني بمعنى الثبوت على التوكل. ﴿أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ "أو" هنا بمعنى: إلا أن، أو على أصلها لوقوع أحد الشيتين، والعود هنا بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب، ولا يقتضي أن الرسل كانوا في ملة الكفار قبل ذلك. ﴿خَافَ مَقَامِي﴾ فيه ثلاثة أوجه هنا، وفي قوله ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّي﴾ في الرحمن؛ الأول: أن معناه مقام الحساب في القيامة، والثاني: أن معناه قيام الله على عباده بأعمالهم، والثالث: أن معناه خافني وخاف ربه، على إفخام المقام، أو على التعبير به عن الذات. ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا﴾ الضمير للرسول، أي: استنصروا بالله، وأصله طلب الفتح وهو الحكم. ﴿جَبَّارٍ﴾ أي: قاهر أو متكبر. ﴿عَنِيدٍ﴾ مخالف لا يتقاد. ﴿مِنْ وَرَائِهِ﴾ في الموضعين وراء هنا بمعنى ما يستقبل من الزمان، وقيل: معناه هنا أمامه؛ وهو بعيد. ﴿وَيُسْقَى﴾ معطوف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقي فيها ويسقى، وإنما ذكر هذا السقي تجريدا بعد ذكر جهنم؛ لأنه من أشد عذابها. ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ أي: يكلف جرعه وتصعب عليه إساغته، ونفي كاد يقتضي وقوع الإساعة بعد جهد، ومعنى "يسیغه" يتلعه. ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ﴾ أي: يجد ألما مثل ألم الموت وكرباته من جميع الجهات. ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ أي: لا يراح بالموت. ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مذهب سيبويه والفراء فيه كقولهما في ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ في الرعد والقتال؛ فالخبر عند سيبويه محذوف تقديره: فيما يتلى عليكم، والخبر عند الفراء الجملة التي بعد، والـ "مثل" هنا بمعنى التشبيه. ﴿أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ شبهها بالرماد في ذهابها وتلاشيها. ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ أي: شديد الريح، والعصوف في الحقيقة من صفة الريح.

لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ  
 خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ إِنَّ يَشَأُ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ ۚ جَدِيدٍ ۚ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى  
 اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٥﴾ وَبَرُّوْا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاتُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ  
 أَنْتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ قَالُوا لَوْ هَدَيْنَا اللَّهُ هَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا  
 أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴿١٦﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ  
 وَعَدَّكُمْ وَعَدَّ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۚ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ  
 دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۚ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ۚ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ  
 بِمُصْرِخِيَّ ۚ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ۚ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ  
 ﴿١٧﴾ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا  
 بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۚ تَحِيَّيْهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ

﴿ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ﴾ أي: لا يرون له منفعة. ﴿ وَبَرُّوْا لِلَّهِ ﴾ أي: ظهروا، ومعنى الظهور هنا  
 خروجهم من القبور، وقيل: معناه صاروا بالبراز وهي الأرض المتسعة. ﴿ تَبَعًا ﴾ جمع تابع، أو مصدر وصف  
 به مبالغة، أو على حذف مضاف. ﴿ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ "من" الأولى للبيان والثانية للتبعض، ويجوز  
 أن تكونا للتبعض معاقلة الزمخشري؛ والأظهر أن الأولى للبيان والثانية زائدة، والمعنى: هل أنتم دافعون  
 أو متحملون عنا شيئاً من عذاب الله؟. ﴿ مَّحِيصٍ ﴾ أي: مهرب، حيث وقع، ويحتمل أن يكون مصدراً أو اسم  
 مكان. ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ ﴾ يعني إبليس الأقدم، روي أنه يقوم خطيباً بهذا الكلام يوم القيامة، أو في النار يقول  
 لأهلها. ﴿ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ إن كان كلام إبليس في القيامة، فمعنى "قضي الأمر" تبين قوم للنار وقوم للجنة،  
 وإن كان في النار، فمعنى "قضي الأمر" حصل أهل النار في النار وأهل الجنة في الجنة. ﴿ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ ﴾  
 استثناء منقطع. ﴿ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ﴾ أي: ما أنا بمغيثكم، وما أنتم بمغيثين لي. ﴿ بِمَا  
 أَشْرَكْتُمُونِ ﴾ "ما" مصدرية، أي: بإشراككم لي مع الله في الطاعة. ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ يتعلق بـ "أشركتمون"، ويحتمل  
 أن يتعلق بـ "كفرت"؛ والأول أظهر وأرجح. ﴿ إِنَّ الظَّالِمِينَ ﴾ استئناف من كلام الله تعالى، ويحتمل أن يكون  
 حكاية عن إبليس. ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ يتعلق بـ "أدخل"، أو بـ "خالدين"؛ والأول أحسن. ﴿ كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾ ابن  
 عباس وغيره: هي لا إله إلا الله، وقيل: كل كلمة حسنة. ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ هي النخلة في قول الجمهور،

أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿١٤﴾ تُوتَى أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَنَضْرِبُ اللَّهُ  
 آلَ مَثَلٍ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ  
 فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿١٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ  
 الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۗ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۗ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿١٧﴾ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى  
 الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿١٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَيَسِرُّ  
 الْقَرَارُ ﴿١٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى الْبَارِ  
 ﴿٢٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِمَّنْ  
 قَبْلُ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ ﴿٢١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ  
 مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي  
 الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٢٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمْ  
 اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٢٣﴾ ۝ وَإِن تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ

واختار ابن عطية أنها شجرة غير معينة، إلا أنها كل ما اتصف بتلك الصفات. ﴿ وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ أي:  
 في الهواء، وذلك عبارة عن طولها. ﴿ تُوتَى أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾ الـ "حين" في اللغة وقت غير محدود، وقد تقترن  
 به قرينة تحده، فقيل: في كل حين كل سنة؛ لأن النخلة تطعم كل سنة، وقيل: غير ذلك. ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ  
 خَبِيثَةٍ ﴾ هي كلمة الكفر، وقيل: كل كلمة قبيحة. ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ هي الحنظلة عند الجمهور، واختار  
 ابن عطية أنها غير معينة. ﴿ اجْتُثَّتْ ﴾ أي: اقتلعت، وحققة الاجتثاث أخذ الجثة، وهذا في مقابلة قوله  
 "أصلها ثابت". ﴿ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾ هو: لا إله إلا الله، والإقرار بالنبوة. ﴿ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ أي: إذا فتنوا لم  
 يزلوا. ﴿ وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ هو عند السؤال في القبر عند الجمهور. ﴿ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ﴾ "نعمة الله" هنا هو  
 محمد ﷺ ودينه، أنعم الله به على قريش، فكفروا بالنعمة ولم يقبلوها، والتقدير: بدلوا شكر نعمة الله كفرا.  
 ﴿ وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ ﴾ أي: من أطاعهم واتبعهم. ﴿ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ فسرها بقوله ﴿ جَهَنَّمَ ﴾. ﴿ يُقِيمُوا الصَّلَاةَ  
 وَيُنْفِقُوا ﴾ هو جواب شرط مقدر يتضمنه قوله "قل" تقديره: إن تقل لهم أقيموا يقيموا، ومعمول القول  
 على هذا محذوف، وقيل: جزم بإضمار لام الأمر تقديره: ليقموا. ﴿ وَلَا خِلَالَ ﴾ من الخلة وهي المودة.

إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿١٦﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا  
 وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿١٧﴾ رَبِّ إِنِّي أَخْلَلْتُ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي  
 فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ  
 ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي  
 إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿١٩﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمُ مَا تُخْفِي وَمَا تُعَلِّمُ وَمَا  
 تُخْفِي عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٠﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى  
 الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٢١﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ  
 ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي ﴿٢٢﴾

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ يريد الجنس. ﴿الْبَلَدَ آمِنًا﴾ ذكر في البقرة. ﴿وَاجْنُبْنِي﴾ أي: امنعني، والماضي منه  
 جنَّب، يقال: جنَّب وجنَّب بالتشديد وأجنب بمعنى واحد. ﴿وَبَنِيَّ﴾ يعني بنيه من صلبه، وفيهم أجيبت  
 دعوته، وأما أعقاب بنيه فعبدوا الأصنام. ﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾ يريد من عصاه بغير الكفر، أو عصاه بالكفر  
 ثم تاب منه؛ فهو الذي يصح منه أن يدعو له بالمغفرة، ولكنه ذكر اللفظ بالعموم لما فيه عليه السلام من  
 الرحمة للخلق وحسن الخلق. ﴿أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ يعني ابنه إسماعيل عليه السلام لما ولدته أمه هاجر  
 غارت منها سارة زوجة إبراهيم فحمله مع أمه من الشام إلى مكة. ﴿بِوَادٍ﴾ يعني مكة، والوادي ما بين  
 جبلين، وإن لم يكن فيه ماء. ﴿بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ يعني الكعبة؛ فإما أن يكون البيت أقدم من إبراهيم على  
 ما جاء في بعض الروايات، وإما أن يكون إبراهيم قد علم أنه سيبنى هناك بيتا. ﴿لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ اللام  
 محتمل؛ أن تكون لام الأمر بمعنى الدعاء، أو لام كي تتعلق بـ"أسكنت"، وجمع الضمير يدل على أنه كان  
 قد علم أن ابنه يعقب هناك نسلا. ﴿تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ أي: تسير بجدة وإسراع، ولهذا الدعوة حجب الله حج  
 البيت إلى الناس، على أنه قال "من الناس" بالتبعية. قال بعضهم: لو قال أفعدة الناس لحجته فارس  
 والروم. ﴿وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ أي: ارزقهم في ذلك الوادي مع أنه غير ذي زرع، وأجاب الله دعوته  
 فجعل مكة تجبي إليها ثمرات كل شيء. ﴿وَمَا يُخْفِي عَلَى اللَّهِ﴾ الآية، محتمل أن تكون من كلام الله تعالى،  
 أو حكاية عن إبراهيم. ﴿وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ روي أنه ولد له إسماعيل وهو ابن مائة  
 وسبع عشرة عاما، وروي أقل من هذا، وإسماعيل أسن من إسحاق. ﴿وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي﴾ إن أراد بالـ"دعاء"

رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿١١﴾ وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهُ غَفِيلاً  
 عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿١٢﴾ مُهْطِعِينَ  
 مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْعِدْتُهُمْ هَوَاءً ﴿١٣﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ  
 الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّحِبِّ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ  
 أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلُ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ ﴿١٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسْكَانِ الَّذِينَ  
 ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْآمَثَالَ ﴿١٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا  
 مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿١٦﴾

الطلب والرغبة، فمعنى القبول الاستجابة، وإن أراد بالـ"دعاء" العبادة، فالقبول على حقيقته. ﴿رَبَّنَا  
 اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ قيل: إنما دعا بالمغفرة لأبويه الكافرين بشرط إسلامهما؛ والصحيح أنه دعا لهما قبل  
 أن يتبين له أنه عدو لله حسبما ورد في براءة. ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا﴾ هذا وعيد للظالمين وهم الكفار  
 هنا على الأظهر، فإن قيل: لمن هذا الخطاب هنا، وفي قوله ﴿فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهُ مُخْلِفٌ وَعَدِهِ رُسُلُهُ﴾؟  
 فالجواب: أنه يحتمل أن يكون خطاباً للنبي ﷺ أو لغيره؛ فإن كان لغيره فلا إشكال، وإن كان له فهو  
 مشكل؛ لأن النبي ﷺ لا يحسب أن الله غافلاً! وتأويل ذلك بوجهين؛ أحدهما: أن المراد الثبوت على  
 علمه بأن الله غير غافل وغير مخلف وعده، والآخر: أن المراد إعلامه بعقوبة الظالمين فمقصد الكلام  
 الوعيد لهم. ﴿تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ أي: تحد النظر من الخوف. ﴿مُهْطِعِينَ﴾ قيل: الإهطاع الإسراع،  
 وقيل: شدة النظر من غير أن يطرف. ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ قيل: الإقناع هو رفع الرأس، وقيل: خفضه  
 من الذلة. ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ أي: لا يطفون بعيونهم من الحذر والجزع. ﴿وَأَفْعِدْتُهُمْ هَوَاءً﴾  
 أي: منخرقة لا تعي شيئاً من شدة الجزع، فشبها بالهواء في تفرغه من الأشياء، ويحتمل أن يريد مضطربة  
 في صدورهم. ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ يعني يوم القيامة، وانتصاب "يوم" على أنه مفعول ثانٍ لـ"أنذر"،  
 ولا يجوز أن يكون ظرفاً. ﴿أَوْلَمْ تَكُونُوا﴾ تقديره: يقال لهم أو لم تكونوا، الآية. ﴿مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ﴾  
 هو المقسم عليه، ومعنى "من زوال" أي: من الأرض بعد الموت، أي: حلفتكم أنكم لا تبعثون. ﴿وَعِنْدَ اللَّهِ  
 مَكْرُهُمْ﴾ أي: جزاء مكرهم. ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ "إن" هنا نافية، واللام لام الجحود،  
 و"الجبال" يراد بها الشرائع والنبوات، شبهت بالجبال في ثبوتها؛ والمعنى: تحقير مكرهم؛ لأنه لا تزول منه

فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ مَخْلُوفَ وَعْدِهِ ۗ رُسُلُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿١٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ  
 الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ۗ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ  
 يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿١٩﴾ سَرَابِيلُهُمْ مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٢٠﴾  
 لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ  
 وَلِيُنذِرُوا بِهِ ۗ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهُهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٢﴾

تلك الجبال الثابتة الراسخة، وقرأ الكسائي "تزول" بفتح اللام، ورفع "تزل" و"إن" على هذه القراءة مخففة من الثقيلة، واللام للتأكيد، والمعنى: تعظيم مكرهم؛ أي: إن مكرهم من شدته بحيث تزول منه الجبال؛ ولكن الله عصم ووقى منه. ﴿فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ مَخْلُوفَ وَعْدِهِ رُسُلُهُ﴾ يعني الوعد بالنصر على الكفار، فإن قيل: هلا قال مخلف رسله وعده؟ ولم قدم المفعول الثاني على الأول؟ فالجواب: أنه قدم الوعد؛ ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلا على الإطلاق، ثم قال "رسله"؛ ليعلم أنه إذا لم يخلف وعد أحد من الناس، فكيف يخلف وعد رسله وخيرة خلقه! فقدم الوعد أولا بقصد الإطلاق، ثم ذكر الرسل لقصد التخصيص. ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ العامل في الظرف "ذو انتقام" أو محذوف، وتبديل الأرض بأن تكون يوم القيامة بيضاء عفراء كقرصة النقي هكذا ورد في الحديث الصحيح [البخاري: 6156]. ﴿وَالسَّمَاوَاتُ﴾ تبديلها بانشقاقها وانتشار كواكبها وخسوف شمسها وقمرها، وقيل: تبدل أرضا من فضة وسما من ذهب؛ وهذا ضعيف. ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾ يعني الكفار. ﴿مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ أي: مربوطين في الأغلال. ﴿سَرَابِيلُهُمْ﴾ أي: قمصهم؛ والسربال القميص. ﴿مِن قَطِرَانٍ﴾ هو الذي تنأ به الإبل وللنار فيه اشتعال شديد، فلذلك جعل الله قمص أهل النار منه. ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلق بمحذوف، أي: فعل الله ذلك ليجزي. ﴿هَذَا بَلَّغٌ﴾ إشارة إلى القرآن أو إلى ما تضمنته هذه السورة. ﴿وَلِيُنذِرُوا﴾ معطوف على محذوف تقديره: ليُنصَحُوا به وليُنذَرُوا. ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أي هذا الذكر لأولي العقول، وهم أهل العلم رضي الله عنهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الرَّبِّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرَهُمْ يَاكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَهِيَ كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نَنْزِلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾

## سورة الحجر

﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴾ يحتمل أن يريد بـ"الكتاب" الكتب المتقدمة، وعطف الـ"قرآن" عليها؛ والظاهر أنه القرآن وعطفه عطف الصفات. ﴿ رَبِّمَا ﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف وهما لغتان، و"ما" حرف كافة لـ"رب"، ومعنى "رب" التقليل وقد تكون للتكثير، وقيل: إن هذه منه، وقيل: إنها عبر عن التكرير بأداة التقليل على وجه التهكم كقوله ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾، وقوله ﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾، وقيل: إن معنى التقليل في هذه أنهم لو كانوا يودون الإسلام مرة واحدة لوجب أن يسارعوا إليه، فكيف وهم يودونه مرارا كثيرة! ولا تدخل إلا على الماضي، وإنما دخلت هنا على المستقبل لأنه في التحقيق كالماضي. ﴿ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ قيل: إن ذلك عند الموت، وقيل: في القيامة، وقيل: إذا خرج عصاة المسلمين من النار؛ وهذا هو الأرجح لحديث روي في ذلك. ﴿ ذَرَهُمْ ﴾ وما بعده تهديد. ﴿ كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴾ أي: وقت محدود. ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ الضمير في "قالوا" لكفار قريش، وقولهم "نزل عليه الذكر" على وجه الاستخفاف؛ أي: بزعمك ودعواك. ﴿ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ ﴾ "لو ما" عرض وتحضيض، والمعنى: أنهم طلبوا من النبي ﷺ أن يأتيهم بالملائكة معه. ﴿ مَا نَنْزِلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ رد عليهم فيما اقترحوا، والمعنى: أن الملائكة لا تنزل إلا بالحق من الوحي والمصالح التي يريدتها الله، لا باقتراح مقترح واختيار كافر معترض، وقيل: "الحق" هنا العذاب. ﴿ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴾ "إذا" حرف جواب وجزاء، والمعنى: لو أنزلت الملائكة لم يؤخر عذاب هؤلاء الكفار الذين اقترحوا نزولهم؛ لأن عادة الله أنه من اقترح آية فرأها ولم يؤمن أنه يعجل له العذاب، وقد علم الله أن هؤلاء القوم يؤمن كثير منهم، ويؤمن أعقابهم فلم يفعل بهم ذلك. ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ "الذكر" هنا هو القرآن، وفي قوله "إنا نحن نزلنا الذكر" رد لإنكارهم واستخفافهم في قولهم "يا أيها الذي نزل عليه الذكر"؛ ولذلك أكد بـ"نحن"



وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿٢٠﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿٢٢﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٢٣﴾ إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ أَلْسَمَعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴿٢٤﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿٢٥﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٦﴾

واحتج عليه بحفظه، ومعنى حفظه: حراسته عن التبديل والتغيير كما جرى في غيره من الكتب، فتولى الله حفظ القرآن، فلم يقدر أحد على الزيادة فيه ولا النقصان منه ولا تبديله، بخلاف غيره من الكتب؛ فإن حفظها موكول إلى أهلها لقوله ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾. ﴿فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ﴾ الـ"شيع" جمع شيعه؛ وهي الطائفة التي تتشيع لمذهب أو رجل. ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ معنى "نسلكه" ندخله، والضمير في "نسلكه" يحتمل أن يكون للاستهزاء الذي دل عليه قوله "به يستهزءون"، أو يكون لـ"القرآن" أي: نسلكه في قلوبهم مستهزاء به، ويكون قوله "كذلك" تشبيها للاستهزاء المتقدم. و﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ تفسير لوجه إدخاله في قلوبهم، والضمير في "به" لـ"القرآن". ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: تقدمت طريقتهم على هذه الحالة من الكفر والاستهزاء حتى أهلكوا بسبب ذلك، ففي الكلام تهديد لقريش. ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ الضمائر لكفار قریش المعاندين المختوم عليهم بالكفر، وقيل: الضمير في "ظلموا" و"يعرجون" للملائكة، وفي "قالوا" للكفار، ومعنى "يعرجون" يصعدون، والمعنى: أن هؤلاء الكفار لو رأوا أعظم آية لقالوا إنها تحيل أو سحر، وقرئ ﴿سُكَّرَتْ﴾ بالتشديد والتخفيف، ويحتمل أن يكون مشتقا من السكر، فيكون معناه: حيرت أبصارنا فرأينا الأمر على غير حقيقته، أو من السكر وهو السد، فيكون معناه: منعت أبصارنا من النظر. ﴿بُرُوجًا﴾ يعني المنازل الاثني عشر. ﴿إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ أَلْسَمَعَ﴾ استثناء من حفظ السماوات، فهو في موضع نصب. ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ أي: مقدر بقصد وإرادة، فالوزن على هذا مستعار، وقيل: المراد ما يوزن حقيقة كالذهب والأطعمة؛ والأول أعم وأحسن. ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ يعني البهائم والحيوانات، "ومن" معطوف على "معاش"،

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿١٧﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَاشِعِينَ ﴿١٨﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ تَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَالْجَبَانَ خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴿٢٣﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٤﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٥﴾ فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ وَأَجْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٢٧﴾

وقيل: على الضمير في "لكم"؛ وهذا ضعيف في النحو؛ لأنه عطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض، وهو قوي في المعنى، أي: جعلنا في الأرض معاش لكم وللحيوانات. ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ قيل: يعني المطر؛ واللفظ أعم من ذلك، والخزائن المواضع الخازنة، وظاهر هذا أن الأشياء موجودة قد خلقت، وقيل: إن ذلك تمثيل، والمعنى: إن من شيء إلا نحن قادرون على إيجاده وتكوينه. ﴿بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ أي: بمقدار محدود. ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾ يقال: لفتح الناقة والشجرة إذا حملت فهي لاقحة، وألقت الريح الشجر فهي ملقحة، و"لواقح" جمع لاقحة؛ لأنها تحمل الماء، أو جمع ملحقة على حذف الميم الزائدة. ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ﴾ الآية، يعني الأولين والآخرين من الناس، وذكر ذلك على وجه الاستدلال على الحشر الذي ذكر بعد ذلك في قوله ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾؛ لأنه إذا أحاط بهم علما لم تصعب عليه إعادتهم وحشرهم، وقيل: يعني من استقدم ولادة وموتا ومن تأخر، وقيل: من تقدم إلى الإسلام ومن تأخر عنه. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ﴾ "الإنسان" هنا آدم عليه السلام، وال"صلصال" الطين اليابس الذي يصلصل؛ أي: يصوت وهو غير مطبوخ، فإذا طبخ فهو فخار. ﴿مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ ال"حمأ" الطين الأسود، وال"مسنون" المتغير المتتن، وقيل: إنه من أسن الماء إذا تغير؛ والتصريف يرد هذا القول، وموضع "من حمأ" صفة ل"صلصال" أي: من صلصال كائن من حمأ. ﴿وَالْجَبَانَ خَلَقْنَاهُ﴾ يراد به جنس الشياطين، وقيل: إبليس الأول؛ وهذا أرجح لقوله ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ وتناسلت الجن من إبليس؛ وهو للجن كآدم للناس. ﴿السَّمُومُ﴾ شدة الحر. ﴿خَالِقٌ بَشَرًا﴾ يعني آدم عليه السلام. ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ يعني الروح الذي في الجسد، وأضاف الله تعالى الروح إلى نفسه إضافة ملك إلى مالك، أي: الروح الذي هو لي وخلق من خلقي، وتقدم الكلام على سجود الملائكة في البقرة.

قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿١٦﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ  
 مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿١٧﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿١٨﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ  
 إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿١٩﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿٢٠﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٢١﴾  
 إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ  
 أَجْمَعِينَ ﴿٢٣﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٢٥﴾ إِنَّ  
 عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ  
 أَجْمَعِينَ ﴿٢٧﴾ هَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ  
 فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٩﴾ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ - آمِينَ ﴿٣٠﴾ وَتَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ  
 إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٣١﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٣٢﴾ \*

﴿ فَأَخْرِجْ مِنْهَا ﴾ أي: من الجنة أو من السماء. ﴿ قَالَ رَبِّ ﴾ يقتضي إقراره بالربوبية، وأن كفره كان بوجه غير  
 الجحود، وهو اعتراضه على الله في أمره بالسجود لآدم. ﴿ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ اليوم الذي طلب إبليس أن  
 ينظر إليه هو يوم القيامة، و"يوم الوقت المعلوم" الذي أنظر إليه هو يوم النفخ في الصور النفخة الأولى حين  
 يموت من في السماوات ومن في الأرض، وكان سؤال إبليس الانظار إلى يوم القيامة جهلا منه ومغالطة؛ إذ  
 سأل ما لا سبيل إليه، لأنه لو أعطي ما سأل لم يمت أبدا؛ لأنه لا يموت أحد بعد البعث، فلما سأل ما لا سبيل  
 إليه أعرض الله عنه، وأعطاه الانتظار إلى يوم النفخة الأولى. ﴿ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ الباء سببية، أي: لأغوينهم بسبب  
 إغوائك لي، وقيل: للقسمة كأنه قال: بقدرتك على إغوائي لأغوينهم، والضمير لذرية آدم. ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ  
 عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ القائل لهذا هو الله تعالى، والإشارة بـ"هذا" إلى نجاة المخلصين من إبليس، وأنه لا يقدر عليهم،  
 أو إلى تقسيم الناس إلى غوي ومخلص. ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ ﴾ يحتمل أن يريد بالعباد جميع الناس، فيكون قوله ﴿ إِلَّا مَنْ  
 اتَّبَعَكَ ﴾ استثناء متصلا، أو يريد بالعباد "المخلصين"، فيكون الاستثناء منقطعا. ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ ﴾  
 الضمير لـ"الغواين". ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ روي: أنها سبعة أطباق في كل طبقة باب، فأعلاها للمذنبين من  
 المسلمين، والثاني لليهود، والثالث للنصارى، والرابع للصابئين، والخامس للمجوس، والسادس للمشركين،  
 والسابع للمنافقين. ﴿ أَدْخُلُوهَا ﴾ تقديره: يقال لهم ادخلوها، والسلام هنا يحتمل أن يكون التحية أو السلامة.  
 ﴿ إِخْوَانًا ﴾ يعني أخوة المودة والإيمان. ﴿ مُتَقَابِلِينَ ﴾ أي: يقابل بعضهم بعضا في الأسرة. ﴿ نَصَبٌ ﴾ أي: تعب.

نَبِيَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٤٢﴾ وَبَيَّنَّهُمْ عَنْ  
 ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٤٣﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلِّمًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٤٤﴾ قَالُوا لَا  
 تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٤٥﴾ قَالَ أَبَشْرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تُبَشِّرُونَ  
 ﴿٤٦﴾ قَالُوا بِبَشْرَتِكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٤٧﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ  
 رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ  
 قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٠﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنْجُوهُمْ وَأَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ قَدَرْنَا لَهَا  
 لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٢﴾ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٥٤﴾  
 قَالُوا بَلْ جَعَلْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٥٦﴾

﴿نَبِيَّ عِبَادِي﴾ الآية، أعلمهم، والآية آية ترجية وتخويف. ﴿وَبَيَّنَّهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ "ضيف" هنا واقع  
 على جماعة، وهم الملائكة الذين جاؤوا إلى إبراهيم بالبشرى. ﴿وَجِلُونَ﴾ أي: خائفون، والوجل الخوف. ﴿لَا  
 تَوْجَلْ﴾ أي: لا تخف. ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ هو إسحاق. ﴿قَالَ أَبَشْرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾  
 المعنى: أبشرتموني بالولد مع أنني قد كبر سني، وكان حينئذ ابن مائة سنة، وقيل: أكثر. ﴿فِيمَ تُبَشِّرُونَ﴾ قال  
 ذلك على وجه التعجب من ولادته في كبره، أو على وجه الاستبعاد لذلك، وقرئ "تبشرون" بتشديد النون  
 وكسرها على إدغام نون الجمع في نون الوقاية، وبالكسر والتخفيف على حذف إحدى النونين، وبالفتح وهو  
 نون الجمع. ﴿قَالُوا بِبَشْرَتِكَ بِالْحَقِّ﴾ أي: باليقين الثابت فلا تستبعده ولا تشك فيه. ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا  
 الضَّالُّونَ﴾ دليل على تحريم القنوط، وقرئ "يقنط" بفتح النون وكسرها وهما لغتان. ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي:  
 ما شأنكم؟ وبأي شيء جئتم؟ ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ يعنون قوم لوط. ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ يحتمل أن يكون استثناء  
 من "قوم"، فيكون منقطعاً لوصف القوم بالإجرام ولم يكن آل لوط مجرمين، ويحتمل أن يكون استثناء من  
 الضمير في "مجرمين"، فيكون متصلاً كأنه قال: إلى قوم قد أجرموا كلهم إلا آل لوط فلم يجرموا. ﴿إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ﴾  
 استثناء من "آل لوط" فهو استثناء من استثناء، وقال الزمخشري: إنما هو استثناء من الضمير المجرور في قوله  
 "لمنجومهم"؛ وذلك هو الذي يقتضيه المعنى. ﴿قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الغابر يقال بمعنى الباقي، وبمعنى  
 الذهاب، وإنما أسند الملائكة فعل التقدير إلى أنفسهم وهو لله وحده؛ لما لهم من القرب والاختصاص بالله لا  
 سيما في هذه القضية، كما يقول خاصة الملك: دبرنا كذا، ويحتمل أن يكون حكاية عن الله. ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ أي:  
 لا يعرفهم. ﴿قَالُوا بَلْ جَعَلْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: جئناك بالعذاب لقومك، ومعنى "يمترون" يشكون.

فَأَسْرِبَ أَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿١٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿١٦﴾ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٧﴾ قَالَ إِنَّ هَتُولَاءِ ضَيْفَى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿١٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَحْزُونِ ﴿١٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ قَالَ هَتُولَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَعَلِينَ ﴿٢١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَابِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ ﴿٢٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِنَّا لَنَسِيبِلٍ مُّقِيمٍ ﴿٢٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَطَالِمِينَ ﴿٢٨﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾

﴿ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ ﴾ أي: كن خلفهم وفي ساقتهم حتى لا يبقى منهم أحد، وليكونوا قدامه فلا يشتغل قلبه بهم لو كانوا وراءه لخوفه عليهم. ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ ﴾ تقدم في هود. ﴿ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾ قيل: هو مصر، وقيل: "حيث" هنا للزمان إذ لم يذكر مكان. ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ ﴾ هو من القضاء والقدر، وإنما تعدى بالي؛ لأنه ضمن معنى أوحينا، وقيل: معناه أعلمناه بذلك الأمر. ﴿ أَنَّ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعٌ ﴾ هذا هو تفسير لـ"ذلك الامر"، ودابر القوم أصلهم، والإشارة إلى قوم لوط. ﴿ مُّصْبِحِينَ ﴾ في الموضعين، أي: إذا أصبحوا ودخلوا في الصباح. ﴿ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ "المدينة" هي سدوم، واستبشار أهلها بالأضياف طمعا أن ينالوا منهم الفاحشة. ﴿ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ كانوا قد نهوه أن يضيف أحدا. ﴿ قَالَ هَتُولَاءِ بَنَاتِي ﴾ دعاهم إلى تزويج بناته ليقبى بذلك أضيافه. ﴿ لَعَمْرُكَ ﴾ قسم، والعمر الحياة، ففي ذلك كرامة للنبي ﷺ؛ لأن الله أقسم بحياته، وقيل: هو من قول الملائكة للوط، وارتفاعه بالابتداء، وخبره محذوف تقديره لعمرك قسمي، واللام للتوطئة. ﴿ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ الضمير لقوم لوط، و"سكرتهم" ضلالهم وجهلهم، و"يعمهون" أي: يتحيرون. ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ ﴾ أي: صيحة جبريل، وهي أخذه لهم. ﴿ مُشْرِقِينَ ﴾ أي: داخلين في الشروق، وهو وقت بزوغ الشمس، وقد تقدم تفسير ما بعد هذا من قصتهم في هود. ﴿ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ أي: للمتفرسين، ومنه فراسة المؤمن، وقيل: للمعتبرين، وحقيقة التوسم النظر إلى السيمة. ﴿ وَإِنَّا لَنَسِيبِلٍ مُّقِيمٍ ﴾ أي: بطريق ثابت يراه الناس، والضمير للمدينة المهلكة. ﴿ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَطَالِمِينَ ﴾ "أصحاب الايكة" قوم شعيب، و"الايكة" الغيضة من الشجر، لما كفروا أضرمها الله عليهم نارا. ﴿ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ الضمير في "إنهما"،

وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٤٦﴾ وَءَاتَيْنَهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٧﴾  
 وَكَانُوا يَنْجِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا - آمِنِينَ ﴿٤٨﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٤٩﴾ فَمَا  
 أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ  
 وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ ۖ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٥١﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ ﴿٥٢﴾  
 وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴿٥٣﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا  
 بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٤﴾

قيل: إنه لمدينة قوم لوط وقوم شعيب؛ فالإمام على هذا الطريق، أي: إنها بطريق واضح يراه الناس،  
 وقيل: الضمير للوط وشعيب؛ أي: إنها على طريق من الشرع واضح؛ والأول أظهر. ﴿أَصْحَابُ الْحَجْرِ﴾  
 هم ثمود قوم صالح، والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام. ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ ذكره بالجمع، وإنما كذبوا  
 واحدا، وفي ذلك تأويلان؛ أحدهما: أن من كذب واحدا من الأنبياء لزمه تكذيب الجميع؛ لأنهم جاؤوا  
 بأمر متفق من التوحيد، والثاني: أنه أراد الجنس كقولك فلان يركب الخيل، وإن لم يركب إلا فرسا واحدا.  
 ﴿وَءَاتَيْنَاهُمْ ءَايَاتِنَا﴾ يعني الناقة، وما كان فيها من العجائب. ﴿وَكَانُوا يَنْجِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ النحت  
 النقر بالمعاول وشبهها في الحجر والعود وشبهه، وكانوا ينقرون بيوتهم في الجبال. ﴿ءَامِنِينَ﴾ قيل: آمنين  
 من تهدم بيوتهم لوثاقتها، وقيل: آمنين من عذاب الله. ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ يعني أنها لم تخلق عبثا. ﴿فَاصْفَحِ  
 الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ قيل: إن "الصفح الجميل" هو الذي ليس معه عقاب ولا عتاب، وفي الآية مهادنة للكفار  
 منسوخة بالسيف. ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ قيل: يعني أم القرآن لأنها سبع آيات، وقيل: يعني  
 السور السبع الطوال؛ وهي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال مع  
 براءة، والأول أرجح لوروده في الحديث. و"المثاني" مشتق من الثنية؛ وهو التكرير؛ لأن الفاتحة تكرر قراءتها  
 في الصلاة، ولأن غيرها من السور تكرر فيها القصص وغيرها، وقيل: هو مشتق من الشناء؛ لأن فيها ثناء  
 على الله، و"من" يحتمل أن تكون للتبعيض أو لبيان الجنس، وعطف ﴿الْقُرْءَانَ﴾ على السبع المثاني؛ لأنه  
 يعني ما سواها من القرآن فهو عموم بعد الخصوص. ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أي: لا تنظر إلى ما متعناهم به  
 في الدنيا، ومعنى الآية تزهيد في الدنيا، كأنه يقول: قد آتيناك السبع المثاني والقرآن العظيم فلا تنظر إلى  
 الدنيا، فإن الذي أعطيناك أعظم منها. ﴿أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ﴾ يعني أصنافا من الكفار. ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا  
 تتأسف لكفرهم. ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ أي: تواضع ولن ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، والجناح هنا استعارة.

وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨١﴾ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٨٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا  
 الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٧٩﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسَعَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٨﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧٧﴾ فَأَصْدَعَ بِمَا  
 تَوْمَرُ وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ يَمْجَعُونَ مَعَ  
 اللَّهِ إِلَهًا - آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ أَنْتَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٧٣﴾  
 فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٧١﴾

﴿ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴾ الكاف من "كما" متعلقة بقوله "أنا النذير" أي: أنذر قريشا عذابا مثل العذاب الذي أنزل على المقتسمين، وقيل: تتعلق بقوله "ولقد - اتيناك" أي: أنزلنا عليك كتابا كما أنزلنا على المقتسمين، واختلف في "المقتسمين"؛ فقيل: هم أهل الكتاب الذين آمنوا ببعض كتابهم وكفروا ببعضه فاقسموه إلى قسمين، وقيل: هم قريش اقتصموا أبواب مكة في الموسم، فوقف كل واحد منهم على باب يقول أحدهم: هو شاعر، ويقول الآخر: ساحر، وغير ذلك. ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ أي: أجزاء وقالوا فيه أقوالا مختلفة، وواحد "عضين" عضة، وقيل: هو من العضة وهو السحر، والعاضة الساحر، والمعنى على هذا قالوا إنه سحر، والكلمة محذوفة اللام، ولماها على القول الأول واو، وعلى الثاني هاء. ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسَعَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ فإن قيل: كيف يجمع بين هذا وبين قوله ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ فالجواب: أن السؤال الميثب هو على وجه الحساب والتوبيخ، وأن السؤال المنفي هو على وجه الاستفهام المحض؛ لأن الله يعلم الأعمال فلا يحتاج إلى السؤال عنها. ﴿ فَأَصْدَعَ بِمَا تَوْمَرُ ﴾ أي: صرح به وأنفذه. ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ يعني قوما من أهل مكة أهلكهم الله بأنواع من المهالك من غير سعي النبي ﷺ؛ وكانوا خمسة: الوليد بن المغيرة، والعاصي بن وائل، والأسود بن المطلب، والأسود ابن عبد يغوث، والحارث بن غيطلة، وقصة إهلاكهم مذكورة في السير، وقيل: هم الذين قتلوا بيدر كابي جهل، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأمية بن خلف، وعتبة بن أبي معيط وغيرهم؛ والأول أرجح؛ لأن الله كفاه إياهم بمكة قبل الهجرة. ﴿ وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ أَنْتَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ تسلية للنبي ﷺ وتأنيس. ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ أي: الموت.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾  
يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا  
أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعٰلٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ  
الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ  
وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾  
وَتَحْمِلُ أَوْثِقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ  
رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

## سورة النحل

﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾ قيل: يعني القيامة، وقيل: النصر على الكفار، وقيل: عذاب الكفار في الدنيا، ووضع الماضي موضع المستقبل لتحقيق وقوع الأمر ولقربه، وروي أنها لما نزلت وثب رسول الله ﷺ قائماً فلما قال ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ سكن [البنوي: 7/5]. ﴿يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ﴾ أي: بالنبوة، وقيل: بالوحي. ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ أي: من نطفة المنى، والمراد جنس الإنسان. ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ فيه وجهان؛ أحدهما: أن معناه متكلم يخاصم عن نفسه، والثاني: يخاصم في ربه ودينه، وهذا في الكفار؛ والأول أعم. ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ أي: ما يتدفأ به، يعني ما يتخذ من جلود الأنعام وأصوافها من الثياب، ويحتمل أن يكون قوله "لكم" متعلقاً بما قبله أو بما بعده، ويختلف الوقوف باختلاف ذلك. ﴿وَمَنْفَعٌ﴾ يعني شرب ألبانها والحرث بها وغير ذلك. ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ يحتمل أن يريد بال"منافع" ما عدا الأكل، فيكون الأكل أمرا زائدا عليها، أو يريد بال"منافع" الأكل وغيره، ثم جرد ذكر الأكل لأنه أعظم المنافع. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ الـ"جمال" حسن المنظر، و"حين تريحون" يعني حين تردونها بالعشي إلى المنازل، و"حين تسرحون" حين تردونها بالغداة إلى الرعي، وإنما قدم "تريحون" على "تسرحون"؛ لأن جمال الأنعام بالعشي أكثر لأنها ترجع وبطنها ملأى وضروعها حافلة. ﴿وَتَحْمِلُ أَوْثِقَالَكُمْ﴾ يعني الأمتعة وغيرها، وقيل: أجساد بني آدم. ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ﴾ أي: إلى أي بلد توجهتم، وقيل: يعني مكة. ﴿بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾ أي: بمشقة. ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ استدل بعض الناس به على تحريم أكل الخيل والبغال والحمير؛ لكونه علل خلقتها بالركوب والزينة دون الأكل، ونصب "وزينة" على أنه مفعول من أجله، وهو معطوف على موضع "لتركبوها". ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ عبارة على العموم؛ أي: إن مخلوقات الله لا يحيط البشر بعلمها، وكل من ذكر في هذه الآية شيئا



وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدْنَاكُمْ رَاجِعِينَ ﴿١٠﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ  
 مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجْرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١١﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ  
 وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴿١٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ  
 يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ  
 بِأَمْرِ رَبِّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ وَمَا ذَرَأْنَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ  
 مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٥﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ  
 لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا مَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ  
 فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٦﴾ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ  
 تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٧﴾

مخصوصا فهو على وجه المثال. ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ أي: على الله تقويم طريق الهدى بنصب الأدلة  
 وبعث الرسل، والمراد بـ"السبيل" هنا الجنس، ومعنى الـ"قصد" القاصد الموصل، وإضافته إلى "السبيل" من  
 إضافة الصفة إلى الموصوف. ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ الضمير في "منها" يعود على "السبيل" إذ المراد به الجنس، ومعنى  
 الـ"جائر" الخارج عن الصواب، أي: ومن الطريق جائر كطريق اليهود والنصارى وغيرهم. ﴿مَاءً لَكُمْ﴾  
 يحتمل أن يتعلق "لكم" بـ"أنزل"، أو يكون في موضع خبر لـ"شَرَابٌ"، أو صفة لـ"ماء". ﴿وَمِنْهُ شَجْرٌ﴾ يعني  
 ما ينبت بالمطر من الشجر. ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ أي: ترعون أنعامكم. ﴿وَمَا ذَرَأْنَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني الحيوان  
 والأشجار والثمار وغير ذلك. ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ أي: أصنافه وأشكاله. ﴿لَحْمًا طَرِيًّا﴾ يعني الحوت. ﴿حَبْلًا  
 مَلْبَسُونَهَا﴾ يعني الجوهر والمرجان. ﴿مَوَاجِرَ فِيهِ﴾ جمع ماخرة، يقال: مخرت السفينة والمخرشق الماء، وقيل:  
 صوت جري الفلك بالرياح. ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ يعني التجارة، وهو معطوف على "لتأكلوا". ﴿وَالْقَى فِي  
 الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ الـ"رواسي" الجبال، واللفظ مشتق من رسا إذا ثبت، و"أن تميد" في موضع مفعول  
 من أجله، والمعنى: أنه ألقى الجبال في الأرض لئلا تميد الأرض، وروي أن الله لما خلق الأرض جعلت تمر  
 فقالت الملائكة: لا يستقر على ظهر هذه أحد، فأصبحت وقد أرسيت بالجبال. ﴿وَأَنْهَارًا﴾ قال ابن عطية: "أنهارا"  
 منصوب بفعل مضمّر تقديره: وجعل أو خلق أنهارا، قال: وإجماعهم على إضمار هذا الفعل دليل على أن "ألقى"  
 أخص من جعل وخلق، ولو كانت "ألقى" بمعنى خلق لم يحتج إلى هذا الإضمار. ﴿وَسُبُلًا﴾ يعني الطرق.

وَعَلَّمْتَ<sup>٤</sup> وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ<sup>٥</sup> ﴿٤﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ<sup>٦</sup> أَفَلَا تَذَكَّرُونَ<sup>٧</sup> ﴿٥﴾  
 وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا<sup>٨</sup> إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ<sup>٩</sup> ﴿٦﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ  
 وَمَا تَعْلِنُونَ<sup>١٠</sup> ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٨﴾  
 أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ<sup>١١</sup> وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٩﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ<sup>١٢</sup> فَالَّذِينَ لَا  
 يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿١٠﴾ لَا جَرَمَ أَنْ اللَّهُ يَعْلَمَ مَا  
 يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ<sup>١٣</sup> إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿١١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ  
 رَبُّكُمْ<sup>١٤</sup> قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢﴾

﴿وَعَلَّمَاتٍ﴾ يعني ما يستدل به على الطرق من الجبال والمناهل وغير ذلك، وهو معطوف على "أنهارا وسبلا"، وقال ابن عطية: هو نصب على المصدر، أي: لعلمكم تعتبرون، وعلامات أي: عبرة وأعلاما. ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ يعني الاهتداء بالليل في الطرق، و"النجم" هنا جنس، وقيل: المراد الشريا والفرقدان، فإن قيل: قوله "بالنجم هم يهتدون" مخرج عن سنن الخطاب، وقدم فيه "النجم" كأنه قال: وبالنجم هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم؟ فالجواب: أنه أراد قريشا؛ لأنهم كان لهم في الاهتداء بالنجم في سيرهم علم لم يكن لغيرهم، فكان الاعتبار ألزم لهم فخصصوا قال ذلك الزمخشري. ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ تقرير يقتضي الرد على من عبد غير الله، وإنما عبر عنهم بـ"من"؛ لأن فيهم من يعقل ومن لا يعقل أو مشاكلة لقوله "أفمن يخلق". ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ ذكر من أول السورة إلى هنا أنواعا من مخلوقاته تعالى على وجه الاستدلال بها على وحدانيته؛ ولذلك أعقبها بقوله "أفمن يخلق كمن لا يخلق"، وفيها أيضا تعداد لنعمه على خلقه؛ ولذلك أعقبها بقوله "وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها"، ثم أعقب ذلك بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي: يغفر لكم التقصير في شكر نعمه. ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ نفى عن الأصنام صفات الربوبية، وأثبت لهم أصدادها؛ وهي أنهم مخلوقون غير خالقين وغير أحياء وغير عالمين بوقت البعث، فلما قام البرهان على بطلان ربوبيتهم أثبت الربوبية لله وحده، فقال: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾. ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ أي: لم تكن لهم حياة قط ولا تكون؛ وذلك أغرق في موتها من تقدمت له حياة ثم مات ثم يعقب موته حياة. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ الضمير في "يشعرون" للأصنام، وفي "يبعثون" للكفار الذين عبدوهم، وقيل: إن الضميرين للكفار. ﴿قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ﴾ أي: تنكر وحدانية الله تعالى وجل. ﴿لَا جَرَمَ﴾ أي: لا بد ولا شك، وقيل: إن "لا" نفى لما تقدم، و"جرم" معناه: وجب أو حق، و"أن" فاعلة بـ"جرم". ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: ما سطره الأولون، وكان النضر ابن الحارث قد اتخذ كتب تواريخ، وكان يقول: إنها يحدث محمد بأساطير الأولين، وحديثي أجمل من حديثه، و﴿مَاذَا﴾ يجوز أن تكون اسما واحدا مركبا من "ما" و"ذا"، ويكون منصوبا بـ﴿أَنْزَلَ﴾، أو أن تكون "ما" استفهامية

لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ  
 مَا يَزِرُونَ ﴿١٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ  
 فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَتْهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ  
 الْقِيَامَةِ يُخْزِبُهُمْ وَيَقُولُ أَيَّنَ شُرَكَاءِ كُنتُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ تَشْتُقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ  
 أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّيهِمُ الْمَلَائِكَةُ  
 ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ط فَالْقُوا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ  
 تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿١٩﴾ \*  
 وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا

في موضع رفع بالابتداء، و"ذا" بمعنى الذي، وفي "أنزل" ضمير محذوف. ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ﴾ اللام لام  
 العاقبة والصيورة، أي: قالوا أساطير الأولين؛ فأوجب ذلك أن حملوا أوزارهم وأوزار غيرهم، ويحتمل  
 أن تكون للأمر. ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حال من المفعول في "يضلونهم" أو من الفاعل. ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِّنَ  
 الْقَوَاعِدِ﴾ الآية، قيل: المراد ب"الذين من قبلهم" نمرود؛ فإنه بنى صرحا ليصعد فيه إلى السماء بزعمه، فلما  
 علا فيه فرسخين هدمه الله وخر سقفه عليه، وقيل: المراد ب"الذين من قبلهم" كل من كفر من الأمم المتقدمة  
 ونزلت به عقوبة الله؛ فالبنيان والسقف والقواعد على هذا تمثيل. ﴿وَيَقُولُ أَيَّنَ شُرَكَاءِ ي﴾ توبيخ  
 للمشركين، وأضاف الشركاء إلى نفسه، أي: على زعمكم ودعواكم؛ وفيه تهكم بهم. ﴿الَّذِينَ كُنتُمْ تَشْتُقُونَ  
 فِيهِمْ﴾ أي: تعادون من أجلهم؛ فمن قرأ بكسر النون فالمفعول ضمير المتكلم وهو الله عز وجل، ومن قرأ  
 بفتحها فالمفعول محذوف تقديره تعادون المؤمنين من أجلهم. ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ هم الأنبياء والعلماء  
 من كل أمة، وقيل: يعني الملائكة؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ حال من الضمير المفعول في  
 "تتوفاهم". ﴿فَالْقُوا السَّلَامَ﴾ أي: استسلموا للموت. ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ أي: قالوا ذلك، ويحتمل  
 قولهم لذلك أن يكونوا قصدوا الكذب اعتصاما به كقولهم ﴿وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، أو يكونوا  
 أخبروا على حسب اعتقادهم في أنفسهم فلم يقصدوا الكذب ولكنه كذب في نفس الأمر. ﴿بَلَى﴾ من قول  
 الملائكة للكفار، أي: قد كنتم تعملون السوء. ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾ لما وصف  
 مقالة الكفار الذين قالوا أساطير الأولين قابل ذلك بمقالة المؤمنين، فإن قيل: لم نصب جواب المؤمنين وهو

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿١٦٦﴾  
 جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ هُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ۚ كَذَلِكَ يَجْزِي  
 اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّيهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ۚ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا  
 الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦٨﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ ۚ  
 كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٩﴾  
 فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٧٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ  
 أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ  
 دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧١﴾

قولهم "خيرا"، ورفع جواب الكافرين وهو "أساطير الاولين"؟ فالجواب: أن قولهم "خيرا" منصوب بفعل مضمّر تقديره: أنزل خيرا، ففي ذلك اعتراف بأن الله أنزله، وأما "أساطير الاولين" فهو خبر ابتداء مضمّر تقديره هو أساطير الاولين، فلم يعترفوا بأن الله أنزله فلا وجه لنصبه، ولو كان منصوبا لكان الكلام متناقضا؛ لأن قولهم "أساطير الاولين" يقتضي التكذيب بأن الله أنزله، والنصب بفعل مضمّر يقتضي التصديق بأن الله أنزله لأن تقديره أنزل، فإن قيل: يلزم مثل هذا في الرفع؛ لأن تقديره هو أساطير الاولين فهو غير مطابق للسؤال الذي هو "ماذا أنزل ربكم"؟ فالجواب: أنهم عدلوا بالجواب عن السؤال، فقالوا هو أساطير الاولين ولم ينزله الله. ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ ارتفع "حسنة" بالابتداء، و"للذين" خبره، والجملة بدل من "خيرا"، وتفسير للخير الذي قالوه، وقيل: هي استئناف كلام الله تعالى لا من كلام الذين قالوا خيرا. ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ يحتمل أن يكون هو اسم المدوح بـ "نعم" فيكون مبتدأ وخبره فيما قبله، أو خبر ابتداء مضمّر، ويحتمل أن يكون مبتدأ وخبره ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾، أو مضمّر تقديره لهم جنات عدن. ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون والضمير للكفار. ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ يعني لقبض أرواحهم. ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ يعني قيام الساعة أو العذاب في الدنيا. ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ أي: أصابهم جزاء سيئات ما عملوا. ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: أحاط بهم العذاب الذي كانوا به يستهزؤون، وهذا تفسيره حيث وقع. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ قالوا ذلك على وجه المجادلة والمخاصمة والاحتجاج على صحة فعلهم، أي: أن فعلنا هو بمشيئة الله فهو صواب، ولو شاء الله أن لا نفعله ما فعلناه،

وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن  
 هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ  
 عَنَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥٦﴾ إِنَّ تَحْرِيصَ عَلَيَّ هُدَيْتُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم  
 مِّن تَنْصِيحِينَ ﴿١٥٧﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعَدًّا  
 عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٥٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ  
 وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿١٥٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَقُولَ  
 لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٦٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً  
 وَلَآجِرَ الْآخِرَةِ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٦٢﴾ وَمَا  
 أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا يُوْحَىٰ إِلَيْهِمْ فَسَتَلَوْا أَهْلَ الدِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٣﴾

والرد عليهم بأن الله نهى عن الشرك، ولكنه قضاه على من شاء من عباده، ويحتمل أن يكونوا قالوا ذلك في  
 الآخرة على وجه التمني، فإن "لو" تكون للتمني، والمعنى على هذا: أنهم لما رأوا العذاب تمنوا أن يكونوا لم  
 يعبدوا غير الله، ولم يجرموا ما أحل الله من البحيرة وغيرها. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُهْدِي مَن يُضِلُّ﴾ قرئ بضم الياء  
 وفتح الدال على البناء للمفعول، أي: لا يهدي غير الله من يضلله الله، وقرئ "يهدي" بفتح الياء وكسر الدال،  
 والمعنى على هذا: لا يهدي الله من قضى بإضلاله. ﴿وَمَا لَهُمْ مِّن تَنْصِيحِينَ﴾ الضمير عائد على "من يضل" لأنه  
 في معنى الجمع. ﴿بَلَى﴾ رد على الذين أقسموا لا يبعث الله من يموت، أي: أنه يبعث. ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي  
 اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ السلام تعلق بما دل عليه "بلى" أي: يبعثهم ليبين لهم، وهذا برهان على البعث؛ فإن الناس  
 مختلفون في أديانهم ومذاهبهم فيبعثهم الله ليبين لهم الحق فيما اختلفوا فيه. ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ﴾ الآية، برهان  
 أيضا على البعث؛ لأنه داخل تحت قدرة الله تعالى. ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾ يعني الذين هاجروا من مكة إلى  
 أرض الحبشة؛ لأن الهجرة إلى المدينة كانت بعد هذا، وقيل: إنها نزلت في أبي جندل بن سهيل ؓ وخبره  
 المذكور في السير في قصة الحديدية؛ وهذا بعيد لأن السورة نزلت قبل ذلك. ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ وعد  
 أن ينزلهم بقعة حسنة، وهي المدينة التي استقروا بها، وقيل: إن "حسنة" صفة لمصدر، أي: لنبوتهم تبوئة  
 حسنة، وقرئ "لنثوينهم" بالثاء من الشواء. ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ وصف للذين هاجروا، ويحتمل إعرابه أن يكون  
 نعتا، أو على تقدير هم الذين، أو أمدح الذين. ﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ رد على من استبعد أن يكون الرسول من البشر.  
 ﴿فَسَتَلَوْا أَهْلَ الدِّكْرِ﴾ يعني أحبار اليهود والنصارى؛ لأن جميعهم يشهدون أن الرسول من البشر.

بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾  
 أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ  
 حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلُوبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى  
 تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَّالُهُ

عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ

﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ يتعلق بـ"أرسلنا" الذي في أول الآية على التقديم والتأخير في الكلام، أو بأرسلنا مضمرا، أو بـ"يوحى"، أو بـ"تعلمون". ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ يعني القرآن. ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ يحتمل أن يريد لتبين القرآن بسرديك نصه وتعليمه للناس، أو لتبين معانيه بتفسير مشكله، فيدخل في هذا ما بينته السنة من الشريعة. ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾ يعني كفار قريش عند جمهور المفسرين، و"السيئات" تحتمل وجهين؛ أحدهما: أن يريد بها الأعمال السيئات؛ أي: المعاصي فيكون "مكروا" يتضمن معنى عملوا، والآخر: أن يريد: المكرات السيئات، أي: مكرهم بالنبي ﷺ فيكون المكر على بابه. ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلُوبِهِمْ﴾ يعني في أسفارهم. ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: بمفلتين، حيث وقع. ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ فيه وجهان؛ أحدهما: أن معناه على تنقص؛ أي: ينتقص أموالهم وأنفسهم شيئا بعد شيء حتى يهلكوا من غير أن يهلكهم جملة واحدة، ولهذا أشار بقوله ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾؛ لأن الأخذ هكذا أخف من غيره، وقد كان عمر بن الخطاب ؓ أشكل عليه معنى الـ"تخوف" في الآية حتى قال له رجل من هذيل: التخوف التنقص في لغتنا، والوجه الثاني: أنه من الخوف، أي: يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا هم ذلك فيأخذهم بعد أن توقعوا العذاب وخافوه، وذلك خلاف قوله ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَّالُهُ﴾ معنى الآية: اعتبار بانتقال الظل، ويعني بقوله "ما خلق الله من شيء"، الأجرام التي لها ظلال من الجبال والشجر والحيوان وغير ذلك، وذلك أن الشمس من وقت طلوعها إلى وقت الزوال يكون ظلها إلى جهة، ومن الزوال إلى الليل إلى جهة أخرى، ثم يمتد الظل ويعم بالليل إلى طلوع الشمس، وقوله "يتفَيَّؤُا" من الفياء وهو الظل الذي يرجع بعكس ما كان غدوة، وقال رؤبة بن العجاج: يقال بعد الزوال ظل وفيء، ولا يقال قبله إلا ظل، ففي لفظ "يتفَيَّؤُا" هنا تجوز ما لوقوع الخصوص في موضع العموم، لأن المقصود الاعتبار من أول النهار إلى آخره، فوضع "يتفَيَّؤُا" موضع ينتقل أو يميل، والضمير في "ظلاله" يعود على "ما" أو على "شيء". ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ يعني عن الجانبين أي: يرجع الظل من جانب إلى جانب، و"اليمين" بمعنى الأيمان، واستعار هنا الأيمان و"الشمائيل"

سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ  
وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ ﴿١٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٢٠﴾  
وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارْهَبُونَ ﴿٢١﴾ وَلَهُ مَا فِي  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٢٢﴾ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ  
ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالْيَهُ تَجْرُؤُونَ ﴿٢٣﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضَّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ  
يُشْرِكُونَ ﴿٢٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾

للأجرام؛ فإن اليمين والشمال إنما هما في الحقيقة للإنسان. ﴿سُجَّدًا لِلَّهِ﴾ حال من الظلال، وقال الزمخشري: حال من الضمير في "ظلاله"، إذ هو بمعنى الجمع لأنه يعود على قوله "من شيء"، فعلى الأول يكون السجود من صفة الظلال، وعلى الثاني يكون من صفة الأجرام، واختلف في معنى هذا السجود، فقليل عبر به عن الخضوع والانقياد، وقيل: هو سجود حقيقة. ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ أي: صاغرون، وجمع بالواو؛ لأن الدخور من أوصاف العقلاء. ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ﴾ يحتمل أن يكون "من دابة" بيان لـ"ما في السماوات وما في الأرض" معاً؛ لأن كل حيوان يصح أن يوصف بأنه يدب، ويحتمل أن يكون بياناً لـ"ما في الأرض" خاصة، وإنما قال "ما في السماوات وما في الأرض" ليعم العقلاء وغيرهم، ولو قال: من في السماوات، لم يدخل في ذلك غير العقلاء قاله الزمخشري. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ إن كان قوله "من دابة" بياناً لـ"ما في السماوات وما في الأرض"، فقد دخل "الملائكة" في ذلك وكرر ذكرهم تخصيصاً لهم بالذكر وتشريفاً، وإن كان "من دابة" لـ"ما في الأرض" خاصة، فلم تدخل الملائكة في ذلك فعطفهم على ما قبلهم. ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ هذا إخبار عن الملائكة، وهو بيان لنفي الاستكبار، ويحتمل أن يريد فوقية القدرة والعظمة، أو يكون من المشكلات التي يمسك عن تأويلها، وقيل: معناه يخافون أن يرسل عليهم عذاباً من فوقهم. ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ وصف الإلهين باثنين تأكيداً وبياناً للمعنى، وقيل: إن "اثنين" مفعول أول و"إلهين" مفعول ثان، فلا يكون في الكلام تأكيد. ﴿فَأَيَّيَّ فَارْهَبُونَ﴾ خرج من الغيبة إلى التكلم لأن الغائب هو المتكلم، و"إيائي" مفعول بفعل مضمر، ولا يعمل فيه "فارهبون" لأنه قد أخذ معموله. ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾ أي: واجبا وثابتا، وقيل: دائما، وانتصابه على الحال من "الدين". ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ يحتمل أن يكون الواو للاستئناف أو للحال، فيكون الكلام متصلاً بما قبله، أي: كيف تتقون غير الله! وما بكم من نعمة فمنه وحده. ﴿فَالْيَهُ تَجْرُؤُونَ﴾ أي: ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والتضرع. ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ اللام لام الأمر على وجه التهديد لقوله بعدها ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ فعلى هذا يتدنى بها،

وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْعَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥١﴾  
 وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ۚ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ  
 وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٣﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ  
 هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٤﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ  
 السَّوِّءِ ۗ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥٥﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا  
 تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ

وقيل هي لام العاقبة، فعلى هذا توصل بما قبلها لأنها في الأصل لام كي؛ وذلك بعيد في المعنى، والكفر هنا  
 يحتمل أن يريد به كفر النعم لقوله "بساء اتيناهم"، أو كفر الجحود والشرك لقوله ﴿بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.  
 ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ يريد التمتع في الدنيا، وذلك أمر على وجه التهديد. ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾  
 الضمير في "يجعلون" لكفار العرب، فإنهم كانوا يجعلون للأصنام نصيبا من ذبائحهم وغيرها، والمراد بقوله "لما  
 لا يعلمون" الأصنام، والضمير في "لا يعلمون" للكفار، أي: "لا يعلمون" ربوبيتهم ببرهان ولا بحجة، وقيل:  
 الضمير في "لا يعلمون" للأصنام، أي: الأشياء غير عالمة؛ وهذا بعيد. ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ إشارة إلى قول  
 الكفار: إن الملائكة بنات الله؛ ثم نزه تعالى نفسه عن ذلك بقوله ﴿سُبْحَانَهُ﴾. ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ المعنى: أنهم  
 يجعلون لأنفسهم ما يشتهون، يعني بذلك الذكور من الأولاد، وأما الإعراب فيجوز أن يكون "ما يشتهون"  
 مبتدأ وخبره المجرور قبله، وأن يكون مفعولا بفعل مضمرة تقديره: ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون، وأن يكون  
 معطوفا على "البنات" على أن هذا يمنع البصريون؛ لأنه من باب ضربئني، وكان يلزم عندهم أن يقال:  
 لأنفسهم. ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا﴾ إخبار عن حال العرب في كراحتهم للبنات، و"ظل"  
 هنا يحتمل أن تكون على بابها أو بمعنى صار، والسواد عبارة عن العبوس والغم، وقد يكون معه سواد حقيقة،  
 و﴿كَظِيمٌ﴾ قد ذكر في يوسف. ﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ﴾ أي: يستخفي من أجل سوء ما بشر به. ﴿أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ  
 هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ المعنى: يدبر وينظر، هل يمسك الأنثى التي بشر بها على هوان وذل لها أو يدفنها في  
 التراب حية، وهي المؤودة، وهذا معنى "يدسه في التراب". ﴿مَثَلُ السَّوِّءِ﴾ أي: صفة السوء من الحاجة إلى  
 الأولاد، وغير ذلك من صفة الافتقار والنقص. ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ أي: الوصف الأعلى من الغنى عن كل  
 شيء والنزاهة عن صفات المخلوقين. ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ﴾ يعني لو يعاقبهم في الدنيا. ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ أي: بكفرهم  
 ومعاصيهم. ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ الضمير لـ "أرض". ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ يعني بني آدم وغيرهم، وهذا يقتضي أن



فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْزِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرِطُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾

تهلك الحيوانات بذنوب بني آدم، وقد ورد ذلك في الأثر، وقيل: يعني بني آدم خاصة. ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ يعني البنات. ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ﴾ "أن" بدل من "الكذب"، و"الحسنى" هنا قيل: هي الجنة، وقيل: هي ذكور الأولاد. ﴿وَأَنَّهُمْ مُّفْرِطُونَ﴾ بكسر الراء والتخفيف من الإفراط، أي: متجاوزون الحد في المعاصي، وبتفتح الراء والتخفيف من الفرط، أي: معجلون إلى النار، وبكسر الراء والتشديد من التفريط. ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ﴾ يحتمل أن يريد بـ"اليوم" وقت نزول الآية أو يوم القيامة. ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ معطوفان على موضع "التبين"، وانتصبا على أنها مفعول من أجلها، أي: لأجل البيان والهدى والرحمة. ﴿نُّسْقِيكُم﴾ بفتح النون وضمها لغتان، يقال: سقى وأسقى. ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ الضمير لـ"الأنعام"، وإنما ذكر لأنه مفرد بمعنى الجمع، كقولهم ثوبٌ أخلاقٌ، أو لأنه اسم جنس، وإذا أنث فهو جمع نعم. ﴿مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾ الـ"فرث" هو ما في الكرش من القدر، والمعنى: أن الله يخلق اللبن متوسطا بين الفرث والدم يكتفانه، ومع ذلك فلا يغيران له لونا ولا طعما ولا رائحة، و"من" في قوله "مما في بطونه" للتبعض، وفي قوله "من بين فرث" لابتداء الغاية. ﴿سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ يعني سهلا للشرب حتى قيل: لم يغص أحد قط باللبن. ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾ المجرور يتعلق بفعل محذوف تقديره: نسقيكم من ثمرات النخيل والأعقاب، أي: من عصيرها، ويدل عليه "نسقيكم" الأول، أو يكون "من ثمرات" معطوفا على "مما في بطونها"، أو يتعلق "من ثمرات" بـ"تتخذون"، وكرر "منه" تأكيدا، أو يكون "تتخذون" صفة لمحذوف تقديره شيئا تتخذون. ﴿سَكَرًا﴾ يعني الخمر، ونزل ذلك قبل تحريمها فهي منسوخة بالتحريم، وقيل: إن هذا على وجه المنة بالمنفعة التي في الخمر، ولا تعرض فيها لتحليل ولا تحريم فلا نسخ، وقيل: السكر المائع من هاتين الشجرتين كالخل والرب، والرزق الحسن

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۗ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ۗ وَمِنكُمْ مَّن يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ۗ

العنب والتمر والزبيب. ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ الوحي هنا بمعنى الإلهام؛ فإن الوحي على ثلاثة أنواع: وحي كلام، ووحى منام، ووحى إلهام. ﴿أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ "أن" مفسرة للوحي الذي أوحى إلى النحل، وقد جعل الله بيوت النحل في هذه الثلاثة الأنواع؛ إما في الجبال وكواها، وإما في متجوف الأشجار، وإما فيما يعرش بنو آدم من الأجاج والحيطان ونحوها، و"من" في المواضع الثلاثة للتبويض؛ لأن النحل إنما تتخذ بيوتها في بعض الجبال، وبعض الشجر، وبعض الأماكن، وعرش معناه: هياً أو بنى، وأكثر ما يستعمل فيما يكون من الأغصان والخشب. ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ عطف "كلي" على "اتخذي"، و"من" للتبويض وذلك أنها إنما تأكل النوار من الأشجار، وقيل: المعنى من كل الثمرات التي تشتهيها. ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾ يعني الطرق في الطيران، وأضافها إلى الرب لأنها ملكه وخلقه. ﴿ذُلُلًا﴾ أي: مطيعة منقادة، ويحتمل أن يكون حالاً من الـ"سبل"، قال مجاهد: لم يتوعر قط على النحل طريق، أو حالاً من "النحل" أي منقادة لما أمرها الله به. ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ يعني العسل. ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ أي: منه أبيض وأصفر وأحمر. ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ الضمير للعسل؛ لأن أكثر الأدوية مستعملة من العسل كالمعاجين والأشربة النافعة من الأمراض، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يتداوى به من كل شيء، فكانه أخذ على العموم، وعلى ذلك يدل الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً جاء إليه فقال: إن أخي يشتكي بطنه، فقال: «اسقه عسلاً»، فذهب ثم رجع فقال: قد سقيته فما نفع. قال: «فاذهب فاسقه عسلاً؛ فقد صدق الله وكذب بطن أخيك» فسقاه فشفاه الله عز وجل [البخاري: 5360]. ﴿إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ﴾ أي: إلى أخسه وأحقره؛ وهو الهرم، وقيل: حده خمسة وسبعون عاماً، وقيل: ثمانون؛ والصحيح أنه لا ينحصر في مدة معينة، وأنه يختلف بحسب الناس. ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ اللام لام الصيرورة، أي: يصير إذا هرم لا يعلم شيئاً بعد أن كان يعلم قبل الهرم، وليس المراد نفي العلم بالكلية، بل ذلك عبارة عن قلة العلم لغلبة النسيان، وقيل: المعنى لثلا يعلم زيادة على علمه شيئاً. ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ الآية، في معناها قولان؛ أحدهما: أنها احتجاج على الوحدانية، كأنه يقول أنتم لا تسوون بين أنفسكم وبين ممالئكم في الرزق، ولا تجعلونهم

فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْدِي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِنْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبِطْلِ يُؤْمِنُونَ وَبِعِنْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ \* ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

شركاء لكم، فكيف تجعلون عبيدي شركاء لي؟ والآخر: أنها عتاب وذم لمن لا يحسن إلى مملوكه، حتى يرد ما رزقه الله عليه كما جاء في الحديث: «أطعموهم مما تأكلون، واكسوهم مما تلبسون» [مسلم: 3007]؛ والأول أرجح. ﴿أَفَبِعِنْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ الجحد هنا على المعنى الأول إشارة إلى الإشراك بالله وعبادة غيره، وعلى المعنى الثاني إشارة إلى جنس المالك فيما يجب لهم من الإنفاق. ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ يعني الزوجات، و"من انفسكم" يحتمل أن يريد من نوعكم وعلى خلقتكم أو يريد أن حواء خلقت من ضلع آدم، وأسند ذلك إلى بني آدم لأنهم من ذريتهما. ﴿وَحَفَدَةً﴾ جمع حافد، قال ابن عباس ؓ: هم أولاد البنين، وقيل: الأصهار، وقيل: الخدم، وقيل: البنات؛ لأن لفظ الـ"بنين" المذكر لا يدل عليهن، والحفدة في اللغة الخدمة. ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ الآية، تويخ للكفار ورد عليهم في عبادتهم للأصنام، وهي لا تملك لهم رزقا، وانتصب ﴿رِزْقًا﴾ لأنه مفعول بـ"يملك"، ويحتمل أن يكون مصدرا أو اسما لما يرزق، فإن كان مصدرا فأعراب ﴿شَيْئًا﴾ مفعول به، لأن المصدر ينصب المفعول، وإن كان اسما فأعراب "شيئا" بدل منه. ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ الضمير عائد على "ما" لأن المراد به الآلهة، ونفي الاستطاعة بعد نفي الملك لأن نفيها أبلغ في الذم. ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ الآية، مثل لله تعالى وللأصنام؛ فالأصنام كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء، والله تعالى له الملك ويده الرزق ويتصرف فيه كيف شاء، فكيف يسوى بينه وبين الأصنام؟ وإنما قال ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ لأن بعض العبيد يقدر على بعض الأمور، كالمكاتب والمأذون له. ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ﴾ "من" هنا نكرة موصوفة، والمراد بها: من هو حر قادر؛ كأنه قال: وحرًا "رزقناه" ليطابق "عبدا"، ويحتمل أن تكون موصولة. ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ أي: هل يستوي العبيد والأحرار الذين ضرب بهم المثل؟ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ شكر الله على بيان هذا المثال ووضوح الحق. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني الكفار.

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ  
 أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بَحَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ  
 ﴿٦٦﴾ وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحِ الْبَصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ  
 اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا  
 وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ  
 مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ  
 ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا  
 يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَاتًا إِلَى حِينٍ ﴿٧٠﴾  
 وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾ الآية: مثل لله تعالى وللأصنام كالذي قبله، والمقصود بها إبطال  
 مذاهب المشركين وإثبات الوجدانية لله تعالى، وقيل: إن الرجل الأبكم أبو جهل، والذي يأمر بالعدل عمار بن  
 ياسر ؓ؛ والأظهر عدم التعيين. ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾ الـ "كل" الثقيل؛ يعني أنه عيال على وليه أو سيده، وهو  
 مثل للأصنام، والذي ﴿يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ هو الله تعالى. ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحِ الْبَصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ بيان  
 لقدرة الله على إقامتها، وأن ذلك يسير عليه كقوله ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنُفُوسٍ وَاحِدَةً﴾، وقيل: المراد  
 سرعة إتيانها. ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ الأمهات جمع أم، زيدت فيه الهاء فرقا بين من يعقل ومن لا  
 يعقل، وقرئ بضم الهمزة وكسرها إتباعا للكسرة قبلها. ﴿فِي جَوْ السَّمَاءِ﴾ أي: في الهواء البعيد من الأرض.  
 ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ السكن مصدر يوصف به، وقيل: هو فعل بمعنى مفعول، ومعناه: ما  
 يسكن فيه كالبيوت أو يسكن إليه. ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾ يعني الأدم من القباب وغيرها.  
 ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ أي: تجدونها خفيفة. ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ يعني في السفر والحضر، والـ "يوم" هنا  
 بمعنى الوقت، ويقال ظعن الرجل إذا رحل، وقرئ "ظعنكم" بفتح العين وإسكانها تخفيفا. ﴿وَمِنْ أَصْوَابِهَا  
 وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا﴾ الأصواف للغنم، والأوبار للإبل، والأشعار للمعز والبقرة. ﴿أَثْنَا وَمِئَاتًا﴾ الأثاث متاع البيت  
 من البسط وغيرها، وانتصابه على أنه مفعول بفعل مضمر تقديره: جعل. ﴿وَمِئَاتًا إِلَى حِينٍ﴾ أي: إلى وقت غير  
 معين، ويحتمل أن يريد إلى أن تبلى وتفنى أو إلى أن تموتوا. ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾ نعمة عددها الله

وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ  
بَأْسَكُمْ ۚ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٤١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ  
الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٤٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٣﴾ وَيَوْمَ  
نَبَعَثْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا رَأَى  
الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا  
شُرَكَاءَ هُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ ۖ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ  
الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٦﴾ وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلْمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ  
﴿٤٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا  
يُفْسِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَيَوْمَ نَبَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى  
هَؤُلَاءِ ۖ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٤٩﴾

عليهم بالظل، لأن الظل في بلادهم مطلوب محبوب لشدة حرها، ويعني بـ"ما خلق" الشجر وغيرها.  
﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ الأكنان جمع كُن؛ وهو ما بقي من المطر والريح وغير ذلك، ويعني بذلك  
الغيران والبيوت المنحوتة في الجبال. ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ "السرابيل" هي الثياب من  
القمص وغيرها، وذكر وقاية الحر ولم يذكر وقاية البرد؛ لأن وقاية الحر أهم عندهم لحرارة بلادهم، وقيل:  
لأن ذكر أحدهما يعني عن ذكر الآخر. ﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ﴾ يعني دروع الحديد. ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ  
اللَّهِ﴾ إشارة إلى ما ذكر من النعم من أول السورة إلى هنا، والضمير في "يعرفون" للكفار، وإنكارهم لنعم الله  
إشراكهم به وعبادة غيره، وقيل: نعمة الله هنا نبوة محمد ﷺ. ﴿وَيَوْمَ نَبَعَثْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ أي: يشهد  
عليهم بآيائهم أو كفرهم. ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: لا يؤذن لهم في الاعتذار. ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾  
أي: لا يسترضون، وهو من العتبي بمعنى الرضى. ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى التأخير أو  
بمعنى النظر؛ أي: لا ينظر الله إليهم. ﴿فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ الضمير في "ألقوا" للمعبودين،  
والمعنى: أنهم كذبوهم في قولهم: إنهم كانوا يعبدونهم كقولهم ﴿مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَاتِعْبُدُونَ﴾، فإن قيل: كيف كذبوهم  
وهم قد كانوا يعبدونهم؟ فالجواب: أنهم لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكان عبادتهم لم تكن عبادة، ويحتمل أن  
يكون تكذيبهم لهم في تسميتهم شركاء لله لا في العبادة. ﴿وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلْمَ﴾ أي: استسلموا له  
وانقادوا. ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ روي أن الزيادة في العذاب هي حيات وعقارب كالبغال تلسعهم.

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ  
وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٠١﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا  
الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ  
﴿١٠٢﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ  
دَخْلًا بَيْنَكُمْ ۚ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبُلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ  
يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَتَّخِذُوا  
أَيْمَانَكُمْ دَخْلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ يعني "بالعدل" فعل الواجبات وبـ"الاحسان" المندوبات، وذلك في حقوق الله تعالى وفي حقوق المخلوقين، قال ابن مسعود رضي الله عنه: هذه أجمع آية في كتاب الله تعالى. ﴿وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ الإيتاء مصدر آتى بمعنى أعطى، وقد دخل ذلك في العدل والإحسان ولكنه جرده بالذكر اهتماماً به. ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ قيل: يعني الزنا؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ هو أعم من الفحشاء؛ لأنه يعم جميع المعاصي. ﴿وَالْبَغْيِ﴾ يعني الظلم. ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ﴾ هذا في الأيمان التي في الوفاء بها خير، وأما ما كان تركه أولى «فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير» كما جاء في الحديث [مسلم: 1650]، أو تكون الأيمان هنا ما يحلفه الإنسان في حق غيره أو معاهدة لغيره. ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ أي: رقيباً ومتكفلاً بوفائكم بالعهد، وقيل: إن هذه الآية نزلت في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل: فيها كان بين العرب من حلف في الجاهلية. ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ شبه الله من يحلف ولا يفي بيمينه بالمرأة التي تغزل غزلاً قويا ثم تنقضه، ويروى أنه كانت بمكة امرأة حمقاء تسمى ريطة بنت سعد كانت تفعل ذلك، وبها وقع التشبيه، وقيل: إنها شبهت بامرأة غير معينة. ﴿أَنْكَا﴾ جمع نكت وهو ما ينكت؛ أي: ينقض، وانتصابه على الحال. ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخْلًا بَيْنَكُمْ﴾ الدخل الدغل، وهو قصد الخديعة. ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ "أن" في موضع المفعول من أجله، أي: بسبب أن تكون أمة، ومعنى "أربى" أكثر عدداً أو أقوى، ونزلت الآية في العرب الذي كانت القبيلة منهم تحالف الأخرى، فإذا جاءها قبيلة أقوى منها غدرت بالأولى وحالفت الثانية، وقيل: الإشارة بالأربى هنا إلى كفار قريش إذ كانوا حينئذ أكثر من المسلمين. ﴿إِنَّمَا يَبُلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ﴾ الضمير للأمر بالوفاء، أو لكون أمة هي أربى من أمة، فإن بذلك يظهر من يحافظ على الوفاء أولاً. ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ استعارة في الرجوع

وَتَذُقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ ۗ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَيَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ ائْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ۗ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتِرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٢٢﴾

عن الخير إلى الشر، وإنما أفرد الـ"قدم" ونكرها لاستعظام الزل في قدم واحد، فكيف في أقدام كثيرة. ﴿وَتَذُقُوا السُّوءَ﴾ يعني في الدنيا. ﴿بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يدل على أن الآية فيمن بايع النبي ﷺ. ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يعني في الآخرة. ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الثمن القليل عرض الدنيا، وهذا نهي لمن بايع النبي ﷺ أن ينكت لأجل ضعف الإسلام حيثذ وقوة الكفار، ورجائه الانتفاع في الدنيا إن رجع عن البيعة. ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ﴾ أي: يفسى. ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ يعني في الدنيا، فقال ابن عباس ؓ: هي الرزق الحلال، وقيل: هي الفسحة، وقيل: هي حياة الآخرة. ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ ظاهر اللفظ أن يستعاذ بعد القراءة لأن الفاء تقتضي الترتيب، وقد شذ قوم فأخذوا بذلك، وجمهور الأمة على أن الاستعاذة قبل القراءة، وتأويل الآية: إذا أردت قراءة القرآن فاستعد، أو إذا أخذت في قراءة القرآن فاستعد بالله. ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: ليس له عليهم سبيل، ولا يقدر على إضلالهم. ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ أي: يتخذونه وليا. ﴿بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ الضمير لإبليس، والباء سببية. ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ﴾ التبدل هنا النسخ، كان الكفار إذا نسخت آية قالوا: هذا افتراء، ولو كان من عند الله لم يبدل. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِلُ﴾ جملة اعتراض بين الشرط وجوابه، وفيها رد على الكفار، أي: الله أعلم بما يصلح للعباد في وقت ثم ما يصلح لهم بعد ذلك. ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ يعني جبريل. ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: مع الحق في أوامره ونواهيته وأخباره،

وَلَقَدْ نَعَلُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ  
 وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ  
 عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٣٧﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ  
 الْكَاذِبُونَ ﴿١٣٨﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ  
 وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٣٩﴾

ويحتمل أن يكون قوله "بالحق" بمعنى حقا أو بمعنى أنه واجب النزول. ﴿يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ كان بمكة غلام أعجمي اسمه يعيش، وقيل: كانا غلامين اسم أحدهما جبر والآخر يسار، فكان النبي ﷺ يجلس إليهما ويدعوهما إلى الإسلام، فقالت قريش: هذان يعلمان محمدا [شعب الإيمان: 136]. ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾ الـ"لسان" هنا بمعنى اللغة والكلام، و"يلحدون" من ألحد إذا مال، وقرئ بفتح الياء من لحد وهما بمعنى واحد، وهذا رد عليهم، فإن الشخص الذي أشاروا إليه أنه يعلمه أعجمي اللسان، وهذا القرآن عربي في غاية الفصاحة، فلا يمكن أن يأتي به أعجمي. ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾ هذا في حق من علم الله منه أنه لا يؤمن بكفوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، فاللفظ عام يراد به الخصوص كقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ الآية، وقال ابن عطية: المعنى إن الذين لا يهديهم الله لا يؤمنون بالله، ولكنه قدم في هذا الترتيب وأخر تهما بتقبيح أفعالهم. ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ رد على قولهم "إنما أنت مفتر" يعني إنما يليق الكذب بمن لا يؤمن لأنه لا يخاف الله، وأما من يؤمن بالله فلا يكذب عليه. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ الإشارة إلى الذين لا يؤمنون بالله، أي: هم الذين عادتهم الكذب لأنهم لا يبالون بالوقوع في المعاصي، ويحتمل أن يكون الكذب المنسوب إليهم قولهم "إنما أنت مفتر". ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ﴾ الآية، "من" شرطية في موضع رفع بالابتداء، وكذلك "من" في قوله ﴿مَنْ شَرَحَ﴾؛ لأنه تخصيص من الأول، وقوله ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ جواب عن الأولى والثانية لأنهما بمعنى واحد، أو يكون جوابا للثانية، وجواب الأولى محذوف يدل عليه جواب الثانية، وقيل "من كفر" بدل من "الذين لا يؤمنون"، أو "من" المبتدأ في قوله "أولئك هم الكاذبون"، أو من الخبر. ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ﴾ استثناء من قوله "من كفر"، وذلك أن قوما ارتدوا عن الإسلام فنزلت فيهم الآية، وكان فيهم من أكرهه على الكفر فنطق بكلمة الكفر، وهو يعتقد الإيمان منهم عمار بن ياسر وصهيب وبلال ؓ فعذرهم الله، روي أن عمار بن ياسر ؓ شكى إلى رسول الله ﷺ ما صنع به من العذاب، وما سامح به من القول، فقال له رسول الله ﷺ: «كيف تجرد قلبك؟» قال: أجدته مطمئنا بالإيمان قال: «فأجبهم بلسانك؛ فإنه لا يضرك» [المستدرک: 3362].



ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
 الْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ  
 وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٨﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ  
 إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ  
 بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾ \* يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تَجَدُّدًا عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ  
 مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ - أَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا  
 رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ

وهذا الحكم في من أكره على النطق بالكفر، وأما الإكراه على فعل هو كفر كالسجود للصنم، فاختلف هل تجوز الإجابة إليه أم لا؟ فأجازه الجمهور ومنعه قوم، وكذلك قال مالك: لا يلزم المكره يمين، ولا طلاق، ولا عتق، ولا شيء فيما بينه وبين الله، ويلزمه ما كان من حقوق الناس، ولا تجوز الإجابة إليه كالإكراه على قتل أحد أو أخذ ماله. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ الإشارة إلى العذاب، والباء للتعليل، فعمل عذابهم بعنتين؛ أحدهما: يثارهم الحياة الدنيا، والأخرى: أن الله لا يهديهم. ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ قرأه الجمهور "فتنوا" بضم الفاء، أي: عذبوا، فالآية على هذا في عمار رضي الله عنه وشبهه من المعذبين على الإسلام، وقرأ ابن عامر بفتح الفاء، أي: عذبوا المسلمين، فالآية على هذا فيمن عذب المسلمين، ثم هاجر وجاهد كالحضرمي رضي الله عنه وأشباهه. ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ كرر "إن ربك" تأكيداً، والضمير في "بعدها" يعود على الأفعال المذكورة، وهي الهجرة والجهاد والصبر. ﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾ يحتمل أن يتعلق بـ"غفور رحيم"، أو بمحذوف تقديره: اذكر؛ وهذا أظهر. ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ الـ"نفس" هنا بمعنى الجملة كقولك: إنسان، والنفس في قوله "عن نفسها" بمعنى الذات المعينة التي نقيضها الغير، أي: تجادل عن ذاتها لا عن غيرها فهي كقولك: جاء زيد نفسه وعينه. ﴿تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ أي: تحتج وتعتذر، فإن قيل: كيف الجمع بين هذا وبين قوله ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤَدُّنَ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾؟ فالجواب: أن الحال مختلف باختلاف المواطن والأشخاص. ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ - أَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾ الآية، قيل إن الـ"قرية" المذكورة مكة، كانت بهذه الصفة التي ذكر الله. ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾ يعني بنبوته محمد صلى الله عليه وسلم، فأصابهم الجذب والخوف من غزو النبي صلى الله عليه وسلم إليهم، وقيل: إنما قصد قرية غير معينة أصابها ذلك، فضرب الله بها مثلاً لمكة؛ وهذا أظهر؛ لأن المراد وعظ أهل مكة بما جرى لغيرهم، والضمائر في قوله "فكفرت" و"أذاقها" يراد بها

فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٣٦﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ  
 مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٣٧﴾ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا  
 طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُنتُمْ رِيبًا تَعْبُدُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ  
 وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنِزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۗ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ  
 غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٣٩﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ  
 لِيَتَفَتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١٤٠﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ  
 وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٤١﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ۗ وَمَا  
 ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٤٢﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ  
 بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ إِنَّ  
 إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤٤﴾

أهل القرية بدليل قوله ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾. ﴿فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ الإذاقة واللباس هنا مستعارتان؛ أما الإذاقة فقد كثر استعمالها في البلايا حتى صارت كالحقيقة، وأما اللباس فاستعير للجوع والخوف لاشتغالها على اللباس ومباشرتها له كمباشرة الثوب. ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾ إن كان المراد بالـ"قرية" مكة، فالـ"رسول" هنا محمد ﷺ، والعذاب الذي أخذهم القحط وغيره، وإن كانت الـ"قرية" غير معينة، فالـ"رسول" من المتقدمين كهود وشعيب وغيرهما، والعذاب ما أصابهم من الهلاك. ﴿فَكُلُوا﴾ وما بعده مذكور في البقرة. ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ هذه الآية مخاطبة للعرب الذين أحلوا أشياء وحرّموا أشياء، كالبحيرة وغيرها مما ذكر في سورة المائدة والأنعام، ثم يدخل فيها كل من قال: هذا حلال أو حرام بغير علم، وانتصب "الكذب" بـ"لا تقولوا"، أو يكون قوله "هذا حلال وهذا حرام" بدل من "الكذب"، و"ما" في قوله "لما تصف" موصولة، ويجوز أن ينتصب "الكذب" بقوله "تصف" وتكون "ما" على هذا مصدرية، ويكون قوله "هذا حلال وهذا حرام" معمول "لا تقولوا". ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ يعني عيشهم في الدنيا وانتفاعهم بما فعلوه من التحليل والتحريم. ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ يعني قوله في الأنعام ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ إلى آخر الآية؛ فذكر ما حرم على المسلمين وما حرم على اليهود، ليعلم أن تحريم ما عدا ذلك افتراء على الله كما فعلت العرب. ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ هذه الآية تأنيس لجميع الناس، وفتح باب التوبة. ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ فيه وجهان؛

شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ ۚ أَجْتَبِهٖ وَهَدَيْتَهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ  
وَأَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعِ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا  
كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ أَحْتَلَفُوا فِيهِ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ  
لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ أَدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ  
بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۗ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ  
عَن سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۗ

أحدهما: أنه كان وحده أمة من الأمم لكماله وجمعه لصفات الخير كقول الشاعر:

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

والآخر: أن يكون "أمة" بمعنى إمام؛ كقوله ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قال ابن مسعود رضي الله عنه: الأمة معلم  
الناس الخير، وقد ذكر معنى القانت والحنيف. ﴿وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ يعني لسان الصدق، وأن  
جميع الأمم متفوقون عليه، وقيل: يعني المال والأولاد. ﴿لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: من أهل الجنة. ﴿وَمَا كَانَ  
مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ نفى عنه الشرك؛ لقصد الرد على المشركين من العرب الذين كانوا يتمنون إليه. ﴿إِنَّمَا  
جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ أَحْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أمر موسى بنى إسرائيل أن يجعلوا يوم الجمعة مختصا للعبادة فرضي  
بعضهم بذلك، وقال أكثرهم: بل يكون يوم السبت؛ فألزمهم الله يوم السبت، فاختلف فهم فيه هو ما ذكر،  
و"النسب" على هذا هو اليوم، وقيل: اختلف فهم فيه هو أن منهم من حرم الصيد فيه ومنهم من أحله،  
فعاقبهم الله بالسخ قردة، فالمعنى: إنها جعل وبال السبت على الذين اختلفوا فيه، و"السبت" على هذا  
مصدر من سبت إذا عظم يوم السبت قاله الزمخشري، وتقتضي الآية أن السبت لم يكن من ملة إبراهيم عليه  
السلام. ﴿أَدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ المراد بال"سبيل" هنا الإسلام، و"الحكمة" هي  
الكلام الذي يظهر صوابه، و"الموعظة" هي الترغيب والترهيب، والجدال هو الرد على المخالف، وهذه  
الأشياء الثلاثة يسميها أهل العلوم العقلية بالبرهان والخطابة والجدل، وهذه الآية تقتضي مهادة نسخت  
بالسيف، وقيل: إن الدعاء إلى الله بهذه الطريقة من التلطف والرفق غير منسوخ، وإنما السيف لمن لا تنفعه  
هذه الملاطفة من الكفار، وأما العصاة فهي في حقهم محكمة إلى يوم القيامة باتفاق. ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا  
بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ المعنى: إن صنع بكم صنيع سوء فافعلوا مثله ولا تزيدوا عليه، والعقوبة في الحقيقة  
إنما هي الثانية، وسميت الأولى عقوبة لمشكلة اللفظ، ويحتمل أن يكون "عاقبتم" بمعنى أصبتم عقبي؛

وَلَيْنَ صَبْرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٦١﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا  
تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٦٢﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٦٣﴾

كقوله في المتحنة ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ بمعنى غنمتم فيكون في الكلام تجنيس، وقال الجمهور: إن الآية نزلت في شأن حمزة بن عبد المطلب ؑ لما بقر المشركون بطنه يوم أحد، قال النبي ﷺ: «والله لئن أظفرتني الله بهم، لأمثلن بسبعين منهم»، فنزلت الآية، فكفر النبي ﷺ عن يمينه وترك ما أراد من المثلة [المستدرك: 4894]. ولا خلاف أن المثلة حرام، وقد وردت الأحاديث بذلك ويقتضي ذلك أنها مدنية، ويحتمل أن تكون الآية عامة ويكون ذكرهم لحمزة ؑ على وجه المثال، وتكون على هذا مكية كسائر السورة، واختلف العلماء فيمن ظلمه رجل في مال، ثم اتتمن الظالم المظلوم على مال، هل يجوز له خيانتة في القدر الذي ظلمه؟ فأجاز ذلك قوم لظاهر الآية، ومنعه مالك لقوله ﷺ: «أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تحن من خانك» [أبو داود: 3534]. ﴿وَلَيْنَ صَبْرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ هذا ندب إلى الصبر وترك عقوبة من أساء إليك، فإن العقوبة مباحة وتركها أفضل، والضمير راجع إلى الصبر، ويحتمل أن يراد بـ"الصابرين" هنا العموم أو يراد به المخاطبون؛ كأنه قال: خير لكم. ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ هذا عزم على الصبر في خاصته على الصبر، ويروى أنه قال لأصحابه: «أما أنا فأصبر كما أمرت، فماذا تصنعون؟» قالوا: نصبر كما ندبنا. ثم أخبره أنه لا يصبر إلا بمعونة الله، وقد قيل: إن ما في هذه الآية من الأمر بالصبر منسوخ بالسيف؛ وهذا إن كان الصبر يراد به ترك القتال، وأما إن كان الصبر يراد به ترك المثلة التي فعل مثلها بحمزة ؑ فذلك غير منسوخ. ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا تتأسف لكفرهم. ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ أي: لا يضيق صدرك بمكرهم، والضيق بفتح الضاد تخفيف من ضيق كميته وميته، وقرئ بالكسر وهو مصدر، ويجوز أن يكون الضيق والضيق مصدرين. ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ يريد أنه معهم بمعونته ونصره. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ الإحسان هنا يحتمل أن يراد به فعل الحسنات، أو المعنى الذي أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه» [البخاري: 48] وهذا هو الأظهر؛ لأنه رتبة فوق التقوى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ  
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾  
وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾

## سورة الإسراء

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ معنى "سبحان" تنزيه، وهو مصدر غير منصرف، و"أسرى" و"سرى لغتان، وهو فعل غير متعد، واختار ابن عطية أن يكون "أسرى" هنا متعديا؛ أي: أسرى الملائكة بعبد؛ وهذا بعيد، والعبد هنا هو نبينا محمد ﷺ؛ وإنما وصفه بالعبودية تشريفا له وتقريبا. ﴿لَيْلًا﴾ إن قيل: ما فائدة قوله "ليلا" مع أن السرى هو السير بالليل؟ فالجواب: أنه أراد بقوله "ليلا" بلفظ التنكير تقليل مدة الإسرائ، وأنه أسرى به في بعض الليل مسيرة أربعين ليلة، وذلك أبلغ في الأعجوبة. ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ يعني بـ"المسجد الحرام" مسجد مكة المحيط بالكعبة، وقد روي في الحديث أنه ﷺ قال: «بيننا أنا نائم في الحجر إذ جاءني جبريل» [الطبري: 414/14]، وقيل: كان النبي ﷺ ليلة الإسراء في بيته، فـ"المسجد الحرام" على هذا مكة أي: بلد المسجد الحرام، وأما "المسجد الأقصى" فهو بيت المقدس الذي بإيلياء، وسمي "الأقضا" لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد، ويحتمل أن يريد بـ"الأقضا" الأبعد، فيكون المقصد إظهار العجب في الإسراء إلى هذا الموضع البعيد في ليلة، واختلف العلماء في كيفية الإسراء؟ فقال الجمهور: كان بجسد النبي ﷺ وروحه، وقال قوم: كان بروحه خاصة، وكانت رؤيا نوم حق، فحجة الجمهور أنه لو كان مناما لم تنكره قریش ولم يكن في ذلك ما يكذب به الكفار، ألا ترى قول أم هانئ له: لا تخبر بذلك فيكذبك قومك، وحجة من قال إن الإسراء كان مناما: قوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ وإنما يقال: الرؤيا في المنام، ويقال: فيما يرى بالعين: رؤية، وفي الحديث أنه ﷺ قال: «بيننا أنا بين النائم واليقظان» وذكر الإسراء، وقال في آخر الحديث: «فاستيقظت وأنا في المسجد الحرام» [البخاري: 3207]، وجمع بعض الناس بين الأدلة فقال: إن الإسراء كان مرتين أحدهما بالجسد والآخر بالروح، وأن الإسراء بالجسد كان من مكة إلى بيت المقدس؛ وهو الذي أنكرته قریش، وأن الإسراء بالروح كان إلى السماوات السبع ليلة فرضت الصلوات الخمس ولقي الأنبياء في السماوات. ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ صفة للمسجد الأقصى، والبركة حوله بوجهين؛ أحدهما: ما كان فيه وفي نواحيه من الأنبياء، والآخر: كثرة ما فيه من الزروع والأشجار التي خص الله بها الشام. ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ أي: لنري محمدا ﷺ تلك الليلة من العجائب، فإنه رأى السماوات، والجنة والنار، وسدرة المنتهى، والملائكة، والأنبياء، وكلمه الله تعالى حسبا ورد في أحاديث الإسراء وهي في مصنفات الحديث، فأغنى ذلك عن ذكرها هنا. ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى﴾ يحتمل أن يعود الضمير على "الكتاب" أو على "موسى". ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ أي: ربا

ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٦﴾ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي  
الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا ﴿٧﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا  
بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ﴿٨﴾ وَكَانَ وَعْدًا  
مَّفْعُولًا ﴿٩﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُم  
أَكْثَر نَفِيرًا ﴿١٠﴾ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴿١١﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ  
الْآخِرَةِ لِيُسْتَفْهُواُ وَجُوهَكُمْ

تكلون إليه أمركم، و"أن" يحتمل أن تكون مصدرية أو مفسرة. ﴿ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ منادى، وفي  
ندائهم بذلك تल्प وتذكير بنعمة الله، وقيل: هو مفعول "تخذوا" ويتعين ذلك على قراءة من قرأ "يتخذوا"  
بالياء، ويعني ب"من حملنا مع نوح" أولاده الثلاثة؛ وهم سام وحام ويافث ونساؤهم، ومنهم تناسل الناس  
بعد الطوفان. ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ أي: كثير الشكر، كان يحمد الله على كل حال، وهذا تعليل لما تقدم،  
أي كونوا شاكرين كما كان أبوكم نوح. ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ قيل: إن "قضينا" هنا بمعنى  
أعلمنا وأخبرنا، كما قيل في ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾، و"الكتاب" على هذا التوراة، وقيل: "قضينا" من  
القضاء والقدر، و"الكتاب" على هذا اللوح المحفوظ الذي كتبت فيه مقادير الأشياء، و"إلى" بمعنى على.  
﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ هذه الجملة بيان للمقضي، وهي في موضع جواب "قضينا" إذا كان من القضاء  
والقدر لأنه جرى مجرى القسم، وإن كان بمعنى أعلمنا فهو جواب قسم محذوف تقديره: والله لتفسدن،  
والجملة في موضع معمول "قضينا"، والمرتان المشار إليهما؛ إحداهما: قتل زكريا، والأخرى: قتل يحيى عليهما  
السلام. ﴿وَلَتَعْلُنَّ﴾ من العلو وهو الكبر والتعجب. ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا﴾ المعنى:  
أنهم إذا أفسدوا في المرة الأولى بعث الله عليهم عبادا له ليتنقم منهم على أيديهم، واختلف في هؤلاء العبيد؟  
قيل: يعني جالوت وجنوده، وقيل: بختنصر ملك بابل. ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ أي: ترددوا بينها بالفساد،  
روي أنهم قتلوا علماءهم، وأحرقوا التوراة، وخربوا المساجد، وسبوا منهم سبعين ألفا. ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ  
عَلَيْكُمْ﴾ أي: الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم، ويعني رجوع الملك إلى بني إسرائيل، واستنقاذ أسراهم  
وقتل بختنصر، وقيل: قتل داود لجالوت. ﴿أَكْثَر نَفِيرًا﴾ أي: أكثر عددا، وهو مصدر من قولك: نفر الرجل  
إذا خرج مسرعا، أو جمع نفر. ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ "أحسنتم" الأولى بمعنى فعل الحسنات،  
والثاني بمعنى الإحسان، كقولك: أحسنت إلى فلان، ففيه تجنيس، واللام فيه بمعنى إلى، وكذلك اللام في  
قوله ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾. ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيُسْتَفْهُواُ وَجُوهَكُمْ﴾ يعني إذا أفسدوا في المرة الآخرة

وَلْيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّوْا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ  
 أَنْ يَرْحَمَكُمُ ۖ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۖ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ  
 يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا  
 ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ  
 دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ ۖ فَمَحْوَنًا آيَةً  
 اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّيَتَّبِعُوا فِضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ

بعث الله عليهم أولئك العباد للانتقام منهم؛ ف"الآخرة" صفة للمرة، ومعنى "ليسوؤوا وجوهكم" يجعلونها تظهر فيها آثار الشر والسوء، كقوله ﴿سَيَبُتُّ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ واللام لام كي، وهي تتعلق بـ"بعثنا" المحذوف لدلالة الأول عليه، وقيل: هي لام الأمر. ﴿وَلْيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ يعني بيت المقدس. ﴿وَلِيُتَبَرَّوْا﴾ من التبار وهو الإهلاك وشدة الفساد. ﴿مَا عَلَوْا﴾ "ما" مفعول "ليتبروا" أي: ليهلكوا ما غلبوا عليه من البلاد، وقيل: إن "ما" ظرفية أي: يفسدوا مدة علوهم. ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ﴾ خطاب أيضا لبني إسرائيل، ومعناه: ترجية لهم بالرحمة إن تابوا بعد المرة الثانية. ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ خطاب أيضا لبني إسرائيل، أي: إن عدتم إلى الفساد عدنا إلى عقابكم، وقد عادوا فبعث الله عليهم محمدا ﷺ وأمه يقتلونهم ويدلونهم إلى يوم القيامة. ﴿حَصِيرًا﴾ أي: سجنا، وهو من الحصر، وقيل: أراد به ما يفرش ويبسط كالحصير المعروف. ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ أي: الطريقة والحالة التي هي أقوم، وقيل: يعني لا إله إلا الله؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾ المعنى: ذم وعتاب لما يفعله الناس عند الغضب من الدعاء على أنفسهم وأولادهم وأموالهم، وأنهم يدعون بالشر في ذلك الوقت كما يدعون بالخير في وقت الثبوت، وقيل: إن الآية نزلت في النصر بن الحارث حين قال ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ﴾ الآية. وقد تقدم أن الصحيح في قائلها هو أبو جهل. ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ "الإنسان" هنا وفي الذي قبله اسم جنس، وقيل: يعني هنا آدم؛ وهو بعيد. ﴿فَمَحْوَنًا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ فيه وجهان؛ أحدهما: أن يراد أن الليل والنهار آيتان في أنفسهما، فتكون الإضافة في "آية الليل" و"آية النهار" كقولك: مسجد الجامع، أي: الآية التي هي الليل، والآية التي هي النهار، ومحو آية الليل على هذا كونه مظلمًا، والوجه الثاني: أن يراد بـ"آية الليل" القمر، وبـ"آية النهار" الشمس، ومحو آية الليل على هذا كون القمر لم يجعل له ضوء كضوء الشمس. ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ يحتمل أن يريد النهار بنفسه أو الشمس، ومعنى "مبصرة" تبصر فيها الأشياء. ﴿لِّيَتَّبِعُوا فِضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: لتتوصلوا

وَلَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٧﴾ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۗ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٨﴾ اِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٩﴾ مَن آهْتَدِى فإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ ۗ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿٢١﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٢٢﴾

بضوء النهار إلى التصرف في معاشكم. ﴿وَلَتَعْلَمُوا﴾ باختلاف الليل والنهار، أو بمسير الشمس والقمر. ﴿عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ الأشهر والأيام. ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ انتصب "كل" بفعل مضمر، والتفصيل البيان. ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ انتصب "كل" بفعل مضمر، والطائر هنا العمل، والمعنى أن عمله لازم له، وقيل: "طائره" ما قدر عليه وله من خير وشر، والمعنى على هذا أن كل ما يلقي الإنسان قد سبق به القضاء، وإنما عبر عن ذلك بالطائر؛ لأن العرب كانت عاداتها التيمن والتشاؤم بالطير، وقوله "في عنقه" أي: هو كالقلادة أو الغل لا ينفك عنه. ﴿كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ يعني صحيفة أعماله بالحسنات والسيئات. ﴿اِقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ تقديره: يقال له اقرأ. ﴿حَسِيبًا﴾ أي: محاسباً، أو من الحساب بمعنى العدد. ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ معناه حيث وقع: لا يؤخذ أحد بذنب أحد، والوزر في اللغة: هو الثقل والحمل، ويراد به هنا الذنوب، ومعنى "تزر" تحمل وزر أخرى، أي: وزر نفس أخرى. ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ قيل: إن هذا في حكم الدنيا، أي: أن الله لا يهلك أمة إلا بعد الإعذار إليهم بإرسال رسول إليهم، وقيل: هو عام في الدنيا والآخرة، وأن الله لا يعذب في الآخرة قوماً إلا وقد أرسل إليهم رسولا فكفروا به وعصوه، ويدل على هذا قوله ﴿كُلَّمَا أَلْقَىٰ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُهُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَىٰ ۗ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ومن هذا يؤخذ حكم أهل الفترات، واستدل أهل السنة بهذه الآية على أن التكليف لا يلزم العباد إلا من الشرع لا من مجرد العقل. ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ في تأويل "امرنا" هنا ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن يكون في الكلام حذف تقديره: أمرنا مترفيها بالخير والطاعة فعصوا وفسقوا، والثاني: أن يكون "امرنا" عبارة عن القضاء عليهم بالفسق، أي: قضينا عليهم بالفسق ففسقوا، والثالث: أن يكون "امرنا" بمعنى كثرنا؛ واختاره أبو علي الفارسي، وأما على قراءة "امرنا" بمد الهمزة فهو بمعنى كثرنا، وأما على قراءة "امرنا" بتشديد الميم فهو من الإمارة، أي: جعلناهم أمراء ففسقوا، والمترف: الغني المنتعم بالدنيا. ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾ أي: القضاء الذي قضاه الله. ﴿وَكََمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ﴾ القرن مائة سنة، وقيل: أربعون.



مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُمِدُّ هَتُولَاءِ وَهَتُولَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ۚ آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَحْدُولًا ﴿٢٢﴾ \* وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبُّكُمْ وَأَعَلَّمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۗ

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾ الآية في الكفار الذين يريدون الدنيا، ولا يؤمنون بالآخرة، على أن لفظها أعم من ذلك، والمعنى أنهم يعجل الله لهم حظا من الدنيا بقيدتين؛ أحدهما: تقييد المقدار المعجل بمشيئة الله، والآخر: تقييد الشخص المعجل له بإرادة الله، و﴿لِمَنْ نُرِيدُ﴾ بدل من "له"، وهو بدل بعض من كل. ﴿مَدْحُورًا﴾ أي: مبعدا ومهاناً. ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ أي: عمل لها عملها. ﴿كُلًّا نُمِدُّ﴾ انتصب "كلا" ب"نمد" وهو من المدد، ومعناه: نزيدهم من عطائنا. ﴿هَتُولَاءِ وَهَتُولَاءِ﴾ بدل من "كلا"، والإشارة إلى الفريقين المتقدمين. ﴿مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ يعني رزق الدنيا، وقيل: من الطاعات لمن أراد الآخرة ومن المعاصي لمن أراد الدنيا؛ والأول أظهر. ﴿مَحْظُورًا﴾ أي: ممنوعاً. ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يعني في رزق الدنيا. ﴿لَا تَجْعَلْ﴾ خطاب لواحد والمراد جميع الخلق؛ لأن المخاطب غير معين. ﴿مَذْمُومًا﴾ أي: يذمه الله وخيار عباده. ﴿مَحْدُولًا﴾ أي: غير منصور. ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ أي: حكم وألزم وأوجب، أو أمر؛ ويدل على ذلك ما في مصحف ابن مسعود ؑ: "ووصى ربك". ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا﴾ "أن" مفسرة أو مصدرية على تقدير: بأن لا تعبدوا. ﴿إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ﴾ هي "إن" الشرطية دخلت عليها "ما" المؤكدة وجوابها. ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌّ﴾ والمعنى: الوصية ببر الوالدين إذا كبرا أو كبر أحدهما، وإنما خص حالة الكبر لأنها حيثئذ أحوج إلى البر والقيام بمؤنتها لضعفها، ومعنى "عندك" أي: في بيتك وتحت كنفك. ﴿أُفٌّ﴾ حيث وقع: اسم فعل معناها قول مكروه، يقال عند الضجر ونحوه، وإنما المراد بها أقل كلمة مكروهة تصدر من الإنسان، فنهى الله تعالى أن يقال ذلك للوالدين؛ فأولى وأحرى أن لا يقال لهما ما فوق ذلك، ويجوز في "أف" الفتح والكسر والضم وهي حركات بناء، وأما تنوينها فهو للتنكير. ﴿وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾ من الانتهاز، وهو الإغلاظ في القول. ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ استعارة في معنى التواضع لهما

إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٦٥﴾ وَعَاتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ  
وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبْدِرْ تَبْدِيرًا ﴿٦٦﴾ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ  
وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كُفُورًا ﴿٦٧﴾ وَإِنَّمَا تَعْرِضنَّ عَنْهُمْ آتِبِعَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا  
فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٦٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ  
فَتَقْعَدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٦٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ  
خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٧٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ  
كَانَ خَطَاً كَبِيرًا ﴿٧١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾

والرفق بهما، فهو كقوله ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، وأضافه إلى "الذل" مبالغة في المعنى، كأنه قال الجناح  
الذليل، و"من" في قوله: "من الرحمة" للتعليل؛ أي: من أجل إفراط الرحمة لها والشفقة عليها. ﴿لِلأَوَّابِينَ﴾  
قيل: معناه الصالحين، وقيل: المسبحين، وهو مشتق من الأوبة بمعنى الرجوع، فحقيقته: الراجعين إلى الله.  
﴿وَعَاتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ خطاب لجميع الناس لصلته قرابتهم والإحسان إليهم، وقيل: هو خطاب خاص  
بالنبي ﷺ أن يؤتي قرابته حقه من بيت المال؛ والأول أرجح. ﴿وَإِنَّمَا تَعْرِضنَّ﴾ الآية، معناها: إن عرضت عن  
ذوي القربى، والمساكين، وابن السبيل إذا لم تجد ما تعطيه، فقل لهم كلاما حسنا، وكان النبي ﷺ إذا سأله أحد،  
فلم يكن عنده ما يعطيه أعرض عنه حياء منه، فأمر بحسن القول مع ذلك، وهو أن يقول: رزقكم الله، أو  
أعطاكم الله، أو شبه ذلك، والميسور مشتق من اليسر. ﴿آتِبِعَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ مفعول من أجله يحتمل  
أن يتعلق بقوله "وإنما تعرضن عنهم"، والمعنى على هذا: أنه يُعرض عنهم انتظارا للرزق يأتيه فيعطيه إياهم،  
فال"رحمة" على هذا هو ما يرتجيه من الرزق، أو يتعلق بقوله ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ أي: ابتغ رحمة ربك بالقول  
الميسور، وال"رحمة" على هذا هي الأجر والثواب. ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ استعارة في معنى غاية  
البخل، كأن البخل حبست يده عن الإعطاء وشدت إلى عنقه. ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ استعارة في معنى  
غاية الجود، فنهى الله عن الطرفين، وأمر بالتوسط بينهما كقوله ﴿إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾. ﴿مَلُومًا﴾  
أي: يلومك صديقك على كثرة عطائك وإضرارك بنفسك، أو يلومك من يستحق العطاء؛ لأنك لم تترك ما  
تعطيه، أو يلومك سائر الناس على التبذير في العطاء. ﴿مَّحْسُورًا﴾ أي: منقطعاً بك لاشيء عندك، وهو من قولهم:  
حسر السفر البعير إذا أتبعه حتى لم تبق له قوة. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي: يوسع على من  
يشاء ويضيق على من يشاء، فلا تهتم بما تراه من ذلك فإن الله أعلم بمصالح عباده. ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ ذكر

وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا  
فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿١٧﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ  
حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿١٨﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ  
وَزِنُوا بِالْقُسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿١٩﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ  
إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٢٠﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا

في الأنعام. ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ الحق الموجب لقتل النفس هو ما ورد في الحديث من قوله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث؛ كفر بعد إيمان، أو زنى بعد إحصان، أو قتل نفس أخرى» [البخاري: 6484]، وتتصل بهذه الأشياء أشرأخ أخرى لأنها في معناها كالحراية، وترك الصلاة، ومنع الزكاة. ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا﴾ المظلوم هنا من قتل بغير حق، والولي هو ولي المقتول وسائر العصبه، وليس النساء من الأولياء عند مالك، والسلطان الذي جعله الله هو القصاص، أو تخيير بين العفو والقصاص. ﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ نهى عن أن يسرف ولي المقتول بأن يقتل غير قاتل وولي، أو يقتل اثنين بواحد، وغير ذلك من وجوه التعدي، وقرئ "فلا تسرف" بالتاء خطاباً للقاتل أو لولي المقتول. ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ الضمير للمقتول أو لولي، ونصره هو القصاص. ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ ذكر في الأنعام، قال بعضهم "لا تقربوا" "ولا تقتلوا" معطوفان على "ألا تعبدوا"؛ والظاهر أنها مجزومان بالنهي بدليل قوله بعدها "ولا تقف" "ولا تمش"، ويصح أن تكون معطوفات إذا جعلنا "تعبدوا" مجزوماً على النهي، وأن مفسرة. ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ عام في العهود مع الله ومع الناس. ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ يحتمل وجهين؛ أحدهما: أن يكون في معنى الطلب أي: يُطلب الوفاء بالعهد، والثاني: أن يكون المعنى يسأل عنه يوم القيامة هل وفي به أم لا؟ ﴿وَزِنُوا بِالْقُسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ قيل: القسطاس الميزان، وقيل: العدل، وقرئ بكسر القاف وهي لغة. ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أي: أحسن عاقبة ومآل، وهو من آل إذا رجع. ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ المعنى: لا نقل ما لا تعلم من ذم الناس وشبه ذلك، واللفظ مشتق من: قفوته إذا تبعته. ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ "أولئك" إشارة إلى "السمع والبصر والفؤاد"، وإنما عاملها معاملة العقلاء في الإشارة بـ"أولئك" لأنها حواس لها إدراك، والضمير في "عنه" يعود على "كل"، ويتعلق "عنه" بـ"مسئولاً"، والمعنى: أن الإنسان يُسأل عن سمعه وبصره وفؤاده، وقيل: الضمير يعود على "ما ليس لك به علم"، والمعنى على هذا أن السمع والبصر والفؤاد هي التي تسأل عما ليس لها به علم؛ وهذا بعيد. ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ المرح الخيلاء والكبر في المشية، وقيل: هو إفراط السرور بالدنيا، وإعراجه مصدر في موضع

إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿١٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَةً عِنْدَ رَبِّكَ  
مَكْرُوهًا ﴿١٨﴾ ذَلِكَ مِمَّا أَوْجَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ  
فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٩﴾ أَفَأَصْفَبكُمْ رَبُّكُم بِالْبَيِّنِ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا  
إِنكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٢٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا  
تُفُورًا ﴿٢١﴾ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلهةٌ كَمَا تَقُولُونَ إِذَا لَآبَتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾  
سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ ۗ عَلُوا كِبِيرًا ﴿٢٣﴾ يُسَبِّحُ لَهُ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۗ  
وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ۗ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا  
﴿٢٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٢٥﴾

الحال. ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ أي: لن تجعل فيها خرقة بمشيك عليها، والخرق هو القطع، وقيل: معناه لا  
تقدر أن تستوفي جميعها بالمشي، والمراد بذلك تعليل النهي عن الكبر والخيلاء؛ أي: إذا كنت أيها الإنسان لا  
تقدر على خرق الأرض، ولا على مطاولة الجبال، فكيف تتكبر وتحتال في مشيك؟ وإنما الواجب عليك  
التواضع. ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَةً عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ الإشارة إلى ما تقدم من المنهيات، والمكروه هنا بمعنى  
الحرام لا على اصطلاح الفقهاء في أن المكروه دون الحرام، وإعراب "مكروهها" نعت لـ "سيئة"، أو بدل منها،  
أو خبر ثان لـ "كان". ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَيِّنِ﴾ خطاب على وجه التوبيخ للعرب الذين قالوا إن الملائكة  
بنات الله، والمعنى: كيف يجعل لكم الأعلى من النسل وهو الذكور، ويتخذ لنفسه الأدنى وهو البنات؟،  
ومعنى أصفاكم: خصكم. ﴿قَوْلًا عَظِيمًا﴾ أي: عظيم النكر والشناعة. ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلهةٌ كَمَا تَقُولُونَ  
إِذَا لَآبَتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ هذا احتجاج على الوحدانية، وفي معناه قولان؛ أحدهما: أن المعنى لو كان  
مع الله آلهة لا بتغوا سبيلا إلى التقرب إليه بعبادته وطاعته، فيكونون من جملة عبادته، والآخر: لا بتغوا سبيلا  
إلى إفساد ملكه ومعاندته في قدرته، ومعلوم أن ذلك لم يكن فلا إله إلا هو. ﴿يُسَبِّحُ لَهُ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ﴾  
الآية، اختلف في كيفية هذا التسبيح، فقيل: هو تسبيح بلسان الحال؛ أي بما تدل عليه صنعته من قدرته وحكمته،  
وقيل: إنه تسبيح حقيقة؛ وهذا أرجح لقوله ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾. ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا  
يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ في معناه قولان؛ أحدهما: أن الله أخبر نبيه ﷺ أن يستره من الكفار إذا  
أرادوا به شرا ويحجبه منهم، والآخر: أنه يحجب الكفار عن فهم القرآن؛ وهذا أرجح لما بعده، والمستور هنا  
قيل: معناه مستور عن أعين الخلق؛ لأنه من لطف الله وكفايته فهو من المغيبات، وقيل: معناه ساتر.

وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ  
 وَحَدَّهُ، وَلَوْ عَلَى أَدْبَرِهِمْ نُفُورًا ﴿١٧﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ  
 وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿١٨﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا  
 لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ وَقَالُوا أَهَذَا كُنَّا عِظَمًا وَرُفَقًا إِنَّا  
 لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٢١﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ  
 فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ وَأَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ  
 رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٢٢﴾

﴿ أَكِنَّةٌ ﴾ جمع كنان وهو الغطاء، و﴿ أَنْ يَفْقَهُوهُ ﴾ مفعول من أجله تقديره: كراهة أن يفقهوه، وهذه كلها استعارات في إضلالهم. ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحَدَّهُ ﴾ الآية، معناها: إذا ذكرت في القرآن وحدانية الله تعالى فر المشركون عن ذلك؛ لما فيه من رفض آهتهم ودمها، و﴿ نُفُورًا ﴾ مصدر في موضع الحال. ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ﴾ كانوا يستمعون القرآن على وجه الاستهزاء، والضمير في "به" عائد على "ما"، أي: نعلم ما يستمعون به من الاستهزاء. ﴿ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى ﴾ أي: جماعة يتناجون، أو هم ذوو نجوى، والنجوى: كلام السر. ﴿ رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾ قيل: معناه جن فسحر، وقيل: معناه ساحر، وقيل: هو من السحر بفتح السين وهي الرثة، أي: بشر إذا سحر مثلكم؛ وهذا بعيد. ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ ﴾ أي: مثلوك بالشاعر، والساحر، والمجنون. ﴿ فَضَلُّوا ﴾ عن الحق. ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ إلى الهدى، ونزلت الآية في الوليد بن المغيرة وأصحابه من الكفار. ﴿ وَقَالُوا أَهَذَا كُنَّا عِظَمًا وَرُفَقًا ﴾ الآية، معناها: إنكارهم البعث واستبعادهم أن يخلقهم الله خلقا جديدا بعد فنائهم، والرفات الذي يلي حتى صار غبارا أو فتاتا، وقد ذكر في الرد اختلاف القراء في الاستفهاميين. ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾ المعنى: لو كنتم حجارة أو حديدا لقدرنا على بعثكم وإحيائكم، مع أن الحجارة والحديد أصلب الأشياء وأبعدها عن الرطوبة التي في الحياة، فأولى وأحرى أن نبعث أجسادكم ونحيي عظامكم البالية، فذكر الحجارة والحديد تنبيها بها على ما هو أسهل في الحياة منها، ومعنى قوله "كونوا" أي: كونوا في الوهم والتقدير، وليس المراد به التعجيز كما قال بعضهم في ذلك. ﴿ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ﴾ قيل: يعني السماوات والأرض والجبال، وقيل: بل أحال على فكرتهم عموما في كل ما هو كبير عندهم، أي: لو كنتم حجارة أو حديدا، أو شيئا أكبر عندهم من ذلك وأبعد عن الحياة لقدرنا على بعثكم. ﴿ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ﴾ أي: يحركونها تحريك المستبعد للشيء أو المستهزئ. ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ ﴾ أي: متى يكون البعث؟

يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ، وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٧﴾ وَقُلْ لِعِبَادِي  
 يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا  
 مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ رَبُّكُمْ وَأَعْلَمُ بِكُمْ وَإِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ  
 وَكِيلًا ﴿٥٩﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى  
 بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٦٠﴾ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ  
 كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٦١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ  
 الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا  
 ﴿٦٢﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ الدعاء هنا عبارة عن البعث بالنفخ في الصور، والاستجابة عبارة عن قيامهم من القبور طائعين منقادين، و"بحمده" في موضع الحال؛ أي: حامدين له، وقيل: معنى "بحمده" بأمره. ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ يعني لبثتم في الدنيا أو في القبور. ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ العباد هنا المؤمنون أمرهم أن يقول بعضهم لبعض كلاما لنا طيبا، وقيل: أن يقولوه للمشركين ثم نسخ ذلك بالسيف، وإعراب "يقولوا" كقوله ﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ في إبراهيم، وقد ذكر. ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّن دُونِهِ﴾ قيل: يعني الملائكة، وقيل: يعني عيسى وأمه وعزير، وقيل: نفر من الجن كان العرب يعبدونهم؛ والمعنى: أنهم لا يقدر على كشف الضر عنكم فكيف تعبدونهم. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ المعنى: أن أولئك الآلهة الذين تدعون من دون الله، يبتغون القربة إلى الله ويرجونها ويخافونها، فكيف تعبدونهم معه؟ وإعراب "أولئك" مبتدأ، و"الذين يدعون" صفة له، و"يبتغون" خبره، والفاعل في "يدعون" ضمير للكفار، وفي "يبتغون" للآلهة المعبودين، وقيل: الضمير في "يدعون" و"يبتغون" للأنبياء المذكورين قبل في قوله ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، و"الوسيلة" هي ما يتوسل به ويتقرب. ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ بدل من الضمير في "يبتغون" أي: يبتغي الوسيلة من هو أقرب منهم فكيف غيره؟ أو ضمن "يبتغون" معنى يحرصون، فكأنه قيل: يحرصون أيهم يكون أقرب إلى الله بالاجتهاد في طاعته، ويحتمل أن يكون المعنى أنهم يتوسلون بأيهم أقرب إلى الله. ﴿مَحْذُورًا﴾ من الخذر وهو الخوف. ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ يحتمل هذا الهلاك وجهين؛ أحدهما: أن يكون بالموت والفناء الذي لا بد منه، والآخر: أن يكون بأمر من الله يأخذ المدينة دفعة واحدة فيهلكها؛ وهذا أظهر؛ لأن الأول معلوم

كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا  
الْأُولُونَ ۖ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۖ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ  
قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ  
وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ

لا يفتقر إلى الإخبار به، والهلاك والتعذيب المذكوران في الآية هو في الحقيقة لأهل القرى، أي: مهلكوا أهلها  
أم معذبوهم، وروي أن هلاك مكة بالحبشة، والمدينة بالجوع، والكوفة بالترك، والأندلس بالخيول، وسئل  
الأستاذ أبو جعفر بن الزبير عن غرناطة؟ فقال: أصابها العذاب يوم قتل الموحدين بها في ثورة ابن هود، وأما  
هلاك قرطبة وأشبيلية وطليطلة وغيرها بأخذ الروم لها. ﴿ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ يعني اللوح المحفوظ.  
﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ ﴾ "الآيات" هنا يراد بها التي يقترحها الكفار، فإذا  
رأوها ولم يؤمنوا أهلكتهم الله، وسبب الآية أن قريشا اقترحوا على رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً،  
فأخبر الله أنه لم يفعل ذلك لثلاث يكذبوا بها فيهلكوا، وعبر بالمتع عن ترك ذلك، و"أن نرسل" في موضع  
نصب، و"أن كذب" في موضع رفع، ثم ذكر ناقة ثمود تنبئها على ذلك لأنهم اقترحوها وكانت سبب  
هلاكهم، ومعنى ﴿ مُبْصِرَةً ﴾ بينة واضحة الدلالة. ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ إن أراد "بالآيات" هنا  
المقترحة، فالمعنى أنه يرسل بها تخويفاً من العذاب العاجل وهو الإهلاك، وإن أراد المعجزات غير المقترحة،  
فالمعنى أنه يرسل بها تخويفاً من عذاب الآخرة ليراهم الكافر فيؤمن، وقيل: المراد "بالآيات" هنا الزلازل  
والرعد والكسوف وغير ذلك من المخاوف. ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ﴾ المعنى: اذكر إذ أوحينا  
إليك أن ربك أحاط قريش؛ يعني بشرناك بقتلهم يوم بدر، وذلك قوله ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَنْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾، وإنما  
قال "أحاط" بلفظ الماضي وهو لم يقع لتحقيقه وصحة وقوعه بعد، وقيل: المعنى أحاط بالناس في منعك  
وحياطتك منهم كقوله ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّيْنِ ﴾. ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾  
اختلف في هذه الرؤيا، فقيل: إنها الإسراء؛ فمن قال إنه كان في اليقظة فالرؤيا بمعنى الرؤية بالعين، ومن قال  
إنه كان في المنام فالرؤيا منامة، وال"فتنة" على هذا تكذيب الكفار بذلك وارتداد بعض المسلمين حيثئذ،  
وقيل: إنها رؤيا النبي ﷺ في منامه هزيمة الكفار وقتلهم ببدر، وال"فتنة" على هذا تكذيب قريش بذلك  
وسخريتهم به، وقيل: رؤياه أنه يدخل مكة، فعجل في سنة الحديبية فرد عنها، فافتتن بعض المسلمين بذلك،  
وقيل: رأى في المنام أن بني أمية يصعدون على منبره فاغتم بذلك. ﴿ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ﴾ يعني  
شجرة الزقوم، وهي معطوفة على الرؤيا، أي: جعل الرؤيا والشجرة فتنة للناس، وذلك أن قريشا لما سمعوا  
أن في جهنم شجرة الزقوم سخروا من ذلك، وقالوا: كيف تكون شجرة في النار، والنار تحرق الشجر؟ وقال

وَحَوْفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٧﴾ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٩﴾ وَاسْتَفْزِرْ مَنْ اسْتَطَاعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٠﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ

أبو جهل: ما أعرف الزقوم إلا التمر بالزبد، فإن قيل: أين لعنت شجرة الزقوم في القرآن؟ فالجواب: أن المراد لعنة أكلها، وقيل: إن اللعنة بمعنى الإبعاد والكرهية لأنها في أصل الجحيم. ﴿وَحَوْفُهُمْ﴾ الضمير لكفار قريش. ﴿طِينًا﴾ تمييز أو حال من "مَنْ"، أو من مفعول "خلقت". ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ الكاف من "أرايتك" للخطاب لا موضع لها من الإعراب، وهذا مفعول بـ"أرايت"؛ والمعنى: أخبرني عن هذا الذي كرمته علي؛ أي: فضلته، لم فضلته وأنا خير منه؟ فاختصر الكلام بحذف ذلك، وقال ابن عطية: "أرايتك" هنا بمعنى أتأملت ونحوه لا بمعنى أخبرني. ﴿لَأُحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ﴾ معناه: لأميلنهم وأقودهم، وهو مأخوذ من تحنيك الدابة؛ وهو أن يشد على حنكها بحبل فتقاد. ﴿قَالَ أَذْهَبَ﴾ قال ابن عطية: "أذهب" وما بعده من الأوامر صيغة أمر على وجه التهديد، وقال الزمخشري: ليس المراد الذهاب الذي هو ضد المجيء، إنما معناه: امض لشأنك الذي اخترته خذلانا له وتخلية، ويحتمل عندي أن يكون معناه الطرد والإبعاد. ﴿فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ﴾ كان الأصل أن يقال جزاؤهم بضمير الغيبة ليرجع إلى "من تبعك"، ولكنه ذكره بلفظ الخطاب تغليبا للمخاطب على الغائب وليدخل إبليس معهم. ﴿جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ مصدر في موضع الحال، والموفور المكمل. ﴿وَاسْتَفْزِرْ﴾ أي: اخدع واستخف. ﴿بِصَوْتِكَ﴾ قيل: يعني الغناء والمزامير، وقيل: الدعاء إلى المعاصي. ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: هول، وهو من الجلبة وهو الصياح. ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ﴾ الخيل هنا يراد بها الفرسان الراكبون على الخيل، والرجل جمع راجل وهو الذي على رجليه، فقيل: هو مجاز واستعارة بمعنى افعل جهدك، وقيل: إن له من الشياطين خيلا ورجلا، وقيل: المراد فرسان الناس ورجاهم المتصرفون في الشر. ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ مشاركته في الأموال هي بكسبها بالربا وإنفاقها في المعاصي وغير ذلك، ومشاركته في الأولاد هي بالاستيلاء بالزنا، وتسمية الولد عبد شمس وعبد الحارث وشبه ذلك. ﴿وَعَدَّهُمْ﴾ يعني المواعدة الكاذبة من شفاعة الأصنام وشبه ذلك. ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ يعني المؤمنين الذين يتوكلون على الله بدليل قوله



وَكَفَىٰ بَرَبِكُمْ وَكَيْلًا ﴿١٥﴾ رَبُّكُمْ الَّذِي يُزِيحُ لَكُمْ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿١٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ ۗ فَأَمَّا جَنَّتِكُمْ وَإِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۗ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿١٧﴾ أَفَأَمِنْتُمْ أَن تَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكَيْلًا ﴿١٨﴾ أَمْ آمَنْتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۗ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿١٩﴾ ۗ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٢٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْهَمٍّ ۗ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٢١﴾ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي آخِرَةِ أَعْمَىٰ

بعد ذلك ﴿وَكَفَىٰ بَرَبِكُمْ وَكَيْلًا﴾، ونحوه ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾. ﴿يُزِيحُ لَكُمْ الْفَلَكَ﴾ أي: يجرها ويسيرها، و"الفلك" هنا جمع، وابتغاء الفضل في التجارة وغيرها. ﴿الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ﴾ يعني خوف الغرق. ﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ﴾ "ضل" هنا بمعنى تلف وفقد، أي: تلف عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعونه إلا الله وحده، فلجأتم حينئذ إليه دون غيره، فكيف تعبدون غيره وأنتم لا تجدون في تلك الشدة إلا إياه؟ ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ أي: كفورا بالنعم، و"الانسان" هنا جنس. ﴿أَفَأَمِنْتُمْ﴾ الهمزة للتوبيخ، والفاء للعطف، أي: أنجوتم من البحر فأمتتم الخسف في البر؟. ﴿حَاصِبًا﴾ يعني حجارة أو ريحا شديدة ترمي بالحصباء. ﴿وَكَيْلًا﴾ أي: قائما بأموركم وناصر لكم. ﴿قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾ يعني الذي يقصف ما يلقي؛ أي: يكسره. ﴿تَبِيعًا﴾ أي: مطالبًا بئاركم، أي: لا تجدون من يتصر لكم منا كقوله ﴿فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾. ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ يعني فضلهم على الجن وعلى سائر الحيوان، ولم يفضلهم على الملائكة، ولذلك قال ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ﴾، وأنواع التفضيل كثيرة لا تحصى، وقد ذكر المفسرون منها كون الإنسان يأكل بيده، وكونه منتصب القامة؛ وهذه أمثلة. ﴿بِإِمْهَمٍّ﴾ قيل: يعني نبههم؛ يقال: يا أمة فلان، وقيل: يعني كتابهم الذي أنزل عليهم، وقيل: كتابهم الذي فيه أعمالهم. ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ الفتيل هو الخيط الذي في شق نواة التمرة، والمعنى: أنهم لا يظلمون من أعمالهم قليلا ولا كثيرا، فعبر بأقل الأشياء تنبيهها على الأكثر. ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي آخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ الإشارة ب"هذه" إلى الدنيا، والعمى يراد به عمى القلب، أي: من كان في الدنيا أعمى عن الهدى والصواب، فهو في يوم القيامة أعمى، أي:

وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٦﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَٰنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ۗ وَإِذَا لَا اتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٧﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدَّتْ تَرَكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْعًا قَلِيلًا ﴿٧٨﴾ إِذَا لَا ذُقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٩﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٠﴾ سُنَّةٌ مِّن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا ۗ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٨١﴾ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ ۗ

حيران يشس من الخير، ويحتمل أن يريد بالعمى في الآخرة عمى البصر كقوله ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾، وإنما جعل الأعمى في الآخرة أضل سبيلا؛ لأنه حينئذ لا ينفعه الاهتداء، ويجوز في "أعمى" الثاني أن يكون صفة كالأول، وأن يكون من أفعال التي للتفضيل؛ وهذا أقوى لقوله ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ فعطف "أضل" الذي هو من أفعال من كذا على ما هو شبيهه، وقال سيبويه: لا يجوز أن يقال هو أعمى من كذا، ولكن إنها يمتنع ذلك في عمى البصر لا عمى القلب. ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَٰنَا إِلَيْكَ﴾ الآية، سببها أن قريشا قالوا للنبي ﷺ: اقبل على بعض أمرنا ونقبل بعض أمرك، وقيل: إن ثقيفا طلبوا من النبي ﷺ أن يؤخرهم بعد إسلامهم سنة يعبدون فيها اللات والعزى، والآية على هذا القول مدنية. ﴿لِيَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾ الافتراء هنا يراد به مخالفة ما أوحى إليه في القرآن أو في غيره. ﴿وَإِذَا لَا اتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ أي: لو فعلت ما أرادوا منك لا اتخذوك خليلا. ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدَّتْ تَرَكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْعًا قَلِيلًا﴾ "لولا" تدل على امتناع شيء لوجود غيره، فدللت هنا على امتناع مقاربة النبي ﷺ الركون إليهم لأجل تثبيت الله له وعصمته، و"كدت" تقتضي أيضا نفي الركون إليهم، لأن معنى كاد فلان يفعل كذا أنه لم يفعله، فانتفى الركون إليهم ومقاربتة، فليس في ذلك غض من جانب النبي ﷺ؛ لأن التثبيت منعه من مقاربة الركون إليهم، ولو لم يثبت الله لكنت مقاربتة للركون إليهم شيئا قليلا، وأما مع التثبيت فلم يركن قليلا ولا كثيرا ولا قارب ذلك. ﴿إِذَا لَا ذُقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ أي: ضعف عذابهما لو فعل ذلك. ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ الضمير لقريش، كانوا قد هموا أن يخرجوا النبي ﷺ من مكة وذلك قبل الهجرة، ف"الارض" هنا يراد به مكة لأنه بلده. ﴿وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: لو أخرجوك لم يلبثوا بعد خروجك من مكة إلا قليلا، فلما خرج النبي ﷺ من مكة مهاجرا إلى المدينة من أجل إذابة قريش له ولأصحابه، لم يبقوا بعد ذلك إلا قليلا وقتلوا يوم بدر. ﴿سُنَّةٌ مِّن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا﴾ انتصب "سنة" على المصدر، ومعناه: العادة؛ أي: هذه عادة الله مع رسوله. ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾ هذه الآية

إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿١٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ ۚ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿١٩﴾ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٢٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٢١﴾ وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢٢﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَبَا بِجَانِبِهِ ۗ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿٢٣﴾ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ۗ فَرَبُّكُمْ وَاعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٢٤﴾ وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ

إشارة إلى الصلوات المفروضة؛ ف"دلوك الشمس" زوالها والإشارة إلى الظهر والعصر، و"غسق الليل" ظلمته وذلك إشارة إلى المغرب والعشاء، و"قرءان الفجر" صلاة الصبح، وانتصب "قرءان الفجر" بالعطف على موضع اللام في قوله "لدلوك الشمس" فإن اللام فيه ظرفية بمعنى عند، وقيل: هو عطف على الصلاة، وقيل: مفعول بفعل مضمر تقديره: اقرأ قرآن الفجر، وإنما عبر عن صلاة الصبح بـ"قرءان الفجر"؛ لأن القرآن يقرأ فيها أكثر من غيرها لأنها تصلى بسورتين طويلتين. ﴿إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ أي: تشهده ملائكة الليل والنهار فيجتمعون فيه، إذ تصعد ملائكة الليل وتنزل ملائكة النهار. ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ﴾ لما أمر بالفرائض أمر بعدها بالنوافل، و"من" للتبعيض، والضمير في "به" لـ"القرآن"، والتهجد السهر وهو ترك الهجود، ومعنى الهجود النوم، فالتفعل هنا للخروج عن الشيء كالتحرج والتأثم في الخروج عن الإثم والحرج. ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ يعني الشفاعة يوم القيامة، وانتصب "مقاما" على الظرف. ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ الآية، المدخل دخوله إلى المدينة والمخرج خروجه من مكة، وقيل: المدخل في القبر والمخرج إلى البعث؛ واختار ابن عطية أن يكون على العموم في جميع الأمور. ﴿سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ قيل: معناه حجة تنصرتي بها وتظهر بها صدقي، وقيل: قوة ورياسة تنصرتي بها على الأعداء؛ وهذا أظهر. ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ "الحق" الإيمان و"الباطل" الكفر. ﴿وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ "من" للتبعيض أو لبيان الجنس، والمراد بالـ"شفاء" أنه يشفي القلوب من الريبة والجهل، ويحتمل أن يريد نفعه من الأمراض بالرقيا به والتعويد. ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ الآية، المراد بـ"الانسان" هنا الجنس؛ لأن ذلك من سجية الإنسان، وقيل: إنما يراد الكافر؛ لأنه هو الذي يعرض عن الله. ﴿وَتَأَىٰ جَانِبِهِ﴾ أي: بعد؛ وذلك تأكيد وبيان للإعراض، وقرئ "ناء" وهما بمعنى واحد. ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ أي: مذهبه وطريقته التي تشاكله. ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ السائلون هم اليهود، وقيل: قريش بإشارة اليهود، و"الروح" هنا عند الجمهور هو الذي في الجسم، وقد يقال فيه النفس، وقيل "الروح" هنا جبريل، وقيل: القرآن؛

قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي  
 أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ  
 كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا  
 الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي  
 هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ  
 حَتَّىٰ تَفْجَرَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ  
 الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾

والأول هو الصواب لدلالة ما بعده على ذلك. ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أي: من الأمور التي استأثر الله بها ولم  
 يطع خلقه عليها، وكانت اليهود قد قالت لقريش: أسألوه عن الروح، فإن لم يجبكم فيه شيء فهو نبي، وذلك  
 أنه كان عندهم في التوراة أن الروح مما انفرد الله بعلمه، وقال ابن بريدة: لقد مضى النبي ﷺ وما يعرف الروح،  
 ولقد كثر اختلاف الناس في النفس والروح، وليس في أقوالهم في ذلك ما يعول عليه. ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ  
 إِلَّا قَلِيلًا﴾ خطاب عام لجميع الناس؛ لأن علمهم قليل بالنظر إلى علم الله، وقيل: خطاب لليهود خاصة؛  
 والأول أرجح؛ لأن فيه إشارة إلى أنهم لا يصلون إلى العلم بالروح. ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا  
 إِلَيْكَ﴾ أي: إن شئنا ذهبنا بالقرآن فمحوناه من الصدور والمصاحف، وهذه الآية متصلة المعنى بقوله "وما  
 أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا" أي: في قدرتنا أن نذهب بالذي أوحينا إليك، فلا يبقى عندك شيء من العلم.  
 ﴿وَكَيْلًا﴾ أي: من يتوكل برده وإعادته بعد ذهابه. ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ يحتمل أن يكون استثناء متصلًا،  
 بمعنى أن رحمة ربك ترد القرآن بعد ذهابه لو ذهب، أو استثناء منقطعاً بمعنى أن رحمة ربك تمسكه عن  
 الذهاب. ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ عجز الخلق عن  
 الاتيان بمثله؛ لما تضمنه من العلوم الإلهية، والبراهين الواضحة، والمعاني العجيبة التي لم يكن الناس يعلمونها  
 ولا يصلون إليها، ثم جاءت به على الكمال، وقال أكثر الناس: إنهم عجزوا عنه لفصاحته وحسن نظمه، ووجوه  
 إعجازه كثيرة قد ذكرنا في غير هذا منها خمسة عشر وجهاً. ﴿ظَهِيرًا﴾ أي: معينا. ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا  
 الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي: بينا لهم كل شيء من العلوم النافعة والبراهين القائمة والحجج الواضحة، وهذا يدل  
 على أن إعجاز القرآن بما فيه من المعاني والعلوم كما ذكرنا. ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ الكفور الجحود،  
 وانتصب بقوله "أبى" لأنه في معنى النفي. ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجَرَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ الذين قالوا

أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةَ قَبِيلًا ﴿١٧﴾ أَوْ يَكُونَ  
لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ ۗ  
قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿١٨﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ  
الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿١٩﴾ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ  
يَمَشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٢٠﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ  
شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٢١﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ  
وَمَنْ يَضِلَّ فَلَنْ يُضِلَّهُ ۗ قُلْ هُم مَّوَدِعَةٌ أُولِيَاءٌ مِّن دُونِهِ ۗ وَخَشَرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ  
عُمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۗ مَّا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ هُم  
بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِفَايْتِنَاتِنَا وَقَالُوا أَمَّا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَاتًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٢٣﴾

هذا القول هم أشرف قريش طلبوا من النبي ﷺ أنواعا من خوارق العادات، وهي التي ذكرها الله في هذه الآية، وقيل: إن الذي قاله عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، وكان ابن عمه النبي ﷺ ثم أسلم بعد ذلك، والينبوع العين، قالوا له: إن مكة قليلة الماء ففجر لنا عينا من ماء. ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾ إشارة إلى قوله تعالى ﴿إِنْ نَشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ "كسفا" بفتح السين جمع كسفة وهي القطعة، وقرئ بالإسكان أي: قطعا واحدا. ﴿قَبِيلًا﴾ قيل: معناه مقابلة ومعانية، وقيل: ضامنا شاهدا بصدقك، والقبالة في اللغة الضمان. ﴿بَيْتٌ مِّن زُخْرَفٍ﴾ أي: من ذهب. ﴿تَرْقَى﴾ في سلم ونحن نراك. ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ﴾ تعجب من اقتراحاتهم، وتنزيهه لله عن قولهم "تاتي بالله"، وعن أن يطلب منه هذه الأشياء التي طلبها الكفار؛ لأن ذلك سوء أدب. ﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ أي: إنما أنا بشر فليس في قدرتي شيء مما طلبتم، وأنا رسول فليس علي إلا التبليغ. ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ المعنى أن الذي منع الناس من الإيثار هو إنكارهم لبعث الرسول من البشر. ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ﴾ الآية، معناها: أنه لو كان أهل الأرض ملائكة، لكان الرسول إليهم ملكا، ولكنهم بشر فالرسول إليهم بشر من جنسهم، ومعنى ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾ ساكنين في الأرض. و﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ ذكر في الأنعام. ﴿عُمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ قيل: هي استعارات بمعنى أنهم يوم القيامة حيارى، وقيل: هي حقائق وأنهم يكونون عميا وبكما وصما حين قيامهم من قبورهم. ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ معناه في اللغة: سكن لهبها، والمراد هنا كلما أكلت لحومهم فسكن لهبها بدلوا أجسادا آخر، ثم صارت ملتبهة أكثر مما كانت. ﴿وَقَالُوا أَمَّا كُنَّا عِظْمًا﴾ استبعاد للحشر،

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ دَرَجَاتٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٢٧﴾ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَنُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ فَسَأَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿٢٩﴾

وقد تقدم معنى الرفات، والكلام في الاستفهاميين. «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ» الآية، احتجاج على الحشر بأن السماوات والأرض أكبر من الإنسان، فكما قدر الله على خلقها فأولى وأحرى أن يقدر على إعادة جسد الإنسان بعد فناءه، والرؤية في الآية رؤية قلب. «أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ» القيامة أو أجل الموت. «قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ» "لو" حرف امتناع ولا يليها إلا الفعل ظاهراً، أو مضمراً فلا بد من فعل يقدر هنا بعدها تقديره: لو تملكون، ثم فسره بـ"تملكون" الظاهر، و"أنتم" تأكيد للضمير الذي في تملكون المضمرة. «خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي» أي: الأموال والأرزاق. «إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ» أي: لو ملكتم الخزائن لأمسكتكم عن العطاء خشية الفقر، فالمراد بـ"الإنفاق" عاقبة الإنفاق وهو الفقر، ومفعول "أمسكتكم" محذوف، وقال الزمخشري: لا مفعول له؛ لأن معناه بخلتم من قولهم للبخيل ممسك، ومعنى الآية: وصف الإنسان بالشح وخوف الفقر بخلاف وصف الله تعالى بالجود والغنى. «تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ» الخمس منها: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والأربع: انقلاب العصا حية، وإخراج يده بيضاء، وحل العقدة من لسانه، وقلق البحر، وقد عد فيها رفع الطور فوقهم، وانفجار الماء من الحجر على أن يسقط اثنان من الآخر، وقد عد فيها أيضاً السنون والنقص من الثمرات، وروي أن بعض اليهود سألوا النبي ﷺ عن ذلك فقال: «هي ألا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تنزوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تمشوا بربيء إلى سلطان ليقته، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربوا، ولا تقذفوا المحصنات، ولا تفروا يوم الزحف، وعليكم خاصة اليهود ألا تعدوا في السبت» [الترمذي: 2733]. «فَأَسْأَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ» أي: أسأل المعاصرين لك من بني إسرائيل عما ذكرنا من قصة موسى لتزداد يقيناً، والآية على هذا خطاب لمحمد ﷺ، وقال الزمخشري: المعنى قلنا لموسى أسأل بني إسرائيل من فرعون؛ أي: اطلب منه أن يرسلهم معك، فهو كقوله «فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ»، فالأمر في قوله "أسأل" لموسى على إضمار القول، وقال أيضاً: يحتمل أن يكون المعنى: أسأل بني إسرائيل أن يعضدوك ويكونوا معك، وهذا أيضاً على أن يكون الخطاب لموسى؛ والأول أظهر. «إِذْ جَاءَهُمْ» الضمير لبني إسرائيل، والمراد آبائهم الأقدمون، والعامل في "إذ" على القول الأول "آتيننا موسى" أو فعل مضمرة، والعامل فيه على قول الزمخشري القول المحذوف. «مَسْحُورًا» هنا وفي الفرقان، أي: سحرت فاختلط عقلك، وقيل: معناه ساحر.

قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ  
 بِفِرْعَوْنَ مُتَّبِوَرًا ﴿١٧﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِيزَهُمْ مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَّعَهُ جَمِيعًا ﴿١٨﴾  
 وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ آسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا  
 ﴿١٩﴾ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٢٠﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ  
 لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿٢١﴾ قُلْ - اٰمِنُوْا بِهٖ - اَوْ لَا تُؤْمِنُوْا اِنَّ الَّذِيْنَ  
 اٰتَوْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهٖ - اِذَا يُتْلٰى عَلَيْهِمْ يَخِرُّوْنَ لِلْاَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿٢٢﴾ وَيَقُوْلُوْنَ سُبْحٰنَ رَبِّنَا  
 اِنْ كَانَّ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُوْلًا ﴿٢٣﴾ وَيَخِرُّوْنَ لِلْاَذْقَانِ يَبْكُوْنَ وَيَزِيْدُهُمْ خُشُوْعًا ﴿٢٤﴾  
 قُلْ اَدْعُوْا اللّٰهَ اَوْ اَدْعُوْا الرَّحْمٰنَ

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ بفتح التاء خطاب لفرعون، والمعنى: أنه علم أن الله أنزل الآيات، ولكنه كفر بها عنادا، كقوله ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾، والإشارة بـ ﴿هَؤُلَاءِ﴾ إلى الآيات. ﴿مُتَّبِوَرًا﴾ أي: مهلكا، وقيل: مغلوبا، وقيل: مصروفا عن الخير، قابل موسى قول فرعون "إني لأظنك يا موسى مسحورا" بقوله "إني لأظنك يا فرعون مشورا". ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِيزَهُمْ مِّنَ الْأَرْضِ﴾ يعني أرض مصر. ﴿آسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ يعني أرض الشام. ﴿لَفِيفًا﴾ أي: جميعا مختلطين. ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ الضمير للقرآن، و"بالحق" معناه في الموضوعين بالواجب من المصلحة والسداد، وقيل: معنى الأول كذلك، ومعنى الثاني ضد الباطل، أي: بالحق في إخباره وأوامره ونواهيه. ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ﴾ انتصب بفعل مضمرب يدل عليه "فرقناه"، ومعناه: بيناه وأوضحناه. ﴿عَلَى مُكْثٍ﴾ قيل: معناه على تمهل وترتيل في قراءته، وقيل: على طول مدة نزوله شيئا شيئا من حين بعث النبي ﷺ إلى وفاته؛ وذلك عشرون سنة، وقيل: ثلاث وعشرون. ﴿قُلْ - اٰمِنُوْا بِهٖ - اَوْ لَا تُؤْمِنُوْا﴾ أمر باحتقارهم وعدم الاكتراث بهم، كأنه يقول: سواء أمتم أو لم تؤمنوا لأنكم لستم بحجة، وإنما الحجة أهل العلم من قبله وهم المؤمنون من أهل الكتاب. ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ يعني المؤمنين من أهل الكتاب، وقيل: الذين كانوا على الحنيفية قبل البعثة كزيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل؛ والأول أظهر، وهذه الجملة تعليل لما تقدم؛ والمعنى إن لم تؤمنوا أنتم به، فقد آمن به من هو أعلم منكم. ﴿يَخِرُّوْنَ لِلْاَذْقَانِ﴾ أي: لناحية الأذقان كقولهم: خر لليدين وللعم، و"الأذقان" جمع ذقن وهو أسفل الوجه حيث اللحية، وإنما كرر "يخرون للأذقان" لأن الأول للسجود والثاني للبكاء. ﴿قُلْ اَدْعُوْا اللّٰهَ اَوْ اَدْعُوْا الرَّحْمٰنَ﴾ سببها أن الكفار

أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا ﴿١٦﴾

سمعوا النبي ﷺ يدعو: «يا الله، يا رحمن»، فقالوا: كان محمد يأمرنا بدعاء إله واحد، وها هو يدعو إلهين [ابن جرير: 182/15]، فنزلت الآية مبينة أن قوله "الله" أو "الرحمن" اسمان لمسمى واحد، وأنه مخير في الدعاء بأي الاسمين شاء، والدعاء في الآية بمعنى التسمية كقولك: دعوت ولدي زيدا، لا بمعنى النداء. ﴿أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ "أي" اسم شرط منصوب بـ"تدعوا"، والتنوين فيه عوض من المضاف إليه، و"ما" زائدة للتأكيد، والضمير في "له" لله تعالى وهو المسمى بالاسم، والمعنى: أي هذين الاسمين تدعو فحسن لأن الله له الأسماء الحسنى، فوضع قوله "فله الأسماء الحسنى" موضع الجواب، وهو في المعنى تعليل للجواب؛ لأنه إذا حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الاسمان. ﴿وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا بِهَا﴾ المخافتة هي الإسرار، وسبب الآية: أن رسول الله ﷺ جهر بالقرآن في الصلاة، فسمعه المشركون فسبوا القرآن ومن أنزله، فأمر رسول الله ﷺ بالتوسط بين الجهر والإسرار؛ ليُسمع أصحابه الذين يصلون معه ولا يسمع المشركين، وقيل: المعنى لا تجهر بصلواتك كلها، ولا تخافت بها كلها، واجعل منها سرا وجهرا حسبما أحكمته السنة، وقيل: الصلاة هنا الدعاء. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا﴾ أي: ليس له ناصر يمنع من الدنيا؛ لأنه تعالى عزيز لا يفتر إلى ولي يحميه، فنفى الولاية على هذا المعنى لأنه غني عنها، ولم ينف الولاية على وجه المحبة والكرامة لمن شاء من عباده، وحكى الطبري أن قوله ﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ رد على النصارى واليهود الذين نسبوا الله ولدا، وقوله ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ﴾ رد على المشركين، وقوله ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا﴾ رد على الصابئين في قولهم: لولا أولياء الله لذل الله؛ تعالى عن قولهم علوا كبيرا. ﴿وَكَبَّرَهُ﴾ معطوف على "قل"، ويحتمل هذا التكبير أن يكون بالقلب وهو التعظيم، أو باللسان وهو أن يقول: الله أكبر مع قوله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ الآية.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ  
 عِوَجًا ﴿١﴾ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ  
 الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّا كَثِيرٍ فِيهِ أُبَدَاءٌ ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا  
 اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ  
 وَإِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ وَإِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ  
 هَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾  
 وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾

## سورة الكهف

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ العبد هنا هو النبي ﷺ، وصفه بالعبودية تشريفا له وإعلاما  
 باختصاصه وقربه، و"الكتاب" القرآن. ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ العوج بكسر العين في المعاني التي لا تحس،  
 وبالفتح في الأشخاص كالعصا ونحوها، ومعناه عدم الاستقامة، وقيل: فيه هنا معناه لا تناقض فيه ولا خلل  
 فيه، وقيل: لم يجعله مخلوقا؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿ قِيمًا ﴾ أي: مستقيما، وقيل: قيميا على الخلق بأمر الله تعالى،  
 وقيل: قيميا على سائر الكتب بتصديقها، وانتصابه على الحال من "الكتاب" والعامل فيه "أنزل"، ومنع الزمخشري  
 ذلك للفصل بين الحال وذي الحال، واختار أن العامل فيه فعل مضمّر تقديره: جعله قيميا. ﴿ لِيُنذِرَ ﴾ متعلق  
 ب"أنزل" أو ب"قيما"، والفاعل به ضمير "الكتاب" أو النبي ﷺ، والبأس العذاب، وحذف المفعول الثاني وهو  
 الناس، كما حذف المفعول الآخر من قوله "وينذر الذين" لدلالة المعنى على المحذوف. ﴿ مِنْ لَّدُنْهُ ﴾ أي: من  
 عنده، والضمير عائد على الله تعالى. ﴿ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ يعني الجنة. ﴿ مَا كَثِيرٍ ﴾ أي: دائمين، وانتصابه على الحال  
 من الضمير في "لهم". ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ هم النصارى لقولهم في عيسى، واليهود في عزيز،  
 وبعض العرب في الملائكة. ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ﴾ الضمير عائد على قولهم أو على الولد. ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً ﴾  
 انتصب على التمييز، وقيل: على الحال، ويعني بال"كلمة" قولهم "اتخذ الله ولدا"، وعلى هذا يعود الضمير في  
 "كبرت". ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ ﴾ أي: قاتلها بالحزن والأسف، والمعنى تسلية النبي ﷺ عن عدم إيمانهم.  
 ﴿ عَلَى آثَارِهِمْ ﴾ استعارة فصيحة، كأنهم من فرط إدبارهم قد بعدوا فهو يتبع آثارهم تأسفا عليهم، وانتصب  
 ﴿ أَسَفًا ﴾ على أنه مفعول من أجله، والعامل فيه "باخع نفسك". ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا ﴾ يعني ما  
 يصلح للترزين كالملايس، والمطاعم، والأشجار، والأنهار وغير ذلك. ﴿ لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ أي:  
 لنختبرهم أيهم أزهدي في زينة الدنيا. ﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ المعنى إخبار بقاء الدنيا وزينتها،

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿١٦﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٧﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١٨﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِئُوا أَمَدًا ﴿١٩﴾

والصعيد هو التراب، والجرز الأرض التي لا نبات فيها، أي: سنفني ما على الأرض من الزينة حتى تبقى كالأرض التي لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء بهجة. ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ "أم هنا استفهام، والمعنى: أحسبت أنهم عجب بل سائر آياتنا أعظم منها وأعجب، و"الكهف" الغار الواسع، و"الرقيم" اسم كلبهم، وقيل: هو لوح رقمت فيه أسماءهم على باب الكهف، وقيل: كتاب فيه شرعهم ودينهم، وقيل: هو القرية التي كانت بإزاء الكهف، وقيل: الجبل الذي فيه الكهف، وقال ابن عباس ؓ: لا أدري ما الرقيم. ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ نذكر من قصتهم على وجه الاختصار ما لا غنى عنه، إذ قد أكثر الناس فيها مع قلة الصحة في كثير مما نقلوا، وذلك أنهم كانوا قوما مؤمنين، وكان ملك بلادهم كافرا يقتل كل مؤمن، ففروا بدينهم ودخلوا الكهف ليعبدوا الله فيه، ويختفوا من الملك وقومه، فأمر الملك باتباعهم، فانتهم المتبعون لهم إلى الغار فوجدوهم وعرفوا الملك بذلك، فوقف عليه في جنده وأمر بالدخول إليهم فهاب الرجال ذلك، وقالوا له: دعهم يموتوا جوعا وعطشا! وكان الله قد ألقى عليهم قبل ذلك نوما ثقيلًا، فبقوا كذلك مدة طويلة، ثم أيقظهم الله وظنوا أنهم لبثوا يوما أو بعض يوم، فبعثوا أحدهم يشتري لهم طعاما بدراهم كانت لهم، فعجب منها البياح وقال: هذه الدراهم من عهد فلان الملك في قديم الزمان؛ فمن أين جاءتك؟ وشاع الكلام بذلك في الناس، فقال الرجل: إنما خرجت أنا وأصحابي بالأمس فأوينا إلى الكهف! فقال الناس: هؤلاء هم الفتية الذين ذهبوا في الزمان القديم، فمشوا إليهم فوجدوهم موتى، وأما موضع كهفهم، فقيل: إنه بمقربة من فلسطين، وقال قوم: إنه الكهف الذي بالأندلس بمقربة من لوشة من جهة غرناطة، وفيه موتى ومعهم كلب، وقد ذكر ابن عطية ذلك وقال: إنه دخل عليهم ورآهم وعليهم مسجد، وقريب منهم بناء يقال له الرقيم قد بقي بعض جدرانته، وروي أن الملك الذي كانوا في زمانه اسمه دقيوس، وفي تلك الجهة آثار مدينة يقال لها مدينة دقيوس والله أعلم. ومما يبعد ذلك ما روي أن معاوية ؓ مر عليهم وأراد الدخول إليهم، ولم يدخل معاوية ؓ الأندلس قط، وأيضا فإن الموتى الذين في غار لوشة يراهم الناس ولم يدرك أحد منهم الرعب الذي ذكر الله في أصحاب الكهف. ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ﴾ عبارة عن إلقاء النوم عليهم، وقال الزمخشري: المعنى ضربنا على آذانهم حجابا ثم حذف هذا المفعول. ﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾ أي: كثيرة. ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أي: أيقظناهم من نومهم. ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِئُوا أَمَدًا﴾ أي: لنعلم علما يظهر في الوجود، لأن الله قد كان علم ذلك، والمراد بـ"الحزبين" الذين اختلفوا

لَحْنٌ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٠﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ وَإِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١١﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٢﴾ وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْدًا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴿١٣﴾ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ

في مدة لبثهم؛ فالحزب الواحد أصحاب الكهف، والحزب الآخر القوم الذين بعث الله أهل الكهف في مدتهم، وقيل: إن الحزبين معا أصحاب الكهف إذ قال بعضهم: لبثنا يوما أو بعض يوم، وقال بعضهم: ربكم أعلم بما لبثتم، و"أحصى" فعل ماض، و"أمدأ" مفعول به، وقيل: "أحصى" اسم للتفضيل و"أمدأ" تمييز؛ وهذا ضعيف؛ لأن أفعل من التي للتفضيل لا يكون من فعل رباعي إلا في الشاذ. ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي: قوبنا عزمهم وألمناهم الصبر. ﴿إِذْ قَامُوا﴾ يحتمل أن يريد قيامهم من النوم، أو قيامهم بين يدي الملك الكافر لما آمنوا ولم يبالوا به. ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ أي: لو دعونا من دونه إلهًا لقلنا قولًا شططا، والشطط الجور والتعدي. ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ تحضيض بمعنى التعجيز، أي: أنهم لا يأتون بحجة بينة على عبادة غير الله. ﴿وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ﴾ خطاب من بعضهم لبعض حين عزموا على الفرار بدينهم. ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ عطف على المفعول في "اعتزلتموهم" أي: تركتموهم وتركتهم ما يعبدون. ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ أي: ما يعبدون من دون الله، و"إلا" هنا بمعنى غير، وهذا استثناء متصل إن كان قومهم يعبدون الله ويعبدون معه غيره، ومنقطع إن كانوا لا يعبدون الله، وفي مصحف ابن مسعود ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾. ﴿فَأَوْدًا إِلَى الْكَهْفِ﴾ هذا الفعل هو العامل في "إذ اعتزلتموهم"، والمعنى أن بعضهم قال لبعض: إذا فارقتنا الكفار فلنجعل الكهف لنا مأوى، ونتوكل على الله فإنه يرحمنا ويرفق بنا. ﴿مَرْفَقًا﴾ بفتح الميم وكسرها، ما يرتفق به ويتنفع. ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ قيل: هنا كلام محذوف تقديره: فأوى القوم إلى الكهف ومكثوا فيه، وضرب الله على آذانهم، ومعنى "تزاور" تميل وتروغ، ومعنى "تقرضهم" تقطعهم أي: تبعد عنهم، وهو من القرص بمعنى القطع، و"ذات اليمين" و"الشمال" أي: جهته، ومعنى الآية: أن الشمس لا تصيبهم عند طلوعها ولا عند غروبها لئلا يحترقوا بحرها، فقيل: إن ذلك كرامة لهم وخرق عادة، وقيل: كان باب الكهف شماليا يستقبل بنات نعلش فلذلك لا تصيبهم الشمس؛ والأول أظهر لقوله "ذلك من - آيات الله".

وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضِلِّ فَلَن يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْسِدًا ﴿٧٧﴾ وَتَحْسِبُهُمْ أَيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ ۖ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ۖ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا ۖ وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿٧٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ۖ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ ۖ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيَّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ

﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ أي: في موضع واسع، وذلك مفتاح لإصابة الشمس ومع ذلك حجبها الله عنهم. ﴿ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ الإشارة إلى حجب الشمس عنهم إن كان خرق عادة، وإن كان لكون بابهم إلى الشمال للإشارة إلى أمرهم بجملته. ﴿وَتَحْسِبُهُمْ أَيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ "أيقاظا" جمع يقظ وهو المنتبه؛ كانت أعينهم مفتوحة وهم نائمون، فيحسبهم من يراهم أيقاظا، وفي قوله "أيقاظا" و"رقود" مطابقة وهي من أدوات البيان. ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ أي: نقلبهم من جانب إلى جانب، ولولا ذلك لأكلتهم الأرض، وكان هذا التقلب من فعل الله وملائكته، وهم لا يتنبهون من نومهم، وروي أنهم كانوا يقبلون مرتين في السنة، وقيل: من سبع سنين إلى مثلها. ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ قيل: إنه كان كلبا لأحدهم يصيده، وقيل: كان كلبا لراع، فمروا عليه فصحبهم وتبعه كلبه، وأعمل اسم الفاعل وهو بمعنى المضي لأنه حكاية حال. ﴿بِالْوَصِيدِ﴾ أي: بباب الكهف، وقيل: عتبه، وقيل: الفناء. ﴿وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة، وقيل: لطول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم، وقيل: لوحشة مكانهم، وعن معاوية ؓ أنه غزا الروم فمر بالكهف فأراد الدخول إليه، فقال له ابن عباس ؓ: لا تستطيع ذلك فقد قال الله لمن هو خير منك ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ فبعث ناسا إليهم فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحا فأحرقتهم. ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ أي: كما أنماهم كذلك بعثناهم ليسأل بعضهم بعضا، واللام في "ليتساءلوا" لام الصيرورة. ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ﴾ هذا قول من استشعر منهم أن مدة لبثهم طويلة، فأنكر على من قال ﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ ولكنه لم يعلم مقدارها فأسند علمها إلى الله. ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ﴾ الورق الفضة، وكانت دراهم تزودها حين خروجهم إلى الكهف، ويستدل بذلك على أن التزود للمسافر أفضل من تركه، ويستدل ببعث أحدهم على جواز الوكالة، فإن قيل: كيف اتصل بعث أحدهم بتذكر مدة لبثهم؟ فالجواب: أنهم كانوا قالوا "ربكم أعلم بما لبثتم" ولا سبيل لكم إلى العلم بذلك، فخذوا فيما هو أهم من هذا وأنفع لكم، فابعثوا أحدكم" ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ قيل: إنها طرسوس. ﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ قيل: أكثر، وقيل: أحل، وروي أنه أراد شراء

وَلَيَتَلَطَّفَ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ إِذَا يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿١٩﴾ وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ وَأَمْرُهُمْ ۖ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْنَا بُنْيَانًا ۖ رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢٠﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ

زيب، وقيل: تمر. ﴿وَلَيَتَلَطَّفَ﴾ أي: في اختفائه وتحيله. ﴿إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ أي: إن أظفروا بكم يقتلوكم بالحجارة، وقيل: معنى "يرجموكم" بالقول؛ والأول أظهر. ﴿وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ﴾ أي: كما أنماهم وبعثناهم أطلعنا الناس عليهم. ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ الضمير للقوم الذين أطلعهم الله على أصحاب الكهف، أي: أطلعناهم على حالهم من انتباههم من الرقدة الطويلة؛ ليستدلوا بذلك على صحة البعث من القبور. ﴿إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ العامل في "إذ" "أعثرنا"، أو مضمرة تقديره: اذكر، والمتنازعون هم القوم الذين كانوا قد تنازعوا فيما يفعلون في أصحاب الكهف، أو تنازعوا هل هم أموات أو أحياء، وقيل: تنازعوا هل تحشر الأجساد أو الأرواح بالأجساد؟ فأراهم الله حال أصحاب الكهف ليعلموا أن الأجساد تحشر. ﴿فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْنَا بُنْيَانًا﴾ أي: على باب كهفهم؛ إما ليطمس أثرهم وإما ليحفظهم ويمنعهم ممن يريد أخذ تربتهم تبركا، وإما ليكون علما على كهفهم ليعرف به. ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾ قيل: يعني الولاة، وقيل: يعني المسلمين لأنهم كانوا أحق بهم من الكفار، فبنوا على باب الكهف مسجدا لعبادة الله. ﴿سَيَقُولُونَ﴾ الضمير لمن كان في زمان النبي ﷺ من اليهود أو غيرهم ممن تكلم في أصحاب الكهف. ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ أي: ظنا، وهو مستعار من الرجم بمعنى الرمي. ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ قال بعضهم: إن الواو واو الثانية لدخولها هنا، وفي قوله ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ﴾، وفي قوله في أهل الجنة ﴿وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُهَا﴾، وفي قوله في براءة ﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، وقال البصريون: لا تثبت واو الثانية وإنما الواو هنا كقولك جاء زيد وفي يده سيف، وقال الزمخشري: فائدتها التوكيد والدلالة على أن الذين قالوا "سبعة وثامنهم كلبهم" صدقوا وأخبروا بحق بخلاف الذين قالوا "ثلاثة رابعهم كلبهم"، والذين قالوا "خمس سادسهم كلبهم". وقال ابن عطية: دخلت الواو في آخر إخبار عن عددهم لتدل أن هذا نهاية ما قيل، ولو سقطت لصح الكلام، وكذلك دخلت السين في قوله "سيقولون" الأول ولم تدخل في الثاني والثالث؛ استغناء بدخولها في الأول. ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ أي: لا يعلم عدتهم إلا قليل من الناس؛ وهم من أهل الكتاب، وقال ابن عباس ؓ: أنا من ذلك القليل؛

فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ  
إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۗ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي  
رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾

وكانوا سبعة وثامنهم كلبهم، لأنه قال في الثلاثة والخمسة "رجما بالغيب" ولم يقل ذلك في "سبعة وثامنهم كلبهم". ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ "لا تمار" من المراء وهو الجدل والمخالفة والاحتجاج، ومعنى الآية: لا تمار أهل الكتاب في عدة أصحاب الكهف "إلا مراء ظاهرا" أي: غير متعمق فيه من غير مبالغة ولا تعنيف في الرد عليهم. ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ أي: لا تسأل أحدا من أهل الكتاب عن أصحاب الكهف؛ لأن الله قد أوحى إليك في شأنهم ما يغنيك عن السؤال. ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ سببها أن قريشا سألوا اليهود عن أمر رسول الله ﷺ، فقالوا لهم: أسألوه عن فتية ذهبوا في الزمان الأول وهم أصحاب الكهف، وعن رجل بلغ مشارق الأرض ومغاربها وهو ذو القرنين، وعن الروح، فإن أجابكم في الاثنين وسكت عن الروح فهو نبي، فسألوه، فقال: "غدا أخبركم" ولم يقل: إن شاء الله، فأمسك الله عنه الوحي خمسة عشر يوما، فأرجف به كفار قريش وتكلموا في ذلك، فشق ذلك على رسول الله ﷺ، ثم جاء جبريل بسورة الكهف فقص عليه فيها قصة أصحاب الكهف وذو القرنين، وأنزل عليه هذه الآية تأديبا لهم وتعلية، فأمره بالاستثناء بمشيئة الله في كل أمر يريد أن يفعله فيما يستقبل، وقوله "غدا" يريد به الزمان المستقبل لا اليوم الذي بعد يومه خاصة، وفي الكلام حذف يقتضيه المعنى وتقديره: ولا تقولن لشيءٍ إنني فاعل ذلك غدا إلا أن تقول إن شاء الله أو تقول إلا أن يشاء الله، والمعنى أن يعلق الأمر بمشيئة الله وحوله وقوته ويبرأ هو من الحول والقوة، وقيل: إن قوله "إلا أن يشاء الله" يتعلق بقوله "لا تقولن"، والمعنى: لا تقولن ذلك القول إلا أن يشاء الله أن تقوله بأن يأذن لك فيه، فالمشيئة على هذا راجعة إلى القول لا إلى الفعل؛ ومعناها إباحة القول بالإذن فيه، حكى هذا الزمخشري وحكاه أيضا ابن عطية وقال: إنه من الفساد بحيث كان الواجب ألا يحكي. ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ قال ابن عباس ؓ: الإشارة بذلك إلى الاستثناء أي: استثن بعد مدة إذا نسيت الاستثناء أولا، وذلك على مذهبه في أن الاستثناء في اليمين ينفع بعد سنة، وأما مذهب مالك والشافعي فإنه لا ينفع إلا إذا كان متصلا باليمين، وقيل: معنى الآية: اذكر ربك إذا غضبت، وقيل: اذكره إذا نسيت شيئا ليذكرك ما نسيت؛ والظاهر أن المعنى: اذكر ربك إذا نسيت ذكره، أي: ارجع إلى الذكر متى غفلت عنه، واذكره في كل حال؛ ولذلك قالت عائشة ؓ: كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه [مسلم: 373]. ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ هذا الكلام أمر النبي ﷺ أن يقوله، والإشارة بـ"هذا" إلى خبر أصحاب الكهف أي: عسى أن يؤتيني الله من الآيات والحجج ما هو أعظم

وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ  
 غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ  
 فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَأَنْتَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ  
 وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ  
 وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

في الدلالة على نبوتي من خبر أصحاب الكهف، واللفظ يقتضي أن المعنى: عسى أن يوفني الله من العلوم والأعمال الصالحات لما هو أرشد من خبر أصحاب الكهف وأقرب إلى الله، وقيل: الإشارة بـ"هذا" إلى المنسي أي: إذا نسيت شيئاً فقل عسى أن يهديني الله لشيء آخر هو أرشد من المنسي. ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ في هذا قولان؛ أحدهما: أنه حكاية عن أهل الكتاب يدل على ذلك ما في قراءة ابن مسعود ؓ: "وقالوا لبثوا في كهفهم" وهو معطوف على "سيقولون ثلاثة"، فقله ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ رد عليهم في هذا العدد المحكي عنهم، والقول الثاني: أنه من كلام الله تعالى، وأنه بيان لما أجمل في قوله "فضرنا على أذانهم في الكهف سنين عدداً"، ومعنى قوله "قل الله أعلم بما لبثوا" على هذا أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم، وقد أخبر بمدته لبثهم فأخبره هو الحق لأنه أعلم من الناس، وكان قوله "قل الله أعلم" احتجاجاً على صحة ذلك الإخبار، وانتصب "سنين" على البدل من "ثلاثمائة" أو عطف بيان أو على التمييز؛ وذلك على قراءة التنوين في "ثلاثمائة"، وقرئ بغير تنوين على الإضافة، ووضع الجمع موضع المفرد. ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ أي: ما أبصره وما أسمعته؛ لأنه تعالى يدرك الخفيات كما يدرك الجليات. ﴿مَا لَهُمْ﴾ الضمير لجميع الخلق أو للمعاصرين للنبي ﷺ. ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ هو خبر على القراءة بالياء والرفع، وقرئ بالتاء والجزم على النهي. ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ يحتمل أن يراد بـ"الكلمات" هنا القرآن؛ فالمعنى: لا يبدل أحد القرآن ولا غيره، ويحتمل أن يراد بـ"الكلمات" القضاء والقدر. ﴿مُلْتَحَدًا﴾ أي: ملجأ تميل إليه. ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ أي: احبسها صابراً. ﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ هم فقراء المسلمين كبلال وصهيب وخباب ؓ، وكان الكفار قد قالوا له: اطرده هؤلاء نجالسك نحن؛ فنزلت الآية. ﴿بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ قيل: المراد الصلوات الخمس، وقيل: الدعاء على الإطلاق. ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ أي: لا تجاوز عنهم إلى أبناء الدنيا، قال الزمخشري: يقال عداه إذا جاوزه فهذا الفعل يتعدى بنفسه دون حرف، وإنما تعدى هنا بـ"عن" لأنه تضمن معنى نبت عينه عن الرجل إذا احتقرته. ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ جملة في موضع الحال فهي متصلة بما قبلها، وهي في معنى تعليل الفعل المنهي عنه في قوله "ولا تعد عينك عنهم" أي: لا تبعد عنهم من أجل إرادتك لزينة الدنيا.

وَلَا تُطْعَمَنَّ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ  
 مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ  
 بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بئسَ الشَّرَابُ  
 وَسَاءَتِ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ  
 أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ هُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ مُخْلِطُونَ فِيهَا مِنَ  
 آسَافِ مِثْلِ مِسْكِ وَعِظْونَ ثِيَابًا خَضْرَاءَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى  
 الْأَرَائِكِ ۗ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ۖ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا  
 لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾

﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾ أي: جعلناه غافلاً أو وجدناه غافلاً، وقيل: إنه يعني عيينة بن حصين الفزاري؛ والأظهر أنها  
 مطلقة من غير تعيين. ﴿فُرْطًا﴾ من التفريط والتضييع، أو من الإفراط والإسراف. ﴿وَقُلِ الْحَقُّ﴾ أي: هذا  
 هو الحق. ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ﴾ لفظه أمر وتخيير، ومعناه أن الحق قد ظهر فليختر كل إنسان لنفسه إما الحق  
 الذي ينجيه وإما الباطل الذي يهلكه؛ ففي ضمن ذلك تهديد. ﴿سُرَادِقُهَا﴾ السرادق في اللغة ما أحاط  
 بالشيء كالسور والجدار، وأما سرادق جهنم! فقيل: حائط من نار، وقيل: دخان. ﴿كَالْمُهْلِ﴾ وهو دردي  
 الزيت إذا انتهى حره، روي ذلك عن النبي ﷺ، وقيل: ما أذيب من الرصاص وشبهه. ﴿مُرْتَفَقًا﴾ أي شيء  
 يرتفق به فهو من الرفق، وقيل: يرتفق عليه فهو من الارتفاق بمعنى الاتكاء. ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ﴾ خبر "إن"، و"إننا  
 لا نضيع" اعتراض، ويجوز أن يكونا خبرين أو يكون "إننا لا نضيع" الخبر و"أولئك" كلام مستأنف، ويقوم  
 العموم في قوله "من أحسن" مقام الضمير الرابط، أو يقدر: من أحسن عملاً منهم، وروي أن النبي ﷺ قال:  
 «إنها نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي» [معاني القرآن: 4 / 235]. ﴿آسَافٍ﴾ جمع أسوار أو سوار وهو ما يجعل في  
 الذراع، وقيل: أساور جمع أسورة وأسورة جمع سوار. ﴿مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ السندس هو رقيق الديباج،  
 والاستبرق الغليظ منه. ﴿الْأَرَائِكِ﴾ الأسرة والفرش. ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ﴾ الضمير للكفار الذين قالوا: اطردهم  
 فقراء المسلمين، وللفقراء الذين أرادوا طردهم أي: مثل هؤلاء وهؤلاء كمثل هذين الرجلين، وهما أخوان  
 من بني إسرائيل أحدهما مؤمن والآخر كافر، ورثا ما لا عن أبيهما فاشترى الكافر بهاله جنتين، وأنفق المؤمن  
 ماله في طاعة الله حتى افتقر، فعيه الكافر بفقره؛ فأهلك الله مال الكافر، وروي أن اسم المؤمن تملیخا،  
 واسم الكافر فوطس، وقيل: كانا شريكين اقتسما المال فاشترى أحدهما بهاله جنتين وتصدق الآخر بهاله.



كَلْنَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَلَهِمَا نَهْرًا ﴿١٧﴾ وَكَانَ لَهُ  
 ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿١٨﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ  
 وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿١٩﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ  
 رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهُمَا مُنْقَلَبًا ﴿٢٠﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ  
 بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٢١﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ  
 بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا  
 أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٢٣﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُوتِيَ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ

﴿أَكْلَهَا﴾ بضم الهمزة اسم المأكول، ويجوز ضم الكاف وإسكانها. ﴿وَلَمْ تَظْلِمِ﴾ أي: لم تنقص. ﴿وَكَانَ لَهُ  
 ثَمْرٌ﴾ بضم الثاء والميم أصناف المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك قاله ابن عباس ؓ وقتادة،  
 وقيل: هو الذهب والفضة خاصة، وهو من ثمر ماله إذا كثره، ويجوز إسكان الميم تخفيفاً، وأما بفتح الثاء  
 والميم فهو المأكول من الشجر، ويحتمل المعنى الآخر. ﴿يُحَاوِرُهُ﴾ أي: يراجعه في الكلام ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ يعني  
 الأنصار والخدم. ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ أفرد الـ"جنة" هنا؛ لأنه إنما دخل الجنة الواحدة من الجنتين إذ لا يمكن  
 دخولهما معا في دفعة واحدة. ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ إما بكفره وإما بمقابلته لأخيه، فإنها تتضمن الفخر والكبر  
 والاحتقار لأخيه. ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ يحتمل: أن تكون الإشارة إلى السموات والأرض وسائر  
 المخلوقات، فيكون قائلاً ببقاء هذا الوجود كافراً بالآخرة، أو تكون الإشارة إلى جنته فيكون قوله إفراطاً في  
 الاغترار وقلة التحصيل. ﴿وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي﴾ إن كان هذا على سبيل الفرض والتقدير كما يزعم أخي  
 لأجدن في الآخرة خيراً من جنتي في الدنيا، وقرئ ﴿خَيْرًا مِنْهُمَا﴾ بضمير الاثنين للجنتين، وبضمير الواحد  
 للجنة. ﴿مُنْقَلَبًا﴾ أي: مرجعاً. ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾ أي: خلق منه أباك آدم، وإنما جعله كافراً  
 بالله لشكك في البعث. ﴿سَوَّكَ رَجُلًا﴾ كما تقول: سواك إنساناً، ويحتمل أن قصد الرجولية على وجه تعديد  
 النعمة في أن لم يكن أنثى. ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ قرأ الجمهور بإثبات الألف في الوقف وحذفها في الوصل،  
 والأصل على هذا: لكن أنا، ثم نقلت حركة الهمزة إلى الساكن قبلها وحذفت ثم أدغمت النون في النون،  
 وقرأ ابن عامر بإثبات الألف في الوصل والوقف، ويتوجه ذلك بأن تكون "لكن" لحقتها نون الجماعة التي  
 في "خرجنا" و"ضربنا" ثم أدغمت النون في النون. ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ الآية، وصية من المؤمن  
 للكافر، "ولولا" تضيض. ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُوتِيَ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ﴾ يحتمل أن يريد في الدنيا أو الآخرة.

وَيُرْسَلُ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿١٠﴾ أَوْ يُصْبِحُ مَاؤَهَا غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلْبًا ﴿١١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿١٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿١٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿١٤﴾ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيْحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿١٥﴾ الْمَالُ وَالْبُنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿١٧﴾

﴿حُسْبَانًا﴾ أي: أمر المهلك كالصر والبرد ونحو ذلك. ﴿صَعِيدًا زَلَقًا﴾ الصعيد وجه الأرض، والزلق الذي لا يثبت فيه قدم؛ يعني أنه تذهب أشجاره ونباته. ﴿غُورًا﴾ أي: غائرا ذاهبا، وهو مصدر وصف به. ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ عبارة عن هلاكها. ﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ عبارة عن تلهفه وتأسفه وندمه. ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ يريد أن السَّقْفَ وقعت وهي العروش ثم تهدمت الحيطان عليها فالحيطان على العروش، وقيل: إن كرومها المعروشة سقطت عن عروشها ثم سقطت الكروم عليها. ﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ﴾ قال ذلك على وجه التمني لما هلك بستانه أو على وجه التوبة من الشرك. ﴿هُنَالِكَ﴾ ظرف يحتمل أن يكون العامل فيه "منتصرا"، أو يكون في موضع خبر "الولاية". ﴿الْوَلَايَةُ لِلَّهِ﴾ بكسر الواو بمعنى الرياسة والملك ويفتحها من الموالة والمودة. ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ أي: عاقبة. ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾ الباء سببية، والمعنى صار به النبات مختلطا؛ أي: ملتفا بعضه ببعض من شدة تكافئه. ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾ أي: متفتتا، و"أصبح" هنا بمعنى صار. ﴿تَذْرُوهُ الرِّيْحُ﴾ أي: تفرقه، ومعنى المثل تشبيه الدنيا في سرعة فنائها بالزرع في فوائه بعد خضرته. ﴿الْمَالُ وَالْبُنُونَ﴾ الآية: هذا من الجمع بين شيئين في خبر واحد، وذلك من أدوات البيان، وقرئ "زيتنا" بالثنية لأنه خبر عن اثنين، وأما قراءة الجمهور فأفردت فيه الزينة لأنها مصدر. ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ هي «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» [أحد: 18379] هذا قول الجمهور، وقد روي ذلك عن النبي ﷺ، وقيل: الصلوات الخمس، وقيل: الأعمال الصالحات على الإطلاق. ﴿نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ أي: نحملها ومنه قوله ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ وبعد ذلك تصير هباء. ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ أي: ظاهرة لزوال الجبال عنها. ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ قال الزمخشري: إنما جاء "حشرناهم" بلفظ الماضي بعد قوله "نسير" للدلالة على أن "حشرناهم" قبل تسيير الجبال؛ ليعاينوا تلك الأحوال. ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾ أي: لم نترك.

وَعَرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿١٨﴾ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۗ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿١٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٢٠﴾ ۝ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٢٢﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٢٣﴾

﴿صَفًّا﴾ أي: صفوفًا؛ فهو أفراد تنزل منزلة الجمع، وقد جاء في الحديث: «إن أهل الجنة مائة وعشرون صفًا أنتم منها ثمانون صفًا» [الطبراني: 419/19]. ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ يقال: هذا للكفار على وجه التوبيخ، و﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ أي: حفاة عراة غرلا. ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ يعني صحائف الأعمال، ف"الكتاب" اسم جنس. ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ كلام مستأنف جرى مجرى التعليل لإبابة إبليس عن السجود، وظاهر هذا الموضع يقتضي أن إبليس لم يكن من الملائكة وأن استثناءه منهم استثناء منقطع، فإن الجن صنف غير الملائكة، وقد يجب عن ذلك من قال إنه كان من الملائكة بأن "كان" هنا بمعنى صار؛ أي: خرج من صنف الملائكة إلى صنف الجن، وبأن الملائكة كان منهم قوم يقال لهم الجن وهم الذين خلقوا من نار. ﴿فَفَسَقَ عَنِ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ أي: خرج عن ما أمره به، والفسق في اللغة الخروج. ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ﴾ هذا توبيخ ووعظ، وذرية إبليس هم الشياطين، واتخاذهم أولياء بطاعتهم في عصيان الله والكفر به. ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ﴾ الضمير للشياطين على وجه التحقير لهم أو للكفار أو لجميع الخلق؛ فيكون فيه رد على المنجمين وأهل الطباع وسائر الطوائف المتخرصة. ﴿وَمَا كُنْتُمُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ أي: معينا، ومعنى "المضلين" الذين يضلون العباد، وذلك يقوي أن المراد الشياطين. ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ﴾ يقال هذا للكفار على وجه التوبيخ لهم، وأضاف فعل الشركاء إلى نفسه على زعمهم، وقد بين هذا بقوله ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾. ﴿مَّوْبِقًا﴾ أي: مهلكا وهو اسم موضع، أو مصدر من وبق الرجل إذا هلك، وقد قيل: إنه واد من أودية جهنم، والضمير في "بينهم" للمشركين وشركائهم. ﴿فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ الظن هنا بمعنى اليقين. ﴿مَصْرِفًا﴾ أي: معدلا ينصرفون إليه.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ  
 جَدَلًا ﴿٤٦﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَدَسْتَفَرُّوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ  
 تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ  
 وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَطْلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۚ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا  
 أَنْذَرُوا هُزُؤًا ﴿٤٨﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ۖ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ  
 إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ۖ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ  
 فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٤٩﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ۚ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ  
 لَهُمُ الْعَذَابَ ۚ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا ﴿٥٠﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ  
 أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥١﴾

﴿جَدَلًا﴾ أي: مخاصمة ومدافعة بالقول، ويقضي سياق الكلام ذم الجدل، وسببها فيما قيل: مجادلة النضر  
 ابن الحارث، على أن "الإنسان" هنا يراد به الجنس. ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ الآية، معناها: أن المانع للناس  
 من الإيمان والاستغفار هو القضاء عليهم بأن تأتيهم سنة الأمم المتقدمة وهي الإهلاك في الدنيا. ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ  
 الْعَذَابُ﴾ يعني عذاب الآخرة، ومعنى ﴿قُبُلًا﴾ معاينة، وقرئ بضمين وهو جمع قبيل؛ أي: أنواعا من  
 العذاب. ﴿لِيُدْحِضُوا﴾ أي: يبطلوا. ﴿وَمَا أَنْذَرُوا﴾ يعني العذاب، و"ما" موصولة والضمير محذوف  
 تقديره: أنذروه، أو مصدرية. ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ هذه عقوبة على الإعراض المحكي عنهم  
 أو تعليل له، والأكنة جمع كنان وهو الغطاء، والوقر الصمم؛ وهما على وجه الاستعارة في قلة فهمهم للقرآن  
 وعدم استجابتهم للإيمان. ﴿فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ يراد به من قضى الله أنه لا يؤمن. ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ﴾ الضمير  
 لكفار قريش أو لسائر الناس كقوله ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ﴾ والجمللة خبر المبتدأ، و﴿الْغُفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾  
 صفتان اعترضتا بين المبتدأ والخبر توطئة لما ذكر بعد من ترك المؤاخذة، ويحتمل أن يكون "الغفور" هو الخبر،  
 بيان لمغفرته ورحمته؛ والأول أظهر. ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾ قيل: هو الموت، وقيل: عذاب الآخرة، وقيل: يوم  
 بدر. ﴿مَوْئِلًا﴾ أي: منجا، يقال: وأل الرجل إذا نجا. ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ﴾ يعني عادا وثمود وغيرهم من  
 المتقدمين، والمراد أهل القرى؛ ولذلك قال ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ وفي ضمن هذا الإخبار تهديد لكفار قريش.  
 ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ أي: وقتا معلوما، والمهلك هنا بضم الميم وفتح اللام اسم مصدر من أهلك؛

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا أْبْرُحُ حَتَّى ٢ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦﴾ فَلَمَّا  
بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿١١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ  
لِفَتْنِهِ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿١٢﴾

فالمصدر على هذا مضاف للمفعول لأن الفعل متعدي، وقرئ بفتح الميم من هلك؛ فالمصدر على هذا مضاف للفاعل. ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنَاهُ﴾ هذا ابتداء قصة موسى مع الخضر، وهو موسى بن عمران نبي الله، وقال قوم: هو موسى آخر؛ وذلك باطل رده ابن عباس رضي الله عنه وغيره؛ ويدل الحديث على بطلانه، وفتاه هو يوشع بن نون، وهو ابن أخت موسى، وهو من ذرية يوسف عليه السلام، والفتى هنا بمعنى الخديم، وسبب القصة فيما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح «أن موسى عليه السلام خطب يوما في بني إسرائيل، فقيل له هل تعلم أحدا أعلم منك؟ قال: لا، فأوحى الله إليه: بلي عبدنا خضر، فقال: يا رب دلني على السبيل إلى لقائه، فأوحى الله إليه أن يحمل حوتا في مكتل، ويسير بطول سيف البحر حتى يبلغ مجمع البحرين، فإذا فقد الحوت فإن الخضر هنالك، ففعل موسى ذلك حتى لقيه» [بخاري: 122]. ﴿لَا أْبْرُحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ قال موسى هذا الكلام وهو سائر، أي: لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين، فحذف خبر "لا أبرح" اختصاراً للدلالة المعنى عليه، ومعنى "لا أبرح" هنا: لا أزال؛ لأن حقيقة لا أبرح تقتضي الإقامة في الموضع، وكان موسى حين قالها على سفر لا يريد إقامة، و"مجمع البحرين" عند طنجة حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه وهو بحر الأندلس، وقيل: هو مجتمع بحر فارس وبحر الروم في المشرق. ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ أي: زمانا طويلا، والحقب بضم القاف وإسكانها ثمانون سنة، وقيل: زمان غير محدود، وقيل: هو جمع حقة وهي السنة. ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا﴾ الضمير في "بلغا" لموسى وفتاه، والضمير في "بينهما" للبحرين. ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ نسب النسيان إليهما، وإنما كان النسيان من الفتى وحده كما تقول: فعل بنو فلان كذا؛ إذا فعله واحد منهم، وقيل: نسي الفتى أن يقدمه، ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء. ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ فاعل "اتخذ" الحوت، والمعنى أنه سار في البحر، فقيل: إن الحوت كان ميتا مملوحا ثم صار حيا بإذن الله ووقع في الماء فسار فيه، وقال ابن عباس رضي الله عنه: إنها حيي الحوت لأنه مسه ماء عين يقال لها عين الحياة ما مست قط شيئا إلا حيي، وفي الحديث: «إن الله أمسك جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق» [مسلم: 2380] أي: بقي موضع سلوكه في الماء فارغا من الماء، فصار مثل السرب وهو المسلك في جوف الأرض، وذلك معجزة لموسى عليه السلام، وقيل: اتخذ الحوت سبيله في البحر سربا حتى وصل إلى البحر فعام على العادة؛ ويرد هذا ما ورد في الحديث. ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ أي: جاوزا الموضع الذي وصف له وهو الصخرة التي نام عندها، فسار الحوت في البحر بينما كان موسى نائما، وكان ذهاب الحوت أمارة لقائه للخضر، فلما استيقظ موسى أصابه الجوع فقال لفتاه: آتنا غداءنا. ﴿نَصَبًا﴾ أي: تعباً.

قَالَ أَرَأَيْتِ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسِينِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ  
وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿١٠٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ ﴿١٠٤﴾ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا  
﴿١٠٥﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿١٠٦﴾ قَالَ لَهُ  
مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿١٠٧﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا  
﴿١٠٨﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿١٠٩﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا  
أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿١١٠﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿١١١﴾

﴿ قَالَ أَرَأَيْتِ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ ﴾ قال الزمخشري: "أرأيت" هنا بمعنى أخبرني، ثم قال: فإن قلت ما وجه التثام هذا الكلام، فإن كل واحد من "أرأيت"، و"إذ أويْنَا"، و"فإني نسيت الحوت" لا متعلق له؟ فالجواب: أنه لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما رأى منه، وما اعتراه من نسيانه فدهش، فطفق يسأل موسى عن سبب ذلك، فكانه قال: أرأيت ما دهاني إذ أويْنَا إلى الصخرة فإنني نسيت الحوت، فحذف بعض الكلام. ﴿ نَسِيتُ الْحُوتَ ﴾ أي: نسيت أن أذكر لك ما رأيت من ذهابه في البحر، فتقديره: نسيت ذكر الحوت. ﴿ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ بدل من الهاء في "أنسانيه" وهو بدل اشتغال. ﴿ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ يحتمل أن يكون هذا من كلام يوشع، أي: اتخذ الحوت سبيله في البحر عجبا للناس، أو يكون إخبارا من الله تعالى، أي: اتخذ الحوت سبيله في البحر عجبا للناس، أو اتخذ موسى سبيل الحوت عجبا، أي: تعجب هو منه، وإعراب "عجبا" مفعول ثانٍ لـ"اتخذ" مثل "سربا"، وقيل: إن الكلام تم عند قوله "في البحر" ثم ابتداء التعجب فقال "عجبا"؛ وذلك بعيد. ﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ ﴾ أي: فقد الحوت هو ما كنا نطلب لأنه أماره على وجدان الرجل. ﴿ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ أي: رجعا في طريقهما يقصان أثرهما الأول لثلا يخرجا عن الطريق. ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ﴾ هو الخضر. ﴿ ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً ﴾ يعني النبوة على قول من قال إن الخضر نبي، وقيل: إنه ليس بنبي ولكنه ولي؛ وتظهر نبوته من هذه القصة لأنه فعل أشياء لا يعلمها إلا بوحى، واختلف أيضا هل مات أو هو حي إلى الآن؟ ويذكر كثيرا من الصلحاء أنهم يرونه ويكلمهم. ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ في الحديث: «أن موسى وجد الخضر مسجى بثوبه فقال: السلام عليك، فرفع رأسه وقال: وأنى بأرضك السلام؟! ثم قال له: من أنت؟ فقال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال: ألم يكن لك في بني إسرائيل ما يشغلك عن السفر إلى هنا؟ قال: بلى، ولكنني أحببت لقاءك وأن أتعلم منك، قال: إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمكه لا أعلمه أنا» [البخاري: 122]. ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ ﴾ الآية، مخاطبة فيها ملاطفة وتواضع، وكذلك ينبغي أن يكون الإنسان مع من يريد أن يتعلم منه. ﴿ رُشْدًا ﴾ قرئ بضم الراء وإسكان الشين وفتحها والمعنى واحد،

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكَبَا فِي الْسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۗ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا  
 إِمْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٦﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ  
 وَلَا تَرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٧﴾ فَاَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا  
 زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٨﴾ \* قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ  
 مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٩﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَلِّحْنِي ۗ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي  
 عُذْرًا ﴿٨٠﴾ فَاَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتِيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا  
 فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ

وانتصب على أنه مفعول ثانٍ بـ"تعلمن" أو حال من الضمير في "اتبعك". ﴿فَانْطَلَقَا﴾ الضمير لموسى والخضر، وفي الحديث: «أنهما انطلقا ماشيين على سيف البحر حتى مرت بهما سفينة، فعرفها الخضر، فحملا فيها بغير نول» [البخاري: 122]؛ أي: بغير أجرة. ﴿خَرَقَهَا﴾ روي: أن الخضر أزال لَوْحَيْنِ مِنَ الْوَاوِحَا. ﴿شَيْئًا إِمْرًا﴾ أي: عظيمًا، وقيل: منكرًا. ﴿فَانْطَلَقَا﴾ يعني بعد نزولهما من السفينة، فمرا بغلمان يلعبون وفيهم غلام وضيء الصورة فاقطلع الخضر رأسه، وقيل: ذبحه، وقيل: أخذ صخرة فضرب بها رأسه؛ والأول هو الصحيح لوروده في الحديث الصحيح، وروي: أن اسم الغلام جيسورا بالجيم، وقيل: بالحاء المهملة، قال الزمخشري: إن قلت لم قال "خرقها" بغير فاء، وقال ﴿فَقَتَلَهُ﴾ بالفاء؟ فالجواب: أن "خرقها" جواب الشرط، و"قتله" من جملة الشرط معطوف عليه والجزاء ﴿قَالَ أَقْتَلْتَنِي﴾. فإن قيل: لم حولف بينهما؟ فالجواب: أن خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام. ﴿نَفْسًا زَاكِيَةً﴾ قيل: إنه كان لم يبلغ، فمعنى "زاكية" ليس له ذنب، وقيل: إنه كان بالغًا ولكنه لم ير له الخضر ذنبا. ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ يقتضي أنه لو كان قد قتل نفسًا لم يكن بقتله بأس على وجه القصاص، وهذا يدل على أن الغلام كان بالغًا؛ فإن غير البالغ لا يقتل وإن قتل نفسًا. ﴿شَيْئًا نُكْرًا﴾ أي: منكرًا وهو أبلغ من قوله "إمرا"، ويجوز ضم الكاف وإسكانها. ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ﴾ بزيادة "لك" فيه من الزجر والإغلاظ ما ليس في قوله أولاً "ألم اقل انك لن تستطيع معي صبرا". ﴿بَعْدَهَا﴾ الضمير للقصة وإن لم يتقدم لها ذكر، ولكن سياق الكلام يدل عليها. ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ أي: قد أعذرت إلي فأنت معذور عندي، وفي الحديث: «كانت الأولى من موسى نسيانا». ﴿أَتِيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ قيل: هي أنطاكية، وقيل: برقة، وقال أبو هريرة وغيره: هي بالأندلس ويذكر أنها الجزيرة الخضراء، وذلك على قول أن مجمع البحرين عند طنجة وسبته. ﴿اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا﴾ أي: طلبا منهم طعاما. ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾ أي: يسقط، وإسناد الإرادة إلى الجدار مجاز،

فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنْتَبِكُ  
بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي  
الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ  
فَكَانَ أَبُوهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا  
رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ

ومثل ذلك كثير في كلام العرب، وحقيقته أنه قارب أن ينقض، ووزن "ينقض" يفعل، وقيل: يفعل بالتشديد  
كيجمر. ﴿فَأَقَامَهُ﴾ قيل: إنه هدمه ثم بناه، وقيل: مسحه بيده وأقامه فقام. ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾  
أي: قال موسى للخضر: لو شئت لاتخذت عليه أجرا؛ أي: طعاما نأكله. ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ إنها قال  
له هذا لأجل شرطه في قوله "إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني" على أن قوله "لو شئت لاتخذت عليه  
أجرا" ليس بسؤال، ولكن في ضمنه أمر بأخذ الأجرة عليه لأنها كانا محتاجين إلى الطعام، والبين هنا ليس  
بظرف وإنما معناه الوصلة والقرب، وقال الزمخشري: الأصل: هذا فراق بيني وبينك؛ بتنوين "فراق" ونصب  
"بينني" على الظرفية ثم أضيف المصدر إلى الظرف، والإشارة بقوله "هذا" إلى السؤال الثالث الذي أوجب  
الفراق. ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ﴾ قيل: إنهم تجار، ولكنه قال فيهم مساكين على وجه الإشفاق عليهم  
لأنهم كانوا يغصبون سفينتهم، أو لكونهم في لجج البحر، وقيل: كانوا عشرة إخوة منهم خمسة عاملون بالسفينة  
 وخمسة ذوا عاهات لا قدرة لهم، وقرئ "مساكين" بتشديد السين أي: يمسكون السفينة. ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ﴾ قيل:  
معناه قدامهم، وقرأ ابن عباس ؑ "أمامهم"، وقال ابن عطية: إن "وراءهم" على بابه ولكن روعي به الزمان،  
فالوراء هو المستقبل والأمام هو الماضي. ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ عموم معناه الخصوص في الجياد والصحاح  
من السفن، ولذلك قرأ ابن مسعود ؑ "يأخذ كل سفينة صالحة" وقيل: إن اسم هذا الملك هدهد بن بدد؛ وهذا  
يفتقر إلى نقل صحيح، وفي الكلام تقديم وتأخير؛ لأن قوله ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ مؤخر في المعنى عن ذكر  
غصبها لأن خوف الغصب سبب في أنه عابها، وإنما قدم للعناية به. ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ﴾ روي: أنه كان كافرا،  
وروي: أنه كان يفسد في الأرض. ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا﴾ المتكلم بذلك هو الخضر، وقيل: إنه من كلام الله،  
وتأويله على هذا: فكرهنا، وقال ابن عطية: إنه من نحو ما وقع في القرآن من عسى ولعل، وإنما هو في حق  
المخاطبين، ومعنى ﴿أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ يكلفها ذلك، والمعنى أن يحملها حبه على اتباعه أو يضر بها  
بمخالطته مع مخالفتها لها. ﴿خَيْرًا مِمَّنْهُ﴾ أي: غلاما آخر خيرا من الغلام المقتول. ﴿زَكَاةً﴾ أي: طهارة وفضيلة في  
دينه. ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ أي: رحمة وشفقة، فقيل: المعنى أن يرحمها، وقيل: يرحمها. ﴿لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ﴾ اليتيم من  
فقد أباه قبل البلوغ، وروي: أن اسم الغلامين أصرم وصرم واسم أبيهما كاشح؛ وهذا يفترق إلى صحة نقل.



وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا  
 كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا  
 ﴿٤٦﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنهُ ذِكْرًا ﴿٤٧﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي  
 الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٤٨﴾ فَاتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٤٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ  
 وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَبْدَأُ الْقَرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْ تُعَدَّبَ  
 وَإِنَّمَا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٥٠﴾

﴿ كَنْزٌ لَهُمَا ﴾ قيل: مال عظيم، وقيل: كان علما في صحف مدفونة؛ والأول أظهر. ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ قيل:  
 إنه الأب السابع؛ وظاهر اللفظ أنه الأقرب. ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ ﴾ أسند الإرادة هنا إلى الله؛ لأنها في أمر مغيب  
 مستأنف لا يعلم ما يكون منه إلا الله، وأسندها الخضر إلى نفسه في قوله "فأردت أن اعينها"؛ لأنها لفظة عيب  
 فتأدب بأن لا يسندها إلى الله، وذلك كقول إبراهيم عليه السلام ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ فأسند المرض  
 إلى نفسه والشفاء إلى الله تأدبا، واختلف في قوله "أردنا أن يبدلها" هل هو مسند إلى ضمير الخضر أو إلى الله.  
 ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ هذا دليل على نبوءة الخضر، لأن المعنى أنه فعل ما فعل بأمر الله أو بوحيه؟  
 ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْنَيْنِ ﴾ السائلون اليهود أو قريش بإشارة اليهود، وذو القرنين هو الإسكندر الملك،  
 وهو يوناني، وقيل: رومي، وكان رجلا صالحا، وقيل: كان نبيا، وقيل: كان ملكا بفتح اللام؛ والصحيح أنه  
 كان ملكا بكسر اللام، واختلف لم سمي ذا القرنين؟ فقيل: كان له صغيرتان من شعرهما قرناه فسمي بذلك،  
 وقيل: لأنه بلغ المشرق والمغرب وكأنه حاز قرني الدنيا. ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ ﴾ التمكين له هو أنه ملك الدنيا  
 ودانت له الملوك كلهم. ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ أي: علما وفهما يتوصل به إلى معرفة الأشياء، والسبب  
 ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو غير ذلك. ﴿ فَاتَّبَعَ سَبَبًا ﴾ أي: طريقا يوصله. ﴿ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي  
 عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ قرئ بالهمز على وزن فعلة؛ أي: ذات حمأة، وقرئ بالياء على وزن فاعلة، وقد اختلف في ذلك  
 معاوية وابن عباس رضي الله عنهما، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: "حمئة"، وقال معاوية رضي الله عنهما: "حامية"، فبعثنا إلى كعب الأحبار رضي الله عنه  
 ليخبرهما بالأمر، فقال: أما العربية فأنتم أعلم بها مني، ولكن أجد في التوراة أنها تغرب في ماء وطين، فوافق  
 ذلك قراءة ابن عباس رضي الله عنه، ومعنى "حامية" حارة، ويحتمل أن يكون بمعنى "حمية"، ولكن سهلت همزته فيتفق  
 معنى القراءتين، وقد قيل: يمكن أن تكون فيها حمأة وتكون حارة لحرارة الشمس فتكون جامعة للموضعين،  
 ويجتمع معنى القراءتين. ﴿ قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ ﴾ استدل بهذا من قال إن ذا القرنين نبي؛ لأن هذا القول وحي،  
 ويحتمل أن يكون يالهام فلا يكون فيه دليل على نبوته. ﴿ إِنَّمَا أَنْ تُعَدَّبَ وَإِنَّمَا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ كانوا كافرا

قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ  
 آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ ۗ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾  
 حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾  
 كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السُّدَيْنِ وَجَدَ  
 مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَنْذَا الْقَرْنَيْنِ إِنْ يَا جُوجَ  
 وَمَا جُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سُدًّا  
 ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ

فخيره الله بين أن يعذبهم بالقتل أو يدعوهم إلى الإسلام فيحسن إليهم، وقيل: الحسن هنا هو الأسر، وجعله  
 حسنا بالنظر إلى القتل. ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ اختار أن يدعوهم إلى الإسلام؛ فمن تمادى على  
 الكفر قتله، ومن أسلم أحسن إليه، والظلم هنا الكفر، والعذاب القتل، وأراد بقوله ﴿عَذَابًا نُّكْرًا﴾ عذاب  
 الآخرة. ﴿فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ المراد بـ"الحسنى" الجنة أو الأعمال الحسنة. ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾  
 وعدهم بأن ييسر عليهم. ﴿وَجَدَهَا تَطَّلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾ هؤلاء القوم هم الزنج، وهم  
 أهل الهند ومن وراءهم، ومعنى "لم نجعل" الآية: أنهم ليس لهم بنيان إذ لا تحمل أرضهم البناء، وإنما يدخلون  
 من حر الشمس في أسراب تحت الأرض، وقال ابن عطية: الظاهر أنها عبارة عن قرب الشمس منهم، وقيل:  
 الستر اللباس، فكانوا على هذا لا يلبسون الثياب. ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: أمر ذي القرنين كذلك، أي: كما وصفناه  
 تعظيماً لأمره، وقيل: إن "كذلك" راجع لما قبله، أي: لم نجعل لهم سترا كما جعلنا لكم من المباني والثياب، وقيل:  
 المعنى وجد عندها قوماً كذلك أي: مثل القوم الذين وجدوا عند مغرب الشمس وفعل معهم مثل فعله. ﴿بَيْنَ  
 السُّدَيْنِ﴾ أي: بين الجبلين، وهما جبلان في طرف الأرض، وقرئ بالضم والفتح وهما بمعنى، وقيل: ما كان  
 من خلقة الله فهو مضموم، وما كان من فعل الناس فهو مفتوح. ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا﴾ قيل: هم الترك. ﴿لَّا  
 يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ عبارة عن بعد لسانهم عن ألسنة الناس فهم لا يفقهون القول إلا بالإشارة ونحوها.  
 ﴿يَا جُوجَ وَمَا جُوجَ﴾ قبيلتان من بني آدم في خلقهم تشويه منهم مفراط الطول ومفراط القصر. ﴿مُفْسِدُونَ فِي  
 الْأَرْضِ﴾ إفسادهم بالقتل والظلم وسائر وجوه الشر، وقيل: كانوا يأكلون بني آدم. ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ  
 أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سُدًّا﴾ هذا استفهام في ضمنه عرض ورغبة، والخرج الجباية، ويقال فيه خراج، وقد قرئ  
 بهما، فعرضوا عليه أن يجعلوا له أموالاً يقيم بها السد. ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ أي: ما بسط الله لي من

فَاعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿١٥﴾ - اتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ  
 الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنْفُخُوا ۗ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿١٦﴾ فَمَا  
 اسْتَطَعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿١٧﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۗ فَإِذَا جَاءَ  
 وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكًّا ۗ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿١٨﴾ ۖ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي  
 بَعْضٍ ۗ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ۗ فَمَمَعْنَهُمْ جَمْعًا ﴿١٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿٢٠﴾  
 الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿٢١﴾ أَفَحَسِبَ  
 الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۗ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِّلْكَافِرِينَ نَزْلًا ﴿٢٢﴾

الملك خير من خرجكم فلا حاجة لي به، ولكن أعينوني بقوة الأبدان وعمل الأيدي. ﴿رَدْمًا﴾ أي: حاجزا  
 حصينا، والردم أعظم من السد. ﴿سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ أي: بين الجبلين. ﴿قَالَ أَنْفُخُوا﴾ يريد نفخ الكير،  
 أي: أوقدوا النار على الحديد. ﴿قِطْرًا﴾ أي: نحاسا مذابا، وقيل: هو الرصاص، وروي: أنه حفر الأساس  
 حتى بلغ الماء ثم جعل البنيان من زبر الحديد حتى ملأ به ما بين الجبلين ثم أفرغ عليه النحاس المذاب. ﴿فَمَا  
 اسْتَطَعُوا أَن يَظْهَرُوهُ﴾ أصل "استطاعوا" حذفوا التاء تخفيفا، والضمير في "يظهروه" للسد، ومعنى  
 "يظهروه" يعلوه ويصعدوا على ظهره، فالمعنى: أن يأجوج ومأجوج لا يقدر أن يصعدوا على السد  
 لارتفاعه، ولا ينقبوه لقوته. ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ القائل ذو القرنين وأشار إلى الردم. ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ  
 رَبِّي﴾ يعني يوم القيامة ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ أي: مبسوطا مسوى بالأرض. ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي  
 بَعْضٍ﴾ الضمير في "تركنا" لله عز وجل، و"يومئذ" يحتمل أن يريد به يوم القيامة؛ لأنه قد تقدم ذكره،  
 فالضمير في قوله "بعضهم" على هذا لجميع الناس، أو يريد بقوله "يومئذ" يوم كمال السد، والضمير في قوله  
 "بعضهم" على هذا لياجوج ومأجوج؛ والأول أرجح لقوله بعد ذلك "ونفخ في الصور" فيتصل الكلام،  
 و"يموج" عبارة عن اختلاطهم واضطرابهم. ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ "الصور" هو القرن الذي ينفخ فيه يوم  
 القيامة حسبما جاء في الحديث: «ينفخ فيه إسرافيل نفختين إحداهما للصعق، والأخرى للقيام من القبور».  
 ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾ أي: أظهرناها. ﴿كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ﴾ عبارة عن عمي بصائرهم وقلوبهم، وكذلك  
 ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾. ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ يعني أنهم لا يكونون  
 لهم أولياء، كما حكي عنهم أنهم يقولون ﴿أَنْتَ وَلِيِّنَا مِن دُونِهِمْ﴾ والعباد هنا من عبد مع الله ممن لا يريد  
 ذلك كالملائكة وعيسى بن مريم. ﴿أَعْتَدْنَا﴾ أي: يسرنا. ﴿نَزْلًا﴾ ما يسر للضيف والقادم عند نزوله،

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٢٦﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٢٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٢٨﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُؤًا ﴿١٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٣٠﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٣١﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوجَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ ۖ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۖ أَحَدًا ﴿١٣٣﴾

والمعنى: أن جهنم لهم بدل النزل كما أن الجنة نزل في قوله ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾، ويحتمل أن يكون النزل موضع النزول. ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ الآية، نزلت في كفار العرب لقوله ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾، وقيل: في الرهبان لأنهم يتعبدون ويظنون أن عبادتهم تنفعهم، وهي لا تقبل منهم، وفي قوله ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ﴾ تجنيس الخط وهو الذي يسمى تجنيس التصحيف. ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ أي: ليس لهم أعمال توزن لأن أعمالهم قد حبطت. ﴿جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾ هي أعلى الجنة حسبا ورد في الحديث، ولفظ الفردوس أعجمي معرب. ﴿حِوَلًا﴾ أي تحولا وانتقالا. ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ الآية، إخبار عن اتساع علم الله تعالى، والكلمات هي المعاني القائمة بالنفس، وهي المعلومات، فمعنى الآية لو كتب علم الله بمداد البحر لنفذ البحر ولم ينفذ علم الله، وكذلك لو جيء ببحر آخر مثله، وذلك لأن البحر متناه وعلم الله غير متناه. ﴿بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ أي: زيادة، والمدد هو ما يمد به الشيء أي يكثر. ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ إن كان الرجاء هنا على بابه فالمعنى يرجو حسن لقاء ربه، وأن يلقاه لقاء رضا وقبول، وإن كان الرجاء بمعنى الخوف فالمعنى يخاف سوء لقاء ربه. ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ يحتمل أن يريد الشرك بالله وهو عبادة غيره، فيكون راجعا إلى قوله ﴿يُوجَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ﴾، أو يريد الرياء لأنه الشرك الأصغر؛ واللفظ يحتمل الوجهين، ولا يبعد أن يحمل على العموم في المعنيين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ  
 نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ  
 أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي  
 عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۗ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا  
 ﴿٦﴾ يَزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ  
 رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾

## سورة مريم عليها السلام

﴿ كهيعص ﴾ قد تكلمنا في البقرة على حروف الهجاء، وقيل في هذا: إن الكاف من كريم أو كبير أو كاف، والهاء من هادي، والياء من علي، والعين من عزيز أو عليم، والصاد من صادق، وكان علي بن أبي طالب عليه السلام يقول في دعائه: يا كهيعص! فيحتمل أن تكون الجملة عنده اسما من أسماء الله تعالى أو ينادي بالأسماء التي اقتطعت منها هذه الحروف. ﴿ ذكُر ﴾ تقديره: هذا ذكر. ﴿ عَبْدُهُ زَكَرِيَّا ﴾ وصفه بالعبودية تشريفا له، وإعلاما باختصاصه وتقريبه، ونصب "عبده" على أنه مفعول لـ "رحمة" فإنها مصدر أضيف إلى الفاعل، ونصب المفعول، وقيل: هو مفعول بفعل مضمر تقديره: رحم عبده، وعلى هذا يوقف على ما قبله. وهذا ضعيف، وفيه تكلف الإضمار من غير حاجة إليه، وقطع العامل عن العمل بعد تهيئته له. ﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ ﴾ يعني دعاه. ﴿ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ أخفاه، لأن الله يسمع الخفي كما يسمع الجهر، ولأن الإخفاء أقرب إلى الإخلاص وأبعد من الرياء، ولثلاثا يلومه الناس على طلب الولد. ﴿ وَهَنَ الْعَظْمُ ﴾ أي: ضعف. ﴿ وَاشْتَعَلَ ﴾ استعارة للشيب من اشتعال النار. ﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ أي: قد سعدت بدعائي لك فيما تقدم فاستجب لي في هذا، فتوسل إلى الله بإحسانه القديم إليه. ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ ﴾ يعني الأقارب، قيل: خاف أن يرثوه دون نسله، وقيل: خاف أن يضيعوا الدين من بعده. ﴿ مِنْ وَرَائِي ﴾ أي: من بعدي. ﴿ عَاقِرًا ﴾ أي: عقيما. ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴾ يعني وارثا يرثني، قيل: يعني وراثته المال، وقيل: وراثته العلم والنبوة؛ وهذا أرجح؛ لقوله ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» [فوائد قام: 1174]. وكذلك ﴿ وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ العلم والنبوة، وقيل: الملك، و"يعقوب" هنا هو يعقوب بن إسحاق على الأصح. ﴿ رَضِيًّا ﴾ أي: مرضيا، فهو فعيل بمعنى مفعول. ﴿ سَمِيًّا ﴾ يعني من سمي باسمه، وقيل: مثيلا ونظيرا؛ والأول أحسن هنا. ﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ ﴾ تعجب واستبعاد أن يكون له ولد مع شيخوخته وعقم امرأته، فسأل ذلك أولا لعلمه بقدرة الله عليه وتعجب منه؛ لأنه نادر في العادة، وقيل: سأله وهو في سن من يرجوه، وأجيب بعد ذلك بسنين وهو قد شاخ. ﴿ عَتِيًّا ﴾ قيل: يبس في الأعضاء والمفاصل،

قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿١﴾  
 قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿٢﴾ فَخَرَجَ  
 عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٣﴾ يَلْبِغِي حُدُ  
 الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ وَأَعْتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿٤﴾ وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿٥﴾  
 وَرَبًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿٦﴾ وَسَلَّمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ  
 يُبْعَثُ حَيًّا ﴿٧﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿٨﴾ فَاتَّخَذَتْ  
 مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿٩﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ  
 بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٠﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١١﴾

وقيل: مبالغة في الكبر. ﴿ كَذَلِكَ ﴾ الكاف في موضع رفع أي: الأمر كذلك تصديقاله فيما ذكر من كبره  
 وعقم امرأته، وعلى هذا يوقف على قوله "كذلك" ثم يبدأ ﴿ قَالَ رَبُّكَ ﴾، وقيل: إن الكاف في موضع نصب  
 بـ"قال"؛ وذلك إشارة إلى مبهم يفسره ﴿ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾. ﴿ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾ أي: علامة على حمل امرأته.  
 ﴿ سَوِيًّا ﴾ أي: سليما غير أخرس، وانتصابه على الحال من الضمير في "تكلم"، والمعنى أنه لا يكلم الناس مع  
 أنه سليم من الخرس، وقيل: إن "سويا" يرجع إلى الـ"ليالي" أي: مستويات. ﴿ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ ﴾ أي: أشار،  
 وقيل: كتبه في التراب إذ كان لا يقدر على الكلام. ﴿ أَنْ سَبِّحُوا ﴾ قيل: معناه صلوا، والسبحة في اللغة  
 الصلاة، وقيل: قولوا: سبحان الله. ﴿ يَا يَحْيَى ﴾ التقدير: قال الله ليحيى بعد ولادته "يا يحيى" ﴿ خُذِ الْكِتَابَ ﴾  
 يعني التوراة. ﴿ بِقُوَّةٍ ﴾ أي: في العلم به والعمل به. ﴿ وَأَعْتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ قيل: "الحكم" معرفة الأحكام،  
 وقيل: الحكمة، وقيل: النبوة. ﴿ وَحَنَانًا ﴾ قيل: معناه رحمة، وقال ابن عباس: لا أدري ما الحنان.  
 ﴿ وَزَكَاةً ﴾ أي: طهارة، وقيل: ثناء كما يركى الشاهد. ﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ ﴾ خطاب لمحمد ﷺ،  
 و"الكتاب" القرآن. ﴿ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ أي: اعتزلت منهم، وانفردت. ﴿ مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ أي: إلى جهة  
 الشرق، ولذلك يصلي النصارى إلى المشرق. ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ يعني جبريل، وقيل: عيسى؛ والأول  
 هو الصحيح؛ لأن جبريل هو الذي تمثل لها باتفاق. ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾ لما رأت  
 الملك الذي تمثل لها في صورة البشر قد دخل عليها، خافت أن يكون من بني آدم فقالت له هذا الكلام، ومعناه:  
 إن كنت ممن يتقي الله فابعد عني فإني أعوذ بالله منك، وقيل: إن "تقيا" اسم رجل معروف بالشر عندهم؛ وهذا  
 ضعيف بعيد. ﴿ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ الغلام الزكي هو عيسى عليه السلام، وقرئ "ليهب" بالياء،

قَالَتْ أَنِّي يَكُونُ لِي غَلَمٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٌ وَلَنَجْعَلَنَّهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ \* فَحَمَلَتْهُ فَأَنْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلِيَّتَنِي مِثُّ قَبْلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَيْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تَسْقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكَلِمِي وَأَشْرِبِي وَقَرِّي عَيْنًا فِيمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا

والفاعل فيه ضمير الرب سبحانه، وقرئ بهمزة التكلم وهو جبريل، وإنما نسب الهبة إلى نفسه؛ لأنه هو الذي أرسله الله بها، أو يكون قال ذلك حكاية عن الله تعالى. ﴿وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا﴾ البغي هي المرأة المجاهرة بالزنا، ووزن بغي فعول. ﴿وَلَنَجْعَلَنَّهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ الضمير للولد، واللام تتعلق بمحذوف تقديره: لنجعله آية فعلنا ذلك. ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ يعني في بطنها، وكانت مدة حملها ثمانية أشهر، وقال ابن عباس ؓ: حملته وولده من ساعته. ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ أي: بعيدا، وإنما بعدت حياء من قومها أن يظنوا بها الشر. ﴿فَأَجَاءَهَا﴾ معناه ألبأها، وهو منقول من جاء بهمزة التعدي. ﴿الْمَخَاضُ﴾ أي: النفاس. ﴿إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ روي: أنها احتضنت الجذع لشدة وجع النفاس. ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِثُّ قَبْلِ هَذَا﴾ إنما تمنى الموت خوفا من إنكار قومها وظنهم بها الشر، ووقوعهم في ذمها، وتمنى الموت جائز في مثل هذا، وليس هذا من تمنى الموت لضر نزل بالبدن فإنه منهي عنه. ﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا﴾ النسي: الشيء الحقير الذي لا يؤبه به، ويقال بفتح النون وبكسرها. ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ قرئ "من" بفتح الميم وكسرها، وقد اختلف على كلتا القراءتين هل هو جبريل أو عيسى؟ وعلى أنه جبريل؛ قيل: إنه كان تحتها كالقابلة، وقيل: كان في مكان أسفل من مكانها. ﴿أَلَا تَحْزَنِي﴾ تفسير للنداء ف"أن" مفسرة. ﴿سَرِيًّا﴾ يعني جدولا، وهو ساقية من ماء كان قريبا من جذع النخلة، وروي أن النبي ﷺ فسره بذلك [المعجم الصغير: 685]، وقيل: يعني عيسى: فإن السري الرجل الكريم. ﴿وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ كان جذعا يابساً فخلق الله فيه الرطب كرامة لها وتأنيسا، وقد استدل بعض الناس بهذه الآية أن الإنسان ينبغي له أن يتسبب في طلب الرزق؛ لأن الله أمر مريم بهز النخلة، والباء في "بجذع" زائدة كقوله ﴿لَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾. ﴿تَسْقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾ الفاعل ب"تساقط" النخلة، وقرئ بالياء، والفاعل على ذلك الجذع، و"رطبا" تمييز، والجني معناه: الذي طاب وصلاح لأن يجتنى. ﴿فَكَلِمِي وَأَشْرِبِي﴾ أي: كلي من الرطب واشربي من ماء الجدول، وهو السري. ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ أي: طيبي نفسا بما جعل الله لك من ولادة نبي كريم، أو من تيسير المأكول والمشروب. ﴿فِيمَا تَرَيْنَ﴾ هي إن الشرطية دخلت عليها ما الزائدة للتأكيد،

فَقَوْلِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿١٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ، قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ  
 قَالُوا يَلْمَرِيْمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿١٧﴾ يَا أُخْتُ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ  
 أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿١٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۗ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهَدِ صَبِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَ إِنِّي  
 عَبْدُ اللَّهِ ءِابَتِي الْأَيْمَنُ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٢٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبْرَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي  
 بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٢١﴾ وَبِرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٢٢﴾ وَالسَّلَامُ  
 عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ

و"ترين" فعل خوطبت به المرأة، ودخلت عليه النون الثقيلة للتأكيد. ﴿نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ أي: صمتا  
 عن الكلام، وقيل: تعني الصيام لأن من شرطه في شريعتهم الصمت، وإنما أمرت بالصمت صيانة لها عن  
 الكلام مع المتهمين لها، ولأن عيسى تكلم عنها، فأخبارها بأنها نذرت الصمت بهذا الكلام، وقيل: بالإشارة،  
 ولا يجوز في شريعتنا نذر الصمت. ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا﴾ لما رأت الآيات علمت أن الله سيبين عذرها، فجاءت  
 به من المكان القصي إلى قومها. ﴿شَيْئًا فَرِيًّا﴾ أي: شنيعا، وهو من الفرية. ﴿يَا أُخْتُ هَارُونَ﴾ كان هارون  
 عابدا في بني إسرائيل شبهت به مريم في كثرة العبادة، فقليل لها أخته بمعنى أنها تشبهه، وقيل: كان أباها  
 من أبيها وكان رجلا صالحا، وقيل: هو هارون النبي أخو موسى، وكانت من ذريته، ف"أخت" على هذا  
 كقولك: أخو بني فلان أي: واحد منهم، ولا يتصور على هذا القول أن تكون أخته من النسب حقيقة، فإن  
 بين زمانها دهرا طويلا. ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى ولدها ليتكلم وصمتت هي كما أمرت. ﴿كَانَ فِي الْأَمْهَدِ﴾  
 "كان" بمعنى يكون، و"المهد" هو المعروف، وقيل: "المهد" هنا حجرها. ﴿ءَاتَانِي الْكِتَابَ﴾ يعني الإنجيل  
 أو التوراة والإنجيل. ﴿مُبْرَكًا﴾ من البركة، وقيل: نفاع، وقيل: معلم للخير؛ واللفظ أعم من ذلك.  
 ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ هما المشروعتان، وقيل: "الصلاة" هنا الدعاء، و"الزكاة" التطهير من العيوب.  
 ﴿وَبِرًّا﴾ معطوف على "مباركا"، روي: أن عيسى تكلم بهذا الكلام وهو في المهد ثم عاد إلى حالة الأطفال  
 على عادة البشر، وفي كلامه هذا رد على النصارى لأنه اعترف أنه عبد الله، ورد على اليهود لقوله "وجعلني  
 نبيا". ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ﴾ أدخل لام التعريف هنا لتقدم السلام المنكر في قصة يحيى فهو كقولك: رأيت رجلا  
 فأكرمت الرجل، وقال الزمخشري: الصحيح أن هذا التعريف تعريض بلعنة من اتهم مريم كأنه قال:  
 السلام كله علي لا عليكم بل عليكم ضده. ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾ بالرفع خبر مبتدأ تقديره: هذا قول الحق أو بدل  
 أو خبر بعد خبر، وبالنصب منصوب على المدح بفعل مضمرة أو على المصدرية من معنى الكلام المتقدم.



الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٧﴾ وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿١٨﴾ فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٩﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٠﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٢٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٢٥﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٢٦﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٢٧﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ -الِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٢٨﴾

﴿ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ أي: يختلفون فهو من المراء، أو يشكون فهو من المرية، والضمير لليهود والنصارى. ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي ﴾ من كلام عيسى، وقرئ بفتح الهمزة تقديره: ولأن الله ربي وربكم فاعبدوه، وبكسرهما لابتداء الكلام، وقيل: هو من كلام النبي ﷺ، والمعنى: يا محمد! قل لهم: ذلك عيسى ابن مريم وأن الله ربي وربكم؛ والأول أظهر. ﴿ فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ ﴾ هذا ابتداء إخبار، و"الأحزاب" اليهود والنصارى لأنهم اختلفوا في أمر عيسى اختلافا شديدا؛ فكذبه اليهود وعبدته النصارى؛ والحق خلاف أقوالهم كلها. ﴿ مِنْ بَيْنِهِمْ ﴾ معناه من تلقائهم ومن أنفسهم، وأن الاختلاف لم يخرج عنهم. ﴿ مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ يعني يوم القيامة. ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾ أي: ما أسمعهم وما أبصرهم يوم القيامة على أنهم في الدنيا في ضلال مبين. ﴿ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ هو يوم يؤتى بالموت في صورة كبش فيذبح ثم يقال: يا أهل الجنة خلود لا موت، ويا أهل النار خلود لا موت، وقيل: هو يوم القيامة، وانتصاب "يوم" على المفعولية لا على الظرفية. ﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ﴾ يعني في الدنيا، فهو متعلق بقوله في "ضلال مبين" أو ب"أنذرهم". ﴿ صِدِّيقًا ﴾ بناء مبالغة من الصدق أو من التصديق، ووصفه بأنه صديق قبل الوحي نبي بعده، ويحتمل أن جمع الوصفين. ﴿ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾ أي: قويا. ﴿ لِأَرْجُمَنَّكَ ﴾ قيل: يعني الرجم بالحجارة، وقيل: الشتم. ﴿ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ أي: حينما طويلا، وعطف "اهجرني" على محذوف تقديره: احذر رجمي لك.

قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿١٧﴾ وَأَعْتَرْتُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ  
 مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا  
 يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُمْ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿١٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ  
 رَحْمَتَنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٢٠﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا  
 وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٢١﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٢٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ  
 مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٢٣﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ  
 وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٢٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٢٥﴾  
 وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٢٦﴾

﴿قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ﴾ هو وداع مفارقة، وقيل: مسالمة، لا تحية؛ لأن ابتداء الكافر بالسلام لا يجوز.  
 ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ﴾ وعد وهو الذي أشير إليه بقوله ﴿عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ قال ابن عطية: معناه سأدعو الله  
 أن يهديك فيغفر لك بيايانك، وذلك لأن الاستغفار للكافر لا يجوز، وقيل: وعده أن يستغفر له مع كفره،  
 ولعله كان لم يعلم أن الله لا يغفر للكفار حتى أعلمه الله بذلك، ويقوي هذا القول قوله ﴿وَأَعْفِرُ لَأبي إِنَّهُ كَانَ  
 مِنَ الضَّالِّينَ﴾ ومثل هذا قول النبي ﷺ لأبي طالب: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» [البخاري: 1294]. ﴿حَفِيًّا﴾  
 أي: بارًا متلطفًا. ﴿وَأَعْتَرْتُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ أي: ما تعبدون. ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ هما ابنه وابن ابنه، وهبهما الله  
 عوضًا من أبيه وقومه الذين اعتزلهم. ﴿مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ النبوة، وقيل: المال والولد، واللفظ أعم من ذلك. ﴿لِسَانَ  
 صِدْقٍ﴾ يعني الشاء الباقي عليهم إلى آخر الدهر. ﴿مُخْلَصًا﴾ بكسر اللام أي: أخلص نفسه وأعماله لله، وبفتحها  
 أي: أخلصه الله للنبوة والتقريب. ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ النبي أعم من الرسول؛ لأن النبي كل من أوحى الله  
 إليه، ولا يكون رسولًا حتى يرسله الله إلى الناس مع النبوة، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولًا.  
 ﴿وَنَادَيْنَاهُ﴾ هو تكليم الله له. ﴿الطُّورِ﴾ وهو الجبل المشهور بالشام. ﴿الْأَيْمَنِ﴾ صفة للجانب، وكان على  
 يمين موسى حين وقف عليه، ويحتمل أن يكون من اليمن. ﴿نَجِيًّا﴾ النجى فعيل؛ وهو المنفرد بالمناجاة،  
 وقيل: هو من النجاة؛ والأول أصح. ﴿مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ "من" سببية أو للتبعيض، و﴿أَخَاهُ﴾ على الأول مفعول،  
 وعلى الثاني بدل. ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ روي: أنه وعد رجلًا إلى مكان فانتظره فيه سنة، وقيل: الإشارة إلى  
 صدق وعده في قصة الذبح في قوله ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾، وهذا على قول من قال إن الذبح  
 هو إسماعيل. ﴿إِدْرِيسَ﴾ هو أول نبي بعث إلى أهل الأرض بعد آدم، وهو أول من خط بالقلم، ونظر في علم

وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ  
 حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ  
 آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ \* فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ  
 وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ  
 يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ  
 إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَاتِيًّا ﴿٦١﴾ لَا يُسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً  
 وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ

النجوم، وخاط الثياب، وهو من أجداد نوح عليه السلام. ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ قال ابن عباس ؓ: رفعه الله إلى السماء وهناك مات، وفي حديث الإسراء: «وإنه في السماء الرابعة» [البخاري: 3035]، وقيل: يعني رفعة النبوة وتشريف منزلته؛ والأول أشهر ويرجح الحديث. ﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى كل من ذكر في هذه السورة من زكرياء إلى إدريس. ﴿مِّنَ النَّبِيِّينَ﴾ "من" هنا للبيان، والتي بعدها للتبويض. ﴿مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ﴾ يعني نوحا وإدريس. ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا﴾ يعني إبراهيم. ﴿وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ يعني إسماعيل وإسحاق ويعقوب. ﴿وَإِسْرَائِيلَ﴾ يعني أن من ذريته موسى وهارون ومريم وعيسى وزكرياء ويحيى. ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ يحتمل العطف على "من" الأولى أو الثانية. ﴿بُكِيًّا﴾ جمع باك، ووزنه فعول. ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ يقال في عقب الخير: خلف بفتح اللام، وفي عقب الشر: خلف بالسكون، وهو المعنى هنا، واختلف فيمن المراد بذلك؟ فقيل: النصارى لأنهم خلفوا اليهود، وقيل: كل من كفر وعصى بعد بني إسرائيل. ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ قيل: تركوها، وقيل: أخرجوها عن أوقاتها. ﴿يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ الغي الخسران، وقد يكون بمعنى الضلال، فيكون على حذف مضاف تقديره: يلقون جزاء غي. ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ استثناء يحتمل الاتصال والانقطاع. ﴿بِالْغَيْبِ﴾ أي: أخبرهم من ذلك بما غاب عنهم. ﴿مَاتِيًّا﴾ وزنه مفعول، فقيل: إنه بمعنى فاعل؛ لأن الوعد هو الذي يأتي، وقيل: إنه على بابه؛ لأن الوعد هو الجنة وهم يأتونها. ﴿لَغْوًا﴾ يعني ساقط الكلام. ﴿إِلَّا سَلَامًا﴾ استثناء منقطع. ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ قيل: المعنى أن زمانهم يقدر بالأيام والليالي، إذ ليس في الجنة نهار ولا ليل، وقيل: المعنى أن الرزق يأتيهم في كل حين يحتاجون إليه، وعبر عن ذلك بالبكرة والعشي على عادة الناس في أكلهم. ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ حكاية قول جبريل حين غاب عن النبي ﷺ فقال له: «أبطأت عني واشتقت إليك، فقال إني كنت أشوق، ولكنني عبد مأمور إذا بعثت نزلت، وإذا حبست احتبست» [ابن أبي حاتم: 14232]،

لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿١٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿١٥﴾ وَيَقُولُ  
الْإِنْسَانُ أَذَا مَا مِثٌ لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا ﴿١٦﴾ أَوْلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ  
وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿١٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا  
﴿١٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُتِيًّا ﴿١٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ  
بِالَّذِينَ هُمْ وَأُولَىٰ بِهَا صُلِيًّا ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا

ونزلت هذه الآية. ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي: له ما قدامنا وما خلفنا، وما نحن فيه من الجهات والأماكن، فليس لنا الانتقال من مكان إلى مكان إلا بأمر الله، وقيل: "ما بين أيدينا" الدنيا إلى النفخة الأولى في الصور، "وما خلفنا" الآخرة، "وما بين ذلك" ما بين النفختين، وقيل: ما مضى من أعمارنا وما بقي منها والحال التي نحن فيها؛ والأول أكثر مناسبة لسبب الآية. ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ هو فاعيل من النسيان بمعنى الذهول، وقيل: بمعنى الترك؛ والأول أظهر. ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ أي: مثيلا ونظيرا، فهو من المسامي والمضاهي، وقيل: من يتسمى باسمه لأنه لم يتسم بالله غيره تعالى. ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِثٌ لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا﴾ هذه حكاية قول من أنكر البعث من القبور، و"الإنسان" هنا جنس يراد به الكفار، وقيل: إن القائل بذلك أبي بن خلف، وقيل: أمية بن خلف، والهمزة التي دخلت على "أإذا ما مت" للإنكار والاستبعاد، واللام في قوله "لسوف" سيقت على الحكاية لقول من قال بهذا المعنى، والإخراج يراد به البعث. ﴿أَوْلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ﴾ احتجاج على صحة البعث، ورد على من أنكراه؛ لأن النشأة الأولى دليل على الثانية. ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾ يعني قرناءهم من الشياطين الذين أضلواهم، والواو للعطف أو بمعنى مع؛ فيكون "الشياطين" مفعولا معه. ﴿جِثِيًّا﴾ جمع جاث، ووزنه فعول من قولك: جثا الرجل؛ إذا جلس جلسة الذليل الخائف. ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾ الشيعة الطائفة من الناس التي تتفق على مذهب أو اتباع إنسان، ومعنى الآية: أن الله ينزع من كل طائفة أعتاها فيقدمه إلى النار، وقال بعضهم: المعنى نبأ بالأكبر جرما فالأكبر جرما. ﴿أَيُّهُمْ﴾ اختلف في إعرابه؟ فقال سيبويه: هو مبني على الضم لأنه حذف العائد عليه من الصلة، وكأن التقدير: أيهم هو أشد، فوجب البناء، وقال الخليل: هو مرفوع على الحكاية تقديره: الذي يقال له أشد، وقال يونس: علق عنها الفعل وارتفعت بالابتداء. ﴿أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيًّا﴾ الصلي: مصدر صلي النار، ومعنى الآية: أن الله يعلم من هو أولى بأن يصلى العذاب. ﴿وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ خطاب لجميع الناس عند الجمهور: فأما المؤمنون فيدخلونها ولكنها تحمد فلا تضرهم،

كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جُثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِيًّا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَن هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾

فالورود على هذا بمعنى الدخول كقوله ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ و﴿أُورِدَهُمُ النَّارَ﴾، وقيل: الورود بمعنى القدوم عليها كقوله ﴿وَرَدَّ مَاءَ مَدْيَنَ﴾، والمراد بذلك جواز الصراط، وقيل: الخطاب للكفار فلا إشكال. ﴿حَتْمًا﴾ أي: أمر لا بد منه. ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ إن كان الورود بمعنى الدخول، فنجاة الذين اتقوا بكون النار عليهم يراد وسلاما ثم بالخروج منها، وإن كان بمعنى المرور على الصراط، فنجاتهم بالجواز والسلامة من الوقوع فيها. ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ الفريقان هم المؤمنون والكفار، والمقام اسم مكان من قام، وقرئ بالضم من أقام، والندي: المجلس، ومعنى الآية: أن الكفار قالوا للمؤمنين نحن خير منكم مقاما أي: أحسن حالا في الدنيا وأجمل مجلسا، فنحن أكرم على الله منكم. ﴿وَكََمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ﴾ "كم" مفعول بـ"اهلكتنا"، ومعنى الآية: رد على الكفار في قولهم المذكور، أي: ليس حسن الحال في الدنيا دليلا على الكرامة عند الله؛ لأن الله قد أهلك من كان أحسن حالا منكم في الدنيا. ﴿هُمُ أَحْسَنُ﴾ قال الزمخشري: هذه الجملة في موضع نصب صفة لـ"كم". ﴿أَثْنًا﴾ أي: متاع البيت، وقال ابن عطية: هو اسم عام في المال: العين والعروض والحيوان، وهو اسم جمع، وقيل: هو جمع واحده أثناء. ﴿وَرِيًّا﴾ بهمزة ساكنة قبل الياء، معناه: منظر حسن، وهو من الرؤية، والرئي اسم المرئي، وقرئ بتشديد الياء من غير همز وهو تخفيف من الهمز، فالمعنى متفق، وقيل: هو من ري الشارب، أي: التنعم بالشارب والمآكل، وقرأ ابن عباس ؑ: "زيا" بالزاي. ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ أي: يمهله ويملي له، واختلف هل هذا الفعل دعاء أو خبر سيق بلفظ الأمر تأكيدا؟. ﴿حَتَّىٰ﴾ هنا غاية للمد في الإضلال. ﴿إِمَّا الْعَذَابَ﴾ يعني عذاب الدنيا. ﴿شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ في مقابلة قولهم "خير مقاما وأحسن نديا". ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ ذكر في الكهف. ﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ أي: مرجعا وعاقبة. ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ هو العاصي بن وائل. ﴿وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ كان قد قال: لئن بعثت كما يزعم محمد

أَطَّلَعَ الْغَيْبِ أَمٍرٍ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٦﴾ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ  
 مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٧﴾ وَتَرَاهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٧٨﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ  
 ءَالِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٧٩﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٠﴾  
 أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكٰفِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا ﴿٨١﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا  
 نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٢﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٣﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى  
 جَهَنَّمَ وَرِدًّا ﴿٨٤﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٥﴾ وَقَالُوا  
 اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٦﴾

ليكونن لي هناك مال وولد. ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبِ﴾ الهمزة للإنكار، والرد على العاصي في قوله. ﴿كَلَّا﴾ ردع له  
 عن كلامه. ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ إنها جعله مستقبلاً؛ لأنه إنما يظهر الجزاء والعقاب في المستقبل. ﴿وَنَمُدُّ  
 لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ أي: نزيد له فيه. ﴿وَتَرَاهُ مَا يَقُولُ﴾ أي: نرث الأشياء التي قال إنه يؤتاها في الآخرة  
 وهي المال والولد، ووراثتها هي بأن يهلك العاصي ويتركها، وقد أسلم ولداه هشام وعمرو. ﴿وَيَأْتِينَا  
 فَرْدًا﴾ أي: بلا مال، ولا ولد، ولا ولي، ولا نصير. ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ قيل: إن الضمير في "يكفرون"  
 للكفار، وفي "عبادتهم" للمعبودين، فالمعنى كقولهم ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ وقيل: إن الضمير في "يكفرون"  
 للمعبودين، وفي "عبادتهم" للكفار، فالمعنى كقولهم ﴿مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾. ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾  
 معناه: يكون لهم خلاف ما أملوه منهم، فيصير العز الذي أملوه ذلة، وقيل: معناه أعداء. ﴿أَرْسَلْنَا  
 الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكٰفِرِينَ﴾ تضمن معنى سلطنا ولذلك تعدى بـ"على". ﴿تَؤْزُهُمْ أَزًّا﴾ أي: تزعجهم إلى  
 الكفر والمعاصي. ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا تستبطن عذابهم وتطلب تعجيله. ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾  
 أي: نعد مدة بقائهم في الدنيا، وقيل: نعد أنفاسهم. ﴿وَفْدًا﴾ قيل: معناه ركبانا، ومعنى الوفد لغة:  
 القادمون، وعادتهم الركوب، فلذلك قيل ذلك، وقيل: مكرمون، لأن العادة إكرام الوفود. ﴿وَرِدًّا﴾  
 معناه عطاشا، لأن من يرد الماء لا يرده إلا لعطش. ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ﴾ الضمير يحتمل أن يكون  
 للكفار، والمعنى لا يملكون أن يشفع لهم، ويكون ﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ﴾ استثناء منقطعاً بمعنى لكن، أو يكون  
 الضمير للمتقين فالاستثناء متصل، والمعنى لا يملكون أن يشفَعُوا إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عَهْدًا أو لا يملكون أن  
 يشفع منهم إلا من اتخذ عهداً، أو يكون الضمير للفريقين؛ إذ قد ذكروا قبل ذلك، فالاستثناء أيضاً  
 متصل، و"من اتخذ" يحتمل أن يراد به الشافع أو المشفوع له. ﴿عَهْدًا﴾ يريد به الإيثار والأعمال الصالحة،  
 ويحتمل أن يريد به الإذن في الشفاعة؛ وهذا أرجح لقوله ﴿لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾،

لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨١﴾ يَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ  
هَدًّا ﴿٨٢﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٨٣﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٨٤﴾ إِنْ  
كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٨٥﴾ لَقَدْ أَحْصَيْتُمْ  
وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٨٦﴾ وَكُلُّهُمْ وَّاءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٨٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٨٨﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ  
الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿٨٩﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ يُحِسُّ مِنْهُمْ  
مَنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرًا ﴿٩٠﴾

والظاهر أن ذلك إشارة إلى شفاعة محمد ﷺ في الموقف حين ينفرد بها، ويقول غيره من الأنبياء: نفسي  
نفسى. ﴿شَيْئًا إِذَا﴾ أي: شنيعا صعبا. ﴿يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ أي: يتشققن من قول الكفار "اتخذ الله ولدا".  
﴿هَدًّا﴾ أي: انهداما. ﴿أَنْ دَعَوْا﴾ أي: من أجل أن دعوا. ﴿لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ وقرئ "ولدا" بضم الواو  
وإسكان اللام وهي لغة. ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ رد على مقالة الكفار، والمعنى: أن الكل  
عبيده فكيف يكون أحد منهم ولدا له؟ و"إن" نافية، و"كل" مبتدأ، وخبره ﴿ءَاتَى الرَّحْمَنِ﴾. ﴿سَيَجْعَلُ  
لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ هي المحبة والقبول الذي يجعله الله في القلوب لمن شاء من عباده، وقيل: إنها نزلت في  
علي بن أبي طالب ؑ. ﴿يَسَّرْنَاهُ﴾ الضمير للقرآن، و﴿بِلِسَانِكَ﴾ أي: بلغتك. ﴿قَوْمًا لُدًّا﴾ جمع لُد؛ وهو  
الشديد الخصومة والمجادلة، والمراد بذلك قريش، وقيل: معناه فجارا. ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرًا﴾ هو الصوت  
الخفي، والمعنى أنهم لم يبق منهم أثر، وفي ذلك تهديد لقريش.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكْرَةً لِمَنْ  
 تَخْشَى ﴿٣﴾ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ  
 اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ  
 تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾  
 وَهَلْ آتَيْكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي  
 آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى الْبَنَارِ هُدًى ﴿١٠﴾

## سورة طه

قيل في ﴿طه﴾ إنه اسم من أسماء النبي ﷺ، وقيل: معناه يا رجل، وانظر الكلام على حروف الهجاء في أول البقرة. ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ قيل: إن النبي ﷺ قام في الصلاة حتى تورمت قدماه، فنزلت الآية تخفيفاً عنه [الدر المنثور: 5/549]، فالشقاء على هذا إفراط التعب في العبادة، وقيل: المراد به التأسف على كفر الكفار؛ واللفظ أعم من ذلك كله، والمعنى: أنه نفى عنه جميع أنواع الشقاء في الدنيا والآخرة؛ لأنه أنزل عليه القرآن الذي هو سبب السعادة. ﴿إِلَّا تَذَكْرَةً﴾ نصب على الاستثناء المنقطع، وأجاز ابن عطية أن يكون بدلا من موضع "لتشقى"؛ إذ هو في موضع مفعول من أجله، ومنع ذلك الزمخشري لاختلاف الجنس، ويصح أن ينتصب بفعل مضمرة تقديره: أنزلناه تذكرة. ﴿تَنْزِيلًا﴾ نصب على المصدرية، والعامل فيه مضمرة أو "ما أنزلنا"، وبدأ السورة بلفظ المتكلم في قوله "ما أنزلنا"، ثم رجع إلى الغيبة في قوله ﴿تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ﴾ الآية؛ وذلك هو الالتفات. ﴿وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ جمع عليا. ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ تكلمنا عليه في الأعراف. ﴿الثَّرَى﴾ هو في اللغة التراب الندي، والمراد به هنا الأرض. ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ﴾ مطابقة هذا الشرط بجوابه، كأنه يقول: إن جهرت أو أخفيت فإنه يعلم ذلك؛ لأنه يعلم السر وأخفى. ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ السر الكلام الخفي، والأخفى ما في النفس، وقيل: السر ما في نفوس البشر، والأخفى ما انفرد الله بعلمه. ﴿الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ تكلمنا عليها في الأعراف. ﴿وَهَلْ آتَاكَ﴾ لفظه استفهام والمراد به التنبيه. ﴿إِذْ رَأَى نَارًا﴾ العامل في "إذ" "حديث" لأن فيه معنى الفعل، وكان من قصة موسى أنه رحل بأهله من مدين يريد مصر، فسار بالليل واحتاج إلى نار ففدحه بزنده فلم ينقدح، فرأى نارا فقصدها إليها فناده الله وأرسله إلى فرعون. ﴿آنَسْتُ نَارًا﴾ أي: رأيت. ﴿بِقَبَسٍ﴾ هو الجذوة من النار تكون على رأس العود أو القصبه ونحوها. ﴿أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ يعني هدى إلى الطريق من دليل أو غيره.



فَلَمَّا أَتَتْهَا نُودِيَ يَمُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا آخَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسَىٰ ﴿١٧﴾

﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ قيل: إنما أمر بخلع نعليه؛ لأنها كانتا من جلد حمار ميت فأمر بخلع النجاسة، واختار ابن عطية أن يكون أمر بخلعها؛ ليتأدب، ويعظم البقعة المباركة، ويتواضع في مقام مناجاة الله؛ وهذا أحسن. ﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ أي: المطهر. ﴿طُوًى﴾ في معناه قولان؛ أحدهما: أنه اسم للوادي، وإعرابه على هذا بدل، ويجوز تنوينه على أنه مكان وترك صرفه على أنه بقعة، والثاني: أن معناه مرتين، وإعرابه على هذا مصدر؛ أي: قدس الوادي مرة بعد مرة أو نودي موسى مرة بعد مرة. ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ قيل: المعنى لتذكرني فيها، وقيل: لأذكرك بها، فالمصدر على الأول مضاف للمفعول، وعلى الثاني مضاف للفاعل، وقيل: معنى "لذكرني" عند ذكرني كقوله ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِلدُّلُوكِ الشَّمْسِيِّ﴾ أي: عند دلوك الشمس؛ وهذا أرجح لأن النبي ﷺ استدل بالآية على وجوب الصلاة على الناسي إذا ذكرها [البخاري: 572]. ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ اضطرب الناس في معناه؛ فقيل: "أخفيها" بمعنى أظهرها، وأخفيت على هذا من الأضداد، قال ابن عطية: هذا قول مختل، وذلك أن المعروف في اللغة أن يقال: أخفى بالألف من الإخفاء، وخفي بغير ألف بمعنى أظهر، فلو كان بمعنى الظهور لقال: أخفيها بفتح همزة المضارع، وقد قرئ بذلك في الشاذ، وقال الزمخشري: قد جاء في بعض اللغات أخفي بمعنى خفي؛ أي: أظهر، فلا يكون هذا القول مختلا على هذه اللغة، وقيل: أكاد بمعنى أريد، فالمعنى أريد إخفاءها، وقيل: المعنى "إن الساعة آتية أكاد"، وتم هنا الكلام بمعنى أكاد أنفذها لقبورها، ثم استأنف الإخبار فقال: "أخفيها"، وقيل: المعنى أكاد أخفيها عن نفسي فكيف عنكم؛ وهذه الأقوال ضعيفة، وإنما الصحيح أن المعنى أن الله أبهم وقت الساعة فلم يطلع عليه أحد حتى أنه كاد أن يخفي وقوعها لإبهام وقتها، ولكنه لم يخفيها إذ أخبر بوقوعها، فالإخفاء على معناه المعروف في اللغة، وكاد على معناها من مقاربة الشيء دون وقوعه؛ وهذا المعنى هو اختيار المحققين. ﴿لِتُجْزَىٰ﴾ يتعلق بـ"آتية". ﴿بِمَا تَسْعَىٰ﴾ أي: بما تعمل. ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا﴾ الضمير للساعة، أي: لا يصدك عن الإيمان بها والاستعداد لها، وقيل: الضمير للصلاة؛ وهو بعيد. والخطاب لموسى عليه السلام، وقيل: لمحمد ﷺ؛ وذلك بعيد. ﴿فَتَرْدَىٰ﴾ معناه تهلك، والردى هو الهلاك، وهذا الفعل منصوب في جواب "لا يصدك". ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ إنما سأله

قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيَّهَا وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَقَارِبُ أُخْرَى ﴿١٥﴾  
 قَالَ أَلْقِهَا يَمُوسَى ﴿١٦﴾ فَالْقِنهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿١٧﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ  
 سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿١٨﴾ وَأَضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ  
 آيَةً أُخْرَى ﴿١٩﴾ لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٠﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢١﴾ قَالَ  
 رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٢﴾ وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٣﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي ﴿٢٤﴾ يَفْقَهُوا  
 قَوْلِي ﴿٢٥﴾ وَاجْعَل لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٦﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٢٧﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٢٨﴾  
 وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٢٩﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٠﴾ وَنَذُكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣١﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا  
 ﴿٣٢﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٤﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا  
 إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى ﴿٣٥﴾ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَآقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ

ليريه عظيم ما يفعله في العصا من قلبها حية، فمعنى السؤال تقرير على أنها عصا، ليتبين له الفرق بين حالها قبل أن يقلبها وبعد أن يقلبها، وقيل: إنها سأله ليؤنسه ويسطه بالكلام. ﴿وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾ معناه: أضرب بها الشجر ليتثر الورق للغنم. ﴿مَقَارِبُ﴾ أي: حوائج. ﴿حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ أي: تمشي. ﴿سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ يعني أنها لما أخذها عادت عصا كما كانت أول مرة، وانتصب "سيرتها" على أنه ظرف، أو مفعول بإسقاط حرف الجر. ﴿وَأَضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ الجناح هنا الجنب، أي: تحت الإبط؛ وهو استعارة من جناح الطائر. ﴿تَخْرُجُ بَيْضَاءَ﴾ روي: أن يده خرجت وهي بيضاء تضيء كالشمس. ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ يريد من غير برص ولا عاهة. ﴿لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ يحتمل أن تكون "الكبرى" مفعول "لنريك"، وأن تكون صفة للآيات، ويختلف المعنى على ذلك. ﴿اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ إن قيل: لم قال "اشرح لي"، ﴿وَبَسِّرْ لِي﴾ مع أن المعنى يصح دون قوله "لي"؟ فالجواب: أن ذلك تأكيد وتحقيق للرغبة. ﴿وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ العقدة هي التي اعترته بالجمرة حين جعلها في فمه وهو صغير حين أراد فرعون أن يجربه، وإنما قال "عقدة" بالتنكير لأنه طلب حل بعضها ليفقها قوله، ولم يطلب الفصاحة الكاملة. ﴿وَزَيْرًا﴾ أي: معينا، وإعراب ﴿هَارُونَ﴾ بدل أو مفعول أول. ﴿أَزْرِي﴾ أي: ظهري، والمراد القوة، ومنه ﴿فَأَزَّرَهُ﴾ أي: قواه. ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ﴾ أي: قد أعطيناك كل ما طلبت من الأشياء المذكورة. ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ﴾ يحتمل أن يكون وحي كلام بواسطة ملك أو وحي إلهام كقوله ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾. ﴿مَا يُوحَى﴾ إبهام يراد به تعظيم الأمر. ﴿أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَآقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ الضمير الأول لموسى، والثاني للتابوت أو لموسى، و"اليم" البحر،

يَاخُذُهُ عَدُوِّي وَعَدُوُّ لَهُ ۖ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴿١٦﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۗ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۗ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوِسِي ﴿١٧﴾ وَأَصْطَنَعْتَكَ لِنَفْسِي ﴿١٨﴾ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِأَيْتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿١٩﴾ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٠﴾ فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٢١﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ﴿٢٢﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٢٣﴾ فَاتَيْنَهُ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ

والمراد به هنا النيل، وكان فرعون قد ذكر له أن هلاكه وخراب ملكه على يد غلام من بني إسرائيل، فأمر بذبح كل ولد ذكر يولد لهم، فأوحى الله إلى أم موسى أن تلقيه في التابوت وتلقي التابوت في البحر، ففعلت ذلك، وكان فرعون في موضع يشرف على النيل فرأى التابوت فأمر به فسيق إليه، وامرأته معه ففتح فأشفقت عليه امرأته وطلبت أن تتخذه ولدا فأباح لها ذلك. ﴿يَاخُذُهُ عَدُوِّي وَعَدُوُّ لَهُ﴾ هو فرعون. ﴿مَحَبَّةٌ مِّنِّي﴾ أي: أحببتك، وقيل: أراد محبة الناس فيه، إذ كان لا يراه أحد إلا أحبه، وقيل: أراد محبة امرأة فرعون ورحمتها له، وقوله "مني" يحتمل أن يتعلق بقوله "القيت"، أو يكون صفة لمحبة فيتعلق بمحذوف. ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ أي: تربي ويحسن إليك بمرأى مني وحفظ، والعامل في "لتصنع" محذوف. ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ﴾ العامل في "إذ" "تصنع"، أو "القيت"، أو فعل مضمرة تقديره: ومننا عليك. ﴿فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ﴾ كان لا يقبل ثدي امرأة فطلبوا له مرضعة، فقالت أخته ذلك ليرد إلى أمه. ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ يعني القبطي الذي وكزه ففرض عليه. ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ يعني الخوف من أن يطلب بثأر المقتول. ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ أي: اختبرناك اختبارا حتى ظهر منك أنك تصلح للنبوّة والرسالة، وقيل: خلصناك من محنة بعد محنة؛ لأنه خلصه من الذبح، ثم من البحر، ثم من القصاص بالقتل. والفتون يحتمل أن يكون مصدرا أو جمع فتنة. ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾ يعني الأعوام العشرة التي استأجره فيها شعيب. ﴿جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ أي: بميقات محدود قدره الله لنبوتك. ﴿وَأَصْطَنَعْتَكَ لِنَفْسِي﴾ عبارة عن الكرامة والتقريب، أي: استخلصتك وجعلتك موضع صنيعتي وإحساني. ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ أي: لا تضعفا ولا تُقصرا، والوني هو الضعف عن الأمور والتقصير فيها. ﴿أَنْ يَفْرُطَ﴾ أي: يعجل بالشر. ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: سرحهم، وكانوا تحت يد فرعون وقومه، فكانت رسالة موسى إلى فرعون بالإيمان بالله وبسريخ بني إسرائيل. ﴿وَلَا تُعَذِّبُهُمْ﴾ كان يعذبهم بذبح أبنائهم وتسخيرهم في خدمته وإذلالهم.

قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ أَهْدِي ۖ إِنَّا قَدْ أُوْحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ  
 الْعَذَابَ عَلَيَّ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۖ ۝١٤ قَالَ فَمَنْ رَّبُّكُمْ يَا مُوسَىٰ ۖ ۝١٥ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي  
 أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ۖ ۝١٦ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ۖ ۝١٧ قَالَ عَلِمَهَا  
 عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ۖ ۝١٨ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مِهْدًا وَسَلَكَ  
 لَكُم فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۖ ۝١٩ كُلُوا  
 وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۖ ۝٢٠

﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ﴾ يعني قلب العصاحية وإخراج اليد بيضاء، وإنما وحدها وهما اثنان؛ لأنه أراد إقامة البرهان وهو معنى واحد. ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ أَهْدِي﴾ يحتمل أن يريد التحية أو السلامة. ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَىٰ﴾ أفرد موسى بالنداء بعد جمعه مع أخيه؛ لأنه الأصل في النبوة وأخوه تابع له. ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ المعنى: أن الله أعطى خلقه كل شيء يحتاجون إليه، ف"خلقته" على هذا بمعنى المخلوقين، وإعرابه مفعول أول، و"كل شيء" مفعول ثان، وقيل: المعنى أعطى كل شيء خلقته وصورته، أي: أكمل ذلك وأتقنه، فالخلق على هذا بمعنى الخلق، وإعرابه مفعول ثان، و"كل شيء" مفعول أول؛ والمعنى الأول أحسن. ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ أي: هدى خلقه إلى التوصل لما أعطاهم، وعلمهم كيف ينتفعون به. ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ يحتمل أن يكون سؤاله عن القرون الأولى محاجة ومناقضة لموسى، أي: ما بالها لم تبعث كما يزعم موسى، أو ما بالها لم تكن على دين موسى، أو ما بالها كذبت ولم يصبها عذاب، كما يزعم موسى في قوله "أن العذاب على من كذب وتولى"، ويحتمل أن يكون قال ذلك قطعاً للكلام الأول وروغاناً عنه وحيدة لما رأى أنه مغلوب بالحجة، ولذلك أضرب موسى عن الكلام في شأنها فقال ﴿عَلِمَهَا عِندَ رَبِّي﴾، ثم عاد إلى وصف الله رجوعاً إلى الكلام الأول. ﴿فِي كِتَابٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ. ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ أي: فراشا، وانظر كيف وصف موسى ربه تعالى بأوصاف لا يمكن فرعون أن يتصف بها لا على وجه الحقيقة ولا على وجه المجاز، ولو قال له هو القادر أو الرازق أو شبه ذلك لا يمكن فرعون أن يغالطه ويدعي ذلك لنفسه. ﴿وَسَلَكَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا﴾ أي: نهج لكم فيها طرقاً تمشون فيها. ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا﴾ يحتمل أن يكون من كلام موسى تم عند قوله "وأنزل من السماء ماء" ثم ابتداء كلام الله. ﴿أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ أي: أصنافاً مختلفة. ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾ المعنى: أنها تصلح لأن تؤكل وترعاها الأنعام، وعبر عن ذلك بصيغة الأمر؛ لأنه أذن في ذلك فكأنه أمر به. ﴿لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي: العقول، واحداً هامة.

مِنهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجَعَلْنَا لِنُخْرِجَنَّا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَى ﴿٥٧﴾ فَلَنَاتَيْتَكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ ۚ فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سِوَى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ تُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَىٰ ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيَلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ اللَّهُ كَذِبًا فَيَسْحَتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ ﴾ الضمير للأرض، يريد خلقه آدم من تراب. ﴿ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾ يعني بالدفن عند الموت. ﴿ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ ﴾ يعني عند البعث. ﴿ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا ﴾ يعني الآيات التي رآها فرعون، وهي تسع آيات، وليس يريد جميع آيات الله على العموم، فالإضافة في قوله "آياتنا" تجري مجرى التعريف بالعهد، أي: آياتنا التي أعطينا موسى كلها، وإنما أضافها الله إلى نفسه تشريفا لها. ﴿ فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا ﴾ يحتمل أن يكون الموعد اسم مصدر، أو اسم زمان، أو اسم مكان، ويدل على أنه اسم مكان قوله "مكانا سوى"، ولكن يضعف بقوله "موعدكم يوم الزينة" لأنه أجاب بظرف الزمان، ويدل على أن الموعد اسم زمان قوله "يوم الزينة"، ولكن يضعف بقوله "مكانا سوى"، ويدل على أنه اسم مصدر بمعنى الوعد قوله ﴿ لَا نُخْلِفُهُ ﴾؛ لأن الإخلاف إنما يوصف به الوعد لا الزمان ولا المكان؛ ولكن يضعف ذلك بقوله "مكانا"، وبقوله "يوم الزينة" فلا بد على كل وجه من تأويل أو إضمار، ويختلف إعراب قوله "مكانا" باختلاف تلك الوجوه؛ فأما إن كان الموعد اسم مكان، فيكون قوله "موعدا" و"مكانا" مفعولين لقوله "اجعل"، ويطابقه قوله "يوم الزينة" من طريق المعنى لا من اللفظ، وذلك أن الاجتماع في المكان يقتضي الزمان ضرورة، وإن كان الموعد اسم زمان فينتصب قوله "مكانا" على أنه ظرف زمان، والتقدير: موعدا كائنا في مكان، وإن كان الموعد اسم مصدر فينتصب "مكانا" على أنه مفعول بالمصدر وهو الموعد أو بفعل من معناه، ويطابقه قوله "يوم الزينة" على حذف مضاف تقديره: موعدكم وعد يوم الزينة، وقرأ الحسن "يوم الزينة" بالنصب؛ وذلك يطابق أن يكون الموعد اسم مصدر من غير تقدير محذوف. ﴿ مَكَانًا سِوَى ﴾ معناه: مُستَوٍ في القرب منا ومنكم، وقيل: معناه مستوفي الأرض ليس فيه انخفاض ولا ارتفاع، وقرئ بكسر السين وضمها، والمعنى متفق. ﴿ يَوْمَ الزَّيْنَةِ ﴾ يوم عيد لهم، وقيل: يوم عاشوراء. ﴿ وَأَنْ يُحْشَرَ ﴾ عطف على "الزينة" فهو في موضع خفض أو على الـ"يوم" فهو في موضع رفع، وقصد موسى أن يكون موعدهم عند اجتماع الناس على رؤوس الأشهاد؛ لتظهر معجزته ويتبين الحق للناس. ﴿ فَيَسْحَتَكُمْ ﴾ معناه: يهلككم، ويقال: سحت وأسحت، وقد قرئ بفتح الياء وضمها؛ والمعنى متفق.

قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ﴿١٧﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ﴿١٨﴾ قَالُوا يَلْمُوسَىٰ إِمَامًا أَن تُلْقَىٰ وَإِمَامًا أَن نَكُونَ أَوْلَىٰ مَنِ الْبَقَىٰ ﴿١٩﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ وَأَنهَىٰ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ فَأَوَّجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٢١﴾ قُلْنَا لَا تَخَفِ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٢﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٢٣﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ ءَامَنَّا لَهُ قَبْلُ أَنْ يُنزلَ إِلَهُكُمْ ءَاتِيكُمْ إِلَهُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَأَلْصِقَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ إِنَّمَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٢٥﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْتِيَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٦﴾

﴿قَالُوا إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ قرئ "إن هذين" بالياء ولا إشكال في ذلك، وقرئ بتخفيف "إن" وهي مخففة من الثقيلة، وارتفع بعدها "هذان" بالابتداء، وأما قراءة نافع وغيره بتشديد "إن" ورفع "هذان"، فقيل: "إن" هنا بمعنى نعم فلا تنصب، ومنه ما روي في الحديث: «إن الحمد لله» بالرفع، وقيل: اسم "إن" ضمير الأمر والشأن تقديره: إن الأمر، و"هذان لساحران" مبتدأ وخبر في موضع خبر إن، وقيل: جاء القرآن في هذه الآية بلغة بني الحارث بن كعب، وهي إبقاء التثنية بالألف في حال النصب والخفض، وقالت عائشة ؓ: هذا مما لحن فيه كتاب المصحف. ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ أي: يذهبا بسيرتكم الحسنة. ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ أي: اعزموا وأنفذوه. ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنهَىٰ تَسْعَىٰ﴾ استدلل بعضهم بهذه الآية على أن السحر تخيل لا حقيقة، وقال بعضهم: إن حيلة السحرة في سعي الحبال والعصي هي أنهم حشوها بالزئبق، وأوقدوا تحتها نارا، وغطوا النار لئلا يراها الناس، ثم وضعوا عليها حبالهم وعصيهم، وقيل: جعلوها للشمس فلما أحس الزئبق بحر النار أو الشمس سال؛ وهو في حشو الحبال والعصي فحملها، فتخيل الناس أنها تمشي، فألقى موسى عصاه فصارت ثعبانا فابتلعها. ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ﴾ "ما" هنا موصولة؛ وهي اسم إن، و"كيد" خبرها. ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾ قدم هنا هارون لتعتدل رؤوس الآي وتكون على الألف. ﴿مِّنْ خَلْفٍ﴾ أي: يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى. ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ معطوف على "ما جاءنا من البيئات"، وقيل: هي واو القسم. ﴿هَذِهِ الْحَيَاةَ﴾

إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَأَبْقَى ۖ ﴿٧٦﴾  
 إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۖ ﴿٧٧﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا  
 قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ۖ ﴿٧٨﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا  
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ ۖ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ  
 بِعِبَادِي فَأَضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَحْشَىٰ ۖ ﴿٨٠﴾ فَأَتْبَعَهُمْ  
 فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ ۚ فَغَشِيَهُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا عَشَيْتُمْ ۖ ﴿٨١﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ۖ ﴿٨٢﴾ يَبْنِي  
 إِسْرَائِيلَ قَدْ أَجْجَيْتَكُم مِّنْ عَذُوبِكُمْ ۖ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ  
 الْآمَنَ وَالسَّلْوَىٰ ۖ ﴿٨٣﴾ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي  
 وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ۖ ﴿٨٤﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ  
 اهْتَدَىٰ ۖ ﴿٨٥﴾ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ۖ ﴿٨٦﴾

نصب على الظرفية، أي: إنما قضاؤك في هذه الدنيا. ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ قيل: إن هنا وما بعده من كلام  
 السحرة لفرعون على وجه المعوذة، وقيل: هو من كلام الله. ﴿أَنْ اسْرِ بِعِبَادِي﴾ يعني ببني إسرائيل، وأضافهم  
 إلى نفسه تشريفا لهم، وكانوا فيما قيل ستمائة ألف. ﴿يَبَسًا﴾ أي: يابسا، وهو مصدر وصف به. ﴿لَا تَخَافُ دَرْكًا  
 وَلَا تَحْشَىٰ﴾ أي: لا تخاف أن يدركك فرعون وقومه، ولا تخشى الغرق في البحر. ﴿مَا عَشَيْتُمْ﴾ إبهام لقصد  
 التهويل. ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ إن قيل: إن قوله "وأضل فرعون قومه" يعني عن قوله "وما هدى"؟ فالجواب: أنه مبالغة  
 وتأکید، وقال الزمخشري: هو تهكم بفرعون في قوله ﴿وَمَا أَهْدَيْكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾. ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾  
 خطاب لهم بعد خروجهم من البحر وإغراق فرعون، وقيل: هو خطاب لمن كان منهم في عصر رسول الله ﷺ؛  
 والأول أظهر. ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ لما أهلك الله فرعون وجنوده أمر موسى وبني إسرائيل أن  
 يسيروا إلى جانب طور سيناء ليكلم فيه ربه، و"الطور" هو الجبل، واختلف هل هذا الطور هو الذي رأى فيه  
 موسى النار في أول نبوته أو هو غيره؟ ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾ ذكر في البقرة. ﴿فَقَدْ هَوَىٰ﴾ أي: هلك،  
 وهو استعارة من السقوط من علو إلى سفلى. ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ المغفرة لمن تاب حاصله ولا بد، والمغفرة  
 للمؤمن الذي لم يتب في مشيئة الله عند أهل السنة، وقالت المعتزلة: لا يغفر إلا لمن تاب. ﴿ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ أي:  
 استقام ودام على الإيثار والتوبة والعمل الصالح، ويحتمل أن يكون الهدى هنا عبارة عن نور وعلم يجعله الله في  
 قلب من تاب وآمن وعمل صالحا. ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ قصص هذه الآية أن موسى عليه

قَالَ هُمْ أَوْلَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن  
 بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٥٧﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ  
 يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَقَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ نَحِلَّ عَلَيْكُمْ  
 غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا  
 أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ

السلام لما أمره الله أن يسير هو وبنو إسرائيل إلى الطور، تقدم هو وحده مبادرة إلى أمر الله وطلباً لرضاه، وأمر  
 بني إسرائيل أن يسيروا بعده، واستخلف عليهم أخاه هارون، فأمرهم السامري حينئذ بعبادة العجل، فلما  
 وصل موسى إلى الطور دون قومه قال له الله تعالى: "ما أعجلك عن قومك"، وإنما سأل الله موسى عن سبب  
 استعجاله دون قومه؛ ليخبره موسى بأنهم يأتون على أثره، فيخبره الله بما صنعوا بعده من عبادة العجل،  
 وقيل: إنما سألته على وجه الإنكار لتقدمه وحده دون قومه، فاعتذر موسى بعذرين؛ أحدهما: أن قومه على  
 أثره؛ أي: قريب منه فلم يتقدم عليهم بكثير يوجب العتاب، والثاني: أنه إنما تقدم طلباً لرضا الله. ﴿وَأَضَلَّهُمُ  
 السَّامِرِيُّ﴾ كان السامري رجلاً من بني إسرائيل، يقال: إنه ابن خال موسى، وقيل: لم يكن منهم وهو  
 منسوب إلى قرية بمصر يقال لها سامرة، وكان منافقاً ساحراً. ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ يعني رجع من الطور  
 بعد إكمال الأربعين يوماً التي كلمه الله فيها. ﴿أَسِفًا﴾ ذكر في الأعراف. ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾  
 يعني ما وعدهم من الوصول إلى الطور. ﴿أَقَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ﴾ يعني المدة، وهذا الكلام توبيخ لهم.  
 ﴿بِمَلِكِنَا﴾ قرئ بالفتح والضم والكسر، ومعناه: ما أخلفنا موعدهم بأن ملكنا أمرنا، ولكن غلبنا بكيد  
 السامري، فيحتمل أنهم اعتذروا بقله قدرتهم وطاقتهم، ويناسب هذا المعنى القراءة بضم الميم، أو اعتذروا  
 بقله ملكهم لأنفسهم في النظر وعدم توفيقهم للرأي السديد، ويناسب هذا المعنى القراءة بالفتح والكسر.  
 ﴿حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ الأوزار هنا الأحمال؛ سميت أوزاراً لثقلها، أو لأنهم اكتسبوا بسببها الأوزار؛  
 أي: الذنوب، و"زينة القوم" هي حلي القبط قوم فرعون، كان بنو إسرائيل قد استعاروه منهم قبل هلاكهم،  
 وقيل: أخذوه بعد هلاكهم فقال لهم السامري: اجمعوا هذا الحلي في حفرة حتى يحكم الله فيه، ففعلوا ذلك  
 وأوقد السامري ناراً على الحلي وصاغ منه عجلاً، وقيل: بل خلق الله منه العجل من غير أن يصنعه السامري،  
 ولذلك قال لموسى "قد فتنا قومك من بعدك". ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ أي: قذفنا أحمال الحلي في الحفرة. ﴿فَكَذَلِكَ  
 أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ كان السامري قد رأى جبريل عليه السلام فأخذ من وطء فرسه قبضة من تراب، وألقى الله  
 في نفسه أنه إذا جعلها على شيء موات صار حيواناً، فألقاها على العجل فخار العجل؛ أي: صاح صياح



فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِي ۖ  
 أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۖ ﴿٨١﴾  
 هَرُونَ مِنْ قَبْلُ يَلْقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ۗ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ۖ ﴿٨٢﴾  
 قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ۖ ﴿٨٣﴾ قَالَ يَهْتَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ  
 رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۖ ﴿٨٤﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ۖ ﴿٨٥﴾ قَالَ يَبْتَنُوْا لَّا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا  
 بِرَأْسِي ۗ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ۖ ﴿٨٦﴾ قَالَ فَمَا  
 خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ۖ ﴿٨٧﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ۗ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ

العجول، فالمعنى: أنهم قالوا كما ألقينا الحلي في الحفرة ألقى السامري قبضة التراب. ﴿جَسَدًا﴾ أي: جسا بلا روح، والخور صوت البقر. ﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ﴾ أي: قال ذلك بنو إسرائيل بعضهم لبعض. ﴿فَنَسِي﴾ يحتمل وجهين؛ أحدهما: أن يكون من كلام بني إسرائيل، والفاعل موسى؛ أي: نسي موسى إلهه هنا وذهب يطلبه في الطور، والنسيان على هذا بمعنى الذهول، والوجه الثاني: أن يكون من كلام الله تعالى، والفاعل السامري؛ أي: نسي دينه وطريق الحق، والنسيان على هذا بمعنى الترك. ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ معناه: لا يرد عليهم كلاما إذا كلموه، وذلك رد عليهم في دعوى الربوبية له، وقرئ "يرجع" بالرفع و"أن" مخففة من الثقيلة، وبالنصب وهي مصدرية. ﴿قَالَ يَا هَارُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ "لا" زائدة للتأكيد، والمعنى: ما منعك أن تتبني في المشي إلى الطور، أو تبني في الغضب لله وشدة الزجر لمن عبد العجل وقتالهم بمن لم يعبه. ﴿قَالَ يَبْتَنُوْا﴾ ذكر في الأعراف. ﴿لَّا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ كان موسى قد أخذ بشعر هارون ولحيته من شدة غضبه؛ لما وجد بني إسرائيل قد عبدوا العجل. ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: لو قاتلت من عبد العجل منهم بمن لم يعبه لقلت فرقت جماعتهم، وأدخلت العداوة بينهم، وهذا على أن يكون معنى قوله "تتبني" في الزجر والقتال، ولو اتبعتك في المشي إلى الطور لا تبني بعضهم دون بعض فتفرقت جماعتهم، وهذا على أن يكون معنى "تتبني" في المشي إلى الطور. ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ يعني قوله له ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾. ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ أي: قال موسى: ما شأنك؟ ولفظ الخطب يقتضي انتهارا؛ لأنه مستعمل في المكاره. ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ أي: رأيت ما لم يروه؛ يعني جبريل عليه السلام وفرسه. ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ أي: قبضت قبضة من تراب من أثر فرس الرسول؛ وهو جبريل، وقرأ ابن مسعود ﴿من أثر فرس الرسول﴾، وإنما سمي جبريل بالرسول

فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿١٦﴾ قَالَ فَأَذْهَبَ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ  
تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ ۗ وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا  
لَنْحَرِقْنَهُ ثُمَّ لَنَنْسِفْنَهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿١٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ  
كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٨﴾ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا  
ذِكْرًا ﴿١٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴿٢٠﴾ خَلْدَيْنَ فِيهِ ۗ وَسَاءَ لَهُمْ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ۗ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿٢٢﴾  
يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿٢٣﴾

لأن الله أرسله إلى موسى، والقبضة مصدر قبض، وإطلاقها على المفعول من تسمية المفعول بالمصدر كضرب  
الأمير، ويقال: قبض بالضاد المعجمة إذا أخذ بأصابعه وكفه، وبالضاد المهملة إذا أخذ بأطراف الأصابع،  
وقد قرئ كذلك في الشاذ. ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ أي: ألقيتها على الحلي فصار عجلا، أو على العجل فصار له خوار.  
﴿فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ عاقب موسى عليه السلام السامري بأن منع الناس من مخالطته  
ومجالسته ومؤاكلته ومكالمته، وجعل له مع ذلك أن يقول طول حياته: لا مساس؛ أي: لا بماسة ولا إذاية،  
وروي: أنه كان إذا مسه أحد أصابت الحمى له وللذي مسه، فصار هو يبعد عن الناس وصار الناس يبعدون  
عنه. ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ يعني العذاب في الآخرة، وذلك تهديد ووعد. ﴿ظَلْتَ﴾ أصله ظلتت حذف  
إحدى اللامين، والأصل في معنى ظل أقام بالنهار، ثم استعمل في الدؤوب على الشيء ليلا ونهارا.  
﴿لَنْحَرِقْنَهُ﴾ من الإحراق بالنار، وقرئ بفتح النون وضم الراء، بمعنى نبرده بالمبرد، وقد حمل بعضهم قراءة  
الجماعة على أنها من هذا المعنى، لأن الذهب لا يفنى بالإحراق بالنار؛ والصحيح أن المقصود بإحراقه بالنار  
إذابته وإفساد صورته، فيصح حمل قراءة الجماعة على ذلك. ﴿ثُمَّ لَنَنْسِفْنَهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ أي: نلقيه في البحر،  
والنسف تفريق الغبار ونحوه. ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ﴾ الآية، من كلام موسى لبني إسرائيل. ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ  
عَلَيْكَ﴾ مخاطبة من الله تعالى لمحمد ﷺ، و﴿أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ أخبار المتقدمين. ﴿ذِكْرًا﴾ يعني القرآن.  
﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ يعني إعراض تكذيب به. ﴿وِزْرًا﴾ الوزر في اللغة الثقل، ويعني هنا العذاب لقوله  
﴿خَلْدَيْنَ فِيهِ﴾، أو الذنوب لأنها سبب العذاب. ﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾ شبه الوزر بحمل ثقله،  
قال الزمخشري: "ساء" تجري مجرى بس، ففاعلها مضمير يفسره "حملا"، وقال غيره: فاعلها مضمير يعود على  
الوزر. ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ أي: ينفخ الملك في القرن، وقرئ "تنفخ" بالنون؛ أي: بأمرنا. ﴿زُرْقًا﴾ قيل:  
زرق الألوان كالسواد، وقيل: زرق العيون من العمى. ﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ أي: يقول

نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٤﴾ وَسَأَلُونَكَ عَنِ  
 الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٦﴾ لَا تَبْرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا  
 ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ ۗ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا  
 هَمْسًا ﴿١٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٩﴾ يَعْلَمُ  
 مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ ۗ عِلْمًا ﴿٢٠﴾ \* وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ  
 الْقَيُّومِ ۗ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿٢١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا  
 يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿٢٢﴾

بعضهم لبعض في السر: إن لبثتم في الدنيا إلا عشر ليال، وذلك لاستقلالهم مدة الدنيا، وقيل: يعنون لبثهم في القبور. ﴿يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ أي: يقول أعلمهم بالأمر؛ فالإضافة إليهم إن لبثتم إلا يوما واحدا، فاستقل المدة أشد مما استقلها غيره. ﴿يَنْسِفُهَا﴾ أي: يجعلها كالغبار ثم يفرقها. ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ الضمير في "يذرها" للجبال، والمراد مواضعها من الأرض، والقاع الصفصف المستوي من الأرض الذي لا ارتفاع فيه. ﴿لَا تَبْرَى فِيهَا عِوَجًا﴾ المعروف في اللغة أن العوج بالكسر في المعاني وبالفتح في الأشخاص، والأرض شخص؛ فكان الأصل أن يقال فيها بالفتح وإنما قاله بالكسر مبالغة في نفيه، فإن الذي في المعاني أدق من الذي في الأشخاص، فنفاه ليكون غاية في نفي العوج من كل وجه. ﴿وَلَا أَمْتًا﴾ الأمت هو الارتفاع اليسير. ﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ يعني الذي يدعو الخلق إلى الحشر. ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾ أي: لا يعوج أحد عن اتباعه والمشي نحو صوته، أو لا عوج لدعوته لأنها حق. ﴿هَمْسًا﴾ هو الصوت الخفي. ﴿لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ يحتمل أن يكون الاستثناء متصلا، و"من" في موضع نصب ب"تنفع" وهي واقعة على المشفوع له؛ فالمعنى: لا تنفع الشفاعة أحدا إلا من أذن الرحمن في أن يشفع له، أو يكون الاستثناء منقطعا و"من" واقعة على الشافع، والمعنى: لكن من أذن له الرحمن يشفع. ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ إن أريد ب"من أذن له الرحمن" المشفوع فيه فاللام في "له" بمعنى لأجله؛ أي: رضي قول الشافع لأجل المشفوع فيه، وإن أريد الشافع، فالمعنى: رضي قوله في الشفاعة. ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الضميران لجميع الخلق، والمعنى ذكر في آية الكرسي. ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ قيل: المعنى لا يحيطون بمعلوماته كقوله ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾، والصحيح عندي أن المعنى: لا يحيطون بمعرفة ذاته، إذ لا يعرف الله على الحقيقة إلا الله، ولو أراد المعنى الأول لقال: ولا يحيطون بعلمه، ولذلك استثنى "إلا بما شاء" هناك ولم يستثن هنا. ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ﴾ أي: ذلت يوم القيامة. ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ أي: بخسا ونقصا لحسناته.

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ  
 ذِكْرًا ﴿١٢٢﴾ فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ  
 وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١٢٣﴾ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ  
 عَزْمًا ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١٢٥﴾ فَقُلْنَا  
 يَتَّعَدُمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١٢٦﴾ إِنَّ لَكَ الْأَلَّا  
 تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١٢٧﴾ وَإِنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١٢٨﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ  
 الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّعَدُمُ هَلْ أَذُكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٌ لِيَ بَلْبَى ﴿١٢٩﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا  
 فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا مَخْصِفَنِ عَلِيمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ  
 فَغَوَى ﴿١٣٠﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٣١﴾ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ  
 لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٣٢﴾  
 وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا

﴿أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ أي: تذكرا، وقيل: شرفا؛ وهو هنا بعيد. ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ  
 إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ أي: إذا أقرأك جبريل فاستمع إليه واصبر حتى يفرغ، وحينئذ تقرأه أنت؛ فالآية كقوله ﴿لَا  
 تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾، وقيل: كان النبي ﷺ إذا أوحى إليه القرآن يأمر بكتبه في الحين، فأمر أن يتأني  
 حتى تفسر له المعاني؛ والأول أشهر. ﴿عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ﴾ أي: وصيناه أن لا يأكل من الشجرة. ﴿فَنَسَىٰ﴾  
 يحتمل أن يريد النسيان الذي هو ضد الذكر، فيكون ذلك عذرا لآدم، أو يريد الترك، وقال ابن عطية: لا  
 يمكن غيره لأن الناسي لا عقاب عليه، وقد تقدم الكلام على قصة آدم وإبليس في البقرة. ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا  
 مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ أي: لا تطيعاه فيخرجكما من الجنة؛ فجعل المسبب موضع السبب، وخص آدم بقوله  
 "فتشقى" لأنه كان المخاطب أولا والمقصود بالكلام، وقيل: لأن الشقاء في معيشة الدنيا مختص بالرجال. ﴿لَا  
 تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ الظمأ هو العطش، والضحى هو البروز للشمس. ﴿يَخْصِفَانِ﴾ ذكر في الأعراف،  
 وكذلك الشجرة وأكل آدم منها ذكر ذلك في البقرة. ﴿اهْبِطَا﴾ خطاب لآدم وحواء. ﴿فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ هي إن  
 الشرطية دخلت عليها ما الزائدة، وجوابها ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ﴾. ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ أي: لا يضل في الدنيا، ولا  
 يشقى في الآخرة. ﴿مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ أي: ضيقة، فقيل: إن ذلك في الدنيا، فإن الكافر ضيق المعيشة لشدة

وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١١٢﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١١٣﴾ قَالَ  
 كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا ۖ وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١١٤﴾ وَكَذَلِكَ نُجْزِي مَنْ آسَفَ وَلَمْ  
 يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ۗ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١١٥﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ  
 الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ ﴿١١٦﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ  
 مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١١٧﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ  
 طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ أَنَايِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١١٨﴾

حرصه وإن كان واسع الحال، وقد قال بعض الصوفية: لا يُعرض أحد عن ذكر الله إلا أظلم عليه وقته وتكدر عليه عيشه، وقيل: ذلك في البرزخ، وقيل: في جهنم يأكل الزقوم، وهذا ضعيف؛ لأنه ذكر بعد هذا يوم القيامة وعذاب الآخرة. ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ يعني أعمى البصر. ﴿فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ من الترك لا من الذهول. ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ أي: عذاب جهنم أشد وأبقى من المعيشة الضنك ومن الحشر أعمى. ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ معناه: أو لم يتبين لهم، والضمير لقريش، والفاعل بـ"هد" مقدر تقديره: ألم يهد لهم الهدى أو الأمر، وقال الزمخشري: الفاعل الجملة التي بعده، وقيل: الفاعل ضمير الله عز وجل، ويدل عليه قراءة "أفلم نهد" بالنون، وقال الكوفيون: الفاعل ﴿كَمْ﴾. ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ﴾ يريد أن قريشا يمشون في مساكن عاد وثمود ويعاينون آثار هلاكهم. ﴿لِأُولِي النَّهْيِ﴾ أي: ذوي العقول. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا﴾ الـ"كلمة" هنا القضاء السابق، والمعنى: لولا قضاء الله بتأخير العذاب عنهم لكان العذاب لزاما؛ أي: واقعا بهم. ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ معطوف على "كلمة"؛ أي: لولا الكلمة والأجل المسمى لكان العذاب لزاما، وإنما أخره لتعتدل رؤوس الآي، والمراد بالأجل المسمى يوم بدر، وبذلك ورد تفسيره في البخاري، وقيل: المراد به أجل الموت، وقيل: القيامة. ﴿وَسَبِّحْ﴾ يحتمل أن يريد بالتسبيح الصلاة، أو قول "سبحان الله"؛ وهو ظاهر اللفظ. ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ في موضع الحال، أي: وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح، ويحتمل أن يكون المعنى سبح تسبيحا مقرونا بحمد ربك، فيكون أمرا بالجمع بين قول: "سبحان الله"، وقول: "الحمد لله"، وقد قال رسول الله ﷺ: «سبحان الله، والحمد لله، تملآن ما بين السماء والأرض» [مسلم: 223]. ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ إشارة إلى الصلوات الخمس عند من قال إن معنى "وسبح" الصلاة؛ والتي قبل طلوع الشمس الصبح، والتي قبل غروبها الظهر والعصر. ﴿وَمِنْ أَنَايِ اللَّيْلِ﴾ العشاء الآخرة. ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ المغرب والصبح،

وَلَا تُمَدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ  
 وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣٦﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ  
 نَرْزُقُكَ وَالْعَقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ ؎ أَوْلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي  
 الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٣٨﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ ؎ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا  
 رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٩﴾ قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبِّصُوا  
 فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿١٤٠﴾

وكرر الصبح في ذلك تأكيدا للأمر بها، وسمى الطرفين أطرافا لأحد وجهين؛ إما على نحو ﴿فَقَدْ صَعَتَ  
 قُلُوبُكُمْ﴾ وإما أن يجعل النهار للجنس فلكل يوم طرف، و"انأىء الليل" ساعاته؛ واحدا أناء. ﴿وَلَا  
 تُمَدَّنْ عَيْنَيْكَ﴾ ذكر في الحجر، ومد العينين هو تطويل النظر، ففي ذلك دليل على أن النظر غير الطويل  
 معفو عنه. ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ شبه نعم الدنيا بالزهر وهو النوار؛ لأن الزهر له منظر حسن ثم يذبل  
 ويضمحل، وفي نصب "زهرة" خمسة أوجه؛ أن ينتصب بفعل مضمر على الذم، أو يضمن "متعنا" معنى  
 أعطينا ويكون "زهرة" مفعولا ثانيا له، أو يكون بدلا من موضع الجار والمجرور، أو يكون بدلا من  
 "أزواجا" على تقدير: ذوي زهرة، أو ينتصب على الحال. ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي: نختبرهم. ﴿لَا نَسْأَلُكَ  
 رِزْقًا﴾ أي: لا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك، فتفرغ أنت وأهلك للصلاة فنحن نرزقك، وكان بعض  
 السلف إذا أصاب أهله خصاصة قال: قوموا فصلوا بهذا أمركم الله، ويتلو هذه الآية. ﴿أَوْلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي  
 الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ الـ"بينة" هنا البرهان، و"الصحف الأولى" هي التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله،  
 والضمير في "قالوا" وفي "أولم تأتهم" لقريش؛ لما اقترحا آية على وجه العناد والتعننت أجابهم الله بهذا  
 الجواب، ومعناه: قد جاءكم برهان ما في التوراة والإنجيل من ذكر محمد ﷺ فلأي شيء تطالبون آية  
 أخرى؟ ويحتمل أن يكون المعنى قد جاءكم القرآن وفيه من العلوم والقصص ما في الصحف الأولى،  
 فذلك بينة وبرهان على أنه من عند الله. ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ﴾ الآية، معناها: لو أهلكنا  
 هؤلاء الكفار قبل بعث محمد ﷺ لاحتجوا على الله بأن يقولوا ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾، و"لولا" هنا  
 عرض فقامت عليهم الحجة ببعثه ﷺ. ﴿قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ﴾ أي: كل واحد منا ومنكم منتظر لما يكون من  
 هذا الأمر. ﴿فَتَرَبِّصُوا﴾ تهديد. ﴿الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾ المستقيم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لِهَيْبَةِ قُلُوبِهِمْ وَأَسْرَأُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ۗ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمٌ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ ﴿٥﴾ مَا ءَامَنْتَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا يُوْحَىٰ إِلَيْهِمْ

## سورة الأنبياء

﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ الناس لفظ عام، وقال ابن عباس رضي الله عنه: أراد به هنا المشركين من قريش، بدليل ما بعد ذلك فإنه من صفاتهم، وإنما أخبر عن الساعة بالقرب؛ لأن الذي مضى من الزمان قبلها أكثر مما بقي لها، ولأن كل آت قريب. ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنْ رَبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ ﴾ يعني بالـ"ذكر" القرآن، و"محدث" أي: محدث النزول. ﴿ وَأَسْرَأُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ الواو في "أسروا" ضمير فاعل يعود على ما قبله، و"الذين ظلموا" بدل من الضمير، وقيل: إن الفاعل هو "الذين ظلموا"، وجاء ذلك على لغة من قال: أكلوني البراغيث، وهي لغة بني الحارث بن كعب، وقال سيويه: لم تأت هذه اللغة في القرآن، ويحتمل أن يكون "الذين ظلموا" منصوباً بفعل مضمر على الـ"م" أو خبر ابتداء مضمر؛ والأول أحسن. ﴿ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ هذا الكلام في موضع نصب بدل من "النجوى"؛ لأنه هو الكلام الذي تناجوا به، والـ"بشر" المذكور في الآية هو محمد صلى الله عليه وسلم. ﴿ قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ ﴾ إخبار بأنه سمع ما تناجوا به على أنهم أسروه، فإن قيل: هلا قال: يعلم السر، مناسبة لقوله "أسروا النجوى"؟ فالجواب: أن القول يشمل السر والجمهور فحصل في ذكره السر وزيادة. ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاتٌ أَحْلَامٌ ﴾ أي: أخلاط منامات، وحكى عنهم هذه الأقوال الكثيرة؛ ليظهر اضطراب أمرهم وبطلان أقوالهم. ﴿ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ ﴾ أي: كما جاء الرسل المتقدمون بالآيات فليأتنا محمد بآية؛ فالتشبيه في الإتيان بالمعجزات. ﴿ مَا ءَامَنْتَ قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ لما قالوا "فليأتنا بآية" أخبرهم الله أن الذين من قبلهم طلبوا الآيات، فلما رأوها ولم يؤمنوا أهلكوا ثم قال ﴿ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي: أن حالهم في عدم الإتيان وفي الهلاك كحال من قبلهم، ويحتمل أن يكون المعنى أن كل قرية هلكت لم تؤمن فهو لاء كذلك، ولا يكون على هذا جواباً لقولهم "فليأتنا بآية"؛ بل يكون إخباراً مستأنفاً على وجه التهديد، و"أهلكناها" في موضع الصفة لـ"قرية" والمراد أهل القرية. ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا ﴾ رد على قولهم "هل هذا إلا بشر مثلكم"، والمعنى: أن الرسل

فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ  
 الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا  
 الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا  
 مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسَآئِنَا إِذَا هُمْ  
 مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَّا تَرْكُضُوا وَآرْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ  
 ﴿١٣﴾ قَالُوا يَنْوِيلُنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ  
 حَصِيدًا خَالِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَآءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْبٍ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ  
 نَتَّخِذَ هَوًا لَّآتَّخِذْتَهُ مِنْ لَدُنَّا

المتقدمين رجال من البشر فكيف تنكرون أن يكون هذا الرجل رسولا؟. ﴿أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ يعني أخبار أهل  
 الكتاب. ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ أي: ما جعلنا الرسل أجسادا غير طاعمين، ووجد الجسد  
 لإرادة الجنس، و"لا ياكلون الطعام" صفة لجسد، وفي الآية رد على قولهم ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾.  
 ﴿وَمَنْ نَشَاءُ﴾ يعني المؤمنين. ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أي: شرفكم، وقيل: تذكيركم. ﴿قَصَمْنَا﴾ أي: أهلكنا، وأصله  
 من قصم الظهر أي: كسره. ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ يريد أهل القرية، قال ابن عباس ؓ: هي قرية باليمن يقال لها  
 حضور، بعث الله إليهم رسولا فقتلوه، فسلط الله عليهم بختنصر ملك بابل، فأهلكهم بالقتل؛ وظاهر اللفظ  
 على العموم، لأن "كم" للتكثير فلا يريد قرية معينة. ﴿يَرْكُضُونَ﴾ عبارة عن فرارهم، فيحتمل أن يكونوا ركبوا  
 الدواب وركضوها لتسرع الجري، أو شبهوا في سرعة جريهم على أرجلهم بمن يركض الدابة. ﴿لَّا تَرْكُضُوا﴾  
 أي: قيل لهم لا تركضوا، والقاتل لذلك هم الملائكة قالوه تهكما بهم، أو رجال بختنصر إن كانت في القرية  
 المعينة، قالوا لهم ذلك خداعا ليرجعوا فيقتلوه. ﴿أُتْرِفْتُمْ﴾ أي: نعمتم. ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ تهكم بهم وتوبيخ،  
 أي: ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون عما جرى عليكم، ويحتمل أن يكون "تسألون" بمعنى  
 يطلب لكم الناس معروفكم، وهذا أيضا تهكم. ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا﴾ الآية، اعتراف وندم حين لم ينفعهم. ﴿حَصِيدًا  
 خَالِدِينَ﴾ شبهوا في هلاكهم بالزرع المحصود، ومعنى "خامدين" موتى وهو تشبيهه بخمود النار. ﴿لَاعِبِينَ﴾  
 حال منفية، أي: ما خلقنا السموات والأرض لأجل اللعب؛ بل للاعتبار بها والاستدلال على صانعها. ﴿لَوْ  
 أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ هَوًا لَّآتَّخِذْتَهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ اللهو في لغة اليمن: الولد، وقيل: المرأة، و"من لدنا" أي: من الملائكة؛  
 فالعنى على هذا: لو أردنا أن نتخذ ولدا لاتخذناه من الملائكة لا من بني آدم، فهو رد على من قال: المسيح ابن الله،



إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ ﴿٧٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ  
 الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿٧٨﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ  
 عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿٧٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٨٠﴾ أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا  
 مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴿٨١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ  
 الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٨٣﴾

وعزير ابن الله؛ والظاهر أن الله بمعنى اللعب؛ لاتصاله بقوله "لاعبين"، وقال الزمخشري: المعنى لو أردنا أن نتخذ لهما لكان ذلك في قدرتنا؛ ولكن ذلك لا يليق بنا لأنه مناقض للحكمة؛ وفي كلا القولين نظر. ﴿إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ﴾ يحتمل أن تكون "إن" شرطية وجوابها فيما قبلها، أو نافية؛ والأول أظهر. ﴿نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾ "الحق" عام في القرآن والرسالة والشرع وكل ما هو حق، و"الباطل" عام في أضداد ذلك. ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ أي: يقمعه ويبطله، وأصله من إصابة الدماغ. ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ يعني الملائكة. ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ أي: لا يعيون ولا يملون. ﴿أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ "أم" هنا للإضراب عما قبلها، والاستفهام على وجه الإنكار لما بعدها، و"من الأرض" يتعلق بـ"ينشرون"، والمعنى: أن الآلهة التي اتخذها المشركون لا يقدر أن ينشروا الموتى من الأرض؛ فليست بآلهة في الحقيقة؛ لأن من صفة الإله القدرة على الإحياء والإماتة. ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ هذا برهان على وحدانية الله تعالى، والضمير في قوله "فيهما" للسماوات والأرض، و"إلا الله" صفة لآلهة، و"إلا" بمعنى غير، فاقضى الكلام أمرين؛ أحدهما: نفي كثرة الآلهة، ووجوب أن يكون الإله واحداً، والأمر الثاني: أن يكون ذلك الواحد هو الله دون غيره، ودل على ذلك قوله "إلا الله"، وأما الأول فكانت الآية تدل عليه لو لم تذكر هذه الكلمة. وقال كثير من الناس في معنى الآية: إنها دليل التنازع الذي أورده الأصوليون، وذلك أنا لو فرضنا إلهين فأراد أحدهما شيئاً وأراد الآخر نقيضه؛ فإما أن تنفذ إرادة كل واحد منهما وذلك محال؛ لأن النقيضين لا يجتمعان، وإما أن لا تنفذ إرادة واحد منهما وذلك أيضاً محال؛ لأن النقيضين لا يرتفعان معاً، ولأن ذلك يؤدي إلى عجزهما وقصورهما فلا يكونان إلهين، وإما أن تنفذ إرادة واحد منهما دون الآخر، فالذي نفذت إرادته هو الإله والذي لم تنفذ إرادته ليس بإله؛ فالإله واحد، وهذا الدليل إن سلمنا صحته فلفظ الآية لا يطابقه، بل الظاهر من اللفظ استدلال آخر أصح من دليل التنازع، وهو أنه لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا لما يحدث بينهما من الاختلاف والتنازع في التدبير وقصد المغالبة، ألا ترى أنه لا يوجد ملكان اثنان لمدينة واحدة ولا وليان لخطبة واحدة. ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ لأنه مالك كل شيء، والمالك يفعل في ملكه ما يشاء، ولأنه حكيم فأفعاله كلها جارية على الحكمة. ﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ لفقد العلتين.

أَمْ آتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ۗ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ ۗ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يُوجِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا آتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۗ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٣﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ ۗ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۗ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۗ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۗ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۗ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾

﴿أَمْ آتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً﴾ كرر هذا الإنكار استعظاما للشرك ومبالغة في تقييده، لأن قبله من صفات الله ما يوجب توحيده، وليناط به ما ذكر بعده من تعجيز المشركين، وأنهم ليس لهم على الشرك برهان لا من جهة العقل ولا من جهة الشرع. ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ تعجيز لهم، وقد تكلمنا على "هاتوا" في البقرة. ﴿هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي﴾ رد على المشركين، والمعنى: هذا الكتاب الذي معي والكتب التي من قبلي ليس فيها ما يقتضي الإشراف بالله؛ بل كلها متفقة على التوحيد. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾ الآية، رد على المشركين، والمعنى أن كل رسول إنما أتى بـ"لا إله إلا الله". ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ يعني الملائكة، وهم الذين قال فيهم بعض الكفار إنهم بنات الله، فوصفهم بالعبودية؛ لأنها تناقض النبوة، ووصفهم بالكرامة؛ لأن ذلك هو الذي غر الكفار حتى قالوا فيهم ما قالوا. ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ أي: لا يتكلمون حتى يتكلم هو تأدبا معه. ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ﴾ أي: لمن ارتضى أن يشفع له، ويحتمل أن تكون هذه الشفاعة في الآخرة أو في الدنيا؛ وهي استغفارهم لمن في الأرض. ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون. ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ الآية، على فرض أن لو قالوا ذلك ولكنهم لا يقولونه، وإنما مقصد الآية الرد على المشركين، وقيل: إن الذي قال ﴿إِنِّي إِلَهٌ﴾ هو إبليس لعنه الله. ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ الرتق مصدر وصف به، ومعناه: المتصق ببعضه ببعض الذي لا صدع فيه ولا فتح، والفتق الفتح، فقيل: كانت السماوات ملتصقة بالأرض ففتقها الله بالهواء، وقيل: كانت السماوات ملتصقة ببعضها ببعض، والأرضون كذلك ففتقها الله سبعا سبعا، والرؤية في قوله "أولم ير" على هذا رؤية قلب، وقيل: فتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات، والرؤية على هذا رؤية عين. ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ أي: خلقنا من الماء كل حيوان، ويعني بـ"الماء" المنى، وقيل: الماء الذي يشرب لأنه سبب

وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٦٦﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٦٧﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۗ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ ۗ أَفَأَنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٦٩﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۗ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُؤًا أَهْذَاءَ الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ

حياة الحيوان، ويدخل في ذلك النبات باستعارة. ﴿رَوَاسِي﴾ يعني الجبال. ﴿أَنْ تَمِيدَ﴾ تقديره: كراهة أن تميد. ﴿فِجَاجًا﴾ يعني الطرق الكبار، وإعرابه عند الزمخشري حال من الـ"سبل"؛ لأنه صفة تقدمت على النكرة. ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ يعني في طرقهم وتصرفاتهم. ﴿سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ أي: حفظ من السقوط ومن الشياطين. ﴿عَنْ آيَاتِهَا﴾ يعني الكواكب والأمطار والرعد والبرق وغير ذلك. ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ التوئين في "كل" عوض عن الإضافة، أي: كلهم في فلك يسبحون، يعني "الشمس والقمر" دون "الليل والنهار" إذ لا يوصف الليل والنهار بالسبح في الفلك، فالجملة في موضع حال من "الشمس والقمر" أو مستأنفة، فإن قيل: لفظ "كل" و"يسبحون" جمع، فكيف يعني "الشمس والقمر" وهما اثنان؟ فالجواب: أنه أراد جنس مطالعتهما كل يوم وليلة وهي كثيرة قاله الزمخشري، وقال الغزنوي: أراد الشمس والقمر وسائر الكواكب السيارة، وعبر عنها بضمير الجماعة العقلاء في قوله "يسبحون"؛ لأنه وصفهم بفعل العقلاء وهو السبح، فإن قيل: كيف قال "في فلك" وهي أفلاك كثيرة؟ فالجواب: أنه أراد كل واحد يسبح في فلكه، وذلك كقوله: كساهم الأمير حلة؛ أي: كسا كل واحد منهم حلة، ومعنى الـ"فلك" جسم مستدير، وقال بعض المفسرين: إنه من موج؛ وذلك بعيد، والحق أنه لا تعلم صفته وكيفية إلا بإخبار صحيح عن الشارع وذلك غير موجود، ومعنى "يسبحون" يجرون أو يدورون، وهو مستعار من السبح بمعنى العوم في الماء، وقوله "كل في فلك" من المقلوب الذي يقرأ من الطرفين. ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ سببها أن الكفار طعنوا على النبي ﷺ بأنه بشر يموت، وقيل: إنهم تمنوا موته ليشمتوا به؛ وهذا أنسب لما بعده. ﴿أَفَأَنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ موضع دخول الهمزة "فهم الخالدون"، وتقدمت لأن الاستفهام له صدر الكلام. ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ أي: كل نفس مخلوقة لا بد لها أن تذوق الموت، والتذوق هنا استعارة. ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾ أي: نختبركم بالفقر والغنى والمرض والصحة وغير ذلك من أحوال الدنيا؛ ليظهر الصبر على الشر والشكر على الخير أو خلاف ذلك. ﴿فِتْنَةً﴾ مصدر من معنى "نبلوكم". ﴿أَهْذَاءَ الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ أي: يذكرهم بالذم، دلت

وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ  
 آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ  
 ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا  
 هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ  
 ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ أَسْهَرْنَا بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ  
 يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ  
 مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ

على ذلك قرينة الحال، فإن الذكر قد يكون بدم أو مدح، والجملة تفسير لـ "هزه" أي: يقولون أهذا الذي.  
 ﴿وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ الجملة في موضع الحال، أي كيف ينكرون ذمك لأهتهم وهم يكفرون  
 بالرحمن؟ فهم أحق بالملامة، وقيل: معنى "بذكر الرحمن" تسميته بهذا الاسم لأنهم أنكروها؛ والأول أغرق في  
 ضلالهم. ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ خلق شديد الاستعجال، وجاءت هذه العبارة للمبالغة كقولك: خلق  
 حاتم من جود، و"الانسان" هنا جنس، وسبب الآية: أن الكفار استعجلوا الآيات التي اقترحوها، والعذاب  
 الذي طلبوه فذكر الله هذا توطئة لقوله ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾، وقيل: المراد هنا آدم؛ لأنه لما وصل الروح إلى  
 صدره أراد أن يقوم؛ وهذا ضعيف، وقيل: "من عجل" أي: من طين؛ وهذا أضعف. ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي﴾  
 وعيد، وجواب على ما طلبوا من التعجيل. ﴿وَيَقُولُونَ﴾ الآية، تفسير لاستعجالهم. ﴿الْوَعْدُ﴾ القيامة أو  
 نزول العذاب بهم. ﴿لَوْ يَعْلَمُ﴾ جواب "لو" محذوف. ﴿حِينَ﴾ مفعول به لـ "يعلم" أي: لو يعلمون الوقت  
 الذي يحيط بهم العذاب لأنوا وما استعجلوا. ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ﴾ ضمير الفاعل للنار، وقيل: للساعة. ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾  
 أي: تفجؤهم. ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ أي: لا يؤخرون عن العذاب. ﴿وَلَقَدْ أَسْهَرْنَا﴾ الآية، تسلية للنبي ﷺ  
 بالتأسي. ﴿فَحَاقَ﴾ أي: أحاط. ﴿مَنْ يَكْلَأُكُمْ﴾ أي: من يحفظكم من أمر الله، و"من" استفهامية، والمعنى:  
 تهديد وإقامة حجة، لأنهم لو أجابوا على هذا السؤال لاعترفوا أنهم ليس لهم مانع ولا حافظ، ثم جاء قوله  
 ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ بمعنى أنهم إذا سئلوا ذلك السؤال لم يجيبوا عنه؛ لأنه تقوم عليهم الحجة  
 إن أجابوا ولكنهم يعرضون عن ذكر الله، أي: عن الجواب الذي فيه ذكر الله، وقال الزمخشري: معنى الإضراب  
 هنا أنهم معرضون عن ذكره فضلا عن أن يخافوا بأسه. ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا﴾ أي: تمنعهم من  
 العذاب، و"أم" هنا للاستفهام، والمعنى: الإنكار والنفي، وذلك أنه لما سألهم عن يكلؤهم، أخبر بعد ذلك أن  
 آهتهم لا تمنعهم ولا تحفظهم ثم احتج عن ذلك بقوله ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ﴾ فإن من لا ينصر نفسه

وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴿١٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ  
 أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ؕ أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٤﴾ قُلْ  
 إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ ؕ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿١٥﴾ وَلِئِنْ  
 مَسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَلْوِيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٦﴾ وَنَضَعُ  
 الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِّنْ  
 خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ؕ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ  
 وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ  
 مُشْفِقُونَ ﴿١٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبْرَكٌ أَنْزَلْنَاهُ ؕ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٢٠﴾ \* وَلَقَدْ آتَيْنَا  
 إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٢١﴾

أولى أن لا ينصر غيره. ﴿وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾ الضمير للكفار، أي: لا يصحبون منا بنصر ولا حفظ. ﴿بَلْ  
 مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ﴾ أي: متعنهم بالنعم والعافية في الدنيا فطغوا بذلك ونسوا عقاب الله، والإضراب  
 بـ"بل" عن معنى الكلام المتقدم، أي: لم يحملهم على الكفر والاستهزاء بنصر ولا حفظ؛ بل حملهم على ذلك  
 أنا متعنهم وآباءهم. ﴿نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ ذكر في الرعد. ﴿وَلَا يَسْمَعُ الدُّعَاءَ﴾ إشارة إلى الكفار،  
 و"الضم" استعارة في إفراط إعراضهم. ﴿نَفْحَةٌ﴾ أي: خطرة وفيها تقليل العذاب، والمعنى: أنهم لو رأوا  
 أقل شيء من عذاب الله لأذعنوا واعترفوا بذنوبهم. ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ أي: العدل، وإنما أفرد  
 "القسط" وهو صفة للجمع لأنه مصدر وصف به كعدل ورضى، أو على تقدير ذوات القسط، ومذهب أهل  
 السنة أن الميزان يوم القيامة حقيقة له كفتان ولسان وعمود توزن فيه الأعمال، والخفة والثقل متعلقة بأجسام؛  
 إما صحف الأعمال أو ما شاء الله، وقالت المعتزلة: إن الميزان عبارة عن العدل في الجزاء. ﴿لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾  
 قال ابن عطية: تقديره: لحساب يوم القيامة أو لحكمة، فهو على حذف مضاف، وقال الزمخشري: هو كقولك:  
 كتبت الكتاب لست خلون من الشهر. ﴿مِثْقَالُ حَبَّةٍ﴾ أي: وزنها، والرفع على أن "كان" تامة، والنصب على  
 أنها ناقصة واسمها مضمرة. ﴿الْفُرْقَانَ﴾ هنا التوراة، وقيل: التفرقة بين الحق والباطل بالنصر وإقامة الحججة.  
 ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ﴾ يعني القرآن. ﴿رُشْدَهُ﴾ يعني إرشاده إلى توحيد الله، وكسر الأصنام وغير ذلك. ﴿مِن قَبْلُ﴾  
 أي: قبل موسى وهارون، وقيل: آتيناه رشده قبل النبوة. ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ أي: علمنا أنه يستحق ذلك.

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَكِفُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا  
لَهَا عِبَادِينَ ﴿٥٨﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا  
بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٦٠﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ  
وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٦١﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ  
﴿٦٢﴾ فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا هُمْ لَعَلَّهُمْ وَإِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٦٣﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا  
بِفَالِهِنَا إِنَّمَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٦٤﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٥﴾ قَالُوا  
فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦٦﴾ قَالُوا يَا نَسِيتَ هَٰذَا بِفَالِهِنَا  
يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٧﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسَأَلُوهُمْ وَإِن كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٨﴾

﴿ التَّمَاثِيلُ ﴾ يعني الأصنام، وكانت على صور بني آدم. ﴿ وَجَدْنَا آبَاءَنَا ﴾ اعتراف بالتقليد من غير دليل.  
﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ ﴾ أي: هل هذا الذي تقول جد أم مزاح؟ وانظر كيف عبر عن الحق بالفعل، وعن اللعب  
بالجملة الاسمية لأنه أثبت عندهم. ﴿ فَطَرَهُنَّ ﴾ أي: خلقهن، والضمير للسماوات والأرض والتماثيل؛  
وهذا أليق بالرد عليهم. ﴿ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾ يعني خروجهم إلى عيدهم. ﴿ جُدَادًا ﴾ أي: فئاتا، ويجوز  
فيه الضم والكسر والفتح، وهو من الجذ بمعنى القطع. ﴿ إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ ﴾ ترك الصنم الكبير لم يكسره وعلق  
القدم من يده. ﴿ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ الضمير للصنم الكبير، أي: يرجعون إليه فيسألونه فلا يجيبهم فيظهر لهم  
أنه لا يقدر على شيء، وقيل: الضمير لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، أي: يرجعون إليه فيبين لهم الحق.  
﴿ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا ﴾ قبله محذوف تقديره: فرجعوا من عيدهم فرأوا الأصنام مكسورة، فقالوا: من فعل  
هذا؟. ﴿ فَتَىٰ يَذُكُرُهُمْ ﴾ أي: يذكرهم بالذم ويقول "لأكيدن أصنامكم". ﴿ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾ قيل: إن إعراب  
"إبراهيم" منادى، وقيل: خبر ابتداء مضمرة، وقال الأعلام: رفع على الإهمال؛ والصحيح أنه مفعول لم يسم  
فاعله بـ"يقال"؛ لأن المراد الاسم لا المسمى، وهذا اختيار ابن عطية والزنجشري. ﴿ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ أي:  
يشهدون عليه بما فعل أو يحضرون عقوبتنا له. ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ ﴾ قصد إبراهيم عليه السلام بهذا  
القول تبيكتهم وإقامة الحججة عليهم، كأنه يقول إن كان إلهها فهو قادر على أن يفعل وإن لم يقدر فليس بإله، ولم  
يقصد الإخبار المحض لأنه كذب، فإن قيل: فقد جاء في الحديث: «إن إبراهيم كذب ثلاث كذبات أحدها:  
فعله كبيرهم» [البخاري: 3179]؛ فالجواب: أن معنى ذلك أنه قال قولا ظاهره الكذب، وإن كان القصد به معنى  
آخر؛ ويدل على ذلك قوله ﴿ فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ لأنه أراد به أيضا تبيكتهم وبيان ضلالهم.

فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ  
 عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿١٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ  
 شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿١٦﴾ أَفِ لَكُمْ لَوْمَاتٌ لِّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ قَالُوا  
 حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلَهِتَكُمْ إِن كُنْتُمْ فَعَلِينَ ﴿١٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ  
 إِبْرَاهِيمَ ﴿١٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٢٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ  
 الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٢١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۗ وَكُلًّا جَعَلْنَا  
 صَالِحِينَ ﴿٢٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ

﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: رجعوا إليها بالفكرة والنظر أو رجعوا إليها باللامامة. ﴿فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ  
 الظَّالِمُونَ﴾ أي: الظالمون لأنفسكم في عبادتكم ما لا ينطق ولا يقدر على شيء، أو الظالمون لإبراهيم في  
 قولكم عنه "إنه لمن الظالمين"، وفي تعنيفه على أعين الناس. ﴿ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ استعارة لانقلابهم  
 برجوعهم عن الاعتراف بالحق إلى الباطل والمعاندة، فقالوا ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ أي: فكيف  
 تأمرنا بسؤالهم؟ فهم قد اعترفوا بأنهم لا ينطقون وهم مع ذلك يعبدونهم، فهذه غاية الضلال في فعلهم  
 وغاية المكابرة والمعاندة في جدهم، ويحتمل أن يكون "نكسوا على رؤوسهم" بمعنى رجوعهم عن  
 المجادلة إلى الانقطاع؛ فإن قولهم "لقد علمت ما هؤلاء ينطقون" اعتراف يلزم منه أنهم مغلوبون بالحجة،  
 ويحتمل على هذا أن يكون "نكسوا على رؤوسهم" حقيقة؛ أي: أطرقوا من الخجل لما قامت عليهم الحجة.  
 ﴿أَفِ لَكُمْ﴾ تقدم الكلام على "أف" في الإسراء. ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ﴾ لما غلبهم بالحجة رجعوا إلى التغلب  
 عليه بالظلم. ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ أي: ذات برد وسلام، وجاءت العبارة هكذا للمبالغة،  
 واختلف كيف بردت النار؟ فقيل: أزال الله عنها ما فيها من الحر والإحراق، وقيل: دفع عن جسم  
 إبراهيم حرها وإحراقها مع ترك ذلك فيها، وقيل: خلق بينه وبينها حائلا، ومعنى السلام هنا السلامة،  
 وقد روي: أنه لو لم يقل "سلاما" لهلك إبراهيم من البرد، وقد أضربنا عما ذكره الناس في قصة إبراهيم  
 لعدم صحته، ولأن ألفاظ القرآن لا تقتضيه. ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ هي الشام، خرج إليها من  
 العراق، وبركتها بخصبها وكثرة الأنبياء فيها. ﴿نَافِلَةً﴾ أي: عطية، والتنفيل العطاء، وقيل: ساه نافلة  
 لأنه عطاء بغير سؤال فكانه تبرع، وقيل: الهبة إسحاق، والنافلة يعقوب؛ لأنه سأل إسحاق بقوله ﴿هَبْ لِي  
 مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، فأعطي يعقوب زيادة على ما سأل، واختار بعضهم على هذا الوقف على "إسحاق" لبيان  
 المعنى؛ وهذا ضعيف لأنه معطوف على كل قول. ﴿يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي: يرشدون الناس بإذنتنا.

وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ ۗ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ﴿٧٦﴾ وَلَوْطًا - آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا  
وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِينَ ﴿٧٧﴾  
وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ۗ إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٨﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ  
فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٩﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا  
إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ تَرَاجُمِينَ ﴿٨٠﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْتَصِمَانِ فِي  
الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ

﴿وَلَوْطًا﴾ قيل: إنه انتصب بفعل مضمر يفسره ﴿- آتَيْنَاهُ﴾؛ والأظهر أنه انتصب بالعطف على "موسى  
وهارون" أو "إبراهيم"، وانتصب "نوحا" و"داود وسليمان" وما بعدهم بالعطف أيضا، وقيل: بفعل مضمر  
تقديره: اذكر. ﴿- آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ أي: حكما بين الناس أو حكمة. ﴿مِنَ الْقَرْيَةِ﴾ هي سدوم من أرض الشام.  
﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ أي: في الجنة أو في أهل رحمتنا. ﴿نَادَى مِنْ قَبْلُ﴾ أي: دعا قبل إبراهيم ولوط. ﴿مِنَ  
الْكَرْبِ﴾ يعني الغرق. ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ﴾ تعدى "نصرناه" ب"من"؛ لأنه مطاوع انتصر المتعدي بمن، أو  
تضمن معنى نجيناه أو أجرناه. ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ كان داود نبيا ملكا، وكان ابنه سليمان حيثذا ابن أحد  
عشر عاما. ﴿فِي الْحَرْثِ﴾ قيل: زرع، وقيل: كرم؛ والحراث يقال فيهما. ﴿نَفَسَتْ﴾ رعت فيه بالليل.  
﴿لِحُكْمِهِمْ﴾ الضمير ل"داود وسليمان" والمتخاصمين، وقيل ل"داود وسليمان" خاصة على أن يكون أقل  
الجمع اثنان. ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ تخصم إلى داود رجلا دخلت غنم أحدهما على زرع الآخر بالليل  
فأفسدته، ففهم داود بأن يأخذ صاحب الزرع الغنم؛ ووجه هذا الحكم أن قيمة الزرع كانت مثل قيمة  
الغنم، فخرج الرجلان على سليمان وهو بالباب فأخبراهما بما حكم به أبوه، فدخل عليه فقال: يا نبي الله لو  
حكمت بغير هذا كان أرفق للجميع، قال: وما هو؟ قال: يأخذ صاحب الغنم الأرض ليصلحها حتى يعود  
زرعها كما كان، ويأخذ صاحب الزرع الغنم يتفح بالبائنا وصوفها ونسلها، فإذا أكمل الزرع ردت الغنم إلى  
صاحبها والأرض بزرعها إلى ربها، فقال له داود: وفقت يا نبي، وقضى بينهما بذلك، ووجه حكم سليمان أنه  
جعل الانتفاع بالغنم بإزاء ما فات من الزرع، وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحراث حتى يزول  
الضرر والنقصان، ويحتمل أن يكون ذلك إصلاحا لا حكما، واختلف الناس هل كان حكمهما اجتهادا أو  
بوحى؟ فمن قال كان باجتهاد أجاز الاجتهاد للأنبياء، ورأى أن داود رجوع عن حكمه لما تبين له أن الصواب  
خلافه، وقد اختلف في جواز الاجتهاد في حق الأنبياء، وعلى القول بالجواز اختلف هل وقع أم لا؟ وظاهر



وَكُلًّا - اتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٦﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٧٧﴾ وَوَسَّيْنَا مِنَ الرِّيحِ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يَعُودُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٧٩﴾

قوله "ففهمناها سليمان" أنه كان باجتهاد خص الله سليمان فيه بفهم القضية، ومن قال كان بوحى جعل حكم سليمان ناسخا لحكم داود، وأما حكم إفساد المواشي الزرع في شرعنا! فقال مالك والشافعي: يضمن أرباب المواشي ما أفسدت بالليل دون النهار للحديث الوارد في ذلك [الموطأ: 1440]، وعلى هذا يدل حكم داود وسليمان، لأن النفس لا يكون إلا بالليل، وقال أبو حنيفة: لا يضمن ما أفسدت بالليل ولا بالنهار لقوله ﷺ: «العجماء جرحها جبار» [البخاري: 6514]. «وَكُلًّا - اتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا» قيل: يعني في هذه النازلة، وأن داود لم يخطئ فيها ولكنه رجع إلى ما هو أرجح، ويدل على هذا القول أن كل مجتهد مصيب، وقيل: بل يعني "حكما وعلما" في غير هذه النازلة، وهذا على القول بأنه أخطأ فيها، وأن المصيب واحد من المجتهدين. «وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ» كان هذا التسبيح قول: سبحان الله، وقيل: الصلاة معه إذا صلى، وقدم "الجبال" على "الطير"؛ لأن تسبيحها أغرب إذ هي جماد. «وَكُنَّا فَاعِلِينَ» أي: قادرين على أن نفعل هذا، وقال ابن عطية: معناه كان ذلك في حقه لأجل أن داود استوجب ذلك منا. «صَنْعَةَ لَبُوسٍ» يعني دروع الحديد، وأول من صنعها داود عليه السلام، قال ابن عطية: اللبوس في اللغة السلاح، وقال الزمخشري: اللبوس اللباس. «لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ» أي: لتقيكم في القتال، وقرئ بالياء والتاء والنون؛ فالنون لله تعالى، والتاء للصنعة، والياء لداود أو للبوس. «فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ» لفظه استفهام، ومعناه: استدعاء إلى الشكر. «وَلَسَّيْمَانَ الرِّيحِ عَاصِفَةً» عطف "الرياح" على "الجبال" والعاصفة هي الشديدة، فإن قيل: كيف قال "عاصفة"، وقال في ص «رُخَاءً» أي: لينته، فالجواب: أنها كانت في نفسها لينته طيبة، وكانت تسرع في جريها كالعاصف، فجمعت الوصفين، وقيل: كانت رخاء في ذهابه وعاصفة في رجوعه إلى وطنه؛ لأن عادة المسافرين الإسراع في الرجوع، وقيل: كانت تشتد إذا رفعت البساط وتلين إذا حملته. «إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا» يعني أرض الشام، وكانت مسكنه وأرض ملكه، فخص في الآية الرجوع إليها لأنه يدل على الانتقال منها. «يَعُودُونَ» أي: يدخلون في الماء ليستخرجوا له الجوهر من البحار. «عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ» أي: أقل من الغوص كالبنيان والخدمة. «وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ» أي: نحفظهم عن أن يزيغوا عن أمره أو نحفظهم من إفساد

وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ  
فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى  
لِلْعَابِدِينَ ﴿٤٣﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ  
فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٥﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضَبًا فَظَنَّ  
أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ  
مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٤٦﴾

ما صنعوه، وقيل: معناه عالين بعددهم. ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ كان أيوب عليه السلام نبيا من الروم،  
وقيل: من بني إسرائيل، وكان له أولاد ومال كثير، فأذهب الله ماله فصبر ثم أهلكت الأولاد فصبر، ثم سلط  
البلاء على جسمه فصبر إلى أن مر به قوم فشمتموا به، فحينئذ دعا الله تعالى، على أن قوله ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ  
أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ليس تصرحا بالدعاء ولكنه ذكر نفسه بما يوجب الرحمة، ووصف ربه بغاية الرحمة ليرحمه،  
فكان في ذلك من حسن التلطف ما ليس في التصريح بالطلب. ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾ لما استجاب الله له  
أنبع له عينا من ماء فشرب منه، واغتسل فبرئ من المرض والبلاء. ﴿وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ روي: أن  
الله أحيا أولاده الموتى ورزقه مثلهم معهم في الدنيا، وقيل: في الآخرة، وقيل: ولدت امرأته مثل عدد أولاده  
الموتى ومثلهم معهم، وأخلف الله عليه أكثر مما ذهب من ماله. ﴿رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾ أي: رحمة لأيوب.  
﴿وَذَكَرَى﴾ لغيره من العابدين، ليصبروا كما صبر، ويحتمل أن تكون الرحمة والذكرى معا للعابدين. ﴿وَذَا  
الْكِفْلِ﴾ قيل: هو إلياس، وقيل: زكريا، وقيل: نبي بعث إلى رجل واحد، وقيل: رجل صالح غير نبي،  
وسمي "ذا الكفل" أي: ذا الحظ من الله، وقيل: لأنه تكفل لليسع بالقيام بالأمر من بعده. ﴿وَذَا النُّونِ﴾ هو  
يونس عليه السلام، و"النون" هو الحوت نُسب إليه لأنه التقمه. ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغْضَبًا﴾ أي: مغاضبا لقومه إذ  
كان يدعوهم إلى الله فيكفرون، حتى أدركه ضجر منهم فخرج عنهم، ولذلك قال الله ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ  
الْحُوتِ﴾ ولا يصح قول من قال مغاضبا لربه. ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي: ظن أن لن نصيق عليه، فهو  
من معنى قوله ﴿قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾، وقيل: هو من القدر والقضاء، أي: ظن أن لن نقدر عليه بعقوبة؛ ولا  
يصح قول من قال إنه من القدرة. ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ قيل: هذا الكلام محذوف لبيانه في غير هذه الآية،  
وهو أنه لما خرج ركب السفينة فرمي في البحر فالتقمه الحوت، "فنادى في الظلمات" وهي ظلمة الليل والبحر  
وبطن الحوت، ويحتمل أنه عبر بالظلمة عن بطن الحوت لشدة ظلمته كقوله ﴿وَتَرَكُوهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾. ﴿أَنْ لَا  
إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ "أن" مفسرة أو مصدرية على تقدير نادى بأن، والظلم الذي

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمْرِ ۚ وَكَذَلِكَ نُجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٣٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۗ وَكَانُوا لَنَا خَلْسِعِينَ ﴿٤٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَنْتَ فَرَجَهَا فَفَخَّخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٤١﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٤٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ۗ كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٤٣﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ ۖ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٤٤﴾ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنْهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٤٥﴾

اعترف به هو كونه لم يصبر على قومه وخرج عنهم. ﴿وَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمْرِ﴾ يعني من بطن الحوت وأخرجه إلى البر. ﴿وَكَذَلِكَ نُجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ يحتمل أن يكون مطلقاً أو يكون لمن دعا بدعاء يونس، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «دعوة أخي ذي النون ما دعا بها مكروب إلا استجيب له» [المستدرک: 3444]. ﴿لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ أي: بلا ولد ولا وارث. ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ إن لم ترزقني وارثاً فأنت خير الوارثين فهو استسلام لله. ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ يعني ولدت بعد أن كانت عقيماً، واسم زوجته أشياع قاله السهيلي. ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ الضمير للأنبياء المذكورين. ﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ الرغبة الرجاء، والرهب الخوف، وقيل: الرغبة أن ترفع إلى السماء بطون الأيدي، والرهب أن ترفع ظهورهما. ﴿وَالَّتِي أَحْصَنْتَ فَرَجَهَا﴾ هي مريم ابنت عمران، ومعنى "أحصنت" من العفة؛ أي: أعفته عن الحرام والحلال كقولها ﴿وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشْرًا﴾. ﴿فَفَخَّخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ أي: أجرينا فيها روح عيسى لما نفخ جبريل في جيب درعها، ونسب الله النفخ إلى نفسه لأنه كان بأمره، والروح هنا هو الذي في الجسد، وأضاف الله الروح إلى نفسه للتشريف أو للملك. ﴿آيَةً﴾ أي: دلالة، ولذلك لم يثن. ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾ أي: ملتكم ملة واحدة، وهو خطاب للناس كافة أو للمعاصرين لمحمد ﷺ، أي: إنما بعث الأنبياء المذكورين بما أمرتم به من الدين؛ لأن جميع الرسل متفقون في أصول العقائد. ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ﴾ أي: اختلفوا فيه، وهو استعارة من جعل الشيء قطعاً، والضمير للمخاطبين قبل، فالأصل تقطعتم. ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ أي: لا إبطال لثواب عمله. ﴿وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ أي: يكتب عمله في صحيفته. ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنْهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ قرئ "حرام" بكسر الحاء وهو بمعنى حرام، واختلف في معنى الآية، فقيل: "حرام" بمعنى ممتنع؛ أي: ممتنع على قرية أراد الله إهلاكها أن يرجعوا إلى الله

حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِمَّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿١١﴾ وَأَقْتَرَبَ  
 الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَوَّلْنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ  
 هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصْبُ  
 جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿١٣﴾ لَوْ كَانَ هَتُولَاءِ ۗ إِلَهَةً مَا وَرَدُوهَا ۗ وَكُلٌّ فِيهَا  
 خَالِدُونَ ﴿١٤﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ  
 مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٦﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۗ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ  
 أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ لَا تَحْزَنُهُمُ الْفَرَعُ الْأَكْبَرُ

بالتوبة، أو ممتنع على قرية قد أهلكها الله أن يرجعوا إلى الدنيا، و"لا" زائدة في الوجهين، وقيل: "حرام" بمعنى حتم واقع لا محالة، ويتصور فيه الوجهان، وتكون "لا" نافية فيها، أي: حتم عدم رجوعهم إلى الله بالتوبة أو حتم عدم رجوعهم إلى الدنيا، وقيل: المعنى ممتنع على قرية أهلكها الله أنهم لا يرجعون إليه في الآخرة، و"لا" على هذا نافية أيضا؛ ففيه رد على من أنكر البعث. ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ "حتى" هنا حرف ابتداء أو غاية متعلقة بـ"يرجعون"، وجواب "إذا" "فإذا هي شاخصة"، وقيل: الجواب "يا ويلنا" لأن تقديره: يقولون يا ويلنا، و"فتحت ياجوج وماجوج" أي: فتح سدها فحذف المضاف. ﴿وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ الحدب المرتفع من الأرض، و"ينسلون" أي: يسرعون، والضمير لياجوج وماجوج، أي: يخرجون من كل طريق لكثرتهم، وقيل: لجميع الناس. ﴿الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ يعني القيامة. ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ﴾ "إذا" هنا للمفاجأة، والضمير عند سيويه ضمير القصة، وعند الفراء للأبصار، و"شاخصة" من الشخوص، وهو إحداد النظر من الخوف. ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾ هذا خطاب للمشركين، والحصب ما توقد به النار كالحطب، وقرأ علي بن أبي طالب ؓ "حطب جهنم"، والمراد بها تعبدون الأصنام وغيرها تحرق في النار توبيخا لمن عبدها. ﴿وَارِدُونَ﴾ الورد هنا الدخول. ﴿زَفِيرٌ﴾ ذكر في هود. ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ قيل: يجعلون في توأبيت من نار فلا يسمعون شيئا، وقيل: يصمهم الله كما يصمهم. ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ "سبقت" أي: قضيت في الأزل، و"الحسنَى" السعادة، ونزلت هذه الآية لما اعترض ابن الزبيري على قوله "إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم"، فقال: إن عيسى وعزير والملائكة قد عبدوا، فالمعنى: إخراج هؤلاء من ذلك الوعيد، واللفظ مع ذلك على عمومه في كل من سبقت له السعادة. ﴿حَسِيسَهَا﴾ أي: صوتها. ﴿الْفَرَعُ الْأَكْبَرُ﴾ أهوال القيامة على الجملة،

وَتَتْلَقِيهِمُ الْمَلَكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ نَطْوِي  
السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا  
كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٨﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ  
الصَّالِحُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً  
لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢١﴾

وقيل: ذبح الموت، وقيل: النفخة الأولى في الصور لقوله ﴿فَفَرِّعْ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾.  
﴿كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ﴾ "السجل" الصحيفة، و"الكتاب" مصدر، أي: كما يطوى السجل ليكتب فيه  
أو ليصان الكتاب الذي فيه، وقيل: "السجل" رجل كاتب؛ وهذا ضعيف، وقيل: هو ملك في السماء  
الثانية ترفع إليه الأعمال؛ وهذا أيضا ضعيف. ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ أي: كما قدرنا على البدء  
نقدر على الإعادة فهو كقوله ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، وقيل: المعنى نعيدهم على الصورة التي  
بدأنها، كما جاء في الحديث: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا» ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ  
نُعِيدُهُ﴾ [البخاري: 3171]، والكاف متعلقة بقوله "نعيده". ﴿فَاعِلِينَ﴾ تأكيد لوقوع البعث. ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا  
فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ "في الزبور" هنا قولان؛ أحدهما: أنه كتاب داود و"الذكر" على هذا التوراة التي  
أنزل الله على موسى، أو ما في الزبور من ذكر الله تعالى، والقول الآخر: أن "الزبور" جنس الكتب التي  
أنزلها الله على جميع الأنبياء، و"الذكر" على هذا هو اللوح المحفوظ، أي: كتب الله هذا في الكتب التي  
أنزلت بعد ما كتبه في اللوح المحفوظ حين قضى الأمور كلها؛ والأول أرجح لأن إطلاق "الزبور" على  
كتاب داود أظهر وأكثر استعمالا، ولأن "الزبور" مفرد فدلالته على الواحد أرجح من دلالته على الجمع،  
ولأن النص قد ورد في زبور داود بأن الأرض يرثها الصالحون. ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾  
"الأرض" هنا على الإطلاق في مشارق الأرض ومغاربها، وقيل: الأرض المقدسة، وقيل: أرض الجنة؛  
والأول أظهر، والعباد الصالحون أمة محمد ﷺ؛ ففي الآية ثناء عليهم وإخبار بغيب ظهر مصداقه في  
الوجود إذ فتح الله لهذه الأمة مشارق الأرض ومغاربها. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ هذا خطاب  
لمحمد ﷺ وفيه تشريف عظيم، وانتصب "رحمة" على أنه حال من ضمير المخاطب المفعول، والمعنى على  
هذا: أن النبي ﷺ هو الرحمة، ويحتمل أن يكون مصدرا في موضع الحال من ضمير الفاعل تقديره:  
أرسلناك راحمين للعالمين، أو يكون مفعولا من أجله، والمعنى على كل وجه أن الله رحم العالمين بإرسال  
محمد ﷺ؛ لأنه جاءهم بالسعادة الكبرى والنجاة من الشقاوة العظمى، ونالوا على يديه الخيرات الكثيرة

قُلْ إِنَّمَا يُوجِي إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُهُ وَاحِدٌ ۖ فَهَلْ أُنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا  
فَقُلْ - اذْنُتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِي أَقْرِبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ  
الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ  
إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢١﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿٢٢﴾

في الآخرة والأولى، وعلمهم بعد الجهالة وهداهم بعد الضلالة، فإن قيل: "رحمة للعالمين" عموم والكفار  
لم يرحموا به، فالجواب من وجهين؛ أحدهما: أنهم كانوا معرضين للرحمة به لو آمنوا فهم الذين تركوا  
الرحمة بعد تعريضها لهم، والآخر: أنهم رُحِموا به لكونهم لم يعاقبوا بمثل ما عوقب به الكفار المتقدمون  
من الطوفان والصيحة وشبه ذلك. ﴿- اذْنُتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ﴾ أي: أعلمتكم بالحق على استواء في الإعلام،  
وتبليغ إلى جميعكم لم يختص به واحد دون آخر. ﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقْرِبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ "إن" هنا وفي  
الموضع الآخر نافية، و"أدري" فعل علق عن معموله لأنه من أفعال القلوب، وما بعده في موضع  
المعمول من طريق المعنى فيجب وصله معه، والهمزة في قوله "أقرب" للتسوية لا مجرد الاستفهام، وقيل:  
يوقف على "إن أدري" في الموضعين ويبدأ بما بعده؛ وهذا خطأ لأنه يطلب ما بعده. ﴿لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ﴾ الضمير  
لإمهالهم وتأخير عقوبتهم. ﴿وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى الموت أو القيامة. ﴿الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ أي:  
أستعين به على الصبر على ما تصفون من الكفر والتكذيب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كَتَبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَآنَهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ

## سورة الحج

﴿ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾ تكلمنا على التقوى في أول البقرة. ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ ﴾ أي: شدتها وهولها كقوله ﴿ وَزُلْزِلُوا ﴾، أو تحريك الأرض حينئذ كقوله ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾، والجملة تعليل للأمر بالتقوى، واختلف هل الزلزلة والشدائد المذكورة بعد ذلك في الدنيا بين يدي القيامة، أو بعد أن تقوم القيامة؟ والأرجح أن ذلك قبل القيامة؛ لأن في ذلك الوقت يكون ذهول المرضعة ووضع الحامل لا بعد القيامة. ﴿ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا ﴾ العامل في الظرف "تذهل"، والضمير لـ"زلزلة"، وقيل: لـ"الساعة"؛ وذلك ضعيف لما ذكرنا إلا أن يريد ابتداء أمرها. ﴿ تُذْهِلُ ﴾ الذهول هو الذهاب عن الشيء مع دهشة. ﴿ مَرْضِعَةٍ ﴾ إنها لم يقل: مرضع؛ لأن المرضعة هي التي في حال الإرضاع ملقمة ثديها للصبى، والمرضع التي شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به، فقال: "مرضعة" ليكون ذلك أعظم في الذهول إذ تنزع ثديها من فم الصبي حينئذ. ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى ﴾ تشبيه بالسكارى من شدة الغم. ﴿ وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ﴾ نفي لحقيقة السكر، وقرئ "سكرى"، والمعنى متفق. ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ ﴾ نزلت في النصر بن الحارث، وقيل: في أبي جهل؛ وهي تناول كل من اتصف بذلك. ﴿ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴾ أي: شديد الإغواء، ويحتمل أن يريد شيطان الجن والإنس. ﴿ كَتَبَ ﴾ تمثيل لثبوت الأمر كأنه مكتوب، ويحتمل أن يكون بمعنى قضى كقولك ﴿ كَتَبَ اللَّهُ ﴾ أنه في موضع المفعول الذي لم يسم فاعله، و﴿ فَأَنَّهُ ﴾ عطف عليه، وقيل: تأكيد. ﴿ مَن تَوَلَّاهُ ﴾ أي: اتبعه أو اتخذه وليا، والضمير في "عليه"، وفي "أنه" في الموضعين، وفي "تولاه" للشيطان، وفي ﴿ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ ﴾ للمتولي له، ويحتمل أن تكون تلك الضمائر أولا لـ"من يجادل". ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ ﴾ الآية، معناها إن شككتم في البعث الأخروي فزوال ذلك الشك أن تنظروا في ابتداء خلقكم، فتعلموا أن الذي قدر على خلقكم أول مرة قادر على أن يعيدكم ثاني مرة، وأن الذي قدر على إخراج النبات من الأرض بعد موتها قادر على أن يخرجكم من قبوركم. ﴿ خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ﴾ إشارة إلى خلق آدم، وأسند ذلك إلى الناس

ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنَبِّينَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى  
 أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى  
 وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ  
 هَامِدَةً فَاذًا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿١٠﴾ ذَلِكَ  
 بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا  
 رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿١٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ  
 وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿١٣﴾

لأنهم من ذريته وهو أصلهم. ﴿ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾ العلقه قطعة من دم جامدة. ﴿ مِنْ مُضْغَةٍ ﴾ أي: قطعة من لحم.  
 ﴿ مُخَلَّقَةٍ ﴾ التامة الخلقة، وغير المخلقة غير التامة كالسقط، وقيل: المخلقة المسواة السالمة من النقصان.  
 ﴿ لِنَبِّينَ لَكُمْ ﴾ اللام تتعلق بمحذوف تقديره: ذكرنا ذلك لنبين لكم قدرتنا على البعث. ﴿ وَنُقِرُّ ﴾ فعل  
 مستأنف. ﴿ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ يعني وقت وضع الحمل، وهو مختلف؛ أقله ستة أشهر إلى ما فوق ذلك.  
 ﴿ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ أفرده لأنه أراد الجنس، أو أراد نخرج كل واحد منكم طفلا. ﴿ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ﴾ هو  
 كمال القوة والعقل والتمييز، وقد اختلف فيه من ثماني عشرة سنة إلى خمس وأربعين. ﴿ أَرْذَلِ الْعُمُرِ ﴾ ذكر في  
 النحل. ﴿ هَامِدَةً ﴾ يعني لا نبات فيها. ﴿ اهْتَزَّتْ ﴾ تحركت بالنبات، وتخلخلت أجزاؤها لما دخلها الماء.  
 ﴿ وَرَبَّتْ ﴾ انتفخت. ﴿ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ أي: صنف عجيب. ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ﴾ أي: ذلك المذكور من أمر  
 الإنسان والنبات حاصل بأن الله هو الحق، هكذا قدره الزمخشري، والباء على هذا سببية، وهذا المعنى أيضا  
 فسره ابن عطية، ويلزم على هذا أن لا يكون قوله ﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ ﴾ معطوفا على ذلك؛ لأنه ليس بسبب  
 لما ذكر، فقال ابن عطية: قوله "أن الساعة" ليس بسبب لما ذكر، ولكن المعنى أن الأمر مرتبط ببعضه ببعض،  
 أو على تقدير: والأمر أن الساعة؛ وهذان الجوابان اللذان ذكر ابن عطية ضعيفان؛ أما قوله: أن المعنى أن  
 الأمر مرتبط ببعضه ببعض، فالارتباط هنا إنما يكون بالعطف والعطف لا يصح، وأما قوله على تقدير: الأمر  
 أن الساعة، فذلك استئناف وقطع للكلام الأول، ولا شك أن المقصود من الكلام الأول هو إثبات الساعة،  
 فكيف يجعل ذكرها مقطوعا عما قبله؟ والذي يظهر لي أن الباء ليست بسببية، وإنما يقدر لها فعل تتعلق به  
 ويقتضيه المعنى؛ وذلك أن يكون التقدير: ذلك الذي تقدم من خلقة الإنسان والنبات شاهد بأن الله هو  
 الحق، وبأنه يحيي الموتى، وبأن الساعة آتية، فيصح عطف "وأن الساعة" على ما قبله بهذا التقدير، وتكون هذه  
 الأشياء المذكورة بعد قوله "ذلك" مما استدل عليها بخلقة الإنسان والنبات. ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ ﴾ نزلت



ثَانِي عِظْفِهِ، لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلْمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١١﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَّعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ۖ فَإِن أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِن أَصَابَتْهُ فَتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ۖ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَفْعَ لَهُ ۚ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَلُ الْبَعِيدُ ﴿١٣﴾ يَدْعُوا لَمَن ضُرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ ۚ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٤﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٥﴾

فيمن نزلت فيه الأولى، وقيل: في الأخنس بن شريق. ﴿ثَانِي عِظْفِهِ﴾ كناية عن المتكبر المعرض. ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ إن كانت في الضر بن الحارث؛ فالخزي أسره ثم قتله، وكذلك قتل أبي جهل. ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ﴾ أي يقال له: ذلك بما فعلت وبعدل الله لأنه لا يظلم العباد. ﴿مَن يَّعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ نزلت في قوم من الأعراب، كان أحدهم إذا أسلم فاتفق له ما يعجبه في ماله وولده قال: هذا دين حسن، وإن اتفق له خلاف ذلك تشاءم به وارتد عن الإسلام، فالـ"حرف" هنا كناية عن المقصد، وأصله من الانحراف عن الشيء، أو من الحرف بمعنى الطرف؛ أي: أنه في طرف من الدين لا في وسطه. ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ خسارة الدنيا بما جرى عليه فيها، وخسارة الآخرة بارتداده وسوء اعتقاده. ﴿مَا لَا يَضُرُّهُ﴾ يعني الأصنام، و"يدعو" بمعنى يعبد في الموضعين. ﴿يَدْعُوا لَمَن ضُرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ﴾ فيها إشكالان؛ الأول: في المعنى؛ وهو كونه وصف الأصنام بأنها لا تضر ولا تنفع، ثم وصفها بأن ضرها أكثر من نفعها، فنفى الضر ثم أثبتته، فالجواب: أن الضر المنفي أو لا يرد به ما يكون من فعلها وهي لا تفعل شيئاً، والضر الثاني يرد به ما يكون بسببها من العذاب وغيره، والإشكال الثاني: دخول اللام على "من" وهي في الظاهر مفعول، واللام لا تدخل على المفعول، وأجاب الناس عن ذلك بثلاثة أوجه؛ أحدها: أن اللام مقدمة على موضعها، كأن الأصل أن يقال: يدعو من لضره أقرب من نفعه، فموضعها الدخول على المبتدأ، وثانيها: أن "يدعو" هنا كرر تأكيداً لـ"يدعو" الأول وتم الكلام عنده، ثم ابتداء قوله "لمن ضره"، فـ"من" مبتدأ وخبره ﴿لَيْسَ الْمَوْلَىٰ﴾، وثالثها: أن معنى "يدعو" يقول يوم القيامة هذا الكلام إذا رأى مصرة الأصنام، فدخلت اللام على مبتدأ في أول الكلام. ﴿الْمَوْلَىٰ﴾ هنا بمعنى الولي. ﴿الْعَشِيرُ﴾ الصاحب فهو من العشيرة. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية، لما ذكر أن الأصنام لا تنفع من عبدها، قابل ذلك بأن الله ينفع من عبده بأعظم النفع وهو دخول الجنة.

مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُدْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالنَّصْرِيُّ وَالْمَجُوسَ

﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾ الـ"سبب" هنا الحبل، و"السماء" هنا سقف البيت، وشبهه من الأشياء التي يعلق منها الحبال، والقطع هنا يراد به الاختناق بالحبل، يقال: قطع الرجل إذا اختنق، ويحتمل أن يراد به قطع الرجل من الأرض بعد ربط الحبل في العنق وربطه في السقف، والمراد بالاختناق هنا ما يفعله من اشتد غيظه وحسرتة، أو طمع فيما لا يصل إليه كقوله للحسود: مت كمدا أو اختنق فإنك لا تقدر على غير ذلك، وفي معنى الآية قولان؛ الأول: أن الضمير في ﴿يَنْصُرُهُ﴾ لمحمد ﷺ، والمعنى على هذا: من كان من الكفار يظن أن لن ينصر الله محمداً فليختنق بحبل؛ فإن الله ناصره ولا بد على غيظ الكفار، فموجب الاختناق هو الغيظ من نصره محمد ﷺ، والقول الثاني: أن الضمير في "ينصره" عائد على "من"، والمعنى على هذا: من ظن بسبب ضيق صدره وكثرة غمه أن لن ينصره الله فليختنق وليمت بغيظه؛ فإنه لا يقدر على غير ذلك، فموجب الاختناق على هذا القنوط والتسخط من القضاء، وسوء الظن بالله حتى يبأس من نصره، ولذلك فر بعضهم ﴿أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ﴾ بمعنى أن لن يرزقه؛ وهذا القول أرجح من الأول لوجهين؛ أحدهما: أن هذا القول مناسب لمن يعبد الله على حرف، لأنه إذا أصابته فتنة انقلب وقنط حتى ظن أن الله لا ينصره، فيكون هذا الكلام متصلاً بما قبله، ويدل على ذلك قوله قبل هذه الآية "إن الله يفعل ما يريد" أي: الأمور بيد الله فلا ينبغي لأحد أن يتسخط من قضاء الله ولا ينقلب إذا أصابته فتنة، والوجه الثاني: أن الضمير في "ينصره" على هذا القول يعود على ما تقدمه، وأما على القول الأول فلا يعود على مذكور قبله؛ لأن النبي ﷺ لم يذكر قبل ذلك بحيث يعود الضمير عليه، ولا يدل سياق الكلام عليه دلالة ظاهرة. ﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُدْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ الكيد هنا يراد به اختناقه، وسمي كيدا لأنه وضعه موضع الكيد إذ هو غاية حيلته، والمعنى: إذا خنق نفسه فلينظر هل يذهب ذلك ما يغيظه من الأمر، أي ليس يذهب؟ ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ﴾ الضمير للقرآن، أي: مثل هذا أنزلنا القرآن كله. ﴿ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾ قال ابن عطية: "أن" في موضع خبر الابتداء، والتقدير: الأمر أن الله؛ وهذا ضعيف؛ لأن فيه تكلف إضمار وقطع الكلام عن المعنى الذي قبله، وقال الزمخشري: التقدير: لأن الله يهدي من يريد أنزلناه كذلك آيات بينات، فجعل "أن" تعليلاً للإنزال؛ وهذا ضعيف للفصل بينها بالواو؛ والصحيح عندي أن قوله "وأن الله" معطوف على "آيات بينات"؛ لأنه مقدر بالمصدر فالتقدير: أنزلناه آيات بينات وهدى لمن أراد الله أن يهديه. ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ ذكر في البقرة، وكذلك ﴿الَّذِينَ هَادُوا﴾. ﴿وَالْمَجُوسَ﴾ هم الذين يعبدون النار، ويقولون: إن الخير من النور والشر من الظلمة.

وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۗ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ۗ

﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ هم الذين يعبدون الأصنام من العرب وغيرهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ هذه الجملة هي خبر "إن الذين آمنوا والذين هادوا" الآية، وكررت مع الخبر للتأكيد، وفصل الله بينهم بأن يبين لهم أن الإيمان هو الحق وسائر الأديان باطلة، وبأن يدخل الذين آمنوا الجنة ويدخل غيرهم النار. ﴿يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ دخل في هذا من في السموات من الملائكة، ومن في الأرض من الملائكة والجن، ولم يدخل الناس في ذلك لأنه ذكرهم في آخر الآية، إلا أن يكون ذكرهم في آخرها على وجه التجريد، وليس المراد بالسجود هنا السجود المعروف؛ لأنه لا يصح في حق الشمس والقمر وما ذكر بعدهما، وإنما المراد به الانقياد؛ ثم إن الانقياد يكون على وجهين؛ أحدهما: الانقياد لطاعة الله طوعاً، والآخر: الانقياد لما يجري الله على المخلوقات من أفعاله وتدييره شأؤوا أو أبوا. ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ إن جعلنا السجود بمعنى الانقياد للطاعة، فيكون "كثير من الناس" معطوفاً على ما قبله من الأشياء التي تسجد، ويكون قوله ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ مستأنفاً يراد به من لا ينقاد للطاعة، ويوقف على قوله "وكثير من الناس"؛ وهذا القول هو الصحيح، وإن جعلنا السجود بمعنى الانقياد لقضاء الله وتدييره، فلا يضح تفصيل الناس على ذلك إلى من يسجد ومن لا يسجد، لأن جميعهم يسجد بذلك المعنى، وقيل: إن قوله "كثير من الناس" معطوف على ما قبله، ثم عطف عليه "كثير حق عليه العذاب"، فالجميع على هذا يسجد، وهذا ضعيف؛ لأن قوله "حق عليه العذاب" يقتضي ظاهره أنه إنما حق عليه العذاب بتركه للسجود، وتأوله الزمخشري على هذا المعنى بأن إعراب "كثير من الناس" فاعل بفعل مضمّر تقديره: يسجد سجود طاعة، أو مرفوع بالابتداء وخبره محذوف تقديره: مثاب؛ وهذا تكلف بعيد. ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾ الإشارة إلى المؤمنين والكفار على العموم، ويدل على ذلك ما ذكر قبلها من اختلاف الناس في أديانهم، وهو قول ابن عباس ؓ، وقيل: نزلت في علي بن أبي طالب، وحمة بن عبد المطلب، وعبيدة بن الحارث ؓ حين برزوا يوم بدر لعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة؛ فالآية على هذا مدنية إلى تمام ست آيات، والخصم يقع على الواحد والاثنين والجماعة، والمراد به هنا الجماعة، والإشارة بهذين إلى الفريقين. ﴿اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ أي: في دينه وفي صفاته، والضمير في "اختصموا" لجماعة الفريقين.

فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١١﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿١٢﴾ وَهُمْ مَقْمَعُونَ مِّنْ حَدِيدٍ ﴿١٣﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٤﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُتْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿١٥﴾ وَهُدُوءًا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوءًا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِءُ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمِ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٧﴾

﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية، حكم بين الفريقين بأن جعل للكفار النار وللمؤمنين الجنة المذكورة بعد هذا. ﴿قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ﴾ أي: فصلت على قدر أجسادهم، وهو مستعار من تفصيل الثياب. ﴿الْحَمِيمُ﴾ الحار. ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ أي: يذاب، وذلك أن الحميم إذا صب على رؤوسهم وصل حره إلى بطونهم فأذاب ما فيها، وقيل: معنى "يصهر" ينضج. ﴿مَقْمَعُونَ﴾ جمع مقمعة، أي: مقرعة. ﴿مِّنْ حَدِيدٍ﴾ يضربون بها، وقيل: هي السياط. ﴿مِّنْ غَمٍّ﴾ بدل من المجرور قبله. ﴿وَذُوقُوا﴾ التقدير: يقال لهم ذوقوا. ﴿مِّنْ أَسَاوِرَ﴾ "من" لبيان الجنس، أو للتبعيض، وفسرنا الأساور في الكهف. ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ بالنصب مفعول بفعل مضمر، أي: يعطون لؤلؤا، أو معطوف على موضع "من أساور" إذ هو مفعول، وبالخفض معطوف على "أساور"، أو على "ذهب". ﴿الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ قيل: هو "لا إله إلا الله"، واللفظ أعم من ذلك. ﴿صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ أي: صراط الله؛ فالحميد اسم الله، ويحتمل أن يريد الصراط الحميد، وأضاف الصفة إلى الموصوف كقولك: مسجد الجامع. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ خبره محذوف يدل عليه قوله ﴿نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾، وقيل: الخبر ﴿يَصُدُّونَ﴾ على زيادة الواو؛ وهذا ضعيف، وإنما قال "يصدون" بلفظ المضارع ليدل على الاستمرار على الفعل. ﴿سَوَاءً﴾ بالرفع مبتدأ، أو خبر مقدم، والجملة في موضع المفعول الثاني لـ "جعلنا"، وقرئ بالنصب على أنه المفعول الثاني، و"العاكف" فاعل به. ﴿الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِءُ﴾ "العاكف" المقيم في البلد، والبادي القادم عليه من غيره، والمعنى: أن الناس سواء في المسجد الحرام لا يختص به أحد دون أحد، وذلك إجماع، وقال أبو حنيفة: حكم سائر مكة في ذلك كالمسجد الحرام، فيجوز للقادم أن ينزل منها حيث شاء وليس لأحد فيها ملك، والمراد عنده بالمسجد الحرام جميع مكة، وقال مالك وغيره: ليست الدور في ذلك كالمسجد بل هي متملكة. ﴿بِالْحَادِ يَظْلَمُ﴾ الإحاد الميل عن الصواب، والظلم هنا عام في المعاصي من الكفر إلى الصغائر؛ لأن الذنوب بمكة أشد منها في غيرها، وقيل: هو استحلال الحرام، ومفعول ﴿يُرِدُ﴾ محذوف

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ  
وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى  
كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ  
اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ

تقديره: من يرد أحدا، أو من يرد شيئا، و"بالحاد بظلم" حالان مترادفان، وقيل: المفعول قوله "بالحاد" على زيادة الباء. ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ العامل في "إذ" مضمرة تقديره: اذكر، و"بوأنا" أصله باء بمعنى رجع ثم ضوعف ليتعدى، واستعمل بمعنى أنزلنا في الموضع كقوله ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، إلا أن هذا المعنى يشكل هنا لقوله "لإبراهيم"، فتعدى الفعل باللام وهو يتعدى بنفسه حتى قيل السلام زائدة، وقيل: معناه هيأنا، وقيل: جعلنا، و"البيت" هنا الكعبة، وروي: أنه كان آدم يعبد الله فيه ثم درس بالطوفان، فدل الله إبراهيم على مكانه وأمره ببنائه. ﴿أَنْ لَا تُشْرِكْ﴾ "أن" مفسرة، والخطاب لإبراهيم عليه السلام، وإنما فسرت تبوءة البيت بالنهي عن الإشراك والأمر بالتطهير؛ لأن التبوءة إنما قصدت لأجل العبادة التي تقتضي ذلك. ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي﴾ عام في التطهير من الكفر والمعاصي والأنجاس وغير ذلك. ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾ يعني المصلين. ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ خطاب لإبراهيم، وقيل لمحمد ﷺ، والأول هو الصحيح، وروي: أنه لما أمر بالأذان بالحج صعد على جبل أبي قبيس ونادى: أيها الناس! إن الله قد أمركم بحج هذا البيت فحجوا، فسمعه كل من يحج إلى يوم القيامة وهم في أصلاب آبائهم، وأجابه في ذلك الوقت كل شيء من جهاد وغيره: ليك اللهم لييك، فجرت التلبية على ذلك. ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ جمع راجل، أي: ماشيا على رجليه. ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ الضامر يراد به ما يُركب من فرس وناقة وغير ذلك، ووصفه بالضمور؛ لأنه لا يصل إلى البيت إلا بعد ضموره، وقوله "وعلى كل ضامر" حال معطوف على حال كأنه قال: رجالا وركبانا، واستدل بعضهم بتقديم الرجال في الآية على أن المشي إلى الحج أفضل من الركوب، واستدل بعضهم بسقوط ذكر البحر من هذه الآية على أنه يسقط فرض الحج على من يحتاج إلى ركوب البحر. ﴿يَأْتِينَ﴾ صفة لـ"كل ضامر" لأنه في معنى الجمع. ﴿فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ أي: طريق بعيد. ﴿مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ التجارة، وقيل: أعمال الحج وثوابه؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ يعني التسمية عند ذبح البهائم ونحرها في الضحايا والهدايا، وقيل: يعني الذكر على الإطلاق، وإنما قال "اسم الله" لأن الذكر باللسان إنما يذكر لفظ الأسماء. ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ هي عند مالك يوم النحر وثانيه وثالثه خاصة؛ لأن هذه هي أيام الضحايا عنده، ولم يجز ذبحها بالليل لقوله "في أيام"، وقيل: الأيام المعلومات عشر ذي الحجة ويوم النحر والثلاثة بعده، وقيل: عشر ذي الحجة خاصة، وأما الأيام المعدودات فهي الثلاثة بعد يوم النحر؛ فيوم النحر من المعلومات لا من المعدودات،

فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْبَآئِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفْتَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطُوفُوا  
بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۗ وَأُحِلَّتْ  
لَكُمْ الْآنَعَامُ إِلَّا مَا يُتْبَلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ  
الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُتَفَاءَ اللَّهِ غَيْرِ مُشْرِكِينَ بِهِ ۗ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ  
فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَىٰ بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَ اللَّهِ

واليومان بعده من المعلومات والمعدودات، ورابع النحر من المعدودات لا من المعلومات. ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾  
ندب أو إباحة، ويستحب أن يأكل الأقل من الضحايا ويتصدق بالأكثر. ﴿الْبَآئِسَ﴾ الذي أصابه البؤس،  
وقيل: هو المتكفف، وقيل: الذي يظهر عليه أثر الجوع. ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفْتَهُمْ﴾ التفت في اللغة الوسخ، فالمعنى  
ليقضوا إزالة تفتهم بقص الأظفار، والاستحداد، وسائر خصال الفطرة، والتنظف بعد أن يجلوا من الحج،  
وقيل: التفت أعمال الحج، وقرئ بكسر اللام وإسكانها وهي لام الأمر، وكذلك "ليوفوا" و"ليطوفوا".  
﴿وَلِيَطُوفُوا﴾ المراد هنا طواف الإفاضة عند جميع المفسرين، وهو الطواف الواجب. ﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي:  
القديم؛ لأنه أول بيت وضع للناس، وقيل: "العتيق" الكريم، كقولهم: فرس عتيق، وقيل: أعتق من الجبارة؛  
أي: منع منهم، وقيل: "العتيق" أي: لم يملكه أحد قط. ﴿ذَلِكَ﴾ هنا وفي الموضع الثاني مرفوع على تقدير:  
الأمر ذلك، كما يقدم الكاتب جملة من كتابه ثم يقول هذا وقد كان كذا، وأجاز بعضهم الوقف على قوله  
"ذلك" في ثلاثة مواضع من هذه السورة، وهي هذا و﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾، وذلك ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ  
بِاللَّهِ﴾؛ لأنها جملة مستقلة إذ هو خبر ابتداء مضمرة؛ والأحسن وصلها بما بعدها عند شيخنا أبي جعفر بن  
الزبير؛ لأن ما بعدها ليس كلاماً أجنبياً، ومثلها ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ﴾، و﴿ذَلِكُمْ قُدُورُهُ﴾ في الأنفال، و﴿هَذَا  
وَإِنَّ لِلظَّالِمِينَ﴾ في ص. ﴿حُرْمَاتِ اللَّهِ﴾ جمع حرمة، وهو ما لا يحل هتكه من جميع الشريعة، فيحتمل أن  
يكون هنا على العموم، أو يكون خاصاً بما يتعلق بالحج لأن الآية فيه. ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ أي: التعظيم للحرمات  
خير. ﴿إِلَّا مَا يُتْبَلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ يعني ما حرمه في غير هذا الموضع كالميتة. ﴿الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ "من" لبيان  
الجنس، كأنه قال: الرجس الذي هو الأوثان، والمراد النهي عن عبادتها، أو عن الذبح تقرباً إليها كما كانت  
العرب تفعل. ﴿قَوْلَ الزُّورِ﴾ أي: الكذب، وقيل: شهادة الزور. ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾ الآية، تمثيل  
للمشرك بمن أهلك نفسه أشد الهلاك. ﴿سَحِيقٍ﴾ أي: بعيد. ﴿شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ قيل: هي الهدايا في الحج؛  
وتعظيمها بأن تختار سناناً عظيماً غالبية الأثنان، وقيل: هي مواضع الحج كعرفات ومنى والمزدلفة؛ وتعظيمها  
إجلالها وتوقيرها والقصد إليها، وقيل: الشعائر أمور الدين على الإطلاق؛ وتعظيمها القيام بها وإجلالها.

فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿١٠﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ  
الْعَتِيقِ ﴿١١﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ  
الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿١٢﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ  
وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٣﴾  
وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۗ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ ۗ

﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ الضمير عائد على الفعلة التي يتضمنها الكلام، وهي مصدر "يعظم"، وقال الزمخشري: التقدير: فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحذفت هذه المضافات. ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ من قال: إن "شعائر الله" هي الهدايا؛ فالمنافع بها شرب لبنها وركوبها لمن اضطر إليها، والأجل المسمى نحرها، ومن قال: إن "شعائر الله" مواضع الحج؛ فالمنافع التجارة فيها أو الأجر، والأجل المسمى الرجوع إلى مكة لطواف الإفاضة. ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ من قال: إن الشعائر الهدايا؛ فمحلها موضع نحرها، وهي منى ومكة، وخص البيت بالذكر لأنه أشرف الحرم وهو المقصود بالهدى، و"ثم" على هذا القول ليست للترتيب في الزمان لأن محلها قبل نحرها، وإنما هي لترتيب الجمل، ومن قال: إن الشعائر مواضع الحج؛ فمحلها مأخوذ من إحلال المحرم؛ أي: آخر ذلك كله الطواف بالبيت يعني طواف الإفاضة؛ إذ به يحل المحرم من إحرامه، ومن قال: إن الشعائر أمور الدين على الإطلاق، فذلك لا يستقيم مع قوله "محلها إلى البيت". ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ أي: لكل أمة مؤمنة، والمنسك اسم مكان، أي: موضعا لعبادتهم، ويحتمل أن يكون اسم مصدر بمعنى عبادة، والمراد بذلك الذبائح لقوله ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ بخلاف ما يفعله الكفار من الذبح تقربا إلى الأصنام. ﴿فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ في وجه اتصاله بما قبله وجهان؛ أحدهما: أنه لما ذكر الأمم المتقدمة خاطبها بقوله "فإلهكم إله واحد" أي: هو الذي شرع المناسك لكم ولمن تقدم قبلكم، والثاني: أنه إشارة إلى الذبائح، أي: إلهكم إله واحد فلا تذبحوا تقربا لغيره. ﴿الْمُخْبِتِينَ﴾ الخاشعين، وقيل: المتواضعين، وقيل: نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ؓ، وكذلك قوله بعد ذلك ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾، واللفظ فيها أعم من ذلك. ﴿وَجِلَّتْ﴾ خافت. ﴿وَالْبُدْنَ﴾ جمع بدنة، وهي ما أشعر من الإبل، واختلف هل يقال للبقرة بدنة؟ وانتصابه بفعل مضمرة. ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ واحدها شعيرة، و"من" للتبعيض، وبذلك استدل من قال: إن "شعائر الله" المذكورة أولا على العموم في أمور الدين. ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ قيل: ال"خير" هنا المنافع المذكورة قبل، وقيل: الثواب؛ والصواب العموم في خير الدنيا والآخرة. ﴿صَوَافٍ﴾ معناه: قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن، وهو منصوب على الحال من

فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٥﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتَكْبِرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْكُمْ وَيَشِّرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿١٧﴾ اذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿١٨﴾

الضمير المجرور، ووزنه فواعل، وواحد صافة. ﴿وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ أي: سقطت إلى الأرض عند موتها، يقال: وجب الحائط وغيره إذا سقط. ﴿الْقَانِعَ﴾ معناه السائل، وهو من قولك: قنع الرجل، بفتح النون إذا سأل، وقيل: معناه المتعفف عن السؤال، فهو على هذا من قولك: قنع بالكسر إذا رضي بالقليل. ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾ المعترض بغير سؤال، ووزنه مفتعل يقال: اعتررت بالقوم إذا تعرضت لهم، فالمعنى أطمعوا من سأل ومن لم يسأل ممن تعرض بلسان حاله، أو أطمعوا من تعفف عن السؤال بالكلية ومن تعرض للعطاء. ﴿كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ﴾ أي: كما أمرناكم بهذا كله سخرناها لكم، وقال الزمخشري: التقدير: مثل التسخير الذي علمتم سخرناها لكم. ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا﴾ المعنى: لن تصلوا إلى رضا الله باللحوم ولا بالدماء، وإنما تصلون إليه بالتقوى؛ أي: بالإخلاص لله، وقصد وجه الله بما تذبحون وتنحرون من الهدايا، فعبر عن هذا المعنى بلفظ "ينال" مبالغة وتأكيداً كأنه قال: لن تصل لحومها ولا دماؤها إلى الله، وإنما يصل إليه التقوى منكم، فإن ذلك هو الذي طلب منكم وعليه يحصل لكم الثواب، وقيل: كان أهل الجاهلية يضرجون البيت بالدماء فأراد المسلمون فعل ذلك، فنهوا عنه ونزلت الآية. ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ كرر تأكيداً. ﴿لِتُكْبِرُوا اللَّهَ﴾ قيل: يعني قول الذابح: بسم الله والله أكبر؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ كان الكفار يؤذون المؤمنين بمكة فوعدهم الله أن يدفع عنهم شرهم وأذاهم، وحذف مفعول "يدافع" ليكون أعظم وأعم، وقرئ "يدافع" بالألف و"يدفع" بسكون الدال من غير الألف؛ وهما بمعنى واحد أجريت فاعل مجرى فعل كقولك: عاقبت اللص، وقال الزمخشري: "يدافع" معناه يبالغ في الدفع عنهم لأنه للمبالغة، وفعل المغالبة أقوى. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ الـ "خوَّان" مبالغة في خائن، والـ "كفور" مبالغة في كافر، قال الزمخشري: هذه الآية علة لما قبلها. ﴿اذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ﴾ هذه أول آية نزلت في الإذن في القتال، ونسخت الموادة مع الكفار، وكان نزولها عند الهجرة، وقرئ "أذن" بضم الهمزة على البناء لما لم يسم فاعله، وبالفتح على البناء للفاعل وهو الله تعالى، والمعنى: أذن لهم في القتال، فحذف المأذون فيه للدلالة "يقاتلون" عليه، وقرئ "يقاتلون" بفتح التاء وكسرها. ﴿بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ أي: بسبب أنهم ظلموا.



الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ  
بَعْضُهُمْ بَعْضًا لَهَدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا  
وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ  
أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ  
﴿١١﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿١٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ  
لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ  
كَانَ نَكِيرِهِ ﴿١٤﴾ فَكَايُنَ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ يعني الصحابة؛ فإن الكفار آذوهم وأضروا بهم حتى اضطروهم إلى الخروج من مكة، فمنهم من هاجر إلى أرض الحبشة، ومنهم من هاجر إلى المدينة، ونُسب الإخراج إلى الكفار؛ لأن الكلام في معرض إلزامهم الذنب ووصفهم بالظلم. ﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ قال ابن عطية: هو استثناء منقطع لا يجوز فيه البدل عند سيبويه، وقال الزمخشري: "أن يقولوا" في محل الجر على الإبدال من "حق". ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ﴾ الآية، تقوية للإذن في القتال وإظهار للمصلحة التي فيه؛ كأنه يقول: لولا القتال والجهاد لاستولى الكفار على المسلمين وذهب الدين، وقيل: المعنى لولا دفع ظلم الظلمة بعدل الولاة؛ والأول أليق بسياق الآية، وقرئ "دفاع" بالألف مصدر دافع، وبغير ألف مصدر دفع. ﴿لَهَدَمَتِ﴾ قرئ بالتخفيف والتشديد للمبالغة. ﴿صَوَامِعُ﴾ جمع صومعة، بفتح الميم وهي موضع العبادة، وكانت للصابئين ولرهبان النصارى، ثم سمي بها في الإسلام موضع الأذان. ﴿وَبِيَعٌ﴾ جمع بيعة، بكسر الباء وهي كنائس النصارى. ﴿وَصَلَوَاتٌ﴾ شنائع اليهود، وقيل: هي مشتركة لكل أمة، والمراد بها مواضع الصلاة. والـ ﴿مَسَاجِدُ﴾ للمسلمين؛ فالمعنى لولا دفع الله لاستولى الكفار على أهل الملل المتقدمة في أزمانهم، ولاستولى المشركون على هذه الأمة فهدموا مواضع عبادتهم. ﴿يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ﴾ الضمير لجميع ما تقدم من المتعبدات، وقيل للـ "مساجد" خاصة. ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ أي: من ينصر دينه وأولياءه، وهو وعد تضمن الحرض على القتال. ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ﴾ الآية، قيل: يعني أمة محمد ﷺ، وقيل: الصحابة، وقيل: الخلفاء الأربعة؛ لأنهم الذين مكنوا في الأرض بالخلافة ففعلوا ما وصفهم الله به. ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ الآية، ضمير الفاعل لقريش، والخطاب للنبي ﷺ على وجه التسلية له والوعيد لهم. ﴿نَكِيرٍ﴾ مصدر بمعنى الإنكار. ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ العرش السقف، فإن تعلق الجار بـ "خاوية"؛ فالمعنى أن العروش سقطت ثم سقطت الحيطان عليها فهي فوقها، وإن كان الجار والمجرور في موضع الحال؛ فالمعنى أنها خاوية مع بقاء عروشها.

وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴿١٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ  
 إِذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿١٦﴾  
 وَتَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ نُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا  
 تَعُدُّونَ ﴿١٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْنَاهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٨﴾  
 قُلْ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٩﴾ فَأَلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ  
 مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٢١﴾

﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ أي: لا يستقى الماء منها لهلاك أهلها، وروي: أن هذه البئر هي الرس وكانت بعدن لأمة من بقايا ثمود؛ والأظهر أنه لم يرد التعيين لقوله "كأين من قرية" وهذا اللفظ يراد به التكرير. ﴿وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ أي: مبني بالشيد وهو الحص، وقيل: الـ"مشيد" المرفوع البنيان. ﴿قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ دليل على أن العقل في القلب، خلافا للفلاسفة في قولهم: إنه في الدماغ. ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ أي: لا تعمي الأبصار عمى يعتد به، وإنما العمى الذي يعتد به عمى القلوب، أو أن هؤلاء القوم ما عميت أبصارهم ولكن عميت قلوبهم، فالمعنى الأول لقصد المبالغة، والثاني خاص بهؤلاء القوم. ﴿الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ مبالغة كقوله ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾. ﴿وَتَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ الضمير لكفار قريش. ﴿وَلَنْ نُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ إخبار يتضمن الوعيد بالعذاب، وسماه وعدا لأن المراد به مفهوم. ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ المعنى: أن يوما من أيام الآخرة مقداره ألف سنة من أعوام الدنيا، ولذلك قال ﷺ: «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة» [أبو داود: 3666]، وقيل: المعنى إن يوما واحدا من أيام العذاب كألف سنة لطول العذاب، فإن أيام البؤس طويلة وإن كانت في الحقيقة قصيرة، وفي كل واحد من الوجهين تهديد للذين استعجلوا العذاب؛ إلا أن الأول أرجح لأن الألف سنة فيه حقيقة، وقيل: إن اليوم المذكور في الآية هو يوم من الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض. ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ ذكر أولا القرى التي أهلكتها بغير إهلاكها، وذكر هنا التي أهلكتها بعد الإهلاك، والإهلاك هو الإمهال مع إرادة المعاقبة فيما بعد، وعطف هذه الجملة بالسواو على الجملة المعطوفة قبلها بالسواو، وقال في الأولى "فكأين" لأنه بدل من قوله "فكيف كان نكير". ﴿سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا﴾ أي: سعوا فيها بالظعن عليها، وهو من قولك: سعى في الأمر إذا جد فيه لقصد إصلاحه أو إفساده. ﴿مُعْجِزِينَ﴾ بالألف أي: مغالين؛ كأنهم قصدوا عجز صاحب الآيات، والآيات تقتضي عجزهم فصارت مفاعلة، وقرئ بالتشديد من غير ألف، ومعناه: أنهم يعجزون الناس عن الإسلام؛

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ۗ  
فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ لِيَجْعَلَ مَا  
يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي  
شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ ۗ فَتُخْبِتَ  
لَهُمْ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٣﴾

أي: يشيطونهم عنه. ﴿ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ النبي أعم من الرسول؛ فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا،  
فقدم الـ"رسول" لمناسبته لقوله "أرسلنا" وأخر الـ"نبي" لتحصيل العموم؛ لأنه لو اقتصر على "رسول" لم يدخل  
في ذلك من كان نبيا غير رسول. ﴿ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ سبب هذه الآية أن رسول الله ﷺ قرأ  
سورة النجم بالمسجد الحرام بمحضر المشركين والمسلمين، فلما بلغ إلى قوله ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ  
الْقَالِيَةَ الْآخَرَىٰ ﴾ ألقى الشيطان: تلك الغرانة العلى منها الشفاعة ترعى، فسمع ذلك المشركون ففرحوا  
به وقالوا: هذا محمد يذكر آهتنا بما نريد [الطبراني: 8316]، واختلف في كيفية إلقاء الشيطان، فقيل: إن الشيطان  
هو الذي تكلم بذلك وظن الناس أن النبي ﷺ هو المتكلم به؛ لأنه قرب صوته من صوت النبي ﷺ حتى  
التبس الأمر، وقيل: إن النبي ﷺ هو الذي تكلم بذلك على وجه الغلط والسهو؛ لأن الشيطان أنساه  
ووسوس في قلبه حتى خرجت تلك الكلمات على لسانه من غير قصد؛ والقول الثاني أشهر عند المفسرين  
والناقلين لهذه القصة؛ والقول الأول أرجح لأن النبي ﷺ معصوم في التبليغ، فمعنى الآية أن كل نبي وكل  
رسول قد جرى له مثل ذلك من إلقاء الشيطان، واختلف في معنى "تمنى" و"أمنيته" في هذه الآية، فقيل:  
"تمنى" بمعنى تلا، والأمنية التلاوة، أي: إذا قرأ الكتاب ألقى الشيطان من عنده في تلاوته، وقيل: هو من  
التمني بمعنى حب الشيء، وهذا المعنى أشهر في اللفظة، أي: تمنى النبي ﷺ مقاربة قومه واستئلافهم  
فألقي الشيطان ذلك الكلام في هذه الأمنية ليعجبهم ذلك. ﴿ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ﴾ أي: يبطله  
كقولك: نسخت الشمس الظل. ﴿ لِيَجْعَلَ ﴾ متعلق بقوله "ينسخ" و"يحكم". ﴿ لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾  
أي: أهل الشك. ﴿ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ المكذبون، وقيل: الذين في قلوبهم مرض "عامه الكفار، والقاسية  
قلوبهم" أشدهم كفرا وعتوا كأبي جهل. ﴿ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ يعني بـ"الظالمين" المذكورين  
قبل، ولكنه جعل الظاهر موضع المضمير ليقضي عليهم بالظلم، والـ"شقاق" العداوة، ووصفه بـ"بعيد"؛  
لأنه في غاية الضلال والبعد عن الخير. ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ قيل: يعني الصحابة؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿ أَنَّهُ  
الْحَقُّ ﴾ الضمير عائد على القرآن، قال الزمخشري: هو لتمكين الشيطان من الإلقاء. ﴿ فَتُخْبِتَ ﴾ أي: تخشع.

وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ  
يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ سَخِمٌ بِئِنَّهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ  
﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ  
اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مَّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ \*  
ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ  
غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ  
سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ  
الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾

﴿ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ﴾ الضمير للقرآن، أو للنبي ﷺ، أو لإلقاء الشيطان. ﴿ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ يعني يوم بدر، ووصفه  
بالـ"عقيم"؛ لأنه لا ليلة لهم بعده ولا يوم لأنهم يقتلون فيه، وقيل: هو يوم القيامة والساعة مقدماته؛ ويقوي  
ذلك قوله ﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾، ثم تقسيم الناس إلى أصحاب الجحيم وأصحاب النعيم. ﴿ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا ﴾  
روي: أن قوما قالوا: يا رسول الله! قد علمنا ما أعطى الله لمن قتل من الخيرات، فما لمن مات معك؟ فنزلت  
الآية معلمة أن الله يرزق من قتل ومن مات معاً، ولا يقتضي ذلك المساواة بينهم لأن تفضيل الشهداء ثابت.  
﴿ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ يحتمل أن يريد به الرزق في الجنة بعد يوم القيامة، أو رزق الشهداء في البرزخ؛ والأول  
أرجح؛ لأنه يعم الشهداء والموتى. ﴿ مَدْخَلًا ﴾ يعني الجنة. ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ تقديره هنا: الأمر ذلك كما يقول  
الكاتب: هذا وقد كان كذا إذا أراد أن يخرج إلى حديث آخر. ﴿ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ﴾ سمي  
الابتداء عقوبة باسم الجزاء عليها تجوزا كما تسمى العقوبة أيضاً باسم الذنب، ووعد بالنصر لمن بغى عليه.  
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴾ إن قيل: ما مناسبة هذين الوصفين للمعاقبة؟ فالجواب: من وجهين؛ أحدهما: أن في  
ذكر هذين الوصفين إشعاراً بأن العفو أفضل من العقوبة؛ فكأنه حض على العفو، والثاني: أن في ذكرهما  
إعلاماً بعفو الله عن المعاقب حين عاقب ولم يأخذ بالعفو الذي هو أولى. ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ ﴾ أي: ذلك  
النصر بسبب أن الله قادر؛ ومن آيات قدرته أنه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، ومعنى الإيلاج هنا  
أنه يدخل ظلمة هذا في مكان ضوء هذا ويدخل ضوء هذا مكان ظلمة هذا، وقيل: الإيلاج هو ما ينقص من  
أحدهما ويزيد في الآخر. ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ﴾ أي: ذلك الوصف الذي وصف الله به هو بسبب أنه الحق.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ  
 خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٧﴾  
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۗ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ  
 أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَهُوَ الَّذِي  
 أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿١٩﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا  
 هُمْ نَاسِكُوهُ ۗ فَلَا يُنْتَرِعَنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادَّعُ إِلَى رَبِّكَ ۗ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٠﴾  
 وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٢١﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا  
 كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَلِكَ  
 فِي كِتَابٍ ۗ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٣﴾

﴿فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ "تصبح" هنا بمعنى تصير، وفهم بعضهم أنه أراد صبيحة ليلة المطر فقال: لا  
 تصبح الأرض مخضرة إلا بمكة والبلاد الحارة، وأما على معنى تصير فذلك عام في كل بلد، والفاء للعطف  
 وليست بجواب، ولو كانت جواباً لقوله "لم تر" لنصبت الفعل وكان المعنى نفي خضرتها، وذلك خلاف  
 المقصود، وإنما قال "تصبح" بلفظ المضارع ليفيد بقاءها كذلك مدة. ﴿سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني  
 البهائم والثمار والمعادن وغير ذلك. ﴿أَنْ تَقَعَ﴾ في موضع مفعول على تقدير: عن أن تقع، وقال الزمخشري:  
 كراهة أن تقع، فهو مفعول من أجله. ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ يحتمل أن يريد يوم القيامة، فجعل طي السماء كوقوعها  
 أو يريد "بإذنه" لو شاء متى شاء. ﴿أَحْيَاكُمْ﴾ أي: أوجدكم بعد العدم، وعبر عن ذلك بالحياة؛ لأن الإنسان  
 قبل ذلك تراب فهو جماد بلا روح ثم أحياه بنفخ الروح. ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ يعني الموت المعروف. ﴿ثُمَّ  
 يُحْيِيكُمْ﴾ يعني البعث. ﴿لَكَفُورٌ﴾ أي: جحود للنعم. ﴿مَنْسَكًا﴾ هنا اسم مصدر لقوله ﴿نَاسِكُوهُ﴾، ولو  
 كان اسم مكان لقال: ناسكون فيه. ﴿فَلَا يُنْتَرِعَنَّكَ﴾ ضمير الفاعل للكفار، والمعنى: أنه لا ينبغي لهم منازعة  
 النبي ﷺ؛ لأن الحق قد ظهر بحيث لا يسع النزاع فيه، فجاء الفعل بلفظ النهي والمراد غير النهي، وقيل: إن  
 المعنى لا تنازعهم فينازعوك، فحذف الأول لدلالة الثاني عليه، ويحتمل أن يكون نهيًا لهم عن المنازعة على  
 ظاهر اللفظ. ﴿فِي الْأَمْرِ﴾ أي: في الدين والشريعة، أو في الذبائح. ﴿وَادَّعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ أي: ادع الناس إلى عبادة  
 ربك. ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ﴾ الآية، تقتضي موادة منسوخة بالقتال. ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ،  
 والإشارة بذلك إلى معلومات الله. ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يحتمل أن تكون الإشارة إلى كتب المعلومات

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ  
 مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا  
 الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشِرِّ  
 مِمَّن ذَلِكُمْ النَّارُ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ  
 مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ  
 اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ  
 ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ  
 الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾

في الكتاب أو إلى الحكم في الاختلاف؛ والأول أظهر. ﴿مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ يعني الأصنام، والسلطان  
 هنا الحجة والبرهان. ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ قيل: إنه يعني ما ليس لهم به علم ضروري، فنفى أولا  
 البرهان النظري ثم العلم الضروري، وليس اللفظ بظاهر في هذا المعنى؛ بل الأحسن نفى العلم الضروري  
 والنظري معا. ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾ أي: الإنكار لما يسمعون؛ ف"المنكر" مصدر كالمكرم  
 بمعنى الإكرام، ويعرف ذلك في وجوههم بعبوسها وإعراضها. ﴿يَسْطُونَ﴾ من السطوة وهي سرعة  
 البطش. ﴿النَّارُ وَعَدَّهَا اللَّهُ﴾ يحتمل أن تكون "النار" مبتدأ و"وعدها الله" خبره، أو يكون "النار" خبر ابتداء  
 كأن قائلها قال: ما هو؟ فقيل: هو النار، ويكون "وعدها الله" استثناء وهذا أظهر. ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ أي:  
 ضربه الله لإقامة الحجة على المشركين. ﴿لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ تنبيه بالأصغر على الأكبر من باب أولى وأحرى،  
 والمعنى أن الأصنام التي تعبدونها لا تقدر على خلق الذباب ولا غيره، فكيف تعبد من دون الله الذي خلق  
 كل شيء؟ ثم أوضح عجزهم بقوله ﴿وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ أي: لو تعاونوا على خلق الذباب لم يقدروا عليه.  
 ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ بيان أيضا لعجز الأصنام، بحيث لو اختطف الذباب منهم  
 شيئا لم يقدروا على استنقاذه منه على حال ضعفه، وقد قيل: إن المراد بما يسلب الذباب منهم الطيب الذي  
 كانت العرب تجعل على الأصنام؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ المراد بـ"الطالب"  
 الأصنام، و"المطلوب" الذباب؛ لأن الأصنام تطلب من الذباب ما سلبت منها، وقيل: "الطالب" الكفار،  
 و"المطلوب" الأصنام؛ لأن الكفار يطلبون الخير منهم. ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي: ما عظموه حق  
 تعظيمه. ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ رد على من أنكر أن يكون الرسول من البشر.

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
 ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾  
 وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۗ مِلَّةَ  
 أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۗ هُوَ سَمَّىٰكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا  
 عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ  
 مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ في هذه الآية سجدة عند الشافعي وغيره للحديث الصحيح الوارد في ذلك خلافا  
 للماكية. ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ عموم في العبادة بعد ذكر الصلاة التي عبر عنها بالركوع والسجود، وإنما  
 قدمها لأنها أهم العبادات. ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ قيل: المراد صلة الرحم، وقال ابن عطية: هي في الندب فيما  
 عدا الواجبات؛ واللفظ أعم من ذلك كله. ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾ يحتمل أن يريد جهاد الكفار، أو جهاد  
 النفس والشیطان والهوى، أو العموم في ذلك. ﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾ قيل: إنه منسوخ كنسخ ﴿حَقَّ ثِقَاتِهِ﴾  
 بقوله ﴿مَا اسْتَظَعْتُمْ﴾؛ وفي ذلك نظر، وإنما أضاف الجهاد إلى الله ليين بذلك فضله واختصاصه بالله.  
 ﴿اجْتَبَاكُمْ﴾ أي: اختاركم من بين الأمم. ﴿مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: مشقة، وأصل الحرج الضيق. ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ  
 إِبْرَاهِيمَ﴾ انتصب "ملة" بفعل مضممر تقديره: أعني بالدين ملة إبراهيم أو التزموا ملة إبراهيم، وقال  
 الفراء: انتصب على تقدير حذف الكاف كأنه قال: كملة، وقال الزمخشري: انتصب بمضمون ما تقدم  
 كأنه قال: وسع عليكم توسعة ملة أبيكم إبراهيم، ثم حذف المضاف، فإن قيل: لم يكن إبراهيم أبا  
 للمسلمين كلهم؟ فالجواب: أنه أبو رسول الله ﷺ، وكان أبا لأمته؛ لأن أمة الرسول في حكم أولاده،  
 ولذلك قرئ "وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم"، وأيضاً فإن قريشا وأكثر العرب من ذرية إبراهيم وهم  
 أكثر الأمة فاعتبرهم دون غيرهم. ﴿هُوَ سَمَّاكُمْ﴾ الضمير لله تعالى، ومعنى ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ في الكتب  
 المتقدمة. ﴿وَفِي هَذَا﴾ أي: في القرآن، وقيل: الضمير لإبراهيم، والإشارة إلى قوله ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ  
 مُّسْلِمَةٌ لَّكَ﴾، ومعنى "من قبل" على هذا من قبل وجودكم، وهنا يتم الكلام على هذا القول، ويكون قوله  
 "وفي هذا" مستأنفاً، أي: وفي هذا بلاغ؛ والقول الأول أرجح وأقل تكلفاً، ويدل عليه قراءة أبي بن كعب  
 "الله سماكم المسلمين". ﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ تقدم معنى هذه الشهادة في البقرة. ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ الظاهر  
 أنها المكتوبة لاقرانها مع الزكاة. ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ معناه هنا: وليكم وناصركم، بدلالة ما بعد ذلك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾  
 وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ  
 لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ ۖ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۚ  
 ﴿٦﴾ فَمَنْ آتَبَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ  
 رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾

## سورة المؤمنین

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ الخشوع حالة في القلب من الخوف والمراقبة والتذلل لعظمة المولى جل جلاله، ثم يظهر أثر ذلك على الجوارح بالسكون، والإقبال على الصلاة وعدم الالتفات، وبالبكاء والتضرع، وقد عد بعض الفقهاء الخشوع في فرائض الصلاة؛ لأنه جعله بمعنى حضور القلب فيها، وقد جاء في الحديث: «لا يكتب للعبد من صلاته إلا ما عقل منها»؛ والصواب أن الخشوع أمر زائد على حضور القلب؛ فقد يحضر القلب ولا يخشع. ﴿عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ "اللغو" هنا الساقط من الكلام كالسب واللغو والكلام بما لا يعني، وعدد أنواع المنهي عنه من الكلام عشرون نوعا، ومعنى الإعراض عنه عدم الاستماع إليه والدخول فيه، ويحتمل أن يريد أنهم لا يتكلمون به، ولكن إعراضهم عن سماعه يقتضي ذلك من باب أولى وأحرى. ﴿لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ أي: مؤدون، فإن قيل: لم قال "فاعلون" ولم يقل: مؤدون؟ فالجواب: أن الزكاة لها معنيان؛ أحدهما: الفعل الذي يفعله المزكي، أي: أداء ما يجب على المال، والآخر: المقدار المخرج من المال كقولك: هذه زكاة مالي، والمراد هنا الفعل لقوله "فاعلون"، ويصح المعنى الآخر على حذف تقديره: هم لأداء الزكاة فاعلون. ﴿عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾ هذا المجرور يتعلق بفعل يدل عليه قوله ﴿غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ أي: لا يلامون على أزواجهم، ويمكن أن يتعلق بقوله "حافظون" على أن يكون "على" بمعنى عن. ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ يعني النساء المملوكات، قال الزمخشري: إنما قال "ما ملكت" ولم يقل: من؛ لأن الإناث تجري مجرى غير العقلاء. ﴿وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ يعني ما سوى الزوجات والمملوكات. ﴿لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾ يحتمل أن يريد أمانات الناس وعهدهم، أو أمانة الله وعهده في دينه أو العموم، والأمانة أعم من العهد؛ لأنها قد تكون بعهد وبغير عهد متقدم. ﴿رَاعُونَ﴾ أي: حافظون لها قائمون بها. ﴿عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ المحافظة عليها هي فعلها في أوقاتها مع توفية شروطها، فإن قيل: كيف كرر ذكر الصلاة أولا وآخرا؟ فالجواب: أنه ليس بتكرار؛ لأنه قد ذكر أولا لا الخشوع فيها وذكر هنا المحافظة عليها فهما مختلفان، وأضاف الصلاة في الموضعين إليهم دلالة على ثبوت فعلهم لها. ﴿الْوَارِثُونَ﴾ أي: المخلصون للجنة، فالميراث استعارة، وقيل: إن الله جعل لكل إنسان مسكنا في الجنة ومسكنا في النار



الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن  
 طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ  
 مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أُنشَأْنَاهُ خَلْقًا - آخَرَ فَتَبَرَكَ  
 اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
 تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنْزَلْنَا  
 مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْآرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾

فيرث المؤمنون مساكن الكفار في الجنة. ﴿الْفِرْدَوْسَ﴾ مدينة الجنة، وهي جنة الأعتاب، وأعاد الضمير عليها مؤثنا على معنى الجنة. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ اختلف هل يعني آدم أو جنس بني آدم؟. ﴿مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ السلالة هي ما يسلسل من الشيء، أي: يستخرج منه، ولذلك قيل: إنها الخلاصة، والمراد بها هنا القطعة التي أخذت من الطين وخلق منها آدم، فإن أراد بـ"الانسان" آدم فالمعنى: أنه خلق من تلك السلالة المأخوذة من الطين، ولكن قوله بعد هذا ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾ لا بد أن يراد به بنو آدم، فيكون الضمير يعود على غير من ذكر أولا، ولكن يفسره سياق الكلام، وإن أراد بـ"الانسان" ابن آدم فيستقيم عود الضمير عليه، ويكون معنى خلقه من سلالة من طين، أي: خلق أصله وهو أبوه آدم، ويحتمل عندي أن يراد بـ"الانسان" الجنس الذي يعم آدم وذريته، فأجمل ذكر "الانسان" أولا ثم فصله بعد ذلك إلى الخلقة المختصة بآدم وهي من طين، وإلى الخلقة المختصة بذريته وهي النطفة، فإن قيل: ما الفرق بين "مِن" و"مِنْ"؟ فالجواب: على ما قال الزمخشري أن الأولى للابتداء والثانية للبيان كقوله ﴿مِنَ الْأَوْثَانِ﴾. ﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ يعني رحم الأم، ومعنى "مكين" متمكن؛ وذلك في الحقيقة من صفة النطفة المستقرة لا من صفة المحل المستقر فيه، ولكنه كقولك: طريق سائر، أي: يسير الناس فيه، وقد تقدم تفسير ﴿النُّطْفَةَ﴾ و﴿الْمُضْغَةَ﴾ و﴿الْعَلَقَةَ﴾ في أول الحج. ﴿خَلْقًا - آخَرَ﴾ قيل: هو نفخ الروح فيه، وقيل: خروجه إلى الدنيا، وقيل: استواء الشباب، وقيل: على العموم من نفخ الروح فيه إلى موته. ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾ هو مشتق من البركة، وقيل: معناه تقدس. ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أي: أحسن الخالقين خلقا، فحذف التمييز لدلالة الكلام عليه، وفسر بعضهم "الخالقين" بالمقدرين فرارا من وصف المخلوق بأنه خالق، ولا يجب أن ينفي عن المخلوق أنه خالق بمعنى صانع كقوله ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ﴾، وإنما الذي يجب أن ينفي عنه معنى الاختراع والإيجاد من العدم فهذا هو الذي انفرد الله به. ﴿سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ يعني السموات، وسماها طرائق؛ لأن بعضها طورق فوق بعض كمطارقة النعل، وقيل: يعني الأفلاك، لأنها طرق للكواكب. ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ يحتمل أن يريد بـ"الخلق" المخلوقين أو المصدر. ﴿مَاءً بِقَدَرٍ﴾ يعني المطر الذي

فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ حَيْثُ لَمْ فِيهَا فَوَاكِهِ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٤﴾  
 وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدَّهْنِ وَصَبْغٍ لِّلْأَكْلِينَ ﴿١٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي آلِ نَعْمٍ  
 لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٦﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى  
 الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَلْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ  
 إِلَهٍ غَيْرِهِ ۗ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ  
 يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ  
 ﴿١٩﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فترَبَّصُوا بِهِ ۗ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٠﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا  
 كَذَّبُونَ ﴿٢١﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَوَحَيْنَا فَاذًا جَاءَ امْرَأَتُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ

ينزل من السماء فتكون منه العيون والأنهار في الأرض، وقيل: يعني أربعة أنهار: وهي النيل والفرات ودجلة  
 وسيحان؛ ولا دليل على هذا التخصيص، ومعنى "بقدر" بمقدار معلوم لا يزيد عليه ولا ينقص منه. ﴿وَشَجَرَةً  
 تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ يعني الزيتون، وإنما خص النخيل والأعناب والزيتون بالذكر؛ لأنها أكرم الشجر  
 وأكثرها منافع، و"طور سيناء" جبل بالشام وهو الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام، ونسب الزيتون إليه  
 لأنها فيه كثيرة، و"سيناء" اسم جبل أضافه إليه كقوله: جبل أحد، وقرئ بفتح السين ولم ينصرف للتأنيث  
 اللازم، وقرئ بالكسر ولم ينصرف للعجمة أو للتأنيث مع التعريف، لأن فعلاء بالكسر لا تكون ألفه للتأنيث،  
 وقيل: معناه مبارك، وقيل: ذو شجر؛ ويلزم على ذلك صرفه. ﴿تَنبُتُ بِالدَّهْنِ﴾ يعني الزيت، وقرئ "تبت"  
 بفتح التاء، فالمجرور على هذا في موضع الحال كقولك: جاء زيد بسلاحه، وقرئ بضم التاء وكسر الباء وفيه  
 ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن أنبت بمعنى نبت، والثاني: حذف المفعول تقديره: تبت ثمرتها بالدهن، والثالث: زيادة  
 الباء. ﴿وَصَبْغٍ لِّلْأَكْلِينَ﴾ الصبغ الغمس في الإدام. ﴿الْأَنْعَامِ﴾ هي الإبل والبقر والغنم، والمقصود بالذكر  
 الإبل لقوله ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾، وقد تقدم في النحل ذكر المنافع التي فيها وتذكيرها وتأنيثها.  
 ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ﴾ استبعدوا أن تكون النبوة لبشر، فإعجاباً منهم إذ أثبتوا الربوبية لحجر. ﴿يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ  
 عَلَيْكُمْ﴾ أي: يطلب الفضل والرياسة عليكم. ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ أي: بمثل ما دعاهم إليه من عبادة الله أو  
 بمثل الكلام الذي قال لهم، وهذا يدل على أنه كان قبل نوح فترة طويلة. ﴿بِهِ جِنَّةٌ﴾ أي: جنون، فانظر اختلاف  
 قولهم فيه؛ فتارة نسبوه إلى طلب الرياسة وتارة إلى الجنون. ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى وقت لم يعينوه، ولكن  
 أرادوا وقت زوال جنونه على قومه أو وقت موته. ﴿انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ﴾ تضمن هذا دعاء عليهم؛ لأن  
 نصرته إنما هي بإهلاكهم، وقد تقدم في هود تفسير ﴿بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا﴾، ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾، ﴿وَلَا تُخَاطِبُنِي﴾.

فَأَسْأَلُكَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرَفُونَ ﴿١٧﴾ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ وَقُلِ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبْرَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿١٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا - آخِرِينَ ﴿٢١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٢٤﴾ أَيْعِدُكُمْ وَأَنْكُمْ وَإِذَا مِثْمٌ وَكُنْتُمْ تَرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ \* هِيَاتَ هِيَاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴿٢٦﴾

﴿أَسْأَلُكَ فِيهَا﴾ أي: أدخل فيها، وقد تقدم تفسير ﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾. ﴿وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ "إن" مخففة من الثقيلة، و"مبتلين" اسم فاعل من ابتلى، ويحتمل أن يكون بمعنى الاختبار أو إنزال البلاء. ﴿قَرْنًا - آخِرِينَ﴾ قيل: إنهم عاد ورسولهم هود لأنهم الذين يلون قوم نوح، وقيل: إنهم ثمود ورسولهم صالح؛ وهذا أصح لقوله ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ﴾ وثمرودهم الذين هلكوا بالصيحة، وأما عاد فهلكوا بالريح. ﴿مِنْ قَوْمِهِ﴾ قدم هذا المجرور على قوله ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ لئلا يوهم أنه متصل بقوله ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، بخلاف قوله ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ في غير هذا الموضع. ﴿أَتْرَفْنَاهُمْ﴾ أي: نعمناهم. ﴿بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ يحتمل أن قالوا ذلك لإنكارهم أن يكون نبيا من البشر أو قالوه أنفة من اتباع بشر مثلهم، وكذلك قال قوم نوح. ﴿أَيْعِدُكُمْ﴾ استفهام على وجه الاستهزاء والاستبعاد. ﴿أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ﴾ كرر "أن" تأكيدا للأولى، و"مخرجون" خبر عن الأولى. ﴿هِيَاتَ هِيَاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ﴾ هذا من حكاية كلامهم، و"هيات" اسم فعل بمعنى بعد، وقال الغزنوي: هي للتأسف والتأوه، ويجوز فيه الفتح والضم والكسر والإسكان، وتارة يجيء فاعله دون لام كقوله:

فهيات هيات العقيق وأهله

وتارة يجيء باللام كهذه الآية، قال الزجاج في تفسيره: البعد لما توعدون، فنزله منزلة المصدر، قال الزمخشري: وفيه وجه آخر: وهو أن تكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد، كما جاءت اللام في

إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٢٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ ﴿٢٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصِيبُ مَنْ تَدْمِينُ ﴿٣٠﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ عُثَاءً فَبُعَدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا - آخِرِينَ ﴿٣٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٣٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولًا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعَدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٥﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٣٦﴾ فَقَالُوا أَنُومِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِبَدُونَ ﴿٣٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٣٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٤٠﴾

﴿هَيْتَ لَكَ﴾ لبيان الهيته به. ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ أي: ما الحياة إلا حياتنا الدنيا، فوضع "هي" موضع الحياة للدلالة الخبر عليها. ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: يموت بعض ويولد بعض، فينقرض قرن ويحدث قرن آخر، ومرادهم إنكار البعث. ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ "ما" زائدة، وقيل: صفة للزمان، والتقدير: عن زمان قليل يندمون. ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ عُثَاءً﴾ يعني هالكين كالغثاء، والغثاء ما يحملها السيل من الورق وغيره مما يبلى ويسود، فشبه به الهالكين. ﴿فَبُعَدًا﴾ مصدر وضع موضع الفعل بمعنى بعدوا، أي: هلكوا، والعامل فيه مضمرا لا يظهر. ﴿تَتْرًا﴾ مصدر ووزنه فعلى، ومعناه: التواتر والتتابع، وهو موضوع موضع الحال، أي: متواترين واحدا بعد واحد، فمن قرأه بالتونين فألفه للإلحاق، ومن قرأه بغير تنوين فألفه للتأنيث فلم ينصرف، وتأنيثه؛ لأن الرسل جماعة، والتاء الأولى فيه بدل من واو وهي فاء الكلمة. ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ أي: يتحدث الناس بما جرى عليهم، ويحتمل أن يكون جمع حديث أو جمع أحداثه؛ وهذا أليق لأنها تقال في الشر. ﴿قَوْمًا عَالِينَ﴾ أي: متكبرين. ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِبَدُونَ﴾ أي: خادمون متذللون. ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ الضمير لبني إسرائيل لا لقوم فرعون؛ لأنهم هلكوا قبل إنزال التوراة. ﴿وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ﴾ الربوة الموضع المرتفع، ويجوز فيها فتح الرءاء وضمها وكسرهما، واختلف في موضع هذه الربوة، فقيل: بيت المقدس، وقيل: بغوطة دمشق، وقيل: بفلسطين. ﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ القرار: المستوي من الأرض،

يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥٦﴾ وَأَنَّ هَذِهِ  
 أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٧﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ  
 بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٨﴾ فَذَرَهُمْ فِي عَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٩﴾ ائْتَحْسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ  
 مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٦٠﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ  
 خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٦٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِقَائِلَتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا  
 يُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٥﴾

فمعناه: أنها بسيطة يتمكن فيها الحرث والغراسية، وقيل: القرار هنا الثمار والحبوب، والمعين الماء الجاري،  
 فقيل: إنه مشتق من قولك: معن الماء إذا كثر، فالميم على هذا أصلية ووزنه فعيل، وقيل: إنه مشتق من العين،  
 فالميم زائدة ووزنه مفعول. ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ﴾ هذا النداء ليس على ظاهره؛ لأن الرسل كانوا في أزمنة  
 متفرقة، وإنما المعنى أن كل رسول في زمانه خوطب بذلك، وقيل: الخطاب لمحمد ﷺ وأقامه مقام الجماعة؛  
 وهذا بعيد. ﴿كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي: من الحلال، فالأمر على هذا للوجوب، أو من المستلذات فالأمر  
 للإباحة. ﴿وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ قرئ "إن" بالكسر على الاستئناف، وبالفتح على معنى لأن، وهي  
 متعلقة بقوله آخرًا ﴿فَاتَّقُونِ﴾، وقيل: تتعلق بفعل مضمّر تقديره: واعلموا، والأمة هنا الدين؛ وهو ما  
 اتفقت عليه الرسل من التوحيد وغيره. ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ﴾ أي: افرقوا واختلفوا، والضمير لأمم الرسل  
 المذكورين من اليهود والنصارى وغيرهم. ﴿زُبُرًا﴾ جمع زبور وهو الكتاب، والمعنى: أنهم افرقوا في اتباع  
 الكتب؛ فاتبعت طائفة التوراة وطائفة الإنجيل وغير ذلك، أو وضعوا كتبًا من عند أنفسهم. ﴿فَذَرَهُمْ فِي  
 عَمْرَتِهِمْ﴾ الضمير لقريش، والغمرة الجهل والضلال، وأصلها من غمرة الماء. ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ هنا يوم بدر أو  
 يوم موتهم. ﴿ائْتَحْسِبُونَ﴾ الآية، رد عليهم فيما ظنوا من أن أموالهم وأولادهم خير لهم، وأنها بسبب رضا الله  
 عنهم. ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ﴾ هذا خبر "أن"، والضمير الرابط محذوف تقديره: نسارع به. ﴿بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا  
 يشعرون أن ذلك استدراج لهم؛ ففيه معنى التهديد. ﴿يُؤْتُونَ مَا آتَوْا﴾ قيل: معناه يعطون ما أعطوا من الزكاة  
 والصدقات، وقيل: إنه عام في جميع أعمال البر، أي: يفعلونها وهم يخافون أن لا تقبل منهم، وقد روت عائشة  
 هذا المعنى عن النبي ﷺ [الترمذي: 3175] إلا أنها قرأت "يأتون ما أتوا" بالقصر، فيحتمل أن يكون الحديث تفسيرًا  
 لهذه القراءة، وقيل: إنه عام في الحسنات والسيئات، أي: يفعلونها وهم خائفون من الرجوع إلى الله. ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ  
 رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ "أن" في موضع المفعول من أجله، أو في موضع المفعول بـ "وجلّت" إذ هو في معنى خائفة.

أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿١١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا  
 كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَهُمْ وَاَعْمَلُ مِّنْ  
 دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ ﴿١٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ  
 ﴿١٤﴾ لَا تَجْعَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تَنْصَرُونَ ﴿١٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ  
 أَعْقَابِكُمْ تَنْكَصُونَ ﴿١٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا

﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ فيه معنيان؛ أحدهما: أنهم يبادرون إلى فعل الطاعات، والآخر: أنهم يتعجلون ثواب الخيرات، وهذا مطابق للآية المتقدمة لأنه أثبت فيه ما نفى عن الكفار من المسارعة. ﴿وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ فيه المعنيان المذكوران في "يسارعون للخيرات"، وقيل: معناه سبقت لهم السعادة في الأزل. ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ يعني أن هذا الذي وصف به الصالحين غير خارج عن الوسع والطاقة، وقد تقدم الكلام على تكليف ما لا يطاق في البقرة. ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ﴾ يعني صحائف الأعمال؛ ففي الكلام تهديد، وتأمين من الظلم والحيف. ﴿فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ أي: في غفلة من الدين بجملته، وقيل: من القرآن، وقيل: من الكتاب المذكور، وقيل: من الأعمال التي وصف بها المؤمنین. ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ أي: لهم أعمال سيئة دون الغمرة التي هم فيها، فالمعنى أنهم يجمعون بين الكفر وسوء الأعمال، والإشارة بـ"ذلك" على هذا إلى الـ"غمرة"، وإنما أشار إليها بالتذكير لأنها في معنى الكفر، وقيل: الإشارة إلى قوله "من هذا"؛ أي: لهم أعمال سيئة غير ذلك المعنى المشار إليه حسبما اختلف فيه. ﴿هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ قيل: هو إخبار عن أعمالهم في الحال، وقيل: عن الاستقبال، وقيل: المعنى أنهم يتبادون على عملها حتى يأخذهم الله فجعل ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ﴾ غاية لقوله "عاملون". ﴿مُتْرَفِيهِمْ﴾ أي: أغنياؤهم وكبارؤهم. ﴿إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ﴾ أي: يستغيثون ويصيحون، فإن أراد "بالعذاب" قتل المترفين يوم بدر؛ فالضمير في "يجأرون" لسائر قريش، أي: ناحوا وصاحوا على القتلى، وإن أراد "بالعذاب" شدائد الدنيا أو عذاب الآخرة؛ فالضمير لجميعهم. ﴿لَا تَجْعَرُوا الْيَوْمَ﴾ تقديره: يقال لهم يوم العذاب لا تجأروا، ويحتمل أن يكون هذا القول حقيقة وأن يكون بلسان الحال، ولفظه نهي ومعناه أن الجوار لا ينفعهم. ﴿عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكَصُونَ﴾ أي: ترجعون إلى وراء، وذلك عبارة عن إعراضهم عن الآيات وهي القرآن. ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾ قيل: إن الضمير عائد على المسجد الحرام، أو على الحرم وإن لم يذكر ولكنه يفهم من سياق الكلام، والمعنى: أنهم يستكبرون بسبب المسجد الحرام؛ لأنهم أهله وولاته، وقيل: إنه عائد على القرآن من حيث ذكرت الآيات، والمعنى على هذا: أن القرآن يحدث لهم عتوا وكبرا، وقيل: إنه يعود على النبي ﷺ وهو على هذا متعلق بـ"سامرا". ﴿سَامِرًا﴾ مشتق من السمر وهو الجلوس بالليل للحديث، وكانت قريش تجتمع بالليل في المسجد يتحدثون وكان أكثر حديثهم سب النبي ﷺ، و"سامرا" مفرد بمعنى الجمع وهو

تُهْجِرُونَ ﴿٧﴾ أَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمُ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿١٠﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿١١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَّاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُونَ ﴿١٤﴾ \* وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُودُ فِي طُعْنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾

منصوب على الحال، فمن جعل الضمير في "به" للنبي ﷺ فالمنعنى أنهم سامرون بذكره وسبه. ﴿تُهْجِرُونَ﴾ من قرأ بضم التاء وكسر الجيم فمعناه تقولون الهجر بضم الهاء وهو الفحش من الكلام، ومن قرأ بفتح التاء وضم الجيم فهو من الهجر بفتح الهاء، أي: تهجرون الإسلام والنبي ﷺ والمؤمنين، أو من قولك: هجر المريض إذا هذى أي: تقولون اللغو من القول. ﴿أَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ يعني القرآن، وهذا توبيخ لهم. ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ معناه: أن النبوة ليست ببدع فينكرونها بل قد جاءت آباءهم الأولين؛ فقد كانت النبوة لنوح وإبراهيم وإسماعيل وغيرهم. ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾ المعنى: ألم يعرفوا محمدا ﷺ ويعلموا أنه أشرفهم حسبا، وأصدقهم حديثا، وأعظمهم أمانة، وأرجحهم عقلا، فكيف ينسبونه إلى الكذب، أو إلى الجنون، أو غير ذلك من النقائص؟ مع أنه جاءهم بالحق الذي لا يخفى على كل ذي عقل سليم وأنه عين الصواب. ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ الاتباع هنا استعارة، و"الحق" هنا يراد به الصواب والأمر المستقيم، فالمعنى: لو كان الأمر على ما تقتضي أهواؤهم من الشرك بالله، واتباع الباطل لفسدت السموات والأرض كقوله ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِةَ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾، وقيل: إن "الحق" في الآية هو الله تعالى؛ وهذا بعيد في المعنى وإنما حمله عليه أن جعل الإتيان حقيقة، ولم يفهم فيه الاستعارة، وإنما "الحق" هنا هو المذكور في قوله ﴿بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمُ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾. ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾ يحتمل أن يريد بتذكيرهم ووعظهم أو بفخرهم وشرفهم؛ وهذا أظهر. ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا﴾ الخرج هو الأجرة، ويقال فيه خراج والمعنى واحد، وقد قرئ بالوجهين في الموضعين فهو كقوله ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ أي: لست تسألهم أجرا فيثقل عليهم اتباعك. ﴿فَخَرَّاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ أي: رزق ربك خير من أموالهم، فهو يرزقك ويغنيك عنهم. ﴿عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُونَ﴾ أي: عادلون ومعرضون عن الصراط المستقيم. ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ﴾ الآية، قال الأكثرون: نزلت هذه الآية حين دعا رسول الله ﷺ على قريش بالقحط فنالهم الجوع حتى أكلوا الجلود وغيرها، فالمعنى:

وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَهَذَا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا ۖ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ ۖ إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾

لورحمتهم بالخصب وكشفنا ما بهم من ضر القحط والجوع لتعادوا على طغيانهم؛ وفي هذا عندي نظر فإن الآية مكية باتفاق، وإنما دعا النبي ﷺ على قريش بعد الهجرة حسبا ورد في الحديث، وقيل: المعنى لورحمتهم بالرد إلى الدنيا بعد موتهم لعادوا لما نهوا عنه؛ وهذا القول لا يلزم عليه ما لزم على الآخر ولكنه خارج عن معنى الآية. ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ قيل: إن هذا "العذاب" هو الجوع بالقحط، وأن الباب ذا العذاب الشديد المتوعد به بعد هذا يوم بدر؛ وهذا مردود بأن القحط الذي أصابهم إنما كان بعد بدر، وقيل: إن العذاب الذي أخذهم هو يوم بدر، والباب المتوعد به هو القحط، وقيل: الباب ذو العذاب الشديد عذاب الآخرة؛ وهذا أرجح ولذلك وصفه بالشدة لأنه أشد من عذاب الدنيا، وقال: إنهم فيه ﴿مُبْلِسُونَ﴾ أي: يائسون من الخير، وإنما يقع لهم اليأس في الآخرة كقوله ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾. ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا﴾ أي: ما تذللوا لله عز وجل، وقد تقدم الكلام على هذه الكلمة في آل عمران. ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ إن قيل: هلا قال: فما استكانوا وما تضرعوا، أو فما يستكثرون وما يتضرعون باتفاق الفعلين في الماضي أو في الاستقبال؟ فالجواب: أن "ما استكانوا" عند العذاب الذي أصابهم، "وما يتضرعون" حتى يفتح عليهم باب عذاب شديد، فنفي الاستكانة فيما مضى، ونفي التضرع في الحال والاستقبال. ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ "ما" زائدة و"قليلًا" صفة لمصدر محذوف تقديره: شكرا قليلا تشكرون، وذكر السمع والبصر والأفئدة؛ وهي القلوب لعظم المنافع التي فيها فيجب شكر خالقها، ومن شكره توحيده واتباع رسوله ﷺ، ففي ذكرها تعديد نعمة وإقامة حجة. ﴿ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: نشركم فيها. ﴿وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: هو فاعله ومختص به، فاللام للاختصاص، وقد ذكر في البقرة معنى "اختلاف الليل والنهار". ﴿قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ أي: قالت قريش مثل قول الأمم المتقدمة ثم فسر قولهم بإنكارهم البعث، وإليه الإشارة بقولهم ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا﴾، وقد ذكر الاستفهامان في الرعد و﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ في الأنعام. ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا﴾ هذه الآيات



سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٥٦﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ  
 ﴿٥٧﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ  
 وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمُونَ ﴿٥٩﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٦٠﴾ بَلْ  
 آتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٦١﴾ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَاَلِدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا  
 لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٦٢﴾  
 عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ  
 ﴿٦٤﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴿٦٦﴾

توقيف لهم على أمور لا يمكنهم إلا الإقرار بها، وإذا أقروا بها لزمهم توحيد خالقها والإيمان بالدار الآخرة.  
 ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ قرئ في الأول "الله" باللام بإجماع جوابا لقوله "لمن الارض"، وكذلك قرأ الجمهور الثاني  
 والثالث، وذلك على المعنى لأن قوله "من رب السماوات" في معنى لمن هي، وقرأ أبو عمرو والثاني والثالث بالرفع  
 على اللفظ. ﴿مَلَكُوتٌ﴾ مصدر في بنائه مبالغة. ﴿يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ الإجارة المنع من الإنسان، يقال: أجرت  
 فلانا على فلان إذا منعته من مضرتة وإهانته، فالمعنى: أن الله تعالى يغيث من شاء ممن شاء، ولا يغيث أحد منه  
 أحدا. ﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ أي: تُخدعون عن الحق، والخذاع لهم الشيطان، وذلك تشبيه بالسحر في التخليط  
 والوقوع في الباطل، ورتبت هذه التوبيخات الثلاثة بالتدرج؛ فقال أولا "أفلا تذكرون" ثم قال ثانيا "أفلا  
 تتقون" وذلك أبلغ؛ لأن فيه زيادة تخويف، ثم قال ثالثا "فأنى تسحرون"، وفيه من التوبيخ ما ليس في غيره.  
 ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ يعني فيما ينسبون لله من الشركاء والأولاد، ولذلك رد عليهم بنفي ذلك. ﴿إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ  
 بِمَا خَلَقَ﴾ هذا برهان على الوحدانية وبيانه أن يقال: لو كان مع الله إله آخر لا نفر د كل واحد منها بمخلوقاته  
 عن مخلوقات الآخر، واستبد كل واحد منها بملكه وطلب غلبة الآخر، والعلو عليه كما ترى حال ملوك الدنيا؛  
 ولكن لما رأينا جميع المخلوقات مرتبطة بعضها ببعض حتى كان العالم كله كرة واحدة، علمنا أن مالكة ومدبره  
 واحد لا إله غيره، وليس هذا البرهان بدليل التمايز كما فهم ابن عطية وغيره بل هو دليل آخر، فإن قيل: "إذا" لا  
 تدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب، فكيف دخلت هنا ولم يتقدم قبلها شرط ولا سؤال سائل؟ فالجواب: أن  
 الشرط محذوف تقديره: لو كان معه آلهة، وإنما حذف لدلالة قوله "وما كان معه من اله" وهو جواب للكفار  
 الذين وقع الرد عليهم. ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ بالرفع خبر ابتداء وبالخفض صفة لله. ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ﴾  
 الآية، معناها: أن الله أمر نبيه ﷺ أن يدعو لنفسه بالنجاة من عذاب الظالمين إن قضي أن يرى ذلك، وفيها تهديد  
 للظالمين وهم الكفار، و"إن" شرطية و"ما" زائدة وجواب الشرط. ﴿فَلَا تَجْعَلْنِي﴾ وكرر قوله "رب" مبالغة في

أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ ۗ حُنَّ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿١٦﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ  
 هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿١٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ تَحْضُرُونِ ﴿١٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ  
 قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ  
 وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٢٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا  
 يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢١﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ  
 مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾

الدعاء والتضرع. ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ قيل: "التي هي أحسن" لا إله إلا الله، و"السيئة" الشرك؛ والأظهر أنه أمر بالصفح والاحتمال وحسن الخلق؛ فهو محكم غير منسوخ وإنما نسخ ما يقتضيه من مسألة الكفار. ﴿هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ يعني نزغاته ووساوسه، وقيل: يعني الجنون؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿أَنْ تَحْضُرُونَ﴾ معناه: أن يكونوا معه، وقيل: يعني حضورهم عند الموت. ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ قال ابن عطية: "حتى" هنا حرف ابتداء، أي: ليست غاية لما قبلها، وقال الزمخشري: "حتى" تتعلق بـ"يصفون"، أي: لا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت. ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ يعني الرجوع إلى الدنيا، وخاطب ربه مخاطبة الجماعة للتعظيم، قال ذلك الزمخشري وغيره ومثله قول الشاعر: ألافارحموني يا إله محمد

وقيل: إنه نادى ربه ثم خاطب الملائكة. ﴿فِيمَا تَرَكْتُ﴾ قيل: يعني فيما تركت من المال، وقيل: فيما تركت من الإيمان، فهو كقوله ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ والمعنى: أن الكافر رغب أن يرجع إلى الدنيا ليؤمن ويعمل صالحاً في الإيثار الذي تركه أول مرة. ﴿كَلَّا﴾ ردع له عما طلب. ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ يعني قوله "رب ارجعون لعلني أعمل صالحاً" فسمى هذا الكلام كلمة، وفي تأويل معناه ثلاثة أقوال؛ أحدها: أن يقول هذه الكلمة لا محالة لإفراط ندمه وحسرتة فهو إخبار بقوله، والثاني: أن المعنى أنها كلمة يقولها ولا تنفعه ولا تغني عنه شيئاً، والثالث: أن يكون المعنى أنه يقولها كاذباً فيها ولو رجع إلى الدنيا لم يعمل صالحاً. ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ﴾ أي: فيما يستقبلون من الزمان، والضمير للجماعة المذكورين في قوله "جاء أحدهم". ﴿بَرْزَخٌ﴾ يعني المدة التي بين الموت والقيامة وهي تحول بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا، وأصل البرزخ الحاجز بين شيئين. ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ المعنى: أنه ينقطع يومئذ التعاطف والشفقة التي بين القرابة؛ لاستئصال كل أحد بنفسه كقوله ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ فتكون الأنساب كأنها معدومة. ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي: لا يسأل بعضهم بعضاً لاستئصال كل أحد بنفسه، فإن قيل: كيف الجمع بين هذا وبين قوله ﴿وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾؟ فالجواب: أن ترك التساؤل عند النفخة الأولى ثم يتساءلون بعد ذلك، فإن يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف مختلفة.

تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ أَيْتِي تَتَّبِعُونَ عَلَيَّكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا  
تُكَذِّبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا  
مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَحْسَبُوكُمْ فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونِ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ  
عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ  
سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿٢٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا  
أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴿٢١﴾ قَالَ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿٢٢﴾ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ  
يَوْمٍ فَسَعَلَ الْعَادِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٤﴾ لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ أَفَحَسِبْتُمْ  
أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿٢٦﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿٢٧﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ  
عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿٢٩﴾

﴿ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ ﴾ أي: تصيبهم بالإحراق. ﴿ كَالِحُونَ ﴾ الكلوح انكشاف الشفتين عن الأسنان، وكثيرا ما يجري ذلك للكلاب، وقد يجري للكباش إذا شويت رؤوسها، وفي الحديث: «إن شفة الكافر ترتفع في النار حتى تبلغ وسط رأسه» [الترمذي: 2587]، وفي ذلك عذاب وتشويه. ﴿ غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ﴾ أي: ما قدر عليهم من الشقاء، وقرئ "شَقَاوَتُنَا" والمعنى واحد. ﴿ قَالَ أَحْسَبُوكُمْ ﴾ كلمة تستعمل في زجر الكلاب، ففيها إهانة وإبعاد. ﴿ وَلَا تَكَلِّمُونِ ﴾ أي: لا تكلمون في رفع العذاب، فحيث يأسون؛ أعادنا الله من ذلك برحمته. ﴿ سُخْرِيًّا ﴾ بضم السين من السخرة بمعنى التخديم، وبالكسر من السخر بمعنى الاستهزاء، وقد يقال هذا بالضم، وقرئ هنا بالوجهين لاحتمال المعنيين على أن معنى الاستهزاء هنا أليق لقوله ﴿ وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾. ﴿ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ يعني في جوف الأرض أمواتا، وقيل: أحياء في الدنيا، فأجابوا بأنهم لبثوا يوما أو بعض يوم لاستقصارهم المدة، ولما هم فيه من العذاب بحيث لا يعدون شيئا. ﴿ فَاسْأَلِ الْعَادِينَ ﴾ أي: اسأل من يقدر على أن يعد، وهو من عوفي مما ابتلوا به أو يعنون الملائكة. ﴿ إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ معناه: أنه قليل بالنسبة إلى بقائهم في جهنم خالدين أبدا. ﴿ عَبَثًا ﴾ أي: باطلا، والمعنى إقامة حجة على الحشر للثواب والعقاب. ﴿ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ أي: لا حجة ولا دليل، والجملة صفة لقوله "إلها آخر" وجواب الشرط ﴿ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ الضمير للأمر والشأن، وانظر كيف افتتح السورة بفلاح المؤمنين، وختمها بعدم فلاح الكافرين لبيان الفرق بين الفريقين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ

## سورة النور

﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا﴾ الـ "سورة" خبر ابتداء مضمرة أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره: فيما أنزل عليكم سورة و"أنزلناها" صفة للـ "سورة". ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ أي: فرضنا الأحكام التي فيها، وقرئ بالتشديد للمبالغة. ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ يعني ما فيها من المواعظ والأحكام والأمثال، وقيل: معنى "بينات" هنا ليس فيها مشكل. ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ "الزانية والزاني" يراد بهما الجنس، وقدم "الزانية"؛ لأن الزنا حيث كان في النساء أكثر، فإنه كان منهن إماء وبغايا يجاهرن بذلك، وإعراب "الزانية والزاني" كإعراب ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ وقد ذكر في المائدة، وهذه الآية ناسخة بإجماع لما في سورة النساء من الإمساك في البيوت في الآية الواحدة ومن الأذى في الأخرى، ثم إن لفظ هذه الآية عند مالك ليس على عمومته؛ فإن جلد المائة إنما هو حد الزانية والزاني: إذا كانا مسلمين حرين غير محصنين؛ فيخرج منها الكفار فيردون إلى أهل دينهم، ويخرج منها العبد والأمة والمحصن والمحصنة؛ فأما العبد والأمة فحدهما خمسون جلدة سواء كانا محصنين أو غير محصنين، وأما المحصنان الحران فحدهما الرجم هذا على مذهب مالك، وأما الكلام على الآية بالنظر إلى سائر المذاهب فاعلم! أن لفظ هذه الآية ظاهره العموم في المسلمين والكافرين، وفي الأحرار والعبيد والإماء، وفي المحصن وغير المحصن، ثم إن العلماء خصصوا من هذا العموم أشياء منها باتفاق ومنها باختلاف؛ فأما الكفار فرأى أبو حنيفة وأهل الظاهر أن حدهم جلد مائة أحصنوا أو لم يحصنوا أخذوا بعموم الآية، ورأى الشافعي أن حدهم كحد المسلمين الجلد إن لم يحصنوا، والرجم إن أحصنوا أخذوا بالآية وبرجم النبي ﷺ اليهودي واليهودية إذ زنيا [البخاري: 3436]، ورأى مالك أن يردوا إلى أهل دينهم لقوله تعالى في سورة النساء ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِيَنَّ الْقَاحِشَةَ مِنْ نِّسَائِكُمْ﴾ فخص نساء المسلمين على أنها قد نسختها هذه ولكن بقيت في محلها، وأما العبد والأمة فرأى أهل الظاهر أن حد الأمة خمسون جلدة لقوله تعالى ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ وأن حد العبد الجلد مائة لعموم الآية، وقال غيرهم: يجلد العبد خمسين بالقياس على الأمة إذ لا فرق بينهما، وأما المحصن فقال الجمهور: حكمه الرجم فهو مخصوص من هذه الآية، وبعضهم يسمي هذا التخصيص نسخاً اختلفوا في المخصص أو الناسخ؟ فقيل: الآية التي ارتفع لفظها وبقي حكمها وهي قوله: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم» [المستدرک: 8068]، وقيل: الناسخ لها السنة الثابتة في الرجم [البخاري: 6427]، وقال أهل الظاهر وعلي بن أبي طالب ؑ: يجلد المحصن بالآية ثم يرمم بالسنة، فجمعوا عليه الحدين ولم يجعلوا الآية منسوخة بالرجم ولا مخصصة،

وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٠٦﴾

وقال الخوارج: لا رجم أصلاً؛ فإن الرجم ليس في كتاب الله، ولا يعتد بقولهم، وظاهر الآية الجلد دون تغريب وبذلك قال أبو حنيفة، وقال مالك: بالجلد والتغريب سنة؛ للحديث وهو قوله ﷺ: «البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام» [مسلم: 1690]، ولا تغريب على النساء ولا على العبيد عند مالك، وصفة الجلد عند مالك في الظهر والمجلود جالس، وقال الشافعي: يفرق على جميع الأعضاء والمجلود قائم، وتستر المرأة بشوب لا يقيها الضرب، ويجرد الرجل عند مالك، وقال قوم: يجلد على قميص. ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ قيل: يعني في إسقاط الحد، أي: أقيموه ولا بد، وقيل: في تخفيف الضرب، وقيل: في الوجهين؛ فعلى القول الأول يكون الضرب في الزنا كالضرب في القذف غير مبرح وهو مذهب مالك والشافعي، وعلى القول الثاني والثالث يكون الضرب في الزنا أشد، واختلف هل يجوز أن يجمع مائة سوط ويضرب بها ضربة واحدة؟ فمنعه مالك وأجازه أبو حنيفة لما ورد في قصة أيوب عليه السلام، وأجازه الشافعي للمريض لورود ذلك في الحديث [ابن ماجه: 2574]. ﴿وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المراد بذلك توبيخ الزناة والغلظة عليهم، واختلف في أقل ما يجزئ من الطائفة، فقيل: أربعة اعتباراً بشهادة الزنا، وهو قول ابن أبي زيد، وقيل: عشرة، وقيل: اثنين؛ وهو مشهور مذهب مالك، وقيل: واحد. ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ الآية، معناها: ذم الزناة وتشنيع الزنا وأنه لا يقع فيه إلا زان أو مشرك، ولا يوافق عليه من النساء إلا زانية أو مشركة، و"ينكح" على هذا بمعنى يجامع، وقيل: معناها لا يحل لزان أن يتزوج إلا زانية أو مشركة، ولا يحل لزانية أن تتزوج إلا زانياً أو مشركاً، ثم نسخ هذا الحكم وأبيح لها التزوج ممن شاؤوا؛ والأول هو الصحيح. ﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ الإشارة بـ"ذلك" إلى الزنا، أي: حرم الزنا على المؤمنين، وقيل: الإشارة إلى تزوج المؤمن غير الزاني لزانية؛ فإن قوما منعوا أن يتزوجها وهذا على القول الثاني في الآية قبلها؛ وهو بعيد، وأجاز تزويجها مالك وغيره وروى عنه كراهته. ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ هذا حد القذف، وهو الفرية التي عبر الله عنها بالرمي، و"المحصنات" هنا يراد بهن العفاف من النساء، وخصهن بالذكر لأن قذفهن أكثر وأشنع من قذف الرجال، ودخل الرجال في ذلك بالمعنى إذ لا فرق بينهم، وأجمع العلماء رضي الله عنهم على أن حكم الرجال والنساء هنا واحد،

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٠﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ  
 أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ  
 لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠١﴾

وقيل: إن المعنى يرمون الأنفس المحصنات فيعم اللفظ على هذا الرجال والنساء، ويحتاج هنا إلى الكلام في  
 القذف والقاذف والمقذوف والشهادة في ذلك؛ فأما القذف: فهو الرمي بالزنا اتفاقاً، أو بفعل قوم لوط عند  
 مالك والشافعي لعموم لفظ الرمي في الآية خلافاً لأبي حنيفة، أو النفي من النسب؛ ومذهب مالك أن  
 التعريض بذلك كله كالصريح خلافاً للشافعي وأبي حنيفة، وأما القاذف: فيحد سواء كان مسلماً أو كافراً  
 لعموم الآية، وسواء كان حراً أو عبداً إلا أن العبد والأمة إنما يحدان أربعين عند الجمهور، فنصفوا أحدهما  
 قياساً على تنصيفه في الزنا خلافاً للظاهرية، ولا يحد الصبي ولا المجنون لكونهما غير مكلفين، وأما المقذوف:  
 فمذهب مالك أنه يشترط فيه الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والبراءة عما رمي به، والتمكن من الوطء  
 تحرزاً من المجبوب وشبهه، فلا يحد عنده من قذف صبياً أو كافراً أو مجنوناً أو عبداً أو من لا يمكنه الوطء،  
 وقد قيل: يحد من قذف واحداً منهم لعموم الآية، واتفق على اشتراط البراءة مما رمي به، وأما الشهادة التي  
 تسقط حد القذف: فهي أن يشهد شاهدان عدلان بأن المقذوف عبداً أو كافراً، ويشهد أربعة شهود ذكور  
 عدول على المعاينة لما قذف به، كالمروء في المكحلة ويؤدون الشهادة مجتمعين. ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ تقدم قبل  
 هذا الاستثناء ثلاثة أحكام؛ وهي الحد ورد شهادة القاذف وتفسيقه، فاتفق على أن الاستثناء راجع إلى  
 التفسيق وأن ذلك يزول عنه بالتوبة، واتفق على أنه لا يرجع إلى الحد وأنه لا يسقط عنه بالتوبة، واختلف هل  
 يرجع إلى رد الشهادة أم لا؟ فقال مالك: إذا تاب قبلت شهادته خلافاً لأبي حنيفة، وتوبته هو صلاح حاله في  
 دينه، وقيل: إكذاب نفسه. ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ هذه الآية في قذف  
 الرجل لامرأته فيجب اللعان بذلك، وسببها أن رجلاً قال: يا رسول الله! الرجل يجد مع امرأته رجلاً أيقنله  
 فتقتلونه، أم كيف يصنع؟ فسكت عنه نبي الله ﷺ ثم عاد فقال مثل ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «قد أنزل  
 فيك وفي صاحبك فأنتي بها» فتلاعنا وفرق رسول الله ﷺ بينهما [البخاري: 4468]. وموجب اللعان عند مالك  
 شيان؛ أحدهما: أن يدعي الزوج أنه رأى امرأته تزني، والآخر: أن ينفي حملها ويدعي الاستبراء قبله، فإذا  
 تلاعن الزوج تعلقت به ثلاثة أحكام: نفي حد القذف عنه، وانتفاء نسب الولد منه، ووجوب حد الزنا عليها  
 إن لم تلاعن، فإن تلاعن سقط الحد عنها، ولفظ الآية عام في الزوجات الحرائر والماليك والمسلّمات  
 والكافرات والعدول وغيرهم، وبذلك أخذ مالك، واشترط مالك في الزوج الإسلام، واشترط أبو حنيفة أن  
 يكونا مسلمين حرين عدلين. ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أي: يقول الزوج أربع

وَالْخَمِيسَةَ أَنْ لَعَنَتُ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٥٦﴾ وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ  
أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٥٧﴾ وَالْخَمِيسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ  
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ  
جَاءُوا بِآلِافِكَ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ

مرات: أشهد بالله لقد رأيت هذه المرأة تزني، أو أشهد بالله ما هذا الحمل مني ولقد زنت وإني في ذلك لمن  
الصادقين، ثم يقول في الخامسة: لعنة الله علي إن كنت من الكاذبين، وزاد أشهب أن يقول: أشهد بالله الذي  
لا إله إلا هو، وانتصب "أربع شهادات" على المصدرية والعامل فيه "شهادة أحدهم"، وقرئ بالرفع وهو  
خبر "شهادة أحدهم"، وقوله "بالله" و"إنه لمن الصادقين" من صلة "أربع شهادات" أو من صلة "شهادة  
أحدهم". ﴿وَالْخَمِيسَةَ أَنْ لَعَنَتُ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ قرئ بنصب "الخامسة" هنا وفي الموضع الثاني،  
وانتصب بفعل مضمّر تقديره: ويشهد الشهادة الخامسة أو بالعطف على "أربع شهادات" على قراءة النصب،  
وقرئ بالرفع على الابتداء أو عطف على "أربع شهادات" بقراءة الرفع، وقرئ "أن لعنة" و"أن غضب"  
بتشديد "أن" ونصب اسمها وتخفيفها ورفع اللعنة والغضب على الابتداء. ﴿وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ  
أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ "العذاب" هنا حد الزنا، أي: يدفعه التعان المرأة، وهي أن تقول أربع  
مرات: أشهد بالله ما زنت وإنه في ذلك لمن الكاذبين، ثم تقول في الخامسة: غضب الله عليها إن كان من  
الصادقين، ويتعلق بالتعانها ثلاثة أحكام: دفع الحد عنها، والتفريق بينها وبين زوجها، وتأييد التحريم.  
﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ﴾ جواب "لولا" محذوف هنا، وفي الموضع الآخر تقديره: لولا فضل الله عليكم لآخذكم  
أو نحو هذا. ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِآلِافِكَ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾ الإفك أشد الكذب، ونزلت هذه الآية وما بعدها إلى  
تمام ست عشر آية في شأن عائشة ؓ وبراءتها مما رماها به أهل الإفك، وذلك أن الله برأ أربعة بأربعة: برأ  
يوسف بشهادة الشاهد من أهلها، وبرأ موسى من قول اليهود بالحجر الذي ذهب بثوبه، وبرأ مريم بكلام  
ولدها في حجرها، وبرأ عائشة من الإفك بإنزال القرآن في شأنها، ولقد تضمنت هذه الآيات الغاية القصوى في  
الاعتناء بها والكرامة لها والتشديد على من قذفها، وقد خرج حديث الإفك البخاري [3910] ومسلم [2770]  
وغيرهما واختصاره: أن عائشة ؓ خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق، فضع لها عقد فتأخرت  
على التماسه حتى رحل الناس، فجاء رجل يقال له: صفوان بن المعطل ؓ، فرآها فنزل عن ناقته وتنحى عنها  
حتى ركبت عائشة ؓ وأخذ يقودها حتى بلغ الجيش، فقال أهل الإفك في ذلك ما قالوا فبلغ ذلك النبي ﷺ  
فقال: «ما بال رجال رموا أهلي! والله ما علمت على أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا»،  
وسأل جارية عائشة فقالت: والله ما أعلم عليها إلا ما يعلمه الصائغ على تبر الذهب الأحمر، والعصبة الجماعة

لَا تَحْسِبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ ۗ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ لِكُلِّ اِمْرِي مِّنْهُم مَّا اَكْتَسَبَ مِنْ اِلْتِمَاسِ وَالَّذِي  
 تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠١﴾ لَوْلَا اِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ  
 بِاَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا اِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٢﴾ لَوْلَا جَاءُو عَلَيْهِ بِاَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ۗ فَاِذْ لَمْ يَأْتُوا  
 بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلٰئِكَ عِنْدَ اللّٰهِ هُمُ الْكٰذِبُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي  
 الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا اَفْضَيْتُمْ فِيْهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٤﴾ اِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِاَلْسِنَتِكُمْ  
 وَتَقُولُوْنَ بِاَفْوَاهِكُمْ مَّا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسِبُوْنَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللّٰهِ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾

من العشرة إلى الأربعين، ولم يذكر في الحديث من أهل الإفك إلا أربعة وهم: عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين، وحنمة بنت جحش، ومسطح بن أثانة، وحسان بن ثابت، وقيل: إن حسانا لم يكن منهم، وارتفاع "عصبة" لأنه خبر "إن"، واختار ابن عطية أن يكون "عصبة" بدلا من الضمير في "جاءوا"، وأن يكون الخبر ﴿لَا تَحْسِبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ﴾ على تقدير: إن حديث الذين جاؤوا بالإفك، والأول أظهر. ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ خطاب للمسلمين، والخير في ذلك من خمسة أوجه: تبرئة أم المؤمنين، وكرامة الله لها بإنزال الوحي في شأنها، والأجر الجزيل لها في الفرية عليها، وموعظة المؤمنين، والانتقام من المفترين. ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ هو عبد الله بن أبي بن سلول المنافق، وقيل: الذي بدأ هذه الفرية وهو غير معين، والعذاب العظيم هنا يجتمل أن يراد به الحد أو عذاب الآخرة. ﴿لَوْلَا اِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِاَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ "لولا" هنا عرض، والمعنى: أنه كان ينبغي للمؤمنين والمؤمنات أن يقيسوا ذلك الأمر على أنفسهم، فإن كان ذلك يبعد في حقهم فهو في حق عائشة ۖ أبعد لفضلها، وروي أن هذا النظر وقع لأبي أيوب الأنصاري ۖ فقال لزوجته: أكنت أنت تفعلين ذلك؟ قالت: لا والله، قال: فعائشة أفضل منك، قالت: نعم، فإن قيل: لم قال "سمعتموه" بلفظ الخطاب ثم عدل إلى لفظ الغيبة في قوله ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ولم يقل: ظننتم؟ فالجواب: أن ذلك التفات قصد به المبالغة، والتصريح بالإيمان الذي يوجب أن لا يصدق المؤمن على المؤمن شرا. ﴿لَوْلَا جَاءُو عَلَيْهِ بِاَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ "لولا" هنا عرض، والضمير في "جاءوا" لأهل الإفك ثم حكم الله بكذبهم إذ لم يأتوا بالشهداء. ﴿اَفْضَيْتُمْ فِيْهِ﴾ يقال: أفاض في الحديث وخاض فيه إذا أكثر الكلام فيه. ﴿اِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِاَلْسِنَتِكُمْ﴾ العامل في "إذ" قوله "مسكم" أو "أفضتم"، ومعنى "تلقونه" يأخذه بعضكم من بعض، وفي هذا الكلام وفي الذي قبله وبعده عتاب لهم على خوضهم في حديث الإفك وإن كانوا لم يصدقوه، فإن الواجب كان الإغضاء عن ذكره والترك له بالكلية، فعاتبهم على ثلاثة أشياء: وهي تلقيه بالألسنة، أي: السؤال عنه وأخذه من المسؤول، والثاني: قولهم ذلك، والثالث: أنهم حسبوه هينا وهو عند الله عظيم، وفائدة قوله "بألسنتكم" و"بأفواهكم" الإشارة



وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾  
يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ  
عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ  
أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ  
وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ  
وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ  
وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾

إلى أن ذلك الحديث كان باللسان دون القلب إذ كانوا لم يعلموا حقيقته بقلوبهم. ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾ أي: كان الواجب أن تبادروا إلى إنكار هذا الحديث أول سماعكم له، "ولولا" أيضا في هذه الآية عرض، وكان حقها أن يليها الفعل من غير فاصل بينهما ولكنه فصل بينها بقوله "إذ سمعتموه"؛ لأن الظروف يجوز فيها ما لا يجوز في غيرها، والقصد بتقديم هذا الظرف الاعتناء به، وبيان أنه كان الواجب المبادرة إلى إنكار ذلك الكلام في أول وقت سمعوه، ومعنى "ما يكون لنا" ما ينبغي لنا ولا يحل لنا أن نتكلم بهذا. ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيه لله تعالى عن أن تكون زوجة رسوله ﷺ على ما قال أهل الإفك، وقال الزمخشري: هو بمعنى التعجب من عظيم الأمر والاستبعاد له، والأصل في ذلك أن يسبح الله عند رؤية العجائب. ﴿بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ البهتان أن يقال في الإنسان ما ليس فيه، والغيبة أن يقال ما فيه. ﴿أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ﴾ تقديره: يعظكم كراهة أن تعودوا، ثم عظم الأمر وأكدته بقوله ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ الإشارة بذلك إلى المنافقين الذين أحبوا أن يشيع حديث الإفك، ثم هو عام في غيرهم ممن اتصف بصفتهم، والعذاب في الدنيا الحد، وأما عذاب الآخرة فقد ورد في الحديث: «أن من عوقب في الدنيا على ذنب لم يعاقب عليه في الآخرة» [البخاري: 18] فأشكل اجتماع الحد مع عذاب الآخرة في هذا الموضوع، فيحتمل أن يكون القاذف يعذب في الآخرة ولا يسقط الحد عنه عذاب الآخرة بخلاف سائر الحدود، أو يكون هذا مختصا بمن قذف عائشة ؓ، فإنه روي عن ابن عباس ؓ أنه قال: من أذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته إلا من خاض في أمر عائشة. أو يكون لمن مات مصرا غير تائب، أو يكون للمنافقين. ﴿خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ ذكر في البقرة. ﴿بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ ذكر في النحل. ﴿زَكَّى﴾ أي: تطهر من الذنوب وصلاح دينه.

وَلَا يَاتِلِ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ  
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾  
 إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ  
 عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٢﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾  
 يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿١٤﴾ الْحَيْثُتُ  
 لِلْحَيْثِيِّينَ وَالْخَيْثُوتُ لِلْحَيْثِيَّتِ وَالطَّيِّبَتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَتِ

﴿وَلَا يَاتِلِ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى﴾ معنى "ياتل" يحلف فهو من قولك: آليت إذا حلفت، وقيل: معناه يقصر فهو من قولك: ألوت، أي: قصرت، ومنه ﴿لَا يَأْتُونَكُمْ خَبَلًا﴾، و"الفضل" هنا يحتمل أن يريد به الفضل في الدين أو الفضل في المال، وهو أن يفضل له عن مقدار ما يكفيه، و"السعة" هي اتساع المال، ونزلت الآية بسبب أبي بكر الصديق ؓ حلف أن لا ينفق على مسطح لما تكلم في حديث الإفك، وكان ينفق عليه لمسكته ولأنه قريبه وكان ابن بنت خالته، فلما نزلت الآية رجع إلى مسطح النفقة والإحسان وكفر عن يمينه، قال بعضهم: هذه أرجى آية في القرآن؛ لأن الله تعالى أوصى بالإحسان إلى القاذف، ثم إن لفظ الآية على عمومها في أن لا يحلف أحد على ترك عمل صالح. ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: كما تحبون أن يغفر الله لكم كذلك اغفروا أنتم لمن أساء إليكم، ولما نزلت قال أبو بكر ؓ: إني لأحب أن يغفر الله لي ثم رد النفقة إلى مسطح. ﴿الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ﴾ معنى "المحصنات" هنا العفاف ذوات الصون، ومعنى "الغافلات" السلييات الصدور فهو من الغفلة عن الشر. ﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ هذا الوعيد للقاذفين لعائشة ؓ ولذلك لم يذكر فيه توبة، قال ابن عباس ؓ: كل مذنب تقبل توبته إذا تاب إلا من خاض في حديث عائشة ؓ، وقيل: الوعيد لكل قاذف والعذاب العظيم؛ يحتمل أن يراد به الحد أو عذاب الآخرة. ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ﴾ العامل فيه ﴿يُوفِّيهِمْ﴾، وكرر ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ تأكيداً، وقيل العامل فيه "عذاب" أو فعل مضمر. ﴿دِينَهُمُ الْحَقُّ﴾ أي: جزاؤهم الواجب لهم. ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ هذه الآية تدل على أن ما قبلها في المنافقين؛ لأن المؤمن قد علم في الدنيا أن الله هو الحق المبين، ومعنى "المبين" الظاهر الذي لا شك فيه. ﴿الْحَيْثِيَّاتُ لِلْحَيْثِيِّينَ﴾ الآية، معناها أن الحيات من النساء للخبيثين من الرجال، وأن الطيبات من النساء للطيبين من الرجال، ففي ذلك رد على أهل الإفك؛ لأن النبي ﷺ هو أطيب الطيبين فزوجته هي أطيب الطيبات، وقيل: المعنى أن الحيات من الأعمال للخبيثين من الناس، والطيبات من الأعمال للطيبين من الناس؛ ففيه أيضاً رد على أهل الإفك، وقيل: إن الحيات من الأقوال للخبيثين من الناس، والإشارة بذلك

أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿١٦﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا هُوَ أَزْكى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿١٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿١٩﴾ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٢٠﴾

إلى أهل الإفك أي: أن أقوالهم الخبيثة لا يقولها إلا حيث مثلهم. ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ الإشارة بـ"أولئك" إلى "الطيبين" و"الطيبات"، والضمير في "يقولون" "للخبيثات" و"الخبيثين"، والمراد تبرئة عائشة ؓ بما مارمت به. ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ هذه الآية أمر بالاستئذان في غير بيت الداخل، فيعم ذلك بيوت الأقارب وغيرهم، وقد جاء في الحديث الأمر بالاستئذان على الأم خيفة أن يراها عريانة [الموطأ: 1729]. ومعنى "تستأذنون" تستأذنون وهو مأخوذ من قولك: أنست الشيء إذا علمته، فالاستئناس أن يستعلم هل يريد أهل الدار الدخول أم لا؟ وقيل: هو مأخوذ من الأنس ضد الوحشة، وقرأ ابن عباس ؓ "حتى تستأذنون" والاستئذان واجب، وأما السلام فلا ينتهي إلى الوجوب، واختلف أيها يقدم؟ فقيل: يقدم السلام ثم يستأذن فيقول: السلام عليكم ثم يقول: أأدخل؟ وقيل: يقدم الاستئذان لتقديمه في الآية، وليس في الآية عدد الاستئذان وجاء في الحديث: «أن يستأذن ثلاث مرات» [البخاري: 5891]، وهو تفسير للآية. ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾ سبب هذه الآية أنه لما نزلت آية الاستئذان تعمق قوم وكانوا يأتون المواضع غير المسكونة فيسلمون ويستأذنون، فأباح هذه الآية دخولها بغير استئذان، واختلف في البيوت غير المسكونة المذكورة في هذه الآية، فقيل: هي الفنادق التي في الطرق لا يسكنها أحد بل هي موقوفة لياوي إليها كل ابن سبيل، والـ"متاع" على هذا التمتع بالنزول فيها والمبيت وغير ذلك، وقيل: هي الحرب التي تدخل للبول والغائط، والـ"متاع" على هذا حاجة الإنسان، وقيل: هي حوانيت القيسارية، والـ"متاع" على هذا الثياب والبسط وشبهها؛ وهذا القول خطأ؛ لأن الاستئذان في الحوانيت واجب بإجماع. ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ إعرابها كإعراب ﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ في إبراهيم وقد ذكر، و"من ابصارهم" للتبويض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل، وقيل:

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ

معنى التبعض فيه أن النظرة الأولى لا حرج بها ويمنع ما بعدها، وأجاز الأخفش أن تكون "من" زائدة، وقيل: هي لابتداء الغاية لأن البصر مفتاح القلب، والغض المأمور به هو عن النظر إلى العورات، أو إلى ما لا يحل من النساء، أو إلى كتاب الغير وشبه ذلك مما يستر، وحفظ الفروج المأمور به هو عن الزنا، وقيل: أراد ستر العورة؛ والأظهر أن الجميع مراد. ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ تؤمر المرأة بغض بصرها عن عورة الرجل وعن عورة المرأة إجماعاً، واختلف هل يجب عليها غض بصرها عن سائر جسد الرجل الأجنبي أم لا، وعن سائر جسد المرأة أم لا؟ فعلى القول بذلك تشتمل الآية عليه، والكلام في حفظ فروج النساء كحفظ فروج الرجال. ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ نهي عن إظهار الزينة بالجملة، ثم استثنى الظاهر منها وهو ما لا بد من النظر إليه عند حركتها أو إصلاح شأنها وشبه ذلك، فقيل: "إلا ما ظهر منها" يعني الثياب فعلى هذا يجب ستر جميع جسدها، وقيل: الثياب والوجه والكفان؛ وهذا مذهب مالك لأنه أباح كشف وجهها وكفيها في الصلاة، وزاد أبو حنيفة القدمين. ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ الجيوب هي التي يقول لها العامة أطواق، وسببها أن النساء كن في ذلك الزمان يلبسن ثياباً واسعة الجيوب يظهر منها صدورهن، وكن إذا غطين رؤسهن بالأخمة سدلنها من وراء الظهر فيبقى الصدر والعنق والأذنان لا ستر عليها، فأمرهن الله بلي الأخمة على الجيوب ليستر جميع ذلك. ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ﴾ المراد بالزينة هنا الباطنة، فلما ذكر في الآية قبلها ما أباح أن يراه غير ذي المحرم من الزينة الظاهرة ذكر في هذه ما أباح أن يراه الزوج وذوي المحارم من الزينة الباطنة، وبدأ بالبعولة وهم الأزواج؛ لأن اطلاعهم يقع على أعظم من هذا ثم ثنى بذوي المحارم، وسوى بينهم في إبداء الزينة ولكن مراتبهم تختلف بحسب القرب، والمراد بالآباء كل من له ولادة من والد وجد، وبالآبناء كل من عليه ولادة من ولد وولد ولد، ولم يذكر في هذه الآية من ذوي المحارم العم والخال، ومذهب جمهور العلماء جواز رؤيتها للمرأة لأنها من ذوي المحارم، وكره ذلك قوم، وقال الشعبي: إنما لم يذكر العم والخال لثلاثين لثلاثة أسباباً، يعني جميع المؤمنات، فكانه قال: أو صنفهن، ويخرج عن ذلك نساء الكفار. ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ يدخل في ذلك الإماء المسلمات والكتاتيب، وأما العبيد ففيهم ثلاثة أقوال: منع رؤيتهم لسيدتهم وهو قول الشافعي، والجواز وهو قول ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما، والجواز بشرط أن يكون العبد وغدا وهو مذهب مالك، وإنما أخذ جوازه من قوله

أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ  
وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ<sup>ع</sup> وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ  
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٥٦﴾ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ<sup>و</sup>

"أو التابعين غير أولي الاربة"، واختلف هل يجوز أن يراها عبد زوجها وعبد الأجنبي أم لا؟ على قولين. ﴿أو التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ شرط في رؤية غير ذوي المحارم شرطين؛ أحدهما: أن يكونا تابعين ومعناه: أن يتبع لشيء يعطاه كالوكيل والمتصرف؛ ولذلك قال بعضهم: هو الذي يتبعك وهمته بطنه، والآخر: أن لا يكون لهم إربة في النساء كالخصي والمخنث والشيخ الهرم والأحمق، فلا يجوز رؤيتهم للنساء إلا باجتماع الشرطين، وقيل: بأحدهما ومعنى "الاربة" الحاجة إلى الوطء. ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ أراد بالطفل الجنس ولذلك وصفه بالجمع، ويقال: طفل ما لم يراهق الحلم، و"يظهروا" معناه يطلعون بالوطء على عورات النساء، فمعناه الذين لم يوطؤ النساء، وقيل: الذين لا يدرون ما عورات النساء؛ وهذا أحسن. ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ روي أن امرأة كان لها خلخالان فكانت تضرب بهما فيسمعها الرجال، فهى الله عز وجل عن ذلك، قال الزجاج: إسماع صوت الزينة أشد تحريكا للشهوة من إبدائها. ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ التوبة واجبة على كل مكلف بدليل الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وفرائضها ثلاثة: الندم على الذنب من حيث عصي به ذو الجلال لا من حيث أضر بدن أو مال، والإقلاع عن الذنب في أول أوقات الإمكان من غير تأخير ولا توان، والعزم أن لا يعود إليها أبدا، ومهما قضي عليه بالعود أحدث غزما مجددا، وأدائها ثلاثة: الاعتراف بالذنب مقرونا بالانكسار، والإكثار من التضرع والاستغفار، والإكثار من الحسنات لمحو ما تقدم من السيئات، ومراتبها سبع: فتوبة الكفار من الكفر، وتوبة المخلطين من الذنوب والكبائر، وتوبة العدول من الصغائر، وتوبة العابدين من الفترات، وتوبة السالكين من علل القلوب والآفات، وتوبة أهل الورع من الشبهات، وتوبة أهل المشاهدة من الغفلات، والبواعث على التوبة سبعة: خوف العقاب، ورجاء الثواب، والخجل من الحساب، ومحبة الحبيب، ومراقبة الرقيب القريب، وتعظيم المقام، وشكر الإنعام. ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ﴾ "الايامى" جمع أيم، ومعناه: الذين لا أزواج لهم رجالا كانوا أو نساء أباكارا أو ثيبا، والخطاب هنا للأولياء والحكام أمرهم الله بتزويج الأيامى، فاقتضى ذلك النهي عن عضلهم من التزويج، وفي الآية دليل على عدم استقلال النساء بالإنكاح، واشتراط الولاية فيه، وهو مذهب مالك والشافعي خلافا لأبي حنيفة. ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ يعني الذين يصلحون للتزويج من ذكور العبيد وإناتهم، وقال الزمخشري: "الصالحين" بمعنى الصلاح في الدين، قال: وإنما خصهم الله بالذكر ليحفظ

إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَيْسَتَعَفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ ۖ وَإِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَيْتُكُمْ ۖ وَلَا تُكْرَهُوا فَتْيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ

عليهم صلاحهم، والمخاطبون هنا ساداتهم، ومذهب الشافعي أن السيد يجبر على تزويج عبيده لهذه الآية خلافاً للمالك، ومذهب مالك أن السيد يجبر عبده وأمه على النكاح خلافاً للشافعي. ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وعد الله بالغنى للفقراء الذين يتزوجون لطلب رضا الله، ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه: التمسوا الغنى في النكاح. ﴿وَلَيْسَتَعَفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أمر بالاستعفاف وهو الاجتهاد في طلب العفة من الحرام لمن لا يقدر على الزواج، فقوله "لا يجدون نكاحاً" معناه: لا يجدون استطاعة على الزواج بأي وجه تعذر الزواج، وقيل: معناه لا يجدون صداقاً للنكاح؛ والمعنى الأول أعم، والثاني أليق بقوله "حتى يغنيهم الله من فضله". ﴿وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾ "الكتاب" هنا مصدر بمعنى الكتابة؛ وهي مقاطعة العبد على مال منجم، فإذا أداه خرج حراً وإن عجز بقي رقيقاً، وقيل: إن الآية نزلت بسبب حويطب بن عبد العزى سأل مولاه أن يكاتبه فأبى عليه، وحكمها مع ذلك عام فأمر الله سادات العبيد أن يكاتبوهم إذا طلبوا الكتابة، وهذا الأمر على الندب عند مالك والجمهور، وقال الظاهرية وغيرهم: على الوجوب، وذلك ظاهر قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأنس بن مالك رضي الله عنه حين سأله مملوكه سيرين الكتابة، فتلكأ أنس رضي الله عنه فقال له عمر رضي الله عنه: لتكاتبه أو لأوجعك بالدره، وإنما حمله مالك على الندب لأن الكتابة كالبيع؛ فكما لا يجبر على البيع لا يجبر عليها، واختلف هل يجبر السيد عبده على الكتابة أم لا؟ على قولين في المذهب. ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ الخير هنا القوة على أداء الكتابة بأي وجه كان، وقيل: هو المال الذي يؤدي منه كتابته من غير أن يسأل أموال الناس، وقيل: هو الصلاح في الدين. ﴿وَءَاتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ﴾ هذا أمر بإعانة المكاتب على كتابته، واختلف فيمن المخاطب بذلك؟ فقيل: هو خطاب للناس أجمعين، وقيل: للولادة، والأمر على هذين القولين للندب، وقيل: هو خطاب لسادات المكاتبين، وهو على هذا القول ندب عند مالك ووجوب عند الشافعي، فإن كان الأمر للناس فالمعنى أن يعطوهم صدقات من أموالهم، وإن كان للولادة فيعطوهم من الزكاة، وإن كان لسادات فيحطوا عنهم من كتابتهم، وقيل: يعطوهم من أموالهم من غير الكتابة، وعلى القول بالحط من الكتابة اختلف في مقدار ما يحط، فقيل: الربع وروي ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [المستدرک: 3501]، وقيل: الثلث، وقال مالك والشافعي: لا حد في ذلك بل أقل ما ينطلق عليه اسم شيء، إلا أن الشافعي يجبره على ذلك ولا يجبره مالك، وزمان الحط عنه في آخر الكتابة عند مالك، وقيل: في أول نجم. ﴿وَلَا تُكْرَهُوا فَتْيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ معنى "البغاء" الزنا نهى الله المسلمين أن يجبروا مملوكاتهم على ذلك، وسبب الآية أن عبد الله بن أبي سلول

إِنْ أَرَدَنْ تَحْصُنَا لِنَتَّبِعُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٠٢٩﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠٣٠﴾ \* اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ

المنافق كان له جاريتان، فكان يأمرهما بالزنا للكسب منه وللولادة ويضربهما على ذلك، فشكنا ذلك إلى النبي ﷺ [سلم: 3029] فتزلت الآية فيه وفيمن فعل مثل فعله. ﴿إِنْ أَرَدَنْ تَحْصُنَا﴾ هذا الشرط راجع إلى إكراه الفتيات على الزنا إذ لا يتصور إكراههن إلا إذا أردن التحصن وهو التعفف، وقيل: هو راجع إلى قوله "وأنكحوا الأيامى"؛ وذلك بعيد. ﴿لِنَتَّبِعُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني ما تكسبه الأمة بفرجها وما تلده من الزنا، ويتعلق "لتبتغوا" بقوله "لا تكرهوا". ﴿وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ المعنى: غفور لهن رحيم بهن لا يؤاخذهن بالزنا لأنهن أكرهن عليه، ويحتمل أن يكون المعنى غفور رحيم للسيد الذي يكرههن إذا تاب من ذلك. ﴿آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ﴾ بفتح الياء، أي: بينها الله، وبالكسر مبيّنات للأحكام والحلال والحرام. ﴿وَمَثَلًا﴾ يعني ضرب لكم الأمثال بمن كان قبلكم في تحريم الزنا؛ لأنه كان حراما في كل ملة أو في براءة عائشة ؓ كما برأ يوسف ومريم. ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ النور يطلق حقيقة على الضوء الذي يدرك بالأبصار، ومجازا على المعاني التي تدرك بالقلوب، والله ليس كمثله شيء، فتأويل الآية: الله ذو نور السماوات والأرض ووصف نفسه بأنه نور كما تقول: زيد كرم إذا أردت المبالغة في أنه كريم، فإن أراد بالنور المدرك بالأبصار، فمعنى "نور السماوات والأرض" أنه خلق النور الذي فيها من الشمس والقمر والنجوم، أو أنه خلقها وأخرجها من العدم إلى الوجود، فإنما ظهرت به كما تظهر الأشياء بالضوء، ومن هذا المعنى قرأ علي ابن أبي طالب ؓ "الله نور السماوات والأرض" بفتح النون والواو والراء وتشديد الواو، أي: جعل فيهما النور، وإن أراد بالنور المدرك بالقلوب، فمعنى "نور السماوات والأرض" جاعل النور في قلوب أهل السماوات والأرض، ولهذا قال ابن عباس ؓ: معناه هادي أهل السماوات والأرض. ﴿مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ المشكاة هي الكوة غير النافذة تكون في الحائط، ويكون المصباح فيها شديد الإضاءة، وقيل: المشكاة العمود الذي يكون المصباح على رأسه؛ والأول أصح وأشهر، والمعنى: صفة نور الله في وضوحه كصفة مشكاة فيها مصباح على أعظم ما يتصوره البشر من الإضاءة والإنارة، وإنما شبهه بالمشكاة وإن كان نور الله أعظم؛ لأن ذلك غاية ما يدركه الناس من الأنوار، فضرب المثل لهم بما يصلون إلى إدراكه، وقيل: الضمير في "نوره" عائد على محمد ﷺ، وقيل: على القرآن، وقيل: على المؤمن؛ وهذه الأقوال ضعيفة؛ لأنه لم يتقدم ما يعود عليه الضمير، فإن قيل: كيف يصح أن يقال "الله نور السماوات والأرض"، فأخبر أنه هو النور ثم أضاف النور إليه في قوله "مثل نوره" والمضاف غير المضاف إليه؟ فالجواب: أن ذلك يصح مع التأويل الذي قدمناه، أي: الله ذو نور

الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ  
لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ  
لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٠﴾ فِي بُيُوتِ آذِنَ  
اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٢١﴾

السموات والأرض، أو كما تقول: زيد كرم، ثم تقول: ينعش الناس بكرمه. ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ "المصباح" هو الفتيل بناره، والمعنى أنه في قنديل من زجاج لأن الضوء فيه أزهى لأنه جسم شفاف. ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ شبه الزجاج في إنارتها بكوكب دري، وذلك يحتمل معنيين: إما أن يريد أنها تضيء بالمصباح الذي فيها، وإما أن يريد أنها في نفسها شديدة الضوء لصفاتها ورقة جوهرها؛ وهذا أبلغ لاجتماع نورها مع نور المصباح، والمراد بالكوكب الدرّي أحد الدراري المضيئة كالمشترى والزهرة وسهيل ونحوها، وقيل: أراد الزهرة؛ ولا دليل على هذا التخصيص، وقرأ نافع "دري" بضم الدال وبشد الياء من غير همز، ولهذه القراءة وجهان: إما أن ينسب الكوكب إلى الدر لبياضه وصفائه أو يكون مسهلاً من الهمز، وقرئ بالهمز وكسر الدال وبالهمز وضم الدال، وهو مشتق من الدرء بمعنى الدفع. ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ من قرأ "يوقد" بالياء أو "توقد" بالفعل الماضي فالفعل مسند إلى المصباح، ومن قرأ "توقد" بالتاء والفعل المضارع فهو مسند إلى الزجاج، والمعنى: توقد من زيت شجرة مباركة، ووصفها بالبركة لكثرة منافعها أو لأنها تنبت في الأرض المباركة وهي الشام. ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ قيل: يعني أنها بالشام فليست من شرق الأرض ولا من غربها، وأجود الزيتون زيتون الشام، وقيل: هي منكشفة تصيبها الشمس طول النهار، فليست خالصة للشرق فتسمى شرقية ولا للغرب فتسمى غربية بل هي غربية شرقية؛ لأن الشمس تستدير عليها من الشرق والغرب، وقيل: إنها في وسط دوحة فهي لا في جهة الشرق من الدوحة ولا في جهة الغرب، وقيل: إنها من شجرة الجنة ولو كانت في الدنيا لكانت شرقية أو غربية. ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ مبالغة في وصف صفائه وحسنه. ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ يعني اجتماع نور المصباح وحسن الزجاج وطيب الزيت، والمراد بذلك كمال النور الممثل به. ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يوفق الله من يشاء لإصابة الحق. ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ يعني المساجد، وقيل: بيوت أهل الإيمان من مساجد أو مساكن؛ والأول أصح، والجار يتعلق بما قبله، أي: كمشكاة في بيوت أو توقد في بيوت، وقيل: بما بعده وهو "يسبح" وكرر الجار بعد ذلك تأكيداً، وقيل: بمحذوف؛ أي: سبحوا في بيوت. ﴿آذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ المراد بالإذن الأمر، ورفعها بناؤها، وقيل: تعظيمها. ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ أي: غدوة وعشية، وقيل: أراد الصبح والعصر، وقيل: صلاة الضحى والعصر.



رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا  
تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٧٧﴾ لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ  
وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ تَحْسِبُهَا  
الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ  
الْحِسَابِ ﴿٧٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ ۗ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ ۗ سَحَابٌ

﴿ رِجَالٌ ﴾ فاعل "يسبح" على القراءة بكسر الباء، وأما على القراءة بالفتح فهو مرفوع بفعل مضمر يدل عليه  
الأول. ﴿ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ أي: لا تشغلهم، ونزلت الآية في أهل الأسواق الذين إذا سمعوا  
النداء بالصلاة تركوا كل شغل وبادروا إليها، والبيع من التجارة ولكنه خصه بالذكر تجريداً كقوله ﴿ فَآكِهَةٌ وَنُحْلٌ  
وَرُمَّانٌ ﴾، أو أراد بالتجارة الشراء. ﴿ تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ أي: تضطرب من شدة الهول والخوف،  
وقيل: تفقه القلوب وتبصر الأبصار بعد العمى؛ لأن الحقائق تنكشف حينئذ؛ والأول أصح كقوله ﴿ وَإِذْ رَأَعَتْ  
الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ وفي قوله "تتقلب فيه القلوب" تجنيس. ﴿ لِيَجْزِيَهمُ ﴾ متعلق بما قبله أو بفعل  
"من" معنى ما قبله. ﴿ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ﴾ تقديره: جزاء أحسن ما عملوا. ﴿ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ﴾ يعني زيادة على  
ثواب أعمالهم. ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ذكر في البقرة. ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ ﴾ لما ذكر الله حال المؤمنين  
أعقب ذلك بمثالين لأعمال الكافرين؛ الأول: يقتضي حال أعمالهم في الآخرة، وأنها لا تنفعهم بل يضمحل ثوابها  
كما يضمحل السراب، والثاني: يقتضي حال أعمالهم في الدنيا، وأنها في غاية الفساد والضلال كالظلمات التي  
بعضها فوق بعض، والسراب هو ما يرى في الفلوات من ضوء الشمس في الهجيرة حتى يظهر كأنه ماء يجري على  
وجه الأرض، والقيعة جمع قاع وهو المنبسط من الأرض، وقيل: القيعة بمعنى القاع، وليس بجمع. ﴿ يَحْسِبُهَا  
الظَّمْآنُ مَاءً ﴾ "الظمان" العطشان، أي: يظن العطشان أن السراب ماء فيأتيه ليشربه، فإذا جاءه خاب ما أمل  
وبطل ما ظن، وكذلك الكافر يظن أن أعماله تنفعه، فإذا كان يوم القيامة لم تنفعه فهي كالسراب. ﴿ حَتَّى إِذَا  
جَاءَهُ ﴾ ضمير الفاعل للظمان، وضمير المفعول للسراب، أو ضمير الفاعل للكافر وضمير المفعول لعمله. ﴿ لَمْ  
يَجِدْهُ شَيْئًا ﴾ أي: شيئاً ينتفع به أو شيئاً موجوداً على العموم لأنه معدوم، ويحتمل أن يكون ضمير الفاعل للظمان  
وضمير المفعول للسراب أو ضمير الفاعل للكافر وضمير المفعول لعمله. ﴿ وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ ﴾ ضمير الفاعل في  
"وجد" للكافر والضمير في "عنده" لعمله، والمعنى: وجد الله عنده بالجزء أو وجد زبانية الله. ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ ﴾  
هذا هو المثال الثاني، وهو عطف على قوله "كسراب" والمشبّه بالظلمات أعمال الكفار، أي: هم من الضلال  
والخيرة في مثل الظلمات المجتمعة من ظلمة البحر تحت الموج تحت السحاب. ﴿ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ ﴾ منسوب إلى اللج

ظَلَمْتُمْ بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرِبْهَا ۗ وَمَنْ لَمْ يُجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا  
فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴿١٠١﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتٍ  
كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزِيحُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ  
رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۗ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ  
بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ

وهو معظم الماء، وذهب بعضهم إلى أن أجزاء هذا المثل قوبلت به أجزاء الممثل به فالظلمات أعمال الكافر، والبحر اللحي صدره، والموج جهله، والسحاب الغطاء الذي على قلبه، وذهب بعضهم إلى أنه تمثيل بالجملة من غير مقابلة، وفي وصف هذه الظلمات بهذه الأوصاف مبالغة كما أن وصف النور المذكور قبلها مبالغة. ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ المعنى: مبالغة في وصف الظلمة، والضمير في "أخرج" وما بعده للرجل الذي وقع في الظلمات الموصوفة، واختلف في تأويل الكلام، فقيل: المعنى إذا أخرج يده لم يقارب رؤيتها؛ فنفى الرؤية ومقاربتها، وقيل: بل رآها بعد عسر وشدة، لأن كاد إذا نفيت تقتضي الإيجاب وإذا أوجبت تقتضي النفي، وقال ابن عطية: إنما ذلك إذا دخل حرف النفي على الفعل الذي بعدها، فأما إذا دخل حرف النفي على كاد كقوله "لم يكاد" فإنه يحتمل النفي والإيجاب. ﴿وَمَنْ لَمْ يُجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا﴾ أي: من لم يهده الله لم يهتد، فالنور كناية عن الهدى والإيمان في الدنيا، وقيل: أراد في الآخرة، أي: من لم يرحمه الله فلا رحمة له؛ والأول أليق بما قبله. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الرؤية هنا بمعنى العلم، والتسبيح التنزيه والتعظيم، وهو من العقلاء بالنطق، وأما تسبيح الطير وغيرها مما لا يعقل، فقال الجمهور: إنه حقيقي؛ ولا يبعد أن يلهمها الله التسبيح كما يلهمها الأمور الدقيقة التي لا يهتدي إليها العقلاء، وقيل: تسبيحه ظهور الحكمة فيه. ﴿صَاقَاتٍ﴾ أي: يصففن أجنحتهن في الهواء. ﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ﴾ الضمير في "علم" لله أو لكل، والضمير في ﴿صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ﴾ لـ"كل". ﴿يُزِيحُ﴾ معناه: يسوق، والإزجاء إنما يستعمل في سوق كل ثقل كالسحاب. ﴿رُكَامًا﴾ أي: متكاثف بعضه فوق بعض ﴿الْوَدْقُ﴾ المطر. ﴿مِنْ خِلَالِهِ﴾ أي: من بينه، وهو جمع خلل كجبل وجبال. ﴿وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾ قيل: إن الجبال هنا حقيقة، وإن الله جعل في السماء جبالات من برد، وقيل: إنه مجاز كقولك: عند فلان جبال من مال أو علم؛ أي: هي في الكثرة كالجبال، و"من" في قوله "من السماء" لا ابتداء الغاية، وفي قوله "من جبال" كذلك وهي بدل من الأولى، أو تكون للتبعيض فتكون مفعول "ينزل"، و"من" في قوله "من برد" لبيان الجنس أو للتبعيض فتكون مفعول "ينزل"،

يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصِرِ ﴿١٧﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي  
 الْأَبْصِرِ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي  
 عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ خَلَقَ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ  
 ﴿١٩﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٠﴾  
 وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا  
 أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ  
 مُعْرِضُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٢٣﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ آرْتَابُوا أَمْ  
 يَخَافُونَ أَنْ يَحْجِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ أَمْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ  
 الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ  
 هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَخَشِيَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ

وقال الأخفش: هي زائدة؛ وذلك ضعيف، وقوله "فيها" صفة للجبال والضمير يعود على "السماء". ﴿سَنَا بَرْقِهِ﴾ السنا بالقصر الضوء، وبالمد المد والشرف. ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ أي: يأتي بهذا بعد هذا. ﴿خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾ يعني بني آدم والبهائم والطيور لأن ذلك كله يدب. ﴿مِنْ مَّاءٍ﴾ يعني المني، وقيل: الماء الذي في الطين الذي خلق منه آدم وغيره. ﴿عَلَى بَطْنِهِ﴾ كالحيات والحوت. ﴿وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَّا﴾ الآية، نزلت في المنافقين، وسببها أن رجلا من المنافقين كانت بينه وبين يهودي خصومة، فدعاه اليهودي إلى رسول الله ﷺ فأعرض عنه ودعاه إلى كعب بن الأشرف. ﴿مُذْعِنِينَ﴾ أي: منقادين طائعين لقصد الوصول إلى حقوقهم. ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ توقيف يراد به التوبيخ، وكذلك ما بعده. ﴿أَنْ يَحْجِفَ﴾ معناه أن يجور، والحيف الميل، وأسنده إلى الله؛ لأن الرسول إنما يحكم بأمر الله وشرعه. ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية، معناها: إنما الواجب أن يقول المؤمنون: سمعنا وأطعنا، إذا دعوا إلى الله ورسوله، وجعل الدعاء إلى الله من حيث هو إلى شرعه. ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية، قال ابن عباس ؓ: معناها من يطع الله في فرائضه، ورسوله في سنته، ويخشى الله فيما مضى من ذنوبه ﴿وَيَتَّقِهِ﴾ فيما يستقبل، وسأل بعض الملوك عن آية كافية جامعة فذكرت له هذه الآية، وسمعتها بعض بطارقة الروم فأسلم، وقال: إنها جمعت كل ما في التوراة والإنجيل.

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجْنَ ۗ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۗ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩١﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ رَءْمًا يَّعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۗ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٩٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٩٣﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا يُؤْتُهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْأَمْصِرُ ﴿٩٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَذِينَكُمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ

﴿وَأَقْسَمُوا﴾ أي: حلفوا، والضمير للمنافقين. ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي: بالغوا في اليمين وأكدوها. ﴿لَيَخْرُجْنَ﴾ يعني إلى الغزو. ﴿قُلْ لَا تُقْسِمُوا﴾ نهي عن اليمين الكاذبة؛ لأنه قد عرف أنهم يحلفون على الباطل. ﴿طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾ مبتدأ وخبره محذوف، أي: طاعة معروفة أمثل وأولى بكم أو خبر مبتدأ محذوف، أي: المطلوب منكم طاعة معروفة لا يشك فيها. ﴿عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ يعني تبليغ الرسالة. ﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾ يعني السمع والطاعة واتباع الشريعة. ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ وعد ظهر صدقه بفتح مشارق الأرض ومغارها لهذه الأمة، وقيل: إن المراد بالآية خلافة أبي بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي ؑ؛ لقول رسول الله ﷺ: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة» [ابن حبان: 6943] وانتهت الثلاثون إلى آخر خلافة علي ؑ، فإن قيل: أين القسم الذي جاء قوله "ليستخلفنهم" جوابا له؟ فالجواب: أنه محذوف تقديره: وعدهم الله وأقسم، أو جعل الوعد بمنزلة القسم لتحققه. ﴿لَيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ قيل: المراد بـ"الذين ملكت أيمانكم" الرجال خاصة، وقيل: النساء خاصة؛ لأن الرجال يستأذنون في كل وقت، وقيل: الرجال والنساء. ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ﴾ يعني الأطفال غير البالغين. ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ نصب على الظرفية؛ لأنهم أمروا بالاستئذان في ثلاثة مواطن، فمعنى الآية: أن الله أمر المالك والأطفال بالاستئذان في ثلاثة أوقات وهي: قبل الصبح، وحين القائلة وسط النهار، وبعد صلاة العشاء الأخيرة؛ لأن هذه الأوقات يكون الناس فيها متجردين للنوم في غالب أمرهم، وهذه الآية محكمة، وقال ابن عباس ؓ: ترك الناس العمل بها، وحملها بعضهم على الندب.

مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرَجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٦﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ

﴿تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ﴾ يعني تتجردون. ﴿الظَّهْرِ﴾ وسط النهار. ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ﴾ جمع عورة من الانكشاف، كقوله ﴿بُيُوتُنَا عَوْرَةٌ﴾ ومن رفع "ثلاث" فهو خبر ابتداء مضمرة تقديره: هذه الأوقات ثلاث عورات لكم، أي: تنكشفون فيها، ومن نصبه فهو بدل من "ثلاث مرات". ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾ هذا الضمير المؤنث يعود على الأوقات المتقدمة، أي: ليس عليكم ولا على المالك والأطفال جناح في ترك الاستئذان في غير المواطن الثلاثة. ﴿طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ﴾ تقديره: المالك والأطفال طوافون عليكم، فلاجل ذلك لم يؤمروا بالاستئذان في كل وقت. ﴿بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ بدل من "طوافون"، أي: بعضكم يطوف على بعض، وقال الزمخشري: هو مبتدأ، أي: بعضكم طائف على بعض أو فاعل بفعل مضمرة. ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ لما أمر الأطفال في الآية المتقدمة بالاستئذان في ثلاثة أوقات، وأباح لهم الدخول بغير إذن في غيرها، أمرهم هنا بالاستئذان في جميع الأوقات إذا بلغوا ولحقوا بالرجال. ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ جمع قاعد وهي العجوز، فقيل: هي التي قعدت عن الولد، وقيل: التي قعدت عن التصرف، وقيل: التي إذا رأيتها استقدرتها. ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ أباح الله لهذا الصنف من العجائز ما لم يبيع لغيرهن من وضع الثياب، قال ابن مسعود رضي الله عنه: إنما أبيع لهن وضع الجلباب الذي فوق الخمار والرداء، وقال بعضهم: إنما ذلك في منزلها الذي يراها فيه ذوو محارمها. ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ إنما أباح الله لهن وضع الثياب بشرط ألا يقصدن إظهار زينة، والتبرج هو الظهور. ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾ المعنى: أن استعفاهفن عن وضع الثياب المذكورة خير لهن من وضعها، والأولى لهن أن يلتزم ما يلتزم شباب النساء من الستر. ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ الآية، اختلف في المعنى الذي رفع الله فيه الحرج عن الأعمى والأعرج والمريض في هذه الآية، فقيل: هو في الغزو، أي: لا حرج عليهم في تأخرهم عنه، وقوله ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ مقطوع من الذي قبله على هذا القول، كأنه قال: ليس على هؤلاء الثلاثة حرج في ترك الغزو ولا عليكم حرج في الأكل، وقيل: الآية كلها في

وَلَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ  
بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ  
أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ  
جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ  
اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٩٧﴾

معنى الأكل، واختلف الداهبون إلى ذلك، فقيل: إن أهل هذه الأعدار كانوا يتجنبون الأكل مع الناس لثلا يتقذرهم الناس، فنزلت الآية مبيحة لهم الأكل مع الناس، وقيل: إن الناس كانوا إذا نهضوا إلى الغزو خلفوا أهل هذه الأعدار في بيوتهم، وكانوا يتجنبون أكل مال الغائب فنزلت الآية في ذلك، وقيل: إن الناس كانوا يتجنبون الأكل معهم تقذرا فنزلت الآية؛ وهذا ضعيف لأن رفع الحرج عن أهل الأعدار لا عن غيرهم، وقيل: إن رفع الحرج عن هؤلاء الثلاثة في كل ما تمنعهم منه أعدارهم من الجهاد وغيره. ﴿وَلَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ أباح الله تعالى للإنسان الأكل من هذه البيوت المذكورة في الآية، فبدأ ببيت الرجل نفسه ثم ذكر القرابة على ترتيبهم ولم يذكر فيهم الابن؛ لأنه دخل في قوله "من بيوتكم" لأن بيت ابن الرجل بيته لقوله عليه الصلاة والسلام: «أنت ومالك لأبيك» [ابن حبان: 410]، واختلف العلماء فيما ذكر في هذه الآية من الأكل من بيوت القرابة، فذهب قوم إلى أنه منسوخ، وأنه لا يجوز الأكل من بيت أحد إلا بإذنه والناسخ قوله تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾، وقوله عليه الصلاة والسلام: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه» [الدارقطني: 91]، وقيل: الآية محكمة ومعناها إباحة الأكل من بيوت القرابة إذا أذنوا في ذلك، وقيل: بإذن وبغير إذن. ﴿أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾ يعني الوكلاء والأجراء والعبيد الذين يمسكون مفاتيح مخازن أموال ساداتهم، فأباح لهم الأكل منها، وقيل: المراد ما ملك الإنسان من مفاتيح نفسه؛ وهذا ضعيف. ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ الصديق يقع على الواحد والجماعة كالعدو، والمراد به هنا جمع ليناسب ما ذكر قبله من الجموع في قوله "آبائكم وأمهاتكم" وغير ذلك، وقرن الله الصديق بالقرابة لقرب مودته، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «الصديق أوكد من القرابة». ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ إباحة للأكل في حال الاجتماع والافتراق؛ لأن بعض العرب كان لا يأكل وحده أصلا خيفة من البخل فأباح لهم الله ذلك. ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: إذا دخلتم بيوتا مسكونة فسلموا على من فيها من الناس، وإنما قال "على أنفسكم" بمعنى صنفكم كقوله ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، وقيل: المعنى إذا دخلتم بيوتا خالية فسلموا على أنفسكم بأن يقول الرجل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وقيل: يعني بالبيوت المساجد وأمر بالسلام على من فيها، فإن لم يكن فيها أحد فليسلم

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ؕ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٦﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ۚ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٨﴾

على النبي ﷺ وعلى الملائكة وعلى عباد الله الصالحين. ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ الآية، الأمر الجامع هو ما يجمع له الناس للمشورة فيه أو للتعاون عليه، ونزلت هذه الآية في وقت حفر الخندق بالمدينة، فإن بعض المؤمنين كانوا يستأذنون في الانصراف لضرورة، وكان المنافقون يذهبون بغير استئذان. ﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ أي: لبعض حوائجهم. ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ في معناها ثلاثة أقوال؛ الأول: أن الدعاء هنا يراد به دعاء النبي ﷺ إياهم ليجتمعوا إليه في أمر جامع أو في قتال وشبه ذلك، فالمعنى: أن إجابتك له إذا دعاكم واجبة عليكم بخلاف إذا دعا بعضكم بعضا فهو كقوله تعالى ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾، ويقوي هذا القول مناسبته لما قبله من الاستئذان والأمر الجامع، والقول الثاني: أن المعنى لا تدعوا الرسول عليه الصلاة والسلام باسمه كما يدعو بعضكم بعضا باسمه بل قولوا: يا رسول الله! أو يا نبي الله! تعظيما له ودعاء بأشرف أسمائه، وقيل: المعنى لا تحسبوا دعاء الرسول عليكم كدعاء بعضكم على بعض، أي: دعاؤه عليكم مجاب فاحذروه؛ ولفظ الآية بعيد من هذا المعنى على أن المعنى صحيح. ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا﴾ يعني الذين ينصرفون عن حفر الخندق، واللواذ الروغان والمخالفة، وقيل: الانصراف في خفية. ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ الضمير لله ولرسوله ﷺ، واختلف في "عن" هنا، فقيل: إنها زائدة؛ وذلك ضعيف، وقال ابن عطية: معناه يقع خلافهم بعد أمره كما تقول: كان المطر عن ريح، وقال الزمخشري: يقال خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه دونه وخالفه عن الأمر إذا صد الناس عنه، فمعنى "يخالفون عن أمره" يصدون الناس عنه فحذف المفعول لأن الغرض ذكر المخالف. ﴿فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبُهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الفتنة في الدنيا بالرزايا أو بالفضيحة أو القتل، وبالعذاب في الآخرة. ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ دخلت "قد" للتأكيد، وفي الكلام معنى الوعيد، وقيل: معناها التقليل على وجه التهكم، والخطاب لجميع الخلق أو للمنافقين خاصة. ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ يعني المنافقين، والعامل في الظرف ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ آِهَةً لَا تَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرِيهِ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾

## سورة الفرقان

﴿تَبَارَكَ﴾ من البركة، وهو فعل مختص بالله تعالى لم ينطق له بالمضارع. ﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾ يعني محمدا ﷺ، وذلك على وجه التشريف له والاختصاص. ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ الضمير لمحمد ﷺ أو للفرقان؛ والأول أظهر، وقوله "للعالمين" عموم يشمل الجن والإنس ممن كان في عصره ومن يأتي بعده إلى يوم القيامة، وتضمن صدر هذه السورة إثبات النبوة والتوحيد والرد على من خالف في ذلك. ﴿فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ "خلق" عبارة عن الإيجاد بعد العدم، والتقدير عبارة عن إتقان الصنعة، وتخصيص كل مخلوق بمقداره، وصفته وزمانه ومكانه ومصالحته وأجله وغير ذلك. ﴿وَأَتَّخِذُوا﴾ الضمير لقريش وغيرهم ممن أشرك بالله تعالى. ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ يعنون قوما من العبيد منهم عداس ويسار وأبو فكيهة الرومي. ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ أي: ظلموا النبي ﷺ فيما نسبوا إليه وكذبوا في ذلك عليه. ﴿وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: ما سطره الأولون في كتبهم، وكان الذي يقول هذه المقالة النضر بن الحارث. ﴿أَكْتَتَبَهَا﴾ أي: كتبها له كاتب ثم صارت تملى عليه ليحفظها، وهذا حكاية كلام الكفار، وقال الحسن: إنه من قول الله على وجه الرد عليهم، ولو كان كذلك لقال: أكتبتها بفتح الهمزة لمعنى الإنكار، وقد يجوز حذف الهمزة في مثل هذا، وينبغي على قول الحسن أن يوقف على "أساطير الأولين". ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ رد على الكفار في قولهم، ويعني بـ"السر" ما أسره الكفار من أقوالهم، أو يكون ذلك على معنى التنصل والبراءة مما نسبته الكفار إليه من الافتراء، أي: أن الله يعلم سري فهو العالم بأني ما افتريت عليه بل هو أنزله علي، فإن قيل: ما مناسبة قوله ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ لما قبله؟ فالجواب: أنه لما ذكر أقوال الكفار أعقبها بذلك ليبين أنه غفور رحيم في كونه لم يعجل عليهم بالعقوبة بل



وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ  
فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٥٦﴾ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ  
الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٥٧﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ  
فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٥٨﴾ تَبْرَكَ الَّذِي يَنْشَاءُ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ  
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَجَعَلَ لَكَ قُصُورًا ﴿٥٩﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ﴿٦٠﴾ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ  
كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿٦١﴾ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴿٦٢﴾ وَإِذَا  
أَلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقْرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿٦٣﴾ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا  
وَأَدْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿٦٤﴾ قُلْ أَدْلِكُمْ خَيْرًا مِّنْ جَنَّةِ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴿٦٥﴾

أمهلهم، وإن أسلموا تاب عليهم وغفر لهم. ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ الآية، قال هذا الكلام قريش طعنا على النبي ﷺ، وقد رد الله عليهم بقوله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾، وقولهم "هذا الرسول" على وجه التهكم كقول فرعون ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ﴾، أو يعنون الرسول بزعمه، ثم ذكر ما اقترحوا من الأمور في قولهم ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ وما بعده ثم وصفهم بالظلم، وقد ذكرنا معنى ﴿مَّسْحُورًا﴾ في سبحان. ﴿ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ أي: قالوا فيك تلك الأقوال. ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ أي: لا يقدر على الوصول إلى الحق لبعدهم عنه وإفراط جهلهم. ﴿خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ﴾ الإشارة إلى ما ذكره الكفار من الكفر والجنة في الدنيا. ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يعني جنات الآخرة وقصورها، وقيل: يعني جنات وقصورها في الدنيا ولذلك قال "إن شاء". ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ﴾ أي: إذا رأتهم جهنم، وهذه الرؤية يحتمل أن تكون حقيقة، أو مجازا بمعنى صارت منهم بقدر ما يرى على البعد. ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا﴾ التغيظ لا يسمع وإنما المسموع أصوات دالة عليه، ففي لفظه تجوز، والزفير صوت ممدود كصوت الحمار. ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ تضيق عليهم زيادة في عذابهم. ﴿مُقْرَّنِينَ﴾ أي: مربوط بعضهم إلى بعض، وروي أن ذلك بسلاسل من النار. ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ الثبور الويل، وقيل: الهلاك، ومعنى دعائهم ثبورا أنهم يقولون: يا ثبورا! كقول القائل: واحسرتا! وأسفى!. ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا﴾ تقديره: يقال لهم ذلك أو يكون حالهم يقتضي ذلك، وإن لم يكن ثم قول وإنما دعوا ﴿ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ لأن عذابهم دائم، فالثبور يتجدد عليهم في كل حين. ﴿قُلْ أَدْلِكُمْ خَيْرًا مِّنْ جَنَّةِ الْخُلْدِ﴾ إنها جاز هنا التفضيل بين الجنة والنار لأن الكلام توقيف وتوبيخ، وإنما يمنع التفضيل بين شيئين ليس بينهما اشتراك في المعنى إذا كان

كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿٥١﴾ هُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَلِيدِينَ ﴿٥٢﴾ كَانَ عَلَى رَيْكَ وَعَدَا  
 مَسْئُولًا ﴿٥٣﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي  
 هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ  
 أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعِبَادَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿٥٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ  
 بِمَا تَقُولُونَ فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿٥٦﴾

الكلام خبرا. ﴿وَعَدَا مَسْئُولًا﴾ أي: سأله المؤمنون أو الملائكة في قولهم ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾، وقيل: معناه وعدا واجب الوقوع لأنه قد حتمه. ﴿فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ﴾ القائل لذلك هو الله عز وجل، والمخاطب هم المعبودون مع الله على العموم، وقيل: الأصنام خاصة؛ والأول أرجح؛ لقوله ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ هَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾، وقوله ﴿ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيِّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ "أم" هنا معادلة لما قبلها، والمعنى: أن الله يقول يوم القيامة للمعبودين: أنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا من تلقاء أنفسهم باختيارهم ولم تضلوهم أنتم؟ ولأجل ذلك بين هذا المعنى بقوله "هم" ليحقق إسناد الضلال إليهم، وإنما سألهم الله هذا السؤال مع علمه بالأمر ليوبخ الكفار الذين عبدوهم. ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ القائل لهذا هم المعبودون، قالوه على وجه التبري ممن عبدهم كقولهم ﴿أَنْتَ وَآلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾، والمراد بذلك توبيخ الكفار يومئذ وإقامة الحجة عليهم. ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعِبَادَهُمْ﴾ معناه: أن إمتاعهم بالنعم في الدنيا كان سبب نسيانهم لذكر الله وعبادته. ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ أي: هالكين وهو من البوار بمعنى الهلاك، واختلف هل هو جمع بائر أو مصدر وصف به؟ ولذلك يقع على الواحد والجماعة. ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾ هذا خطاب خاطب الله به المشركين يوم القيامة، أي: قد كذبكم أهتكم التي عبدتم من دون الله وتبرؤوا منكم، وقيل: هو خطاب للمعبودين، أي: كذبكم في هذه المقالة لما عبدوكم في الدنيا، وقيل: هو خطاب للمسلمين، أي: قد كذبكم الكفار فيما تقولونه من التوحيد والشريعة، وقرئ "بما يقولون" بالياء من أسفل، والباء في قوله "بما تقولون" على القراءة بالتاء بدل من الضمير في "كذبكم" وعلى القراءة بالياء كقولك: كتبت بالقلم، أي: كذبكم بقولهم. ﴿فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ قرئ "فما يستطيعون" بالتاء من فوق، ويحتمل على هذا أن يكون الخطاب للمشركين أو للمعبودين، والصرف على هذين الوجهين صرف العذاب عنهم أو يكون الخطاب للمسلمين، والصرف على هذا رد التكذيب عنهم، وقرئ بالياء وهو مسند إلى المعبودين أو إلى المشركين، والصرف صرف العذاب. ﴿وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ﴾ خطاب للكفار، وقيل: للمؤمنين، وقيل: على العموم.

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ  
 وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٥﴾ \* وَقَالَ الَّذِينَ لَا  
 يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ  
 وَعَتَوْا عُتُوًا كَبِيرًا ﴿٢٦﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا  
 مَّحْجُورًا ﴿٢٧﴾ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٨﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ  
 يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٩﴾

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ تقديره: وما أرسلنا رسلاً أو رجالاً قبلك، وعلى هذا المفعول المحذوف يعود الضمير في قوله ﴿إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾، وهذه الآية رد على الكفار في استبعادهم بعث رسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق. ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ هذا خطاب لجميع الناس لاختلاف أحوالهم، فالغني فتنة للفقير، والصحيح فتنة للمريض، والرسول فتنة لغيره ممن يحسده ويكفر به. ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ تقديره: لنظر هل تصبرون؟. ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ قيل: معناه لا يخافون؛ والصحيح أنه على بابه لأن لقاء الله يرجى ويخاف. ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾ اقترح الكفار نزول الملائكة أو رؤية الله وحينئذ يؤمنون، فرد الله عليهم بقوله ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا﴾ الآية، أي: طلبوا ما لا ينبغي لهم أن يطلبوه، وقوله ﴿فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ كما تقول: فلان عظيم في نفسه، أي: عند نفسه، أو بمعنى أنهم أضمروا الكفر في أنفسهم. ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ لما طلبوا رؤية الملائكة أخبر الله أنهم لا بشرى لهم يوم يرونهم، فالعامل في "يوم" معنى "لا بشرى" و"يومئذ" بدل. ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ الضمير في "يقولون" إن كان للملائكة، فالمعنى: أنهم يقولون للمجرمين حجراً محجوراً، أي: حراماً عليكم الجنة أو البشري، وإن كان الضمير للمجرمين، فالمعنى: أنهم يقولون حجراً بمعنى عوداً، لأن العرب كانت تتعوذ بهذه الكلمة مما تكرهه، وانتصابه بفعل متروك إظهاره نحو: معاذ الله. ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا﴾ أي: قصدنا إلى أعمالهم، فلفظ القدوم مجاز، وقيل: هو قدوم الملائكة أسنده الله إلى نفسه لأنه عن أمره. ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ عبارة عن عدم قبول ما عملوا من الحسنات كإطعام المساكين وصلة الأرحام وغير ذلك، وأنها لا تنفعهم؛ لأن الإيمان شرط في قبول الأعمال، والهباء هي الأجرام الدقيقة من الغبار التي لا تظهر إلا حين تدخل الشمس على موضع ضيق كالكوّة، والمنثور المتفرق. ﴿خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾ جاء هنا التفضيل بين الجنة والنار؛ لأن هذا مستقر وهذا مستقر. ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ هو مفعول من النوم في القائلة، وإن كانت الجنة لا نوم فيها، ولكن جاء على ما تتعارفه العرب من الاستراحة وقت القائلة في الأمكنة الباردة، وقيل: إن حساب الخلق يكمل في وقت ارتفاع النهار؛

وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَنُزِلَ الْمَلَكُ تَزِيلًا ﴿١٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ  
 وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي  
 اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿١٧﴾ يَتَوَلَّى لَيْتَنِي لَمَ اتَّخَذْتُ فُلَانًا حَلِيلًا ﴿١٨﴾ لَقَدْ أَصَلَّنِي عَنِ  
 الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿١٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِ  
 إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ  
 الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٢١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ  
 جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٢٢﴾

فيقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار. ﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ﴾ هو يوم القيامة، وانشقاق السماء  
 انفطارها، ومعنى "بالغمام" أي: يخرج منها الغمام وهو سحب رقيق أبيض، وحينئذ تنزل الملائكة إلى الأرض.  
 ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ عض اليدين كناية عن الندم والحسرة، و"الظالم" هنا عقبة بن أبي معيط، وقيل:  
 كل ظالم؛ والظلم هنا بمعنى الكفر. ﴿مَعَ الرَّسُولِ﴾ هو محمد ﷺ أو اسم جنس على العموم. ﴿لَيْتَنِي لَمَ اتَّخَذْتُ  
 فُلَانًا حَلِيلًا﴾ روي أن عقبة جنح إلى الإسلام فنهاه أبي بن خلف وأميه بن خلف، فهو "فلان"، وقيل: إن عقبة  
 نبى أبي بن خلف عن الإسلام، ف"الظالم" على هذا أبي، و"فلان" عقبة، وإن كان "الظالم" على العموم ف"فلانا"  
 على العموم، أي: خليل كل كافر. ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ يحتمل أن يكون هذا من قول الظالم أو  
 ابتداء إخبار من قول الله تعالى، ويحتمل أن يريد بـ"الشیطان" إبليس أو الخليل المذكور. ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾ قيل:  
 إن هذا حكاية قوله ﷺ في الدنيا، وقيل: في الآخرة ﴿مَهْجُورًا﴾ من المهجر بمعنى البعد والترك، وقيل: من  
 المهجر بضم الهاء، أي: قالوا فيه المهجر حين قالوا: إنه شعر وسحر؛ والأول أظهر. ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ  
 عَدُوًّا﴾ العدو هنا جمع، والمراد تسليية النبي ﷺ بالتأسي بغيره من الأنبياء. ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ وعد  
 لمحمد ﷺ بالهدى والنصرة. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ هذا من اعتراضات  
 قريش، فإنهم قالوا: لو كان القرآن من عند الله لنزل جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل. ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ  
 بِهِ فُؤَادَكَ﴾ هذا جواب لهم تقديره: أنزلناه كذلك مفرقا لثبته به فؤاد محمد ﷺ بحفظه، ولو نزل جملة واحدة  
 لتعذر عليه حفظه لأنه أعمى لا يقرأ، فحفظ المرفق عليه أسهل، وأيضا فإنه نزل بأسباب مختلفة تقتضي أن ينزل  
 كل جزء منه عند حدوث سببه، وأيضا منه ناسخ ومنسوخ ولا يتأتى ذلك فيما ينزل جملة واحدة. ﴿وَرَتَّلْنَاهُ  
 تَرْتِيلًا﴾ أي: فرقناه تفريقا، فإنه نزل بطول عشرين سنة، وهذا الفعل معطوف على الفعل المقدر الذي يتعلق

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يُحَشِّرُونَ عَلَى  
 وَجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ  
 وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٢٨﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا  
 فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٢٩﴾ وَقَوْمِ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً  
 وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٠﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ  
 كَثِيرًا ﴿٣١﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٢﴾ وَلَقَدْ آتَوْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي  
 أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوِيًّا أَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَتَّخِذُونَ نُبُورًا ﴿٣٣﴾ وَإِذَا  
 رَأَوْكَ إِذْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُؤًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٣٤﴾

به "كذلك" و"به" يتعلق "لنثبت". «وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ» الآية، معناها: لا يوردون عليك سؤالاً أو اعتراضاً إلا  
 أتيناك في جوابه بالحق، والتفسير الحسن الذي يذهب اعتراضهم ويبطل شبهتهم. «الَّذِينَ يُحَشِّرُونَ عَلَى  
 وَجُوهِهِمْ» يعني الكفار، وحشرهم على وجوههم حقيقة لأنه جاء في الحديث: قيل: يا رسول الله! كيف يحشر  
 الكافر على وجهه؟ قال: «أليس الذي أمشاه في الدنيا على رجله قادراً على أن يمشيه في الآخرة على وجهه»  
 [البخاري: 4482]. «شَرٌّ مَّكَانًا» يحتمل أن يريد بالمكان المنزلة والشرف، أو الدار والمسكن في الآخرة. «وَزِيرًا»  
 أي: معيناً. «إِلَى الْقَوْمِ» يعني فرعون وقومه، وفي الكلام حذف تقديره: فذهب إليهم فكذبوهما «فَدَمَّرْنَاهُمْ».  
 «كَذَّبُوا الرُّسُلَ» تأويله كما ذكر في قوله في هود «وَعَصَوْا رُسُلَهُ». «وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ» يحتمل أن يريد  
 بـ"الظالمين" من تقدم، ووضع هذا الاسم الظاهر موضع المضمحل لقصده وصفهم بالظلم، أو يريد "الظالمين"  
 على العموم. «وَأَصْحَابَ الرَّسِّ» معنى "الرس" في اللغة البئر، واختلف في أصحاب الرس، فقيل: هم من  
 بقية ثمود، وقيل: من أهل اليمامة، وقيل: من أهل أنطاكية وهم أصحاب يس، واختلف في قصتهم؟ فقيل:  
 بعث إليهم نبي فرموه في بئر؛ فأهلكهم الله، وقيل: كانوا حول بئر لهم فانهارت بهم فهلكوا. «وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ  
 كَثِيرًا» يقتضي الكثير والإبهام، والإشارة بـ"ذلك" إلى المذكور قبل من الأمم. «ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ» أي: بينا  
 له. «تَبَّرْنَا» أي: أهلكنا. «وَلَقَدْ آتَوْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ» الضمير في "أتوا" لقريش وغيرهم من الكفار، و"القرية"  
 قرية قوم لوط، و«مَطَرًا سَوِيًّا» الحجارة ثم وقفهم على رؤيتهم لها لأنها في طريقهم إلى الشام، ثم أخبر أن  
 سبب عدم اعتبارهم بها كفرهم بالنشور، و«يَرَّجُونَ» كقوله «يَرَّجُونَ لِقَاءَنَا» وقد ذكر. «أَهَذَا الَّذِي  
 حَكَيَا قَوْلَهُمْ عَلَى وَجْهِ الاستهزاء؛ فالجملة في موضع معمول لقول محذوف يدل عليه «هُزُؤًا»، وقولهم

۱۱۰ إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ الْهَيْتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرُونَ  
 الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿١١١﴾ أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا  
 ﴿١١٢﴾ أَمْ تَحْسِبُ أَنْ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ  
 أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿١١٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا  
 الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿١١٤﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿١١٥﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ  
 لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿١١٦﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ نُشْرًا بَيْنَ  
 يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿١١٧﴾

﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ استئناف جملة أخرى، وتم كلامهم واستأنف كلام الله تعالى في قوله ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ الآية، على وجه التهديد لهم. ﴿اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ أي: أطاع هواه حتى صار له كأنه إله. ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ لأن الأنعام ليس لها عقول وهؤلاء لهم عقول ضيعوها، ولأن الأنعام تطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها، وهؤلاء يتركون أنفع الأشياء وهو الثواب ولا يخافون أضر الأشياء وهو العقاب. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ﴾ أي: إلى صنع ربك وقدرته. ﴿مَدَّ الظِّلَّ﴾ قيل: مده من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس؛ لأن الظل حينئذ على الأرض كلها، واعترضه ابن عطية بأن ذلك الوقت من الليل، ولا يقال ظل بالليل، واختار أن مد الظل ما بين أول الإسفار إلى طلوع الشمس وبعد مغيبها بيسير، وقيل: معنى "مد الظل" أي: جعله يمتد وينبسط. ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ أي: ثابتا غير زائل، لكنه جعله يزول بالشمس، وقيل: معنى ساكن غير منبسط على الأرض بل ملتصق بأصل الحائط والشجرة ونحوها. ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ قيل: معناه أن الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها في مسيرها على الظل متى يتسع ومتى ينقبض، ومتى يزول عن مكان إلى آخر فينبون على ذلك انتفاعهم به وجلو سهم فيه، وقيل: معناه لولا الشمس لم يعرف أن الظل شيء؛ لأن الأشياء إنما تعرف إلا بأضدادها. ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ قبضه نسخته وزواله بالشمس، ومعنى "يسيرا" شيئا بعد شيء لا دفعة واحدة، فإن قيل: ما معنى "ثم" في هذه المواضع الثلاثة؟ فالجواب: أنه محتمل أن تكون للترتيب في الزمان، أي: جعل الله هذه الأحوال حالا بعد حال، أو تكون لبيان التفاضل بين هذه الأحوال، وإن كان الثاني أعظم من الأول والثالث أعظم من الثاني. ﴿الَّيْلَ لِبَاسًا﴾ شبه ظلام الليل باللباس؛ لأنه يستر كل شيء كاللباس. ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ قيل: راحة، وقيل: موتا لقوله ﴿يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾، ويدل عليه مقابلته بالنشور. ﴿الرِّيحَ نُشْرًا﴾ ذكر في الأعراف. ﴿مَاءً طَهُورًا﴾ مبالغة في طاهر، وقيل: معناه مطهر للناس في الوضوء وغيره،

لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسِيًّا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ  
بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿١٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا  
﴿١٦﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ، جِهَادًا كَبِيرًا ﴿١٧﴾ \* وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ  
الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿١٨﴾  
وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿١٩﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن  
دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٢٠﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا  
مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٢١﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِن أَجْرٍ إِلَّا مِن شَاءِ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾

وبهذا المعنى يقول الفقهاء ماء طهور؛ أي: مطهر، وكل مطهر طاهر وليس كل طاهر مطهرا. ﴿أُنَاسِيًّا﴾ جمع  
إنسي، وقيل: جمع إنسان؛ والأول أصح. ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ﴾ الضمير للقرآن، وقيل: للمطر؛ وهو بعيد. ﴿وَلَوْ شِئْنَا  
لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ أي: لو شئنا لخففنا عنك أثقال الرسالة ببعث جماعة من الرسل ولكننا خصصناك بها  
كرامة لك فاصبر عليها. ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ الضمير للقرآن أو لما دل عليه الكلام المتقدم. ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾  
اضطرب الناس في هذه الآية؛ لأنه لا يعلم في الدنيا بحر ملح وبحر عذب، وإنما البحار المعروفة ماؤها ملح،  
فقال ابن عباس ؓ: أراد بالبحر الملح الأجاج بحر الأرض، وبالبحر العذب الفرات بحر السحاب. وقيل:  
البحر الملح البحر المعروف، والبحر العذب مياه الأرض. وقيل: البحر الملح جميع الماء المالح من الآبار وغيرها،  
والبحر العذب هو مياه الأرض من الأنهار والعيون. ومعنى الـ"فـ" "فـ" البليغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة،  
والـ"أجاج" نقيضه، واختلف في معنى مرجهما، فقيل: جعلهما متجاورين متلاصقين، وقيل: أسال أحدهما في  
الآخر. ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ أي: فاصلا يفصل بينهما، وهو ما بينهما من الأرض بحيث لا  
يختلطان، وقيل: هذا البرزخ يعلمه الله ولا يراه البشر. ﴿خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ إن أراد بالبشر آدم فالمراد بـ"الماء"  
الماء الذي خلط مع التراب فصار طينا، وإن أراد بالبشر بني آدم فالمراد بـ"الماء" المنى الذي يخلقون منه. ﴿فَجَعَلَهُ  
نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ النسب والصهر يعمان كل قربي، فالنسب أن يجتمع إنسان مع آخر في أب أو أم قرب ذلك أو بعد،  
والصهر هو الاختلاط بالتناكح، وقيل: أراد بالنسب الذكور، أي: ذوي نسب يتنسب إليهم، وأراد بالصهر  
الإناث، أي: ذوات صهر يصاهر بهن فهو كقوله ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾. ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ  
ظَهِيرًا﴾ "الكافر" هنا الجنس، وقيل: المراد به أبو جهل، والظهير المعين، أي: يعين الشيطان على ربه بالعداوة  
والشرك، ولفظه يقع للواحد والجماعة كقوله ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾. ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِن أَجْرٍ﴾  
أي: لا أسألكم على الإيثار أجره ولا منفعة لنفسي. ﴿إِلَّا مِن شَاءِ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ معناه: إنما أسألكم

وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ۚ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا  
 ﴿٢٥﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ  
 الرَّحْمَنُ فَسَأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴿٢٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ  
 لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٢٧﴾ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا  
 وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٢٨﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٢٩﴾

أن تتخذوا إلى ربكم سبيلا بالتقرب إليه وعبادته؛ فالاستثناء منقطع، وقيل: المعنى أن تتخذوا إلى ربكم سبيلا بالصدقة؛ فالاستثناء على هذا متصل؛ والأول أظهر، وفي الكلام محذوف تقديره: إلا سؤال من شاء أو ما أشبه ذلك. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ قرأ هذه الآية بعض السلف فقال: لا ينبغي لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق فإنه يموت. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ أي: قل: سبحان الله وبحمده، والتسبيح التنزيه عن كل ما لا يليق به، ومعنى "بحمده" أي: بحمده أقول ذلك، ويحتمل أن يكون المعنى سبحانه مثل بسا بحمده، فهو أمر بأن يجمع بين التسبيح والحمد. ﴿وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ يحتمل أن يكون المراد بهذا بيان حلمه وعفوه عن عباده مع علمه بذنوبهم، أو يكون المراد تهديد العباد لعلم الله بذنوبهم. ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ ذكر في الأعراف. ﴿الرَّحْمَنُ﴾ خبر ابتداء مضمرة أو بدل من الضمير في "استوى". ﴿فَأَسْأَلُ بِهِ خَبِيرًا﴾ فيه معنيان؛ أحدهما: وهو الأظهر أن المراد أسأل عنه من هو خبير عارف به، فانتصب "خبيرا" على المفعولية، وهذا الخبير المسؤول هو جبريل والعلماء وأهل الكتاب، والباء في قوله "به" يحتمل أن تتعلق بـ"خبيرا"، أو تتعلق بالسؤال ويكون معناها على هذا معنى عن، والمعنى الثاني: أن المراد أسأل بسؤاله خبيرا، أي: إن سألته تعالى تجده خبيرا بكل شيء، فانتصب "خبيرا" على الحال، وهو كقولك: لو رأيت فلانا رأيت به أسدا، أي: رأيت برؤيته أسدا. ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ لما ذكر "الرحمن" في القرآن أنكرته قريش وقالوا: لا نعرف الرحمن، وكان مسيلمة الكذاب قد تسمى بالرحمن، فقالوا على وجه المغالطة: إنما الرحمن الرجل الذي باليامة. ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ تقديره: لما تأمرنا أن نسجد له. ﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ الضمير الفاعل في "زادهم" يعود على المقول وهو "اسجدوا للرحمن". ﴿بُرُوجًا﴾ يعني المنازل الاثني عشر، وقيل: الكواكب العظام. ﴿سِرَاجًا﴾ يعني الشمس، وقرئ بضم السين والراء على الجمع يعني جميع الأنوار ثم خص القمر بالذكر تشريفا له. ﴿جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي: يخلف هذا هذا، وقيل: هو من الاختلاف؛ لأن هذا أبيض وهذا أسود، والخلفة اسم للهيئة كالركبة والجلسة، فالأصل جعلها ذوي خلفه. ﴿أَنْ يَذَّكَّرَ﴾ قيل: معناه يعتبر في المصنوعات، وقيل: يتذكر لما فاته من الصلوات وغيرها في الليل فيستدركه بالنهار، أو فاته بالنهار فيستدركه بالليل، وهذا قول عمر بن الخطاب وابن عباس ؓ.



وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيْلًا ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٣٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٣٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴿٤٠﴾ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٤١﴾

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ أي: عباده المرضيون عنده، فالعبودية هنا للتشريف والكرامة، و"عباد" مبتدأ وخبره "الذين يمشون"، أو قوله في آخر السورة "أولئك يجزون الغرفة". ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ أي: رفقا ولينا بحلم ووقار، ويحتمل أن يكون ذلك وصف مشيهم على الأرض أو وصف أخلاقهم في جميع أحوالهم، وعبر بالمشي على الأرض عن جميع تصرفهم مدة حياتهم. ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ أي: قالوا قولا سديدا ليُدفع الجاهل برفق، وقيل: معناه قالوا للجاهل: سلاما، أي: هذا اللفظ بعينه بمعنى سلمنا منكم، قال بعضهم: هذه الآية منسوخة بالسيف، وإنما يصح النسخ في حق الكفار، وأما الإغضاء عن السفهاء والحلم عنهم فمستحسن غير منسوخ. ﴿إِنَّ عَذَابَهَا﴾ وما بعدها يحتمل أن يكون من كلامهم، أو من كلام الله عز وجل. ﴿كَانَ غَرَامًا﴾ أي: هلاكا وخسرانا، وقيل: ملازما. ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ الإقتار هو التضييق في النفقة والشح، وضده الإسراف، فنهى عن الطرفين وأمر بالتوسط بينهما وهو القوام، وذلك في الإنفاق في المباحات وفي الطاعات، وأما الإنفاق في المعاصي فهو إسراف وإن قل. ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ أي: عقابا، وقيل: الأثام الإثم، فمعناه يلقي جزاء أثم، وقيل: الأثم واد في جهنم، والإشارة بقوله "ذلك" إلى ما ذكر من الشرك بالله وقتل النفس بغير حق والزنا. ﴿وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا﴾ قيل: نزلت في الكفار لأنهم المخلدون في النار بإجماع، فكأنه قال: الذين يجمعون بين الشرك والقتل والزنا، وقيل: نزلت في المؤمنين الذين يقتلون النفس ويزنون، فأما على مذهب المعتزلة فالخلود على بابه، وأما على مذهب أهل السنة فالخلود عبارة عن طول المدة. ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ إن قلنا: إن الآية في الكفار فلا إشكال فيها، لأن الكافر إذا أسلم صحت توبته من الكفر والقتل والزنا، وإن قلنا: إنها في المؤمنين فلا خلاف أن التوبة من الزنا تصح، واختلف هل تصح توبة المسلم من القتل أم لا؟ ﴿يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ قيل: يوفقهم لفعل الحسنات بدلا عما عملوا من السيئات، وقيل: إن هذا

وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧٦﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ  
وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٧﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا  
صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٨﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ  
وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٩﴾ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا  
تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٨٠﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٨١﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي  
لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٨٢﴾

التبديل في الآخرة، أي: يبدل عقاب السيئات بثواب الحسنات. ﴿يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ أي: متابا مقبولا مرضيا عند الله، كما تقول: لقد قلت يا فلان قولا، أي: قولا حسنا. ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي: لا يشهدون بالزور، وهو الكذب فهو من الشهادة، وقيل: معناه لا يحضرون مجالس الزور واللغو، فهو على هذا من الشهادة والحضور؛ والأول أظهر. ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ "اللغو" هو الكلام القبيح على اختلاف أنواعه، ومعنى "مروا كراما" أي: أعرضوا عنه واستحيوا ولم يدخلوا مع أهله تنزيها لأنفسهم عن ذلك. ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ أي: لم يعرضوا عن آيات الله بل أقبلوا عليها بأساعهم وقلوبهم، فالنفي للصمم والعمى لا للخروج عليها. ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ قيل: معناه اجعل أزواجنا وذريتنا مطيعين لله، وقيل: أدخلهم معنا الجنة؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أي: قدوة يقتدي بنا المتقون، ف"إمام" مفرد يراد به الجنس، وقيل: هو جمع أم، أي: متبع. ﴿الْغُرْفَةَ﴾ يعني غرفة الجنة، فهو اسم جنس. ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ يحتمل أن تكون "ما" نافية أو استفهامية، وفي معنى الدعاء هنا ثلاثة أقوال؛ الأول: أن المعنى لا يبالي الله بكم لولا عبادتكم له، فالدعاء بمعنى العبادة؛ وهذا قريب من معنى قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. الثاني: أن الدعاء بمعنى الاستغاثة والسؤال، والمعنى: لا يبالي الله بكم ولكنه يرحمكم إذا استغثتم به ودعوتموه، ويكون على هذين القولين خطابا لجميع الناس من المؤمنين والكافرين؛ لأن فيهم من يعبد الله ويدعوه، أو خطابا للمؤمنين خاصة؛ لأنهم هم الذين يعبدون الله ويدعونه، ولكن يضعف هذا بقوله "فقد كذبتم"، الثالث: أنه خطاب للكفار خاصة، والمعنى على هذا: ما يعبا بكم ربي لولا أنه يدعوكم إلى دينه، والدعاء على هذا بمعنى الأمر بالدخول في الدين، وهو مصدر مضاف إلى المفعول، وأما على القول الأول والثاني فهو مصدر مضاف إلى الفاعل. ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ هذا خطاب لقريش وغيرهم من الكفار دون المؤمنين. ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ أي: سوف يكون العذاب لازما، أي: لازما ثابتا، وأضمر العذاب وهو اسم كان لأنه جزاء التكذيب المتقدم، واختلف هل يراد بالعذاب هنا القتل يوم بدر أو عذاب الآخرة؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَدِخٌ نَّفْسَكَ  
 أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ  
 ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا  
 فَسَيَاتِهِمْ أَنْبَتُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى الْآرْضِ كَمَا أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ  
 زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ط وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ  
 ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ آيَاتِ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمٌ فِرْعَوْنٌ أَلَّا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ  
 رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ﴿١٣﴾  
 وَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾

## سورة الشعراء

﴿ طسم ﴾ تكلمنا على حروف الهجاء في أول البقرة، ويخص هذا أنه قيل: الطاء من ذي الطول، والسين من السميع أو السلام، والميم من الرحيم أو المنعم. ﴿ باخع ﴾ ذكر في الكهف. ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ الأعناق جمع عنق، وهي الجارحة المعروفة، وإنما جمع "خاضعين" جمع العقلاء؛ لأنه أضاف الأعناق إلى العقلاء، ولأنه وصفها بفعل لا يكون إلا من العقلاء، وقيل: الأعناق الرؤساء من الناس؛ شبهوا بالأعناق كما يقال لهم: رؤوس وصدور، وقيل: هم الجماعات من الناس، فلا يحتاج جمع "خاضعين" إلى تأويل. ﴿ مُحَدَّثٍ ﴾ يعني محدث الإتيان. ﴿ فَسَيَاتِهِمْ ﴾ الآية، تهديد. ﴿ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ ﴾ أي: من كل صنف من النبات، فيعم ذلك الأقوات والفواكه والأدوية والمرعى، ووصفه بالكرم لما فيه من الحسن والمنافع. ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴾ الإشارة إلى ما تقدم من النبات، وإنما ذكره بلفظ الأفراد؛ لأنه أراد أن في كل واحد آية، أو إشارة إلى مصدر قوله "أنبتنا". ﴿ وَيَضِيقُ ﴾ بالرفع عطف على "أخاف" أو استئناف، وقرئ بالنصب عطفًا على "يكذبون". ﴿ فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ﴾ أي: اجعله معي رسولاً أستعين به. ﴿ وَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ ﴾ يعني قتله للقبطي. ﴿ قَالَ كَلَّا ﴾ أي: لا تخف أن يقتلوك. ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ خطاب لموسى وأخيه ومن كان معها، أو على جعل الاثنين جماعة. ﴿ مُسْتَمِعُونَ ﴾ لفظه جمع وورد مورد تعظيم الله تعالى، ويحتمل أن تكون الملائكة هي التي تسمع بأمر الله؛ لأن الله لا يوصف بالاستماع وإنما يوصف بالسمع؛ والأول أحسن، وتأويله أن في الاستماع اعتناء واهتمامًا بالأمر ليست في صفة سامعون، والخطاب في قوله "معكم" لموسى وهارون وفرعون وقومه، وقيل: لموسى وهارون خاصة على معاملة الاثنين معاملة الجماعة، وذلك على قول من يرى أن أقل الجمع اثنان.

فَاتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾  
 قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْتِي فَعَلْتَ  
 وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا  
 خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ  
 عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾

﴿إِنَّا رَسُولٌ﴾ إن قيل: لم أفردته وهما اثنان؟ فالجواب: من ثلاثة أوجه؛ الأول: أن التقدير: كل واحد منا رسول، الثاني: أنها جُعلا كشخص واحد لاتفاقهما في الشريعة، ولأنها أخوان فكأنهما واحد، الثالث: أن "رسول" هنا مصدر وصف به، فلذلك أطلق على الواحد والاثنين والجماعة، فإنه يقال: رسول بمعنى رسالة بخلاف قوله ﴿إِنَّا رَسُولًا﴾ فإنه بمعنى المرسل. ﴿أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: أطلقهم. ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ قصد فرعون بهذا الكلام المن على موسى والاحتقار له. ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ قصد فرعون بهذا الكلام توبيخ موسى عليه السلام، ويعني بالفعل قتل القبطي، والواو في قوله "وأنت" إن كانت للحال فقوله "من الكافرين" معناه: كافر بهذا الدين الذي جئت به؛ لأن موسى إنما أظهر لهم الإسلام بعد الرسالة، وقد كان قبل ذلك مؤمنا ولم يعلم بذلك فرعون، وقيل: معناه "من الكافرين" بنعمتي، وإن كانت الواو للاستثناف؛ فيحتمل أن يريد "من الكافرين" بديني، أو "من الكافرين" بنعمتي. ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ القائل هنا هو موسى عليه السلام، والضمير في قوله "فعلتها" لقتله القبطي، واختلف في معنى قوله "من الضالين"؟ فقيل: معناه من الجاهلين بأن وكزتي تقتله، وقيل: معناه من الناسين فهو كقولهم ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾، وقوله "إذا" صلة في الكلام وكأنها بمعنى حيثنذ، قال ذلك ابن عطية. ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ﴾ أي: من فرعون وقومه، ولذلك جمع ضمير الخطاب بعد أن أفردته في قوله "تمننها علي أن عبدت". ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ معنى "عبدت" ذلك واتخذتهم عبيدا، فمعنى هذا الكلام أنك عدت نعمة علي تعبيد بني إسرائيل، وليست في الحقيقة بنعمة إنما كانت نعمة لأنك كنت تذبح أبناءهم، ولذلك وصلت أنا إليك فربيتني، فالإشارة بقوله "تلك" إلى التربية، و"أن عبدت" في موضع رفع عطف بيان على "تلك"، أو في موضع نصب على أنه مفعول من أجله، وقيل: معنى الكلام تربيتك نعمة علي لأنك عبدت بني إسرائيل وتركتني؛ فهي في المعنى الأول إنكار لنعمته وفي الثاني اعتراف بها. ﴿قَالَ لَبِنِ اتَّخَذتَّ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ لما أظهر فرعون الجهل بالله فقال ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أجابه موسى بقوله:

قَالَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِن كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿١١﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ ۗ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿١٤﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥﴾ قَالَ لَئِن أَخَذتَّ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿١٦﴾ قَالَ أَوْلَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿١٧﴾ قَالَ فَاتِّبِعْهُ ۗ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٩﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٢٠﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ ۗ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ ۗ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٢٢﴾ قَالُوا أَرْجِهْ ۗ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٢٣﴾ يَا تُولَك بِكُلِّ سَجَارٍ عَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٥﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٢٦﴾ لَعَلَّآ تَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَا أَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٢٨﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٣٠﴾

﴿ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ، فقال ﴿ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾ تعجبا من جوابه؟ فزاد موسى في إقامة الحجة بقوله ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ؛ لأن وجود الإنسان وآبائه أظهر دلالة عند العقلاء وأعظم البراهين، فإن أنفسهم أقرب الأشياء إليهم فيستدلون بها على وجود خالقهم، فلما ظهرت هذه الحجة حاد فرعون عنها، ونسب موسى إلى الجنون مغالطة منه، وأبدى الازدراء والتهكم في قوله ﴿ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ ﴾ ، فزاد موسى في إقامة الحجة بقوله ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ ؛ لأن طلوع الشمس وغروبها آية ظاهرة لا يمكن أحدا جحدها ولا أن يدعيها لغير الله، ولذلك أقام إبراهيم الخليل بها الحجة على نمرود، فلما انقطع فرعون بالحجة رجع إلى الاستعلاء والتغلب فهده بالسجن، فأقام موسى عليه الحجة بالمعجزة، وذكرها له بتلطف طمعا في إيمانه فقال ﴿ أَوْلَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴾ والواو واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام، وتقديره: أتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين؟ وقد تقدم في الأعراف ذكر العصا واليد و﴿ مَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ ، و﴿ أَرْجِهْ ﴾ ، و﴿ حَاشِرِينَ ﴾ ، فإن قيل: كيف قال أولا ﴿ إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ ، ثم قال آخرا ﴿ إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ؟ فالجواب: أنه لاين أولا طمعا في إيمانهم، فلما رأى منهم العناد والمغالطة وبخهم بقوله "إن كنتم تعقلون"، وجعل ذلك في مقابلة قول فرعون: إن رسولكم لمجنون. ﴿ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ هو يوم الزينة. ﴿ تَتَّبِعُ السَّحَرَةَ ﴾ أي: تتبعهم

فَالْقَوْمَ جِبَاهَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿١١﴾ فَأَلْقَى مُوسَى  
عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١٢﴾ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿١٣﴾ قَالُوا ءَأَمْنَا بِرَبِّ  
الْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٥﴾ قَالَ ءَأَمِنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَأْذَنَ لَكُمْ ۗ إِنَّهُ  
لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ نَعْمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِمَّنْ  
خَلْفٍ وَلَا صَلْبِنَاكُمْ وَاجْمَعِينَ ﴿١٦﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّا نَطْمَعُ  
أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾ ۖ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ  
بِعِبَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ ﴿١٩﴾ فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٢٠﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ  
لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٢١﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ  
مِّنْ جَنَّتِ وَعَيْونِ ﴿٢٤﴾ وَكُنُوزِ وَمَقَامِ كَرِيمِ ﴿٢٥﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٦﴾  
فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَيْنِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ  
﴿٢٨﴾ قَالَ كَلَّا ۗ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٢٩﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ

في نصره ديننا لا في عمل السحر. ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ قسم أقسموا به، وقد تقدم في الأعراف تفسير ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ وما بعد ذلك. ﴿لَا ضَيْرَ﴾ أي: لا يضرنا ذلك؛ لأننا ننتقلب إلى الله. ﴿إِسْرٍ بِعِبَادِي﴾ يعني بني إسرائيل. ﴿إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾ إخبار باتباع فرعون. ﴿لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ الشرذمة الطائفة من الناس، وفي هذا احتقار لهم، على أنه روي أنهم كانوا ستمائة ألف، ولكن جنود فرعون أكثر منهم بكثير. ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّنْ جَنَّتِ وَعَيْونِ﴾ يعني التي بمصر، والعيون الخلدجان الخارجة من النيل، وكانت ثم عيون في ذلك الزمان، وقيل: يعني الذهب والفضة؛ وهو بعيد. ﴿وَمَقَامِ كَرِيمِ﴾ مجالس الأمراء والحكام، وقيل: المناير، وقيل: المساكن الحسان. ﴿كَذَلِكَ﴾ في موضع خفض صفة لـ "مقام"، أو في موضع نصب على تقدير: أخرجناهم مثل ذلك الإخراج، أو في موضع رفع على أنه خبر ابتداء تقديره: الأمر كذلك. ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: أورثهم الله مواضع فرعون بمصر، على أن التواريخ لم يذكر فيها ملك بني إسرائيل لمصر، وإنما المعروف أنهم ملكوا الشام، فتأويله على هذا أورثهم مثل ذلك بالشام. ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ﴾ أي: لحقوهم، وضمير الفاعل لفرعون وقومه، وضمير المفعول لبني إسرائيل. ﴿مُشْرِقِينَ﴾ معناه داخلين في وقت الشروق وهو طلوع الشمس، وقيل: معناه نحو المشرق، وانتصابه على الحال. ﴿تَرَاءَا الْجَمْعَيْنِ﴾ وزن "تراءا" تفاعل؛ وهو مشتق من الرؤية،

فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٣٧﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَأَحْيَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٤٣﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٤٤﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَذَابِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ ﴿٤٦﴾ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٤٧﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ ﴿٤٨﴾ أَوْ يُضُرُّونَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٥١﴾ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٥٢﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٣﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٥٤﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٥٥﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٨﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٥٩﴾ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٦٠﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٦١﴾

والجمعان" جمع موسى وجمع فرعون، أي: رأى بعضهم بعضا. ﴿فَانْفَلَقَ﴾ تقدير الكلام: ف ضرب موسى البحر فانفلق. ﴿كُلُّ فِرْقٍ﴾ أي: كل جزء منه، والطود الجبل، وروي أنه صار في البحر اثني عشر طريقا لكل سبط من بني إسرائيل طريق. ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ﴾ يعني بـ"الآخرين" فرعون وقومه، ومعنى "أزلفنا" قربناهم من البحر ليغرقوا، و"ثم" ظرف يراد به هنا حيث انفلق البحر وهو بحر القلزم. ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ إنما سألمهم مع علمه بأنهم يعبدون الأصنام؛ ليبين لهم أن ما يعبدونه ليس بشيء وقيم عليهم الحجة. ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ إن قيل: لم صرحوا بقولهم "نعبد"، مع أن السؤال وهو قوله "ما تعبدون" يغني عن التصريح بذلك، وقياس مثل هذا الاستغناء بدلالة السؤال كقوله ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾؟ فالجواب: أنهم صرحوا بذلك على وجه الافتخار والابتهاج بعبادة الأصنام، ثم زادوا قولهم ﴿فَنَنْظِلُ لَهَا عَذَابِينَ﴾ مبالغة في ذلك. ﴿بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾ اعتراف بالتقليد المحض. ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ استثناء منقطع، وقيل: متصل؛ لأن في آباؤهم من عبد الله تعالى. ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ أسند المرض إلى نفسه، والشفاء إلى الله تأدبا مع الله. ﴿أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي﴾ قيل: أراد كذباته الثلاثة الواردة في الحديث: وهي قوله في سارة زوجته: هي أختي، وقوله: إني سقيم، وقوله: بل فعله كبيرهم [البخاري: 3179]، وقيل: أراد الجنس على الإطلاق؛ لأن هذه الثلاثة من المعارض فلا إثم فيها. ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ ثناء جميلا.

وَأَغْفِرْ لَأَيِّ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِينَ ﴿٣٨﴾ وَلَا تَحْزَنْ يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٣٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا  
بَنُونَ ﴿٣٦﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَأَزْلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ وَبُرَزَتِ الْجَحِيمُ  
لِلْغَاوِينَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ لَهُمْ تَوَّابُونَ ﴿٣٢﴾ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٣١﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ  
يَنْتَصِرُونَ ﴿٣٠﴾ فَكُذِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٢٩﴾ وَجُنُودٌ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا وَهُمْ  
فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٢٧﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٦﴾ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٥﴾  
وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٢٤﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿٢٣﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿٢٢﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا  
كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ط وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ  
هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا  
تَتَّقُونَ ﴿١٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٥﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ  
أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣﴾ \*

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ﴾ وما بعده منقطع عن كلام إبراهيم وهو من كلام الله تعالى، ويحتمل أن يكون أيضا من كلام  
إبراهيم. ﴿إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ قيل: سليم من الشرك والمعاصي، وقيل: الذي يلقي ربه وليس في  
قلبه شيء غيره، وقيل: بقلب لذيغ من خشية الله، والسليم هو اللذيغ لغة، وقال الزمخشري: هذا من بدع  
التفاسير، وهذا الاستثناء يحتمل أن يكون متصلا، فيكون "من أتى الله" مفعولا بقوله "لا ينفع"، والمعنى على  
هذا أن المال لا ينفع إلا من أنفقه في طاعة الله، وأن البنين لا ينفعون إلا من علمهم الدين وأوصاهم بالحق،  
ويحتمل أيضا أن يكون متصلا، ويكون قوله "من أتى الله" بدلا من قوله "مال" و"بنون" على حذف مضاف  
تقديره: إلا مال من أتى الله وبنوه، ويحتمل أن يكون منقطعا بمعنى لكن. ﴿وَأَزْلَفْتِ الْجَنَّةَ﴾ أي: قربت.  
﴿لِلْغَاوِينَ﴾ يعني المشركين بدلالة ما بعده. ﴿فَكُذِّبُوا فِيهَا﴾ "كذبوا" مضاعف من كب كررت حروفه  
دلالة على تكرير معناه؛ أي: كبهم الله في النار مرة بعد مرة، والضمير للأصنام. ﴿وَالْغَاوُونَ﴾ هم المشركون،  
وقيل: الضمير للمشركين، "والغاوون" هم الشياطين. ﴿نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: نجعلكم سواء  
معه. ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ يعني كبراءهم وأهل الجرم والجرأة منهم. ﴿حَمِيمٍ﴾ أي: خالص الود،  
قال الزمخشري: جمع الشفعاء ووجد الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الأصدقاء. ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ  
الْمُرْسَلِينَ﴾ أسند الفعل إلى القوم وفيه علامة التأنيث؛ لأن القوم في معنى الجماعة والأمة، فإن قيل: كيف



قَالُوا أَتُومِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ ﴿١٠١﴾ قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٢﴾ إِنْ  
 حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ  
 مُّبِينٌ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا لَيْن لَّمْ تَنْتَه يَنْبُوحْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١٠٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنْ قَوْمِي  
 كَذَّبُونِ ﴿١٠٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٨﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ  
 وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١١٠﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا  
 كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١١٢﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ  
 الْمُرْسَلِينَ ﴿١١٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١١٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١١٥﴾ فَاتَّقُوا  
 اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١١٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُكُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٧﴾ أَتَبْنُونَ  
 بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١١٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١١٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ  
 جِبَارِينَ ﴿١٢٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٢٢﴾ أَمَدَّكُمْ  
 بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٢٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٢٥﴾ قَالُوا  
 سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعظت أم لم تكن من الواعظين ﴿١٢٦﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٧﴾

قال "المرسلين" بالجمع، وإنما كذبوا نوحا وحده؟ فالجواب: من وجهين؛ أحدهما: أنه أراد الجنس كقوله:  
 فلان يركب الخيل، وإن لم يركب إلا فرسا واحدا، والآخر: أن من كذب نبيا واحدا فقد كذب جميع الأنبياء؛  
 لأن قولهم واحد ودعوتهم سواء، وكذلك الجواب في ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ وغيره. ﴿وَاتَّبَعَكَ  
 الْأَرْدَلُونَ﴾ جمع أرذل، وقد تقدم الكلام عليه في قوله ﴿أَرَادِلُنَا﴾ في هود. ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني  
 الذين سموهم أرذلين، فإن الكفار أرادوا من نوح أن يطردهم، كما أرادت قريش من رسول الله ﷺ أن  
 يطرد عمار بن ياسر، وصهيبا، وبلا لا ﷺ، وأشباهم من الضعفاء. ﴿مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ يحتمل أن يريدوا  
 الرجم بالحجارة، أو بالقول وهو الشتم. ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ﴾ أي: احكم بيننا. ﴿فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾  
 أي: المملوء. ﴿بِكُلِّ رِيعٍ﴾ الريع المكان المرتفع، وقيل: الطريق. ﴿آيَةً﴾ يعني المباني الطوال، وقيل: أبراج  
 الحمام. ﴿مَصَانِعَ﴾ جمع مصنع، وهو ما أتقن صنعه من المباني، وقيل: مأخذ الماء. ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ﴾ الآية:  
 تفسير لقوله ﴿أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ فأبهم أولا ثم فسره. ﴿خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ بضم الخاء واللام، أي: عاداتهم،

وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٧٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٨٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ وَآخُوهُمْ صَلِّحُوا وَلَا تَنْتَقِبُوا ﴿١٨٢﴾ إِنَّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٨٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٥﴾ أَتُرْكُونَ فِي مَا هَلُمْنَا ءَامِنِينَ ﴿١٨٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٨٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٨٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٩٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٩١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٩٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٩٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَيِّنَاتٍ ۖ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ ۖ هَا شَرِبَ وَلَكُمْ شَرِبَ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٩٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٩٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٩٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٨﴾

والمعنى أنهم قالوا: ما هذا الذي نحن عليه من ديننا ومبانينا إلا عادة الناس الأولين، وقرئ بفتح الحاء وإسكان اللام، ويحتمل على هذا وجهين؛ أحدهما: أنه بمعنى الخلفة، والمعنى: ما هذه الخلفة التي نحن عليها إلا خلفة الأولين، والآخر: أنها من الاختلاق بمعنى الكذب، والمعنى: ما هذا الذي جئت به إلا كذب الأولين. ﴿أَتُرْكُونَ﴾ تخويف لهم، معناه: أطمعون أن تتركوا في النعم على كفركم. ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ الطلع عنقود التمر في أول نباته قبل أن يخرج من الكم، والهضيم اللين الرطب، فالمعنى: أن طلوعها يتم ويرطب، وقيل: هو الرخص أول ما يخرج، وقيل: الذي ليس فيه نوى، فإن قيل: لم ذكر النخل بعد ذكر الجنات والجنات تحتوي على النخل؟ فالجواب: أن ذلك تجريد كقوله ﴿فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ﴾، ويحتمل أنه أراد الجنات التي ليس فيها نخل ثم عطف عليها النخل. ﴿وَتَنْحِتُونَ﴾ ذكر في الأعراف. ﴿فَرِهِينَ﴾ قرئ بألف وبغير ألف، وهو منصوب على الحال من الفاعل في "تنتحون"، وهو مشتق من الفراهة؛ وهي النشاط والكيس، وقيل: معناه أقوياء، وقيل: أشرين بطرين. ﴿مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ مبالغة في المسحورين، وهو من السحر بكسر السين، وقيل: من السحر بفتح السين وهي الرؤية، والمعنى على هذا: إنما أنت بشر. ﴿لَهَا شَرِبٌ﴾ أي: حظ من الماء. ﴿فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ لما تغيرت ألوأهم حسبا أخبرهم صالح عليه السلام، ندموا حين لم تنفعهم الندامة، فأخذتهم الصيحة التي ماتوا منها، وهي ﴿الْعَذَابُ﴾ المذكور هنا.

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥٦﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿٥٧﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ وَأَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٥٨﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٥٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٦٠﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٦٢﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿٦٣﴾ قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَه يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿٦٤﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿٦٥﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَنجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٧﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٩﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٧٢﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٧٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٧٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٧٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿٧٨﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿٧٩﴾

﴿مَنْ الْقَالِينَ﴾ أي: من المبغضين، وفي قوله "قال" و"من القالين" ضرب من ضروب التجنيس. ﴿مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ أي: نجني من عقوبة عملهم أو اعصمني من عملهم؛ والأول أرجح. ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ يعني امرأة لوط. ﴿فِي الْغَابِرِينَ﴾ ذكر في الأعراف وكذلك ﴿أَمْطَرْنَا﴾. ﴿أَصْحَابُ لَيْكَةِ﴾ قرئ بالهمز وخفض التاء مثل الذي في الحجر و"ق"، ومعناه: الغيضة من الشجر، وقرئ هنا وفي ص بفتح اللام والتاء، فقليل: إنه مسهل من الهمزة، وقيل: إنه اسم بلدهم؛ ويقوي هذا القول بأنه على هذه القراءة بفتح التاء غير منصرف يدل على ذلك أنه اسم علم، وضعف ذلك الزمخشري وقال: إن "الأيكة" اسم لا يعرف. ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ لم يقل هنا "أخوهم" كما قال في قصة نوح وغيره، فقليل: إن شعيبا بعث إلى مدين، وكان من قبيلتهم فلذلك قيل ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾، وبعث أيضا إلى أصحاب الأيكة ولم يكن منهم، فلذلك لم يقل إنه "أخوهم"، فكان شعيب على هذا مبعوثا إلى القبيلتين، وقيل: إن أصحاب الأيكة هم مدين، ولكنه قيل "أخوهم" حين ذكرهم باسم قبيلتهم، ولم يقل أخوهم حين نسبهم إلى الأيكة التي هلكوا فيها تنزيها لشعيب عن النسبة إليها. ﴿مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ أي: من الناقصين للكيل والوزن. ﴿بِالْقِسْطَاسِ﴾ الميزان المعتدل.

وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٧٢﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ  
وَالْحَبِيلَةَ الْأُولِينَ ﴿١٧١﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ﴿١٧٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ  
نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٧٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٧٧﴾  
قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٧٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ  
يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨١﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ۗ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٨٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ  
الرَّحِيمُ ﴿١٨٣﴾ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٤﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٨٥﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ  
مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٨٦﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأُولِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ  
آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ  
عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٠١﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٢﴾

﴿وَالْحَبِيلَةَ﴾ يعني القرون والأمم المتقدمة. ﴿عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ هي سحابة من نار أحرقتهم، فأهلك الله مدين بالصيحة، وأهلك أصحاب الأيكة بالظلة، فإن قيل: لم كرر قوله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ مع كل قصة؟ فالجواب: أن ذلك أبلغ في الاعتبار وأشد تنبيها للقلوب، وأيضا فإن كل قصة منها كأنها كلام قائم مستقل بنفسه فختمت بما ختمت به صاحبها. ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الضمير للقرآن. ﴿الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ يعني جبريل عليه السلام. ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ إشارة إلى حفظه إياه، لأن القلب هو الذي يحفظ. ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ يعني كلام العرب، وهو متعلق بـ"نزل" أو بـ"المنذرين". ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأُولِينَ﴾ المعنى أن القرآن مذكور في كتب المتقدمين؛ ففي ذلك دليل على صحته ثم أقام الحجة على قريش بقوله ﴿أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، والمعنى: أن علم بني إسرائيل بأنه من عند الله آية لكم وبرهان، والمراد من أسلم من بني إسرائيل كعبد الله بن سلام ؑ، وقيل: الذين كانوا يبشرون بمبعثه عليه الصلاة والسلام. ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ الآية: "الاعجمين" جمع أعجم وهو الذي لا يتكلم سواء كان إنسانا أو جمادا، والأعجمي منسوب إلى الأعجم، وقيل: هو بمعنى الأعجم، ومعنى الآية أن القرآن لو نزل على من لا يتكلم ثم قرأه عليهم لم يؤمنوا لإفراط عنادهم، ففي ذلك تسلية للنبي ﷺ عن كفرهم به مع وضوح برهانه. ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ معنى "سلكناه" أدخلناه، والضمير للتكذيب الذي دل عليه ما تقدم من الكلام أو للقرآن أي: سلكناه في قلوبهم مكذبا به، وتقدير قوله "كذلك": مثل هذا السلك سلكناه، و"المجرمين" يحتمل أن يريد به قريشا أو الكفار المتقدمين،

لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ، حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢١﴾ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٢﴾  
فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٥﴾  
ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا  
مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذَرُونَ ﴿٢٨﴾ ذِكْرِي وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا  
يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٣٠﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ ﴿٣١﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا  
آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿٣٢﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٣٣﴾ وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ  
لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٤﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَتَوَكَّلْ  
عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٣٦﴾ الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٣٧﴾ وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٣٨﴾

و﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ تفسير للسلك الذي سلك في قلوبهم. ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾ تمنوا أن يؤخروا حين لم  
ينفعهم التمني. ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ توبيخ لقريش على استعجالهم بالعذاب في قولهم ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا  
حِجَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ وشبه ذلك. ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ يعني مدة إمهالهم لا تغني مع نزول العذاب  
بعدها، وإن طال مدة سنين؛ لأن كل ما هو آت قريب، قال بعضهم "سنين" يريد به عمر الدنيا. ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا  
مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذَرُونَ﴾ المعنى: أن الله لم يهلك قوما إلا بعد أن أقام الحجة عليهم بأن أرسل إليهم رسولا  
فأنذرهم فكذبوه. ﴿ذِكْرِي﴾ منصوب على المصدر من معنى الإنذار، أو على الحال من الضمير في "منذرون"،  
أو على المفعول من أجله، أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمرة. ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ الضمير للقرآن، وهذا  
رد على من قال: إنه كهانة نزلت به الشياطين على محمد. ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: ما يمكنهم ذلك  
ولا يقدرون عليه، ولفظ "ما ينبغي" تارة يستعمل بمعنى لا يمكن وتارة بمعنى لا يليق. ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ  
لَمْعَزُولُونَ﴾ تعليل لكون الشياطين لا يستطيعون الكهانة، لأنهم منعوا من استراق السمع منذ بعث محمد ﷺ وقد  
كان أمر الكهان كثيرا منتشرا قبل ذلك. ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ عشيرة الرجل هم قرابته الأدنون، ولما  
نزلت هذه الآية أنذر النبي ﷺ أقاربه فقال: «يا بني هاشم! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب! أنقذوا  
أنفسكم من النار» ثم نادى كذلك ابنته فاطمة وعمته صفية [مسلم: 204]، قال الزمخشري: في معناها قولان؛  
أحدهما: أنه أمر أن يبدأ بإنذار أقاربه قبل غيرهم من الناس، والآخر: أمر أن لا يأخذه ما يأخذ القريب من الرأفة  
بقريبه وأن لا يحافيههم بالإنذار. ﴿وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ﴾ عبارة عن لين الجانب والرفق عن التواضع. ﴿الَّذِي يَرَاكَ  
حِينَ تَقُومُ﴾ أي: حين تقوم في الصلاة، ويحتمل أن يريد سائر التصرفات. ﴿وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ معطوف

إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٣﴾ هَلْ أَنْتُمْ عَلَىٰ مَن تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٣٤﴾ تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ  
 أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٣٥﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٣٦﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ  
 ﴿٣٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٣٨﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٩﴾  
 إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا  
 وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٤٠﴾

على ضمير المفعول في قوله "يراك"، والمعنى: أنه يراك حين تقوم وحين تسجد، وقيل: معناه يرى صلاتك مع المصلين، ففي ذلك إشارة إلى الصلاة مع الجماعة، وقيل: يرى تقلب بصرك في المصلين خلفك؛ لأنه عليه الصلاة والسلام كان يراهم من وراء ظهره [البخاري: 408]. ﴿تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ هذا جواب السؤال المتقدم وهو قوله: ﴿هَلْ أَنْتُمْ عَلَىٰ مَن تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ﴾ والأفَّاك الكذاب، والأثيم الفاعل للإثم؛ ثم يعني بذلك الكهان، وفي هذارد على من قال: إن الشياطين تنزلت على محمد ﷺ بالكهانة؛ لأنها لا تنزل إلا على أفَّاك أثيم، وكان ﷺ في غاية الصدق والبر. ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾ معناه: يستمعون، والضمير يحتمل أن يكون للشياطين بمعنى أنهم يستمعون إلى الملائكة، أو يكون للكهان بمعنى أنهم يستمعون إلى الشياطين، وقيل: "يلقون" بمعنى يلقون المسموع، والضمير يحتمل أيضا على هذا أن يكون للشياطين؛ لأنهم يلقون الكلام إلى الكهان، أو يكون للكهان؛ لأنهم يلقون الكلام إلى الناس. ﴿وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ يعني الشياطين أو الكهان، لأنهم يكذبون فيما يخبرون به عن الشياطين. ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ لما ذكر الكهان ذكر الشعراء؛ لبيان أن القرآن ليس بكهانة ولا بشعر لتباين ما بين أوصافه وأوصاف الشعر والكهانة، وأراد "الشعراء" الذين يقولون من الشعر ما لا ينبغي كالهجاء والمدح بالباطل وغير ذلك، وقيل: أراد شعراء الجاهلية، وقيل: شعراء كفار قريش الذين كانوا يؤذون المسلمين بأشعارهم، و"الغاوون" قيل: هم رواة الشعر، وقيل: هم سفهاء الناس الذين تعجبهم الأشعار لما فيها من اللغو والباطل، وقيل: هم الشياطين. ﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ استعارة وتمثيل، أي: يذهبون في كل وجه من الكلام الحق والباطل، ويفرطون في التجوز حتى ينجروا إلى الكذب. ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية: استثناء من "الشعراء"، يعني به شعراء المسلمين كحسان بن ثابت ؓ وغيره ممن اتصف بهذه الأوصاف، وقيل: إن هذه الآية مدنية. ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ﴾ قيل: معناه ذكروا الله في أشعارهم، وقيل: يعني الذكر على الإطلاق. ﴿وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ إشارة إلى ما قاله حسان بن ثابت ؓ وغيره من الشعراء في هجو الكفار بعد أن هجا الكفار النبي ﷺ والمسلمين. ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ وعيد للذين ظلموا، والظلم هنا بمعنى الاعتداء على الناس لقوله "من بعد ما ظلموا"، وعمل "ينقلبون" في "أي" لتأخره، وقيل: إن العامل في "أي" "سيعلم".

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ طَسِ ١ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ٢ هُدًى  
 وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ٣ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ  
 يُوقِنُونَ ٤ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ٥ أُولَئِكَ  
 الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ ٦ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ  
 لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ٧ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَاعَتِكُمْ مِنْهَا يَخْرُجُ ٨  
 بِشَهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ٩ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ  
 حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٠ يَمْوَسِي إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ١١ وَأَلْقَى عَصَاكَ ١٢

## سورة النمل

﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ عطف الكتاب على القرآن كعطف الصفات بعضها على بعض، وإن كان الموصوف واحدا. ﴿ هُدًى وَبُشْرَى ﴾ في موضع نصب على المصدر، أو في موضع رفع على أنه خبر ابتداء مضمرة. ﴿ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ تحتمل هذه الجملة أن تكون معطوفة فتكون بقية صلة "الذين"، أو تكون مستأنفة وتمت الصلة قبلها؛ ورجح الزمخشري هذا. ﴿ يَعْمَهُونَ ﴾ يتحIRON. ﴿ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾ يعني في الدنيا؛ وهو القتل يوم بدر، ويحتمل أن يريد عذاب الآخرة؛ والأول أرجح؛ لأنه ذكر الآخرة بعد. ﴿ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ ﴾ أي: تعطاه. ﴿ آنَسْتُ ﴾ ذكر في طه، وكذلك ﴿ قَبَسٍ ﴾، والشهاب النجم شبه القبس به، وقرئ بإضافة "شهاب" إلى "قبس"، وبالتنوين على البدل أو الصفة، فإن قيل: كيف قال هنا ﴿ سَاعَتِكُمْ ﴾ وفي الموضع الآخر ﴿ لَعَلِّي آتِيكُمْ ﴾ والفرق بين الترجي والتسويف؛ أن التسويف متيقن الوقوع بخلاف الترجي؛ فالجواب: أنه قد يقول الراجي سيكون كذا إذا قوي رجاؤه. ﴿ تَصْطَلُونَ ﴾ معناه: تستدفنون بالنار من البرد، ووزنه تفتعلون، وهو مشتق من صلى بالنار، والطاء فيه بدل من التاء. ﴿ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ "أن" مفسرة، و"بورك" من البركة، و"من في النار" يعني من في مكان النار. "ومن حولها" من حول مكانها، يريد الملائكة الحاضرين وموسى عليه السلام، قال الزمخشري: والظاهر أنه عام في كل من كان في تلك الأرض، وفي ذلك الوادي وما حوله من أرض الشام. ﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ ﴾ يحتمل أن يكون مما قيل في النداء لموسى عليه السلام، أو يكون مستأنفا؛ وعلى كلا الوجهين قصد به تنزيه الله تعالى مما عسى أن يخطر ببال السامع في معنى النداء، أو في قوله "بورك من في النار"؛ إذ قال بعض الناس فيه ما يجب تنزيهه الله عنه. ﴿ وَأَلْقَى عَصَاكَ ﴾ هذه الجملة معطوفة على قوله "بورك من في النار"؛ لأن المعنى نودي أن بورك من في النار وأن ألقى عصاك، وكلاهما

فَلَمَّا رءَاهَا تَهْتَرُ كَأَنهَآ جَانٌّ وَّابَى مُدِيرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا تَخَافُ لَدَى  
 الْمُرْسَلُونَ ﴿١﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢﴾ وَأَدْخَلَ يَدَكَ  
 فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءَ مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ ۗ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا  
 فَاسِقِينَ ﴿٣﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَجَحَدُوا بِهَا  
 وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ  
 وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦﴾ وَوَرِثَ  
 سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ۗ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ۗ إِنَّ هَذَا هُوَ  
 الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿٧﴾ وَحَشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨﴾

تفسير للنداء. ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ الـ"جان" الحية، وقيل: الحية الصغيرة، وعلى هذا يشكك قوله ﴿فَإِذَا هِيَ تُعْبَأُ﴾،  
 والجواب: أنها ثعبان في جرمها جان في سرعة حركتها. ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ لم يرجع أو لم يلتفت. ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾  
 استثناء منقطع تقديره: لكن من ظلم من سائر الناس لا من المرسلين، وقيل: إنه متصل على القول بتجويز  
 الذنوب على الأنبياء؛ وهذا بعيد؛ لأن الصحيح عصمتهم من الذنوب، وأيضا فإن تسميتهم ظالمين ممتنع على  
 القول بتجويز الذنوب عليهم. ﴿بَدَّلَ حُسْنًا﴾ أي: عمل صالحا. ﴿فِي جَيْبِكَ﴾ ذكر في طه. ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾  
 متصل بقوله "اللق" و"أدخل"، تقديره: نيسر لك ذلك في جملة تسع آيات، وقد ذكرت الآيات التسع في  
 الإسراء. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ متعلق بفعل محذوف يقتضيه الكلام تقديره: اذهب بالآيات التسع إلى فرعون.  
 ﴿مُبْصِرَةً﴾ أي: ظاهرة واضحة الدلالة، أسند الإبصار لها مجازا، وهو في الحقيقة لتأملها. ﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا  
 أَنفُسُهُمْ﴾ يعني أنهم جحدوا بها مع أنهم تيقنوا أنها الحق فكفرهم عناد؛ ولذلك قال فيه ﴿ظُلْمًا﴾ والواو فيه  
 واو الحال، وأضمرت بعدها قد. ﴿وَعُلُوًّا﴾ يعني تكبرا. ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ أي: ورث عنه النبوة  
 والعلم والملك. ﴿عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ أي: فهمنا من أصوات الطير المعاني التي في نفوسها. ﴿وَأُوتِينَا مِنْ  
 كُلِّ شَيْءٍ﴾ عموم معناه الخصوص، والمراد بهذا اللفظ الكثير كقولك: فلان يقصده كل أحد، وقوله  
 "علمنا" و"أوتينا" يحتمل أن يريد نفسه وأباه، أو نفسه خاصة على وجه التعظيم لأنه كان ملكا. ﴿وَحَشِرَ  
 لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ﴾ اختلف الناس في عدد جنود سليمان اختلافا شديدا تركنا ذكره لعدم صحته. ﴿فَهُمْ  
 يُوزَعُونَ﴾ أي: يكفون، ويرد أولهم إلى آخرهم، ولا بد لكل ملك أو حاكم من وزعة يدفعون الناس.



حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأَعَدِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَأْذَنَّهُهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِطْ بِهِ - وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ ﴾ ظاهر هذا أن سليمان وجنوده كانوا مشاة بالأرض، أو ركبانا حتى خافت منهم النمل، ويحتمل أنهم كانوا في الكرسي المحمول بالريح وأحست النملة بنزولهم في وادي النمل. ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ ﴾ النمل حيوان فطن قوي الحس، يدخر قوته، ويقسم الحبة بقسمين لثلاث تنبت، ويقسم حبة الكزير بأربع قطع لأنها تنبت إذا قسمت على اثنين، وإفراط إدراكها قالت هذا القول، وروي أن سليمان سمعه وكان بينه وبينها ثلاثة أميال؛ وذلك لا يسمعه البشر إلا من خصه الله بذلك. ﴿ ادْخُلُوا ﴾ خاطبتهم مخاطبة العقلاء؛ لأنها أمرتهم بما يؤمر به العقلاء. ﴿ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ ﴾ يحتمل أن يكون جوابا للأمر، أو نهيًا بدلا من الأمر لتقارب المعنى. ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ الضمير لسليمان وجنوده، والمعنى: اعتذار عنهم لو حطموا النمل؛ أي: لو شعروا بهم لم يحطموهم. ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا ﴾ تبسم لأحد أمرين؛ أحدهما: سروره بما أعطاه الله، والآخر: ثناء النملة عليه وعلى جنوده، فإن قولها "وهم لا يشعرون" وصف لهم بالتقوى والتحفظ من مضرة الحيوان. ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ ﴾ اختلف الناس في معنى تفقده للطير، فقيل: ذلك عناية بأمر ملكه، وقيل: لأن الطير كانت تظله فغاب الهدهد فدخلت الشمس عليه من موضعه. ﴿ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ "أم" منقطعة، فإنه نظر إلى مكان الهدهد فلم يبصره. ﴿ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ ﴾ أي: لا أراه، ولعله حاضر وستره ساتر ثم علم بأنه غائب فأخبر بذلك. ﴿ لَأَعَدِّبَنَّهُ ﴾ روي: أن تعذيبه للطير كان بتنف ريشه. ﴿ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: حجة بينة. ﴿ فَمَكَتْ ﴾ أي: أقام، ويجوز فتح الكاف وضمها، وبالفتح قرأ عاصم، والفعل يحتمل أن يكون مسندا إلى سليمان عليه السلام أو إلى الهدهد؛ وهو أظهر. ﴿ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ يعني زمان قريب. ﴿ أَحَطْتُ ﴾ أي: أحطت علما بما لم تعلمه. ﴿ مِن سَبَإٍ ﴾ يعني قبيلة من العرب، جدهم الذي يعرفون به سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ومن صرفه أراد الحي أو الأب، ومن لم يصرفه أراد القبيلة أو البلدة، وقرئ بالتسكين لتوالي الحركات، وعلى القراءة بالتنوين يكون في قوله ﴿ مِن سَبَإٍ بِنَبَأٍ ﴾ ضرب من أدوات البيان، وهو التسجيع.

لِي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿١٧﴾ وَجَدْتُهَا  
 وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ  
 السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿١٨﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٠﴾  
 ﴿٢١﴾ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٢﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِيهِ  
 إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٣﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنِّي أَتَىٰ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ  
 ﴿٢٤﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢٥﴾ أَلَّا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَاتُّونِي مُسْلِمِينَ  
 ﴿٢٦﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٢٧﴾

﴿ وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ﴾ المرأة بلقيس بنت شراحيل، كان أبوها ملك اليمن ولم يكن له ولد غيرها، فغلبت  
 بعده على الملك، والضمير في "تملكهم" يعود على "سبا" وهم قومها. ﴿ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ عموم يراد به الخصوص  
 فيما يحتاجه الملك. ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ يعني سرير ملكها، ووقف بعضهم على "عرش" ثم ابتداء "عظيم  
 وجدتها" على تقدير: عظيم أن وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله، وهذا خطأ وإنما حمله عليه  
 الفرار من وصف عرشها بالعظمة. ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ﴾ من كلام الهدد أو من كلام الله، وقرأه الجمهور  
 بالتشديد، و"أن" في موضع نصب على البدل "من أعماهم"، أو في موضع خفض على البدل من "السبيل"، أو  
 يكون التقدير: لا يهتدون لأن يسجدوا فحذف اللام وزاد لا، وقرئ بالتخفيف على أن تكون "ألا" حرف  
 تنبيه، وأن تكون "يا" النداء فيوقف عليها بالألف على تقدير: يا قوم؛ ثم يبتداء "اسجدوا". ﴿ يُخْرِجُ الْخَبْءَ ﴾  
 "الخبء" في اللغة الخفي، فقيل: معناه هنا الغيب، وقيل: يخرج النبات من الأرض؛ واللفظ يعم كل خفي وبه  
 فسره ابن عباس ؓ. ﴿ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ أي: تنح عنهم إلى مكان قريب لتسمع ما يقولون، وروي أنه دخل  
 عليها من كوة فألقى إليها الكتاب وتوارى في الكوة، وقيل: إن التقدير: انظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم فهو  
 من المقلوب؛ والأول أحسن. ﴿ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ من قوله ﴿ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضِ الْقَوْلِ ﴾. ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا  
 الْمَلَأُوْا ﴾ قبل هذا الكلام محذوف تقديره: فألقى الهدد الكتاب إليها فقرأته، ثم جمعت أهل ملكها فقالت لهم:  
 يا أيها الملأ. ﴿ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ وصفته بالكرم لأنه من عند سليمان، أو لأن فيه اسم الله، أو لأنه مختوم كما جاء في  
 الحديث: «كرم الكتاب ختمه» [المعجم الأوسط: 3872]. ﴿ مِنْ سُلَيْمَانَ ﴾ يحتمل أن يكون هذا نص الكتاب بدأ فيه  
 بالعنوان، وأن يكون من كلامها أخبرتهم أن الكتاب من سليمان. ﴿ وَاتُّونِي مُسْلِمِينَ ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى

قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأَوْلُوا بِأَسِ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿١٠﴾  
 قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۗ وَكَذَلِكَ  
 يَفْعَلُونَ ﴿١١﴾ وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنظِرْهُ بِمَا يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَ  
 سُلَيْمَنُ قَالَ أْتِمِدُونَنِي بِمَالٍ فَمَا ءَاتِنِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَيْكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ  
 تَفْرَحُونَ ﴿١٣﴾ أَرْجِعِ إِلَيْهِمْ فَلَتَأْتِيَنَّهُمْ بَجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا أَذِلَّةً  
 وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ  
 ﴿١٥﴾ قَالَ عِفْرِيْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ ۖ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ  
 أَمِينٌ ﴿١٦﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ ۖ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۗ

مستسلمين من الانقياد، أو يكون من الدخول في الإسلام. ﴿نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً﴾ يحتمل أن يريد قوة الأجساد أو قوة الملك والعدد. ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ من كلام الله تعالى تصديقا لقولها فيوقف على ما قبله، أو من كلام بلقيس تأكيدا للمعنى الذي أرادته، أو تعني: كذلك يفعل هؤلاء بنا. ﴿وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾ قالت لقومها: إني أجرب هذا الرجل هدية من نفائس الأموال؛ فإن كان ملكا دنويا أرضاه المال، وإن كان نبيا لم يرضه المال وإنما يرضيه دخولنا في دينه، فبعثت إليه هدية عظيمة، وصفها الناس واختصرنا وصفها لعدم صحته. ﴿أْتِمِدُونَنِي بِمَالٍ﴾ إنكار للهدية؛ لأن الله أغناه عنها بما أعطاه. ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ أي: أنتم محتاجون إليها فتفرحون بها وأنا لست كذلك. ﴿أَرْجِعِ إِلَيْهِمْ﴾ خطاب للرسول، وقيل: للهدهد؛ والأول أرجح؛ لأن قوله "فلما جاء سليمان" مسند إلى الرسول. ﴿لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾ أي: لا طاقة لهم بها. ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ القائل سليمان، و"الملأ" جمعه من الجن والإنس، وطلب عرشها قبل أن يأتوه مسلمين؛ لأنه وصف له بعظمة فأراد أخذه قبل أن يسلموا، فيمنع إسلامهم من أخذ أموالهم، ف"مسلمين" على هذا من الدخول في دين الإسلام، وقيل: إنما طلب عرشها قبل أن يأتوه ليظهر لهم قوته؛ ف"مسلمين" على هذا بمعنى منقادين. ﴿قَالَ عِفْرِيْتُ﴾ روي عن وهب بن منبه أن اسم هذا العفريت: الكودن. ﴿قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ أي: قبل أن تقوم من مجلس الحكم، وكان يجلس من غدوة إلى الظهر، وقيل: معناه قبل أن تستوي من جلوسك قائما. ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ هو آصف وكان رجلا صالحا من بني إسرائيل، كان يعلم اسم الله الأعظم، وقيل: هو الخضر، وقيل: هو جبريل؛ والأول أشهر، وقيل: سليمان؛ وهذا بعيد. ﴿ءَاتِيكَ بِهِ﴾ في الموضوعين يحتمل أن يكون فعلا مستقبلا أو اسم فاعل. ﴿قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ الطرف العين؛

فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ؕ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۚ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿١٤﴾ قَالَ نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرًا أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ ۗ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ۗ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْمِئِينَ ﴿١٦﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۗ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿١٧﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۗ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا ۗ

فالمعنى: قبل أن تغمض بصرك إذا نظرت إلى شيء، وقيل: الطرف تحريك الأجناف إذا نظرت. ﴿فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾ قبل هذا محذوف تقديره: فجاء الذي عنده علم من الكتاب بعرشها، ومعنى "مستقرا عنده" حاصلًا عنده، وليس هذا بمستقر الذي يقدر النحويون تعلق المجرورات به خلافاً لمن فهم ذلك. ﴿يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ أي: منفعة الشكر لنفسه. ﴿قَالَ نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ تنكيره تغيير وصفه وستر بعضه، وقيل: الزيادة فيه والنقص منه؛ وقصد بذلك اختبار عقلها وفهمها. ﴿أَتَهْتَدِي﴾ يحتمل أن يريد تهتدي لمعرفة عرشها، أو للجواب عنه إذا سئلت أو للإيمان. ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾ كان عرشها قد وصل إلى سليمان قبلها فأمر بتنكيره، وأن يقال لها "أهكذا عرشك" أي: أمثل هذا عرشك؟ ولم يقل لها أهذا عرشك؟ لئلا تظن أنه هو، فأجابت بقولها ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ جواباً على نحو السؤال، ولم تقل: هو، تحملاً من الكذب أو من التحقيق في محل الاحتمال. ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا﴾ هذا من كلام سليمان وقومه لما رأوا قد آمنت، قالوا ذلك اعترافاً بنعمة الله عليهم في أن آتاهم العلم قبل بلقيس، وهداهم للإسلام قبلها، والجملة معطوفة على كلام محذوف تقديره: قد أسلمت هي وعلمت وحدانية الله وصحة النبوة، وأوتينا نحن العلم قبلها. ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ هذا يحتمل أن يكون من كلام سليمان وقومه أو من كلام الله تعالى، ويحتمل أن يكون "ما كانت تعبد" فاعلاً أو مفعولاً، فإن كان فاعلاً فالمعنى: صدها ما كانت تعبد عن عبادة الله والدخول في الإسلام حتى إلى هذا الوقت، وإن كان مفعولاً فهو على إسقاط حرف الجر، والمعنى: صدها الله أو سليمان عن ما كانت تعبد من دون الله فدخلت في الإسلام. ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا﴾ "الصرح" في اللغة القصر، وقيل: صحن الدار، وروي أن سليمان أمر قبل قدومها أن يبني له على طريقها قصر من زجاج أبيض، وأجرى الماء من تحتها، وألقى فيه دواب البحر من السمك وغيره، ووضع سريره في صدره فجلس عليه، فلما رأته حسبت لجة" واللجة الماء المجتمع كالبحر، و"كشفت عن ساقها" لتدخله لما أمرت بدخوله، وروي أن الجن كرهوا تزوج سليمان لها، فقالوا له: إن عقلها مخبول وإن رجلها كحافر الحمار، فاختر عقلها بتنكير العرش فوجدها عاقلة، واختبر ساقها بالصرح، فلما كشفت عن ساقها وجدها أحسن الناس ساقاً، فتزوجها

قَالَ إِنَّهُ صَرَحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ  
 سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ  
 فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ  
 لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا أَطِیرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَّعَكَ قَالَ  
 طَیْرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ۗ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿١٤﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ بَسْعَةٌ رَهَطٌ  
 يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ  
 لَنَقُولَنَّ لَوْ يَلَيْهِ ۗ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ ۗ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٦﴾

وأقرها على ملكها باليمن، وكان يأتيها مرة في كل شهر، وقيل: أسكنها معه بالشام. ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرَحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ لما ظنت أن الصرح لجة ماء وكشفت عن ساقها لتدخل الماء، قال لها سليمان "إنه صرح"، والمرد الأملس، وقيل: الطويل، وال"قوارير" جمع قارورة؛ وهي الزجاجية. ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ تعني بكفرها فيها تقدم. ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾ هذا ضرب من ضروب التجنيس. ﴿فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ الفريقان من آمن ومن كفر، واختصامهم اختلافهم وجدالهم في الدين. ﴿لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي: لم تطلبون العذاب قبل الرحمة أو المعصية قبل الطاعة. ﴿قَالُوا أَطِیرْنَا بِكَ﴾ أي: تشاء منا بك، وكانوا قد أصابهم القحط. ﴿قَالَ طَیْرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: السبب الذي يحدث عنه خيركم أو شركم هو عند الله؛ وهو قضاؤه وقدره، وذلك رد عليهم في تطيرهم ونسبتهم ما أصابهم من القحط إلى صالح عليه السلام. ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾ يعني مدينة ثمود. ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ قيل: إنهم كانوا يقرضون الدنانير والدراهم؛ ولفظ الفساد أعم من ذلك. ﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾ أي: حلفوا به، وقيل: إنه فعل ماض، وذلك ضعيف؛ والصحيح أنه فعل أمر قاله بعضهم لبعض وتعاهدوا عليه. ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ أي: لنقتلنه وأهله بالليل، وهذا هو الفعل الذي تحالفوا عليه. ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لَوْ يَلَيْهِ ۗ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ أي: نتبرأ من دمه إن طلبنا به وليه، و"مهلك" يحتمل أن يكون اسم مصدر أو زمان أو مكان، فإن قيل: إن قولهم "ما شهدنا مهلك أهله" يقتضي التبري من دم أهله دون التبري من دمه؛ فالجواب: من ثلاثة أوجه؛ الأول: أنهم أرادوا ما شهدنا مهلكه ومهلك أهله، وحذف مهلكه لدلالة قولهم "لنبيتنه وأهله"، والثاني: أن أهل الإنسان قد يراد به هو وهم لقوله ﴿وَأَعْرَفْنَا ۗ آءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ يعني فرعون وقومه، الثالث: أنهم قالوا "مهلك أهله" خاصة ليكونوا صادقين، فإنهم شهدوا مهلكه ومهلك أهله معا، وأرادوا التعريض في كلامهم لتلا يكذبوا. ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ يحتمل أن يكون قولهم "وإننا لصادقون" مغالطة مع اعتقادهم أنهم كاذبون،

وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ ﴿٥٧﴾  
 إِنَّا دَمَرْنَاَهُمْ وَقَوْمَهُمْ وَأَجْمَعِينَ ﴿٥٨﴾ فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا ﴿٥٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ  
 يَعْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَخْبَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ  
 أَتَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٦٢﴾ أَبَيْتُكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ﴿٦٣﴾ بَلْ  
 أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٦٤﴾ \* فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا ءَالَ لُوطٍ مِّنْ  
 قَرْيَتِكُمْ ﴿٦٥﴾ إِنَّهُمْ وَأُنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا لَهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٧﴾  
 وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ ﴿٦٨﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ  
 اصْطَفَىٰ ؕ ءَاللَّهِ خَيْرٌ أَمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٦٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِّنَ  
 السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ؕ ءَاللَّهِ مَعَ اللَّهِ ﴿٧٠﴾

ويحتمل أنهم قصدوا وجها من التعريض ليخرجوا به من الكذب، وقد ذكرناه في الجواب الثالث عن "مهلك  
 أهله"، وهو أنهم قصدوا أن يقتلوا صالحا وأهله معا ثم يقولوا: ما شهدنا مهلك أهله؛ أي: ما شهدنا مهلك  
 أهله وحدهم وإنما لصادقون في ذلك، يعنون أنهم شهدوا مهلكه ومهلك أهله معا، وعلى هذا حمله الزمخشري.  
 ﴿إِنَّا دَمَرْنَاَهُمْ وَقَوْمَهُمْ﴾ روي: أن الرهط الذين تقاسموا على قتل صالح اختفوا ليلا في غار قريبا من داره؛  
 ليخرجوا منه إلى داره بالليل، فوقع عليهم صخرة أهلكتهم، ثم هلك قومهم بالصيحة ولم يعلم بعضهم  
 بهلاك بعض، ونجا صالح ومن آمن به. ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ قيل: معناه تبصرون بقلوبكم أنها معصية، وقيل:  
 تبصرون بأبصاركم؛ لأنهم كانوا ينكشفون لفعل ذلك ولا يستتر بعضهم من بعض، وقيل: تبصرون آثار  
 الكفار قبلكم وما نزل بهم من العذاب. ﴿يَّتَطَهَّرُونَ﴾ و﴿الْغَابِرِينَ﴾ و﴿أَمْطَرْنَا﴾ قد ذكر. ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ  
 وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ أمر الله رسوله ﷺ أن يتلو الآيات المذكورة بعد هذا؛ لأنها براهين على  
 وحدانيته وقدرته، وأن يستفتح ذلك بحمده، والسلام على من اصطفاه من عباده كما تستفتح الخطب  
 والكتب وغيرها بذلك تيامنا بذكر الله، قال ابن عباس ؓ: يعني ب"عباده الذين اصطفى" الصحابة؛ واللفظ  
 يعم الملائكة والأنبياء والصحابة وجميع الصالحين. ﴿ءَاللَّهِ خَيْرٌ أَمَّا تُشْرِكُونَ﴾ هذا على وجه الرد على  
 المشركين، فدخلت "خير" التي يراد بها التفضيل؛ لتبكيهم وتعنيفهم مع أنه معلوم أنه لا خير فيما أشركوه  
 أصلا، ثم أقام عليهم الحجة بأن الله هو الذي ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، وبغير ذلك مما ذكره إلى تمام هذه  
 الآيات، وأعقب كل برهان منها بقوله ﴿ءَاللَّهِ مَعَ اللَّهِ﴾ على وجه التقرير لهم على أنه لم يفعل ذلك كله إلا الله

بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦﴾ أَمْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهْرًا وَجَعَلَ لَهَا  
رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَمْ يَعْزِزْهُمُ اللَّهُ بِأَكْثَرِهِمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧﴾  
أَمْ يَحِيبُ الْمُنْظَرُ ۗ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَمْ يَعْزِزْهُمُ اللَّهُ  
قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٨﴾ أَمْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتٍ أَلْبَرٍ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ  
نُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَلَمْ يَعْزِزْهُمُ اللَّهُ بِأَكْثَرِهِمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ أَمْ يَبْدُو  
أَلْحَقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَمْ يَعْزِزْهُمُ اللَّهُ بِأَكْثَرِهِمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾  
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١﴾ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ

وحده، فقامت الحجّة عليهم بذلك، وفيها أيضا نعم يجب شكرها فقامت الحجّة عليهم بذلك أيضا، و"أم" في قوله "خير أما تشركون" متصلة عاطفة، و"أم" في المواضع التي بعده منقطعة بمعنى بل والهمزة. ﴿قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ أي: يعدلون عن الحق والصواب، أو يعدلون بالله غيره؛ أي: يجعلون له عديلا ومثيلا. ﴿رَوَاسِيَ﴾ يعني الجبال. ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾ ذكر في الفرقان. ﴿يَحِيبُ الْمُنْظَرُ﴾ قيل: هو المجهود، وقيل: هو الذي لا حول له ولا قوة، واللفظ مشتق من الضرر أي: الذي أصابه الضر، أو من الضرورة؛ أي: الذي ألبأته الضرورة إلى الدعاء. ﴿خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ أي: خلفاء فيها تتوارثون سكتها. ﴿أَمْ يَهْدِيكُمْ﴾ يعني الهداية بالنجوم والطرق. ﴿نُشْرًا﴾ ذكر في الأعراف. ﴿مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الرزق من السماء المطر، ومن الأرض النبات. ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ تعجيز للمشركين. ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ هذه الآية تقتضي انفراد الله تعالى بعلم الغيب وأنه لا يعلمه سواه، ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها: من زعم أن محمدا يعلم الغيب، فقد أعظم الفرية على الله، ثم قرأت هذه الآية [البخاري: 7380]، فإن قيل: فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبر بالغيوب، وذلك معدود في معجزاته، فالجواب: أنه صلى الله عليه وسلم قال: «إني لا أعلم إلا ما علمني الله» [دلائل النبوة: 1981] فإن قيل: كيف ذلك مع ما ظهر من إخبار الكهان، والمنجمين، وأشباهم بالأمر المغيبة؟ فالجواب: أن إخبارهم بذلك عن ظن ضعيف، أو عن وهم لا عن علم، وإنما اقتضت الآية نفي العلم، وقد قيل: إن "الغيب" في هذه الآية يراد به متى تقوم الساعة، لأن سبب نزولها أنهم سألوا عن ذلك، ولذلك قال ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ فعلى هذا يندفع السؤال الأول والثاني، لأن علم الساعة انفراد به الله تعالى لقوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾، ولقوله صلى الله عليه وسلم: «في خمس لا يعلمهن إلا الله» ثم قرأ ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ إلى آخر السورة [البخاري: 4351]. فإن قيل: كيف قال "إلا الله" بالرفع على البدل، والبدل لا يصح إلا إذا كان الاستثناء متصلا ويكون ما بعد إلا من جنس ما قبلها،

وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الآخِرَةِ بَلٌ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلٌ هُمْ  
 مِنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَّءَابَاؤُنَا أَهْنًا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا  
 هَذَا نَحْنُ وَّءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا  
 كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾  
 وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ  
 الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَئِنْ أَسْأَلْتَهُمْ لَيَسْأَلَنَّهُمْ

والله تعالى ليس ممن في السماوات والأرض باتفاق، فإن القائلين بالجهة والمكان يقولون: إنه فوق السماوات  
 والأرض، والقائلين بنفي الجهة يقولون: إنه تعالى ليس فيهما ولا فوقهما ولا داخلها ولا خارجا عنها، فهو  
 على هذا استثناء منقطع، فكان يجب أن يكون منصوبا؟ فالجواب: من أربعة أوجه؛ الأول: أن البدل هنا جاء على  
 لغة بني تميم في البدل وإن كان منقطعا كقولهم: ما في الدار أحد إلا حمار، بالرفع والحمار ليس من الأحدين؛  
 وهذا ضعيف لأن القرآن نزل بلغة أهل الحجاز لا بلغة بني تميم، والثاني: أن الله في السماوات والأرض بعلمه  
 كما قال ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ يعني بعلمه فجاء البدل على هذا المعنى؛ وهذا ضعيف لأن قوله "في  
 السماوات والأرض" وقعت فيه لفظة في الظرفية الحقيقية، وهي في حق الله تعالى على هذا المعنى للظرفية  
 المجازية، ولا يجوز استعمال لفظة واحدة في الحقيقة والمجاز في حالة واحدة عند المحققين، الجواب الثالث: أن  
 قوله "من في السماوات والأرض" يراد به كل موجود، فكأنه قال: من في الوجود فيكون الاستثناء على هذا  
 متصلا فيصح الرفع على البدل، وإنما قال "من في السماوات والأرض" جريا على منهاج كلام العرب، فهو لفظ  
 خاص يراد به ما هو أعم منه، الجواب الرابع: أن يكون الاستثناء متصلا على أن يتأول "من في السماوات" في  
 حق الله، كما يتأول قوله ﴿ ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ ﴾ وحديث السوداء وشبه ذلك. ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾  
 أي: لا يشعرون من في السماوات والأرض متى يبعثون؛ لأن علم الساعة مما انفرد الله به، وروي أن سبب نزول  
 هذه الآية أن قريشا سألوا النبي ﷺ متى الساعة؟ ﴿ بَلِ أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الآخِرَةِ ﴾ وزن "ادارك" تفاعل ثم  
 سكنت التاء وأدغمت في الدال واجتلبت ألف الوصل، والمعنى: تتابع علمهم بالآخرة وتناهى إلى أن يكفروا  
 بها، أو تناهى إلى أن لا يعلموا وقتها، وقرئ "أدرك" بهمزة قطع على وزن أفعل، والمعنى على هذا: يدرك علمهم  
 في الآخرة؛ أي: يعلمون فيها الحق لأنهم يشاهدون حينئذ الحقائق، فقوله "في الآخرة" على هذا ظرف، وعلى  
 القراءة الأولى بمعنى الباء. ﴿ عَمُونَ ﴾ جمع عم؛ وهو من عمى القلوب. ﴿ رَدِفَ لَكُمْ ﴾ أي: تبعكم، واللام  
 زائدة، أو ضمن معنى قرب فتعدى باللام، ومعنى الآية: أنهم استعجلوا العذاب بقولهم ﴿ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ ﴾،



وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦١﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦٢﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَاقُصُّ عَلَىٰ نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٦٣﴾ وَإِنَّهُ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٦٦﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٦٧﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَدِيَ الْعَمَىٰ عَنِ ضَلَالَتِهِمْ ۗ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٦٨﴾ \* وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ۖ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ۗ وَإِنَّ النَّاسَ لَكَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَيَوْمَ نَخَشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٧٠﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ وَقَالُوا كَذَّبْتُمَا بِآيَاتِنَا وَلَمْ تَحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا

فَقِيلَ لَهُمْ: عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرَبٌ لَكُمْ بَعْضُ الْعَذَابِ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ؛ وَهُوَ قَتْلُهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ. ﴿غَائِبَةٍ﴾ الهاء فيه للمبالغة؛ أي: ما من شيء في غاية الخفاء إلا وهو عند الله في كتاب. ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ شبه من لا يسمع ولا يعقل بالموتى في أنهم لا يسمعون وإن كانوا أحياء، ثم شبههم بالصم وبالعمي وإن كانوا أصحاب الحواس، وأكد عدم سماعهم بقوله ﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ لأن الأصم إذا أدبر وبعد عن الداعي زاد صممه وعدم سماعه بالكلية. ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: إذا حان وقت عذابهم الذي تضمنه القول الأزلي من الله في ذلك؛ وهو قضاؤه، والمعنى إذا قربت الساعة ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾، وخروج الدابة من أسرار الساعة، وروي أنها تخرج من المسجد الحرام، وقيل: من الصفا وأن طولها ستون ذراعا، وقيل: هي الجساسة التي وردت في الحديث. ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ قيل: إنها تكلمهم ببطان الأديان كلها إلا دين الإسلام، وقيل: إنها تقول: ألا لعنة الله على الظالمين، وروي أنها تسم الكافر وتحطم أنفه وتسود وجهه، وتبيض وجه المؤمن. ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾ من قرأ بكسر الهمزة فهو ابتداء كلام، ومن قرأ بالفتح فهو مفعول "تكلمهم"؛ أي: تقول لهم: ﴿إِنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾، أو مفعول من أجله تقديره: تكلمهم؛ لأن الناس لا يوقنون، ثم حذفت اللام، ويحتمل قوله "لا يوقنون"؛ أي: لا يوقنون بخروج الدابة، أو لا يوقنون بالآخرة وأمور الدين؛ وهذا أظهر. ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يساقون بعنف. ﴿أَمَّا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ "أم" استفهامية، والمعنى: إقامة الحجة عليهم، كأنه قيل لهم: إن كان لكم عمل أو حجة فهاتوها ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: حق العذاب عليهم أو قامت الحجة عليهم.

فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۗ إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۗ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۗ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعِ يَوْمِئِذٍ - آمِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي الْبَارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ۗ وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ ۗ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ وَأَيَّتِي ۗ فَتَعَرَّفُونَهَا وَمَا رُبُّكَ بَغْفَلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

﴿فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ إنما يسكتون؛ لأن الحجة قد قامت عليهم، وهذا في بعض مواطن القيامة، وقد جاء أنهم يتكلمون في مواطن آخر. ﴿لَيْسَكُنُوا فِيهِ﴾ ذكر في يونس. ﴿يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ ذكر في الكهف. ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ قيل: هم الشهداء، وقيل: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت. ﴿دَاخِرِينَ﴾ صاغرين متدلين. ﴿تَحْسِبُهَا جَامِدَةً﴾ أي: قائمة ثابتة. ﴿وَهِيَ تَمُرُّ﴾ يكون مرورها في أول أحوال القيامة ثم ينسفها الله في خلال ذلك، فتكون كالعهن ثم تصير هباء منبثا. ﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾ مصدر والعامل فيه محذوف، وقيل: هو منصوب على الإغراء؛ أي: انظروا صنع الله. ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ قيل: إن "الحسنة" لا إله إلا الله؛ واللفظ عام، ومعنى "خير منها" أن له بالحسنة الواحدة عشرا. ﴿مَنْ فَزِعَ يَوْمِئِذٍ﴾ مَنْ نون "فزع" فتح الميم من "يومئذ"، ومن أسقط التنوين للإضافة قرأ بفتح الميم على البناء أو بكسرهما على الإعراب. ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ "السيئة" هنا الكفر والمعاصي التي قضى الله بتعذيب فاعلها. ﴿هَذِهِ الْبَلَدَةُ﴾ يعني مكة. ﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ أي: جعلها حراما آمنا لا يقاتلها أحد ولا تنهت حرمتها، ونسب تحريمها هنا إلى الله لأنه بقضائه وأمره، ونسبه النبي ﷺ إلى إبراهيم عليه السلام في قوله: «إن إبراهيم حرم مكة» [البخاري: 2022]؛ لأن إبراهيم هو الذي أعلم الناس بتحريمها فليس بين الآية والحديث تعارض، وقد جاء في حديث آخر: «أن مكة حرمها الله يوم خلق السموات والأرض» [البخاري: 104]. ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ أي: إنما علي الإنذار والتبليغ. ﴿سِيرِكُمْ أَيَاتِهِ﴾ وعيد بالعذاب الذي يضطرهم إلى معرفة آيات الله إما في الدنيا وإما في الآخرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يذُبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَكَسَىٰ نِسَاءَهُمْ رِبَاسًا إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنُهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ط فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ط إِنَّا رَأَوهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ط إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ ط لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِحًا ط

## سورة القصص

﴿عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: تكبر وطغى. ﴿شِيَعًا﴾ أي: فرقا مختلفين، فجعل فرعون القبط ملوكا وبني إسرائيل خداما لهم، وهم الطائفة الذين استضعفهم، وأراد الله أن يمن عليهم ويجعلهم ﴿أَيْمَةً﴾ أي: ولاية ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ ويورثهم أرض فرعون وقومه. ﴿وَهَامَانَ﴾ هو وزير فرعون. ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ اختلف هل كان هذا الوحي بإلهام، أو منام، أو كلام بواسطة الملك؟ وهذا أظهر لثقتها بما أوحى إليها وامتنالها ما أمرت به. ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ أي: خفت أن يذبحه فرعون؛ لأنه كان يذبح أبناء بني إسرائيل لما أخبره الكهان أن هلاكه على يد غلام منهم. ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾ الالتقاط اللقاء من غير قصد، روي أن آسية امرأة فرعون رأت التابوت في البحر وهو النيل، فأمرت أن يساق لها ففتحته فوجدت فيه صبيا فأحبته، وقالت لفرعون: هذا قرّة عين لي ولك. ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ اللام العاقبة، وتسمى أيضا لام الصيرورة. ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ روي أن فرعون هم يذبحه إذ توهم أنه من بني إسرائيل، فقالت امرأته: لا تقتلوه. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: لا يشعرون أن هلاكهم يكون على يديه، والضمير الفاعل لفرعون وقومه. ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِحًا﴾ أي: ذاهلا لا عقل معها، وقيل: فارغا من الصبر، وقيل: فارغا من كل شيء إلا من هم موسى، وقيل: فارغا من وعد الله؛ أي: نسيت ما

إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠١﴾  
 وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهٖ فَبَصُرَتْ بِهِ، عَنْ جُنْبٍ وَهَمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٢﴾ \* وَحَرَمْنَا  
 عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ  
 نَاصِحُونَ ﴿١٠٣﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ، كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ  
 حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا  
 وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا  
 فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ، وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغْنَاهُ الَّذِي مِنْ  
 شِيعَتِهِ، عَلَىٰ الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ، فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ

أوحى إليها، وقيل: فارغا من الحزن؛ إذ لم يغرق؛ وهذا بعيد لما بعده، وقرئ "فرعا" بالزاي من الفزع. ﴿إن كادت لتبدي به﴾ أي: تظهر أمره، وفي الحديث: «كادت أم موسى أن تقول وابناء، وتخرج صائحة على وجهها». ﴿ربطنا على قلبها﴾ أي: رزقناها الصبر. ﴿لتكون من المؤمنين﴾ أي: من المصدقين بالوعد الذي وعدها الله. ﴿وقالت لأختيه قصيه﴾ أي: اتبعيه، والقص طلب الأثر، فخرجت أخته تبحث عنه في خفية. ﴿فبصرت به عن جنب﴾ أي: رآته من بعيد لم تقرب منه؛ لئلا يعلموا أنها أخته، وقيل: معنى "عن جنب" عن شوق إليه، وقيل: معناه أنها نظرت إليه كأنها لا تريده. ﴿وهم لا يشعرون﴾ أي: لا يشعرون أنها أخته. ﴿وحرمنا عليه المراضع﴾ أي: منع منها بأن بغضها الله له، و"المراضع" جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع، أو جمع مراضع بفتح الميم والضاد؛ وهو موضع الرضاع يعني الثدي. ﴿من قبل﴾ أي: من أول مرة. ﴿فقال هل أدلكم﴾ القائلة أخته تخاطب آل فرعون. ﴿فرددناه إلى أمه﴾ لما منعه الله من المراضع، وقالت أخته: ﴿هل أدلكم على أهل بيت﴾ الآية، جاءت بأمه فقبل ثديها، فقال لها فرعون: ومن أنت منه فما قبل ثدي امرأة إلا ثديك؟ فقالت: إني امرأة طيبة اللبن، فذهبت به إلى بيتها، وقرت عينها بذلك، وعلمت ﴿أن وعد الله حق﴾ في قوله "إن أرادوه إليك". ﴿بلغ أشده﴾ ذكر في يوسف. ﴿واستوى﴾ أي: كمل عقله، وذلك مع الأربعين سنة. ﴿ودخل المدينة﴾ يعني مصر، وقيل: قرية حوها؛ والأول أشهر. ﴿على حين غفلة﴾ قيل: في القائلة، وقيل: بين العشاءين، وقيل: يوم عيد، وقيل: كان قد جفا فرعون وخاف على نفسه، فدخل محتفيا متخوفا. ﴿هذا من شيعته﴾ الذي من شيعته من بني إسرائيل، والذي من عدوه من القبط. ﴿فوكرهه﴾ أي: ضربه، والوكز الدفع بأطراف الأصابع، وقيل: بجميع الكف. ﴿فقض عليه﴾ أي: قتله ولم يرد أن يقتله، ولكن وافقت وكزته الأجل، فندم

قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٥﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٦﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي آسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ﴿٥٧﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴿٥٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۗ إِنَّ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿٥٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٦٠﴾

وقال ﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ أي: إن الغضب الذي أوجب ذلك كان من الشيطان، ثم اعترف واستغفر فغفر الله له، فإن قيل: كيف استغفر من القتل وكان المقتول كافراً؟ فالجواب: أنه لم يؤذن له في قتله؛ ولذلك يقول يوم القيامة: ﴿إني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها﴾ [البخاري: 4435]. ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ الظهير المعين، والباء سببية، والمعنى: بسبب إنعامك علي لا أكون ظهيراً للمجرمين، فهي معاهدة عاهد عليها موسى ربه، وقيل: الباء باء القسم؛ وهذا ضعيف؛ لأن قوله "فلن أكون" لا يصلح لجواب القسم، وقيل: جواب القسم محذوف تقديره: وحق نعمتك لأتوبن فلن أكون ظهيراً للمجرمين، وقيل: الباء للتحليف؛ أي: اعصمني بحق نعمتك علي، فلن أكون ظهيراً للمجرمين، ويحتج بهذه الآية على المنع من صحبة ولاية الجور. ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ في الموضوعين، أي: يتحسس هل يطلبه أحد. ﴿يَسْتَصْرِخُهُ﴾ أي: يستغيث به، لقي موسى الإسرائيلي الذي قاتل القبطي بالأمس يقاتل رجلاً آخر من القبط، فاستغاث بموسى لينصره كما نصره بالأمس، فعظم ذلك على موسى، وقال له ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾. ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ الضمير في "أراد"، وفي "يبطش" لموسى، وفي ﴿قَالَ﴾ للإسرائيلي، والمعنى: لما أراد موسى أن يبطش بالقبطي الذي هو عدو له وللإسرائيلي، ظن الإسرائيلي أنه يريد أن يبطش به إذ قال له "إنك لغوي مبين"، فقال الإسرائيلي لموسى ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ وقيل: الضمير في "أراد" للإسرائيلي، والمعنى: فلما أراد الإسرائيلي أن يبطش موسى بالقبطي، ولم يفعل موسى ذلك لندامته على قتله الآخر بالأمس، فضحه الإسرائيلي، فقال له "أتريد أن تقتلني"، فاستهزأ به وقال: لا أريد أن أصل إلى فرعون. ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾ قيل: إنه مؤمن من آل فرعون، وقيل: غيره. ﴿يَسْعَى﴾ أي: يسرع في مشيه ليدرك موسى فينصحه. ﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ أي:

فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ۗ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١٠﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ۗ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ﴿١١١﴾ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۗ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۗ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِرَ الرِّعَاءَ ۗ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿١١٢﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿١١٣﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۗ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١٤﴾

يتشاورون، وقيل: يأمر بعضهم بعضا بقتلك كما قتلت القبطي. ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾ أي: قصد بوجهه ناحية مدين، وهي مدينة شعيب عليه السلام. ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: وسط الطريق، يعني طريق مدين إذ كان قد خرج فارا بنفسه، وكان لا يعرف الطريق، وبين مصر ومدين مسيرة ثمانية أيام، وقيل: أراد سبيل الهدى؛ وهذا أظهر، ويدل كلامه هذا على أنه كان عارفا بالله قبل نبوته. ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ أي: وصل إليه، وكان بئرا. ﴿يَسْقُونَ﴾ أي: يسقون مواشيهم. ﴿امْرَأَتَيْنِ﴾ روي أن اسمهما ليا وصفوريا، وقيل: صفرا وصفيرا. ﴿تَذُودَانِ﴾ أي: تمنعان الناس عن غنمهما، وقيل: تذودان غنمهما عن الماء حتى يسقي الناس؛ وهذا أظهر لقولهما ﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِرَ الرِّعَاءَ﴾ أي: كانت عاداتهما ألا يسقيا غنمهما إلا بعد الناس؛ لقوة الناس وضعفهما، أو لكراهتهما التزاحم مع الناس. ﴿يُصَدِرَ﴾ بضم الياء وكسر الدال، فعل متعد، والمفعول محذوف تقديره: يصدر الرعاء مواشيهم، وقرئ بفتح الياء وضم الدال؛ أي: ينصرفون عن الماء. ﴿شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ أي: لا يستطيع أن يباشر سقي غنمه، وهذا الشيخ هو شعيب عليه السلام في قول الجمهور، وقيل: ابن أخيه، وقيل: رجل صالح ليس من شعيب بنسب. ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ أدركته شفقتة عليهما فسقى غنمهما، وروي أنه كان على فم البير صخرة لا يرفعها إلا ثلاثون رجلا فرفعها وحده. ﴿تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ﴾ أي: جلس في الظل، وروي أنه كان ظل سمرة. ﴿إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ طلب من الله ما يأكله، وكان قد اشتد عليه الجوع. ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا﴾ قبل هذا كلام محذوف تقديره: فذهبتا إلى أبيهما سريعتين، وكانت عاداتهما الإبطاء في السقي، فأخبرتا بهما كان من سقي الرجل لهما، فأمر إحداهما أن تدعوه له فجاءته، واختلف هل التي جاءته الصغرى أو الكبرى؟ ﴿عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ﴾ روي أنها سترت وجهها بكم درعها، والمجرور يتعلق بما قبله، وقيل: بما بعده؛ وهو ضعيف. ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ أي: ذكر له قصته. ﴿لَا تَخَفْ﴾ أي: قد نجوت من فرعون وقومه؛ لأن بلد مدين لم تكن من ملك فرعون.

قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٦٨﴾ قَالَ إِنِّي  
أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِإِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَجًا ۖ فإِنْ أَتَمَمْتِ عَشْرًا  
فَمِنْ عِنْدِكَ ۖ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَلَيْهِ ۖ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٦٩﴾  
قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ  
وَكَافٍ ﴿٧٠﴾ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا  
قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ الْبَارِ لَعَلَّكُمْ  
تَصْطَلُونَ ﴿٧١﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ

﴿استأجره﴾ أي: اجعله أجيالاً لك ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ هذا الكلام حكمة جامعة بليغة، وروي أن أباهما قال لها: من أين عرفت قوته وأمانته؟ فقالت: أما قوته فمن رفعه الحجر من فم البئر، وأما أمانته فإنه لم ينظر إليها. ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِإِحْدَى ابْنَتَيَّ﴾ زوجها التي دعت، واختلف هل زوجه الكبرى أو الصغرى؟ واسم التي زوجه صفورة، وقيل: صفوريا، ومن لفظ شعيب حسن أن يقال في عقود الأنكحة: أنكحه إياها، أكثر من أن يقال: أنكحها إياه. ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَجًا﴾ أي: أزوجك بتسي علي أن تخدمني ثمانية أعوام، قال مكِّي: في هذه الآية خصائص في النكاح؛ منها أنه لم يعين الزوجة، ولا حدَّ أول الأمد، وجعل المهر إجارة، قلت: فأما التعيين، فيحتمل أن يكون عند عقد النكاح بعد هذه المرادة، وقد قال الزمخشري: إن كلامه معه لم يكن عقد نكاح، وإنما كان مواعدة، وأما ذكر أول الأمد، فالظاهر أنه من حين العقد، وأما النكاح بالإجارة فظاهر من الآية، وقد قرره شرعنا حسبما ورد في الحديث الصحيح من قوله ﷺ للرجل: «قد زوجتكها على ما معك من القرآن» [البخاري: 4741] أي: على أن تعلمها ما عندك من القرآن، وقد أجاز النكاح بالإجارة الشافعي، وابن حنبل، وابن حبيب للآية والحديث، ومنعه مالك. ﴿فَإِنْ أَتَمَمْتِ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ جعل الأعوام الثمانية شرطاً ووكلاً للعامين إلى مروءة موسى، فوفى له العشر، وقيل: وفي العشرة وعشرا بعدها؛ وهذا ضعيف لقوله ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ﴾ أي: الأجل المذكور. ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ الأهل هنا الزوجة مشى بها إلى مصر. ﴿جَذْوَةٍ﴾ أي: قطعة، ويجوز كسر الجيم وضمها، وقد ذكر ﴿آنَسَ﴾، و﴿الطُّورِ﴾، و﴿تَصْطَلُونَ﴾. ﴿شَاطِئِ الْوَادِ﴾ جانبه، و﴿الْأَيْمَنِ﴾ صفة للشاطئ وهو جانبه اليمين، ويحتمل أن يكون من اليمين فيكون صفة للوادي.

مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمُوسَىٰ إِيَّيَ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَأَنْ أَلْقِي عَصَاكَ فَلَمَّا  
 رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلِي مُدِيرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَىٰ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ  
 الْأَمِينِينَ ﴿١٤١﴾ أَسَلُّكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمُمِ إِلَيْكَ  
 جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ۖ فَذَانِكَ بُرْهَانِنِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ إِنَّهُمْ  
 كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٤٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤٣﴾  
 وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۗ إِنِّي أَخَافُ أَنْ  
 يُكَذِّبُونِ ۚ ﴿١٤٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعُلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا  
 بِمَا يَتَّبِعُنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ ﴿١٤٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا  
 هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرَىٰ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ  
 بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ ۚ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عٰقِبَةُ الدَّارِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ  
 ﴿١٤٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيهَا الْمَلَءُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلٰهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامٰنُ عَلَى  
 الطَّيْنِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أُطْعَمُ إِلَىٰ إِلٰهِ مُوسَىٰ ۗ

﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ روي: أنها كانت عوسجة. ﴿جَانٌّ﴾ ذكر في النمل. ﴿أَسَلُّكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ أي: أدخلها  
 فيه، والجيب هو فتح الجبة من حيث يخرج الإنسان رأسه. ﴿وَأَضْمُمِ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ الجناح اليد، أو الإبط،  
 أو العضد، أمره الله لما خاف من الحية أن يضمه إلى جنبه ليخف بذلك خوفه، فإن من شأن الإنسان إذا فعل  
 ذلك وقت فزعه أن يخف خوفه، وقيل: ذلك على وجه المجاز، وأن المعنى: أنه أمر بالعزم على ما أمر به كقولهم:  
 اشدد حيازيمك واربط جأشك. ﴿مِنَ الرَّهْبِ﴾ أي: من أجل الرهب، وهو الخوف، وفيه ثلاث لغات فتح  
 الرء والهء، وفتح الرء وإسكان الهء، وضم الرء وإسكان الهء. ﴿فَدَانِكَ بُرْهَانِنِ﴾ أي: حجتان، والإشارة  
 إلى العصا واليد. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ يتعلق بفعل محذوف يقتضيه الكلام. ﴿رِدْءًا﴾ أي: معينا، وقرئ بالهمز وبغير  
 همز على التسهيل من المهموز، أو يكون من أرديت؛ أي: زدت. ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ استعارة في المعونة.  
 ﴿بِأَيَاتِنَا﴾ يحتمل أن يتعلق بقوله ﴿نَجْعَلُ﴾، أو ﴿لَا يَصِلُونَ﴾، أو بـ ﴿الْغٰلِبُونَ﴾. ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامٰنُ عَلَى  
 الطَّيْنِ﴾ أي: اصنع الأجر لبنيان الصرح الذي رام أن يصعد منه إلى السماء، وروي أنه أول من عمل الأجر،



وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨﴾ وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٩﴾ فَأَخَذْتَهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يُدْعُونَ إِلَى الْبَارِئِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٢١﴾ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعَرَبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٢٤﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ۖ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٢٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَيْهِمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٦﴾

وكان هامان وزير فرعون؛ وانظر ضعف عقولها وعقول قومها، وجهلهم بالله تعالى في كونهم طمعوا أن يصلوا إلى السماء ببيان الصرح، وقدر وي أنه عمله، وصعد عليه ورمى بسهم إلى السماء، فرجع إليه مخضبا بدم، وذلك فتنة له ولقومه وتهكم بهم، ثم قال ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ يعني في دعوى الرسالة، والظن هنا يحتمل أن يكون على بابه، أو بمعنى اليقين. ﴿أَيُّمَّةٌ يُدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ أي: كانوا يدعون الناس إلى الكفر الموجب للنار. ﴿مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ أي: من المطرودين المبعدين، وقيل: قبحت وجوههم، وقيل: قبح ما يفعل بهم وما يقال لهم. ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعَرَبِيِّ﴾ خطاب لمحمد ﷺ، والمراد به إقامة حجته لإخباره بحال موسى وهو لم يحضره، و"العربي" المكان الذي في غرب الطور، وهو الذي كلم الله فيه موسى، والأمر المقضي إلى موسى هو النبوة، و﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ معناه: من الحاضرين هنالك. ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ المعنى: لم تحضريا محمد على هذه الغيوب التي تخبر بها، ولكنها صارت إليك بوحينا، فكان الواجب على الناس المسارعة إلى الإيمان بك، ولكن تطاول الأمر على القرون التي أنشأناها، فغابت عقولهم واستحكمت جهالتهم فكفروا بك، وقيل: المعنى لكننا أنشأنا قرونا بعد زمان موسى فتطاول عليهم العمر وطالت الفترة، فأرسلناك على فترة من الرسل. ﴿ثَاوِيًا﴾ أي: مقبيا. ﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ يعني تكليم موسى، والمراد بذلك إقامة حجة محمد ﷺ؛ لإخباره بهذه الأمور مع أنه لم يكن حاضرا حينئذ. ﴿وَلَكِنْ رَحْمَةً﴾ انتصب على المصدر، أو على أنه مفعول من أجله،

وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا  
فَتَنْبِئَ عَائِيَّتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا  
لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا  
سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ﴿١٨﴾ قُلْ فَاتُوا بِي كِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ  
مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩﴾ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ  
أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوِيَهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
الظَّالِمِينَ ﴿٢٠﴾ \* وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ  
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يَوْمِنُونَ ﴿٢٢﴾

والتقدير: ولكن أرسلناك رحمة منّا لك، أو رحمة للخلق بك. ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ "لو" هنا حرف امتناع،  
و"لولا" الثانية عرض وتحضيض، والمعنى: لولا أن تصيبهم مصيبة بكفرهم لم نرسل الرسل، وإنما أرسلناهم  
على وجه الإعذار إليهم وإقامة الحجة عليهم؛ لئلا يقولوا ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَنْبِئَ عَائِيَّتِكَ  
وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ يعني القرآن ونبوة محمد ﷺ. ﴿قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ  
مُوسَىٰ﴾ يعنون إنزال الكتاب عليه من السماء جملة واحدة، وقلب العصا حية، وفتح البحر، وشبه ذلك.  
﴿أَوْلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ هذا رد عليهم فيما طلبوا، والمعنى: أنهم قد كفروا بما أُوتِيَ موسى،  
فلو آتينا محمداً مثل ذلك لكفروا به، و"من قبل" على هذا يتعلق بقوله "أوتِيَ موسى"، ويحتمل أن يتعلق بقوله  
"أولم يكفروا" إن كانت الآية في بني إسرائيل؛ والأول أحسن. ﴿قَالُوا سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا﴾ يعنون موسى  
هارون، أو موسى ومحمداً ﷺ، والضمير في "أولم يكفروا" وفي "قالوا" لكفار قريش، وقيل: لأبائهم، وقيل:  
لليهود؛ والأول أصح؛ لأنهم المقصودون بالرد عليهم. ﴿فَاتُوا بِي كِتَابٍ﴾ أمر على وجه التعجيز لهم. ﴿أَهْدَىٰ  
مِنْهُمَا﴾ الضمير يعود على كتاب موسى وكتاب محمد ﷺ. ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ قد علم أنهم لا  
يستجيبون للإتيان بكتاب هو أهدى منهما أبداً، ولكنه ذكره بحرف "إن" مبالغة في إقامة الحجة عليهم كقوله  
﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾. ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ المعنى: إن لم يأتوا بكتاب، فاعلم أن كفرهم  
عناد واتباع لأهوائهم لا بحجة ولا برهان. ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ الضمير لقريش، وقيل: لليهود؛ والأول  
أظهر؛ لأن الكلام من أوله معهم، و"القول" هنا القرآن، و"وصلنا لهم" أبلغناهم ليتذكروا به، أو جعلناه  
موصلاً ببعضه ببعض. ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ يعني من أسلم من اليهود، وقيل: النجاشي وقومه،

وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ءَ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٧﴾ أُولَئِكَ يُوتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ وَأَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٦٠﴾ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفُ مِن أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا - أَمِنًا نُجِئِي إِلَىٰهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾

وقيل: نصارى نجران الذين قدموا على رسول الله ﷺ بمكة، وهم عشرون رجلا فأمنوا به، والضمير في "قبله" للقرآن، وقولهم ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ﴾ تعليل لإيمانهم، وقولهم ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ بيان؛ لأن إسلامهم قديم؛ لأنهم وجدوا ذكر محمد ﷺ في كتبهم قبل أن يبعث. ﴿أُولَئِكَ يُوتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين؛ رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم آمن بمحمد ﷺ، ورجل مملوك أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت له أمة فأعتقها وتزوجها» [البخاري: 2849]. ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ يعني صبرهم على إذابة قومهم لهم لما أسلموا، أو غير ذلك من أنواع الصبر. ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ أي: يدفعون، ويحتمل أن يريد بـ"السيئة" ما يقال لهم من الكلام القبيح، و"بالحسنة" ما يجاوبون به من الكلام الحسن، أو يريد سيئات أعمالهم وحسناتها؛ كقوله ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾. ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾ يعني ساقط الكلام. ﴿لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ وَأَعْمَالُكُمْ﴾ هذا على وجه التبري والبعد من القائلين للغو. ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ معناه هنا التاركة والمباعدة لا التحية، أو كأنه سلام الانصراف والبعد. ﴿لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ أي: لا نطلبهم للجدال والمراجعة في الكلام. ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ نزلت في أبي طالب إذ دعاه النبي ﷺ إلى أن يقول عند موته: «لا إله إلا الله»، فقال: لولا أن يعيرني بها قريش لأقررت بها عينك [مسلم: 25]، ومات على الكفر؛ ولفظ الآية مع ذلك على عمومته. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ لفظ عام، وقيل: أراد به العباس بن عبد المطلب. ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفُ مِن أَرْضِنَا﴾ القائلون لذلك قريش، وروي أن الذي قالها منهم الحارث بن عامر بن نوفل، و"الهدى" هو الإسلام، ومعناه: الهدى على زعمك، وقيل: إنهم قالوا: قد علمنا أن الذي تقول حق، ولكن إن اتبعناك تخطفنا العرب، أي: يهلكونا بالقتال لمخالفة دينهم. ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا - أَمِنًا﴾ هذا رد عليهم فيما اعتذروا به من تخطف الناس لهم، والمعنى: أن الحرم لا تتعرض له العرب بقتال، ولا يمكن الله أحدا من إهلاك أهله، فقد كانت العرب يغير بعضهم على بعض، وأهل الحرم آمنون من ذلك. ﴿نُجِئِي إِلَىٰهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: تجلب إليه الأرزاق مع أنه واد غير ذي زرع.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرْتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ  
 وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٢٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَا رَسُولًا يَتْلُوا  
 عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٢٩﴾ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ  
 فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٠﴾ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ  
 وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَّعَةً مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ  
 الْمُحْضَرِينَ ﴿٣١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٣٢﴾ قَالَ  
 الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا  
 كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ

﴿بَطَرْتْ مَعِيشَتَهَا﴾ معنى "بطرت" طغت وسفهت، و"معيشتها" نصب على التفسير، مثل ﴿سَفِهَ نَفْسَهُ﴾، أو على إسقاط حرف الجر تقديره: بطرت في معيشتها، أو يتضمن "بطرت" معنى كفرت. ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ يعني قليلا من السكنى، أو قليلا من الساكنين؛ أي: لم يسكنها بعد إهلاكها إلا مارا على الطريق ساعة. ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَا رَسُولًا﴾ أم القرى مكة؛ لأنها أول ما خلق الله من الأرض، ولأن فيها بيت الله، والمعنى: أن الله أقام الحجة على أهل القرى بأن بعث محمدا ﷺ في أم القرى، فإن كفروا أهلكتهم بظلمهم بعد البيان لهم وإقامة الحجة عليهم. ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ الآية، تحقير للدنيا وتزهيد فيها وترغيب في الآخرة. ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ﴾ الآية، إيضاح لما قبلها من البون بين الدنيا والآخرة، والمراد بمن "وعدناه" المؤمنون، وبمن "مَتَّعْنَاهُ" الكافرون، وقيل: محمد ﷺ وأبو جهل، وقيل: حمزة ؓ وأبو جهل؛ والعموم أحسن لفظا، ومعنى ﴿مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ أي: من المحضرين في العذاب. ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ العامل في الظرف مضمرة، وفاعل "ينادي" الله تعالى، ويحتمل أن يكون نداؤه بواسطة أو بغير واسطة، والمفعول به المشركون. ﴿أَيْنَ شُرَكَاءِيَ﴾ توبيخ للمشركين، ونسبهم إلى نفسه على زعمهم، ولذلك قال ﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾، فحذف المفعول تقديره: تزعمون أنهم شركاء لي، أو تزعمون أنهم شفعاء لكم. ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ معنى "حق" عليهم القول "وجب عليهم العذاب، والمراد بذلك رؤساء المشركين وكبرائهم، والإشارة بقولهم "هؤلاء الذين أغوينا" إلى أتباعهم من الضعفاء، فإن قيل: كيف الجمع بين قولهم ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ﴾ وبين قولهم ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾، فإنهم اعترفوا بإغوائهم وتبرؤوا مع ذلك منهم؟ فالجواب: أن إغواءهم لهم هو أمرهم لهم بالشرك، والمعنى: أنا حملناهم على الشرك كما حملنا أنفسنا عليه، ولكن لم يكونوا يعبدوننا إنما كانوا يعبدون غيرنا من الأصنام وغيرها، ف تبرأنا

لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ  
 الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ  
 يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ  
 سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ  
 ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ۗ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾  
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ

إليك من عبادتهم لنا، فتحصل من كلام هؤلاء الرؤساء أنهم اعترفوا أنهم أغوا الضعفاء، وتبرؤوا من أن يكونوا  
 هم اهتتم فلا تناقض في الكلام، وقد قيل في معنى الآية غير ذلك مما هو تكلف بعيد. ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ فيه  
 أربعة أوجه؛ الأول: أن المعنى "لو أنهم كانوا يهتدون" في الدنيا لم يعبدوا الأصنام، والثاني: "لو أنهم كانوا يهتدون" لم  
 يعذبوا، والثالث: "لو أنهم كانوا يهتدون" في الآخرة لحيلة يدفعون بها العذاب لفعلوها؛ فالـ"لو" على هذه الأقوال  
 حرف امتناع وجوابها محذوف، والرابع: أن يكون "لو" للتمني؛ أي: تمنوا لو كانوا مهتدين. ﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾  
 أي: أهل صدقتهم المرسلين، أو كذبتموهم. ﴿فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ﴾ "عميت" عبارة عن حيرتهم،  
 و"الانباء" الأخبار، أي: أظلمت عليهم الأمور فلم يعرفوا ما يقولون. ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي: لا يسأل بعضهم  
 بعضا عن الأنباء؛ لأنهم قد تساوا في الحيرة والعجز عن الجواب. ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ قيل: سببها  
 استغراب قريش لاختصاص محمد ﷺ بالنبوة، فالمعنى: أن الله يخلق ما يشاء ويختار لرسالته من يشاء من عباده؛  
 ولفظها أعم من ذلك، والأحسن حمله على عمومها، أي: يختار ما يشاء من الأمور على الإطلاق ويفعل ما يريد. ﴿مَا  
 كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ "ما" نافية، والمعنى: ما كان للعباد اختيار إنما الاختيار والإرادة لله وحده، فالوقف على قوله  
 "ويختار"، وقيل: إن "ما" مفعولة بـ"يختار"، ومعنى "الخيرة" على هذا الخير والمصلحة، وهذا يجري على قول المعتزلة؛  
 وذلك ضعيف لرفع "الخيرة" على أنها اسم "كان"، ولو كانت "ما" مفعولة لكان اسم "كان" مضمرا يعود على "ما"  
 وكانت "الخيرة" منصوبة على أنها خبر "كان"، وقد اعتذر عن هذا من قال إن "ما" مفعولة بأن قال تقدير الكلام:  
 يختار ما كان لهم الخيرة فيه ثم حذف الجار والمجرور؛ وهذا ضعيف، وقال ابن عطية: يتجه أن تكون "ما" مفعولة  
 إذا قدرنا "كان" تامة، ويوقف على قوله "ما كان"؛ أي: يختار كل كائن، ويكون "لهم الخيرة" جملة مستأنفة؛ وهذا  
 بعيد جدا. ﴿يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ أي: ما تخفيه قلوبهم، وعبر عن القلب بالصدر لأنه يحتوي عليه. ﴿لَهُ الْحَمْدُ  
 فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ﴾ قيل: إن "الحمد" في "الآخرة" قولهم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدُّهُ﴾، أو قولهم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ  
 الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾، وفي ذكر "الآخرة" مع "الاولى" مطابقة. ﴿سَرْمَدًا﴾ أي: دائما، والمراد بهذه الآيات إثبات

يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٦٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى  
يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَلِيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمِنْ  
رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦٨﴾  
وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٩﴾ وَتَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ  
شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٠﴾ \*  
إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مَوْسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ  
بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧١﴾ وَابْتَغِ فِيمَا  
ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۗ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۗ

الوحدانية وإبطال الشرك، فإن قيل: كيف قال ﴿يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ﴾، وهلا قال: يأتيكم بنهار في مقابلة قوله ﴿يَأْتِيكُمْ  
بِلَيْلٍ﴾؟ فالجواب: أنه ذكر الضياء لكثرة ما فيه من المنافع والعبء. ﴿تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ أي: في الليل. ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ  
فَضْلِهِ﴾ في النهار؛ ففي الآية لف ونشر. ﴿وَتَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ أي: أخرجنا من كل أمة شهيدا منهم يشهد  
عليهم بأعمالهم، وهو نبيهم لأن كل نبي يشهد على أمته. ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ أي: هاتوا حجتكم على ما كنتم عليه  
من الكفر، وذلك إعدار لهم وتوبيخ وتعجيز. ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مَوْسَىٰ﴾ أي: من بني إسرائيل، وكان ابن  
عم موسى، وقيل: ابن عمته، وقيل: ابن خالته. ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي: تكبر وطغى، ومن ذلك كفره بموسى عليه  
السلام. ﴿وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ﴾ المفاتيح هي التي يفتح بها، وقيل: هي الخزائن؛  
والأول أظهر، و"العصبة" جماعة الرجال من العشرة إلى الأربعين، و"تنوء" معناه: تثقل، يقال: ناء به الحمل إذا  
أثقله، وقيل: معنى "تنوء" تنهض بتحمل وتكلف، والوجه على هذا أن يقال: إن العصبة تنوء بالمفاتيح لكنه قلب  
كما جاء قلب الكلام عن العرب كثيرا، ولا يحتاج إلى قلب على القول الأول. ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ الفرح هنا هو الذي  
يقود إلى الإعجاب والطغيان، ولذلك قال ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ وقيل: إنه السرور بالدنيا؛ لأنه لا يفرح بها  
إلا من غفل عن الآخرة، ويدل على هذا قوله ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ﴾. ﴿وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾  
أي: اقصد الآخرة بما أعطاك الله من المال، وذلك بفعل الحسنات والصدقات. ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أي:  
لا تضيع حظك من دنياك وتمتع بها مع عملك للآخرة، وقيل: معناه لا تضيع عمرك بترك الأعمال الصالحات؛ فإن  
حظ الإنسان من الدنيا إنما هو بما يفعل فيها من الخير؛ فالكلام على هذا واعظ، وعلى الأول إباحة للتمتع بالدنيا؛ لتلا  
ينفر عن قبول الموعظة. ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ أي: أحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك بالغنى.

وَلَا تَبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ  
عِنْدِي ۗ أَوْلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً  
وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۗ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ  
قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ  
عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ اللَّهُ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا  
وَلَا يُلْقِيهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ  
يَنْصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾

﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ لما وعظه قومه أجابهم بهذا على وجه الرد عليهم والروغان عما ألزموه من الموعظة، والمعنى: أن هذا المال إنما أعطاه الله لي بالاستحقاق له بسبب علم عندي استوجبه به، واختلف في هذا العلم، فقيل: إنه علم الكيمياء، وقيل: التجارب للأموال والمعرفة بالمكاسب، وقيل: حفظه التوراة؛ وهذا بعيد لأنه كان كافرا، وقيل: المعنى إنما أوتيته على علم من الله، وتخصيص خصني به، ثم جعل قوله "عندي" كما تقول: في ظني واعتقادي. ﴿ أَوْلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ ﴾ هذا رد عليه في اغتراره بالدنيا. ﴿ وَأَكْثَرُ جَمْعًا ﴾ يعني جمعا للمال، أو جمعا للخدم؛ والأول أظهر. ﴿ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ في معناه قولان؛ أحدهما: أنه متصل بما قبله، والضمير في "ذنوبهم" يعود على القرون المتقدمة، و"المجرمون" من بعدهم؛ أي: لا يسأل المجرمون عن ذنوب من تقدمهم من الأمم الهالكة؛ لأن كل واحد إنما يسأل عن ذنوبه خاصة، والثاني: أنه إخبار عن حال المجرمين في الآخرة، وأنهم لا يسألون فيها عن ذنوبهم؛ لأنهم يدخلون النار من غير حساب؛ والصحيح أنهم يحاسبون على ذنوبهم ويسألون عنها لقوله ﴿ قَوْمَكَ لَسَأَلْتَهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾، وإنما هذا السؤال المنفي السؤال على وجه الاختبار وطلب التعريف؛ لأنه لا يحتاج إلى سؤالهم على هذا الوجه لكن يسألون على وجه التوبيخ، وحيثما ورد في القرآن إثبات السؤال في الآخرة، فهو على معنى المحاسبة والتوبيخ، وحيثما ورد نفيه فهو على وجه الاستخبار والتعريف، ومنه: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَن ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾. ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ قيل: في ثياب حر، وقيل: في عبيده وحاشيته؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿ وَيَلَكُمْ ﴾ زجر للذين تمنوا مثل حال قارون. ﴿ وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ الضمير عائد على الخصال التي دل عليها الكلام المتقدم وهي: الإيثار والعمل الصالح، وقيل: على الكلمة التي قالها الذين أوتوا العلم، أي: لا تصدر هذه الكلمة إلا عن الصابرين، والصبر هنا هو إمساك النفس عن الدنيا وزينتها. ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾ روي: أن قارون لما بغى على بني إسرائيل وأذى موسى دعا موسى عليه، فأوحى الله إليه: قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه وفي أتباعه،

وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآئُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَآئُهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٦﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٧﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّا ۖ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٩﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴿٩٠﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٩٢﴾

فقال موسى: يا أرض خذتهم! فأخذتهم إلى الركب فاستغاثوا بموسى، فقال: يا أرض خذهم! فأخذتهم حتى تم بهم الخسف. ﴿مَكَانَهُ﴾ أي: منزلته في المال والعزة. ﴿بِالْأَمْسِ﴾ يحتمل أن يراد به اليوم الذي قبل ذلك اليوم، أو ما تقدم من الزمان القريب. ﴿وَيَكَآئُ﴾ مذهب سيويه أن "وي" حرف تنبيه ثم ذكرت بعدها "كأن"، والمعنى على هذا: أنهم تنبهوا لخطئهم في قولهم "يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون"، ثم قالوا ﴿كَآئُ اللَّهِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ أي: ما أشبه الحال بهذا، وقال الكوفيون: "ويك" هي ويك حذف منها اللام لكثرة الاستعمال ثم ذكرت بعدها "أن"، والمعنى: ألم تعلموا أن الله، وقيل: "ويكأن" كلمة واحدة معناها ألم تعلم. ﴿عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: تكبرا وطغيانا لا رفعة المنزلة، فإن إرادتها جائزة. ﴿فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ أي: أنزله عليك وأثبتته، وقيل: المعنى أعطاك القرآن؛ والمعنى متقارب، وقيل: فرض عليك أحكام القرآن فهو على حذف مضاف. ﴿لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ المعاد الموضع الذي يعاد إليه، فقيل: يعني مكة، ونزلت الآية حين الهجرة، وفيها وعد بالرجوع إلى مكة وفتحها، وقيل: يعني الآخرة، ففيها إعلام بالحشر، وقيل: يعني الجنة. ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ أي: ما كنت تطمع أن تنال النبوة ولا أن ينزل عليك الكتاب، ولكن الله رحمك بذلك، أو رحم الناس بنبوتك، والاستثناء بمعنى لكن فهو منقطع، ويحتمل أن يكون متصلا، والمعنى: ما أنزل عليك الكتاب إلا رحمة من ربك لك أو للناس، و﴿رَحْمَةً﴾ على هذا مفعول من أجله، أو حال، وعلى الأول منصوب على الاستثناء. ﴿وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يحتمل أن يكون من الدعاء بمعنى الرغبة، أو من دعوة الناس إلى الإيمان بالله؛ فالمفعول محذوف على هذا تقديره: ادع الناس. ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ أي: ولا تعبد مع الله إلها آخر. ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ أي: إلا إياه، والوجه هنا عبارة عن الذات.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَمْ ﴿١﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا ۗ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ وَأَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ۗ

## سورة العنكبوت

﴿الم﴾ ذكر في البقرة. ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا﴾ الآية، نزلت في قوم من المؤمنين كانوا بمكة مستضعفين؛ منهم عمار بن ياسر وغيره رضي الله عنه، وكان كفار قريش يؤذونهم ويعذبونهم على الإسلام، فضاقت صدورهم بذلك فأنسهم الله بهذه الآية، ووعظهم، وأخبرهم أن ذلك اختبار ليوطنوا أنفسهم على الصبر على الأذى والثبوت على الإيمان، فأعلمهم تعالى أن تلك سيرته في عباده يسقط الكفار على المؤمنين ليمحصهم بذلك، ويظهر الصادق في إيمانه من الكاذب، ولفظها مع ذلك عام؛ فحكمها على العموم في كل من أصابته فتنة من مصيبة، أو مضرة في النفس والمال وغير ذلك، ومعنى "حسب" ظن، و"أن يتركوا" مفعولها، والهمزة للإنكار. ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ في موضع الحال من الضمير في "يتركوا"، تقديره: غير مفتونين، و﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ تعليل في موضع المفعول من أجله. ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ أي: يعلم صدقهم علما ظاهرا في الوجود، وقد كان علمه في الأزل، والصدق والكذب في الآية يعني بها صحة الإيمان والثبوت عليه، أو ضد ذلك. ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا﴾ "أم" معادلة لقوله "أحسب الناس"، والمراد ب"الذين يعملون السيئات" الكفار الذين يعذبون المؤمنين؛ ولفظها مع ذلك عام في كل كافر وعاص، ومعنى "يسبقونا" يفوتون عقابنا ويعجزوننا؛ فمعنى الكلام نفي سبقهم، كما أن معنى الآية قبلها نفي ترك المؤمنين بغير فتنة. ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾ الآية، تسلية للمؤمنين ووعدهم بالخير في الآخرة، والرجاء هنا على بابه، وقيل: هو بمعنى الخوف، و﴿أَجَلَ اللَّهِ﴾ الموت، ومعنى ﴿لَآتٍ﴾ قريب الإتيان؛ فإن كل ما هو آت قريب، ومعنى الآية، من كان يرجو ثواب الله فليصبر في الدنيا حتى يلقي الله فيجزيه؛ فإن لقاء الله قريب. ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ أي: منفعة جهاده إنما هي لنفسه؛ فإن الله لا ينفعه طاعة العباد، والجهاد هنا محتمل أن يراد به القتال أو جهاد النفس. ﴿حُسْنًا﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره: وصينا الإنسان يفعل بوالديه حسنا، أو مصدرا من معنى "وصينا"؛ أي: وصية حسنة.

وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۗ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنْتَبِهُمَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿١١﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولَنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۗ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٢﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ ۖ مِنْ خَطَايَهُمْ مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٤﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَاهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ۖ فَلَبِثَ فِيهِمْ ٢٠٠ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٦﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ ۖ وَجَعَلْنَاهَا ءَايَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ۖ

﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي﴾ الآية نزلت في سعد بن أبي وقاص ؓ؛ فإنه لما أسلم حلفت أمه أن لا تستظل بظل حتى يكفر، وقيل: نزلت في غيره ممن جرى له مثل ذلك، فأمرهم الله بالثبوت على الإسلام، وألا يطيعوا الوالدين إذا أمرهم بالكفر، وعبر عن أمر الوالدين بالجهاد مبالغة. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ نزلت في قوم كانوا مؤمنين بألسنتهم، فإذا عذبهم الكفار رجعوا عن الإيمان، فإذا نصر الله المؤمنين قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾، فمعنى ﴿أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾: أُوذِيَ بسبب إيمانه بالله، و﴿فِتْنَةَ النَّاسِ﴾ تعذيبهم، وقيل: إنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخى أبي جهل لأمه. ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ أي: قال الكفار للمؤمنين: اكفروا كما كفرنا ونحمل عنكم الإثم والعقاب إن كان، وروي أن قائل هذه المقالة الوليد بن المغيرة، حكاه المهدي، وقولهم: ﴿وَلْنَحْمِلْ﴾ جزاء قولهم "اتبعوا سبيلنا"، ولكنهم ذكروه على وجه الأمر للمبالغة، ولما كان معناه الخبر صح تكذيبهم فيه، أخبره الله أنهم كاذبون؛ أي: لا يحملون أوزار هؤلاء، بل يحملون أوزار أنفسهم وأوزار أتباعهم من الكفار. ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ ٢٠٠ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ الظاهر أنه لبث هذه المدة بعد بعثه، ويحتمل أن يكون ذلك من أول ولادته، وروي أنه بعث وهو ابن أربعين سنة، وأنه عمّر بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة، فإن قيل: لم قال "ألف سنة"، ثم قال "خمسين عاما"، فاختلف اللفظ مع اتفاق المعنى؟ فالجواب: أن ذلك كراهة لتكرار لفظ السنة، فإن التكرار مكروه إلا إذا قصد به تفخيم أو تهويل. ﴿وَجَعَلْنَاهَا ءَايَةً﴾

ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا  
وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا  
عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِن تَكْذِبُوا فَقَدْ  
كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۗ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٦٣﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ  
يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٦٤﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ  
فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ  
﴿٦٥﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ ۗ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٦٦﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي  
الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٦٧﴾

يحتمل أن يعود الضمير على السفينة، أو على النجاة، أو على القصة بأكملها. ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ هو من الخلقه يريد به نحت الأصنام؛ فسماه خلقه على وجه التجوز، وقيل: هو من اختلاق الكذب. ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ الآية، احتجاج على الوحداية ونفي الشركاء، فإن قيل: لم نكر الرزق أو لا ثم عرفه في قوله: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾؟ فالجواب: أنه نكره في قوله "لا يملكون لكم رزقا" لقصد العموم في النفي، فإن النكرة في سياق النفي تقتضي العموم، ثم عرفه بعد ذلك لقصد العموم في طلب الرزق كله من الله؛ لأنه لا يقتضي العموم في سياق الإثبات إلا مع التعريف، فكأنه قال: ابتغوا الرزق كله عند الله. ﴿وَإِن تَكْذِبُوا﴾ الآية، يحتمل أن تكون من كلام إبراهيم، أو من كلام الله تعالى، ويحتمل مع ذلك أن يراد به وعيد الكفار وتهديدهم، أو يراد به تسلية النبي ﷺ عن تكذيب قومه له بالتأسي بغيره من الأنبياء الذين كذبهم قومهم. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ يقال: بدأ الله الخلق وأبداه بمعنى واحد، وقد جاءت اللغتان في هذه السورة، والمعنى: أولم ير الكفار أن الله خلق الخلق، فيستدلون بالخلق الأولى على الإعادة في الحشر، فقوله ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ ليس بمعطوف على "يبدئ"؛ لأن المعنى فيها مختلف؛ لأن رؤية البداءة بالمشاهدة بخلاف الإعادة، فإنها تعلم بالنظر والاستدلال، وإنما هو معطوف على الجملة كلها، وقد قيل: إنه يريد إعادة النبات وإبدائه، وعلى هذا يكون "ثم يعيده" عطفًا على "يبدئ" لاتفاق المعنى؛ والأول أحسن وأليق بمقاصد الكلام. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يعني إعادة الخلق وهي حشرهم، ثم أمرهم بالسير في الأرض ليروا مخلوقات الله فيستدلوا بها على قدرته على حشرهم؛ ولذلك ختمها بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ أي: ترجعون. ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: لا تفوتون من عذاب الله، وليس لكم مهرب في

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٢﴾  
 فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ  
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ  
 بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم  
 بَعْضًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّصِيرِينَ ﴿١٤﴾ \* فَمَنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ  
 إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٥﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ  
 وَالْكِتَابَ وَعَاتَيْنَاهُ أُجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٦﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ  
 لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾  
 أَبْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرَّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا  
 كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨﴾ قَالَ  
 رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٩﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ

الأرض ولا في السماء. ﴿أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي﴾ يحتمل أن يئسوا في الآخرة، أو يكون وصفا لحالهم في الدنيا؛ لأن الكافر يئس من رحمة الله، والمؤمن راج خائف، وهذا الكلام من قوله "أولم يروا" إلى هنا يحتمل أن يكون خطابا لمحمد ﷺ معترضاً بين قصة إبراهيم، ويحتمل أن يكون خطاباً لإبراهيم وبعد ذلك ذكر جواب قومه له. ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ نصب "مودة" على أنها مفعول من أجله، أو مفعول ثانٍ "لاتخذتم"، ورفعها على أنها خبر ابتداء مضمرة أو خبر "إن"، وتكون "ما" موصولة، ونصب "بينكم" على الظرفية وخفضه بالإضافة. ﴿فَمَنْ لَهُ لُوطٌ﴾ تضمن "آمن" معنى انقاد، ولذلك تعدى باللام. ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ القائل لذلك إبراهيم، وقيل: لوط، وهاجرا من بلادهما من أرض بابل إلى الشام. ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ أكثر الأنبياء من ذرية إبراهيم، وعلى ذريته أنزل الله التوراة والإنجيل والزرور والفرقان. ﴿وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ قيل: أراد قطع الطريق للسلب والقتل، وقيل: أراد قطع سبيل النسل بترك النساء وإتيان الرجال. ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ النادي المجلس الذي يجتمع فيه الناس، و"المنكر" فعلهم بالرجال، وقيل: إذايتهم للناس. ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ﴾ الرسل هنا الملائكة، و"البشرى" بشارة إبراهيم بالولد، وهو قوله ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾، أو بشارته بنصر لوط؛ والأول أظهر.

قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٦٠﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا  
 قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦١﴾ وَلَمَّا  
 أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا  
 مُنْجِيُكَ وَأَهْلِكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٢﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ  
 هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٦٣﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً  
 بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا  
 الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٥﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا  
 فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٦٦﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّنْ مَّسَاكِينِهِمْ وَزَيْنَ  
 لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٦٧﴾ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ  
 وَهَامَانَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَالِقِينَ  
 ﴿٦٩﴾ فَكَلَّمْنَا بَدْنِيَّةً ﴿٧٠﴾ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ

﴿أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ هي قرية لوط. ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ ليس إخباراً بأنه فيها، وإنما قصد نجاة لوط من العذاب الذي يصيب أهل القرية وبراءته من الظلم الذي وصفوه به، فكأنه قال: كيف تهلكون أهل القرية وفيهم لوط؟ وكيف تقولون إنهم ظالمون وفيهم لوط؟ ﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ قد ذكر، وكذلك ﴿سِيءَ بِهِمْ﴾. ﴿رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ أي: عذاباً. ﴿وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ قيل: الرجاء هنا بمعنى الخوف، وقيل: هو على بابه. ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني نقصهم المكيال والميزان. ﴿الرَّجْفَةُ﴾ هي الصيحة. ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّنْ مَّسَاكِينِهِمْ﴾ أي: إن آثار مساكنهم باقية تدل على ما أصابهم. ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ قيل: معناه لهم بصيرة في كفرهم وإعجاب به، وقيل: لهم بصيرة في الإيمان، ولكنهم كفروا عنادا، وقيل: معنى "مستبصرين" عقلاء متمكنين من النظر والاستدلال، ولكنهم لم يفعلوا. ﴿وَمَا كَانُوا سَالِقِينَ﴾ أي: لم يفتتوا. ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ الحاصب الحجارة، والحاصب أيضا الريح الشديدة، فيحتمل عندي أنه أراد به المعنيين؛ لأن قوم لوط أهلكوا بالحجارة، وعادا أهلكوا بالريح، وإن حملناه على المعنى الواحد نقص ذكر الآخر، وقد أجاز كثير من الناس استعمال اللفظ الواحد في معنيين كقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾، ويقوى ذلك هنا؛ لأن المقصود ذكر عموم أخذ أصناف الكفار. ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ يعني ثمود ومدين.

وَمِنْهُمْ مَّنْ حَسَفْنَا بِهِ الْآرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَفْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ  
 وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ  
 كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا  
 يَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ  
 ﴿١٦﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿١٧﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾ أَتَى مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ  
 وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ  
 مَا تَصْنَعُونَ ﴿١٩﴾ \* وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَسَفْنَا بِهِ الْآرْضَ ﴾ يعني فارون. ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَفْنَا ﴾ يعني قوم نوح، وفرعون وقومه. ﴿ مَثَلُ  
 الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾ شبه الله الكفار في عبادتهم للأصنام  
 بالعنكبوت في بنائها بيتا ضعيفا، فكما أن ما اعتمدت عليه العنكبوت من بيتها ليس بشيء، كذلك ما اعتمد  
 عليه الكفار من آلهتهم ليس بشيء لأنهم لا ينفعون ولا يضررون. ﴿ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ ﴾ أي: أضعفها. ﴿ لَوْ كَانُوا  
 يَعْلَمُونَ ﴾ أي: لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم. ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ "ما" موصولة  
 بمعنى الذي، مفعولة للفعل الذي قبلها، وقيل: هي نافية والفعل معلق عنها، والمعنى على هذا: لستم تدعون  
 من دون الله شيئا له بال، فيصلح أن يسمى شيئا. ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ أي: بالواجب، لا على وجه العبث واللعب. ﴿ إِنَّ  
 الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ إذا كان المصلي خاشعا في صلاته متذكرا العظمة من وقف بين يديه، حمله  
 ذلك على التوبة من الفحشاء والمنكر؛ فكان الصلاة ناهية عن ذلك. ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ قيل: فيه ثلاثة معان؛  
 الأول: أن المعنى أن الصلاة أكبر من غيرها من الطاعات، وسماها بـ"ذكر الله"؛ لأن ذكر الله أعظم ما فيها،  
 وكأنه أشار بذلك إلى تعليل نهيها عن الفحشاء والمنكر، لأن ذكر الله فيها هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر.  
 الثاني: أن ذكر الله على الدوام أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من الصلاة؛ لأنها في بعض الأوقات دون  
 بعض. الثالث: أن ذكر الله أكبر أجرا من الصلاة ومن سائر الطاعات، كما ورد في الحديث: «ألا أنبئكم بخير  
 أعمالكم؟» قالوا: بلى! قال: «ذكر الله» [الترمذي: 3377]. ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ أي: لا  
 تجادلوا كفار أهل الكتاب إذا اختلفتم معهم في الدين إلا بالتي هي أحسن، لا بضرب ولا قتال، وكان هذا قبل  
 أن يفرض الجهاد ثم نسخ بالسيف. ومعنى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ الذين ظلموكم، أو صرحوا بإذابة نبيكم ﷺ،

وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ  
 ﴿١٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمِنْ  
 هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ۖ وَمَا تَجْحَدُ بِفَاتِنَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿١٧﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ  
 مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ بِيَمِينِكَ ۖ إِذَا لَأَزْتَابِ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي  
 صُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ۖ وَمَا تَجْحَدُ بِفَاتِنَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْلَا  
 أَنْزَلَ عَلَيْهِ ءَايَاتٌ مِنْ رَبِّهِ ۖ قُلْ إِنَّمَا آيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٠﴾ أَوْلَمْ  
 يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ وَإِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ  
 لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢١﴾

وقيل: معنى الآية: لا تجادلوا من أسلم من أهل الكتاب فيما حدثوكم به من الأخبار إلا بالتي هي أحسن، ومعنى  
 "إلا الذين ظلموا" على هذا: من بقي منهم على كفره؛ والمعنى الأول أظهر. ﴿وَقُولُوا ءَامَنَّا﴾ هذا وما بعده يقتضي  
 موادعة ومسألة، وهي منسوخة بالسيف، ويقضي أيضا الإعراض عن مكالمتهم، وفي الحديث: «لا تصدقوا أهل  
 الكتاب ولا تكذبوهم»، ﴿وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ [البخاري: 4215]؛ فإن كان باطلا لم  
 تصدقه، وإن كان حقا لم تكذبه. ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ أي: كما أنزلنا الكتاب على من قبلك أنزلناه  
 عليك. ﴿فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ يعني عبد الله بن سلام رضي الله عنه، وأمثاله ممن أسلم من اليهود والنصارى. ﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ  
 يُؤْمِنُ بِهِ﴾ أراد بالذين أوتوا الكتاب أهل التوراة والإنجيل، وأراد بقوله "ومن هؤلاء من يؤمن به" كفار قريش،  
 وقيل: أراد بالذين أوتوا الكتاب المتقدمين من أهل التوراة والإنجيل، وأراد بـ"هؤلاء" المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم  
 كعبد الله بن سلام رضي الله عنه. ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ﴾ هذا احتجاج على أن القرآن من عند الله؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم  
 كان لا يقرأ ولا يكتب ثم جاء بالقرآن، فإن قيل: ما فائدة قوله: ﴿بِيَمِينِكَ﴾؟ فالجواب: أن ذلك تأكيد للكلام  
 وتصوير للمعنى المراد. ﴿إِذَا لَأَزْتَابِ الْمُبْطِلُونَ﴾ أي: لو كنت تقرأ أو تكتب لتطرق الشك إلى الكفار، وكانوا  
 يقولون: لعله تعلم هذا الكتاب أو قرأه، وقيل: وجه الاحتجاج أن أهل الكتاب كانوا يجدون في كتبهم أن النبي صلى الله عليه وسلم  
 أمي لا يقرأ ولا يكتب، فلما جعله الله كذلك قامت عليهم الحجة، ولو كان يقرأ أو يكتب لكان مخالفا للصفة التي  
 وصفه الله بها عندهم؛ والمذهب الصحيح: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقرأ قط ولا كتب، وقال الباجي وغيره: إنه كتب لظاهر  
 حديث الحديبية؛ وهذا القول ضعيف. ﴿بَلْ هُوَ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ الضمير للقرآن، والإضراب بـ"بل" عن كلام  
 محذوف تقديره: ليس الأمر كما حسب المبطلون والظالمون. ﴿أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ المعنى:

قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَنِيَّ وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبٰطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ اُولٰٓئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ۗ وَلَوْلَا اَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَآءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٧﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَاِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيْطَةٌ بِالْكَٰفِرِيْنَ ﴿٥٨﴾ يَوْمَ يَغْشٰهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ اَرْضِهِمْ وَيَقُوْلُوْا ذُوْقُوْا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ ﴿٥٩﴾ يٰۤعِبَادِىَ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا اِنَّ اَرْضِىْ وَاِسْعَةٌ فَاِتٰى فَاَعْبُدُوْنِ ﴿٦٠﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذٰۤئِقَةُ الْمَوْتِ ۗ ثُمَّ اِلَيْنَا تُرْجَعُوْنَ ﴿٦١﴾ وَالَّذِيْنَ ءَامَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرٰى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا ۗ نِعْمَ اَجْرُ الْعٰمِلِيْنَ ﴿٦٢﴾ الَّذِيْنَ صَبَرُوْا وَعَلٰى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُوْنَ ﴿٦٣﴾ وَكَآئِن مِّنْ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ۗ اللّٰهُ يَرْزُقُهَا وَاِيَّاكُمْ ۗ وَهُوَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ ﴿٦٤﴾ وَلٰٓئِن سَاَلْتَهُمْ مِّنْ حَلَقِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُوْلُنَّ اللّٰهُ ۗ فَاِنِّىْ يُوفِىْكُمْ ﴿٦٥﴾ اللّٰهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَيَقْدِرُ لَهُ ۗ اِنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ ﴿٦٦﴾

كيف يطلبون آية والقرآن أعظم الآيات وأوضحها دلالة على صحة النبوة، فهلا اكتفوا به عن طلب الآيات؟ ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ﴾ ذكر معناه في الرد والأنعام. ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ الضمير للكفار، يعني قولهم ﴿اَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾، وقولهم ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾، وشبه ذلك. ﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أي: لولا أن الله قدر لعذابهم أجلا مسمى لعاجلهم به حين طلبوه. ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً﴾ يحتمل أن يريد القتل الذي أصابهم يوم بدر، أو الجوع الذي أصابهم بتوالي القحط، أو يريد عذاب الآخرة؛ وهذا أظهر لقوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيْطَةٌ بِالْكَٰفِرِيْنَ﴾. ﴿يَوْمَ يَغْشٰهُمْ الْعَذَابُ﴾ أي يحيط بهم، والعامل في الظرف محذوف أو "محيطة". ﴿إِنَّ أَرْضِيْ وَاِسْعَةٌ﴾ تحريض على الهجرة من مكة إذ كان المؤمنون يلقون فيها أذى الكفار، وترغيبا في غيرها من أرض الله، فحينئذ هاجروا إلى أرض الحبشة ثم إلى المدينة. ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ أي: ننزلهم، وقرئ "لثوينهم" بالثاء المثلثة من الثوى؛ وهو الإقامة في المنزل. ﴿وَكَآئِن مِّنْ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ أي: كم من دابة ضعيفة لا تقدر على حمل رزقها، ولكن الله يرزقها مع ضعفها، والقصد بالآية تقوية لقلوب المؤمنين إذ خافوا الجوع والفقر في الهجرة إلى بلاد الناس، أي: كما يرزق الله الحيوانات الضعيفة، كذلك يرزقكم إذا هاجرتم من بلادكم. ﴿وَلٰٓئِن سَاَلْتَهُمْ﴾ في الموضوعين: إقامة الحجة عليهم. ﴿فَاِنِّىْ يُوفِىْكُمْ﴾ أي: كيف يصرفون عن الحق.



وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مِّن نَّزْلِ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولَنَّ اللَّهُ  
قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ  
وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۗ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ  
دَعَاؤُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٨﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا  
ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا ۗ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مِّنَّا وَيَتَخَطَّفُ  
النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۗ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِإِنْعَامِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٤٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى  
عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٤١﴾  
وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٢﴾

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حمد لله على ظهور الحجة، أو يكون المعنى: إلزامهم أن يحمداوا الله لما اعترفوا أنه خلق  
السموات والأرض. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ إضراب عن كلام محذوف تقديره: يجب عليهم أن يعبدوا الله  
لما اعترفوا به ولكنهم لا يعقلون. ﴿لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ أي: الحياة الدائمة التي لا موت فيها، ولفظ "الحيوان"  
مصدر كالحياة. ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ﴾ الآية، إقامة الحجة عليهم بدعائهم لله حين الشدائد، ثم يشركون به  
في حال الرخاء. ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ أمر على وجه التهديد، أو على وجه الخذلان والتخلية، كما تقول لمن تنصحه فلا  
يقبل نصحك: اعمل ما شئت. ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مِّنَّا﴾ الضمير لقريش، والحرم الآمن مكة؛  
لأنها كانت لا تغير عليها العرب كما تغير على سائر البلاد، ولا ينتهك أحد حرمتها. ﴿وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ  
حَوْلِهِمْ﴾ عبارة عما يصيب غير أهل مكة من القتل وأخذ الأموال. ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ يعني: جهاد  
الأنفس في الصبر على إذابة الكفار، واحتمال الخروج عن الأوطان وغير ذلك، وقيل: يعني القتال؛ وذلك  
ضعيف؛ لأن القتال لم يكن مأمورا به حين نزول الآية. ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي: لنوفقنهم لسبيل الخير.  
﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ المعنى: أنه معهم بإعانتة ونصرته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلَمْ ۝ غَلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۝ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ۝ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بَنَصَرَ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ۝ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ وَعَدَّ اللَّهُ لَا تُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ۝ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ۝ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ۝

سورة الروم

﴿ غَلِبَتِ الرُّومُ ﴾ أي: هَزَمَ كسرى ملك الفرس جيش ملك الروم، وسميت الروم باسم جدهم؛ وهو روم ابن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم. ﴿ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ﴾ قيل: هي الجزيرة؛ وهي بين الشام والعراق، وهي أدنى أرض الروم إلى فارس، وقيل: في أدنى أرض العرب منهم؛ وهي أطراف الشام. ﴿ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ إخبار بأن الروم سيغلبون الفرس بعد أن غلبهم الفرس. ﴿ فِي بَضْعِ سِنِينَ ﴾ البضع ما بين الثلاث إلى التسع. ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ روي أن غلب الروم لفارس وقع يوم بدر، وقيل: يوم الحديبية؛ ففرح المؤمنون بنصر الله لهم على كفار قريش، وقيل: فرح المؤمنون بنصر الروم على الفرس؛ لأن الروم أهل كتاب فهم أقرب إلى الإسلام، وكذلك فرح الكفار من قريش بنصر الفرس على الروم؛ لأن الفرس ليسوا بأهل كتاب فهم أقرب إلى كفار قريش، وروي أنه لما فرح الكفار بذلك خرج إليهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقال: إن نبينا صلى الله عليه وسلم قد أخبرنا عن الله تعالى أنهم سيغلبون، وراهنهم على عشرة قلاص إلى ثلاث سنين، وذلك قبل أن يجرم القمار، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «زدهم في الرهن واستزدهم في الأجل»، فجعل القلاص مائة والأجل تسعة أعوام، وجعل معه أبي بن خلف مثل ذلك، فلما وقع الأمر على ما أخبر الله به أخذ أبو بكر القلاص من ذرية أبي بن خلف إذ كان قد مات، وجاء بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: «تصدق بها». ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ ﴾ مصدر مؤكد كقولك: له علي ألف درهم عرفا؛ لأن معناه أترف له بها اعترافا. ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا ﴾ قيل: معناه يعلمون ما يدرك بالحواس دون ما يدرك بالعقول؛ فهم في ذلك مثل البهائم، وقيل: الظاهر ما يعلم بأوائل العقول، والباطن ما يعلم بالدليل والنظر، وقيل: هو من الظهور بمعنى العلو في الدنيا، وقيل: ظاهر بمعنى زائل ذاهب؛ والأظهر أنه أراد بالظاهر المعرفة بأمر الدنيا ومصالحها؛ لأنه وصفهم بعد ذلك بالغفلة عن الآخرة، وذلك يقتضي عدم معرفتهم بها، وانظر كيف نفى عنهم العلم أولا، ثم أثبت لهم العلم بالدنيا خاصة، وقال بعض أهل البيان: إن هذا من المطابقة لاجتماع النفي والإثبات، وجعل بعضهم العلم المثبت كالعدم لقلّة منفعتة، فهو على هذا بيان للنفي. ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ يحتمل معنيين؛

مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أُسْتُوا السُّوْأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاتٌ ۖ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَائِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحَضَّرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحٰنَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾

أحدهما: أن تكون النفس ظرفاً للفكرة في خلق السماوات والأرض؛ كأنه قال: أولم يتفكروا بعقولهم فيعلموا أن الله ما خلق السماوات والأرض إلا بالحق، والثاني: أن يكون المعنى أولم يتفكروا في ذواتهم وخلقهم ليستدلوا بذلك على الخالق، ويكون قوله: ﴿ مَا خَلَقَ ﴾ الآية، استئناف كلام؛ والمعنى الأول أظهر. ﴿ وَأَثَارُوا الْأَرْضَ ﴾ أي: حرثوها. ﴿ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أُسْتُوا السُّوْأَى ﴾ معنى "السوأى": إهلاك الكفار، ولفظ "السوأى" تأنيث الأسوأ، كما أن الحسنى تأنيث الأحسن، وقرئ "عاقبة" بالرفع على أنه اسم كان و"السوأى" خبرها، وقرئ بنصب "عاقبة" على أنها خبر كان و"السوأى" اسمها، و﴿ أَنْ كَذَّبُوا ﴾ مفعول من أجله، ويحتمل أن يكون "السوأى" مصدر أسأوا. ﴿ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ الإبلاس الكون في شر مع اليأس من الخير. ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ معناه: في المنازل والجزاء. ﴿ يُحْبَرُونَ ﴾ ينعمون من الحبور، وهو السرور والنعيم، وقيل: يكرمون. ﴿ فَسُبْحٰنَ اللَّهِ ﴾ هذا تعليم للعباد، أي: قولوا: سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون. ﴿ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ أي: حين تدخلون في وقت الظهيرة؛ وهو وسط النهار، وقوله: ﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ اعتراض بين المعطوفات، وقيل: أراد بذلك الصلوات الخمس؛ ف﴿ حِينَ تُمْسُونَ ﴾ المغرب والعشاء، و﴿ حِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ الصبح، و﴿ عَشِيًّا ﴾ العصر، و﴿ حِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ الظهر.

تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ  
تُخْرِجُونَ ﴿١٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿١٥﴾ وَمِنْ  
آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ  
فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٦﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ  
السِّنِّكُمْ وَالْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ  
وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿١٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ  
الْبَرْقَ حَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي  
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا  
دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ  
لَهُ قَانِتُونَ ﴿٢١﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ

﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ ﴾ ذكر في آل عمران. ﴿ وَيُحْيِي الْأَرْضَ ﴾ أي: ينبت فيها النبات. ﴿ وَكَذَلِكَ تُخْرِجُونَ ﴾ أي: كما  
يُخرج الله النبات من الأرض، كذلك يخرجكم من الأرض للبعث يوم القيامة. ﴿ تَنْتَشِرُونَ ﴾ أي: تنصرفون في  
الدينا. ﴿ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ أي: من صنفكم وجنسكم، وقيل: أراد خلقة حواء من ضلع آدم، وخاطب  
الناس بذلك؛ لأنهم ذرية آدم. ﴿ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ قيل: المودة الجماع، والرحمة الولد؛ والعموم أحسن وأبلغ.  
﴿ وَاخْتِلَافِ السِّنِّكُمْ ﴾ أي: لغاتكم. ﴿ وَالْوَانِكُمْ ﴾ يعني البياض والسواد، وقيل: يعني أصنافكم؛ والأول  
أظهر. ﴿ حَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ ذكر في الرعد. ﴿ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴾ معناه: تثبت، أو يقوم تدبيرها. ﴿ ثُمَّ إِذَا  
دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ "إذا" الأولى شرطية، والثانية فجائية وهي جواب الأولى، والدعوة  
في هذه الآية قوله للموتى: قوموا! أو النفخة الثانية في الصور، و"من الأرض" يتعلق بقوله "تخرجون"، أو  
بقوله "دعاكم" على أن تكون الغاية بالنظر إلى المدعو، كقولك: دعوتك من الجبل؛ إذا كان المدعو في الجبل.  
﴿ قَانِتُونَ ﴾ ذكر في البقرة. ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ أي: الإعادة يوم القيامة أهون عليه من الخلقة الأولى، وهذا  
تقريب لفهم السامع وتحقيق للبعث؛ فإن من صنع صنعة أول مرة كانت أسهل عليه ثاني مرة، ولكن الأمور  
كلها متساوية عند الله، فإن كل شيء على الله يسير. ﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ﴾ أي: الوصف الأعلى الذي يصفه به

فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٧﴾ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ  
 مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ  
 كَخِيفَتِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ  
 الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۖ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿٦٩﴾  
 فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۗ  
 ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ \* مُبَيِّنِينَ إِلَيْهِ وَآتَقُوهُ

أهل السماوات والأرض. ﴿هل لكم من ما ملكت أيماكم من شركاء﴾ هذا هو المثل المضروب، ومعناه:  
 أنكم أيها الناس لا يشارككم عبيدكم في أموالكم ولا يستون معكم في أحوالكم؛ فكذلك الله تعالى لا يشاركه  
 عبيده في ملكه ولا يماثله أحد في ربوبيته؛ فذكر حرف الاستفهام، ومعناه التقرير على النفي، ودخل في النفي  
 قوله: ﴿فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم﴾ أي: لستم في أموالكم سواء مع عبيدكم، ولستم  
 تخافونهم كما تخافون الأحرار مثلكم؛ لأن العبيد عندكم أقل وأذل من ذلك. ﴿بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم﴾  
 الإضراب بـ"بل" عما تضمنته معنى الآية المتقدمة، كأنه يقول: ليس لهم حجة في إشراكهم بالله؛ بل اتبعوا في ذلك  
 أهواءهم بغير علم. ﴿فأقم وجهك للدين﴾ هو دين الإسلام، وإقامة الوجه في الموضوعين من السورة عبارة عن  
 الإقبال عليه والإخلاص فيه، وفي قوله: "أقم" و﴿القيم﴾ ضرب من ضروب التجنيس. ﴿فطرة الله﴾  
 منصوب على المصدر كقوله: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾، أو مفعولا بفعل مضمّر تقديره: الزموا فطرة الله، أو عليكم فطرة  
 الله، ومعناه: خلقه الله، والمراد به دين الإسلام؛ لأن الله خلق الخلق عليه، إذ هو الذي تقتضيه عقولهم السليمة،  
 وإنما كفر من كفر لعارض أخرجه عن أصل فطرته، كما قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه  
 يهودانه أو ينصرانه» [البخاري: 1319]. ﴿لا تبدل خلق الله﴾ يعني بـ"خلق الله" الفطرة التي فطر الناس عليها من  
 الإيمان، ومعنى أن الله لا يبدلها: أنه لا يخلق الناس على غيرها؛ ولكن يبدلها شياطين الإنس والجن بعد الخلقة  
 الأولى، أو يكون المعنى: أن تلك الفطرة لا ينبغي للناس أن يبدلوا؛ فالنفي على هذا حكم لا خبر، وقيل: إنه  
 خصوص في المؤمنين؛ أي: لا تبدل لفطرة الله في حق من قضى الله أنه يثبت على إيمانه، وقيل: إنه نهي عن تبدل  
 خلقه الله؛ كخصاء الفحول من الحيوان، وقطع آذانها وشبه ذلك. ﴿مبينين إليه﴾ منصوب على الحال من قوله  
 "أقم وجهك"؛ لأن الخطاب للنبي ﷺ والمراد هو وأمته، ولذلك جمعهم في قوله "مبينين"، وقيل: هو حال من  
 ضمير الفاعل المستتر في الزموا فطرة الله، وقيل: هو حال من قوله "فطر الناس"؛ وهذا بعيد. ﴿وآتقوه﴾ وما

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿١٢﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿١٥﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٦﴾ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٧﴾ وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِّتُرَبُّوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ

بعده معطوف على "أقم وجهك"، أو على العامل في "فطرة الله"، وهو: الزموا، المضمرة. ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ المجرور بدل من المجرور قبله، ومعنى "فرقوا دينهم" جعلوه فرقا؛ أي: اختلفوا فيه، وقرئ "فارقوا" من المفارقة؛ أي: تركوه، والمراد بـ ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ هنا أصناف الكفار، وقيل: هم المسلمون الذين تفرقوا فرقا مختلفة، ففي لفظ "المشركين" على هذا تجوز بعيد، ولعل قائل هذا القول إنما قاله في قول الله تعالى في الأنعام: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾، فإنه ليس هناك ذكر المشركين. ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾ الآية، إنحاء على المشركين؛ لأنهم يدعون الله في الشدائد، ويشركون به في الرخاء. ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ ذكر في العنكبوت. ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ "أم" هنا منقطعة، بمعنى بل والهزمة، والسلطان الحجة، وكلامه مجاز، كما تقول: نطق الكتاب بكذا، والمعنى: ليس لهم حجة تشهد بصحة شركهم. ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾ إنحاء على من يفرح ويبطر إذا أصابه الخير، ويقنط إذا أصابه الشر، وانظر كيف قال هنا "إذا"، وقال في الشر: ﴿إِن تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ﴾؛ لأن "إذا" للقطع بوقوع الشرط، بخلاف "إن"؛ فإنها للشك في وقوعه، ففي ذلك إشارة إلى أن الخير الذي يصيب به عباده أكثر من الشر. ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ المعنى: أن ما يصيب العباد من المصائب، فإنه بسبب ذنوبهم. ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ يعني صلة رحم القرابة بالإحسان والمودة، ولو بالكلام الطيب. ﴿وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِّتُرَبُّوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ الآية، معناها كقوله: ﴿يَمْحُقُ اللَّهُ الرَّبَّاءَ وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ أي: ما أعطيتم من أموالكم على وجه الربا فلا يزكو عند الله، وما آتيتم من الصدقات؛ فهو الذي يزكو عند الله وينفعكم به، وقيل: المراد أن يهب الرجل للرجل، أو يهدي له ليعوضه أكثر من ذلك؛ فهذا وإن كان جائزا فإنه لا ثواب فيه، وقرئ "وما آتيتم من ربا" بالمد بمعنى أعطيتم، وبالقصر بمعنى جئتم به؛ أي: فعلتموه،

فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿١٠﴾  
 اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١١﴾ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٢﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿١٣﴾ فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَئِيمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿١٥﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿١٦﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاذْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ﴿١٨﴾

وقرى "الربوا" بالياء المضمومة، و"الربوا" بالياء مفتوحة ونصب الواو. ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ المضعف ذو الإضعاف من الحسنات، وفي هذه الجملة التفات لخروجه من الخطاب إلى الغيبة، وكان الأصل أن يقال: وما آتيتم من زكاة فأنتم المضعفون، وفيها أيضا حذف؛ لأنه لا بد من ضمير يرجع إلى "ما"، وتقديره: المضعفون به، أو فمؤتوه هم المضعفون. ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ قيل: "البر" البلاد البعيدة من البحر، و"البحر" هو البلاد التي على ساحل البحر، وقيل: "البر" اللسان، و"البحر" القلب؛ وهذا بعيد؛ والصحيح أن "البر والبحر" هما المعروفان، وظهور الفساد في البر بالقحط والفتن وشبه ذلك، وظهور الفساد في البحر بالغرق، وقلة الصيد، وكساد التجارات وشبه ذلك؛ وكل ذلك بسبب ما يفعله الناس من الكفر والعصيان. ﴿لَا مَرَدَّ لَهُ﴾ أي: لا رجوع له، ولا بد من وقوعه. ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ يتعلق بقوله "ياتي"، أو بقوله "لا مرد له"؛ أي: لا يردده الله. ﴿يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ﴾ من الصدع وهو الفرقة، أي: يتفرقون؛ فريق في الجنة، وفريق في السعير. ﴿فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ أي: يوطئون، وهو استعارة من تمهيد الفراش ونحوه، والمعنى: أنهم يعملون ما ينتفعون به في الآخرة. ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلق بـ"يمهدون"، أو "يصدعون"، أو بمحذوف. ﴿مُبَشِّرَاتٍ﴾ أي: تبشر بالمطر. ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ﴾ عطف على "مبشرات"، كأنه قال: ليشركم وليذيقكم،

وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ  
 فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۗ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ  
 مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ  
 قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانظُرْ إِلَىٰ أَثْرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ تُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ إِنَّ  
 ذَلِكَ لَمَحْيِ الْمَوْتَىٰ ۗ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا  
 لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الْأُدْعَاءَ إِذَا وَلَّوْا  
 مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ۗ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ  
 مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ \* اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ  
 مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۗ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۗ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ  
 يُقَسِّمُ الْمَجْرُمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۗ

ويحتمل أن يتعلق بمحذوف تقديره: ليذيقكم من رحمته أرسلها. ﴿وَكَانَ حَقًّا﴾ انتصب "حقاً"؛ لأنه خبر  
 "كان"، واسمها ﴿نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وقيل: اسمها مضمير يعود على مصدر "انتقمنا"؛ أي: وكان الانتقام  
 حقاً، فعلى هذا يوقف على "حقاً"، ويكون "نصر المؤمنين" مبتدأ؛ وهذا ضعيف. ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ أي:  
 تحركها وتُنشِرها. ﴿كِسْفًا﴾ أي: قطعاً، وقرئ بإسكان السين، وهما بناءان للجمع، وقيل: معنى الإسكان  
 أن السحاب قطعة واحدة. ﴿الْوَدْقُ﴾ هو المطر. ﴿مِنْ خِلَالِهِ﴾ الخلال الشقاق التي بين بعضه وبعض؛  
 لأنه متخلل الأجزاء، والضمير يعود على السحاب. ﴿مَنْ قَبْلِهِ﴾ كرر للتأكيد، وليفيد سرعة تقلب قلوب  
 الناس من القنوط إلى الاستبشار. ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ أي: قانطين، كقوله: ﴿يُنْزَلُ الْغَيْثُ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾.  
 ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ الضمير للنبات الذي ينبت الله بالمطر، والمعنى: لئن أرسل الله الريح فاصفر بها النبات،  
 لكفر الناس بالقنوط والاعتراض على الله، وقيل: الضمير للريح، وقيل: للسحاب؛ والأول أحسن في  
 المعنى. ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾ الآية، استعارة في عدم سماع الكفار للمواعظ والبراهين، فشبّه الكفار  
 بالموتى في عدم إحساسهم. ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ الضعف الأول كون الإنسان من ماء مهين، وكونه  
 ضعيفاً في حال الطفولية، والضعف الأخير هو الهرم، وقرئ بضم الضاد وفتحها وهما لغتان. ﴿مَا لَبِثُوا  
 غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ هذا جواب القسم، والمعنى: أنهم يحلفون أنهم ما لبثوا في القبور تحت التراب إلا ساعة،



كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِبَيِّنَاتٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

أوما لبثوا في الدنيا إلا ساعة؛ وذلك لاستقصارهم تلك المدة. ﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ أي: مثل هذا الصرف كانوا يصرفون في الدنيا عن الصدق والتحقيق حتى يروا الأشياء على غير ما هي عليه. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾ هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون ردوا مقالة الكفار التي حلفوا عليها. ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ يعني اللوح المحفوظ أو علم الله، والمجرور على هذا يتعلق بقوله "لبثتم"، وقيل: يعني القرآن، فعلى هذا يتعلق هذا المجرور بقوله "أوتوا العلم"، وفي الكلام تقديم وتأخير، وتقديره على هذا: قال الذين أوتوا العلم في كتاب الله؛ أي: العلماء بكتاب الله، وقولهم ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ﴾ خطاب للكفار، وقولهم ﴿فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ تقرير لهم، وهو في المعنى جواب لشرط مقدر تقديره: إن كنتم تنكرون البعث فهذا يوم البعث. ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ من العتبي بمعنى الرضا، أي: لا يرضون، وليست استفعل هنا للطلب. ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ يعني ما وعده من النصر على الكفار. ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾ من الخفة، أي: لا تضطرب لكلامهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَآتَىٰ مَسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ۝ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَالْأَقْلَامُ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي ۖ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ ۖ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۖ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِأَبِيهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ ۖ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ

## سورة لقمان

﴿الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ ذكر في يونس. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ هو الغناء، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «شراء المغنيات وبيعهن حرام»، وقرأ هذه الآية [الترمذي: 3195]، وقيل: نزلت في قرشي اشترى جارية مغنية تغني بهجاء رسول الله ﷺ؛ فالشراء على هذا على حقيقته، وقيل: نزلت في النضر بن الحارث وكان قد تعلم أخبار فارس، فذلك هو لهو الحديث. وشراء لهو الحديث استحبابه وقوله وسماعه؛ فالشراء على هذا مجاز، وقيل: «لهو الحديث» الطبل، وقيل: الشرك؛ ومعنى اللفظ يعم ذلك كله، وظاهر الآية أنه هو مضاف إلى كفر واستخفاف بالدين؛ لقوله ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية، وأن المراد شخص معين لوصفه بعد ذلك بجملة أو صاف. ﴿بِعَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ ذكر في الرعد. ﴿أَن تَمِيدَ﴾ لثلاثيم. ﴿لُقْمَانَ﴾ رجل ينطق بالحكمة، واختلف هل هو نبي أم لا؟ وفي الحديث: «لم يكن لقمان نبيا، ولكن كان عبدا حسن اليقين، أحب الله فأحبه، فمنَّ عليه بالحكمة» [ابن عساکر: 85/17]، وروي أنه كان ابن أخت أيوب، أو ابن خالته، وروي أنه كان قاضي بني إسرائيل، واختلف في صناعته؛ فقيل: نجار، وقيل: خياط، وقيل: راعي غنم، وكان ابنه كافرا،

إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ  
 وَفَصَلَّهُ فِي عَامَيْنِ أَنُ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴿٣٣﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ  
 تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۗ وَاتَّبِعْ  
 سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٤﴾ يَبْنِيٰ إِنَّمَا إِنْ تَكُ  
 مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۚ إِنَّ  
 اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٣٥﴾ يَبْنِيٰ أَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ وَامْرًا بِالْمَعْرُوفِ ۖ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا  
 أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٣٦﴾ وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ  
 مَرْحًا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٣٧﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ۖ وَأَغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ

فما زال يوصيه حتى أسلم، وروي أن اسم ابنه ثاران. ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ﴾ هذه الآية والتي بعدها اعتراض في  
 أثناء وصية لقمان لابنه على وجه التأكيد، لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك بالله، ونزلت الآية في سعد بن  
 أبي وقاص وأمه حسبا ذكرنا في العنكبوت. ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي: ضعفا على ضعف؛ لأن الحمل  
 كلما عظم ازدادت الحامل به ضعفا، وانتصاب "وهنا" بفعل مضمر تقديره: تهن وهنأ. ﴿وَفَصَالُهُ﴾ أي:  
 فطامه، وأشار بذلك إلى غاية مدة الرضاع. ﴿أَنْ اشْكُرْ﴾ تفسير للوصية، واعتراض بينها وبين تفسيرها بقوله  
 ﴿وَفَصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾؛ ليبين ما تكابده الأم بالولد مما يوجب عظيم حقها، ولذلك كان حقها أعظم من حق  
 الأب. ﴿يَا بَنِي﴾ الآية: رجع إلى كلام لقمان، والتقدير: وقال لقمان: يا بني. ﴿مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ أي:  
 وزنها، والمراد بذلك أن الله يأتي بالقليل والكثير من أعمال العباد؛ فعبء بحبة الخردل ليدل على ما هو أكثر.  
 ﴿فِي صَخْرَةٍ﴾ قيل: أراد الصخرة التي عليها الأرض؛ وهذا ضعيف، وإنما معنى الكلام أن مثقال خردلة من  
 الأعمال أو من الأشياء، ولو كانت في أخفى موضع كجوف صخرة؛ فإن الله يأتي بها يوم القيامة، وكذلك لو  
 كانت ﴿فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾. ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ أمر بالصبر على المصائب عموما، وقيل:  
 يعني ما يصيب من يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر. ﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ يحتمل أن يريد مما أمر الله به على  
 وجه العزم والإيجاب، أو من مكارم الأخلاق التي يعزم عليها أهل الحزم والجد، ولفظ الـ"عزم" مصدر يراد  
 به المفعول؛ أي: من معزومات الأمور. ﴿وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ الصعر في اللغة الميل، أي: لا تول الناس  
 خدك وتعرض عنهم تكبرا عليهم. ﴿مَرْحًا﴾ ذكر في الإسرائاء. ﴿مُخْتَالٍ﴾ من الخيلاء. ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾  
 أي: اعتدل فيه، فلا تسرع إسراعا يدل على الطيش والخفة، ولا تبطئ إبطاء يدل على النخوة والكبر.

إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١﴾ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ ﴿٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٣﴾ وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا تَحْزِنكَ كُفْرُهُ ۗ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۗ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٨﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُهُ ۗ مِن بَعْدِهِ ۗ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٩﴾

﴿ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ الظاهرة الصحة والمال وغير ذلك، والباطنة النعم التي لا يطلع عليها الناس، ومنها ستر قبيح الأعمال، وقيل: الظاهرة نعم الدنيا، والباطنة نعم العقبى؛ واللفظ أعم من ذلك كله. ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ ﴾ نزلت في النضر بن الحارث وأمثاله. ﴿ أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ معناه: يتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم إلى النار. ﴿ وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ "يسلم" بخلص، أو يستسلم وينقاد، والوجه هنا عبارة عن المقصد. ﴿ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ ذكر في البقرة. ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ وما بعده ذكر في العنكبوت. ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ ﴾ الآية، إخبار بكثرة كلمات الله، والمراد اتساع علمه، ومعنى الآية: أن شجر الأرض لو كانت أقلاما، والبحر لو كان مدادا تصب فيه سبعة أبحر صبا دائما، وكتب بذلك كلمات الله، لنفدت الأشجار والبحار ولم تنفذ كلمات الله؛ لأن الأشجار والبحار متناهية وكلمات الله غير متناهية، فإن قيل: لم لم يقل: والبحر مدادا كما قال في الكهف ﴿ قُلِ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا ﴾؟ فالجواب: أنه أغنى عن ذلك قوله ﴿ يَمْدُهُ ﴾؛ لأنه من قولك: مد الدواء وأمدها، فإن قيل: لم قال "من شجرة"، ولم يقل: من شجر باسم الجنس الذي يقتضي العموم؟ فالجواب: أنه أراد تفصيل الشجر إلى شجرة شجرة حتى لا يبقى منها واحدة، فإن قيل: لم قال ﴿ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾، ولم يقل: كلم الله، بجمع الكثرة؟ فالجواب: أن هذا أبلغ؛ لأنه إذا لم تنفذ الكلمات مع أنها جمع قلة، فكيف ينفذ الجمع الكثير، وروي أن سبب الآية أن اليهود قالوا: قد أوتينا التوراة وفيها العلم كله، فنزلت الآية لتدل أن ما عندهم قليل من كثير، والآية على هذا مدنية، وقيل: إن سببها أن قريشا قالوا:

مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَتَفْسٍ وَاحِدَةً ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ  
 اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى  
 وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ  
 وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ  
 آيَاتِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٢١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعُوا اللَّهَ  
 مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ ۖ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ  
 كَفُورٍ ﴿٢٢﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتَقُوا رَبَّكُمْ وَأَحْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنِ وَلَدِهِ ۗ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ  
 جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ ۗ شَيْعًا ۗ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ  
 الْغُرُورُ ﴿٢٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۗ وَمَا تَدْرِي  
 نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۗ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٢٤﴾

إن القرآن سينفذ ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَتَفْسٍ وَاحِدَةً ﴾ بيان لقدرة الله على بعث الناس، ورد على من استبعد ذلك. ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ﴾ أي: يدخل كل واحد منهما في الآخر بما يزيد في أحدهما وينقص من الآخر، أو يادخال ظلمة الليل على ضوء النهار وإدخال ضوء النهار على ظلمة الليل. ﴿ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ يعني يوم القيامة. ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ ﴾ يحتمل أن تكون الباء سببية، أو يكون المعنى ذلك شاهد بأن الله هو الحق. ﴿ بِنِعْمَتِ اللَّهِ ﴾ يحتمل أن يريد بذلك ما تحمله السفن من الطعام والتجارات، فتكون الباء للإلصاق أو للمصاحبة، أو يريد الريح، فتكون الباء سببية. ﴿ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ مبالغة في صابر وشاكر. ﴿ كَالظُّلَلِ ﴾ جمع ظلة، وهو ما يعلوك من فوق، وشبه الموج بذلك إذا ارتفع وعظم حتى علا فوق الإنسان. ﴿ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ ﴾ الـ"مقتصد" المتوسط في الأمر، فيحتمل أن يريد كافرا متوسطا في كفره لم يسرف فيه، أو مؤمنا متوسطا في إيمانه؛ لأن الإخلاص الذي كان عليه في البحر يزول عنه، وقيل: معنى "مقتصد" مؤمن ثبت في البر على ما عاهد الله عليه في البحر. ﴿ خَتَّارٍ ﴾ أي: غدار شديد الغدر، وذلك أن جحد نعم الله غدر. ﴿ لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنِ وَلَدِهِ ۗ أَي: لَا يَقْضِي عَنْهُ شَيْئًا، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ لَا يَنْفَعُهُ وَلَا يَدْفَعُ عَنْهُ مَضْرَةٌ. ﴿ وَلَا مَوْلُودٌ ﴾ أي: ولد، فكما لا يقدر الولد لوالده على شيء كذلك لا يقدر الوالد لوالده على شيء. ﴿ الْغُرُورُ ﴾ الشيطان، وقيل: الأمل والتسويق. ﴿ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ أي: متى تكون؛ فإن ذلك مما انفرد الله بعلمه، ولذلك جاء في الحديث: «مفتاح الغيب خمس» وتلا هذه الآية [البخاري: 4351]. ﴿ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾ يعني من خير أو شر، أو مال أو ولد، أو غير ذلك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ۗ مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ۗ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾

سورة السجدة

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ يعني القرآن. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شك أنه من عند الله عز وجل، ونفي الريب على اعتقاد أهل الحق وعلى ما هو الأمر في نفسه، لا على اعتقاد أهل الباطل. ﴿مِن رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يتعلق بـ"تنزيل". ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ الضمير لقريش، و"أم" بمعنى بل والهمزة. ﴿لِتُنذِرَ﴾ متعلق بما قبله، أو بمحذوف. ﴿مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ﴾ يعني في الفترة من زمان عيسى، وقد جاء الرسل قبل ذلك كإبراهيم وغيره، ولما طالت الفترة على هؤلاء أرسل الله رسولا ينذرهم ليقيم الحجة عليهم. ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ قد ذكر في الأعراف. ﴿مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ نفي الشفاعة على وجهين؛ أحدهما: الشفاعة للكفار؛ وهي معدومة على الإطلاق، والآخر: أن الشفاعة للمؤمنين لا تكون إلا بإذن الله كقوله ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾. ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ أي: واحد الأمور، وقيل: المأمور به من الطاعات؛ والأول أصح. ﴿مِن السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي: ينزل ما دبره وقضاه من السماء إلى الأرض. ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: المعنى ينفذ الله قضاءه من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه خبر ذلك في يوم من أيام الدنيا، مقداره لو سير فيه السير المعروف من البشر ألف سنة؛ لأن ما بين السماء والأرض خمسمائة عام، فالألف ما بين نزول الأمر إلى الأرض وعروجه إلى السماء، وقيل: إن الله يلقي إلى الملائكة أمور ألف سنة من أعوام البشر، وهو يوم من أيام الله، فإذا فرغت ألقى إليهم مثلها؛ فالمعنى: أن الأمور تنفذ عنده لهذه المدة ثم تصير إليه أخرى؛ لأن عاقبة الأمور إليه، فالعروج على هذا عبارة عن مصير الأمور إليه. ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ "الغيب" ما غاب عن المخلوقين، و"الشهادة" ما شاهدوه. ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ أي: أتقن جميع المخلوقات، وقرئ "خلقه" بإسكان اللام على البدل. ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ﴾ يعني آدم عليه السلام.

ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿١﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ۗ وَجَعَلَ  
لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢﴾ وَقَالُوا أَهَذَا صُلْبَنَا فِي  
الْأَرْضِ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿٣﴾ ۖ قُلْ يَتَوَفَّنَا مَلَكُ  
الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ  
نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا  
مُقْتِنُونَ ﴿٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىٰ وَلَكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ  
جَهَنَّمَ مِنَ الْإِنسَانِ أَجْمَعِينَ ﴿٦﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا  
نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا  
ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨﴾ تَتَجَافَىٰ  
جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٩﴾

﴿ نَسْلَهُ ﴾ يعني ذريته. ﴿ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ يعني المنى، والسلالة مشتقة من سل يسل؛ فكأن الماء يسل من الإنسان، والمهين الضعيف. ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ ﴾ أي: قومه. ﴿ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ﴾ عبارة عن إيجاد الحياة فيه، وإضافة الروح إلى الله إضافة مُلْك إلى مالِك، وقد يراد بها الاختصاص؛ لأن الروح لا يعلم كنهه إلا الله. ﴿ أَهَذَا صُلْبَنَا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: تلفنا وصرنا ترابا، ومعنى هذا الكلام المحكي عن الكفار استبعاد البعث، والعامل في "إذا" معنى قولهم ﴿ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ تقديره: نُبعث. ﴿ يَتَوَفَّنَا مَلَكُ الْمَوْتِ ﴾ اسمه عزرائيل، وتحت يده ملائكة. ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ ﴾ يحتمل أن تكون "لو" للتمني، وتأويله في حق الله تعالى كتأويل الترجي، وقد ذكر، أو تكون للامتناع، وجوابها محذوف تقديره: ولو ترى حال المجرمين في الآخرة لرأيت أمرا مهولا. ﴿ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ ﴾ عبارة عن الذل والغم والندم. ﴿ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ﴾ تقديره: يقولون: ربنا قد علمنا الحقائق. ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىٰ ﴾ يعني أنه لو أراد أن يهدي جميع الخلق لفعل، فإنه قادر على ذلك بأن يجعل الإيمان في قلوبهم، ويدفع عنهم الشيطان والشهوات؛ ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء. ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ ﴾ أي: يقال لهم ذوقوا، والنسيان هنا بمعنى الترك. ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ أي: ترتفع، والمعنى يتركون مضاجعهم بالليل من كثرة صلاتهم للنوافل، ومن صلى العشاء

فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ  
 مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
 فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ  
 كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي  
 كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ  
 لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا  
 مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن  
 لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾

والصبح في جماعة فقد أخذ بحظه من هذا. ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ يعني أنه لا يعلم  
 أحد مقدار ما يعطيهم الله من النعيم، وقرئ "أخفي" بإسكان الياء على أن يكون فعل المتكلم؛ وهو الله تعالى.  
 ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾ الآية، يعني المؤمنين والفاستقين على العموم، وقيل: يعني علي بن أبي طالب ؑ  
 وعقبة بن أبي معيط. ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تُكْذِبُونَ﴾ "الذي" نعت للـ"عذاب"؛ ولذلك أعاد  
 عليه الضمير المذكور في قوله "به"، فإن قيل: لم وصف هنا العذاب وأعاد عليه الضمير، ووصف في سبأ النار  
 وأعاد عليها الضمير، فقال ﴿عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ﴾؟ فالجواب من ثلاثة أوجه؛ الأول: أنه  
 خص العذاب في السجدة بالوصف اعتناء به لما تكرر ذكره في قوله: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ  
 الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾، الثاني: أنه تقدم في السجدة ذكر النار، فكان الأصل أن يذكرها بعد ذلك بلفظ الضمير،  
 لكنه جعل الظاهر مكان المضمّر، فكما لا يوصف المضمّر لم يوصف ما قام مقامه وهو النار، فوصف العذاب  
 ولم يصف النار، الثالث: وهو الأقوى أنه امتنع في السجدة وصف النار فوصف العذاب، وإنما امتنع وصفها  
 لتقدم ذكرها، فإنك إذا ذكرت شيئاً ثم كررت ذكره لم يجز وصفه؛ كقولك: رأيت رجلاً فأكرمت الرجل، فلا  
 يجوز وصفه لثلا يفهم أنه غيره. ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى﴾ يعني الجوع ومصائب الدنيا، وقيل: القتل  
 يوم بدر، وقيل: عذاب القبر؛ وهذا بعيد لقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ هذا  
 وعيد لمن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها، وكان الأصل أن يقول: إنا منه منتقمون، ولكنه وضع "المجرمين"  
 موضع المضمّر ليصفهم بالإجرام، وقدم المجرور على "منتقمون" للمبالغة. ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ﴾



وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَا صَبَرُوا ۗ وَكَانُوا بِقَائِلَتِنَا يُوْقِفُونَ ﴿٢٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ  
هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٧﴾ أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ  
أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا  
يَسْمَعُونَ ﴿٢٨﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ  
مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ ۗ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ ﴿٣٠﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٣١﴾  
فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ۗ وَانْتَظِرِ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٣٢﴾

الـ"مرية" الشك، والضمير لـ"موسى"؛ أي: لا تشك في لقائك موسى ليلة الإسراء، وقيل: المعنى لا تشك  
في لقاء موسى للكتاب الذي أنزل عليه، و"الكتاب" على هذا التوراة، وقيل "الكتاب" هنا جنس، والمعنى:  
لقد آتينا موسى الكتاب فلا تشك أنت في لقائك الكتاب الذي أنزل عليك، وعبر باللقاء عن إنزال الكتاب  
كقوله ﴿وَإِنَّكَ لَلَّذِي لَقِيتَ الْقُرْآنَ﴾. ﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ الضمير لجميع الخلق، وقيل: لبني إسرائيل خاصة. ﴿أَوْلَمْ  
يَهْدِ لَهُمْ﴾ ذكر في طه. ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ﴾ الضمير في "يمشون" لأهل مكة؛ أي: يمشون في مساكن  
القوم المهلكين كقوله: ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّنْ مَّسَاجِدِهِمْ﴾، وقيل: الضمير للمهلكين، أي: أهلكتناهم وهم  
يمشون في مساكنهم؛ والأول أحسن؛ لأن فيه حجة على أهل مكة. ﴿الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ يعني التي لا نبات فيها  
من شدة العطش. ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ أي: الحكم بين المسلمين والكفار في الآخرة، وقيل: يعني فتح مكة؛  
وهذا بعيد؛ لقوله: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ﴾ وذلك في الآخرة؛ لأن من آمن يوم فتح  
مكة نفعه إيمانه. ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ منسوخ بالسيف. ﴿وَانْتَظِرِ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾ أي: انتظر هلاكهم إنهم  
ينتظرون هلاكك، وهذا تهديد لهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّاتِي تُظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَلِكَ كَقَوْلِكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ اللَّاتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِنَّ ۚ وَأَزْوَاجُهُنَّ أُمَّهَاتُهُنَّ ۚ

## سورة الأحزاب

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ نداء فيه تكريم له؛ لأنه ناداه بالنبوة، ونادى سائر الأنبياء بأسمائهم. ﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾ أي: دم على التقوى وزد منه. ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ أي: لا تقبل أقوالهم، وإن أظهروا أنها نصيحة، ويعني بـ"الكافرين" المظهريين للكفر، وبـ"المنافقين" الذين يظهرون الإسلام ويخفون الكفر، وروي أن "الكافرين" هنا أبي بن خلف، و"المنافقين" هنا عبد الله بن أبي بن سلول؛ والعموم أظهر. ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: كان في قريش رجل يقال له: ذو القلبين؛ لشدة فهمه، فنزلت الآية نفيًا لذلك، ويقال إنه ابن خطل، وقيل: جميل بن معمر، وقيل: إنها جاء هذا اللفظ توطئة لما بعده من النفي، أي: كما لم يجعل الله لرجل قلبين في جوفه، كذلك لم يجعل أزواجكم أمهاتكم، ولا أدعياءكم أبناءكم. ﴿اللَّاتِي تُظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ﴾ أي تقولون للزوجة: أنت علي كظهر أمي، وكانت العرب تطلق هذا اللفظ بمعنى التحريم، وسيأتي حكمه في المجادلة، وإنما تعدى هذا الفعل بـ"من"؛ لأنه تضمن معنى يتباعدون منهن. ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ الأدعياء جمع دعي؛ وهو الذي يدعى ولد فلان وليس بولده، وسببها أمر زيد بن حارثة رضي الله عنه؛ وذلك أنه كان فتى من كلب، فسباه بعض العرب وباعه من خديجة رضي الله عنها، فوهبته للنبي صلى الله عليه وسلم فتبناه، فكان يقال له: زيد بن محمد، حتى أنزلت هذه الآية. ﴿ذَلِكَ كَقَوْلِكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ الإشارة إلى نسبة الدعي إلى غير أبيه، أو إلى كل ما تقدم من المنفيات، وقوله: ﴿بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ تأكيد لبطلان القول. ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ الضمير للأدعياء، أي: انسبواهم إلى آبائهم الذين ولدوهم. ﴿اللَّاتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِنَّ﴾ يقتضي أن يحبوه صلى الله عليه وسلم أكثر مما يحبون أنفسهم، وأن ينصروا دينه أكثر مما ينصرون أنفسهم. ﴿وَأَزْوَاجُهُنَّ أُمَّهَاتُهُنَّ﴾ جعل الله تعالى لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم حرمة الأمهات

وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا  
 أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿١﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ  
 النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ۗ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ  
 مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ۗ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣﴾ يَتَأْتِيهَا  
 الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۗ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا  
 لَمْ تَرَوْهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٤﴾ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ

في تحريم نكاحهن ووجوب مبرتهن، ولكن أوجب حجبهن عن الرجال. ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ  
 بِبَعْضٍ﴾ هذا نسخ لما كان في أول الإسلام من التوارث بأخوة الإسلام وبالهجرة، وقد تكلمنا عليها في الأنفال.  
 ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ يحتمل أن يريد القرآن، أو اللوح المحفوظ. ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يحتمل أن يكون بياناً لـ "أولى  
 الأرحام"، أو يتعلق بـ "أولى"؛ أي: أولوا الأرحام أولى بالميراث من المؤمنين الذين ليسوا بذوي أرحام. ﴿إِلَّا أَنْ  
 تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ يريد الإحسان إلى الأولياء الذين ليسوا بقراة، ونفعهم في الحياة والوصية لهم  
 عند الموت؛ فذلك جائز ومدوب إليه، وإن لم يكونوا قراة، وأما الميراث فللقراة خاصة، واختلف هل يعني  
 بالأولياء المؤمنين خاصة، أو المؤمنين والكافرين. ﴿فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ يعني القرآن، أو اللوح المحفوظ.  
 ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ هو الميثاق بتبليغ الرسالة والقيام بالشرائع، وقيل: هو الميثاق الذي أخذه  
 حين أخرج بني آدم من صلب آدم كالذر؛ والأول أرجح؛ لأنه هو المختص بالأنبياء. ﴿وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾ قد  
 دخل هؤلاء في جملة النبيين، ولكنه خصهم بالذكر تشریفاً لهم، وقدم محمداً ﷺ تفضيلاً له. ﴿مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾  
 يعني الميثاق المذكور، وإنما كرره تأكيداً وليصفه بأنه غليظ، أي: وثيق ثابت يجب الوفاء به. ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾  
 اللام تحتمل أن تكون لام كي، أو لام الصيرورة، والصدق هنا يحتمل أن يكون الصدق في الأقوال، أو الصدق  
 في الأفعال والعزائم، ويحتمل أن يريد بـ "الصادقين" الأنبياء وغيرهم من المؤمنين. ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ  
 إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ هذه الآية وما بعدها نزلت في قصة غزوة الخندق، والـ "جنود" المذكورة هم قريش ومن  
 كان معهم من الكفار، وسأهم الله في هذه السورة الأحزاب، وكانوا نحو عشرة آلاف حاصروا المدينة،  
 وحفر رسول الله ﷺ الخندق حولها ليمنعهم من دخولها. ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ أرسل الله عليهم ريح  
 الصبا، فأطفت نيرانهم وأكفأت قلوبهم، ولم يمكنهم معها قرار فانصرفوا خائبين. ﴿وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾  
 يعني الملائكة. ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ أي: حصرنا المدينة من أعلاها ومن أسفلها،

وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ  
 الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿٢﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ  
 مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ  
 لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ  
 بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٤﴾ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَأْتَوْهَا  
 وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿٥﴾

وقيل: معنى "من فوقكم" أهل نجد لأن أرضهم فوق المدينة، "ومن أسفل منكم" أهل مكة وسائر تهامة. ﴿وَإِذْ  
 زَاغَتْ الْأَبْصَارُ﴾ أي: مالت عن مواضعها، وذلك عبارة عن شدة الخوف. ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾  
 "الحناجر" جمع حنجرة وهي الحلق، وبلوغ القلب إليها مجاز، وهو عبارة عن شدة الخوف، وقيل: بل هو حقيقة؛  
 لأن الرئة تنتفخ من شدة الخوف فتربو، ويرتفع القلب بارتفاعها إلى الحنجرة. ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ أي:  
 تظنون أن الكفار يغلبونكم، وقد وعدكم الله بالنصر عليهم؛ فأما المنافقون فظنوا ظن السوء وصرحوا به، وأما  
 المؤمنون فربما خطرت لبعضهم خواطر مما لا يمكن للبشر دفعها، ثم استبصروا ووثقوا بوعده الله، وقرأ نافع  
 "الظنوننا"، و"الرسولنا"، و"السيبلا" بالألف في الوصل وفي الوقف، وقرئ بإسقاطها في الوصل والوقف،  
 وبإثباتها في الوقف دون الوصل؛ فأما إسقاطها فهو الأصل، وأما إثباتها فلتعديل رؤوس الآي لأنها كالتقوافي،  
 وتقتضي هذه العلة أن تثبت في الوقف خاصة، وأما من أثبتها في الحالين فإنه أجرى الوصل مجرى الوقف.  
 ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: اختبروا، أو أصابهم بلاء، والعامل في الظرف "ابتلي"، وقيل: ما قبله. ﴿وَزُلْزِلُوا﴾  
 أصل الزلزلة شدة التحريك، وهو هنا عبارة عن اضطراب القلوب. ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ روي أنه معتب  
 ابن قشير. ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَآئِفَةٌ﴾ قال السهيلي: الطائفة تقع على الواحد فما فوق، والمراد هنا أوس بن قبطي.  
 ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ يثرب" اسم المدينة، وقيل: اسم البقعة التي المدينة في طرف منها،  
 و"مقام" اسم موضع من القيام، أي: لا قرار لكم هنا؛ يعني موضع القتال، وقرئ بالضم وهو اسم موضع  
 من الإقامة، وقولهم "فارجعوا"؛ أي: إلى منازلكم بالمدينة ودعوا القتال. ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ﴾ أي:  
 يستأذنه في الانصراف، والمستأذن أوس بن قبطي وعشيرته، وقيل: بنو حارثة. ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ أي:  
 منكشفة للعدو، وقيل: خالية للسراق؛ فكذبهم الله في ذلك. ﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ أي: لو  
 دخلت عليهم المدينة من جهاتها. ﴿ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾ يريد بـ"الفتنة" الكفر، أو قتال المسلمين. ﴿لَأْتَوْهَا﴾  
 قرئ بالقصر بمعنى جاؤوا إليها، وبالمد بمعنى أعطوها من أنفسهم. ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا﴾ الضمير للمدينة.

وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ الْأَدْبَرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْفُورًا ﴿١٥﴾ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ \* قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْوِقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ؕ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا

﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ ﴾ دخلت "قد" على الفعل المضارع لمعنى التهديد، وقيل: للتعليل على وجه التهكم. ﴿ الْمَعْوِقِينَ مِنْكُمْ ﴾ أي: الذين يعوقون الناس عن الجهاد، ويمنعونهم منه بأقوالهم وأفعالهم. ﴿ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾ هم المنافقون الذين قعدوا بالمدينة عن الجهاد، وكانوا يقولون لقراباتهم، أو للمنافقين مثلهم: هلم إلى الجلوس معنا بالمدينة وترك القتال، وقد ذكر "هلم" في الأنعام. ﴿ وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ "البأس" القتال، و"قليلا" صفة لمصدر محذوف تقديره: إلا إتيانا قليلا، أو مستثنى من فاعل "ياتون"؛ أي: إلا قليلا منهم. ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴾ "أشحة" جمع شحيح، فقيل: معناه يشحون بأنفسهم فلا يقاتلون، وقيل: يشحون بأموالهم، وقيل: معناه أشحة عليكم وقت الحرب، أي: يشفقون عليكم أن تقتلوا، ونصب "أشحة" على الحال من "القائِلين" أو "المعوقين"، أو من الضمير في "ياتون"، أو نصب على الهمزة. ﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ ﴾ أي: إذا اشتد الخوف من الأعداء نظر إليك هؤلاء في تلك الحالة، ولاذوا بك من شدة خوفهم. ﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ عبارة عن شدة خوفهم. ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ السلق بالألسنة عبارة عن الكلام بكلام مستكره، ومعنى "حداد" فصحاء قادرين على الكلام، أي: إذا نصركم الله فزال الخوف رجع المنافقون إلى إذابتكم بالسب وتنقص الشريعة، وقيل: إذا غنمتم طلبوا من الغنائم. ﴿ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ﴾ أي: يشحون بفعل الخير، وقيل: يشحون بالمغانم، وانتصابه هنا على الحال من الفاعل في "سلقوكم". ﴿ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ ليس المعنى أنها حبطت بعد ثبوتها، وإنما المعنى أنها لم تقبل؛ لأن الإيذان شرط في قبول الأعمال، وقيل: إنهم نافقوا بعد أن آمنوا؛ فالإحباط على هذا حقيقة. ﴿ يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ﴾ "الأحزاب" هنا هم كفار قريش ومن معهم؛ والمعنى: أن المنافقين من شدة جزعهم يظنون أن الأحزاب لم

وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوْا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوْنَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُوْنَ عَن أَنْبَاءِكُمْ ۗ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوْا إِلَّا قَلِيْلًا ﴿٣١﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيْرًا ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۗ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيْمَانًا وَتَسْلِيْمًا ﴿٣٣﴾ مِّنَ الْمُؤْمِنِيْنَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۗ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ ۗ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيْلًا ﴿٣٤﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّٰدِقِيْنَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنٰفِقِيْنَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوْرًا رَّحِيْمًا ﴿٣٥﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ۗ وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِيْنَ الْقِتَالَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيْزًا ﴿٣٦﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِّنْ صِيَاصِيْهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوْبِهِمُ الرُّعْبَ

ينصرفوا عن المدينة وهم قد انصرفوا. ﴿وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوْا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوْنَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ معنى "يودوا": يتمنوا، و"بادون" خارجون في البادية، و"الأعراب" هم أهل البوادي من العرب؛ فمعنى الآية: أنه إن أتى الأحزاب إلى المدينة مرة أخرى تمنى هؤلاء المنافقون من شدة جزعهم أن يكونوا في البادية مع الأعراب، وأن لا يكونوا في المدينة بل غائبين عنها. ﴿يَسْأَلُوْنَ﴾ من ورد عليهم ﴿عَن أَنْبَاءِكُمْ﴾. ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي: قدوة تقتدون به ﷺ في اليقين والصبر وسائر الفضائل، وقرئ "أسوة" بضم الهمزة، والمعنى واحد. ﴿قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ قيل: إن هذا الوعد هو ما أعلمهم به رسول الله ﷺ حين أمر بحفر الخندق من أن الكفار ينزلون عليهم، وأنهم ينصرفون خائبين، وقيل: إنه قول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ النَّبَاسِ وَالصَّرَّاءُ﴾ الآية، فعملوا أنهم يبتلون ثم ينصرفون. ﴿فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ يعني من قتل شهيدا، قال أنس بن مالك ؓ: يعني عمي أنس بن النضر ؓ، وقيل: يعني حمزة بن عبد المطلب ؓ، وقضاء النحب عبارة عن الموت عند ابن عباس ؓ وغيره، وقيل "قضى نجه" وفي العهد الذي عاهد الله عليه، ويدل على هذا ما ورد أن رسول الله ﷺ قال: «طلحة ممن قضى نجه» [الترمذي: 3202] وهو لم يقتل حينئذ. ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ﴾ المفعول محذوف، أي: ينتظر أن يقضى نجه؛ أي: ينتظر الشهادة في سبيل الله على قول ابن عباس ؓ، أو ينتظر الحصول في أعلى مراتب الإيثار والصلاح على القول الآخر. ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِّنْ صِيَاصِيْهِمْ﴾ الصياصي هي الحصون، ونزلت الآية في يهود بني قريظة،

فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٣٨٩٦﴾ وَأَوْرَثَكُمُ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْعُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٣٨٩٧﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لِّأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرَدُّنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأَسْرَحَكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٣٨٩٨﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرَدُّنَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَالْأَرْضَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٨٩٩﴾

وذلك أنهم كانوا معاهدين لرسول الله ﷺ، فنقضوا عهده وصاروا مع قريش، فلما انصرفت قريش عن المدينة حصر رسول الله ﷺ بني قريظة، حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ ؓ، فحكم بأن تقتل رجالهم، وتسي نساؤهم وذريتهم [البخاري: 3896]. ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ يعني الرجال، وقتل منهم يومئذ كل من أنبت، وكانوا بين ثمانمائة أو تسعمائة. ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ يعني النساء والذرية. ﴿وَأَوْرَثَكُمُ أَرْضَهُمْ﴾ يعني أرض بني قريظة، قسمها رسول الله ﷺ بين المهاجرين. ﴿وَأَرْضًا لَمْ تَطْعُوهَا﴾ هذا وعد بفتح أرض لم يكن المسلمون قد وطئوها حينئذ، وهي: مكة واليمن والشام والعراق ومصر، فأورث الله المسلمين جميع ذلك وما وراءها إلى أقصى المغرب والمشرق، ويحتمل عندي أن يريد أرض بني قريظة؛ لأنه قال "أورثكم" بالفعل الماضي، وهي التي كانوا أخذوها حينئذ، وأما غيرها من الأراضين، فإنها أخذوها بعد ذلك، فلو أرادها لقال: يورثكم، وإنما كررها بالعطف ليصفها بقوله "لم تطئوها"؛ أي: لم تدخلوها قبل ذلك. ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لِّأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرَدُّنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ الآية، سببها أن أزواج رسول الله ﷺ تغايرن حتى غمه ذلك، وقيل: طلبن منه ملابس ونفقات كثيرة، وكان أزواجه يومئذ تسع نسوة؛ خمس من قريش؛ وهن: عائشة بنت أبي بكر الصديق ؓ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب ؓ، وسودة بنت زمعة، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وأم سلمة بنت أبي أمية، وأربع من غير قريش؛ وهن: ميمونة بنت الحارث الهلالية، وصفية بنت حيي من بني إسرائيل، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث من بني المصطلق رضي الله عنهن. ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأَسْرَحَكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ أصل تعال أن يقوله من كان في موضع مرتفع لمن كان في موضع منخفض، ثم استعملت بمعنى أقبل في جميع الأمكنة، و"أمتعن" من المتعة وهي الإحسان إلى المرأة إذا طلقت، والسراح الطلاق؛ فمعنى الآية: أن الله أمر رسوله ﷺ أن يغير نساءه بين الطلاق والمتعة إن أردن زينة الحياة الدنيا، وبين البقاء في عصمته إن أردن الآخرة، فبدأ ﷺ بعائشة ؓ فاخترت البقاء في عصمته، ثم تبعها سائرهن في ذلك، فلم يقع طلاق، وقالت عائشة ؓ: خيرنا رسول الله ﷺ فاخترناه، ولم يعد ذلك طلاقاً [مسلم: 1477]. وإذا اختارت المخيرة الطلاق؛ فمذهب مالك أنه ثلاث، وقيل: طلقة بائنة، وقيل: طلقة رجعية. ووصف السراح بالجميل، يحتمل أن يريد أنه دون الثلاث، أو يريد أنه ثلاث، وجماله حسن الرعي، والشاء، وحفظ العهد. ﴿لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ﴾ "من" للبيان لا للتبويض؛ لأن

يَنْسَاءَ النَّبِيَّ مَنْ يَاتِ مِنْكُمْ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۖ وَكَانَ  
ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٥٠﴾ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُوتَهَا أَجْرَهَا  
مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٥١﴾ يَنْسَاءَ النَّبِيَّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ۗ إِنْ  
اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٥٢﴾ وَقَرْنَ فِي  
بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ۗ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ  
اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٥٣﴾

جميعهن محسنات. ﴿بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ قيل: يعني الزنا، وقيل: عصيان زوجهن عليه الصلاة والسلام، أو تكليفه ما يشق عليه، وقيل: عموم في المعاصي. ﴿يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ أي: يكون عذابها في الآخرة مثل عذاب غيرها مرتين، وإنما ذلك لعلو رتبتهن؛ لأن كل أحد يطالب على مقدار حاله، وقرئ "يضاعف" بالياء، ورفع "العذاب" على البناء للمفعول، وبالنون ونصب "العذاب" على البناء للفاعل. ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قرئ بالياء حملا على لفظ "من"، وبالتاء حملا على المعنى، وكذلك ﴿وَتَعْمَلْ﴾، والقنوت هنا بمعنى الطاعة. ﴿نُوتَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ أي: نضاعف لهن ثواب الحسنات. ﴿رِزْقًا كَرِيمًا﴾ يعني في الجنة، وقيل: في الدنيا؛ والأول هو الصحيح. ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ﴾ فضلهن الله على النساء بشرط التقوى، وقد حصل لهن التقوى؛ فحصل التفضيل على جميع النساء، إلا أنه قد يخرج من هذا العموم فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ومريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، لشهادة رسول الله ﷺ لكل واحدة منهن بأنها سيدة نساء عالمها. ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ نهي عن الكلام اللين الذي يعجب الرجال ويميلهن إلى النساء. ﴿فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ أي: فجور وميل للنساء، وقيل: هو النفاق؛ وهذا بعيد في هذا الموضوع. ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ هو الصواب من الكلام، أو الذي ليس فيه شيء مما نهي عنه. ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ قرئ بكسر القاف، ويحتمل وجهين؛ أن يكون من الوقار، أو من القرار في الموضوع، ثم حذف الراء الواحدة كما حذف اللام في ظلت، وأما القراءة بالفتح، فمن القرار في الموضوع على لغة من يقول: قررت بالكسر أقرر بالفتح، والمشهور في اللغة عكس ذلك، وقيل: هي من قار يقار إذا اجتمع، ومعنى القرار أرجح؛ لأن سودة ؓ قيل لها: لم لا تخرجين؟ فقالت: أمرنا الله أن نقر في بيوتنا، وكانت عائشة ؓ إذا قرأت هذه الآية تبكي على خروجها أيام الحمل، وحينئذ قال لها عمار ؓ: إن الله أمرك أن تقري في بيتك. ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ التبرج: هو إظهار الزينة. ﴿تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ أي: مثل ما كان نساء الجاهلية يفعلن من الانكشاف، والتعرض للنظر، وجعلها "أولى" بالنظر إلى حال الإسلام، وقيل "الجاهلية الأولى" ما بين آدم ونوح، وقيل: ما بين موسى وعيسى. ﴿الرِّجْسَ﴾ أصله النجس، والمراد به هنا النقائص والعيوب. ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ منادى،



وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٦٠﴾  
 إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَلْبَتِينَ وَالْقَلْبَتَاتِ  
 وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ  
 وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِغِينَ وَالصَّابِغَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ  
 وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦١﴾ وَمَا كَانَ  
 لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ  
 اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُبِينًا ﴿٦٢﴾

أو منصوب على التخصيص، وأهل بيت النبي ﷺ؛ هم أزواجه وذريته، وأقاربه كالعباس وعلي ﷺ، وكل من حرمت عليه الصدقة، وقيل: المراد هنا أزواجه خاصة، و"البيت" على هذا: المسكن؛ وهذا ضعيف؛ لأن الخطاب بالتذكير، ولو أراد ذلك لقال: عنكن، وروي أن النبي ﷺ قال: «نزلت هذه الآية في خمسة: في، وفي علي، وفاطمة، والحسن، والحسين» [الطبري: 20 / 266]. «وَأَذْكُرَنَّ» خطاب لأزواج النبي ﷺ خصصهن به بعد دخولهن مع أهل البيت، وهذا الذكر يحتمل أن يكون التلاوة، أو التذكر بالقلب، و«آيَاتِ اللَّهِ» هي القرآن، «وَالْحِكْمَةَ» هي السنة. «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ» الآية، سببها أن بعض النساء قلن: ذكر الله الرجال ولم يذكرنا، فنزل فيها ذكر النساء. «وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ» الإسلام هو الانقياد، والإيمان هو التصديق، ثم إنهما يطلقان بثلاثة أوجه: باختلاف المعنى كقوله: «لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا»، وبالافتقار لاجتماعهما كقوله: «فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» الآية، وبالعموم فيكون الإسلام أعم؛ لأنه بالقلب والجوارح، والإيمان أخص؛ لأنه بالقلب خاصة؛ وهذا هو الأظهر في هذا الموضوع. «وَالْقَائِمَاتِ» «وَالْقَائِمَاتِ» يحتمل أن يكون بمعنى العبادة أو الطاعة. «وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ» يحتمل أن يكون من صدق القول، أو من صدق العزم، أو العهد. «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ» الآية، معناها: أنه ليس لمؤمن ولا مؤمنة اختيار مع الله ورسوله، بل يجب عليهم التسليم والانقياد لأمر الله ورسوله، والضمير في قوله «مِنْ أَمْرِهِمْ» راجع إلى الجمع الذي يقتضيه قوله "المؤمن ولا مؤمنة"؛ لأن معناه العموم في جميع المؤمنين والمؤمنات، وهذه الآية توطئة للقصة المذكورة بعدها، وقيل: سببها أن رسول الله ﷺ خطب امرأة؛ لزوجها لمولاه زيد بن حارثة، فكرهت هي وأهلها ذلك، فلما نزلت الآية، قالوا: رضينا يا رسول الله! [الطبري: 19 / 113]، واختلف هل هذه المخطوبة زينب ابنت جحش أو غيرها؟ وقد قيل: إنها أم كلثوم ابنت عقبه بن أبي معيط.

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٦٢﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ هو زيد بن حارثة الكلبي ؑ، وإنعام الله عليه بالإسلام وغيره، وإنعام النبي ﷺ بالعتق، وكانت عند زيد زينب بنت جحش ؑ؛ وهي بنت أميمة عمة النبي ﷺ، فشكا زيد ؑ إلى رسول الله ﷺ سوء معاشرتها وتعاضمها عليه، وأراد أن يطلقها، فقال له رسول الله ﷺ: «أمسك عليك زوجك، واتق الله» [البخاري: 6984]؛ يعني فيما وصفها به من سوء المعاشرة، أو اتق الله ولا تطلقها، فيكون نهيًا عن الطلاق على وجه التنزيه، كما قال عليه الصلاة والسلام: «أبغض المباح إلى الله الطلاق» [أبو داود: 2178]. ﴿وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ الذي أخفاه رسول الله ﷺ في نفسه أمر جائز مباح لا إثم فيه ولا عتاب، ولكنه خاف أن يسלט الناس عليه ألسنتهم؛ وينالوا منه، فأخفاه حياءً وحشمةً وصيانةً لعرضه، وذلك أنه ﷺ كان حريصاً على أن يطلق زيد زينب؛ ليتزوجها هو ﷺ لقرابتها منه، ولحسبها، فقال: «أمسك عليك زوجك»، وهو يخفي الحرص عليها، خوفاً من كلام الناس؛ لثلاثاً يقولوا: تزوج امرأة ابنه؛ إذ كان قد تبناه، فالذي أخفاه ﷺ هو إرادة تزوجها، فأبدى الله ذلك بأن قضى له بتزويجها، فقالت عائشة ؓ: لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي، لكتم هذه الآية لشدتها عليه، وقيل: إن الله كان قد أوحى إلى رسول الله ﷺ أن يتزوج زينب بعد طلاق زيد، فالذي أخفاه رسول الله ﷺ ما أعلمه الله به من ذلك. ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ لم يذكر أحد من الصحابة في القرآن باسمه غير زيد بن حارثة ؑ، والوטר الحاجة، قال ابن عطية: يراد به هنا الجماع؛ والأحسن أن يكون أعم من ذلك، أي: لما لم يبق لزيد ؑ فيها حاجة، زوجها الله من نبيه ﷺ، وأسند الله تزويجها إليه تشريفاً لها، ولذلك كانت زينب تفتخر على نساء النبي ﷺ، وتقول: إن الله زوجني نبيه من فوق سبع سموات. واستدل بعضهم بقوله "زوجناكها" على أن الأولى أن يقال في كتاب الصداق: أنكحه إياها، بتقديم ضمير الزوج على ضمير الزوجة كما في الآية. ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾ المعنى: أن الله زوج زينب امرأة زيد من رسول الله ﷺ؛ ليعلم المؤمنون أن تزويج نساء أدعيائهم حلال لهم؛ فإن الأدعياء ليسوا لهم بأبناء في الحقيقة. ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ المعنى: أن تزوج النبي ﷺ زينب بعد زيد حلال لا حرج فيه ولا إثم ولا عتاب، وفي ذلك رد على من تكلم في ذلك من المنافقين، و"فرض" هنا بمعنى قسم الله له.

سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ  
رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا مَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿١٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ  
أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتِمَ النَّبِيِّينَ ﴿٢٠﴾ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢١﴾  
يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٢٢﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٣﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي  
عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٢٤﴾  
تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٢٥﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ ؑ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: عادة الله في الأنبياء المتقدمين أن ينالوا ما أحل الله لهم، وقيل: الإشارة بذلك إلى داود في تزوجه للمرأة التي جرى له فيها ما جرى؛ والعموم أحسن، ونصب "سنة" على المصدر، أو على إضمار فعل، أو على الإغراء. ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾ صفة لـ "الذين خلوا من قبل" وهم الأنبياء، أو رفع على إضمار مبتدأ، أو نصب بإضمار فعل. ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ هذا رد على من قال في زيد بن حارثة: زيد ابن محمد، فاعترض على النبي ﷺ تزوج امرأة زيد، وعموم النفي في الآية لا يعارضه وجود الحسن والحسين ﷺ؛ لأنه ﷺ ليس أبا لهما في الحقيقة؛ لأنها ليسا من صلبه، وإنما كانا ابني بنته، وأما ذكور أولاده فماتوا صغاراً، فليسوا من الرجال. ﴿وَخَاتِمَ النَّبِيِّينَ﴾ أي: آخرهم، فلا نبي بعده ﷺ، وقرئ بكسر التاء، بمعنى أنه ختمهم، فهو خاتم، وبالفتح بمعنى أنهم ختموا به؛ فهو كالخاتم والطابع لهم، فإن قيل: إن عيسى ينزل في آخر الزمان، فيكون بعده عليه الصلاة والسلام، فالجواب: أن النبوة أوتيت عيسى قبله ﷺ، وأيضاً فإن عيسى يكون إذا نزل على شريعته عليه الصلاة والسلام؛ فكأنه واحد من أمته. ﴿أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ شرط الله الكثرة في الذكر حيثما أمر به، بخلاف سائر الأعمال، والذكر يكون بالقلب وباللسان، وهو على أنواع كثيرة من التهليل، والتسبيح، والحمد، والتكبير، وذكر أسماء الله تعالى. ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ قيل: إن ذلك إشارة إلى صلاة الصبح والعصر؛ والأظهر أنه أمر بالتسبيح في أول النهار وآخره، وقال ابن عطية: أراد في كل الأوقات فحد النهار بطرفيه. ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ هذا خطاب للمؤمنين، وصلاة الله عليهم رحمة لهم، وصلاة الملائكة عليهم دعاؤهم لهم، فاستعمل لفظ "يصلي" في المعنيين على اختلافهما، وقيل: إنه على حذف تقديره: وملائكته يصلون. ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ قيل: يعني يوم القيامة، وقيل: في الجنة؛ وهو الأرجح لقوله: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾، ويحتمل أن يريد تسليم بعضهم على بعض، أو قول الملائكة لهم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾. ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ أي: يشهد على أمته.

وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ - وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿١٦﴾ وَبَشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَأَنَّ هُمْ  
 مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿١٧﴾ وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ  
 وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٨﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ  
 مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَحُوهُنَّ  
 سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿١٩﴾ يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ ءِ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا  
 مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ  
 خَالَتِكَ الَّتِي هَا جَرْنَ مَعَكَ

﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾ أي: بأمره وإرساله. ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ استعارة للنور الذي تضمنه الدين. ﴿وَدَعِ  
 أَذْنَهُمْ﴾ يحتمل وجهين؛ أحدهما: لا تؤذهم، فالمصدر على هذا مضاف إلى المفعول، ونسخ من الآية على هذا  
 التأويل ما يخص الكافرين بآية السيف، والآخر: احتمل إذابتهم لك، وأعرض عن أقوالهم، فالمصدر على  
 هذا مضاف للفاعل. ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾ الآية، معناها: سقوط العدة عن المطلقة قبل  
 الدخول، فالنكاح في الآية هو العقد، والمس هو الجماع. و﴿تَعْتَدُونَهَا﴾ من العدد. ﴿فَمَتَّعُوهُنَّ﴾ هذا يقتضي  
 متعة المطلقة قبل الدخول سواء فرض لها أو لم يفرض لها صداق، وقوله تعالى في البقرة: ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ  
 مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَرِيضَةٌ مِمَّا فَرَضْتُمْ﴾، يقتضي أن المطلقة قبل الدخول وقد  
 فرض لها، يجب لها نصف الصداق ولا متعة لها، وقد اختلف هل هذه الآية ناسخة لآية البقرة، أو منسوخة  
 بها؟ ويمكن الجمع بينهما بأن تكون آية البقرة مبينة لهذه ومخصصة لعمومها. ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ ءِ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ  
 أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ﴾ في معناه قولان؛ أحدهما: أن المراد أزواجه اللاتي في عصمته حينئذ كعائشة  
 وغيرها، وكان قد أعطاهن مهورهن، والآخر: أن المراد جميع النساء، فأباح الله له أن يتزوج كل امرأة يعطي  
 مهرها؛ وهذا أوسع من الأول. ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ أباح الله له مع الأزواج السراري بملك اليمين. ويعني  
 بقوله: ﴿أَفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ الغنائم. ﴿وَبَنَاتِ عَمَّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ﴾ يعني  
 قرابته من جهة أبيه ومن جهة أمه، وكان له عليه الصلاة والسلام أعمام وعمات إخوة لأبيه، ولم يكن لأمه عليه  
 الصلاة والسلام أخ ولا أخت، وإنما يعني بخاله وخالاته عشيرة أمه، وهم بنو زهرة، ولذلك كانوا يقولون:  
 نحن أخوال رسول الله ﷺ، فمن قال: إن المراد بقوله "أحللنا لك أزواجك" من كان في عصمته، فهذا عطف  
 عليهن وإباحة لأن يتزوج قرابته زيادة على من كان في عصمته، ومن قال: إن المراد جميع النساء، فهذا تجريد  
 منهن على وجه التشریف بعد دخول هؤلاء في العموم. ﴿الَّتِي هَا جَرْنَ مَعَكَ﴾ تخصيص تحرز به ممن لم

وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٤٠﴾ \* تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمِنْ ابْتِغَيْتِ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ

يهاجر كالطلاق الذين أسلموا يوم فتح مكة. ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ أباح الله له ﷺ من وهبت له نفسها من النساء، واختلف هل وقع ذلك أم لا؟ فقال ابن عباس ؓ: لم تكن عند النبي ﷺ امرأة إلا بنكاح، أو ملك يمين لا بهبة نفسها، ويؤيد هذا قراءة الجمهور "إن وهبت" بكسر الهمزة؛ أي: إن وقع، وقيل: قد وقع ذلك، وهو على هذا القول قرئ "أن وهبت" بفتح الهمزة، واختلف على هذا القول فيمن هي التي وهبت نفسها؟ فقيل: ميمونة بنت الحارث ؓ، وقيل: زينب بنت خزيمة ؓ، أم المساكين، وقيل: أم شريك الأنصارية ؓ، وقيل: أم شريك العامرية ؓ. ﴿خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: هبة المرأة نفسها مزية خاصة بالنبي ﷺ دون غيره، وانظر كيف رجع من الغيبة إلى الخطاب ليخص المخاطب وحده، وقيل: إن "خالصة" يرجع إلى كل ما تقدم من النساء المباحات له ﷺ؛ لأن سائر المؤمنين قصرُوا على أربع نسوة، وأبىح له عليه الصلاة والسلام أكثر من ذلك، ومذهب مالك أن النكاح بلفظ الهبة لا ينعقد خلافا لأبي حنيفة، وإعراب "خالصة" مصدر، أو حال، أو صفة لـ "امرأة". ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ يعني أحكام النكاح من الصداق والولي والاقتصار على أربع وغير ذلك. ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ يتعلق بالآية التي قبله، أي: قد بينا أحكام النكاح؛ لئلا يكون عليك حرج، أو لئلا يظن بك أنك فعلت ما لا يجوز، وقال الزمخشري: يتعلق بقوله "خالصة لك". ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ معنى "ترجي" تؤخر وتبعد، ومعنى "تؤوي" تضم وتُقرّب، واختلف في المراد بهذا الإرجاء والإيواء، فقيل: إن ذلك في القسمة بينهن؛ أي: تكثر لمن شئت، وتقل لمن شئت، وقيل: إنه في الطلاق؛ أي: تمسك من شئت، وتطلق من شئت، وقيل: معناه تتزوج من شئت، وتترك من شئت؛ والمعنى على كل قول توسعة على النبي ﷺ وإباحة له أن يفعل ما يشاء، وقد اتفق الناقلون على أنه ﷺ كان يعدل في القسمة بين نساءه، أخذاً منه بأفضل الأخلاق مع ما أباحه الله له، والضمير في قوله "منهن" يعود على أزواج النبي ﷺ خاصة، أو على كل ما أحل الله له على حسب الخلاف المتقدم. ﴿وَمِنْ ابْتِغَيْتِ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ في معناه قولان؛ أحدهما: من كنت عزلته من نساءك، فلا جناح عليك في رده بعد عزله، والآخر: من ابتغيت ومن عزلت سواء في إباحة ذلك، فـ "من" للتبعية على القول الأول، وأما على الثاني فنحو قولك: من لقيك ممن لم يلقك سواء.

ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَأَ عَلَيْهِنَّ وَلَا تَحْزَنْ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٦١﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٦٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ

﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَأَ عَلَيْهِنَّ﴾ أي: إذا علمن أن هذا حكم الله قرت به أعينهن، ورضين به، وزال ما كان بهن من الغيرة؛ فإن سبب نزول هذه الآية؛ ما وقع بين أزواج النبي ﷺ من غيرة بعضهن على بعض. ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ فيه قولان؛ أحدهما: لا يحل لك النساء غير اللاتي في عصمتك الآن ولا تزيد عليهن، قال ابن عباس ؓ: لما خيرهن رسول الله ﷺ فاخترن الله ورسوله، جازاهن الله على ذلك بأن حرم غيرهن من النساء كرامة لهن، والقول الثاني: لا يحل لك النساء غير الأصناف التي سميت، والخلاف هنا يجري على الخلاف في المراد بقوله: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ أي: لا يحل لك غير من ذكر حسبها تقدم، وقيل: معنى "لا يحل لك النساء" لا يحل لك اليهوديات ولا النصرانيات من بعد المسلمات المذكورات؛ وهذا بعيد. واختلف في حكم هذه الآية، فقيل: إنها منسوخة بقوله "إنا أحللنا لك أزواجك" على القول بأن المراد جميع النساء، وقيل: إن هذه الآية ناسخة لتلك على القول بأن المراد من كان في عصمته؛ وهذا هو الأظهر لما ذكرنا عن ابن عباس ؓ، ولأن التسع في حقه عليه الصلاة والسلام كالأربع في حق أمته. ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ معناه: لا يحل لك أن تطلق واحدة منهن وتتزوج غيرها بدلا منها، وقيل: معناه ما كانت العزب تفعله من المبادلة في النساء؛ بأن ينزل الرجل عن زوجته لرجل وينزل الآخر له عن زوجته؛ وهذا ضعيف. ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ في هذا دليل على جواز النظر إلى المرأة إذا أراد الرجل أن يتزوجها. ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ المعنى: أن الله أباح له الإماء، والاستثناء في موضع رفع على البدل من "النساء"، أو في موضع نصب على الاستثناء من الضمير في حسنهن. ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ سبب هذه الآية: على ما رواه أنس ؓ أن رسول الله ﷺ لما تزوج زينب بنت جحش ؓ، أولم عليها فدعا الناس، فلما طعموا قعد نفر في طائفة من البيت، فثقل ذلك على رسول الله ﷺ، فخرج ليخرجوا بخروجه، فمر على حجر نسائه ثم عاد فوجدهم في مكائهم، فانصرف فخرجوا عند ذلك، وقال ابن عباس ؓ نزلت في قوم كانوا يتحिनون طعام النبي ﷺ فيدخلون عليه قبل الطعام، فيقعدون إلى أن يطبخ، ثم يأكلون ولا يخرجون، فأمروا أن لا يدخلوا حتى يؤذن لهم، وأن ينصرفوا إذا أكلوا، قلت: والقول الأول أشهر، وقول ابن عباس ؓ أليق بما في الآية من النهي عن الدخول حتى يؤذن لهم، فلعل قول ابن عباس ؓ في النهي عن الدخول حتى يؤذن لهم،

غَيْرَ نَظْرِينَ إِنَّهُ وَلَكِنَّ إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَنِينَ  
لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحِيءُ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحِيءُ مِنْ  
الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ  
وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَرْوَاجَهُ مِنْ  
بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٦٦﴾ إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خُفُّوا فَإِنَّ اللَّهَ  
كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٦٧﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي آبَائِهِمْ وَلَا أَبْنَائِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ

والقول الأول في النهي عن القعود بعد الأكل؛ فإن الآية تضمنت الحكمين. ﴿غَيْرَ نَظْرِينَ إِنَّهُ﴾ أي: غير  
منتظرين لوقت الطعام، والإني: هو الوقت، وقيل: إنا الطعام نضجه وإدراكه، يقال: أنى يأتي إناء. ﴿وَلَكِنَّ  
إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا﴾ أمر بالدخول بعد الدعوة، وفي ذلك تأكيد للنهي عن الدخول قبلها. ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ  
فَانْتَشِرُوا﴾ أي: انصرفوا، قال بعضهم: هذا أدب أدب الله به الثقلاء، وقالت عائشة ؓ: حسبك من  
الثقلاء أن الله لم يمتلهم. ﴿وَلَا مُسْتَنِينَ لِحَدِيثٍ﴾ معطوف على "غير ناظرين"، أو تقديره: ولا تدخلوا  
مستانسين، ومعناه: النهي عن أن يطلبوا الجلوس للأنس بحديث بعضهم مع بعض، أو يستانسوا حديث  
أهل البيت؛ واستنسه تسمعه وتجلسه. ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾ يعني جلوسهم للحديث، أو  
دخولهم بغير إذن. ﴿فَيَسْتَحِيءُ مِنْكُمْ﴾ تقديره: فيستحيي من إخراجكم بدليل قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحِيءُ  
مِنَ الْحَقِّ﴾ يعني أن إخراجكم حق لا يتركه الله. ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ المتاع  
الحاجة من أثاث وغيره، وهذه الآية نزلت في احتجاب أزواج النبي ﷺ؛ وسببها ما رواه أنس ؓ من قعود  
القوم يوم الوليمة في بيت زينب، وقيل: سببها أن عمر بن الخطاب ؓ أشار على رسول الله ﷺ بأن يحجب  
نساءه، فنزلت الآية موافقة لقول عمر ؓ، وقال بعضهم: لما نزلت في أمهات المؤمنين. ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ  
مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ كن لا يجوز للنساء كلامهن إلا من وراء حجاب، ولا يجوز أن يراهن  
متنقيات ولا غير متنقيات، فخصص بذلك دون سائر النساء. ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ يريد  
أبقى من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء، وللنساء في أمر الرجال. ﴿وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَرْوَاجَهُ﴾  
سببها أن بعض الناس قالوا: لو مات رسول الله ﷺ لتزوجت عائشة ؓ، فحرم الله على الناس تزوج  
نساءه بعده كرامة له ﷺ. ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي آبَائِهِمْ وَلَا أَبْنَائِهِمْ﴾ الآية، لما أوجب الله الحجاب، أباح  
لهن الظهور لذوي محارمهن من القرابة؛ وهم الآباء، والأبناء، والإخوة وأولادهم، وأولاد الأخوات.

وَلَا أَبْنَاءَ أَحْوَابِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ  
 إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٩٣﴾ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ  
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٩٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
 لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٩٥﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ  
 الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٩٦﴾

﴿وَلَا نِسَائِهِنَّ﴾ قيل: يريد بالنساء القرابة والمتصرفات لهن، وقيل: يريد جميع نساء المؤمنات؛ ويقوي  
 الأول تخصيص النساء بالإضافة إليهن، ويقوي الثاني أنهن كن لا يحتجبن من النساء على الإطلاق. ﴿وَلَا  
 مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ اختلف فيمن أبيع لهن الظهور له من ملك اليمين؟ فقيل: الإماء دون العبيد، وقيل:  
 الإماء والعبيد؛ وهذا أولى بلفظ الآية، ثم اختلف من ذهب إلى هذا، فقال قوم: من ملكته من العبيد دون  
 من ملكه غيرهن؛ وهذا هو الظاهر من لفظ الآية، وقال قوم: بل جميع العبيد كان في ملكهن أو في ملك  
 غيرهن. ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ هذه الآية تشریف للنبي ﷺ، وقد ذكرنا معنى صلاة الله  
 وصلاة الملائكة في قوله ﴿يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾. ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ الصلاة على النبي ﷺ  
 فرض إسلامي؛ فالأمر به محمول على الوجوب وأقله مرة في العمر، وأما حكمها في الصلاة؛ فمذهب  
 الشافعي أنها فرض تبطل الصلاة بتركه، ومذهب مالك أنها سنة، وصفتها ما ورد في الحديث الصحيح:  
 «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت  
 على إبراهيم، إنك حميد مجيد» [مسلم: 934] وقد اختلفت الروايات في ذلك اختلافا كثيرا، أما السلام على  
 النبي ﷺ فيحتمل أن يريد السلام عليه في التشهد في الصلاة، أو السلام عليه حين لقائه؛ وأما السلام  
 عليه بعد موته، فقد قال ﷺ: «من سلم علي قريبا سمعته، ومن سلم علي بعيدا بلغته، فإن الله حرم على  
 الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء». ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ إذاية الله هي بالإشراك به ونسبة  
 صاحبة والولد له، وليس معنى إذايته أنه يضره الأذى؛ لأنه تعالى لا يضره شيء ولا ينفعه، وقيل: إنها  
 على حذف مضاف تقديره: يؤذون أولياء الله؛ والأول أرجح؛ لأنه ورد في الحديث: «يقول الله تعالى:  
 يشتمني ابن آدم وليس له أن يشتمني، ويكذبني وليس له أن يكذبني، أما شتمه إياي فقله: إن لي صاحبة  
 وولدا، وأما تكذيبه إياي فقله: لا يعيدني كما بداني» [البخاري: 3193]، وأما إذاية رسول الله ﷺ؛ فهي  
 التعرض له بما يكره من الأقوال والأفعال، وقال ابن عباس ؓ: نزلت في الذين طعنوا عليه حين اتخذ  
 صفية بنت حيي ؓ. ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ الآية في البهتان؛ وهو ذكر



يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَأَزْوَاجِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ۗ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥١﴾ ۞ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُتَنَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ مَلْعُونِينَ ۗ أَيُّنَمَا تُقْفُوا أَخَذُوا وَقَتَّلُوا تَقْتِيلًا ﴿٥٣﴾ سُنَّةَ اللَّهِ

الإنسان بها ليس فيه، وهو أشد من الغيبة مع أن الغيبة محرمة؛ وهي ذكره بها فيه مما يكره. ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَأَزْوَاجِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾ كان نساء العرب يكشفن وجوههن كما تفعل الإماء، وكان ذلك داعيا إلى نظر الرجال إليهن، فأمرهن الله بإدناء الجلابيب؛ ليسترن بذلك وجوههن، ويقع الفرق بين الحرائر والإماء، والجلابيب جمع جلباب؛ وهو ثوب أكبر من الخمار، وقيل: هو الرداء، وصورة إدنائه عند ابن عباس ؓ أن تلويه على وجهها؛ حتى لا يظهر منها إلا عين واحدة تبصر بها، وقيل: تلويه حتى لا يظهر إلا عيناها، وقيل: أن تغطي نصف وجهها. ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ أي: ذلك أقرب إلى أن يعرف الحرائر من الإماء؛ فإذا عرف أن المرأة حرة لم تعارض بها تعارض به الأمة، وليس المعنى أن تعرف المرأة حتى يعلم من هي، إنما المراد أن يفرق بينها وبين الأمة؛ لأنه كان بالمدينة إماء يعرفن بالسوء، وربما تعرض لهن السفهاء. ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُتَنَفِقُونَ﴾ الآية، تضمنت وعيد هؤلاء الأصناف إن لم ينتهوا، وقيل: إنهم لم ينتهوا ولم ينفذ الوعيد عليهم، ففي ذلك دليل على بطلان القول بوجوب إنفاذ الوعيد في الآخرة، وقيل: إنهم انتهوا وسترُوا أمرهم فكف عنهم إنفاذ الوعيد، والمنافقون هم الذين يظهرن الإسلام ويخفون الكفر. ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ قوم كان فيهم ضعف إيمان وقلة ثبوت عليه، وقيل: هم الزناة كقولهم: ﴿فَيُطَمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾. ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ قوم كانوا يشيعون أخبار السوء ويخوفون المسلمين، فيحتمل أن تكون هذه الأصناف مفترقة، أو تكون داخلة في جملة المنافقين ثم جردها بالذكر. ﴿لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ﴾ أي: نسلطك عليهم، وهذا هو الوعيد. ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا﴾ ذلك لأنه ينبغيهم أو يقتلهم، والضمير المجرور لـ "لمدينة". ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ يحتمل أن يريد إجمارا قليلا، أو وقتا قليلا، أو عددا قليلا منهم، والإعراب يختلف بحسب هذه الاحتمالات فـ "قليلا" على الاحتمال الأول مصدر، وعلى الثاني ظرف، وعلى الثالث منصوب على الاستثناء. ﴿مَلْعُونِينَ﴾ منصوب على الذم، أو بدل من "قليلا" على الوجه الثالث، أو حال من ضمير الفاعل في "يجاورونك" تقديره: سينفون ملعونين. ﴿أَيُّنَمَا تُقْفُوا أَخَذُوا﴾ أي: حيث ما ظفر بهم أسروا، والأخذ الأسر. ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ أي: عادته، ونصبه على المصدر.

فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ۗ وَلَنْ نَجِدَ لِسِنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿١٢﴾ يَسْئَلُكَ النَّاسُ عَنِ  
السَّاعَةِ ۗ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿١٣﴾ إِنَّ اللَّهَ  
لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿١٤﴾ خٰلِدِينَ فِيهَا اَبَدًا ۗ لَا يَجِدُونَ وَلِيًا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٥﴾  
يَوْمَ تَقْلَبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يٰلَيْتَنَّا اَطَعْنَا اللَّهَ وَاَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿١٦﴾ وَقَالُوا  
رَبَّنَا اِنَّا اَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَاَضَلُّونَا السَّبِيْلَ ﴿١٧﴾ رَبَّنَا اٰتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ  
الْعَذَابِ وَاَلْعَنِهِمْ لَعْنًا كَثِيْرًا ﴿١٨﴾ يٰتٰيْهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا لَا تَكُوْنُوْا كَالَّذِيْنَ ءَاذَوْا مُوسٰى  
فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوْا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وِجِيْهًا ﴿١٩﴾ يٰتٰيْهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوْا  
قَوْلًا سَدِيْدًا ﴿٢٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ وَاَعْمَلْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوْبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
فَقَدْ فَاَزَ فَوْزًا عَظِيْمًا ﴿٢١﴾ اِنَّا عَرَضْنَا الْاٰمٰنَةَ عَلٰى السَّمٰوٰتِ وَاَلْاَرْضِ وَاَلْجِبٰلِ  
فَاَبِيْنَ اَنْ يَّحْمِلْنَهَا وَاَشْفَقْنَ مِنْهَا

﴿ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ﴾ يعني المنافقين من الأمم المتقدمة، وقيل: يعني كفار بدر؛ لأنهم أسروا وقتلوا.  
﴿ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ إنما قال "قريباً" بالتذكير والساعة مؤنثة على تقدير: شيئاً قريباً، أو زماناً قريباً، أو لأن  
تأنيثها غير حقيقي. ﴿ يَوْمَ تَقْلَبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ﴾ العامل في "يوم" قوله ﴿ يَقُولُونَ ﴾، أو ﴿ لَا يَجِدُونَ ﴾،  
أو محذوف، و"تقلب وجوههم" تصرفها في جهات النار، كما تدور البضعة في القدر إذا غلت من جهة  
إلى جهة، أو تغييرها عن أحوالها. ﴿ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَوْا مُوسَى ﴾ هم قوم من بني إسرائيل، وإذابتهم له  
ما ورد في الحديث: «أن بني إسرائيل كانوا يغتسلون عراة، وكان موسى يستتر منهم إذا اغتسل، فقالوا: إنه  
أدر، فاغتسل موسى يوماً وحده، وجعل ثيابه على حجر ففر الحجر بثيابه، واتبعه موسى وهو يقول: ثوبي  
حجر ثوبي حجر، فمر في أتباعه على ملأ من بني إسرائيل، فرأوه سلبياً عما قالوا، فذلك قوله "فبرأه الله مما  
قالوا" [البخاري: 3404]. وقيل: إذابتهم له أنهم رموه بأنه قتل أخاه هارون، فبعث الله ملائكة فحملته حتى  
رآه بنو إسرائيل ليس فيه أثر، فبرأه الله موسى، وروي أنه حيي فأخبرهم ببراءة موسى؛ والقول الأول هو  
الصحيح لوروده في الحديث الصحيح. ﴿ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ قيل: يعني لا إله إلا الله؛ واللفظ أعم من ذلك.  
﴿ اِنَّا عَرَضْنَا الْاٰمٰنَةَ عَلٰى السَّمٰوٰتِ وَاَلْاَرْضِ وَاَلْجِبٰلِ ﴾ "الامانة" هي التكاليف الشرعية من التزام الطاعات

وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٧﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ  
وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ  
عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٨﴾

وترك المعاصي، وقيل: هي الأمانة في الأموال، وقيل: غسل الجنابة؛ والصحيح العموم في التكليف،  
وعرضها على السماوات والأرض والجبال يحتمل وجهين؛ أحدهما: أن يكون الله خلق لها إدراكا فعرضت  
عليها الأمانة حقيقة، فأشفقت منها وامتنعت من حملها، والثاني: أن يكون المراد تعظيم شأن الأمانة، وأنها  
من الثقل بحيث أنها لو عرضت على السماوات والأرض والجبال لأبين من حملها وأشفقت منها، فهذا  
ضرب من المجاز، كقولهم: عرضت الحمل العظيم على الدابة فأبت أن تحمله، والمراد أنها لا تقدر على حمله.  
﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ أي: التزم الإنسان القيام بالتكليف مع شدة ذلك، وصعوبته على الأجرام التي هي  
أعظم منه، ولذلك وصفه الله بأنه ظالم جهول، و"الإنسان" هنا جنس، وقيل: يعني آدم، وقيل: قابيل  
الذي قتل أخاه. ﴿لِيُعَذِّبَ﴾ اللام للصيرورة، فإن حمل الأمانة كان سبب تعذيب المنافقين والمشركين،  
ورحمة للمؤمنين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ  
 الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا  
 يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا  
 تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي  
 السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾  
 لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾  
 وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ هُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزِ أَلِيمٍ ﴿٥﴾ وَيَرَى الَّذِينَ  
 أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾

## سورة سبأ

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ يحتتمل أن يكون الحمد الأول في الدنيا والثاني في الآخرة، وعلى هذا حمله الزمخشري،  
 ويحتتمل عندي أن يكون الحمد الأول للعموم والاستغراق فيجمع الحمد في الدنيا والآخرة، ثم جرد منه  
 الحمد في الآخرة كقوله: ﴿فَاكِهَةٌ وَتَحُلُّ وَرُمَانٌ﴾، ثم إن الحمد في الآخرة يحتتمل أن يريد به الجنس، أو يريد  
 به قوله ﴿وَأَخْرَجُوا لَهُمُ الْخَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أو ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ﴾. ﴿مَا يَلْجُ فِي  
 الْأَرْضِ﴾ أي: يدخل فيها من المطر والأموات وغير ذلك. ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من النبات وغيره. ﴿وَمَا يَنْزِلُ  
 مِنَ السَّمَاءِ﴾ من المطر والملائكة والرحمة والعذاب وغير ذلك. ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ أي: يصعد ويرتفع من  
 الأعمال وغيرها. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ روي: أن قائل هذه المقالة هو أبو سفيان بن حرب.  
 ﴿لَا يَعْزُبُ﴾ أي: لا يغيب ولا يخفى. ﴿وَلَا أَصْغَرُ﴾ معطوف على "مثقال"، وقال الزمخشري: هو مبتدأ، لأن  
 حرف الاستثناء يمنع من العطف، ولا خلاف بين القراء السبعة في رفع "أصغر" و﴿أَكْبَرُ﴾ في هذا الموضع،  
 وقد حكى ابن عطية الخلاف فيه عن بعض القراء السبعة، وإنما الخلاف في يونس. ﴿فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ يعني  
 اللوح المحفوظ. ﴿لِيَجْزِيَ﴾ يتعلق بقوله "لتأتينكم"، أو بقوله "لا يعزب"، أو بمعنى قوله "في كتاب مبين".  
 ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا﴾ مبتدأ وخبره الجملة بعده، وقال ابن عطية: هو معطوف على "الذين" الأول، وقد ذكر في  
 الحج معنى: ﴿سَعَوْا﴾ و﴿مُعَاجِزِينَ﴾. ﴿أَلِيمٍ﴾ بالرفع صفة لـ "عذاب"، وبالخفض صفة لـ "رجز". ﴿وَيَرَى﴾  
 معطوف على "ليجزى" أو مستأنف؛ وهذا أظهر. ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ هم الصحابة، أو من أسلم من أهل  
 الكتاب، أو على العموم. ﴿الْحَقُّ﴾ مفعول ثان لـ "يرى" لأن الرؤيا هنا بالقلب بمعنى العلم، والضمير فصل.

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ ۖ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مُّزَقٍ ۖ إِنَّكُمْ لَفِي  
خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧٠﴾ أَفَتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ ۗ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي  
الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٧١﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ  
وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّ نَسْأًا نَّخَسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِم كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٧٢﴾ ۖ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض: هل ندلكم على رجل؛ يعنون محمدا ﷺ. ﴿يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مُّزَقٍ﴾ أي: بليتم في القبور وتقطعت أوصالكم، و"كل ممزق" مصدر، والخلق الجديد هو الحشر في القيامة، والعامل في "إذا" معنى "انكم لفي خلق جديد"؛ لأن معناه تبعثون إذا مزقتم، وقيل: العامل فيها فعل مضمر مقدر قبلها؛ وذلك ضعيف، و"انكم لفي خلق جديد" معمول "ينبئكم"، وكسرت "إن" للام التي في خبرها، ومعنى الآية: أن ذلك الرجل يخبركم أنكم تبعثون بعد أن بليتم في الأرض، ومرادهم استبعاد الحشر. ﴿أَفَتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ﴾ هذا من جملة كلام الكفار، ودخلت همزة الاستفهام على ألف الوصل فحذفت ألف الوصل وبقيت همزة مفتوحة غير ممدودة. ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ﴾ هذا رد عليهم، أي: أنه لم يفتّر على الله كذبا، وليس به جنّة، بل هؤلاء الكفار في ضلال وحيرة عن الحق توجب لهم العذاب، ويحتمل أن يريد بـ"العذاب" عذاب الآخرة، أو العذاب في الدنيا بمعاندة الحق ومحاولة ظهور الباطل. ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الضمير في "يروا" للكفار المنكرين للبعث، وجعل السماء والأرض بين أيديهم وخلفهم لأنها محيطتان بهم، والمعنى: أولم يروا إلى السماء والأرض فيعلموا أن الذي خلقهما قادر على بعث الناس بعد موتهم، ويحتمل أن يكون المعنى تهديدا لهم، ثم فسره بقوله: ﴿إِنَّ نَسْأًا نَّخَسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِم كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ أي: أفلم يروا إلى السماء والأرض وأنها محيطتان بهم فيعلموا أنهم لا مهرب لهم من الله. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ الإشارة إلى إحاطة السماء والأرض بهم، أو إلى عظمة خلقه السماء والأرض فإن فيها آية تدل على البعث. ﴿يٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ تقديره: قلنا يا جبال، والجملة تفسير للفضل، ومعنى "أوبى" سبحي، وأصله من التأويب وهو الترجيع؛ لأنه كان يرجع التسييح فترجعه معه، وقيل: هو من التأويب بمعنى السير بالنهار، وقيل: كان ينوح فتساعده الجبال بصداها والطيور بأصواتها. ﴿وَالطَّيْرَ﴾ بالنصب عطف على موضع "يا جبال"، وقيل: مفعول معه، وقيل: عطف على "فضلا"، وقرئ بالرفع عطفًا على لفظ "يا جبال".

وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَلْبَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ ۖ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ وَلَسْلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُم عَنْ أَمْرِنَا نُنْذِقْهُ مِن عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٣﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ ۖ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ ۖ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ ۖ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا ۖ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴿٤﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ ۖ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِن سَائِغَتِهِ ۖ

﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ أي: جعلناه له لينا بغير نار كالطين والعجين، وقيل: لان له الحديد لشدة قوته. ﴿سَالِبَاتٍ﴾ هي الدروع الكاسية. ﴿وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾ معنى السرد هنا نسج الدروع، وتقديرها: أن لا يعمل الحلقة صغيرة فتضعف، ولا كبيرة فيصاب لابسها من خلالها، وقيل: لا تجعل المسامير رقيقا ولا غليظا. ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ خطاب لداود وأهله. ﴿وَلَسْلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾ بالنصب على تقدير: سخرنا، وقرئ بالرفع على الابتداء. ﴿غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ﴾ أي: كانت تسير به بالغداة مسيرة شهر وبالعشي مسيرة شهر، فكان يجلس على سريره وكان من خشب يحمل فيا زوي أربعة آلاف فارس فترفعه الريح ثم تحمله. ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ قال ابن عباس ؓ: كانت تسيل له باليمين عين من نحاس يصنع منها ما أحب، و"القطر" النحاس، وقيل: "القطر" الحديد والنحاس وما جرى مجرى ذلك، كان يسيل له منه عيون، وقيل: المعنى أن الله أذاب له النحاس بغير نار كما صنع بالحديد لداود. ﴿نُنْذِقْهُ مِن عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ يعني نار الآخرة، وقيل: كان معه ملك يضربهم بسوط من نار. ﴿مَّحْرِبٍ﴾ هي القصور، وقيل: المساجد. ﴿وَتَمَثِيلٍ﴾ قيل: إنها كانت على غير صور الحيوان، وقيل: على صور الحيوان، وكان ذلك جائزا عندهم. ﴿كَالْجَوَابِ﴾ جمع جابية؛ وهي البركة التي يجتمع فيها الماء. ﴿رَّاسِيَتٍ﴾ أي: ثابتات في مواضعها لا يستطيع أحد أن ينقلها لعظمتها. ﴿أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ حكاية ما قيل لآل داود، وانتصب "شكرا" على أنه مفعول من أجله، أو مصدر في موضع الحال تقديره: شاكرين، أو مصدر من المعنى لأن العمل شكر تقديره: اشكروا شكرا، أو مفعول به. ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ يحتمل أن تكون مخاطبة لآل داود أو مخاطبة لمحمد ﷺ. ﴿دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِن سَائِغَتِهِ﴾ المنسأة هي العصا، وقرئت بالهمز وبغير همز، و"دابة الأرض" هي الأرضة، وهي السوسنة التي تأكل الخشب وغيره، وقصص الآية أن سليمان عليه السلام دخل قبة من قوارير وقام يصلي متكئا على عصاه، فقبض روحه وهو متكئ عليها، فبقي كذلك سنة لم يعلم أحد بموته حتى وقعت العصا،

فَلَمَّا حَرَ تَيَّبَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ لَقَدْ  
 كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَنِ عَنِ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا  
 لَهُ ۗ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ  
 جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكْلِ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّنَ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا  
 وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكُفُورُ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَىٰ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرَىٰ ظَهْرَةَ

فخر إلى الأرض، واختصرنا كثيرا مما ذكره الناس في هذه القصة لعدم صحته. ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾ من تبين الشيء إذا ظهر، و﴿أَنْ﴾ وما بعدها بدل من "الجن"، والمعنى ظهر للناس أن الجن لا يعلمون الغيب، وقيل: "تبينت" بمعنى علمت، و"أَنْ" وما بعدها مفعول به على هذا، والمعنى: علمت الجن أنهم لا يعلمون الغيب، وتحققوا ذلك بعد التباس الأمر عليهم، أو علمت الجن أن كبارهم لا يعلمون الغيب وأنهم كاذبون في دعوى ذلك. ﴿فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ يعني الخدمة التي كانوا يخدمون سليمان وتسخيره لهم في أنواع الأعمال، والمعنى: لو كانت الجن تعلم الغيب ما خفي عليهم موت سليمان. ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسَاكِينِهِمْ آيَةٌ﴾ سبأ قبيلة من العرب سميت باسم أبيها الذي تناسلت منه، وقيل: باسم أمها، وقيل: باسم موضعها؛ والأول أشهر لأنه ورد في الحديث، وكانت مساكنهم بين الشام واليمن. ﴿جَنَّتَانِ عَنِ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ كان لهم واد وكانت الجنات عن يمينه وشماله، و"جنتان" بدل من "آية"، أو مبتدأ، أو خبر مبتدأ محذوف. ﴿كُلُوا﴾ تقديره: قيل لهم كلوا من رزق ربكم، قالت لهم ذلك الأنبياء، وروي أنهم بعث إليهم ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم. ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ أي: كثيرة الأرزاق طيبة الهواء سليمة من الهوام. ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ أي: أعرضوا عن شكر الله أو عن طاعة الأنبياء. ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ كان لهم سد يمسك الماء ليرتفع فتسقى به الجنات، فأرسل الله على السد الجرد وهي دوية خربته فيست الجنات، وقيل: لما خرب السد حمل السيل الجنات وكثيرا من الناس، واختلف في معنى "العرم" فقيل: هو السد، وقيل: هو اسم ذلك الوادي بعينه، وقيل: معناه الشديد فكأنه صفة للسيل من العرامة، وقيل: هو الجرد الذي خرب السد، وقيل: المطر الشديد. ﴿أَكْلِ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّنَ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ الأكل بضم المهمزة المأكول، والخمط شجر الأراك، وقيل: كل شجر ذات شوك، والأثل شجر يشبه الطرفا، والسدر شجر معروف، وإعراب "خبط" بدل من "أكل" أو عطف بيان، وقرئ بالإضافة، و"أثل" عطف على الأكل لا على "خبط"؛ لأن الأثل لا أكل له، والمعنى: أنهم لما هلكت الجنتان المذكورتان قيل: أبدلهم الله منهما جنتين بضد وصفهما في الحسن والأرزاق. ﴿وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكُفُورُ﴾ معناه: لا يناقش ويجازى بمثل فعله إلا الكفور؛ لأن المؤمن قد يسمع الله له ويتجاوز عنه. ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَىٰ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرَىٰ ظَاهِرَةً﴾

وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا - آمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا  
 وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ  
 صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمُ بِإِذْنِهِ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٧﴾  
 وَمَا كَانَ لَهُمْ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّن هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ  
 وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٣٨﴾ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَعِمْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ  
 مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِّنْهُمْ مِّن  
 ظَهِيرٍ ﴿٣٩﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ ۗ

هذه الآية وما بعدها وصف حال سبأ قبل مجيء السيل وهلاك جناتهم، ويعني بـ"القرى" التي باركنا فيها الشام، والقرى الظاهرة قرى متصلة من بلادهم إلى الشام، ومعنى "ظاهرة" يظهر بعضها من بعض لاتصالها، وقيل: مرتفعة في الآكام، وقال ابن عطية: معناه خارجه عن المدن كما تقول بظاهر المدينة؛ أي: خارجها. ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ أي: قسمنا مراحل السفر، وكانت القرى متصلة فكان المسافر يبيت في قرية ويصبح في أخرى، ولا يخاف جوعا ولا عطشا، ولا يحتاج إلى حمل زاد ولا يخاف من أحد. ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ قرئ "باعد" و"بعد" بالتخفيف والتشديد على وجه الطلب، والمعنى: أنهم بطروا النعمة وملوا العافية وطلبوا من الله أن يباعد بين قراهم المتصلة ليمشوا في المفاوز ويتزودوا للأسفار، فعجل الله إجابتهم، وقرئ "باعد" بفتح العين على الخبر، والمعنى أنهم قالوا: إن الله باعد بين قراهم؛ وذلك كذب وجحد للنعم. ﴿وَزَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ يعني بقولهم "باعد بين أسفارنا"، أو بذنوبهم على الإطلاق. ﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ أي: فرقناهم في البلاد حتى ضرب المثل بفرقتهم، فقيل: تفرقوا أيدي سبأ، وفي الحديث: «إن سبأ أبو عشرة من القبائل، فلما جاء السيل على بلادهم تفرقوا فتيامن منهم ستة وتشاءم أربعة» [الترمذي: 3222]. ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ أي: وجد ظنه فيهم صادقا؛ يعني قوله: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾، وقوله: ﴿وَلَا تَحِدُ أَكْثَرُهُمْ شَاكِرِينَ﴾. ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَعِمْتُمْ﴾ تعجيز للمشركين وإقامة الحججة عليهم، ويعني بـ"الذين رعتمتم" آهنتهم، ومفعول "رعتمتم" محذوف، أي: رعتمتم أنهم آلهة أو رعتمتم أنهم شفعاء، وروي أن ذلك نزل عند الجوع الذي أصاب قريشا. ﴿مِن شِرْكٍَ﴾ أي: نصيب، والـ ﴿ظَهِيرٍ﴾ المعين. ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ﴾ المعنى: لا تنفع الشفاعة عند الله إلا لمن أذن له أن يشفع؛ فإنه لا يشفع أحد إلا بإذنه، وقيل: المعنى لا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن الله أن يشفع فيه، والمراد أن الشفاعة على كل وجه لا تكون إلا بإذن الله؛



حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿١٣٦﴾  
 قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ  
 فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٣٧﴾ قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ  
 تَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٩﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ  
 أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ

ففي ذلك رد على المشركين الذين كانوا يقولون ﴿هُؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾. ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ تظاهرت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أن هذه الآية في الملائكة عليهم السلام، فإنهم إذا سمعوا الوحي إلى جبريل يفزعون لذلك فزعا عظيما، فإذا زال الفزع عن قلوبهم قال بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟ فيقولون: قال الحق، ومعنى "فزع عن قلوبهم" زال عنها الفزع، والضمير في "قلوبهم" وفي "قالوا" للملائكة، فإن قيل: كيف ذلك ولم يتقدم لهم ذكر يعود الضمير عليه؟ فالجواب: أنه قد وقعت إليهم إشارة بقوله "ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن اذن له"؛ لأن بعض العرب كانوا يعبدون الملائكة ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، فذكر الشفاعة يقتضي ذكر الشافعين، فعاد الضمير على الشفعاء الذين دل عليهم لفظ الشفاعة، فإن قيل: بم اتصل قوله "حتى إذا فزع عن قلوبهم"، ولأي شيء وقعت "حتى" غاية؟ فالجواب: أنه اتصل بما فهم من الكلام من أن ثم انتظارا للإذن، وفزعا وتوقفا حتى يزول الفزع بالإذن في الشفاعة، ويقرب هذا في المعنى من قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾، ولم يفهم بعض الناس اتصال هذه الآية بما قبلها فاضطربوا فيها حتى قال بعضهم: هي في الكفار بعد الموت، ومعنى "فزع عن قلوبهم" رأوا الحقيقة، فقيل لهم: ماذا قال ربكم؟ فيقولون: قال الحق، فيقرون حين لا ينفعهم الإقرار؛ والصحيح أنها في الملائكة؛ لورود ذلك في الحديث، ولأن القصد الرد على الكفار الذين عبدوا الملائكة، فذكر شدة خوف الملائكة من الله وتعظيمهم له. ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ﴾ سؤال قصد به إقامة الحجة على المشركين. ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ جواب السؤال بما لا يمكن المخالفة فيه، فلذلك جاء السؤال والجواب من جهة واحدة. ﴿وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ هذه ملاطفة وتنزل في المجادلة إلى غاية الإنصاف، كقولك: الله يعلم أن أحدنا على حق وأن الآخر على باطل، ولا تعين بالتصريح أحدهما، ولكن تنبه الخصم على النظر حتى يعلم من هو على الحق ومن هو على الباطل، والمقصود من الآية: أن المؤمنين على هدى وأن الكفار في ضلال مبين. ﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا﴾ إخبار يقتضي مسألة نسخت بالسيف. ﴿يَفْتَحُ بَيْنَنَا﴾ أي: يحكم، والفتاح الحاكم. ﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾ إقامة حجة على المشركين،

كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَحْزِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ ۗ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَاْمُرُونَآ أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا ۗ

والرؤية هنا رؤية قلب ف"شركاء" مفعول ثالث، والمعنى: أروني بالحجة والدليل من هم له شركاء عندكم وكيف وجه الشركة، وقيل: هي رؤية بصر، و"شركاء" حال من المفعول في "ألحقتم"، كأنه قال: أين الذين تعبدون من دونه؟ وفي قوله: "أروني" تحقير للشركاء وازدراء بهم وتعجيز للمشركين، وفي قوله: ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن الإشراف، وفي وصف الله بـ ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ رد عليهم بأن شركاءهم ليسوا كذلك. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ المعنى: أن الله أرسل محمدا ﷺ إلى جميع الناس، وهذه إحدى الخصال التي أعطاه الله دون سائر الأنبياء، وإعراب "كافة" حال من "الناس" قدمت للاهتمام، هكذا قال ابن عطية، وقال الزمخشري: ذلك خطأ؛ لأن تقدم حال المجرور عليه لا يجوز، وتقديره عنده: وما أرسلناك إلا رسالة عامة للناس، ف"كافة" صفة للمصدر المحذوف، وقال الزجاج: المعنى أرسلناك جامعا للناس في الإنذار والتبشير، فجعله حالا من الكاف، والتاء على هذا للمبالغة كالتاء في راوية وعلامة. ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ﴾ يعني يوم القيامة أو نزول العذاب بهم في الدنيا، وهو الذي سألو عنه على وجه الاستخفاف فقالوا: متى هذا الوعد؟ ﴿وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ هي الكتب المتقدمة كالطوراة والإنجيل، وإنما قال الكفار هذه المقالة حين وقع عليهم الاحتجاج بما في التوراة من ذكر محمد ﷺ، وقيل: "الذي بين يديه" يوم القيامة؛ وهذا خطأ وعكس، لأن الذي بين يدي الشيء هو ما يتقدم عليه. ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ جواب "لو" محذوف تقديره: لرأيت أمرا عظيما. ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾ أي: يتكلمون ويحيب بعضهم بعضا. ﴿بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ أي: كفرتم باختياركم لا بأمرنا. ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ المعنى: أن المستضعفين قالوا للمستكبرين: بل مكركم بنا في الليل والنهار سبب كفرنا، وإعراب "مكر" مبتدأ وخبره محذوف أو خبر ابتداء مضمر، وأضاف "مكر" إلى "الليل والنهار" على وجه الاتساع،

وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ تُجْزَوْنَ  
 إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ  
 كَافِرُونَ ﴿٦٧﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ  
 الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ  
 بِاللَّيِّ تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن - أَمِنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ هُم جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا  
 عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٧٠﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ فِي  
 الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ  
 وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۗ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾

ويحتمل أن يكون إضافة إلى المفعول، أو إلى الفاعل على وجه المجاز، كقولهم: نهاره صائم وليله قائم؛ أي: يصام فيه ويقام، ودلت الإضافة على كثرة المكر ودوامه بالليل والنهار، فإن قيل: لم أثبت الواو في قول الذين استضعفوا دون قول الذين استكبروا؟ فالجواب: أنه قد تقدم كلام الذين استضعفوا قبل ذلك، فعطف عليه كلامهم الثاني، ولم يتقدم للذين استكبروا كلام آخر فيعطف عليه. ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾ أي: أخفوها في نفوسهم، وقيل: أظهروها فهو من الأضداد، والضمير لجميع المستضعفين والمستكبرين. ﴿مُتْرَفُوهَا﴾ يعني أهل الغنى والتنعم في الدنيا، وهم الذين يبادرون إلى تكذيب الأنبياء، والقصد بالآية تسلية النبي ﷺ عن تكذيب أكابر قريش له. ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾ الضمير لقريش أو للمترفين المتقدمين، قاسوا أمر الآخرة على الدنيا، وظنوا أن الله كما أعطاهم الأموال والأولاد في الدنيا لا يعذبهم في الآخرة. ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ إخبار يتضمن الرد عليهم بأن بسط الرزق وقبضه في الدنيا معلق بمشيئة الله، فقد يوسع الله على الكافر والعاصي ويضيق على المؤمن والمطيع وبالعكس، فليس في الدنيا دليل على أمر الآخرة. ﴿زُلْفَى﴾ مصدر بمعنى القرب كأنه قال: تقربكم قريش. ﴿إِلَّا مَن - أَمِنَ﴾ استثناء من المفعول في "تقربكم"، والمعنى: أن الأموال لا تقرب إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله، وقيل: الاستثناء منقطع؛ والأول أحسن. ﴿جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا﴾ يعني تضعيف الحسنات إلى عشر أمثالها فما فوق ذلك. ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ الآية، كررت هنا لاختلاف القصد؛ فإن القصد بالأول رد على الكفار، والقصد هنا ترغيب المؤمنين في الإنفاق. ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ الخلف قد يكون بالمال أو بالثواب.

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْتُولَايَ أَيَاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿١١﴾ قَالُوا  
 سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾  
 فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ  
 النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا  
 رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ مِمَّا كَانُوا يَعْبُدُ آبَاءَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرَىٰ وَقَالَ  
 الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٤﴾ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ  
 يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿١٥﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا  
 مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٦﴾ \* قُلْ إِنَّمَا أَعْطِيكُمْ بِوَاحِدَةٍ  
 أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ

﴿ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ ﴾ براءة من أن يكون لهم رضا بعبادة المشركين لهم، وليس في ذلك نفي لعبادتهم لهم. ﴿ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ﴾ عبادتهم للجن طاعتهم لهم في الكفر والعصيان، وقيل: كانوا يدخلون في جوف الأصنام فيعبدون بعبادتها، ويحتمل أن يكون قوم قد عبدوا الجن لقوله: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾. ﴿ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ﴾ الآية، معناها يحتمل وجهين؛ أحدهما: ليس عندهم كتب تدل على صحة أقوالهم ولا جاءهم نذير يشهد بها قالوه، فأقوالهم باطلة إذ لا حجة لهم عليها؛ فالقصد على هذا رد عليهم، والآخر: أنه ليس عندهم كتب ولا جاءهم نذير، فهم محتاجون إلى من يعلمهم وينذرهم لذلك بعث الله إليهم محمدا ﷺ، فالقصد على هذا إثبات نبوة محمد ﷺ. ﴿ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ ﴾ المعشار العشر، وقيل: عشر العشر؛ والأول أصح، والضمير في "بلغوا" لكفار قريش وفي "آتيناهم" للكفار المتقدمين، أي: أن هؤلاء لم يبلغوا عشر ما أعطى الله للمتقدمين من القوة والأموال، وقيل: الضمير في "بلغوا" للمتقدمين وفي "آتيناهم" لقريش، أي: ما بلغ المتقدمون عشر ما أعطى الله هؤلاء من البراهين والأدلة؛ والأول أصح وهو نظير قوله: ﴿ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً ﴾. ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ أي: إنكار، يعني عقوبة الكفار المتقدمين، وفي ذلك تهديد لقريش. ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْطِيكُمْ بِوَاحِدَةٍ ﴾ أي: بقضية واحدة تقريبا عليكم. ﴿ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ ﴾ هذا تفسير للقضية الواحدة، ف"أن تقوموا" بدل، أو عطف بيان، أو خبر ابتداء مضمر، ومعناه: أن تقوموا للنظر في أمر محمد ﷺ قياما خالصا لله ليس فيه

مَثْنِي وَفَرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ  
عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿١٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ  
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَافُ الْغُيُوبِ ﴿١٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا  
يُبَدِيهِ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿١٩﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ  
فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٢٠﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا  
مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٢١﴾ وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ء

اتباع هوى ولا ميل، وليس المراد بالقيام هنا القيام على الرجلين إنما المراد القيام بالأمر والجد فيه.  
﴿مَثْنِي وَفَرَادَى﴾ حال من الضمير في "تقوموا" والمعنى: أن تقوموا اثنين اثنين للمناظرة في الأمر وطلب  
التحقيق، وتقوموا واحدا واحدا لإحضار الذهن واستجماع الفكرة ثم تفكروا في أمر محمد ﷺ فتعلموا  
أنه ما به من جنة؛ لأنه جاء بالحق الواضح، ومع ذلك فإن أقواله وأفعاله تدل على رجاحة عقله ومثانة  
علمه، وأنه بلغ في الحكمة مبلغا عظيما، فيدل ذلك على أنه ليس بمجنون ولا مفتر على الله. ﴿مَا  
بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ متصل بما قبله على الأصح، أي: تفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة، وقيل: هو  
استئناف. ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ هذا كما يقول الرجل لصاحبه: إن أعطيتني شيئا فخذته،  
وهو يعلم أنه لم يعطه شيئا ولكنه يريد البراءة من عطاءه، فكذلك معنى هذا، فهو كقوله: ﴿قُلْ مَا  
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾. ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ القذف الرمي، ويستعار للإلقاء؛ فالمعنى يلقي  
الحق إلى أنبيائه، أو يرمي الباطل بالحق فيذهب به. ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ خبر ابتداء مضمرة، أو بدل من الضمير  
في "يقذف"، أو من اسم "إن" على الموضع. ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ يعني الإسلام. ﴿وَمَا يُبَدِيهِ الْبَاطِلُ وَمَا  
يُعِيدُ﴾ "الباطل" الكفر، ونفي الابتداء والإعادة عبارة عن أنه لا يفعل شيئا ولا يكون له ظهور، أو عبارة  
عن ذهابه، كقوله: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ وقيل: "الباطل" الشيطان. ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ يعني قربه  
تعالى بعلمه وإحاطته. ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا﴾ جواب "لو" محذوف تقديره: لرأيت أمرا عظيما، ومعنى  
"فرغوا" أسرعوا الهروب، والفعل ماض بمعنى الاستقبال، وكذلك ما بعده من الأفعال، ووقت الفزع  
البعث، وقيل: الموت، وقيل: يوم بدر. ﴿فَلَا قُوَّةَ﴾ أي: لا يفوتون الله إذ هربوا. ﴿وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ  
قَرِيبٍ﴾ يعني من الموقف إلى النار إذا بعثوا، أو من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا، أو من أرض بدر  
إلى القلب، والمراد على كل قول سرعة أخذهم. ﴿وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ﴾ أي: قالوا ذلك عند أخذهم،

وَأَنِّي لَهُمُ التَّنَافُوسُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٦٠﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ  
 مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٦١﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ  
 إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٦٢﴾

والضمير المجرور لله تعالى، أو للنبي ﷺ، أو للقرآن، أو للإسلام. ﴿وَأَنِّي لَهُمُ التَّنَافُوسُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾  
 "التناوش" بالواو التناول إلا أن التناوش تناول سهل لشيء قريب، وقرئ بهمز الواو فيحتمل أن  
 يكون المعنى واحداً أو يكون المهموز بمعنى الطلب، ومعنى الآية: استبعاد وصولهم إلى مرادهم،  
 والمكان البعيد عبارة عن تعذر مقصودهم فإنهم يطلبون ما لا يكون أو يريدون أن يتناولوا ما لا  
 ينالون؛ وهو رجوعهم إلى الدنيا وانتفاعهم بالإيمان حينئذ. ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ﴾ الضمير يعود على ما عاد  
 عليه في قولهم "ءامنا به". ﴿وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ "يقذفون" فعل ماضٍ في المعنى معطوف  
 على "كفروا"، ومعناه: أنهم يرمون بظنونهم في الأمور المغيبة فيقولون: لا بعث ولا جنة ولا نار،  
 ويقولون في الرسول عليه الصلاة والسلام: إنه ساحر أو شاعر، والمكان البعيد هنا عبارة عن بطلان  
 ظنونهم وبعد أقوالهم عن الحق. ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ أي: حيل بينهم وبين دخول الجنة،  
 وقيل: حيل بينهم وبين الانتفاع بالإيمان حينئذ، وقيل: حيل بينهم وبين نعيم الدنيا والرجوع إليها.  
 ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ﴾ يعني الكفار المتقدمين، وجعلهم أشياعهم لاتفاقهم في مذاهبهم،  
 و"من قبل" يحتمل أن يتعلق بـ"فعل" أو "بأشْيَاعِهِمْ" على حسب معنى ما قبله. ﴿فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ هو  
 أقوى الشك وأشدّه إظلاماً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا  
 أُولَىٰ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَعٌ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾  
 مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۗ  
 وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَتَأَيُّبُ النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۗ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ  
 يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ  
 فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَتَأَيُّبُ النَّاسُ ۗ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ  
 فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۗ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ  
 فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۗ إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنَ اصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ  
 عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾

## سورة فاطر

﴿ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ﴾ أي: وسائط بين الله وبين الأنبياء ومتصرفين في أمر الله. ﴿ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعٌ ﴾ صفات للأجنحة، ولم ينصرف للعدل والوصف، والمعنى: أن الملائكة منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربعة. ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ قيل: يعني حسن الصوت، وقيل: حسن الوجه، وقيل: حسن الخط؛ والأظهر أنه يرجع إلى أجنحة الملائكة أو يكون على الإطلاق في كل زيادة في المخلوقين. ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ الفتح عبارة عن العطاء، والإمساك عبارة عن المنع، والإرسال الإطلاق بعد المنع، والرحمة كل ما يمن الله به على عباده من خير الدنيا والآخرة؛ فمعنى الآية: لا مانع لما أعطى الله ولا معطي لما منع الله، فإن قيل: لم أنت الضمير في قوله "فلا ممسك لها"، وذكره في قوله ﴿ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ ﴾ وكلاهما يعود على "ما" الشرطية؟ فالجواب: أنه لما فسر الأولى بقوله "من رحمة" أنه لتأنيث الرحمة، وترك الآخر على الأصل من التذكير. ﴿ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ أي: من بعد إمساكه. ﴿ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ ﴾ رفع "غير" على الصفة لخالق على الموضوع، وخفضه صفة على اللفظ، ورزق السماء المطر ورزق الأرض النبات؛ والمعنى: تذكير بنعم الله وإقامة حجة على المشركين، ولذلك أعقبه بقوله: ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾. ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ ﴾ الآية، تسلياً للنبي ﷺ على تكذيب قومه له، كأنه يقول: إن يكذبوك فلا تخزن لذلك، فإن الله سينصرك كما كذبت رسل من قبلك فنصرهم الله. ﴿ الْغُرُورُ ﴾ الشيطان، وقيل: التسوييف.

أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿١﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأُحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٢﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السِّيِّئَاتِ هُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ ﴿٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ نَثْوٍ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴿٥﴾

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ توقيف، وجوابه محذوف تقديره: أفمن زين له سوء عمله كمن لم يزين له، ثم بني على ذلك ما بعده، فالذي زين له سوء عمله هو الذي أضله الله، والذي لم يزين له سوء عمله هو الذي هداه الله. ﴿فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾ تسلية للنبي ﷺ عن حزنه لعدم إيمانهم؛ لأن ذلك بيد الله. ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ أي: الحشر، والمعنى: كما يحيي الله الأرض بالنبات كذلك يحيي الموتى. ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾ الآية، تحتمل ثلاثة معان؛ أحدها وهو الأظهر: من كان يريد نيل العزة فليطلبها من عند الله فإن العزة كلها لله، والثاني: من كان يريد العزة بمغالبة الإسلام فله العزة جميعا فالمغالب له مغلوب، والثالث: من كان يريد أن يعلم لمن العزة فليعلم أن العزة لله جميعا. ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ قيل: يعني لا إله إلا الله؛ واللفظ يعم ذلك وغيره من الذكر والدعاء وتلاوة القرآن وتعليم العلم، فالعموم أولى. ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ أحدها: أن ضمير الفاعل في "يرفعه" الله، وضمير المفعول للعمل الصالح، فالمعنى: أن الله يرفع العمل الصالح أي: يتقبله ويثيب عليه، والثاني: أن ضمير الفاعل للكلام الطيب، وضمير المفعول للعمل الصالح، والمعنى على هذا: أنه لا يقبل عمل صالح إلا من له كلم طيب، وهذا يصح إن قلنا إن "الكلم الطيب" لا إله إلا الله، لأنه لا يقبل العمل إلا من موحد، والثالث: أن ضمير الفاعل للعمل الصالح وضمير المفعول للكلم الطيب، والمعنى على هذا: أن العمل الصالح هو الذي يرفع الكلم الطيب فلا يقبل الكلم إلا من له عمل صالح، روي هذا المعنى عن ابن عباس ؓ، واستبعده ابن عطية وقال: لم يصح عنه؛ لأن اعتقاد أهل السنة أن الله يتقبل من كل مسلم، قال: وقد يستقيم بأن يتأول أنه يزيد في رفعه وحسن موقعه. ﴿يَمْكُرُونَ السِّيِّئَاتِ﴾ لا يتعدى مكر، فتأويله يمكرون المكرات السيئات، فتكون "السيئات" مصدرا، أو تضمن "يمكرون" معنى يكتسبون فيكون "السيئات" مفعولا، والإشارة هنا إلى مكر قريش برسول الله ﷺ حين اجتمعوا في دار الندوة وأرادوا أن يقتلوه، أو يحبسوه، أو يخرجوه. ﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ﴾ البوار الهلاك أو الكساد، ومعناه هنا: أن مكرهم يبطل ولا ينفعهم. ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي: أصنافا، وقيل: ذكرانا وإناثا؛ وهذا أظهر.



وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١﴾  
 وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شْرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أجاجٌ وَمِنْ كُلِّ  
 تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لِيَتَّبِعُوا  
 مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢﴾ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ  
 الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۗ وَالَّذِينَ  
 تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ

﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ التعمير طول العمر، والنقص قصره، والكتاب اللوح المحفوظ؛ فإن قيل: إن التعمير والنقص لا يجتمعان لشخص واحد، فكيف أعاد الضمير في قوله "ولا ينقص من عمره" على الشخص المعمر؟ فالجواب: من ثلاثة أوجه؛ الأول: وهو الصحيح: أن المعنى ما يعمر من أحد ولا ينقص من عمره إلا في كتاب، فوضع "من معمر" موضع من أحد وليس المراد شخصا واحدا، وإنما ذلك كقولك: لا يعاقب الله عبدا ولا يشبهه إلا بحق، والثاني: أن المعنى لا يزداد في عمر إنسان ولا ينقص من عمره إلا في كتاب؛ وذلك أن يكتب في اللوح المحفوظ أن فلانا إن تصدق فعمره ستون سنة وإن لم يتصدق فعمره أربعون، وهذا ظاهر قول رسول الله ﷺ: «صلة الرحم تزيد في العمر» [الطبراني: 8014]، إلا أن ذلك مذهب المعتزلة القائلين بالأجلين وليس مذهب الأشعرية، وقد قال كعب حين طعن عمر ؓ: لو دعا الله لزداد في أجله، فأنكر الناس ذلك عليه، فاحتج بهذه الآية، والثالث: أن التعمير هو كتب ما يستقبل من العمر، والنقص هو كتب ما مضى منه في اللوح وذلك في حق كل شخص. ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾ قد فسرنا البحرين، والـ ﴿فُرَاتٌ﴾، والـ ﴿أجاجٌ﴾ في الفرقان، و﴿سَائِغٌ﴾ في النحل، والقصد بالآية التنبيه على قدرة الله ووحدانيته وإنعامه على عباده، وقال الزمخشري: والمعنى: أن الله ضرب البحرين المالح والعذب مثلين للمؤمن والكافر؛ وهذا بعيد. ﴿لَحْمًا طَرِيًّا﴾ يعني الحوت. ﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ يعني الجواهر والمرجان، فإن قيل: إن الحلية لا تخرج إلا من البحر المالح دون العذب، فكيف قال "ومن كل" أي: من كل واحد منهما؟ فالجواب: من ثلاثة أوجه؛ الأول: أن ذلك مجوز في العبارة كما قال ﴿يَا مَعْشَرَ الْخِيَّتِ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ والرسول إنما هي من الإنس، والثاني: أن المرجان إنما يوجد في البحر المالح حيث تصب أنهار الماء العذب أو ينزل المطر، فلما كانت الأنهار والمطر وهي البحر العذب تصب في البحر المالح كان الإخراج منهما جميعا، الثالث: زعم قوم أنه قد يخرج اللؤلؤ والمرجان من المالح والعذب؛ وهذا قول يبطله الحسن. ﴿مَوَاحِرَ﴾ ذكر في النحل. ﴿يُوَلِّجُ﴾ ذكر في لقمان. ﴿قِطْمِيرٍ﴾ هو القشر الرقيق الأبيض الذي على نوى التمر،

وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١﴾  
 ﴿٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٣﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ  
 وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٤﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٥﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَإِنْ  
 تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمَلِهَا لَا تُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ  
 رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۗ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ وَمَا  
 يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿٧﴾ وَلَا الْأَظْلَمْتُ وَلَا النُّورُ ﴿٨﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ ﴿٩﴾ وَمَا  
 يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿١٠﴾

والمعنى: أن الأصنام لا يملكون أقل الأشياء فكيف أكثرها. ﴿يَكْفُرُونَ بِشْرِكِكُمْ﴾ أي: بإشراككم؛ فالمصدر مضاف للفاعل، وكفر الأصنام بالشرك يحتمل أن يكون بكلام يخلقه الله عندها أو بقرينة الحال. ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ أي: لا يخبرك بالأمر مخبر مثل مخبر عالم به، يعني نفسه تعالى في إخباره أن الأصنام يكفرون يوم القيامة بمن عبدتهم. ﴿أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ﴾ خطاب لجميع الناس، وإنما عرف "الفقراء" بالألف واللام ليدل على اختصاص الفقر بجنس الناس، وإن كان غيرهم فقراء ولكن فقر الناس أعظم، ثم وصف نفسه بأنه: ﴿الْغَنِيُّ﴾ في مقابلة وصفهم بالفقر، ووصفه بأنه: ﴿الْحَمِيدُ﴾ ليدل على جوده وكرمه الذي يوجب أن يحمد عباده. ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ ذكر في سبحان. ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمَلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ الحمل عبارة عن الذنوب، والمتقلة الثقيلة الحمل؛ أي: النفس الكثيرة الذنوب، المعنى أنها لو دعت أحدا إلى أن يحمل عنها ذنوبها لم يحمل عنها، وحذف مفعول "إن تدع" للدلالة المعنى وقصد العموم، وهذه الآية بيان وتكميل لمعنى قوله "ولا تزر وازرة وزر أخرى". ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ المعنى: ولو كان المدعو ذا قربي ممن دعاه إلى حمل ذنوبه لم يحمل عنه شيئا لأن كل أحد يقول: نفسي! نفسي! ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ المعنى: أن الإنذار لا ينفع إلا الذين يخشون ربهم، وليس المعنى اختصاصهم بالإنذار. ﴿بِالْغَيْبِ﴾ في موضع حال من الفاعل في "يخشون"؛ أي: يخشون ربهم وهم غائبون عن عذابه أو غائبون عن الناس فخشيتهم حق لا رياء. ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ تمثيل للكافر والمؤمن. ﴿وَلَا الظُّلْمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ تمثيل للكفر والإيمان. ﴿وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ﴾ تمثيل للشواب والعقاب، وقيل: "الظل" الجنة و"الحرور" النار، والحرور في اللغة شدة الحر بالنهار والليل، والسموم بالنهار خاصة. ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ تمثيل لمن آمن فهو كالحَي، ومن لم يؤمن فهو كالميت. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ﴾ عبارة عن هداية الله لمن يشاء. ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ عبارة عن

إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿١٦﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿١٧﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢١﴾

عدم سماع الكفار للبراهين والمواعظ فشبهم بالموتى في عدم إحساسهم، وقيل: المعنى أن أهل القبور وهم الموتى حقيقة لا يسمعون، فليس عليك أن تسمعهم وإنما بعثت للأحياء، وقد استدلّت عائشة ؓ بالآية على أن الموتى لا يسمعون، وأنكرت ما ورد من خطاب النبي ﷺ لقتلى بدر حين جعلوا في القليب [البخاري 9573]، ولكن يمكن الجمع بين قولها وبين الحديث: بأن الموتى في القبور إذا ردت إليهم أرواحهم سمعوا وإذا لم ترد إلى أجسادهم لم يسمعوا. ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ معناه: أن الله قد بعث إلى كل أمة نبيا يقيم عليهم الحجة، فإن قيل: كيف ذلك وقد كان بين الأنبياء فترات وأزمنة طويلة، ألا ترى أن بين عيسى ومحمد ﷺ ستائة سنة لم يبعث فيها نبي؟ فالجواب: أن دعوة عيسى ومن تقدمه من الأنبياء كانت قد بلغتهم فقامت عليهم الحجة، فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله ﴿لِيُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾، فالجواب: أنهم لم يأتهم نذير معاصر لهم، فلا يعارض ذلك من تقدم قبل عصرهم، وأيضا فإن المراد بقوله "وإن من أمة إلا خلا فيها نذير" أن نبوة محمد ﷺ ليست ببدع فلا ينبغي أن تنكرك؛ لأن الله أرسله كما أرسل من قبله، والمراد بقوله "لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك" أنهم محتاجون إلى الإنذار لكونهم لم يتقدم من ينذرهم، فاختلف سياق الكلام فلا تعارض بينهما. ﴿وَإِنْ يُكْذِّبُوكَ﴾ الآية، تسلية بالتأسي. ﴿نَكِيرٍ﴾ ذكر في سبأ. ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ يريد الصفرة والحمرة وغير ذلك من الألوان، وقيل: يريد الأنواع؛ والأول أظهر لذكره البيض والحمر والسود بعد ذلك، وفي الوجهين دليل على أنه تعالى فاعل مختار يخلق ما يشاء ويختار، وفيه رد على الطبائعيين؛ لأن الطبيعة لا يصدر عنها إلا نوع واحد. ﴿جُدَدٌ﴾ جمع جدة وهي الخطط والطرائق في الجبال. ﴿وَغَرَابِيبُ﴾ جمع غريب وهو الشديد السواد، وقدم الوصف الأبلغ وكان حقه أن يتأخر لقصد التأكيد؛ ولأن ذلك كثيرا ما يأتي في كلام العرب. ﴿كَذَلِكَ﴾ يتعلق بها قبله فيتم الوقف عليه، والمعنى: أن من الناس والدواب والأنعام مختلفا ألوانه مثل الجبال المختلفة ألوانها والثمار المختلفة ألوانها، وذلك كله استدلال على قدرة الله وإرادته. ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ يعني العلماء بالله وصفاته وشرائعه

إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ  
 تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿١٤﴾ لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿١٥﴾  
 وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ  
 بَصِيرٌ ﴿١٦﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ  
 مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ بِذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿١٧﴾ جَنَّاتُ  
 عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿١٨﴾

علما يوجب لهم الخشية من عذابه، وفي الحديث: «أعلمكم بالله أشدكم له خشية» [التعلي: 883/4]؛ لأن العبد إذا عرف الله خاف من عقابه وإذا لم يعرفه لم يخف منه فلذلك خص العلماء بالخشية. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ أي: يقرؤون القرآن، وقيل: معنى "يتلون" يتبعون؛ والأول أظهر، والخبر: ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً﴾ أو محذوف. ﴿لَّن تَبُورَ﴾ أي: لن تكسد، ويعني بالتجارة طلب الثواب. ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ توفية الأجور هي ما يستحقه المطيع من الثواب، والزيادة التضعيف فوق ذلك، وقيل: الزيادة النظر إلى وجه الله. ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ذكر في البقرة. ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾ يعني أمة محمد ﷺ، والتورث عبارة عن أن الله أعطاهم الكتاب بعد غيرهم من الأمم. ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ قال عمر وابن مسعود وابن عباس وكعب وعائشة ﷺ وأكثر المفسرين: هذه الأصناف الثلاثة في أمة محمد ﷺ؛ فالظالم لنفسه العاصي، والسابق التقي، والمقتصد بينهما، وقال الحسن: السابق من رجحت حسناته على سيئاته، والظالم لنفسه من رجحت سيئاته، والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته والجميع يدخلون الجنة، وروي أن رسول الله ﷺ قال: «سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له» [التدوين: 331/3] وقيل: الظالم الكافر، والمقتصد المؤمن العاصي، والسابق التقي، فالضمير في "منهم" على هذا يعود على العباد، وأما على القول الأول فيعود على "الذين اصطفينا"؛ وهو أرجح وأصح لوروده في الحديث وجلالة القائلين به، فإن قيل: لم قدم الظالم ووسط المقتصد وآخر السابق؟ فالجواب: أنه قدم الظالم لنفسه رفقا به لثلاثيئس وآخر السابق لثلاثيئس يعجب بنفسه، وقال الزمخشري: قدم الظالم لكثرة الظالمين وآخر السابق لقلته السابقين. ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ إشارة إلى الاصطفاء. ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ بدل من الفضل، أو خبر مبتدأ تقديره: ثوابهم جنات عدن، أو مبتدأ تقديره: لهم جنات عدن. ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ ضمير الفاعل يعود على الظالم والمقتصد والسابق على القول بأن الآية في هذه الأمة، وأما على القول بأن الظالم هو الكافر فيعود على المقتصد والسابق خاصة، وقال الزمخشري: إنه يعود على السابق خاصة وذلك على قول المعتزلة في الوعيد. ﴿أَسَاوِرَ﴾ ذكر في الحج.

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٦﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ  
 الْمَقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ  
 نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ  
 كَافِرٍ ﴿٣٨﴾ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ  
 أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن  
 نَّصِيرٍ ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٠﴾ هُوَ  
 الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِندَ  
 رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ﴿٤١﴾ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٤٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ  
 تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ  
 كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ مِّنْهُ بَلِ إِن يَعدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٣﴾

﴿أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ قيل: هو عذاب النار، وقيل: أهوال القيامة، وقيل: الموت، وقيل: هموم الدنيا؛ والصواب  
 العموم في ذلك كله. ﴿دَارَ الْمَقَامَةِ﴾ هي الجنة، والمقامة هي الإقامة في الموضع، وإنما سميت الجنة دار المقامة؛  
 لأنهم يقيمون فيها ولا يخرجون منها. ﴿نَصَبٌ﴾ النصب تعب البدن، واللغوب تعب النفس اللازم عن تعب  
 البدن. ﴿يَصْطَرِحُونَ﴾ يفتعلون من الصراخ؛ أي: يستغيثون فيقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا﴾، وفي قولهم: ﴿غَيْرَ  
 الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ اعتراف بسوء عملهم وتقدم عليه. ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ الآية، توبيخ لهم وحجة عليهم، وقيل:  
 إن مدة التذكير ستون سنة، وقيل: أربعون، وقيل: البلوغ؛ والأول أرجح لقول رسول الله ﷺ: «من عمَّره الله  
 ستين سنة، فقد أَعَدَّ إليه في العمر» [ابن حبان: 2979]. ﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ يعني النبي ﷺ وقيل: يعني الشيب؛  
 لأنه نذير بالموت؛ والأول أظهر. ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بما تضمنه الصدور وتعتقده، قال  
 الزمخشري: "ذات" هنا تأنيث ذوبمعنى صاحب؛ لأن المضمرات تصحب الصدور. ﴿خَلَائِفَ﴾ ذكر في الأنعام.  
 ﴿مَقْتًا﴾ المقت احتقار الإنسان وبغضه من أجل عيوبه أو ذنوبه. ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ﴾ الآية، احتجاج  
 على المشركين وإبطال لمذهبهم. ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ أي: نصيب. ﴿عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ﴾ أي: على أمر جلي، والضمير في  
 "آتيناهم" يحتمل أن يكون للأصنام أو للمشركين؛ وهذا أظهر في المعنى والأول أليق بما قبله من الضمائر.

إِنَّ اللَّهَ يُمِيسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ۗ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ  
 بَعْدِهِ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿١١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ  
 لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ۗ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿١٢﴾  
 اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۗ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۗ فَهَلْ يَنْظُرُونَ  
 إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۗ فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿١٣﴾ أَوَلَمْ  
 يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً  
 وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا  
 قَدِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَوْ يُوَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَٰكِنْ  
 يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾

﴿أَنْ تَزُولَا﴾ في موضع مفعول من أجله تقديره: كراهة أن تزولا أو مفعول به لـ"أن". ﴿يُمِيسِكُ﴾ بمعنى  
 يمنع. ﴿وَلَئِن زَالَتَا﴾ أي: لو فرض زوالهما لم يمسكهما أحد، وقيل: أراد زوالهما يوم القيامة عند طي السماء،  
 وتبديل الأرض، ونسف الجبال. ﴿مَنْ بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد تركه الإمساك. ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾ الضمير لقريش،  
 وذلك أنهم قالوا: لعن الله اليهود والنصارى جاءتهم الرسل فكذبوهم، والله لئن جاءنا رسول لنتكونن أهدي  
 منهم. ﴿إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ يعني اليهود والنصارى. ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ يعني محمدا ﷺ. ﴿اسْتَكْبَارًا﴾ بدل  
 من "نفورا" أو مفعول من أجله. ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾ هذا من إضافة الصفة إلى الموصوف كقولك: مسجد  
 الجامع وجانب الغربي، والأصل أن يقال: المكر السيء. ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ أي: لا يحيط  
 وبال المكر السيء إلا بمن مكره ودبره، وقال كعب لابن عباس ؓ: إن في التوراة: من حفر حفرة لأخيه وقع  
 فيها، فقال ابن عباس ؓ: أنا أجد هذا في كتاب الله "ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله". ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا  
 سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: هل ينتظرون إلا عادة الأمم المتقدمة في أخذ الله لهم وإهلاكهم بتكذيب الرسل. ﴿وَمَا  
 كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: لا يفوته شيء ولا يصعب عليه. ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ الضمير  
 للأرض والدابة عموم في كل ما يدب، وقيل: أراد بني آدم خاصة. ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني يوم القيامة،  
 وباقي الآية وعد ووعد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ يَس ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ تَنْزِيلُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ۝ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ۝ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سُدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سُدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ ءَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝

## سورة يس

قد تكلمنا في البقرة على حروف الهجاء، وقيل في ﴿يس﴾ إنه من أسماء النبي ﷺ، وقيل: معناه يا إنسان! ﴿تَنْزِيلُ﴾ بالرفع خبر ابتداء مضمرة، وبالنصب مصدر أو مفعول بفعل مضمرة. ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ هم قريش، ويحتمل أن يدخل معهم سائر العرب وسائر الناس. ﴿مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾ "ما" نافية، والمعنى: لم يرسل إليهم ولا لأبائهم رسول ينذرهم، وقيل: المعنى لتنذر قوما مثل ما أنذر آبائهم؛ ف"ما" على هذا موصولة بمعنى الذي أو مصدرية؛ والأول أرجح لقوله: ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ يعني أن غفلتهم بسبب عدم إنذارهم، ويكون بمعنى قوله: ﴿مَّا أَنَا لَهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ ولا يعارض هذا بعث الأنبياء المتقدمين؛ فإن هؤلاء القوم لم يدركوهم هم ولا آبائهم الأقربون. ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾ أي: سبق القضاء. ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾ الآية، فيها ثلاثة أقوال؛ الأول: أنها عبارة عن تماديهم على الكفر ومنع الله لهم من الإيمان، فشبهم بمن جعل في عنقه غل يمنع من الالتفات وغطى على بصره فصار لا يرى، والثاني: أنها عبارة عن كفههم عن إذابة النبي ﷺ حين أراد أبو جهل أن يرميه بحجر فرجع عنه فزعاً مرعوباً، والثالث: أن ذلك حقيقة في حالهم في جهنم؛ والأول أظهر وأرجح؛ لقوله قبلها ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وقوله بعدها ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ ءَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ الذقن هو طرف الوجه حيث تنبت اللحية، والضمير للأغلال، وذلك أن الغل حلقة في العنق، فإذا كان واسعاً عريضاً وصل إلى الذقن فكان أشد على المغلول، وقيل الضمير للأيدي على أنها لم يتقدم لها ذكر ولكنها تفهم من سياق الكلام؛ لأن المغلول تضم يدها في الغل إلى عنقه، وفي مصحف ابن مسعود "إننا جعلنا في أيديهم أغلالاً فهي إلى الأذقان" وهذه القراءة تدل على هذا المعنى، وقد أنكره الزمخشري. ﴿فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ يقال قمح البعير إذا رفع رأسه وأقمحه غيره إذا فعل به ذلك، والمعنى: أنهم لما اشتدت الأغلال حتى وصلت إلى أذقانهم اضطرت رؤوسهم إلى الارتفاع، وقيل: معنى "مقمحون" ممنوعون من كل خير. ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سُدًّا﴾ الآية، السد: الحائل بين الشيئين؛ وذلك عبارة عن منعهم من الإيمان. ﴿فَأَعْشَيْنَاهُمْ﴾ أي: غطينا على أبصارهم، وذلك أيضاً مجاز يراد به إضلالهم. ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ الآية، ذكرنا

إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾  
 إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ ۚ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾  
 وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ  
 فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا  
 أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ  
 ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۗ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ  
 وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَيَّرْنَاكُمْ مَعَكُمْ ۗ أَلَيْسَ لَكُم مِّنْ قَوْمٍ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾  
 وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَّسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾

معناها وإعرابها في البقرة. ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ المعنى: أن الإنذار لا ينفع إلا من اتبع الذكر وهو القرآن. ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ معناه كقوله ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يُخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾، وقد ذكرناه في فاطر. ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ أي: نبعثهم يوم القيامة، وقيل: إحياءهم إخراجهم من الشرك إلى الإيمان؛ والأول أظهر. ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾ أي: ما قدموا من أعمالهم وما تركوه بعدهم كعلم علموه أو تحيس حبسوه، وقيل: الآثار هنا الخطأ إلى المساجد، وجاء ذلك في الحديث. ﴿فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ أي: في كتاب وهو اللوح المحفوظ أو صحائف الأعمال. ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا﴾ الضمير لقريش، و"مثلا" و﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ مفعولان ب"أضرب" على القول بأنها تتعدى إلى مفعولين؛ وهو الصحيح، و"القرية" أنطاكية. ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ هم من الحواريين الذين أرسلهم عيسى عليه السلام يدعون الناس إلى عبادة الله، وقيل: بل هم رسل أرسلهم الله، ويدل على هذا قول قومهم: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾، فإن هذا إنما يقال لمن ادعى أن الله أرسله. ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ أي: قوينا الاثنين برسول ثالث، وقيل: اسمه شمعون. ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ إنما أكدوا الخبر هنا باللام؛ لأنه جواب للمنكرين بخلاف الموضوع الأول فإنه إخبار مجرد. ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ أي: تشاءمنا، وأصل اللفظة من زجر الطير ليستدل على ما يكون من خير أو شر، وإنما تشاءموا بهم لأنهم جاؤوا بدين غير دينهم، وقيل: وقع فيهم الجذام لما كفروا، وقيل: قحطوا. ﴿قَالُوا طَيَّرْنَاكُمْ مَعَكُمْ﴾ أي: قال الرسل لأهل القرية شؤمكم معكم، أي: إنما الشؤم الذي أصابكم بسبب كفركم لا بسببنا. ﴿أَلَيْسَ لَكُم مِّنْ قَوْمٍ مُّسْرِفُونَ﴾ دخلت همزة الاستفهام على حرف الشرط، وفي الكلام حذف تقديره: أتظيرون أن ذكرتم. ﴿يَّسْعَىٰ﴾ أي: يسرع بجده



اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ  
 تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا  
 وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿١٨﴾ إِنْ إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٩﴾ إِنْ ءَامَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ ﴿٢٠﴾  
 قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ  
 ﴿٢٢﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٣﴾ إِنْ  
 كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٤﴾ يَنْحَسِرُونَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ  
 رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٥﴾

ونصيحته، وقيل: اسمه حبيب النجار. ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ أي: هؤلاء المرسلون لا  
 يسألونكم أجرًا على الإيمان فلا تخسرون معهم شيئًا من دنياكم، وتربحون معهم الاهتداء في دينكم. ﴿وَمَا  
 لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ المعنى: أي شيء يمنعني من عبادة ربي، وهذا توقيف وإخبار عن نفسه قصد به  
 البيان لقومه؛ ولذلك قال ﴿وَالْيَهُ تَرْجَعُونَ﴾ فخطابهم ﴿إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَفَاعَتُهُمْ﴾ هذا  
 وصف للآلهة، والمعنى: كيف أتخذ من دون الله آلهة لا يشفعون ولا ينقذونني من الضر. ﴿إِنْ إِذَا لَفِي ضَلَالٍ  
 مُّبِينٍ﴾ أي: إن اتخذت آلهة غير الله فإني لفي ضلال مبين. ﴿إِنْ ءَامَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ﴾ خطاب لقومه،  
 أي: اسمعوا قولي واعملوا بنصيحتي، وقيل: خطاب للرسول ليشهدوا له. ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ قيل: هنا  
 محذوف يدل عليه الكلام، وروي في الأثر: وهو أن الرجل لما نصح قومه قتلوه، فلما مات قيل له: ادخل  
 الجنة! واختلف هل دخلها حين موته كالشهداء، أو هل ذلك بمعنى البشارة بالجنة ورؤيته لمقعدته منها؟  
 ﴿قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ تمنى أن يعلم قومه بغفران الله له على إيمانه فيؤمنون، ولذلك  
 ورد في الحديث: «أنه نصح لهم حيا وميتا»، وقيل: أراد أن يعلموا ذلك فيندموا على فعلهم معه ويجزئهم ذلك.  
 ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ المعنى: أن الله أهلكتهم بصيحة صاحها جبريل، ولم  
 يحتاج في تعذيبهم إلى إنزال جند من السماء لأنهم أهون من ذلك، وقيل: المعنى ما أنزل الله على قومه ملائكة  
 رسلا كما قالت قريش ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾، ولفظ الجند أليق بالمعنى الأول، وكذلك  
 ذكر الصيحة بعد ذلك. ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ أي: ما كنا ننزل جندا من السماء على أحد. ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾  
 أي: ساكنون لا يتحركون ولا ينطقون. ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ نداء للحسرة كأنه قال: يا حسرة! احضري فهذا  
 وقتك، وهذا التفجع عليهم استعارة في معنى التهويل والتعظيم؛ لما فعلوا من استهزائهم بالرسول، ويحتمل

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١﴾ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ  
لَدَيْنَا مَحْضَرُونَ ﴿٢﴾ وَعَايَةُ لَهُمْ الْأَرْضُ الْمَمِيَّةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ  
يَاْكُلُونَ ﴿٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٤﴾  
لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ وَلَا أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٥﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ  
الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنَ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ وَعَايَةُ لَهُمُ اللَّيْلُ  
نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴿٨﴾ ذَلِكَ تَقْدِيرُ  
الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿١٠﴾

أن يكون من كلام الملائكة أو المؤمنين من الناس، وقيل: المعنى يا حسرة العباد على أنفسهم. ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾  
الضمير لقریش أو للعباد على الإطلاق، والرؤية هنا بمعنى العلم. ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مَحْضَرُونَ﴾ قرئ  
"لما" بالتخفيف، وهي لام التأكيد دخلت على "ما" الزائدة، و"إن" على هذا مخففة من الثقيلة، وقرئ بالتشديد،  
وهي بمعنى إلا، و"إن" على هذا نافية. ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ "ما" معطوفة على "ثمره"؛ أي: لياكلوا من  
الثمر وما عملته أيديهم بالحرث والزراعة والغراسة، وقيل: "ما" نافية، وقرئ "وما عملت" بغير هاء و"ما"  
على هذا معطوفة. ﴿الْأَزْوَاجَ﴾ يعني أصناف المخلوقات؛ ثم فسرها بقوله: ﴿مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾، وما بعده  
ف"من" في المواضع الثلاثة للبيان. ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني أشياء لا يعلمها بنو آدم كقوله: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا  
تَعْلَمُونَ﴾. ﴿نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ أي: نجرده منه، وهي استعارة. ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ أي: لحد  
مؤقت تنتهي إليه من فلکها؛ وهي نهاية جريها إلى أن ترجع في المنقلبين الشتوي والصيفي، وقيل: مستقرها  
وقوفها كل يوم وقت الزوال بدليل وقوف الظل حينئذ، وقيل: مستقرها يوم القيامة حين تكور، وفي  
الحديث: «مستقرها تحت العرش تسجد فيه كل ليلة بعد غروبها» [سلم: 159]؛ وهذا أصح الأقوال لوروده عن  
النبي ﷺ في الحديث الصحيح، وقرئ "لا مستقر لها"؛ أي: لا تستقر عن جريها. ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾  
قرئ بالرفع على الابتداء أو عطف على "الليل"، وبالنصب على إضمار فعل، ولا بد في "قدرناه" من حذف  
تقديره: قدرنا سيره منازل؛ ومنازل القمر ثمانية وعشرون ينزل القمر كل ليلة واحدة منها من أول الشهر ثم  
يستتر في آخر الشهر ليلة أو ليلتين، قال الزمخشري: وهذه المنازل هي مواقع النجوم وهي؛ السرطان، البطين،  
الثريا، الدبران، الهقعة، الهنعة، الذراع، النثرة، الطرفا، الجبهة، الزيرة، الصرفة، العوى، السالك، الغفر، الزينان،  
الإكليل، القلب، الشولة، النعائم، البلدة، سعد الذابح، سعد بلع، سعد السعود، سعد الأخبية، فرغ الدلو  
المقدم، فرغ الدلو المؤخر، الرشا. ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ "الرجون" هو غصن النخلة؛ شبه القمر

لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿١٠﴾  
 وَعَايَةُ لَهُمْ وَأَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتِهِمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿١١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا  
 يَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَدُونَ ﴿١٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا  
 إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥﴾

به إذا تناهى في نقصانه، والتشبيه في ثلاثة أوصاف وهي؛ الرقة والانحناء والصفرة، ووصفه بـ"القديم"؛ لأنه  
 حيثذ تكون له هذه الأوصاف. ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ المعنى: لا يمكن الشمس أن تجتمع  
 مع القمر بالليل فتمحو نوره، هكذا قال بعضهم، ويحتمل أن يريد أن سير الشمس في الفلك بطيء فإنها  
 تقطع الفلك في سنة، وسير القمر سريع فإنه يقطع الفلك في شهر؛ والبطيء لا يدرك السريع. ﴿وَلَا اللَّيْلُ  
 سَابِقُ النَّهَارِ﴾ يعني أن كل واحد منهما جعل الله له وقتا موقتا واحدا معلوما لا يتعداه؛ فلا يأتي الليل حتى  
 يفصل النهار كما لا يأتي النهار حتى يفصل الليل، ويحتمل أن يريد أن آية الليل وهي القمر لا تسبق آية  
 النهار وهي الشمس؛ أي: لا تجتمع معه فيكون المعنى كالذي قيل في قوله "لا الشمس ينبغي لها أن تدرك  
 القمر"، فحصل من ذلك أن الشمس لا تجتمع مع القمر، وأن القمر لا يجتمع مع الشمس. ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ  
 يَسْبَحُونَ﴾ ذكر في الأنبياء. ﴿وَعَايَةُ لَهُمْ وَأَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتِهِمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ معنى "المشحون" المملوء،  
 و"الفلك" هنا يحتمل أن يريد به جنس السفن أو سفينة نوح عليه السلام، وأما الذرية؛ فقيل: يعني الآباء  
 الذين حملهم الله في سفينة نوح عليه السلام، وسمى الآباء ذرية؛ لأن الذرية تناسلت منهم، وأنكر ابن عطية  
 ذلك، وقيل: يعني النساء؛ وذلك بعيد، والأظهر أنه أراد بـ"الفلك" جنس السفن، فيعني جنس بني آدم، وإنما  
 خص ذريتهم بالذكر؛ لأنه أبلغ في الامتنان عليهم، ولأن فيه إشارة إلى حمل أعقابهم إلى يوم القيامة، وإن أراد  
 بـ"الفلك" سفينة نوح فيعني بالذرية من كان في السفينة، وسماه ذرية لأنهم ذرية آدم ونوح؛ فالضمير في  
 "ذريتهم" على هذا النوع بني آدم، كأنه يقول: الذرية منهم. ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ إن أراد  
 بـ"الفلك" سفينة نوح، فيعني بقوله "من مثله" سائر السفن التي يركبها الناس، وإن أراد بـ"الفلك" جنس  
 السفن، فيعني بقوله "من مثله" الإبل وسائر المركوبات؛ فتكون المائلة على هذا في أنه مركوب لا غير؛  
 والأول أظهر؛ لقوله: ﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾، ولا يتصور هذا في المركوبات غير السفن. ﴿فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ﴾  
 أي: لا مغيث لهم ولا منقذ لهم من الغرق. ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا﴾ قال الكسائي: نصب "رحمة" على الاستثناء كأنه  
 قال: إلا أن نرحمهم. وقال الزجاج: نصب "رحمة" على المفعول من أجله كأنه قال: إلا لأجل رحمتنا إياهم.  
 ﴿وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ يعني آجالهم. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ الضمير لقريش،

وَمَا تَاتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ وَانْفِقُوا  
 مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ  
 أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨﴾ مَا  
 يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ مَخْضُمُونَ ﴿١٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى  
 أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٢١﴾  
 قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ۗ

وجواب "إذا" محذوف تقديره: أعرضوا، يدل عليه ﴿إِلا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ والمراد بما بين أيديهم وما  
 خلفهم؛ ذنوبهم المتقدمة والمتأخرة، وقيل: ما بين أيديهم عذاب الأمم المتقدمة، وما خلفهم عذاب الآخرة.  
 ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ كان النبي ﷺ والمؤمنون يحضون الناس على  
 الصدقات وإطعام المساكين فيجيبهم الكفار بهذا الجواب، وفي معناه قولان؛ أحدهما: أنهم قالوا: كيف نطعم  
 المساكين، لو يشاء الله أن يطعمهم لأطعمهم، فمن حرمهم الله نحرهم نحن، وهذا كقولهم: كن مع الله على  
 المدبر، والآخر: أن قولهم رد على المؤمنين، وذلك أن المؤمنين كانوا يقولون: إن الأمور كلها بيد الله، فكان  
 الكفار يقولون لهم: لو كان كما تزعمون لأطعم الله هؤلاء فما بالكم تطلبون إطعامهم منا؟ ومقصدهم في  
 الوجهين احتجاج لبلخهم ومنعهم الصدقات، واستهزاء بمن حضهم على الصدقة. ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ  
 مُبِينٍ﴾ يحتمل أن يكون من بقية كلامهم خطابا للمؤمنين، أو يكون من كلام الله خطابا للكافرين. ﴿وَيَقُولُونَ  
 مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ يعنون يوم القيامة أو نزول العذاب بهم. ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ أي: ما ينتظرون  
 إلا صيحة واحدة؛ يعني: النفخة الأولى في الصور وهي نفخة الصعق. ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخْضَمُونَ﴾ أي:  
 تأخذهم بغتة وهم يختصمون؛ أي: يتكلمون في أمورهم، وأصل "يخضمون": يختصمون ثم أدغم، وقرئ بفتح  
 الحاء وكسرها واختلاس حركتها. ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ أي: لا يقدر أن يوصوا بما لهم وما عليهم  
 لسرعة الأمر. ﴿وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: لا يستطيعون أن يرجعوا إلى منازلهم لسرعة الأمر. ﴿وَنُفِخَ فِي  
 الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ هذه النفخة الثانية وهي نفخة القيام من القبور، و"الأجداث"  
 هي القبور، و"ينسلون" يسرعون المشي، وقيل: يخرجون. ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا﴾ الويل منادى أو مصدر. ﴿مَنْ بَعَثَنَا  
 مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ المرقد يحتمل أن يكون اسم مصدر أو اسم مكان، قال أبو بن كعب ؓ ومجاهد: إن البشر ينامون  
 نومة قبل الحشر، قال ابن عطية: وهذا غير صحيح الإسناد، وإنما الوجه في معنى قولهم "من مرقدنا" أنها استعارة  
 وتشبيه به، يعني أن قبورهم شبعت بالمضاجع لكونهم فيها على هيئة الراقد وإن لم يكن رقاد في الحقيقة.

هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٦﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٧﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تَنْجُزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ ﴿٥٩﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٦٠﴾ هُمْ فِيهَا فَكَاهَةٌ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٦١﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴿٦٢﴾ وَامْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٦٣﴾ أَلَمْ أَعْهَدِ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٤﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٦﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٧﴾ أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٨﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿٧٠﴾

﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ "هذا" مبتدأ، وما بعده خبر، وقيل: إن "هذا" صفة لـ "مرفدنا"، و"ما وعد" مبتدأ محذوف الخبر؛ وهذا ضعيف، ويحتمل أن يكون هذا الكلام من بقية كلامهم، أو يكون من كلام الله تعالى، أو من كلام الملائكة، أو المؤمنين يقولونها للكفار على وجه التقرير. ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ يعني النفخة الثانية وهي نفخة القيام. ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ ﴾ قيل: هو افتراض الأبقار، وقيل: سماع الأوتار؛ والأظهر أنه عام في الاشتغال بالنعيم واللذات. ﴿ فَكَاهُونَ ﴾ قرئ بالألف، ومعناه أصحاب فاكهة، وبغير ألف وهو من الفكاهة بمعنى الراحة والسرور. ﴿ فِي ظِلِّالٍ ﴾ جمع ظل، وقرئ بالضم جمع ظلة. ﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ ﴾ جمع أريكة وهي السرير. ﴿ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴾ أي: ما يتمنون، وقيل: معناه أن ما يدعون به يأتيهم. ﴿ سَلَامٌ ﴾ مبتدأ، وقيل: بدل مـ "ما يدعون". ﴿ قَوْلًا ﴾ مصدر مؤكد، والمعنى: أن السلام عليهم قول من الله بواسطة الملائكة أو بغير واسطة. ﴿ وَامْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾ أي: انفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة. ﴿ جِبِلًّا كَثِيرًا ﴾ الجبل الأمة العظيمة، وقال الضحاك: أقلها عشرة آلاف ولا نهاية لأكثرها، وقرئ بكسر الجيم والباء وتشديد اللام، وبضمها مع التخفيف، وبضم الجيم وإسكان الباء؛ وهي لغات بمعنى واحد. ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ ﴾ أي: نمنعهم من الكلام فتتطق أعضاؤهم يوم القيامة. ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ ﴾ هذا تهديد لقريش، والطمس على العين هو العمى، و﴿ الصِّرَاطِ ﴾ الطريق، و﴿ أَنَّى ﴾ استفهام يراد به النفي؛ فمعنى الآية: لو نشاء لأعميناهم فلوراموا أن يمشوا على الطريق لم يبصروه،

وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٧٧﴾ وَمَنْ  
 نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا  
 ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٧٩﴾ لِتُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا  
 أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَلَائِكُونَ ﴿٨١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا  
 رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٨٢﴾

وقيل: يعني عمي البصائر؛ أي: لو نشاء لختمنا على قلوبهم؛ و"الصراط" على هذا استعارة بمعنى الإيثار  
 والخير. ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ﴾ هذا تهديد بالمسح، فقيل: معناه المسح قرده وخنازير وحجارة، وقيل:  
 معناه لو نشاء لجعلناهم مقعدين مبطلين لا يستطيعون تصرفا، وقيل: إن هذا التهديد كله بما يكون يوم  
 القيامة؛ والأظهر أنه في الدنيا. ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ المكانة المكان، والمعنى: لو نشاء لمسحناهم مسحا يقعدهم  
 في مكانهم. ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: إذا مسخوا في مكانهم لم يقدرُوا أن يذهبوا ولا أن  
 يرجعوا. ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ أي: نحول خلقته من القوة إلى الضعف، ومن الفهم إلى البله  
 وشبه ذلك كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾، وإنما قصد بذكر ذلك هنا الاستدلال على  
 قدرته تعالى على مسح الكفار، كما قدر على تنكيس الإنسان إذا هرم. ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾  
 الضميران لمحمد ﷺ، وذلك رد على الكفار في قولهم: إنه شاعر، وكان ﷺ لا ينظم الشعر ولا يزنه وإذا  
 ذكر بيت شعر كسر وزنه، فإن قيل: قدر يروي عنه ﷺ أنه قال: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب»  
 [البخاري: 2709]، وروي عنه أيضا: «هل أنت إلا أصبع دमित، وفي سبيل الله ما لقيت» [البخاري: 2647] وهذا  
 الكلام على وزن الشعر، فالجواب: أنه ليس بشعر، وأنه لم يقصد به الشعر، وإنما جاء موزونا بالانفاق لا  
 بالقصد فهو كالشعر المنشور، ومثل هذا يقال في ما جاء في القرآن من الكلام الموزون، ويقضي قوله "وما  
 ينبغي له" تنزيه النبي ﷺ عن الشعر لما فيه من الأباطيل وإفراط التجاوز، حتى قيل: إن الشعر أطيبه أكذبه،  
 وليس كل الشعر كذلك فقد قال ﷺ: «إن من الشعر لحكمة» [ابن ماجه: 3755]، وقد أكثر الناس في ذم الشعر  
 ومدحه، وإنما الإنصاف قول الشافعي: الشعر كلام، والكلام منه حسن ومنه قبيح. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ الضمير  
 للقرآن، أي: أنه ذكر لله، أو تذكير للناس، أو شرف لهم. ﴿لِتُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ أي: حي القلب والبصيرة.  
 ﴿وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي: يجب عليهم العذاب. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾  
 مقصد الآية تعديد نعمة وإقامة حجة، والأيدي هنا عند أهل التأويل عبارة عن القدرة، وعند أهل التسليم  
 من المتشابه الذي يجب الإيثار به وعلمه عند الله. ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ الركوب بفتح الراء هو المركوب.

وَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ ۗ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٦﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ  
يُنصَرُونَ ﴿٧٧﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحَضَّرُونَ ﴿٧٨﴾ فَلَا تُحْزِنُكَ  
قَوْلُهُمْ ۗ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٩﴾ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ  
فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٨٠﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۗ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ  
رَمِيمٌ ﴿٨١﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۗ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٨٢﴾ الَّذِي جَعَلَ  
لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ تُوقَدُونَ ﴿٨٣﴾

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ يعني الأكل منها، والحمل عليها، والانتفاع بالجلود والصوف وغيره. ﴿وَمَشَارِبٌ﴾  
يعني الألبان. ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ الضمير في "يستطيعون" للأصنام، وفي "نصرهم" للمشركين،  
ويحتمل العكس؛ والأول أرجح فإنه لما ذكر أن المشركين اتخذوا الأصنام لعلمهم ينصرون، أخبر أن  
الأصنام لا يستطيعون نصرهم فخاب أملهم. ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحَضَّرُونَ﴾ الضمير الأول للمشركين  
والثاني للأصنام، يعني أن المشركين يخدمون الأصنام ويتعصبون لهم حتى أنهم لهم كالجنود، وقيل:  
بالعكس بمعنى أن الأصنام جند محضرون لعذاب المشركين في الآخرة؛ والأول أرجح لأنه تقييد لحال  
المشركين. ﴿فَلَا يُحْزِنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ تسلية للنبي ﷺ معللة بما بعدها. ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ  
نُطْفَةٍ﴾ هذه الآية وما بعدها إلى آخر السورة براهين على الحشر يوم القيامة وردة على من أنكر ذلك،  
والنطفة هي نطفة المنى التي خلق الإنسان منها، ولا شك أن الإله الذي قدر على أن يخلق من نطفة  
قادر على أن يخلق مرة أخرى عند البعث، وسبب الآية: أن العاصي بن وائل جاء إلى النبي ﷺ بعظم  
ريميم فقال له: يا محمد! من يحيي هذا؟ وقيل: إن الذي جاء بالعظم أمية بن خلف، وقيل: أبي بن خلف،  
فقال له رسول الله ﷺ: ﴿الله يحييه ويميتك، ثم يحييك ويدخلك جهنم﴾ [الحاكم: 3606]. ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ  
مُّبِينٌ﴾ أي: متكلم قادر على الخصوم يبين ما في نفسه بلسانه. ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ إشارة إلى قول الكافر:  
من يحيي هذا العظم؟ ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ أي: نسي الاستدلال بخلقته الأولى على بعثه، والنسيان هنا  
يحتمل أن يكون بمعنى الذهول أو الترك. ﴿وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ أي: بالية متفتتة. ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ  
مَرَّةٍ﴾ استدلال بالخلقة الأولى على البعث. ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ أي: يعلم كيف يخلق كل شيء فلا  
يصعب عليه بعث الأجساد بعد فنائها، وال"خلق" هنا يحتمل أن يكون مصدرا أو بمعنى المخلوق.  
﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ هذا دليل آخر على إمكان البعث، وذلك أن الذين أنكروه

أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ۗ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ  
 الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي  
 بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٦٣﴾

من الكفار والطبايعين قالوا: طبع الموت يضاد طبع الحياة، فكيف تصير العظام حية؟ فأقام الله عليهم  
 الدليل بخروج النار من الشجر الأخضر الممتلئ ماء مع مضادة طبع الماء للنار، ويعني بـ"الشجر" زناد  
 العرب؛ وهو شجر المرخ والعفار فإنه يقطع من كل واحد منهما غصنا أخضر يقطر منه الماء، فيسحق  
 المرخ على العفار فتندح النار بينهما، قال ابن عباس ؓ: ليس من شجرة إلا وفيها نار إلا العناب، ولكنه  
 في المرخ والعفار أكثر. ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ هذا دليل  
 آخر على البعث بأن الإله الذي قدر على خلقه السماوات والأرض على عظمتها وكبر أجرامها قادر على  
 أن يخلق أجساد بني آدم بعد فنائها، والضمير في "مثلهم" يعود على الناس. ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ في  
 ذكر هذين الاسمين أيضا استدلال على البعث، وكذلك في قوله ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ  
 فَيَكُونُ﴾ لأن هذا عبارة عن قدرته على جميع الأشياء، ولا شك أن الخلاق العليم القدير لا يصعب عليه  
 إعادة الأجساد. ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ في هذا استدلال على البعث، وتنزيهه لله عما  
 نسبه الكفار إليه من العجز عن البعث، فإنهم ما قدرُوا الله حق قدره، وكل من أنكر البعث فإنها أنكره  
 لجهله بقدرة الله سبحانه.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّلِيَّاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾  
 إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زِينَا  
 السَّمَاءَ الدُّنْيَا بَزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ  
 الْأَعْلَىٰ وَيُقَذَّفُونَ مِّنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾

## سورة الصافات

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ تقديره: والجماعات الصافات ثم اختلف فيها، فقيل: هي الملائكة التي تصف في السماء صفوا لعبادة الله، وقيل: هي من يصف من بني آدم في الصلاة والجهاد؛ والأول أرجح لقوله حكاية عن الملائكة: ﴿وَأِنَّا لَتَحْنُ الصَّافُّونَ﴾. ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ هي الملائكة تزجر السحاب وغيرها، وقيل: الزاجرون بالمواعظ من بني آدم، وقيل: هي آيات القرآن المتضمنة الزجر عن المعاصي. ﴿فَالتَّلِيَّاتِ ذِكْرًا﴾ هي الملائكة تتلو القرآن والذكر، وقيل: هم التالون للقرآن والذكر من بني آدم. وهي كلها أشياء أقسم الله بها على أنه واحد. ﴿وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ يعني مشارق الشمس؛ وهي ثلاثمائة وستون مشرقا، وكذلك المغرب فإنها تشرق كل يوم من أيام السنة في مشرق منها وتغرب في مغرب، واستغنى بذكر "المشارق" عن ذكر المغرب؛ لأنها معادلة لها فتفهم من ذكرها. ﴿بَزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ قرئ بإضافة الـ"زينة" إلى "الكواكب"، والزينة تكون مصدرا واسما لما يزان به؛ فإن كانت مصدرا فهو مضاف إلى الفاعل تقديره: بأن زينة الكواكب السماء، أو مضاف إلى المفعول تقديره: بأن زينا الكواكب، وإن كانت اسما فالإضافة بيان للزينة، وقرئ بتنوين "زينة" وخفض "الكواكب" على البدل، وبنصب "الكواكب" على أنها مفعول "بزينة" أو بدل من موضع "زينة". ﴿وَحِفْظًا﴾ منصوب على المصدر تقديره: وحفظناها حفظا، أو مفعول من أجله والواو زائدة، أو محمول على المعنى لأن المعنى: إنا جعلنا الكواكب زينة للسماء وحفظا. ﴿مَّارِدٍ﴾ أي: شديد الشر. ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ﴾ الضمير في "يسمعون" للشياطين، و"الملا الأعلى" هم الملائكة الذين يسكنون في السماء، والمعنى: أن الشياطين منعت من سمع أحاديث الملائكة، وقرئ "يسمعون" بتشديد السين والميم ووزنه يتفعلون، والسمع طلب السماع؛ فنفى السماع على القراءة الأولى، ونفى طلبه على القراءة بالتشديد؛ والأول أرجح لقوله: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾، ولأن ظاهر الأحاديث أنهم يستمعون لكنهم لا يسمعون شيئا منذ بعث محمد ﷺ لأنهم يرمون بالكواكب. ﴿وَيُقَذَّفُونَ﴾ أي: يرمون يعني بالكواكب، وهي التي يراها الناس تنقض، قال النقاش ومكي: ليست الكواكب الراجمة للشياطين بالكواكب الجارية في السماء؛ لأن تلك لا ترى حركتها وهذه الراجمة ترى حركتها لقربها منا، قال ابن عطية: وفي هذا نظر.

دُحُورًا ۖ وَهُمْ عَذَابٌ وَّاصِبٌ ﴿١﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿٢﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ ۖ  
 أَهْمٌ ۖ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنِ خَلَقْنَا ۖ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن طِينٍ لَّزِبٍ ﴿٣﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿٤﴾  
 وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿٦﴾ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ  
 ﴿٧﴾ أَمَّا إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨﴾ أَوْءَابَاؤُنَا الْآوَّلُونَ ﴿٩﴾

﴿دُحُورًا﴾ أي: طردا وإبعادا وإهانة؛ لأن الدحر الدفع بعنف، وإعرابه مفعول من أجله، أو مصدر من "يقذفون" على المعنى، أو مصدر في موضع الحال تقديره: مدحورين. ﴿عَذَابٌ وَّاصِبٌ﴾ أي: دائم؛ لأنهم يرجعون بالنجوم في الدنيا ثم يعذبون بجهنم. ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ "من" في وضع رفع بدل من الضمير في قوله "لا يسمعون"، والمعنى: لا تسمع الشياطين أخبار الساء إلا الشيطان الذي خطف الخطفة. ﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ أي: شديد الإضاءة. ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنِ خَلَقْنَا﴾ الضمير لكفار قريش، والاستفتاء نوع من السؤال، وكأنه سؤال من يعتبر قوله ويجعل حجة؛ لأن جوابهم عن هذا السؤال مما تقوم عليهم به الحجة، و"من خلقنا" يراد به ما تقدم ذكره من الملائكة والسموات والأرض والمشارق والكواكب، وقيل: يراد به من تقدم من الأمم؛ والأول أرجح لقراءة ابن مسعود ؓ "أم من عددنا"، ومقصد الآية: إقامة الحجة عليهم في إنكارهم البعث في الآخرة، كأنه يقول: هذه المخلوقات أشد خلقا منكم، فكما قدرنا على خلقتهم كذلك نقدر على إعادتكم بعد فنائكم. ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن طِينٍ لَّزِبٍ﴾ اللازب اللازم، أي: يلزم ما جاوره ويلصق به، ووصفه بذلك يراد به ضعف خلقه بني آدم. ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ أي: عجبت يا محمد من ضلالهم وإعراضهم عن الحق، أو عجبت من قدرة الله تعالى على هذه المخلوقات العظام المذكورة، وقرئ "عجبت" بضم التاء، وأشكل ذلك على من يقول: إن التعجب مستحيل على الله، فتألولوه بمعنى أنه جعله على حالة يتعجب منها الناس، وقيل: تقديره: قل يا محمد عجبت، وقد جاء التعجب من الله في القرآن والحديث كقوله ﷺ: «يعجب ربك من شاب ليست له صبوة» [أحمد: 17409]، وهو صفة فعل، وإنما جعلوه مستحيلا على الله لأنهم قالوا إن التعجب استعظام خفي سببه؛ والصواب أنه لا يلزم أن يكون خفي السبب؛ بل هو لمجرد الاستعظام فعلى هذا لا يستحيل على الله. ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ تقديره: وهم يسخرون منك أو من البعث. ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ الآية هنا العلامة، كانشقاق القمر ونحوه، وروي أنها نزلت في مشرك اسمه ركانة أراه النبي ﷺ آيات فلم يؤمن، و"يستسخرون" معناه: يسخرون، فيكون فَعَلَ واستفعل بمعنى واحد، وقيل: معناه يستدعي بعضهم بعضا لأن يسخر، وقيل: يبالغون في السخرية. ﴿أَمَّا إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ الآية، معناها: استبعادهم البعث، وقد تقدم الكلام على الاستفهامين في الرعد. ﴿أَوْءَابَاؤُنَا﴾ بفتح الواو، دخلت

قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٠١﴾ وَقَالُوا يَوَيْلَنَا  
 هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٠٢﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿١٠٣﴾ \* أَحْشُرُوا الَّذِينَ  
 ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿١٠٤﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿١٠٥﴾  
 وَقَفُوهُمْ إِثْمَهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿١٠٦﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْصَرُونَ ﴿١٠٧﴾ بَلْ هُمْ آلِيَوْمٍ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْبَلَ  
 بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠٩﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿١١٠﴾ قَالُوا بَلْ  
 لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿١١٢﴾ فَحَقَّ  
 عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿١١٣﴾

همزة الإنكار على واو العطف، وقرئ بالإسكان عطفاً بـ"أو". ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ أي: قل تُبعثون،  
 والداخر الصاغر الذليل. ﴿زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ هي النفخة في الصور للقيام من القبور. ﴿فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾  
 يحتمل أن يكون من النظر بالأبصار أو من الانتظار؛ أي: ينتظرون ما يفعل بهم. ﴿هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ يحتمل  
 أن يكون من كلامهم مثل الذي قبله، أو مما يقال لهم مثل الذي بعده. ﴿أَحْشُرُوا﴾ الآية، خطاب للملائكة  
 خاطبهم به الله تعالى أو خاطب به بعضهم بعضاً. ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ يعني نساءهم المشركات، وقيل: يعني  
 أصنافهم وقرناءهم من الجن والإنس. ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ يعني الأصنام والأدمين الذين كانوا يرضون  
 بذلك. ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ أي: دلوهم على طريق جهنم ليدخلوها. ﴿إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ يعني  
 أنهم يسألون عن أعمالهم توبيخاً لهم، وقيل: يسألون عن قول: لا إله إلا الله؛ والأول أرجح لأنه أعم، ويحتمل  
 أن يسألوا عن عدم تناصرهم على وجه التهكم بهم فيكون "مسئولون" عاملاً فيما بعده، والتقدير: يقال  
 لهم ما لكم لا ينصر بعضكم بعضاً، وقد كنتم في الدنيا تقولون نحن جميع منتصر. ﴿مُسْتَسْلِمُونَ﴾ أي:  
 منقادون عاجزون عن الانتصار. ﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ الضمير في "قالوا" للضعفاء من  
 الكفار خاطبوا الكبراء منهم في جهنم، أو للإنس خاطبوا الجن، و"اليمين" هنا يحتمل ثلاث معان؛ الأول:  
 أن يراد بها طريق الخير والصواب، وجاءت العبارة عن ذلك بلفظ اليمين كما أن العبارة عن الشر بالشمال،  
 والمعنى: أنهم قالوا لهم إنكم كنتم تأتوننا عن طريق الخير فتصدوننا عنه، والثاني: أن يراد بها القوة، والمعنى  
 على هذا: أنكم كنتم تأتوننا بقوةكم وسلطانكم، فتأمرونا بالكفر وتمنعوننا من الإيمان، والثالث: أن يراد بها  
 اليمين التي يجلف بها، أي: كنتم تأتوننا بأن تحلفوا لنا أنكم على الحق فنصدقكم في ذلك وتتبعكم. ﴿قَالُوا  
 بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ الضمير في "قالوا" للكبراء من الكفار أو للشياطين، والمعنى: أنهم قالوا لأتباعهم  
 ليس الأمر كما ذكرتم بل كفرتم باختياركم. ﴿فَحَقَّقَ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ أي: وجب العذاب علينا

فَأَعْوَيْنَاكُمْ ۖ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿١٣﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَذَلِكَ  
 نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٥﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٦﴾ وَيَقُولُونَ  
 أَبْنَا لَتَارِكُوا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿١٧﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨﴾ إِنَّكُمْ  
 لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿١٩﴾ وَمَا تَحْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ  
 الْمُخْلِصِينَ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ هُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٢٢﴾ فَوَاكِهُ ۗ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٢٣﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ  
 ﴿٢٤﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٢٥﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿٢٦﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ  
 ﴿٢٧﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ ۗ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٢٨﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٢٩﴾

وعليكم، و"إنا لذائقون" معمول القول، وحذف معمول "لذائقون" تقديره: وجب القول بأننا ذائقون العذاب. ﴿فَأَعْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ أي: دعوناكم إلى الغي لأننا كنا على غي. ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي: إن المتبوعين والأتباع مشتركون في عذاب النار. ﴿وَيَقُولُونَ أَبْنَا لَتَارِكُوا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ الضمير في "يقولون" لكفار قريش، ويعنون بـ"شاعر مجنون" محمدا ﷺ، فرد الله عليهم بقوله: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ﴾ أي: جاء بالتوحيد والإسلام وهو الحق. ﴿وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الذين قبله لأنه جاء بمثل ما جاؤوا به، ويحتمل أن يكون المعنى صدقهم؛ لأنهم أخبروا بنبوءته فظهر صدقهم لما بعث عليه الصلاة والسلام. ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ استثناء منقطع بمعنى لكن، وقرئ "مخلصين" بفتح اللام وكسرهما في كل موضع، وقد تقدم تفسيره. ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ الـ"سرر" جمع سرير، وتقابلهم في بعض الأحيان للسرور بالأنس، وفي بعض الأحيان ينفرد كل واحد في قصره. ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ﴾ الذين يطوفون عليهم الولدان حسبما ورد في الآية الأخرى، والـ"كأس" الإناء الذي فيه خمر قاله ابن عباس ؓ، وقيل: الكأس إناء واسع الفم ليس له مقبض سواء كان فيه خمر أم لا، والـ"معين" الجاري الكثير، ووزنه فعيل والميم فيه أصلية، وقيل: هو مشتق من العين فالميم زائدة ووزنه مفعول. ﴿لَذَّةٍ﴾ أي: ذات لذة فوصفها بالمصدر اتساعا. ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ الـ"غول" اسم عام في الأذى والضير، ومنه يقال: غاله يغوله إذا أهلكه، وقيل: الـ"غول" وجع في البطن، وقيل: صداع في الرأس، وإنما قدم المجرور هاهنا تعريضا بخمر الدنيا لأن الغول فيها. ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ أي: لا يسكرون من خمر الجنة، ومنه النزيف وهو السكران، و"عن" هنا سببية كقولك: فعلته عن أمرك، أي: لا ينزفون بسبب شربها. ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ يعني أنهن قصرن أعينهن على النظر إلى أزواجهن فلا ينظرن إلى غيرهم. ﴿عِينٌ﴾ جمع عيناء، وهي الكبيرة العينين في جمال.

كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿١١﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ وَإِنِّي  
 كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿١٣﴾ يَقُولُ أَهِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿١٤﴾ أَهَذَا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِنَّا  
 لَمَدِينُونَ ﴿١٥﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴿١٦﴾ فَاطَّلَعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ ﴿١٧﴾ قَالَ تَاللَّهِ  
 إِن كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿١٨﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿١٩﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ  
 ﴿٢٠﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّينَ ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٢٢﴾ لِمِثْلِ هَذَا  
 فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٢٣﴾ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ ﴿٢٤﴾

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ قيل: شبههن في اللون ببيض النعام؛ لأنه بياض خالطه صفرة حسنة، ولذلك قال  
 امرؤ القيس:

كبكر مقناة البياض بصفرة

وقيل: إنما التشبيه بلون قشر البيض الداخلي الرقيق وهو المكنون، أي: المصون تحت القشر الأول، وقيل:  
 أراد الجوهر المصون. ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ هذا إخبار عن تحدث أهل الجنة، قال الزمخشري:  
 هذه الجملة معطوفة على "يطاف عليهم"، والمعنى: أنهم يشربون فيتحدثون على الشراب بما جرى لهم في  
 الدنيا. ﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ قيل: إن هذا القائل وقريته من البشر مؤمن وكافر، وقيل: كان قريته من الجن.  
 ﴿يَقُولُ أَهِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ معناه: أنه كان يقول له على وجه الإنكار أتصدق بالدين والآخرة. ﴿لَمَدِينُونَ﴾  
 أي: مجازون ومحاسبون على الأعمال، ووزنه مفعول، وهو من الدين؛ بمعنى الجزاء والحساب. ﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ  
 مُطَّلِعُونَ﴾ أي: قال ذلك القائل لرفقائه في الجنة، أو للملائكة، أو لخدامه: هل أنتم مطلعون على النار  
 لأريكم ذلك القرين فيها؟ وروي أن في الجنة كوى ينظر منها أهلها إلى النار. ﴿فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ﴾ أي: في  
 وسطها. ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينَ﴾ أي: تهلكني بإغوائك، والردى الهلاك، وهذا خطاب خاطب به  
 المؤمن قريته الذي في النار. ﴿مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ أي: في العذاب. ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ هذا من كلام المؤمن  
 خطابا لقريته أو خطابا لرفقائه في الجنة، ولذلك قال "نحن" فأخبر عن نفسه وعنهم، ويحتمل أن يكون من  
 كلامه وكلامهم جميعا. ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ يحتمل أن يكون من كلام المؤمن، أو من كلامه وكلام  
 رفقائه في الجنة، أو من كلام الله تعالى، وكذلك تحتمل هذه الوجوه في قوله: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾؛  
 والأرجح فيه أن يكون من كلام الله تعالى؛ لأن الذي بعده من كلام الله فيكون متصلا به، ولأن الأمر بالعمل  
 إنما يكون حقيقة في الدنيا، ففيه تخصيص على العمل الصالح. ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ﴾ الإشارة

إِنَّا جَعَلْنَهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٣٨﴾ طَلَعَهَا كَأَنَّهُ  
 رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٣٩﴾ فَإِنَّهُمْ لَا كَلُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْنَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا  
 لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٤١﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٤٢﴾ إِنَّهُمْ وَالْفَوَاحِشُ هُمْ ضَالِّينَ ﴿٤٣﴾  
 فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُرْعَوْنَ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ  
 مُنذِرِينَ ﴿٤٦﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ ﴿٤٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٨﴾  
 وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٥٠﴾  
 وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٥١﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٥٢﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٥٣﴾

بـ"ذلك" إلى نعيم الجنة وكل ما ذكر من وصفها، وقال الزمخشري: الإشارة إلى قوله ﴿رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ والـ"نزل"  
 الضيافة، وقيل: الرزق الكثير، وجاء التفضيل هنا بين شيئين ليس بينهما اشتراك لأن الكلام تقرير وتوبيخ.  
 ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ قيل: سبها أن أبا جهل وغيره لما سمعوا ذكر شجرة الزقوم قالوا: كيف يكون  
 في النار شجرة، والنار تحرق الشجر؟ فالـ"فتنة" على هذا الابتلاء في الدنيا، وقيل: معناه عذاب الظالمين في  
 الآخرة، والمراد بـ"الظالمين" هنا الكفار. ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ أي: تنبت في قعر جهنم  
 وترتفع أغصانها إلى دركاتها. ﴿طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ الطلع ثمر النخلة، فاستعير لشجرة الزقوم،  
 وشبه برؤوس الشياطين مبالغة في قبحة وكرهته؛ لأنه قد تقرر في نفوس الناس كراهتها وإن لم يروها،  
 ولذلك يقال للقيح المنظر: وجه شيطان، وقيل "رؤوس الشياطين" شجرة معروفة باليمن، وقيل: هو صنف  
 من الحيات. ﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ أي: مزاجا من ماء حار، فإن قيل: لم عطف هذه الجملة بـ"ثم"؟ فالجواب من  
 وجهين؛ أحدهما: أنه لترتيب تلك الأحوال في الزمان؛ فالمعنى: أنهم يملؤون البطون من شجرة الزقوم، وبعد  
 ذلك يشربون الحميم، والثاني: أنه لترتيب مضاعفة العذاب؛ فالمعنى: أن شربهم للحميم أشد مما ذكر قبله.  
 ﴿يُرْعَوْنَ﴾ الإهراع الإسراع الشديد. ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا﴾ أي: دعانا، يعني دعاءه بإهلاك قومه ونصرته  
 عليهم. ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ يعني الغرق. ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ أهل الأرض كلهم من ذرية  
 نوح؛ لأنه لما غرق الناس في الطوفان ونجا نوح ومن كان معه في السفينة تناسل الناس من أولاده الثلاثة:  
 سام وحام ويافث. ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ معناه: أبقينا له نساء جميلا في الناس إلى يوم القيامة. ﴿سَلَّمَ  
 عَلَىٰ نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ هذا تسليم من الله على نوح عليه السلام، وقيل: إن هذه الجملة هي مفعول "تركنا"  
 وهي محكية؛ أي: تركنا هذه الكلمة تقال له، يعني أن الخلق يسلمون عليه، فيبتدأ بالـ"سلام" على القول الأول

إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَبْفِكَ - إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾

لا على الثاني؛ والأول أظهر، ومعنى "في العالمين" على القول الأول تخصيصه بالسلام عليه من بين العالمين كما تقول: أحب فلانا في الناس، أي: أحبه خصوصا من بين الناس، ومعناه على القول الثاني أن السلام عليه ثابت في العالمين؛ وهذا الخلاف يجري حيث ما ذكر ذلك في هذه السورة. ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ الشيعة الصنف المتفوق، فمعنى "من شيعته" على دينه في التوحيد، والضمير يعود على "نوح"، وقيل: على محمد عليه السلام؛ والأول أظهر. ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ﴾ عبارة عن إخلاصه وإقباله بكلية على الله تعالى، وليس المراد المجيء بالجسد. ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أي: سليم من الشرك والشك وجميع العيوب. ﴿أَبْفِكَ - إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ الإفك الباطل، وإعراجه هنا مفعول من أجله، و"إلهة" مفعول به، وقيل "أيفكا" مفعول به و"إلهة" بدل منه، وقيل "أيفكا" مصدر في موضع الحال تقديره: آفكين؛ أي: كاذبين؛ والأول أحسن. ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ المعنى: أي شيء تظنون برب العالمين أن يعاقبكم به وقد عبدتم غيره، أو أي شيء تظنون أنه هو حتى عبدتم غيره؟ كما تقول: فما ظنك بفلان؟ إذا قصدت تعظيمه؛ فالمقصد على المعنى الأول تهديد، وعلى الثاني تعظيم لله وتوبيخ لهم. ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ روي أن قومه كان لهم عيد يخرجون إليه فدعوه إلى الخروج معهم، فحينئذ قال "إني سقيم" ليمتنع عن الخروج معهم فيكسر أصنامهم إذا خرجوا لعيدهم، وفي تأويل ذلك ثلاثة أقوال؛ الأول: أنه كانت تأخذ الحمى في وقت معلوم، فنظر في النجوم ليرى وقت الحمى واعتذر عن الخروج بأنه سقيم من الحمى، والثاني: أن قومه كانوا منجمين، وكان هو يعلم أحكام النجوم فأوهمهم بأنه استدل بالنظر في علم النجوم على أنه يسقم، فاعتذر بما يخاف من السقم عن الخروج معهم، والثالث: أن معنى "نظر في النجوم" أنه نظر وفكر فيما يكون من أمره معهم وقال "إني سقيم"، و"النجوم" على هذا ما ينتجم من حاله معهم وليست هي نجوم السماء؛ وهذا بعيد، وقوله "إني سقيم" على حسب هذه الأقوال يحتمل أن يكون حقا لا كذب فيه ولا تجوز أصلا، ويعارض هذا ما ورد عن النبي ﷺ: «أن إبراهيم كذب ثلاث كذبات أحدها قوله "إني سقيم"» [البخاري: 3179]، ويحتمل أن يكون كذبا صراحا، وجاز له ذلك على هذا الاحتمال؛ لأنه فعل ذلك من أجل الله إذ قصد كسر الأصنام، ويحتمل أن يكون من المعارض؛ فأراد أنه سقيم فيما يستقبل لأن كل إنسان لا بد أن يمرض، أو أراد أنه سقيم النفس من كفرهم

فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿١٤﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ ءَالِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿١٥﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿١٦﴾  
 فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿١٧﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُونَ ﴿١٨﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿١٩﴾  
 وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٢١﴾  
 فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٢٣﴾ رَبِّ  
 هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٤﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿٢٥﴾

وتكذيبهم له؛ وهذا التأويل أولى لأن نفي الكذب بالجملة يعارض الحديث، والكذب الصراح لا يجوز على الأنبياء عند أهل التحقيق، أما المعارض فهي جائزة. ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ أي: تركوه إعراضاً عنه وخرجوا إلى عيدهم، وقيل: إنه أراد بالسقم الطاعون؛ وهو داء يعدي فخافوا منه وتباعدوا عنه مخافة العدوى. ﴿فَرَاغَ﴾ أي: مال. ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ إنما قال ذلك على وجه الاستهزاء بالذين يعبدون تلك الأصنام. ﴿ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ أي: بيمين يديه، وقيل: بالقوة، وقيل: بالحلف وهو قوله: ﴿تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾؛ والأول أظهر وأليق بالضرب، و"ضرباً" مصدر في موضع الحال. ﴿يَزِفُونَ﴾ أي: يسرعون. ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ أي: تنجرون، والنحت النجارة إشارة إلى صنعهم للأصنام من الحجارة والخشب. ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ذهب قوم إلى أن "ما" مصدرية؛ والمعنى أن الله خلقكم وأعمالكم، وهذه الآية عندهم قاعدة في خلق أفعال العباد، وقيل: إنها موصولة بمعنى الذي؛ والمعنى: إن الله خلقكم وخلق أصنامكم التي تعملونها؛ وهذا أليق بسياق الكلام وأقوى في قصد الاحتجاج على الذين عبدوا الأصنام، وقيل: إنها نافية، وقيل: استفهامية؛ وكلاهما باطل. ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا﴾ قيل: البنيان في موضع النار، وقيل: بل كان للمنجنيق الذي رمي عنه. ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ يعني حرقه بالنار. ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ أي: المغلوبين. ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ قيل: إنه قال هذا بعد خروجه من النار، وأراد أنه "ذاهب" أي: مهاجر إلى الله، فهاجر إلى أرض الشام، وقيل: إنه قال ذلك قبل أن يطرح في النار، وأراد أنه "ذاهب" إلى ربه بالموت لأنه ظن أن النار تحرقه، و"سيهدين" على القول الأول يعني الهدى إلى صلاح الدين والدنيا، وعلى القول الثاني إلى الجنة، قالت المتصوفة: معناه ذاهب إلى ربي بقلبي؛ أي: مقبل على الله بكلية تاركا سواه. ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يعني ولدا من الصالحين. ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ أي: عاقل، واختلف الناس في هذا الغلام المبشر به في هذا الموضع وهو الذبيح، هل هو إسماعيل أو إسحاق؟ فقال ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما وجماعة من التابعين: هو إسماعيل، وحجتهم من ثلاثة أوجه؛ الأول: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أنا ابن الذبيحين» [الحاكم: 4036] يعني إسماعيل عليه السلام ووالده عبد الله، حين نذر والده عبد المطلب



فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أُرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ۗ قَالَ  
يَأْتَبَتْ أَعْمَلُ مَا تُوْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ  
﴿١٤﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنِ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٥﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾  
إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٨﴾

أن ينحره إن يسر الله له أمر زمزم ففداه بيائة من الإبل، والثاني: أن الله قال بعد تمام قصة الذبيح: ﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ فدل ذلك على أن الذبيح غيره، والثالث: أنه روي أن إبراهيم جرت له قصة الذبح بمكة، وإنما كان معه بمكة إسماعيل. وذهب علي بن أبي طالب وابن مسعود رضي الله عنهما وجماعة من التابعين إلى أن الذبيح إسحاق، وحثتهم من وجهين؛ الأول: أن البشارة المعروفة لإبراهيم بالولد إنما كانت بإسحاق لقوله ﴿فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ﴾، والثاني: أنه روي أن يعقوب كان يكتب من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله. ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ يريد بالسعي هنا العمل والعبادة، وقيل: المشي، وكان حينئذ ابن ثلاث عشرة سنة. ﴿قَالَ يَا بَنِيَّ إِنِّي أُرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ يحتمل أن يكون رأى في المنام الذبح وهو الفعل، أو أمر في المنام أن يذبحه؛ والأول أظهر في اللفظ هنا، والثاني أظهر في قوله: ﴿أَفْعَلْ مَا تُوْمَرُ﴾ ورؤيا الأنبياء وحي فوجب عليه الامتثال على الوجهين. ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ إن قيل: لم شاوره في أمر هو محتتم عليه من الله؟ فالجواب: أنه لم يشاوره ليرجع إلى رأيه، ولكن ليعلم ما عنده فيثبت قلبه ويوطن نفسه على الصبر، فأجابه بأحسن جواب. ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ أي: استسلما وانقادا لأمر الله. ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ أي: صرعه بالأرض على جنبه، وللإنسان جبينان حول الجبهة، وجواب "لما" محذوف عند البصريين تقديره: لما أسلما كان ما كان من الأمر العظيم، وقال الكوفيون: جوابها "تله"، والواو زائدة، وقال بعضهم: جوابها ﴿نَادَيْنَاهُ﴾ والواو زائدة. ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ يحتمل أن يريد بقلبك، أي: كانت عندك رؤيا صادقة فعملت بحسبها، ويحتمل أن يريد صدقتها بعملك، أي: وفيت حقها من العمل، فإن قيل: إنه أمر بالذبح ولم يذبح فكيف قال له "صدقت الرؤيا"؟ فالجواب: أنه قد بذل جهده إذ قد عزم على الذبح ولو لم يفده الله لذبحه، ولكن هو الذي منعه من ذبحه لما فداه، فامتناع ذبح الولد إنما كان من الله وبأمر الله وقد قضى إبراهيم ما عليه. ﴿الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ أي: الاختبار البين الذي يظهر به طاعة الله، أو المحنة البينة الصعوبة. ﴿وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ الذبح اسم لما يذبح، وأراد به هنا الكبش الذي فداه به، وروي أنه من كباش الجنة، وقيل: إنه الكبش الذي قرب به ولد آدم، ووصفه بـ"عظيم" لذلك، أو لأنه من عند الله، أو لأنه متقبل، وروي في القصص أن الذبيح قال لإبراهيم: اشدد رباطي لثلا أضطرب، واصرف بصرك عني لثلا ترحمني، وأنه أمر الشفرة على حلقه فلم تقطع،

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٨٨﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٨٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٠﴾ إِنَّهُ  
 مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩١﴾ وَشَرَّطْنَا لَهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ  
 وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١٩٣﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ  
 وَهَارُونَ ﴿١٩٤﴾ وَخَيَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١٩٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَاكْتُؤًا هُمْ  
 الْغَالِبِينَ ﴿١٩٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١٩٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٩٨﴾  
 وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١٩٩﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ  
 نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٠١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ  
 الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ  
 الْخَالِقِينَ ﴿٢٠٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿٢٠٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ  
 ﴿٢٠٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٠٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٢٠٩﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ ءَالِ  
 يَاسِينَ ﴿٢١٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٢﴾

فحيثُ جاءه الكبش من عند الله، وقد أكثر الناس في قصص الآية، وتركناه لعدم صحته. ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ إن قيل: لم قال هنا في قصة إبراهيم "كذلك" دون قوله "إننا"، وقال في غيرها "إننا كذلك"؟ فالجواب: أنه قد تقدم في قصة إبراهيم نفسها "إننا كذلك" فأغنى عن تكرار "إننا". ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ يعني بالنبوة وغير ذلك. ﴿مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ﴾ يعني الغرق، أو تعذيب فرعون وإذلاله لهم. ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ﴾ الضمير يعود على موسى وهارون وقومهما، وقيل: على موسى وهارون خاصة، وعاملهما معاملة الجماعة للتعظيم؛ وهذا ضعيف. ﴿وَءَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ﴾ يعني التوراة، ومعنى "المستبين" البين، وفي هذه الآية وما بعدها نوع من أدوات البيان وهو الترصيع. ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ "إلياس" من ذرية هارون، وقيل: إنه إدريس، وقد أخطأ من قال إنه إلياس المذكور في أجداد النبي ﷺ. ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ البعل الرب بلغة اليمن، وقيل: بعل اسم صنم كان لهم يقال له بعلبك. ﴿سَلَّمَ عَلَىٰ ءَالِ يَاسِينَ﴾ "ءال" هنا على هذه القراءة بمعنى أهل، و"ياسين" اسم لإلياس، وقيل: لأبيه، وقيل: اسم لمحمد ﷺ، وقرئ "إل ياسين" بكسر الهمزة ووصل اللام ساكنة، وهو على هذا جمع إلياس، أي: منسوب لإلياس، حذف منه

وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٣﴾ إِذْ حَمَيْنَهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿٣٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّا لَنَكْمُرُ لَتَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿٣٧﴾ وَبِالْيَلِيلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٤٤﴾ \* فَنبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿٤٥﴾ وَأُنبِئْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿٤٧﴾

الياء كما حذف من ﴿الْعَجَمِينَ﴾ ، وقيل: سمي كل واحد من آل ياسين بالياس ثم جمعهم، وقيل: لغة في الياس. ﴿عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ قد ذكر. ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ قد ذكرنا قصته في يونس والأنبياء. ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ أي: هرب إلى السفينة، و"الفلك" هنا واحد، و"المشحون" المملوء، وسبب هروبه غضبه على قومه حين لم يؤمنوا، وقيل: إنه أخبرهم أن العذاب يأتيهم في يوم معين حسبما أعلمه الله، فلما رأى قومه يخاليل العذاب آمنوا فرفع الله عنهم العذاب، فخاف أن ينسبوا إليه الكذب فهرب. ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ يعني "ساهم" ضرب القرعة، والسهمه هي القرعة، والمدحض المغلوب في القرعة والمحاجة، وسبب قرعته أنه لما ركب السفينة وقفت ولم تجر، فقالوا: إنها وقفت لحدثه أحدثه أحدنا فنقرع لنرى على من تخرج القرعة فنظره، فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فطرحه في البحر. ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: فعل ما يلام عليه، وذلك خروجه بغير أن يأمره الله بالخروج. ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ تسيحه هو قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ حسبما حكى الله عنه في الأنبياء، وقيل: هو قوله: سبحان الله، وقيل: هو الصلاة؛ واختلف على هذا هل يعني صلواته في بطن الحوت أو قبل ذلك، واختلف في مدة بقائه في بطن الحوت؟ فقيل: ساعة، وقيل: ثلاثة أيام، وقيل: سبعة أيام، وقيل: أربعون يوما. ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ﴾ "العراء" الأرض الفضاء التي لا شجر فيها ولا ظل، وقيل: يعني الساحل. ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ روي أنه كان كالطفل المولود بضعة لحم. ﴿وَأُنبِئْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ﴾ أي: أنبتنا حوله لتظله وتقيه حر الشمس، وال"يقطين" هو القرع، وإنما خصه الله به؛ لأنه يجمع برد الظل، ولين اللمس، وكبر الورق، وأن الذباب لا يقربه، فإن لحم يونس لما خرج من البحر كان لا يحتمل الذباب، وقيل: ال"يقطين" كل شجرة لا ساق لها كالبقول والقرع والبطيخ؛ والأول أشهر. ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ﴾ يعني رسالته الأولى التي أبقى بعدها، وقيل: هذه رسالة ثانية بعد خروجه من بطن الحوت؛ والأول أشهر. ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ قيل "أو" هنا بمعنى بل، وقرأ ابن عباس: ﴿بل يزيدون﴾، وقيل: هي بمعنى الواو، وقيل: هي

فَقَامُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٨٨﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٨٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٩٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَدَ اللَّهِ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٩٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٩٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٩٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٩٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٩٦﴾ فَآتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صٰدِقِينَ ﴿١٩٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا ﴿١٩٨﴾ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٩٩﴾

للإبهام، وقيل: المعنى أن البشر إذا نظر إليهم يتردد فيقول هم مائة ألف أو يزيدون، واختلف في عددهم، فقيل: مائة وعشرون ألفاً، وقيل: مائة وثلاثون ألفاً، وقيل: مائة وأربعون ألفاً، وقيل: مائة وسبعون ألفاً. ﴿فَقَامُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ روي: أنهم خرجوا بالأطفال وأولاد البهائم، وفرقوا بينهم وبين الأمهات، وناحوا وتضرعوا إلى الله وأخلصوا، فرجع الله العذاب عنهم، و"إلى حين" يعني إلى آجالهم، وقد ذكر الناس في قصة يونس أشياء كثيرة أسقطناها لضعف صحتها. ﴿فَاسْتَفْتِهِمُ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ قال الزمخشري: إن هذا معطوف على قوله: "فاستفتهم" الذي في أول السورة وإن تباعد ما بينهما، والضمير المفعول لقريش وسائر الكفار، أي: أسألهم على وجه التقرير والتوبيخ عما زعموا من أن الملائكة بنات الله، فجعلوا الله الإناث ولأنفسهم الذكور، وتلك قسمة ضيزى، ثم قررهم على ما زعموا من أن الملائكة إناث، ورد عليهم بقوله: ﴿وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾، ويحتمل أن يكون بمعنى الشهادة، أو بمعنى الحضور، أي: إنهم لم يحضروا ذلك ولم يعلموه، ثم أخبر عن كذبهم في قولهم: ﴿وَلَدَ اللَّهُ﴾، ثم قررهم على ما زعموا من أن الله اصطفى لنفسه البنات، وذلك كله رد عليهم وتوبيخ لهم، تعالى الله عن أقوالهم علواً كبيراً. ﴿أَصْطَفَى﴾ دخلت همزة التقرير والتوبيخ على ألف الوصل فحذفت ألف الوصل. ﴿مَا لَكُمْ﴾ "ما" استفهامية معناها التوبيخ، وهي في موضع رفع بالابتداء، والمجرور بعدها خبرها، فينبغي الوقف على قوله "مالكم". ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ﴾ أي: برهان بين. ﴿فَآتُوا بِكِتَابِكُمْ﴾ تعجيز لهم؛ لأنهم ليس لهم كتاب يحتاجون به. ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا﴾ الضمير في "جعلوا" لكفار العرب، وفي معنى الآية قولان؛ أحدهما: أن "الجنة" هنا الملائكة، وسميت بهذا الاسم؛ لأنه مشتق من الاجتنان وهو الاستتار، والملائكة مستترون عن أعين بني آدم كالجن، والنسب الذي جعلوا بين الله وبينهم قولهم: إنهم بنات الله، والقول الثاني: أن "الجنة" هنا الشياطين، وفي النسب الذي جعلوه بينه وبينهم قولان؛ أحدهما: أن بعض الكفار قالوا إن الله والشياطين أخوان، تعالى الله عن ذلك، والآخر: أن بعضهم قال: إن الله نكح من الجن فولدت له الملائكة، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً. ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ من قال: إن الجن الملائكة

سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٧٦﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٧٧﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٧٨﴾ مَا  
 أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٧٩﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴿١٨٠﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٨١﴾  
 وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٨٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٨٣﴾ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٨٤﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا  
 ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٥﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٨٦﴾ فَكَفَرُوا بِهِ ۗ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

فالضمير في قوله "إنهم لمحضرون" يعود على الكفار؛ أي: قد علمت الملائكة إن الكفار محضرون في العذاب، ومن قال: إن الجن الشياطين فالضمير يعود عليهم، أي: قد علمت الشياطين أنهم محضرون في العذاب. ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ استثناء منقطع من "المحضرين" أو من الفاعل في "يصفون"، والمعنى لكن عباد الله المخلصين لا محضرون في العذاب، أو لكن عباد الله المخلصين يصفونه بما هو أهله. ﴿فَاتِنُكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ﴾ هذا خطاب للكفار، والمراد بـ"ما تعبدون" الأصنام وغيرها، و"ما تعبدون" عطف على الضمير في "إنكم"، ويجوز أن يكون الواو بمعنى مع، ومعنى "فاتنين" مضلين، والضمير في "عليه" يعود على "ما تعبدون"، وعلى سببية معناها التعليل، و"من هو" مفعول بـ"فاتنين"، والمعنى: إنكم أيها الكفار وكل ما تعبدونه لا تصلون أحدا إلا من قضى الله أنه يصلى الجحيم، أي: لا تقدر على إغواء الناس إلا بقضاء الله، وقال الزمخشري: الضمير في "عليه" يعود على الله تعالى. ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ هذا حكاية كلام الملائكة عليهم السلام، وتقديره: ما منا ملك إلا وله مقام معلوم، فحذف الموصوف لفهم الكلام، والمقام المعلوم يحتمل أن يراد به الموضع الذي يقومون فيه؛ لأن منهم من هو في السماء الدنيا وفي الثانية وفي سائر السموات وحيث شاء الله، ويحتمل أن يراد به المنزلة من العبادة والتقريب والتشريف. ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ أي: الواقفون صفوفًا في العبادة، ولذلك أمر المسلمون بتسوية الصفوف في صلاتهم ليقفوا بالملائكة؛ وليس أحد من أهل الملل يصلون صفوفًا إلا المسلمون. ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ قيل: معناه المصلون؛ لأن الصلاة يقال لها تسبيح، وقيل: معناه القائلون: سبحان الله، وفي هذا الكلام الذي قالته الملائكة رد على من قال: إنهم بنات الله أو شركاء له؛ لأنهم اعترفوا على أنفسهم بالعبودية والطاعة لله والتزيه له، وبدل هذا الكلام أيضا على أن المراد بالجن قبل هذا الملائكة، وقيل: إن هذا كله من كلام محمد ﷺ وكلام المسلمين؛ والأول أشهر. ﴿وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ الضمير لكفار قريش وسائر العرب، والمعنى: أنهم كانوا قبل بعث محمد ﷺ يقولون: لو أرسل الله إلينا رسولا أو أنزل علينا كتابا ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾. ﴿فَكَفَرُوا بِهِ﴾ الضمير للذكر، أو لمحمد ﷺ؛ لأن المعنى يقتضي ذلك وإن لم يتقدم ذكره. ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ تهديد ووعد على كفرهم.

وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٧﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ  
الْغَالِبُونَ ﴿١٧٨﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٩﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٨٠﴾ أَفِعْدَابِنَا  
يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٨١﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٨٢﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ  
حِينٍ ﴿١٨٣﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٨٤﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٥﴾  
وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨٦﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٧﴾

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ المعنى: سبق القضاء بأن المرسلين منصورون على أعدائهم وأن جند الله غالبون، وهذا النصر والغلبة بظهور الحجة والبرهان، وهزيمة الأعداء في القتال وبالسعادة في الآخرة. ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: أعرض عنهم، وذلك موادة منسوخة بالسيف، وال"حين" هنا يراد به يوم بدر، وقيل: حضور آجالهم، وقيل: يوم القيامة. ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ هذا وعد للنبي ﷺ ووعد لهم. ﴿أَفِعْدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ إشارة إلى قولهم: ﴿مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾، و﴿أَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ وشبه ذلك. ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ الساحة الفناء حول الدار، والعرب تستعمل هذه اللفظة فيما يرد على الإنسان من محذور وسوء. الصَّبَاحُ مستعمل في ورود الغارات والرزايا، ومقصد الآية: التهديد بعذاب يحل بهم بعد أن أنذروا فلم ينفعم الإنذار، وذلك تمثيل بقوم أنذروهم ناصح بأن جيشا يحل بهم فلم يقبلوا نصحه حتى جاءهم الجيش وأهلكهم. ﴿وَأَبْصِرْ﴾ كرر الأمر بالتولي عنهم والوعد والوعيد على وجه التأكيد، وقيل: أراد بالوعيد الأول عذاب الدنيا وبالثاني عذاب الآخرة، فإن قيل: لم قال أولاً "أبصرهم"، وقال هنا "أبصر" فحذف الضمير المفعول؟ فالجواب من وجهين؛ أحدهما: أنه اكتفى بذكره أولاً عن ذكره ثانياً فحذفه اختصاراً، والآخر: أنه حذفه ليفيد العموم فيمن تقدم وغيرهم، كأنه قال: أبصر جميع الكفار بخلاف الأول فإنه في قريش خاصة. ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ نزه الله تعالى نفسه عما وصفه به الكفار مما لا يليق به، فإنه حكى عنهم في هذه السورة أقوالاً كثيرة شنيعة، و"العزة" إن أراد بها عزة الله، فمعنى "رب العزة" ذو العزة، وأضافها إليه لاختصاصه بها، وإن أراد بها عزة الأنبياء والمؤمنين، فمعنى "رب العزة" مالكها وخالقها، ومن هذا قال محمد بن سحنون: من حلف بعزة الله؛ فإن أراد صفة الله فهي يمين، وإن أراد العزة التي أعطى عباده فليست بيمين، ثم ختم الله هذه السورة بال﴿سَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فأما ال"سلام على المرسلين" فيحتمل أن يريد به التحية أو سلامتهم من أعدائهم، ويكون ذلك تكميلاً لقوله: "إنهم لهم المنصورون"، وأما "الحمد" فيحتمل أن يريد به الحمد لله على ما ذكر في هذه السورة من تنزيه الله ونصرة الأنبياء وغير ذلك، ويحتمل أن يريد الحمد على الإطلاق.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۝ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝  
 كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَعَلَّاتٍ حِينَ مَنَاصٍ ۝ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ  
 مِنْهُمْ ۝ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ۝ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ  
 عُجَابٌ ۝ وَأَنْطَلِقَ الْأُمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمْسُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۝

## سورة داود عليه السلام

﴿ص﴾ تكلمنا على حروف الهجاء في البقرة، ويختص بهذا أنه قيل فيه: معناه صدق محمد ﷺ، وقيل: هو حرف من اسم الله صمد، أو صادق الوعد، أو صانع المصنوعات. ﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ هذا قسم جوابه محذوف تقديره: إن القرآن من عند الله وإن محمدا لصادق وشبه ذلك، وقيل: جوابه في قوله "ص"؛ إذ هو بمعنى صدق محمد، وقيل: جوابه ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ وهذا بعيد، وقيل: جوابه ﴿إِنَّ ذَلِكَ لِحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾، وهذا أبعد، ومعنى "ذي الذكر" ذي الشرف، أو الذكرى بمعنى الموعظة، أو ذكر الله وما يحتاج إليه من الشريعة. ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ "الذين كفروا" يعني قريشا، و"بل" للإضراب عن كلام محذوف وهو جواب القسم، أي: إن كفرهم ليس برهان بل هو بسبب العزة والشقاق، و"العزة" هي التكبر و"الشقاق" العداوة وقصد المخالفة، وتنكيرهما للدلالة على شدتها وتفاخم الكفار فيها. ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ إخبار يتضمن تهديدا لقريش. ﴿فَنَادَوا وَعَلَّاتٍ حِينَ مَنَاصٍ﴾ المعنى: أن القرون الذين هلكوا دعوا واستغاثوا حين لم ينفعهم ذلك، "ولات" بمعنى ليس وهي لا النافية زيدت عليها علامة التأييث كما زيدت في ربت وثمرت، ولا تدخل لات إلا على الزمان واسمها مضمرة و"حين مناص" خبرها، والتقدير: وليس الحين الذي دعوا فيه حين مناص، و"المناص" المفر والنجاة من قولك: ناص ينوص إذا فر. ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ الضمير لقريش، والمنذر محمد ﷺ، أي: استبعدوا أن يبعث الله رسولا منهم، ويحتمل أن يريد من قبيلتهم أو يريد من البشر مثلهم. ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾ كان الأصل وقالوا، ولكن وُضع هذا الظاهر موضع المضمرة إظهارا للغضب وقصدا لوصفهم بالكفر. ﴿أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ هذا إنكار منهم للتوحيد، وسبب نزول هذه الآيات أن قريشا اجتمعوا وقالوا لأبي طالب: كف ابن أخيك عنا فإنه يعيب ديننا ويذم آلهتنا ويسفه أحلامنا، فكلمه أبو طالب في ذلك فقال له ﷺ: ﴿إنما أريد منهم كلمة واحدة يملكون بها العجم، وتدين لهم بها العرب﴾ فقالوا: نعم وعشر كلمات معها، فقال: ﴿قولوا لا إله إلا الله﴾ فقاموا وأنكروا ذلك، وقالوا: ﴿أجعل الآلهة إلهًا واحدًا﴾ [الترمذي: 3232]. ﴿وَأَنْطَلِقَ الْأُمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمْسُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾ انطلاق الملائكة عن خروجهم عن أبي طالب، وقيل: عبارة عن تفرقتهم في طرق مكة

إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾ أَمْ نَزَلُ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي ﴿٨﴾ بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابِ ﴿٩﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿١٠﴾ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلَيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١١﴾

وإشاعتهم للكفر، و"أن امشوا" معناه: يقول بعضهم لبعض: امشوا واصبروا على عبادة آلهتكم، ولا تطيعوا محمدا فيما يدعوا إليه من عبادة الله وحده. ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ هذا أيضا مما حكى الله من كلام قريش وفي معناه وجهان؛ أحدهما: أن الإشارة إلى الإسلام والتوحيد، أي: إن هذا التوحيد شيء يراد منا الانقياد إليه، والآخر: أن الإشارة إلى الشرك والصبر على آلهتهم، أي: إن هذا الشيء ينبغي أن يراد ويتمسك به، أو أن هذا شيء يريد به الله منا لما قضى علينا به؛ والأول أرجح؛ لأن الإشارة فيما بعد ذلك إليه فيكون الكلام على نسق واحد. ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾ هذا أيضا مما حكى من كلامهم، أي: ما سمعنا بالتوحيد في الملة الآخرة، والمراد ب"الملة الآخرة" ملة النصارى؛ لأنها بعد ملة موسى وغيره، وهم يقولون بالتثليث لا بالتوحيد، وقيل: المراد ملة قريش، أي: ما سمعنا بهذا في الملة التي أدر كنا عليها آباءنا، وقيل: المراد الملة المنتظرة إذ كانوا يسمعون من الأحرار والكهان أن رسولا يُبعث يكون آخر الأنبياء. ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ هذا أيضا مما حكى من كلامهم، والإشارة إلى التوحيد والإسلام ومعنى ال"اختلاق" الكذب. ﴿أَمْ نَزَلُ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ الهمزة للإنكار، والمعنى: أنهم أنكروا أن يخص الله محمدا ﷺ بإنزال القرآن عليه دونهم. ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾ هذا رد عليهم، والمعنى: أنهم ليست لهم حجة ولا برهان بل هم في شك من معرفة الله وتوحيده فلذلك كفروا، ويحتمل أن يريد ب"ذكري" القرآن. ﴿بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابِ﴾ هذا وعيد لهم وتهديد، والمعنى: أنهم إنما حملهم على الكفر كونهم لم يذوقوا العذاب، فإذا ذاقوه زال عنهم الشك وأذعنوا إلى للحق. ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ هذا رد عليهم فيما أنكروا من اختصاص محمد ﷺ بالنبوة، والمعنى: أنهم ليس عندهم خزائن رحمة الله حتى يعطوا النبوة من شاءوا ويمنعوها ممن شاءوا بل يعطيها الله لمن يشاء، ثم وصف نفسه بـ﴿الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾؛ لأن العزيز يفعل ما يشاء، والوهاب ينعم على من يشاء فلا حجة لهم فيما أنكروا. ﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ هذا أيضا رد عليهم، والمعنى: أم لهم الملك فيتصرفوا فيه كيف شاءوا بل مالك الملك يفعل في ملكه ما يشاء، و"أم" الأولى منقطعة بمعنى بل وهمزة الإنكار، وأما الثانية فيحتمل أن تكون كذلك أو تكون عاطفة معادلة لما قبلها. ﴿فَلَيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ هذا تعجيز لهم وتهكم بهم، ومعنى يرتقوا يصعدوا، و"الاسباب" هنا السلاالم والطرق وشبه ذلك مما يوصل



جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو  
 الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٤﴾ إِنَّ كُلًّا إِلَّا كَذَّبَ  
 الرَّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٥﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٦﴾  
 وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبَدَنَّا  
 دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾

به إلى العلو، وقيل: هي أبواب السماء، والمعنى: إن كان لهم ملك السموات والأرض فليصعدوا إلى العرش  
 ويدبروا الملك. ﴿جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾ هذا وعيد بهزيمتهم في القتال، وقد هزموا يوم بدر  
 وغيره، و"ما هنا" صفة لـ"جند" وفيها معنى التحقير لهم، والإشارة بـ"هنالك" إلى حيث وصفوا أنفسهم  
 من الكفر والاستهزاء، وقيل: الإشارة إلى الارتقاء في الأسباب؛ وهذا بعيد، وقيل: الإشارة إلى موضع بدر،  
 و"من الأحزاب" معناه: من جملة الأحزاب الذين تعصبوا للباطل فهلكوا. ﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ قال ابن  
 عباس رضي الله عنه: كانت له أوتاد وخشب يلعب بها وعليها، وقيل: كان له أوتاد يسمرها في الناس لقتلهم، وقيل:  
 أراد المباني العظام الثابتة؛ ورجحه ابن عطية، وقال الزمخشري: إن ذلك استعارة في ثبات الملك كقول القائل:  
 في ظل ملك ثابت الأوتاد

﴿وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ﴾ قد ذكر. ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ "ينظر" هنا بمعنى ينتظر، و"هؤلاء"  
 يعني قريشا، والصيحة الواحدة النفخة في الصور وهي نفخة الصعق، وقيل: الصيحة عبارة عما أصابهم من  
 قتل وشدائد؛ والأول أظهر، وقد روي تفسيرها بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم. ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛  
 الأول: ما لها من رجوع، أي: لا يرجعون بعدها إلى الدنيا وهو على هذا مشتق من الإفاقة، الثاني: ما لها من  
 ترداد، أي: إنما هي واحدة لا ثانية لها، الثالث: ما لها من تأخير ولا توقف مقدار فواق ناقة وهو ما بين حلبتي  
 اللبن؛ وهذا القول الثالث إنما يجري على قراءة "فواق" بالضم لأن فواق الناقة بالضم، والقولان الأولان  
 على الفتح والضم. ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا﴾ القط في اللغة له معنيان؛ أحدهما: الكتاب، والآخر:  
 النصيب، وفي معناه هنا ثلاثة أقوال؛ أحدها: نصيبنا من الخير، أي: دعوا أن يعجله الله لهم في الدنيا، والآخر:  
 نصيبهم من العذاب فهو كقولهم: ﴿أَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ والثالث: صحائف أعمالنا. ﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ  
 مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبَدَنَّا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ "الأيدي" القوة، وكان داود جمع قوة البدن والقوة في الدين  
 والملك والجنود، والـ"أواب" الرجوع إلى الله، فإن قيل: ما المناسبة بين أمر الله لمحمد صلى الله عليه وسلم بالصبر على أقوال  
 الكفار، وبين أمره له بذكر داود؟ فالجواب عندي أن ذكر داود ومن ذكر بعده من الأنبياء في هذه السورة فيه

إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١١٧﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَابٌ ﴿١١٨﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿١١٩﴾ \* وَهَلْ آتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿١٢٠﴾

تسلياً للنبي ﷺ عن أقوال الكفار، ووعد له بالنصر، وتفريج الكرب، وإعانة له على ما أمر به من الصبر، وذلك أن الله ذكر ما أنعم به على داود من تسخير الطير والجبال، وشدة ملكه، وإعطائه الحكمة، وفصل الخطاب، ثم الخاتمة له في الآخرة بالزلفى وحسن المآب فكأنه يقول: يا محمد! كما أنعمنا على داود بهذه النعم، كذلك ننعم عليك، فاصبر ولا تحزن على ما يقولون، ثم ذكر ما أعطى سليمان من الملك العظيم، وتسخير الريح والجن، والخاتمة بالزلفى وحسن المآب، ثم ذكر من ذكر بعد ذلك من الأنبياء، والمقصد ذكر الإنعام عليهم لتقوية قلب النبي ﷺ، وأيضاً فإن داود وسليمان وأيوب أصابتهم شدائد ثم فرجها الله عنهم وأعقبها بالخير العظيم، فأمر محمداً ﷺ بذكرهم ليعلمه أنه يفرج عنه ما يلقي من إذابة قومه ويعقبها بالنصر والظهور عليهم؛ فالمناسبة في ذلك ظاهرة، وقال ابن عطية: المعنى اذكر داود ذا الأيدي في الدين فتأس به وتأيد كما تأيد، وأجاب الزمخشري عن السؤال بأن قال: كأن الله قال لنبيه ﷺ اصبر على ما يقولون وعظم أمر المعصية في عين الكفار بذكر قصة داود، وذلك أنه نبي كريم عند الله ثم زل زلة فوبخه الله عليها، فاستغفر وأتاب، فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم؟ وهذا الجواب لا يخفى ما فيه من سوء الأدب مع داود عليه السلام حيث جعله مثالا يهدد الله به الكفار، وصرح بأنه زل وأن الله وبخه على زلته، ومعاذ الله من ذكر الأنبياء بمثل هذا. ﴿ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ يعني وقت الإشراق، وهو حين تشرق الشمس؛ أي: تضيء ويصفوا شعاعها، وهو وقت الضحى، وأما شروقها فطلوعها. ﴿ مَحْشُورَةً ﴾ أي: مجموعة. ﴿ كُلٌّ لَهُ أَوَابٌ ﴾ أي: كل مسبح لأجل تسبيح داود، ويحتمل أن يكون "أواب" هنا بمعنى رجاء، أي: يرجع إلى أمره. ﴿ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ ﴾ قيل: يعني النبوة، وقيل: العلم والفهم، وقيل: الزبور. ﴿ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴾ قال ابن عباس ؓ: هو فصل القضاء بين الناس بالحق، وقال علي بن أبي طالب ؓ: هو إيجاب اليمين على المدعى عليه والبينة على المدعي، وقيل: أراد قول أما بعد؛ فإنه أول من قالها، وقال الزمخشري: معنى "فصل الخطاب" البين من الكلام الذي يفهمه من يخاطب به؛ وهذا المعنى اختاره ابن عطية وجعله من قوله: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴾. ﴿ وَهَلْ آتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ جاءت هذه القصة بلفظ الاستفهام تنبيهاً للمخاطب، ودلالة على أنها من الأخبار العجيبة التي ينبغي أن يلقي البال إليها، و"الخصم" يقع على الواحد والاثنين والجماعة كقولك: عدل وزور، واتفق الناس على أن هؤلاء الخصم كانوا ملائكة، وروي أنها جبريل وميكائيل بعثها الله ليضرب بهما المثل لداود في نازلة وقع هو في مثلها، فأفتى بفتيا هي واقعة عليه في نازلته، ولما شعر وفهم المراد أناب واستغفر،

إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصَمْنَا بَعْضَنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿١٢١﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿١٢٢﴾

وسنذكر القصة بعد هذا، ومعنى "تسوروا المحراب" علوا على سوره ودخلوه، و"المحراب" الموضع الأرفع من القصر أو المسجد وهو موضع التعبد، ويحتمل أن يكون المتسور للمحراب اثنين فقط؛ لأن نفس الخصومة إنما كانت بين اثنين، فتجيء الضائرتي "تسوروا" و"دخلوا" و"فزع منهم" على وجه التجوز، والعبارة عن الاثنين بلفظ الجماعة، وذلك جائز على مذهب من يرى أن أقل الجمع اثنان، ويحتمل أنه جاء مع كل واحد من الخصمين جماعة فيقع على جميعهم خصم، وتجيء الضائرتي المجموعه حقيقة وعلى هذا قول الزمخشري. ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ العامل في "إذ" هنا "تسوروا"، وقيل: هي بدل من الأولى، وأما "إذ" الأولى فالعامل فيها "اتاك" أو "نبؤا"، ورد الزمخشري ذلك وقال: إن العامل فيها محذوف تقديره: وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم إذ تسوروا، وإنما فزع داود منهم لأنهم دخلوا عليه بغير إذن ودخلوا من غير الباب، وقيل: إن ذلك كان ليلا. ﴿خَصَمَانِ بَعْضِنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ تقديره: نحن خصمان، ومعنى "بغى" تعدى. ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ أي: لا تجر علينا في الحكم، يقال: أشط الحاكم إذا جار، وقرئ في الشاذ "لا تشطط" بفتح التاء، أي: لا تبعد عن الحق، ويقال: شط إذا بعد. ﴿سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ أي: وسط الطريق، ويعني القصد والحق الواضح. ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ هذه حكاية كلام أحد الخصمين، والأخوة هنا أخوة الدين، والنعجة في اللغة تقع على أنثى بقر الوحش وعلى أنثى الضأن وهي هنا عبارة عن المرأة، ومعنى "أكفلنيها" ملكها لي، وأصله اجعلها في كفالي، وقيل: اجعلها كفلي؛ أي: نصيبي، ومعنى "عزني في الخطاب" أي غلبي في الكلام والمحاوره، يقال: عز فلان فلانا إذا غلبه، وهذا الكلام تمثيل للقصة التي وقع داود فيها، وقد اختلف الناس فيها وأكثروا القول فيها قديما وحديثا، حتى قال علي بن أبي طالب عليه السلام: من حدث بما يقول هؤلاء القصاص في أمر داود عليه السلام جلدته حدين لما ارتكب من حرمة من رفع الله محله، ونحن نذكر من ذلك ما هو أشهر وأقرب إلى تنزيه داود عليه السلام: وروي أن أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبتة، وكانت لهم عادة في ذلك لا ينكرونها، وقد جاء عن الأنصار في أول الإسلام شيء من ذلك، فاتفق أن وقعت عين داود على امرأة رجل فأعجبتة فسأله النزول عنها ففعل، وتزوجها داود عليه السلام فولد له منها سليمان عليه السلام، وكان لداود تسع وتسعون امرأة فبعث الله إليه الملائكة مثلا لقصته، فقال أحدهم "إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة" إشارة إلى التسع والتسعين امرأة التي كانت لداود، "ولي نعجة واحدة" إشارة

قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ، وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ  
عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ

إلى أن ذلك الرجل لم تكن له إلا تلك المرأة الواحدة، "فقال أكفلنيها" إشارة إلى سؤال داود من الرجل النزول عن امرأته، فأجابهم داود عليه السلام بقوله: "لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه"، فقامت الحجة عليه بذلك، فتبسم الملكان عند ذلك وذهبا ولم يرهما، فشعر أن ذلك عتاب من الله له على ما وقع فيه "فاستغفر ربه وخر راكعا وأتاب"، ولا تقتضي هذه القصة على هذه الرواية أن داود عليه السلام وقع فيما لا يجوز شرعا، وإنما عوتب على أمر جائز كان ينبغي له أن يتنزه عنه لعلو مرتبته ومثانة دينه، فإنه قد يعاتب الفضلاء على ما لا يعاتب عليه غيرهم، كما قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين، وأيضا فإنه كان له تسع وتسعون امرأة فكان غنيا عن هذه المرأة؛ فوقع العتاب على الاستكثار من النساء وإن كان جائزا، وروي هذا الخبر على وجه آخر؛ وهو: أن داود انفرد يوما في محرابه للتعبد فدخل عليه طائر من كوة، فوقع بين يديه فأعجبه فمد يده ليأخذه فطار على الكوة، فصعد داود ليأخذه فرأى من الكوة امرأة تغتسل عريانة فأعجبته، ثم انصرف فسأل عنها فأخبر أنها امرأة رجل من جنده وأنه خرج للجهاد مع الجند، فكتب داود إلى أمير تلك الحرب أن يُقدِّم ذلك الرجل يقاتل عند التابوت، وهو موضع قل ما تخلص منه أحد فتقدم ذلك الرجل فقاتل حتى قتل شهيدا، فتزوج داود امرأته بعده فعوتب على تعريضه ذلك الرجل للقتل وتزوجه امرأته بعده، مع أنه كان له تسع وتسعون امرأة سواها، وقيل: إن داود هم بذلك كله ولم يفعله، وإنما وقعت المعاتبه على همه بذلك، وروي أن السبب فيما جرى له من ذلك أنه أعجب بعلمه وظهر منه ما يقتضي أنه لا يخاف الفتنة على نفسه ففتن بتلك القصة، وروي أيضا أن السبب في ذلك أنه تمنى منزلة آباءه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، والتزم أن يتلى كما ابتلوا فابتلاه الله بما جرى له في تلك القصة. ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ ﴾ "سؤال" مصدر مضاف إلى المفعول، وإنما تعدى بـ"إلى" لأنه تضمن معنى الإضافة، كأنه قال: بسؤال نعجتك مضافة أو مضمومة إلى نعاجه، فإن قيل: كيف قال له داود "لقد ظلمك" قبل أن يثبت عنده ذلك؟ فالجواب: أنه روي أن الآخر اعترف بذلك وحذف ذكر اعترافه اختصارا، ويحتمل أن يكون قوله "لقد ظلمك" على تقدير صحة قوله، وقد قيل إن قوله لأحد الخصمين "لقد ظلمك" قبل أن يسمع حجة الآخر كانت خطيئته التي استغفر منها وأتاب. ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ "الخلطاء" هم الشركاء في الأموال، ولكن الخلطة أعم من الشركة، ألا ترى أن الخلطة في المواشي ليست بشركة في رقابها، وقصد داود بهذا الكلام الوعظ للخصم الذي بغى، والتسلية بالتأسي للخصم الذي بغى عليه. ﴿ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ "ما" زائدة للتأكيد. ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ ﴾ "ظن" هنا بمعنى شعر بالأمر، وقيل: بمعنى أيقن،

فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿١٦﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿١٧﴾ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿١٨﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿١٩﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٠﴾ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾ وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ رَوَّابٌ ﴿٢٢﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٢٣﴾

و"فتناه" معناه اخترناه. ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ معنى "خر" ألقى بنفسه إلى الأرض، وإنما حقيقة ذلك في السجود، فقيل: إن الركوع هنا بمعنى السجود، وقيل: خر من ركوعه ساجدا بعد أن ركع، ومعنى "أناب" تاب، وروي أنه بقي ساجدا أربعين يوما يبكي حتى نبت البقل من دموعه، وهذا الموضع فيه سجدة عند مالك خلافا للشافعي، إلا أنه اختلف في مذهب مالك هل يسجد عند قوله "وأنا ب" أو عند قوله "وحسن مآب ؟". ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ الزلْفى: القربة والمكانة الرفيعة، والمآب: المرجع في الآخرة. ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ تقديره: قال الله: يا داود، وخلافة داود بالنبوة والملك، قال ابن عطية: لا يقال خليفة الله إلا لنبي، وأما الملوك والخلفاء فكل واحد منهم خليفة الذي قبله، وقول الناس فيهم خليفة الله تجوز. ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾ أي: عبثا، بل خلقها الله بالحق للاعتبار بها والاستدلال على خالقها. ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ المعنى: أن الكفار لما أنكروا الحشر والجزاء كانت خلقة السموات والأرض عندهم باطلا لغير الحكمة، فإن الحكمة في ذلك إنسا تظهر في الجزاء الأخروي. ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ "أم" هنا استفهامية يراد بها الإنكار، أي: إن الله لا يجعل المؤمنين والمتقين كالمفسدين والفجار بل يجازي كل واحد بعمله لتظهر حكمة الله في الجزاء، ففي ذلك استدلال على الحشر والجزاء، وفيه أيضا وعد ووعد. ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾ "الصفان" جمع صافن؛ وهو الفرس الذي يرفع إحدى رجليه أو يديه ويقف على طرف الأخرى، وقيل: الصافن هو الذي يسوي يديه، والصفن علامة على فراهة الفرس، و"الجياد" السريعة الجري، واختلف الناس في قصص هذه الآية، فقال الجمهور: إن سليمان عليه السلام عرضت عليه خيل كان ورثها عن أبيه،

فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿١٦﴾ رُدُّوَهَا عَلَيَّ  
فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا  
ثُمَّ أَنَابَ ﴿١٨﴾

وقيل: أخرجتها له الشياطين من البحر وكانت ذوات أجنحة وكانت ألف فرس، وقيل: أكثر، فتشاغل  
بالنظر إليها حتى غربت الشمس وفاته صلاة العشي، وقيل: العصر، فأسف لذلك، وقال: ردوها علي  
يعني الخيل، فطفق يضرب أعناقها وعراقيها بالسيف حتى عقرها لما كانت سبب فوات الصلاة ولم يترك  
منها إلا اليسير، فأبدله الله أسرع منها وهو الريح، وأنكر بعض العلماء هذه الرواية وقال: تفويت الصلاة  
ذنب لا يفعله سليمان، وعقر الخيل لغير فائدة لا يجوز، فكيف يفعله سليمان عليه السلام، وأي ذنب للخيل  
في تفويت الصلاة؟ فقال بعضهم: إنما عقرها ليأكلها الناس، وكان زمانهم زمان مجاعة فعقرها تقربا إلى الله،  
وقال بعضهم: لم تفته الصلاة ولا عقر الخيل؛ بل كان يصلي فعرضت عليه الخيل فأشار إليهم فأزالوها حتى  
دخلت اصطبلاتها، فلما فرغ من الصلاة قال: ردوها علي فطفق يمسح عليها بيده كرامة لها ومحبة، وقيل: إن  
المسح عليها كان وسما في سوقها وأعناقها بوسم: حبس في سبيل الله. ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ  
رَبِّي﴾ معنى هذا يختلف على حسب الاختلاف في القصة؛ فأما الذين قالوا إن سليمان عقر الخيل لما اشتغل بها  
حتى فاته الصلاة فاختلفوا في هذا على ثلاثة أقوال؛ أحدها: أن "الخير" هنا يراد به الخيل، وزعموا أن الخيل  
يقال لها خير، و"أحببت" بمعنى آثرت، أو بمعنى فعل يتعدى بعن، كأنه قال: آثرت حب الخيل فشغلني عن  
ذكر ربي، والآخر: أن "الخير" هنا يراد به المال؛ لأن الخيل وغيرها مال، فهو كقوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾  
أي: مالا، والثالث: أن المفعول محذوف، و"حب الخير" مصدر، والتقدير: أحببت هذه الخيل مثل حب الخير  
فشغلني عن ذكر ربي، وأما الذين قالوا إنه كان يصلي فعرضت عليه الخيل فأشار بإزالتها؛ فالمعنى أنه قال:  
إني أحببت حب الخير الذي عند الله في الآخرة بسبب ذكر ربي، وشغلني ذلك عن النظر إلى الخيل. ﴿حَتَّى  
تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ الضمير للشمس وإن لم يتقدم ذكرها، ولكنها تفهم من سياق الكلام، وذكر العشي  
يقتضيها، والمعنى: حتى غابت الشمس، وقيل: الضمير للخيل، ومعنى "توارت بالحجاب" دخلت اصطبلاتها؛  
والأول أشهر وأظهر. ﴿رُدُّوَهَا عَلَيَّ﴾ أي: قال سليمان: ردوا علي الخيل. ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾  
"السوق" جمع ساق، ويعني: سوق الخيل وأعناقها، أي: جعل يمسحها مسحا، وهذا المسح يختلف على  
حسب الاختلاف المتقدم هل هو قطعها وعقرها، أو مسحها باليد محبة لها، أو سمسها بالتحسيس. ﴿وَلَقَدْ  
فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ تفسير هذه الآية يختلف على حسب الاختلاف في قصتها،  
وفي ذلك أربعة أقوال؛ الأول: أن سليمان كان له خاتم ملكه وكان فيه اسم الله، فكان ينزعه إذا دخل الخلاء

قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿١٠٠﴾  
فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿١٠١﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴿١٠٢﴾

توقيراً لاسم الله تعالى، فنزعه يوماً ودفعه إلى جاريته، فتمثل لها جنياً في صورة سليمان وطلب منها الخاتم فدفعته له، وروي أن اسمه صخر فقعده على كرسي سليمان بأمر وينهى، والناس يظنون أنه سليمان، وخرج سليمان فاراً بنفسه فأصابه الجوع فطلب حوتا ففتح بطنه فوجد فيه خاتمه، وكان الجنى قد رماه في البحر، فلبس سليمان الخاتم وعاد إلى ملكه؛ ففتنة سليمان على هذا هي ما جرى له من سلب ملكه، والجسد الذي ألقى على كرسيه هو الجنى الذي قعد عليه، وسماه جسداً لأنه تصور في صورة إنسان، ومعنى "أناب" رجع إلى الله بالاستغفار والدعاء أو رجع إلى ملكه، والقول الثاني: أن سليمان كانت له امرأة يحبها وكان أبوها ملكاً كافراً قد قتله سليمان، فسألته أن يصنع لها صورة أبيها فأطاعها في ذلك، فكانت تسجد للصورة ويسجد معها جواربها وصار صنماً معبوداً في داره، وسليمان لا يعلم حتى مضت أربعون يوماً فلما علم به كسره؛ فالفتنة على هذا عمل الصورة، والجسد هو الصورة، والقول الثالث: أن سليمان كان له ولد وكان يحبه حباً شديداً، فقالت الجن: إن عاش هذا الولد ورث ملك أبيه فيبقينا في السخرة أبداً، فلم يشعر إلا وولده ميت على كرسيه؛ فالفتنة على هذا حبه في الولد، والجسد هو الولد لما مات، وسمي جسداً لأنه جسد بلا روح، والقول الرابع: أن سليمان قال: لأطوفن الليلة على مائة امرأة تأتي كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل إن شاء الله، فلم تحمل واحدة منهن إلا واحدة جاءت بشق إنسان؛ فالفتنة على هذا كونه لم يقل إن شاء الله، والجسد هو شق الإنسان الذي ولد له. فأما القول الأول فضعيف من طريق النقل مع أنه يبعد ما ذكر فيه من سلب الملك عن سليمان وتسليط الشياطين عليه، وأما القول الثاني فضعيف أيضاً مع أنه يبعد أن يعبد صنم في بيت نبي أو يأمر نبي بعمل صنم، وأما القول الثالث فضعيف أيضاً، وأما القول الرابع فقد ورد في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ، لكنه لم يذكر في الحديث أن ذلك تفسير لمعنى الآية. ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ قدم الاستغفار على طلب الملك؛ لأن أمور الدين كانت عنده أهم من الدنيا فقدم الأولى والأهم، فإن قيل: لأي شيء قال "لا ينبغي لأحد من بعدي"، وظاهر هذا طلب الانفراد به حتى قال فيه الحجاج: إنه كان حسوداً؟ فالجواب من وجهين؛ أحدهما: أنه إنما قال ذلك لئلا يجري عليه مثل ما جرى من أخذ الجنى لملكه، فقصده أن لا يسلب عنه ملكه في حياته ويصير إلى غيره، والآخر: أنه طلب ذلك ليكون معجزة ودلالة على نبوته. ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ معنى "رخاء" طيبة لينته، وقيل: طيبة له، وقد ذكرنا الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿عَاصِفَةً﴾ في الأنبياء، و"حيث أصاب" أي: حيث قصد وأراد. ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَعَوَاصٍ﴾ "الشياطين" معطوف على "الريح" و"كل بناء" بدل من "الشياطين"،

وَأَخْرَيْنَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَقَابٍ ﴿٤٠﴾ وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاصْرَبْ بِهِ ۖ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۗ نِعْمَ الْعَبْدُ ۗ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾

أي: سخرنا له الريح والشياطين من بيني منهم ومن يغوص في البحر. ﴿وَأَخْرَيْنَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ أي: آخرين من الشياطين موثقين في القيود والأغلال. ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾ الإشارة إلى الملك الذي أعطاه الله له، والمعنى: أن الله قال له: أعط من شئت وامنع من شئت، وقيل: المعنى امنن على من شئت من الجن بالإطلاق من القيود وأمسك من شئت منهم في القيود؛ والأول أحسن، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه. ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يحتمل ثلاثة معان؛ أحدها: أنه لا يحاسب في الآخرة على ما فعل، والآخر: بغير تضييق عليك في الملك، والثالث: بغير حساب ولا عدد؛ بل خارج عن الحصر. ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ قد ذكر في قصة داود. ﴿وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ قد ذكرنا قصة أيوب عليه السلام في الأنبياء، وال"نصب" يقال بضم النون وإسكان الصاد، وبفتح النون وإسكان الصاد، وبضم النون والصاد وبفتحهما، ومعناه واحد وهو المشقة، فإن قيل: لم نسب ما أصابه من البلاء إلى الشيطان؟ فالجواب من أربعة أوجه؛ أحدها: أن سبب ذلك كان من الشيطان، فإنه روي أنه دخل على بعض الملوك فرأى منكرا فلم يغيره، وقيل: إنه كانت له شاة فذبحها وطبخها، وكان له جار جائع فلم يعط جاره منها شيئا، والثاني: أنه أراد ما وسوس له الشيطان في مرضه من الجزع وكراهة البلاء، فدعا إلى الله أن يدفع عنه وسوسة الشيطان بذلك، والثالث: أنه روي أن الله سلط عليه الشيطان ليفتنه، فأهلك ماله فصبر، وأهلك أولاده فصبر، وأصابه الجذام والمرض الشديد فصبر، فنسب ذلك إلى الشيطان لتسليط الشيطان عليه، والرابع: روي أن الشيطان لقي امرأته فقال لها: قولي لزوجك إن سجد لي سجدة أذهبت ما به من المرض، فذكرت المرأة ذلك لأيوب فقال لها: ذلك عدو الله الشيطان، وحينئذ دعا. ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ التقدير: قلنا له: اركض برجلك، فضرب الأرض برجله، فنبعت له عين ماء صافية باردة فشرب منها، فذهب كل مرض كان في داخل جسده، واغتسل منها فذهب ما كان في ظاهر جسده، وروي أنه ركض الأرض مرتين فنبع له عينان فشرب من أحدهما واغتسل من الأخرى. ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِهْلَهُ﴾ ذكر في الأنبياء. ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاصْرَبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾ الضغث القبضة من القضبان، وكان أيوب عليه السلام قد حلف أن يضرب امرأته مائة سوط إذا



وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصِرِ ﴿١٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ  
بِخَالِصَةِ ذِكْرَى الْدَارِ ﴿١٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿١٧﴾ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ  
وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿١٨﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَّآبٍ ﴿١٩﴾  
جَنَّتِ عَدْنٍ مُّفْتَحَةٌ هُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٢٠﴾ مُتَّكِنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ  
وَشَرَابٍ ﴿٢١﴾

برئ من مرضه، وكان سبب ذلك ما ذكرته له من لقاء الشيطان وقوله لها: إن سجد لي زوجك أذهبت ما به، فأمره الله أن يأخذ ضغثا فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة فيبر في يمينه، وقد ورد مثل هذا عن نبينا ﷺ في حد رجل زنى وكان مريضا، فأمر رسول الله ﷺ بعذق نخلة فيه شماريح مائة فضرب به ضربة واحدة ذكر ذلك أبو داود [4427] والنسائي [7300]، وأخذ به بعض العلماء، ولم يأخذ به مالك ولا أصحابه. ﴿أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ "الأيدي" جمع يد، وذلك عبارة عن قوتهم في الأعمال الصالحات، وإنما عبر عن ذلك بـ"الأيدي" لأن الأعمال أكثر ما تعمل بالأيدي، وأما "الابصار" فعبارة عن قوة فهمهم وكثرة علمهم، من قولك: أبصر الرجل إذا تبينت له الأمور، وقيل "الأيدي" جمع يد بمعنى النعمة، ومعناه: أولوا النعم التي أسداها الله إليهم من النبوة والفضيلة؛ وهذا ضعيف لأن اليد بمعنى النعمة أكثر ما يجمع على أيادي، وقرأ ابن مسعود: ﴿أُولُوا الْأَيْدِ﴾. ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةِ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ معنى "أخلصناهم" جعلناهم خالصين لنا، أو خصصناهم دون غيرهم، و"خالصة" صفة حذف موصوفها تقديره: بخصلة خالصة، وأما الباء في قوله "بخالصة"، فإن كان "أخلصناهم" بمعنى جعلناهم خالصين فالباء سببية للتعليل، وإن كان "أخلصناهم" بمعنى خصصناهم فالباء لتعدية الفعل، وقرأ نافع بإضافة "خالصة" إلى "ذكرى" من غير تنوين، وقرأ غيره بالتنوين على أن تكون "ذكرى" بدلا من "خالصة" على وجه البيان والتفسير لها، و"الدار" يحتمل أن يريد بها الآخرة أو الدنيا؛ فإن أراد بها الآخرة ففي المعنى ثلاثة أقوال؛ أحدها: أن "ذكرى الدار" يعني به ذكرهم للآخرة وجهنم فيها، والآخر: أن معناه تذكيرهم للناس بالآخرة وترغيبهم للناس فيها عند الله، والثالث: أن معناه ثواب الآخرة، أي: أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة؛ والأول أظهر، وإن أراد بـ"الدار" الدنيا؛ فالمعنى: حسن الثناء والذكر الجميل في الدنيا كقوله ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾. ﴿الْأَخْيَارِ﴾ جمع خير بتشديد الياء، أو خير المخفف من خير كميته مخفف من ميت. ﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ ذكر في الأنبياء. ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ الإشارة إلى ما تقدم في هذه السورة من ذكر الأنبياء، وقيل: الإشارة إلى القرآن بجملة؛ والأول أظهر وكأن قوله "هذا ذكر" ختام للكلام المتقدم، ثم شرع

وَعِنْدَهُمْ قَلْصِرَاتُ الْطَّرْفِ أَثْرَابٌ ﴿٥٧﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٩﴾ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَقَابٍ ﴿٦٠﴾ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَبْسُ أَلْمِهَادُ ﴿٦١﴾ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ﴿٦٢﴾ وَءَاخِرُ مِنْ شَكْلِهِـَ أَزْوَاجٌ ﴿٦٣﴾ هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ؕ إِنَّهُمْ سَالُوا النِّارِ ﴿٦٤﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ ؕ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَيَبْسُ الْقَرَارُ ﴿٦٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النِّارِ ﴿٦٦﴾

بعده في كلام آخر كما يتم المؤلف بابا ثم يقول: فهذا باب ثم يشرع في آخر. ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ ذكر في الصفات. ﴿أَثْرَابٌ﴾ يعني أن أسنانهن سواء، يقال: فلان ترب فلان إذا كان مثله في السن، وقيل: يعني أن أسنانهن وأسنان أزواجهن سواء. ﴿مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ أي: ماله من فناء ولا انقضاء. ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَقَابٍ﴾ تقديره: الأمر هذا، لما تم ذكر أهل الجنة ختمه بقوله "هذا" ثم ابتداء وصف أهل النار، ويعني بـ"الطاغين" الكفار. ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ﴾ "هذا" مبتدأ وخبره "حميم"، و"فليذوقوه" اعتراض بينهما، والـ"حميم" الماء الحار، والـ"عساق" قرئ بتخفيف السين وتشديدها، وهو صديد أهل النار، وقيل: ما يسيل من عيونهم، وقيل: هو عذاب آخر، قيل: يعني الزمهرير، ومعنى "من شكله" من مثله ونوعه، أي: من مثل العذاب المذكور، و"أزواج" معناها أصناف وهو صفة للحميم والعساق والعذاب الآخر، والمعنى: أنها أصناف من العذاب، وقال ابن عطية "آخر" مبتدأ، واختلف في خبره، فقيل: تقديره ولهم عذاب آخر، وقيل: "أزواج" مبتدأ و"من شكله" خبر "أزواج" والجملة خبر "آخر"، وقيل: "أزواج" خبر الـ"آخر" و"من شكله" في موضع الصفة، وقرئ "آخر" في موضع الجمع؛ وهو أليق أن يكون "أزواج" خبره لأنه جمع مثله. ﴿هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ﴾ الـ"فوج" الجماعة من الناس، والـ"مقتمح" الداخل في زحام وشدة، وهذا من كلام خزنة النار خاطبوا به رؤساء الكفار الذين دخلوا النار أو لاثم دخل بعدهم أتباعهم، وهم الفوج المشار إليه، وقيل: هو من كلام أهل النار بعضهم لبعض؛ والأول أظهر. ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ أي: لا يلقون رحبا ولا خيرا، وهو دعاء من كلام رؤساء الكفار، أي: لا مرحبا بالفوج الذين هم أتباع لهم. ﴿قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ هذا حكاية كلام الأتباع للرؤساء لما قالوا لهم "لا مرحبا بهم" أجابوهم بقولهم "بل انتم لا مرحبا بكم". ﴿أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ هذا أيضا من كلام الأتباع خطابا للرؤساء، وهو تعليل لقولهم "بل انتم لا مرحبا بكم"، والضمير في "قدمتموه" للعذاب، ومعنى "قدمتموه" أو جبتموه لنا بما قدمتم في الدنيا من إغوائنا وأمرمك لنا بالكفر. ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ هذا أيضا من كلام الأتباع دعوا إلى الله تعالى

وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٣٦﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سُخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ  
عَنَّهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٣٨﴾ قُلِ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِّنَ إِلَهٍ إِلَّا  
اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٤٠﴾ قُلْ هُوَ نَبِيُّ  
عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ أَنْتُمْ عِنْدَهُ مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ مَا كَانَ لِي مِّنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٣﴾

أن يضاعف العذاب لرؤسائهم الذين أوجبوا لهم العذاب، فهو كقولهم: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَتَاتِهِمْ عَذَابًا  
ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ﴾ والضعف زيادة المثل. ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ﴾ الضمير في  
"قالوا" لرؤساء الكفار، وقيل "للطاغين"، والرجال هم ضعفاء المؤمنين، وقيل: إن القائلين لذلك هم: أبو  
جهل وأمّية بن خلف وعتبة بن ربيعة وأمثالهم، وإن الرجال المذكورين هم عمار وبلال وصهيب رضي الله عنهم وأمثالهم؛  
واللفظ أعم من ذلك، والمعنى: أنهم قالوا في جهنم: ما لنا لا نرى رجالا كنا في الدنيا نعددهم من الأشرار.  
﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سُخْرِيًّا﴾ قرئ "أتخذناهم" بهمزة قطع، ومعناها: تويخ أنفسهم على اتخاذهم المؤمنين سخريا،  
وقرئ بألف وصل على أن تكون الجملة صفة للـ "رجال"، وقرئ "سخريا" بضم السين من التسخير بمعنى  
الخدمة، وبالكسر بمعنى الاستهزاء. ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ هذا يحتمل ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن يكون  
معادلا لقولهم "ما لنا لا نرى رجالا"، والمعنى: ما لنا لا نراهم في جهنم فهم ليسوا فيها أم هم فيها ولكن  
زاغت عنهم أبصارنا، ومعنى "زاغت عنهم" مالت فلم ترهم، الثاني: أن يكون معادلا لقولهم "أتخذناهم  
سخريا"، والمعنى: أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم أبصارنا في الدنيا، ومعنى زاغت الأبصار على هذا مالت  
عن النظر إليهم احتقاراً لهم، الثالث: أن تكون "أم" منقطعة بمعنى بل والهزمة فلا تعادل شيئا مما قبلها. ﴿إِنَّ  
ذَلِكَ لَحَقٌّ﴾ الإشارة إلى ما تقدم من حكاية أقوال أهل النار، ثم فسره بقوله: ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾، وإعراب  
"تخاصم" بدل من "حق" أو خبر مبتدأ مضمرة. ﴿قُلْ هُوَ نَبِيُّ عَظِيمٌ﴾ النبأ الخبر، ويعني به ما تضمنته  
الشرعية من التوحيد والرسالة والدار الآخرة، وقيل: يعني القرآن، وقيل: يعني يوم القيامة؛ والأول أعم  
وأرجح. ﴿مَا كَانَ لِي مِّنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ "الملا الأعلى" هم الملائكة، ومقصد الآية الاحتجاج  
على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر بأمور لم يكن يعلمها قبل ذلك، والضمير في "يختصمون" لـ "الملا الأعلى"،  
واختصامهم هو في قصة آدم حين قال لهم ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ حسبما تضمنته قصته في مواضع  
من القرآن، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقال: «يا محمد فيم يختصم الملا الأعلى؟» فقال: «لا أدري»  
فقال: «في الكفارات وهي إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد» [الترمذي: 3233] الحديث بطوله،  
وقيل: الضمير في "يختصمون" للكفار، أي: يختصمون في الملا الأعلى فيقول بعضهم لبعض: هم بنات الله،

٥٦ إِنْ يُوجَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٦﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٥٧﴾  
 فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٥٨﴾ فَسَجَدَ الْمَلٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ وَا  
 أَجْمَعُونَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿٦٠﴾ قَالَ يٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ  
 لِمَا خَلَقْتُ بِيدِي ۗ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعٰلِينَ ﴿٦١﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ  
 وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ فَآخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَاجِمٌ ﴿٦٣﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ  
 ﴿٦٤﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ  
 الْمَعْلُومِ ﴿٦٧﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٦٨﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٦٩﴾ قَالَ  
 فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٧٠﴾ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ  
 مِن أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٧٢﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعٰلَمِينَ ﴿٧٣﴾ وَلِتَعْلَمَنَّ نَبَأُهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٧٤﴾

ويقول آخرون: هم آلهة تعبد؛ وهذا بعيد. ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ "إذ قال ربك" بدل من "إذ يختصمون"، وقد ذكرنا في البقرة معنى سجود الملائكة لآدم، ومعنى كفر إبليس، وذكرنا في الحجر معنى قوله: ﴿مِن رُّوحِي﴾. ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيدِي﴾ الضمير في "قال" لله عز وجل، و"بيدي" من التشابه الذي ينبغي الإيمان به وتسليم علم حقيقته إلى الله، وقال المتأولون: هو عبارة عن القدرة، وقال القاضي أبو بكر بن الطيب: إن اليد والعين والوجه صفات زائدة على الصفات المقررة، قال ابن عطية: وهذا قول مرغوب عنه، وحكى الزمخشري أن معنى "خلقت بيدي" خلقت بغير واسطة. ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعٰلِينَ﴾ دخلت همزة الاستفهام على ألف الوصل فحذفت ألف الوصل، و"أم" هنا معادلة، والمعنى: استكبرت الآن أم كنت قديما ممن يعلو ويستكبر؛ وهذا على وجه التوبيخ له. ﴿رَاجِمٌ﴾ أي: لعين مطرود. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ يعني يوم القيامة، وقد تقدم الكلام على ذلك في الحجر. ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الباء للقسم، أقسم إبليس بعزة الله أن يغوي بني آدم. ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الضمير في "قال" هنا لله تعالى، و"الحق" الأول مقسم به، وهو منصوب بفعل مضمَر كقولك: الله لأفعلن، وجوابه "لأملأن جهنم" وقرئ بالرفع، وهو مبتدأ أو خبر مبتدأ مضمَر تقديره: الحق يميني، وأما "الحق" الثاني فهو مفعول بـ"أقول"، وقوله "والحق أقول" جملة اعتراض بين القسم وجوابه على وجه التأكيد للقسم. ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ أي: الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من أهله. ﴿وَلِتَعْلَمَنَّ نَبَأُهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ هذا وعيد، أي: لتعلمن صدق خبره بعد حين، والـ"حين" يوم القيامة، أو موتهم، أو ظهور الإسلام يوم بدر وغيره.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ  
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ  
اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ  
فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾

## سورة الزمر

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ "تنزيل" مبتدأ وخبره ﴿مِنَ اللَّهِ﴾، أو خبر ابتداء مضمرة تقديره: هذا تنزيل، و"من الله" على هذا الوجه يتعلق بـ"تنزيل"، أو يكون خبرا بعد خبر، أو خبر مبتدأ آخر محذوف، و"الكتاب" هنا القرآن أو السورة؛ واختار ابن عطية أن يراد به جنس الكتب المنزلة، وأما ﴿الْكِتَابِ﴾ الثاني فهو القرآن باتفاق. ﴿بِالْحَقِّ﴾ يحتمل معنيين؛ أحدهما: أن يكون معناه متضمنا للحق، والثاني: أن يكون معناه الاستحقاق والوجوب. ﴿مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ أي: لا يكون فيه شرك أكبر ولا شرك أصغر وهو الرياء. ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ قيل: معناه من حقه ومن واجبه أن يكون له الدين الخالص، ويحتمل أن يكون معناه إن الدين الخالص هو دين الله وهو الإسلام الذي شرعه لعباده ولا يقبل غيره، ومعنى "الخالص" الصافي من شوائب الشرك، وقال قتادة: "الدين الخالص" شهادة أن لا إله إلا الله، وقال الحسن: هو الإسلام؛ وهذا أرجح لعمومه. ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يريد بالأولياء الشركاء المعبودين، ويحتمل أن يريد بـ"الذين اتخذوا" الكفار العابدين لهم أو الشركاء المعبودين؛ والأول أظهر لأنه يحتاج على الثاني إلى حذف الضمير العائد على "الذين" تقديره: الذين اتخذوهم، ويكون ضمير الفاعل في "اتخذوا" عائدا على غير المذكور، وارتفاع "الذين" على الوجهين بالابتداء وخبره إما قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾، أو المحذوف المقدر قبل قوله "ما نعبدهم" لأن تقديره: يقولون ما نعبدهم؛ والأول أرجح لأن المعنى به أكمل. ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ هذه الجملة في موضع معمول قول محذوف، والقول في موضع الحال أو في موضع بدل من صلة "الذين"، وقرأ ابن مسعود "قالوا ما نعبدهم" بإظهار القول، أي: يقول الكفار ما نعبده هؤلاء الآلهة إلا ليقربونا إلى الله ويشفعوا لنا عنده، ويعني بذلك الكفار الذين عبدوا الملائكة، أو الذين عبدوا الأصنام، أو الذين عبدوا عيسى أو عزيز؛ فإن جميعهم قالوا هذه المقالة، ومعنى "زلفى" قربي فهو مصدر من "يقربونا". ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ إشارة إلى كذبهم في قولهم "ليقربونا إلى الله"، وقوله "لا يهدي" في تأويله وجهان؛ أحدهما: لا يهديه في حال كفره، والثاني: أن ذلك مختص بمن قضى عليه بالموت على الكفر، وهذا تأويل ﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، و﴿الْكَافِرِينَ﴾ حيث وقع.

لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفِي مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ ۗ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۗ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۗ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٢﴾ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۗ

﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفِي مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ الولد يكون على وجهين؛ أحدهما: بالولادة الحقيقية وهذا محال على الله لا يجوز في العقل، والثاني: التبني بمعنى الاختصاص والتقريب، كما يتخذ الإنسان ولد غيره ولدا لإفراط محبته له، وهذا ممتنع على الله بإخبار الشرع، فإن قوله ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ يعم نفي الوجهين، فمعنى الآية على ما أشار إليه ابن عطية: لو أراد الله أن يتخذ ولدا على جهة التبني لاصطفى لذلك مما يخلق من موجوداته ومخلوقاته، ولكنه لم يرد ذلك ولا فعله، وقال الزمخشري: معناها لو أراد الله اتخاذ الولد لامتنع ذلك؛ ولكنه يصطفى من عباده من يشاء على وجه الاختصاص والتقريب لا على وجه اتخاذه ولدا؛ فاصطفى الملائكة وشرفهم بالتقريب فحسب الكفار أنهم أولاده، ثم زادوا على ذلك أن جعلوهم إناثا، فأفرطوا في الكفر والكذب على الله وملائكته. ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ نزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد، ثم وصف نفسه بالواحد لأن الوحدانية تنافي اتخاذ الولد؛ لأنه لو كان له ولد لكان من جنسه ولا جنس له لأنه واحد، ووصف نفسه بالقهار ليدل على نفي الشركاء والأنداد؛ لأن كل شيء مقهور تحت قهره تعالى فكيف يكون شريكا له، ثم أتبع ذلك بما ذكره من خلقه السماوات والأرض وغيرهما لتدل على وحدانيته وقدرته وعظمته. ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ﴾ التكوير اللف واللي، ومنه كور العمامة التي يلتوي بعضها على بعض، وهو هنا استعارة ومعناه على ما قال ابن عطية: يعيد من هذا على هذا، فكأن الذي يطيل من النهار أو الليل يصير منه على الآخر جزءا فيستره، وكان الذي يقصر يدخل في الذي يطول فيستر فيه، ويحتمل أن يكون المعنى: أن كل واحد منهما يغيب الآخر إذا طرأ عليه فشبه في ستره له بثوب يلف على الآخر. ﴿لَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني يوم القيامة. ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني آدم عليه السلام. ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يعني حواء خلقها من ضلع آدم، فإن قيل: كيف عطف قوله "ثم جعل" على "خلقكم" ب"ثم" التي تقتضي الترتيب والمهلة، ولا شك أن خلقه حواء كانت قبل خلقه بني آدم؟ فالجواب من ثلاثة أوجه؛ الأول: وهو المختار أن العطف إنما هو على قوله "واحدة" لا على "خلقكم"، كأنه قال: خلقكم من نفس كانت واحدة، ثم خلق منها زوجها بعد وحدتها، الثاني: أن "ثم" لترتيب الأخبار لا لترتيب الوجود، الثالث: أنه يعني بقوله "خلقكم" إخراج بني آدم من صلب أبيهم كالذر وكان ذلك قبل خلقه حواء. ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾

مَخْلُقِكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقِ فِي ظُلْمَتٍ ثَلَاثٍ ذَالِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ  
 الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنبِئْ تَصَرَّفُونَ ﴿٦١﴾ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى  
 لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ  
 مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦٢﴾ \* وَإِذَا مَسَّ  
 الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوًا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ

يعني المذكورة في الأنعام من الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، ومن الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، وسماها  
 أزواجا لأن الذكر زوج الأنثى والأنثى زوج الذكر، وأما لفظ "أنزل" فيه ثلاثة أوجه؛ الأول: أن الله خلق  
 أول هذه الأزواج في السماء ثم أنزلها إلى الأرض، الثاني: أن معنى "أنزل" قضى وقسم فالإنزال عبارة عن  
 نزول أمره وقضائه، الثالث: أنه أنزل المطر الذي ينبت به النبات فتعيش منه هذه الأنعام فعبّر بإنزالها عن  
 إنزال أرزاقها؛ وهذا بعيد. ﴿خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ يعني أن الإنسان يكون نطفة، ثم علقة، ثم مضغة إلى أن  
 يتم خلقه، ثم ينفخ فيه الروح. ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ هي البطن والرحم والمشيمة، وقيل: صلب الأب  
 والرحم والمشيمة؛ والأول أرجح لقوله "في بطون أمهاتكم" ولم يذكر الصلب. ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ  
 عَنْكُمْ﴾ أي: لا يضره كفركم. ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ تأول الأشعرية هذه الآية على وجهين؛ أحدهما:  
 أن الرضا بمعنى الإرادة، ويعني بـ"عباده" من قضى الله له بالإيمان والوفاء عليه فهو كقوله ﴿إِنَّ عِبَادِي  
 لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾. والآخر: أن الرضا غير الإرادة، والعباد على هذا على العموم، أي: لا يرضى  
 الكفر لأحد من البشر، وإن كان قد أراد أن يقع من بعضهم فهو لم يرضه ديننا ولا شرعا وأراده وقوعا  
 ووجودا، وأما المعتزلة فإن الرضا عندهم بمعنى الإرادة، والعباد على العموم جريا على قاعدتهم في القدر  
 وأفعال العباد. ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ هذا عموم، والشكر الحقيقي يتضمن الإيمان. ﴿وَلَا تَزِرُ  
 وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ ذكر في الإسراء. ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ﴾ الآية، يراد بـ"الإنسان" هنا الكافر بدليل  
 قوله ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾، والقصد بهذه الآية عتاب وإقامة حجة؛ فالعتاب على الكفر وترك دعاء الله،  
 وإقامة الحجة على الإنسان بدعائه إلى الله في الشدائد، فإن قيل: لم قال هنا "وإذا مس" بالواو، وقال بعدها  
 "فإذا مس" بالفاء؟ فالجواب: أن الذي بالفاء مسبب عن قوله "اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون  
 بالآخرة"، فجاء بفاء السببية قاله الزمخشري؛ وهو بعيد. ﴿ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً﴾ معنى "حوله" أعطاه،  
 والـ"نعمة" هنا يحتمل أن يريد بها كشف الضر المذكور أو أي نعمة كانت. ﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوًا إِلَيْهِ  
 مِنْ قَبْلُ﴾ يحتمل أن تكون "ما" مصدرية، أي: نسي دعاءه، أو تكون بمعنى الذي والمراد بها الله تعالى.

وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ  
 ﴿١٠﴾ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ - اِنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ  
 يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١١﴾ قُلْ يَتَّبِعُونَ  
 الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ  
 إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ  
 الدِّينَ ﴿١٣﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمِ  
 عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٦﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِّنْ دُونِهِ ۗ

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ﴾ بتخفيف الميم على إدخال همزة الاستفهام على "من"، وقيل: هي همزة النداء؛ والأول أظهر، وقرئ بتشديدها على إدخال "أم" على "من"، و"من" مبتدأ وخبره محذوف وهو المعادل للاستفهام تقديره: أم من هو قانت كغيره، وإنما حذف لدلالة الكلام عليه، وهو ما ذكر قبله وما ذكر بعده من قوله ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾، والقنوت هنا بمعنى الطاعة أو الصلاة بالليل، و﴿اِنَاءَ اللَّيْلِ﴾ ساعاته. ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية، نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه ﷺ حين عزموا على الهجرة إلى أرض الحبشة، ومعناها: التأنيس لهم والتنشيط على الهجرة. ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ يحتمل أن يتعلق "في هذه الدنيا" بـ"أحسنوا"، والمعنى: الذين أحسنوا في الدنيا لهم حسنة في الآخرة، أو يتعلق بـ"حسنة" والـ"حسنة" على هذا حسن الحال والعاية في الدنيا؛ والأول أرجح. ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ يراد بها البلاد المجاورة للأرض التي هاجروا منها، والمقصد من ذلك حض على الهجرة. ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ هذا يحتمل وجهين؛ أحدهما: أن الصابر يوفى أجره ولا يحاسب على أعماله، فهو من الذين يدخلون الجنة بغير حساب، والثاني: أن أجر الصابر بغير حصر بل أكثر من أن يحصر بعدد أو وزن؛ وهذا قول الجمهور. ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ اللام هنا يجوز أن تكون زائدة أو للتعليل، ويكون المفعول على هذا محذوفاً، فإن قيل: كيف عطف "أمرت" على "أمرت" والمعنى واحد؟ فالجواب: أن الأول أمر بالعبادة والإخلاص، والثاني أمر بالسبق إلى الإسلام، فهما معنيان اثنان، وكذلك قوله ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ﴾ ليس تكرر القول "أمرت أن اعبد الله"؛ لأن الأول إخبار بأنه مأمور بالعبادة، والثاني إخبار بأنه يفعل العبادة، وقدم اسم الله تعالى للحصر واختصاص العبادة به وحده. ﴿فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِّنْ دُونِهِ﴾ هذا تهديد



قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٠٠﴾ هُمْ مَن فَوْقَهُمْ ظُلٌّ مِّنَ الْبَارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلٌّ ۗ ذَلِكَ تَحْوِفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ ۚ يَعْبَادُونَ فَاتَّقُوا ۗ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٠١﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ سَبِيلًا ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٠٢﴾ أَفَمَن حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَن فِي الْبَارِ ﴿١٠٣﴾ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ غُرْفٌ مِّنْ غُرَفٍ مَّبْنِيَّةٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا تُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنبِيعَ فِي الْأَرْضِ

ومبالغة في الخذلان والتخلية لهم على ما هم عليه. ﴿ظُلٌّ﴾ جمع ظلة بالضم؛ وهو ما غشي من فوق كالسقف فقوله ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾ بين، وأما ﴿مِن تَحْتِهِمْ﴾ فسماء ظلة لأنه سقف لمن تحتهم، فإن جهنم طبقات، وقيل: سماه ظلة لأنه يلتهب ويصعد من أسفلهم إلى فوقهم. ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ قيل: إنها نزلت في عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد، وسعيد، وطلحة، والزبير ؓ؛ إذ دعاهم أبو بكر الصديق ؓ إلى الإيمان فآمنوا، وقيل: نزلت في أبي ذر، وسلمان ؓ، وهذا ضعيف؛ لأن سلمان ؓ إنما أسلم بالمدينة وهذه السورة مكية؛ والأظهر أنها عامة، و"الطاغوت" هنا كل ما عبد من دون الله، وقيل: الشياطين. ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ قيل: معناه يستمعون القول على العموم فيتبعون القرآن لأنه أحسن الكلام، وقيل: يستمعون القرآن فيتبعون بأعمالهم أحسنه من العفو الذي هو أحسن من الانتصار وشبه ذلك، وقيل: هو الذي يسمع حديثا فيه حسن وقبيح فيحدث بالحسن ويكف عما سواه، وهذا قول ابن عباس ؓ وهو الأظهر، وقال ابن عطية: هو عام في جميع الأقوال، والقصد الثناء على هؤلاء ببصائر ونظر شديد يفرقون به بين الحق والباطل، وبين الصواب والخطأ فيتبعون الأحسن من ذلك، وقال الزمخشري مثل هذا المعنى. ﴿أَفَمَن حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ﴾ فيها وجهان؛ أحدهما: أن يكون الكلام جملة واحدة تقديره: أفمن حق عليه كلمة العذاب أنت تنقذه؟، فموضع "من في النار" موضع المضمرة، والهمزة في قوله "أفأنت" هي الهمزة التي في قوله "أفمن" وهي همزة الإنكار كررت للتأكيد، والثاني: أن يكون التقدير: أفمن حق عليه كلمة العذاب تتأسف عليه، فحذف الخبر ثم استأنف قوله "أفأنت تنقذ من في النار"، وعلى هذا يوقف على "العذاب"؛ والأول أرجح لعدم الإضمار. ﴿فَسَلَكَهُ يَنبِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ معنى "سلكه" أدخله وأجره، وال"ينابيع" جمع ينبوع وهو العين، وفي هذا دليل على أن ماء العيون من المطر.

ثُمَّ سُخِّرْ بِهِ، زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ، ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ تَجْعَلُهُ حُطْمًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١﴾ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۗ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۗ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ تَخَشَّوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ وَ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ۗ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ۗ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿١٣﴾ أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ ۗ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ أي: أصنافه كالقمح والأرز والبقول وغير ذلك، وقيل "الوانه" الخضرة والحمرة وشبه ذلك، وفي الوجهين دليل على الفاعل المختار ورد على أهل الطبائع. ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ تقديره: أفمن شرح الله صدره للإسلام كالقاسي القلب؟ وروي أن المراد بمن شرح الله صدره للإسلام علي ابن أبي طالب وحمة عليه السلام، والمراد بالقاسية قلوبهم أبو لهب وأولاده؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ﴾ قال الزمخشري "من" هنا سببية، أي: قلوبهم قاسية من أجل ذكر الله؛ وهذا المعنى بعيد، ويحتمل عندي أن يكون "قاسية" تضمن معنى خالية، فلذلك تعدى بـ"من"، والمعنى: أن قلوبهم خالية من ذكر الله. ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ يعني القرآن. ﴿كِتَابًا﴾ بدل من "أحسن" أو حال منه. ﴿مُتَشَابِهًا﴾ معناه هنا: أنه يشبه بعضه بعضا في الفصاحة والنطق بالحق وأنه ليس فيه تناقض ولا اختلاف. ﴿مَّثَانِي﴾ جمع مثان، أي: تننى فيه القصص وتكرر، ويحتمل أن يكون مشتقا من الثناء لأنه ينشأ فيه على الله، فإن قيل "مثنائي" جمع فكيف وصف به المفرد؟ فالجواب: أن القرآن ينقسم فيه إلى سور وآيات كثيرة فهو جمع بهذا الاعتبار، ويجوز أن يكون كقولهم: برمة أعشار وثوب أخلاق، أو يكون تمييزا من "متشابهة" كقولك حسن سائل. ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ إن قيل: كيف تعدى "تلين" بـ"إلى"؟ فالجواب: أنه تضمن معنى فعل تعدى بإلى، كأنه قال: تميل، أو تسكن، أو تطمئن قلوبهم إلى ذكر الله، فإن قيل: لم ذكرت الجلود أولا وحدها، ثم ذكرت القلوب بعد ذلك معها؟ فالجواب: أنه لما قال أولا "تقشعر" ذكر الجلود وحدها؛ لأن التقشيرية من وصف الجلود لا من وصف غيرها، ولما قال ثانيا "تلين" ذكر الجلود والقلوب؛ لأن اللين توصف به القلوب والجلود، أما لين القلوب فهو ضد قسوتها، وأما لين الجلود فهو ضد قشعيرتها؛ فاقشعرت أولا من الخوف ثم لانت بالرجاء. ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ﴾ يحتمل أن تكون الإشارة إلى القرآن أو إلى الخشية واقشعرات الجلد. ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ الخبر محذوف كما تقدم في نظائره تقديره: أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب

وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاتَّبَعَهُمْ أَعْدَابٌ مِنْ  
 حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ  
 كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّرْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٠﴾  
 قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرِ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ  
 وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِينَ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّكَ  
 مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٢٣﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٢٤﴾ \* فَمَنْ أَظْلَمُ  
 مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٢٥﴾

كمن هو آمن من العذاب، ومعنى "يتقي بوجهه" يلقي النار بوجهه ليكفها عن نفسه، وذلك أن الإنسان إذا  
 لقي شيئاً من المخاوف استقبله بيده، وأيدي هؤلاء مغلولة فاتقوا النار بوجوههم. ﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾  
 أي: ذوقوا جزاء ما كنتم تكسبون من الكفر والعصيان. ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ نصب على الحال أو بفعل مضمر  
 على المدح. ﴿غَيْرِ ذِي عِوَجٍ﴾ أي: ليس فيه تضاد ولا اختلاف ولا عيب من العيوب التي في كلام البشر،  
 وقيل: معناه غير مخلوق، وقيل: غير ذي لحن، فإن قيل: لم قال "غير ذي عوج" ولم يقل غير معوج؟ فالجواب:  
 أن قوله "غير ذي عوج" أبلغ في نفي العوج عنه، كأنه قال: ليس فيه شيء من العوج أصلاً. ﴿رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ  
 مُتَشَاكِسُونَ﴾ أي: متنازعون متظالمون، وقيل: متشاحون، وأصله من قولك: رجل شكس إذا كان ضيق  
 الصدر، ومعنى ضرب هذا المثال بيان حال من يشرك بالله ومن يوحد؛ فشبه المشرك بمملوك بين جماعة من  
 الشركاء يتنازعون فيه، والمملوك بينهم في أسوأ حال، وشبه من يوحد الله بمملوك لرجل واحد، فمعنى قوله  
 ﴿سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ أي: خالصاً له، وقرئ "سليماً" بغير ألف والمعنى واحد. ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ في هذا  
 وعد للنبي ﷺ ووعيد للكفار، فإنهم إذا ماتوا جميعاً وصاروا إلى الله فاز من كان على الحق وهلك من كان  
 على الباطل، وفيه أيضاً إخبار بأنه ﷺ سيموت لثلاث مختلف الناس في موته كما اختلفت الأمم في غيره، وقد  
 جاء أنه لما مات ﷺ أنكر عمر بن الخطاب ﷺ موته، حتى احتج عليه أبو بكر الصديق ﷺ بهذه الآية فرجع  
 إليها [البخاري: 3467]. ﴿تَخْتَصِمُونَ﴾ قيل: يعني الاختصام في الدماء، وقيل: في الحقوق؛ والأظهر أنه اختصام  
 النبي ﷺ مع الكفار في تكذيبهم له فيكون من تمام ما قبله، ويحتمل أن يكون على العموم في اختصام الخلائق  
 فيما بينهم من المظالم وغيرها. ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ المعنى: لا أحد أظلم ممن كذب على الله، ويريد  
 بالكذب على الله هنا ما نسبوا له من الشركاء والأولاد. ﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ﴾ أي: كذب بالإسلام والشريعة.

وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٦٤﴾ هُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٥﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۗ وَنُحَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٦٨﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ۗ اللَّهُ ۗ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۗ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ ۗ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ ۗ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۗ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٩﴾ قُلْ يَلْقَوْنَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ۗ إِنِّي عَمِلٌ ۗ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ ۗ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۗ وَمَا أَنْتَ بِوَكِيلٍ ﴿٧٢﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ قيل: "الذي جاء بالصدق" محمد ﷺ وهو الذي "صدق به"، وقيل: "الذي جاء بالصدق" محمد ﷺ والذي "صدق به" أبو بكر الصديق ؓ، وقيل: "الذي جاء بالصدق" جبريل، والذي "صدق به" محمد ﷺ، وقيل: "الذي جاء بالصدق" الأنبياء والذي "صدق به" المؤمنون؛ واختار ابن عطية أن يكون على العموم وجعل "الذي" للجنس، كأنه قال: الفريق الذي؛ لأنه في مقابلة من كذب على الله وكذب بالصدق والمراد به العموم. ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ تقوية لقلب محمد ﷺ، وإزالة للخوف الذي كان الكفار يخوفونه. ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ الآية، احتجاج على التوحيد ورد على المشركين. ﴿هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ﴾ الآية، رد على المشركين وبرهان على الوحدانية، وروي أن سببها أن المشركين خوفوا رسول الله ﷺ من آهتهم، فنزلت الآية مبينة أنهم لا يقدرين على شيء، فإن قيل: كيف قال "كاشفات" و﴿مُمْسِكَاتُ﴾ بالتأنيث؟ فالجواب: أنها لا تعقل فعاملها معاملة المؤنثة، وأيضا ففي تأنيثها تحقير لها وتهكم بمن عبدها. ﴿اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ تهديد ومسألة منسوخة بالسيف. ﴿بِالْحَقِّ﴾ ذكر في أول السورة. ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ هذه الآية اعتبار، ومعناها: أن الله يتوفى النفوس على وجهين؛ أحدهما: وفاة كاملة حقيقية وهي الموت، والآخر: وفاة النوم؛ لأن النائم كالميت في كونه لا

فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْآخِرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۚ قُلْ أَوْلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ۗ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۗ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٤﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۗ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَبَدَأَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٦﴾

يبرص ولا يسمع، ومنه قوله ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَقَّأَكُم بِاللَّيْلِ ﴾، وتقديرها: ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها. ﴿ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ ﴾ أي: يمسك الأنفس التي قضى عليها بالموت الحقيقي، ومعنى إمساكها أنه لا يردّها إلى الدنيا ﴿ وَيُرْسِلُ الْآخِرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي: يرسل الأنفس النائمة، وإرسالها هو ردها إلى الدنيا، والأجل المسمى هو أجل الموت الحقيقي، وقد تكلم الناس في النفس والروح وأكثروا القول في ذلك بالظن دون تحقيق؛ والصحيح أن هذا مما استأثر الله بعلمه لقوله ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِن أَمْرِ رَبِّي ﴾. ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ﴾ "أم" هنا بمعنى بل وهمزة الإنكار، والشفعاء هم الأصنام وغيرها لقولهم ﴿ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾. ﴿ قُلْ أَوْلَوْ كَانُوا ﴾ دخلت همزة الاستفهام على واو الحال، وتقديره: أيشفعون وهم لا يملكون شيئاً ولا يعقلون؟ ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾ أي: هو مالكها فلا يشفع أحد إليه إلا بإذنه، وفي هذارد على الكفار في قولهم: إن الأصنام تشفع لهم. ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ ﴾ الآية، معناها: أن الكفار يكرهون توحيد الله ويحبون الإشراف به، ومعنى ﴿ اشْمَأَزَّتْ ﴾ انقبضت من شدة الكراهة، وروي أن هذه الآية نزلت حين قرأ رسول الله ﷺ سورة النجم، فألقى الشيطان في أمنيته حسبا ذكرنا في الحج فاستبشر الكفار بما ألقى الشيطان من تعظيم اللات والعزى، فلما أذهب الله ما ألقى الشيطان استكبروا واشمأزوا. ﴿ وَبَدَأَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ أي: ظهر لهم يوم القيامة خلاف ما كانوا يظنون؛ لأنهم كانوا يظنون ظنونا كاذبة، قال الزمخشري: إن المراد بذلك تعظيم العذاب الذي يصيبهم، أي: ظهر لهم من عذاب الله ما لم يكن في حسابهم فهو كقوله في الوعد ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾، وقيل: معناها عملوا أعمالا حسبوها حسنات

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ  
ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْتَهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ  
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ قَدْ قَالهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٢٠﴾  
فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا  
هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٢١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ  
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٢﴾ \* قُلْ يٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن  
رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٢٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ  
وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٢٤﴾

فإذا هي سيئات، وقال الحسن: ويل لأهل الرياء من هذه الآية، وهذا على أنها في المسلمين؛ والظاهر أنها في الكفار. ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ معنى "حاق" حل ونزل، وقال ابن عطية وغيره: إن هذا على حذف مضاف تقديره: حاق بهم جزاء ما كانوا به يستهزؤون، ويحتمل أن يكون الكلام دون حذف؛ وهو أحسن، ومعناه: حاق بهم العذاب الذي كانوا به يستهزؤون؛ لأنهم كانوا في الدنيا يستهزؤون إذا خوفوا بعذاب الله، ويقولون متى هذا الوعد. ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ يحتمل وجهين؛ أحدهما: أن يريد على علم مني بالمكاسب والمنافع، والآخر: على علم الله باستحقاقه لذلك، و"إنما" هنا تحتمل وجهين؛ أحدهما: وهو الأظهر أن تكون "ما" كافة و"على علم" في موضع الحال، والآخر: أن تكون "ما" اسم "إن" و"على علم" خبرها، وإنما قال "أوتيته" بالضمير المذكور؛ وهو عائد على الـ"نعمة" للحمل على المعنى. ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ رد على الذي قال "إنما أوتيته على علم". ﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني قارون وغيره. ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ قال علي بن أبي طالب وابن مسعود رضي الله عنهما: هذه أرجى آية في القرآن، وروي أن رسول الله ﷺ قال: «ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية» [أحمد: 22416]، واختلف في سببها، فقيل: نزلت في وحشي قاتل حمزة لما أراد أن يسلم، وخاف أن لا يغفر له ما وقع فيه من قتل حمزة، وقيل: نزلت في قوم آمنوا ولم يهاجروا ففتنوا فافتنوا ثم ندموا وظنوا أنهم لا توبة لهم، وهذا قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد كتب بها إلى هشام بن العاص لما جرى له ذلك، وقيل: نزلت في قوم من أهل الجاهلية قالوا: ما ينفعنا الإسلام وقد زينا وقتلنا النفوس فنزلت الآية فيهم، ومعناها مع ذلك على العموم في جميع الناس إلى يوم القيامة على تفصيل نذكره، وذلك أن الذين أسرفوا على أنفسهم إن أراد بهم الكفار؛ فقد أجمعت الأمة

وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرْتَنِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٨﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٩﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكَءَايَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦١﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾

على أنهم إذا أسلموا غفر لهم كفرهم وجميع ذنوبهم لقوله ﷺ: «الإسلام يجب ما قبله» [أحمد: 17812]، وأنهم إن ماتوا على الكفر فإن الله لا يغفر لهم بل يخلدهم في النار، وإن أراد بهم العصاة من المسلمين فإن العاصي إذا تاب غفر له ذنوبه، وإن لم يتب فهو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، والمغفرة المذكورة في هذه الآية يحتمل أن يريد بها المغفرة للكفار إذا أسلموا، أو للعصاة إذا تابوا، أو للعصاة وإن لم يتوبوا إذا تفضل الله عليهم بالمغفرة؛ والظاهر أنها نزلت في الكفار وأن المغفرة المذكورة هي لهم إذا أسلموا، والدليل على أنها في الكفار ما ذكر بعدها إلى قوله ﴿قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ﴾. ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني اتبعوا القرآن، وليس المعنى أن بعض القرآن أحسن من بعض لأنه حسن كله، إنما المعنى: أن يتبعوا بأعمالهم ما فيه من الأوامر ويجتنبوا ما فيه من النواهي؛ فالترغيب الذي يقتضيه "أحسن" إنما هو في الاتباع، وقيل: يعني اتبعوا الناسخ دون المنسوخ؛ وهذا بعيد. ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾ في موضع مفعول من أجله تقديره: كراهة أن تقول نفس، وإنما نكر الـ"نفس" لأن المراد بها بعض الأنفس وهي نفوس الكفار. ﴿فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ أي: في حق الله، وقيل: في أمر الله، وأصله من الجنب بمعنى الجانب ثم استعير لهذا المعنى. ﴿السَّخِرِينَ﴾ أي: المستهزئين. ﴿بَلَىٰ﴾ جواب للنفس التي حكى كلامها، ولا يجاب ببلى إلا النفسي، وهي هنا جواب لقوله "لو أن الله هداني لكنت من المتقين"؛ لأنه في معنى النفسي فإن "لو" حرف امتناع، وتقدير الجواب: بلى قد جاءك الهدى من الله بإرساله الرسل وإنزاله الكتب، وقال ابن عطية: هي جواب لقوله "لو أن لي كرة" فإن معناه يقتضي أن العمر لم يتسع للنظر، فقيل له: بلى على وجه الرد عليه؛ والأول أليق بسياق الكلام؛ لأن قوله "قد جاءتك آياتي" تفسير لما تضمنته "بلى". ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ يحتمل أن يريد سواد اللون حقيقة أو يكون عبارة عن شدة الكرب. ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ أصله من الفوز، والتقدير: بسبب فوزهم،

اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٣٧﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ  
 وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ تَامُرُونِي أَعْبُدُ  
 أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ  
 وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخٰسِرِينَ ﴿٤٠﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٤١﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ  
 قَدْرِهِ ۖ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ ۖ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيٰتٌ بِّيَمِينِهِ ۗ سُبْحٰنَهُ  
 وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٢﴾

وقيل: معناه بحسناتهم، وقيل: بفضائلهم. ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ أي: قائم بتدبير كل شيء. ﴿ مَقَالِيدُ ﴾  
 مفاتيح، وقيل: خزائن، واحدا مقلد، وقيل: إقليد، وقيل: لا واحد لها من لفظها وأصلها كلمة فارسية،  
 وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقاليد السماوات والأرض، فقال: «هي لا إله إلا الله،  
 والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأستغفر الله هو الأول والآخر والظاهر  
 والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير» [أبو يعلى (المطالب العلية: 3701)]، فإن صح هذا الحديث  
 فمعناه: أن من قال هذه الكلمات صادقا مخلصا نال الخيرات والبركات من السماوات والأرض؛ لأن هذه  
 الكلمات توصل إلى ذلك فكأنها مفاتيح له. ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الآية، قال الزمخشري: إنها متصلة بقوله  
 "وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم" وما بينهما من الكلام اعتراض. ﴿ أَغَيَّرَ اللَّهُ ﴾ منصوب بـ"أعبد".  
 ﴿ تَامُرُونِي ﴾ حذف إحدى النونين تخفيفا وقرئ بنونين على الأصل، وقرئ بإدغام إحدى النونين في  
 الأخرى. ﴿ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ دليل على إحباط أعمال المرتد مطلقا خلافا للشافعي في قوله:  
 لا يجبط عمله إلا إذا مات على الكفر، فإن قيل: الموحى إليهم جماعة والخطاب بقوله "لئن أشركت"  
 لواحد؟ فالجواب: أن المعنى أنه أوحى ذلك إلى كل واحد منهم على حدته، فإن قيل: كيف خوطب  
 الأنبياء بذلك وهم معصومون من الإشراك؟ فالجواب: أن ذلك على الفرض والتقدير، أي: لو وقع منهم  
 شرك لحبطت أعمالهم، لكنهم لا يقع منهم شرك بسبب العصمة، ويحتمل أن يكون المراد غيرهم وخوطبوا  
 هم ليدل المعنى على غيرهم بالطريق الأولى. ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ أي: ما عظموه حق تعظيمه،  
 ولا وصفوه بما يجب له، ولا نزهوه عما لا يليق به، والضمير في "قدروا" لقريش، وقيل: لليهود. ﴿ وَالْأَرْضُ  
 جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيٰتٌ بِّيَمِينِهِ ﴾ المقصود بهذا تعظيم جلال الله والرد على الكفار  
 الذين ما قدروا الله حق قدره، ثم اختلف الناس فيها كاختلافهم في غيرها من المشكلات، فقالت المتأولة:



وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٣٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٤١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٤٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا

إن القبضة واليمين عبارة عن القدرة، وقال ابن الطيب: إنها صفات زائدة على صفات الذات، وأما السلف الصالح فسلموا علم ذلك إلى الله ورأوا أن هذا من المتشابه الذي لا يعلم حقيقته إلا الله، وقد قال ابن عباس رضي الله عنه ما معناه: إن الأرض في قبضته والسموات مطويات كل ذلك بيمينه، وقال ابن عمر رضي الله عنهما ما معناه: إن الأرض في قبضة اليد الواحدة والسموات مطويات باليمين الأخرى؛ لأن كلتا يديه يمين. ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل، وهذه النفخة نفخة الصعق وهو الموت، وقد قيل: إن قبلها نفخة الفزع ولم تذكر في هذه الآية. ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ قيل: يعني جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ثم يميتهم بعد ذلك، وقيل: استثناء الأنبياء، وقيل: الشهداء. ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ هي نفخة القيام. ﴿قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ قيل: إنه من النظر، وقيل: من الانتظار؛ أي: ينتظرون ما يفعل بهم. ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ يعني صحائف الأعمال، وإنما وحدها لأنه أراد الجنس، وقيل: هو اللوح المحفوظ. ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ﴾ ليشهدوا على قومهم. ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾ يحتمل أن يكون جمع شاهد أو جمع شهيد في سبيل الله؛ والأول أرجح لأن فيه معنى الوعيد، ولأنه أليق بذكر الأنبياء الشاهدين، والمراد على هذا أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم يشهدون على الناس، وقيل: يعني الملائكة الحفظة. ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ الضمير لجميع الخلق. ﴿زُمَرًا﴾ في الموضعين جمع زمرة وهي الجماعة من الناس، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أول زمرة يدخلون الجنة وجوههم على مثل القمر ليلة البدر، والزمرة الثانية على مثل أشد نجم في السماء إضاءة، ثم هم بعد ذلك منازل» [البخاري 3074]. ﴿خَزَنَتُهَا﴾ جمع خازن حيث وقع. ﴿كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ يعني القضاء السابق بعذابهم. ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ إنما قال في الجنة، "وفتحت" بالواو، وقال في النار بغير واو؛ لأن أبواب الجنة

وَقَالَ هُمْ خَزَنَتُهَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَأَدْخَلُوهَا خَلِيدِينَ ﴿٧٢﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي  
 صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۗ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧١﴾  
 وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۗ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ  
 وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

كانت مفتحة قبل مجيء أهلها، فالمعنى: حتى إذا جاؤوها وأبوابها مفتوحة، فالواو واو الحال، وجواب  
 "إذا" على هذا محذوف، وأما أبواب النار فإنها فتحت حين جاؤوها فوقع قوله "فتحت" جواب الشرط  
 فكان بغير واو، وقال الكوفيون: الواو في أبواب الجنة واو الثانية لأن أبواب الجنة ثمانية، وقيل: الواو  
 زائدة، "وفتحت" هو الجواب. ﴿وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ﴾ يعني أرض الجنة، والوراثة هنا استعارة كأنهم ورثوا  
 موضع من لم يدخل الجنة. ﴿نَتَّبِعُ﴾ أي: ننزل من الجنة حيث نشاء ونتخذه مسكنا. ﴿حَافِينَ مِنْ حَوْلِ  
 الْعَرْشِ﴾ أي: محققين به دائرين حوله. ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ الضمير لجميع الخلق كالموضع الأول، ويحتمل  
 أن يكون للملائكة والقضاء بينهم توفية أجورهم على حسب منازلهم. ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾  
 يحتمل أن يكون القائل لذلك الملائكة، أو جميع الخلق، أو أهل الجنة لقوله ﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ  
 الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلَوِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهَ الْمَصِيرِ ﴿٣﴾ مَا يُجَدِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُوكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴿٥﴾ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ﴿٦﴾ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ﴿٧﴾ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٨﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٩﴾ الَّذِينَ تَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ﴿١٢﴾ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾

## سورة المؤمن

﴿ حم ﴾ تقدم الكلام في حروف الهجاء، وتختص "حم" بأنه قيل: معناها حم الأمر، أي: قضي، وقال ابن عباس رضي الله عنه: "الر" و"حم" و"ن" هي حروف الرحمن. ﴿ تنزيل الكتاب ﴾ ذكر في الزمر. ﴿ ذي الطلوع ﴾ أي: الفضل والإنعام، وقيل "الطول" الغنى والسعة. ﴿ فلا يغررك تقالُّبهم في البلاد ﴾ جعل "لا يغررك" بمعنى لا يمزك فيهم تسلياً للنبي صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفار. ﴿ والآحزاب ﴾ يراد بهم عاد وثمود وغيرهم. ﴿ ليأخذوه ﴾ أي: ليقتلوه. ﴿ ليُدْحِضُوا ﴾ أي: يبطلوا به الحق. ﴿ حَقَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ ﴾ أي: وجب قضاؤه. ﴿ وَمَنْ حَوْلَهُ ﴾ عطف على "الذين يحملون". ﴿ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ إن قيل ما فائدة قوله "ويؤمنون به"، ومعلوم أن حملة العرش ومن حوله يؤمنون بالله؟ فالجواب: أن ذلك إظهار لفضيلة الإيثار وشرفه قال ذلك الزمخشري، وقال: إن فيه فائدة أخرى؛ وهي أن معرفة حملة العرش بالله تعالى من طريق النظر والاستدلال كسائر الخلق لا بالرؤية، وهذا نزعة إلى مذهب المعتزلة في استحالة رؤية الله تعالى. ﴿ وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ أصل الكلام وسعت رحمتك وعلمك كل شيء، فالسعة في المعنى مسندة إلى الرحمة والعلم، وإنما أسندنا في اللفظ إلى الله تعالى لقصد المبالغة في وصف الله تعالى بهما، كأن ذاته رحمة وعلم واسعان كل شيء. ﴿ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ﴾ يحتمل أن يكون

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى  
 الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلِ  
 إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَمَّنُوا

المعنى قهم السيئات نفسها بحيث لا يفعلونها، أو يكون المعنى قهم جزاء السيئات فلا تؤاخذهم بها. ﴿إِنَّ  
 الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ المقت: البغض الذي يوجهه ذنب أو عيب، وهذه  
 الحال تكون للكفار عند دخولهم النار، فإنهم إذا دخلوها مقتوا أنفسهم أي مقت بعضهم بعضا، ويحتمل أن  
 يمقت كل واحد منهم نفسه، فتناديهم الملائكة وتقول لهم: مقت الله لكم في الدنيا على كفركم أكبر من مقتكم  
 أنفسكم اليوم، فقوله "لمقت الله" مصدر مضاف إلى الفاعل وحذف المفعول لدلالة مفعول "مقتكم" عليه،  
 وقوله ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ ظرف العامل فيه "مقت الله" من طريق المعنى، ويمتنع أن يعمل فيه من طريق قوانين  
 النحو؛ لأن "مقت الله" مصدر فلا يجوز أن يفصل بينه وبين بعض صلته فيحتاج أن يقدر للظرف عامل،  
 وعلى هذا أجاز بعضهم الوقف على قوله "أنفسكم" والابتداء بالظرف، وهذا ضعيف؛ لأن المراعى المعنى،  
 وقد جعل الزمخشري "مقت الله" عاملا في الظرف ولم يعتبر الفصل. ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا  
 اثْنَتَيْنِ﴾ هذه الآية كقوله ﴿وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾، فالموتة الأولى عبارة عن كونهم  
 عدما، أو كونهم في الأصلاب، أو في الأرحام والموتة الثانية الموت المعروف، والحياة الأولى حياة الدنيا  
 والحياة الثانية حياة البعث في القيامة، وقيل: الحياة الأولى حياة الدنيا والثانية الحياة في القبر، والموتة الأولى  
 الموت المعروف والموتة الثانية بعد حياة القبر؛ وهذا قول فاسد لأنه لا بد من الحياة للبعث فتجيء الحياة  
 ثلاث مرات، فإن قيل: كيف اتصال قوهم "أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين" بما قبله؟ فالجواب: أنهم كانوا في  
 الدنيا يكفرون بالبعث، فلما دخلوا النار مقتوا أنفسهم على ذلك، فأقروا به حينئذ ليرضوا الله حينئذ  
 بإقرارهم، فقوهم "أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين"؛ إقرار بالبعث على أكمل الوجوه طمعا منهم أن يخرجوا عن  
 المقت الذي مقتهم الله، إذ كانوا يدعون إلى الإيمان فيكفرون. ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ الفاء هنا رابطة ومعناها:  
 التسبب، فإن قيل: كيف يكون قوهم "أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين" سببا لاعتراهم بالذنوب؟ فالجواب: أنهم  
 كانوا كافرين بالبعث فلما رأوا الإماتة والإحياء قد تكرر عليهم علموا أن الله قادر على البعث؛ فاعترفوا  
 بذنوبهم وهي إنكار البعث وما أوجب لهم إنكاره من المعاصي؛ فإن من لم يؤمن بالآخرة لا يبالي بالوقوع في  
 المعاصي. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾ الباء سببية للتعليل، والإشارة بـ"ذلكم" يحتمل أن تكون  
 للعذاب الذي هم فيه، أو إلى مقت الله لهم، أو مقتهم لأنفسهم؛ والأحسن أن تكون إشارة إلى ما يقتضيه

فَاحْكُم بِلِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٧﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُم مَّآئَاتِهِ وَيُنَزِّل لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا  
 وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٨﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ  
 ﴿١٩﴾ رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِن أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ  
 يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿٢٠﴾ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ  
 الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٢١﴾ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ  
 سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٢﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مَا  
 لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿٢٣﴾

سياق الكلام، وذلك أنهم لما قالوا "فهل إلى خروج من سبيل" كأنهم قيل لهم: لا سبيل إلى الخروج؛ فالإشارة بقوله "ذلكم" إلى عدم خروجهم من النار. ﴿يُرِيكُم مَّآئَاتِهِ﴾ يعني العلامات الدالة عليه من مخلوقاته ومعجزات رسله. ﴿وَيُنَزِّل لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ يعني المطر. ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ﴾ يحتمل أن يكون المعنى مرتفع الدرجات، فيكون بمعنى العلي أو رافع درجات عباده في الجنة وفي الدنيا. ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾ يعني الوحي. ﴿مِنَ أَمْرِهِ﴾ يحتمل أن يريد الأمر الذي هو واحد الأمور أو الأمر بالخير، فعلى الأول تكون "من" للتبعيض أو لابتداء الغاية، وعلى الثاني تكون لابتداء الغاية أو بمعنى الباء ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ يعني يوم القيامة، وسمي بذلك؛ لأن الخلائق يلتقون فيه، وقيل: لأنه يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض، وقيل: لأنه يلتقي الخلق فيه مع ربهم، والفاعل في "ينذر" ضمير يعود على "من يشاء"، أو على الروح، أو على الله. ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ هذا من كلام الله تعالى تقريراً للخلق يوم القيامة فيجيئونهم ويقولون ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ وقيل: بل هو الذي يجيب نفسه؛ لأن الخلق يسكتون هيبة له، وقيل: إن القائل "لمن الملك اليوم" ملك. ﴿يَوْمَ الْأَزْفَةِ﴾ يعني القيامة، ومعناها القريبة. ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ معناه: أن القلوب قد صعدت من الصدور لشدة الخوف حتى بلغت الحناجر؛ فيحتمل أن يكون ذلك حقيقة أو مجازاً عبر به عن شدة الخوف، و"الحناجر" جمع حنجرة وهي الحلق. ﴿كَظْمِينَ﴾ أي: محزونين حزناً شديداً كقولهم ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾، وقيل: معناه يكظمون حزناً، أي: يطمعون أن يخفوه والحال تغلبهم، وانتصابه على الحال من أصحاب القلوب؛ لأن معناه قلوب الناس، أو من المفعول في "أنذرهم"، أو من "القلوب" وجمعها جمع المذكر لما وصفها بالكظم الذي هو من أفعال العقلاء. ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ أي: صديق مشفق. ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ يحتمل أن يكون نفي الشفاعة وطاعة الشفيع أو نفي طاعة الشفيع خاصة، كقولك: ما جاءني رجل صالح فنفيت الصلاح وإن كان قد جاءك

يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿٦﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٧﴾ \* أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاكِ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَاتِبِهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿١١﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ ﴿١٢﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۗ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ وَأَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿١٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٤﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنَ آلِ فِرْعَوْنَ

رجل غير صالح؛ والأول أحسن لأن الكفار ليس لهم من يشفع فيهم. ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ أي: استراق النظر، والـ"خائنة" مصدر بمعنى الخيانة أو وصف للنظرة، وهذا الكلام متصل بما تقدم من ذكر الله واعتراض في أثناء ذلك بوصف القيامة لما استطرد إليه من قوله "لينذريوم التلاق". ﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي: حجة ظاهرة، وهي المعجزات. ﴿قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ هذا القتل غير القتل الذي كانوا يقتلون أولا قبل ميلاد موسى. ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ المعنى: أنه لا يبالي بدعاء موسى لربه ولا يخاف من ذلك إن قتله، ويظهر من قوله "ذروني" أنه كان في الناس من ينازعه في قتل موسى، وذلك يدل على أن فرعون قد اضطرب أمره بظهور معجزات موسى. ﴿وَأَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ يعني فساد أحوالهم في الدنيا، وقرئ "وأن يظهر" بالواو وبـ"أو"، و"يظهر" بفتح الباء ورفع "الفساد" على الفاعلية، وبضم الباء ونصب "الفساد" على المفعولية. ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ﴾ الآية، لما سمع موسى ما هم به فرعون من قتله استعاذ بالله فعصمه الله منه، وقال ﴿مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ ليشمل فرعون وغيره وليكون فيه وصف لفرعون بذلك الوصف القبيح. ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنَ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ قيل: إن اسم هذا المؤمن حبيب، وقيل: حزقيل،

يَكْفُرُ اِيْمَانَهُۥ اَتَقْتُلُوْنَ رَجُلًا اَنْ يَقُوْلَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْؕ وَاِنْ يَكُ كٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥؕ وَاِنْ يَكُ صٰدِقًا يُصِْبْكُمْ بِعَضِّ الذِّبْيِ يَعِدْكُمْؕ اِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كٰذِبٌ ﴿٦٨﴾ يَنْقَوْمِر لَكُمْ اَلْمَلِكُ اَلْيَوْمَ ظَهْرِيْنَ فِي الْاَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَاسِ اللهِ اِنْ جَاءَنَا قَالِ فِرْعَوْنُ مَا اُرِيكُمْ وَاِلَّا مَا اُرِي وَمَا اَهْدِيكُمْ وَاِلَّا سَبِيْلَ الرَّشٰدِ ﴿٦٩﴾ وَقَالَ الَّذِيْ ءَامَنَ يَنْقَوْمِر اِنِّيْ اَخَافُ عَلَيْكُمْ مِّثْلَ يَوْمِ اَلْاَحْزَابِ ﴿٧٠﴾ مِّثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوْحٍ وَعَادٍ وَثَمُوْدَ وَالَّذِيْنَ مِنْ بَعْدِهِمْؕ وَمَا اللهُ يُرِيْدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٧١﴾ وَيَنْقَوْمِر اِنِّيْ اَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنٰدِيْءِ ﴿٧٢﴾

وقيل: شمعان بالشين المعجمة، وروي أن هذا الرجل المؤمن كان ابن عم فرعون، فقوله "من - ال فرعون" صفة للـ "مؤمن"، وقيل: كان من بني إسرائيل فقوله "من - ال فرعون" على هذا يتعلق بقوله ﴿يَكْفُرُ اِيْمَانَهُ﴾؛ والأول أرجح لأنه لا يحتاج فيه إلى تقديم وتأخير ولقوله ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَاسِ اللهِ﴾ لأن هذا من كلام قريب شفيق، ولأن بني إسرائيل حينئذ كانوا أذلاء بحيث لا يتكلم أحد منهم بمثل ذلك الكلام. ﴿أَنْ يَقُولَ﴾ في موضع المفعول من أجله تقديره: أقتلونه من أجل أن يقول ربي الله. ﴿وَأِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ أي: إن كان موسى كاذبا في دعوى الرسالة فلا يضركم كذبه، فلاي شيء تقتلونه؟ فإن قيل: كيف قال "وإن يك كاذبا" بعد أن كان قد آمن به؟ فالجواب: أنه لم يقل ذلك على وجه التكذيب له، وإنما قاله على وجه الفرض والتقدير، وقصد بذلك المحاجة لقومه، فقسم أمر موسى إلى قسمين؛ ليقم عليهم الحجة في ترك قتله على كل وجه من القسمين. ﴿وَأِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِْبْكُمْ بِعَضِّ الذِّبْيِ يَعِدْكُمْ﴾ قيل: إن "بعض" هنا بمعنى كل؛ وذلك بعيد وإنما قال "بعض" ولم يقل كل مع أن الذي يصيبهم هو كل ما يعدهم ليلاطفهم في الكلام، ويبعد عن التعصب لموسى، ويظهر النصيحة لقومه فيرتجي إجابتهم للحق. ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ﴾ هو المؤمن المذكور أولا، وقيل: موسى عليه السلام؛ وهذا بعيد وإنما توهموا ذلك لأنه صرح هنا بالإيمان وكان كلام المؤمن أولا غير صريح؛ بل كان فيه تورية وملاطفة لقومه إذ كان يكتفئ إيمانه، والجواب أنه كتم إيمانه في أول الأمر ثم صرح به بعد ذلك وجاهرهم بمجاهرة ظاهرة؛ لما وثق بالله حسبما حكى الله من كلامه لقومه إلى قوله ﴿فَسْتَدْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَؤُصُّ أُمْرِي إِلَى اللهِ﴾. ﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾ يعني يوم القيامة، وسمي بذلك لأن المنادي ينادي الناس، وذلك قوله ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ﴾، وقيل: لأن بعضهم ينادي بعضا؛ أي: ينادي أهل الجنة ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾، وينادي أهل النار ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾.

يَوْمَ تُؤَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَصِمٍ ۗ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۖ ﴿٦٦﴾  
 وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا  
 هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ۚ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ  
 مُرْتَابٌ ﴿٦٧﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتِيهِمْ كَبِيرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ  
 وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٦٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ  
 يٰلَهَا مَنُ آتَىٰ لِي صِرَاحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٦٩﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَىٰ آلِهَةِ مُوسَىٰ  
 ۗ إِنَّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا ۗ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ ۗ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا  
 كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٧٠﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يٰلِقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ  
 سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٧١﴾ يٰلِقَوْمِ إِنَّمَا هٰذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا مَتَّعَ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ  
 ﴿٧٢﴾ مَن عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ۗ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنشَأَ وَهُوَ  
 مُؤْمِنٌ ۖ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٧٣﴾

﴿يَوْمَ تُؤَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ أي: منطلقين إلى النار، وقيل: هارين من النار. ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾  
 قيل: هو يوسف بن يعقوب، وقيل: هو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب، والبيّنات التي جاء بها  
 يوسف لم تعين لنا، واختلف هل أدركه فرعون موسى أو فرعون آخر قبله؛ لأن كل من ملك مصر يقال له  
 فرعون. ﴿قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ كلامهم هذا لا يدل على أنهم مؤمنون برسالة يوسف، وإنما  
 مرادهم لم يأت أحد يدعي الرسالة بعد يوسف قاله ابن عطية، وقال الزمخشري: إنها هو تكذيب لرسالة من بعده  
 مضموم إلى تكذيب رسالته. ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ بدل من "مسرف مرتاب"، وإنما جاز إبدال الجمع من المفرد؛ لأنه  
 في معنى الجمع كأنه قال: كل مسرف. ﴿كَبِيرٌ مَقْتًا﴾ فاعل "كبر" مصدر "يجادلون"، وقال الزمخشري: الفاعل  
 ضمير "من هو مسرف". ﴿الْأَسْبَابَ﴾ هنا الطرق، وقيل: الأبواب، وكررها للتفخيم وللبيان. ﴿فَأَطَّلِعُ بِالرَّفْعِ  
 عَطْفَ عَلَى "أَبْلُغُ"، وبالنصب بإضمار أن في جواب "لعل" لأن الترجي غير واجب فهو كالتمني في انتصاب  
 جوابه، ولا تقول إن "لعل" أشربت معنى ليت كما قال بعض النحاة. ﴿تَبَابٍ﴾ أي: خسران. ﴿مَتَّاعٌ﴾ أي:  
 يتمتع به قليلا، فإن قيل: لم يكرر المؤمن نداء قومه مرارا؟ فالجواب: أن ذلك لقصد التنبيه لهم وإظهار الملاطفة



وَيَقُومِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى الْبَارِ ﴿١٢﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ  
بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ، مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفِيرِ ﴿١٣﴾ لَا جَرَمَ  
أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ  
الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ الْبَارِ ﴿١٤﴾ فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى  
اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ فَوَقِيَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِإِثْمِهِمْ  
سُوءُ الْعَذَابِ ﴿١٦﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ  
فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿١٧﴾ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي الْبَارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ  
اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ الْبَارِ ﴿١٨﴾ قَالَ الَّذِينَ  
اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿١٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي الْبَارِ  
لِحِزْنَةِ جَهَنَّمَ آدَعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٢٠﴾ قَالُوا أَوْلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ  
رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ

والنصيحة، فإن قيل: لم جاء بالواو في قوله ﴿وَيَا قَوْم﴾ في الثالث دون الثاني؟ فالجواب: أن الثاني بيان للأول  
وتفسير فلم يصح عطفه عليه بخلاف الثالث، فإنه كلام آخر فصح عطفه عليه. ﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ أي: ليس  
لي علم بربوبيته، والمراد بنفي العلم نفي المعلوم، كأنه قال: وأشرك به ما ليس ياله، وإذا لم يكن لها لم يصح علم  
ربوبيته. ﴿لَا جَرَمَ﴾ أي: لا بد ولا شك. ﴿لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ﴾ قال ابن عطية: المعنى ليس له قدر ولا حق يجب أن  
يدعي إليه أحد، كأنه قال: تدعونني إلى عبادة ما لا خطر له في الدنيا ولا في الآخرة، ويحتمل اللفظ أن يكون معناه  
ليس له دعوة قائمة، أي: لا يدعو أحدا إلى عبادته. ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا﴾ دليل على أن من فوض أمره  
إلى الله كان الله معه. ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ "النار" بدل من "سوء العذاب"، أو مبتدأ، أو خبر مبتدأ مضمرة،  
وعرضهم عليها من حين موتهم إلى يوم القيامة، وذلك مدة البرزخ بدليل قوله ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ  
فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ واستدل أهل السنة بذلك على صحة ما ورد من عذاب القبر، وروي أن أرواحهم في  
أجواف طير سود تروح بهم وتغدو إلى النار. ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ قيل: معناه في كل غدوة وعشية من أيام الدنيا،  
وقيل: المعنى على تقدير ما بين الغدوة والعشية؛ لأن الآخرة لا غدوة فيها ولا عشية. ﴿لِحِزْنَةِ جَهَنَّمَ﴾ إن قيل:  
هلا قال الذين في النار لحزنتها فلم صرح باسمها؟ فالجواب: أن في ذكر جهنم تهويلا ليس في ذكر الضمير.

قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعُوا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٦﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ  
 ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْآلَشْهَدُ ﴿٥٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ  
 اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٩﴾  
 هُدًى وَذِكْرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٦٠﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ  
 بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٦١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ  
 أَبْتِهَامٍ وَإِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ  
 ﴿٦٢﴾ لَخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ  
 ﴿٦٣﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمَسِيءُ

﴿ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ يحتمل أن يكون من كلام خزنة جهنم فيكون متصلاً بقولهم "فادعوا"، أو يكون من كلام الله تعالى استثناءً. ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا ﴾ قيل: إن هذا خاص فيمن أظهره الله على الكفار وليس بعام؛ لأن من الأنبياء من قتله قومه كزكريا ويحيى؛ والصحيح أنه عام، والجواب عما ذكره أن زكريا ويحيى لم يكونا من الرسل إنما كانا من الأنبياء الذين ليسوا بمرسلين، وإنما ضمن الله نصر الرسل خاصة لانصر الأنبياء كلهم. ﴿ وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ يعني يوم القيامة، و"الاشهاد" جمع شاهد أو شهيد، ويحتمل أن يكون بمعنى الحضور أو الشهادة على الناس أو الشهادة في سبيل الله؛ والأظهر أنه بمعنى الشهادة على الناس لقوله ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾. ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ ﴾ يحتمل أنهم لا يعتذرون أو يعتذرون ولكن لا تنفعهم معذرتهم؛ والأول أرجح لقوله ﴿ وَلَا يُودُّنَ لَهُمْ فِعْتَدِرُونَ ﴾ فنفي الاعتذار والانتفاع به. ﴿ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ يعني وعده لمحمد ﷺ بالنصر والظهور على أعدائه. ﴿ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ قيل "العشي" صلاة العصر، و"الابكار" صلاة الصبح، وقيل "العشي" بعد العصر إلى الغروب، و"الابكار" من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ ﴾ يعني كفار قريش. ﴿ إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ ﴾ أي: تكبر وتعاضم يمنعهم من أن يتبعوك أو يتقادوا إليك، وقيل: كبرهم أنهم أرادوا النبوة لأنفسهم ورأوا أنهم أحق بها؛ والأول أظهر لأن إرادة النبوة لأنفسهم حسد، والأول هو الكبر. ﴿ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ ﴾ أي: لا يبلغون ما يقتضيه كبرهم من الظهور عليك أو من نيل النبوة. ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ أي: استعذ من شرهم لأنهم أعداء لك، واستعذ من مثل حالهم في الكبر والحسد، أو استعذ بالله في جميع أمورك على الإطلاق. ﴿ لَخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ الخلق هنا مصدر مضاف إلى

قَلِيلًا مَّا يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا  
يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ  
عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لَيْلًا لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ  
مُبْصِرًا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾  
ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ  
الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ  
بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ۗ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۗ فَتَبَرَّك  
اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ  
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ \* قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي  
الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِلرَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ

المفعول، والمراد بهذا الاستدلال على البعث؛ لأن الإله الذي خلق السموات والأرض على كبرها قادر على إعادة  
الأجسام بعد فنائها، وقيل: المراد توبيخ الكفار المتكبرين، كأنه قال: خلق السماوات والأرض أكبر من خلق  
الناس فما بال هؤلاء يتكبرون على خالقهم وهم من أصغر مخلوقاته وأحقهم؛ والأول أرجح لوروده في مواضع  
من القرآن ولأنه قال بعده ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ فقدم الدليل ثم ذكر المدلول. ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي  
أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ الدعاء هنا الطلب والرغبة، وهذا وعد مقيد بالمشيئة وهي موافقة القدر لمن أراد الله أن يستجيب  
له، وقيل: "ادعوني" هنا بمعنى اعبدوني بدليل قوله بعده ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ وقوله ﷺ:  
«الدعاء هو العبادة» ثم تلا هذه الآية. [ابن حبان: 890]، و"أستجب لكم" على هذا القول بمعنى أغفر لكم وأعطيتكم  
أجوركم؛ والأول أظهر، ويكون قوله "يستكبرون عن عبادتي" بمعنى يستكبرون عن الرغبة إلي، كما قال ﷺ:  
«من لم يسأل الله بغضب عليه» [الترمذي: 3733]، وأما قوله ﷺ: «الدعاء هو العبادة»، فمعناه: أن الدعاء والرغبة  
إلى الله هي العبادة؛ لأن الدعاء يظهر فيه افتقار العبد وتضرعه إلى الله. ﴿دَاخِرِينَ﴾ أي: صاغرين. ﴿لِتَسْكُنُوا  
فِيهِ﴾ ذكر في يونس. ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ يعني المستلذات؛ لأنه إذا جاء ذكر الطيبات في معرض الإنعام  
فيراد به المستلذات، وإذا جاء في معرض التحليل والتحريم فيراد به الحلال. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هذا  
متصل بما قبله قال ذلك ابن عطية والزمخشري، وتقديره: ادعوه مخلصين قائلين الحمد لله رب العالمين، ولذلك

ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا  
 وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَقَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَاعْلَمَكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي  
 وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي  
 آيَاتِ اللَّهِ أَنْبَىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٩﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ  
 يَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿١١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ  
 يُسْجَرُونَ ﴿١٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ وَآيِنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿١٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ  
 نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿١٤﴾ ذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ  
 فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿١٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ  
 مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿١٦﴾ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴿١٧﴾ فَإِنَّمَا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ  
 أَوْ نَتَوَقَّئِكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ

قال ابن عباس رضي الله عنه: من قال لا إله إلا الله فليقل الحمد لله رب العالمين، ويحتمل أن يكون الحمد لله استئنافاً. ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ أراد الجنس ولذلك أفرد لفظه مع أن الخطاب لجماعة. ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ﴾ ذكر الأشد في سورة يوسف عليه السلام، واللام تتعلق بفعل محذوف تقديره: ثم يبيحكم لتبلغوا، وكذلك ﴿لِتَكُونُوا﴾، وأما ﴿لِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ فمتعلق بمحذوف آخر تقديره: فعل ذلك بكم لتبلغوا أجلا مسمى وهو الموت أو يوم القيامة. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ يعني كفار قريش، وقيل: هم أهل الأهواء كالقدرية وغيرهم؛ وهذا مردود بقوله. ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ﴾ إلا إن جعلناه منقطعاً عما قبله؛ وذلك بعيد. ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ﴾ العامل في "إذ" "يعلمون"، وجعل الظرف الماضي من موضع المستقبل لتحقيق الأمر. ﴿يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ﴾ أي: يجرون، و"الحميم" الماء الشديد الحرارة. ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ هو من قولك: سجرت التنور إذا ملأته بالنار؛ فالمعنى: أنهم يدخلون فيها كما يدخل الحطب في التنور، ولذلك قال مجاهد في تفسيره: توقد بهم النار. ﴿تَمْرَحُونَ﴾ من المرح وهو الأشر والبطر، وقيل: الفخر والخيلاء. ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ إن قيل: قياس النظم أن يقول: بئس مدخل المتكبرين لأنه تقدم قوله "ادخلوا"، فالجواب: أن الدخول المؤقت بالخلود في معنى الثوى. ﴿فَإِنَّمَا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ أصل "إما نرينك" إن نريك ودخلت "ما" الزائدة بعد "إن" الشرطية، وجواب الشرط محذوف تقديره: إن أريناك بعض الذي نعدهم من العذاب قرت عينك بذلك، وإن توفيناك قبل ذلك فإننا يرجعون فننتقم منهم أشد الانتقام. ﴿مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أن الله تعالى بعث ثمانية آلاف

وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْضِصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ  
 أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ  
 لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ  
 وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَلَمْ  
 يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ  
 قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ  
 فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا  
 قَالُوا ءَأَمْنَا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ  
 لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۗ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

رسول»، وفي حديث آخر: «أربعة آلاف» [الحاكم: 4167]، وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه: «إن الأنبياء مائة ألف وأربع  
 وعشرون ألفاً، وأن الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر» [الحاكم: 4166]، فذكر الله بعضهم في القرآن، فهم الذين قص  
 عليه ولم يذكر سائرهم فهم الذين لم يقصص عليه. «فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ» قال الزمخشري "أمر الله" القيامة، وقال  
 ابن عطية: المعنى إذا أراد الله إرسال رسول قضى ذلك، ويحتمل أن يريد بأمر الله إهلاك المكذبين للرسول لقوله  
 ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ "هنالك" في الموضعين يراد به الوقت والزمان، وأصله ظرف مكان ثم وضع موضع  
 ظرف الزمان. ﴿الْأَنْعَامُ﴾ هي الإبل والبقر والضأن والمعز، فقوله ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾ يعني الإبل، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾  
 يعني اللحوم، والـ ﴿مَنَافِعُ﴾ اللبن والصوف وغير ذلك. ﴿وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً﴾ يعني قطع المسافات البعيدة  
 وحمل الأثقال على الإبل، و﴿تُحْمَلُونَ﴾ يريد الركوب عليها وإنما كثره بعد قوله "لتركبوا منها"؛ لأنه أراد  
 بالركوب الأول المتعارف في القرى والبلدان وبالحمل عليها الأسفار البعيدة، قاله ابن عطية. ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾  
 هذا عموم بعد ما تقدم من الآيات المخصوصة، ولذلك وبخهم بقوله ﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾. ﴿فَرِحُوا بِمَا  
 عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ الضمير يعود على الأمم المكذبين، وفي تفسير علمهم وجوه؛ أحدها: أنه ما كانوا يعتقدون من  
 أنهم لا يبعثون ولا يحاسبون، والثاني: أنه علمهم بمنافع الدنيا ووجوه كسبها، والثالث: أنه علم الفلاسفة الذين  
 يحتقرون علوم الشرائع، وقيل: الضمير يعود على الرسل؛ أي: فرحوا بما أعطاهم الله من العلم بالله وشرائعه،  
 أو بما عندهم من العلم بأن الله ينصرهم على من كذبهم، وأما الضمير في ﴿حَاقَ بِهِمْ﴾ فيعود على الكفار باتفاق؛  
 وذلك يرجح أن يكون الضمير في "فرحوا" يعود عليهم ليتسق الكلام. ﴿سُنَّتَ اللَّهِ﴾ نصب على المصدرية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كَتَبْتُ فَضَّلْتَ - اِيْتُهُ  
 قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾  
 وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنُ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ  
 فَأَعْمَلِ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ وَٱحِدٌ  
 فَٱسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُمْ بِٱلْآخِرَةِ  
 هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ۖ قُلْ أَپَيْنَكُم  
 لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنٍ وَتَجْعَلُونَ لَهُ ءَأْنَدَادًا ۗ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿٩﴾  
 وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِّن فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ

## سورة حم السجدة

﴿فُضِّلْتَ﴾ أي: بينت، وقيل: قطعت إلى سور وآيات. ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ منصوب بفعل مضمر على التخصيص،  
 أو حال، أو مصدر. ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ معناه: يعلمون الأشياء ويعقلون الدلائل إذا نظروا فيها، وذلك هو العلم  
 الذي يوجب التكليف، وقيل: معناه يعلمون الحق وهو الإيوان؛ فالأول عام وهذا خاص، والأول أولى لقوله  
 ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾؛ لأن الإعراض ليس من صفة المؤمنين، وقيل: يعلمون لسان العرب يفهمون القرآن إذ  
 هو بلغتهم، وقوله "لقوم" يتعلق بـ"تنزيل" أو بـ"فضلت"؛ والأحسن أن يكون صفة لـ"كتاب". ﴿فَهُمْ لَا  
 يَسْمَعُونَ﴾ أي: لا يقبلون ولا يطيعون، وعبر عن ذلك بعدم السماع على وجه المبالغة. ﴿فِي أَكِنَّةٍ﴾ جمع كنان  
 وهو الغطاء. ﴿وَمِنُ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ عبارة عن بعدهم عن الإسلام. ﴿فَأَعْمَلِ إِنَّا عَمِلُونَ﴾ قيل: معناه:  
 اعمل على دينك إننا عاملون على ديننا؛ فهو متاركة، وقيل: اعمل في إبطال أمرنا إننا عاملون في إبطال أمرك؛  
 فهو تهديد. ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ﴾ هي زكاة المال، وإنما خصها بالذكر لصعوبتها على الناس، ولأنها من أركان  
 الإسلام، وقيل: يعني بـ"الزكاة" التوحيد؛ وهذا بعيد، وإنما حملة على ذلك لأن الآية مكية ولم تفرض الزكاة إلا  
 بالمدينة، والجواب أن المراد النفقة في طاعة الله مطلقا وقد كانت مأمورا بها بمكة. ﴿أَجْرٌ غَيْرٌ مَّمْنُونٍ﴾ أي: غير  
 مقطوع من قولك: مننت الحبل إذا قطعته، وقيل: غير منقوص، قيل: غير محصور، وقيل: لا يمن عليهم به لأن  
 المن يكدر الإحسان. ﴿ءَأْنَدَادًا﴾ أي: أمثالا وأشباها من الأصنام وغيرها. ﴿رَوَاسِي﴾ يعني الجبال. ﴿وَبَرَكَ  
 فِيهَا﴾ أكثر خيراتها. ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ أي: أرزاق أهلها ومعاشهم، وقيل: يعني أقوات الأرض من المعادن  
 وغيرها من الأشياء التي بها قوام الأرض؛ والأول أظهر. ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ يريد أن الأربعة كملت باليومين

سَوَاءً لِّلسَّالِئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ  
 كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَيْهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ  
 أَمْرَهَا ﴿١٢﴾ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ﴿١٣﴾ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيمِ الْعَلِيمِ ﴿١٤﴾ فَإِنِ  
 أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٥﴾

الأولين فخلق الأرض في يومين، وجعل فيها ما ذكر في يومين فتلك أربعة أيام، وخلق السموات في يومين  
 فتلك ستة أيام حسبما ذكر في مواضع كثيرة من القرآن، ولو كانت هذه الأربعة الأيام زيادة على اليومين  
 المذكورين قبلها لكانت الجملة ثمانية أيام بخلاف ما ذكر في المواضع الكثيرة. «سَوَاءً» بالنصب مصدر تقديره:  
 استوت استواء قاله الزمخشري، وقال ابن عطية: انتصب على الحال. «لِّلسَّالِئِلِينَ» قيل: معناه لمن سأل عن  
 أمرها، وقيل: معناه للطالبيين لها ويعني بالطلب على هذا حاجة الخلق إليها، وحرف الجر يتعلق بمحذوف على  
 القول الأول تقديره: يبين ذلك لمن سأل عنه، ويتعلق بـ"قدر" على القول الثاني. «ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ» أي:  
 قصد إليها، ويقضي هذا الترتيب أن الأرض خلقت قبل السماء، فإن قيل: كيف الجمع بين هذا وبين قوله  
 «وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا»؟ فالجواب: أنها خلقت قبل السماء ثم دحيت بعد ذلك. «وَهِيَ دُخَانٌ» روي:  
 أنه كان العرش على الماء فأخرج إليه من الماء دخان فارتفع فوق الماء، فأبسس الماء فصار أرضاً ثم خلق السماء من  
 الدخان المرتفع. «فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا» هذه عبارة عن لزوم طاعتها كما يقول الملك لمن تحت  
 يده: افعل كذا شئت أو أبيت، أي: لا بد لك من فعله، وقيل: تقديره: ائتي طوعاً وإلا أئتيما كرها، ومعنى هذا  
 الإتيان تصويرهما على الكيفية التي أرادها الله، وقوله لهما "ائتيا" مجاز وهو عبارة عن تكوينه لها، وكذلك قولها  
 «أَتَيْنَا طَائِعِينَ» عبارة عن أنها لم يمتنعاً عليه حين أراد تكوينها، وقيل: بل ذلك كلام حقيقة، وأنطق الله  
 الأرض والسماء بقولها "أئينا طائعين"، وإنما جمع "طائعين" جمع العقلاء لوصفها بأوصاف العقلاء.  
 «فَقَضَاهُنَّ» أي: صنعهن، والضمير للسموات السبع، وانتصابها على التمييز تفسيراً للضمير وأعاد عليها  
 ضمير الجماعة المؤنثة؛ لأنها لا تعقل فهو كقولك: الجذوع انكسرت، وجمعها جمع المذكر العاقل في قوله  
 "طائعين"؛ لأنه وصفها بالطوع وهو فعل العقلاء فعاملها معاملتهم فهو كقوله «رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ»،  
 وأعاد ضمير الثنية في قوله "قالتا" لأنه جعل الأرض فرقة والسماء أخرى. «وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا» أي:  
 أوحى إلى سكانها من الملائكة، وإليها هي نفسها ما شاء من الأمور التي بها قوامها وصلاحتها، وأضاف الأمر  
 إليها لأنه فيها. «وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ» يعني الشمس والقمر والنجوم، وهي زينة للسماء الدنيا  
 سواء كانت فيها أو فيما فوقها من السموات. «وَحِفْظًا» تقديره: وحفظناها حفظاً، ويجوز أن يكون مفعولاً  
 من أجله على المعنى، كأنه قال: وخلقنا المصابيح زينة وحفظاً. «فَإِنِ أَعْرَضُوا» الضمير لقريش. «صَاعِقَةً»

إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ۖ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۗ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا  
لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤٦﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ  
الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۗ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۗ  
وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ  
عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْبَرٌ ۗ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٤٨﴾ وَأَمَّا  
ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ آهُونَ بِمَا  
كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤٩﴾ وَجَبِينَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٥٠﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ أَعْدَاءَ اللَّهِ إِلَى  
الْبَتَارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٥١﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ

يعني وقعة واحدة شديدة، وهي مستعارة من صاعقة النار، وقرئ "صعقة" بإسكان العين وهو الوقعة من قولك: صعق الرجل. ﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ معنى ما "بين أيديهم" المتقدم، ومعنى ما خلف المتأخر، فمعنى الآية: أن الرسل جاؤوهم في الزمان المتقدم، واتصلت نذارتهم إلى زمان عاد وثمود حتى قامت عليهم الحجة بذلك "من بين أيديهم"، ثم جاءتهم رسل آخرون عند اكتمال أعمارهم فذلك "من خلفهم" قاله ابن عطية، وقال الزمخشري: معناه أتوهم من كل جانب فهو عبارة عن اجتهادهم في التبليغ إليهم، وقيل: أخبروهم بما أصاب من قبلهم، فذلك "ما بين أيديهم"، وأنذروهم ما يجري عليهم في الزمان المستقبل وفي الآخرة فذلك "من خلفهم". ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ "أن" حرف عبارة وتفسير أو مصدرية على تقدير: بأن لا تعبدوا إلا الله. ﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ ليس فيه اعتراف الكفار بالرسالة، وإنما معناه بما أرسلتم على قولكم ودعواكم، وفيه تهكم. ﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾ قيل: إنه من الصر وهو شدة البرد فمعناه باردة، وقيل: إنه من قولك: صَرِيصَ إذا صوت فمعناه لها صوت هائل. ﴿فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ﴾ معناه: من النحس وهو ضد السعد، وقيل: شديدة البرد، وقيل: متتابعة؛ والأول أرجح، وروي: أنها كانت آخر شوال من الأربعاء إلى الأربعاء، وقرئ "نحسات" بإسكان الحاء وكسرهما؛ فأما الكسر فجمع نحس وهو صفة، وأما الإسكان فتخفيف من الكسر، أو صفة على وزن فعل، أو وصف بالمصدر. ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ أي: بينا لهم فهو بمعنى البيان لا بمعنى الإرشاد. ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يدفعون بعنف. ﴿وَجُلُودُهُمْ﴾ هي الجلود المعروفة، وقيل: هي كناية عن الفروج؛ والأول أظهر.



بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٦﴾ وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ وَأُولَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٠٧﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَذَلِكَ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ وَأَرْدَيْكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٠٩﴾ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوَى هُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿١١٠﴾ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٢﴾ فَلَنذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٣﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ هُمْ فِيهَا ذَارُ الْخَالِدِ ﴿١١٤﴾ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١١٥﴾

﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ ﴾ الآية، يحتمل أن يكون من كلام الجلود، أو من كلام الله تعالى، أو الملائكة، وفي معناه وجهان؛ أحدهما: لم تقدرُوا أن تستتروا من سمعكم وأبصاركم وجلودكم؛ لأنها ملازمة لكم فلم يمكنكم احتراس من ذلك فشهدت عليكم، والآخر: لم تحفظوا من شهادة سمعكم وأبصاركم وجلودكم؛ لأنكم لم تبالوا بشهادتها، ولم تظنوا أنها تشهد عليكم وإنما استترتم؛ لأنكم ﴿ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ وهذا أزرح لاتساق ما بعده معه، ولما جاء في الحديث الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: اجتمع ثلاثة نفر قرشيان وثقفي، أو ثقيان وقرشي، قليل فقه قلوبهم كثير شحم بطونهم فتحدثوا بحديث، فقال أحدهم: أترى الله يسمع ما قلنا؟ فقال الآخر: إنه يسمع إذا جهرنا ولا يسمع إذا أخفينا، فقال الآخر: إن كان يسمع منا شيئاً فإنه يسمعه كله، فنزلت الآية [البخاري: 9354]. ﴿ أَرَدَاكُمْ ﴾ أي: أهلككم من الردي بمعنى الهلاك. ﴿ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴾ هو من العتبي بمعنى الرضا، أي: إن طلبوا العتبي ليس فيهم من يعطاها. ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ ﴾ أي: يسرنا لهم قرناء سوء من الشياطين وغواة الإنس. ﴿ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ "ما بين أيديهم" ما تقدم من أعمالهم، "وما خلفهم" ما هم عازمون عليه، أو "ما بين أيديهم" من أمر الدنيا، "وما خلفهم" من الآخرة والتكذيب بها. ﴿ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾ أي: سبق القضاء بعذابهم. ﴿ فِي أُمَمٍ ﴾ أي: في جملة أمم، وقيل: "في" بمعنى مع. ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ ﴾ روي: أن قائل هذه المقالة أبو جهل بن هشام لعنه الله. ﴿ وَالْغَوْا فِيهِ ﴾ المعنى: لا تسمعوا إليه وتشاغلوا عند قراءته برفع

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أقدامِنَا  
 لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ  
 أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٧﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي  
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿١٨﴾  
 تُوَلَّوْا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿١٩﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي  
 مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي  
 بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٢١﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا  
 ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٢٢﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ  
 الْعَلِيمُ ﴿٢٣﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ

الأصوات، وإنشاد الشعر وشبه ذلك حتى لا يسمعه أحد، وقيل: معناه قعوا فيه وعيروه. ﴿أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا﴾  
 يقولون هذا إذا دخلوا جهنم، فقولهم مستقبل ذكر بلفظ الماضي لتحققه، ومعنى "الذين أضلنا" كل من أغوانا  
 من الجن والإنس، وقيل: المراد ولد آدم الذي سن القتل وإبليس الذي أمر بالكفر والعصيان؛ وهذا باطل لأن  
 ولد آدم مؤمن عاص وإنما طلب هؤلاء من أضلهم بالكفر. ﴿تَحْتَ أقدامِنَا﴾ أي: في أسفل طبقة من النار.  
 ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ قال أبو بكر الصديق ؓ: المعنى استقاموا على قولهم ربنا الله فصح إيمانهم ودام توحيدهم،  
 وقال عمر بن الخطاب ؓ: المعنى استقاموا على الطاعة وترك المعاصي؛ وقول عمر ؓ: أكمل وأحوط، وقول  
 أبي بكر ؓ: أرجح؛ لما روى أنس ؓ أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية وقال: «قد قالها قوم ثم كفروا، فمن مات  
 عليها فهو ممن استقام» [الترمذي: 3250]، وقال بعض الصوفية: معنى "استقاموا" أعرضوا عما سوى الله؛ وهذه  
 حالة الكمال على أن اللفظ لا يقتضيها. ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ يعني عند الموت. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾ الضمير  
 للآخرة. ﴿مَا تَدْعُونَ﴾ أي: ما تطلبون. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: لا أحد أحسن قولاً منه،  
 ويدخل في ذلك كل من دعا إلى عبادة الله أو طاعته على العموم، وقيل المراد محمد ﷺ، وقيل: المؤذنون؛ وهذا  
 بعيد لأنها مكية وإنما شرع الأذان بالمدينة، ولكن المؤذنون يدخلون في العموم. ﴿وَمَا يُلْقَاهَا﴾ الضمير يعود  
 على الخلق الجميل الذي يتضمنه قوله "ادفع بالتي هي أحسن". ﴿ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ أي: حظ من العقل  
 والفضل، وقيل: حظ عظيم في الجنة. ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ﴾ "إن شرطية دخلت عليها" ما الزائدة، ونزغ الشيطان

وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧﴾ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ  
عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿١٨﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى  
الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لُمُحْيِ الْمَوْتِ  
إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى  
فِي الْبَارِ خَيْرًا مِّن يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢١﴾  
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٢٢﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ  
وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٢٣﴾ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ  
قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾

وساوسه وأمره بالسوء. ﴿الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ الضمير يعود على الليل والنهار والشمس والقمر؛ لأن جماعة ما لا يعقل كجماعة المؤنث أو كالواحدة المؤنثة، وقيل: إنها يعود على الشمس والقمر وجمعها لأن الاثنين جمع؛ وهذا بعيد. ﴿الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ يعني: الملائكة. ﴿لَا يَسْأَمُونَ﴾ أي: لا يملون. ﴿الْأَرْضُ خَاشِعَةٌ﴾ عبارة عن قلة النبات. ﴿اهْتَزَّتْ﴾ ذكر في الحج. ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لُمُحْيِ الْمَوْتِ﴾ تمثيل واحتجاج على صحة البعث. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ أي: يطعنون عليها، وهذا الإلحاد هو بالتكذيب، وقيل: باللغو فيه حسبما تقدم في السورة. ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ﴾ الآية، قيل: إن المراد بالذي "يلقى في النار" أبو جهل، وبالذي ﴿يَأْتِي ءَامِنًا﴾ عثمان بن عفان ؓ، وقيل: عمار بن ياسر ؓ؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ تهديد لا إباحة. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾ "الذكر" هنا القرآن باتفاق، وخبر "إن" محذوف تقديره: ضلوا أو هلكوا، وقيل: خبرها "اولئك ينادون من مكان بعيد"؛ وذلك بعيد. ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ أي: كريم على الله، وقيل: منيع من الشيطان. ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ﴾ أي: ليس فيما تقدمه ما يبطله ولا يأتي بعده ما يبطله، والمراد على الجملة أنه لا يأتيه الباطل من جهة من الجهات. ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ في معناه قولان؛ أحدهما: ما يقول الله لك من الوحي والشرائع إلا مثل ما قال للرسول من قبلك، والآخر: ما يقول لك الكفار من التكذيب والأذى إلا مثل ما قال الأمم المتقدمون لرسولهم؛ فالمراد على هذا تسليية النبي ﷺ بالناسي، والمراد على القول الأول بأنه عليه الصلاة والسلام أتى بها جاءت به الرسل فلا تنكر رسالته. ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ يحتمل أن يكون مستأنفاً أو يكون هو المقول في الآية المتقدمة، وذلك على القول الأول، وأما على القول الثاني

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُضِّلَتْ - آيَاتُهُ ۗ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ  
 ءَامَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ ۗ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۗ أُولَٰئِكَ  
 يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ - آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَآخْتَلَفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ  
 سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٢﴾ مِّنْ عَمَلٍ صَالِحًا  
 فَلِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلِيَهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٣﴾ ۗ إِلَيْهِ يَرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ۗ وَمَا تَخْرُجُ  
 مِنْ ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۗ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ رَّبُّ  
 شُرَكَاءِى قَالُوا ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿١٤﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ

فهو مستأنف منقطع مما قبله. ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُضِّلَتْ - آيَاتُهُ﴾ الأعجمي الذي لا يفصح ولا يبين كلامه سواء كان من العرب أو من العجم، والعجمي الذي ليس من العرب فصيحاً كان أو غير فصيح، ونزلت الآية بسبب طعن قريش في القرآن، فالمعنى: أنه لو كان أعجمياً لطنعوا فيه وقالوا: هلا كان مينا؟ فظهر أنهم يطعنون فيه على أي وجه كان. ﴿ءَاعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ هذا من تمام كلامهم، والهمزة للإنكار، والمعنى: أنه لو كان القرآن أعجمياً لقالوا قرآن أعجمي ورسول عربي أو مرسل إليه عربي، وقيل: إنما طعنوا فيه لما فيه من الكلمات العجمية كـ ﴿سَجِّينَ﴾ و﴿إِسْتَبْرَقَ﴾ فقالوا: قرآن أعجمي وعربي، أي: مختلط من كلام العرب والعجم، وهذا يجري على قراءة "أعجمي" بفتح العين. ﴿فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ عبارة عن إعراضهم عن القرآن، فكأنهم صم لا يسمعون، وكذلك ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ عبارة عن قلة فهمهم له. ﴿أُولَٰئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ فيه قولان؛ أحدهما: أنه عبارة عن قلة فهمهم فشبهم بمن يُنادى من مكان بعيد فهو يسمع الصوت ولا يفقه ما يقال، والثاني: أنه حقيقة في يوم القيامة، أي: ينادون من مكان بعيد لسمع أهل الموقف توبيخهم؛ والأول أليق بالكنيات التي قبلها. ﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ يعني القدر. ﴿إِلَيْهِ يَرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي: علم زمان وقوعها، فإذا سئل أحد عن ذلك قال: الله هو الذي يعلمها. ﴿مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ جمع كَمٍّ بكسر الكاف، وهو غلاف الثمرة قبل ظهورها. ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَاءِى﴾ العامل في "يوم" محذوف والمراد به يوم القيامة، والضمير للمشركين، وقوله "أين شركاءى" توبيخ لهم، وأضاف الشركاء إلى نفسه على زعم المشركين كأنه قال: الشركاء الذين جعلتم لي. ﴿قَالُوا ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾ المعنى: أنهم قالوا أعلمناك ما منا من شهيد اليوم بأن لك شريكاً؛ لأنهم كفروا يوم القيامة بشركائهم. ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: ضل عنهم شركاؤهم بمعنى أنهم لم يروههم حينئذ، ف"ما" على هذا

وَضَنُّوْا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ ﴿١٧﴾ لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيُوسُ قَنُوطٌ ﴿١٨﴾ وَلَيْنَ أَدَقُّنَّهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿١٩﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِنَجَابِهِ، وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٢٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ، مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٢١﴾ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٢٢﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٢٣﴾

موصولة، أو ضل عنهم قولهم الذي كانوا يقولون من الشرك، ف"ما" على هذا مصدرية. ﴿وَضَنُّوْا مَا لَهُمْ مِّنْ مَّحِيصٍ﴾ الظن هنا بمعنى اليقين، والمحيص المهرب، أي: علموا أنهم لا مهرب لهم من العذاب، وقيل: يوقف على "ظنوا" ويكون "ما لهم" استثناءفا؛ وذلك ضعيف. ﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ أي: لا يمل من الدعاء بالمال والعافية وشبه ذلك، ونزلت الآية في الوليد بن المغيرة، وقيل: في غيره من الكفار؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ أي: هذا حقي الواجب لي وليس تفضلا من الله؛ ولا يقول هذا إلا كافر ويدل على ذلك قوله ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾، وقوله ﴿وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ معناه: إن بعثت تكون لي الجنة، وهذا تحرص وتكبر، وروي أن الآية نزلت في الوليد بن المغيرة. ﴿وَنَأَىٰ بِنَجَابِهِ﴾ ذكر في الإسراء. ﴿دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ أي: كثير، وذكر الله هذه الأخلاق على وجه الذم لها. ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ الآية، معناها: أخبروني إن كان القرآن من عند الله ثم كفرتم به أستم في شقاق بعيد، فموضع قوله ﴿مَنْ أَضَلُّ﴾ موضع الخطاب لهم. ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ الضمير لقريش، وفيها ثلاثة أقوال؛ أحدها: أن الآيات "في الافاق" هي فتح الأقطار للمسلمين، والآيات "في أنفسهم" هي فتح مكة، فجمع ذلك وعدا للمسلمين بالظهور وتهديدا للكفار واحتجاجا عليهم بظهور الحق وخمول الباطل، والثاني: أن الآيات "في الافاق" هي ما أصاب الأمم المتقدمين من الهلاك، "وفي أنفسهم" يوم بدر، الثالث: أن الآيات "في الافاق" هي خلقة السماء وما فيها من العبر، والآيات "في أنفسهم" خلقة بني آدم؛ وهذا ضعيف لأنه قال "سنريهم" بسين الاستقبال، وقد كانت خلقة السماء وخلق بني آدم مرثية؛ والأول هو الراجح. ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ الضمير للقرآن أو للإسلام. ﴿مُحِيطٌ﴾ أي: محيط بعلمه وقدرته وسلطانته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ جَمَّ عَسَقٌ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ  
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢﴾ يَكَادُ  
 السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ ۗ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ  
 فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ  
 عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ

## سورة الشورى

﴿حم عسق﴾ الكلام فيه كسائر حروف الهجاء حسبها تقدم في البقرة، وحكى الطبري: أن رجلا سأل ابن عباس رضي الله عنه عن "حم عسق" فأعرض عنه، فقال حذيفة رضي الله عنه: إنسا كرهها ابن عباس؛ لأنها نزلت في رجل من أهل بيته اسمه عبد الله بيني مدينة على نهر من أنهار المشرق، ثم يخسف الله بها في آخر الزمان. والرجل على هذا أبو جعفر المنصور والمدينة بغداد، وقد ورد في الحديث أنها يخسف بها. ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ الكاف نعت لمصدر محذوف، والإشارة بـ"ذلك" إلى ما تضمنه القرآن أو السورة، وقيل: الإشارة إلى قوله "حم عسق" فإن الله أنزل هذه الأحرف بعينها في كل كتاب أنزله؛ وفي صحة هذا نظر. ﴿اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ اسم الله فاعل بـ"يوحى"، وأما على قراءة "يوحى" بالفتح فهو فاعل بفعل مضمر دل عليه "يوحى"، كأن قائله قال: من الذي أوحى؟ فقيل: الله. ﴿يَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ أي: يتشققن من خوف الله وتعظيم جلاله، وقيل: من قول الكفار ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾؛ فهي كالأية التي في مريم، قال ابن عطية: وما وقع للمفسرين هنا من ذكر الثقل ونحوه مردود؛ لأن الله تعالى لا يوصف به. ﴿مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ الضمير لـ"لسموات" والمعنى: يتشققن من أعلاهن، وذلك مبالغة في التهويل، وقيل: الضمير للأرضين وهذا بعيد، وقيل: الضمير للكفار؛ كأنه قال من فوق الجماعات الكافرة التي من أجل أقوالها تكاد السموات يتفطرن؛ وهذا أيضا بعيد. ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ هذا عموم يراد به الخصوص؛ لأن الملائكة إنما تستغفر للمؤمنين من أهل الأرض فهي كقوله ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾، وقيل: إن "يستغفرون للذين آمنوا" نسخ هذه الآية؛ وهذا باطل لأن النسخ لا يدخل في الأخبار، ويحتمل أن يريد بالاستغفار طلب الحلم عن أهل الأرض مؤمنهم وكافرهم، ومعناه الإمهال لهم وأن لا يعاجلوا بالعقوبة؛ فيكون عاما، فإن قيل: ما وجه اتصال قوله "والملائكة يسبحون" الآية بما قبلها؟ فالجواب: أنا إن فسرنا تفطر السموات بأنه من عظمة الله فيكون تسبيح الملائكة أيضا تعظيما له فينتظم الكلام، وإن فسرنا تفطرها بأنه من كفر بني آدم فيكون تسبيح الملائكة تنزيها لله تعالى عن كفر بني آدم وعن أقوالهم القبيحة. ﴿أُمَّ الْقُرَىٰ﴾ هي مكة والمراد أهلها، ولذلك عطف عليه

وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ وَالظَّالِمُونَ مَا هُمْ مِنْ وَلِيِّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٦١﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَالَ اللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٢﴾ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٦٣﴾ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمَنْ آتَاكُمْ مِنْ أَزْوَاجٍ يَذُرُّوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٦٤﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۗ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴿٦٦﴾ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ

﴿ مَنْ حَوْلَهَا ﴾ يعني من الناس. ﴿ يَوْمَ الْجَمْعِ ﴾ يعني يوم القيامة، وسمى بذلك لأن الخلائق يجتمعون فيه. ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا ﴾ "أم" منقطعة والـ "أولياء" هنا المعبودون من دون الله. ﴿ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ أي: ما اختلفتم فيه أنتم والكفار من أمر الدين فحكمه إلى الله؛ بأن يعاقب المبطل ويثيب المحق، أو ما اختلفتم فيه من الخصومات فتحاكموا فيه إلى النبي ﷺ كقوله ﴿ قَرُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾. ﴿ مَنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ يعني الإناث. ﴿ وَمِنْ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ﴾ يحتمل أن يريد الإناث أو الأصناف. ﴿ يَذُرُّوكُمْ فِيهِ ﴾ معناه: يخلقكم نسلا بعد نسل وقرنا بعد قرن، وقيل: يكثركم، والضمير المجرور يعود على الجعل الذي يتضمنه قوله "جعل لكم" وهذا كما تقول: كلمت زيدا كلما أكرمه فيه، وقيل: الضمير للتزويج الذي دل عليه قوله "أزواجا"، وقال الزمخشري: تقديره يذروكم في هذا التدبير وهو أن جعل الناس والأنعام أزواجا، والضمير في "يذروكم" خطاب للناس والأنعام غلب فيه العقلاء على غيرهم، فإن قيل: لم قال "يذروكم فيه" وهلا قال: يذروكم به؟ فالجواب أن هذا التدبير جعل كالمنبع والمعدن للثب والتكثير، قاله الزمخشري. ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ تنزيه لله تعالى عن مشابهة المخلوقين، قال كثير من الناس: الكاف زائدة للتأكيد، والمعنى: ليس مثله شيء، وقال الطبري وغيره: ليست بزائدة ولكن وضع "مثله" موضع هو، والمعنى: ليس كهو شيء، قال الزمخشري: وهذا كما تقول مثلك لا يبخل، والمراد أنت لا تبخل فنفي البخل عن مثله والمراد نفيه عن ذاته. ﴿ مَقَالِيدُ ﴾ قد ذكر. ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ﴾ اتفق دين محمد ﷺ مع جميع الأنبياء في أصول الاعتقادات، وذلك هو المراد هنا ولذلك فسره بقوله ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ﴾ يعني إقامة الإسلام الذي هو توحيد الله وطاعته

كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ وَإِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١١﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مِرْيَبٍ ﴿١٢﴾ فَلِذَلِكَ فَادْعُ ۗ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ۗ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ۗ وَقُلْ - اٰمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ ۗ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ ۗ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۗ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ۗ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ۗ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٣﴾ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٤﴾

والإيمان برسله وكتبه وبالدار الآخرة، وأما الأحكام الفروعية فاختلفت فيها الشرائع فليست تراد هنا. ﴿أَنْ أَقِيمُوا﴾ يحتمل أن يكون في موضع نصب بدلا من قوله "ما وصى"، أو في موضع خفض بدلا من "به"، أو في موضع رفع على خبر ابتداء مضمرة، أو تكون مفسرة لا موضع لها من الإعراب. ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي: صعب الإسلام على المشركين. ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ الضمير في "إليه" يعود على "الله"، وقيل على "الدين". ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾ يعني أهل الأديان المختلفة من اليهود والنصارى وغيرهم. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ﴾ يعني القضاء السابق بأن لا يُفصل بينهم في الدنيا. ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ﴾ يعني المعاصرين لمحمد ﷺ من اليهود والنصارى، وقيل: يعني العرب، و"الكتاب" على هذا هو القرآن. ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ الضمير لـ"الكتاب"، أو لـ"الدين"، أو لمحمد ﷺ. ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ﴾ أي: إلى ذلك الذي شرع الله ادع الناس؛ فاللام بمعنى إلى، والإشارة بـ"ذلك" إلى قوله "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا"، أو إلى قوله "ما تدعوهم إليه"، وقيل: اللام بمعنى من أجل والإشارة إلى التفرق والاختلاف، أي: لأجل ما حدث من التفرق ادع إلى الله، وعلى هذا يكون قوله ﴿وَاسْتَقِمْ﴾ معطوفا، وعلى الأول يكون مستأنفا فيوقف على "فادع". ﴿وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ أي: دم على ما أمرت به من عبادة الله وطاعته وتبليغ رسالته. ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ الضمير للكفار و"أهواءهم" ما كانوا يحبون من الكفر والباطل كله. ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾ قيل: يعني العدل في الأحكام إذا تخاصموا إليه، ويحتمل أن يريد العدل في دعائهم إلى دين الإسلام، أي: أمرت أن أحللكم على الحق. ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: لا جدال ولا مناظرة؛ فإن الحق قد ظهر وأنتم تعاندون. ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ﴾ أي: يجادلون المؤمنين في دين الله ويعني كفار قريش، وقيل: اليهود. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ﴾ الضمير يعود على "الله"، أي: من بعد ما استجاب الناس له ودخلوا في دينه، وقيل: يعود على الدين، وقيل: على محمد ﷺ؛ والأول أحسن وأظهر.



اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿٥﴾ يَسْتَعْجِلُ  
بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۗ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ۗ أَلَا إِنَّ  
الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٦﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ۗ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ ۗ  
وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٧﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ۗ وَمَنْ كَانَ  
يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٨﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا  
لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ  
لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ ۗ  
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ ۗ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ

﴿ حُجَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ ﴾ أي: زاهقة باطلة. ﴿ أَنْزَلَ الْكِتَابَ ﴾ يعني جنس الكتاب. ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ أي: بالواجب أو  
متضمنا للحق. ﴿ وَالْمِيزَانَ ﴾ قال ابن عباس ؓ وغيره: يعني العدل، ومعنى إنزال العدل إنزال الأمر به في  
الكتب المنزلة، وقيل: يعني الميزان المعروف، فإن قيل: ما وجه اتصال ذكر الكتاب والميزان بذكر الساعة؟  
فالجواب أن الساعة يوم الجزاء والحساب، فكأنه قال اعدلوا وافعلوا الصواب قبل اليوم الذي تحاسبون فيه  
على أعمالكم. ﴿ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ جاء "قريب" بالتذكير لأن تأنيث الساعة غير حقيقي، ولأن المراد وقت  
الساعة. ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ﴾ يطلبون تعجيلها استهزاء بها وتعجيزا للمؤمنين. ﴿ يُمَارُونَ ﴾ أي: يجادلون  
ويخالفون. ﴿ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ يعني الرزق الزائد على المضمون لكل حيوان في قوله ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي  
الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ أي: ما تقوم به الحياة؛ فإن هذا على العموم لكل حيوان طول عمره، والزائد  
خاص بمن شاء الله. ﴿ حَرْثَ الْآخِرَةِ ﴾ عبارة عن العمل لها، وكذلك حرث الدنيا وهو مستعار من حرث  
الأرض لأن الحارث يعمل ويتنظر المنفعة بما عمل. ﴿ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ﴾ عبارة عن تضعيف الثواب. ﴿ نُؤْتِهِ  
مِنْهَا ﴾ أي: نؤته منها ما قدر له لأن كل أحد لا بد أن يصل إلى ما قسم له. ﴿ وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾  
هذا للكفار أول من كان يريد الدنيا خاصة ولا رغبة له في الآخرة. ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ ﴾ أم "منقطعة للإنكار،  
والـ"شركاء" الأصنام وغيرها، وقيل: الشياطين. ﴿ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ الضمير في  
"شرعوا" للـ"شركاء" وفي "لهم" للكفار، وقيل: بالعكس؛ والأول أظهر و"لم يأذن" بمعنى لم يأمر، والمراد: ما  
شرعوا من البواطل في الاعتقادات وفي الأعمال كالبحيرة والوصيلة وغير ذلك. ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ ﴾ أي:  
لولا القضاء السابق بأن لا يقضى بينهم في الدنيا لقضى بينهم فيها. ﴿ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ ﴾ يعني في

ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿١٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٨﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَن عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا يَفْعَلُونَ ﴿١٩﴾

الآخرة. ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ﴾ تقديره: يبشر به، وحذف الجار والمجرور. ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ فيه أربعة أقوال؛ الأول: أن "القربى" بمعنى القرابة و"في" بمعنى من أجل، والمعنى: لا أسألكم عليه أجرا إلا أن تودوني لأجل القرابة التي بيني وبينكم؛ فالقصد على هذا استعطاف قريش ولم يكن فيهم بطن إلا وبينه وبين النبي ﷺ قرابة، الثاني: أن "القربى" بمعنى الأقارب، أي: ذوي القربى، والمعنى: إلا أن تودوا أقاربي وتحفظوني فيهم؛ والقصد على هذا وصية بأهل البيت، الثالث: أن "القربى" قرابة الناس بعضهم من بعض، والمعنى: أن تودوا أقاربكم؛ والقصد من هذا وصية بصلة الرحم، الرابع: أن "القربى" التقرب إلى الله، والمعنى: إلا أن تتقربوا إلى الله بطاعته، والاستثناء على القول الثالث والرابع منقطع، وأما على الأول والثاني فيحتمل الانقطاع لأن "المودة" ليست بأجر، ويحتمل الاتصال على المجاز كأنه قال: لا أسألكم أجرا إلا المودة فجعل المودة كالأجر. ﴿يَقْتَرِفُ﴾ أي: يكتسب. ﴿نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ يعني مضاعفة الثواب. ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ "أم" منقطعة للإنكار والتوبيخ. ﴿فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ في المقصد بهذا قولان؛ أحدهما: أنه رد على الكفار في قولهم ﴿افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: لو افترت على الله كذبا لختم على قلبك لكنك لم تفتري عليه كذبا فقد هداك وسددك، والآخر: أن المراد إن يشأ الله يختم على قلبك بالصبر على أقوال الكفار واحتمال أذاهم. ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ هذا فعل مستأنف غير معطوف على الذي قبله؛ لأن الذي قبله مجزوم وهذا مرفوع فيوقف على ما قبله ويبدأ به، وفي المراد به وجهان؛ أحدهما: أنه من تمام ما قبله، أي: لو افترت على الله كذبا لختم على قلبك ومحى الباطل الذي كنت تفتريه لو افترت، والآخر: أنه وعد لرسول الله ﷺ بأن يمحو الله الباطل وهو الكفر. ﴿وَيُحِقُّ الْحَقَّ﴾ وهو الإسلام. ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَن عِبَادِهِ﴾ "عن" هنا بمعنى من، وكأنه قال التوبة الصادرة عن عباده، وقبول التوبة على ثلاثة أوجه؛ أحدها: التوبة من الكفر فهي مقبولة قطعا، والثاني: التوبة من مظالم العباد فهي غير مقبولة حتى يرد المظالم أو يستحل منها، والثالث: التوبة من المعاصي التي بين العبد وبين الله؛ فالصحيح أنها مقبولة بدليل هذه الآية، وقيل: هي في المشيئة. ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ العفو مع التوبة على حسب ما ذكرنا، وأما العفو دون التوبة فهو على أربعة أقسام؛ الأول: العفو

وَسَتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمْ  
 عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢١﴾ \* وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ  
 مَا يَشَاءُ ۗ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٢﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ  
 رَحْمَتَهُ ۗ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٣﴾ وَمِن آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا  
 فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ ۗ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِمَا  
 كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٢٥﴾

عن الكفر وهو لا يكون أصلاً، والثاني: العفو عن مظالم العباد وهو كذلك، والثالث: العفو عن الذنوب  
 الصغائر إذا اجتنبت الكبائر وهو حاصل باتفاق، الرابع: العفو عن الكبائر؛ فمذهب أهل السنة أنه في  
 المشيئة، ومذهب المعتزلة أنها لا تغفر إلا بالتوبة. ﴿وَسَتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ أحدها: أن  
 معنى "يستجيب" يجيب، و"الذين آمنوا" مفعول والفاعل ضمير يعود على الله تعالى، أي: يجيبهم فيما يطلبون  
 منه، وقال الزمخشري: أصله يستجيب للذين آمنوا فحذف اللام، والثاني: أن معناه يجيب و"الذين آمنوا"  
 فاعل، أي: يستجيب المؤمنون لربهم باتباع دينه، والثالث: أن معناه يطلب المؤمنون الإجابة من ربهم،  
 واستفعل على هذا على بابه من الطلب؛ والأول أرجح لدلالة قوله "ويزيدهم من فضله" ولأنه قول ابن  
 عباس ومعاذ بن جبل ؓ. ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ﴾ أي: يزيدهم ما لم يطلبوا زيادة على الاستجابة فيما طلبوا،  
 وهذه الزيادة روي عن النبي ﷺ أنها الشفاعة والرضوان [الطبراني: 10462]. ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا  
 فِي الْأَرْضِ﴾ أي: بغى بعضهم على بعض وطغوا؛ لأن الغنى يوجب الطغيان، وقال بعض الصحابة ؓ: فينا  
 نزلت لأننا نظرنا إلى أموال الكفار فتمنينها. ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ قيل: لعمر ؓ اشتد  
 القحط وقط الناس، فقال: الآن يمطرون وأخذ ذلك من هذه الآية، ومنه قوله ﷺ: «اشتدي أزمة تنفرجي»  
 [القضاعي: 748]. ﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ قيل: يعني المطر فهو تكرر للمعنى الأول بلفظ آخر، وقيل: يعني الشمس،  
 وقيل: بالعموم. ﴿وَمَا بَتَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ لا إشكال لأن الدواب في الأرض، وأما في السماء فليل يعني  
 الملائكة، وقيل: يمكن أن تكون في السماء دواب لا نعلمها نحن، وقيل: المعنى أنه يبت في أحدهما فذكر  
 الاثنين كما تقول: في بني فلان كذا وإنما هو في بعضهم. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ يريد جمع الخلق  
 للحشر يوم القيامة. ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾ المعنى: أن المصائب التي تصيب الناس في  
 أنفسهم وأموالهم إنما هي بسبب الذنوب، قال رسول الله ﷺ: «لا يصيب ابن آدم خدش عود، أو عثرة قدم

وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٦٦﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ؕ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٦٧﴾ أَوْ يُوبِقُهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٦٨﴾ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ﴿٦٩﴾ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٧٠﴾

ولا اختلاج عرق إلا بذنب، وما يعفوا الله عنه أكثر) [نسخ الإيمان: 9815]، وقرئ "بها كسبت" بغير فاء على أن يكون "ما أصابكم" بمعنى الذي، وقرئ بالفاء على أن يكون "ما أصابكم" شرطاً. ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾ قد ذكر. ﴿الْجَوَارِ﴾ جمع جارية وهي السفينة. ﴿كَالْأَعْلَامِ﴾ جمع علم وهو الجبل. ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾ الضمير في "يظللن" للجوارى وفي "ظهره" للبحر، أي: لو أراد الله أن يسكن الرياح لبقيت السفن واقفة على ظهر البحر؛ فالمقصد تعديد النعمة في إرسال الرياح أو تهديد بإسكانه. ﴿أَوْ يُوبِقُهُنَّ بِمَا كَسَبُوا﴾ عطف على "يسكن الرياح"، ومعنى "يوبقهن" يهلكهن بالغرق من شدة الريح العاصفة، والضمير فيه للسفن وفي "كسبوا" لركابها من الناس، والمعنى: أنه لو شاء لأغرقها بذنوب الناس. ﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ أي: يعلمون أنه لا مهرب لهم من الله، وقرئ "يعلم" بالرفع على الاستئناف وبالنصب، واختلف في إعرابه على قولين؛ أحدهما: أنه نصب بإضمار أن بعد الواو لما وقعت بعد الشرط والجزاء لأنه غير واجب، وأنكر ذلك الزمخشري وقال: إنه شاذ فلا ينبغي أن يحمل القرآن عليه، والثاني: قول الزمخشري إنه معطوف على تعليل محذوف تقديره: لينتقم منهم ويعلم قال: ونحوه من المعطوف على التعليل المحذوف كثير في القرآن، ومنه قوله ﴿وَلَتَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ﴾. ﴿كَبَائِرَ الْإِثْمِ﴾ ذكرنا الكبائر في النساء، وقيل "كبائر الإثم" هو الشرك. ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ هو الزنا؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ قيل: يعني الأنصار لأنهم استجابوا لما دعاهم النبي ﷺ إلى الإيمان؛ ويظهر لي أن هذه الآية إشارة إلى ذكر الخلفاء الراشدين ؓ؛ لأنه بدأ أولاً بصفات أبي بكر الصديق ؓ، ثم صفات عمر بن الخطاب ؓ، ثم صفات عثمان بن عفان ؓ، ثم صفات علي بن أبي طالب ؓ فكونه جمع هذه الصفات وربتها على هذا الترتيب يدل على أنه قصد بها من اتصف بذلك؛ فأما صفات أبي بكر ؓ فقولهُ ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ وإنما جعلناها صفة أبي بكر ؓ، وإن كان جميعهم متصفاً بها؛ لأن أبا بكر ؓ كانت له فيها مزية لم تكن لغيره قال رسول الله ﷺ: (لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الأمة لرجح) [مسد: 3875]، وقال ﷺ: «أنا مدينة الإيمان وأبو بكر بابها»، وقال أبو بكر ؓ: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً، والتوكل إنما يقوى بقوة الإيمان،

وَالَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَيْدَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ  
 اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٦٧﴾  
 وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٦٨﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ  
 فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَمَنِ اتَّصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا  
 عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٧٠﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ  
 الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧١﴾ وَلَمَنِ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٧٢﴾

وأما صفات عمر رضي الله عنه فقوله ﴿وَالَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَيْدَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ﴾؛ لأن ذلك هو التقوى، وقد قال رضي الله عنه:  
 «أنا مدينة التقوى وعمر بابها»، وقوله ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾؛ لأن قوله ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا  
 لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ نزلت في عمر رضي الله عنه، وأما صفات عثمان رضي الله عنه فقوله ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾؛ لأن  
 عثمان رضي الله عنه لما دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام تبعه وبادر إلى الإسلام، وقوله ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾؛ لأن  
 عثمان رضي الله عنه كان كثير الصلاة بالليل، وفيه نزلت ﴿أَمَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ الآية، وروي عنه كان يجي الليل  
 بركعة يقرأ فيها القرآن كله، وقوله ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾؛ لأن عثمان رضي الله عنه ولي الخلافة بالشورى، وقوله  
 ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾؛ لأن عثمان رضي الله عنه كان كثير النفقة في سبيل الله ويكفيك أنه جهز جيش العسرة، وأما  
 صفات علي رضي الله عنه فقوله ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾؛ لأنه لما قاتلته الفئة الباغية قاتلها انتصارا  
 للحق، وانظر كيف سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم المقاتلين لعلي رضي الله عنه بالفئة الباغية حسبا ورد في الحديث الصحيح أنه  
 قال لعمار بن ياسر رضي الله عنه: «تقتلك الفئة الباغية» [البخاري: 436]؛ فذلك هو البغي الذي أصابه، وقوله ﴿فَمَنْ عَفَا  
 وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ إشارة إلى فعل الحسن بن علي رضي الله عنه حين بايع معاوية رضي الله عنه، وأسقط حق نفسه ليُصلح  
 أحوال المسلمين ويُقنن دماءهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحسن رضي الله عنه: «إن ابني هذا سيد لعل الله أن يصلح به بين  
 فئتين عظيمتين من المسلمين» [البخاري: 2557]، وقوله ﴿وَلَمَنِ اتَّصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾  
 إشارة إلى انتصار الحسين رضي الله عنه بعد موت الحسن رضي الله عنه وطلبه للخلافة والانتصار من بني أمية، وقوله ﴿إِنَّمَا  
 السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ إشارة إلى بني أمية فإنهم استطالوا على الناس كما جاء في الحديث عنهم  
 أنهم «جعلوا عباد الله خولا ومال الله دولا» [الحاكم: 8475]، ويكفيك من ظلمهم أنهم كانوا يلعنون علي بن أبي  
 طالب رضي الله عنه على منابريهم، وقوله ﴿وَلَمَنِ صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ إشارة إلى صبر أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم على ما نالهم من  
 الضر والذل طول مدة بني أمية. ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ سمي العقوبة باسم الذنب وجعلها مثله تحرزوا

وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلِ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ وَتَرْتَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعِينَ مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴿١٢﴾ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۗ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١٣﴾ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ ۗ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿١٤﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۗ إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلْغُ ۗ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۗ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿١٥﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۗ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿١٦﴾

من الزيادة عليه. ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ هذا يدل على أن العفو عن المظلمة أفضل من الانتصار؛ لأنه ضمن الأجر في العفو، وذكر الانتصار بلفظ الإباحة في قوله ﴿وَلَمَنْ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾، وقيل: إن الانتصار أفضل؛ والأول أصح فإن قيل: كيف ذكر الانتصار في صفات المدح في قوله ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾، والمباح لا مدح فيه ولا ذم؟ فالجواب من ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن المباح قد يمدح لأنه قيام بحق لا بباطل، والثاني: أن مدح الانتصار لكونه كان بعد الظلم تحرزا من بدأ بالظلم فكان المدح إنما هو بترك الابتداء بالظلم، والثالث: إن كانت الإشارة بذلك إلى علي بن أبي طالب ؑ حسبما ذكرنا فانتصاره محمود؛ لأن قتال أهل البغي واجب لقوله تعالى ﴿فَقَاتِلُوا آلِي بَغْيٍ﴾. ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: على النار. ﴿خَاشِعِينَ﴾ عبارة عن الذل والكآبة. ﴿مِنَ الدَّلِّ﴾ يتعلق بـ"خاشعين" أو بـ"ينظرون" وعلى هذا عول الزمخشري. ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ فيه قولان؛ أحدهما: أنه عبارة عن الذل لأن نظر الذليل بمهانة واستكانة، والآخر: أنهم يحشرون عميا فلا ينظرون بأبصارهم وإنما ينظرون بقلوبهم؛ واستبعد هذا ابن عطية والزمخشري، والـ"طرف" يحتمل أن يريد به العين أو يكون مصدرا. ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يتعلق بـ"قال" أو بـ"خسروا". ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ يحتمل أن يكون من كلام الذين آمنوا أو مستأنفا من كلام الله تعالى. ﴿لَا مَرَدَّ لَهُ﴾ ذكر في الروم. ﴿مِنْ نَكِيرٍ﴾ أي: إنكار يعني لا تنكرون أعمالكم. ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا﴾ قدم الإناث اعتناء بهن وتأنيسا لمن وهبهن له، قال واثلة بن الأسقع ؓ: من يئمن المرأة تكبيرها بأنثى

أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَتَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلُ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٩﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ  
 أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٢٠﴾

قبل الذكر لأن الله بدأ بالإناث، وقال بعضهم: نزلت هذه الآية في الأنبياء عليهم السلام فشعيب ولوط كان لهما إناث دون ذكور، وإبراهيم كان له ذكور دون إناث، ومحمد ﷺ جمع بين الإناث والذكور، ويحيى كان عقيماً؛ والظاهر أنها على العموم في جميع الناس إذ كل واحد منهم لا يخلو عن قسم من هذه الأقسام الأربعة التي ذكر، وفي الآية من أدوات البيان التقسيم. ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ الآية، بين الله تعالى فيها كلامه لعباده وجعله على ثلاثة أوجه؛ أحدها: الوحي المذكور أولاً وهو يكون بإلهام أو بتمام، والآخر: بأن يسمعه كلامه من وراء حجاب، والثالث: الوحي بواسطة الملك وهو قوله ﴿أَوْ يُرْسِلُ رَسُولًا﴾ يعني ملكاً. ﴿فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ إلى النبي، وهذا خاص بالأنبياء، والثاني خاص بموسى وبمحمد صلى الله عليه وسلم إذ كلمه الله ليلة الإسراء، وأما الأول فيكون للأنبياء والأولياء كثيراً، وقد يكون لسائر الخلق ومنه ﴿أَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾، ومنه منامات الناس. ﴿أَوْ يُرْسِلُ رَسُولًا﴾ قرئ "يرسل" و"يوحى" بالرفع على تقدير: أو هو يرسل، وبالنصب عطفًا على "وحياً"؛ لأن تقديره: أن يوحى بعطف "أن" على أن المقدره. ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ الروح هنا القرآن، والمعنى: مثل هذا الوحي وهو بإرسال ملك أوحينا إليك القرآن، والأمر هنا يمتثل أن يكون واحد الأمور أو يكون من الأمر بالشيء. ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ المقصد بهذا شيئان؛ أحدهما: تعداد النعمة عليه ﷺ بأن علمه الله ما لم يكن يعلم، والآخر: احتجاج على نبوته لكونه أتى بما لم يكن يعلمه ولا تعلمه من أحد، فإن قيل: أما كونه لم يكن يدري الكتاب فلا إشكال فيه، وأما الإيمان ففيه إشكال لأن الأنبياء مؤمنون بالله قبل بعثهم، فالجواب: أن الإيمان يحتوي على معارف كثيرة، وإنما كمل له معرفتها بعد بعثه، وقد كان مؤمناً بالله قبل ذلك فـ"الإيمان" هنا يعني به كمال المعرفة وهي التي حصلت له بالنبوة. ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا﴾ الضمير للقرآن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍِّّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍِّّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مِهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾

## سورة الزخرف

﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ يعني القرآن، و"المبين" يحتمل أن يكون بمعنى البين أو المُبين لغيره. ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾ "أم الكتاب" اللوح المحفوظ، والمعنى: أن القرآن وصف في اللوح المحفوظ بأنه "علي حكيم"، وقيل: المعنى أن القرآن نسخ بجملته في اللوح المحفوظ ومنه كان جبريل ينقله، فوصفه الله بأنه علي حكيم لكونه مكتوبا في اللوح المحفوظ؛ والأول أظهر وأشهر. ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ الهزمة للإنكار، والمعنى: أنمسك عنكم الذكر، و"نضرب" من قولك أضربت عن كذا إذا تركته، و"الذكر" يحتمل أن يريد به القرآن أو التذكير والوعظ، و"صفحا" فيه وجهان؛ أحدهما: أنه بمعنى الإعراض تقول صفحت عنه إذا عرضت عنه فكأنه قال: أنترك تذكيركم إعراضا عنكم، وإعراب "صفحا" على هذا مصدر من المعنى، أو مفعول من أجله، أو مصدر في موضع الحال، والآخر: أن يكون بمعنى العفو والغفران، فكأنه يقول أنمسك عنكم الذكر عفوًا عنكم وغفرانا لذنوبكم، وإعراب "صفحا" على هذا مفعول من أجله أو مصدر في موضع الحال. ﴿إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ قرئ بكسر الهزمة على الشرط، والجواب في الكلام الذي قبله، وقرئ بالفتح على أنه مفعول من أجله. ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ الضمير لقريش وهم المخاطبون بقوله "ان كنتم قوما مسرفين" فإن قيل: كيف قال "ان كنتم" على الشرط بحرف "إن" التي معناها الشك ومعلوم أنهم كانوا مسرفين؟ فالجواب: أن في ذلك إشارة إلى توبيخهم على الإسراف وتجهيلهم في ارتكابه، فكأنه شيء لا يقع من عاقل فلذلك وضع حرف التوقع في موضع الواقع. ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: تقدم في القرآن ذكر حال الأولين وكيفية هلاكهم لما كفروا. ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ الآية، احتجاج على قريش؛ لأنهم كانوا يعترفون أن الله هو الذي خلق السموات والأرض، وكانوا مع اعترافهم بذلك يعبدون غيره، ومقتضى جوابهم أن يقولوا: خلقهن الله، فلما ذكر هذا المعنى جاءت العبارة عن الله بـ ﴿الْعَزِيمُ الْعَلِيمُ﴾؛ لأن اعترافهم بأنه خلق السموات والأرض يقتضي أن يعترفوا بأنه عزيز عليم، وأما قوله ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ﴾ فهو من كلام الله لا من كلامهم. ﴿مِهَادًا﴾ أي: فراشا على وجه التشبيه. ﴿سُبُلًا﴾ أي: طرقا تمشون



وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُوهَا ﴿٦﴾  
 وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿٧﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ  
 ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا  
 هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿٩﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِن عِبَادِهِ جُزْءًا  
 إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٠﴾ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفِيكُم بِالْبَنِينَ ﴿١١﴾ وَإِذَا بُشِّرَ  
 أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٢﴾ أَوْ مَن يَنْشِؤُا فِي الْحَلِيَّةِ

فيها. ﴿مَاءً بِقَدَرٍ﴾ أي: بمقدار ووزن معلوم، وقيل: معناه بقضاء. ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُوهَا﴾ تمثيل للخروج من القبور بخروج النبات من الأرض. ﴿الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ يعني أصناف الحيوان والنبات وغير ذلك. ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ﴾ الضمير يعود على "ما تركبون". ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾ يحتمل أن يكون هذا الذكر بالقلب أو باللسان، ويحتمل أن يريد النعمة في تسخير هذا المركوب أو النعمة على الإطلاق، وكان بعض السلف إذا ركب قال: الحمد لله الذي هدانا للإسلام ثم يقول: سبحان الذي سخر لنا هذا. ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ أي: مطيقين وغالبين. ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ اعتراف بالحشر، فإن قيل: ما مناسبة هذا للمركوب؟ فالجواب: أن راكب السفينة، أو الدابة متعرض للهلاك بما يخاف من غرق السفينة، أو سقوطه عن الدابة، فأمر بذكر الحشر ليكون مستعداً للموت الذي قد تعرّض له، وقيل: يذكر عند الركوب ركوب الجنّاة. ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِن عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ الضمير في "جعلوا" لكفار العرب، وفي "له" الله تعالى وهذا الكلام متصل بقوله "ولئن سألتهم" الآية، والمعنى: أنهم جعلوا الملائكة بنات الله فكأنهم جعلوا جزءاً من عباده نصيباً له وحظاً دون سائر عباده، وقال الزمخشري: معناه أنهم جعلوا الملائكة جزءاً منه وبعضاً منه كما يكون الولد بضعة من والده وجزءاً منه، وقال بعض اللغويين: الجزء في اللغة الإناث واستشهد على ذلك بيت شعر، قال الزمخشري: وذلك كذب على اللغة والبيت موضوع. ﴿أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ "أم" للإنكار والرد على الذين قالوا إن الملائكة بنات الله، ومعنى ﴿وَأَصْفَاكُمْ﴾ خصكم، أي: كيف يتخذ لنفسه البنات وهن أدنى وأصفاكم بالبنيان وهم أعلا. ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ أي: إذا بشر بالأنثى، وقد ذكر هذا المعنى في النحل، والمراد أنهم يكرهون البنات فكيف ينسبونها إلى الله تعالى، تعالى الله عن قولهم. ﴿أَوْ مَن يَنْشِؤُا فِي الْحَلِيَّةِ﴾ المراد ب"من ينشؤا في الحلية" النساء، و"الحلية" هي الحلي من الذهب والفضة وشبه ذلك، ومعنى ينشؤا فيها يكبر وينبت في استعمالها، وقرئ "ينشؤا" بضم الياء وتشديد الشين بمعنى يربى فيها، والمقصد الرد على الذين

وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿٧٧﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ اِنْتًا  
 اَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿٧٨﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا  
 لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ اِنْ هُمْ وَاِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿٧٩﴾ اَمْ اَتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ  
 مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا اِنَّا وَجَدْنَا اَبَاءَنَا عَلَىٰ اُمَّةٍ وَاِنَّا عَلَىٰ اَثَرِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨١﴾  
 وَكَذٰلِكَ مَا اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ اِلَّا قَالَ مُتْرَفُوها اِنَّا وَجَدْنَا اَبَاءَنَا عَلَىٰ  
 اُمَّةٍ وَاِنَّا عَلَىٰ اَثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ قُلْ اَوْلَوْ جِئْتُكُمْ بِاَهْدٰى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ اَبَاءَكُمْ

قالوا الملائكة بنات الله، كأنه قال: أجعلتم الله من ينشأ في الحلية وتلك صفة النقص، ثم أتبعها بصفة نقص  
 أخرى؛ وهو قوله ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ يعني أن الأنتى إذا خاصمت وتكلمت لم تقدر أن تبين  
 حجتها لنقص عقلها، وقل ما تجد امرأة إلا تفسد الكلام وتخلط المعاني، فكيف ينسب لله من يتصف بهذه  
 النقائص، وإعراب "من ينشؤا" مفعول بفعل مضمرة تقديره: أجعلتم الله من ينشأ، أو مبتدأ وخبره محذوف  
 تقديره: أو من ينشأ في الحلية خصصتم به الله. ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ اِنْتًا﴾ الضمير في  
 "جعلوا" لكفار العرب فحكى عنهم ثلاثة أقوال شنيعة؛ أحدها: أنهم نسبوا إلى الله الولد، والآخر: أنهم  
 نسبوا إليه البنات دون البنين، والثالث: أنهم جعلوا الملائكة المكرمين إناثا، وقرئ "عند الرحمن" بالنون،  
 والمراد به قرب الملائكة وتشريفهم كقوله ﴿الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾، وقرئ "عباد" بالباء جمع عبد، والمراد به أيضا  
 الاختصاص والتشريف. ﴿اَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ﴾ هذا رد على العرب في قولهم إن الملائكة إناث، والمعنى: أنهم  
 لم يشهدوا خلق الملائكة فكيف يقولون ما ليس لهم به علم. ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ أي: تكتب  
 شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة، ويسألون عنها يوم القيامة. ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾  
 الضمير في "قالوا" للكفار وفي "عبادناهم" للملائكة، وقال ابن عطية: للأصنام؛ والأول أظهر وأشهر، والمعنى:  
 احتجاج احتجاج به الذين عبدوا الملائكة؛ وذلك أنهم قالوا لو أراد الله أن لا نعبدهم ما عبدناهم، فكونه يمهلنا  
 وينعم علينا دليل على أنه يرضى عبادتنا لهم، ثم رد الله عليهم بقوله ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ يعني أن قولهم بغير  
 دليل ولا حجة، وإنما هو تخرص منهم. ﴿اَمْ اَتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: من قبل القرآن، وهذا أيضا رد عليهم  
 لكونهم ليس لهم كتاب يتمسكون به، ﴿بَلْ قَالُوا اِنَّا وَجَدْنَا اَبَاءَنَا عَلَىٰ اُمَّةٍ﴾ أي: على دين وطريقة، والمعنى أنهم  
 ليس لهم حجة وإنما هم يقلدون آباءهم. ﴿وَكَذٰلِكَ مَا اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ الآية، معناها: كما اتبع هؤلاء الكفار  
 آباءهم بغير حجة كذلك اتبع كل من قبلهم من الكفار آباءهم بغير حجة؛ بل بمجرد التقليد المذموم. ﴿قُلْ اَوْلَوْ  
 جِئْتُكُمْ بِاَهْدٰى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ اَبَاءَكُمْ﴾ هذا رد على الذين اتبعوا آباءهم، والمعنى: أتبعونهم ولو جئتكم

قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٦﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٧﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿١٨﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴿١٩﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٠﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٢٣﴾

بدين أهدي من الدين الذي وجدتم عليه آباءكم، وقرئ "قال أولو جئتكم" والفاعل ضمير يعود على الـ "نذير" المتقدم، وأما قراءة "قل" بالأمر فهو خطاب لمحمد ﷺ أمره الله أن يقول ذلك لقريش، وقيل: هو الـ "نذير" المتقدم أمره الله أن يقول ذلك لقومه؛ والأول أظهر وعلى هذا تكون هذه الجملة اعتراضاً بين قصة المتقدمين، فإن قوله ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ حكاية عن الكفار المتقدمين، وكذلك قوله ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ يعني من المتقدمين. ﴿إِنِّي بَرَاءٌ﴾ أي: بريء، و"براء" في الأصل مصدر ثم استعمل صفة؛ ولذلك استوى فيه الواحد والاثان والجماعة كعدل وشبهه. ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ يحتمل أن يكون استثناء منقطعاً؛ وذلك إن كانوا لا يعبدون الله، أو يكون متصلاً إن كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره، وإعرابه على هذا بدل "مما تعبدون" فهو في موضع خفض، أو منصوب على الاستثناء فهو في موضع نصب. ﴿سَيِّدِي﴾ قال هنا "سيهدين"، وقال مرة أخرى ﴿فَهُوَ يَهْدِي﴾ ليدل على أن الهداية في الحال والاستقبال. ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ ضمير الفاعل في "جعلها" يعود على إبراهيم عليه السلام، وقيل: على الله تعالى؛ والأول أظهر، والضمير المؤنث المفعول يعود على الكلمة التي قالها وهي "إني براء مما تعبدون"، ومعناها التوحيد؛ ولذلك قيل: يعود على الإسلام لقوله ﴿هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾، وقيل: يعود على لا إله إلا الله؛ والمعنى متقارب، أي: جعل إبراهيم تلك الكلمة باقية في ذريته لعل من أشرك منهم يرجع إلى التوحيد، والعقب هو الولد وولد الولد ما تناسلوا أبداً. ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ﴾ الإشارة بـ "هؤلاء" إلى قريش، وهذا الكلام متصل بما قبله لأن قريشا من عقب إبراهيم عليه السلام؛ فالمعنى: لكن هؤلاء ليسوا بمن بقيت الكلمة فيهم بل تمتعتهم بالنعم والعافية فلم يشكروا عليها واشتغلوا بها عن عبادة الله. ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ وهو محمد ﷺ. ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ الضمير في "قالوا" لقريش، والقريتان مكة والطائف، و"من القريتين" معناه: من إحدى القريتين كقوله ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ أي: من أحدهما، وقيل: معناه على رجل من رجلين من القريتين؛ فالرجل الذي من مكة الوليد بن المغيرة، وقيل: عتبة بن ربيعة، والرجل الذي من الطائف: عروة بن مسعود، وقيل: حبيب بن عمير؛ ومعنى الآية:

أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۗ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَرَفَعْنَا  
بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا  
يَجْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ  
سُقْفًا مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٢١﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ  
﴿٢٢﴾ وَزُخْرَفًا ۗ وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ  
﴿٢٣﴾ وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٢٤﴾

أن قریشا استبعدوا نزول القرآن على محمد ﷺ واقترحوا أن ينزل على أحد هؤلاء، ووصفوه بالعظمة يعنون  
الرئاسة في قومه وكثرة ماله؛ فرد الله عليهم بقوله ﴿أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ يعني أن الله يخص بالنبوة  
من شاء من عباده على ما تقتضيه حكمته وإرادته، وليس ذلك بتدبير المخلوقين ولا بإرادتهم، ثم أوضح  
ذلك بقوله ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: كما قسمنا المعاش في الدنيا كذلك قسمنا  
المواهب الدينية، وإذا كنا لم نهمل الحظوظ الفانية الحقيرة فأولى وأحرى أن لا نهمل الحظوظ الشريفة الباقية.  
﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ هو من التسخير في الخدمة؛ أي: رفعنا بعضهم فوق بعض ليعلم بعضهم  
بعضاً. ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ هذا تحقير للدنيا، والمراد بـ"رحمت ربك" هنا النبوة، وقيل: الجنة.  
﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ الآية، تحقير أيضاً للدنيا، ومعناها: لولا أن يكفر الناس كلهم لجعلنا  
للكفار ﴿سُقْفًا مِّنْ فَضَّةٍ﴾، وذلك هو ان الدنيا على الله كما قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تزن عند الله  
جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء» [الترمذي: 2320]. ﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ المعارج الأدراج  
والسلام، ومعنى "يظهرون" يرتفعون، ومنه ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾، والـ﴿سُرُرًا﴾ جمع سرير،  
والـ﴿زُخْرَفٌ﴾ الذهب، وقيل: أثاث البيت من الستور والنفارق وشبه ذلك، وقيل: هو التزيق والنقش  
وشبه ذلك من التزيين كقولك ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾. ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ  
نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا﴾ "يعش" من قولك عشى الرجل إذا أظلم بصره، والمراد به هنا ظلمة القلب والبصيرة، وقال  
الزخشي: يعشى بفتح الشين إذا حصلت الآفة في عينه، ويعشو بضم الشين إذا نظر نظر الأعشى وليس به  
آفة، فالفرق بينهما كالفرق بين قولك عمى وتعمى؛ فمعنى القراءة بالضم يتجاهل ويحدد مع معرفته بالحق،  
والأظهر أن ذلك عبارة عن الغفلة وإهمال النظر، و"ذكر الرحمن" قال الزخشي: يريد به القرآن، وقال ابن  
عطية: يريد به ما ذكر الله به عباده من المواعظ؛ فالمصدر مضاف إلى الفاعل؛ ويحتمل عندي أن يريد ذكر  
العبد لله، ومعنى الآية: أن من غفل عن ذكر الله يسر الله له شيطاناً يكون له قريناً، فتلك عقوبة على الغفلة

وَأَنَّهُمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٧٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ  
بَنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٧٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ  
فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٧٩﴾ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ  
مُّبِينٍ ﴿٨٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿٨١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ  
فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴿٨٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ  
﴿٨٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ

عن ذكر الله بتسليط الشيطان كما أن من تمادى على الذكر ودام عليه تباعد عنه الشيطان. ﴿وَأَنَّهُمْ لِيَصُدُّوهُمْ  
عَنِ السَّبِيلِ﴾ الضمير في "إنهم" للشياطين، وضمير المفعول في "يصدونهم" لـ "من يعيش عن ذكر الرحمن"  
وجمع الضميرين لأن المراد جمع. ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا﴾ قرئ بضمير الاثنين وهما من يعيش وشيطانه، وقرئ  
بغير ألف على أنه ضمير واحد وهو "من يعيش"، والضمير في ﴿قَالَ﴾ لـ "من يعيش"، وقيل: لشيطانه. ﴿بُعْدَ  
الْمَشْرِقَيْنِ﴾ فيه قولان؛ أحدهما: أنه يعني المشرق والمغرب وغلب أحدهما في التثنية كما قيل القمران،  
والآخر: أنه يعني المشرقين والمغربين وحذف المغربين لدلالة المشرقين عليه. ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَلَمْتُمْ  
أَنكُم فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ هذا كلام يقال للكفار في الآخرة، ومعناه: أنهم لا ينفعهم إشراكهم في العذاب،  
ولا يجدون راحة التأسى التي يجدها المكروب في الدنيا إذا رأى غيره قد أصابه مثل الذي أصابه، والفاعل  
بـ "ينفعكم" قوله "أنكم في العذاب مشتركون"، و"إذ ظلمتم" تعليل معناه بسبب ظلمكم، وقيل: الفاعل  
مضمر؛ وهو التبري الذي يقتضيه قوله "يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين"، و"أنكم" على هذا تعليل؛ والأول  
أرجح. ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ الآية، خطاب للنبي ﷺ، والمراد بـ "الصم" و "العمي" الكفار إذ كانوا لا  
يعقلون براهين الإسلام. ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ "إما" مركبة من إن الشرطية وما الزائدة،  
ومقصد الآية وعيد للكفار، والمعنى: إن عجلنا وفاتك قبل الانتقام منهم فإننا سنتقم منهم بعد وفاتك، وإن  
أخرنا وفاتك إلى حين الانتقام منهم فإننا عليهم مقتدرون، وهذا الانتقام يحتمل أن يريد به قتلهم يوم بدر  
وفتح مكة، وشبه ذلك من الانتقام في الدنيا أو يريد به عذاب الآخرة، وقيل: إن الضمير في "منهم منتقمون"  
للمسلمين، وإن معنى ذلك أن الله قضى أن ينتقم منهم بالفتن والشدائد، وأنه أكرم نبيه عليه الصلاة والسلام  
بأن توفاه قبل أن يرى الانتقام من أمته؛ والأول أظهر وأشهر. ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ الضمير في "إنه"  
للقرآن أو للإسلام، والـ "ذكر" هنا بمعنى الشرف، وقوم النبي ﷺ هم قريش ثم سائر العرب، فإنهم نالوا  
بالإسلام شرف الدنيا والآخرة، ويكفيك أن فتحوا مشارق الأرض ومغاربها، وصارت فيهم الخلافة والملك،

وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿١١﴾ وَسَلَّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ  
 إِلَهَةً يُعْبَدُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ  
 رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿١٤﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا  
 هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرِ  
 ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهَدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ  
 يَنْكُثُونَ ﴿١٧﴾ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ

وورد عن ابن عباس ؓ أنه لما نزلت هذه الآية علم رسول الله ﷺ أن الأمر بعده لقريش، ويحتمل أن يريد  
 بالـ"ذكر" التذكير والموعظة، فـ"قومه" على هذا أمته كلهم وكل من بعث إليهم. ﴿وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ أي:  
 تستلون عن العمل بالقرآن وعن شكر الله عليه. ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ إن قيل: كيف  
 أمر النبي ﷺ أن يسأل الرسل المتقدمين وهو لم يدركهم؟ فالجواب أن فيه ثلاثة أقوال؛ الأول: أنه رآهم ليلة  
 الإسراء، الثاني: أن المعنى فاسأل أمة من أرسلنا قبلك، الثالث: أنه لم يرد سؤالهم حقيقة، وإنما المعنى أن  
 شرائعهم متفقة على توحيد الله بحيث لو سئلوا: هل مع الله ﴿إِلَهَةٌ يُعْبَدُونَ﴾ لأنكروا ذلك ودانوا بالتوحيد.  
 ﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ الآيات هنا المعجزات؛ كقلب العصا حية، وإخراج اليد بيضاء،  
 وقيل: البراهين والحجج العقلية؛ والأول أظهر، ومعنى "أكبر من اختها" أنها في غاية الكبر والظهور ولم يرد  
 تفضيلها على غيرها من الآيات، إنما المعنى أنها إذا نظرت ووجدت كبيرة وإذا نظرت غيرها وجدت كبيرة، فهو  
 كقول الشاعر:

من تلق منهم تقل لا قيت سيدهم

هكذا قال الزمخشري، ويحتمل عندي أن يريد ما نريهم من آية إلهي أكبر مما تقدمها فالمراد أكبر من اختها  
 المتقدمة عليها. ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرِ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ ظاهر كلامهم هذا التناقض؛ فإن قولهم "يا أيه الساحر"  
 يقتضي تكذيبه، وقولهم "ادع لنا ربك" يقتضي تصديقه؛ والجواب من وجهين؛ أحدهما: أن القائلين لذلك  
 كانوا مكذبين، وقولهم "ادع لنا ربك" يريدون على قولك وزعمك، وقولهم ﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ وعدنوا  
 خلافه، والآخر: أنهم كانوا مصدقين، وقولهم "يا أيه الساحر" إما أن يكون عندهم غير مذموم؛ لأن السحر  
 كان علم أهل زمانهم وكانهم قالوا: يا أيها العالم، وإما أن يكون ذلك اسماً قد ألفوا تسمية موسى به من أول  
 ما جاءهم فنطقوا به بعد ذلك من غير اعتقاد معناه. ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ﴾ يحتمل أنه ناداهم بنفسه أو  
 أمر منادياً ينادي فيهم. ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ قصد بذلك الافتخار على موسى، و"مصر" هو

وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي ۗ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ ۗ وَلَا يَكَادُ يُبَيِّنُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ وَأَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ \* وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصُدُّونَ ﴿٥٧﴾

البلد المعروف وما يرجع إليه، ومنتهى ذلك من نهر الإسكندرية إلى أسوان بطول النيل. ﴿وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ يعني الخلدجان الكبار الخارجة من النيل كانت تجري تحت قصوره، وأعظمها أربعة أنهار نهر الإسكندرية، وتينس، ودمياط، ونهر طولون. ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾ مذهب سيويه أن "أم" هنا متصلة معادلة، والمعنى: أفلا تبصرون أم تبصرون، ثم وضع قوله "أنا خير" موضع "تبصرون"؛ لأنهم إذا قالوا له أنت خير فهم عنده بصراء وهذا من وضع السبب موضع المسبب، وقيل: الأصل أن يقول أفلا تبصرون أم تبصرون ثم اقتصر على "أم" وحذف الفعل الذي بعدها، واستأنف قوله "أنا خير" على وجه الإخبار، ويوقف على هذا القول على "أم" وهذا ضعيف، وقيل "أم" بمعنى بل فهي منقطعة. ﴿مَهِينٌ﴾ أي: ضعيف حقير؛ قاله الزمخشري وغيره. ﴿وَلَا يَكَادُ يُبَيِّنُ﴾ إشارة إلى ما بقي في لسان موسى من أثر الجمره، وذلك أنها كانت قد أحدثت في لسانه عقدة، فلما دعا أن نُحَلَّ أجيبته دعوته وبقي منها أثر كان معه لكن، وقيل: هي العي في الكلام، وقوله "ولا يكاد يبين" يقتضي أنه كان يبين لأن كاد إذا نفيت تقتضي الإثبات. ﴿فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ﴾ يريد لولا ألقاها الله إليه كرامة له ودلالة على نبوته، وال"أسورة" جمع سوار أو أسوار وهو ما يجعل في الذراع من الخلي، وكان الرجال حينئذ يجعلونه. ﴿مُقْتَرِنِينَ﴾ أي: مقترنين به لا يفارقونه أو متقارنين بعضهم مع بعض ليشهدوا له وقيموا الحجة. ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ﴾ أي: طلب خفتهم بهذه المقالة واستهوى عقولهم. ﴿آسَفُونَا﴾ أي: أغضبونا. ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ السلف بفتح السين واللام جمع سالف، وقرئ بضمهما جمع سليف، ومعناه متقدم، أي: تقدم قبل الكفار ليكون موعظة لهم ومثلاً يعتبرون به لئلا يصيبهم مثل ذلك. ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصُدُّونَ﴾ روي عن ابن عباس ؓ وغيره في تفسير هذه الآية: أنه لما نزل في القرآن ذكر عيسى ابن مريم والثناء عليه قالت قريش: ما يريد محمد إلا أن نعبده نحن كما عبدت النصارى عيسى؟ فهذا كان صدودهم من ضربه مثلاً حكى ذلك ابن عطية، والذي ضرب المثل على هذا هو الله في القرآن، و"يصدون" بمعنى يعرضون، وقال الزمخشري: لما قرأ رسول الله ﷺ على قريش ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ امتعضوا

وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا  
عَبْدٌ أُنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ  
يَخْلُقُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرَنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾

من ذلك فقال عبد الله بن الزبيري: أخاصة لنا ولأهتنا أم لجميع الأمم؟ فقال ﷺ: «هو لكم ولأهنتكم  
ولجميع الأمم» فقال: خصمتك ورب الكعبة ألسنت تزعم أن عيسى ابن مريم نبي وتثني عليه خيرا، وقد  
علمت أن النصرى عبده، فإن كان عيسى في النار فقد رضينا أن نكون نحن وأهتنا معه؟ ففرحت قريش  
بذلك وضحكوا وسكت النبي ﷺ فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾،  
ونزلت هذه الآية [الواحي: 421]. فالمعنى على هذا: لما ضرب ابن الزبيري عيسى مثلا وجادل رسول الله ﷺ  
بعبادة النصرى إياه "إذا" قريش من هذا المثل "يصدون"؛ أي: يضحكون ويصيحون من الفرح، وهذا  
المعنى إنما يجري على قراءة "يصدون" بكسر الصاد بمعنى الضجيج والصياح. ﴿وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾  
يعنون ب"هو" عيسى، والمعنى: أنهم قالوا أهتنا خير أم عيسى؟ فإن كان عيسى يدخل النار فقد رضينا أن  
نكون نحن وأهتنا معه لأنه خير من أهتنا، وهذا الكلام من تمام ما قبله على ما ذكر الزمخشري في تفسير الآية  
التي قبله، وأما على ما ذكر ابن عطية فهو ابتداء معنى آخر، وحكى الزمخشري في معنى هذه الآية قولا آخر:  
وهو أنهم لما سمعوا ذكر عيسى قالوا: نحن أهدى من النصرى لأنهم عبدوا آدميا ونحن عبدنا الملائكة،  
وقالوا: أهتنا - وهم الملائكة - خير أم عيسى؟ فقصدهم تفضيل أهتهم على عيسى، وقد قيل: إن قولهم "أم  
هو" يعنون به محمدا ﷺ، فإنهم لما قالوا: إنما يريد محمد أن نعبد كما عبدت النصرى عيسى قالوا أهتنا خير  
أم هو؟ ويريدون تفضيل أهتهم على محمد؛ والأظهر أن المراد ب"هو" عيسى وهو قول الجمهور، ويدل على  
ذلك تقدم ذكره. ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ أي: ما ضربوا لك هذا المثل إلا على وجه الجدل، وهو أن  
يقصد الإنسان أن يغلب من يناظره سواء غلبه بحق أو بباطل، فإن ابن الزبيري وأمثاله ممن لا يخفى عليه أن  
عيسى لم يدخل في قوله تعالى "حصب جهنم"، ولكنهم أرادوا المغالطة فوصفهم الله بأنهم ﴿قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾.  
﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أُنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ يعني عيسى، والإنعام عليه بالنبوة والمعجزات وغير ذلك. ﴿وَلَوْ نَشَاءُ  
لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ في معناها قولان؛ أحدهما: لو نشاء لجعلنا بدلا منكم ملائكة  
يسكنون في الأرض ويخلقون فيها بني آدم، فقوله "منكم" يتعلق ببطل المحذوف أو ب"يخلقون"، والآخر: "لو  
نشاء لجعلنا منكم" أي: لولدنا منكم أولادا ملائكة يخلقونكم في الأرض كما يخلقكم أولادكم؛ فإنا قادرين  
على أن نخلق من أولاد الناس ملائكة فلا تنكروا أن خلقنا عيسى من غير والد، حكى ذلك الزمخشري.  
﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ الضمير لعيسى، وقيل: لمحمد ﷺ، وقيل: للقرآن؛ فأما على القول بأنه لعيسى أو



وَلَا يَصُدَّنْكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْيَوْمِ ﴿٢٤﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ إِلَّا خِلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٢٦﴾ يَعْجَادِي لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِعَايَتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢٨﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٢٩﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٠﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣١﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٣٣﴾ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ وَنَادَاوَا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ ﴿٣٦﴾ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٣٧﴾

لمحمد ﷺ، فالمعنى: أنه شرط من أشراف الساعة يوجب العلم بها فسمى الشرط علما لحصول العلم به، ولذلك قرئ "العلم" بفتح العين واللام، أي: علامة، وأما على القول بأنه للقرآن فالمعنى أنه يعلمكم بالساعة. ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ إنما يبين البعض دون الكل؛ لأن الأنبياء إنما يبينون أمور الدين لا أمور الدنيا، وقيل: "بعض" بمعنى كل؛ وهو ضعيف. ﴿فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾ ذكر في مريم. ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾ أي: ينتظرون، والضمير لقريش أو للأحزاب. ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ "الأخلاء" جمع خليل وهو الصديق، وإنما يعادي الخليل خليله يوم القيامة؛ لأن الضرر دخل عليه من صحبته، ولذلك استثنى ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ لأن النفع دخل على بعضهم من بعض. ﴿يَا عِبَادِي﴾ الآية، تقديرها: يقول الله للمتقين يوم القيامة ﴿يَا عِبَادِي لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾. ﴿تُحْبَرُونَ﴾ أي: تنعمون وتسرون. ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ أي: يئسسون من الخير. ﴿وَنَادَاوَا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ المعنى: أنهم طلبوا الموت ليستريحوا من العذاب، وروي أن مالكا يبقى بعد ذلك ألف سنة وحينئذ يقول لهم ﴿إِنَّكُمْ مَا كِيدُونَ﴾ أي: دائمون في النار. ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ﴾ الآية، من كلام الله تعالى لأهل النار أو من كلام الله لقريش في الدنيا.

أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٦﴾ أَمْ تَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا  
لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٧٧﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٧٨﴾ سُبْحَانَ رَبِّ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٧٩﴾ فَذَرَهُمْ نَحْوَصُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلْقُوا  
يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٨٠﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ  
الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ وَتَبَرَّكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ  
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٢﴾

﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ الضمير لكفار قريش، والمعنى: أم أحكموا كيدا للنبي ﷺ فإنما محكمون نصره  
وحمايته. ﴿أَمْ تَحْسِبُونَ﴾ الآية، روي أنها نزلت في الأخنس بن شريق والأسود بن عبد يغوث اجتماعا فقال  
الأخنس: أتري الله يسمع سرنا؟ فقال الآخر: يسمع نجوانا ولا يسمع سرنا. ﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ السر ما  
حدث الإنسان به نفسه أو غيره في خفية، والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم. ﴿بَلَىٰ﴾ أي: نسمع. ﴿وَرُسُلْنَا﴾  
مع ذلك تكتب ما يقولون، والرسول هنا الملائكة الحافظون للأعمال. ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ  
الْعَابِدِينَ﴾ في تأويل الآية أربعة أقوال؛ الأول: أنها احتجاج ورد على الكفار على تقدير قولهم، ومعناها: لو  
كان للرحمن ولد كما يقول الكفار لكنت أنا أول من يعبد ذلك الولد، كما يعظم خدم الملك ولد الملك لتعظيم  
أبيه، ولكن ليس للرحمن ولد فلست بعباد إلا الله وحده، وهذا نوع من الأدلة يسمى دليل التلازم، لأنه علق  
عبادة الولد بوجوده ووجوده محال فعبادته محال، ونظير هذا أن يقول المالكي إذا قصد الرد على الحنفي في  
تحليل النبيذ: إن كان النبيذ غير مسكر فهو حلال لكنه مسكر فهو حرام، القول الثاني: أن المعنى إن كان  
للرحمن ولد فأنا أول من عبد الله ووحدته وكذبكم في قولكم إن له ولدا، و"العابدين" على هذين القولين  
بمعنى العبادة، القول الثالث: أن "العابدين" بمعنى المنكرين يقال: عبد الرجل إذا أنف وأنكر الشيء،  
والمعنى: إن زعمتم أن للرحمن ولدا فأنا أول المنكرين لذلك، و"إن" على هذه الأقوال الثلاثة شرطية، القول  
الرابع: قال قتادة وابن زيد: "إن" هنا نافية بمعنى ما كان للرحمن ولد وتم الكلام ثم ابتداء قوله "فأنا أول  
العابدين"؛ والقول الأول هو الصحيح لأنه طريقة معروفة في البراهين والأدلة وهو الذي عول عليه  
الزمخشري، وقال الطبري: هو ملاطفة في الخطاب ونحوه قوله تعالى ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ  
مُّبِينٍ﴾، وقال ابن عطية: منه قوله تعالى في مخاطبة الكفار ﴿أَيِّنَّ شُرَكَائِي﴾ يعني شركائي على قولكم.  
﴿فَذَرَهُمْ﴾ الآية، موادة منسوخة بالسيف. ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ أي: هو إله أهل  
الأرض وأهل السماء، والمجرور يتعلق ب"إله" لأن فيه معنى الوصفية. ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي: علم

وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾  
 وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٢﴾ وَقِيلَهُ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ  
 قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٣﴾ فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾

زمان وقوعها. ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ﴾ أي: لا يملك كل من عبد من دون الله أن يشفع عند الله؛ لأن الله لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه فهو المالك للشفاعة وحده. ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ اختلف هل يعني بـ"من شهد بالحق" الشافع أو المشفوع فيه؟ فإن أراد المشفوع فيه فالاستثناء منقطع، والمعنى: لا يملك المعبودون شفاعته لكن من شهد بالحق وهو عالم به فهو الذي يشفع فيه، ويحتمل على هذا أن يكون "من شهد" مفعولا بالشفاعة على إسقاط حرف الجر تقديره: الشفاعه فيمن شهد بالحق، وإن أراد بـ"من شهد" الشافع فيحتمل أن يكون الاستثناء منقطعا، وأن يكون متصلا إلا فيمن عبد عيسى والملائكة، والمعنى على هذا: لا يملك المعبودون شفاعته إلا من شهد منهم بالحق. ﴿وَقِيلَهُ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ القيل مصدر كالقول، والضمير يعود على النبي ﷺ، وقرئ "وقيله" بالنصب والخفض، وقرئ في غير السبع بالرفع؛ فأما النصب فليل: هو معطوف على "سرههم ونجواهم"، وقيل: هو معطوف على موضع "الساعة" لأنها مفعول أضيف إلى المصدر، وقيل: معطوف على مفعول "يكتبون" وهو محذوف تقديره: يكتبون أقوالهم وقيله، وأما خفض فليل: إنه معطوف على لفظ "الساعة"، ويحتمل أن يكون معطوفا على قوله "بالحق"، وأما الرفع فليل: إنه مبتدأ وخبره ما بعده؛ وضعف الزمخشري ذلك كله وقال: إنه من باب القسم فالنصب والخفض على إضمار حرف القسم كقولك: الله لأضربن زيدا، والرفع كقولهم: أيمن الله ولعمرك، وجواب القسم قوله "إن هؤلاء قوم لا يؤمنون"، كأنه قال: أقسم بقيله إن هؤلاء قوم لا يؤمنون. ﴿فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ منسوخ بالسيف. ﴿وَقُلْ سَلِّمْ﴾ تقديره أمري سلام، أي: مسالمة، وقيل: سلام عليكم على جهة المواعدة؛ وهو منسوخ على الوجهين. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾

## سورة الدخان

﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ ذكر في الزخرف، وهو قسم جوابه "إنا أنزلناه"، وقيل ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ وهذا بعيد. ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ يعني ليلة القدر من رمضان، وكيفية إنزاله فيها أنه أنزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة ثم نزل به جبريل على النبي ﷺ شيئاً بعد شيء، وقيل: معناه أنه ابتداء إنزاله في ليلة القدر، وقيل: يعني بالليلة المباركة ليلة النصف من شعبان؛ وذلك باطل لقوله ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ مع قوله ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾. ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ معنى "يفرق" يفصل ويخلص، والأمر الحكيم: أرزاق العباد وأجالهم، وجميع أمورهم في ذلك العام تنسخ من اللوح المحفوظ في ليلة القدر ليمثل الملائكة ذلك بطول السنة القابلة، وقيل: إن هذا يكون ليلة النصف من شعبان؛ وهو باطل لما قدمنا. ﴿أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا﴾ مفعول بفعل مضمر على الاختصاص قاله الزمخشري، وقال ابن عطية: نصب على المصدر، وقيل: على الحال. ﴿مُرْسِلِينَ﴾ من إرسال الرسل عليهم السلام، وقيل: من إرسال الرحمة؛ والأول أظهر. ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ فيه قولان؛ أحدهما: قول علي بن أبي طالب وابن عباس ؓ: إن الدخان يكون قبل يوم القيامة يصيب المؤمن منه مثل الزكام، وينضح رؤوس الكافرين والمنافقين وهو من أسرار الساعة، وروى حذيفة أن النبي ﷺ قال: «إن أول آيات الساعة الدخان» [مسلم: 2901]. والثاني: قول ابن مسعود ؓ: إن الدخان عبارة عما أصاب قريشا حين دعا عليهم رسول الله ﷺ بالجذب، فكان الرجل يرى دخانا بينه وبين السماء من شدة الجوع، قال ابن مسعود ؓ: خمس قد مضين؛ الدخان واللزام والبطشة والقمر والروم. ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يحتمل أن يكون من قول الله أو من قول الناس لما أصابهم الدخان؛ وهذا أظهر لأن ما بعده من كلامهم باتفاق فيكون الكلام متناسقا. ﴿أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ هذا من كلام الله تعالى، ومعناه: استبعاد تذكير الكفار مع تكذيبهم للنبي ﷺ، والواو في قوله ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ واو الحال. ﴿رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ يعني محمدا ﷺ.

ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ  
 نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ \* وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ  
 رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدَّوْا إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ  
 إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عَذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ - ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا  
 لِي فَاعْتَرِلُونِ - ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَتُولَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَاسْرِبْ بَعَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ  
 مُتَّبِعُونَ ﴿٢٣﴾ وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾  
 وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا - آخِرِينَ ﴿٢٨﴾

﴿ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ ﴾ أي: يعلمه بشر. ﴿ الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى ﴾ قال ابن عباس ؓ: هي يوم القيامة، وقال ابن مسعود ؓ: هي يوم بدر. ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ﴾ فعلنا معهم فعل المختبر ليظهر منهم ما سبق في علمنا. ﴿ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴾ يعني موسى عليه السلام. ﴿ أَنْ أَدَّوْا إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ ﴾ "أن" هنا مفسرة نائب مناب القول، و"أدوا" فعل أمر من الأداء، و"عباد الله" مفعول به وهم بنو إسرائيل، والمعنى: أرسلوا بني إسرائيل كما قال في طه ﴿ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾، وقيل: "عباد الله" منادى، والمعنى: أدوا إلى الطاعة والإيمان يا عباد الله؛ والأول أظهر. ﴿ وَأَنْ لَا تَعْلُوا ﴾ أي: لا تتكبروا. ﴿ بِسُلْطَانٍ ﴾ أي: حجة وبرهان. ﴿ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴾ اختلف هل معناه الرجم بالحجارة أو السب؟ والأول أظهر. ﴿ فَاعْتَرِلُونِ ﴾ أي: اتركوني وخلوا سبيلي. ﴿ فَاسْرِبْ بَعَادِي ﴾ هذا أمر من الله لموسى عليه السلام، والعباد هنا بنو إسرائيل، أي: اخرج بهم بالليل. ﴿ إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ﴾ إخبار أن فرعون وجنوده يتبعونهم. ﴿ وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا ﴾ أي: ساكنا على هيئته، وقيل: يابسا، وروي أن موسى لما جاز البحر أراد أن يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق، فقال الله له: اتركه كما هو ليدخله فرعون وقومه فيغرقوا، وقيل: معنى "رهوا" سهلا، وقيل: منفرجا. ﴿ وَعُيُونٍ ﴾ يحتمل أن يريد الخلجان الخارجة من النيل أو كانت ثم عيون في ذلك الزمان، وقيل: يعني الذهب والفضة؛ وهو بعيد. ﴿ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ فيه قولان؛ المنابر، والمسكن الحسان. ﴿ وَنَعْمَةً ﴾ من التنعم بالأرزاق وغيرها. ﴿ فَكَاهِينَ ﴾ أي: متنعمين، وقيل: فرحين، وقيل: أصحاب فاكهة. ﴿ كَذَلِكَ ﴾ في موضع نصب، أي: مثل ذلك الإخراج أخرجناهم أو في موضع رفع تقديره الأمر كذلك. ﴿ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا - آخِرِينَ ﴾ يعني بني إسرائيل حكاه الزمخشري والماوردي، وضعفه ابن عطية قال لأنه لم يرو في مشهور التواريخ أن بني إسرائيل رجعوا إلى مصر في ذلك الزمان، وقد قال الحسن: إنهم رجعوا إليها، ويدل على أن المراد بنو إسرائيل

فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ  
 الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٠٥﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَقَدْ أَخْتَرْنَا لَهُمْ  
 عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ مِّنَ آيَاتِنَا مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ  
 لَيَقُولُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿١١٠﴾ فَاتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنْتُمْ  
 صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ  
 ﴿١١٢﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينًا ﴿١١٣﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ  
 وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١١٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي  
 مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١١٦﴾

قوله في الشعراء ﴿ وَأَوْزَنَّاَهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾. ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛  
 الأول: أنه عبارة عن تحقيرهم؛ وذلك أنه إذا مات رجل خطير قالت العرب في تعظيمه: بكت عليه السماء  
 والأرض، على وجه المجاز والمبالغة؛ فالمعنى: أن هؤلاء ليسوا كذلك لأنهم أحقر من أن يبالي بهم، الثاني:  
 قيل إذا مات المؤمن بكى عليه من الأرض موضع عبادته ومن السماء موضع صعود عمله؛ فالمعنى: أن  
 هؤلاء ليسوا كذلك لأنهم كفار ليس لهم عمل صالح، الثالث: أن المعنى ما بكى عليهم أهل السماء ولا  
 أهل الأرض؛ والأول أفصح وهو منزع معروف في كلام العرب. ﴿ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴾ أي: مؤخرين.  
 ﴿ مِنْ فِرْعَوْنَ ﴾ بدل من "العذاب". ﴿ عَلِيًّا ﴾ أي: متكبرا. ﴿ اخْتَرْنَا لَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ أي: كنا عالمين بأنهم  
 مستحقون لذلك. ﴿ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ أي: على أهل زمانهم. ﴿ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: اختبار. ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ ﴾ يعني  
 كفار قريش. ﴿ فَاتُوا بِآبَائِنَا ﴾ خاطبت قريش بذلك النبي ﷺ وأصحابه على وجه التعجيز، وروي أنهم  
 طلبوا أن يُجيبهم قصي بن كلاب ليسألوه عن الآخرة. ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ ﴾ كان تبع ملكا من حمير،  
 وكان مؤمنا وقومه كفارا فذم الله قومه ولم يذمه، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أدري أكان تبع نبيا أو  
 غير نبي» [المستدرك: 104]، ومعنى الآية: أقريش أشد وأقوى أم قوم تبع والذين من قبلهم من الكفار، وقد  
 أهلكنا قوم تبع وغيرهم لما كفروا فكذلك نهلك هؤلاء؛ فمقصود الكلام تهديد. ﴿ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾  
 عطف على "قوم تبع"، وقيل: هو مبتدأ فيوقف قبله؛ والأول أصح. ﴿ لَعِينِينَ ﴾ حال منفية ذكرت  
 في الأنبياء. ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا ﴾ الـ"مولى" هنا يعم الولي والقريب وغير ذلك من الموالي.

إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤﴾ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ ﴿١٣﴾ طَعَامُ الْآثِمِ ﴿١٢﴾  
 كَأَلْمُهْلِ تَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿١٥﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿١٦﴾ خَذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿١٧﴾  
 ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿١٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿١٩﴾ إِنَّ  
 هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ آمِنٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٢﴾  
 يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٢٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٤﴾  
 يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٢٥﴾ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ  
 الْأُولَىٰ وَوَقَّهَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٢٦﴾ فَضَلًّا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٢٧﴾  
 فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٨﴾ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٢٩﴾

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ استثناء منقطع إن أراد بقوله "ولا هم ينصرون" الكفار، ومتصل إن أراد بذلك جميع الناس. ﴿طَعَامُ الْآثِمِ﴾ أي: الفاجر وهو من الإثم، وقيل: يعني أبا جهل؛ فالألف واللام للعهد؛ والأظهر أنها للجنس فتعم أبا جهل وغيره. ﴿كَأَلْمُهْلِ﴾ هو دردي الزيت، وقيل: ما يذاب من الرصاص وغيره. ﴿فَاعْتَلُوهُ﴾ أي: سوقوه بتعنيف. ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ المصبوب في الحقيقة إنها هو الحميم، وهو الماء الحار، ولكن جعل المصبوب هنا العذاب المضاف إلى الحميم مجازاً؛ لأن ذلك أبلغ وأشد تهويلاً، وقد جاء الأصل في قوله ﴿يُصَّبُ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾. ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ يقال للكافر هذا على وجه التوبيخ والتهكم به، أي: كنت العزيز الكريم عند نفسك، وروي أن أبا جهل قال: ما بين جليلها أعز مني ولا أكرم؛ فنزلت الآية. ﴿تَمْتَرُونَ﴾ تفتعلون من المرية وهي الشك. ﴿فِي مَقَامٍ آمِنٍ﴾ قرئ بضم الميم، أي: موضع إقامة، وفتحها، أي: موضع قيام، والمراد به الجنة، والأمين من الأمن، أي: مأمون فيه، وقيل: من الأمانة وُصِفَ به المكان مجازاً. ﴿مِن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ السندس الرقيق من الديباج، والإستبرق الغليظ منه. ﴿كَذَلِكَ﴾ في موضع رفع؛ أي: الأمر كذلك، أو في موضع نصب، أي: مثل ذلك زوجناهم. ﴿يَدْعُونَ فِيهَا﴾ أي: يدعون خدامهم. ﴿إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾ استثناء منقطع، والمعنى: لا يذوقون فيها الموت لكنهم قد ذاقوا الموتة الأولى خاصة قبل ذلك، ولولا قوله "فيها" لكان متصلاً لعموم لفظ الموت، وقيل: "إلا" هنا بمعنى بعد؛ وذلك ضعيف. ﴿يَسَّرْنَاهُ﴾ الضمير للقرآن. ﴿بِلِسَانِكَ﴾ أي: بلغتك وهو لسان العرب. ﴿فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ﴾ أي: ارتقب نصرنا لك، "إنهم مرتقبون" ضد ذلك ففيه وعد له ووعد لهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَأَخْتَلَفِ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيَلُّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ هُمُ عَذَابُ مُهِينٍ ﴿٩﴾ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَهُمْ عَذَابُ عَظِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ هُمُ عَذَابُ مَنْ رَجَزِ الْاٰلِيمِ ﴿١١﴾ \* اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرَىٰ أَلْفُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ

## سورة الجاثية

﴿تَنْزِيلُ﴾ ذكر في الزمر، وما بعد ذلك تنبيه على الاعتبار بالموجودات، وقد ذكر معناه في مواضع. ﴿وَيَلُّ﴾ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿الـ﴾ أفَّاك "مبالغة في الإفك وهو الكذب، والـ" أثيم "من الإثم، وقيل: إنها نزلت في النضر بن الحارث؛ ولفظها على العموم. ﴿يُصِرُّ﴾ أي: يدوم على حاله من الكفر، وإنما عطفه بـ"ثم" لاستعظام الإصرار على الكفر بعد سماعه آيات الله، واستبعاد ذلك في العقل والطبع. ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا﴾ أي: إذا بلغه شيء منها، ولم يرد العلم الحقيقي. ﴿مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ كقوله ﴿مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ وقد ذكر في إبراهيم. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني الشمس والقمر والملائكة وبنو آدم والحيوانات والنبات وغير ذلك. ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ أي: كل نعمة فمن الله تعالى، والمجرور في موضع الحال أو خبر مبتدأ مضمرة، وقرأ ابن عباس ﴿مِنْهُ﴾ "منه". ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ أمر الله المؤمنين أن يتجاوزوا عن الكفار وأن لا يؤاخذوهم إذا آذوهم، وكان ذلك في صدر الإسلام، فقيل: إنها منسوخة بالسيف، وقيل: ليست بمنسوخة؛ لأن احتمال الأذى مندوب إليه على كل حال، وأما القتال على الإسلام



لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٠﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ  
إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ  
مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿١٢﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا  
مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا  
فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا  
يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ  
وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٥﴾ هَذَا بَصِيرَةٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١٦﴾ أَمْ  
حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُم كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

فليس من ذلك، وروي أن الآية نزلت في عمر بن الخطاب ؓ شتمه رجل من الكفار فأراد عمر ؓ البطش به، و"أيام الله" هي نعمه؛ ف"يرجون" على أصله، وقيل "أيام الله" عبارة عن عقابه؛ فالرجاء بمعنى الخوف، و"يغفروا" مجزوم في جواب شرط مقدر دل عليه "قل" قال الزمخشري: حذف معمول القول، والمعنى: قل لهم اغفروا يغفروا. ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ فاعل "يجزي" ضمير يعود على الله، وقرئ بنون المتكلم، قال ابن عطية: إن الآية وعيد؛ فالقوم على هذا هم الذين لا يرجون أيام الله، و"يكسبون" يعني السيئات، وقال الزمخشري: القوم هم الذين آمنوا وجزاؤهم الثواب بما كانوا يكسبون بكظم الغيظ واحتمال المكروه. ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ذكر في البقرة. ﴿بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ أي: معجزات من أمر الدين. ﴿جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾ أي: على ملة ودين. ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُم كَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ "أم" هنا للإنكار و"اجترحوا" اكتسبوا، والمراد ب"الذين اجترحوا السيئات" الكفار لمقابلته بالذين آمنوا، ولأن الآية مكية، وقد تناول لفظها المذنبين من المؤمنين، ولذلك يذكر أن الفضيل بن عياض قرأها بالليل فما زال يرددها ويبكي طول الليل ويقول لنفسه: من أي الفريقين أنت؟ ومعناها: إنكار ما حسبه الكفار من أن يكونوا هم والمؤمنون سواء في المحيا والممات، وفي تأويلها مع ذلك قولان؛ أحدهما: أن المراد ليس المؤمنون سواء مع الكفار لا في المحيا ولا في الممات؛ فإن المؤمنين عاشوا على التقوى والطاعة والكفار عاشوا على الكفر والمعصية وكذلك مماتهم ليس سواء، والقول الآخر: أنهم إن استوتوا في المحيا، أي: في أمور الدنيا من الصحة والرزق فلا يستوتون في الممات؛ بل يسعد المؤمنون ويشقى الكافرون؛ فالمراد بها إثبات الجزاء

سَوَاءٌ نَحْيَاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ سَاءَ مَا تَحْكُمُونَ ﴿١١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ  
 وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٢﴾ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوِيَهُ  
 وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ  
 مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا  
 إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُبْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا  
 بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتِهِمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا آيَاتُوا بِعَابِئِنَّا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥﴾

في الآخرة وتفضيل المؤمنين على الكافرين في الآخرة؛ وهذا المعنى هو الأظهر والأرجح، فيكون معنى الآية  
 كقوله ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾، وكقوله ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ  
 فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾. ﴿سَوَاءٌ نَحْيَاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ﴾ هذه الجملة بدل من الكاف في قوله  
 "كالذين آمنوا" وهي مفسرة للتشبيه، وهي داخلة فيما أنكره الله مما حسبه الكفار، وقيل: هي كلام مستأنف،  
 والمعنى على هذا: أن محيا المؤمنين ومماتهم سواء وأن محيا الكفار ومماتهم سواء، لأن كل أحد يموت على ما  
 عاش عليه؛ وهذا المعنى بعيد؛ والصحيح أنها من تمام ما قبلها على المعنى الذي اخترناه، وأما إعرابها فمن  
 قرأ "سواء" بالرفع فهو مبتدأ وخبره "محياهم ومماتهم"، والجملة بدل من الجار والمجرور الواقع مفعولا  
 ثانيا لـ "نجعل"، ومن قرأ "سواء" بالنصب فهو حال أو مفعول ثان لـ "نجعل"، و"محياهم" فاعل بـ "سواء"  
 لأنه في معنى مستوي. ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: ساء حكمهم في تسويتهم بين أنفسهم وبين المؤمنين.  
 ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾ معطوف على قوله "بالحق"؛ لأن فيه معنى التعليل أو على تعليل محذوف تقديره:  
 خلق الله السموات والأرض ليدل بها على قدرته ولتجزى كل نفس بما كسبت. ﴿اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ أي:  
 أطاعه حتى صار له كالإله. ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: على علم من الله سابق، وقيل: على علم من هذا  
 الضال بأنه على ضلال ولكنه يتبع الضلال معاندة. ﴿وَخَتَمَ﴾ ذكر في البقرة. ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾  
 قال ابن عطية: فيه حذف مضاف تقديره: من بعد إضلال الله إياه، ويحتمل أن يريد فمن يهديه غير الله.  
 ﴿وَقَالُوا﴾ الضمير لـ "من اتخذ إلهه هواه" أو لقريش. ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ فيه أربع تأويلات؛ أحدها: أنهم  
 أرادوا: يموت منا قوم ويحيا قوم، والآخر: نموت نحن ويحيا أولادنا، الثالث: نموت حين كنا عدما أو  
 نطفًا ونحيا في الدنيا، والرابع: نموت الموت المعروف ونحيا قبله في الدنيا، فوقع في اللفظ تقديم وتأخير  
 ومقصودهم على كل وجه إنكار الآخرة، ويظهر أنهم كانوا على مذهب الدهرية لقولهم ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا  
 إِلَّا الدَّهْرُ﴾، فرد الله عليهم بقوله ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ الآية. ﴿قَالُوا آيَاتُوا بِآبَائِنَّا﴾ ذكر في الدخان.

قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ  
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِدُ مَخْسَرِ  
الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧﴾ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُ مَا كُنْتُمْ  
تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾  
فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ؕ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ  
الْمُبِينُ ﴿٢٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ - آيَتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ  
﴿٢١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ  
إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ ؕ  
يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِيكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوِيكُمْ النَّارُ وَمَا  
لَكُمْ مِّنْ نَّصِيرِينَ ﴿٢٤﴾ ذَلِكَم بِأَنكُمْ اتَّخَذْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَعَرَّضْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا  
فَالْيَوْمَ لَا تَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٢٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ  
الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

﴿ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ﴾ الآية، رد على المنكرين للحشر، واستدلال على وقوعه بقدره الله تعالى على الإحياء  
والإماتة. ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً ﴾ أي: تجئ على الركب؛ وتلك هيئة الخائف الذليل. ﴿ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى  
كِتَابِهَا ﴾ أي: إلى صحائف أعمالها، وقيل: إلى الكتاب المنزل عليها؛ والأول أرجح لقوله ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ  
عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ﴾ الآية، فإن قيل: كيف أضاف الكتاب تارة إليهم وتارة إلى الله تعالى؟ فالجواب: أنه أضافه  
إليهم؛ لأن أعمالهم ثابتة فيه، وأضافه إلى الله؛ لأنه تعالى مالكة وهو الذي أمر الملائكة أن يكتبوه. ﴿ إِنَّا كُنَّا  
نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي: نأمر الملائكة الحافظين بكتابة أعمالكم، وقيل: إن الله يأمر الحفظة أن تنسخ  
أعمال العباد من اللوح المحفوظ، ثم يمسكونه عندهم فتأتي أعمال العباد على نحو ذلك فتكتبها أيضا الملائكة  
فذلك هو الاستنساخ، وكان ابن عباس ؓ يحتاج على ذلك بأن يقول: لا يكون الاستنساخ إلا من أصل. ﴿ أَقْلَمُ  
تَكُنْ ﴾ تقديره: يقال لهم ذلك. ﴿ وَحَاقَ ﴾ ذكر مرارا. ﴿ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ ﴾ النسيان هنا بمعنى الترك، وأما في  
قوله ﴿ كَمَا نَسِيتُمْ ﴾ فيحتمل أن يكون بمعنى الترك أو الذهول. ﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ من العتبي وهي الرضا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا  
مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ  
لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ آيَتُنِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ  
الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا  
بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُبْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ  
هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا  
هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۗ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ  
مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِّنَ الرُّسُلِ

## سورة الاحقاف

﴿تَنْزِيلُ﴾ ذكر في الزمر. ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ ذكر مرارا. ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني يوم القيامة. ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا﴾ احتجاج على التوحيد ورد على المشركين؛ فالأمر بمعنى التعجيز. ﴿شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ أي: نصيب. ﴿آيَتُنِي بِكِتَابٍ﴾ تعجيز لأنهم ليس لهم كتاب يدل على الإشراف بالله بل الكتب كلها ناطقة بالتوحيد. ﴿أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ أي: بقية من علم قديم يدل على ما تقولون، وقيل: معناه "من علم" تثيرونه؛ أي: تستخرجونه، وقيل: هو الإسناد، وقيل: هو الخط في الرمل وكانت العرب تتكهن به، وقال رسول الله ﷺ: «كان نبي من الأنبياء يخط في الرمل، فمن وافق خطه فذاك» [مسلم: 537]. ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ الآية، معناها: لا أحد أضل ممن يدعوها لا يستجيب له وهي الأصنام؛ فإنها لا تسمع ولا تعقل ولذلك وصفها بالغفلة عن دعائهم لأنها لا تسمعه. ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً﴾ أي: كان الأصنام أعداء للذين عبدوها. ﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ الضمير في "كانوا" للأصنام، أي: تبتأ الأصنام من الذين عبدوها، وإنما ذكر الأصنام بضمائر مثل ضمائر العقلاء؛ لأنه أسند إليهم ما يسند إلى العقلاء من الاستجابة والغفلة والعداوة. ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: لو افتريته لعاقبني الله على الافتراء عقوبة لا تقدر على دفعها ولا تملكون شيئا من ردها، فكيف افترته وأعرض لعقاب الله؟ ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي: بما تتكلمون به، يقال: أفاض الرجل في الحديث إذا خاض فيه واستمر. ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِّنَ الرُّسُلِ﴾ البدع والبديع من الأشياء ما لم ير مثله، أي: ما كنت أول رسول ولا جئت بأمر

وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ ۖ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾  
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ ۖ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ ۖ  
 فَقَامَنَ وَأَسْتَكْبَرْتُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ  
 ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ ۖ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَارٌ قَدِيمٌ ﴿٨﴾

لم يجيء به أحد قبلي بل جئت بها جاء به قبلي ناس كثيرون، فلاي شيء تنكرون ذلك؟. ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ فيها أربعة أقوال؛ الأول: أنها في أمر الآخرة، وكان ذلك قبل أن يعلم أنه في الجنة، وقبل أن يعلم أن المؤمنين في الجنة وأن الكفار في النار؛ وهذا بعيد لأنه لم يزل يعلم ذلك من أول ما بعثه الله، والثاني: أنها في أمر الدنيا، أي: لا أدري بما يقضي الله علي وعليكم فإن مقادير الله مغيبة؛ وهذا هو الأظهر، الثالث: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم من الأوامر والنواهي وما تلزمه الشريعة، والرابع: أن هذا كان في الهجرة إذ كان النبي ﷺ قد رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض بها نخل، فقلق المسلمون لتأخير ذلك فنزلت هذه الآية. ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾ معنى الآية: أرايتم إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به أستم ظالمين؟، ثم حذف قوله أستم ظالمين وهو الجواب؛ لأنه دل عليه قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ هذه الجملة معطوفة على الجملة التي قبلها، والمعنى: أرايتم إن اجتمع كون القرآن من عند الله مع شهادة شاهد من بني إسرائيل على مثله، فأمن به هذا الشاهد وكفرتم أنتم، أستم أضل الناس وأظلم الناس؟ واختلف في الشاهد المذكور على ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنه عبد الله بن سلام ﷺ، فقيل على هذا إن الآية مدنية لأنه إنما أسلم بالمدينة، وقيل: إنها مكية وأخبر بشهادته قبل وقوعها ثم وقعت على حسب ما أخبر، وكان عبد الله بن سلام ﷺ يقول: في نزلت الآية، الثاني: أنه رجل من بني إسرائيل كان بمكة، الثالث: أنه موسى عليه السلام ورجح ذلك الطبري، والضمير في "مثله" للقرآن، أي: شهد على مثله فيما جاء به من التوحيد والوعد والوعيد، والضمير في "أمن" للشاهد، فإن كان عبد الله بن سلام ﷺ أو الرجل الآخر فأيبانه بين، وإن كان موسى عليه السلام فأيبانه هو تصديقه بأمر محمد ﷺ وتبشيره به. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ أي: لو كان الإسلام خيرا ما سبقنا إليه هؤلاء، والقائلون لهذه المقالة هم أكابر قريش لما أسلم الضعفاء كبلال وعمار وصهيب ﷺ، وقيل: بل قالها كنانة وقبائل من العرب لما أسلمت غفار ومزينة وجهينة، وقيل: بل قالها اليهود حين أسلم عبد الله ابن سلام ﷺ، والأول أرجح؛ لأن الآية مكية وكانت مقالة قريش بمكة، وأما مقالة الآخرين فإنها كانت بعد الهجرة، ومعنى "للذين ءامنوا" من أجل الذين آمنوا؛ أي: قالوا ذلك عنهم في غيبتهم وليس المعنى أنهم خاطبواهم بهذا الكلام؛ لأنه لو كان خطابا لقالوا ما سبقتمونا إليه. ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَارٌ قَدِيمٌ﴾ أي: لما لم يهتدوا به قالوا هذا إنك قديم، ونحو هذا ما جاء في المثل: من جهل شيئا

وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۗ وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُنَشِّرِي لِلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَلُّوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٨٠﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨١﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرْهًا وَوَضَعَتْهُ كَرْهًا ۖ وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۖ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٨٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنُ مَا عَمِلُوا وَيُتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ۖ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفِ لَكُمْ مَا

عاداه، ووصفوه بالقدم لأنه قد قيل قديما، فإن قيل: كيف عمل "فسيقولون" في "إذ" وهي للماضي والعامل مستقبل؟ فالجواب: أن العامل في "إذ" محذوف تقديره: إذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون، قال ذلك الزمخشري، ويظهر لي أن "إذ" هنا بمعنى التعليل لا ظرفية بمعنى الماضي فلا يلزم السؤال، والمعنى: أنهم قالوا هذا إفاك بسبب أنهم لم يهتدوا به، وقد جاءت إذ بمعنى التعليل في القرآن وفي كلام العرب، ومنه ﴿لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ أي: بسبب ظلمكم. ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ الضمير في "قبله" للقرآن، و"كتاب موسى" هو التوراة، و"إماما" حال ومعناه: يقتدى به. ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ الإشارة بـ"هذا" إلى القرآن، ومعنى "مصدق"؛ أي: صدق ما قبله من الكتب، وقد ذكرنا ذلك في البقرة، و"لسانا" حال من الضمير في "مصدق"، وقيل: مفعول بـ"مصدق"؛ أي: صدق ذا لسان عربي وهو محمد ﷺ، واختار هذا ابن عطية. ﴿اسْتَقَامُوا﴾ ذكر في حم السجدة. ﴿حُسْنًا﴾ ذكر في العنكبوت. ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرْهًا وَوَضَعَتْهُ كَرْهًا﴾ أي: حملته بمشقة ووضعته بمشقة، ويقال: كره بفتح الكاف وضمها بمعنى واحد. ﴿وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ أي: مدة حمله ورضاعه ثلاثون شهرا، وهذا لا يكون إلا أن ينقص من أحد الطرفين، وذلك إما أن تكون مدة الحمل ستة أشهر ومدة الرضاع حولين كاملين، أو تكون مدة الحمل تسعة أشهر ومدة الرضاع حولين غير ثلاثة أشهر، ومن هذا أخذ علي بن أبي طالب ؓ والعلماء أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، وإنما عبر عن مدة الرضاع بالفصال وهو الفطام لأنه منتهى الرضاع. ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ ذكر في يوسف. ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ هذا حد كمال العقل والقوة، ويقال: إن الآية نزلت في أبي بكر الصديق ؓ، وقيل: إنها عامة. ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ أي: في جملة أصحاب الجنة كما تقول: رأيت فلانا في الناس، أي: مع الناس. ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفِ لَكُمْ مَا

أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعِيشُنِ اللَّهَ وَيَلْتَكِ ءَامِنِينَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿٧٥﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِنُؤْفِقِيهِمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٧٧﴾ \* وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذَا أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ

عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق حين كفر، وكان أبوه وأمه يدعوانه إلى الإسلام فيأبى ويقول لهما أف لكما، وأنكرت عائشة ؓ ذلك وقالت: والله ما نزل في آل أبي بكر شيء من القرآن إلا براءتي، ويبطل ذلك قطعا قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ لأن عبد الرحمن بن أبي بكر ؓ أسلم، وكان من خيار المسلمين وكان له في الجهاد غناء عظيم، وقال السدي: ما رأيت أعبد منه، وقال ابن عباس ؓ: نزلت الآية في ابن لأبي بكر ولم يسمه، ويرد ذلك ما ذكرنا عن عائشة ؓ، وقيل: هي على الإطلاق فيمن كان على هذه الصفة من الكفر والعقوق لوالديه، ويدل على أنها عامة قوله تعالى "أولئك الذين حق عليهم القول" بصيغة الجمع ولو أراد أحدا بعينه لقال: ذلك الذي حق عليه القول، وقد ذكرنا "أف" في الإسراء. ﴿أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ﴾ أي: أتعدانني أن أخرج من القبر للبعث. ﴿وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ أي: قد مضت قرون من الناس ولم يبعث منهم أحد. ﴿وَهُمَا يَسْتَعِيشَانِ اللَّهَ﴾ الضمير "لوالديه"، أي: يستغيثان بالله من كراهتهما لما يقوله ابنهما ثم يقولان له ﴿وَيَلْتَكِ﴾، ثم يأمرانه بالإيمان ﴿فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: قد سطره الأولون في كتبهم، وذلك تكذيب بالبعث والشريعة. ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ أي: للمحسنين والمسيئين درجات في الآخرة بسبب أعمالهم؛ فدرجات أهل الجنة إلى علو ودرجات أهل النار إلى سفل. ﴿وَلِنُؤْفِقِيهِمْ﴾ تعليل بفعل محذوف وبه يتعلق تقديره: جعل جزاؤهم درجات ليؤفقيهم أعمالهم. ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ﴾ العامل فيه محذوف تقديره: اذكر. ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾ تقديره: يقال لهم أذهبتم طيباتكم، والطيبات هنا الملاذ من المأكول وغيرها، وقرئ "أذهبتم" بهمزة واحدة على الخبر، وبهمزتين على التوبيخ، والآية في الكفار بدليل قوله: "يعرض الذين كفروا" وهي مع ذلك واعظة لأهل التقوى من المؤمنين، ولذلك قال عمر لجابر بن عبد الله ؓ: وقد رآه اشترى لحما: أما تخشى أن تكون من أهل هذه الآية. ﴿عَذَابَ الْهُونِ﴾ أي: العذاب الذي اقترن به هوان. ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ يعني هودا عليه السلام. ﴿بِالْأَحْقَافِ﴾ جمع حقف وهو الكدس من الرمل، واختلف أين كانت؟

وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٦﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَا عَنِ الْهَيْبَةِ فَآتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أَلْعَلُّمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ، وَلَكِنِّي أُرِيكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمَطَّرْنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٩﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا تَرَى إِلَّا مَسَكِنَتِهِمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْعِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْعِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا تَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَفْنَا آيَاتِنَا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٢﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ

فقيل: بالشام، وقيل: بين عمان ومهرة، وقيل: بين عمان وحضرموت؛ والصحيح أن بلاد عاد كانت باليمن. ﴿وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ﴾ أي: تقدمت من قبله ومن بعده، و"النذر" جمع نذير، فإن قيل: كيف يتصور تقدمها من بعده؟ فالجواب: أن هذه الجملة اعتراض؛ وهي إخبار من الله تعالى أنه قد بعث رسلا متقدمين قبل هود وبعده، وقيل: معنى "من خلفه" في زمانه. ﴿قَالَ إِنَّمَا أَلْعَلُّمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: قل إن العذاب الذي قلتهم اتتنا به ليس لي علم متى يكون وإنما يعلمه الله، وما علي إلا أن أبلغكم ما أرسلت به. ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾ العارض: السحاب الذي يعرض في أفق السماء، والضمير في "رأوه" يعود على "ما تعدنا"، أو على المرئي المبهم الذي فسره قوله "عارضاً"، قال الزمخشري: وهذا أعرب وأفصح، وروي أنهم كانوا قد قحطوا مدة، فلما رأوا هذا العارض ظنوا أنه مطر ففرحوا به، فقال لهم هود عليه السلام ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ من العذاب، وقوله ﴿رِيحٌ﴾ بدل من "ما استعجلتم" أو خبر ابتداء مضمرة. ﴿تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ عموم يراد به الخصوص. ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ هذا خطاب لقريش على وجه التهديد، أي: مكنا عاداً فيما لم نمكنكم فيه من القوة والأموال وغير ذلك ثم أهلكناهم لما كفروا، و"إن" هنا نافية بمعنى ما، وُعُدل عن ما كراهة لاجتماعها مع "ما" التي قبلها، وقيل "إن" شرطية وجوابها محذوف تقديره: إن مكناكم فيه طغيتم، قال ابن عطية: وهذا تنطع في التأويل. ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ﴾ يعني من بلاد عاد وثمود وسبأ وغيرها، والمراد إهلاك أهلها. ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمْ﴾ الآية، عرض معناه النفي، أي: لم تنصرهم



قُرْبَانًا - اِهْتُمْ بِلَ ضَلُّوا عَنْهُمْ ۖ وَذَلِكَ اِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَا  
إِلَيْكَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ  
وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَلْقَوْنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا نَزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ  
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَلْقَوْنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ  
اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ، يَغْفِرْ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابِ آلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُحِبَّ  
دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ۗ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ  
مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

أهتهم التي عبدوها من دون الله. ﴿قُرْبَانًا﴾ أي: تقربوا بهم إلى الله وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وانتصاب "قربانا" على الحال، ولا يصح أن يكون "قربانا" مفعولا ثانيا لـ "اتخذوا" و"ألهة" بدل منه لفساد المعنى قاله الزمخشري، وقد أجازاه ابن عطية. ﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾ أي: تلفوا لهم حين احتاجوا إليهم وغابوا عن نصرتهم. ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ أي: أملناهم نحوك، والنفر في اللغة دون العشرة، وروي أن الجن كانوا سبعة وكانوا كلهم ذكرانا لأن النفر الرجال دون النساء، وكانوا من أهل نصيبين، وقيل: من أهل الجزيرة، واختلف هل رأهم رسول الله ﷺ؟ فقيل: إنه لم يرههم ولم يعلم باستماعهم حتى أعلمه الله بذلك، وقيل: بل علم بهم واستعد لهم واجتمع معهم، وقد وردت في ذلك عن عبد الله بن مسعود ؓ أحاديث مضطربة، وسبب استماع الجن أنهم لما طردوا عن استراق السمع من السماء برجم النجوم قالوا: ما هذا إلا لأمر حدث، فطافوا في الأرض ينظرون ما أوجب ذلك، حتى سمعوا قراءة رسول الله ﷺ في صلاة الفجر في سوق عكاظ فاستمعوا إليه وآمنوا به. ﴿أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ في هذا دلالة على أنهم كانوا على دين اليهود، وقيل: إنهم كانوا لم يعلموا ببعث عيسى. ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ذكر في البقرة. ﴿دَاعِيَ اللَّهِ﴾ هو رسول الله ﷺ. ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ "من" هنا للتبويض على الأصح، أي: يغفر لكم الذنوب التي فعلتم قبل الإسلام، وأما التي بعد الإسلام فهي في مشيئة الله، وقيل: معنى التبويض أن المظالم لا تغفر، وقيل: إن "من" زائدة. ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابِ آلِيمٍ﴾ أي: من النار، واختلف الناس هل للجن ثواب زائد على النجاة من النار، أم ليس لهم ثواب إلا النجاة خاصة؟ ﴿وَمَنْ لَا يُحِبَّ دَاعِيَ اللَّهِ﴾ الآية، يحتمل أن يكون من كلام الجن أو من كلام الله تعالى، ومعنى ﴿لَيْسَ بِمُعْجِزٍ﴾ لا يفوت. ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا﴾ الآية، احتجاج على بعث الأجساد بخلقه

وَلَمْ يَعْى بِخَلْقِهِنَّ بِقَدْرِ عَلَىٰ أَنْ تُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ  
يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَىٰ الْبَارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُقُوا  
الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٧﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ  
لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ  
إِلَّا الْقَوْمُ الْفٰلسِقُونَ ﴿١٨﴾

السموات والأرض. ﴿وَلَمْ يَعْى بِخَلْقِهِنَّ﴾ يقال: عيّت بالأمر إذا لم تعرفه، فالمعنى: أنه تعالى علم كيف خلق  
السموات وأحكم خلقها فلا شك أنه قادر على إحياء الموتى. ﴿بِقَادِرٍ﴾ في موضع رفع لأنه خبر "أن"، وإنما  
دخلت الباء لاشتغال النفي في أول الآية على "أن" وخبرها. ﴿بَلَىٰ﴾ جواب لما تقدم، أي: هو قادر على إحياء  
الموتى. ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ، أي: اصبر على تكذيب قومك. و"أولوا  
العزم" هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وقيل: هم الثمانية عشر المذكورون في سورة الأنعام لقوله  
﴿فَبِهَذَا هُمْ اقْتَدَوْهُ﴾، وقيل: كل من لقي من أمته شدة، وقيل: الرسل كلهم أولوا العزم؛ ف﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ على  
هذا لبيان الجنس، وعلى الأقوال المتقدمة للتبويض. ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ أي: لا تستعجل نزول العذاب بهم  
فإنهم صائرون إليه، وإنهم إذا هلكوا كأنهم ﴿لَمْ يَلْبَثُوا﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ﴾ لاستقصار  
أعمارهم. ﴿بَلَّغٌ﴾ خبر ابتداء مضمرة تقديره: هذا الذي وعظمت به بلاغ بمعنى كفاية في الموعدة، أو بلاغ  
من الرسول عليه الصلاة والسلام، أي: بَلَّغٌ هذه المواعظ والبراهين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾  
 وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ  
 كَفَرَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ  
 ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ  
 كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْنَتُمُوهُمُ فَشَدُّوا الوَثَاقَ فَمَا مَتَّأ بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ  
 تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا

## سورة القتال

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني كفار قريش، وعموم اللفظ يصلح لكل كافر، كما أن قوله بعد هذا ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾  
 يعني الصحابة، وعموم اللفظ يصلح لكل مؤمن. ﴿وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يحتمل أن يكون "صدوا"  
 بمعنى أعرضوا فيكون غير متعد، أو بمعنى صدوا الناس فيكون متعديا، و"سبيل الله" الإسلام والطاعة.  
 ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: أبطلها وأحبطها، وقيل: المراد بـ"أعمالهم" هنا ما أنفقوا في غزوة بدر؛ فإن هذه السورة  
 نزلت بعد بدر؛ واللفظ أعم من ذلك. ﴿وَعَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ﴾ هذا تجريد للاختصاص والاعتناء بعد  
 عموم قوله ﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، ولذلك أكدته بالجملة الاعتراضية وهو قوله ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِن  
 رَبِّهِمْ﴾. ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ قيل: معناه أصلح حالهم وشأنهم، وحقبة البال الخاطر الذي في القلب، وإذا  
 صلح القلب صلح الجسد كله؛ فالمعنى: إصلاح دينهم بالإيمان والإخلاص والتقوى. ﴿فَضْرَبَ الرِّقَابِ﴾  
 أصله فاضربوا الرقاب ضربا ثم حُذِفَ الفعلُ وأقيم المصدر مقامه، والمراد اقتلوهم، ولكن عبر عنه بضرب  
 الرقاب؛ لأنه الغالب في صفة القتل. ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَثْنَتُمُوهُمُ﴾ أي: هزمتموهم، والإثخان أن يكثر فيهم القتل  
 والأسر. ﴿فَشَدُّوا الوَثَاقَ﴾ عبارة عن الأسر. ﴿فَمَا مَتَّأ بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ المن العتق، والفداء فك الأسير بهال،  
 وهما جائزان؛ فإن مذهب مالك أن الإمام مخير في الأسارى بين خمسة أشياء وهي؛ المن، والفداء، والقتل،  
 والاسترقاق، وضرب الجزية، وقيل: لا يجوز المن ولا الفداء؛ لأن الآية منسوخة بقوله ﴿اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ  
 حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ فلا يجوز على هذا إلا قتلهم؛ والصحيح أنها محكمة وانتصب "منا" و"فداء" على المصدرية  
 والعامل فيها فعلا مضمرا. ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ الأوزار في اللغة الأثقال؛ فالمعنى: حتى تذهب  
 وتزول أثقالها وهي آلتها، وقيل: الأوزار الآثام لأن الحرب لا بد أن يكون فيها إثم في أحد الجانبين، واختلف  
 في الغاية المرادة هنا، فقيل: حتى يسلم الجميع وحينئذ تضع الحرب أوزارها، وقيل: حتى تقتلوهم وتغلبوهم،  
 وقيل: حتى ينزل عيسى ابن مريم، قال ابن عطية: ظاهر اللفظ أنها استعارة يراد بها التزام الأمر أبدا كما تقول

ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلُهُمْ ﴿١﴾ سَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ بِأَنْهَارٍ وَيُصَلِّحُ بِأَهْلِهِمْ ﴿٢﴾ وَيُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ﴿٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنصَرُوهَا اللَّهُ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ ﴿ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴿٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿٨﴾ إِنْ اللَّهُ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿٩﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلَكَنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٠﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتِنَا مِنْ رَبِّهِ -

أنا فاعل ذلك إلى يوم القيامة. ﴿ ذَلِكَ ﴾ تقديره الأمر ذلك. ﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ ﴾ أي: لو شاء الله لأهلك الكفار بعداب من عنده، ولكنه تعالى أراد اختبار المؤمنين وأن يبلو بعض الناس ببعض. ﴿ عَرَفَهَا لَهُمْ ﴾ أي: جعلهم يعرفون منازلهم فيها فهو من المعرفة، وقيل: معناه طيبتها لهم فهو من العرف وهو طيب الرائحة، وقيل: معناه شرفها ورفعها فهو من الأعراف التي هي الجبال. ﴿ فَتَعَسَا لَهُمْ ﴾ أي: عثارا وهلاكاً، وانتصابه على المصدرية والعامل فيه فعل مضمر، وعلى هذا الفعل عطف قوله ﴿ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾. ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴾ أي: لكفار قريش أمثال عاقبة الكفار المتقدمين من الدمار والهلاك. ﴿ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ أي: وليهم وناصرهم وكذلك ﴿ وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ معناه: لا ناصر لهم، ولا يصح أن يكون المولى هنا بمعنى السيد؛ لأن الله مولى المؤمنين والكافرين بهذا المعنى، ولا تعارض بين هذه الآية وبين قوله ﴿ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ ﴾؛ لأن معنى المولى مختلف في الموضعين، فمعنى "مولا هم الحق" ربهم وهذا على العموم في جميع الخلق، بخلاف قوله "مولى الذين ءامنوا" فإنه خاص بالمؤمنين لأنه بمعنى الولي الناصر. ﴿ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ ﴾ عبارة عن كثرة أكلهم وعن غفلتهم عن النظر كالبهائم. ﴿ مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ ﴾ يعني مكة وخروجه ﷺ منها وقت الهجرة، ونسب الإخراج إلى القرية والمراد أهلها لأنهم آذوه حتى خرج. ﴿ أَهْلَكَنَاهُمْ ﴾ الضمير للقرى المتقدمة المذكورة في قوله ﴿ كَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ ﴾ وجمعه حلا على المعنى، والمراد أهلكتنا أهلها. ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتِنَا مِنْ رَبِّهِ ﴾ أي: على حجة، ويعني به النبي ﷺ كما

كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ - وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿٤١﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَرٌ  
مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَرٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَرٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَرٌ مِنْ  
عَسَلٍ مُصَفًّى وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا  
مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ  
قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا  
أَهْوَاءَهُمْ ﴿٤٣﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَيْنَهُمْ تَقْوِيَهُمْ ﴿٤٤﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ  
أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنبَى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿٤٥﴾ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ  
إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفَرَ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿٤٦﴾

يعني قريشا بقوله ﴿ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ ﴾ واللفظ أعم من ذلك. ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ ﴾ ذكر في الرعد. ﴿ غَيْرِ  
آسِنٍ ﴾ أي: غير متغير. ﴿ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ ﴾ تقديره: أمثل أهل الجنة المذكورة كمن هو خالد في النار؟  
فحذف هذا التقدير المراد به النفي، وإنما حذفه لدلالة التقدير المتقدم عليه وهو قوله "أفمن كان على بينة".  
﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ يعني المنافقين، وجاء "يستمعون" بلفظ الجمع رعيًا لمعنى "من". ﴿ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا  
الْعِلْمَ ﴾ روي أنه عبد الله بن مسعود. ﴿ مَاذَا قَالَ آنِفًا ﴾ كانوا يقولون ذلك على أحد وجهين؛ إما احتقارا  
لكلامه كأنهم قالوا أي فائدة فيه، وإما جهلا ونسيانا؛ لأنهم كانوا وقت كلامه معرضين عنه، و"آنفا" معناه:  
الساعة الماضية قريبا، وأصله من استأنفت الشيء إذا ابتدأته. ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ﴾ يعني المؤمنين،  
والضمير في "زادهم" لله تعالى، أو للكلام الذي قال فيه المنافقون "ماذا قال آنفا"، وقيل: يعني ب"الذين  
اهتدوا" قوما من النصارى آمنوا بمحمد ﷺ فاهتدوا وهم هو إيمانهم بعبسى، وزيادة هداهم إسلامهم. ﴿ فَهَلْ  
يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ ﴾ الضمير للمنافقين، والمعنى: هل ينظرون إلا الساعة لأنها قريبة. ﴿ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ﴾  
أي: علاماتها، والذي كان قد جاء من ذلك مبعث محمد ﷺ لأنه قال: أنا من أشراط الساعة، وبعثت أنا  
والساعة كهاتين، [البخاري: 4652]. ﴿ فَأَنبَى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴾ أي: كيف لهم الذكرى إذا جاءتهم الساعة  
بغته فلا يقدر على عمل ولا تنفعهم التوبة، ففاعل "جاءتهم" "الساعة" و"ذكرهم" مبتدأ وخبره الاستفهام  
المتقدم، والمراد به الاستبعاد. ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ أي: دم على العلم بذلك، واستدل بعضهم بهذه الآية  
على أن النظر والعلم قبل العمل؛ لأنه قدم قوله "فاعلم" على قوله ﴿ وَاسْتَغْفِرْ ﴾. ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ  
وَمَثْوَاكُمْ ﴾ قيل "متقلبكم" تصرفكم في الدنيا و"مثواكم" إقامتكم في القبور، وقيل "متقلبكم" تصرفكم في

وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۗ فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۖ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۗ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۗ ۝١١ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ۗ ۝١٢ ۗ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرَاتِ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ۗ ۝١٣ ۗ إِنَّ الَّذِينَ آرْتَدُوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ ۗ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۗ ۝١٤ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ

اليقظة و"مشاكم" منامكم. ﴿لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ كان المؤمنون يقولون ذلك على وجه الحرص على نزول القرآن والرغبة فيه؛ لأنهم كانوا يفرحون به ويستوحشون من إبطائه. ﴿سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ﴾ يحتمل أن يريد بال"محكمة" ليس فيها منسوخ أو يريد متقنة، وقرأ ابن مسعود "سورة محدثة". ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ يعني المنافقين، ونظرهم ذلك من شدة الخوف من القتال؛ لأن نظر الخائف قريب من نظر المغشي عليه. ﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ﴾ في معناه قولان؛ أحدهما: أنه بمعنى أحق، وخبره على هذا ﴿طَاعَةٌ﴾ والمعنى: أن الطاعة والقول المعروف أولى لهم وأحق. والآخر: أن "أولى لهم" كلمة معناها التهديد والدعاء عليهم كقولك: ويل لهم، ومنه قوله ﴿أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ﴾ فيوقف على "أولى لهم" على هذا القول، ويكون "طاعة" ابتداء كلام تقديره: طاعة وقول معروف أمثل، أو المطلوب منهم طاعة وقول معروف، أو قولهم لك يا محمد طاعة وقول معروف بألسنتهم دون قلوبهم. ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ أسند العزم إلى الأمر مجازاً كقولك: نهاره صائم وليله قائم. ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾ يحتمل أن يريد صدق اللسان أو صدق العزم والنية؛ وهو أظهر. ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ هذا خطاب للمنافقين المذكورين خرج من الغيبة إلى الخطاب ليكون أبلغ في التوبيخ، والمعنى: هل يتوقع منكم الإفساد في الأرض وقطع الأرحام إن توليتم، ومعنى "توليتم" صرتم ولاة على الناس وصار الأمر لكم، وعلى هذا قيل إنها نزلت في بني أمية، وقيل: معناه عرضتم عن الإسلام. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آرْتَدُوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ﴾ نزلت في المنافقين الذين نافقوا بعد إسلامهم، وقيل: نزلت في قوم من اليهود كانوا قد عرفوا نبوة محمد ﷺ من التوراة ثم كفروا به. ﴿سَوَّلَ لَهُمْ﴾ أي: زين لهم ورجاهم أمانهم. ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ أي: مد لهم في الأمان والآمال، والفاعل هو الشيطان، وقيل: الله تعالى؛ والأول أظهر لتناسب الضمير بين الفاعلين في "سول" و"أمل".

سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ ﴿٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ  
يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا  
رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ  
أَضْغَانَهُمْ ﴿٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمُ فَلَعرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ<sup>ع</sup> وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ<sup>ج</sup>  
وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿١٠﴾ وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ  
أَخْبَارَكُمْ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ  
لَهُمْ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿١٢﴾

﴿ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ﴾ قال ذلك اليهود للمنافقين، و"بعض الأمر" يعنون به مخالفة رسول الله ﷺ ومحاربهته.  
﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ أي: كيف يكون حالهم إذا توفتهم الملائكة يعني ملك الموت ومن معه، والفاء  
رابطة للكلام مع ما قبله، والمعنى: هذا جزعهم من ذكر القتال فكيف يكون حالهم حين الموت. ﴿ يَضْرِبُونَ  
وُجُوهَهُمْ ﴾ ضمير الفاعل للملائكة، وقيل: للكفار؛ أي: يضربون وجوه أنفسهم؛ وذلك ضعيف. ﴿ أَمْ حَسِبَ ﴾  
الآية، معناها: أظن المنافقون أن لن يفضحهم الله، والضعن الحقد، ويراد به هنا النفاق والبغض في الإسلام  
وأهله. ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمُ ﴾ أي: لو نشاء لأريناك المنافقين بأعيانهم حتى تعرفهم بعلامتهم، ولكن الله  
ستر عليهم إبقاء عليهم وعلى أقاربهم من المسلمين، وروي أن الله لم يذكر له منهم واحدا باسمه. ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ  
فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ معنى "لحن القول" مقصده وطريقته، وقيل: اللحن هو الخفي المعنى، كالكنية والتعريض،  
والمعنى: أنه ﷺ سيعرفهم من دلائل كلامهم وإن لم يعرفه الله بهم على التعيين. ﴿ وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ ﴾ أي: نختبركم.  
﴿ حَتَّى نَعْلَمَ ﴾ أي: نعلمه علما ظاهرا في الوجود تقوم به الحجة عليكم، وقد علم الله الأشياء قبل كونها ولكنه  
أراد إقامة الحجة على عباده بما يصدر منهم، وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية بكى، وقال: اللهم لا  
تبتلينا فإنك إن ابتليتنا فضحتنا وهتكت أستاذنا. ﴿ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ ﴾ أي: خالفوه وعادوه، ونزلت الآية في  
المنافقين، وقيل: في اليهود. ﴿ وَلَا تُبْطَلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾ يحتمل أربعة معان؛ أحدها: لا تبطلوا أعمالكم بالكفر بعد  
الإيمان، والثاني: لا تبطلوا حسناتكم بفعل السيئات ذكره الزمخشري، وهذا على مذهب المعتزلة خلافا للأشعرية  
فإن مذهبهم أن السيئات لا تبطل الحسنات، والثالث: لا تبطلوا أعمالكم بالرياء والعجب، والرابع: لا تبطلوا  
أعمالكم بأن تقطعوها قبل تمامها، وعلى هذا أخذ الفقهاء الآية ولذلك يستدلون بها على أن من ابتدأ نافلة لم يجز  
له قطعها؛ وهذا أبعد هذه المعاني؛ والأول أظهرها لقوله قبل ذلك في الكفار أو المنافقين ﴿ وَسَيُحِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴾،

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿١٠١﴾ إِنَّ الَّذِينَ  
كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿١٠٢﴾ فَلَا تَهْنُوا  
وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْآعْلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَزِيْرَكُمْ ءَأَعْمَالَكُمْ ﴿١٠٣﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ  
الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ ءَأُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ ءَأَمْوَالَكُمْ ﴿١٠٤﴾ إِن  
يَسْأَلْكُمْوَهَا فَيُحْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَتُخْرِجُ أَصْغَانَكُمْ ﴿١٠٥﴾ هَاتُم هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ  
لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَن يَبْخُلُ وَمَن يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَن نَفْسِهِ ء وَاللَّهُ  
الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿١٠٦﴾

فكانه يقول: يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا أعمالكم مثل هؤلاء الذين أحبط الله أعمالهم بكفرهم وصددهم عن  
سبيل الله ومشاقتهم الرسول. ﴿فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ هذا قطع بأن من مات على الكفر لا يغفر الله له وقد  
أجمع المسلمون على ذلك. ﴿فَلَا تَهْنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ﴾ أي: لا تضعفوا عن مقاتلة الكفار وتبتدئوهم  
بطلب الصلح فهو كقوله ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾. ﴿وَلَن يَزِيْرَكُمْ ءَأَعْمَالَكُمْ﴾ أي: لن ينقصكم  
أجور أعمالكم، يقال: وترت الرجل وأتره إذا نقصته شيئاً أو أذهبت له متاعاً. ﴿وَلَا يَسْأَلْكُمْ ءَأَمْوَالَكُمْ﴾ أي:  
لا يسألكم جميعها إنما يسألكم في الزكاة ما يخف عليكم مثل ربع العشر وذلك خفيف. ﴿إِن يَسْأَلْكُمْوَهَا  
فَيُحْفِكُمْ تَبَخَّلُوا﴾ معنى "يحفكم" يلح عليكم، والإحفاء هو أشد السؤال و"تبخلوا" جواب الشرط.  
﴿وَيُخْرِجُ أَصْغَانَكُمْ﴾ الفاعل الله تعالى أو البخل، والمعنى يخرج ما في قلوبكم من البخل وكرهه الإنفاق.  
﴿هَؤُلَاءِ﴾ منصوب على التخصيص أو منادى. ﴿لِيُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني الجهاد أو الزكاة. ﴿وَمَن  
يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَن نَفْسِهِ﴾ أي: إنما ضرر بخله على نفسه، كأنه بخل على نفسه بالثواب الذي يستحقه  
بالإنفاق. ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يأت بقوم على خلاف صفتكم بل راغبين في الإنفاق في  
سبيل الله، فقيل: إن هذا الخطاب لقريش والقوم غيرهم الأنصار؛ وهذا ضعيف؛ لأن الآية مدنية نزلت  
والأنصار حاضرون، وقيل: الخطاب لكل من كان حينئذ بالمدينة و"القوم" هم أهل اليمن وقيل: فارس.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ  
 ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا  
 عَزِيمًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَاللَّهُ  
 جُنُودَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ  
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۗ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ  
 اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ  
 الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ

## سورة الفتح

نزلت هذه السورة حين انصرف رسول الله ﷺ من الحديبية، لما أراد أن يعتمر بمكة فصدته المشركون، وقال رسول الله ﷺ لعمر ﷺ وهما راجعان إلى المدينة: «لقد نزلت علي سورة هي أحب إلي من الدنيا وما فيها» [البخاري: 3943]. «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ» يحتمل هذا الفتح في اللغة أن يكون بمعنى الحكم، أي: حكمنا لك على أعدائك، أو من الفتح بمعنى العطاء كقوله «مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ» أو من فتح البلاد، واختلف في المراد بهذا الفتح على أربعة أقوال؛ الأول: أنه فتح مكة وعده الله به قبل أن يكون، وذكره بلفظ الماضي لتحققه وهو على هذا بمعنى فتح البلاد، الثاني: أنه ما جرى في الحديبية من بيعة الرضوان ومن الصلح الذي عقده رسول الله ﷺ مع قريش، وهو على هذا بمعنى الحكم أو بمعنى العطاء، ويدل على صحة هذا القول أنه لما وقع صلح الحديبية شق ذلك على بعض المسلمين بشروط كانت فيه حتى أنزل الله هذه السورة، وتبين أن ذلك الصلح له عاقبة محمودة، وهذا هو الأرجح؛ لأنه روي أنها لما نزلت قال بعض الناس: ما هذا الفتح وقد صدنا المشركون عن البيت؟ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «بل هو أعظم الفتح، قدرضي المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالراح ورجبوا إليكم في الأمان» [دلائل النبوة 4/460]، الثالث: أنه ما أصاب المسلمون بعد الحديبية من الفتح كفتح خيبر وغيرها، الرابع: أنه الهداية إلى الإسلام، ودليل هذا القول قوله «لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ» فجعل الفتح علة للمغفرة؛ ولا حجة في ذلك؛ إذ يتصور في الجهاد وغيره أن يكون علة للمغفرة أيضا أو تكون اللام للصيرورة والعاقبة لا للتعليل، فيكون المعنى: إنا فتحنا لك فتحا مبينا، فكان عاقبة أمرك أن جمع الله لك بين سعادة الدنيا والآخرة بأن غفر لك وأتم نعمته عليك وهداك ونصرك. «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ» أي: السكون والطمأنينة، يعني سكونهم في صلح الحديبية وتسليمهم بفعل رسول الله ﷺ، وقيل: معناه الرحمة. «الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ» معناه: أنهم ظنوا أن الله يخذل المؤمنين، فقالوا «لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا»،

عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۗ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾  
 وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا  
 وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ  
 الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۖ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ  
 عَلَىٰ نَفْسِهِ ۗ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهُ فَسَنُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ  
 الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا  
 لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ۖ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ  
 نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ

وقيل: معناه أنهم لا يعرفون الله بصفاته فذلك هو ظن السوء به؛ والأول أظهر بدليل ما بعده. ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ  
 السَّوْءِ﴾ يحتمل أن يكون خبراً أو دعاء. ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ أي: تشهد على أمتك. ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ أي:  
 تعظموه، وقيل: تنصروه، وقرئ "تعزروه" بزايين منقوطين، والضمير في ﴿تُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ للنبي ﷺ، وفي  
 ﴿تُسَبِّحُوهُ﴾ لله تعالى، وقيل: الثلاثة لله. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ هذا تشریف للنبي ﷺ حيث  
 جعل مبايعته بمنزلة مبايعة الله، ثم أكد هذا المعنى بقوله ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ وذلك على وجه التخييل  
 والتمثيل، يريد أن يد رسول الله ﷺ التي تعلوا أيدي المبايعين له هي يد الله في المعنى وإن لم تكن كذلك في  
 الحقيقة، وإنما المراد أن عقد ميثاق البيعة مع الرسول عليه الصلاة والسلام كعقده مع الله كقوله ﴿مَنْ يُطِيعِ  
 الرَّسُولَ فَقَدْ اطَّاعَ اللَّهَ﴾، وتأول المتأولون ذلك بأن يد الله معناها النعمة أو القوة وهذا بعيد هنا، ونزلت الآية  
 في بيعة الرضوان تحت الشجرة وسنذكرها بعد. ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ يعني أن ضرر نكثه على  
 نفسه، ويريد بالنكث هنا نقض البيعة. ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ الآية، ساءهم بالمخلفين لأنهم  
 تحلفوا عن غزوة الحديبية، و"الأعراب" هم أهل البوادي من العرب، لما خرج رسول الله ﷺ إلى مكة ليعتمر  
 رأوا أنه يستقبل عدوا كثيرا من قريش وغيرهم ففقدوا عن الخروج معه، ولم يكن إيمانهم متمكنا فظنوا أنه لا  
 يرجع هو ولا المؤمنون من ذلك السفر، ففضحهم الله في هذه السورة، وأعلم رسول الله ﷺ بقولهم واعتذارهم  
 قبل أن يصل إليهم، وأعلمه أنهم كاذبون في اعتذارهم. ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يحتمل أن يريد  
 قولهم ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾ لأنهم كذبوا في ذلك، أو قولهم ﴿فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ لأنهم قالوا ذلك رياء من

إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوِيًّا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿٢٠﴾ وَمَنْ لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿٢١﴾ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٢﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالِ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٣﴾ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُوتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا

غير توبة ولا صدق. ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ أي: هالكين من البوار وهو الهلاك، ويعني به الهلاك في الدين. ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ الآية، أخبر الله نبيه ﷺ أن المخلفين عن غزوة الحديبية يريدون الخروج معه إذا خرج إلى غزوة أخرى؛ وهي غزوة خيبر فأمر الله بمنعهم من ذلك وأن يقول لهم ﴿لَنْ تَتَّبِعُونَا﴾. ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ أي: يريدون أن يبدلوا وعد الله لأهل غزوة الحديبية، وذلك أن الله وعدهم أن يعوضهم من غنيمة مكة غنيمة خيبر وفتحها، وأن يكون ذلك مختصاً بهم دون غيرهم، فأراد المخلفون أن يشاركوهم في ذلك، فهذا هو ما أرادوا من التبديل، وقيل "كلام الله" قوله ﴿قُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ وهذا ضعيف؛ لأن هذه الآية نزلت في رجوع رسول الله ﷺ من تبوك بعد الحديبية بمدة. ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالِ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ يريد وعده باختصاص أهل الحديبية بغنائم خيبر. ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ معناه: يعز عليكم أن نصيب معكم مالا وغنيمة، و"بل" هنا للإضراب عن الكلام المتقدم، وهو قوله "لَنْ تَتَّبِعُونَا" كذلك قال الله من قبل "فمعناها: رد أن يكون الله حكماً بأن لا يتبعوهم، وأما "بل" في قوله تعالى ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فهي إضراب عن وصف المؤمنين بالحسد وإثبات لوصف المخلفين بالجهل. ﴿سَتُدْعُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ اختلف في هؤلاء القوم على أربعة أقوال؛ الأول: أنهم هوازن ومن حارب النبي ﷺ في غزوة خيبر، والثاني: أنهم الروم؛ إذ دعا رسول الله ﷺ إلى قتالهم في غزوة تبوك، والثالث: أنهم أهل الردة من بني حنيفة وغيرهم الذين قاتلهم أبو بكر الصديق ؓ، والرابع: أنهم الفرس؛ ويتقوى القول الأول والثاني بأن ذلك ظهر في حياة النبي ﷺ، وقوى المنذر بن سعيد الثالث بأن الله جعل حكمهم القتل أو الإسلام ولم يذكر الجزية، قال: وهذا لا يوجد إلا في أهل الردة، قلت: وكذلك هو موجود في كفار العرب إذ لا تؤخذ منهم الجزية فيقوي ذلك أنهم هوازن. ﴿أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ عطف على "تقاتلونهم"،

وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦٠﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ نُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ نُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ \* لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٦٢﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٣﴾ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ

قال ابن عطية: هو مستأنف. ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِّن قَبْلُ﴾ يريد في غزوة الحديبية. ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ الآية، معناها: أن الله تعالى عذر الأعمى والأعرج والمريض في تركهم للجهاد بسبب أعمارهم. ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار إن شاء الله أحد من أهل الشجرة الذين بايعوا تحتها» [مسلم: 2496]، وفي الحديث أنهم كانوا ألفا وأربعائة [البخاري: 3919]، وقيل: ألفا وخمسمائة [3922]، وسبب هذه البيعة أن رسول الله ﷺ لما بلغ الحديبية وهي موضع على نحو عشرة أميال من مكة، أرسل عثمان بن عفان ﷺ رسولاً إلى أهل مكة يخبرهم أنه إنما جاء ليعتمر، وأنه لا يريد حرباً فلما وصل إليهم عثمان ﷺ حبسه أقاربه كرامة له، فصرخ صارخ أن عثمان قد قتل فدعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة على القتال وأن لا يفر أحد، وقيل: بايعوه على الموت ثم جاء عثمان ﷺ بعد ذلك سالماً، وانعقد الصلح بين رسول الله ﷺ وبين أهل مكة على أن يرجع ذلك العام ويعتمر في العام المقبل، و"الشجرة" المذكورة كانت سمرة هنالك ذهبت بعد سنين، فمر عمر بن الخطاب ﷺ بالموضع في خلافته فاختلف الصحابة في موضعها. ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يعني من صدق الإيثار وصدق العزم على ما بايعوا عليه، وقيل: من كراهة البيعة على الموت؛ وهذا باطل لأنه ذم للصحابة وقد ذكرنا السكينة. ﴿وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ يعني فتح خيبر، وقيل: فتح مكة؛ والأول أشهر، أي: جعل الله ذلك ثواباً لهم على بيعة الرضوان زيادة على ثواب الآخرة، وأما المغانم الكثيرة المذكورة أولاً فهي مغانم خيبر وهي المعطوفة على الفتح القريب، وأما المغانم الكثيرة التي وعدهم الله وهي المذكورة ثانياً فهي كل ما يغنمه المسلمون إلى يوم القيامة، والإشارة بقوله ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ إلى خيبر، وقيل: إن المغانم التي وعدهم مغانم خيبر، والإشارة بـ"هذه" إلى صلح الحديبية. ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ﴾ أي: كف أهل مكة عن قتالكم في الحديبية، وقيل: كف اليهود وغيرهم عن الإضرار بنسائكم وذريبتكم حين خرجتم إلى الحديبية. ﴿وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: تكون هذه الفعلة وهي كف أيدي الناس عنكم آية للمؤمنين يستدلون بها على النصر، واللام تتعلق بفعل محذوف

وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٠﴾ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ  
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿١١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أَلَدَبَرْنَا لَمْ لَا تَجِدُونَ وَلِيًّا  
وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿١٣﴾ وَهُوَ  
الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ  
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ  
مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُمْ<sup>١</sup> وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ<sup>٢</sup> أَنْ تَطَّوَّهُمْ<sup>٣</sup>

تقديره: فعل الله ذلك لتكون آية للمؤمنين. ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ يعني فتح مكة، وقيل: فتح بلاد فارس والروم، وقيل: مغنم هوازن في حنين؛ والمعنى: لم تقدرُوا أنتم عليها وقد أحاط الله بها بقدرته ووهبها لكم، وإعراب "أخرى" معطوف على "عجل لكم هذه" أو مفعول بفعل مضمر تقديره: أعطاكم أخرى أو مبتدأ. ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني أهل مكة. ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ أي: عاداته، والإشارة إلى يوم بدر، وقيل: الإشارة إلى نصر الأنبياء قديما. ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ روي في سببها أن جماعة من فتيان قريش خرجوا إلى الحديبية ليصيبوا من عسكر رسول الله ﷺ، فبعث إليهم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ؓ في جماعة من المسلمين فهزموهم وأسروا منهم قوما وساقوهم إلى رسول الله ﷺ فأطلقهم، فكف أيدي الكفار هو أن هزموا وأسروا، وكف أيدي المؤمنين عن الكفار هو إطلاقهم من الأسر وسلامتهم من القتل، وقوله ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ يعني من بعد ما أخذتموهم أسارى. ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني أهل مكة. ﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يعني أنهم منعوهم عن العمرة بالمسجد الحرام عام الحديبية. ﴿وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُمْ﴾ "الهدى" ما يهدى إلى البيت من الأنعام، وكان رسول الله ﷺ قد ساق حيثئذ مائة بدنة، وقيل: سبعين ليهديها، والمعكوف المحبوس، و"محله" موضع نحره، يعني مكة والبيت، وإعراب "الهدى" عطف على الضمير المفعول في "صدوكم"، و"معكوفًا" حال من "الهدى"، و"أن يبلغ" مفعول بالعكف، فالمعنى: صدوكم عن المسجد الحرام وصدوا الهدى عن أن يبلغ محله، والعكف المذكور يعني به منع المشركين للهدى عن بلوغ مكة أو حبس المسلمين للهدى بينما ينظرون في أمرهم. ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ الآية، تعليل بصرف الله المؤمنين عن استئصال أهل مكة بالقتل، وذلك أنه كان بمكة رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يخفون إيمانهم، فلو سلط الله المؤمنين على أهل مكة لقتلوا أولئك المؤمنين وهم لا يعرفونهم، ولكن الله كفهم عنهم رحمة بالمؤمنين الذين كانوا بين أظهرهم، وجواب "لولا" محذوف تقديره: لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لسلطناكم عليهم. ﴿أَنْ تَطَّوَّهُمْ﴾ في موضع بدل

فَتُصِيبُكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا  
 الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ  
 الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى  
 وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ  
 الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ

من "رجال" و"نساء"، أو بدل من الضمير المفعول في "لم تعلموهم"، والوطة هنا الإهلاك بالسيف وغيره.  
 ﴿فَتُصِيبُكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ﴾ أي: تصيبكم من قتلهم مشقة وكرامة، واختلف هل يعني الإثم في قتلهم، أو الدية،  
 أو الكفارة، أو الملامة، أو عيب الكفار لهم بأن يقولوا قتلوا أهل دينهم، أو تألم نفوسهم من قتل المؤمنين؟ وهذا  
 أظهر؛ لأن قتل المؤمن الذي لا يعلم إيمانه وهو بين أهل الحرب لا إثم فيه ولا دية ولا ملامة ولا عيب.  
 ﴿لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ يعني رحمة للمؤمنين الذين كانوا بين أظهر الكفار بأن كف سيوف  
 المسلمين عن الكفار من أجلهم، أو رحمة لمن يشاء من الكفار بأن يسلموا بعد ذلك، واللام تتعلق بمحذوف  
 يدل عليه سياق الكلام تقديره: كان كف القتل عن أهل مكة ليدخل الله في رحمته من يشاء. ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا  
 الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ معنى "تزيّلوا" تميزوا عن الكفار، والضمير للمؤمنين المستورين الإيذان، أي: لو انفصلوا عن  
 الكفار لعذبنا الكفار، فقوله "لعذبنا" جواب "لو" الثانية، وجواب الأولى محذوف كما ذكرنا، ويحتمل أن يكون  
 "لعذبنا" جواب "لو" الأولى وكررت "لو" الثانية تأكيداً. ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾ يعني ألفة  
 الكفر وهي منعهم للنبي ﷺ والمسلمين عن العمرة، ومنعهم من أن يكتب في كتاب الصلح: بسم الله الرحمن  
 الرحيم، ومنعهم من أن يكتب: محمد رسول الله وقولهم: لو نعلم أنك رسول الله لا تبعناك ولكن اكتب  
 اسمك واسم أبيك، والعامل في "إذ جعل" محذوف تقديره: اذكر، أو قوله "لعذبنا"، والـ ﴿سَكِينَتَهُ﴾ هي  
 سكون المسلمين ووقارهم حين جرى ذلك. ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ قال الجمهور: هي لا إله إلا الله، وقد  
 روي ذلك عن النبي ﷺ [الترمذي: 3265]، وقيل: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقيل: لا إله إلا الله والله أكبر؛  
 وهذه كلها متقاربة، وقيل: هي بسم الله الرحمن الرحيم التي أبا الكفار أن تكتب. ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾  
 أي: كانوا كذلك في علم الله وسابق قضائه لهم، وقيل: أحق بها من اليهود والنصارى. ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ  
 الرُّءْيَا بِالْحَقِّ﴾ كان رسول الله ﷺ قد رأى في منامه عند خروجه إلى العمرة أنه يطوف بالبيت هو وأصحابه  
 بعضهم محلقون وبعضهم مقصرون، وروي أنه أتاه ملك في النوم فقال له ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ الآية،  
 فأخبر الناس برؤياه، وظنوا أن ذلك يكون في ذلك العام فلما صده المشركون عن العمرة عام الحديبية قال

إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُخْلِقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۗ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا  
فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ  
لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٨﴾ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ  
عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرِيهَمُ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ

المنافقون: أين الرؤيا؟ ووقع في نفوس المسلمين شيء من ذلك، فأنزل الله تعالى "لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق"؛ أي: تلك الرؤيا صادقة وسيخرج تأويلها بعد ذلك، فاطمأنت قلوب المؤمنين، وخرج رسول الله ﷺ في العام المقبل هو وأصحابه فدخلوا مكة واعتمروا وأقاموا بمكة ثلاثة أيام، وظهر صدق رؤياه، وتلك عمرة القضية، ثم فتح مكة بعد ذلك، ثم حج هو وأصحابه، و"صدق" في هذا الموضع يتعدى إلى مفعولين، و"بالحق" يتعلق بـ"صدق" أو بـ"الرؤيا" على أن يكون حالا منها. ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ لما كان الاستثناء بمشيئة الله يقتضي الشك في الأمر؛ وذلك محال على الله تعالى، اختلف في هذا الاستثناء على خمسة أقوال؛ الأول: أنه استثناء قاله الملك الذي رآه النبي ﷺ في المنام، فحكى الله مقالته كما وقعت، الثاني: أنه تأديب من الله لعباده ليقولوا إن شاء الله في كل أمر مستقبل، الثالث: أنه استثناء بالنظر إلى كل إنسان على حدته؛ لأنه يمكن أن يتم له الوعد أو يموت أو يمرض فلا يتم له، الرابع: أن الاستثناء راجع إلى قوله ﴿ءَامِنِينَ﴾ لا لدخول المسجد، الخامس: أن "إن شاء الله" بمعنى إذا شاء الله. ﴿مُخْلِقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ الحلاق والتقصير من سنة الحج والعمرة، والحلاق أفضل من التقصير لقول رسول الله ﷺ: «رحم الله المحلقين» ثلاثا، ثم قال في المرة الآخرة: «والمقصرين» [البخاري: 1640]. ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ يريد ما قدره من ظهور الإسلام في تلك المدة، فإنه لما انعقد الصلح وارتفعت الحرب رغب الناس في الإسلام، فكان رسول الله ﷺ في غزوة الحديبية في ألف وخمسة، وقيل: ألف وأربعمائة، وغزا غزوة الفتح بعدها بعامين ومعه عشرة آلاف. ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ يعني فتح خيبر، وقيل: بيعة الرضوان، وقيل: صلح الحديبية؛ وهذا هو الأصح لأن عمر ﷺ قال لرسول الله ﷺ: أفتح هو يا رسول الله؟ قال: «نعم» [الطبراني: 5469]، وقيل: هو فتح مكة، وهذا ضعيف؛ لأن معنى قوله "من دون ذلك" قبل دخول المسجد الحرام؛ وإنما كان فتح مكة بعد ذلك؛ فإن الحديبية كانت عام ستة من الهجرة، وعمرة القضية عام سبعة، وفتح مكة عام ثمانية. ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ذكر في براءة. ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أي: شاهدا بأن محمدا رسول الله، أو شاهدا بإظهار دينه. ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ يعني جميع أصحابه، وقيل: من شهد معه الحديبية، وإعراب "الذين" معطوف على "محمد" و"رسول الله" صفة، و﴿أَشِدَّاءُ﴾ خبر عن الجميع، وقيل: "الذين معه" مبتدأ و"أشداء" خبره و"رسول الله" خبر "محمد" ورجح ابن عطية هذا، والأول عندي أرجح؛ لأن الوصف بالشدة والرحمة يشمل النبي ﷺ وأصحابه، وأما على ما اختاره ابن عطية فيكون الوصف بالشدة والرحمة مختصا

سِيْمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنَ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ۖ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ  
كَزَّرَعٍ أُخْرِجَ شَطَطُهُ فَأَزْرَهُ فَأَسْتَعْلَظَ فَأَسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ ۖ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ  
الْكَفَّارَ ۗ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦﴾

بالصحابه دون النبي ﷺ، وما أحق النبي ﷺ بالوصف بذلك لأن الله قال فيه ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رِءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾،  
وقال له ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ فهذا هو الشدة على الكفار والرحمة بالمؤمنين. ﴿سِيْمَاهُمْ  
فِي وُجُوهِهِمْ﴾ السيماء العلامة، وفيه ستة أقوال؛ الأول: أنه الأثر الذي يحدث في جبهة المصلي من كثرة السجود،  
والثاني: أنه أثر التراب في الوجه، الثالث: أنه صفرة الوجه من السهر والعبادة، والرابع: أنه حسن الوجه لما ورد  
في الحديث «من كثرت صلواته بالليل حسن وجهه بالنهار»، وهذا الحديث غير صحيح؛ بل وقع فيه غلط من  
الراوي فرفعه إلى النبي ﷺ وهو غير مروي عنه، الخامس: أنه الخشوع، السادس: أن ذلك يكون في الآخرة،  
فيجعل الله لهم نورا من أثر السجود كما يجعل غرة من الضوء، وهذا بعيد؛ لأن قوله ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾  
وصف حالهم في الدنيا فيكون سيماءهم في وجوههم كذلك؛ والأول هو الأظهر، وقد كان بوجه علي بن  
الحسين بن علي بن أبي طالب وعلي بن عبد الله بن العباس أثر ظاهر من كثرة السجود. ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي  
التَّوْرَةِ﴾ أي: وصفهم فيها وتم الكلام هنا ثم ابتداء قوله ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَّرَعٍ﴾، وقيل إن مثلهم في  
الانجيل "عطف على مثلهم في التوراة" ثم ابتداء قوله "كزرع" وتقديره: هم كزرع، والأول أظهر ليكون  
وصفهم في التوراة بما تقدم من الأوصاف الحسان، وتمثيلهم في الإنجيل بالزرع المذكور بعد ذلك، وعلى هذا  
يكون "مثلهم في الانجيل" بمعنى التشبيه والتمثيل، وعلى القول الآخر يكون المثل بمعنى الوصف كمثالهم في  
التوراة: ﴿كَزَّرَعٍ أُخْرِجَ شَطَطُهُ﴾ هذا مثل ضربه الله للإسلام حيث بدأ ضعيفا ثم قوي وظهر، وقيل: الزرع  
مثل للنبي ﷺ؛ لأنه بعث وحده، فكان كالزرع حبة واحدة ثم كثر المسلمون، فهم كالشطاء وهو فراخ السنبل  
التي تنبت حول الأصل، ويقال بإسكان الطاء وفتحها دون مد وفتحها مع المد وهي لغات. ﴿فَأَزْرَهُ﴾ أي:  
قواه وهو من الموازنة بمعنى المعاونة، ويحتمل أن يكون الفاعل الزرع والمفعول "شطاء" أو بالعكس، لأن كل  
واحد منهما يقوي الآخر، وقيل: معناه ساواه طولاً، فالفاعل على هذا الشطاء ووزن "أزره" أفعله، وقيل: فاعله،  
وقرئ بقصر الهمزة على وزن فعل. ﴿فَأَسْتَعْلَظَ﴾ أي: صار غليظاً. ﴿فَأَسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ﴾ السوق: جمع ساق،  
أي: قام الزرع على سوقه، وقيل: "كزرع" يعني النبي ﷺ "أخرج شطاء" بأبي بكر ؓ، "فأزره" بعمر ؓ،  
"فاستغلظ" بعثمان ؓ، "فاستوى على سوقه" بعلي بن أبي طالب ؓ. ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ تعليل لما دل عليه  
المثل المتقدم من قوة المسلمين، فهو يتعلق بفعل يدل عليه الكلام تقديره: جعلهم الله كذلك ليغيب بهم الكفار،  
وقيل: يتعلق بـ ﴿وَعَدَّ﴾ وهو بعيد. ﴿مِنْهُمْ﴾ لبيان الجنس لا للتبويض؛ لأنه وعدَّ عمَّ جميعهم رضي الله عنهم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ۚ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ ۚ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن مَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

### سورة الحجرات

﴿لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ أحدها: لا تتكلموا بأمر قبل أن يتكلم هو به، ولا تقطعوا في رأي إلا بنظره، والثاني: لا تقدموا الولاية بمحضه فإنه يقدم من شاء، والثالث: لا تتقدموا بين يديه إذا مشى، وهذا إنما يجري على قراءة يعقوب "لا تقدموا" بفتح التاء والقاف والذال؛ والأول هو الأظهر؛ لأن عادة العرب الاشتراك في الرأي، وأن يتكلم كل أحد بما يظهر له، فربما فعل ذلك قوم مع النبي ﷺ فنهاهم الله عن ذلك، ولذلك قال مجاهد: معناه لا تفتاتوا على الله شيئاً حتى يذكره على لسان رسوله ﷺ، وإنما قال "بين يدي الله" لأن النبي ﷺ إنما يتكلم بوحى الله. ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ أمر الله المؤمنين أن يتأدبوا مع النبي ﷺ بهذا الأدب كرامة له وتعظيماً، وسببها أن بعض جفاة الأعراب كانوا يرفعون أصواتهم. ﴿أَن مَّحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ﴾ مفعول من أجله تقديره: مخافة أن تحبط أعمالكم إذا رفعتم أصواتكم فوق صوته، أو جهرتم له بالقول ﷺ، فالمفعول من أجله يتعلق بالفعلين معاً من طريق المعنى، وأما من طريق الإعراب فيتعلق عند البصريين بالثاني وهو "لا تجهروا"، وعند الكوفيين بالأول وهو "لا ترفعوا أصواتكم" وهذا الإحباط؛ لأن قلة الأدب معه ﷺ والتقصير في توقيره يحبط الحسنات، وإن فعله مؤمن لعظيم ما وقع فيه من ذلك، وقيل: إن الآية خطاب للمنافقين؛ وهذا ضعيف لقوله في أولها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، وقوله ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ فإنه لا يصح أن يقال هذا لمنافق، فإنه يفعل جراً وهو يقصده. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ نزلت في أبي بكر وعمر ﷺ، فإنه لما نزلت الآية قبلها قال أبو بكر ﷺ: والله يارسول الله لا كلمتك إلا سرا، وكان عمر ﷺ يخفي كلامه حتى يستفهمه النبي ﷺ، ولفظها مع ذلك على عمومها، ومعنى ﴿امْتَحَنَ﴾ اختبر، فوجدتها كما يجب، مثل ما يختبر الذهب بالنار فيوجد طيباً، وقيل: معناها دربها للتقوى حتى صارت قوية على احتمالها بغير تكلف، وقيل: معناه أخلصها الله للتقوى. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ "الحجرات" جمع حجرة وهي قطعة من الأرض يحجر حولها بحائط، وكان لكل واحدة من أزواج النبي ﷺ حجرة، ونزلت الآية في وفد بني تميم، قدموا على النبي ﷺ فدخلوا المسجد،

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ  
ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ  
نَادِمِينَ ﴿١٠١﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ

ودنوا من حجرات أزواج النبي ﷺ فوقفوا خارجها ونادوا: يا محمد؛ اخرج إلينا، فكان في فعلهم ذلك  
جفاء وبدادة وقلة توقير، فتربص رسول الله ﷺ مدة ثم خرج إليهم، فقال له واحد منهم وهو الأقرع بن  
حابس: يا محمد! إن مدحي زين وذمي شين، فقال له رسول الله ﷺ: «ويحك! ذلك الله تعالى» [أحد: 1604].  
﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يحتمل وجهين؛ أحدهما: أن يكون فيهم قليل ممن يعقل، ونفى العقل عن أكثرهم لا  
عن جميعهم، والآخر: أن يكون جميعهم ممن لا يعقل، وأوقع القلة موضع النفي؛ والأول أظهر في مقتضى  
اللفظ، والثاني أبلغ في الذم. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ يعني خيرا في الثواب وفي  
انبساط نفس النبي ﷺ وقضائه لحوائجهم، وإنكار فعلهم فيه تأديب لهم وتعليم لغيرهم. ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ  
بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ سببها أن النبي ﷺ بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط ﷺ إلى بني المصطلق ليأخذ زكاتهم،  
فروى أنه كان معاديا لهم فأراد إذابتهم، فرجع من بعض طريقه وكذب عليهم، وقال للنبي ﷺ: إنهم قد  
منعوني الصدقة وطرودوني وارتدوا، فغضب رسول الله ﷺ وهَمَّ بغزوهم ونظر في ذلك، فورد وفدُهم  
منكرين لذلك، وروى أن الوليد بن عقبة لما قرب منهم خرجوا إليه ملتقين له، فرأهم على بعد، ففرغ منهم  
وظن بهم الشر وانصرف، فقال ما قال، وروى أنه بلغه أنهم قالوا: لا نعطيهِ صدقة ولا نطيعه، فانصرف وقال  
ما قال، فال"فاسق" المشار إليه في الآية هو الوليد بن عقبة، ولم يزل بعد ذلك يفعل أفعال الفساق حتى صلى  
بالناس صلاة الصبح أربع ركعات وهو سكران، ثم قال لهم: أزيدكم؟ ثم هي باقية في من اتصف بهذه  
الصفة إلى آخر الدهر، وقرئ "فتبينوا" من التبيين و"تثبتوا" بالثاء من التثبت، ويقوي هذه القراءة أنها لما نزلت  
روى أن رسول الله ﷺ قال: «التثبت من الله، والعجلة من الشيطان» [ابن جرير 26/124]، واستدل بهذه الآية  
القائلون بقبول خبر الواحد؛ لأن دليل الخطاب يقتضي أن خبر غير الفاسق مقبول، قال المنذر البلوطي:  
وهذه الآية ترد على من قال: إن المسلمين كلهم عدول؛ لأن الله أمر بالتبيين قبل القبول؛ فالمجهول الحال  
يخشى أن يكون فاسقا. ﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ في موضع المفعول من أجله، تقديره: مخافة أن تصيبوا قوما  
بجهالة، والإشارة إلى قتال بني المصطلق لما ذكر الوليد عنهم ما ذكر. ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾  
أي: لشقيتم، والعنت المشقة، وإنما قال "لو يطيعكم" ولم يقل لو أطاعكم؛ للدلالة على أنهم كانوا يريدون  
استمرار طاعته عليه الصلاة والسلام لهم والحق خلاف ذلك، وإنما الواجب أن يطيعوه لا أن يطيعهم، وذلك  
أن رأي رسول الله ﷺ خير وأصوب من رأي غيره، ولو أطاع الناس في رأيهم هلكوا، فالواجب عليهم الانقياد

وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ  
وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلًّا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾  
وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَى  
فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا  
إِنَّ اللَّهَ مُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا  
اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ

إليه والرجوع إلى أمره وإلى ذلك الإشارة بقوله ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾ الآية. ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ  
الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ اختلف في سبب نزولها؛ فقال الجمهور: هو ما وقع بين المسلمين وبين  
المتحيزين منهم لعبد الله بن أبي بن سلول حين مر به رسول الله ﷺ، وهو متوجه إلى زيارة سعد بن عبادَةَ ﷺ في  
مرضه، فقال عبد الله بن أبي للنبي ﷺ: لقد آذاني نتن حمارك، فرد عليه عبد الله بن رواحة ﷺ، وتلاحا الناس  
حتى وقع بين الطائفتين ضرب بالجريد، ويروى: بالحديد [البخاري: 2545]، وقيل: سببها أن فريقين من  
الأَنْصَارِ وقع بينهما قتال فأصلحه رسول الله ﷺ بعد جهد، ثم حكمها باق إلى آخر الدهر، وإنما قال "اقتتلوا"  
ولم يقل "اقتتلا؛ لأن الطائفة في معنى القوم والناس فهي في معنى جمع. ﴿فَإِن بَغَتِ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَى  
فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَى﴾ أمر الله في هذه الآية بقتال الفئة الباغية وذلك إذا تبين أنها باغية؛ فأما الفتنة التي تقع بين  
المسلمين فاختلف العلماء فيها على قولين: أحدهما: أنه لا يجوز النهوض في شيء منها ولا القتال؛ وهذا  
مذهب سعد بن أبي وقاص وأبي ذر وجماعة من الصحابة ﷺ، وحجتهم قول رسول الله: «قتال المسلم كفر»  
[الترمذي: 2845]، وأمره ﷺ بكسر السيوف في الفتنة [الأحاد: 935]. والقول الثاني: أن النهوض فيها واجب  
لتكف الطائفة الباغية، وهذا مذهب علي وعائشة وطلحة والزبير وأكثر الصحابة ﷺ، وهو مذهب مالك  
 وغيره من الفقهاء، وحجتهم هذه الآية، فإذا فرغنا على القول الأول فإن دخل داخل على من اعتزل الفريقين  
منزله يريد نفسه أو ماله فعليه دفعه عن نفسه، وإن أدى ذلك إلى قتله لقوله ﷺ: «من قتل دون نفسه وماله فهو  
شهيد» [الترمذي: 1485]، وإذا فرغنا على القول الثاني فاختلف مع من يكون النهوض في الفتنة؟ فقيل: مع السواد  
الأعظم، وقيل: مع العلماء، وقيل: مع من يرى أن الحق معه، وحكم القتال في الفتنة أن لا يجهز على جريح ولا  
يطلب هارب ولا يقتل أسير ولا يقسم فيء. ﴿حَتَّى تَفِيءَ﴾ أي: ترجع إلى الحق. ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾  
إنما ذكره بلفظ التثنية لأن أقل من يقع بينهم البغي اثنان، وقيل: أراد بالأخوين الأوس والخزرج، وقرئ "بين  
إخوتكم" بالتاء على الجمع، وقرئ "بين إخوانكم" بالنون على الجمع أيضا. ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ نهي

عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّنْ نِّسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا  
 أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَلْسُمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ  
 فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥١﴾ يَتَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ  
 الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا

عن السخرية، وهي الاستهزاء بالناس. ﴿عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ أي: لعل المسخور منه خير من  
 الساخر عند الله؛ وهذا تعليل للنهي. ﴿وَلَا نِسَاءً مِّنْ نِّسَاءٍ﴾ لما كان القوم لا يقع إلا على الذكران عطف  
 النساء عليهم. ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: لا يطعن بعضكم على بعض، واللمز العيب سواء كان بقول أو  
 إشارة أو غير ذلك، وسنذكر الفرق بينه وبين الهمز في سورة الهمزة إن شاء الله، و"أنفسكم" هنا بمنزلة قوله  
 ﴿فَسَلَّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾. ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ أي: لا يدع أحدكم أحدا بلقب، والتنابز بالألقاب  
 التداعي بها، وقد أجاز المحدثون أن يقال الأعمش والأعرج ونحوه إذا دعت إليه الضرورة ولم يقصد  
 النقص والاستخفاف. ﴿بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ يريد ب"الاسم" أن يسمى الإنسان فاسقا بعد  
 أن سمي مؤمنا، وفي ذلك ثلاثة أوجه؛ أحدها: استقباح الجمع بين الفسق وبين الإيثار؛ فمعنى ذلك أن من  
 فعل شيئا من هذه الأشياء التي نهى عنها فهو فاسق وإن كان مؤمنا، والآخر: بشئ ما يقوله الرجل للآخر يا  
 فاسق بعد إيمانه، كقولهم لمن أسلم من اليهود يا يهودي، الثالث: أن يجعل من فسق غير مؤمن؛ وهذا على  
 مذهب المعتزلة. ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ يعني ظن السوء بالمسلمين، وأما ظن الخير فهو حسن. ﴿إِنَّ  
 بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ قيل: معنى الإثم هنا الكذب لقوله ﷺ «الظن أكذب الحديث» [البخاري: 5143]؛ لأنه قد لا  
 يكون مطابقا للأمر، وقيل: إنها يكون إثما إذا تكلم به، وأما إذا لم يتكلم به فهو في فسحة؛ لأنه لا يقدر على  
 دفع الخواطر، واستدل بعضهم بهذه الآية على صحة سد الذرائع في الشرع؛ لأنه أمر باجتنب كثير من الظن  
 وأخبر أن بعضه إثم، فأمر باجتنب أكثر من الإثم احترازا من الوقوع في البعض الذي هو إثم. ﴿وَلَا  
 تَجَسَّسُوا﴾ أي: لا تبحثوا عن مخبات الناس، وقرأ الحسن "تجسسوا" بالحاء والتجسس بالجيم في الشر،  
 وبالحاء في الخير، وقيل: التجسس ما كان من وراء، والتجسس بالحاء الدخول والاستعلام. ﴿وَلَا يَغْتَب  
 بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ المعنى: لا يذكر أحدكم من أخيه المسلم ما يكره لو سمعه، والغيبة هي ما يكره الإنسان  
 ذكره من خلقه أو دينه أو أفعاله أو غير ذلك، وفي الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال: «الغيبة أن  
 تذكر أخاك المؤمن بما يكره» قيل: يا رسول الله! وإن كان حقا؟ قال: «إذا قلت باطلا فذلك بهتان» [مسلم: 6758]،  
 وقد رخص في الغيبة في مواضع منها في التجريح في الشهادة والرواية، والنصيحة في النكاح وشبهه، وفي

أَتُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿٢١﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٢٢﴾ \* قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا قُلْ لَمْ تَمُنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ

التحذير من أهل الضلال. ﴿أَتُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ شبه الله تعالى الغيبة بأكل لحم ابن آدم ميتا، والعرب تشبه الغيبة بأكل اللحم ثم زاد في تقييده أن جعله "ميتا" لأن الجيفة مستقدرة، ويجوز أن يكون "ميتا" حال من الأخ أو من لحمه، وقوله "فكرهتموه" إخبار عن حالهم بعد التقرير، كأنه لما قرره: هل يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا؟ أجابوا فقالوا: لا نحب ذلك، فقال لهم: فكرهتموه، وبعد هذا محذوف تقديره: فكذلك فاكروها الغيبة التي هي تشبهه، وحذف هذا للدلالة الكلام عليه، وعلى هذا المحذوف يعطف قوله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ قاله أبو علي الفارسي، وقال الرماني: كراهة هذا اللحم يدعو إليها الطبع، وكراهة الغيبة يدعو إليها العقل، وهو أحق أن يجاب؛ لأنه بصير عالم والطبع أعمى جاهل، وقال الزمخشري: في هذه الآية مبالغات كثيرة؛ منها الاستفهام الذي معناه التقرير، ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة، ومنها إسناد الفعل إلى "أحدكم" والإشعار بأن أحدا من الأحدين لا يجب ذلك، ومنها أنه لم يقتصر على تمثيل الغيبة بأكل لحم الإنسان حتى جعله "ميتا"، ومنها أنه لم يقتصر على تمثيل الغيبة بأكل لحم الإنسان حتى جعله أخا. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ الذكر والأنثى هنا آدم وزوجه حواء، قال ابن عطية: ويحتمل أن يريد الجنس كأنه قال: إنا خلقنا كل واحد منكم من ذكر وأنثى؛ والأول أظهر وأصح لقوله ﷺ: «الناس من آدم وادم من التراب» [احمد: 8721]، ومقصود الآية التسوية بين الناس والمنع مما كانت العرب تفعله من التفاخر بالأحساب والطنع في الأنساب، فبين الله أن الكرم والشرف عند الله ليس بالحسب والنسب إنما هو بالتقوى، قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يكون أكرم الناس فليتنق الله» [الهارث: 677]، وروي أن سبب الآية أن رسول الله ﷺ أمر بني بياضة أن يزوجوا أبا هند امرأة منهم، فقالوا: كيف نزوج بناتنا للمواليا؟ ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ الشعوب جمع شعب بفتح الشين، وهو أعظم من القبيلة وتحت القبيلة، ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة وهم القرابة الأدنون؛ فمضر وربيعة وأمثالهما شعوب وقريش قبيلة، وبنو عبد مناف بطن، وبنو هاشم فخذ، ويقال بإسكان الحاء فرقا بينه وبين الجارحة، وبنو عبد المطلب فصيلة، وقيل: الشعب في العجم والقبائل في العرب والأسباط في بني إسرائيل، ومعنى "لتعارفوا" ليعرف بعضكم بعضا. ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا﴾ نزلت في بني أسد بن خزيمه، وهي قبيلة كانت تجاور المدينة أظهروا الإسلام، وكانوا إنما يحبون المغانم وعرض الدنيا فأكذبهم الله في قولهم "ءامننا"، وصدقهم لو قالوا ﴿أَسْلَمْنَا﴾ وهذا على أن الإيمان

وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا  
 الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ  
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٨﴾ قُلْ أَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا  
 فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٩﴾ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا  
 تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٠﴾  
 إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٢١﴾

هو التصديق بالقلب، والإسلام هو الانقياد للنطق بالشهادتين والعمل بالجوارح؛ فالإيمان والإسلام في هذا  
 الموضوع متباينان في المعنى، وقد يكونان متفقين وقد يكون الإسلام أعم من الإيمان فيدخل الإيمان فيه حسبما  
 ورد في مواضع أخرى. ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ معنى "لا يلتكم" لا ينقصكم  
 شيئاً من أجور أعمالكم، وفيه لغتان؛ يقال: لات وعليه قراءة نافع "يلتكم" بغير همز، ويقال: ألت وعليه  
 قراءة من قرأ "لا يالتكم" بهمزة قبل اللام، فإن قيل: كيف يعطيهم أجور أعمالهم، وقد قال إنهم لم يؤمنوا  
 ولا يقبل الأعمال إلا من مؤمن؟ فالجواب: أن طاعة الله ورسوله تجمع صدق الإيمان وصلاح الأعمال؛  
 فالمعنى: إن رجعت عما أنتم عليه من الإيمان بألسنتكم دون قلوبكم وعملت أعمالاً صالحة، فإن الله لا  
 ينقصكم منها شيئاً. ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ أي: لم يشكوا في إيمانهم، وفي ذلك تعريض بالأعراب المذكورين  
 لأنهم في شك، وكذلك قوله في هؤلاء ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ تعريض أيضاً بالأعراب إذ كذبوا في قولهم  
 "ءامنا"، وإنما عطف "ثم لم يرتابوا" بـ"ثم" إشعاراً بثبوت إيمانهم في الأزمنة المتراخية المتطاولة. ﴿وَجَاهَدُوا﴾  
 يريد جهاد الكفار؛ لأنه دليل على صحة الإيمان، ويبعد أن يريد جهاد النفس والشيطان لقوله ﴿بِأَمْوَالِهِمْ  
 وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾. ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ نزلت في بني أسد أيضاً، فإنهم قالوا للنبي ﷺ: إنا  
 آمننا بك واتبعناك، ولم نحاربك كما فعلت هوازن وخطفان وغيرهم. ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ  
 لِلإِيمَانِ﴾ أي: هداكم للإيمان على زعمكم، ولذلك قال ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، و"يمن عليكم" يحتمل أن  
 يكون بمعنى يُنعم عليكم، أو بمعنى يذكر إنعامه؛ وهذا أحسن؛ لأنه في مقابلة "يمنون عليك".

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ  
 مِنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَمْذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۗ ذٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾  
 قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ۗ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ

## سورة ق

تكلما على حروف الهجاء في البقرة، ويختص ﴿ق﴾ بأنه قيل فيه: إنه من اسم الله القاهر أو القادر، وقيل: هو اسم للقرآن، وقيل: هو اسم للجبل الذي يحيط بالدنيا. ﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ من المجد وهو الشرف والكرم، وجواب هذا القسم محذوف تقديره: ما ردوا أمرك بحجة وما كذبوك ببرهان وشبه ذلك، وعن هذا المحذوف وقع الإضراب بـ"بل"، وقيل: الجواب ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ﴾، وقيل: ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرًا﴾، وقيل: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ وهذه الأقوال ضعيفة متكلفة. ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ الضمير في "عجبوا" لكفار قريش والـ"منذر" هو محمد ﷺ، وقيل: الضمير لجميع الناس واختاره ابن عطية قال: ولذلك قال تعالى ﴿فَقَالَ الْكٰفِرُونَ﴾ أي: الكافرون من الناس؛ والصحيح أنه لقريش، وقوله "فقال الكافرون" وضع الظاهر موضع المضمرة لقصد ذمهم بالكفر، كما تقول: جاءني فلان، فقال الفاجر كذا إذا قصدت ذمه، وقوله "منذر منهم" إن كان الضمير لقريش فمعنى "منهم" من قبيلتهم يعرفون صدقه وأمانته وحسبه فيهم، وإن كان الضمير لجميع الناس فمعنى "منهم" إنسان مثلهم، وتعجبهم تحيرهم؛ فيحتمل أن يكون من أن يبعث الله بشرا، أو من الأمر الذي يتضمنه الإنذار وهو الحشر ويؤيد هذا ما يأتي بعد. ﴿أَمْذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ العامل في "إذا" محذوف تقديره: أنبعث إذا متنا. ﴿ذٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ الرجوع مصدر رجعته، والمراد به البعث بعد الموت، ومعنى "بعيد" أي: بعيد الوقوع عندهم، وقيل: الرجوع الجواب، أي: جوابهم هذا بعيد عن الحق، وعلى هذا يكون "ذلك رجوع بعيد" من كلام الله تعالى، وأما على الأول فهو حكاية كلام الكفار؛ وهو أظهر. ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ هذا رد على الكفار في إنكارهم للبعث، ومعناه: قد علمنا ما تنقص الأرض من لحومهم وعظامهم فلا يصعب علينا بعثهم، قال رسول الله ﷺ: «كل جسد ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب، منه خلق وفيه يركب» [البخاري: 4935]، وقيل: المعنى قد علمنا ما يحصل في بطن الأرض من موتاهم، والأول قول ابن عباس ؓ والجمهور وهو الأظهر. ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ﴾ يعني اللوح المحفوظ، ومعنى "حفيظ" جامع لا يشذ عنه شيء، وقيل: معناه محفوظ من التبديل والتغيير. ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ هذا الإضراب أتبع به الإضراب الأول للدلالة على أنهم جاؤوا بما هو أقبح من تعجبهم؛ وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة وما تضمنته من الأخبار بالحشر وغير ذلك، وقال ابن عطية:

فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيحٍ ﴿١﴾ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا هِيَ مِنْ  
فُرُوجٍ ﴿٢﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَالْقِيَامَةَ فِيهَا رَوَّاسِيًۖ وَأُنْبِتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٣﴾  
تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٤﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ  
وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٥﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿٦﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ  
بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿٧﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿٨﴾ وَعَادُ  
وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿٩﴾ وَأَصْحَابُ الْآيَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ  
وَعِيدُهُ ﴿١٠﴾ أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا  
الْإِنسَانَ وَنَعَلَّمُهُ مَا تُوسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ

هذا الإضراب عن كلام محذوف تقديره: ما أجادوا النظر أو نحو ذلك. ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيحٍ﴾ أي: مضطرب؛ لأنهم تارة يقولون ساحر، وتارة شاعر، وغير ذلك من أقوالهم، وقيل: معناه منكر، وقيل: ملتبس، وقيل: مختلط. ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ يعني بالنجوم. ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ أي: من شقاق؛ وذلك دليل على إتقان الصنعة. ﴿رَوَّاسِيًۖ﴾ يعني الجبال. ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ أي: من كل نوع جميل. ﴿مَاءً مُبَارَكًا﴾ يعني المطر كله، وقيل: الماء المبارك ماء مخصوص ينزله الله في كل سنة، وليس كل مطر يتصف بالبركة؛ وهذا ضعيف. ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ هو القمح والشعير ونحو ذلك مما يحصد. ﴿بَاسِقَاتٍ﴾ أي: طويلات. ﴿طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ الطلع أول ما يظهر من الثمر وهو أبيض منضد كحب الرمان، فما دام ملتصقا بعبه بعضه فهو نضيد، فإذا تفرق فليس بنضيد. ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ تمثيل لخروج الموتى من القبور بخروج النبات من الأرض. ﴿وَأَصْحَابُ الرَّسِّ﴾ قوم كانت لهم بئر عظيمة؛ وهي الرس، بعث إليهم نبي فجعلوه في الرس ودموا عليه فأهلكهم الله. ﴿وَأَصْحَابُ الْآيَةِ﴾ يعني قوم شعيب وقد ذكر. ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ ذكر في الدخان. ﴿فَحَقَّ وَعِيدُهُ﴾ أي: حل بهم الهلاك. ﴿أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ يقال: عيب بالأمرا إذا لم يعرف عمله، و"الخلق الأول" خلق الإنسان من نطفة ثم من علقه، وقيل: خلق آدم، وقيل: خلق السماوات والأرض، والأول أظهر. ومقصود الآية الاستدلال بالخلقة الأولى على البعث، والهمزة للإنكار. ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: هم في شك من البعث، وإنما نكر الـ"خلق" الـ"جديد"؛ لأنه كان غير معروف عند الكفار المخاطبين، وعرف "الخلق الأول" لأنه معروف معهود. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾ يعني جنس الناس، ومعنى ﴿تُوسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ تحدته به نفسه في فكرتها، وذلك أخفى الأشياء، وقيل: يعني آدم ووسوسته عند أكله من الشجرة؛



وَحَنُّ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿٩﴾ وَتُفْعَخُ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ ﴿١٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿١١﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿١٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَتِيدٌ ﴿١٣﴾

والأول أظهر وأشهر. ﴿وَحَنُّ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ هو عرق كبير في العنق؛ وهما وريدان عن يمين وشمال، وهذا مثل في فرط القرب، والمراد به قرب علم الله واطلاعه على عبده، وإضافة الـ"حبل" إلى "الوريد" كقولك: مسجد الجامع أو يراد بالـ"حبل" العاتق. ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ يعني الملكين الحافظين الكاتبين للأعمال، والتلقي هو تلقي الكلام بحفظه وكتابته، والعامل في "إذ" "نحن أقرب"، وقيل: مضمرة تقديره: اذكر؛ واختاره ابن عطية. ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ أي: قاعد، وقيل: مقاعد بمعنى مجالس، ورده ابن عطية بأن المقاعد إنما يكون مع قعود الإنسان، والقاعد يكون على جميع هيئات الإنسان، وإنما أفردته وهما اثنان؛ لأن التقدير: عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين، فحذف أحدهما لدلالة الآخر عليه، وقال الفراء: لفظ "قعيد" يدل على الاثنين والجماعة فلا يحتاج إلى حذف. ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ الـ"عتيد" الحاضر، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «إن مقعد الملكين على الشفتين، قلمهما اللسان ومدادهما الريق» [أخبار أصبهان: 4006]، وعموم الآية يقتضي أن الملكين يكتبان جميع كلام العبد، ولذلك قال الحسن وقتادة: يكتب الملكان جميع الكلام، فيثبت الله من ذلك الحسنات والسيئات ويمحو غير ذلك، وقال عكرمة: إنها تكتب الحسنات والسيئات لا غير. ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ أي: بقاء الله أو فراق الدنيا، وفي مصحف عبد الله بن مسعود ؑ "وجاءت سكرة الحق بالموت"، وكذلك قرأها أبو بكر الصديق ؑ، وإنما قال "جاءت" بالماضي لتحقق الأمر وقربه، وكذلك ما بعده من الأفعال. ﴿ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أي: تفر وتهرب، والخطاب للإنسان. ﴿سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ الـ"سائق" ملك يسوقه، وأما الـ"شاهد" فقيل: ملك آخر يشهد عليه؛ وهو الأظهر، وقيل: صحائف الأعمال، وقيل: جوارح الإنسان. ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ خطاب للإنسان الذي يقتضيه قوله ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ يريد أنه كان غافلاً عما لقي في الآخرة، وقيل: هو خطاب لمحمد ﷺ، أي: كنت في غفلة من هذا القصص؛ وهذا في غاية الضعف؛ لأنه خروج عن سياق الكلام. ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾ يريد بكشف الغطاء معاينة أمور الآخرة. ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ أي: يبصر ما لم يكن يبصره قبل، قال رسول الله ﷺ: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا». ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَتِيدٌ﴾ القرين

أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢١﴾ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ ﴿٢٢﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ  
 إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٣﴾ \* قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطَّغَيْتُهُ وَلَكِنْ  
 كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٥﴾ مَا  
 يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٢٦﴾ يَوْمَ يَقُولُ لِحَبَّاهُمْ هَلْ أَمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ  
 هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿٢٧﴾

هنا الشيطان الذي كان يغويه، وقيل: الملك الذي كان يسوقه، وقيل: الملك الذي يتولى عذابه في جهنم؛  
 والأول أرجح لأنه هو القرين المذكور بعد، ولقوله ﴿نُقِيضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾، ومعنى قوله "هذا  
 ما لدي عتيد"؛ أي: هذا الإنسان حاضر لدي قد أعدته ويسرته لجهنم، وكذلك المعنى إن قلنا إن القرين  
 هو الملك السائق، وإن قلنا إنه أحد الزبانية فمعناه هذا العذاب لدي حاضر، ويحتمل أن تكون "ما" في قوله  
 "ما لدي" موصوفة أو موصولة؛ فإن كانت موصوفة فـ"عتيد" وصف لها، وإن كانت موصولة فـ"عتيد" بدل  
 منها، أو خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف، و"ما" هي خبر المبتدأ على هذه الوجوه، ويحتمل أن يكون  
 "عتيد" الخبر وتكون "ما" بدلا من هذا أو منصوبة بفعل مضمرة. ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ خطاب للملكين  
 السائق والشاهد، وقيل: إنه خطاب لواحد على أن يكون بالنون المؤكدة الخفيفة ثم أبدل منها ألف، أو على  
 أن يكون معناه ألقى ألقى فثني مبالغة وتأكيذا، أو على أن يكون على عادة العرب من مخاطبة الاثنين، كقولهم:  
 خليلي وصاحبتي؛ وهذا كله تكلف بعيد وما يدل على أن الخطاب لاثنين قوله ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا  
 الشَّدِيدِ﴾. ﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ قيل: مناع للزكاة المفروضة؛ والصحيح العموم. ﴿مُرِيبٍ﴾ أي: شاك في الدين  
 فهو من الريب بمعنى الشك. ﴿الَّذِي جَعَلَ﴾ يحتمل أن يكون مبتدأ وخبره "فألقياه"، وأدخل فيه ألفا  
 لتضمن معنى الشرط، أو يكون بدلا، أو صفة، ويكون "فألقياه" تكرارا للتوكيد. ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا  
 أَطَّغَيْتُهُ﴾ القرين هنا شيطانه الذي وكل به في الدنيا بلا خلاف، ومعنى "ما أطغيته" ما أوقعته في الطغيان  
 ولكنه طغى باختياره، وإنما حذف الواو هنا؛ لأن هذه جملة مستأنفة، بخلاف قوله "وقال قرينه" قبل هذا فإنه  
 عطف. ﴿لَا تَخْتَصِمُوا﴾ خطاب للناس وقرنائهم من الشياطين. ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ﴾ أي: قد حكمت  
 بتعذيب الكفار فلا تبديل لذلك، وقيل: معناه لا يكذب أحد لدي لعلمي بجميع الأمور؛ فالإشارة على هذا  
 إلى قول القرين "ما أطغيته". ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ الفعل مسند إلى "جهنم"، وقيل: إلى خزنتها من  
 الملائكة؛ والأول أظهر، واختلف هل تتكلم جهنم حقيقة أو مجازا بلسان الحال؟ والأظهر أنه حقيقة وذلك  
 على الله يسير، ومعنى قولها "هل من مزيد" أنها تطلب الزيادة وكانت لم تمتلئ، وقيل: معناه لا مزيد، أي:

وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿١٦﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ ﴿١٧﴾ مَنْ  
 خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿١٨﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿١٩﴾  
 هُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٢٠﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ  
 بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ﴿٢١﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ  
 أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ  
 وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٢٣﴾ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ

ليس عندي موضع للزيادة، فهي على هذا قد امتلأت؛ والأول أظهر وأرجح لما ورد في الحديث: «لا تنزل جهنم يلقى فيها، وتقول هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه» [أبو يعلى: المطالب 4687]، وفي هذا الحديث كلام ليس هذا موضعه، والـ"مزيد" يحتمل أن يكون مصدرا كالمحيض أو اسم مفعول؛ فإن كان مصدرا فوزنه مفعول، وإن كان اسم مفعول فوزنه مفعول. ﴿وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ﴾ أي: قربت، ثم أكد ذلك بقوله ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾. ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ أي: كثير الرجوع إلى الله، فهو من آب يؤوب إذا رجع، وقيل: هو المسيح لله من قوله ﴿يَا جِبَالٍ أَوْيِي مَعَهُ﴾. ﴿حَفِيفٌ﴾ أي: حافظ لأوامر الله في فعلها ولنواهيها في تركها. ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ أي: اتقى الله وهو غائب عن الناس؛ فالمجرور في موضع الحال، و"من خشي" بدل أو مبتدأ، فإن قيل: كيف قرن بالخشية الاسم الدال على الرحمة؟ فالجواب: أن ذلك لقصد المبالغة في الثناء على من يخشى الله؛ لأنه يخشاه مع علمه برحمته وعفوه قال ذلك الزمخشري، ويحتمل أن يكون الجواب عن ذلك أن "الرحمن" قد يستعمل استعمال الاسم الذي ليس بصفة، كقولنا: الله. ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ قيل: يعني النظر إلى وجه الله كقوله ﴿الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾، وقيل: يعني ما لم يخطر على قلوبهم كما ورد في الحديث مما يرويه النبي ﷺ عن ربه أنه قال: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر» [البخاري: 3072]. ﴿هُم أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ الضمير في "هم" للقرون المتقدمة، وفي "منهم" لكفار قريش. ﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾ أي: طافوا فيها، وأصله دخولها من أبقائها، أو من التنقب عن الأمر بمعنى البحث عنه. ﴿هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ أي: قالوا: هل من مهرب من الله أو عن العذاب؟. ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ أي: قلب واع يعقل ويفهم. ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي: استمع وهو حاضر القلب. ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ اللغوب الإعياء والتعب. ﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ يعني كفار قريش وغيرهم. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ يحتمل أن يريد التسبيح باللسان أو يريد الصلاة، وقد ذكر الزمخشري الوجهين، وقال ابن عطية:

قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٦﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُودِ ﴿٧﴾  
 وَأَسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ  
 يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِيهِمْ وَنُمِيتُهُمْ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ  
 سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿١١﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ  
 بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَبِيدِ ﴿١٢﴾

معناه صلِّ بإجماع من المتأولين، وهي على هذا إشارة إلى الصلوات الخمس؛ ف﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ الصبح،  
 ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ الظهر والعصر، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ المغرب والعشاء، وقيل: هي النوافل. ﴿وَإِدْبَارَ النُّجُودِ﴾  
 قال عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب ؓ: يعني الركعتين بعد المغرب، وقال ابن عباس ؓ: هي النوافل  
 بعد الفرائض، وقيل: الوتر. ﴿وَأَسْتَمِعْ﴾ معناه: انتظر، فهو عامل في "يوم يناد" على أنه مفعول به صريح،  
 وقيل: استمع لما نقص عليك من أهوال يوم القيامة، فعلى هذا لا يكون عاملاً في "يوم يناد" فيوقف على  
 "استمع"؛ والأول أظهر. ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ "المناد" هنا هو إسرافيل الذي ينفخ في الصور،  
 قيل: إنما وصفه بالقرب لأنه يسمعه جميع الخلق، وقيل: الـ"مكان" صخرة بيت المقدس، وإنما وصفها  
 بالقرب لقربها من مكة، وقيل: لقربها من السماء؛ لأنها أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً؛ وهذا  
 ضعيف. ﴿يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ يعني خروج الناس من القبور. ﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ﴾ العامل في هذا الظرف معنى قوله  
 ﴿حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ أو هو بدل مما قبله. ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ أي: بقهار تقهرهم على الإيمان كقوله  
 ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُضْطَرٍِّ﴾، وقيل: إنه إخبار بأنه ﷺ رؤوف بهم غير جبار عليهم؛ وهذا أظهر. ﴿فَذَكَرْ  
 بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَبِيدِ﴾ كقوله ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ لأنه لا ينفع التذكير إلا فيمن يخاف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالذَّارِيَاتِ ذُرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾  
فَالْمَقْسِمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ  
الْحُبُّكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُوفِكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قَتِيلَ الْخَرَاصُونَ ﴿١٠﴾

سورة الذاريات

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرْوًا﴾ هي الرياح تذر التراب وغيره، ومنه قوله تعالى: ﴿تَذُرُّهُ الرِّيَّاحُ﴾، وانتصب "ذروا" على المصدرية. ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ هي السحاب تحمل المطر، والوقر الحمل وهو مفعول به. ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ هي السفن تجري في البحر، وإعراب "يسرا" صفة لمصدر محذوف، ومعناه: بسهولة. ﴿فَالْمَقْسِمَاتِ أَمْرًا﴾ هي الملائكة تقسم أمور الملكوت من الأرزاق والآجال وغير ذلك، و"أمرا" مفعول به، وقيل: إن "الحاملات وقرات" السفن، وقيل: جميع الحيوان الحامل، وقيل: إن "الجاريات يسرا" السحاب، وقيل: الجوارى من الكواكب؛ والأول أشهر، وهو قول علي بن أبي طالب ؑ. ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ﴾ هذا جواب القسم، ويحتمل "توعدون" أن يكون من الوعد أو من الوعيد؛ والأظهر أنه يراد به البعث في الآخرة، وهو يشمل الوعد والوعيد. ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ "الدين" هنا الجزاء، وقيل: الحساب. ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُّكِ﴾ أي: ذات الطرائق، مثل الطرائق التي تكون في الماء إذا هبت عليه الرياح، وكذلك حُبُّكَ الزرع هي الطرائق التي تكون فيه. وقيل: "الحبك" النجوم. وقيل: زينة السماء. وقيل: حسن خلقتها، وواحد "الحبك" حباك أو حبيكة. ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ يحتمل أن يكون خطابا لجميع الناس؛ لأنهم اختلفوا فمنهم مؤمن ومنهم كافر، ويحتمل أن يكون خطابا للكفار خاصة؛ لأنهم اختلفوا فقال: بعضهم ساحر، وقال بعضهم: كاهن، وقال بعضهم: شاعر. ﴿يُوفِكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ معنى "يوفك" يصرف، والضمير في "عنه" يحتمل أربعة أوجه؛ أحدها: أن يكون للنبي ﷺ أو للقرآن أو للإسلام، والمعنى: يصرف عن الإيمان به من صرف؛ أي: من سبق في علم الله أنه مصروف. الثاني: أن يكون الضمير "لما توعدون" أو "لدين" المذكور، والمعنى: يصرف عن الإيمان به من صرف. الثالث: أن يكون الضمير للقول المختلف، والمعنى: يصرف عن ذلك القول إلى الإسلام من قضي الله بسعادته؛ وهذا القول أحسن، إلا أن عرف الاستعمال في "أفك" و"يوفك" إنها هو في الصرف من خير إلى شر، وهذا من شر إلى خير. الرابع: أن يكون الضمير للقول المختلف وتكون "عن" سببية، والمعنى يصرف بسبب ذلك القول من صرف عن الإيمان. ﴿قَتِيلَ الْخَرَاصُونَ﴾ دعاء عليهم كقولهم: قاتلك الله، وقيل: إن "قتل" بمعنى لعن، قال ابن عطية: واللفظ لا يقتضي ذلك، وقال الزمخشري: أصله الدعاء بالقتل ثم جرى مجرى لُعِنَ وَقُبِحَ، و"الخراصون" الكذابون، وأصل الخرص التخمين والقول بالظن.

الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ - أَخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ رَبُّهُمْ وَرَبُّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْآسِحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾

والإشارة إلى الكفار، وقيل "إلى الكهان؛ والأول أحسن. ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ الـ "غمرة" ما يغطي عقل الإنسان، وأصله غمرة الماء، والمراد به هنا الجهالة والغفلة عن النظر. ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي: يقولون متى يوم الدين على وجه الاستبعاد والاستخفاف. ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ هذا جواب عن سؤالهم، ومعنى "يفتنون" يحرقون ويعذبون، ومنه قيل للحرّة: فتين، كأن الشمس أحرقت حجارتها، ويحتمل أن يكون "يوم هم" معربا والعامل فيه مضمّر تقديره: يقع ذلك يوم هم على النار يفتنون، وأن يكون مبنيًا لإضافته إلى مبني، وعلى هذا يجوز أن يكون في موضع نصب بالفعل المضمّر حسبها ذكرنا، أو في موضع رفع، والتقدير: هو يوم هم على النار يفتنون. ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ أي: يقال لهم ذوقوا حرقكم. ﴿- أَخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ يعني يأخذون في الجنة ما أعطاهم ربهم من الخيرات والنعيم. وقيل: المعنى آخذين في الدنيا ما آتاهم ربهم من شرعه؛ والأول أظهر وأرجح لدلالة الكلام عليه. ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ الهجوع النوم، وفي معنى الآية قولان؛ أحدهما وهو الصحيح: أنهم كانوا ينامون قليلا من الليل ويقطعون أكثر الليل بالسهر في الصلاة والتضرع والدعاء، والآخر: أنهم كانوا لا ينامون بالليل قليلا ولا كثيرا، ويختلف الإعراب باختلاف المعنيين؛ فأما على القول الأول ففي الإعراب أربعة أوجه؛ الأول: أن يكون "قليلا" خبر "كانوا"، و"ما يهجعون" فاعل بـ "قليلا"؛ لأن "قليلا" صفة مشبهة باسم الفاعل، وتكون "ما" مصدرية، والتقدير: كانوا قليلا هجوعهم من الليل. والثاني: مثل هذا إلا أن "ما" موصولة، والتقدير: كانوا قليلا الذي يهجعون فيه من الليل. والثالث: أن تكون "ما" زائدة، و"قليلا" ظرف والعامل فيه "يهجعون"، والتقدير: كانوا يهجعون وقتا قليلا من الليل. والرابع: مثل هذا إلا أن "قليلا" صفة لمصدر محذوف، والتقدير: كانوا يهجعون هجوعا قليلا. وأما على القول الثاني ففي الإعراب وجهان؛ أحدهما: أن تكون "ما" نافية، و"قليلا" ظرف، والعامل فيه "يهجعون"، والتقدير: كانوا ما يهجعون قليلا من الليل. والآخر: أن تكون "ما" نافية، و"قليلا" خبر "كان"، والمعنى: كانوا قليلا في الناس، ثم ابتداء بقوله: "من الليل ما يهجعون"؛ وكلا الوجهين باطل عند أهل العربية؛ لأن ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، فظهر ضعف هذا المعنى ببطان إعرابه. ﴿وَبِالْآسِحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي: يطلبون من الله مغفرة ذنوبهم، و"الاسحار" آخر الليل، وقد جاء في الحديث: «أن الله تعالى

وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١١﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ دَرَجَاتٌ أَعْلَى تَبْصُرُونَ ﴿١٣﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿١٤﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿١٥﴾ هَلْ آتَيْكَ حَدِيثٌ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿١٦﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا

يقول في الثلث الآخر من الليل: من يستغفري فأغفر له [البخاري: 1145]، وقيل: معنى "يستغفرون" يصلون؛ وهذا بعيد من اللفظ. ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ الـ "حق" هنا نوافل الصدقات، وقيل: المراد الزكاة؛ وهذا بعيد لأن الآية مكية وإنما فرضت الزكاة بالمدينة. وقيل: إن الآية منسوخة بالزكاة؛ وهذا لا يحتاج إليه؛ لأن النسخ إنما يكون مع التعارض ولا تعارض بين الزكاة والنوافل، وتسمية النوافل بالحق كقوله: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ وإن كان غير واجب، وقال بعض العلماء: في المال حق سوى الزكاة، ورجحه ابن عطية، واختلف الناس في "المحروم" حتى قال الشعبي: أعياي أن أعلم ما "المحروم"، وقيل: "المحروم" الذي ليس له في بيت المال سهم، وقيل: الذي أجيحت ثمرته، وقيل: الذي ماتت ماشيته، وقيل: هو الكلب؛ وهذه الأقوال أمثلة، والمعنى الجامع لها: أن "المحروم" الذي حرّمه الله المال بأي وجه كان. ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ إشارة إلى ما في خلقة الإنسان من الآيات والعبر، ولقد قال بعض العلماء: إن فيه خمسة آلاف حكمة، وقال بعضهم: الإنسان نسخة مختصرة من العالم كله. ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ معنى "في السماء رزقكم" المطر، وقيل: القضاء والقدر؛ ويحتمل أن يكون "ما توعدون" من الوعد أو الوعيد، والكل في السماء، ولذلك قيل: يعني الجنة والنار، وقيل: الخير والشر. ﴿إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ هذا جواب القسم، والضمير لما تقدم من الآيات والرزق أو لما توعدون. ﴿مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ أي: حق مثل نطقكم لا يمكن الشك فيه، و"ما" زائدة، وقرئ "مثل" بالنصب والرفع؛ فالرفع صفة "الحق"، والنصب على الحال من "حق"، أو من الضمير المستتر فيه، أو صفة "الحق"، وبني لإضافته إلى مبني، أو لتركيبه مع "ما" فيصير نحو: أينما وكلما. ﴿هَلْ آتَاكَ حَدِيثٌ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ المراد بالاستفهام في مثل هذا التفخيم والتهويل، و"ضيف إبراهيم" هم الملائكة الذين جاؤوه ليبشروه بالولد وبإهلاك قوم لوط، ووصفهم بـ"المكرمين"؛ لأنهم مكرمون عند الله، ولأن إبراهيم عليه السلام أكرمهم؛ لأنه خدمهم بنفسه وعجل لهم الضيافة، والعامل في: ﴿إِذْ دَخَلُوا﴾ على هذا "المكرمين"، ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوفاً تقديره: اذكر. ﴿فَقَالُوا سَلَامًا﴾ نصب هذا لأنه في معنى الطلب، وهو مفعول بفعل مضمّر، ورفع الثاني لأنه خبر تقديره: أمري سلام، وهذا على أن يكون الـ "سلام" بمعنى السلامة وإن كان بمعنى التحية، فإنما رفع الثاني ليدل على إثبات السلام، فيكون قد حياهم بأكثر مما حيوه،

قَالَ سَلَّمَ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿١٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ﴿١٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ  
 أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿١٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴿١٨﴾ قَالُوا لَا تَخَفْ <sup>ط</sup> وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿١٩﴾  
 فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرََّةٍ فَصَكَتْ وَجَهَّهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٠﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ  
 إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٢١﴾ \* قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا  
 إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٢٣﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٢٤﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ  
 ﴿٢٥﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ  
 ﴿٢٧﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَتَخَفُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٨﴾ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ  
 بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٠﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ  
 فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٣١﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٣٢﴾

ويتنصب الـ "سلام" الأول على هذا على المصدرية تقديره: سلمنا عليك سلاما، ويرتفع الثاني بالابتداء تقديره:  
 سلام عليكم. ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ أي: لم يعرفهم. ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ يحتمل أن يكون "ألا" حضا على الأكل، أو  
 تكون الهمزة للإنكار دخلت على لا النافية. ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ إنما خاف منهم لما لم يأكلوا. ﴿وَبَشَّرُوهُ  
 بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ هو إسحاق عليه السلام لقوله: ﴿فَبَشَّرْنَاَهَا بِإِسْحَاقَ﴾. ﴿فِي صَرََّةٍ﴾ أي: صيحة؛ وذلك قولها:  
 ﴿يَا وَيْلَتَىٰ أَيْدِيَّ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾، وهو من صرَّ القلم وغيره إذا صوت، وقيل: معناه في جماعة من النساء. ﴿فَصَكَتْ  
 وَجَهَّهَا﴾ أي: ضربته حياء منهم أو تعجبا من ولادتها وهي عجوز. ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ تقديره: قالت  
 أنا عجوز عقيم فكيف ألد؟ أو تقديره: أتلد عجوز عقيم؟ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي: ما شأنكم وخبركم،  
 والخطب أكثر ما يقال في الشدائد. ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ يعني قوم لوط، وقد ذكرنا الـ "حجارة"  
 و﴿مُسَوِّمَةً﴾ في هود. ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الضمير المجرور لقرية قوم لوط، لأن الكلام  
 يدل عليها وإن لم يتقدم ذكرها، والمراد بـ "المؤمنين" لوط وأهله، أمرهم الله بالخروج من القرية لينجوا من  
 العذاب الذي أصاب أهلها، ووصفهم بـ "المؤمنين" وبـ ﴿الْمُسْلِمِينَ﴾ لأنهم جمعوا الوصفين، وقد ذكرنا معنى  
 الإسلام والإيمان في الأحزاب. ﴿وَفِي مُوسَىٰ﴾ معطوف على قوله "وفي الارض آيات للموقنين"، أو على قوله  
 "وتركنا فيها آية". ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ﴾ معنى "تولى" أعرض عن الإيمان و"ركنه" سلطانه وقوته. ﴿وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ  
 مَجْنُونٌ﴾ أي: قال إن موسى ساحر أو مجنون؛ و"أو" للشك أو للتقسيم، وقيل: بمعنى الواو؛ وهذا ضعيف ولا  
 يستقيم هنا. ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: فعل ما يلام عليه، يعني فرعون. ﴿الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ وصفها بالعقم؛ لأنها لا بركة



مَا تَذُرُّ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ ﴿١٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ  
 حِينٍ ﴿١٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٤﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا مِنَ  
 قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴿١٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِذْهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٦﴾ وَالسَّمَاءَ  
 بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿١٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿١٨﴾ وَمِن كُلِّ  
 شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٩﴾ فَفِرُّوْا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٠﴾ وَلَا  
 تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢١﴾ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
 مِن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْتَنُونَ ﴿٢٢﴾ اتَّوَصَّوْا بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٢٣﴾ فَتَوَلَّ  
 عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴿٢٤﴾ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ  
 وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٢٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٢٧﴾

فيها من إنشاء مطر أو إلقاء شجر. ﴿كَالرَّمِيمِ﴾ أي: الفاني المنقطع، والعموم هنا يراد به الخصوص فيما أذن  
 للريح أن تهلكه. ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ فيه قولان؛ أحدهما: أن الـ"حين" هي الثلاثة الأيام  
 بعد عقرهم الناقة، والآخر: أن الـ"حين" من أول بعث صالح عليه السلام إلى حين هلاكهم، وعلى هذا يكون  
 ﴿فَعَتَوْا﴾ مرتبا بعد تمتعهم. وأما على الأول فيكون إخبارا عن حالهم غير مرتب على ما قبله. ﴿فَأَخَذَتْهُمُ  
 الصَّاعِقَةُ﴾ يعني الصيحة التي صاحها جبريل. ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: يعاينونها لأنها كانت بالنهار. ﴿وَالسَّمَاءَ  
 بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ أي: بقوة، وانتصب "السماء" بفعل مضمر. ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ أحدها: أن  
 معناها قادرون فهو من الوسع وهو الطاقة ومنه: ﴿عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ﴾ أي: القوي على الإنفاق، والآخر: جعلنا  
 السماء واسعة أو جعلنا بينها وبين الأرض سعة، والثالث: أوسعنا الأرزاق بمطر السماء. ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾  
 الماهد الموطى للموضع. ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي: نوعين مختلفين كالليل والنهار، والسواد والبياض،  
 والصحة والمرض وغير ذلك. ﴿فَفِرُّوْا إِلَى اللَّهِ﴾ أمر بالرجوع إليه بالتوبة والطاعة؛ وفي اللفظ تحذير وترهيب.  
 ﴿اتَّوَصَّوْا بِهِمْ﴾ توقيف وتعجيب؛ أي: هم بمثابة من أوصى بعضهم بعضا أن يقول ذلك. ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾  
 منسوخ بالسيف. ﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ أي: قد بلغت الرسالة فلا لوم عليك. ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا  
 لِيَعْبُدُونِ﴾ قيل: معناه خلقتهم لكي أمرهم بعبادتي، وقيل: ليتدللوا لي، فإن جميع الجن والإنس متدلل. ﴿مَا  
 أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ أي: ما أريد أن يرزقوا أنفسهم ولا غيرهم. ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ﴾ أي: لا أريد أن

إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ  
فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ وَالطُّورِ ﴿٢﴾ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴿٣﴾ فِي رَقٍ مَنشُورٍ ﴿٤﴾ وَالْبَيْتِ  
الْمَعْمُورِ ﴿٥﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٦﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٨﴾ مَا  
لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٩﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿١٠﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١١﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ  
لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٢﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٣﴾ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴿١٤﴾

يطعمون؛ لأنني منزّه عن الأكل وعن صفات البشر، وأنا غني عن العالمين. وقيل: المعنى ما أريد أن يطعموا  
عبدي فحذف المضاف تجوزا. وقيل: معناه ما أريد أن ينفعوني لأنني غني عنهم، وعبر عن النفع العام بالإطعام؛  
والأول أظهر. ﴿الْمَتِينُ﴾ أي: الشديد القوة. ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا﴾ الذنوب النصيب، ويريد به هنا  
نصيبا من العذاب، وأصل الذنوب الدنوء، والمراد بـ"الذين ظلموا" كفار قريش، وبـ"أَصْحَابِهِمْ" من تقدم  
من الكفار. ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ يحتمل أن يريد يوم القيامة أو يوم هلاكهم بيد  
والأول أرجح لقوله في المعارج: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ يعني يوم القيامة.

## سورة الطور

﴿وَالطُّورِ﴾ هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام، وقيل "الطور" كل جبل؛ فكأنه أقسم بجنس  
الجبال. ﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾ قيل: هو اللوح المحفوظ، وقيل: القرآن، وقيل: صحائف الأعمال. ﴿فِي رَقٍ﴾  
مَنشُورٍ "الرق" في اللغة الصحيفة، وخصصت في العرف بما كان من جلد، والـ"منشور" خلاف المطوي.  
﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ هو بيت في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبدا، وبهذا  
هو عمرانته وهو حيال الكعبة، وقيل: البيت المعمور الكعبة وعمرانها بالحجاج والطائفين؛ والأول أشهر،  
وهو قول علي وابن عباس ؓ. ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ يعني السماء. ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ هو بحر الدنيا،  
وقيل: بحر في السماء تحت العرش؛ والأول أظهر وأشهر، ومعنى "المسجور" المملوء ماء، وقيل: الفارغ من  
الماء، ويروى أن البحار يذهب ماؤها يوم القيامة، واللغة تقتضي الوجهين لأن اللفظ من الأضداد، وقيل:  
معناه الموقد نارا من قولك: سجرت التنور، واللغة أيضا تقتضي هذا، وروي أن جهنم في البحر. ﴿إِنَّ عَذَابَ  
رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ هذا جواب القسم، ويعني عذاب الآخرة. ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ أي: تجيء وتذهب، وقيل:  
تدور، وقيل: تنشق، والعامل في الظرف "واقع" أو "دافع" أو محذوف. ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾  
الخوض التخبط في الأباطيل شُبه بخوض الماء. ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ﴾ أي: يدفعون بتعنيف، و"يوم" بدل من

هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٦١﴾ أَصَلَوْهَا  
فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي  
جَنَّتٍ وَعَنِيمٍ ﴿٦٣﴾ فَكَاهِنِينَ بِمَا ءَاتَتْهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَّهْتُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا  
هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٥﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ  
ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴿٦٧﴾

الظرف المتقدم. ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا﴾ توبيخ للكفار على ما كانوا يقولونه في الدنيا من أن القرآن سحر. ﴿أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ توبيخ أيضا لهم وتهكم بهم، أي: هل أنتم لا تبصرون هذا العذاب الذي حل بكم كما كنتم في الدنيا لا تبصرون الحقائق. ﴿اصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ ليس المراد بذلك الأمر بالصبر ولا النهي عنه، وإنما المراد التسوية بين الصبر وعدمه في أن كل واحدة من الحالين لا ينفعهم ولا يخفف عنهم شيئا من العذاب. ﴿إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ هذا تعليل لما ذكر من عذابهم وليس تعليلا للصبر ولا لعدمه كما قال بعض الناس. ﴿فَكَاهِنِينَ﴾ يحتمل أن يكون معناه أصحاب فاكهة فيكون نحو لابن وتامر، أو يكون من الفكاهة بمعنى السرور. ﴿وَوَقَّاهُمْ﴾ معطوف على قوله "في جنات"، أو على "ءآتاهم ربهم"، أو تكون الواو للحال. ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ أي: يقال لهم كلوا واشربوا. ﴿هَنِيئًا﴾ صفة لمصدر محذوف تقديره: كلوا أكلا هنيئا، ويحتمل أن يكون واقعا موقع فعل تقديره: هناكم الأكل والشرب. ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾ الحور جمع حوراء وهي الشديدة بياض العين وسواد سوادها، والعين جمع عيناء وهي الكبيرة العينين مع جمالها، وإنما دخلت الباء في قوله "بحور"؛ لأنه تضمن قوله "زوجناهم" معنى قرناهم، قاله الزمخشري، وقال "إن الذين ءآمنوا" معطوف على "بحور عين" أي: قرناهم بحور للتلذذ بهن وب"الذين ءآمنوا" للأنس معهم؛ والأظهر أن الكلام تم في قوله "بحور عين"، ويكون "الذين ءآمنوا" مبتدأ وخبره "ألحقنا". ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ معنى الآية: ما ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته في الجنة وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه» [اليزار- الكشف: 2260]، ذلك كرامة للأبناء بسبب الآباء، فقيل: إن ذلك في الأولاد الذين ماتوا صغارا، وقيل: على الإطلاق في الأولاد المؤمنين، و"بإيمان" في موضع الحال من الذرية، والمعنى أنهم اتبعوا آباءهم في الإيمان، وقال الزمخشري: إن هذا المجرور يتعلق ب"ألحقنا"، والمعنى عنده: بسبب الإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم؛ والأول أظهر، فإن قيل: لم قال "بإيمان" بالتنكير؟ فالجواب: أن المعنى بشيء من الإيمان لم يكونوا به أهلا لدرجة آباءهم ولكنهم لحقوا بهم كرامة للآباء، فالمراد تقليل إيمان الذرية، ولكنه رفع درجتهم فكيف إذا كان إيماننا عظيما؟! ﴿وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: ما أنقصناهم شيئا من ثواب

كُلُّ أَمْرِي بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿١٦﴾ وَأَمَدَدْتَهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿١٧﴾ يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأَسَا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴿١٩﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٠﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢١﴾ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَدْنَا عَذَابَ السُّمُومِ ﴿٢٢﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ أَنَّهُ هُوَ أَلْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٣﴾ فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٢٥﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَرِبِينَ ﴿٢٦﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ وَأَحْلَمُمُوهَا بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٢٧﴾

أعمالهم؛ بل وفينا لهم أجورهم، وقيل: المعنى ألقنا ذريتهم بهم، وما نقصناهم شيئا من ثواب أعمالهم بسبب ذلك؛ بل فعلنا ذلك تفضلا زيادة إلى ثواب أعمالهم، والضمير على القولين يعود على "الذين آمنوا"، وقيل: إنه يعود على الذرية. ﴿كُلُّ أَمْرِي بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي: مرتين؛ فإما أن تنجيه حسناته أو تهلكه سيئاته. ﴿وَأَمَدَدْتَهُمْ بِفِكَهَةٍ﴾ الإمداد هو الزيادة مرة بعد مرة. ﴿يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأَسَا﴾ أي: يتعاطونها إذ هم جلساء على الشراب. ﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ﴾ اللغو الكلام الساقط، والتأيم الذنب؛ فهي بخلاف خر الدنيا. ﴿غِلْمَانٌ لَهُمْ﴾ يعني خدامهم. ﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾ اللؤلؤ: الجوهر، والمكنون: المصون، وذلك لحسنه، وقيل: هو الذي لم يخرج من الصدف. ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ أي: كنا في الدنيا خائفين من الله، والإشفاق شدة الخوف. ﴿السُّمُومُ﴾ أشد الحر، وقيل: هو من أساء جهنم. ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى نعبد، أو من الدعاء بمعنى الرغبة، و"من قبل": يعنون في الدنيا قبل لقاء الله. ﴿أَنَّهُ هُوَ أَلْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ "البر" الذي يبر عباده ويحسن إليهم، وقرئ "أنه" بفتح الهمزة على أن يكون مفعولا من أجله، أو يكون هذا اللفظ هو المدعو به، وقرئ بكسرها على الاستئناف. ﴿فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ، أي: ذكر الناس ثم نفى عنه ما نسب إليه الكفار من الكهانة والجنون، ومعنى "بنعمت ربك" بسبب إنعام الله عليك. ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ "أم" في هذا الموضع وفيما بعده للاستفهام بمعنى الإنكار، والتربص الانتظار، و"ريب المنون" حوادث الدهر، وقيل: الموت، وكانت قريش قد قالت إنما هو شاعر نتظر به ريب المنون، فيهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء كزهير والنابعة. ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾ أمر على وجه التهديد. ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا﴾ الأحلام: العقول، أي: كيف تأمرهم عقولهم بهذا؟ والإشارة إلى قولهم هو شاعر، أو إلى ما هم عليه من الكفر والتكذيب، وإسناد الأمر إلى الأحلام مجاز كقوله: ﴿أَصْلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ﴾. ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ "أم" هنا بمعنى بل، ويحتمل أن تكون

۞ أَمْ يَقُولُونَ تَقْوَاهُ ۚ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ ۞ فَلَيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ۞  
 ۞ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ۚ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۞ ۞ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَلْ لَا  
 يُوقِنُونَ ۞ ۞ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّرُونَ ۞ ۞ أَمْ هُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ  
 فِيهِ ۚ فَلَيَاتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۞ ۞ أَمْ لَهُ الْآبَتُ وَلَكُمُ الْآبَنُونَ ۞ ۞ أَمْ تَسْأَلُهُمْ  
 أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ۞ ۞ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ۞ ۞ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا  
 فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ۞ ۞ أَمْ لَهُمْ آلَةٌ غَيْرُ اللَّهِ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞

بمعنى بل وهمزة الاستفهام بمعنى الإنكار، كما هي في هذه المواضع كلها. ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقْوَاهُ﴾ أي: اختلقه من تلقاء نفسه، وضمير الفاعل لرسول الله ﷺ، وضمير المفعول للقرآن. ﴿فَلَيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ رد عليهم وإقامة حجة عليهم، والأمر هنا للتعجيز. ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ أحدها: أن معناه أم خلقوا من غير رب أنشأهم واستعبدهم فهم من أجل ذلك لا يعبدون الله، الثاني: أم خلقوا من غير أب ولا أم كالجملادات فهم لا يؤمرون ولا ينهون كحال الجمادات، الثالث: أم خلقوا من غير أن يحاسبوا ولا يجازوا بأعمالهم فهو على هذا كقوله ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾. ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ معناه: أهم الخالقون لأنفسهم بحيث لا يعبدون الخالق، وقيل: أهم الخالقون للمخلوقات بحيث يتكبرون؟ ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ المعنى: أعندهم خزائن الله بحيث يستغنون عن عبادته؟ وقيل: أعندهم خزائن الله بحيث يعطون من شأؤوا ويمنعون من شأؤوا ويخصون بالنبوة من شأؤوا؟ ﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيِّرُونَ﴾ أي: الأرباب الغالبون، وقيل: المصيطر المسلط القاهر. ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ يعني: أم لهم سلم يصعدون به إلى السماء فيسمعون ما تقوله الملائكة بحيث يعلمون صحة دعواهم؟ ثم عجزهم بقوله: ﴿فَلَيَاتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أي: بحجة واضحة على دعواهم. ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ المعنى: أتسألهم على الإسلام أجرة فيثقل عليهم غرمها فيشق عليهم اتباعك؟ ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ المعنى: أعندهم علم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وإن بعثنا لم نعذب؟ وقيل: المعنى فهم يكتبون للناس سننا وشرائع من عبادة الأصنام وتسيب السوائب وشبه ذلك. ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ الإشارة إلى كيدهم في دار الندوة بالنبي ﷺ حيث تشاوروا في قتله أو إخراجهم. ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ أي: هم المغلوبون في الكيد، و"الذين كفروا" يعني من تقدم الكلام فيهم وهم قريش، فوضع الظاهر موضع المضمرة، ويحتمل أن يريد جميع الكفار. ﴿أَمْ لَهُمْ آلَةٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ المعنى: هل لهم إله غير الله يعصمهم من عذاب الله ويمنعهم منه؟ وحصر الله في هذه الآيات جميع المعاني التي توجب التكبر والبعد من الدخول في الإسلام،

وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿١١﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا  
يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يَصْعَقُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٣﴾  
وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ  
فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۗ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿١٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿١٦﴾  
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا  
يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾

ونفاها عنهم ليبين أن تكبرهم من غير موجب وكفرهم من غير حجة. ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا  
يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ كانوا قد طلبوا أن ينزل عليهم كسفا من السماء، فالمعنى: أنهم لو رأوا الكسف  
ساقطاً عليهم لبلغ بهم الطغيان والجهل والعناد أن يقولوا ليس بكسف وإنما هو "سحاب مركوم"؛ أي:  
كثيف بعضه فوق بعض. ﴿فَذَرَهُمْ﴾ منسوخ بالسيف. ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يَصْعَقُونَ﴾ يعني يوم القيامة،  
والصعقة فيه هي النفخة الأولى، وقيل: غير ذلك؛ والصحيح ما ذكرنا؛ لقوله في المعارج عن يوم القيامة:  
﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾. ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ يعني قتلهم يوم بدر، وقيل: الجوع بالقحط، وقيل:  
عذاب القبر. ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي: اصبر على تكذيبهم لك وإمهالناهم فإننا نراك. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ  
حِينَ تَقُومُ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنه قول: سبحان الله، ومعنى "حين تقوم" حين تقوم من كل مجلس،  
وقيل: أراد حين تقوم وتقع وفي كل حال، وجعل القيام مثالا، الثاني: أنه الصلوات النوافل، والثالث: أنه  
الصلوات الفرائض، فـ"حين تقوم" الظهر والعصر؛ أي: حين تقوم من نوم القائلة. ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ المغرب  
والعشاء. ﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ الصبح، ومن قال هي النوافل جعل "إدبار النجوم" ركعتي الفجر.

#### سورة النجم

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنه الثريا؛ لأنها غلب عليها التسمية بالنجم، ومعنى "هوى"  
غرب أو انشتر يوم القيامة، الثاني: أنه جنس النجوم، ومعنى "هوى" كما ذكرنا، أو انقضت تَرْجُمَ الشياطين،  
الثالث: أنه من نجوم القرآن، وهي الجملة التي تنزل منه، و"هوى" على هذا: نزل. ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا  
غَوَىٰ﴾ هذا جواب القسم، والخطاب لقريش، و"صاحبكم" هو النبي ﷺ، فنفى عنه الضلال والغى، والفرق  
بينهما أن الضلال بغير قصد، والغى بقصد وتكسب. ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ أي: ليس يتكلم بهواه  
وشهوته وإنما يتكلم بما يوحى الله إليه. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ هو القرآن. ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ ضمير  
المفعول للقرآن أو للنبي ﷺ، والـ"شديد القوى" هو جبريل عليه السلام، وقيل: هو الله تعالى؛ والأول أرجح

ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴿١١﴾ أَفَتَمْتَرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾

لقوله ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾، و"القوى" جمع قوة. ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي: ذو قوة، وقيل: ذو هيئة حسنة؛ والأول هو الصحيح في اللغة. ﴿فَاسْتَوَى﴾ أي: استوى جبريل عليه السلام في الجو إذ رآه رسول الله ﷺ وهو بحراء، وقيل: معنى "استوى" ظهر في صورته له ستمائة جناح قد سد الأفق، بخلاف ما كان يتمثل به من الصور إذا نزل بالوحي، وكان ينزل في صورة دحية. ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ الضمير لجبريل، وقيل: لمحمد ﷺ؛ والأول أصح. ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ الضميران لجبريل، أي: دنا من محمد ﷺ فتدلى في الهواء، وهو عند بعضهم من المقلوب تقديره: تدلى فدنا. ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ القاب مقدار المسافة، أي: كان جبريل من محمد عليهما السلام في القرب مقدار قوسين عربيتين، ومعناه من طرف العود إلى طرفه الآخر، وقيل: من الوتر إلى العود، وقيل: ليس القوس الذي يرمى بها وإنما هو ذراع تقاس بها المقادير، ذكره الثعلبي وقال: إنه من لغة أهل الحجاز، وتقدير الكلام: فكان مقدار مسافة قرب جبريل من محمد عليهما السلام مثل قاب قوسين، ثم حذفت هذه المضافات، ومعنى "أدنى" أقرب، و"أو" هنا مثل قوله ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾، وأشبه التأويلات فيها أنه إذا نظر إليه البشر احتمال عنده أن يكون قاب قوسين أو يكون أدنى، وهذا الذي ذكرنا أن هذه الضمائر المتقدمة لجبريل هو الصحيح، وقد ورد ذلك عن رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح، وقيل: إنها لله تعالى؛ وهذا القول يرد عليه الحديث والعقل، إذ يجب تنزيه الله تعالى عن تلك الأوصاف من الدنو والتدلي وغير ذلك. ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ في هذه الضمائر ثلاثة أقوال؛ الأول: أن المعنى أوحى الله إلى عبده محمد ما أوحى، الثاني: أوحى الله إلى عبده جبريل ما أوحى، وعاد الضمير على الله في القولين؛ لأن سياق الكلام يقتضي ذلك وإن لم يتقدم ذكره، فهو كقوله ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ الثالث: أوحى جبريل إلى عبد الله محمد ما أوحى، وفي قوله "ما أوحى" إبهام يقتضي التفخيم والتعظيم. ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ أي: ما كذب فؤاد محمد ﷺ ما رأى بعينه، بل صدق بقلبه أن الذي رآه بعينه حق، والذي رأى هو جبريل؛ يعني حين رآه قد ملأ الأفق، وقيل: الذي رأى ملكوت السموات والأرض؛ والأول أرجح لقوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ وقيل: الذي رأى هو الله تعالى، وقد أنكرت ذلك عائشة ؓ، وسئل رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنى أراه؟» [سلم: 461]. ﴿أَفَتَمْتَرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى﴾ هذا خطاب لقريش، والمعنى: أتجادلون على ما يرى، وكانت قريش كذبت لما قال إنه رأى ما رأى. ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ أي: لقد رأى محمد جبريل عليهما السلام مرة أخرى، وهي ليلة الإسراء، وقيل: ضمير المفعول لله تعالى، وأنكرت ذلك عائشة ؓ وقالت: من زعم أن محمدا رأى

عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴿٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿٧﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿٨﴾ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿٩﴾ وَمَتَوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ﴿١٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿١١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿١٢﴾

ربه فقد أعظم الفرية على الله. ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ هي شجرة في السماء السابعة، قال رسول الله ﷺ: «ثمراها كالقلال، وورقها كأذان الفيلة» [مسلم: 429]، وسميت "سدرة المنتهى" لأنها إليها ينتهي علم كل عالم ولا يعلم ما وراءها إلا الله، وقيل: سميت بذلك لأن ما نزل من أمر الله يلتقي عندها، فلا يتجاوزها ملائكة العلو إلى أسفل ولا يتجاوزها ملائكة السفلى إلى أعلى. ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ يعني أن الجنة التي وعد الله عباده هي عند سدرة المنتهى، وقيل: هي جنة أخرى تأوي إليها أرواح الشهداء؛ والأول أظهر وأشهر. ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ فيه إبهام لقصد التعظيم، قال ابن مسعود: «غشيها فراش من ذهب، وقيل: كثرة الملائكة، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «فغشيها ألوان لا أدري ما هي» [البخاري: 349] وهذا أولى أن تفسر به الآية. ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ أي: ما زاغ بصر محمد ﷺ عما رأى من العجائب؛ بل أثبتتها وتيقنها. و"ما طغى" أي: ما تجاوز ما رأى إلى غيره. ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ يعني ما رأى ليلة الإسراء من السماوات والجنة والنار والملائكة والأنبياء وغير ذلك، ويحتمل أن تكون "الكبرى" مفعولا أو نعتا لـ"آيات ربه"، والمعنى يختلف على ذلك. ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَتَوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ﴾ هذه أوثان كانت تعبد من دون الله، فخاطب الله من كان يعبدها من العرب على وجه التوبيخ لهم، وقال ابن عطية: الرؤيا هنا رؤية العين؛ لأن الأوثان المذكورة أجرام مرئية؛ فأما "اللات" فصنم كان بالطائف، وقيل: كان بالكعبة، وأما "العزى" فكانت صخرة بالطائف، وقيل: شجرة، فبعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد: «فقطعها، فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها تدعو بالويل، فضر بها بالسيف حتى قتلها» [أخبار مكة: 146]، وقيل: كانت بيتا تعظمه العرب. وأصل لفظ "العزى" مؤنثة الأعز، وأما "مناة" فصخرة كانت لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة، وكانت أعظم هذه الأوثان، قال ابن عطية: ولذلك قال تعالى "الثالثة الآخرة" فأكدتها بهاتين الصفتين، وقال الزمخشري "الآخرة" ذم وتحقير؛ أي: المتأخرة الوضعية القدر، ومنه: ﴿وَقَالَتْ أَخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ﴾. ﴿أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ﴾ كانوا يقولون: إن الملائكة وهذه الأوثان بنات الله، فأنكر الله عليهم ذلك، أي: كيف تجعلون لأنفسكم الأولاد الذكور، وتجعلون لله البنات التي هي عندكم حقيرة بغیضة؟! وقد ذكر هذا المعنى في النحل وغيرها، ويحتمل أن يكون أنكر عليهم جعل هذه الأوثان شركاء لله تعالى مع أنهن إناث، والإناث حقيرة بغیضة عندهم. ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ أي: هذه القسمة التي قسمت جائرة غير عادلة، يعني جعلهم الذكور لأنفسهم والإناث لله تعالى، ووزن "ضيزى" فعلى بضم الفاء، ولكنها كسرت للياء التي بعدها.



إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَإِآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى ﴿٢٢﴾ أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ﴿٢٣﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴿٢٤﴾ \* وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴿٢٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْإِنْتَى ﴿٢٦﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٧﴾ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٨﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى ﴿٢٩﴾ وَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣٠﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ﴾ الضمير للأوثان، وقد ذكر هذا المعنى في الأعراف في قوله: ﴿أَتَجَادِلُونِي فِي أَسْمَاءٍ﴾. ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ يعني أنهم يقولون أقوالا بغير حجة؛ كقولهم: الملائكة بنات الله، وقولهم: إن الأصنام تشفع لهم، وغير ذلك. ﴿أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ "أم هنا للإنكار، و"الإنسان" جنس بني آدم؛ أي: ليس لأحد ما يتمنى؛ بل الأمر بيد الله، وقيل: إن الإشارة إلى ما طمع فيه الكفار من شفاعة الأصنام، وقيل: إلى قول العاصي بن وائل: ﴿لَأَوْتِيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا﴾، وقيل: هو تمنى بعضهم أن يكون نبيا. والأحسن حمل اللفظ على إطلاقه. ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ﴾ الآية، رد على الكفار في قولهم: إن الأوثان تشفع لهم، كأنه يقول: الملائكة الكرام لا تغني شفاعتهم شيئا إلا بإذن الله فكيف أوثانكم؟ ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ معناه: أن الملائكة لا يشفعون لشخص إلا بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة فيه ويرضى عنه. ﴿لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْإِنْتَى﴾ يعني قولهم: إن الملائكة بنات الله، ثم رد عليهم بقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾. ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي: إلى ذلك انتهى علمهم؛ لأنهم علموا ما ينفع في الدنيا ولم يعلموا ما ينفع في الآخرة. ﴿لِيَجْزِيَ﴾ اللام متعلقة بمعنى ما قبلها، والتقدير: أن الله ملك أمر السماوات والأرض ليجزي الذين أسأوا بما عملوا، وقيل: يتعلق ب"ضل" و"اهتدى". ﴿كَبِيرَ الْإِثْمِ﴾ ذكرنا الكبائر في النساء. ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ فيه أربعة أقوال؛ الأول: أنه صغائر الذنوب، فالاستثناء على هذا منقطع، الثاني: أنه الإلام بالذنوب على وجه الفتنة والسقطة دون دوام عليها، الثالث: أنه ما ألوا به في الجاهلية من الشرك والمعاصي،

هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزْكُوا  
 أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّبَى ﴿١٦﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿١٧﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿١٨﴾  
 أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴿١٩﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٢٠﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي  
 وَفَّى ﴿٢١﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴿٢٢﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٢٣﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ  
 سَوْفَ يُرَى ﴿٢٤﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿٢٥﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴿٢٦﴾ وَأَنَّهُ هُوَ  
 أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴿٢٧﴾

الرابع: أنه ألهم بالذنب وحديث النفس به دون أن يفعل. ﴿أَجِنَّةٌ﴾ جمع جنين. ﴿فَلَا تُزْكُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: لا تنسبوا أنفسكم إلى الصلاح والخير، قال ابن عطية: ويحتمل أن يكون نهيًا عن أن يزكي بعض الناس بعضًا وهذا بعيد؛ لأنه تجوز التزكية في الشهادة وغيرها. ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ الآية، نزلت في الوليد بن المغيرة، وقيل: في العاصي بن وائل. ﴿وَأَكْدَى﴾ أي: قطع العطاء وأمسك. ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ قيل: وفي طاعة الله في ذبح ولده، وقيل: وفي تبليغ الرسالة، وقيل: وفي شرائع الإسلام، وقيل: وفي الكلمات التي ابتلاه الله بهن، وقيل: وفي هذه العشر الآيات؛ ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾ وما بعدها. ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وَازِرَةٌ﴾ ذكر فيما تقدم، وهذه الجملة تفسير لما في صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام. ﴿وَأَنَّ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ السعي هنا بمعنى العمل، وظاهرها أنه لا ينتفع أحد بعمل غيره، وهي حجة لمالك في قوله: لا يصوم أحد عن وليه إذا مات وعليه صيام، واتفق العلماء على أن الأعمال المالية كالصدقة والعتق يجوز أن يفعلها الإنسان عن غيره، ويصل نفعها إلى من فعلت عنه، واختلفوا في الأعمال البدنية كالصلاة والصيام. وقيل: إن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، والصحيح أنها محكمة؛ لأنها خبر، والأخبار لا تنسخ، وفي تأويلها ثلاثة أقوال؛ الأول: أنها إخبار عما كان في شريعة غيرنا فلا يلزم في شريعتنا، الثاني: أن للإنسان ما عمل بحق، وله ما عمل له غيره بهبه العامل له، فجاءت الآية في إثبات الحقيقة دون ما زاد عليها، الثالث: أنها في الذنوب، وقد اتفق على أنه لا يحمل أحد ذنب أحد، ويدل على هذا قوله قبلها: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وَازِرَةٌ﴾، كأنه يقول: لا يؤاخذ أحد بذنب غيره، ولا يؤاخذ إلا بذنب نفسه. ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ قيل: معناه يراه الخلق يوم القيامة؛ والأظهر أن صاحبه هو الذي يراه لقوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾. ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ فيه قولان؛ أحدهما: أن معناه إلى الله المصير في الآخرة، والآخر: أن معناها أن العلوم تنتهي إلى الله ثم يقف العلماء عند ذلك، وروي أن رسول الله ﷺ قال في الآية: «لا فكرة في الرب» [البغوي 7/ 417]. ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾

وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ﴿١١﴾ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿١٢﴾ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴿١٣﴾  
 وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى ﴿١٤﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ﴿١٥﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى ﴿١٦﴾  
 وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴿١٧﴾ وَتَمُودًا فَمَا أَبْقَى ﴿١٨﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ لَئِنَّمْ كَانُوا هُمْ وَرَءَى  
 أَظْلَمَ وَأَطْغَى ﴿١٩﴾ وَالْمُوتَفِكَةَ أَهْوَى ﴿٢٠﴾ فَعَشَلَهَا مَاءَ غَشْيٍ ﴿٢١﴾ فَبَيَّأَ آءِ الْآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى ﴿٢٢﴾  
 هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَى ﴿٢٣﴾ أَزِفَتِ الْأَرْزَقَةُ ﴿٢٤﴾ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٢٥﴾

قيل: معناه أضحك أهل الجنة وأبكى أهل النار؛ وهذا تخصيص لا دليل عليه، وقيل: أبكى السماء بالمطر وأضحك الأرض بالنبات؛ وهذا مجاز، وقيل: خلق في بني آدم الضحك والبكاء؛ والصحيح أنه عبارة عن الفرح والحزن؛ لأن الضحك دليل على السرور والفرح كما أن البكاء دليل على الحزن؛ فالمعنى أنه تعالى أحزن من شاء من عباده وأسر من شاء. ﴿أَمَاتٌ وَأَحْيَا﴾ يعني الحياة المعروفة والموت المعروف، وقيل: أحيا بالإيمان وأمات بالكفر؛ والأول أرجح لأنه حقيقة. ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ يعني المنى. ﴿إِذَا تُمْنَى﴾ من قولك: أمني الرجل؛ إذا خرج منه المنى. ﴿النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴾ يعني إعادة للحشر. ﴿وَأَقْنَى﴾ أي: أكسب عباده المال، وهو من فنية المال وهو كسبه وادخاره، وقيل: معنى "أقنى" أفقر؛ وهذا لا تقتضيه اللغة، وقيل: معناه أرضى، وقيل: قنع عبده. ﴿الشَّعْرَى﴾ نجم في السماء، وتسمى كلب الجبار، وهما شعريان؛ الغميصاء والعبور، وخصها بالذكر دون سائر النجوم؛ لأن بعض العرب كان يعبدها. ﴿عَادًا الْأُولَى﴾ وصفها بـ"الأولى" لأنها كانت في قديم الزمان، فهي الأولى بالإضافة إلى الأمم المتأخرة، وقيل: إنها سميت أولى لأن ثمَّ عادا أخرى متأخرة؛ وهذا لا يصح، وقرأ نافع "عادا الأولى"، يادغام تنوين "عاد" في لام "الأولى" بعد حذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام، وضعف المازني والمبرد هذه القراءة، وهم قالون السواو دون ورش، وقرأ الباقون على الأصل بكسر تنوين "عادا" وإسكان لام "الأولى". ﴿وَتَمُودًا فَمَا أَبْقَى﴾ أي: ما أبقي منهم أحدا، وقيل: ما أبقي عليهم. ﴿وَالْمُوتَفِكَةَ أَهْوَى﴾ هي مدينة قوم لوط، ومعنى "أهوى": طرحها من علو إلى سفلى، وفي قوله: ﴿مَا غَشَّى﴾ تعظيم الأمر. ﴿فَبَيَّأَ آءِ الْآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ هذا مخاطبة للإنسان على الإطلاق، ومعناه: بأي نعم ربك تشك؟ ﴿هَذَا نَذِيرٌ﴾ يعني القرآن أو النبي ﷺ، ومعنى ﴿مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَى﴾ من نوعها وصفتها. ﴿أَزِفَتِ الْأَرْزَقَةُ﴾ أي: قربت القيامة. ﴿كَاشِفَةٌ﴾ يحتمل لفظه ثلاثة أوجه؛ أن يكون مصدرا كالعافية؛ أي: ليس لها كاشف، وأن يكون بمعنى كاشف والتاء للمبالغة كعلامة، وأن يكون صفة لمحذوف تقديره: نفس كاشفة أو جماعة كاشفة، ويحتمل معناه وجهين؛ أحدهما: أن يكون من الكشف بمعنى الإزالة؛ أي: ليس لها من يزيلها إذا وقعت، والآخر: أن يكون بمعنى الاطلاع؛ أي: ليس لها من

أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿١٥﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَتَّبِعُونَ ﴿١٦﴾ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴿١٧﴾  
فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿١٨﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا  
وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ  
جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ۗ فَمَا تُغْنِ التُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ  
يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ ﴿٦﴾

يعلم وقتها إلا الله. ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ الإشارة إلى القرآن، وتعجبهم منه إنكاره. ﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾  
أي: لا عبون لاهون، وقيل: غافلون مفرطون. ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ هذا موضع سجدة عند الشافعي  
وغيره، وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسجد وسجد كل من كان معه [البخاري: 1070].

#### سورة القمر

﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ أي: قربت القيامة، ومعنى قربها أنها بقي لها من الزمان قليل بالنسبة إلى ما مضى، ولذلك  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، وأشار بالسبابة والوسطى [البخاري: 5301]. ﴿وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾  
هذا إخبار عما جرى في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أن قريشا سألوه آية فأراهم انشقاق القمر فقال صلى الله عليه وسلم:  
«أشهدوا» [البخاري: 3636]، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: انشق فرأيته فرقتين فرقة وراء الجبل وأخرى دونه، وقيل:  
معنى "انشق القمر" أنه ينشق يوم القيامة؛ وهذا قول باطل ترده الأحاديث الصحيحة الواردة بانشقاق القمر،  
وقد اتفقت الأمة على وقوع ذلك، وعلى تفسير الآية بذلك، إلا من لا يعتبر قوله. ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا  
وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ هذه الضمائر لقريش، والآية المشار إليها انشقاق القمر، وعند ذلك قالت قريش: سحر  
محمد القمر، ومعنى "مستمر" دائم، وقيل: معناه ذاهب يزول عن قريب، وقيل: معناه شديد؛ وهو على هذا  
من المرة بمعنى القوة. ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ أي: كل شيء لا بد له من غاية، فالحق يحق والباطل يبطل. ﴿وَلَقَدْ  
جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ "الانباء" يراد بها ما ورد في القرآن من القصص والبراهين والمواعظ،  
و"مزدجر" اسم مصدر بمعنى الازدجار، أو اسم موضع بمعنى أنه مظنة أن يزدجر به. ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ بدل  
من "ما فيه"، أو خبر ابتداء مضمرة. ﴿فَمَا تُغْنِ التُّذُرُ﴾ يحتمل أن تكون "ما" نافية، أو استفهامية بمعنى الاستبعاد  
والإنكار. ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عنهم لعلمك أن الإنذار لا ينفعهم. ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ﴾  
العامل في "يوم" مضمرة تقديره: اذكر، أو قوله "يخرجون" بعد ذلك، وليس العامل فيه "تول عنهم"؛ لفساد

خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ تَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ-  
 يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ \* كَذَبْتَ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا  
 مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ  
 ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوْحِ  
 وَدُسِرِ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٥﴾

المعنى، فقد تم الكلام في قوله "تول عنهم" فيوقف عليه، وقيل: المعنى تول عنهم إلى يوم يدع الداع؛ والأول أظهر وأشهر، والداعي جبريل أو إسرافيل إذ ينفخ في الصور، والشيء النكر الشديد الفظيع، وأصله من الإنكار؛ أي: هو منكور لأنه لم يرق قط مثله، والمراد به يوم القيامة. ﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ﴾ كناية عن الذلة، وانتصب "خشعا" على الحال من الضمير في "يخرجون". ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ أي: من القبور. ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ شبههم بالجراد في خروجهم من الأرض، ففيه استدلال على البعث كالأستدلال بخروج النبات، وقيل: إنما شبههم بالجراد في كثرتهم وأن بعضهم يموج في بعض. ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أي: مسرعين، وقيل: ناظرين إلى الداع. ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ يعني نوحا عليه السلام، ووصفه هنا بالعبد تشريفا له واختصاصا. ﴿وَازْدُجِرَ﴾ أي: زجره بالشتم والتخويف وقالوا له: ﴿لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾. ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ﴾ أي: قد غلبني الكفار فانتصر لي وانتصر لنفسك، وقالت المتصوفة: معناه قد غلبتني نفسي حين دعوت على قومي فانتصر مني؛ وهذا بعيد ضعيف. ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ﴾ عبارة عن كثرة المطر؛ فكأنه يخرج من أبواب، وقيل: فتحت في السماء أبواب يومئذ حقيقة، وال"منهمر" الكثير. ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ يعني ماء السماء وماء الأرض. ﴿عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ أي: قضى في الأزل، ويحتمل أن يكون المعنى قد قدر بمقدار معلوم، وروي في ذلك أنه علا فوق الأرض أربعين ذراعا. ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوْحِ وَدُسِرِ﴾ يعني السفينة، والدرس هي المسامير، أحدها دسار، وقيل: هي مقاد السفينة، وقيل: أضلاعها؛ والأول أشهر. ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ عبارة عن حفظ الله ورعيه لها. ﴿جَزَاءً لِمَن كَانَ كُفِرَ﴾ أي: جزاء لنوح، وقيل: جزاء الله تعالى؛ والأول أظهر، وانتصب "جزاء" على أنه مفعول من أجله، والعامل فيه ما تقدم من فتح أبواب السماء وما بعده من الأفعال، أي: جعلنا ذلك كله جزاء لنوح، ويحتمل أن يكون قوله "كفر" من الكفر بالدين، والتقدير: لمن كفر به، فحذف الضمير، أو يكون من الكفر بالنعمة، لأن نوحا عليه السلام نعمة من الله كفرها قومه، فلا يحتاج على هذا إلى ضمير محذوف. ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً﴾ الضمير للقصة المذكورة أو الفعلة أو السفينة، وروي في هذا المعنى أنها بقيت على الجودي حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة. ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ تحضيض على الإدكار،

فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ  
 عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ  
 ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ  
 يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّنَّا  
 وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِئَ صُلَلٍ وَسُعْرٍ ﴿٢٤﴾ أَهْلَقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ  
 ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُّ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسَلُونَ النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

فيه ملاطفة جميلة من الله لعباده، ووزن "مدكر" مفتعل، وأصله مدتكر، ثم أبدل من التاء دالا وأدغمت فيها  
 الدال. ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ توقيف فيه تهديد لقريش، وال"نذر" جمع نذير. ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾  
 أي: سهلناه للحفظ، وهذا معلوم بالمشاهدة؛ فإنه يحفظه الأطفال الأصغر وغيرهم حفظا بالغا بخلاف غيره  
 من الكتب، وقد روي أنه لم يُحفظ شيء من كتب الله عن ظهر قلب إلا القرآن، وقيل: معنى الآية سهلناه للفهم  
 والاتعاظ به لما تضمن من البراهين والحكم البليغة، وإنما كرر هذه الآية وقوله: ﴿فَدُوُّوا عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ لئنه  
 السامع عند كل قصة فيعتبر بها؛ إذ كل قصة من القصص التي ذكرت عبرة وموعظة، فحتم كل واحدة بها  
 يوقظ السامع من الوعيد في قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾، ومن الملاطفة في قوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ  
 لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾. ﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي: مصوتة، فهو من الصرير؛ يعني الصوت، وقيل: معناه باردة؛  
 فهو من الصر. ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ روي: أنه كان يوم أربعاء، حتى رأى بعضهم أن كل يوم أربعاء  
 نحيس، وروي أن رسول الله ﷺ قال: ﴿أخر أربعاء من الشهر يوم نحس مستمر﴾ [تاريخ بغداد 6/353]. ﴿تَنْزِعُ  
 النَّاسَ﴾ أي: تقلعهم من مواضعهم. ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ أعجاز النخل هي أصولها، والمنقعر  
 المنقطع، شبه الله عادا لما هلكوا بذلك؛ لأنهم طوال عظام الأجسام كالنخل، وقيل: كانت الريح تقلع رؤوسهم  
 فتبقى أجسادا بلا رؤوس، فشبههم بأعجاز النخل؛ لأنها دون أغصان، وقيل: كانوا قد حفروا حفرا يمتنعون  
 بها من الريح فهلكوا فيها، فشبههم الله بأعجاز النخل إذا كانت في حفرها. ﴿أَبَشْرًا﴾ هو صالح عليه السلام،  
 وانتصب بفعل مضمر، والمعنى: أنهم أنكروا أن يتبعوا بشرا، وطلبوا أن يكون الرسول من الملائكة، ثم زادوا  
 أن أنكروا أن يتبعوا واحدا وهم جماعة كثيرون. ﴿وَسُعْرٍ﴾ أي: عناء، وقيل: معناه جنون، وقيل: معناه هم  
 وغم، وأصله من السعير بمعنى النار، وكأنه احتراق النفس بالهم. ﴿أَهْلَقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾ أنكروا  
 أن يخصه الله بالنبوة دونهم؛ وذلك جهل منهم فإن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء. ﴿أَشِرٌّ﴾ بطر متكبر.

وَنَبَتْهُمْ وَأَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ  
 ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ  
 الْمُخْتَطِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَبَتْ قَوْمٌ لوطٍ بِالنُّذُرِ  
 ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لوطٍ حَمِيْنُهُمْ بِسَحْرِ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا  
 كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ  
 عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ  
 مُسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٤٠﴾  
 وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ  
 ﴿٤٢﴾ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيَّتِكُمْ وَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾

﴿وَنَبَتْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ أي: لهم يوم وللناقة يوم من غير أن يتعدوا على الناقة، فالضمير في "نبثهم" يعود على ثمود وعلى الناقة تغليبا للعقلاء، وقيل: الضمير لثمود، والمعنى: أن لا يتعدى بعضهم على بعض. ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾ أي: محصور مشهود. ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ يعني عاقر الناقة، واسمه قدار، وهو أحيمر ثمود وأشقاها. ﴿فَتَعَاطَى﴾ أي: اجترأ على أمر عظيم؛ وهو عقر الناقة، وقيل: تعاطى السيف. ﴿صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ صاح جبريل صيحة ماتوا منها. ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ﴾ الهشيم ما تكسر وتفتت من الشجر وغيرها، و"المخاطر" الرجل الذي يعمل الحظيرة؛ وهي حائط من الأغصان أو القصب أو نحو ذلك، يكون تحليقا للمواشي أو للسكنى؛ فشبّه الله ثمود لما هلكوا بما يتفتت من الحظيرة من الأوراق وغيرها، وقيل "المخاطر" المحترق. ﴿حَاصِبًا﴾ ذكر في العنكبوت. ﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ أي: تشككوا. ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ الضيف هنا هم الملائكة الذين أرسلهم الله إلى لوط ليهلكوا قومه، وكان قومه قد ظنوا أنهم من بني آدم وأرادوا منهم الفاحشة، فطمس جبريل على أعينهم فاستوت مع وجوههم، وقيل: إن هذا الطمس عبارة عن عدم رؤيتهم لهم، وأنهم دخلوا منزل لوط فلم يروا فيه أحدا. ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيَّتِكُمْ﴾ هذا خطاب لقريش على وجه التهديد، والهمزة للإنكار، ومعناه: هل الكفار منكم خير عند الله من الكفار المتقدمين المذكورين، بحيث هلكوا هم لما كذبوا الرسل، وتنجون أتمم وقد كذبت رسولكم؛ بل الذي أهلكتهم يهلككم. ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ معناه: أم لكم في كتاب الله براءة من العذاب.

أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ ﴿١٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿١٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ  
وَالسَّاعَةُ أَذْهَبٌ وَأَمْرٌ ﴿١٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى  
وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ ﴿١٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿١٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ  
كَلِمَةٍ بِالْبَصَرِ ﴿٢٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٢١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي  
الزُّبُرِ ﴿٢٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٢٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ  
عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٢٥﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ﴾ أي: نحن نجتمع ونتصير لأنفسنا بالقتال. ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾  
هذا وعد من الله لرسوله بأن يهزم جمع قريش؛ وقد ظهر ذلك يوم بدر وفتح مكة. ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي  
ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ المراد بـ"المجرمين" هنا الكفار، وضلالهم في الدنيا، والـ"سعر" لهم في الآخرة؛ وهو  
الاحترق، وقيل: أراد بـ"المجرمين" القدرية؛ لقوله في الرد عليهم: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾؛ والأول  
أظهر. ﴿يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ﴾ أي: يجرون فيها. ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ المعنى: أن الله خلق كل شيء  
بقدر؛ أي: بقضاء معلوم سابق في الأزل، ويحتمل أن يكون معنى "بقدر" بمقدار في هيئته وصفاته وغير  
ذلك؛ والأول أرجح، وفيه حجة لأهل السنة على القدرية، وانتصب "كل شيء" بفعل مضمر يفسره "خلقناه".  
﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلِمَةٍ بِالْبَصَرِ﴾ عبارة عن سرعة التكوين ونفوذ أمر الله، والـ"واحدة" يراد بها الكلمة؛  
وهي قوله: ﴿كُنْ﴾. ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ يعني أشباهكم من الكفار. ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي  
الزُّبُرِ﴾ أي: كل ما فعلوه مكتوب في صحائف الأعمال. ﴿مُسْتَطَرٌ﴾ أي: مكتوب، وهو من السطر، تقول  
سطرت واستطرت بمعنى واحد؛ والمراد الصغير والكبير من أعمالهم، وقيل: جميع الأشياء. ﴿وَنَهْرٍ﴾  
يعني: أنهار الماء والخمر واللبن والعسل، واكتفى باسم الجنس. ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ أي: في مكان مرضي.

سورة الرحمن جل جلاله

﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ هذا تعديد نعمة على من علمه الله القرآن، وقيل: معنى "علم القرآن": جعله علامة  
وآية لمحمد ﷺ؛ والأول أظهر، وارتفع "الرحمن" بالابتداء، والأفعال التي بعده أخبار متوالية ويدل على ذلك  
مجيئها دون حرف عطف. ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ يعني جنس الإنسان، وقيل: يعني آدم، وقيل: يعني محمدا ﷺ؛



عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿١٠٠﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿١٠١﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿١٠٢﴾ وَالسَّمَاءَ  
 رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿١٠٣﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿١٠٤﴾ وَأَقِيمُوا الزُّنْتَ بِالْقِسْطِ وَلَا  
 تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿١٠٥﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠٦﴾ فِيهَا فَكِيهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١٠٧﴾  
 وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٠٨﴾ فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿١٠٩﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ  
 كَالْفَخَّارِ ﴿١١٠﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١١١﴾ فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿١١٢﴾ رَبُّ  
 الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١١٣﴾ فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿١١٤﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١١٥﴾

ولا دليل على التخصيص؛ فالأول أصح. ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ يعني النطق والكلام. ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾  
 أي: يجريان في الفلك بحساب معلوم وترتيب مقدر، وفي ذلك دليل على الصانع الحكيم المرید القدير.  
 ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ "النجم" عند ابن عباس ؓ هو النبات الذي لا ساق له كالقول، و"الشجر"  
 النبات الذي له ساق، وقيل "النجم" جنس نجوم السماء، والسجود عبارة عن التذلل والانقياد لله تعالى،  
 وقيل: سجود النجم غروبها، وسجود الشجر بظله. ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ يعني الميزان المعروف الذي يوزن به  
 الطعام وغيره، وكرر ذكره اهتماماً به، وقيل: أراد العدل. ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ أي: لا تنقصوا إذا وزنتم.  
 ﴿لِلْأَنَامِ﴾ أي: للناس، وقيل: للإنس والجن، وقيل: الحيوان كله. ﴿الْأَكْمَامِ﴾ يمتلئ أن يكون جمع كُم بالضم؛  
 وهو ما يغطي ويلف النخل من الليف، وبه شبه كم القميص، أو يكون جمع كِم بالكسر؛ وهو غلاف الثمرة.  
 ﴿الْعَصْفِ﴾ ورق الزرع، وقيل: التين. ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ قيل: هو الريحان المعروف، وقيل: كل مشوم طيب الريح  
 من النبات، وقيل: هو الرزق. ﴿فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ﴾ الآء هي النعم، واحداها: إلي، على وزن معي،  
 وقيل: ألى، على وزن قفى، وقيل: ألى على وزن أمر، وإلي على وزن حصن، والخطاب للثقلين الإنس والجن،  
 بدليل قوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ وروي أن هذه الآية لما قرأها رسول الله ﷺ سكت أصحابه ؓ،  
 فقال: «جواب الجن خير من سكوتكم، إني لما قرأتها على الجن قالوا: لا نكذب بشيء من آء ربنا» [الترمذي: 3602]،  
 وكرر هذه الآية تأكيداً ومبالغة، وقيل: إن كل موضع منها يرجع إلى معنى الآية التي قبله فليس بتأكيد؛ لأن  
 التأكيد لا يزيد على ثلاث مرات. ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ "الإنسان" هنا آدم، وال"صلصال"  
 الطين اليابس؛ فإذا طبخ فهو فخار. ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ "الجان" الجن؛ يعني إبليس والد الجن،  
 وال"مارج" اللهب المضطرب من النار. ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ يريد مشرق الشمس والقمر ومغرب  
 الشمس والقمر، وقيل: شرقي الصيف والشتاء ومغربيهما. ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ ذكر في الفرقان. ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾  
 أي: يلتقي ماء هذا وماء هذا؛ وذلك إذا نزل المطر في البحر، على القول بأن البحر العذب هو المطر،

بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢١﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٢﴾ يُخْرِجُ مِنْهَا اللَّوْلُؤَ  
وَالْمَرْجَانَ ﴿٢٣﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٤﴾ وَ لَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ  
كَأَلَا عِلْمٍ ﴿٢٥﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٦﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٧﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ  
ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٨﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٩﴾ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٣٠﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣١﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ وَأَيُّهُ  
الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٣٢﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٣﴾

وأما على القول بأن البحر العذب هو الأنهار والعيون، فالتقاؤهما بانصباب الأنهار في البحر، وأما قول من قال إن "البحرين" بحر فارس والروم، أو بحر القلزم واليمن؛ فضعيف لقوله في الفرقان: ﴿ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾، وكل واحد من هذه أجاج، والمراد بـ"البحرين" في هذه السورة ما أراد الله في الفرقان. ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ ﴾ أي: حاجز؛ يعني جرم الأرض، أو حاجز من قدرة الله. ﴿ لَا يَبْغِيَانِ ﴾ أي: لا يبغيا أحدهما على الآخر بالاختلاط، وقيل: لا يبغيان على الناس بالفيض. ﴿ يُخْرِجُ مِنْهَا اللَّوْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ ﴾ "اللؤلؤ" كبار الجواهر، و"المرجان" صغاره، وقيل: بالعكس، وقيل: "المرجان" حجر أحمر، قال ابن عطية: هذا هو الصواب، وأما قوله "منهما" ولا يخرج إلا من أحدهما فقد تكلمنا عليه في فاطر. ﴿ وَ لَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ يعني السفن، وسماها "منشآت" لأن الناس ينشئونها، وقرئ بكسر الشين بمعنى أنها تنشئ السير أو تنشئ الموج، و"الأعلام" الجبال، شبه السفن بها. ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ الضمير في "عليها" للأرض، يدل على ذلك سياق الكلام وإن لم يتقدم لها ذكر، ويعني بـ"من عليها" بني آدم وغيرهم من الحيوان، ولكنه غلب العقلاء. ﴿ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ الـ"وجه" هنا عبارة عن الذات، و"ذو الجلال" صفة الذات؛ لأن من أسمائه تعالى الجليل، ومعناه يقرب من معنى العظيم، وأما وصفه بـ"الإكرام" فيحتمل أن يكون بمعنى أنه يكرم عباده كما قال: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾، أو بمعنى أن عباده يكرمونه بتوحيده وتسبيحه وعبادته. ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ المعنى: أن كل من في السماوات والأرض يسأل حاجته من الله؛ فمنهم من يسأله بلسان المقال وهم المؤمنون، ومنهم من يسأله بلسان الحال لافتقار الجميع إليه. ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ المعنى: أنه تعالى يتصرف في ملكوته تصرفاً يظهر في كل يوم من العطاء والمنع والإماتة والإحياء وغير ذلك، وروي أن رسول الله ﷺ قرأها فقليل له: وما ذلك الشأن؟ قال: «من شأنه أن يغفر ذنبا، ويفرج كربا، ويرفع قوما، ويضع آخرين» [ابن ماجه: 207]، وسئل بعضهم: كيف قال "كل يوم هو في شأن" والقلم قد جفبها هو كائن إلى يوم القيامة؟ فقال: هو في شأن يديه لا في شأن يتيديه. ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ﴾ معناه: الوعيد؛ كقولك لمن

يَمَعَشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا  
لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿١٣﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ  
مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ فَإِذَا أَنْشَقَّتِ  
السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ  
عَن ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿١٩﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٠﴾ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ  
بِسِيْلِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٢١﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٢﴾

تهده: سأنتفرغ لعقوبتك، وليس المعنى التفرغ من شغل، ويحتمل أن يريد انتهاء مدة الدنيا، وإنه حينئذ ينقضي شأنها فلا يبقى إلا شأن الآخرة؛ فعبّر عن ذلك بالتفرغ، قال جعفر بن محمد: سمى الإنس والجن ثقلين لأنها ثقلا بالذنوب. ﴿إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا﴾ هذا كلام يقال للجن والإنس يوم القيامة، ومعناه: إن استطعتم الهرب والخروج من أقطار السماوات والأرض فافعلوا، وروي أنهم يفرون يومئذ لما يرون من أهوال القيامة، فيجدون سبعة صفوف من الملائكة قد أحاطت بالأرض فيرجعون، وقيل: بل خوطبوا بذلك في الدنيا، والمعنى: إن استطعتم الخروج من قهر الله وقضائه عليكم فافعلوا، وقوله "فانفذوا" أمر يراده التعجيز. ﴿لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ أي: لا تقدرون على النفوذ إلا بقوة وليس لكم قوة. ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾ الـ"شواظ" لهب النار، والـ"نحاس" الدخان، وقيل: هو الصفر يذاب ويصب على رؤوسهم، وقرئ "شواظ" بضم الشين وكسرها وهما لغتان، وقرئ "نحاس" بالرفع عطف على "شواظ"، وبالخفض عطف على "نار". ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ جواب "إذا" قوله "فيومئذ"، وقال ابن عطية: جوابها محذوف. ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ معنى "وردة" حمراء كالوردة، وقيل: هو من غرس الورد، قال قتادة: السماء اليوم خضراء وهي يوم القيامة حمراء، و"الدهان" جمع دهن كالزيت وشبهه، شبه السماء يوم القيامة به لأنها تذوب من شدة الهول، وقيل: شبه لمعانها بلمعان الدهن، وقيل: إن "الدهان" هو الجلد الأحمر. ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ السؤال المنفي هنا هو على وجه الاستخبار وطلب المغفرة إذ لا يحتاج إلى ذلك؛ لأن المجرمين يعرفون بسيئاتهم، ولأن أعمالهم معلومة عند الله مكتوبة في صحائفهم، وأما السؤال الثابت في قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وغيره فهو سؤال على وجه الحساب والتوبيخ، فلا تعارض بين النفي والإثبات، وقيل: إن ذلك باختلاف المواطن؛ والأول أحسن. ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيْمَاتِهِمْ﴾ يعني بعلامتهم، وهي سواد الوجوه وغير ذلك، و"المجرمون" هنا الكفار؛ بدليل قوله: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾. ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ قيل: معناه يؤخذ بعض الكفار بناصيته وبعضهم بقدميه، وقيل: بل يؤخذ كل واحد

هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿١١﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ -انِ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ  
 ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتٍ ﴿١٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا  
 تُكَذِّبَانِ ﴿١٥﴾ ذَوَاتَا أَفْتَانٍ ﴿١٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٧﴾ فِيهَا عَيْنَيْنِ تَجْرِيَنِ ﴿١٨﴾  
 فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٩﴾ فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ رَوْحٍ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا  
 تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴿٢٢﴾ وَجَنَّاتٍ دَانٍ ﴿٢٣﴾ فَبِأَيِّ  
 ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٤﴾ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٢٥﴾  
 فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٦﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا  
 تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾  
 وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَيْنِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾

بناصيته وقدميه؛ فيطوى ويطرح في النار. ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ -انِ﴾ الـ "حميم" الماء السخن، والـ "آن" الشديد الحر، وقيل: الحاضر؛ من قولك: آن الشيء إذا حضر؛ والأول أظهر. ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ "مقام ربه" القيام بين يديه للحساب، ومنه قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وقيل: قيام الله عليه بأعماله، ومنه: ﴿أَقْمَنَ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ وقيل: معناه لمن خاف ربه وأقحم المقام؛ كقولك: خفت جانب فلان، واختلف هل الـ "جنتان" لكل خائف على انفراده أو لصنف الخائفين، وذلك مبني على قوله "لمن خاف" هل يراد به واحد أو جماعة؟ وقال الزمخشري: إنما قال "جنتان" لأنه خاطب الثقلين، فكأنه قال: جنة للإنس وجنة للجن. ﴿ذَوَاتَا أَفْتَانٍ﴾ ثنى ذات هنا على الأصل لأن أصله ذوات قاله ابن عطية، والـ "أفتان" جمع فنن وهو الغصن، أو جمع فن وهو الصنف من الفواكه وغيرها. ﴿مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ رَوْحٍ﴾ أي: نوعان. ﴿وَجَنَّاتٍ الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ الجننا هو ما يجتنى من الثمار، و"دان" قريب، وروي أن الإنسان يجتنى الفاكهة في الجنة على أي حال كان من قيام أو قعود أو اضطجاع؛ لأنها تتلذذ له إذا أرادها، وفي قوله "جنتي الجنتين" ضرب من ضرور التجنيس. ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ ذكر في الصافات. ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ المعنى: أنهن أبكار، و"لم يطمئنهن" معناه لم يفتضهن، وقيل: الطمئ الجماع سواء كان لبكر أو غيرها، ونفى أن يطمئنهن إنس أو جان مبالغة وقصدا للعموم، فكأنه قال: لم يطمئنهن شيء، وقيل: أراد لم يطمئ نساء الإنس إنس ولم يطمئ نساء الجن جن، وهذا على القول بأن الجن يدخلون الجنة ويتلذذون فيها بما يتلذذ به البشر. ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ شبه النساء بالياقوت والمرجان في الحمرة والجمال، وقد ذكر معنى "المرجان" في أول السورة. ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾

مُدْهَامَتَيْنِ ﴿١٤﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَتَيْنِ نَضَّاحَتَيْنِ ﴿١٦﴾ فَبِأَيِّ  
 آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٧﴾ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿١٨﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ  
 ﴿١٩﴾ فِيهِنَّ حَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي  
 الْحِيَامِ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ لَمْ يَطْمِئِنَّ عَنْ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ  
 آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ مُتَّكِبِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٢٦﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ  
 رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٧﴾ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٨﴾

المعنى: أن جزاء من أحسن بطاعة الله أن يحسن الله إليه بالجنة، ويحتمل أن يكون "الإحسان" هنا هو الذي سأل  
 عنه جبريل رسول الله ﷺ فقال له: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» [البخاري: 50]، وذلك هو مقام  
 المراقبة والمجاهدة، فجعل جزاء ذلك الإحسان بهاتين الجنة، ويقوي هذا أنه جعل هاتين الجنة الموصوفتين  
 هنا لأهل المقام العلي، وجعل جنتين دونها لمن كان دون ذلك؛ فالجنتان المذكورتان أولاً للسابقين، والمذكورتان  
 بعد ذلك لأهل اليمين، حسبها ورد في الواقعة، وانظر كيف جعل أوصاف هاتين الجنة أعلى من أوصاف  
 الجنة اللتين بعدهما، فقال هنا: ﴿عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ وقال في الأخيرين: ﴿عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ﴾، والجري أشد من  
 النضج، وقال هنا: ﴿مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ رُزْقَانِ﴾ وقال هناك: ﴿فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾، وكذلك صفات الحور هنا  
 أبلغ من صفاتها هناك، وكذلك صفات البسط، ويفسر ذلك قول رسول الله ﷺ: «جنتان من ذهب آتيتها وكل ما  
 فيها، وجنتان من فضة آتيتها وكل ما فيها» [البيهقي: 3078]. ﴿مُدْهَامَتَانِ﴾ أي: تضربان إلى السواد من شدة الخضرة.  
 ﴿عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ﴾ أي: تفوران بالماء، والنضج بالخاء المعجمة أشد من النضج بالحاء المهملة. ﴿فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ  
 وَرُمَّانٌ﴾ خص النخل والرمان بالذكر بعد دخولها في الفاكهة تشريفاً لهما وبياناً لفضلها على سائر الفواكه، وهذا  
 هو التجريد. ﴿حَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ "خيرات" جمع خيرة، وقال الزمخشري وغيره: أصله خيرات بالتشديد ثم خفف  
 كميته، وقد قرئ بالتشديد، قالت أم سلمة ؓ: يا رسول الله أخبرني عن قوله "خيرات حسان"؟ قال: «خيرات  
 الأخلاق، حسان الوجوه» [الطبراني: 19313]. ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْحِيَامِ﴾ الـ "حور" جمع حوراء، والـ "مقصورات"  
 المحجوبات، لأن النساء يمدحن بملازمة البيوت ويذمن بكثرة الخروج، و"الحيام" هي البيوت التي من الخشب  
 والحشيش ونحو ذلك، وحيام الجنة من اللؤلؤ. ﴿مُتَّكِبِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ الـ "رفرف" البسط، وقيل:  
 الوسائد، وقيل: رياض الجنة. ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ الـ "عبقري" الطنافس، وقيل: الزرابي، وقيل: الديباج  
 الغليظ، وهو منسوب إلى عبقرى، وتزعم العرب أنه بلد الجن؛ فإذا أعجبته شيء نسبته إليه. ﴿تَبَارَكَ اسْمُ  
 رَبِّكَ﴾ ذكر "تبارك" في الفرقان وغيرها، والـ "اسم" هنا يراد به المسمى على الأظهر، وقرأ الجمهور: ﴿ذِي  
 الْجَلَالِ﴾ بالياء صفة لـ "ربك"، وقرأ ابن عامر بالواو صفة للاسم، وقد ذكر معنى: ﴿ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۖ لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَذِبَةٌ ۖ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ۖ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۖ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ۖ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ۖ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۖ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۖ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۖ

سورة الواقعة

روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قرأ سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبدا» [الشعب: 2397]، ولما حضرت ابن مسعود رضي الله عنه الوفاة قيل له: ما تركت لبناتك؟ قال: تركت لمن سورة الواقعة. ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ يعني إذا قامت القيامة؛ فالواقعة اسم من أسماء القيامة يدل على هولها ك﴿الظَّامَةُ﴾ و﴿الصَّاحَّةُ﴾، وقيل "الواقعة" الصيحة وهي النفخة في الصور، وقيل "الواقعة" صخرة بيت المقدس تقع يوم القيامة؛ وهذا بعيد. ﴿لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَذِبَةٌ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه؛ الأول: أن تكون الـ"كاذبة" مصدرا كالعافية، والمعنى ليس لها كذب ولا رد، والثاني: أن تكون "كاذبة" صفة لمحذوف كأنه قال: ليس لها حالة كاذبة؛ أي: هي صادقة الوقوع ولا بد، وهذا المعنى قريب من الأول، والثالث: أن يكون التقدير: ليس لها نفس كاذبة؛ أي: تكذب في إنكار البعث لأن كل نفس تؤمن حينئذ. ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ تقديره: هي خافضة رافعة، فينبغي أن يوقف على ما قبله لبيان المعنى، والمراد بالخفض والرفع أنها تخفض أقواما إلى النار وترفع أقواما إلى الجنة، وقيل: ذلك عبارة عن هولها؛ لأن السماء تنشق، والأرض تزلزل وتمد، والجبال تنسف، فكانها تخفض بعض هذه الأجرام وترفع بعضها. ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ﴾ أي: زلزلت وحركت تحريكا شديدا، و"إذا" هنا بدل من "إذا وقعت"، ويحتمل أن يكون العامل فيه "خافضة رافعة". ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ﴾ أي: فتتت، وقيل: سيرت. ﴿هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ الـ"هباء" ما يتطاير في الهواء من الأجزاء الدقيقة، ولا تكاد ترى إلا في الشمس إذا دخلت على كوة، قاله ابن عباس رضي الله عنه. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: هو ما تطاير من حوافر الدواب من التراب، وقيل: ما تطاير من شرر النار، فإذا طفق لم يوجد شيئا، والنبث المفرق. ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ هذا خطاب لجميع الناس؛ لأنهم ينقسمون يوم القيامة إلى هذه الأصناف الثلاثة، وهم السابقون وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال؛ فأما السابقون فهم أهل الدرجات العلا في الجنة، وأما أصحاب اليمين فهم سائر أهل الجنة، وأما أصحاب الشمال فهم أهل النار. ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ هذا ابتداء وخبر فيه معنى التعظيم كقولك: زيد ما زيد، و"الميمنة" يحتمل أن تكون مشتقة من اليمين وهو ضد الشؤم وتكون ﴿الْمَشْأَمَةَ﴾ مشتقة من الشؤم، أو تكون "الميمنة" من ناحية اليمين و"المشأمة" من ناحية الشمال،

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢﴾ فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٣﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٤﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٥﴾ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿٦﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿٧﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿٨﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٩﴾ لَا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ﴿١٠﴾ وَفَلَكِهِم مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿١١﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿١٢﴾

واليد الشؤمى هي الشمال، وذلك لأن العرب تجعل الخير من اليمين والشر من الشمال، أو لأن أهل الجنة يحملون إلى جهة اليمين وأهل النار يحملون إلى جهة الشمال، أو يكون من أخذ الكتاب باليمين أو الشمال. ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ الأول مبتدأ والثاني خبره على وجه التعظيم كقولك: أنت أنت، أو على معنى أن السابقين إلى الطاعة هم السابقون إلى الجنة، وقيل: إن "السابقون" الثاني صفة للأول أو تأكيد، والخبر ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ والأرجح أن يكون الثاني خبر الأول؛ لأنه في مقابلة قوله "أصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة"، وعلى هذا يوقف على "السابقون" الثاني ويبتدئ بها بعده. ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ الـ"ثلة" الجماعة من الناس؛ فالمعنى: أن السابقين من الأولين أكثر من السابقين من الآخرين، والأولون هم أول هذه الأمة والآخرون المتأخرون من هذه الأمة، والدليل على ذلك ما روي أن رسول الله ﷺ قال: «الفرقتان في أمتي» [الطبايبي: 917]، وذلك لأن صدر هذه الأمة خير ممن بعدهم؛ فكثير السابقون من السلف الصالح وقلوا بعد ذلك، ويشهد لذلك قوله ﷺ: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم» [البخاري: 2651]، وقيل: إن الفرقتين في أمة كل نبي؛ فالسابقون في كل أمة يكثرون في أولها ويقلون في آخرها، وقيل: إن "الأولين" هم من كان قبل هذه الأمة و"الآخرين" هم هذه الأمة؛ فيقتضي هذا أن السابقين من الأمم المتقدمة أكثر من السابقين من هذه الأمة؛ وهذا بعيد، وقيل: إن السابقين يراد بهم الأنبياء؛ لأنهم كانوا في أول الزمان أكثر مما كانوا في آخره. ﴿عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ الـ"سُرر" جمع سرير، والـ"موضونة" المنسوجة، وقيل: المشبكة بالدر والياقوت، وقيل: معناه متواصلة قد أدنى بعضها من بعض. ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ أي: وجوه بعضهم إلى بعض. ﴿وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ الـ"ولدان" صغار الخدم، والـ"مخلدون" الذين لا يموتون، وقيل: المقرطون بالخادات وهي ضرب من الأقرط؛ والأول أظهر. ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ﴾ الـ"أكواب" جمع كوب؛ وهو الإناء الذي لا أذن له ولا خرطوم يمسك به، والـ"أباريق" جمع إبريق؛ وهو الإناء الذي له خرطوم أو أذن يمسك به. ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ ذكر في الصفات. ﴿لَا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ﴾ أي: لا يلحق رؤوسهم الصداع الذي يصيب من خمر الدنيا، وقيل: لا يفرقون عنها فهو من الصدع وهو الفرقة، ومعنى "لا ينزفون" لا يسكرون. ﴿وَفَلَكِهِم مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ قيل: يتخيرون ما شاؤوا لكثرتها، وقيل: متخيرة؛ أي: مرضية.

وَحُورٌ عَيْنٌ ﴿٣٧﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٣٨﴾ جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا ﴿٤٠﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٤١﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٤٢﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٤٣﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٤٤﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٤٥﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٤٦﴾ وَفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٤٧﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٤٨﴾

﴿وَحُورٌ عَيْنٌ﴾ قد ذكرنا معناها، وقرئ بالرفع على تقدير: فيها حور، أو عطف على الضمير في "مكتئين"، أو على "ولدان" وبالحذف عطف على المعنى، كأنه قال: ينعمون بهذا كله وبحور عين، وقيل: خفض على الجوار. ﴿كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ شبههن باللؤلؤ في البياض، ووصفه بـ"المكنون" لأنه أبعد عن تغيير حسنه، وسألت أم سلمة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا التشبيه؟ فقال: «صفاؤهن كصفاء الدر في الأصداف الذي لا تمسه الأيدي» [المعجم الأرسط: 3259]. ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا﴾ اللغو الكلام الساقط كالفحش وغيره، والتأثير مصدر بمعنى لا يؤثم أحد هناك نفسه ولا غيره. ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ انتصب "سلاما" على أنه بدل من "قيلًا" أو صفة له أو مفعول به لـ"قيلًا" لأن معناه: قول، ومعنا السلام على هذا التحية، والمعنى: أنهم يفشون السلام، فيسلمون سلاما بعد سلام، ويحتمل أن يكون معناه السلامة فينتصب بفعل مضمرة تقديره: أسلموا سلاما. ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ هذا مبتدأ وخبر قصد به التعظيم فيوقف عليه ويبدأ بها بعده، ويحتمل أن يكون الخبر "في سدر" ويكون "ما أصحاب اليمين" اعتراضا؛ والأول أحسن، وكذلك إعراب "أصحاب الشمال". ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ الـ"سدر" شجر معروف، قال ابن عطية: وهو الذي يقال له شجر أم غيلان وهو كثير في بلاد المشرق وهي في بعض بلاد الأندلس دون بعض، والـ"مخضود" الذي لا شوك فيه كأنه مخضد شوكة، وذلك أن سدر الدنيا له شوك فوصف سدر الجنة بضد ذلك، وقيل: الـ"مخضود" هو الموقر الذي انثنت أغصانه من كثرة حملة، فهو على هذا من خضد الغصن إذا ثناه. ﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ﴾ الـ"طلح" شجر عظام كثير الشوك قاله ابن عطية، وقال الزمخشري: الطلح هو شجر الموز، وحكى ابن عطية هذا عن علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهما وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "وطلع منضود" بالعين فقليل له: إنها هو "طلح" بالحاء؟ فقال: ما للطلح وللجنة، فقليل له: أنصلحها في المصحف؟ فقال: المصحف اليوم لا يغير، والـ"منضود" الذي نضد بالثمر من أعلاه إلى أسفله حتى لا يظهر له ساق. ﴿وَظِلِّ مَمْدُودٍ﴾ أي: منبسط لا يزول؛ لأنه لا تنسخه الشمس، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، وقرؤوا إن شئتم "وظل ممدود"» [البخاري: 3252]. ﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ أي: مصبوب، وذلك عبارة عن كثرة، وقيل: المعنى أنه جار في غير أخاديد، وقيل: المعنى أنه يجري من غير ساقية ولا دلو ولا تعب. ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾



وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٢٦﴾ إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنْشَاءً ﴿٢٥﴾ فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٢٤﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٢٣﴾  
لَأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٢٧﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَابِ الشِّمَالِ  
مَا أَصْحَابِ الشِّمَالِ ﴿٣١﴾ فِي سُمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٣٠﴾ وَظِلٍّ مِّنْ تَحْمُومٍ ﴿٢٩﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ  
﴿٣٢﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٣١﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٣٠﴾ وَكَانُوا  
يَقُولُونَ أَبَدًا مِّتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٢٩﴾ أَوْءَابَاؤُنَا الْأُولُونَ ﴿٢٨﴾

أي: لا ينقطع إبانها كفاكهة الدنيا فإن شجر الجنة تثمر في كل وقت، ولا تمتنع بعد تناولها ولا بغير ذلك من وجوه المنع. ﴿وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ هي الأسرة، وقد روي أن ارتفاع سرير منها مسيرة خمسمائة عام، وقيل: هي النساء؛ وهذا بعيد. ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ﴾ الضمير لنساء الجنة فإن سياق الكلام يقتضي ذلك وإن لم يتقدم ذكرهن، ولكن قد تقدم ذكر الـ"فرش" وهي تدل على النساء، وأما من قال إن الـ"فرش" هي النساء فالضمير عائد عليها، وقيل: يعود على الحور العين المذكورات قبل هذا، وذلك بعيد؛ فإن ذلك في وصف جنات السابقين وهذا في وصف جنات أصحاب اليمين، ومعنى إنشاء النساء: أن الله يخلقهن في الجنة خلقاً آخر في غاية الحسن بخلاف خلقه الدنيا؛ فالعجوز ترجع شابة والقيحة ترجع حسنة. ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ روي أنهن دائئات البكارة متى عاود الوطء وجدها بكرا. ﴿عُرُبًا﴾ جمع عروب، وهي المتوددة إلى زوجها بإظهار محبته، وعبر عنهن ابن عباس ؓ بأنهن العواشق لأزواجهن، وقيل: هي الحسنة الكلام. ﴿أَتْرَابًا لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ أي: مستويات في السن مع أزواجهن، وروي أنهم يكونون في سن أبناء ثلاثة وثلاثين عاماً، ولـ"أصحاب اليمين" يتعلق بقوله "أنشأناهن" على ما قاله الزمخشري، ويحتمل أن يتعلق بـ"أترابا" وهذا هو الذي يقتضيه المعنى أي: أترابا لأزواجهن. ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ أي: جماعة من أول هذه الأمة وجماعة من آخرها، وقد قال رسول الله ﷺ: «الفرقتان من أمتي» [الطبايبي: 917]، وفي ذلك رد على من قال إنهما من غير هذه الأمة، وتأمل كيف جعل أصحاب اليمين ثلثة من الأولين وثلثة من الآخرين بخلاف السابقين فإنهم قليل في الآخرين؛ وذلك لأن السابقين في أول هذه الأمة أكثر منهم في آخرها لفضيلة السلف الصالح، وأما أصحاب اليمين فكثير في أولها وآخرها. ﴿فِي سُمُومٍ وَحَمِيمٍ وَظِلٍّ مِّنْ تَحْمُومٍ﴾ الـ"سُمُوم" الحر الشديد، والـ"حميم" الماء الحار جدا، والـ"يحموم" هو الأسود، و"ظل من يحموم" هو الدخان في قول الجمهور، وقيل: سُرادق النار المحيط بأهلها فإنه يرتفع من كل جهة حتى يُظلمهم، وقيل: هو جبل في جهنم. ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾ معنى "يصرون" يدومون من غير إقلاع، و"الحنث" هو الإثم، وقيل: هو الشرك، وقيل: الحنث في اليمين؛ أي: اليمين الغموس. ﴿أَبَدًا مِّتْنَا﴾ الآية، معناها: أنهم أنكروا البعث بعد الموت، وقد ذكرنا قراءة الاستفهامين في الرعد و﴿ءَابَاؤُنَا﴾ في الصفات.

قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿١١﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ وَايَاتُهَا  
 الصَّالُونَ الْمَكْدُوبُونَ ﴿١٣﴾ لَا كَلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّن رَّقُومٍ ﴿١٤﴾ فَمَا لَئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿١٥﴾  
 فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿١٦﴾ فَشَرِبُونَ شَرْبَ أَهِيمٍ ﴿١٧﴾ هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٨﴾ نَحْنُ  
 خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿١٩﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٢٠﴾ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ  
 ﴿٢١﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٢٢﴾ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ  
 فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ  
 ﴿٢٥﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٢٦﴾

﴿أَيُّهَا الصَّالُونَ﴾ خطاب لكفار قريش وسائر الكفار. ﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ﴾ الضمير للمأكول. ﴿فَشَارِبُونَ شَرْبَ  
 الْهِيمِ﴾ وزن "هيم" فعل بضم الفاء، وكسرت الهاء لأجل الياء، وهو جمع أهيم، وهو الجمل الذي أصابه الهيام  
 بضم الهاء؛ وهو داء معطش يشرب معه الجمل حتى يموت أو يسقم، والأثنى هيءاء، وقيل: جمع هائم وهائمة،  
 وقيل: الهيم الرمال التي لا تروى من الماء، وهو على هذا جمع هيءاء بفتح الهاء، وقرئ "شرب" بضم الشين،  
 واختلف هل هو مصدر أو اسم المشروب، وقرئ بالفتح وهو مصدر، فإن قيل: كيف عطف قوله "فشاربون"  
 على "شاربون" ومعناها واحد؟ فالجواب: أن المعنى مختلف لأن الأول يقتضي الشرب مطلقاً، والآخر يقتضي  
 الشرب الكثير المشبه لشرب الهيم. ﴿هَذَا نُزْلُهُمْ﴾ النزل أول ما يأكله الضيف؛ فكأنه يقول هذا أول عذابهم فما  
 ظنك بسائرهم. ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ تخصيص على التصديق؛ إما بالخالق تعالى، وإما بالبعث؛ لأن الخلقة الأولى  
 دليل عليه. ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ الآية وما بعدها تتضمن إقامة براهين على الوحدانية وعلى البعث، وتتضمن  
 أيضاً وعيدا وتعديداً نعم، ومعنى "تمنون" تقدفون المنى في رحم المرأة. ﴿ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ هذا  
 توقيف يقتضي أن يجيبوا عليه بأن الله هو الخالق لا إله إلا هو. ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾ أي: جعلناه مقدرًا  
 بأجل معلومة وأعمار منها طويل وقصير ومتوسط. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا  
 لَا تَعْلَمُونَ﴾ المسبوق على الشيء هو المغلوب عليه بحيث لا يقدر عليه، و"نبدل أمثالك" معناه: نهلككم  
 ونستبدل قوماً غيركم، وقيل: نمسخكم قردة وخنازير، و"ننشئكم" نبعثكم بعد هلاككم، و"في ما لا تعلمون"  
 معناه: ننشئكم في خلقة لا تعلمونها على وجه لا تصل عقولكم إلى فهمه؛ فمعنى الآية: أن الله قادر على أن يهلكهم  
 وعلى أن يبعثهم، ففيها تهديد واحتجاج على البعث. ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ تخصيص على التذكير، والاستدلال  
 بالنشأة الأولى على النشأة الآخرة، وفي هذا دليل على صحة القياس. ﴿ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ المراد

لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٥٥﴾ إِنَّا لَمُعْرِمُونَ ﴿٥٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُحْرِمُونَ ﴿٥٧﴾  
 أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٥٩﴾ لَوْ  
 نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٦١﴾ ءَأَنْتُمْ  
 أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٦٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَمَتًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٦٣﴾  
 فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٦٤﴾ \* فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٦٥﴾

بالزراعة هنا إنبات ما يزرع وتمام خلقته؛ لأن ذلك مما انفرد الله به ولا يدعيه غيره، قال رسول الله: «لا يقولن أحدكم زرعت ولكن يقول حرثت» [ابن حبان: 5723]، والمراد بالحرث قلب الأرض وإلقاء الزريعة فيها، وقد يقال لهذا زرع، ومنه قوله: «يُعْجِبُ الزُّرَاعَ». «لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا» الحطام اليابس المتفتت، وقيل: معناه تبن بلا قمح. «فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ» أي: تطرحون الفاكهة وهي المسرة، يقال: رجل فكه إذا كان مسرورا منبسط النفس، ويقال: تفكه إذا زالت عنه الفكاهة فصار حزينا؛ لأن صيغة تفعل تأتي لزوال الشيء كقولهم: تخرج وتأمم إذا زال عنه الحرج والإثم؛ فالمعنى: صرتم تحزنون على الزرع لو جعله الله حطاما، وقد عبر بعضهم عن "تفكهون" بأن معناه تنفجعون، وقيل: تندمون، وقيل: تعجبون؛ وهذه معان متقاربة والأصل ما ذكرنا. «إِنَّا لَمُعْرِمُونَ بَلْ نَحْنُ مُحْرِمُونَ» تقديره: تقولون ذلك لو جعل الله زرعكم حطاما، والمعرم المعذب لأن الغرام هو أشد العذاب، ويحتمل أن يكون من الغرم أي: مثقلون بما غرنا من النفقة على الزرع، والمحروم الذي حرمه الله الخير. «مِنَ الْمُزْنِ» هي السحاب، والأجاج الشديد الملوحة، فإن قيل: لم ثبتت اللام في قوله "لو نشاء لجعلناه حطاما" وسقطت في قوله: «لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا»؟ فالجواب من وجهين؛ أحدهما: أنه أغنى إثباتها أولا عن إثباتها ثانيا مع قرب الموضوعين، والآخر: أن هذه اللام تدخل للتأكيد، فأدخلت في آية المطعوم دون آية المشروب دلالة على أن الطعام أوكد من الشراب؛ لأن الإنسان لا يشرب إلا بعد أن يأكل. «النَّارَ الَّتِي تُورُونَ» أي: تقدحونها من الزناد، والزناد قد يكون من حجرين، ومن حجر وحديدة، ومن شجر وهو المرخ والعفرار، ولما كانت عادة العرب في زنادهم من شجر قال الله: «ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا» أي: الشجرة التي يزند النار منها، وقيل: أراد بالشجرة نفس النار كأنه يقول: نوعها أو جنسها؛ فاستعار الشجرة لذلك؛ وهذا بعيد. «نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً» أي: تذكر بنار جهنم. «وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ» المتاع ما يتمتع به، ويحتمل "المقوين" أن يكون من الأرض القواء وهي الفيافي، فمعنى "المقوين" الذين دخلوا في القواء ولذلك عبر ابن عباس رضي الله عنه بالمسافرين، ويحتمل أن يكون من قولهم: أقوى المنزل إذا خلا؛ فمعناه: الذين خلت بطونهم أو موائدهم من الطعام؛ ولذلك عبر بعضهم عنه بالجائعين. «فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ» "لا" في هذا الموضع وأمثاله زنادة،

وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾

وكانها زيدت لتأكيد القسم، أو لاستفتاح الكلام نحو الأ، وقيل: إنها نافية لكلام الكفار، كأنه يقول: لا صحة لما يقول الكفار؛ وهذا ضعيف والأول أحسن؛ لأن زيادة "لا" كثيرة معروفة في كلام العرب، و"مواقع النجوم" فيه قولان؛ أحدهما: قول ابن عباس ؓ: إنها نجوم القرآن إذ نزل على النبي ﷺ قطعاً بطول عشرين سنة، فكل قطعة منه نجم، والآخر قول كثير من المفسرين: إن النجوم الكواكب ومواقعها مغاربا ومساقطها، وقيل: مواضعها من السماء، وقيل: انكدارها يوم القيامة. ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ هذه جملة اعتراض بين القسم وجوابه، وقوله "لو تعلمون" اعتراض بين الموصوف وصفته فهو اعتراض في اعتراض، والمقصود بذلك تعظيم المقسم به وهو "مواقع النجوم"، وجواب القسم: ﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾، وأعاد الضمير على القرآن لأن المعنى يقتضيه، أو لأنه مذكور على قول من قال إن "مواقع النجوم" نزول القرآن. ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ أي: مصون، والمراد بهذا الكتاب المكنون المصحف التي كتب فيها القرآن أو صحف القرآن التي بأيدي الملائكة عليهم السلام. ﴿لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ الضمير يعود على الكتاب المكنون، ويحتمل أن يعود على القرآن المذكور قبله؛ إلا أن هذا ضعيف لوجهين؛ أحدهما: أن مس الكتاب حقيقة ومس القرآن مجاز والحقيقة أولى من المجاز، والآخر: أن الكتاب أقرب والضمير يعود على أقرب مذكور؛ فإذا قلنا إنه يعود على الكتاب المكنون؛ فإن قلنا إن الكتاب المكنون هو المصحف التي بأيدي الملائكة، ف"المطهرون" يراد بهم الملائكة لأنهم مطهرون من الذنوب والعيوب، والآية إخبار أنه لا يمسه إلا هم دون غيرهم، وإن قلنا إن الكتاب المكنون هو المصحف الذي بأيدي الناس، فيحتمل أن يريد بالمطهرين المسلمين؛ لأنهم مطهرون من الكفر، أو يريد المطهرين من الحدث الأكبر وهو الجنابة والحيض؛ فالطهارة على هذا الاغتسال، أو يريد المطهرين من الحدث الأصغر فالطهارة على هذا الوضوء، ويحتمل أن يكون قوله "لا يمسه" خبراً أو نهياً على أنه قد أنكر بعض الناس أن يكون نهياً، وقال: لو كان نهياً لكان بفتح السين، وقال المحققون: إن النهي يصح مع ضم السين؛ لأن الفعل المضاعف إذا كان مجزوماً واتصل به ضمير المفرد المذكر ضم عند التقاء الساكنين إتباعاً لحركة الضمير، وإذا كان خبراً فيحتمل أن يقصد به مجرد الإخبار أو يكون خبراً بمعنى النهي، وإذا كان لمجرد الإخبار فالمعنى أنه لا ينبغي أن يمسه إلا المطهرون؛ أي: هذا حقه وإن وقع خلاف ذلك، واختلف الفقهاء فيمن يجوز له مس المصحف على حسب الاحتمالات في الآية؛ فأجمعوا أنه لا يجوز أن يمسه كافر؛ لأنه إن أراد بالمطهرين المسلمين فذلك ظاهر، وإن أراد الطهارة من الحدث فالإسلام حاصل مع ذلك، وأما الحدث ففيه ثلاثة أقوال؛ الأول: أنه لا يجوز أن يمسه الجنب ولا الحائض

أَفِيهِدَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ وَأَنْكُمْ تُكذِّبُونَ ﴿٨٢﴾

ولا المحدث حدثاً أصغر وهو قول مالك وأصحابه، ومنعوا أيضاً أن يجمله بعلاقة أو وسادة؛ وحجتهم الآية على أن يراد بالمطهرين الطهارة من الحدث الأكبر والأصغر، وقد احتج مالك في الموطأ بالآية على المسألة، ومن حجتهم أيضاً كتاب رسول الله ﷺ إلى عمرو بن حزم رضي الله عنه: «أن لا يمسه القرآن إلا طاهر» [الدارمي: 2321]، الثاني: أنه يجوز مسه للجنب والحائض والمحدث حدثاً أصغر وهو مذهب أحمد بن حنبل والظاهرية، وحملوا "المطهرون" على أنه المسلمون أو الملائكة أو جعلوا "لا يمسه" لمجرد الإخبار، القول الثالث: أنه يجوز مسه بالحدث الأصغر دون الأكبر، وحمل صاحب هذا القول المطهرين على أن يراد به الطهارة من الحدث الأكبر، ورخص مالك في مسه على غير وضوء لمعلم الصبيان لأجل المشقة، واختلفوا في قراءة الجنب للقرآن، فمنعه الشافعي وأبو حنيفة مطلقاً، وأجازاه الظاهرية مطلقاً، وأجاز مالك قراءة الآية اليسيرة، واختلف في قراءة الحائض والنفساء للقرآن على ظهر قلب، فعن مالك في ذلك روايتان، وفرق بعضهم بين الكثير واليسير. ﴿أَفِيهِدَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾ هذا خطاب للكفار، والحديث المشار إليه هو القرآن، و"مدهنون" معناه متهاونون، وأصله من المداهنة وهي لين الجانب والموافقة بالظاهر لا بالباطن، وقال ابن عباس رضي الله عنه: معناه مكذبون. ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ وَأَنْكُمْ تُكذِّبُونَ﴾ قال ابن عطية: أجمع المفسرون على أن الآية توبيخ للقائلين في المطر إنه نزل بنوء كذا وكذا، فالمعنى: أنكم تجعلون شكر رزقكم التكذيب، فحذف شكر لدلالة المعنى عليه، وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "وتجعلون شكركم أنكم تكذبون"، وكذلك قرأ ابن عباس رضي الله عنه إلا أنه قرأ "تكذبون" بضم التاء والتشديد كقراءة الجماعة، وقراءة علي رضي الله عنه بفتح التاء وإسكان الكاف من الكذب، أي: يكذبون في قولهم نزل المطر بنوء كذا، ومن هذا المعنى قول رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يقول أصبح من عبادي مؤمن بي كافر بالكوكب، وكافر بي مؤمن بالكوكب؛ فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكوكب كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب» [البخاري: 1038]، والمنهي عنه في هذا الباب أن يعتقد أن للكواكب تأثيراً في المطر، وأما مراعاة العوائد التي أجزاها الله تعالى فلا بأس به كقوله رضي الله عنه: «إذا نشأت بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غديقة» [المعجم الأوسط: 7973]، وقد قال عمر للعباس رضي الله عنه وهما في الاستسقاء: كم بقي من نوء الثريا؟ فقال العباس رضي الله عنه: العلماء يقولون إنها تعترض في الأفق بعد سقوطها سبعة، قال ابن المسيب: فما مضت سبع حتى مطروا، وقيل: إن معنى الآية تجعلون سبب رزقكم تكذيبكم للنبي ﷺ، فإنهم كانوا يقولون إن آماناً به حرمننا الله الرزق كقولهم: ﴿إِنْ تَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾، فأنكر الله عليهم ذلك، وإعراب "أنكم" على هذا القول مفعول بـ"تجعلون" على حذف مضاف تقديره: تجعلون سبب رزقكم التكذيب، ويحتمل أن يكون مفعولاً من أجله تقديره: تجعلون رزقكم حاصلًا من أجل أنكم تكذبون، وأما على القول الأول بإعراب "أنكم تكذبون" مفعول لا غير.

فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٦٧﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٧٠﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٧٢﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٧٤﴾ فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٧٥﴾

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ "لولا" هنا عرض، والضمير في "بلغت" للنفس؛ لأن سياق الكلام يقتضي ذلك، وبلوغها للحلقوم حين الموت، والفعل الذي دخلت عليه "لولا" هو قوله: ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ أي: هلا رددتم النفس حين الموت، ومعنى الآية: احتجاج على البشر وإظهار لعجزهم بأنهم إذا حضر أحدهم الموت لم يقدرُوا أن يردوا روحه إلى جسده، وذلك دليل على أنهم عبيد مقهورون. ﴿وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ﴾ هذا خطاب لمن يحضر الميت من أقاربه وغيرهم، يعني تنظرون إليه ولا تقدرون له على شيء. ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ يحتمل أن يريد قرب نفسه تعالى بعلمه واطلاعه، أو قرب الملائكة الذين يقبضون الأرواح فيكون من قرب المسافة. ﴿وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ إن أراد بقوله "نحن أقرب" الملائكة فقوله "لا تبصرون" من رؤية العين، وإن أراد نفسه تعالى فهو من رؤية القلب. ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ "لولا" هنا عرض كالأولى، وكررت للتأكيد والبيان لما طال الكلام، والفعل الذي دخلت عليه "لولا" الأولى والثانية قوله "ترجعونها"؛ أي: هلا رددتم النفس إلى الجسد إذا بلغت الحلقوم "إن كنتم غير مديين"؛ أي: غير مربوبين ومقهورين فافعلوا ذلك إن كنتم صادقين في كفركم، وترتيب الكلام: فلولا ترجعون النفس إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مديين فارجعوها إن كنتم صادقين. ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ الضمير في "كان" للمتوفى، وكرر هنا ما ذكره في أول السورة من تقسيم الناس إلى ثلاثة أصناف؛ السابقين، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال؛ فالمراد بالمقربين هنا السابقون المذكورون هناك. ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ الروح الاستراحة، وقيل: الرحمة، وروي أن رسول الله ﷺ قرأ "فروح" بضم الراء ومعناه الرحمة، وقيل: الخلود، أي: بقاء الروح، وأما الـ"ريحان" فقيل: إنه الرزق، وقيل: الاستراحة، وقيل: الطيب، وقيل "الريحان المعروف في الدنيا يلقيه في الجنة، وفي قوله "روح وريحان" ضرب من التجنيس. ﴿فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ معنى هذا على الجملة: نجاة أصحاب اليمين وسعادتهم، والـ"سلام" هنا يحتمل أن يكون بمعنى السلامة أو التحية، والخطاب في ذلك يحتمل أن يكون للنبي ﷺ أو لأحد أصحاب اليمين؛ فإن كان للنبي ﷺ فالـ"سلام" بمعنى السلامة، والمعنى: سلام لك يا محمد منهم؛ أي: لا ترى فيهم إلا السلامة من العذاب، وإن كان الخطاب لأحد أصحاب اليمين فالـ"سلام" بمعنى التحية، والمعنى: سلام لك؛ أي: تحية لك يا صاحب اليمين من

وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ ﴿١٣﴾ فَتَزُلْ مِنْ حَمِيمٍ ﴿١٤﴾ وَتَصْلِيَةٌ حَمِيمٍ ﴿١٥﴾ إِنْ هَذَا هُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿١٦﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿١٧﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ نَحْيٍ - وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

إخوانك وهم أصحاب اليمين؛ أي: يسلمون عليك، فهو كقوله: ﴿إِلَّا قِيلاً سَلَامًا سَلَامًا﴾، أو يكون السلام بمعنى السلامة، والتقدير: سلامة لك يا صاحب اليمين، ثم يكون قوله "من أصحاب اليمين" خبر ابتداء مضمرة تقديره: أنت من أصحاب اليمين. ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ﴾ يعني الكفار، وهم أصحاب الشمال وأصحاب المشأمة. ﴿فَتَزُلْ مِنْ حَمِيمٍ﴾ الـ "نزل" أول شيء يقدم للضيف. ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ الإشارة إلى ما تضمنته هذه السورة من أحوال الخلق في الآخرة، و"حق اليقين" معناه: الثابت من اليقين، وقيل: إن الحق واليقين بمعنى واحد فهو من إضافة الشيء إلى نفسه كقولك: مسجد الجامع، واختار ابن عطية أن يكون كقولك في أمر تؤكده: هذا يقين اليقين أو صواب الصواب بمعنى أنه نهاية الصواب. ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: ﴿اجعلوها في ركوعكم﴾، فلما نزلت: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال عليه الصلاة والسلام: ﴿اجعلوها في سجودكم﴾ [أبو داود: 869]، فلذلك استحب مالك وغيره أن يقول في السجود: سبحان ربي الأعلى، وفي الركوع: سبحان ربي العظيم، وأوجه الظاهرية، ويحتمل أن يكون المعنى تسبيح الله بذكر أسمائه، والاسم هنا جنس الأسماء، و"العظيم" صفة للرب، أو يكون الاسم هنا واحداً والتعظيم صفة له، فكانه أمره أن يسبح بالاسم الأعظم، ويؤيد هذا ويشير إليه اتصال سورة الحديد بها، وفي أولها التسبيح وجملة من أسماء الله وصفاته، وقد قال ابن عباس ؓ: اسم الله الأعظم موجود في ست آيات من أول سورة الحديد، وروي أن الدعاء عند قراءتها مستجاب.

#### سورة الحديد

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هذا التسبيح المذكور هنا وفي أوائل سائر السور المسبوحات؛ يحتمل أن يكون حقيقة، وأن يكون بلسان الحال؛ لأن كل ما في السموات والأرض دليل على وجود الله وقدرته وحكمته؛ والأول أرجح لقوله: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، وذكر التسبيح هنا وفي الحشر والصف بلفظ الماضي، وفي الجمعة والتغابن بلفظ المضارع، وكل واحد منهما يقتضي الدوام. ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ أي: الذي ليس لوجوده بداية ولا لبقائه نهاية. ﴿وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ أي: "الظاهر" للعقول بالأدلة والبراهين الدالة عليه،

فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ  
 مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۗ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٠﴾ لَهُ  
 مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١١﴾ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ  
 فِي اللَّيْلِ ۗ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٢﴾ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ  
 مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ ۗ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا هُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٣﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ  
 بِاللَّهِ ۗ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ ۗ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ ۗ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ هُوَ  
 الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ

"الباطن" الذي لا تدركه الأبصار، أو "الباطن" الذي لا تصل العقول إلى معرفة كنه ذاته، وقيل: "الظاهر"  
 العالي على كل شيء، فهو من قولك: ظهرت على الشيء إذا علوت عليه، و"الباطن" الذي بطن كل شيء؛ أي:  
 علم باطنه؛ والأول أظهر وأرجح، ودخلت الواو بين هذه الصفات لتدل على أنه تعالى جامع لها مع اختلاف  
 معانيها، وفي ذلك مطابقة لفظية، وهي من أحسن أدوات البيان. ﴿اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ قد ذكر، وكذلك ما  
 بعده. ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ يعني أنه حاضر مع كل أحد بعلمه وإحاطته، وأجمع العلماء على تأويل هذه  
 الآية بذلك. ﴿يُوَلِّجُ اللَّيْلَ﴾ ذكر في الحج ولقمان. ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ يعني الإنفاق في  
 سبيل الله وطاعته، وروي أنها نزلت في الإنفاق في غزوة تبوك، وعلى هذا روي أن قوله: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ  
 وَأَنْفَقُوا﴾ نزلت في عثمان بن عفان ؓ فإنه جهز جيش العسرة يومئذ؛ ولفظ الآية مع ذلك عام، وحكمها باق  
 لجميع الناس، وقوله "مستخلفين فيه" يعني: أن الأموال التي بأيديكم إنما هي أموال الله؛ لأنه خلقها، ولكنه  
 متعكم بها وجعلكم خلفاء بالتصرف فيها، فأنتم فيها بمنزلة الوكلاء، فلا تمنعوها من الإنفاق فيما أمركم مالكمها  
 أن تنفقوها فيه، ويحتمل أن يعني "جعلكم مستخلفين" ممن كان قبلكم فورثتم عنهم الأموال، فأنفقوها قبل أن  
 تخلفوها لمن بعدكم كما خلفها لكم من كان قبلكم، والمقصود على كل وجه تحريض على الإنفاق والتزهد في  
 الدنيا. ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ معناه: أي شيء يمنعكم من الإيمان والرسول يدعوكم إليه بالبراهين القاطعة  
 والمعجزات الظاهرة؟! فقلوه: "ما لكم" استفهام يراد به الإنكار، و"لا تؤمنون" في موضع الحال من معنى الفعل  
 الذي يقتضيه "ما لكم"، والواو في قوله: ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ واو الحال. ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ يحتمل أن يكون  
 هذا الميثاق ما جعل في العقول من النظر الذي يؤدي إلى الإيمان، أو يكون الميثاق الذي أخذه على بني آدم حين  
 أخرجهم من ظهر آدم وأشهدهم على أنفسهم: ألسن بربكم؟ قالوا: بلى. ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ يعني



لَرءَوْفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتَلَ ؕ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ  
 أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا ؕ وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى ؕ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ مَنْ ذَا  
 الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ ؕ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٢﴾ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ  
 وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا  
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾

محمدًا ﷺ، والعبودية هنا للتشريف والاختصاص، والآيات هنا القرآن. ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾  
 معناه: أي شيء يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله، والله يرث ما في السموات والأرض إذا فني أهلها؛ ففي ذلك  
 تحريض على الإنفاق وتزهيد في الدنيا. ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ﴾ "الفتح" هنا فتح  
 مكة، وقيل: صلح الحديبية؛ والأول أشهر وأظهر، ومعنى الآية: التفاوت في الأجر والدرجات بين من أنفق في  
 سبيل الله وقاتل قبل فتح مكة وبين من أنفق وقاتل بعد ذلك؛ فإن الإسلام قبل الفتح كان ضعيفا والحاجة إلى  
 الإنفاق والقتال كانت أشد، ويؤخذ من الآية أن من أنفق في شدة الحاجة أعظم أجرا من أنفق في حال الرخاء،  
 وفي الآية حذف دل عليه الكلام تقديره: لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل مع من أنفق بعد الفتح  
 وقاتل، ثم حذف هذا للدلالة قوله: ﴿ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا ﴾، وفي هذا المعنى قال  
 رسول الله ﷺ: « لا تسبوا أصحابي، فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » [البخاري: 3673]،  
 يعني السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وخاطب بذلك من جاء بعدهم من سائر الصحابة، ويدخل في  
 الخطاب كل من يأتي إلى يوم القيامة. ﴿ وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ أي: كل واحدة من الطائفتين الذين أنفقوا  
 وقاتلوا قبل الفتح وبعده وعدهم الله الجنة. ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ ﴾ ذكر في البقرة. ﴿ يَوْمَ تَرَى ﴾ العامل في  
 الظرف "أجر كريم" أو تقدير: اذكر. ﴿ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ قيل: إن هذا النور استعارة يراد به  
 الهدى والرضوان؛ والصحيح قول الجمهور إنه حقيقة، وقد روي ذلك عن رسول الله ﷺ، فالمعنى على هذا:  
 أن المؤمنين يكون لهم يوم القيامة نور يضيء قدامهم وعن يمين كل واحد منهم، وقيل: يكون أصله في إيمانهم  
 يحملونه فينسط نوره قدامهم، وروي أن نور كل واحد على قدر إيمانه؛ فمنهم من يكون نوره كالنخلة السحوق،  
 ومنهم من يضيء ما قرب من قدميه، ومنهم من يضيء مرة وبهم بالانطفاء مرة، قال ابن عطية: ومن هذه الآية  
 أخذ الناس مشي المعتق بالشمعة قدام معتقه إذا مات. ﴿ بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ ﴾ تقديره: يقال لهم ذلك.

يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُدًى بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿٢٤﴾ يُنَادُوهُمْ رَهْمًا الْمَنُّ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٢٥﴾

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ "يوم" بدل من "يوم ترى"، أو متعلق بـ ﴿الْقُورُ الْعَظِيمُ﴾، أو بمحذوف تقديره: اذكر، ومعنى الآية: أن كل مؤمن مظهر للإيمان يعطى يوم القيامة نورا، فيبقى نور المؤمنين وينطفئ نور المنافقين، فيقول المنافقون للمؤمنين "انظرونا نقتبس من نوركم" أي: نأخذ منه ونستضيء به، ومعنى "انظرونا" انتظرونا؛ وذلك لأن المؤمنين يسرعون إلى الجنة كالبرق الخاطف، والمنافقون ليسوا كذلك، ويحتمل أن يكون من النظر؛ أي: انظروا إلينا؛ لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فاستضاءوا بنورهم؛ ولكن يضعف هذا؛ لأن نظر إذا كان بمعنى النظر بالعين يتعدى بإلى، وقرئ "انظرونا" بهمزة قطع، ومعناه: أخرجونا؛ أي: أمهلونا في مشيكم حتى نلحقكم. ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ يحتمل أن يكون هذا من قول المؤمنين أو من قول الملائكة، ومعناه: الطرد للمنافقين والتهكم بهم؛ لأنهم قد علموا أنه ليس وراءهم نور، و"وراءكم" ظرف العامل فيه "ارجعوا"، وقيل: إنه لا موضع له من الإعراب، وإنه كما لو قال: ارجعوا، ومعنى هذا الرجوع ارجعوا إلى الموقف فالتمسوا فيه النور، أو ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل الإيمان، أو ارجعوا خائبين وتنحوا عنا فالتمسوا نورا آخر فلا سبيل لكم إلى هذا النور. ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُدًى بَابٌ﴾ أي: ضرب بين المؤمنين والمنافقين بسور يفصل بينهم، وفي ذلك السور باب لأهل الجنة يدخلون منه، وقيل: إن هذا السور هو الأعراف؛ وهو سور بين الجنة والنار، وقيل: هو الجدار الشرقي من بيت المقدس؛ وهذا بعيد. ﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ "باطنه" هو جهة المؤمنين، و"ظاهره" هو جهة المنافقين؛ وهي خارجه، كقولك: ظاهر المدينة؛ أي: خارجها، والضمير في "باطنه" و"ظاهره" يحتمل أن يكون للسور أو للباب؛ والأول أظهر. ﴿يُنَادُوهُمْ رَهْمًا الْمَنُّ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ أي: ينادي المنافقون المؤمنين فيقولون لهم: ألم نكن معكم في الدنيا؛ يريدون إظهارهم الإيمان. ﴿فَتَنْتُمُ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: أهلكتموها وأضللتموها بالنفاق. ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ أي: أبطأتم بإيمانكم، وقيل: تربصتم الدوائر بالنبى ﷺ وبالمسلمين. ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ أي: شككتم في الإيمان. ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ أي: طول الأمل والتمني، ومن ذلك أنهم كانوا يتمنون أن يهلك النبي ﷺ والمؤمنون أو يهزموا، إلى غير ذلك من الأمانى الكاذبة. ﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي: الفتح وظهور الإسلام، أو موت المنافقين على الحال الموجهة للعذاب. ﴿الْغُرُورُ﴾ هو الشيطان.

فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوِيَّتُكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ  
 الْمَصِيرُ ﴿١٧﴾ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا  
 يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ  
 فَاسِقُونَ ﴿١٨﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ  
 ﴿١٩﴾ إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَعُفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ  
 كَرِيمٌ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ

﴿ هِيَ مَوْلَاكُمْ ﴾ أي: هي أولى بكم، وحقيقة المولى الولي الناصر، فكأن هذا استعارة منه؛ أي: لا ولي لكم تأوون  
 إليه إلا النار. ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ معنى "ألم يان": ألم يحن، يقال: أني الأمر إذا  
 حان وقته، و"ذكر الله" يحتمل أن يريد به القرآن أو الذكر أو التذكير بالمواعظ؛ وهذه آية موعظة وتذكير، قال  
 ابن عباس رضي الله عنه: عوتب المؤمنون بهذه الآية بعد ثلاثة عشر سنة من نزول القرآن، وسمع الفضيل بن عياض  
 قارئاً يقرأ هذه الآية فقال: قد آن، فكانت سبب رجوعه إلى الله، وروي أن عبد الله بن المبارك أخذ العود في صباه  
 ليضرب به، فنطق بهذه الآية، فكسره ابن المبارك وتاب إلى الله. ﴿ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ ﴾  
 عطف "لا يكونوا" على "أن تخشع"، ويحتمل أن يكون نهيًا، والمراد التحذير من أن يكون المؤمنون كأهل الكتب  
 المتقدمة؛ وهم اليهود والنصارى. ﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ ﴾ أي: مدة الحياة، وقيل: انتظار القيامة، وقيل: انتظار  
 الفتح؛ والأول أظهر. ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ أي: يحييها بإنزال المطر وإخراج النبات،  
 وقيل: إنه تمثيل للقلوب؛ أي: يحيي الله القلوب بالمواعظ كما يحيي الأرض بالمطر؛ وفي هذا تأنيس للمؤمنين  
 الذين نذبوا إلى أن تخشع قلوبهم؛ والأول أرجح لأنه الحقيقة. ﴿ إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ ﴾ بتشديد الصاد  
 من الصدقة، وأصله المتصدقين، وكذلك قرأ أبي بن كعب، وقرئ بالتخفيف من التصديق؛ أي: صدقوا  
 الرسول عليه الصلاة والسلام. ﴿ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ ﴾ معطوف على المعنى، كأنه قال: إن الذين تصدقوا وأقرضوا،  
 وقد ذكرنا معنى "أقرضوا" في قوله ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ ﴾. ﴿ الصَّادِقُونَ ﴾ مبالغة من الصدق أو من  
 التصديق؛ وكونه من الصدق أرجح؛ لأن صيغة فعيل لا تبنى إلا من فعل ثلاثي في الأكثر، وقد حكى بناؤها  
 من فعل رباعي كقولهم: رجل مسيك، من أمسك. ﴿ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ يحتمل أن يكون "الشهداء" مبتدأ  
 وخبره ما بعده، أو يكون معطوفا على الصديقين؛ فإن كان مبتدأ ففي المعنى قولان؛ أحدهما: أنه جمع شهيد في  
 سبيل الله، فأخبر أنهم عند ربهم لهم أجرهم ونورهم، والآخر: أنه جمع شاهد، ويراد بهم الأنبياء عليهم السلام؛

لَهُمْ وَأَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾  
 أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ  
 كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَتَرَبُّهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ  
 عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ ﴿١٧﴾ سَابِقُوا  
 إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ  
 وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٨﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ  
 فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾

لأنهم يشهدون على قومهم، وإن كان معطوفاً ففي المعنى قولان؛ أحدهما: أنه جمع شهيد، فوصف الله المؤمنين بأنهم صديقون وشهداء؛ أي: جمعوا الوصفين، وروي في هذا المعنى أن رسول الله ﷺ قال: «مؤمنو أمتي شهداء» وتلا هذه الآية [ابن جرير 192/23]. والآخر: أنه جمع شاهد؛ لأن المؤمنين يشهدون على الناس، كقوله: ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾. ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ هذا خبر عن "الشهداء" خاصة إن كان مبتدأ، وخبر عن المؤمنين إن كان "الشهداء" معطوفاً، "ونورهم" هو النور الذي يكون لهم يوم القيامة حسبما ذكر في هذه السورة، وقيل: هو عبارة عن الهدى والإيمان. ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ الآية، معناها: تشبيه الدنيا بالزرع الذي ينبت الغيث في سرعة تغيره بعد حسنه وتحطمه بعد ظهوره، و"الكفار" هنا يراد به الزراع، فهو من قولهم: كفرت الحب إذا سترته تحت الأرض، وخصهم بالذكر لأنهم أهل البصر بالزرع والفلاحة، فلا يعجبهم إلا ما هو حقيق أن يعجب، وقيل: أراد الكفار بالله، وخصهم بالذكر؛ لأنهم أشد إعجاباً بالدنيا وأكثر حرصاً عليها. ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: سابقوا إلى الأعمال التي تستحقون بها المغفرة، فقيل: المعنى كونوا في أول صف من القتال، وقيل: احضروا تكبيرة الإحرام مع الإمام، وقيل: كونوا أول داخل إلى المسجد وآخر خارج منه؛ وهذه أمثلة، والمعنى العام المسابقة إلى جميع الأعمال الصالحات، وقد استدلل بها قوم على أن الصلاة في أول الوقت أفضل. ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ "السما" هنا يراد به جنس السماوات، بدليل قوله في آل عمران: ﴿عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾، وقد ذكرنا هناك معنى "عرضها". ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ المعنى: أن الأمور كلها مقدره مكتوبة في اللوح المحفوظ من قبل أن تكون، قال رسول الله ﷺ: «إن الله كتب مقادير الأشياء قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء» [مسلم: 6919]، وال"مصيبة" هنا عبارة عن كل ما يصيب من خير أو شر،

لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ  
 ﴿١٢﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٣﴾  
 لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ  
 وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْتَفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ  
 إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ  
 فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَىٰ  
 ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً

وقيل: أراد به المصيبة في العرف؛ وهو ما يصيب من الشر، وخص ذلك بالذكر لأنه أهم على الناس، و"في الارض" يعني القحوط والزلازل وغير ذلك، و"في أنفسكم" يعني الموت والمرض والفقر وغير ذلك، و"نبرأها" معناه: نخلقها، والضمير يعود على الـ"مصيبة" أو على "أنفسكم" أو على "الارض"، وقيل: يعود على جميعها؛ لأن المعنى صحيح في كلها. ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ المعنى: فعل الله ذلك وأخبركم به لكي تسلموا لقضاء الله ولا تكثرثوا بأمور الدنيا، ومعنى "لا تأسوا": لا تحزنوا؛ أي: فلا تحزنوا على ما فاتكم منها ولا تفرحوا بها، وقرأ الجمهور "بما آتاكم" بالمد، أي: بما أعطاكم الله من الدنيا، وقرأ أبو عمرو "بما آتاكم" بالقصر، أي: بما جاءكم من الدنيا؛ فإن قيل: إن الإنسان لا يملك نفسه عن أن يفرح بالخير ويحزن للشر، كما قال أبو بكر الصديق ؓ: لما أتى بهال كثير: اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينتنا لنا؟ فالجواب: أن النهي إنما هو عن الفرح الذي يقود إلى الكبر والطغيان، وعن الحزن الذي يُخرج عن الصبر والتسليم. ﴿كُلُّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ الـ"مختال" صاحب الخيلاء، والـ"فخور" شديد الفخر على الناس. ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ بدل من "كل مختال فخور"، أو خبر ابتداء مضمرة تقديره: هم الذين، أو منصوب بإضمار: أعني، أو مبتدأ وخبره محذوف. ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ الكتاب هنا جنس الكتب، والميزان العدل، وقيل: الميزان الذي يوزن به، وروي أن جبريل نزل بالميزان، ودفعه إلى نوح وقال له: مر قومك يزنوا به. ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ عبر عن خلقه وإيجاده بالإنزال، وقيل: بل أنزله حقيقة؛ لأن آدم نزل من الجنة ومعه المطرقة والإبرة. ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يعني أنه يعمل منه سلاح للقتال، ولذلك قال: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ﴾، والمنافع للناس سكك الحرث والمسامير وغير ذلك. ﴿فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ أي: من ذرية نوح وإبراهيم مهتدون قليلون وأكثرهم فاسقون؛ لأن منهم اليهود والنصارى وغيرهم. ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ ذكر في البقرة. ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ هذا ثناء

وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا  
فَقَاتِنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ وَأَجْرُهُمْ<sup>ط</sup> وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ  
وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ ءُيُوتِكُمْ كِفَلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ءُ وَيَجْعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ءُ وَيَغْفِرَ لَكُمْ  
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَقَلَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ  
وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

عليهم بمحبة بعضهم في بعض، كما وصف أصحاب محمد ﷺ بأنهم ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾. ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾  
الرهبانية هي الانفراد في الجبال والانقطاع عن الناس في الصوامع ورفض النساء وترك الدنيا، ومعنى  
"ابتدعوها": أحدثوها من غير أن يشرعها الله لهم، وإعراب "رهبانية" معطوف على "أرأفة ورحمة" أي: جعل الله  
في قلوبهم الرأفة والرحمة والرهبانية، و"ابتدعوها" صفة للرهبانية، والجعل هنا بمعنى الخلق، والمعتزلة  
يعربون "رهبانية" مفعولا بفعل مضمر يفسره "ابتدعوها"؛ لأن مذهبهم أن الإنسان يخلق أفعاله، فأعربوها  
على مذهبهم، وكذلك أعربها أبو علي الفارسي، وذكر الزمخشري الوجهين. ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ  
رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ "كتبتنا" هنا بمعنى فرضنا وشرعنا، وفي هذا قولان؛ أحدهما: أن الاستثناء منقطع، والمعنى: ما  
كتبتنا عليهم الرهبانية، ولكنهم فعلوها من تلقاء أنفسهم ابتغاء رضوان الله، والآخر: أن الاستثناء متصل،  
والمعنى: كتبتنا عليهم ابتغاء رضوان الله؛ والأول أرجح لقوله "ابتدعوها"، ولقراءة عبد الله بن مسعود ؓ:  
"ما كتبتنا عليهم لكن ابتدعوها". ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ أي: لم يدوموا عليها ولم يحافظوا على الوفاء بها؛  
يعني أن جميعهم لم يرعوها وإن رعاها بعضهم، والضمير في "رعوها" للذين ابتدعوا الرهبانية، وكان يجب  
عليهم إتمامها وإن لم يكتبها الله عليهم؛ لأن من دخل في شيء من النوافل وجب عليه إتمامه، وقيل: الضمير  
لمن جاء بعد الذين ابتدعوا الرهبانية من أتباعهم. ﴿وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ إن قيل كيف خاطب الذين آمنوا  
وأمرهم بالإيمان وتحصيل الحاصل لا ينبغي؟ فالجواب من وجهين؛ أحدهما: أن معنى "آمنوا" دوموا على  
الإيمان واثبتوا عليه، والآخر: أنه خطاب لأهل الكتاب، فالمعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا  
بمحمد ﷺ، ويؤيد هذا قوله: ﴿يُوتِكُمْ كِفَلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ أي: نصيين، وقال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يؤتون  
أجرهم مرتين؛ رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي» الحديث [البخاري: 3011]. ﴿وَيَجْعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ  
بِهِ﴾ يحتمل أن يريد النور الذي يسعى بين أيدي المؤمنين يوم القيامة، أو يكون عبارة عن الهدى؛ ويؤيد الأول  
أنه مذكور في هذه السورة؛ ويؤيد الثاني قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾. ﴿لِقَلَّ يَعْلَمَ أَهْلُ  
الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ "لا" في قوله "لقل" زائدة، والمعنى: ليعلم أهل الكتاب، وكذلك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْكُمْ مِّن نِّسَائِهِمْ

قرأ ابن عباس رضي الله عنه، وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه: "الذي يعلم"، والمعنى: إن كان الخطاب لأهل الكتاب: يا أهل الكتاب آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أن لا يقدر على شيء من فضل الله الذي وعد من آمن منكم، وهو تضعيف الأجر والنور والمغفرة، لأنهم لم يسلموا فلا ينالوا شيئاً من ذلك. وإن كان الخطاب للمسلمين، فالمعنى: ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أنهم لا يقدر أن ينالوا شيئاً مما أعطى الله للمسلمين من تضعيف الأجر والنور والمغفرة، وقد روي أن سبب الآية: أن اليهود افتخرت على المسلمين، فنزلت الآية في الرد عليهم، فهذا يقوي هذا القول، وروي أيضاً أن سببها: أن الذين أسلموا من أهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المسلمين بأنهم يؤتيهم الله أجرهم مرتين، فنزلت الآية معلمة أن المسلمين مثلهم في ذلك.

#### سورة المجادلة

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ نزلت الآية في خولة بنت حكيم رضي الله عنها، وقيل: خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها، وقيل: خولة بنت خويلد رضي الله عنها، وقيل: اسمها جميلة، وكانت امرأة أوس بن الصامت الأنصاري أخي عبادة بن الصامت رضي الله عنه فظاهر منها، وكان الظهار في الجاهلية يوجب تحريماً مؤبداً، فلما فعل أوس ذلك جاءت امرأته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله! إن أوساً أكل شباي ونشرت له بطني، فلما كبرت ومات أهلي ظاهر مني؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أراك إلا قد حرمت عليه»، فقالت: يا رسول الله! لا تفعل، فإني وحيدة ليس لي أهل سواه. فراجعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل مقالته، فراجعته [سنن البيهقي: 15658]؛ فهذا هو جداولها. ﴿ وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ ﴾ كانت تقول: اللهم إني أشكو إليك حالي وانفرادي وفقري، وروي أنها كانت تقول: اللهم إن لي منه صبية صغارا إن ضممتهم إلي جاعوا، وإن ضممتهم إليه ضاعوا. ﴿ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ﴾ التحاور: هو المراجعة في الكلام، قالت عائشة رضي الله عنها: سبحان من وسع سمعه الأصوات لقد كنت حاضرة، وكان بعض خولة يخفي علي وسمع الله كلامها ونزل القرآن في ذلك [النسائي: 3473]، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زوجها وقال له: «أتعتق رقبة»، فقال: والله ما أملكها، فقال: «أتصوم شهرين متتابعين»، فقال: والله ما أقدر، فقال: «أطعم ستين مسكينا»، فقال: لا أجد إلا أن يعينني رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعونة وصلاة -يريد الدعاء-، فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعاً [الطبراني: 20101]، وقيل: بثلاثين صاعاً ودعا له؛ فكفر بالإطعام وأمسك زوجته. ﴿ الَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْكُمْ مِّن نِّسَائِهِمْ ﴾ قرئ "يظاهرون" بألف بعد الظاء وبحذفها وبالتشديد والتخفيف، والمعنى واحد وهو إيقاع الظهار، والظهار المجمع عليه هو أن يقول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي، ويجري مجرى ذلك عند مالك تشبيه الزوجة بكل امرأة محرمة على التأيد، كالبنات والأخت وسائر المحرمات بالنسب

مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ  
الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿١٠﴾ وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِن نِّسَابِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا  
قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ

والمحرمات بالرضاع والمصاهرة، سواء ذكر لفظ الظهر أو لم يذكره، كقوله: أنت علي كأمي أو كبطن أمي أو  
يدها أو رجلها، خلافا للشافعي، فإن ذلك كله ليس عنده بظهار؛ لأنه وقف عند لفظ الآية، وقاس مالك عليها  
لأنه رأى أن المقصد تشبيهه حلال بحرام. ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ رد الله هذا على من كان يوقع الظهار ويعتقده  
حقيقة، وأخبر تعالى أن تصيير الزوجة أمًا باطل، فإن الأم في الحقيقة إنما هي الوالدة. ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا  
مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ أخبر تعالى أن الظهار منكر وزور؛ فالمنكر: هو الذي لا تعرف حقيقته، والزور هو الكذب،  
وإنما جعله كذبا لأن المظاهر يصير امرأته كأمه وهي لا تصير كذلك أبداً، والظهار محرم، ويدل على تحريمه  
أربعة أشياء؛ أحدها: قوله تعالى "ما هن أمهاتهم" فإن ذلك تكذيب للمظاهر، والثاني أنه سماه "منكرا"،  
والثالث: أنه سماه "زورا"، والرابع: قوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾، فإن العفو والمغفرة لا تقع إلا عن ذنب،  
وهو مع ذلك لازم للمظاهر حتى يرفعه بالكفارة. ﴿وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِن نِّسَابِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾  
اختلف الناس في معنى قوله "ثم يعودون" على ستة أقوال؛ الأول: أنه إيقاع الظهار في الإسلام، فالمعنى: أنهم  
كانوا يظاهرون في الجاهلية فإذا فعلوه في الإسلام فذلك عود عليه، هذا قول ابن قتيبة فتجب الكفارة عنده  
بنفس الظهار بخلاف أقوال غيره، فإن الكفارة لا تجب إلا بالظهار والعود معا، الثاني: أن العود هو وطأ  
الزوجة وروي ذلك عن مالك فلا تجب الكفارة على هذا حتى يطأ، فإذا وطئ وجبت عليه الكفارة سواء  
أمسك الزوجة أو طلقها أو ماتت، الثالث: أن العود العزم على الوطء، وروي أيضا هذا عن مالك فإذا عزم  
على الوطء وجبت الكفارة سواء أمسك المرأة أو طلقها أو ماتت، الرابع: أن العود هو العزم على الوطء وعلى  
إمسك الزوجة، وهذا أصح الروايات عند مالك، الخامس: أنه العزم على الإمساك خاصة وهذا مذهب  
الشافعي، فإذا ظاهر ولم يطلقها بعد الظهار لزمته الكفارة، السادس: أنه تكرار الظهار مرة أخرى؛ وهذا  
مذهب الظاهرية؛ وهو ضعيف لأنهم لا يرون الظهار يوجب حكما في أول مرة وإنما يوجب في الثانية، وإنما  
نزلت الآية فيمن ظاهر أول مرة فذلك يرد عليهم، ويختلف معنى "لما قالوا" باختلاف هذه الأقوال؛ فأما على  
قول ابن قتيبة والظاهرية ف"ما" مصدرية، والمعنى: يعودون لقولهم، وأما على سائر الأقوال ف"ما" بمعنى  
الذي، والمعنى: يعودون للوطء الذي حرموه أو للعزم عليه، أو للإمسك الذي تركوه أو للعزم عليه.  
﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ جعل الله الكفارة في الظهار ثلاثة أنواع مرتبة لا ينتقل إلى الثاني حتى يعجز عن الأول ولا  
ينتقل إلى الثالث حتى يعجز عن الثاني؛ فالأول: تحرير رقبة، والثاني: صيام شهرين متتابعين، والثالث: إطعام



مَنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ۚ ذَالِكُمْ تُوَعِّظُونَ بِهِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٤٠﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ  
فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ۖ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۗ  
ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ الَّذِينَ  
يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ  
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ۗ أَحْصَاهُ اللَّهُ  
وَنُصُوهُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ  
مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ۗ

ستين مسكينا؛ فأما الرقبة فاشترط مالك أن تكون مؤمنة؛ لأن مذهبه حمل اللفظ المطلق على المقيد، وجاءت  
هنا مطلقة وجاءت في كفارة القتل مقيدة بالإيمان، وأما صيام الشهرين فاشترط فيه التتابع، فإن أفسد الصائم  
التتابع باختياره ابتداءً من أوله باتفاق، وإن أفسده بعذر كالمرض والنسيان فقال مالك: يبني على ما كان معه،  
وقال أبو حنيفة: يتدئ، وروي القولان عن الشافعي. وأما الإطعام فمشهور مذهب مالك أنه مد لكل  
مسكين بمد هشام، واختلف في مد هشام، فقيل: إنه مدان غير ثلث بمد النبي ﷺ، وقيل: إنه مد وثلث،  
وقيل: إنه مدان، وقال الشافعي وابن القصار: يطعم مدا بمد النبي ﷺ لكل مسكين ولا يجزيه إلا كمال عدد  
الستين، فإن أطعم مسكينا واحدا ستين يوما لم يجزه عند مالك والشافعي خلافا لأبي حنيفة، وكذلك إن أطعم  
ثلاثين مرتين، والطعام يكون من غالب قوت البلد. ﴿مَنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا﴾ مذهب مالك والجمهور أن  
المسيس هنا يراد به الوطء وما دونه من اللمس والتقبيل، فلا يجوز للمظاهر أن يفعل شيئا من ذلك حتى يكفر،  
وقال الحسن والثوري: أراد الوطء خاصة فأباحا ما دونه قبل الكفارة، وذكر الله قوله "من قبل أن يتماسا" في  
التحرير والصوم ولم يذكره في الإطعام فاختلف العلماء في ذلك، فحمل مالك الإطعام على ما قبله ورأى أنه لا  
يكون إلا قبل المسيس، وجعل ذلك من المطلق الذي يحمل على المقيد، وقال أبو حنيفة: يجوز للمظاهر إذا كان  
من أهل الإطعام أن يطأ قبل الكفارة؛ لأن الله لم ينص في الإطعام أنه قبل المسيس. ﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا﴾ قال ابن  
عطية: الإشارة إلى الرخصة في النقل من التحريم إلى الصوم، وقال الزمخشري: المعنى ذلك البيان والتعليم  
لتؤمنوا؛ وهذا أظهر لأنه أعم. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ﴾ أي: يخالفون ويعادون. ﴿كُتِبُوا﴾ أي: هلكوا، وقيل:  
لعنوا، وقيل: كُتِبَ الرجل إذا بقي خزيانا، ونزلت الآية في المنافقين واليهود. ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾  
يحتمل أن يكون الـ"نجوى" هنا بمعنى الكلام الخفي فيكون "ثلاثة" مضافا إليه، أو بمعنى الجماعة من الناس،  
فيكون "ثلاثة" بدلا أو صفة، والأول أحسن. ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ يعني: بعلمه وإحاطته، وكذلك: ﴿سَادِسُهُمْ﴾،

وَلَا أَدْبَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ وَأَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ  
 إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُتُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُتُوا عَنْهُ  
 وَيَتَنَجَّجُونَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ  
 اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۗ حَسْبُ لَهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا ۗ فَيَسِ  
 الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّجُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ  
 الرَّسُولِ وَتَتَنَجَّجُوا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ  
 الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ  
 الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجْلِسِ فَافْسَحُوا

و﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُتُوا عَنِ النَّجْوَى﴾ نزلت في قوم من اليهود كانوا يتناجون  
 فيما بينهم ويتغامزون على المؤمنين، فنهاهم رسول الله ﷺ عن ذلك فعادوا، وقيل: نزلت في المنافقين، والأول  
 أرجح لقوله: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾؛ لأن هذا من فعل اليهود، والأحسن أن يريد اليهود  
 والمنافقين معاً لقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ فنزلت في الطائفتين. ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ  
 حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ كانت اليهود يأتون النبي ﷺ فيقولون: السام عليك يا محمد، بدلا من السلام  
 عليكم، والسام الموت وهو ما أرادوا بقولهم، فكان رسول الله ﷺ يقول لهم: «وعليكم»، فسمعتهم عائشة  
 يوما فقالت: بل عليكم السام واللعنة، فقال رسول الله ﷺ: «مهلا يا عائشة، إن الله يكره الفحش والتفحش»،  
 فقالت: أما سمعت ما قالوا؟ قال: «أما سمعت ما قلت لهم إنى قلت وعليكم» [البخاري: 2935]، ويريد بقوله:  
 "ما لم يحيك به الله" قوله: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾. ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا  
 اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ كانوا يقولون: لو كان نبيا لعذبنا الله بإذائته، فقال الله: ﴿حَسْبُ لَهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: يكفيهم ذلك  
 عذابا. ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ يعني النجوى بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، وحذف وصفها  
 بذلك لدلالة الأول عليه، وقيل: أراد نجوى اليهود والمنافقين، ويؤيد هذا قوله: ﴿لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾. إذا  
 قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا﴾ اختلف في سبب الآية، فقيل: نزلت في مقاعد الحرب والقتال،  
 وقيل: نزلت بسبب ازدحام الناس في مجلس رسول الله ﷺ وحرصهم على القرب منه، وقيل: أقام النبي ﷺ  
 قوما ليجلس أشياخا من أهل بدر في مواضعهم فنزلت الآية، ثم اختلف هل هي مقصورة على مجلس النبي ﷺ

يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا  
 الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ  
 فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ

أوهي عامة في جميع المجالس؟ فقال قوم: إنها مخصوصة، ويدل على ذلك قراءة "المجلس" بالإنفراد، وذهب  
 الجمهور إلى أنها عامة ويدل على ذلك قراءة "المجالس" بالجمع؛ وهذا هو الأصح، ويكون "المجلس"  
 بالإنفراد على هذا للجنس، والتفسيح المأمور به هو التوسع دون القيام، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «لا يقم  
 أحد من مجلسه ثم يجلس الرجل فيه، لكن تفسحوا وتوسعوا» [البخاري: 6270]، وقد اختلف في هذا النهي عن  
 القيام من المجلس لأحد هل هو على التحريم أو الكراهة؟. «يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ» أي: يوسع لكم في جنته  
 ورحمته. «وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا» أي: إذا قيل لكم ارتفعوا وقوموا فافعلوا ذلك، واختلف في هذا النشور  
 المأمور به، فقيل: إذا دعوا إلى قتال أو صلاة أو فعل طاعة، وقيل: إذا أمروا بالقيام من مجلس رسول الله ﷺ  
 لأنه كان يجب الانفراد أحيانا، وربما جلس قوم حتى يؤمروا بالقيام، وقيل: المراد القيام في المجلس للتوسع.  
 «يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ» فيها قولان؛ أحدهما: يرفع الله المؤمنين العلماء  
 درجات، فقوله "والذين أوتوا العلم" صفة لـ "الذين آمنوا" كقولك: جاءني العاقل والكريم، وأنت تريد  
 رجلا واحدا، الثاني: يرفع الله المؤمنين والعلماء الصنفين جميعا درجات؛ فـ "الدرجات" على الأول للمؤمنين  
 بشرط أن يكونوا علماء، وعلى الثاني: للمؤمنين الذين ليسوا علماء وللعلماء أيضا، ولكن بين درجات العلماء  
 وغيرهم تفاوت يؤخذ من موضع آخر، كقوله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر  
 الكواكب» [الترمذي: 2898]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم رجلا»  
 [الترمذي: 2901]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء» [ابن ماجه: 4456]،  
 فإذا كان لهم فضل على العابدين والشهداء فما ظنك بفضلهم على سائر المؤمنين؟. «إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ  
 فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ» قال ابن عباس ؓ: سببها أن قوما من شبان المسلمين كثرت مناجاتهم  
 للنبي ﷺ في غير حاجة إلا لتظهر منزلتهم، وكان النبي ﷺ سمحا لا يرد أحدا؛ فنزلت الآية مشددة في أمر  
 المناجاة، وقيل: سببها أن الأغنياء غلبوا الفقراء على مناجاته ﷺ، وهذه الآية منسوخة باتفاق نسخها قوله  
 بعدها: «أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ» الآية، فأباح الله لهم المناجاة دون تقديم صدقة بعد  
 أن كان قد أوجب تقديم الصدقة قبل مناجاته عليه السلام، واختلف هل كان هذا النسخ بعد أن عمل بالآية  
 أم لا؟ فقال قوم: لم يعمل أحد بها، وقال قوم: عمل بها علي بن أبي طالب ؓ، فإنه روي أنه كان له دينار،  
 فصرفه بعشرة دراهم وناجاه عشر مرات تصدق في كل مرة منها بدرهم، وقيل: تصدق في كل مرة بدينار،

فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾ - أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ  
 صَدَقْتُمْ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ  
 وَرَسُولَهُ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٢١﴾ \* أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا  
 هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا  
 إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ  
 مُهِينٌ ﴿٢٤﴾ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ  
 فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ  
 عَلَىٰ شَيْءٍ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿٢٦﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۗ  
 أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۗ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ  
 وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٨﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَ أَنَا وَرُسُلِي ۗ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ  
 ﴿٢٩﴾ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

ثم أنزل الله الرخصة لمن كان قادرا على الصدقة، وأما من لم يجد فالرخصة لم تزل ثابتة له بقوله: ﴿فَإِنْ لَمْ  
 تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ التوبة هنا يراد بها عفو الله عنهم في تركهم للصدقة التي  
 أمروا بها أو تخفيفها بعد وجوبها. ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ أي: دوموا على هذه الأعمال التي هي  
 قواعد شرعكم دون ما كنتم قد كلفتم به من الصدقة عند المناجاة. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ  
 عَلَيْهِمْ﴾ نزلت في قوم من المنافقين تولوا قوما من اليهود، وهم الذين غضب الله عليهم. ﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا  
 مِنْهُمْ﴾ يعني أن المنافقين ليسوا من المسلمين ولا من اليهود، فهو كقوله فيهم: ﴿مُذَبَّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى  
 هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾. ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يعني أن المنافقين كانوا إذا عوتبوا على سوء  
 أقوالهم وأفعالهم حلفوا أنهم ما قالوا ولا فعلوا، وقد صدر منهم ذلك مرارا كثيرة وهي مذكورة في السير  
 وغيرها. ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ أصل الـ"جنة" ما يستتر به ويتقي به المحذور كالترس، ثم استعمل هنا  
 استعارة؛ لأنهم كانوا يظهرون الإيمان لتعصم دماؤهم وأموالهم، وقرئ "اتخذوا إيمانهم" بكسر الهمزة.  
 ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ أي: غلب عليهم وتملك نفوسهم. ﴿فِي الْأَذَلِّينَ﴾ أي: في جملة الأذلين، أي:  
 معهم. ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ أي: قضى وقدر. ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا﴾ الآية، معناها: لا تجد مؤمنا يجب كافرا، ولو كان

يُؤَادُونَ مَن حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ

أقرب الناس إليه، وهذه حالة المؤمن الصادق الإيمان، ولذلك كان الصحابة رضي الله عنهم يقاتلون آباءهم وأبناءهم وإخوانهم إذا كانوا كفارا، فقد قتل أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه أباه يوم أحد، وقتل مصعب بن عمير رضي الله عنه أخاه عزيز بن عمير يوم أحد، ودعا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ابنه يوم بدر للبراز فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يقعد، وقيل: إن الآية نزلت في حاطب رضي الله عنه حين كتب للمشركين يخبرهم بأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ والأحسن أنها على العموم، وقيل: نزلت فيمن يصحب السلطان؛ وذلك بعيد. ﴿يُؤَادُونَ﴾ هذا مفاعلة من المودة فتقتضي أن المودة من الجهتين. ﴿مَنْ حَادَّ اللَّهَ﴾ أي: عاداه وخالفه. ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ أي: أثبتته فيها كأنه مكتوب. ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي: بلطف وهدى وتوفيق، وقيل: بالقرآن، وقيل: بجبريل. ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ هذا في مقابلة قوله ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ والـ"حزب" هم الجماعة المتحزبون لمن أضيفوا إليه.

## سورة الحشر

نزلت هذه السورة في يهود بني النضير وكانوا في حصون بمقربة من المدينة، وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فأرادوا غدره فأطلعه الله على ذلك، فخرج إليهم وحاصرهم إحدى وعشرين ليلة حتى صالحوه على أن يخرجوا من حصونهم فخرجوا منها وتفرقوا في البلاد. ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني بني النضير. ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ في معناه أربعة أقوال؛ أحدها: أنه حشر القيامة؛ أي: خروجهم من حصونهم أول الحشر والقيام من القبور آخره، وروي في هذا المعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: «امضوا هذا أول الحشر وأنا على الأثر» [الطبراني 23 / 263]. الثاني: أن المعنى لأول موضع الحشر وهو الشام؛ وذلك لأن أكثر بني النضير خرجوا إلى الشام وقد جاء في الأثر: أن حشر القيامة إلى أرض الشام، وروي في هذا المعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبني النضير: «اخرجوا»، قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى أرض المحشر» [ابن أبي حاتم 12 / 297]، الثالث: أن المراد الحشر في الدنيا الذي هو الجلاء والإخراج، فإخراجهم من حصونهم أول الحشر وإخراج أهل خيبر آخره، الرابع: أن معناه

مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ نَخْرُجُوهَا<sup>ط</sup> وَظَنُوا أَنَّهُمْ مَا نَعْتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿١٠٠﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ<sup>ط</sup> وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٠٢﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِجَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ

أخرجهم من ديارهم لأول الحشر لقتالهم؛ لأنه أول قتال قاتلهم رسول الله ﷺ، وقال الزمخشري: اللام في قوله "الأول" بمعنى عند كقولك: جئت لوقت كذا. ﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ يعني لكثرة عدتهم ومنعة حصونهم. ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ﴾ عبارة عن أخذ الله لهم. ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ أما إخراج المؤمنين فهو هدم أسوار الحصون ليدخلوها، وأسند ذلك إلى الكفار في قوله "يخربون" لأنه كان بسبب كفرهم وغدرهم، وأما إخراج الكفار لبوتهم فثلاثة مقاصد؛ أحدها: حاجتهم إلى الخشب والحجارة ليسدوا بها أفواه الأزقة ويحصنوا ما خربه المسلمون من الأسوار، والآخر: ليحملوا معهم ما أعجبهم من الخشب والسواري وغير ذلك، والثالث: أن لا تبقى مساكنهم مبنية للمسلمين فهدموا شحاح عليهم. ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ استدلال الذين أثبتوا القياس في الفقه بهذه الآية؛ واستدلوا لهم بها ضعيف خارج عن معناها. ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ "الجلأ" هو الخروج عن الوطن، فالمعنى: لولا أن الله كتب على بني النضير خروجهم عن أوطانهم لعذبهم في الدنيا بالسيف، كما فعل بإخوانهم بني قريظة ولهم مع ذلك عذاب النار. ﴿شَاقُوا﴾ ذكر في الأنفال. ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ﴾ ال"لين" هي النخلة، وقيل: هي الكريمة من النخل، وقيل: النخلة التي ليست بعجوة، وقيل: ألوان النخل المختلط، وسبب الآية: أن رسول الله ﷺ لما نزل على حصون بني النضير قطع المسلمون بعض نخلهم وأحرقوه، فقال بنو النضير: ما هذا إلا فساد يا محمد، وأنت تنهى عن الفساد؟! فنزلت الآية معلمة أن كل ما جرى من قطع وإمساك فإن الله أذن للمسلمين في ذلك. ﴿لِيُخْرِجَ الْفَاسِقِينَ﴾ بني النضير، واستدل بعض الفقهاء بهذه الآية على أن كل مجتهد مصيب؛ فإن الله قد صوب فعل من قطع النخل ومن تركها، واختلف العلماء في قطع شجر المشركين وتخريب بلادهم؟ فأجازه الجمهور لهذه الآية ولإقرار رسول الله ﷺ على تحريق نخل بني النضير، وكرهه قوم لوصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي وجهه إلى الشام: أن لا يقطعوا شجرًا مشمرًا. ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ معنى "أفاء الله":

وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۚ مِن أَهْلِ الْقُرَىٰ

جعله فينا لرسوله ﷺ، و"أوجفتم" من الوجيف وهو سرعة السير، وال"ركاب" هي الإبل، والمعنى: أن ما أعطى الله لرسوله من أموال بني النضير لم يمش المسلمون إليه بخيل ولا إبل ولا تعبوا فيه ولا حصلوه بقتال، ولكن حصل بتسليط رسول الله ﷺ على بني النضير، فأعلم الله من هذه الآية أن ما أخذه من بني النضير وما أخذه من فديك، فهو فيء خاص بالنبوي ﷺ يفعل فيه ما يشاء؛ لأنه لم يوجف عليها ولا قوتلت كبير قتال، فهي بخلاف الغنيمة التي تؤخذ بقتال، فأخذ رسول الله ﷺ لنفسه من أموال بني النضير قوت عياله، وقسم سائرهما في المهاجرين، ولم يعط الأنصار منها شيئاً، غير أن أبا دجاجة وسهل بن حنيف شكوا فاقعة فأعطاهما رسول الله ﷺ منها، هذا قول جماعة، وقال عمر بن الخطاب ؓ كان رسول الله ﷺ ينفق منها على أهله نفقة سنة، وما بقي جعله في السلاح والكراع عدة في سبيل الله، قال قوم من العلماء: وكذلك كل ما فتحه الأئمة مما لم يوجف عليه؛ فهو لهم خاصة يأخذون منه حاجتهم ويصرفون باقيه في مصالح المسلمين.

﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِن أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ الآية، اضطرب الناس في تفسير هذه الآية وحكمها اضطراباً عظيماً؛ فإن ظاهرها أن الأموال التي تؤخذ للكفار تكون لله وللرسول ومن ذكر بعد ذلك، ولا يخرج منها خمس ولا تقسم على من حضر الواقعة؛ وذلك يعارض ما ورد في الأنفال من إخراج الخمس وقسمة سائر الغنيمة على من حضر الواقعة، فقال بعضهم: إن هذه الآية منسوخة بآية الأنفال، وهذا خطأ؛ لأن آية الأنفال نزلت قبل هذه بمدة، وقال بعضهم: إن آية الأنفال في الأموال التي تغنم ما عدا الأرض وإن هذه الآية في أرض الكفار، قالوا: ولذلك لم يقسم عمر بن الخطاب ؓ أرض مصر والعراق بل تركها لمصالح المسلمين؛ وهذا التخصيص لا دليل عليه، وقيل غير ذلك؛ والصحيح أنه لا تعارض بين هذه الآية وبين آية الأنفال؛ فإن آية الأنفال في حكم الغنيمة التي تؤخذ بالقتال وإيجاف الخيل والركاب، فهذا يخرج منه الخمس ويقسم باقيه على الغانمين، وأما هذه الآية ففي حكم الفبيء؛ وهو ما يؤخذ من أموال الكفار من غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب، وإذا كان كذلك فكل واحدة من الآيتين في معنى غير معنى الأخرى، ولها حكم غير حكم الأخرى فلا تعارض بينهما ولا نسخ، وانظر كيف ذكر هنا لفظ الفبيء وفي الأنفال لفظ الغنيمة، وقد تقرر في الفقه الفرق بين الغنيمة والفبيء وأن حكمهما مختلف، قال أبو محمد بن الفرس: وهو قول الجمهور وبه قال مالك وجميع أصحابه وهو أظهر الأقوال، وأما فعل عمر ؓ في أرض مصر والعراق، فالصحيح أنه فعل ذلك لمصلحة المسلمين بعد استطابة نفوس الغانمين، فقله تعالى: ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِن أَهْلِ الْقُرَىٰ ﴾ يريد بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب كما كانت أموال بني النضير، ولكنه حذف هذا لقوله في الآية قبل هذا

فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ

"فما أوجفتهم عليه من خيل ولا ركاب"، فاستغني بذكر ذلك أولاً عن ذكره ثانياً، ولذلك لم تدخل الواو العاطفة في أول هذه الجملة لأنها من تمام الأولى فهي غير أجنبية منها، فإنه بين في الآية الأولى حكم أموال بني النضير وبين في هذه الآية حكم ما كان مثلها من أموال غيرهم على العموم، ويصرف الفيء فيما يصرف فيه خمس الغنائم؛ لأن الله سوى بينهما في قوله: ﴿لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ وقد ذكرنا ذلك في الأنفال فأغنى عن إعادته، وقد ذكرنا في الأنفال معنى قوله "الله وللرسول" وما بعد ذلك. ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ أي: كيلا يكون الفيء الذي أفاء الله على رسوله من أهل القرى دولة ينتفع به الأغنياء دون الفقراء، وذلك أن رسول الله ﷺ قسم أموال بني النضير على المهاجرين، فإنهم كانوا حينئذ فقراء ولم يعط الأنصار منها شيئاً فإنهم كانوا أغنياء، فقال بعض الأنصار: لنا سهمنا من هذا الفيء! فأنزل الله هذه الآية، والـ"دولة" بالضم والفتح ما يدول الإنسان، أي: يدور عليه من الخير، ويحتمل أن يكون من المداولة؛ أي: كي لا يتداول ذلك المال الأغنياء بينهم ويبقى الفقراء بلا شيء. ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ نزلت بسبب الفيء المذكور، أي: ما آتاكم الرسول من الفيء فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا، فكأتمها أمر للمهاجرين بأخذ الفيء ونهي للأنصار عنه، ولفظ الآية مع ذلك عام في أوامر رسول الله ﷺ ونواهيه، ولذلك استدلت بها عبد الله بن مسعود ؓ على أن المنع من لبس المخيط للمحرم، ولعن الواشمة والواصلة في القرآن لورود ذلك عن رسول الله ﷺ. ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ هذا بدل من قوله "الذي القربى واليتامى والمسكين وابن السبيل"؛ ليبين أن المراد بذلك المهاجرون، ووصفهم بأنهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم؛ لأنهم هاجروا من مكة وتركوا فيها ديارهم وأموالهم. ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ هم الأنصار، والـ"الدار" هي المدينة لأنها كانت بلدهم، والضمير في "قبلهم" للمهاجرين، فإن قيل: كيف قال "تبوءوا الدار والإيمان" وإنما تبوءوا الدار؛ أي: تسكن ولا يتبوءوا الإيمان؟ فالجواب من وجهين؛ الأول: أن معناه تبوءوا الدار وأخلصوا الإيمان فهو كقوله: فعلفتها تبنا وماء بارداً، تقديره: علفتها تبنا وسقيتها ماء، الثاني: أنهم جعلوا الإيمان كأنه موطن لهم لتمكنهم فيه كما جعلوا المدينة كذلك،



وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ  
وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ

فإن قيل: قوله "من قبلهم" يقتضي أن الأنصار سبقوا المهاجرين بنزول المدينة وبالإيمان، فأما سبقهم لهم بنزول المدينة فلا شك فيه لأنها كانت بلدهم، وأما سبقهم لهم بالإيمان فمشكل لأن أكثر المهاجرين أسلموا قبل الأنصار، فالجواب من وجهين؛ أحدهما: أنه أراد بقوله "من قبلهم" من قبل هجرتهم، والآخر: أنه أراد تبوؤا الدار مع الإيمان معا، أي: جمعوا بين الحالتين قبل المهاجرين لأن المهاجرين إنما سبقوهم بالإيمان لا بتبؤ الدار، فيكون "الإيمان" على هذا مفعولا معه؛ وهذا الوجه أحسن لأنه جواب عن هذا السؤال، وعن السؤال الأول فإنه إذا كان "الإيمان" مفعولا معه لم يلزم السؤال الأول؛ إذ لا يلزم إلا إذا كان "الإيمان" معطوفا على "الدار". ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ قيل إن الـ"حاجة" هنا بمعنى الحسد، ويحتمل أن تكون بمعنى الاحتياج على أصلها، والضمير في "يجدون" للأنصار وفي "أوتوا" للمهاجرين، والمعنى: أن الأنصار تطيب نفوسهم بما يعطاه المهاجرون من الفيء وغيره فلا يجدون في صدورهم شيئا يسبب ذلك. ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: يؤثرون غيرهم بالمال على أنفسهم ولو كانوا في غاية الاحتياج، والـ"خَصَاصَةٌ" هي الفاقة، وروي أن سبب هذه الآية أن رسول الله ﷺ لما قسم هذه القرى على المهاجرين دون الأنصار، قال للأنصار: «إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة، وإن شئتم أسكنتم أموالكم وتركتم لهم هذه»، فقالوا: بل نقسم لهم من أموالنا ونترك لهم هذه الغنيمة [تاريخ المدينة: 2/489]، وروي أيضا أن سببها أن رجلا من الأنصار أضاف رجلا من المهاجرين فذهب الأنصاري بالضيف إلى منزله، فقالت له امرأته: والله ما عندنا إلا قوت الصبيان؟ فقال لها: نومي صبيانك وأطفئ السراج وقدمي ما عندك للضيف، ونوهم نحن أنا نأكل ولا نأكل، ففعلا ذلك فلما غدا على رسول الله ﷺ فقال له: «عجب الله من فعلكما البارحة» ونزلت الآية [البخاري: 3798]. ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ شح النفس هو البخل والطمع، وفي هذا إشارة إلى أن الأنصار وقاهم الله شح أنفسهم فمدحهم الله بذلك، وبأنهم يؤثرون على أنفسهم، وبأنهم لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتي المهاجرون، وأنهم يحبون المهاجرين. ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ﴾ هذا معطوف على "المهاجرين والأنصار" المذكورين قبل، فالمعنى: أن الفيء للمهاجرين والأنصار وهؤلاء الذين جاؤوا من بعدهم، ويعني بهم الفرقة الثالثة من الصحابة وهم من عدا المهاجرين والأنصار كالذين أسلموا يوم فتح مكة، وقيل: يعني من جاء بعد الصحابة وهم التابعون ومن تبعهم إلى يوم القيامة وعلى هذا حملها مالك، فقال: إن من قال في أحد من الصحابة قول سوء فلا حظ له في الغنيمة والفيء؛ لأن الله وصف الذين جاؤوا بعد الصحابة بأنهم

يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا  
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ \* أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ  
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أَخْرَجْتُمُنَا لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا  
أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢﴾ لَئِنْ أَخْرَجُوا لَا تَخْرُجُونَ  
مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصُرُونَ ﴿٣﴾  
لَأَنْتُمْ وَأَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٤﴾ لَا  
يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ  
تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ  
قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦﴾

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾، فمن قال ضد ذلك فقد خرج عن الدين وصفهم الله.  
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ الآية، نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول وقوم من المنافقين بعثوا إلى بني النضير، وقالوا  
لهم: اثبتوا في حصونكم فإننا معكم كيف ما تقلبت حالكم. ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ أي: لا نسمع فيكم  
قول قائل، ولا نطيع من يأمرنا بخذلانكم؛ ثم كذبهم الله في هذه المواعيد التي وعدوا بها، فإن قيل: كيف قال  
﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصُرُونَ﴾ بعد قوله: ﴿لَا يَنْصُرُونَهُمْ﴾، فالجواب: أن المعنى على الفرض  
والتقدير: أي: لو فرضنا أن ينصروهم لولوا الأدبار. ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾ الـ"رهبة" هي  
الخوف، والمعنى أن المنافقين واليهود يخافون الناس أكثر مما يخافون الله. ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ  
أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ أي: لا يقدر على قتالكم مجتمعين إلا وهم في قرى محصنة بالأسوار والخنادق، أو من وراء  
الحيطان دون أن يخرجوا إليكم. ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ يعني عداوة بعضهم لبعض. ﴿تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ  
شَتَّىٰ﴾ أي: تظن أنهم مجتمعون بالألفة والمودة وقلوبهم متفرقة بالمخالفة والشحناء. ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
قَرِيبًا﴾ أي: هؤلاء اليهود كمثل الذين من قبلهم يعني يهود بني قينقاع، فإن رسول الله ﷺ أجلاهم عن المدينة قبل  
بني النضير فكانوا أمثلا لهم، وقيل: يعني أهل بدر الكفار فإنهم قبلهم ومثلا لهم في أن غلبوا وقهروا، والأول أرجح؛  
لأن قوله "قريبا" يقتضي أنهم كانوا قبلهم بمدّة يسيرة، وذلك أوقع على بني قينقاع، وأيضا فإن تمثيل بني النضير  
ببني قينقاع أليق؛ لأنهم يهود مثلهم وأخرجوا من ديارهم كما فعل بهم وذلك هو المراد بقوله: ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾

كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ

و"قريبا" ظرف زمان. ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ ﴾ مثل الله المنافقين الذين أغوا يهود بني النضير ثم خذلوهم بعد ذلك بالشیطان؛ فإنه يغوي ابن آدم ثم يبرأ منه، والمراد بـ"الشیطان" و"الانسان" هنا الجنس، وقيل: أراد الشيطان الذي أغوى قريشا يوم بدر وقال لهم: إني جار لكم، وقيل: المراد بـ"الانسان" برصيص العابد، فإنه استودع امرأة، فزين له الشيطان الوقوع عليها، فحملت فخاف الفضيحة، فزين له قتلها، فلما وجدت مقتولة تبين ما فعل، فتعرض له الشيطان وقال له: اسجد لي وأنجيك! فسجد له فتركه الشيطان، وقال له: إني بريء منك؛ وهذا ضعيف في النقل، والأول أرجح. ﴿ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ ﴾ الضميران يعودان على "الشیطان" و"الانسان"، وفي ذلك تمثيل للمنافقين واليهود. ﴿ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ هذا أمر بأن تنظر كل نفس ما قدمت من أعمالها ليوم القيامة، ومعنى ذلك محاسبة النفس لتكف عن السيئات وتزيد من الحسنات، وإنما عبر عن يوم القيامة بـ"غد" تقريبا له؛ لأن كل ما هو آت قريب، فإن قيل: لم كرر الأمر بالتقوى؟ فالجواب من وجهين؛ أحدهما: أنه تأكيد، والآخر: وهو الأحسن؛ أنه أمر بالتقوى أولا استعدادا ليوم القيامة ثم أمر به ثانيا؛ لأن ﴿ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾، فلما اختلف الموجدان كرره مع كل واحد منهما. ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ ﴾ يعني الكفار، والنسيان هنا يحتمل أن يكون بمعنى الترك أو الغفلة، أي: نسوا حق الله فأنساهم حقوق أنفسهم والنظر لها. ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ ﴾ الآية، توبيخ لابن آدم على فسوة قلبه وقلة خشوعه عند تلاوة القرآن؛ فإنه إذا كان الجبل يخشع ويتصدع لو سمع القرآن فما ظنك بابن آدم! ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ أي: يعلم ما غاب عن المخلوقين وما شاهدوه، وقيل: "الغيب" الآخرة، و"الشهادة" الدنيا؛ والعموم أحسن. ﴿ الْقُدُّوسُ ﴾ مشتق من التقديس، وهو التنزه عن صفات المخلوقين عن

اَسْلَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمَتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ  
 ﴿١٢﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٣﴾  
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ ءَوْلِيَاءَ

كل نقص وعيب، وصيغة فعول للمبالغة كالسبوح. ﴿السَّلَامُ﴾ في معناه قولان؛ أحدهما: الذي سلّم عباده من الجور، والآخر: السليم من النقائص، وأصله مصدر بمعنى السلامة، ثم وصف به مبالغة أو على حذف مضاف تقديره: ذو السلام. ﴿المؤمن﴾ فيه قولان؛ أحدهما: أنه من الأمن، أي: الذي أمن عباده، والآخر: أنه من الإيمان، أي: المصدق لعباده في إيمانهم وشهادتهم على الناس يوم القيامة، أو المصدق نفسه في أقواله. ﴿المُهَيَّمُ﴾ في معناه ثلاثة أقوال؛ الرقيب والشاهد والأمين، قال الزمخشري: أصله مؤيمن بالهمزة ثم أبدلت هاء. ﴿الجَبَّارُ﴾ في معناه قولان؛ أحدهما: أنه من الإيجاب بمعنى القهر، والآخر: أنه من الجبر، أي: يجبر عباده برحمته؛ والأول أظهر. ﴿الْمَتَكَبِّرُ﴾ أي: الذي له التكبر حقاً. ﴿الْبَارِئُ﴾ أي: الخالق، يقال برأ الله الخلق أي: خلقهم، ولكن "البارئ" و"الفاطر" يراد بهما الذي برأ الخلق وابتدعه. ﴿الْمُصَوِّرُ﴾ أي: خالق الصور. ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة» [البخاري: 2736]. قال المؤلف: قرأت القرآن على الأستاذ الوالي الصالح أبي عبد الله بن الكمام، فلما بلغت إلى آخر سورة الحشر قال لي: ضع يدك على رأسك، فقلت له: ولم ذلك؟ قال: لأنني قرأت على القاضي أبي علي بن الأحوص، فلما انتهيت إلى خاتمة سورة الحشر قال لي: ضع يدك على رأسك، وأسند الحديث إلى عبد الله بن مسعود ؓ قال: قرأت على النبي ﷺ، فلما انتهيت إلى خاتمة الحشر قال لي: «ضع يدك على رأسك»، قلت: ولم ذلك يا رسول الله فذاك أبي وأمي؟ قال: «أقرأني جبريل القرآن، فلما انتهيت إلى خاتمة الحشر، قال لي: ضع يدك على رأسك يا محمد» قلت: ولم ذلك؟ قال: لأن الله تعالى افتتح القرآن فضرب فيه، فلما انتهى إلى خاتمة الحشر أمر الملائكة أن تضع أيديها على رؤوسها، فقالت: يا ربنا، ولم ذلك؟ قال: لأنه شفاء من كل داء إلا السام؛ والسام الموت [أخبار أصبهان: 528].

## سورة الممتحنة

﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ ءَوْلِيَاءَ﴾ العدو يطلق على الواحد والجماعة؛ والمراد به هنا كفار قريش، وهذه الآية نزلت بسبب حاطب بن أبي بلتعة ؓ، وذلك أن رسول الله ﷺ أراد الخروج إلى مكة عام الحديبية فورى عن ذلك بخبير، فشاع في الناس أنه خارج إلى خيبر، وأخبر هو جماعة من كبار أصحابه بقصده إلى مكة منهم

تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ  
تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ  
وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠١﴾  
يَتَّقُوكُمْ يُكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٢﴾

حاطب ؓ، فكتب حاطب ؓ بذلك إلى قوم من أهل مكة، فجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ من السباء، فبعث علي  
ابن أبي طالب والزبير والمقداد ؓ وقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى  
المشركين»، فانطلقوا حتى وجدوا المرأة فقالوا لها: أخرجي الكتاب! فقالت: ما معي كتاب! ففتشوا جميع رحلها  
فما وجدوا شيئا، فقال بعضهم: ما معها كتاب؟ فقال علي ؓ: ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذب، والله لتخرجن  
الكتاب أو لنجرذنك، قالت: أعرضوا عني فأخرجته من قرون رأسها، وقيل: أخرجته من حجزتها، فجاؤا به  
رسول الله ﷺ فقال لحاطب: «من كتب هذا؟»، قال: أنا يا رسول الله، ولكن لا تعجل علي، فوالله ما فعلت  
ذلك ارتدادا عن ديني ولا رغبة في الكفر، ولكني كنت امرأ مملصقا في قريش ولم أكن من أنفسها، فأحببت أن  
تكون لي عندهم يد يرعونني بها في قرابتي، فقال عمر بن الخطاب ؓ: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا  
المنافق! فقال رسول الله ﷺ: «صدق حاطب إنه من أهل بدر، وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر،  
فقال: اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم، لا تقولوا لحاطب إلا خيرا» [البخاري: 3007]، فنزلت الآية عتابا  
لحاطب ؓ وزجرا عن أن يفعل أحد مثل فعله، وفيها مع ذلك تشریف له؛ لأن الله شهد له بالإيمان في قوله:  
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾. ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ عبارة عن إيصال المودة إليهم، وألقى يتعدى بحرف جر  
وبغير حرف كقوله ﴿أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مَنِي﴾، وهذه الجملة في موضع الحال من الضمير في قوله "لا تتخذوا"  
أو في موضع الصفة لـ "أولياء" أو استئناف. ﴿وَقَدْ كَفَرُوا﴾ حال من الضمير في "لا تتخذوا" أو في "تلقون".  
﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ أي: يخرجون الرسول ويخرجونكم يعني إخراجهم من مكة، فإنهم ضيقوا عليهم  
وآذوهم حتى خرجوا مهاجرين إلى المدينة، ومنهم من خرج إلى أرض الحبشة. ﴿أَنْ تُؤْمِنُوا﴾ مفعول من  
أجله، أي: يخرجونكم من أجل إيمانكم. ﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي﴾ جواب هذا الشرط محذوف  
لدلالة ما قبله عليه وهو "لا تتخذوا"، والتقدير: إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تتخذوا  
عدوي وعدوكم أولياء، و"جهادا" مصدر في موضع الحال أو مفعول من أجله، وكذلك ﴿ابْتِغَاءً﴾. ﴿إِنْ  
يَتَّقُوكُمْ﴾ معناه: إن يظفروا بكم. ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ أي: تمنوا أن تكفروا فتكونوا مثلهم، قال الزمخشري:  
إنما قال "ودوا" بلفظ الماضي بعد أن ذكر جواب الشرط بلفظ المضارع؛ لأنه أراد ودوا كفركم قبل كل شيء.

لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُفْصَلُ بَيْنَكُمْ ۖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٢٧﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرءَاؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ۗ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۗ رَبَّنَا عَلَيكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٢٨﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ۖ وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۗ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٢٩﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٣٠﴾ ۖ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً ۗ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٣١﴾

﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ إشارة إلى ما قصد حاطب رضي الله عنه من رعي قرابته. ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُفْصَلُ بَيْنَكُمْ﴾ يحتمل أن يكون من الفصل بالحكم بينهم، أو من الفصل بمعنى التفريق؛ أي: يفرق بينكم وبين قرابتكم يوم القيامة، وقيل: إن العامل في "يوم القيامة" ما قبله؛ وذلك بعيد. ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ الإسوة هو الذي يقتدى به، فأمر الله المسلمين أن يقتدوا بإبراهيم الخليل عليه السلام وبالذين معه في عداوة الكفار والتبرئ منهم، ويعني بـ "الذين معه" من آمن به من الناس، وقيل: الأنبياء الذين كانوا في عصره وقريبا من عصره؛ ورجح ابن عطية هذا القول بما ورد في الحديث: «أن إبراهيم عليه السلام قال لزوجته: ما على الأرض مؤمن بالله غيري وغيرك» [البخاري: 2217]. ﴿بُرءَاؤُا﴾ جمع بريء. ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ أي: كذباكم في أقوالكم، ويحتمل أن يكون عبارة عن إفراط البغض فيهم والمقاطعة لهم. ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ هذا استثناء من قوله "إسوة حسنة"، فالمعنى: اقتدوا بهم في عداوتهم للكفار ولا تقتدوا بهم في هذا؛ لأن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، وقيل: الاستثناء من التبري والقطيعة، والمعنى: تبرأ إبراهيم والذين معه من الكفار إلا أن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له. ﴿رَبَّنَا عَلَيكَ تَوَكَّلْنَا﴾ هذا من كلام سيدنا إبراهيم عليه السلام والذين معه، وهو متصل بما قبل الاستثناء فهو من جملة ما أمر أن يقتدى به. ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في معناه قولان؛ أحدهما: لا تنصرهم علينا فيكون ذلك لهم فتنة وسبب ضلالتهم؛ لأنهم يقولون غلبناهم لأننا على الحق وهم على الباطل، والآخر: لا تسلطهم علينا فيفتنوننا عن ديننا، ورجح ابن عطية هذا لأنه دعاء لأنفسهم، وأما على القول الآخر فهو دعاء للكفار ولكن مقصدهم ليس الدعاء للكفار، وإنما هو دعاء لأنفسهم بالنصر بحيث لا يفتتن الكفار بذلك. ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً﴾

لَا يَنْهَيْكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ  
وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ مُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٥﴾ إِنَّمَا يَنْهَيْكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي  
الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ  
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مَهْجِرَاتٍ  
فَأَمْتَحِنُوهُنَّ ۗ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۗ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ۗ

لما أمر الله المسلمين بمعادة الكفار ومقاطعتهم، امثلوا ذلك على ما كان بينهم وبين الكفار من القرابة،  
فعلم الله صدقهم فأنسهم بهذه الآية، ووعدهم بأن يجعل بينهم مودة، وهذه المودة كملت في فتح مكة فإنه  
أسلم حينئذ سائر قريش، وقيل: المودة تزوج النبي ﷺ أم حبيبة ابنت أبي سفيان بن حرب ﷺ سيد قريش؛  
ورد ابن عطية هذا القول بأن تزوج أم حبيبة ﷺ كان قبل نزول هذه الآية. ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ  
يُقَاتِلُوا فِي الدِّينِ ﴾ رخص الله للمسلمين في مبرة من لم يقاتلهم في الدين من الكفار، واختلف فيهم على  
أربعة أقوال؛ الأول: أنهم قبائل من العرب منهم خزاعة وبنو الحارث بن كعب كانوا قد صالحوا رسول الله ﷺ  
على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه، الثاني: أنهم من كفار قريش من لم يقاتل المسلمين ولا أخرجهم من مكة؛  
والآية على هذين القولين منسوخة بالقتال، الثالث: أنهم النساء والصبيان، وفي هذا ورد أن أساء بنت أبي  
بكر الصديق ﷺ قالت: يا رسول الله! إن أمي قدمت إلي وهي مشركة أفصلها؟ قال: «نعم، صلي أمك»  
[البخاري: 2620]، الرابع: أنه أراد من كان بمكة من المؤمنين الذين لم يهاجروا، وأما الذين نهى الله عن مودتهم  
لأنهم قاتلوا المسلمين وظاهروا على إخراجهم فهم كفار قريش. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ  
مُهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ ۗ ﴾ أي: اختبروهن لتعلموا صدق إيمانهن، وإنما سماهن مؤمنات لظاهر حالهن، وقد  
اختلف في هذا الامتحان على ثلاثة أقوال؛ أحدها: أن تستحلف المرأة أنها ما هاجرت بسبب بغضها في  
زوجها، ولا خوف، ولا غير ذلك من أعراض الدنيا، سوى حب الله ورسوله والدار الآخرة، والثاني: أن  
يُعرض عليها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والثالث: أن تعرض عليها الشروط المذكورة بعد  
هذا من ترك الإشراك والسرقة وقتل أولادهم وترك الزنا والبهتان والعصيان، فإذا أقرت بذلك فهو امتحانها  
قاله عائشة ﷺ. ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ﴾ نزلت هذه الآية إثر صلح الحديبية،  
وكان ذلك الصلح قد تضمن أن يرد المسلمون إلى الكفار وكل من جاء مسلماً من الرجال والنساء فنسخ الله  
أمر النساء بهذه الآية، ومنع من رد المؤمنة إلى الكفار إذا هاجرت إلى المسلمين، وكانت المرأة التي هاجرت  
حينئذ أميمة بنت بشر امرأة حسان بن الدحداحة، وقيل: سبيعة الأسلمية ﷺ، ولما هاجرت جاء زوجها فقال:

لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُنَّ مَّا أَنْفَقُوا ۗ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ۖ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ ۖ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسْئَلُوا مَّا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُم مَّا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ تَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ۖ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَّا أَنْفَقُوا ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِء مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

يا محمد! ردها علي، فإن ذلك في الشرط لنا عليك، فنزلت الآية، فامتحنها رسول الله ﷺ، فلم يردھا، وأعطى مهرها لزوجها، وقيل: نزلت في أم كلثوم بنت عقبة ابن أبي معيط ؓ هربت من زوجها إلى المسلمين، واختلف في الرجال، هل حكمهم في ذلك كالنساء فلا تجوز المهادنة على رد من أسلم منهم أو تجوز حتى الآن؟ على قولين؛ والأظهر الجواز لأنه إنما نسخ ذلك في النساء. ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ هذا تعليل للمنع من رد المرأة إلى الكفار، وفيه دليل على ارتفاع النكاح بين المشركين والمسلمات. ﴿وَأَتْوَهُنَّ مَّا أَنْفَقُوا﴾ يعني أعطوا الكفار ما أعطوا نساءهم من الصدقات إذا هاجرن، ثم أباح للمسلمين تزوجهن بالصدقات. ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ الـ "عِصْم" جمع عصمة النكاح، فأمر الله المسلمين أن يفارقوا نساءهم الكوافر يعني المشركات من عبدة الأوثان؛ فالآية على هذا محكمة، وقيل: يعني كل كافرة؛ فعلى هذا نسخ منها جواز تزوج الكياتيات لقوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، وروي أن الآية نزلت في امرأة لعمر بن الخطاب ؓ كانت كافرة فطلقها. ﴿وَأَسْأَلُوا مَّا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُم مَّا أَنْفَقُوا﴾ أي: اطلبوا من الكفار ما أنفقتم من الصدقات على أزواجكم اللاتي فررن إلى الكفار، وليطلب الكفار منكم ما أنفقوا على أزواجهم التي هاجرن إلى المسلمين. ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَّا أَنْفَقُوا﴾ معنى "فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار": هروب نساء المسلمين إلى الكفار، والخطاب في قوله "فعاقتهم فئاتوا الذين ذهبوا أزواجهم" للمسلمين، وقوله "عاقبتهم" ليس من العقاب على الذنب وإنما هو من العقبي؛ أي: أصبتم عقبي وهي الغنيمة، أو من التعاقب على الشيء كما يتعاقب الرجلان على الدابة إذا ركبها هذا مرة وهذا مرة أخرى، فلما كان نساء المسلمين يهربن إلى الكفار ونساء الكفار يهربن إلى المسلمين جعل ذلك كالتعاقب على النساء، وسبب الآية: أنه لما قال الله: "واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا" قال الكفار: لا نرضى بهذا الحكم ولا نعطي صدقات من فرت زوجته إلينا من المسلمين، فأنزل الله هذه الآية الأخرى وأمر المسلمين أن يدفعوا الصدقات لمن فرت زوجته من المسلمين إلى الكفار ويكون هذا المدفوع من الغنائم على قول من قال: إن معنى "فعاقتهم" غنمتهم، وقيل: من مال الفيء،



يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَّكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ  
وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا  
يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾

وقيل: من الصدقات التي كانت تدفع للكفار إذا فرأوا جهم إلى المسلمين، فأزال الله دفعها إليهم حين لم يرضوا حكمه، وهذه الأحكام التي تضمنتها هذه الآية قد ارتفعت؛ لأنها نزلت في قضايا معينة وهي مهادة النبي ﷺ مع مشركي العرب، ثم زالت هذه الأحكام بارتفاع المهادة إذ لا تجوز لنا مهادة المشركين من العرب إنما هو في حقهم الإسلام أو السيف، وإنما تجوز مهادة أهل الكتاب والمجوس؛ لأن الله قال في المشركين ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾، وقال في أهل الكتاب: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾، وقال النبي ﷺ في المجوس: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب» [الموطأ: 619]. ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَّكَ﴾ هذه البيعة بيعة النساء في ثاني يوم الفتح على جبل الصفا، وكان رسول الله ﷺ يبايعهن بالكلام ولا تمس يده يد امرأة، ورد هذا في الحديث الصحيح عن عائشة ؓ [البخاري: 5288]، وقيل: إنه ﷺ لف على يده ثوبا كثيفا ثم لمس النساء يده كذلك [ابن سعد: 5/10]، وقيل: إنه غمس يده في إناء فيه ماء ثم دفعه إلى النساء فغمسن أيديهن فيه [ابن سعد: 11/10]. ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ﴾ معناه عند الجمهور: أن تنسب المرأة إلى زوجها ولدا ليس له، وكانت المرأة تلتقط الولد فتقول لزوجها هذا ولدي منك، وإنما قال: ﴿يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾؛ لأن بطنها الذي تحمل فيه الولد بين يديها، وفرجها الذي تلد به بين رجليها، واختار ابن عطية أن يكون البهتان هنا على العموم بأن ينسب للرجل غير ولده، أو تفتري على أحد بالقول، أو تكذب المرأة فيما أتمنها الله عليه من الحيض والحمل وغير ذلك؛ وإلى هذا أشار بعض الناس بأن قال "بين أيديهن" يراد به اللسان والفم، وبين الأرجل يراد به الفروج. ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ أي: لا يعصينك فيما جاءت به الشريعة من الأوامر والنواهي؛ ومن ذلك النهي عن النياحة وشق الجيوب ووصل الشعر، وغير ذلك مما كان نساء الجاهلية يفعلنه، وورد في الحديث أن النساء لما بايعن النبي ﷺ هذه المبايعة فقررن على أن لا يسرقن! قالت هند بنت عتبة وهي امرأة أبي سفيان بن حرب ؓ: يا رسول الله! إن أبا سفيان رجل شحيح فهل علي إن أخذت من ماله بغير إذنه؟ فقال: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف» [البخاري: 5364]، فلما قررن على أن لا يزني، قالت هند ؓ: يا رسول الله! أتزني الحرة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «لا تزني الحرة» يعني في غالب الأمر، وذلك أن الزنا في قريش إنما كان في الإماء، فلما قال: «ولا يقتلن أولادهن» قالت: نحن ربيناهم صغارا وقتلتهم أنت بيدركبارا، فضحك رسول الله ﷺ [الطبري: 342 / 21]، فلما قررن على "أن لا يعصينه في معروف" قالت: ما جلسنا هذا المجلس وفي أنفسنا أن نعصيك [ابن عسار: 180 / 70].

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ  
الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿٣﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ  
الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ  
تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾

وهذه المبايعة للنساء غير معمول بها اليوم؛ لأنه أجمع العلماء على أنه ليس على الإمام أن يشترط عليهن هذا؛ فإما أن تكون منسوخة ولم يذكر الناسخ، أو يكون ترك هذه الشروط؛ لأنها قد تقرر وعلمت من الشريعة بالضرورة فلا حاجة إلى اشتراطها. ﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني اليهود، وكان بعض فقهاء المسلمين يتودد إليهم ليصيبوا من أموالهم، وقيل: يعني كفار قريش؛ والأول أظهر لأن الغضب قد صار عرفاً لليهود كقوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾. ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ من قال إن القوم الذين غضب الله عليهم هم اليهود؛ فمعنى "يئسوا من الآخرة": يئسوا من خير الآخرة والسعادة فيها، ومن قال إن القوم الذين غضب الله عليهم هم كفار قريش؛ فالمعنى: يئسوا من وجود الآخرة وصحتها لأنهم مكذبون بها تكديبا جازما، وقوله: ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ يحتمل وجهين؛ أحدهما: أن يريد كما يئس الكفار المكذبون بالبعث من بعث أصحاب القبور، فقوله "من أصحاب" يتعلق بـ"يئس" وهو على حذف مضاف، والآخر: أن يكون "من أصحاب القبور" لبيان الجنس، أي: كما يئس الكفار الذين في القبور من سعادة الآخرة لأنهم تيقنوا أنهم يعذبون فيها.

#### سورة الحواريين

﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ في سببها ثلاثة أقوال؛ أحدها: قول ابن عباس ؓ: إن جماعة قالوا: وددنا أن نعرف أحب الأعمال إلى الله فنعمله؟ ففرض الله الجهاد، فكرهه قوم، فنزلت الآية، والآخر: أن قوما من شبان المسلمين كانوا يتحدثون عن أنفسهم بالغزو وبما لم يفعلوا، ويقولون: فعلنا وصنعنا وذلك كذب، فنزلت زجرا لهم، والثالث: أنها نزلت في المناققين لأنهم كانوا يقولون للمؤمنين نحن معكم ومنكم ثم يظهر من أفعالهم خلاف ذلك؛ وهذا ضعيف لأنه خاطبهم بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إلا أن يريد أنهم آمنوا بزعمهم وفيما يظهرون، ومع ذلك فحكم الآية على العموم في زجر من يقول ما لا يفعل. ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ كان بعض السلف يستحي أن يعظ الناس لأجل هذه الآية ويقول: أخاف من مقت الله، والمقت هو البغض لريبة أو نحوها، وانتصب "مقتا" على التمييز، و"أن تقولوا" فاعل "كبر"،

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرَّصُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذْ قَالَ  
 مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَلْقَوْنِي لِمَ تَوَدُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا  
 أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١١﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي  
 إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ  
 بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ ۗ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن  
 افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾

وقيل: الفاعل محذوف تقديره: كبر فعلكم مقنا، و"أن تقولوا" بدل من الفاعل المحذوف أو خبر ابتداء  
 مضمرة. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا﴾ ورود هذه الآية هنا دليل على أن الآية التي قبلها  
 في شأن القتال، وقال بعض الناس: قتال الرجال أفضل من قتال الفرسان؛ لأن التراص فيه يتمكن أكثر  
 مما يتمكن للفرسان، قال ابن عطية: هذا ضعيف خفي على قائله مقصد الآية وليس المراد نفس التراص  
 وإنما المراد الثبوت والجد في القتال. ﴿كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرَّصُونَ﴾ الـ"مرصوص" هو الذي يضم بعضه إلى  
 بعض، وقيل: هو المعقود بالرصاص؛ ولا يبعد أن يكون هذا أصل اللفظ. ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ  
 تَوَدُّونَنِي﴾ كانوا يؤذونه بسوء الكلام وبعضيانه وتنقيصه، وانظر في الأحزاب: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذُوا  
 مُوسَىٰ﴾. ﴿وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ هذا إقامة حجة عليهم وتوبيخ لهم وتقييح لإذابته مع  
 علمهم بأنه رسول، ولذلك أدخل "قد" الدالة على التحقيق. ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ هذه عقوبة  
 على الذنب بذنوب، وزيف القلب ميله عن الحق. ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ إنما قال موسى  
 "يا قوم" وقال عيسى "يا بني إسرائيل" لأنه لم يكن له فيهم أب. ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ معناه  
 مذكور في البقرة في قوله: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾. ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ﴾ عن كعب ؓ أن الحوارين قالوا  
 لعيسى: يا روح الله! هل بعدنا من أمة؟ قال: نعم، أمة أحمد، حكاه علماء أبرار أتقياء. ﴿اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾  
 قال رسول الله ﷺ: ﴿لي خمسة أسماء؛ أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر  
 الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب فلا نبي بعدي﴾ [البخاري: 3339]، و"أحمد" مشتق من الحمد، ويحتمل  
 أن يكون فعلا سمي به، أو يكون صفة سمي بها كأحمد، ويحتمل أن يكون بمعنى حامد أو بمعنى محمود  
 كمحمد. ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يحتمل أن يريد عيسى أو محمدا عليه السلام؛ ويؤيد الأول اتصاله  
 بما قبله، ويؤيد الثاني قوله ﴿وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ﴾ لأن الداعي إلى الإسلام هو محمد عليه السلام.

يُرِيدُونَ لِيطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي  
 أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَتَأْتِيهَا  
 الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُم عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ  
 وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرُ  
 لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ  
 ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾  
 يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارًا لِلَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي  
 إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَطَامَت طَّائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت  
 طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾

﴿يُرِيدُونَ لِيطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ ذكر في براءة. ﴿تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ الآية، تفسير للتجارة المذكورة، قال  
 الأخفش: هو عطف بيان عليها، وقال الزمخشري: هو استئناف. ﴿يَغْفِرُ لَكُمْ﴾ جزم في جواب "تؤمنون"  
 لأنه بمعنى الأمر، وقد قرأ ابن مسعود ﴿آمَنُوا وَجَاهِدُوا﴾ على الأمر، وقال الفراء: هو جواب ﴿هَلْ  
 أَذُكُم﴾ لأنه يقتضي التحضيض. ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ ارتفع "أخرى" على أنه خبر ابتداء مضمرة تقديره:  
 ولكم نعمة أخرى، وانتصب على أنه مفعول بفعل مضمرة تقديره: ويمنحكم أخرى، وقيل: هو مخفوض  
 بالعطف على "تجارة" وهذا ضعيف. ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ تفسير لـ "أخرى" فهو بدل منها، أو خبر ابتداء مضمرة  
 تقديره: هي نصر. ﴿وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال الزمخشري: عطف على "تؤمنون بالله" لأنه في معنى الأمر.  
 ﴿كُونُوا أَنْصَارًا لِلَّهِ﴾ جمع ناصر، وقد غلب اسم الأنصار على الأوس والخزرج وسماهم الله به وليس ذلك  
 المراد هنا. ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ هذا التشبيه محمول على المعنى؛ لأن ظاهره كونوا أنصارا لله كقول  
 عيسى، والمعنى: كونوا أنصارا لله كما كان الحواريون حين قال لهم عيسى: من أنصاري إلى الله؟ وقد ذكر  
 في آل عمران معنى "الحواريين" و﴿أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾. ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ قيل: إنهم ظهروا بالحجة،  
 وقيل: بل غلبوا الكفار بالقتال بعد رفع عيسى عليه السلام، وقيل: إن ظهور المؤمنين منهم هو بمحمد ﷺ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادَوْا إِن زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنْ أَلَمْتُمْ الَّذِي تَقْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ

## سورة الجمعة

﴿الْقُدُّوسِ﴾ ذكر في الحشر. ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ يعني محمدا ﷺ، و"الأميين" هم العرب، وقد ذكر معنى الأمي في الأعراف. ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ عطفًا على "الأميين" وأراد هؤلاء فارس، سئل رسول الله ﷺ من هؤلاء الآخرون؟ فأخذ بيد سلمان الفارسي ﷺ وقال: «لو كان العلم بالثريا لنالته رجال من هؤلاء» [البخاري: 4615] يعني فارس، وقيل: هم الروم؛ ومنهم على هذين القولين يريد به في البشرية وفي الدين لا في النسب، وقيل: هم أهل اليمن، وقيل: هم التابعون، وقيل: هم سائر المسلمين؛ والأول أرجح لوروده في الحديث الصحيح. ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ أي: لم يلحقوا بهم وسيلحقون، وذلك أن "لما" لنفي الماضي القريب من الحال. ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ﴾ إشارة إلى نبوة محمد ﷺ وهداية الناس به. ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ﴾ يعني اليهود، ومعنى "حملوا التوراة" كلفوا العمل بها والقيام بأوامرها ونواهيها، و﴿لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ لم يطيعوا أمرها ولم يعملوا بها، شبههم الله بالحمار الذي يحمل الأسفار على ظهره ولم يدر ما فيها. ﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ يعني اليهود الذين كذبوا محمدا ﷺ وهم الذين حملوا التوراة ولم يحملوها؛ لأن التوراة تنطق بنبوة محمد ﷺ فكل من قرأها ولم يؤمن به فقد خالف التوراة. ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾ ذكر في البقرة. ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ النداء للصلاة هو الأذان لها، و"من" في قوله "من يوم الجمعة" بيان لـ"إذا" وتفسيره، و"ذكر الله" يراد به الخطبة والصلاة، ويتعلق بهذه الآية ثمان مسائل؛

وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١١﴾

الأولى: اختلف في الأذان للجمعة هل هو سنة كالأذان لسائر الصلوات أو واجب لظاهر الآية؛ لأنه شرط في السعي لها أن يكون عند الأذان، والسعي واجب فالأذان واجب؟ الثانية: كان الأذان للجمعة على عهد رسول الله ﷺ على جدار المسجد، وقيل: على باب المسجد، وقيل: كان بين يديه ﷺ وهو على المنبر، وقد كان بنو أمية يأخذون بها وبقي بقرطبة زمانا وهو باق بالمشرق إلى الآن، قال أبو محمد بن الفرس قال مالك في المجموعة: إن هشام بن عبد الملك هو الذي أحدث الأذان بين يديه، قال: وهذا دليل على أن الحديث في ذلك ضعيف، الثالثة: كان المؤذن للجمعة واحدا ثم زاد عثان ؓ النداء على الزوراء ليُسمع الناس، واختلف الفقهاء هل المستحب أن يؤذن فيها اثنان أو ثلاثة؟ الرابعة: السعي في الآية بمعنى المشي لا بمعنى الجري، وقرأ عمر بن الخطاب ؓ "فامضوا إلى ذكر الله" وهذا تفسير للسعي، فهو بخلاف السعي في قول رسول الله ﷺ: «إذا نودي للصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون» [مسلم: 602]. الخامسة: حضور الجمعة واجب لحمل الأمر الذي في الآية على الوجوب باتفاق، إلا أنها لا تجب على المرأة ولا الصبي ولا المريض باتفاق، ولا تجب على العبد والمسافر عند مالك والجمهور خلافا للظاهرية، وتعلقوا بعموم الآية، وحجة الجمهور قول رسول الله ﷺ: «الجمعة واجبة على كل مسلم في جماعة إلا أربعة: عبد مملوك أو امرأة أو صبي أو مريض» [المختار: 121]، وحجتهم في المسافر أن رسول الله ﷺ كان لا يقيم الجمعة في السفر، واختلف هل تسقط الجمعة بسبب المطر أم لا؟ وهل يجوز للعروس التخلف عنها أم لا؟ والمشهور أنها لا تسقط عنها لعموم الآية، السادسة: اختلف متى يتعين الإقبال إلى الصلاة؟ فقيل: إذا زالت الشمس، وقيل: إذا أذن المؤذن؛ وهو ظاهر الآية، السابعة: اختلف في الموضع الذي يجب منه السعي إلى الجمعة؟ فقيل: ثلاثة أميال وهو مذهب مالك، وقيل: ستة أميال، وقيل: تجب على من داخل مصر، وقيل: على من سمع النداء، وقيل: على من آواه الليل إلى أهله، الثامنة: اختلف في الوالي هل هو من شرط الجمعة أم لا على قولين؟ والمشهور سقوطه لأن الله لم يشترطه في الآية. ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ أمر بترك البيع يوم الجمعة إذا أخذ المؤذنون في الأذان، وذلك على الوجوب فيقتضي تحريم البيع، واختلف في البيع الذي يعقد في ذلك الوقت هل يفسخ أم لا؟ واختلف في بيع من لا تلتزمهم الجمعة من النساء والعبيد، هل يجوز في ذلك الوقت أم لا؟ والأظهر جوازه؛ لأنه إنما منع منه من يدعى إلى الجمعة، ويجري النكاح في ذلك الوقت مجري البيع في المنع. ﴿فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ هذا الأمر للإباحة باتفاق، حكى الإجماع على ذلك ابن عطية وابن الفرس. ﴿وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ قيل: معناه طلب المعاش؛ فالأمر على هذا إباحة، وروي أن النبي ﷺ قال: «الفضل المبتغى: عيادة مريض، أو صلة صديق، أو اتباع جنازة» [الطبري: 28/103]، وقيل: هو طلب العلم؛ وإن صح الحديث لم يعدل إلى سواه.

وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ هَوْأً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجْرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٦٤٩﴾

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ هَوْأً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا﴾ سبب الآية: أن رسول الله ﷺ كان قائماً على المنبر يخطب يوم الجمعة، فأقبلت عير من الشام بطعام وصاحب أمرها دحية بن خليفة الكلبي ؓ، وكانت عاداتهم أن تدخل العير المدينة بالطلب والصياح سروراً بها، فلما دخلت العير كذلك انفض أهل المسجد إليها، وتركوا رسول الله ﷺ قائماً على المنبر ولم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً، قال جابر بن عبد الله ؓ: أنا أحدهم وذكر بعضهم أن منهم العشرة المشهود لهم بالجنة، واختلف في الثاني عشر، فقيل: عبد الله بن مسعود ؓ، وقيل: عمار بن ياسر ؓ، وقيل: إنها بقي معه ﷺ ثمانية، وروى أن رسول الله ﷺ قال «لولا هؤلاء لقد كانت الحجارة سومت في السماء على المنفضين» [شعب الإيمان: 6495]، وظاهر الآية يقتضي أن الجماعة شرط في الجمعة وهو مذهب مالك والجمهور، إلا أنهم اختلفوا في مقدار الجماعة الذين تنعقد بهم الجمعة، فقال مالك: ليس في ذلك عدد محدود وإنما هم جماعة تقوم بهم قرية، وروى ابن الماجشون عن مالك ثلاثون، وقال الشافعي: أربعون، وقال أبو حنيفة: ثلاثة مع الإمام، وقيل: اثنا عشر عدد الذين بقوا مع النبي ﷺ، فإن قيل: لم قال "انفضوا إليها" بضمير المفرد وقد ذكر التجارة واللهم؟ فالجواب من وجهين؛ أحدهما: أنه أراد انفضوا إلى الله وانفضوا إلى التجارة ثم حذف أحدهما للدلالة الآخر عليه قاله الزمخشري، والآخر: أنه قال ذلك تمهما بالتجارة إذ كانت أهم وكانت هي سبب اللهو ولم يكن اللهو سببها قاله ابن عطية. ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ اختلفوا في القيام في الخطبة هل هو واجب أم لا؟ وإذا قلنا بوجوبه فهل هو شرط فيها أم لا؟ فمن أوجبه واشترطه أخذ بظاهر الآية من ذكر القيام، ومن لم يوجبه رأى أن ما فعله النبي ﷺ من ذلك لم يكن على الوجوب، ومذهب مالك أن من سنة الخطبة الجلوس قبلها والجلوس بين الخطبتين، وقال أبو حنيفة: لا يجلس بين الخطبتين لظاهر الآية وذكر القيام فيها دون الجلوس، وحجة مالك فعل رسول الله ﷺ. ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾ إن قيل لم قدم "اللهو" هنا على "التجارة" وقدم التجارة قبل هذا على اللهو؟ فالجواب: أن كل واحد من الموضوعين جاء على ما ينبغي فيه، وذلك أن العرب تارة يبدؤون بالأكثر ثم ينزلون إلى الأقل، كقولك: فلان يخون في الكثير والقليل، فبدأت بالكثير ثم أردفت عليه الخيانة فيما دونه، وتارة يبدؤون بالأقل ثم يرتقون إلى الأكثر كقولك: فلان أمين على القليل وعلى الكثير، فبدأت بالقليل ثم أردفت عليه الأمانة فيما هو أكثر منه، ولو عكس في كل واحد من المثالين لم يكن حسناً، فإنك لو قدمت في الخيانة ذكر القليل لعلم أنه يخون في الكثير من باب أولى وأحرى، ولو قدمت في الأمانة ذكر الكثير لعلم أنه أمين في القليل من باب أولى وأحرى فلم يكن لذكره بعد ذلك فائدة، وكذلك قوله "إذارأوتجارةأوهواانفضواإليها" قدم التجارة هنا لبيان أنهم ينفضون إليها وأنهم مع ذلك ينفضون إلى اللهو الذي هو دونها، وقوله "خير من اللهو ومن التجارة" قدم "اللهو" لبيان أن ما عند الله خير من اللهو، وأنه أيضاً خير من التجارة التي هي أعظم منه، ولو عكس كل واحد من الموضوعين لم يحسن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ  
 إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ أَخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ  
 سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ  
 لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهم خُشْبٌ  
 مُسْنَدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَوَقَّاهُمُ اللَّهُ أَنْ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا  
 قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾

## سورة المنافقين

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ كانوا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فلذلك كذبهم الله  
 في قوله. ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ أي: كذبوا في دعواهم الشهادة بالرسالة، وأما قوله: ﴿ وَاللَّهُ  
 يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ﴾ فليس من كلام المنافقين وإنما هو من كلام الله تعالى، ولو لم يذكره لكان يوهم أن قوله "والله  
 يشهد إن المنافقين لكاذبون" إبطال للرسالة فوسطه بين حكاية المنافقين وبين تكذيبهم ليزيل هذا الوهم ويحقق  
 الرسالة، وعلى هذا ينبغي أن يوقف على قوله "الرسول الله". ﴿ جُنَّةً ﴾ ذكر في المجادلة. ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ  
 كَفَرُوا ﴾ الإشارة إلى سوء عملهم أو إلى فضيحتهم وتوبيخهم، وأما قوله "ءامنوا ثم كفروا" فيحتمل وجهين؛  
 أحدهما: أن يكون فيمن آمن منهم إيمانا صحيحا ثم نافق بعد ذلك، والآخر: أن يريد "ءامنوا" في الظاهر كقوله:  
 ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا ﴾. ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾ يعني أنهم حسان الصور. ﴿ وَإِنْ يَقُولُوا  
 تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ﴾ يعني أنهم فصحاء، والخطاب في قوله "إذا رأيتهم تعجبك"، وفي قوله "تسمع" للنبي ﷺ ولكل  
 مخاطب. ﴿ كَأَنَّهم خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ ﴾ شبههم بالخشب في قلة أفهامهم فكان لهم منظر بلا مخبر، وقال الزمخشري:  
 إنما شبههم بالخشب المسندة إلى حائط؛ لأن الخشب إذا كانت كذلك لم يكن فيها منفعة بخلاف الخشب التي تكون  
 في سقف، أو مغروسة في جدار فإن فيها حيثئذ منفعة؛ فالتشبيه على هذا في عدم المنفعة، وقيل: كانوا يستندون في  
 مجلس رسول الله ﷺ فشبههم في استنادهم بالخشب المسندة إلى حائط. ﴿ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ عبارة  
 عن شدة خوفهم من المسلمين، وذلك أنهم كانوا إذا سمعوا صياحا ظنوا أن النبي ﷺ يأمر بقتلهم. ﴿ قَاتَلَهُمُ  
 اللَّهُ ﴾ دعاء عليهم يتضمن ذمهم وتوبيخ أحوالهم. ﴿ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ أي: كيف يصرفون عن الإيمان مع  
 ظهوره. ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُ رُءُوسَهُمْ ﴾ أي: أمالوها إعراضا واستكبارا،  
 وقصص هذه الآية وما بعدها: أن رسول الله ﷺ خرج في غزوة بني المصطلق فبلغ الناس إلى ماء ازدحموا عليه،  
 فكان ممن ازدحم جهجاه بن سعيد أجير لعمر بن الخطاب ﷺ وسانان الجهني حليف لعبد الله بن أبي ابن سلول



سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا ۗ وَاللَّهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٢﴾ يَقُولُونَ لِنِ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ ۗ وَاللَّهُ الْعَزِيزُ الرَّسُولِي ۗ وَالْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ يَتَأَيُّهُمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءَأْمَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۗ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٤﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقَ ۖ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦﴾

رأس المنافقين، فلطم الجهجاه سنانا، فغضب سنان ودعا بالأنصار ودعا الجهجاه بالمهاجرين، فقال عبد الله بن أبي: والله ما مثلنا ومثل هؤلاء - يعني المهاجرين - إلا كما قال الأولون: سمن كلبك يأكلك، ثم قال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل، يعني بالأعرز نفسه وأتباعه ويعني بالأذل رسول الله ﷺ ومن كان معه، ثم قال لقومه: إنما يقيم هؤلاء المهاجرون بالمدينة بسبب معونتكم وإنفاقكم عليهم، ولو قطعتم ذلك عنهم لفروا عن مدينتكم، فسمعه زيد بن أرقم ؓ فأخبر بذلك رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك عبد الله بن أبي فحلف أنه ما قال شيئا من ذلك، وكذب زيدا ؓ فنزلت السورة عند ذلك، فبعث رسول الله ﷺ في زيد ؓ وقال له: «لقد صدقك الله يا زيد» [دلائل النبوة لليبقي: 1403]، فخزي عبد الله بن أبي ومقته الناس، فقيل له: امض إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك فلوى رأسه إنكارا لهذا الرأي، وقال: أمرتموني بالإسلام فأسلمت، وأمرتموني بزكاة مالي ففعلت، ولم يبق لكم إلا أن تأمروني أن أسجد لمحمد، ثم مات عبد الله بن أبي بعد ذلك بقليل، وأسندت هذه الأقوال التي قالها عبد الله بن أبي إلى ضمير الجماعة؛ لأنه كان له أتباع من المنافقين يوافقونه عليها. ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ روي أنه لما نزلت ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ قال رسول الله ﷺ: «لأزيدن على السبعين» [ابن أبي حاتم: 10647]، فلما فعل عبد الله بن أبي وأصحابه ما فعلوا شدد الله عليهم في هذه السورة، وأخبر أنه لا يغفر لهم بوجه؛ وفي هذا نظر؛ لأن هذه السورة نزلت في غزوة بني المصطلق قبل الآية الأخرى بمدة. ﴿لَا تُلْهِكُمْ ءَأْمَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: لا تشغلكم، و«ذكر الله» هنا على العموم في الصلاة والدعاء والعبادة، وقيل: يعني الصلاة المكتوبة؛ والعموم أولى. ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ عموم في الزكاة وصدقة التطوع والنفقة في الجهاد وغير ذلك، وقيل: يعني الزكاة المفروضة؛ والعموم أولى. ﴿وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ بالجزم عطف على موضع جواب الشرط، وقرأ أبو عمرو «فأكون» بالنصب عطف على «فأصدق».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ  
 الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ  
 وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ  
 وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ  
 بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَهُمْ  
 عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا  
 وَتَوَلَّوْا وَاسْتَعْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي  
 لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ  
 الَّذِي أُنزِلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ  
 وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا نُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَنُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

## سورة التغابن

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ﴾ في تأويل هذه الآية وجهان؛ أحدهما: هو الذي خلقكم  
 فكان يجب على كل واحد منكم الإيثار به، لكن منكم من كفر ومنكم من آمن؛ فالكفر والإيمان على هذا هو  
 اكتساب العبد، والآخر: أن المعنى هو الذي خلقكم على صنفين؛ فمنكم من خلقه مؤمناً ومنكم من خلقه  
 كافراً؛ فالكفر والإيمان على هذا هو ما قضى الله على كل أحد؛ والأول أظهر لأن عطفه على "خلقكم" بالفاء  
 يقتضي أن الكفر والإيمان واقعان بعد الخلقة لا في أصل الخلقة. ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ ذكر  
 معناه في مواضع. ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ تعديد نعمة في حسن خلقه بني آدم؛ لأنهم أحسن صورة  
 من جميع أنواع الحيوان، وإن وجد بعض الناس قبيح المنظر إلى من هو أحسن منه من الناس، وقيل: يعني  
 العقل والإدراك الذي خص به الإنسان؛ والأول أرجح؛ لأن الصورة إنما تطلق على الشكل. ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ ﴾  
 خطاب لقريش وسائر الكفار. ﴿ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا ﴾ معناه: أنهم استبعدوا أن يرسل الله بشراً أو تكبروا  
 عن اتباع بشر، والبشر يقع على الواحد والجماعة. ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا ﴾ قال عبد الله بن  
 عمر ؓ: "زعم" كناية عن كذب. ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ ﴾ العامل في "يوم" ﴿ لَتُنَبَّؤُنَّ ﴾ أو ﴿ خَبِيرٌ ﴾، أو محذوف  
 تقديره: اذكر، ويحتمل أن يكون مبتدأ، وخبره: ﴿ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾ يعني يوم القيامة، و"التغابن" مستعار

الآن نهر خَلِيدَيْنِ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا  
بِعَايِنَتْنَا ۖ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ خَلِيدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١١﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ  
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا  
الرَّسُولَ ۚ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٣﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَىٰ  
اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ  
عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥﴾  
إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ

من تغابن الناس في التجارة، وذلك إذا فاز السعداء بالجنة، فكأنهم غبنوا الأشقياء في منازلهم التي كانوا ينزلون  
منها لو كانوا سعداء، ف"التغابن" على هذا بمعنى الغبن، وليس على المتعارف في صيغة تفاعل من كونها بين  
اثنين كقولك: تضارب وتقاتل، إنما هي فعل واحد كقولك: تواضع، قاله ابن عطية، وقال الزمخشري: يعني  
نزول السعداء منازل الأشقياء ونزول الأشقياء منازل السعداء، و"التغابن" على هذا بين اثنين، قال: وفيه  
تهكم بالأشقياء؛ لأن نزولهم في جهنم ليس في الحقيقة بغبن للسعداء. ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾  
يحتمل أن يريد بالـ"مصيبة" الرزايا وخصها بالذكر؛ لأنها أهم على الناس، أو يريد جميع الحوادث من خير  
وشر، و"بإذن الله" عبارة عن قضائه وإرادته تعالى. ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ قيل: معناه من يؤمن بأن  
كل شيء بإذن الله يهد الله قلبه للتسليم والرضا بقضاء الله؛ وهذا أحسن، إلا أن العموم أحسن منه. ﴿ إِنَّ  
مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ سببها: أن قوما أسلموا وأرادوا الهجرة فبسطهم أزواجهم  
وأولادهم عن الهجرة فحذرهم الله من طاعتهم في ذلك. وقيل: نزلت في عوف بن مالك الأشجعي ؓ؛  
وذلك أنه أراد الجهاد فاجتمع أهله وأولاده فشكوا من فراقه فرق لهم ورجع، ثم إنه ندم وهم بمعاقبتهم،  
فنزلت الآية محذرة من فتنه الأولاد، ثم صرف تعالى عن معاقبتهم بقوله: ﴿ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا ﴾ الآية،  
ولفظ الآية مع ذلك على عمومه في التحذير من يكون للإنسان عدوا من أهله وأولاده سواء كانت عداوتهم  
بسبب الدين أو الدنيا. ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ ترغيب في الآخرة وتزهيد في الأموال والأولاد التي فتن  
الناس بها. ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ قيل: إن هذا ناسخ لقوله: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾، وروي أنه لما نزل  
"حق تقاته" شق ذلك على الناس حتى نزل "ما استطعتم"، وقيل: لا نسخ بينهما لأن "حق تقاته" معناه: فيما  
استطعتم، إذ لا يمكن أحد أن يفعل إلا ما يستطيع، فهذه الآية على هذا مبينة لتلك، وتحرز بالاستطاعة من

وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ ۗ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ  
 الْمُفْلِحُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ تَقْرِيضَ اللَّهِ قَرْضًا حَسَنًا يُضَعِّفُهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ  
 ﴿٧﴾ عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٨﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ

الإكراه والنسيان وما لا يؤاخذ به العبد، وإعراب "ما" في قوله "ما استطعتم" ظرفيه. ﴿خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ منصوب بإضمار فعل لا يظهر عند سيويه، وقيل: هو مفعول بـ ﴿أَنْفِقُوا﴾ لأن الخير بمعنى المال، وقيل: هو نعت لمصدر محذوف تقديره: أنفقوا إنفاقاً خيراً لأنفسكم. ﴿وَمَنْ يُوقَ﴾ ذكر في الحشر. ﴿إِنَّ تَقْرِيضَ﴾ ذكر في البقرة. ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ ذكر في اللغات.

### سورة الطلاق

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ إن قيل لم نودي النبي ﷺ وحده ثم جاء بعد ذلك خطاب الجماعة؟ فالجواب أنه لما كان حكم الطلاق يشترك فيه النبي ﷺ وأمته، قيل "إذا طلقتم" خطاباً له ولهم وخص هو عليه الصلاة والسلام بالنداء أولاً تعظيماً له، كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم: يا فلان! افعلوا، أي: افعل أنت وقومك، ولأنه عليه الصلاة والسلام هو المبلغ لأمته، فكأنه قال: يا أيها النبي إذا طلق أنت وأمتك، وقيل تقديره: يا أيها النبي قل لأمتك إذا طلقتم؛ وهذا ضعيف لأنه يقتضي أن هذا الحكم مختص بأتمته دونه، وقيل: إنه خوطب النبي ﷺ بـ "طلقتم" تعظيماً له كما تقول للرجل المعظم: أنتم فعلتم؛ وهذا أيضاً ضعيف لأنه يقتضي اختصاصه عليه الصلاة والسلام بالحكم دون أتمته، ومعنى "إذا طلقتم" هنا إذا أردتم الطلاق، واختلف في الطلاق هل هو مباح أو مكروه؟ وأما إن كان على غير وجه السنة فهو ممنوع ولكنه يلزم، وأما اليمين بالطلاق فممنوع. ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ تقديره: طلقوهن مستقبلاً لعدتهن، ولذلك قرأ عثمان وابن عباس وأبي بن كعب ؓ "فطلقوهن في قبل عدتهن"، وقرأ ابن عمر ؓ "لقبل عدتهن" ورويت القراءة عن رسول الله ﷺ ومعنى ذلك كله: أن لا يطلقها وهي حائض فهو منهى عنه بإجماع؛ لأنه إذا فعل ذلك لم يقع طلاقه في الحال التي أمر الله بها وهو استقبال العدة، واختلف في النهي عن الطلاق في الحيض هل هو مغلل بتطويل العدة أو هو تعبد؟ والصحيح أنه مغلل بذلك وينبغي على هذا الخلاف فروع منها: هل يجوز إذا رضيت به المرأة أم لا؟ ومنها: هل يجوز طلاقها في الحيض وهي حامل أم لا؟ ومنها: هل يجوز طلاقها قبل الدخول وهي حائض أم لا؟ فالتعليل بتطويل العدة يقتضي جواز هذه الفروع والتعبد يقتضي المنع، ومن طلق في الحيض لزمه الطلاق ثم أمر بالرجعة على وجه الإيجاب

وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا تَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَلْحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ

عند مالك، ودون إجبار عند الشافعي حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء طلق وإن شاء أمسك حسبما ورد في حديث ابن عمر رضي الله عنهما حين طلق امرأته وهي حائض، فذكر ذلك عمر رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له: «مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر، فإن شاء طلق وإن شاء أمسك» [البخاري: 1525]، واشترط مالك أن يطلقها في طهر لم يمسه فيها لتعتد بذلك الطهر، فإنه إن طلقها في طهر بعد أن جامعها فيه فلا تدري هل تعتد بالوضع أو بالأقراء، فليس طلاقا لعدتها كما أمر الله. ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ أمر بذلك لما ينبنى عليها من الأحكام في الرجعة والسكنى والميراث وغير ذلك. ﴿لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ نهي الله سبحانه وتعالى أن يخرج الرجل المرأة المطلقة من المسكن الذي طلقها فيه، ونهاها أن تخرج هي باختيارها فلا يجوز لها المبيت عن بيتها، ولا أن تغيب عنه نهارا إلا لضرورة التصرف، وذلك لحفظ النسب وصيانة المرأة؛ فإن كان المسكن ملكا للزوج أو مكترى عنده لزمه إسكانها فيه، وإن كان المسكن لها فعليه كراؤه مدة العدة، وإن كانت قد أمتعته فيه مدة الزوجية ففي لزوم خروج العدة له قولان في المذهب، والصحيح لزومه؛ لأن الإمتاع قد انقطع بالطلاق. ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَلْحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ اختلف في هذه الفاحشة التي أباحت خروج المعتدة ما هي على خمسة أقوال؟ الأول: أنها الزنا فتخرج لإقامة الحد قاله الليث بن سعد والشعبي، الثاني: أنه سوء الكلام مع الأصهار، فتخرج ويسقط حقها من السكنى ويلزمها الإقامة في مسكن تتخذه حفظا للنسب قاله ابن عباس رضي الله عنهما، ويؤيده قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه "إلا أن يفحشن عليكم"، الثالث: أنه جميع المعاصي من القذف والزنا والسرقه وغير ذلك، فمتى فعلت شيئا من ذلك سقط حقها في السكنى، قاله ابن عباس رضي الله عنهما أيضا وإليه مال الطبري، الرابع: أنه الخروج عن بيتها خروج انتقال، فمتى فعلت ذلك سقط حقها في السكنى، قال ابن الفرس: وإلى هذا ذهب مالك في المرأة إذا نشزت في العدة، الخامس: أنه النشوز قبل الطلاق، فإذا طلقها بسبب نشوزها فلا يكون عليه سكنى قاله قتادة. ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ المراد به الرجعة عند الجمهور؛ أي: أحصوا العدة وامثلوا ما أمرتم به لعل الله يحدث الرجعة لنسائكم، وقيل: المعنى لعل الله يحدث أمرا من نسخ هذه الأحكام؛ وهذا بعيد، وقيل: إن سبب الرجعة المذكورة في الآية تطبيق النبي صلى الله عليه وسلم لحفصة بنت عمر رضي الله عنها فأمره الله بمراجعتها. ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ يريد آخر العدة، والإمسك بالمعروف هو تحسين العشرة وتوفية النفقة، والفراق بالمعروف هو أداء الصداق والإمتاع حين الطلاق والوفاء بالشروط ونحو ذلك.

أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ  
بِهِ مَن كَانَ يَوْمِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِن  
حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ

﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ هذا خطاب للأزواج، والإشهاد المأمور به هو على الرجعة عند الجمهور، وقد اختلف فيه هل هو واجب أو مستحب على قولين في المذهب؟ وقال ابن عباس ؓ هو الشهادة على الطلاق وعلى الرجعة، وذلك أظهر؛ لأن الإشهاد يرفع الإشكال والنزاع، ولا فرق في هذا بين الرجعة والطلاق، وقد ذكرنا معنى العدالة في البقرة، وقوله "ذوي عدل منكم" يدل على أنها يشهد في الطلاق والنكاح الرجال دون النساء، وهو مذهب مالك خلافاً لمن أجاز شهادة النساء في ذلك، وقوله "منكم" يعني من المسلمين، وقيل: من الأحرار، فيؤخذ من ذلك رد شهادة العبيد وهو مذهب مالك. ﴿ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾ هذا خطاب للشهود، وإقامة الشهادة يحتمل أن يريد به القيام بها، فإذا استشهد وجب عليه أن يشهد وهو فرض كفاية، وإلى هذا المعنى أشار ابن الفرس، ويحتمل أن يريد إقامتها بالحق دون ميل ولا غرض، وبهذا فسره الزمخشري؛ وهو أظهر لقوله "له"، فهو كقوله: ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾. ﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ إشارة إلى ما تقدم من الأحكام. ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ قيل: إنها في الطلاق، ومعناها: من يتق الله فيطلق طلاقاً واحداً حسبما تقتضيه السنة يجعل له مخرجاً بجواز الرجعة متى ندم على الطلاق، وفي هذا المعنى روي عن ابن عباس ؓ أنه قال لمن طلق ثلاثاً: إنك لم تتق الله فبانت عنك امرأتك ولا أرى لك مخرجاً، أي: لا رجعة لك، وقيل: إنها على العموم؛ أي: من يتق الله في أقواله وأفعاله يجعل له مخرجاً من كرب الدنيا والآخرة، وقد روي أيضاً هذا عن ابن عباس ؓ وهذا أرجح لخمس أوجه؛ أحدها: حمل اللفظ على عمومه فيدخل في ذلك الطلاق وغيره، الثاني: أنه روي أنها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي ؓ؛ وذلك أنه أسر ولده وضيق عليه رزقه، فشكى ذلك إلى رسول الله ﷺ فأمره بالتقوى، فلم يلبث إلا يسيراً وانطلق ولده ووسع الله رزقه [تاريخ بغداد 8/196]، الثالث: أنه روي عن النبي ﷺ أنه قرأها فقال: «مخرجاً من شبهات الدنيا، ومن غمرات الموت، ومن شدائد يوم القيامة» [التعليق 9/336]، الرابع: روي أنه ﷺ قال: «إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم» ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ ﴾ الآية، فما زال يقرؤها ويعيدها [ابن ماجه: 4360]، الخامس: قوله ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ فإن هذا لا يناسب الطلاق وإنما يناسب التقوى على العموم، قال بعض العلماء: الرزق على نوعين؛ رزق مضمون لكل حي طول عمره، وهو الغذاء الذي تقوم به الحياة وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾، ورزق موعود للمتقين خاصة، وهو المذكور في هذه الآية. ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ أي: كافيه بحيث لا يحتاج معه إلى غيره، وقد تكلمنا على التوكل

إِنَّ اللَّهَ بَلَّغَ أَمْرَهُ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿١﴾ وَالَّتِي يُبَسِّنُ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ وَإِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ تَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ تَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٢﴾ ذَلِكَ أَمْرٌ اللَّهُ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ

في آل عمران. ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ أي: يبلغ ما يريد ولا يعجزه شيء، وهذا حض على التوكل وتأكيده؛ لأن العبد إذا تحقق أن الأمور كلها بيد الله توكل عليه وحده ولم يعول على سواه. ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ أي: مقداراً معلوماً ووقتاً محدوداً. ﴿وَاللَّائِي يَبَسِّنُ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ﴾ روي أنه لما نزل قوله: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ قالوا: يا رسول الله! فما عدة من لا قرء لها من صغر أو كبر؟ فنزلت هذه الآية معلمة أن المطلقة إذا كانت ممن لا تحيض فعدتها ثلاثة أشهر، فقوله "اللائي يبسن من المحيض" يعني التي انقطعت حيضتها لكبر سنها، وقوله: ﴿وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ يعني الصغيرة التي لم تبلغ المحيض، وهو معطوف على "اللائي يبسن" أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره: اللائي لم يحضن كذلك، وقوله ﴿إِنْ ارْتَبْتُمْ﴾ هو من الريب بمعنى الشك، وفي معناه قولان؛ أحدهما: إن ارتبتم في حكم عدتها فاعلموا أنها ثلاثة أشهر، والآخر: إن ارتبتم في حيضها هل انقطع أو لم ينقطع فهي على التأويل الأول في التي انقطعت حيضتها لكبرها حسبنا ذكرنا؛ وهو الصحيح، وهي على التأويل الثاني في المرتابة وهي التي غابت عنها الحيضة وهي في سن من تحيض، وقد اختلف العلماء في عدتها على ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنها ثلاثة أشهر خاصة حسبنا تقتضيه الآية على هذا التأويل، والآخر: أنها ثلاثة أشهر بعد تسعة أشهر تستبرئ بها أمد الحمل وهذا مذهب مالك وقدوته في ذلك عمر بن الخطاب ؓ، والثالث: أنها تعدد بالأقراء ولو بقيت ثلاثين سنة حتى تبلغ سن من لا تحيض وهو مذهب الشافعي وأبي حنيفة. ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ هذه الآية عند مالك والشافعي وأبي حنيفة وسائر العلماء في المطلقات والمتوفى عنهن، فمتى كانت إحداهن حاملاً فعدتها وضع حملها، وقال علي بن أبي طالب وابن عباس ؓ: إنما هذه الآية في المطلقات الحوامل فهن اللاتي عدتهن وضع حملهن، وأما المتوفى عنها إذا كانت حاملاً فعدتها عندهما أبعد الأجلين، إما الوضع أو انقضاء الأربعة الأشهر وعشراً، فحجة الجمهور حديث سبيعة الأسلمية ؓ أنها كانت تحت سعد بن خولة ؓ، فتوفي في حجة الوداع وهي حبلى، فلما وضعت خطبها أبو السنابل بن بعكك ؓ، فسألت رسول الله ﷺ فقال لها: «انكحي من شئت» [البخاري: 3770]، وروي أن ابن عباس ؓ رجع إلى هذا الحديث لما بلغه ولو بلغ علياً ؓ لرجع إليه، وقال عبد الله بن مسعود ؓ: إن هذه الآية التي نزلت في سورة النساء القصرى - يعني سورة الطلاق - نزلت بعد الآية التي في البقرة: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾، فهي مخصصة لها حسبنا قاله جمهور العلماء.

وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ۖ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿١﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ  
وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ  
حَمْلَهُنَّ ۖ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۗ وَاتَّمَرُوا بِبَيْنِكُمْ بِمَعْرُوفٍ ۗ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمُ  
فَسَتْرَضِعْ لَهُنَّ أُخْرَىٰ ﴿٢﴾

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ أمر الله بإسكان المطلقة طول العدة، فأما المطلقة غير المبتوتة فيجب لها على زوجها السكنى والنفقة باتفاق، وأما المبتوتة ففيها ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنه يجب لها السكنى دون النفقة وهو مذهب مالك والشافعي، والثاني: أنها يجب لها السكنى والنفقة وهو مذهب أبي حنيفة، والثالث: أنها ليس لها سكنى ولا نفقة؛ فحجة مالك حديث فاطمة بنت قيس ؓ؛ وهو أن زوجها طلقها البتة فقال لها رسول الله ﷺ: «ليس لك عليه نفقة» [مسلم: 1480]، فيؤخذ من هذا أن لها السكنى دون النفقة، وحجة من أوجب لها السكنى والنفقة قول عمر بن الخطاب ؓ: لا ندع آية من كتاب ربنا لقول امرأة فإني سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «لها السكنى والنفقة» [مسلم: 1480]، وحجة من لم يجعل لها سكنى ولا نفقة أن في بعض الروايات عنها أنها قالت: لم يجعل لي رسول الله ﷺ سكنى ولا نفقة [أبو داود: 2288]، وقوله "من حيث سكتتم" معناه: أسكنوهن مكانا من بعض مساكنكم، ف"من" للتبويض ويفسر ذلك قول قتادة: ومن لم يكن له إلا بيت واحد أسكنها في بعض جوانبه. ﴿مَنْ وَجَدَكُمْ﴾ الوجد هنا الطاقة والسعة في المال؛ فالمعنى: أسكنوهن مسكنا مما تقدرون عليه، وإعراجه عطف بيان لقوله "حيث سكتتم"، ويجوز في الوجد ضم الواو وفتحها وكسرها بمعنى واحد، والضم أكثر وأشهر. ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ اتفق العلماء على وجوب النفقة في العدة للمطلقة الحامل عملا بهذه الآية سواء كان الطلاق رجعيا أو بائنا، واتفقوا على أن المطلقة غير الحامل لها النفقة في العدة إذا كان الطلاق رجعيا، فإن كان بائنا اختلفوا في نفقتها حسبها ذكرناه، وأما المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملا فلا نفقة لها عند مالك والجمهور؛ لأنهم رأوا أن هذه الآية إنما هي في المطلقات، وقال قوم: لها النفقة في التركة. ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ المعنى: إن أرضع هؤلاء الزوجات المطلقات أولادكم فآتوهن أجره الرضاع؛ وهي النفقة وسائر المؤن حسبها ذكر في كتب الفقه. ﴿وَاتَّمَرُوا بِبَيْنِكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ هذا خطاب للرجال والنساء، والمعنى: أن يأمر كل واحد صاحبه بخير من المسامحة والرفق والإحسان، وقيل: معنى "اتمروا" تشاوروا ومنه: ﴿إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَتِمَّرُونَ بِكَ﴾. ﴿وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمُ فَسَتْرَضِعْ لَهُنَّ أُخْرَىٰ﴾ المعنى: إن تشططت الأم على الأب في أجره الرضاع وطلبت منه كثيرا، فلأب أن يسترضع لولده امرأة أخرى بما هو أرفق به إلا أن لا يقبل الطفل غير ثدي أمه، فتجبر حينئذ



لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ۗ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٦﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرِيْبَةٍ عَتَتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ۗ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيْدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٧﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيْدًا ۗ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿٩﴾ رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۗ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١٠﴾

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ

على إرضاعه بأجرة مثلها ومثل الزوج. ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ الآية، أمر بأن ينفق كل واحد على مقدار حاله ولا يكلف الزوج ما لا يطيق، ولا تضيق الزوجة بل يكون الحال معتدلاً، وفي الآية دليل على أن النفقة تختلف باختلاف أحوال الناس وهو مذهب مالك خلافاً لأبي حنيفة فإنه اعتبر الكفاية، ومن عجز عن نفقة امرأته فمذهب مالك والشافعي أنها تطلق عليه خلافاً لأبي حنيفة، وإن عجز عن الكسوة دون النفقة ففي التطلاق عليه قولان في المذهب. ﴿فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيْدًا﴾ أي: حاسبنا أهلها، قيل: يعني الحساب في الآخرة وكذلك العذاب المذكور بعده، وقيل: يعني في الدنيا؛ وهذا أرجح لأنه ذكر عذاب الآخرة بعد ذلك في قوله ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيْدًا﴾، ولأن قوله "حاسبناها" و"عذبناها" بلفظ الماضي فهو حقيقة فيما وقع مجاز فيما لم يقع، فمعنى "حاسبناها" أي: أخذناهم بجميع ذنوبهم ولم يغتفر لهم شيء من صغائرهم، والعذاب هو عقابهم في الدنيا، وال"نكر" هو الشديد الذي لم يعهد مثله. ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَّسُولًا﴾ الذكر هنا هو القرآن، والرسول هو محمد ﷺ، وإعراب "رسولاً" مفعول بفعل مضمرة تقديره: أرسل رسولاً، هذا الذي اختاره ابن عطية؛ وهو أظهر الأقوال، وقيل: إن الذكر والرسول معا يراد بهما القرآن، والرسول على هذا بمعنى الرسالة، وقيل: إنها يراد بهما القرآن على حذف مضاف تقديره: ذكر إذا رسول، وقيل: يراد بهما النبي ﷺ والذكر من أسماؤه؛ وهو ضعيف، وقيل "رسولاً" مفعول بالمصدر الذي هو الذكر، وقال الزمخشري: الرسول هو جبريل أبدل من الذكر؛ لأنه نزل به أو سمي "ذكراً" لكثرة ذكره لله؛ وهذا كله بعيد. ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ لا خلاف أن السموات سبع، وأما الأرض فاختلف فيها، فقيل: إنها سبع أرضين لظاهر

يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعَامُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٢﴾  
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ

هذه الآية، ولقوله ﷺ: «من غصب شبرا من أرض طوفه يوم القيامة من سبع أرضين» [مسلم: 1610]، وقيل: إنها هي واحدة، فقوله: "مثلهن" على القول الأول يعني به المائثة في العدد، وعلى القول الثاني يعني به المائثة في عظم الجرم وكثرة العمار وغير ذلك؛ والأول أرجح. ﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ يحتمل أن يريد بالأمر الوحي أو أحكام الله تعالى وتديبره لخلقها.

### سورة التحريم

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ في سبب نزولها روايتان؛ أحدهما: أن رسول الله ﷺ جاء يوما إلى بيت زوجته حفصة بنت عمر بن الخطاب ؓ، فوجدها قد مرت لزيارة أبيها، فبعث في جاريته مارية ؓ، فقال معها في البيت، فجاءت حفصة ؓ فقالت: يا رسول الله! ما كان في نسائك أهون عليك مني، أتفعل هذا في بيتي وعلى فراشي؟ فقال لها رسول الله ﷺ مترضيا لها: «أيرضيك أن أحرمها؟» قالت: نعم. فقال: «إني قد حرمتها» [ابن سعد 8/186]، والرواية الأخرى: أن رسول الله ﷺ كان يدخل على زوجته زينب بنت جحش ؓ فيشرب عندها عسلا، فاتفقت عائشة وحفصة وسودة بنت زمعة رضي الله عنهن على أن تقول له من دنا منها: أكلت مغاير - والمغاير صمغ العرْفُط وهو حلو كريحه الريح - ففعلن ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «لا، ولكنني شربت عسلا» فقلن له: جرسَتْ نحلة العرْفُط، فقال رسول الله ﷺ: «لا أشربه أبدا»، وكان يكره أن توجد منه رائحة كريهة، فدخل بعد ذلك على زينب ؓ فقالت: ألا أسقيك من ذلك العسل؟ فقال: «لا حاجة لي به» [البخاري: 4628]، فنزلت الآية عتابا له على أن ضيق على نفسه بتحريم الجارية أو تحريم العسل؛ والرواية الأولى أشهر وعليها تكلم الناس في فقه السورة، وقد خرج الرواية الثانية البخاري وغيره، ولتتكلم على فقه التحريم؛ فأما تحريم الطعام والمال وسائر الأشياء ما عدا النساء فلا يلزم ولا شيء عليه فيه عند مالك، وأوجب عليه أبو حنيفة الكفارة؛ وأما تحريم الأمة فإن نوى به العتق لزم، وإن لم ينو به ذلك لم يلزم وكان حكمه ما ذكرنا في الطعام، وأما تحريم الزوجة فاختلف الناس فيه على أقوال كثيرة، فقال أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وابن عباس وعائشة وغيرهم ؓ: «إنما يلزم فيه كفارة يمين، وقال مالك في المشهور عنه: هي ثلاث تطبيقات في المدخول بها، وينوى في غير المدخول بها فيحكم بما نوى من طلاقة أو اثنتين أو ثلاث، وقال ابن الماجشون: هي ثلاث في الوجهين، وروي عن مالك أنها طلاقة بائنة، وقيل: طلاقة رجعية. ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ أي: تطلب رضا أزواجك بتحريم ما أحل الله لك، يعني تحريمه للجارية ابتغاء رضا حفصة ؓ، وهذا يدل على أنها نزلت في تحريم الجارية، وأما تحريمه العسل فلم يقصد به رضا أزواجه وإنما تركه لرائحته.

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ ﴿٣﴾ الْخَبِيرُ ﴿٤﴾ إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴿٥﴾

﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ في هذا إشارة إلى أن الله غفر له ما عاتبه عليه من التحريم على أن عتابه في ذلك إنما كان كرامة له، وإنما وقع العتاب على تضييقه عليه الصلاة والسلام على نفسه وامتناعه مما كان له فيه أرب، وبئس ما قال الزمخشري في أن هذا كان منه زلة لأنه حرم ما أحل الله، وذلك قلة أدب على منصب النبوة. ﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ﴾ التحلة هي الكفارة، وأحال تعالى هنا على ما ذكر في سورة المائدة من صفتها، واختلف في المراد بها هنا؛ فأما على قول من قال: إن الآية نزلت في تحريم الجارية فاختلف في ذلك، فمن قال: إن التحريم يلزم فيه كفارة يمين استدلل بها، ومن قال: إن التحريم يلزم منه طلاق قال: إن الكفارة هنا إنما هي للحلف؛ لأن رسول الله ﷺ حلف وقال: «والله لا أطؤها أبدا»، وأما على القول بأن الآية نزلت في تحريم العسل فاختلف أيضا، فمن أوجب في تحريم الطعام كفارة قال: هذه الكفارة للتحريم، ومن قال: لا كفارة فيه قال إنما هذه الكفارة لأنه حلف ألا يشربه، وقيل: هي في يمينه عليه الصلاة والسلام أن لا يدخل على نسائه شهرا. ﴿ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى الولي الناصر أو بمعنى السيد الأعظم. ﴿ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا ﴾ اختلف في هذا الحديث على ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنه تحريم الجارية فإنه لما حرمها قال: «لا تخبري بذلك أحدا»، والآخر: أنه قال لحفصة: «إن أبا بكر وعمر يليان الأمر من بعدي» [الطبراني: 12640]، والثالث: أنه قوله: «شربت عسلا» والأول أشهر، و«بعض أزواجه» هي حفصة ؓ. ﴿ فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ﴾ كانت حفصة ؓ قد أخبرت عائشة ؓ بما أسر إليها رسول الله ﷺ من تحريم الجارية، فأخبر الله رسوله بذلك، فعاتب حفصة ؓ على إفشائها لسره وطلقها ثم أمره الله بمراجعتها فراجعها، وقيل: لم يطلقها، فقوله «نبأت به» حذف المفعول وهو عائشة ؓ، وقوله «أظهره الله عليه» أي: أطلعه على إخبارها به، وقيل: معناه أظهر الله عليه الحديث من الظهور، وقوله «عرف بعضه» أي: عاتب حفصة ؓ على بعضه «وأعرض عن بعض» حياء وتكرما؛ فإن من عادة الفضلاء التغافل عن الزلات والتقصير في العتاب، وقرئ «عَرَفَ» بالتخفيف من المعرفة. ﴿ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا ﴾ أي: لما أخبر النبي ﷺ حفصة ؓ بأنها قد أفشت سره ظنت أن عائشة ؓ هي التي أخبرته به، فقالت له: من أنبأك هذا؟ فلما أخبرها أن الله هو الذي أنبأه به سكتت وسلمت. ﴿ إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ هذا خطاب لعائشة وحفصة ؓ وتوبتهما مما جرى منهما في قصة تحريم الجارية أو العسل،

وَإِنْ تَظَاهَرَ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ  
ظَهِيرٌ ﴿١٠٠﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ زَوْجًا خَيْرًا مِمَّنْ مُسَلِّمَتٍ مُّؤْمِنَةٍ قَلْبَتْ  
تَبَيَّتْ عِبْدَاتٍ سَتِيحَتْ تَبَيَّتْ وَأَبْكَارًا ﴿١٠١﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ  
نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ

ومعنى "صغت" مالت عن الصواب، وقرأ ابن مسعود ؓ "زاغت"، والمعنى: إن تتوبا إلى الله فقد صدر  
منكما ما يوجب التوبة. ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾ المعنى: إن تعاونتا عليه ﷺ بها يسوؤه من  
إفراط الغيرة وإفشاء سره ونحو ذلك؛ فإن له من ينصره، و"مولاه" هنا يحتمل أن يكون بمعنى السيد الأعظم  
فيوقف على "مولاه" ويكون ﴿جِبْرِيلُ﴾ مبتدأ و ﴿ظَهِيرٌ﴾ خبره وخبر ما عطف عليه، ويحتمل أن يكون  
المولى هنا بمعنى الولي الناصر؛ فيكون "جبريل" معطوفا فيوصل مع ما قبله ويوقف على ﴿صَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ﴾،  
ويكون ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ مبتدأ و"ظهير" خبره؛ وهذا أظهر وأرجح لوجهين؛ أحدهما: أن معنى الناصر أليق  
بهذا الموضع، فإن ذلك كرامة للنبي ﷺ وتشريفا له، وأما إذا كان بمعنى السيد فذلك يشترك فيه النبي ﷺ  
مع غيره؛ لأن الله تعالى مولى جميع خلقه بهذا المعنى فليس في ذلك إظهار مزية له، الوجه الثاني: أنه ورد في  
الحديث الصحيح أنه لما وقع ذلك جاء عمر ؓ إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! ما يشق عليك من  
شأن النساء، فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل معك وأبو بكر معك وأنا معك، فنزلت الآية  
[مسلم: 1479] موافقة لقول عمر ؓ، فقوله معك يقتضي معنى النصر، "وصالح المؤمنين" اختلف هل هو  
مفرد أو جمع محذوف النون للإضافة؛ فعلى القول بأنه مفرد هو أبو بكر الصديق ؓ، وقيل: علي بن أبي طالب ؓ  
وعلى القول بأنه جمع فهو على العموم في كل صالح. ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ﴾ الآية، نصره للنبي ﷺ وروي  
أن عمر ؓ قال ذلك ونزل القرآن بموافقتة، ولقد قال عمر ؓ حينئذ للنبي ﷺ: والله يا رسول الله! لئن  
أمرتني بضرب عنق حفصة لضربت عنقها، وقد ذكرنا معنى الإسلام والإيمان والقنوت، والـ ﴿سَائِحَاتٍ﴾  
معناه: الصائمات قاله ابن عباس ؓ، وقد روي عن النبي ﷺ، وقيل: معناه مهاجرات، وقيل: ذاهبات إلى الله؛  
لأن أصل السياحة الذهاب في الأرض، وقوله: ﴿تَبَيَّتْ وَأَبْكَارًا﴾ قال بعضهم: المراد بالأبكار هنا مريم بنت  
عمران وآسية امرأة فرعون، فإن الله يزوج النبي ﷺ إياهما في الجنة؛ وهذا يفتقر إلى نقل صحيح، ودخلت الواو  
هنا للتقسيم ولو سقطت لاختل المعنى؛ لأن الثبوت والبكارة لا تجتمعان، وقد قال الكوفيون: هي واو الثمانية؛  
وذلك ضعيف. ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ أي: أطيعوا الله وأمروا أهلكم بطاعته لتقوا أنفسكم وأهليكم  
بطاعته من النار؛ فعبر بالمسبب وهو وقاية النار عن السبب وهو الطاعة. ﴿وَقُودُهَا﴾ ذكر في البقرة. ﴿مَلَائِكَةُ  
غِلَظٌ شِدَادٌ﴾ يعني زبانية النار؛ وغلظهم وشدتهم يحتمل أن يريد في أجرامهم أو في قساوة قلوبهم.

وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ ءَأَن يَكْفِرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ ءَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَتَأْتِيهِمُ النَّبِيُّ ءُ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِن عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا

﴿ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ قيل: إن هذا تأكيد لقوله ﴿ لَا يَعْصُونَ ﴾، وقيل: إن معنى "لا يعصون" امثال الأمر، ومعنى "يفعلون ما يؤمرون" جدهم ونشاطهم فيما يؤمرون به من عذاب الناس. ﴿ لَا تَعْتَدِرُوا الْيَوْمَ ﴾ يعني يوم القيامة، ويحتمل أن يكون هذا خطاب من الله للكفار أو خطاب من الملائكة. ﴿ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ قال عمر بن الخطاب ؓ: التوبة النصوح هي أن يتوب من الذنب ثم لا يعود إليه أبدا ولا يريد أن يعود، وقيل: معناه توبة خالصة، فهو من قولهم: غسل ناصح إذا خلص من الشمع، وقيل: هي أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت كتوبة الثلاثة الذين خلفوا، وقال الزمخشري: وصفت التوبة بالنصح على الإسناد المجازي، والنصح في الحقيقة صفة التائبين، وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم، وقد تكلمنا على التوبة في قوله: ﴿ وَتُوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ في النور. ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ ﴾ العامل في "يوم" يحتمل أن يكون ما قبله أو ما بعده أو محذوف تقديره: اذكر، والوقف والابتداء يختلف على ذلك. ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ يحتمل أن يكون معطوفا على "النبيء" أو مبتدأ وخبره بعده. ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَى ﴾ ذكر في الحديد. ﴿ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ ذكر في براءة. ﴿ امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ ﴾ قيل: اسم امرأة نوح والغة، واسم امرأة لوط والهة؛ وهذا يفتقر إلى صحة النقل. ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ قال ابن عباس ؓ: خانت امرأة نوح في أنها كانت تقول إنه مجنون، وخانت امرأة لوط بأنها كانت تخبر قومه بأضيافه إذا قدموا عليه؛ وكانت مع ذلك كافرتين، وقيل: خانتا بالزنا؛ وأنكر ابن عباس ؓ ذلك وقال: ما زنت امرأة نبي قط تنزيها من الله لهم عن هذا النقص، وضرب الله المثل بهاتين المرأتين للكفار الذين بينهم وبين الأنبياء وسائل كأنه يقول: لا يغني أحد عن أحد ولو كان أقرب الناس إليه كقرب امرأة نوح وامرأة لوط من أزواجهما، وقيل: هو مثل لأزواج النبي ﷺ فيما ذكر في أول السورة؛ وهذا باطل لأن الله إنما ضربه للذين كفروا،

لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا أَمْرَاتٌ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَخِجْتِي  
مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ، وَخِجْتِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي  
أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكَتَبَهُ، وَكَانَتْ  
مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿١٢﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾  
الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ ؕ أَيُّكُمْ ؕ أَحْسَنُ عَمَلًا ؕ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٢﴾

و﴿أَمْرَاتٌ فِرْعَوْنَ﴾ اسمها آسية وكانت قد آمنت بموسى عليه السلام فبلغ ذلك فرعون، فأمر بقتلها، فدعت  
بهذا الدعاء فقبض الله روحها، وروي في قصصها غير هذا مما يطول؛ وهو غير صحيح. ﴿مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾  
تعني كفره وظلمه، وقيل: مضاجعته لها؛ وهذا ضعيف. ﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ يعني الفرج الذي هو الجارحة،  
وإحصانها له هو صيانتها وعفتها عن كل مكروه، وقيل: يعني فرج ذرعها؛ وهذا ضعيف. ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ  
رُوحِنَا﴾ عبارة عن نفخ جبريل في فرجها فخلق الله فيه عيسى عليه السلام، وأضاف الله الروح إلى نفسه إضافة  
مخلوق إلى خالقه، وفي ذلك تشريف له. ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكَتَابِهِ﴾ "كلمات ربها" يحتمل أن يريد بها  
الكتب التي أنزل الله أو كلامه مع الملائكة وغيرهم، "وكتابه" بالتوحيد يحتمل أن يريد به التوراة أو الإنجيل  
أو جنس الكتب، وقرئ بالجمع يعني جميع كتب الله تعالى. ﴿مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ أي: من العابدين، فإن قيل: لم  
قال "من القانتين" بجمع المذكر وهي أنثى؟ فالجواب أن القنوت صفة تجمع الرجال والنساء فغلب الذكور.

### سورة الملك

ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه السورة كل ليلة إذا أخذ مضجعه، وأنه عليه الصلاة والسلام  
قال: «إنها تنجي من عذاب القبر» [الترمذي: 2890]. ﴿تَبَارَكَ﴾ فعل مشتق من البركة، وقيل: معناه تعظيم وهو  
مختص بالله تعالى ولم ينطق له بمضارع. ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ يعني ملك السموات والأرض والدنيا والآخرة،  
وقيل: يعني ملك الملوك في الدنيا فهو كقوله: ﴿مَالِكِ الْمُلْكِ﴾ والأول أعم وأعظم. ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾  
يعني موت الخلق وحياتهم، وقيل "الموت" الدنيا لأن أهلها يموتون، "والحياة" الآخرة لأنها باقية فهو كقوله  
﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ وهو على هذا وصف بالمصدر؛ والأول أظهر. ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ أي:  
ليختبركم، واختبار الله لعباده إنما هو لتقوم عليهم الحجة بما يصدر منهم، وقد كان الله عالما بما يفعلون قبل  
كونه، والمعنى: ليبلوكم فيجازيكم بما ظهر منكم. ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ روي أن رسول الله ﷺ قرأها

الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ  
 هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿١﴾ ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ  
 ﴿٢﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ

فقال: «أيكم أحسن عقلا وأشدكم لله خوفا، وأورع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله» [الخرات: 820]. ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ أي: بعضها فوق بعض، والطباق مصدر ووصفت به السموات أو على حذف مضاف تقديره: ذوات طباق، وقيل: إنه جمع طبقة. ﴿مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ﴾ أي: من قلة تناسب وخروج عن الإتقان، والمعنى: أن خلقة السموات في غاية الإتقان بحيث ليس فيها ما يعيبها من الزيادة والنقصان والاختلاف، وقيل: أراد خلقة جميع المخلوقات، ولا شك أن جميع المخلوقات متقنة ولكن تخصيص الآية بخلقة السموات أظهر لوروده بعد قوله "خلق سبع سموات طباقا"، فكأن قوله "ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت" بيان وتكميل لما قبله، والخطاب في قوله "ما ترى" و"ارجع البصر" وما بعده للنبي ﷺ أو لكل مخاطب ليعتبر. ﴿فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ الـ "فطور" الشقوق، جمع فطر وهو الشق، ورجع البصر ترديده في النظر، ومعنى الآية: الأمر بالنظر إلى السماء فلا يرى فيها شقاق ولا خلل بل هي ملتزمة مستوية. ﴿ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ أي: انظر نظرا بعد نظر للتثبت والتحقيق، وقال الزمخشري: في معنى التثنية في "كرتين" التكرير لا مرتين خاصة كقولهم: لبيك؛ فإن معناه إجابات كثيرة. ﴿يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ الخاسئ هو المبعد عن الشيء الذي طلبه، والحسير هو الكليل الذي أدركه التعب، فمعنى الآية: أنك إذا نظرت إلى السماء مرة بعد مرة لترى فيها شقاقا أو خلالا رجع بصرك ولم تر شيئا من ذلك، فكأنه خاسئ لأنه لم يحصل له ما طلب من رؤية الشقاق والخلل، وهو مع ذلك كليل من شدة النظر وكثرة التأمل. ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ "السماء الدنيا" هي القريبة منا، والـ "مصابيح" يراد بها النجوم؛ فإن كانت النجوم كلها في السماء الدنيا فلا إشكال، وإن كانت في غيرها من السموات فقد زينت السماء الدنيا لأنها ظاهرة فيها لنا، ويحتمل أن يريد أنه زين السماء الدنيا بالنجوم التي فيها دون التي في غيرها على أن القول بموضع الكواكب وفي أي سماء هي لم يرد في الشريعة. ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ أي: جعلنا منها رجوما؛ لأن الكواكب الثابتة ليست ترحم الشياطين فهو كقولك: أكرمت بني فلان إذا أكرمت بعضهم، والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرحم به، وقال الزمخشري: معنى كون النجوم رجوما للشياطين أن الشهب تنقض من النجوم لرحم الشياطين الذين يسترقون السمع من السماء؛ فالشهب الراجعة منفصلة من نار الكواكب لا أن الراجعة هي الكواكب بأنفسها لأنها ثابتة في الفلك، قال قتادة: خلق الله النجوم لثلاثة أشياء؛ زينة السماء ورجوم الشياطين وليهتدى بها في ظلمات البر والبحر.

وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَسِيسَ الْمَصِيرُ ﴿٢﴾  
 إِذَا الْقُورَاءُ فِيهَا سَمِعُواَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورٌ ﴿٣﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴿٤﴾ كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ  
 سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٥﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ  
 مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٦﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي  
 أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٧﴾ فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ  
 رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٩﴾ وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ وَأَوْ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ  
 بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ يعني للشياطين. ﴿سَمِعُواَهَا شَهيقًا﴾ الشهيق أقبح ما يكون من صوت  
 الحمار، ويعني به هنا ما يسمع من صوت جهنم لشدة غليانها وهولها أو شهيق أهلها؛ والأول أظهر. ﴿وَهِيَ  
 تَفُورٌ﴾ أي: تغلي بأهلها غليان القدر بما فيها. ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ أي: تكاد جهنم يفصل بعضها  
 من بعض لشدة غيظها على الكفار، فيحتمل أن تكون هي الممتاظة بنفسها، ويحتمل أن يريد غيظ الزبانية؛  
 والأول أظهر؛ لأن حال الزبانية يذكر بعد هذا، وغيظ النار يحتمل أن يكون حقيقة بإدراك مخلقه الله لها أو  
 يكون عبارة عن شدتها. ﴿كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ﴾ أي: كلما ألقى في جهنم جماعة من الكفار سألهم الزبانية  
 هل جاءكم "نذير"؟ أي: رسول وهذا السؤال على وجه التوبيخ وإقامة الحجة عليهم، ولذلك اعترفوا  
 فقالوا: ﴿بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾، وقوله "كلما" يقتضي أن يقال ذلك لكل جماعة تلقى في النار. ﴿إِنْ أَنْتُمْ  
 إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ يحتمل أن يكون من قول ملائكة النار أو من قول الكفار للرسول في الدنيا. ﴿وَقَالُوا﴾  
 الضمير للكفار، أي: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ كلام الرسول أو ﴿نَعْقِلُ﴾ الصواب ﴿مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.  
 ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾ اعترافهم هذا في وقت لا ينفعهم الاعتراف، و"ذنبهم" هنا يراد به تكذيب الرسول.  
 ﴿فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ انتصب "سحقا" بفعل مضمر على معنى الدعاء عليهم. ﴿بِالْغَيْبِ﴾ فيه  
 قولان؛ أحدهما: أن معناه وهم غائبون عن الناس ففي ذلك وصف لهم بالإخلاص، والآخر: أن الغيب ما  
 غاب عنهم من أمور الآخرة وغيرها على أن هذا القول إنما يحسن في قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾. ﴿وَأَسِرُوا  
 قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ﴾ المعنى: سواء جهرتم أو أسررتم فإن الله يعلم الجهر والسر. ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾  
 هذا برهان على أن الله يعلم كل شيء؛ لأن الخالق يعلم مخلوقاته، ويحتمل أن يكون "من خلق" فاعلا يراد  
 به الخالق، والمفعول محذوف تقديره: ألا يعلم الخالق خلقه، أو يكون "من خلق" مفعولا، والفاعل مضمر



الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۗ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿٥﴾ ءَامِنْتُمْ مِّن فِي السَّمَاءِ  
 أَن تَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿٦﴾ أَمْ آمِنْتُمْ مِّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ  
 حَاصِبًا ۗ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ۗ ﴿٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۗ ﴿٨﴾  
 أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتْ وَيَقْبِضْنَ ۗ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ ۗ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ  
 بَصِيرٌ ﴿٩﴾ أَمَّن هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ ۗ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا  
 فِي غُرُورٍ ﴿١٠﴾ أَمَّن هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ ۗ إِنِ آمَسَكَ رِزْقَهُ ۗ بَلْ لَّجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿١١﴾  
 أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ ۗ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢﴾  
 قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾

تقديره: ألا يعلم الله من خلق؛ والأول أرجح لأن "من خلق" إذا كان مفعولا اختص بمن يعقل، والمعنى  
 الأول يعم من يعقل ومن لا يعقل. ﴿الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ فعول هنا بمعنى مفعول، أي: مذلولة فهي كركوب  
 وحلوب. ﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ قال ابن عباس: هي الجبال، وقيل: الجوانب والنواحي، وقيل: الطرق،  
 والمعنى: تعديد النعمة في تسهيل المشي على الأرض، فاستعار لها الذل والمناكب تشبيها بالدواب. ﴿وَإِلَيْهِ  
 النُّشُورُ﴾ يعني البعث يوم القيامة. ﴿ءَامِنْتُمْ﴾ الآية، مقصودها التهديد والتخويف للكفار، وكذلك الآية  
 التي بعدها. ﴿تَمُورُ﴾ ذكر في الطور. ﴿حَاصِبًا﴾ يحتمل أن يريد حجارة أو ريحا شديدة. ﴿نَذِيرِ﴾ بمعنى  
 الإنذار، وكذلك ﴿نَكِيرِ﴾ بمعنى الإنكار. ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ﴾ تنبيه على الاعتبار  
 بطيران الطيور في الهواء من غير شيء يمسكها، و"صافات" جمع صافة، وهي التي تبسط جناحها لل طيران،  
 والقبض ضم الجناحين إلى الجنب، وعطف ﴿يَقْبِضْنَ﴾ على "صافات" لأن الفعل في معنى الاسم تقديره:  
 قابضات، فإن قيل: لم يقل قابضات على طريقة "صافات"؟ فالجواب: أن بسط الجناحين هو الأصل في  
 الطيران، كما أن مد الأطراف هو الأصل في السباحة، فذكر بصيغة اسم الفاعل لدوامه وكثرته، وأما قبضه  
 الجناحين فإنما يفعله الطير قليلا للاستراحة والاستعانة فذكره بلفظ الفعل لقلته. ﴿أَمَّن هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ  
 لَّكُمْ﴾ خطاب للكفار على وجه التوبيخ والتهديد وإقامة الحجة عليهم، ودخلت "أم" التي يراد بها الإنكار على  
 "من" فأدغمت فيها، وكذلك ﴿أَمَّن هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ﴾، والضمير في ﴿آمَسَكَ﴾ لله، أي: من يرزقكم إن  
 منع الله رزقه. ﴿بَلْ لَّجُوا فِي غُرُورٍ﴾ أي: تمادوا في العتو والنفور عن الإيمان. ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ الآية،

قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١١﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُهُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿١٤﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِن عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ عَامِنًا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْمُونَ مَن هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴿١٧﴾

توقيف على الحالتين أيها أهدي، والمراد بها توبيخ الكفار، وفي معناها قولان؛ أحدهما: أن المشي هنا استعارة في سلوك طريق الهدى والضلال في الدنيا، والآخر: أنه حقيقة في المشي في الآخرة؛ لأن الكافر يُحمل إلى جهنم على وجهه؛ فأما على القول الأول فقيل: إن الذي يمشي مكبا أبو جهل والذي يمشي سويا محمد ﷺ، وقيل: حمزة ؓ، وقيل: هي على العموم في كل مؤمن وكافر، وقد تمثي هذه الأقوال أيضا على القول الثاني، والمكب هو الذي يقع على وجهه، يقال: أكب الرجل وكبه غيره، فالمتعدي دون همزة والقاصر بالهمزة بخلاف سائر الأفعال. ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ ﴾ الضمير للكفار، و"الوعد" يراد به البعث أو عذابهم في الدنيا. ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ ﴾ ضمير الفاعل للكفار، وضمير المفعول للعذاب الذي يتضمنه الوعد. ﴿ زُلْفَةً ﴾ أي: قريبا، وقيل: عيانا. ﴿ سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي: ظهر فيها السوء لما حل بهم. ﴿ وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴾ تفتعلون من الدعاء، أي: تطلبون وتستعجلون به، والقائلون بذلك الملائكة أو يقال لهم بلسان الحال. ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ ﴾ الآية، سببها أن الكفار كانوا يتمنون هلاك النبي ﷺ والمسلمين، فأمره الله أن يقول لهم "إن أهلكني الله" وأهلك ﴿ مَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمْنَا ﴾ فإنكم لا تنجون من العذاب الأليم على كل حال، والهلاك هنا يحتمل أن يريد به الموت أو غيره، ومعنى ﴿ مَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ ﴾ من يمنعهم من العذاب. ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ الآية، احتجاج على المشركين، والغور مصدر وصف به فهو بمعنى غير، أي: ذاهب في الأرض، والـ ﴿ مَّعِينٍ ﴾ الكثير، واختلف؛ هل وزنه فعيل أو مفعول؟ فالمعنى: إن غار ماؤكم الذي تشربون فهل يأتيكم إله غير الله بقاء معين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿٢﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٤﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٦﴾ بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ ﴿٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٨﴾

## سورة ن والقلم

﴿ن﴾ حرف من حروف الهجاء، وقد تقدم الكلام عليها في البقرة، ويختص "ن" بأنه قيل: إنه حرف من الرحمن؛ فإن حروف الرحمن: ﴿الر﴾ و﴿حم﴾ و﴿ن﴾، وقيل: إن نون هنا يراد به الحوت، وزعموا أنه الحوت الأعظم الذي عليه الأرضون السبعة؛ وهذا لا يصح، على أن النون بمعنى الحوت معروف في اللغة ومنه ذو النون، وقيل: إن نون هنا يراد به الدواة؛ وهذا غير معروف في اللغة، ويبتل قول من قال إنه الحوت أو الدواة؛ بأنه لو كان كذلك لكان معربا بالرفع أو النصب أو الخفض وكان في آخره تنوين، فكونه موقوفا دليل على أنه حرف هجاء نحو ﴿الر﴾ وغيره من حروف الهجاء الموقوفة. ﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ اختلف فيه على قولين؛ أحدهما: أنه القلم الذي كتب به اللوح المحفوظ؛ فالضمير في "يسطرون" للملائكة، والآخر: أنه القلم المعروف عند الناس أقسم الله به لما فيه من المنافع والحكم، والضمير في "يسطرون" على هذا لبني آدم. ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ هذا جواب القسم، وهو خطاب لمحمد ﷺ معناه: نفي ما نسبته الكفار له من الجنون، و"بنعمة ربك" اعتراض بين "ما" وخبرها، كما تقول: أنت بحمد الله فاضل، والمجرور في موضع الحال، وقال الزمخشري: إن العامل فيه "بمجنون". ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ ذكر في فصلت. ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذا ثناء على خلق النبي ﷺ، قالت عائشة ؓ: كان خلق رسول الله ﷺ القرآن [مسلم: 746]، تعني التأدب بأدابه وامتثال أوامره، وعبر ابن عباس ؓ عن الـ"خلق" بالدين والشرع، وذلك رأس الخلق، وتفصيل ذلك؛ أن رسول الله ﷺ جمع كل فضيلة، وحاز كل خصلة جميلة؛ فمن ذلك شرف النسب ووفور العقل وصحة الفهم وكثرة العلم وكثرة العبادة وشدة الحياء والسخاء والصدق والشجاعة والصبر والشكر والمروءة والتؤدة والاقتماد والزهد والتواضع والشفقة والعدل والعفو وكظم الغيظ وصلة الرحم وحسن المعاشرة وحسن التدبير وفصاحة اللسان وقوة الحواس وحسن الصورة، وغير ذلك حسبما ورد في أخباره وسيره ﷺ؛ ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» [البيهقي: 20571]، وقال الجنيد: سمي خلقه عظيما لأنه لم تكن له همة سوى الله تعالى. ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ﴾ قيل: إن "المفتون" هنا بمعنى المجنون، ويحتمل غير ذلك من معاني الفتنة، والخطاب في قوله "فستبصر" للنبي ﷺ، وفي قوله "ويبصرون" لكفار قريش، واختلف في الباء التي في قوله "بأيكم" على أربعة أقوال؛ الأول: أنها زائدة، الثاني: أنها غير زائدة، والمعنى: بأيكم الفتنة فأوقع "المفتون" موقع الفتنة كقولهم: ماله معقول؛ أي: عقل، الثالث: أن

فَلَا تُطْعِ الْمُكْذِبِيْنَ ﴿١٠٦﴾ وَدُوًّا لَوْ تَدُهْنُ فَيُدْهِنُوْنَ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلْفٍ مَّهِيْنٍ ﴿١٠٨﴾  
 هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بِنَمِيْمٍ ﴿١٠٩﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيْمٍ ﴿١١٠﴾ عَتْلٌ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيْمٍ ﴿١١١﴾ اَنْ كَانَ  
 ذَا مَالٍ وَبَنِيْنَ ﴿١١٢﴾ إِذَا تَبَلَّى عَلَيْهِ ءَايَتُنَا قَالِ اسْطِطِرُّ الْاَوَّلِيْنَ ﴿١١٣﴾ سَنَسِيْمُهُ عَلٰى  
 الْخُرْطُوْمِ ﴿١١٤﴾

الباء بمعنى في، والمعنى: في أي فريق منكم المفتون؛ واستحسن ابن عطية هذا، الرابع: أن المعنى بأيكم فتنة المفتون ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه. ﴿ وَدُوًّا لَوْ تَدُهْنُ فَيُدْهِنُوْنَ ﴾ المداهنة هي الملاينة والمداراة فيما لا ينبغي، وروي أن الكفار قالوا للنبي ﷺ: لو عبدت آلهتنا لعبدنا إلهك فنزلت الآية، ولم ينتصب "فيدهنون" في جواب التمني بل رفعه بالعطف على "تدهن" قاله ابن عطية، وقال الزمخشري: هو خبر مبتدأ محذوف تقديره: فهم مدهنون. ﴿ حَلْفٍ ﴾ كثير الحلف في الحق والباطل. ﴿ مَّهِيْنٍ ﴾ هو الضعيف الرأي والعقل، قال ابن عطية: هو من مهن إذا ضعف؛ فالميم فاء الفعل، وقال الزمخشري: هو من المهانة وهي الذلة والحقارة، وقال ابن عباس ؓ: الـ"مهين" الكذاب. ﴿ هَمَّازٍ ﴾ هو الذي يعيب الناس. ﴿ مَّشَاءٍ بِنَمِيْمٍ ﴾ أي: كثير المشي بالنميمة، يقال: نميم ونميمة بمعنى واحد قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة نمام» [مسلم: 105]. ﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ ﴾ أي: شحيح، لأن "الخير" هنا هو المال، وقيل: معناه مناع من الخير؛ أي: يمنع الناس من الإسلام والعمل الصالح. ﴿ مُعْتَدٍ ﴾ من العدوان وهو الظلم. ﴿ أَثِيْمٍ ﴾ من الإثم، وهو ارتكاب المحرمات. ﴿ عَتْلٌ ﴾ أي: غليظ الجسم قاسي القلب بعيد الفهم كثير الجهل. ﴿ زَنِيْمٍ ﴾ أي: ولد زنا، وقيل: هو الذي في عنقه زنمة كزنمة الشاة التي تتعلق في عنقها، وقيل: معناه مريب قبيح الأفعال، وقيل: ظلوم، وقيل: لثيم، وقوله ﴿ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: بعد ما ذكرنا من عيوبه فهذا الترتيب في الوصف لا في الزمان، واختلف في الموصوف بهذه الأوصاف الذميمة، فقيل: لم يقصد بها شخص معين بل كل من اتصف بها، وقيل: المقصود بها الوليد بن المغيرة؛ لأنه وصفه بأنه ذو مال وبنين وكان كذلك، وقيل: أبو جهل، وقيل: الأخنس بن شريق، ويؤيد هذا أنه كانت له زنمة في عنقه، قال ابن عباس ؓ: عرفناه بزنمته وكان أيضا من ثقيف ويعد في بني زهرة، فيصح وصفه بـ"زنيمة" على القولين، وقيل: الأسود بن عبد يغوث. ﴿ اَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِيْنَ ﴾ في موضع مفعول من أجله متعلق بقوله "لا تطع" أي: لا تطعه بسبب كثرة ماله وبنيه، ويجوز أن يتعلق بما بعده، والمعنى على هذا أنه قال في القرآن أساطير الأولين لأنه ذو مال وبنين يتكبر بهاله وبنيه، والعامل في "ان كان" على هذا فعل من المعنى، ولا يجوز أن يعمل فيه ﴿ قَالَ ﴾ الذي هو جواب "إذ" لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله؛ والأول أظهر وقد تقدم معنى ﴿ اَسْطِطِرُّ الْاَوَّلِيْنَ ﴾. ﴿ سَنَسِيْمُهُ عَلٰى الْخُرْطُوْمِ ﴾ أصل "الخرطوم" أنف السبع ثم استعير للإنسان استخفافا به وتقبیحا له، والمعنى: نجعل له سمة وهي العلامة على خرطوم، واختلف في هذه السمة، فقيل:

إِنَّا بَلَوْتَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿٧﴾ وَلَا يَسْتَنْتُونَ ﴿٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿١٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿١١﴾ أَنْ ائْتَدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَارِمِينَ ﴿١٢﴾ فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ﴿١٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿١٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿١٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَصَّالُونَ ﴿١٦﴾

هي الضربة بالسيف يوم بدر، وقيل: علامة من نار تُجعل على أنفه في جهنم، وقيل: علامة تجعل على أنفه يوم القيامة ليعرف بها. ﴿إِنَّا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ أي: بلونا قريشا كما بلونا أصحاب الجنة، وكانوا إخوة من بني إسرائيل لهم جنة، روي أنها بمقربة من صنعاء، فحلفوا أن لا يعطوا مسكينا منها شيئا وباتوا عازمين على ذلك، فأرسل الله على جنتهم طائفا من نار فأحرقها، فلما أصبحوا إلى جنتهم لم يروها فحسبوا أنهم أخطؤوا الطريق، ثم تبينوا فعرفوها، وعلموا أن الله عاقبهم فيها بما قالوا فندموا وتابوا إلى الله، ووجه تشبيه قريش بأصحاب الجنة أن الله أنعم على قريش ببعث محمد ﷺ كما أنعم على أصحاب الجنة بالجنة؛ فكفر هؤلاء بهذه النعمة كما فعل أولئك فعاقبهم الله كما عاقبهم، وقيل: شبه قريشا لما أصابهم الجوع بشدة القحط حين دعا عليهم رسول الله ﷺ بأصحاب الجنة لما هلكت جنتهم. ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ أي: حلفوا أن يقطعوا غلة جنتهم عند الصباح، وكانت الغلة ثمرا. ﴿وَلَا يَسْتَنْتُونَ﴾ في معناه ثلاثة أقوال؛ أحدها: لم يقولوا إن شاء الله حين حلفوا ليعصمونها، والآخر: لا يستنتون شيئا من ثمرها إلا أخذوه لأنفسهم، والثالث: لا يتوقفون في رأيهم ولا ينتهوا عنه، أي: لا يرجعون عنه. ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ﴾ قال الفراء: الطائف الأمر الذي يأتي بالليل. ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ فيه أربعة أقوال؛ الأول: أصبحت كالليل لأنها اسودت لما أصابها، و"الصريم" في اللغة الليل، الثاني: أصبحت كالنهار لأنها ابيضت كالحصيد، ويقال: صريم الليل والنهار، الثالث: أن "الصريم" الرماد الأسود بلغة بعض العرب، الرابع: أصبحت كالمصرومة؛ أي: المقطوعة. ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾ أي: نادى بعضهم بعضا حين أصبحوا وقال بعضهم لبعض. ﴿اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ أي: جنتكم. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ﴾ لها؛ أي: حاصدين لثمرها. ﴿يَتَخَفَتُونَ﴾ يكلم بعضهم بعضا في السر، ويقولون ﴿لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾، و"أن" في قوله "أن اغدوا" و"أن لا يدخلها" حرف عبارة وتفسير. ﴿وَعَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ في الـ"حرد" أربعة أقوال؛ الأول: أنه المنع، الثاني: أنه القصد، الثالث: أنه الغضب، الرابع: أن الـ"حرد" اسم علم للجنة، و"قادرين" يحتمل أن يكون من القدرة؛ أي: قادرين في زعمهم أو من التقدير بمعنى التضييق، أي: ضيقوا على المساكين. ﴿إِنَّا لَصَّالُونَ﴾ أي: أخطأنا طريق الجنة،

بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿١﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَوُمُونَ ﴿٤﴾ قَالُوا يَلْوِيلَنَّا إِنَّا كُنَّا طَافِينَ ﴿٥﴾ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا حَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٦﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٩﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٠﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿١١﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿١٢﴾ أَمْ لَكُمْ ءَأَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿١٣﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿١٤﴾

قالوا ذلك لما يعرفوها فلما عرفوها وراوا ما أصابها قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي: حرماننا الله خيرها. ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أي: خيرهم وأفضلهم، ومنه ﴿أُمَّةٌ وَسَطًا﴾ أي: خيارا. ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ أي: تقولون سبحان الله، وقيل: هو عبارة عن طاعة الله وتعظيمه، وقيل: أراد الاستثناء في اليمين بقولهم: إن شاء الله؛ والأول أظهر لقولهم بعد ذلك: ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾، والمعنى: أن هذا الذي هو أفضلهم قد كان حضهم على التسبيح. ﴿يَتْلَوُمُونَ﴾ أي: يلوم بعضهم بعضا على ما كانوا عزموا عليه من منع المساكين، أو على غفلتهم عن التسبيح بدليل قوله "ألم أقل لكم لولا تسبحون". ﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا حَيْرًا مِّنْهَا﴾ يحتمل أن طلبوا البديل في الدنيا أو في الآخرة، والأول أرجح؛ لأنه روي عن ابن مسعود ؓ أن الله أبدلهم جنة يحمل البغل منها عنقودا. ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾ أي: مثل هذا العذاب الذي نزل بأهل الجنة ينزل بقريش. ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ الهمة للإنكار، أي: كيف يسوي الله بين المسلمين والمجرمين بل يجازي كل أحد بعمله، والمراد ب"المجرمين" هنا الكفار. ﴿مَا لَكُمْ﴾ توبيخ للكفار، و"ما" مبتدأ و"لكم" خبره وتم الكلام هنا فينبغي أن يوقف عليه. ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ توبيخ آخر، أي: كيف تحكمون بأهوائكم وتقولون ما ليس لكم به علم؟. ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ هذه الجملة معمول ﴿تَدْرُسُونَ﴾، وكان أصل "إن" الفتح وكسرت لأجل اللام التي في خبرها، و"تخيرون" معناها: تختارون لأنفسكم، ومعنى الآية: هل لكم كتاب من عند الله تدرسون فيه أن لكم ما تختارونه لأنفسكم؟. ﴿أَمْ لَكُمْ ءَأَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ المعنى: هل حلفنا لكم أيانا أن لكم ما تحكمون، ومعنى "بالغة" ثابتة واصله إلى يوم القيامة، وقوله "إن لكم" جواب القسم الذي يقتضيه الأيمان؛ ولذلك أكده ب"إن" واللام، و"ما تحكمون" هو اسم "إن" دخلت عليه اللام المؤكدة. ﴿سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ أي: يا محمد! اسأل قريشا أيهم زعيم بهذه

أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلَيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ وَإِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿١١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ  
 إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿١٢﴾ خَشَعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى  
 السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ ﴿١٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ  
 لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ  
 ﴿١٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ

الأمور، وال"زعيم" هو الضامن للأمر القائم به. ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلَيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾ هذا تعجيز للكفار،  
 ومعناه: إن كان لكم شركاء يقدرتون على شيء فأتوا بهم، واختلف هل قوله فأتوا بهم في الدنيا، أي: أحضروهم  
 حتى يرى حالهم، أو هل يقال لهم ذلك يوم القيامة؟ والشركاء هم المعبودون من الأصنام وغيرها، وقال  
 الزمخشري: معناه أم لكم ناس يشاركونكم في هذا القول ويوافقونكم عليه فأتوا بهم، يعني أنهم لا يوافقهم  
 أحد عليه؛ والأول أظهر. ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال المتأولون: ذلك عبارة عن هول يوم القيامة وشدته،  
 وفي الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ينادي مناد يوم القيامة: ليتبع كل أمة ما كانت تعبد؛ فيتبع  
 الشمس من كان يعبد الشمس، ويتبع القمر من كان يعبد القمر، ويتبع كل أحد ما كان يعبد، ثم تبقى هذه الأمة  
 وغبرات من أهل الكتاب معهم منافقوهم فيقال لهم: ما شأنكم؟ فيقولون: نتنظر ربنا، قال: فيجيئهم الله في غير  
 الصورة التي عرفوه فيقول: أنا ربكم! فيقولون: نعوذ بالله منك! قال: فيقول: أتعرفونه بعلامة ترونها؟ فيقولون:  
 نعم، فيكشف لهم عن ساق، فيقولون: نعم أنت ربنا ويخرون للسجود، فيسجد كل مؤمن وترجع أصلاب  
 المنافقين عظاما واحدا فلا يستطيعون سجودا» [البخاري: 6204]، وتأويل الحديث كتأويل الآية. ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى  
 السُّجُودِ﴾ تفسيره في الحديث الذي ذكرنا، فإن قيل: كيف يدعون في الآخرة إلى السجود وليست الآخرة دار  
 تكليف؟ فالجواب: أنهم يدعون إليه على وجه التوبيخ لهم على تركهم السجود لله في الدنيا لا على وجه  
 التكليف والعبادة. ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ أي: قد كانوا يدعون في الدنيا إلى السجود  
 فيمتنعون منه وهم سالمون في أعضائهم قادرين عليه. ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ تهديد للمكذبين  
 بالقرآن، وإعراب "من يكذب" مفعول معه أو معطوف، وقد ذكرنا في الأعراف: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ وما بعده.  
 ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ معناه: أنت لا تسألهم أجره على الإسلام فتثقل عليهم فلا عذر لهم في تركهم الإسلام،  
 وقد فسرنا هذا وما بعده في الطور. ﴿فَأَصْبِرْ﴾ يقتضي مسالمة للكفار نسخت بالسيف. ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ  
 الْحُوتِ﴾ هو يونس عليه السلام، وسماه صاحب الحوت لأن الحوت ابتلعه، وهو أيضا ذو النون والنون هو  
 الحوت، وقد ذكرنا قصته في الأنبياء والصفات، فنهى الله محمدا ﷺ أن يكون مثله في الضجر والاستعجال

إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿١٨﴾ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُہُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّہٖ لَنُبَذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿١٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّہٗ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّہٗ لَمَجْنُونٌ ﴿٢١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾

حتى ذهب مغاضبا، وروي أن هذه الآية نزلت لما هم النبي ﷺ أن يدعو على الكفار. ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ هذا آخر ما جرى ليونس ونداؤه هو قوله في بطن الحوت: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، والـ"مكظوم" الشديد الحزن. ﴿لَنُبَذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ هذا جواب "لولا"، والمنفي هو الذم لا نبذ بالعراء فإنه قد قال في الصافات: ﴿فَتَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ﴾، فالمعنى: لولا رحمة الله لنبذ بالعراء وهو مذموم لكنه نبذ بالعراء وهو غير مذموم، وقد ذكرنا "العراء" في الصافات. ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ﴾ عبارة عن شدة عداوتهم، و"إن" مخففة من الثقيلة بدليل دخول اللام، و"ليزلقونك" معناه: يهلكونك كقولك: نظر فلان إلى عدوه نظرا كاد يصرعه، وأصله من زلق القدم، وقرئ بفتح الياء وضمها وهما لغتان، وقيل: إن المعنى يأخذونه بالعين، وكان ذلك في بني أسد، كان الرجل منهم يجوع ثلاثة أيام فلا يتكلم على شيء إلا أصابه بالعين، فأراد بعضهم أن يصيب النبي ﷺ فعصمه الله من ذلك، وقال الحسن: دواء الإصابة بالعين قراءة هذه الآية. ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ يعني القرآن هو موعظة وتذكير للخلق.

#### سورة الحاققة

﴿الْحَاقَّةُ﴾ هي القيامة، ووزنها فاعلة، وسميت "الحاققة" لأنها تحقق؛ أي: يصح وجودها ولا ريب في وقوعها، أو لأنها حقت لكل أحد جزاء عمله، أو لأنها تبدي حقائق الأمور. ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ "ما" استفهامية يراد بها التعظيم، وهي مبتدأ وخبرها ما بعده، والجملة خبر "الحاققة"، وكان الأصل الحاققة ما هي، ثم وضع الظاهر موضع المضمر زيادة في التعظيم والتهويل، وكذلك: ﴿مَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ لفظه الاستفهام والمراد به التعظيم والتهويل. ﴿بِالْقَارِعَةِ﴾ هي القيامة، سميت بذلك لأنها تفرع القلوب بأهوالها. ﴿بِالطَّاغِيَةِ﴾ يعني الصيحة التي أخذت ثمود، وسميت بذلك لأنها جاوزت الحد في الشدة، وقيل "الطاغية" مصدر، فكأنه قال: أهلكوا بطغيانهم، فهو كقوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾، وقيل: هي صفة لمحذوف تقديره: أهلكوا بسبب الفعلة الطاغية أو الفعلة الطاغية، والباء على هذين القولين سببية، وعلى القول الأول كقولك: قتلت زيدا بالسيف.



وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿١٠﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ  
حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿١١﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ  
بَاقِيَةٍ ﴿١٢﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿١٣﴾ فَعَصُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ  
فَآخَذَهُمْ وَاحِدَةً رَابِيَةً ﴿١٤﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١٥﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ  
تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَّاعِيَةٌ ﴿١٦﴾

﴿ بَرِيحِ صَرْصَرٍ ﴾ ذكر في فصلت. ﴿ عَاتِيَةٍ ﴾ أي: شديدة، وسميت بذلك لأنها عتت على عاد، وقيل: عتت على  
خزائنها فخرجت بغير إذنه. ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ ﴾ روي أنها بدأت صبيحة يوم الأربعاء لثمان بقين من  
شوال وتمادت بهم إلى آخر يوم الأربعاء تكملة الشهر. ﴿ حُسُومًا ﴾ قال ابن عباس ؓ: معناه كاملة متتابعة لم  
يتخللها غير ذلك، وقيل: معناه شؤما ونحسا، وقيل: هو جمع حاسم من الحسم وهو القطع؛ أي: قطعهم  
بالإهلاك، ف"حسوما" على القولين الأولين مصدر في موضع الحال، وعلى الثالث حال أو مفعول من أجله.  
﴿ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى ﴾ جمع صريع وهو المطروح بالأرض، والضمير المجرور يعود على منازلهم؛ لأن  
المعنى يقتضيها وإن لم يتقدم ذكرها، أو على الأيام والليالي، أو على الريح. ﴿ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ تقدم في  
القمر معنى تشبيهم بأعجاز النخل، والخواوية هي التي خلت من طول بلاها وفسادها. ﴿ مِّنْ بَاقِيَةٍ ﴾ أي: من  
بقية، وقيل: من فئة باقية، وقيل: إنها مصدر بمعنى البقاء. ﴿ وَمَنْ قَبْلَهُ ﴾ يريد من تقدم قبله من الأمم الكافرة،  
وأقربهم إليه قوم شعيب، والظاهر أنهم المراد؛ لأن عادا وثمود قد ذكرا، وقوم لوط هم: ﴿ الْمُؤْتَفِكَاتُ ﴾، وقوم  
نوح قد أشير إليهم في قوله "لما طغى الماء حملناكم في الجارية"، وقرئ "قَبْلَهُ" بكسر القاف وفتح الباء، ومعناه: جنده  
وأتباعه. ﴿ بِالْخَاطِئَةِ ﴾ إما أن تكون مصدرا بمعنى الخطيئة أو صفة لمحذوف تقديره: بالفعلة الخاطئة. ﴿ فَعَصُوا  
رَسُولَ رَبِّهِمْ ﴾ إن عاد الضمير على "فرعون وقومه" فال"رسول" موسى عليه السلام، وإن عاد على "الموتفكات"  
فال"رسول" لوط عليه السلام، وإن عاد على الجميع فال"رسول" اسم جنس أو بمعنى الرسالة. ﴿ رَابِيَةً ﴾ أي:  
عظيمة، وهي من قولك: ربا الشيء إذا كثر. ﴿ طَغَى الْمَاءُ ﴾ عبارة عن كثرته؛ فيحتمل أن يريد أنه طغى على أهل  
الأرض أو على خزانه يعني وقت طوفان نوح عليه السلام. ﴿ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴾ هي السفينة، فإن أراد سفينة  
نوح فمعنى "حملناكم": حملنا آباءكم؛ لأن كل من على الأرض من ذرية نوح وأولاده الثلاثة الذين كانوا معه في  
السفينة، وإن أراد جنس السفن فالخطاب على حقيقته، ﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً ﴾ الضمير للفعلة وهي الحمل في  
السفينة، وقيل للسفينة، فإن أراد جنس السفن فالمعنى: أنها تذكرة بقدرة الله ونعمته لمن ركبها أو سمع بها، وإن  
أراد سفينة نوح فقد قيل: إن الله أبقاها حتى رأى بعض عيادتها أوائل هذه الأمة. ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَّاعِيَةٌ ﴾

فَإِذَا تُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْحَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾  
 فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَى  
 أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ  
 خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أَوْتَرَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ ﴿١٩﴾

الضمير يعود على ما عاد عليه ضمير "لنجعلها" وهذا يقوي أن يكون للفعلة، والأذن الواعية هي التي تفهم ما تسمع وتحفظه، يقال: وعيت العلم إذا حصلت، ولذلك عبر بعضهم عنها بأنها التي عقلت عن الله، وروي أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب ؑ: «إني دعوت الله أن يجعلها أذنك يا علي» قال علي ؑ: فما نسيت بعد ذلك شيئاً سمعته [المعركة: 328]، قال الزمخشري: إنها قال "أذن واعية" بالتوحيد والتنكير للدلالة على قلة الوعاة ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم، وللدلالة على أن الأذن الواحدة إذا عقلت عن الله تعالى فهي المعتبرة عند الله دون غيرها. ﴿نَفْحَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ يعني نفخة الصعق؛ وهي الأولى. ﴿فَدُكَّتَا﴾ الضمير للأرض والجبال، ومعنى "دكتا" ضرب بعضها ببعض حتى تندق، قال الزمخشري: والدك أبلغ من الدق، وقيل: معناه بسطت حتى تستوي الأرض والجبال. ﴿وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ أي: قامت القيامة، وقيل: وقعت صخرة بيت المقدس؛ وهذا ضعيف. ﴿وَاهِيَةٌ﴾ أي: مسترخية ساقطة القوة، ومنه قولهم: دار واهية؛ أي: ضعيفة الجدران. ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ "الملك" هنا اسم جنس، والأرجاء الجوانب واحداً رجاً مقصور، والضمير يعود على "السماء"، والمعنى: أن الملائكة يكونون يوم القيامة على جوانب السماء؛ لأنها إذا هت وقفوا على أطرافها، وقيل: يعود على الأرض؛ لأن المعنى يقتضيه وإن لم يتقدم ذكرها، وروي في ذلك أن الله يأمر الملائكة فتقف صفوفاً على جوانب الأرض؛ والأول أظهر وأشهر. ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ﴾ قال ابن عباس ؑ: هي ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم أحد عدتهم، وقيل: ثمانية أملاك رؤوسهم عند العرش وأرجلهم تحت الأرض السابعة؛ ويؤيد هذا ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «هم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة قواهم الله بأربعة سواهم» [الطبري 59/29]. ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ خطاب لجميع العالم، والعرض: البعث أو الحساب. ﴿خَافِيَةٌ﴾ أي: حال خافية من الأعمال والسرائر، ويحتمل أن المعنى لا يخفى من أجسادكم شيء لأنهم يحشرون حفاة عراة. ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْتَرَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ الكتاب هنا صحائف الأعمال. ﴿هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ﴾ "هاؤم" اسم فعل، قال ابن عطية: معناه تعالوا، وقال الزمخشري: هو صوت يفهم منه معنى خذوا، "كتابه" مفعول يطلبه "هاؤم"، و"اقرأوا" من طريق المعنى تقديره: هاؤم كتابي اقرأوا كتابي، ثم حذف للدلالة الآخر عليه، وعمل فيه العامل الثاني وهو "اقرأوا" عند البصريين، والعامل الأول هو "هاؤم" عند الكوفيين، والدليل على صحة قول البصريين أنه لو عمل الأول لقال اقرأوه، والهاء في "كتابه"

إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْقٍ حِسَابِيَّةٍ ﴿١٤﴾ فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿١٥﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٦﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿١٨﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ - فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَةَ ﴿١٩﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَةَ ﴿٢٠﴾ يَلَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿٢١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ ﴿٢٢﴾ هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ ﴿٢٣﴾ خُدُوهُ فَعُلُوهُ ﴿٢٤﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٢٦﴾

للوقف، وكذلك في ﴿حِسَابِيَةَ﴾ و"ماليه" و"سلطانيه"، وكان الأصل أن تسقط في الوصل لكنها ثبتت فيه مراعاة لخط المصحف، وقد أسقطها في الوصل بعضهم، ومعنى الآية: أن العبد الذي يعطى كتابه بيمينه يقول للناس: اقرأوا كتابيه على وجه الاستبشار والسرور بكتابه. ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ﴾ الظن هنا بمعنى اليقين. ﴿رَاضِيَةَ﴾ أي: ذات رضا فهو كقولهم: تامر لصاحب التمر، قال ابن عطية: ليست بناء اسم فاعل، وقال الزمخشري: يجوز أن تكون اسم فاعل نسب الفعل إليها مجازاً وهو لصاحبها حقيقة. ﴿قُطُوفُهَا﴾ جمع قطف وهو ما يجتنى من الثمار ويقطف كالعنقود. ﴿دَانِيَةٌ﴾ أي: قريبة، وروي أن العبد يأخذها بفمه من شجرها على أي حال كان من قيام أو جلوس أو اضطجاع. ﴿أَسْلَفْتُمْ﴾ أي: قدمتم من الأعمال الصالحة. ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ أي: الماضية، يعني أيام الدنيا. ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ هم الكفار بدليل قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ فجعل علة إعطائهم كتبهم بشمالهم عدم إيمانهم، وأما المؤمنون فيعطون كتبهم بأيانهم، لكن اختلف فيمن يدخل النار منهم، هل يعطى كتابه قبل دخوله النار أو بعد خروجه منها؟ وهذا أرجح لقوله: ﴿هَآؤُمْ أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ﴾؛ لأن هذا كلام سرور فيبعد أن يقوله من يحمل إلى النار. ﴿فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَةَ﴾ أي: يتمنى أنه لا يعطى كتابه، وقال ابن عطية: يتمنى أن يكون معدوماً لا يجري عليه شيء؛ والأول أظهر. ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾ أي: ليت الموتة الأولى كانت القاضية بحيث لا يكون بعدها بعث ولا حياة. ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ﴾ يحتمل أن يكون نفيًا أو استفهاماً يراد به النفي. ﴿هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ﴾ أي: زال عني ملكي وقدرتي، وقيل: ذهب عني حجتي. ﴿خُدُوهُ﴾ خطاب للزبانية يقوله الله تعالى لهم أو الملائكة بأمر الله. ﴿فَعُلُوهُ﴾ أي: اجعلوا غلا في عنقه، وروي أنها نزلت في أبي جهل. ﴿ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ معنى "ذرعها" مبلغ أذرع كيلها، واختلف في هذا الذراع، فقيل: إنه الذراع المعروف، وقيل: هو بذراع الملك، وقيل: في الذراع سبعون باعاً كل باع كما بين مكة والكوفة؛ والله در الحسن البصري في قوله: الله أعلم بأي ذراع هي، وجعلها سبعين ذراعاً لإرادة وصفها بالطول؛ فإن السبعين من الأعداد التي تقصد العرب بها الكثير، ويحتمل أن تكون هذه السلسلة لكل واحد من أهل النار أو تكون بين جميعهم وقد حكى الثعلبي ذلك. ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ أي: أدخلوه، وروي أن هذه

إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٢٣﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٢٤﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ ﴿٢٥﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٢٩﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿٣١﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٣٣﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٣٤﴾

السلسلة تدخل في فم الكافر وتخرج من دبره، "فاسلكوه" على هذا من المقلوب في المعنى كقولهم: أدخلت القلنسوة في رأسي، وروي أنها تُلوى عليه حتى تغمه وتضغطه، فالكلام على هذا على وجهه وهو السلوك فيها، وإنما قدم قوله في "سلسلة" على "اسلكوه" لإرادة الحصر؛ أي: لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة وكذلك قدم ﴿الْحَمِيمُ﴾ على ﴿صَلْوُهُ﴾ لإرادة الحصر أيضا. ﴿طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ يحتمل أنه أراد إطعام المسكين فوضع الاسم موضع المصدر أو يقدر: لا يحض على بذل طعام المسكين، وأضاف الـ"طعام" إلى "المسكين" لأن له إليه نسبة، ووصفه بأنه لا يحض على طعام المسكين يدل على أنه لا يطعمه من باب أولى وأحرى؛ وهذه الآية تدل على عظم الصدقة وفضلها لأنه قرن منع طعام المسكين بالكفر بالله. ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ فيه قولان؛ أحدهما: ليس له صديق، والآخر: ليس له شراب. ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ﴾ فإن الـ"حميم" الماء الحار، والـ"غسلين" صديق أهل النار عند ابن عباس ؓ، وقيل: شجر يأكله أهل النار، وقال اللغويون: هو ما يجري من الجراح إذا غسلت، وهو فعلين من الغسل. ﴿الْخَاطِئُونَ﴾ جمع خاطيء وهو الذي يفعل ضد الصواب متعمدا، والمخاطيء الذي يفعله من غير عمد. ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ "لا" زائدة غير نافية. ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ يعني جميع الأشياء لأنها تنقسم إلى ما يبصر وما لا يبصر؛ كالدنيا والآخرة، والإنس والجن، والأجسام والأرواح، وغير ذلك. ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ هذا جواب القسم، والضمير للقرآن، والرسول جبريل، وقيل: لمحمد عليهما السلام. ﴿قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ﴾ قال ابن عطية: يحتمل أن تكون "ما" نافية فنفي إيمانهم بالجملة أو تكون مصدرية فوصف إيمانهم بالقلّة، وقال الزمخشري: القلة هنا بمعنى العدم، أي: لا تؤمنون ولا تذكرون البتة. ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ الـ"تقول" هو أن ينسب إلى أحد ما لم يقل، ومعنى الآية: لو تقول علينا محمد لعاقبناه؛ ففي ذلك برهان على أن القرآن من عند الله. ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ قال ابن عباس ؓ: "اليمن" هنا القوة، ومعناه: لو تقول علينا لأخذناه بقوتنا، وقيل: هي عبارة عن الهوان، كما يقال لمن يسجن أخذ بيده وييمينه، وقال الزمخشري: معناه لو تقول علينا لقتلناه ثم صور صورة القتل ليكون أهول وعبر عن ذلك بقوله "لأخذنا منه باليمن"؛ لأن السيف إذا أراد أن يضرب المقتول في جيده أخذ بيده اليمنى

ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿١٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿١٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكُرَةٌ  
 لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّهُ  
 لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٢١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٢٢﴾  
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ  
 ﴿٢﴾ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾

ليكون ذلك أشد عليه لنظره إلى السيف. ﴿الْوَتِينَ﴾ نياط القلب وهو عرق إذا قطع مات صاحبه؛ فالمعنى: لقتلناه. ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ الحاجز المانع، فالمعنى: لو عاقبناه لم يمنعه أحد منكم ولم يدفع عنه عقابا، وإنما جمع "حاجزين" لأن أحدا في معنى الجماعة. ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكُرَةٌ﴾ الضمير للقرآن، وقيل: لمحمد ﷺ؛ والأول أظهر. ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي: حسرة عليهم في الآخرة لأنهم يتأسفون إذا رأوا ثواب المؤمنين. ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ قال الكوفيون: هذا من إضافة الشيء إلى نفسه كقولك: مسجد الجامع، وقال الزمخشري: المعنى عين اليقين ومحض اليقين، وقال ابن عطية: ذهب الخذاق إلى أن الحق مضاف إلى الأبلغ من وجوهه.

### سورة المعارج

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ من قرأ "سأل" بالهمز يحتمل معنيين؛ أحدهما: أن يكون بمعنى الدعاء، أي: دعا داع بعذاب، وتكون الإشارة إلى قول الكفار: ﴿أَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾، وكان الذي قالها النضر بن الحارث، والآخر: أن يكون بمعنى الاستخبار، أي: سأل سائل عن عذاب واقِع، والباء على هذا بمعنى عن، وتكون الإشارة إلى قولهم: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ وشبه ذلك، وأما من قرأ "سال" بغير همز فيحتمل وجهين؛ الأول: أن يكون مخففا من المهموز فيكون فيه المعنيان المذكوران، والثاني: أن يكون من سال السيل إذا جرى، ويؤيد ذلك قراءة ابن عباس ؓ "سال سيل"، وتكون الباء على هذا كقولك: ذهبت بزيد، وإذا كان من السيل احتمل وجهين؛ أحدهما: أن يكون شبه العذاب في شدته وسرعة وقوعه بالسيل، وثانيهما: أن يكون حقيقة، قال زيد بن ثابت: في جهنم واد يقال له: سائل، فتلخص من هذا أن في القراءة بالهمز معنيين وفي القراءة بغير همز أربعة معان. ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ يحتمل أن يتعلق بـ"واقِع" وتكون اللام بمعنى على، أو تكون صفة لـ"عذاب"، أو يتعلق بـ"سال" إذا كانت بمعنى دعا؛ أي: دعا للكافرين بعذاب، أو يكون مستأنفا كأنه قال هو للكافرين. ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ يحتمل أن يتعلق بـ"واقِع"، أي: واقِع من عند الله، أو بـ﴿دَافِعٌ﴾ أي: ليس له دافع من عند الله، أو يكون صفة لـ"عذاب" أو مستأنفا. ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ جمع مَعْرَج وهو المصعد إلى علو

تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿١﴾ فَاصْبِرْ  
صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٢﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٣﴾ وَتَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٤﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٥﴾  
وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٦﴾

كالسلم والمدارج التي يرتقى بها، قال ابن عطية: هي هنا مستعارة في الفضائل والصفات الحميدة، وقيل: هي المراقي إلى السماء، وهذا أظهر؛ لأنه فسرها بما بعدها من عروج الملائكة. ﴿ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ أي: إلى عرشه ومن حيث تهبط أو امره وقضاياه؛ فالعروج هو من الأرض إلى العرش، "والروح" هنا هو جبريل عليه السلام بدليل قوله: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾، وقيل "الروح" ملائكة حفظة على الملائكة؛ وهذا ضعيف مفتقر إلى صحة نقل، وقيل "الروح" جنس أرواح الناس وغيرهم. ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ اختلف في هذا اليوم على قولين؛ أحدهما: أنه يوم القيامة، والآخر: أنه في الدنيا، والصحيح أنه يوم القيامة لقول رسول الله ﷺ في حديث مانع الزكاة: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي زكاتها، إلا صفحت له صفائح من نار يكوى بها جبينه وجنبه وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد» [مسلم: 2337] يعني يوم القيامة ثم اختلف هل مقداره خمسون ألف سنة حقيقة؛ وهذا هو الأظهر، أو هو وصف بذلك لشدة أهواله كما يقال يوم طويل إذا كان فيه مصائب وهموم؟ وإن قلنا إنه في الدنيا فالمعنى: أن الملائكة والروح يعرجون في يوم لو عرج فيه الناس لعرجوا في خمسين ألف سنة، وقيل: الخمسون ألف سنة هي مدة الدنيا والملائكة تعرج وتنزل في هذه المدة، وهذا كله على أن يكون قوله "في يوم" يتعلق بـ"تعرج"، ويحتمل أن يكون "في يوم" صفة للعذاب، فيتعين أن يكون اليوم يوم القيامة والمعنى على هذا مستقيم. ﴿ فَاصْبِرْ ﴾ هذا متصل بما قبله من العذاب وغيره، أي: اصبر على أقوال الكافرين حتى يأتيهم العذاب، ولذلك وصفه بالقرب مبالغة في تسلية النبي ﷺ. ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴾ يحتمل أن يعود الضمير على العذاب أو على اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة، والبعيد يحتمل أن يراد به بعد الزمان أو بعد الإمكان، وكذلك القريب يحتمل أن يراد به قرب الزمان؛ لأن كل آت قريب، ولأن الساعة قد قربت، أو قرب الإمكان لقدرة الله عليه. ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴾ "يوم" هنا بدل من "يوم كان مقداره خمسين ألف سنة"، أو بدل من الضمير المنصوب في "نراه"، أو منصوب بقوله "قريبا"، أو بقوله "يود المجرم"، أو بفعل مضمّر تقديره: اذكر، ويقع العذاب يوم تكون السماء كالمهل، و"المهل" هو دردي الزيت، شبه السماء به في سوادها وانكدار أنوارها يوم القيامة، وقيل: هو ما أذيب من الفضة ونحوها شبه السماء به في تلونه. ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴾ "العهن" هو الصوف شبه الجبال به في انتفاشه وتحلل أجزائه، وهو الصوف المصبوغ ألوانا فيكون التشبيه في الانتفاش، وفي اختلاف الألوان؛ لأن الجبال منها بيض وسود وحممر.

وَلَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١﴾ يُبْصِرُونَهُمْ يَوْمَ الْمَجْرَمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ  
 ﴿٢﴾ وَصَاحِبَتِيهِ، وَأَخِيهِ ﴿٣﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتْوِيهِ ﴿٤﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ  
 ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَلْظَىٰ ﴿٦﴾ نَزَاعَةٌ لِّلشَّوْيِ ﴿٧﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٨﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿٩﴾ \*  
 إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٠﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿١٢﴾ إِلَّا  
 الْمُصَلِّينَ ﴿١٣﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿١٤﴾

﴿وَلَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ الـ "حميم" هنا الصديق، والمعنى: لا يسأل أحد من حميمه نصره ولا إغاثة لعلمه أنه لا يقدر له على شيء، وقيل: لا يسأله عن حاله لأن كل أحد مشغول بنفسه. ﴿يُبْصِرُونَهُمْ﴾ يقال: بصر الرجل بالرجل إذا رآه، وبصرته إياه بالتشديد إذا أريته إياه، والضميران يعودان على الحميمين لأنها في معنى الجمع، والمعنى: أن كل حميم يبصر حميمه يوم القيامة فيراه ولكن لا يسأله. ﴿وَصَاحِبَتِيهِ﴾ يعني امرأته. ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ يعني قرابة الأقربين. ﴿تُتْوِيهِ﴾ أي: تضمه؛ فيحتمل أن يريد تضمه في الانتهاء إليها أو في نصرته وحفظه من المضرات. ﴿ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ الفاعل يعود على الافتداء الذي يقتضيه ﴿لَوْ يَفْتَدِي﴾ وهذا الفعل معطوف على "لو يفتدي" وإنما عطفه بـ"ثم" إشعاراً ببعده النجاة وامتناعها؛ ولذلك زجره عن ذلك بقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَلْظَىٰ﴾ الضمير للنار؛ لأن العذاب يدل عليها، ويحتمل أن يكون ضمير القصة وفسره بالخبر، و"الظى" اسم علم لجهنم مشتق من اللظى بمعنى اللهب. ﴿نَزَاعَةٌ لِّلشَّوْيِ﴾ "الشوى" أطراف الجسد، وقيل: جلد الرأس فالمعنى: أن النار تنزعها ثم تعاد، و"نزاعة" بالرفع بدل من "الظى"، أو خبر ابتداء مضمرة، أو خبر لـ"إنها" إن جعلنا "الظى" منصوباً على التخصيص، أو بدل من الضمير، أو خبر ثان لـ"إنها" إن جعلنا "الظى" خبراً لها و"نزاعة" بالنصب حال. ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ يعني الكفار الذين تولوا عن الإسلام، ودعأوها لهم عبارة عن أخذها لهم، وقال ابن عباس: ﴿تَدْعُوهُمْ حَقِيقَةً بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ تُهْلِكُ، حَكَاهُ الْخَلِيلُ عَنِ الْعَرَبِ.﴾ ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾ يقال: أوعيت المال وغيره إذا جمعته في وعاء؛ فالمعنى: جمع المال وجعله في وعاء وهذا إشارة إلى قوم من أغنياء الكفار جمعوا المال من غير حله ومنعوه من حقه. ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ "الإنسان" هنا اسم جنس بدليل الاستثناء منه، وسئل أحمد بن يحيى مؤلف الفصح عن الـ "هلوع"؟ فقال: قد فسره الله فلا تفسر أبين من تفسيره وهو قوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾، وذكر الله ذلك على وجه الذم لهذه الخلق ولذلك استثنى منه ﴿الْمُصَلِّينَ﴾؛ لأن صلواتهم تحملهم على قلة الاكتراف بالدنيا فلا يجزعون من شرها ولا ييخلون بخيرها. ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ الدوام عليها هو المواظبة بطول العمر، والمحافظة عليها المذكورة بعد هذا هي أداؤها في أوقاتها وتوفية الطهارة لها.

وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿١٦﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٧﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ  
الَّذِينَ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٠﴾  
وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢١﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ  
مَلُومِينَ ﴿٢٢﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتَانِهِمْ  
وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ  
حَافِظُونَ ﴿٢٦﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٧﴾ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٢٨﴾  
عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٢٩﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ  
﴿٣٠﴾ كَلَّا إِنَّآ خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾

﴿ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴾ قد ذكرنا في الذاريات معنى "حق" و"السائل" و"المحروم"، ووصفه هنا بال"معلوم" إن أراد  
الزكاة فهي معلومة المقدار شرعا، وإن أراد غيرها فمعنى ال"معلوم" أن العبد يجعل على نفسه وظيفة معلومة  
عنده. ﴿ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾ أي: لا يكون أحد آمنا منه؛ فإن الأمن من عذاب الله حرام، فلا ينبغي للعبد أن يزيل عنه  
الخوف حتى يدخل الجنة. ﴿ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ ﴾ ذكر في المؤمنين وكذلك ﴿ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾. ﴿ وَالَّذِينَ  
هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴾ قال ابن عباس ؓ: يعني شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وقال الجمهور:  
يعني الشهادة عند الحكام، ثم اختلف على هذا في معنى القيام بها، فقليل: هو التحقيق لها كقوله ﷺ «على مثل  
الشمس فاشهد» [شعب الإيمان: 10359]، وقيل: هو المبادرة إلى أدائها من غير امتناع، فأما إن دعي الشاهد إلى الأداء  
فهو واجب عليه، وأما إذا لم يدع إلى الأداء فإن الشهادة على ثلاثة أقسام؛ أحدها: حقوق الناس فلا يجوز أداؤها  
حتى يدعوه صاحب الحق إلى ذلك، والثاني: حقوق الله التي يستدام فيها التحريم كالطلاق والعتق والأحباس  
فيجب أداء الشهادة بذلك دعي أو لم يدع، والثالث: حقوق الله التي لا يستدام فيها التحريم كالحدود فهذا  
ينبغي ستره حتى يدعى إليه. ﴿ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴾ أي: مسرعين مقبلين إليك بأبصارهم، كان  
رسول الله ﷺ إذا صلى أقبل إليه الكفار ينظرون إليه ويستمعون قراءته، ومعنى "قبلك" في جهتك وما يليك.  
﴿ عِزِينَ ﴾ أي: جماعات شتى وهو جمع عزة بتخفيف الزاي وأصله عزوة، وقيل: عزة ثم حذفت لامها  
وجمعت بالواو والنون عوضا من اللام المحذوفة. ﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾ كانوا يقولون  
إن كان ثم جنة فنحن أهلها. ﴿ كَلَّا ﴾ ردع لهم عما طمعوا فيه من دخول الجنة. ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴾  
كناية عن المنى الذي خلق منه الإنسان، وفي المقصود بهذا الكلام ثلاثة أوجه؛ الأول: تحقير الإنسان والرد على



فَلَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ ﴿١١﴾ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿١٢﴾ فَذَرَهُمْ مَّخْوَضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿١٣﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نَصَبٍ يُوْفُضُونَ ﴿١٤﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكِ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٥﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٦﴾ قَالَ يَنْقُومِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴿١٨﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ

المتكبرين كما قال بعضهم: إن الإنسان خلق من نطفة مذرة ويصير جيفة قذرة وهو فيما بينها يحمل العذرة، الثاني: الرد على الكفار في طمعهم أن يدخلوا الجنة، كأنه يقول: إنا خلقناكم مما خلقنا منه سائر الناس فلا يدخل أحد الجنة إلا بالعمل الصالح لأنكم سواء في الخلقة، الثالث: الاحتجاج على البعث بأن الله خلقهم من ماء مهين، فهو قادر على أن يعيدهم كقوله: ﴿أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِّن مَّيِّ تُمْتِي﴾ إلى آخر السورة. ﴿فَلَا أَقْسِمُ﴾ معناه: أقسم، و"لا" زائدة. ﴿الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ ذكر في الصفات. ﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ تهديد للكفار بإهلاكهم وإبدال قوم خير منهم. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي: مغلوبين، والمعنى: إنا لا نعجز عن التبديل المذكور أو عن البعث. ﴿فَذَرَهُمْ﴾ وعيد لهم، وفيه مهادنة منسوخة بالسيف. ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ يعني يوم القيامة بدليل أنه أبدل منه: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ وهي القبور. ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نَصَبٍ يُوْفُضُونَ﴾ الـ"نصب" الأصنام، وأصله كل ما نصب إلى الإنسان فهو يقصد إليه مسرعا من علم أو بناء أو غير ذلك، وفيه لغات؛ فتح النون وإسكان الصاد وضمها، وضم النون وإسكان الصاد، و"يوفضون" معناه: يسرعون، والمعنى: أنهم يسرعون الخروج من القبور إلى المحشر كما يسرعون المشي إلى أصنامهم في الدنيا.

### سورة نوح عليه السلام

﴿أَنْ أَنْذِرْ﴾ و﴿أَنْ أَعْبُدُوا﴾ يحتمل أن تكون "أن" مفسرة أو مصدرية على تقدير: بأن أنذر وبأن اعبدوا؛ والأول أظهر. ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يحتمل أن يريد عذاب الآخرة أو الغرق الذي أصابهم. ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ "من" هنا للتبعيض، أي: يغفر لكم ما فعلتم من الذنوب قبل أن تسلموا؛ لأن الإسلام يجب ما قبله، ولم يضمن أن يغفر لهم ما بعد إسلامهم؛ لأن ذلك في مشيئة الله، وقيل: إن "من" هنا زائدة؛ وذلك باطل؛ لأن "من" لا تزداد عند سيبويه إلا في غير الواجب، وقيل: هي لبيان الجنس، وقيل: لا ابتداء الغاية؛

وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۚ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿١١﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿١٢﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا ﴿١٣﴾ اسْتِكْبَارًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿١٥﴾

وهذان القولان ضعيفان في المعنى؛ والأول هو الصحيح لأن التبعض فيه متجه. ﴿ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ ظاهر هذا يقتضي أنهم إن فعلوا ما أمروا به أخرجوا إلى أجل مسمى، وإن لم يفعلوا لم يؤخروا؛ وذلك مقتضى القول بالأجلين وهو مذهب المعتزلة وعلى هذا حملها الزمخشري، وأما على مذهب أهل السنة فهي من المشكلات وتأولها ابن عطية فقال: ليس للمعتزلة في الآية تعلق؛ لأن المعنى أن نوحا عليه السلام لم يعلم هل هم ممن يؤخر أو ممن يعاجل، ولا قال لهم: إنكم تؤخرون عن أجل قد حان، لكن قد سبق في الأزل أنهم؛ إما ممن قضي له بالإيمان والتأخير أو ممن قضي له بالكفر والمعاجلة، فكان نوحا عليه السلام قال لهم: آمنوا يظهر في الوجود أنكم ممن قضي له بالإيمان والتأخير، وإن بقيتم على كفركم يظهر في الوجود أنكم ممن قضي عليه بالكفر والمعاجلة، فكان الاحتمال الذي يقتضيه ظاهر الآية إنما هو فيما يبرزه الغيب من حالهم؛ إذ يمكن أن يبرز إما الإيمان والتأخير وإما الكفر والمعاجلة، وأما عند الله فالحال الذي يكون منهم معلوم مقدر محتوم وأجلهم كذلك معلوم مقدر محتوم. ﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ﴾ هذا يقتضي أن الأجل محتوم كما قال تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾، وفي هذا حجة لأهل السنة وتقوية للتأويل الذي ذكرنا، وفيه أيضا رد على المعتزلة في قولهم بالأجلين، ولما كان كذلك قال الزمخشري: إن ظاهر هذا مناقض لما قبله من الوعد بالتأخير إن آمنوا، وتأول ذلك على مقتضى مذهبه بأن الأجل الذي لا يؤخر هو الأجل الثاني، وذلك أن قوم نوح قضى الله أنهم إن آمنوا عمرهم مثلا ألف عام وإن لم يؤمنوا عمرهم تسعمائة عام، فالألف عام هي التي تؤخر إذا جاءت والتسعمائة عام هي التي وعدوا بالتأخير عنها إلى الألف عام إن آمنوا. ﴿ دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ ﴾ أي: دعوتهم ليؤمنوا فتغفر لهم، فذكر المغفرة التي هي مسبب عن الإيمان ليظهر قبح إعراضهم عنه فإنهم أعرضوا عن سعادتهم. ﴿ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ﴾ فعلوا ذلك لئلا يسمعوا كلامه؛ فيحتمل أنهم فعلوا ذلك حقيقة أو يكون ذلك عبارة عن إفراط إعراضهم حتى كأنهم فعلوا ذلك. ﴿ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ ﴾ أي: جعلوها غشاوة عليهم لئلا يسمعوا كلامه أو لئلا يراهم، ويحتمل أنهم فعلوا ذلك حقيقة، أو يكون عبارة عن إفراط إعراضهم. ﴿ وَأَصْرُوا ﴾ أي: داموا على كفرهم. ﴿ دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾ إعراب "جهارا" مصدر من المعنى كقولك: قعد القرفصاء، أو صفة لمصدر محذوف تقديره: دعاء جهارا، أو مصدر في موضع الحال، أي: مجاهرا.

ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿١﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿٢﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿٣﴾ وَيُمَدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهْرًا ﴿٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿٥﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ وَأَطْوَارًا ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿٧﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿٨﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿٩﴾

﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ ذكر أولاً أنه دعاهم بالليل والنهار، ثم ذكر أنه دعاهم جهاراً، ثم ذكر أنه جمع بين الجهر والإسرار؛ وهذه غاية الجد في النصيحة وتبليغ الرسالة صلى الله على نبينا وعليه وسلم، قال ابن عطية: الجهار دعاؤهم في المحافل ومواضع اجتماعهم، والإسرار دعاء كل واحد على حدته. ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ مفعول من الدر وهو كثرة الماء، وفي الآية دليل على أن الاستغفار يوجب نزول الأمطار، ولذلك خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الاستسقاء فلم يزد على أن استغفر ثم انصرف فقيل له: ما رأيك استسقيت؟ فقال: والله لقد استسقيت أبلغ الاستسقاء ثم نزل المطر، وشكارجل إلى الحسن الجذب فقال له: استغفر الله. ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ فيه أربعة تأويلات؛ أحدها: أن الوقار بمعنى التوقير والكرامة؛ فالمعنى: مالكم لا ترجون أن يوقركم الله في دار ثوابه قال ذلك الزمخشري، وقوله "الله" على هذا بيان للموقر، ولو تأخر لكان صفة لـ"وقارا"، الثاني: أن الوقار بمعنى التؤدة والتثبت؛ والمعنى: مالكم لا ترجون لله تعالى مثبتين حتى تتمكنوا من النظر بوقاركم، وقوله "الله" على هذا مفعول دخلت عليه اللام كقولك: ضربت لزيد، وإعراب "وقارا" على هذا مصدر في موضع الحال، الثالث: أن الرجاء هنا بمعنى الخوف والوقار بمعنى العظمة والسلطان؛ والمعنى: ما لكم لا تحافون عظمة الله وسلطانه، و"الله" على هذا صفة للوقار في المعنى، الرابع: أن الرجاء بمعنى الخوف والوقار بمعنى الاستقرار من قولك: وقر في المكان إذا استقر فيه؛ والمعنى: ما لكم لا تحافون الاستقرار في دار القرار إما في الجنة أو النار. ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ أي: طورا بعد طور يعني أن الإنسان كان نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى سائر أحواله، وقيل: الأطوار الأنواع المختلفة؛ فالمعنى: أن الناس على أنواع في ألوانهم وأخلاقهم وألستهم وغير ذلك. ﴿طِبَاقًا﴾ ذكر في الملك. ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ "القمر" إنما هو في السماء الدنيا، وساغ أن يقول "فيهن" لأن القمر لما كان في إحداهن فهو في الجميع كقولك: فلان في الأندلس كذلك إذا كان في بعضها، والشمس في السماء الرابعة، وقيل: في السابعة، وجعل القمر نوراً و﴿الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ لأن ضوء السراج أقوى من النور؛ فإن السراج هو الذي يضيء فيبصر به، والنور قد يكون أقل من ذلك. ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ هذا عبارة عن إنشائهم من تراب الأرض،

ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِيَتَسَلَكُوا  
مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مِن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا  
خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا كُبَرًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آهَاتِكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وُدًّا وَلَا  
سُوعَا وَلَا يَعُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ﴿٢٤﴾ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٥﴾  
مِمَّا حَطَبْتَهُمْ أَغْرَقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٦﴾ وَقَالَ  
نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٧﴾

و"نباتا" مصدر على غير المصدر أو يكون تقديره: أنبتكم فنبتم نباتا، ويحتمل أن يكون منصوبا على الحال.  
﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ يعني بالدفن. ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ يعني بالبعث من القبور. ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ  
الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ شبه الأرض بالبساط في امتدادها واستقرار الناس عليها، وأخذ بعضهم من لفظ البساط أن  
الأرض بسيطة غير كروية خلافا لما ذهب إليه أهل التعديل؛ وفي ذلك نظر. ﴿سُبُلًا فِجَاجًا﴾ ذكر في الأنبياء.  
﴿وَاتَّبَعُوا مِن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ يعني اتبعوا أغنياءهم وكبراءهم، وقرئ "ولده" بفتحين،  
و"ولده" بضم الواو وسكون اللام وهما بمعنى واحد. ﴿وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا كُبَرًا﴾ الكبار بالتشديد أبلغ من  
الكبار بالتخفيف، والكبار بالتخفيف أبلغ من الكبير. ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آهَاتِكُمْ﴾ أي: وصى بعضهم بعضا  
بذلك. ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وُدًّا وَلَا سُوعَا﴾ هذه أسماء أصنام، كان قوم نوح يعبدونها، وروي أنها أسماء رجال  
صالحين كانوا في صدر الدنيا، فلما ماتوا صورهم أهل ذلك العصر من حجارة، وقالوا: ننظر إليها لتذكر  
أعمالهم الصالحة، فهلك ذلك الجيل وكثر تعظيم من بعدهم لتلك الصور حتى عبدوها من دون الله ثم انتقلت  
تلك الأصنام بأعيانها، وقيل: بل الأسماء فقط إلى قبائل من العرب، فكان "ودا" لكلب بدومة الجندل، وكان  
"سوعا" لهذيل، وكان ﴿يَعُوثُ﴾ لمراد، وكان ﴿يَعُوقُ﴾ لهمدان، وكان ﴿نَسْرًا﴾ لذي الكلاع من حمير،  
وقرئ "ودا" بفتح الواو وضمها وهما لغتان. ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ الضمير للرؤساء من قوم نوح، والمعنى:  
أضلوا كثيرا من أتباعهم، وهذا من كلام نوح عليه السلام وكذلك "لا تزد الظالمين إلا ضلالا" من كلامه وهو  
دعاء عليهم، وقال الزمخشري: إنه معطوف على قوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾، والتقدير قال: رب إنهم عصوني،  
وقال ﴿لَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾. ﴿مِمَّا حَطَبْتَهُمْ أَغْرَقُوا﴾ هذا من كلام الله إخبارا عن أمرهم، و"ما"  
زائدة للتأكيد، وإنما قدم هذا المجرور للتأكيد أيضا ليعين أن إغراقهم وإدخالهم النار إنما كان بسبب خطيئاتهم  
وهي الكفر وسائر المعاصي. ﴿فَأَدْخِلُوا نَارًا﴾ يعني جهنم، وعبر عن ذلك بالفعل الماضي لأن الأمر محقق،  
وقيل: أراد عرضهم على النار وعبر عنه بالإدخال. ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾

إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿١٥﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ

وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿١٦﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا

قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۗ وَلَن نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَإِنَّهُ تَعَلُّيْ

جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾

"ديارا" من الأسماء المستعملة في النفي العام، يقال: ما في الدار ديار، أي: ما فيها أحد، ووزنه فعال، وكان أصله دَيَوَارًا ثم قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء، وليس وزنه فعال؛ لأنه لو كان كذلك لقليل دوار لأنه مشتق من الدور أو من الدار، وروي أن نوحا عليه السلام لم يدع على قومه بهذا الدعاء إلا بعد أن يثس من إيمانهم وبعد أن أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم. ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ﴾ يؤخذ من هذا أن سنة الدعاء أن يقدم الإنسان الدعاء لنفسه على الدعاء لغيره، وكان والد نوح مؤمنين، قال ابن عباس ؓ: لم يكن لنوح أب كافر ما بينه وبين آدم عليهما السلام، واسم والد نوح عليه السلام ملك بن متوشلخ، وأمه شمخا بنت أنوش، حكاه الزمخشري. ﴿ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا ﴾ قيل: بيته المسجد، وقيل: السفينة، وقيل: شريعته سهاها بيتا استعاره؛ وهذا بعيد، وقيل: داره؛ وهذا أرجح لأنه الحقيقة. ﴿ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ هذا دعاء بالمغفرة لكل مؤمن ومؤمنة على العموم، وفيه دليل على جواز ذلك خلافا لمن قال من المتأخرين: إنه لا يجوز الدعاء بالمغفرة لجميع المؤمنين على العموم؛ وهذا خطأ وتضييق لرحمة الله الواسعة، قال بعض العلماء: إن الإله الذي استجاب لنوح عليه السلام، فأغرق بدعوته جميع أهل الأرض الكفار، حقيق أن يستجيب له فيرحم بدعوته جميع المؤمنين والمؤمنات. ﴿ تَبَارًا ﴾ أي: هلاكًا، والله أعلم.

### سورة الجن

﴿ قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ﴾ تقدمت في الأحقاف قصة هؤلاء الجن الذين استمعوا القرآن من النبي ﷺ وأسلموا. ﴿ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ قال ذلك بعضهم لبعض، و"عجبا" مصدر وصف به للمبالغة لأن العجب مصدر قولك: عجبت عجبًا، وقيل: هو على حذف مضاف تقديره: ذا عجب. ﴿ وَإِنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا ﴾ جد الله: جلاله وعظمته، وقيل: غناؤه من قولك: فلان محدود إذا استغنى، وقرئ "إنه" في هذا الموضع بفتح الهزرة وكسرها وكذلك فيما بعده إلى قوله "وإنا منا المسلمون"؛ فأما الكسر فاستئناف أو عطف على "إنا سمعنا"، لكنه كُسِرَ في معمول القول فيكون ما عطف عليه من قول الجن، وأما الفتح فقيل:

وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿١﴾ وَإِنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ  
عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٢﴾ وَإِنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا  
﴿٣﴾ وَإِنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٤﴾ وَإِنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَا  
مُلَكًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴿٥﴾ وَإِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِلسَّمْعِ

إنه عطف على قوله "أنه استمع نفر"؛ وهذا خطأ من طريق المعنى؛ لأن قوله "استمع نفر" في موضع معمول "أوحى" فيلزم أن يكون المعطوف عليه مما أوحى وأن لا يكون من كلام الجن، وهو من كلام الجن، وقيل: إنه معطوف على الضمير المجرور في قوله "ءامنا به"؛ وهذا ضعيف؛ لأن الضمير المجرور لا يعطف عليه إلا بإعادة الخافض، وقال الزمخشري: هو معطوف على محل الجار والمجرور في "ءامنا به"، كأنه قال: صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا، وكذلك ما بعده، ولا خلاف في فتح ثلاثة مواضع؛ وهي "أنه استمع"، و"أن لو استقاموا"، و"أن المساجد لله"؛ لأن ذلك مما أوحى لا من كلام الجن. ﴿وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ هذا من كلام الجن، وسفيهم أبوهم إبليس، وقيل: هو اسم جنس لكل سفيه منهم، واختار ذلك ابن عطية، والتشطط التعدي ومجاوزة الحد. ﴿وَإِنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: ظننا أن الأقوال التي كان الإنس والجن يقولونها على الله صادقة وليست بكذب؛ لأننا ظننا أنه لا يكذب أحد على الله. ﴿وَإِنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ تفسير هذا ما روي أن العرب كانوا إذا حل أحدهم بواد صاح بأعلى صوته: يا عزيز هذا الوادي! إني أعوذ بك من السفهاء الذين في طاعتك، ويعتقد أن ذلك الجن الذي بالوادي يحميه. ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ ضمير الفاعل للجن، وضمير المفعول للإنس، والمعنى: أن الجن زادوا الإنس ضللا لما عاذوا بهم، أو زادوهم تخويفا لما رأوا ضعف عقولهم، وقيل: ضمير الفاعل للإنس، وضمير المفعول للجن، والمعنى: أن الإنس زادوا الجن تكبرا وطغيانا لما عاذوا بهم حتى كان الجن يقول: أنا سيد الجن والإنس. ﴿وَإِنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ الضمير في "ظنوا" لكفار الإنس، و"ظننتم" خطاب الجن بعضهم لبعض، فالمعنى: أن كفار الإنس والجن ظنوا أن لن يبعث الله أحدا، والبعث هنا يحتمل أن يريد به بعث الرسل أو البعث من القبور. ﴿وَإِنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مَلَكًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾ هذا إخبار عن ما حدث عند بعث النبي ﷺ من منع الجن من استراق السمع من السماء ورجهم بالنجوم، واللمس المس واستعير هنا للطلب، والحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم بمعنى الخدام ولذلك وصف بشديد وهو مفرد، ويحتمل أن يريد به الملائكة الحراس أو النجوم الحارسة، وكرر الشهب لاختلاف اللفظ. ﴿وَإِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ "المقاعد" جمع مقعد، وقد فسر رسول الله ﷺ صورة قعود الجن أنهم كانوا واحدا

فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَّصَدًا ﴿١﴾ وَإِنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ  
أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿٢﴾ وَإِنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا ﴿٣﴾  
وَإِنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿٤﴾ وَإِنَّا لَمَّا سَمِعْنَا آهْدِي  
ءَامِنًا بِهِ ؕ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ ؕ فَلَا تَخَافُ بَحْصًا وَلَا رَهَقًا ﴿٥﴾ وَإِنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا  
الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿٦﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿٧﴾

فوق واحد فمتى أحرق الأعلى طلع الذي تحته مكانه، فكانوا يسترقون الكلمة فيلقونها إلى الكهان ويزيدون معها ثم يزيد الكهان للكلمة مائة كذبة [البخاري: 4424]. ﴿ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَّصَدًا ﴾ الرصد اسم جمع للراصد كالحرس للحراس، وقال ابن عطية: هو مصدر وصف به ومعناه منتظر، قال بعضهم: إن رمي الجن بالنجوم إنما حدث بعد مبعث النبي ﷺ، واختار ابن عطية والزنجشيري أنه كان قبل المبعث قليلا ثم زاد بعد المبعث وكثر حتى منع الجن من استراق السمع بالكلية، والدليل أنه كان قبل المبعث قول رسول الله ﷺ لأصحابه وقد رأى كوكبا انقض: «ما كنتم تقولون لهذا في الجاهلية؟» قالوا: كنا نقول ولد ملك أو مات ملك، فقال ﷺ: «ليس الأمر كذلك» ثم وصف استراق الجن للسمع [البخاري: 6129]، وقد ذكر شعراء الجاهلية ذلك في أشعارهم. ﴿ وَإِنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ الآية، قال ابن عطية: معناه لا ندري أيؤمن الناس بهذا النبي فيرشدوا أو يكفرون به فينزل بهم الشر، وقال الزنجشيري: معناه لا ندري هل أراد الله بأهل الأرض خيرا أو شرا من عذاب أو رحمة أو من خذلان أو توفيق. ﴿ وَإِنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ ﴾ أي: منا قوم دون ذلك فحذف الموصوف، وأراد به الذين ليس صلاحهم كاملا أو الذين ليس لهم صلاح، فإن "دون" قد تكون بمعنى أقل أو بمعنى غير. ﴿ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا ﴾ ال "طرائق" المذاهب والسير وشبهها، والقدد المختلفة وهي جمع قدة، وهذا بيان للقسمة المذكورة قبل وهو على حذف مضاف، أي: كنا ذوي طرائق، أو كنا في طرائق. ﴿ وَإِنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ ﴾ الظن هنا بمعنى العلم، وقال ابن عطية: هذا إخبار منهم عن حالهم بعد إيمانهم، ويحتمل أن يكونوا اعتقدوا هذا الاعتقاد قبل إسلامهم. ﴿ سَمِعْنَا آهْدِي ﴾ يعنون القرآن. ﴿ فَلَا يَخَافُ بَحْصًا وَلَا رَهَقًا ﴾ البحص النقص والظلم، والرهق تحمیل ما لا يطاق، وقال ابن عباس ؓ: البحص نقص الحسنات، والرهق الزيادة في السيئات. ﴿ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ ﴾ يعني الظالمين، يقال: قسط الرجل إذا جار، وأقسط بالألف إذا عدل، وهاهنا انتهى ما حكاه الله من كلام الجن، وأما قوله: ﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴾ فيحتمل أن يكون من بقية كلامهم أو يكون ابتداء كلام الله تعالى وهو الذي اختاره ابن عطية، وأما قوله "وَأَلُو استقاموا" فهو من كلام الله باتفاق وليس من كلامهم. ﴿ تَحَرَّوْا ﴾ أي: قصدوا الرشد.

وَأَلُو اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لِأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿٦﴾ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ  
ذِكْرِ رَبِّهِ نَسَلْكَهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿٨﴾  
وَإِنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿٩﴾ قَالَ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا  
أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿١١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُخَيِّرَنِي مِنَ اللَّهِ  
أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿١٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ

﴿وَأَلُو اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لِأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ الماء الغدق هو الكثير، وذلك استعارة في توسيع الرزق،  
و"الطريقة" هي طريقة الإسلام وطاعة الله، فالمعنى: لو استقاموا على ذلك لوسَّع الله أرزاقهم فهو كقوله: ﴿وَلَوْ  
أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، وقيل: هي طريقة الكفر، والمعنى  
على هذا: لو استقاموا على الكفر لوسَّع الله عليهم في الدنيا إماء لهم واستدرجا، ويؤيد هذا قوله "لنفتنهم فيه"؛  
والأول أظهر، والضمير في "استقاموا" يحتمل أن يكون للمسلمين، أو للقاسطين المذكورين، أو لجميع الجن، أو  
للجن الذين استمعوا للنبي ﷺ، أو لجميع الخلق. ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ إن كانت الطريقة الإيوان والطاعة فمعنى الفتنة  
الاختبار هل يشكرون أم لا؟ وإن كانت الطريقة الكفر فمعنى الفتنة الإضلال والاستدراج. ﴿نَسَلْكَهُ عَذَابًا  
صَعَدًا﴾ معنى "نسلكه" ندخله، والصعد الشديد المشقة وهو مصدر صعدي يصعد ووصفه بالمصدر للمبالغة يقال:  
فلان في صعدي؛ أي: في مشقة، وقيل: "صعد" جبل في النار. ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ أراد "المساجد" على الإطلاق  
وهي بيوت عبادة الله، وروي أن الآية نزلت بسبب تغلب قريش على الكعبة، وقيل: أراد الأعضاء التي يسجد  
عليها واحدها مسجدا بفتح الجيم؛ وهذا بعيد، وعطف "أن المساجد" على "أوحى إلي أنه استمع"، وقال الخليل:  
معنى الآية لأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا، أي: لهذا السبب لا تعبدوا غير الله، فالعامل في "أن" "لا تدعوا".  
﴿وَإِنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ عبد الله هنا هو محمد ﷺ، ووصفه بالعبودية اختصاصا له وتقريبا وتشريفا، وقال  
الزمخشري: إنما سماه هنا "عبد الله" ولم يقل الرسول أو النبي؛ لأن هذا واقع في كلام رسول الله ﷺ عن نفسه، لأنه  
مما أوحى إليه فذكر ﷺ نفسه على ما يقتضيه التواضع والتذلل؛ وهذا الذي قاله بعيد مع أنها يتمكن على قراءة  
"أنه لما قام" بفتح الهمزة فيكون عطفا على "أوحى إلي أنه استمع"، وأما على القراءة بالكسر على الاستئناف فيكون  
إخبارا من الله أو من جملة كلام الجن فيبطل ما قاله. ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ اللبد الجماعات، واحدها لبدة  
والضمير في "كادوا" يحتمل أن يكون للكفار من الناس، أي: كادوا يجتمعون على الرد عليه وإبطال أمره، أو يكون  
للجن الذين استمعوا، أي: كادوا يجتمعون عليه لاستماع القرآن والتبرك به. ﴿مُلْتَحَدًا﴾ أي: ملجأ. ﴿إِلَّا  
بَلَاغًا﴾ بدل من "ملتحدا"؛ أي: لا أجد ملجأ إلا بلاغ الرسالة، أو بدل من ﴿ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ أي: لا أملك  
شيئا إلا بلاغ الرسالة، ويحتمل أن يكون استثناء منقطعا. ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ قال الزمخشري: هذا الجار والمجرور



وَرَسَلْتِيهِ ۚ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿١١﴾ حَتَّىٰ إِذَا  
رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعُفٌ نَاصِرًا وَأَقْلَبُ عَدَدًا ﴿١٢﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ  
مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿١٣﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿١٤﴾  
إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿١٥﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ  
قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ

ليس بصلة لبلاغ إنما هو بمعنى بلاغا كائنا من الله، ويحتمل عندي أن يكون متعلقا بـ"بلاغا" والمعنى: بلاغ  
عن الله. ﴿وَرَسَلَاتِيهِ﴾ قال الزمخشري: إنه معطوف على "بلاغا" كأنه قال: إلا التبليغ والرسالة، ويحتمل أن  
يكون "ورسالاته" معطوفا على اسم "الله". ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ جمع  
"خالدين" على معنى "من يعص" لأنه في معنى الجمع، والآية في الكفار، وحملها المعتزلة على عصاة المؤمنين؛ لأن  
مذهبهم خلودهم في النار، والدليل على أنها في الكفار وجهان؛ أحدهما: أنها مكية، والسورة المكية إنما الكلام  
فيها مع الكفار، والآخر: دلالة ما قبلها وما بعدها على أن المراد بها الكفار. ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾  
تعلمت "حتى" بقوله "يكونون عليه لبدا" وجعلت غاية لذلك، والمعنى: أنهم يكفرون ويتظاهرون عليه حتى  
إذا رأوا ما يوعدون؛ قال ذلك الزمخشري، وقال أيضا: يجوز أن يتعلق بمحذوف يدل عليه المعنى كأنه قيل: لا  
يزالون على ما هم عليه من الكفر حتى إذا رأوا ما يوعدون؛ وهذا أظهر. ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ﴾  
"إن" هنا نافية، والمعنى: قل لا أدري أقرب ما توعدون أم بعيد، وعبر عن بعده بقوله: ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾  
ويعني بـ"ما توعدون" قتلهم بيد أو يوم القيامة. ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ أي:  
لا يُطلع على علم غيبه أحدا إلا من ارتضى وهم الرسل، فإنه يطلعهم على ما شاء من ذلك، و"من" في قوله  
"من رسول" لبيان الجنس لا للتبويض، والـ"رسول" هنا يحتمل أن يراد بهم الرسل من الملائكة وعلى هذا  
حملها ابن عطية، أو الرسل من بني آدم وعلى هذا حملها الزمخشري، واستدل بها على نفي كرامات الأولياء  
الذين يدعون المكاشفة بالغيوب، فإن الله خص الاطلاع على الغيب بالرسل دون غيرهم، وفيها أيضا دليل  
على إبطال الكهانة والتنجيم وسائر الوجوه التي يدعي أهلها الاطلاع على الغيب لأنهم ليسوا من الرسل.  
﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ المعنى: أن الله يسلك من بين يدي الرسل ومن خلفه ملائكة  
يكونون رصدا يحفظونه من الشياطين، وقد ذكرنا "رصدا" في هذه السورة قال بعضهم: ما بعث الله رسولا إلا  
ومعه ملائكة يحرسونه حتى يبلغ رسالته ربه. ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ﴾ في الفاعل بـ"يعلم" ثلاثة  
أقوال؛ الأول: أي: ليعلم الله أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم؛ أي: يعلمه موجودا وقد كان علم ذلك قبل

وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿١٦٦﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ ﴿١﴾ قُمْ أَلَيْلَ

كونه، الثاني: ليعلم محمد ﷺ أن الملائكة الرصد قد أبلغوا رسالات ربهم، الثالث: ليعلم من كفر أن الرسل قد بلغوا الرسالة؛ والأول أظهر، وجمع الضمير في "أبلغوا" وفي "ربهم" حملا على المعنى؛ لأن "من ارتضى من رسول" يراد به جماعة. ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي: أحاط الله بما عند الرسل من العلوم والشرائع، وهذه الجملة معطوفة على قوله "ليعلم" لأن معناه أنه قد علم قال ذلك ابن عطية، ويحتمل أن تكون هذه الجملة في موضع الحال. ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ هذا عموم في جميع الأشياء، و"عددا" منصوب على الحال، أو تمييز، أو مصدر من معنى "أحصى".

### سورة المزمل

﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ﴾ نداء للنبي ﷺ، ووزن "المزمل" متفاعل فأصله متزمل ثم سكنت التاء وأدغمت في الزاي، وفي تسمية النبي ﷺ بـ"المزمل" ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنه كان في وقت نزول الآية متزملا في كساء أو لحاف، والتزمل الالتفاف في الثياب بضم وتشمير هذا قول عائشة رضي الله عنها والجمهور، والثاني: أنه كان قد تزمل في ثيابه للصلاة، الثالث: أن معناه المتزمل للنبوة، أي: المشمر المجد في أمرها، والأول هو الصحيح؛ لما ورد في البخاري [3] ومسلم [160] أن رسول الله ﷺ لما جاءه الملك وهو في غار حراء في ابتداء الوحي رجع ﷺ إلى خديجة رضي الله عنها ترعد فرائصه، فقال: «زملوني» فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾، وعلى هذا نزلت "يأيا المزمل" فالتزمل على هذا تزمله من أجل الرعب الذي أصابه أول ما جاءه جبريل، وقال الزمخشري: كان نائما في قطيفة فنودي "يأيا المزمل"؛ ليهجن إليه الحالة التي كان عليها من التزمل في القطيفة؛ لأنه سبب للنوم الثقيل المانع من قيام الليل، وهذا القول بعيد غير سديد، وقال السهيلي: في ندائه بـ"المزمل" فائدتان؛ إحداهما: الملاحظة فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب نادوه باسم مشتق من حالته التي هو عليها، كقول النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه: «قم أبا تراب» [البخاري: 430]، والفائدة الأخرى: التنبيه لكل متزمل راقدا بالليل ليتنبه إلى ذكر الله؛ لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه المخاطب وكل من اتصف بذلك الصفة. ﴿قُمْ أَلَيْلَ﴾ هذا الأمر بقيام الليل، اختلف هل هو واجب أو مندوب؟ فعلى القول بالندب فهو ثابت غير منسوخ، وأما على القول بالوجوب ففيه ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنه فرض على النبي ﷺ وحده ولم يزل فرضا عليه حتى توفي ﷺ، الثاني: أنه فرض عليه وعلى أمته فقاموا حتى انتفخت أقدامهم، ثم نسخ بقوله تعالى في آخر السورة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ الآية، وصار تطوعا، هذا قول عائشة رضي الله عنها وهو الصحيح، واختلف كم بقي فرضا؛ فقالت عائشة رضي الله عنها: عاما، وقيل: ثمانية أشهر، وقيل: عشرة أعوام؛ فالآية الناسخة على هذا مدنية، الثالث: أنه فرض عليه وعلى أمته،

إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٠﴾ نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿١١﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿١٢﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿١٣﴾

وهو ثابت غير منسوخ، ولكن ليس الليل كله إلا ما تيسر منه وهو مذهب الحسن وابن سيرين. ﴿١٠﴾ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ﴿١١﴾ في معنى هذا الكلام أربعة أقوال؛ الأول: وهو الأشهر والأظهر أن الاستثناء من "الليل"، وقوله "نصفه" بدل من "الليل"، أو من "قليلًا" وجعل النصف قليلا بالنسبة إلى الجميع والضميران في "انقص منه" "أو زد عليه" عائدان على النصف، والمعنى: أن الله خيره بين ثلاثة أحوال؛ وهو أن يقوم نصف الليل، أو ينقص من النصف قليلا، أو يزيد عليه، القول الثاني: قال الزمخشري "إلا قليلا" استثناء من النصف كأنه قال: نصف الليل إلا قليلا فخيره على هذا بين حالتين، وهما؛ أن يقوم أقل من النصف أو أكثر منه، وهذا ضعيف؛ لأن قوله "أو انقص منه قليلا" قد تضمن النقص من النصف فلا فائدة زائدة في استثناء القليل من النصف، القول الثالث: قال الزمخشري أيضا: يجوز أن يريد بقوله "انقص منه قليلا" نصف النصف وهو الربع، ويكون الضمير في قوله "أو زد عليه" يعود على ذلك؛ أي: زد على الربع فيكون ثلثا فالتخيير على هذا بين قيام النصف أو الثلث أو الربع؛ وهذا أيضا بعيد، القول الرابع: قال ابن عطية: يحتمل أن يكون معنى "إلا قليلا" الليلي التي يمنعه العذر من القيام فيها، والمراد بـ"الليل" على هذا الليلي فهو جنس، وهذا بعيد؛ لأنه قد فسر هذا القليل المستثنى بما بعد ذلك من نصف الليل أو النقص منه أو الزيادة عليه، فدل ذلك على أن المراد بالقليل المستثنى بعض أجزاء الليل لا بعض الليلي، فإن قيل: لم قيد النقص من النصف بالقليل فقال "أو انقص منه قليلا"، وأطلق في الزيادة فقال "أو زد عليه" ولم يقل قليلا؟ فالجواب: أن الزيادة تحسن فيها الكثرة؛ فلذلك لم يقيدها بالقليل بخلاف النقص فإنه لو أطلقه لاحتمل أن ينقص من النصف كثيرا. ﴿١٢﴾ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿١٣﴾ الترتيل: هو التمهل والمد وإشباع الحركات وبيان الحروف؛ وذلك معين على التفكير في معاني القرآن، بخلاف الهذ الذي لا يفقه صاحبه ما يقول وكان رسول الله ﷺ يقطع قراءته حرفا حرفا، ولا يمر بأية رحمة إلا وقف وسأل ولا يمر بأية عذاب إلا وقف وتعوذ [إبراهيم داود: 871-1466]. ﴿١٣﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿١٤﴾ هذه الآية اعتراض بين آيات قيام الليل، والقول الثقيل هو القرآن، واختلف في وصفه بالثقل على خمسة أقوال؛ أحدها: أنه سمي ثقيلًا لما كان النبي ﷺ يلقاه من الشدة عند نزول الوحي عليه حتى أن جبينه ليتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد، وقد كان يثقل جسمه عليه بذلك حتى إنه إذا أوحى إليه وهو على ناقته بركت به، وأوحى إليه فخذته على فخذ زيد بن ثابت ؓ فكانت أن ترض فخذ زيد ؓ، والثقل على هذا حقيقة، الثاني: أنه ثقيل على الكفار بإعجازه ووعيده، الثالث: أنه ثقيل في الميزان، الرابع: أنه كلام له وزن ورجحان، الخامس: أنه ثقيل لما تضمن من التكاليف والأوامر والنواهي؛ وهذا اختيار ابن عطية، وعلى هذا يناسب الاعتراض بهذه الآية قيام الليل لمشقته.

إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا وَأَقْوَمُ قِيَلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَادَّكُرَ  
 أَسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلَ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾  
 وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ  
 وَمَهْلَهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحِمِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ  
 تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ في الـ"ناشئة" سبعة أقوال؛ الأول؛ أنه النفس الناشئة بالليل؛ أي: التي تنشأ من مضجعتها  
 وتقوم إلى الصلاة، الثاني: الجماعة الناشئة الذين يقومون إلى الصلاة، الثالث: العبادة الناشئة بالليل؛ أي:  
 تحدث فيه، الرابع: الناشئة القيام بعد النوم، فمن قام أول الليل قبل أن ينام فلم يقم ناشئة، الخامس: الناشئة  
 القيام أول الليل بعد العشاء، السادس: الناشئة بين المغرب والعشاء، السابع: ناشئة الليل ساعته كلها. ﴿هِيَ  
 أَشَدُّ وَطْأًا﴾ يحتمل معنيين؛ أحدهما: أثقل وأصعب على المصلي ومنه قول النبي ﷺ: «اللهم اشدد وطأتك  
 على مضر» [بخاري: 771]، والأثقل أعظم أجرا؛ فالمعنى: تحرّض على قيام الليل لكثرة الأجر، الثاني: أشد ثبوتا  
 من أجل الخلوة وحضور الذهن والبعد عن الناس، ويقرب هذا من معنى ﴿أَقْوَمُ قِيَلًا﴾، وقرئ "وطئا"  
 بكسر الواو على وزن فعال، ومعناه: موافقة؛ أي: يوافق القلب اللسان لحضور الذهن. ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ  
 سَبْحًا طَوِيلًا﴾ السبوح هنا عبارة عن التصرف في الأشغال، والمعنى: يكفيك النهار للتصرف في أشغالك،  
 وتفريغ بالليل لعبادة ربك، وقيل: المعنى إن فاتك شيء من صلاة الليل فاخلفه بالنهار فإنه طويل يسع فيه  
 ذلك. ﴿وَادَّكُرَ أَسْمَ رَبِّكَ﴾ قيل: معناه قل "بسم الله الرحمن الرحيم" في أول صلاتك؛ واللفظ أعم من ذلك.  
 ﴿وَتَبَتَّلَ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ أي: انقطع إليه بالعبادة والتوكل عليه وحده، وقيل: التبتل رفض الدنيا، و"تبتيلا"  
 مصدر على غير المصدر. ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ الوكيل هو القائم بالأمر والذي توكل إليه الأشياء، فهو أمر  
 بالتوكل على الله. ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: على ما يقول الكفار، والآية منسوخة بالسيف، وقيل: إنما  
 المنسوخ المهادنة التي يقتضيتها قوله تعالى: ﴿أَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾، وأما الصبر فمأمور به في كل وقت.  
 ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ هذا تهديد لهم، وانتصب "المكذبين" على أنه مفعول معه أو معطوف. ﴿أُولِيَ  
 النَّعْمَةِ﴾ أي: التنعم في الدنيا، وروي أن الآية نزلت في بني المغيرة وهم قوم من قريش كانوا أغنياء متنعمين  
 في الدنيا. ﴿أَنْكَالًا﴾ جمع نكل وهو القيد من الحديد، ويروى أنها قيود سود من نار. ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾  
 يعني: شجرة الزقوم، ومعنى "ذا غصة" يغص به؛ أي: يخنق، وقيل: هو شوك من نار يعترض في حلوقهم لا  
 ينزل ولا يخرج، وروي أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية فصعق [الطبري: 135/29]. ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ﴾

وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلاً ﴿٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً ﴿٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿٧﴾ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ۗ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ ۖ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٩﴾ \* إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ

أي: تهتز وتزلزل، والعامل في "يوم" معنى الكلام المتقدم وهو "إن لدينا أنكالا". ﴿وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلاً﴾ الكثيب: كدس الرمل، والمهيل: اللين الرخو الذي تهبله الريح؛ أي: تنشره، وزنه مفعول، والمعنى: أن الجبال تصير إذا نسفت يوم القيامة مثل الكثيب. ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا﴾ خطاب لجميع الناس؛ لأن رسول الله ﷺ بعث إلى الناس كافة، وقال الزخشي: هو خطاب لأهل مكة. ﴿شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ أي: يشهد بأعمالكم من الكفر والإيمان والطاعة والمعصية، وإنما يشهد على من أدركه لقوله ﷺ: «أقول كما قال أخي عيسى: ﴿وَكَنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾» [البخاري: 3263]. ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ يعني موسى عليه السلام، وهو المراد بقوله: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ فاللام للعهد. ﴿أَخْذًا وَبِيلاً﴾ أي: غليظا شديدا. ﴿يَوْمًا﴾ مفعول به وناصبه: ﴿تَتَّقُونَ﴾؛ أي: كيف تتقون يوم القيامة وأحواله إن كفرتم، وقيل: هو مفعول به على أن يكون ﴿إِنْ كَفَرْتُمْ﴾ بمعنى جحدتم، وقيل: هو ظرف، أي: كيف لكم بالتقوى يوم القيامة، ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوفا تقديره: اذكر، أو قوله "السماء منفطر به". ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ "الولدان" جمع وليد وهو الطفل الصغير، والشيب بكسر الشين جمع أشيب، ووزنه فُعل بضم الفاء وكسرت لأجل الياء، و"يجعل" يحتمل أن يكون مسندا إلى الله تعالى أو إلى اليوم، والمعنى: أن الأطفال يشيبون يوم القيامة، فقيل: إن ذلك حقيقة، وقيل: إن ذلك عبارة عن هول ذلك اليوم، وقيل: إنه عبارة عن طوله. ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ الانفطار الانشقاق، والضمير المجرور يعود على اليوم، أي: تنفطر السماء بشدة هوله، ويحتمل أن يعود على الله، أي: تنفطر بأمره وقدرته؛ والأول أظهر، و"السماء" مؤنثة وجاء "منفطر" بالتذكير؛ لأن تأنيثها غير حقيقي، أو على الإضافة تقديره: ذات انفطار، أو لأنه أراد السقف. ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ الضمير في "وعده" يحتمل أن يعود على اليوم أو على الله؛ والأول أظهر لأنه ملفوظ به. ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ﴾ الإشارة إلى ما تقدم من المواعظ والوعيد. ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ يعني سبيل التقرب إلى الله، ومعنى الكلام حض على ذلك وترغيب فيه. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ﴾ هذه الآية نزلت ناسخة لما أمر به في أول السورة من قيام الليل،

وَنَصْفِهِ، وَثُلُثِهِ، وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّنْ حُصُوهَ  
 فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخِرُونَ  
 يَصْرِفُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَءَاخِرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا  
 تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا  
 لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ نَّحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ  
 غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٩﴾

ومعناها: أن الله يعلم أنك ومن معك من المسلمين تقومون قياما مختلفا مرة يكثر ومرة يقل؛ لأنكم لا  
 تقدرُونَ على إحصاء أوقات الليل وضبطها، فإنه لا يقدر على ذلك إلا الله، فخفف عنكم وأمركم أن  
 تقرأوا ما تيسر من القرآن. ﴿وَنَصْفِهِ وَثُلُثِهِ﴾ من قرأها بالخفض فهو عطف على "ثلثي الليل"؛ أي: تقوم  
 أقل من ثلثي الليل وأقل من نصفه ومن ثلثه، ومن قرأها بالنصب فهو عطف على "أدنى"؛ أي: تقوم أقل  
 من ثلثي الليل وتقوم نصفه تارة وثلثه تارة. ﴿وَطَائِفَةٌ﴾ يعني من المسلمين، وهو معطوف على الضمير  
 الفاعل في "تقوم". ﴿عَلِمَ أَن لَّنْ حُصُوهَ﴾ الضمير يعود على ما يفهم من سياق الكلام، أي: لن تحصوا  
 تقدير الليل، وقيل: معناه لن تطيقوه؛ أي: لن تطيقوا قيام الليل كله. ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ عبارة عن  
 التخفيف كقوله: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾. ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ أي: إذا لم  
 تقدرُوا على قيام الليل كله فقوموا بفضله واقروا في صلاتكم بالليل ما تيسر من القرآن، وهذا الأمر  
 للندب، وقال ابن عطية: هو للإباحة عند الجمهور، وقال قوم منهم الحسن وابن سيرين هو فرض لا بد منه  
 ولو أقل ما يمكن، حتى قال بعضهم من صلى الوتر فقد امثل هذا الأمر، وقيل: كان فرضاً ثم نسخ  
 بالصلوات الخمس، وقال بعضهم: هو فرض على أهل القرآن دون غيرهم. ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم  
 مَّرْضَىٰ﴾ ذكر الله تعالى في هذه الآية الأعذار التي تكون لبني آدم تمنعهم من قيام الليل؛ فمنها المرض،  
 ومنها السفر للتجارة؛ وهو الضرب في الأرض ابتغاء فضل الله، ومنها الجهاد، ثم كرر الأمر بقراءة ما تيسر  
 تأكيداً للأمر به أو تأكيداً للتخفيف؛ وهذا أظهر لأنه ذكره بإثر الأعذار. ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ﴾  
 يعني المكتوبتين. ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ﴾ معناه: تصدقوا، وقد ذكر في البقرة. ﴿هُوَ خَيْرًا﴾ نصب "خيراً" لأنه  
 مفعول ثانٍ لـ ﴿نَحْدُوهُ﴾ والضمير فصل. ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ قال بعض العلماء: إن الاستغفار بعد الصلاة  
 مستنبط من هذه الآية، وكان رسول الله ﷺ إذا سلم من صلاته استغفر ثلاثاً [مسلم: 591].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمُنْ تُسْتَكْبِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾

## سورة المدثر

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ وزنه متفعل، ومعناه: الذي تدثر في كساء أو ثياب، وتسميته بذلك كتسميته بالمزمل حسبما ذكرنا في موضعه، وقال السهيلي: في ندائه بالمدثر ثلاثة فوائد؛ الاثنان اللتان ذكرتا في المزمل، وفائدة ثالثة وهي أن العرب يقولون النذير العريان للنذير الذي يكون في غاية الجذ والتشمير، والنذير بالثياب ضد هذا فكأنه تنبيه على ما يجب من التشمير، وقيل: إن هذه أول سورة نزلت من القرآن؛ والصحيح أن سورة اقرأ نزلت قبلها. ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ أي: أنذر الناس، وهذه بعثة عامة. ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ﴾ أي: عظمه، ويحتمل أن يريد قول الله أكبر، ويؤيد ذلك ما روي عن أبي هريرة ؓ أن المسلمين قالوا بم نفتح صلاتنا؟ فنزلت "وربك فكبر"، وقوله "وربك فكبر" من المقلوب الذي يقرأ من أوله وآخره. ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنه حقيقة في تطهير الثياب من النجاسة، واختلف على هذا هل يحمل على الوجوب فتكون إزالة النجاسة واجبة، أو على الندب فتكون سنة؟ والآخر: أنه يراد به الطهارة من الذنوب والعيوب فالثياب على هذا مجاز، الثالث: أن معناه لا تلبس الثياب من مكسب خبيث. ﴿وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ الأول: أن "الرجز" الأوثان، روي ذلك عن رسول الله ﷺ [الحاكم: 2992]، وهو قول عائشة ؓ، والآخر: أن "الرجز" السخط والعذاب، وهذا أصله في اللغة، فالمعنى: اهجر ما يؤدي إليه ويوجهه، الثالث: أنه المعاصي والفجور، قال بعضهم: كل معصية رجز. ﴿وَلَا تَمُنْ تُسْتَكْبِرُ﴾ يحتمل قوله "تمنن" أن يكون من معنى العطاء، أو معنى المن وهو ذكر العطاء وشبهه، أو معنى الضعف؛ فإن كان من العطاء ففيه وجهان؛ أحدهما: أن معناه لا تعط شيئا لتأخذ أكثر منه، قال بعضهم: هذا خاص بالنبي ﷺ ومباح لأمته، والآخر: لا تعط الناس عطاء وتستكثره، فإن الكريم يستقل ما يعطي وإن كان كثيرا، وإن كان من المن بالشيء ففيه وجهان؛ الأول: لا تمنن على الناس بنبوتك تستكثر بأجر أو مكسب تطلبه، الثاني: لا تمنن على الله بعملك تستكثر أعمالك ويقع لك بها إعجاب، وإن كان من الضعف فمعناه لا تضعف عن تبليغ الرسالة وتستكثر ما حملناك من ذلك. ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ أي: اصبر لوجهه وطلب رضاه، ويحتمل أن يريد الصبر على المكاراه والمصائب أو على إذابة الكفار له أو على العبادة. ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ يعني نفخ في الصور، ويحتمل أن يريد النفخة الأولى أو الثانية. ﴿ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ هذا وعيد وتهديد، ونزلت الآية في الوليد بن المغيرة باتفاق،

وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٦﴾ وَبَيْنَ شُهُودًا ﴿١٧﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٨﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ  
 أَنْ أَزِيدَ ﴿١٩﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿٢٠﴾ سَأَرْهُقُهُ صُعُودًا ﴿٢١﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ  
 ﴿٢٢﴾ فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٣﴾ ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٤﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ  
 أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٧﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٩﴾

وفي معنى "وحيدا" ثلاثة أقوال؛ أحدها: روي أنه كان يلقب الوحيد؛ أي: لا نظير له في ماله وشرفه؛ وكونه  
 "وحيدا" نعمة عددها الله عليه، الثاني: أن معناه خلقته منفردا ذليلا، الثالث: أن معناه خلقته وحدي  
 ف"وحيدا" على هذا من صفات الله تعالى، وإعراجه على هذا حال من الضمير الفاعل في قوله "خلقت" وهو  
 على القولين الأولين حال من الضمير المفعول. ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾ أي: كثيرا، واختلف في مقداره؟  
 فقيل: ألف دينار، وقيل: عشرة آلاف، وقيل: يعني الأرض لأنها مدت. ﴿وَبَيْنَ شُهُودًا﴾ أي: حضورا،  
 وروي أنه كان له عشرة من الولد، وقيل: ثلاثة عشرة لا يفارقونه، وأسلم منهم ثلاثة وهم خالد وهشام  
 وعسارة. ﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ أي: بسطت له في الدنيا بالمال والعزة وطيب العيش. ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ  
 أَزِيدَ﴾ أي: يطمع في الزيادة على ما أعطاه الله وهذه غاية الحرص. ﴿كَلَّا﴾ زجر عما طمع فيه من الزيادة.  
 ﴿عَنِيدًا﴾ أي: معاندا مخالفا، والآيات هنا يراد بها القرآن؛ لأن الوليد قال فيه إنه سحر، ويحتمل أن يريد  
 الدلائل. ﴿سَأَرْهُقُهُ صُعُودًا﴾ الـ"صعود" العقبة الصعبة، روي عن النبي ﷺ أنها «عقبة في جهنم كلما  
 صعدها الإنسان ذاب ثم يعود» [المعجم الأوسط: 5573]، فالمعنى: سأشق عليه بتكليفه الصعود فيها. ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ  
 وَقَدَّرَ﴾ أي: فكر فيما يقول وقدر في نفسه ما يقول في القرآن؛ أي: هيا كلامه، روي أن الوليد سمع القرآن  
 فأعجبه وكاد يُسلم، ودخل إلى أبي بكر الصديق ﷺ، فعاتبه أبو جهل وقال له: إن قريشا قد أبغضتك  
 لمقاربتك أمر محمد، وما يُخلصك عندهم إلا أن تقول في كلام محمد قولا يرضيهم فافتتن، وقال: أفعَل ذلك  
 ثم فكر فيما يقول في القرآن، فقال أقول شعر ما هو شعر، أقول كاهن ما هو بكاهن، أقول إنه سحر وإنه قول  
 البشر، أي: ليس منزلا من عند الله. ﴿فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ دعاء عليه وذم، وكرره تأكيدا لذمه وتقبيح حاله،  
 قال ابن عطية: ويحتمل أن يكون مقتضاه استحسان منزعه الأول حين أعجبه القرآن، فيكون قوله "قتل" لا  
 يراد به الدعاء عليه، وإنما هو كقولهم: قاتل الله فلانا ما أشجعه! يريدون التعجب من حاله واستعظام  
 وصفه، وقال الزمخشري: يحتمل أن يكون ثناء عليه على طريقة الاستهزاء، أو حكاية لقول قريش تهكما بهم.  
 ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ أي: نظر في قوله وقدر ما يقول. ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ البسور هو تقطيب الوجه، وهو أشد من  
 العبوس، وفعل ذلك من حسده للنبي ﷺ، أو عبس في وجهه عليه الصلاة والسلام، أو عبس لما ضاقت عليه  
 الحيل ولم يدر ما يقول. ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ أي: أعرض عن الإسلام. ﴿سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾ أي: ينقل عن تقدم.



سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَبَكَ مَا سَقَرٌ ﴿٢٧﴾ لَا تُثْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوْاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾  
 عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً  
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ  
 أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ  
 بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴾ تعظيم لها وتهويل. ﴿ لَا تُثْقِي وَلَا تَذَرُ ﴾ مبالغة في وصف عذابها؛ أي: لا تدع غاية  
 من العذاب إلا أذاقته إياه، أو لا تبقي شيئاً ألقى فيها إلا أهلكته، وإذا هلك لم تذرهِ هالكاً بل يعود إلى  
 العذاب. ﴿ لَوْاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴾ معنى "لواحة" مغيرة، يقال: لاحه السفر وغيره إذا غيره، والبشر جمع بشرة وهي  
 الجلدة؛ فالمعنى: أنها تحرق الجلود وتسودها، وقيل: "لواحة" من لاح إذا ظهر، والبشر الناس؛ أي: تلوح  
 للناس، قال الحسن: تلوح لهم من مسيرة خمسمائة عام. ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ يعني الزبانية خزنة جهنم،  
 فقيل: هم تسعة عشر ملكاً، وقيل: تسعة عشر صفاً، وقيل: تسعة عشر صفاً من الملائكة؛ والأول أشهر.  
 ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ﴾ سبب الآية: أنه لما نزل "عليها تسعة عشر" قال أبو جهل لقريش:  
 أيعجز عشرة منكم عن واحد من هؤلاء التسعة عشر أن يبطشوا به فنزلت الآية، ومعناها: أنهم ملائكة لا  
 طاقة لكم بهم، وروي أن الواحد منهم يرمي بالجلبل على الكفار. ﴿ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾  
 أي: جعلناهم هذا العدد ليفتن الكفار بذلك ويطمعوا أن يغلبوهم ويقولوا ما قالوا. ﴿ لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا  
 الْكِتَابَ ﴾ أي: ليعلم أهل التوراة والإنجيل أن ما أخبر به محمد ﷺ من عدد ملائكة النار حق؛ لأنه موافق  
 لما في كتبهم. ﴿ وَلَا يَرْتَابَ ﴾ أي: لا يشك. ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ أن ما قاله محمد ﷺ حق،  
 فإن قيل: كيف نفى عنهم الشك بعد أن وصفهم باليقين والمعنى واحد فهو تكرار؟ فالجواب: أنه لما وصفهم  
 باليقين نفى عنهم أن يشكوا فيما يستقبل بعد يقينهم الحاصل الآن، فكأنه وصفهم باليقين في الحال  
 والاستقبال، وقال الزمخشري: في ذلك مبالغة وتأکید. ﴿ وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ الـ "مرض" الشك  
 وأكثر ما يطلق "الذين في قلوبهم مرض" على المنافقين، فإن قيل: هذه السورة مكية ولم يكن حينئذ منافقون  
 وإنما حدث المنافقون بالمدينة؟ فالجواب من وجهين؛ أحدهما: أن معناه يقول المنافقون إذا حدثوا فيه إخبار  
 بالغيب، والآخر: أن يريد من كان بمكة من أهل الشك، وقولهم: ﴿ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ﴾ استبعاد لأن  
 يكون هذا من عند الله. ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ يحتمل القصد بهذا وجهين؛ أحدهما: وصف جنود الله  
 بالكثرة؛ أي: هم من كثرتهم لا يعلمهم إلا الله، والآخر: رفع اعتراض الكفار على التسعة عشر، أي: لا يعلم

وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرِي لِلْبَشَرِ ﴿٦﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٧﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ﴿٨﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٩﴾  
 إِنَّهَا لِأَحَدِي الْكُبْرِ ﴿١٠﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿١١﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿١٢﴾  
 كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿١٣﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿١٤﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٥﴾ عَنِ  
 الْمُجْرِمِينَ ﴿١٦﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿١٧﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿١٨﴾ وَلَمْ نَكُ  
 نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ ﴿١٩﴾ وَكُنَّا نَحْوُضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٢٠﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢١﴾  
 حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٢٢﴾

أعداد جنود الله إلا هو؛ لأن منهم عددا قليلا ومنهم عددا كثيرا حسبا أراد الله. ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرِي لِلْبَشَرِ﴾ الضمير لجنهم أو للآيات المتقدمة. ﴿كَلَّا﴾ ردع للكفار عن كفرهم، وقال الزمخشري: هي إنكار لأن يكون لهم ذكرى. ﴿إِذَا أَدْبَرَ﴾ أي: ولي، وقرئ "دبر" بغير ألف والمعنى واحد، وقيل: معناه دبر الليل والنهار؛ أي جاء في دبره. ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ أي: أضاء، ومنه الإسفار بصلاة الصبح. ﴿إِنَّهَا لِأَحَدِي الْكُبْرِ﴾ الضمير لجنهم أو للآيات والندارة، أي: هي من الأمور العظام، و"الكبر" جمع كبرى، وقال ابن عطية: جمع كبيرة؛ والأول هو الصحيح. ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ تمييز أو حال من "إحدى الكبر" وقيل: النذير هنا الله تعالى، فالعامل فيه على هذا محذوف؛ وهذا ضعيف، وقيل: هو حال من أول السورة، أي: قم فأندر نذيرا؛ وهذا بعيد، قال الزمخشري: هو من بدع التفسير. ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ التقدّم: عبارة عن سلوك طريق الهدى والتأخر ضده، و"لمن شاء" بدل من "البشر" أي: هم متمكنون من التقدّم أو التأخر، وقيل: معناه الوعيد كقوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ وعلى هذا أعرب الزمخشري "أن يتقدم" مبتدأ و"لمن شاء" خبره؛ والأول أظهر. ﴿رَهِينَةٌ﴾ قال ابن عطية: الهاء في "رهينة" للمبالغة أو على تأنيث النفس، وقال الزمخشري: ليست بتأنيث رهين؛ لأن فعلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث، وإنما هي بمعنى الرهن؛ أي: كل نفس رهن عند الله بعملها. ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ أي: أهل السعادة فإنهم فكوا رقابهم بأعمالهم الصالحة كما يفك الراهن رهنه بأداء الحق، وقال علي بن أبي طالب ؑ: "أصحاب اليمين" هم الأطفال؛ لأنهم لا أعمال لهم يرتنون بها، وقال ابن عباس ؑ: هم الملائكة. ﴿يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: يسأل بعضهم بعضا عن حال المجرمين الذين في النار. ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ أي: ما أدخلكم النار، وهذا خطاب للمجرمين، يحمّل أن خاطبهم به المسلمون أو الملائكة، فأجابوهم بقولهم: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ وما بعده؛ أي: هذا الذي أوجب دخولهم النار، وإنما أخرج التأكيد بيوم الدين تعظيما له؛ لأنه أكبر جرائمهم. ﴿نَحْوُضُ﴾ الخوض هو كثرة الكلام بما لا ينبغي من الباطل وشبهه. ﴿حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾

فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿١٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿١٩﴾ كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفَرَةٌ ﴿٢٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٢١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ أَنْ يُوْتِيَ صُحُفًا مُنَشَّرَةً ﴿٢٢﴾ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ﴿٢٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٢٥﴾ وَمَا تَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٢٦﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾

هو الموت عند المفسرين، وقال ابن عطية: إنما اليقين الذي أرادوا ما كانوا يكذبون به في الدنيا فيتيقنونه بعد الموت. ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ إنما ذلك لأنهم كفار، وأجمع العلماء على أنه لا يشفع أحد في الكفار، وجمع "الشافعين" دليل على كثرتهم كما ورد في الآثار؛ تشفع الملائكة والأنبياء والعلماء والشهداء والصالِحون. ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ يعني كفار قريش. ﴿كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفَرَةٌ﴾ الـ "مستنفرة" بفتح الفاء التي استنفرها الفزع، وبالكسر بمعنى النافرة؛ شبه الكفار بالحمر النافرة في جهلهم ونفورهم عن الإسلام ويعني حمير الوحش. ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ ابن عباس ؓ: الـ "قسورة" الرماة، وقال أيضا: هو الأسد، وقيل: أصوات الناس، وقيل: الرجال الشداد، وقيل: سواد أول الليل. ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ أَنْ يُوْتِيَ صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾ المعنى: يطمع كل إنسان منهم أن ينزل عليه كتابا من الله، ومعنى "منشرة" منشورة غير مطوية؛ أي: هي طرية كما كتبت لم تطو بعد، وذلك أنهم قالوا للرسول ﷺ: لم تتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتاب من السماء فيه: من رب العالمين إلى فلان بن فلان نؤمر باتباعك. ﴿كَلَّا﴾ ردع عما أرادوه. ﴿بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ أي: هذه هي العلة والسبب في إعراضهم. ﴿كَلَّا﴾ تأكيد للردع الأول أو ردع عن عدم خوفهم الآخرة. ﴿إِنَّهُ تَذَكُّرٌ﴾ الضمير لما تقدم من الكلام أو للقرآن بجملته. ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ فاعل "شاء" ضمير يعود على "من"، وفي ذلك حض وترغيب، وقيل: الفاعل هو الله، ثم قيد فعل العبد بمشيئة الله. ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ أي: هو أهل لأن يتقى لشدة عقابه، وهو أهل لأن يغفر الذنوب لكرمه وسعة رحمته وفضله.

#### سورة القيامة

﴿لَا أُقْسِمُ﴾ في الموضعين معناه: أقسم، و"لا" زائدة لتأكيد القسم، وقيل: هي استفتاح كلام بمنزلة ألا، وقيل: هي نفي لكلام الكفار. ﴿بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ هي التي تلوم نفسها على فعل الذنوب أو التقصير في الطاعات؛ فإن النفوس على ثلاثة أنواع؛ فخيرها النفس المطمئنة، وشرها النفس الأمارة بالسوء، وبينهما النفس اللوامة، وقيل "اللوامة" هي المذمومة الفاجرة، وهذا بعيد؛ لأن الله لا يقسم إلا بما يعظم من المخلوقات، ويستقيم

أَمْحَسِبُ الْإِنْسَانَ أَنْ يُجْمَعَ عِظَامُهُ ﴿٤﴾ بَلَى قَدَرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٥﴾ بَلْ  
يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٦﴾ يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٧﴾ فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ ﴿٨﴾  
وَحَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٩﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿١٠﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُجُ ﴿١١﴾ كَلَّا  
لَا وَرَرْ ﴿١٢﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٣﴾ يُنَبِّئُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٤﴾

إن كان "لا أقسم" نفيًا للقسم. ﴿أَمْحَسِبُ الْإِنْسَانَ أَنْ يُجْمَعَ عِظَامُهُ﴾ "الإنسان" هنا للجنس، والإشارة به إلى الكفار المنكرين للبعث، ومعناه: أيعظن أن لن نجمع عظامه للبعث بعد فنائها في التراب، وهذه الجملة هي التي تدل على جواب القسم المتقدم. ﴿بَلَى﴾ تقديره: نجمعها. ﴿قَادِرِينَ﴾ منصوب على الحال من الضمير في "نجمع"، والتقدير: نجمعها ونحن قادرون. ﴿عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ البنان الأصابع، وفي المعنى قولان؛ أحدهما: أنه إخبار بالقدرة على البعث؛ أي: قادرين على أن نسوي أصابعه؛ أي: نخلقها بعد فنائها مستوية متقنة، وإنما خص الأصابع دون سائر الأعضاء لدقة عظامها وتفرقها، والآخر: أنه تهديد في الدنيا؛ أي: قادرين على أن نجعل أصابعه مستوية ملتصقة كيد الحمار ونُخف الجمل فلا يمكنه تصريف يديه في منفعه؛ والأول أليق بسياق الكلام. ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ هذه الجملة معطوفة على "أَمْحَسِبُ الْإِنْسَانَ"، ويجوز أن تكون استفهامًا مثلها أو تكون خبرًا، وليست "بل" هنا للإضراب عن الكلام الأول بمعنى إبطاله وإنما هي للخروج منه إلى ما بعده، و"ليفجر" معناه: يفعل أفعال الفجور، وفي معنى "أمامه" ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنه عبارة عما يستقبل من الزمان؛ أي: يفجر بقية عمره، الثاني: أنه عبارة عن اتباع أغراضه وشهوته، يقال: مشى فلان قدامه إذا لم يرجع عن شيء يريده، والضمير على هذين القولين يعود على "الإنسان"، الثالث: أن الضمير يعود على يوم القيامة، والمعنى: يريد الإنسان أن يفجر قبل يوم القيامة. ﴿يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ "أيان" معناها: متى، وهذا السؤال عن يوم القيامة هو على وجه الاستخفاف والاستبعاد. ﴿بَرَقَ الْبَصَرُ﴾ هذا إخبار عن يوم القيامة، وقيل: عن حالة الموت، وهذا خطأ؛ لأن "القمر" لا يحسف عند موت أحد ولا يجمع بينه وبين الشمس، و"برق" بفتح الراء معناه: لمع وصار له بريق، وقرئ بكسر الراء ومعناه: تحير من الفزع، وقيل: معناه شخصف فيتقارب معنى الفتح والكسر. ﴿وَحَسَفَ الْقَمَرُ﴾ أي: ذهب ضوؤه، يقال: خسف هو وخسفه الله، والخسوف للقمر والكسوف للشمس، وقيل: الكسوف ذهاب بعض الضوء والخسوف ذهاب جميعه، وقيل: هما بمعنى واحد. ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ في جمعها ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنها يجتمعان حيث يطلعهما الله من المغرب، والآخر: أنها يجتمعان يوم القيامة ثم يقذف بهما في النار، وقيل: في البحر فتكون النار الكبرى، الثالث: أنها يجتمعان فيذهب ضوءهما. ﴿لَا وَرَرْ﴾ أي: لا ملجأ ولا مغيث. ﴿بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ أي: بجميع أعماله ما قدم

بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٠﴾ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴿١١﴾ لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ  
 لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٢﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٣﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا  
 بَيَانَهُ ﴿١٥﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿١٦﴾ وَتَذُرُونَ الْآخِرَةَ ﴿١٧﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿١٨﴾  
 إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿١٩﴾

منها في أول عمره وما آخر في آخره، وقيل: ما قدم في حياته وما آخر من سنة أو وصية بعد مماته، وقيل: ما قدم من المعاصي وآخر من الطاعات، وقيل: ما قدم لنفسه من ماله وما آخر منه لورثته. ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ في معناه قولان؛ أحدهما: أنه شاهد على نفسه بأعماله إذ تشهد عليه جوارحه يوم القيامة، والآخر: أنه حجة بينة؛ لأن خلقته تدل على خالقه فوصف بالبصارة مجازاً؛ لأن من نظر فيه أبصر الحق؛ والأول أليق بما قبله وما بعده، كأنه قال: ينبؤ الإنسان يومئذ بأعماله بل هو يشهد بأعماله وإن لم ينبؤا بها، وكذلك يلتئم مع قوله "ولو ألقى معاذيره" ويكون هذا جواب "لو" حسبنا نذكره. ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ فيه قولان؛ أحدهما: أن المعاذير الأعذار؛ أي: الإنسان يشهد على نفسه بأعماله ولو اعتذر عن قبائحها، والآخر: أن المعاذير الستور؛ أي: الإنسان يشهد على نفسه يوم القيامة ولو سدل الستور على نفسه في الدنيا حين يفعل القبائح. ﴿لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ الضمير في "به" يعود على القرآن دلت على ذلك قرينة الحال، وسبب الآية أن رسول الله ﷺ كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يحرك به شفثيه مخافة أن ينساه لحينه، فأمره الله أن ينصت ويستمع، وقيل: كان يخاف أن ينسى القرآن فكان يدرسه حتى غلب عليه ذلك وشق عليه فنزلت الآية؛ والأول هو الصحيح لأنه ورد في البخاري [5] وغيره. ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ ضمن الله له أن يجمعه في صدره فلا يحتاج إلى تحريك شفثيه عند نزوله، ويحتمل "قرآنه" هنا وجهين؛ أحدهما: أن يكون بمعنى القراءة فإن القرآن قد يكون مصدراً من قرأت، والآخر: أن يكون معناه تأليفه في صدره فهو مصدر من قولك: قرأت الشيء جمعته. ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ أي: إذا قرأه جبريل فاجعل قراءة جبريل قراءة الله لأنها من عنده، ومعنى "اتبع قرآنه" استمع قراءته واتبعها بذهنك لتحفظها، وقيل: اتبع القرآن في الأوامر والنواهي. ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ أي: علينا أن نبينه لك ونجعلك تحفظه، وقيل: علينا أن نبين معانيه وأحكامه، فإن قيل: ما مناسبة قوله "لا تحرك به لسانك" الآية لما قبلها؟ فالجواب: أنه لعله نزل معه في حين واحد فجعل على ترتيب النزول. ﴿بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ أي: الدنيا، وهذا الخطاب توبيخ للكفار ومن كان على مثل حالهم في حب الدنيا، و"كلا" ردع عن ذلك. ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ بالضاد، أي: ناعمة ومنه ﴿نَضْرَةَ التَّعِيمِ﴾. ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ هذا من النظر بالعين، وهو نص في نظر المؤمنين إلى الله تعالى في الآخرة؛ وهو مذهب أهل السنة، وأنكره المعتزلة وتأولوا "ناظرة" بأن معناها: منتظرة؛ وهذا

وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ بِآسِرَةٍ ﴿١٦﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿١٨﴾ وَقِيلَ  
مَنْ رَاقٍ ﴿١٩﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٠﴾ وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢١﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ  
﴿٢٢﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿٢٣﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٢٤﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ﴿٢٥﴾  
أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ﴿٢٦﴾ ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ﴿٢٧﴾ أَمْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٢٨﴾

باطل؛ لأن نظر بمعنى انتظر يتعدى بغير حرف جر تقول: نظرتك؛ أي: انتظرتك، وأما المتعدي بـ"إلى" فهو من نظر العين ومنه قوله ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾، وقال بعضهم "إلى" هنا ليست بحرف جر وإنما هي واحد الآلاء بمعنى النعم؛ وهذا تكلف في غاية البعد، وتأوله الزمخشري بأن معناه كقولك: فلان ناظر إلى فلان إذا كان يرتجيه ويتعلق به؛ وهذا بعيد، وقد جاءت عن النبي ﷺ في النظر إلى الله أحاديث صحيحة مستفيضة صريحة المعنى لا تحمل التأويل فهي تفسير للآية. ﴿بآسِرَةٍ﴾ أي: عابسة تظهر عليها الكآبة، والبسور أشد من العبوس. ﴿تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ أي: مصيبة قاصمة الظهر، والظن هنا يحتمل أن يكون على أصله أو بمعنى اليقين. ﴿إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ يعني حالة الموت، و"التراقى" جمع ترقوة وهي عظام أعلى الصدر، والفاعل بـ"بلغت" نفس الإنسان دل على ذلك سياق الكلام؛ وهو عبارة عن حال الحشجة وسياق الموت. ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ أي: قال أهل المريض من يرقيه عسى أن يشفيه، وقيل: معناه أن الملائكة تقول من يرقى بروحه؛ أي: يصعد بها إلى السماء؛ فالأول من الرقية وهو أشهر وأظهر، والثاني من الرقي إلى العلو. ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ أي: تيقن المريض أن ذلك الحال فراق الدنيا وفراق أهله وماله. ﴿وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ هذه عبارة عن شدة كرب الموت وسكراته، أي: التفت ساقه على ساقه الأخرى عند السياق، وقيل: هو مجاز كقولك: كشفت الحرب عن ساقها إذا اشتدت، وقيل: معناه ماتت ساقه فلا تحمله، وقيل "التفت" أي: لفها الكفن إذا كفن، وفي قوله "الساق" و"المساق" ضرب من ضروب التجنيس. ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ هذا جواب "إذا بلغت التراقى"، و"المساق" مصدر من السوق كقوله: ﴿إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾. ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ "لا" هنا نافية، و"صدق" يحتمل أن يكون من التصديق بالله ورسله أو من الصدقة، ونزلت هذه الآية وما بعدها في أبي جهل. ﴿يَتَمَطَّى﴾ أي: يتبختر في مشيه، وذلك عبارة عن التكبر والخيلاء، وكانت هذه المشية معروفة في بني مخزوم الذين كان أبو جهل منهم. ﴿أَوْلَى لَكَ﴾ وعيد وتهديد. ﴿فَأَوْلَى﴾ وعيد ثان ثم كرر ذلك تأكيدا، وروي أن رسول الله ﷺ لبب أبا جهل وقال له: «إن الله يقول لك أولى لك فأولى»، فنزل القرآن بموافقة ذلك [الحاكم: 3881]. ﴿أَمْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ هذا توبيخ، ومعناه: أظن أن يترك من غير بعث ولا حساب ولا جزاء فهو كقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾، و"الإنسان" هنا جنس، وقيل: نزلت في أبي جهل؛ ولا يبعد أن يكون سببها خاصا ومعناها عاما.

أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِي تُمْنِي ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَحَلَقَ فَسَوَّى ﴿١٧﴾ فَعَجَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ  
الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿١٨﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ تُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴿١٩﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا  
مَّذْكَورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا  
هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾

﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِي تُمْنِي ﴾ النطفة هي النقطة، و"تمنى" من قولك أمتنى الرجل، ومعنى الآية: الاستدلال  
بخلقة الإنسان على بعثه كقوله: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾، والـ ﴿ عَلَقَةً ﴾ الدم؛ لأن المنى يصير في  
الرحم دما. ﴿ فَحَلَقَ فَسَوَّى ﴾ أي: خلقه الله بشرا فسوى صورته، أي: أتمنها. ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَيَّ أَنْ  
يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ هذا تقرير واحتجاج، وروي أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ آخر هذه السورة قال: «بلى»، وفي  
رواية «سبحانك اللهم بلى» [ أبو داود: 887].

### سورة الإنسان

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكَورًا ﴾ "هل" هنا بمعنى التقرير لا للمجرد الاستفهام،  
وقيل: هي بمعنى قد، و"الإنسان" هنا جنس، والـ "حين" الذي أتى عليه حين كان معدوما قبل أن يخلق،  
وقيل: "الإنسان" هنا آدم، والـ "حين" الذي أتى عليه حين كان طينا قبل أن ينفخ فيه الروح؛ وهذا ضعيف  
لوجهين؛ أحدهما قوله: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ وهو هنا جنس باتفاق إذ لا يصح هذا في آدم،  
والآخر: أن مقصد الآية تحقير الإنسان. ﴿ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ أي: أخلط، واحدها مشج بفتح الميم  
والشين، وقيل: مشج بوزن عدل، وقال الزمخشري: ليس "أمشاج" بجمع وإنما هو مفرد كقولهم: برمة  
أعشار، ولذلك وقع صفة للمفرد، واختلف في معنى الاختلاط هنا، فقيل: اختلاط الدم والبلغم والصفراء  
والسوداء، وقيل: اختلاط ماء الرجل والمرأة، وروي أن عظام الإنسان وعصبه من ماء الرجل ولحمه  
وشحمه من ماء المرأة، وقيل: معناه ألوان وأطوار، أي: يكون نطفة ثم علقة ثم مضغة. ﴿ نَّبْتَلِيهِ ﴾ أي:  
نختبره، وهذه الجملة في موضع الحال، أي: خلقناه مبتلين له، وقيل: معناه نصرفه في بطن أمه نطفة ثم علقة.  
﴿ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ هذا معطوف على "خلقنا الانسان"، ومن جعل "نبتليه" بمعنى نصرفه في بطن أمه  
فهذا عطف عليه، وقيل: إن "نبتليه" مؤخر في المعنى؛ أي: جعلناه سميعا بصيرا نبتليه؛ وهذا تكلف بعيد.  
﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ﴾ أي: سبيل الخير والشر، ولذلك قسم الإنسان إلى قسمين؛ شاكرا وكفورا، وهما حالان

إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ  
كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٢﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٣﴾ يُوفُونَ  
بِالنَّذْرِ وَمَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٤﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ ۖ

من الضمير في "هديناه"، والهدى هنا بمعنى بيان الطريقين وهو هبة العقل الذي يميز به بينهما، ويحتمل أن يكون بمعنى الإرشاد؛ أي: هدى المؤمن للإيمان والكافر للكفر ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾. ﴿سَلَاسِلًا﴾ من قرأ بغير تنوين فهو الأصل إذ هو لا ينصرف؛ لأنه جمع لا نظير له في الأحاد، ومن قرأ بالتنوين فله ثلاث توجيهات؛ أحدها: أنها لغة لبعض العرب يصرفون كل ما لا ينصرف إلا أفعل، والآخر: أن النون بدل من حرف الإطلاق، وأجري الوصل مجرى الوقف، والثالث: أن يكون صاحب هذه القراءة راوية للشعر قد عود لسانه صرف ما لا ينصرف فجرى على ذلك. ﴿الْأَبْرَارَ﴾ جمع بار أو بر، ومعناه: العاملون بالبر وهو غاية التقوى والعمل الصالح، حتى قال بعضهم: "الأبرار" هم الذين لا يؤذون الذر. ﴿مِنْ كَأْسٍ﴾ ذكر في الصفات معنى الكأس، و"من" هنا يحتمل أن تكون للتبويض أو لابتداء الغاية. ﴿مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ أي: تمزج الخمر بالكافور، وقيل: المعنى أنه كافور في طيب رائحته كما تمدح طعاما فتقول: هذا مسك. ﴿عَيْنًا﴾ بدل من "كافور" على القول بأن الخمر تمزج بالكافور، وبدل من موضع "من كأس" على القول الآخر، كأنه قال: أي يشربون خمرا خمر عين، وقيل: هو مفعول ب"يشربون"، وقيل: منصوب بإضمار فعل. ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ قال ابن عطية: الباء زائدة، والمعنى: يشربها، وهذا ضعيف؛ لأن الباء إنما تزداد في مواضع ليس هذا منها، وإنما هي كقولك: شربت الماء بالعسل، لأن العين المذكورة تمزج بها الكأس من الخمر. ﴿عِبَادُ اللَّهِ﴾ وصفهم بالعبودية فيه معنى التقريب والاختصاص كقوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾. ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ أي: يجرونها حيث شاؤوا من منازلهم تفجيرا سهلا لا يصعب عليهم، وفي الأثر أن في قصر النبي ﷺ في الجنة عينا تنفجر إلى قصور الأنبياء والمؤمنين. ﴿مُسْتَطِيرًا﴾ أي: منتشرا شائعا، ومنه استطار الفجر إذا انتشر ضوءه. ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ﴾ نزلت هذه الآية وما بعدها في علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين ﷺ فإنهم كانوا صائمين، فلما وضعوا فطرمهم ليأكلوه جاء مسكين فدفعوه له وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين، فلما وضعوا فطرمهم جاء يتيم فدفعوه له وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين، فلما وضعوا فطرمهم جاء أسير فدفعوه له وباتوا طاوين، والآية على هذا مدنية؛ لأن عليا ﷺ إنما تزوج فاطمة ﷺ بالمدينة، وقيل: هي مكية وليست في علي ﷺ. ﴿عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ الضمير ل"لطعام" أي: يطعمونه مع حبه والحاجة إليه فهو كقوله: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وقوله: ﴿وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ ففي قوله على "حبه" تميم وهو من أدوات البيان، وقيل: الضمير "له"، وقيل: للإطعام



مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُنْطَعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾  
 إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقْنَهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْنُمْ نَضْرَةً  
 وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ  
 فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا ﴿١٤﴾

المفهوم من "يطعمون"؛ والأول أرجح وأظهر. ﴿مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ قد ذكرنا المسكين واليتيم، وأما الأسير ففيه خمسة أقوال؛ أحدها: أنه الأسير الكافر بين المسلمين ففي إطعامه أجر؛ لأن في كل ذي كبد رطب أجر، وقيل: نسخ ذلك بالسيف، والآخر: أنه الأسير المسلم إذا خرج من أرض الحرب لطلب الفدية، والثالث: أنه المملوك، والرابع: أنه المسجون، والخامس: أنه المرأة لقوله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوان عندكم» [الترمذي: 1163]، وهذا بعيد والأول أرجح؛ لأنه روي أن النبي ﷺ كان يؤتى بالأسير المشرك فيدفعه إلى بعض المسلمين ويقول له: «أحسن إليه». ﴿إِنَّمَا نُنْطَعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ﴾ عبارة عن الإخلاص لله، ولذلك فسروه وأكدوه بقولهم: ﴿لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾، والشكور مصدر كالشكر، ويحتمل أنهم قالوا هذا الكلام بألسنتهم، أو قالوه في نفوسهم، فهو عبارة عن النية والقصد. ﴿يَوْمًا عَبُوسًا﴾ وصف اليوم بالعبوس مجازا على وجهين؛ أحدهما: أن يصف اليوم بصفة أهله كقولهم: نهاره صائم وليله قائم، وروي أن الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من عينيه مثل القطران، والآخر: أن يشبه في شدته بالأسد العبوس. ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ قال ابن عباس ﷺ: معناه طويل، وقيل: شديد. ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ الـ "نضرة" التمتع، وهذا في مقابلة عبوس الكافر، وقوله: ﴿وَقَّاهُمْ﴾ و"لقاهم" من أدوات البيان. ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ أي: بصبرهم على الجوع وإيثار غيرهم على أنفسهم حسبما ذكرنا في قصة علي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ، وقد ذكرنا ﴿الْأَرَائِكِ﴾. ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ عبارة عن اعتدال هوائها، أي: ليس فيها حر ولا برد، والـ "زمهير" هو البرد الشديد، وقيل: هو القمر بلغة طيء، والمعنى على هذا: أن الجنة ضياء فلا يحتاج فيها إلى شمس ولا قمر. ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا﴾ معناه: أن ظلال الأشجار متدلّية عليهم قريبة منهم؛ لأن الشيء المظل إذا بعد فتر ظله، وإعراب "دانية" معطوف على "متكئين"، وقال الزمخشري: هو معطوف على الجملة التي قبلها وهي "لا يرون فيها شمسا ولا زمهيرا"؛ لأن هذه الجملة في حكم المفرد، تقديره: غير راتين فيها شمسا ولا زمهيرا ودانية، ودخلت الواو للدلالة على أن الأمرين يجتمعان لهم؛ أي: جامعين بين البعد عن الحر والبرد وبين دنو الظلال، وقيل: هو صفة لجنة عطفت بالواو كقولك: فلان عالم وصالح، وقيل: هو معطوف عليها، أي: وجنة أخرى دانية عليهم ظلها. ﴿وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا﴾ القطوف جمع

وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَآئِنَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿٦﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿٧﴾ وَدُسَّقُونَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿٨﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿٩﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿١١﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴿١٢﴾

قطف وهو العنقود من النخل والعنب وشبه ذلك، وتذليلها هو أن تتدلى إلى الأرض، وروي أن أهل الجنة يقطعون الفواكه على أي حال كانوا من قيام أو جلوس أو اضطجاع لأنها تتدلى لهم كما يريدون، وهذه الجملة في موضع الحال من "دانية"؛ أي: دانية في حال تذليل قطفها أو معطوفة عليها. ﴿بِئَانِيَّةٍ﴾ هي جمع إناء، ووزنها أفعلة، وقد ذكرنا الـ"أكواب" في الواقعة. ﴿قَوَارِيرًا﴾ القوارير هي الزجاج، فإن قيل: كيف يتفق أنها زجاج مع قوله "من فضة"؟ فالجواب أن المراد أنها في أصلها من فضة وهي تشبه الزجاج في صفاتها وشفيفها، وقيل: هي من زجاج وجعلها من فضة على وجه التشبيه لشرف الفضة وبياضها، ومن قرأ "قوارير" بغير تنوين فهو على الأصل، ومن نونه فعلى ما ذكرنا في "سلاسل". ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ هذه صفة للـ"قوارير"، والمعنى: قدروها على قدر الأكف، أو على قدر ما يحتاجون إليه من الشراب، قال مجاهد: هي لا تفيض ولا تغيض، وقيل: قدروها على حسب ما يشتهون، والضمير الفاعل في "قدروها" يحتمل أن يكون للشاربين بها أو للطائفين بها. ﴿مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ هو كما ذكرنا في "مزاجها كافورا". ﴿سَلْسَبِيلًا﴾ معناه: سلسل منقاد الجرية، وقيل: سهل الانحدار في الحلق، يقال: شراب سلسل وسلسال وسلسيل بمعنى واحد، وزيدت الباء في التركيب للمبالغة في سلاسته فصارت الكلمة خماسية، وقيل: "سل" فعل أمر و"سيلا" مفعول به؛ وهذا في غاية الضعف. ﴿وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ ذكر في الواقعة. ﴿لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ شبههم باللؤلؤ في الحسن والبياض، وبالمنثور منه في كثرتهم وانتشارهم في القصور. ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ﴾ مفعول "رأيت" محذوف ليكون الكلام على الإطلاق في كل ما يرى فيها، و"ثم" ظرف مكان، وقال الفراء: تقديره: إذا رأيت ما ثم، فما مفعولة ثم حذفت، قال الزمخشري: وهذا خطأ؛ لأن "ثم" صلة لما، ولا يجوز حذف الموصول وإبقاء الصلة. ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ يعني كثرة ما أعطاهم الله حتى [إن أدنى أهل الجنة منزلة له مثل الدنيا وعشرة أمثالها] [البخاري: 6202] حسبما ورد في الحديث، وقيل: أراد أن الملائكة تسلم عليهم وتستأذن عليهم فهم بذلك كالملوك. ﴿عَالِيَهُمْ﴾ بسكون الياء مبتدأ وخبره: ﴿ثِيَابٌ سُنْدُسٌ﴾ أي: ما يعلوهم من الثياب ثياب سندس، وقرئ بالنصب على الحال من الضمير في "يطوف عليهم" أو في "حسبتهم"، وقال ابن عطية: العامل فيه "لقاهم" أو "جزاهم"، وقال أيضا: يجوز أن ينتصب على الظرف لأن معناه فوقهم، وقد ذكرنا معنى الـ"سندس" والـ"إستبرق"، وقرئ: ﴿خُضْرٌ﴾ بالخفض صفة لـ"سندس" وبالرفع صفة لـ"ثياب". ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ بالرفع عطف على "ثياب"

وَحُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمْ رَهُمَ شَرَابًا طَهُورًا ﴿١١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا ﴿١٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿١٣﴾ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ دَعَاءً نِثْمًا أَوْ كُفُورًا ﴿١٤﴾ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿١٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿١٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَئِيْبُونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿١٧﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ﴿١٨﴾ وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿١٩﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٠﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢١﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٢﴾

وبالخفض عطف على "سندس". ﴿وَحُلُوا﴾ وزنه فعلوا، ومعناه: جعل لهم حلي. ﴿أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ ذكرنا الـ"أساور" في الكهف، فإن قيل: كيف قال هنا "أساور من فضة" وفي موضع آخر ﴿أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾؟ فالجواب أن ذلك يختلف باختلاف درجات أهل الجنة، قال رسول الله ﷺ: «جتان من ذهب أنتيهما وما فيهما، وجتان من فضة أنتيهما وما فيهما» [البخاري: 4597]، فلعل الذهب للمقربين والفضة لأصحاب اليمين، ويحتمل أن يكون أهل الجنة لهم أساور من فضة ومن ذهب معا. ﴿شَرَابًا طَهُورًا﴾ أي: ليس بنجس كخمر الدنيا، وقيل: معناه أنه لم تعصره الأقدام، وقيل: معناه لا يصير يولا. ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾ أي: يقال لهم: هذا يقوله الله تعالى أو الملائكة. ﴿دَعَاءً نِثْمًا أَوْ كُفُورًا﴾ "أو" هنا للتنويع؛ فالمعنى: لا تطع النوعين فاعلا للإثم ولا كافرا، وقيل: هي بمعنى الواو، أي: جامعا للوصفين لأن هذه هي حالة الكفار، وروي أن الآية نزلت في أبي جهل، وقيل: إن الأثم عتبة بن ربيعة والكفور الوليد بن المغيرة؛ والأحسن أنها على العموم؛ لأن لفظها عام وإن كان سبب نزولها خاصا. ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ هذا أمر بذكر الله في كل وقت، وقيل: هو إشارة إلى الصلوات الخمس؛ فالـ"بكرة" صلاة الصبح، والأصيل الظهر والعصر ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ المغرب والعشاء. ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَئِيْبُونَ الْعَاجِلَةَ﴾ أي: الدنيا، والإشارة إلى الكفار، واليوم الثقيل يوم القيامة، ووصفه بالثقل عبارة عن هوله وشدته. ﴿وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ الأسر الخلق، وقيل: المفاصل والأوصال، وقيل: القوة. ﴿بَدَلْنَا أَمْثَلَهُمْ﴾ أي: أهلكتناهم وأبدلنا منهم غيرهم، وقيل: مسخناهم فبدلنا صورهم؛ وهذا تهديد. ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ الإشارة إلى الآية أو السورة أو الشريعة بجملتها. ﴿فَمَنْ شَاءَ﴾ تضيض وترغيب ثم قيد مشيئتهم بمشيئة الله. ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره: يعذب الظالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ۝ وَالنَّاشِرَاتِ  
 نَشْرًا ۝ فَالْفَرِيقَاتِ فَرَقًا ۝ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ۝ عُذْرًا أَوْ نَذْرًا ۝ إِنَّمَا تُوعَدُونَ  
 لَوَاقِعَ ۝ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۝ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ۝ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝  
 وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْتَتِ ۝

## سورة المرسلات

اختلف في معنى ﴿الْمُرْسَلَاتِ﴾، و﴿الْعَاصِفَاتِ﴾، و﴿النَّاشِرَاتِ﴾، و﴿الْفَارِقَاتِ﴾ على قولين؛ أحدهما: أنها الملائكة، والآخر: أنها الرياح؛ فعلى القول بأنها الملائكة سباهم "المرسلات" لأنه تعالى يرسلهم بالوحي وغيره، وسباهم "العاصفات" لأنهم يعصفون كما تعصف الرياح في سرعة مضيهم إلى امتثال أوامر الله تعالى، وسباهم "الناشرات" لأنهم ينشرون أجنحتهم في الجو، أو ينشرون الشرائع في الأرض، أو ينشرون صحائف الأعمال، وسباهم "الفارقات" لأنهم يفرقون بين الحق والباطل؛ وعلى القول بأنها الرياح سباهم "المرسلات" لقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ﴾، وسباهم "العاصفات" من قوله: ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ أي: شديدة، وسباهم "الناشرات" لأنها تنشر السحاب في الجو ومنه قوله: ﴿يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾، وسباهم "الفارقات" لأنها تفرق بين السحاب ومنه قوله: ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا﴾. وأما ﴿الْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾ فهم الملائكة؛ لأنهم يلقون الذكر للأنبياء عليهم السلام؛ والأظهر في "المرسلات" و"العاصفات" أنها الرياح؛ لأن وصف الرياح بالعصف حقيقة؛ والأظهر في "الناشرات" و"الفارقات" أنها الملائكة لأن الوصف بـ"الفارقات" أليق بهم من الرياح، ولأن "الملقيات" المذكورة بعدها هي الملائكة ولم يقل أحد أنها الرياح، ولذلك عطف المتجانسين بالفاء فقال: "والمرسلات" "فالعاصفات"، ثم عطف من ليس من جنسها بالواو فقال "والناشرات" ثم عطف عليه المتجانسين بالفاء، وقد قيل في "المرسلات" و"الملقيات" إنهم الأنبياء عليهم السلام. ﴿عُرْفًا﴾ معناه: فضلا وإنعاما، وانتصابه على أنه مفعول من أجله، وقيل: معناه متتابعة، وهو مصدر في موضع الحال وأما ﴿عَصْفًا﴾ و﴿نَشْرًا﴾ و﴿فَرَقًا﴾ فمصادر، وأما "ذكرا" فمفعول به. ﴿عُذْرًا أَوْ نَذْرًا﴾ العذر فسرته ابن عطية وغيره بمعنى إعدار الله إلى عباده لثلاث تبقى لهم حجة أو عذر، وفسره الزمخشري بمعنى الاعتذار يقال: عذر إذا عفا الإساءة، وأما "نذرا" فمن الإنذار وهو التخويف، وقرئ بضم الذال في الموضعين وبإسكانها، ويحتمل أن يكونا مصدرين فيكون نصبهما على البدل من "ذكرا"، أو مفعولا من أجله أو مفعولا بـ"ذكر"، ويجوز أن يكون "عذرا" جمع عذير؛ أي: عاذر، و"نذرا" جمع نذير فيكون نصبهما على الحال. ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعَ﴾ يعني البعث والجزاء، وهذا جواب القسم. ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ أي: زال ضوءها، وقيل: محيت. ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ أي: انشقت. ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ أي: صارت غبارا. ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْتَتِ﴾ أي: جعل لها وقت معلوم،

لَأَيِّ يَوْمٍ أَجَلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ  
لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ يَهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ  
بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي  
قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ  
﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ  
وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ  
تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾

فحان ذلك الوقت، وجمعت للشهادة على الأمم يوم القيامة، وقرئ "وقتت" بالواو وهو الأصل والهمزة بدل من الواو. ﴿لَأَيِّ يَوْمٍ أَجَلَتْ﴾ هو من الأجل كالتوقيت من الوقت، وفيه توقيف يراد به تعظيم لذلك اليوم ثم بينه بقوله: ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ أي: يفصل فيه بين العباد ثم عظمه بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ تكرراره في هذه السورة؟ قيل: إنه تأكيد، وقيل: بل في كل آية ما يقتضي التصديق فجاء ﴿وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ راجعا إلى ما قبله في كل موضع منها. ﴿أَلَمْ يَهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ يعني الكفار المتقدمين كقوم نوح وغيرهم. ﴿ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ يعني قريشا وغيرهم من الكفار بمحمد ﷺ، وهذا وعيد لهم ظهر مصداقه يوم بدر وغيره. ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ أي: مثل هذا الفعل نفعل بكل مجرم، يعني الكفار. ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ يعني المنى، وال"مهين" الضعيف. ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ يعني رحم المرأة وبطنها. ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ يعني وقت الولادة وهو معلوم عند الله وهو تسعة أشهر أو أقل منها أو أكثر. ﴿فَقَدَرْنَا﴾ بالتشديد من التقدير، وبالتخفيف من القدرة؛ فإذا كان من القدرة اتفق مع قوله ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾، وإذا كان من التقدير فهو تجنيس. ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ الكفات من كفت إذا ضم وجمع؛ فالمعنى: أن الأرض تكفت الأحياء على ظهرها والأموات في بطنها، وانتصب "أحياء" و"أمواتا" على أنه مفعول بـ"كفاتا"؛ لأن الكفات اسم لما يضم ويجمع، فكانه قال: جامعة أحياء وأمواتا، ويحتمل أن يكون المعنى تكفتهم أحياء وأمواتا، فيكون نصبها على الحال من الضمير، وإنما نكر "أحياء" و"أمواتا" للتفخيم ودلالة على كثرتهم. ﴿رَوَاسِيَ﴾ يعني الجبال. ﴿شَامِخَاتٍ﴾ أي: مرتفعات. ﴿مَاءً فُرَاتًا﴾ أي: حلوا. ﴿أَنْطَلِقُوا﴾ خطاب للمكذبين، وقرأ يعقوب بفتح اللام على أنه فعل ماض ثم كرره لبيان المنطلق إليه. ﴿إِلَىٰ ظِلِّ﴾ يعني دخان جهنم، ومنه ﴿وَظِلٌّ مِنْ مَّحْمُومٍ﴾. ﴿ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ أي: يتفرع من الدخان

لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿١٠﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّرٍ كَالْقَصْرِ ﴿١١﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿١٢﴾  
 وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿١٤﴾ وَلَا يُؤَدُّنُ لَهُمْ فَيْعَتِدِرُونَ ﴿١٥﴾  
 وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٦﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأُولَىٰ لَكُمْ ﴿١٧﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ  
 كَيْدٌ فَكِيدُوا ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ﴿٢٠﴾  
 وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي  
 الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٥﴾ وَيْلٌ  
 يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ  
 لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٩﴾

ثلاث شعب فظلمهم، بينما يكون المؤمنون في ظل العرش، وقيل: إن هذه الآية في عبدة الصليب لأنه على ثلاث شعب فيقال لهم: انطلقوا إليه. ﴿لَا ظَلِيلٍ﴾ نفى عنهم أن يظلمهم كما يظلم العرش المؤمنين، ونفى أيضا أن يمنع عنهم اللهب. ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّرٍ كَالْقَصْرِ﴾ الضمير في "إنها" لجهنم، و"القصر" واحد القصور وهي الديار العظام، شبه الشرر به في عظمه وفي ارتفاعه في الهواء، وقيل: هو الغليظ من الشجر واحده قصرة كجمرة وجمر. ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ في الـ"جمالات" قولان؛ أحدهما: أنه جمع جمال شبه بها الشرر، و"صفر" على ظاهره؛ لأن لون النار يضرب إلى الصفرة، وقيل "صفر" هنا بمعنى سود، يقال: جمل أصفر؛ أي: أسود، وهذا أليق بجهنم، الثاني: أن الـ"جمالات" قطع النحاس الكبار فكأنه مشتق من الجملة، وقرئ "جمالات" بضم الجيم، وهي قلوب السفن وهي حبالها العظام. ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ هذا في مواطن، وقد يتكلمون في مواطن آخر كقوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ نَجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾. ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا﴾ تعجيز لهم وتعريض بكيدهم في الدنيا وتقريع عليه. ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ يقال لهم ذلك في الجنة بلسان الحال أو بلسان المقال. ﴿هَنِيئًا﴾ نُصب على الحال أو على الدعاء. ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا﴾ خطاب للكفار على وجه التهديد، تقديره: قل لهم كلوا وتمتعوا قليلا في الدنيا. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ هذا إخبار عن حال الكفار في الدنيا، وذكر الركوع عبارة عن الصلاة، وقيل: معنى "اركعوا" اخشعوا وتواضعوا لله، وقيل: هو إخبار عن حال المنافقين يوم القيامة؛ لأنهم إذا قيل لهم: اركعوا، لا يقدرّون على الركوع، كقوله: ﴿يُذْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾، والأول أشهر وأظهر. ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ الضمير للقرآن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ  
 مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾  
 وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُباتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ  
 لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾

## سورة النبأ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ أصل "عم" عن ما ثم أدغمت النون في الميم وحذفت ألف ما؛ لأنها استفهامية تقديرها: عن أي شيء يتساءلون، وليس المراد بها هنا مجرد الاستفهام وإنما المراد تفخيم الأمر، والضمير في "يتساءلون" لكفار قريش أو لجميع الناس، ومعناه: يسأل بعضهم بعضا. ﴿عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ﴾ هو ما جاءت به الشريعة من التوحيد والبعث والجزاء وغير ذلك، ويتعلق "عن النبأ" بفعل محذوف يفسره الظاهر تقديره: يتساءلون عن النبأ، ووقعت هذه الجملة جوابا عن الاستفهام وبيانا للمسؤول عنه كأنه لما قال: عم يتساءلون؟ أجاب فقال: يتساءلون عن النبأ العظيم، وقيل: يتعلق "عن النبأ" بـ"يتساءلون" الظاهر، والمعنى على هذا: لأي شيء يتساءلون عن النبأ العظيم؟؛ والأول أفصح وأبرع، وينبغي على ذلك أن يوقف على قوله "عم يتساءلون". ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ إن كان الضمير في "يتساءلون" لكفار قريش فاختلفا فهم أن منهم من يقطع بالكذب، ومنهم من يشك أو يكون اختلفا فهم قول بعضهم: سحر، وقول بعضهم: شعر وكهانة، وغير ذلك، وإن كان الضمير لجميع الناس فاختلفا فهم أن منهم المؤمن والكافر. ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ردع وتهديد ثم كثره للتأكيد. ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ أي: فراشا، وإنما ذكر الله تعالى هنا هذه المخلوقات على جهة التوقيف ليقيم الحجة على الكفار فيما أنكروه من البعث؛ كأنه يقول: إن الإله الذي قدر على خلقه هذه المخلوقات العظام قادر على إحياء الناس بعد موتهم، ويحتمل أن يذكرها حجة على التوحيد؛ لأن الذي خلق هذه المخلوقات هو الإله وحده لا شريك له. ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ شبهها بالأوتاد لأنها تمسك الأرض أن تميد. ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي: مزدوجين ذكرا وأنثى، وقيل: معناه أنواعا في ألوانكم وصوركم وألستكم. ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُباتًا﴾ أي: راحة لكم، وقيل: معناه قطعا للأعمال والتصرف، والسبت القطع، وقيل: معناه موتا لأن النوم هو الموت الأصغر ومنه قوله تعالى ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَمَاتِهَا﴾. ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ شبهه بالثياب التي تلبس لأنه يستر عن العيون. ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ أي: تطلب فيه المعيشة فهو على حذف مضاف تقديره: ذا معاش، وقال الزمخشري: معناه يعاش فيه، فجعله بمعنى الحياة في مقابلة السبات الذي بمعنى الموت. ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ يعني السموات.

وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴿٣٢﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿٣٣﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا  
وَنَبَاتًا ﴿٣٤﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿٣٥﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا ﴿٣٦﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ  
فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿٣٧﴾ وَفُتِحَتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿٣٨﴾ وَسِيرَتْ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا  
﴿٣٩﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٤٠﴾ لِلطَّالِعِينَ مَنَابًا ﴿٤١﴾ لِّلَّذِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٤٢﴾ لَا  
يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٤٣﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا ﴿٤٤﴾ جَزَاءً وَقَاقًا ﴿٤٥﴾

﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴾ يعني الشمس، والوهاج الوقاد الشديد الإضاءة، وقيل: الحار الذي يضطرم من شدة لهبه. ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴾ يعني المطر، و"المعصرات" هي السحاب، وهو مأخوذ من العصر؛ لأن السحاب تنعصر فينزل منها الماء، أو من العصرة بمعنى الإغاثة، ومنه: ﴿ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾، وقيل: هي السموات، وقيل: الرياح، والشجاج: السريع الاندفاع. ﴿ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴾ الحب هو القمح والشعير وسائر الحبوب، والنبات هو العشب. ﴿ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴾ أي: ملتفة، وهو جمع لف بضم اللام، وقيل: بالكسر، وقيل: لا واحده. ﴿ كَانَ مِيقَاتًا ﴾ أي: في وقت معلوم. ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ يعني نفخة القيام من القبور. ﴿ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ أي: جماعات. ﴿ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴾ أي: تفتح فيكون فيها شقاق كالأبواب. ﴿ وَسِيرَتْ الْجِبَالُ ﴾ أي: حملت. ﴿ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ عبارة عن تلاشيها وفنائها، والسراب في اللغة ما يظهر على البعد أنه ماء، وليس ذلك المراد هنا، وإنما تشبيهه به في أنه لا شيء. ﴿ مِرْصَادًا ﴾ أي: موضع الرصد، والرصد هو الارتقاب والانتظار، أي: تنتظر الكفار ليدخلوها، وقيل: معناه طريقا للمؤمنين يجوزون عليها إلى الجنة لأن الصراط منصوب على جهنم. ﴿ مَنَابًا ﴾ أي: مرجعا. ﴿ لَا يَثْبِثْنَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴾ جمع حقة أو حقب وهي المدة الطويلة من الدهر غير محدودة، وقيل: إنها محدودة ثم اختلف في مقدارها، فروي عن النبي ﷺ: «أنها ثلاثون ألف سنة» [ابن أبي حاتم: 19099]، وقال ابن عباس ؓ: ثمانون سنة، وقيل: ثلاثمائة سنة، وعلى القول بالتحديد فالمعنى: أنهم يبقون فيها أحقابا كلما انقضى حقب جاء آخر إلى غير نهاية، وقيل: إنه كان يقتضي أن مدة العذاب تنقضي ثم نسخ بقوله: ﴿ قَدُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ وهذا خطأ، لأن الأخبار لا تنسخ، وقيل: هي في عصاة المؤمنين الذي يخرجون من النار؛ وهذا خطأ لأنها في الكفار لقوله: ﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾، وقيل: معناها أنهم يبقون أحقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا ثم يبدل لهم نوع آخر من العذاب. ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴾ أي: لا يذوقون برودة تخفف عنهم حر النار، وقيل: لا يذوقون ماء باردا، وقيل: البرد هنا النوم؛ والأول أظهر. ﴿ إِلَّا حَمِيمًا ﴾ استثناء من الشراب وهو متصل، والحميم الماء الحار، والغساق صديد أهل النار، وقد ذكر في سورة داود. ﴿ جَزَاءً وَقَاقًا ﴾ أي:



إِنَّمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿١٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿١٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ  
 كِتَابًا ﴿١٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٢١﴾ حَدَائِقَ  
 وَأَعْنَابًا ﴿٢٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٢٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ﴿٢٥﴾  
 جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٢٦﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا  
 يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٢٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أذِنَ  
 لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٢٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَقَابًا ﴿٢٩﴾ إِنَّا  
 أَنْذَرْتَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ

موافقا لأعمالهم؛ لأن أعمالهم كفر وجزاؤهم النار، و"وفاقا" مصدر وصف به أو هو على حذف مضاف  
 تقديره: ذو وفاق. ﴿لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ هذا مثل: ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ وقد ذكر. ﴿كِذَابًا﴾ بالتشديد  
 مصدر بمعنى تكذيب، وبالتخفيف بمعنى الكذب أو المكاذبة، وهي تكذيب بعضهم لبعض. ﴿ذُوقُوا  
 فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ قال رسول الله ﷺ: «ما نزل في أهل النار أشد من هذه الآية» [ابن أبي حاتم: 19103].  
 ﴿مَفَازًا﴾ أي: موضع فوز يعني الجنة. ﴿حَدَائِقَ﴾ أي: بساتين. ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ جمع كاعب، وهي الجارية  
 التي خرج ثديها. ﴿أَتْرَابًا﴾ أي: على سن واحد. ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ أي: ملاءى، وقيل: صافية؛ والأول أشهر.  
 ﴿عَطَاءً حِسَابًا﴾ أي: كافيا، من أحسبه الشيء إذا كفاه، وقيل: معناه على حسب أعمالهم. ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ﴾  
 بالرفع مبتدأ أو خبر ابتداء مضمرة، وبالخفض صفة لـ ﴿رَبِّكَ﴾، و﴿الرَّحْمَنُ﴾ بالخفض صفة، وبالرفع  
 خبر المبتدأ أو خبر ابتداء مضمرة. ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ قال ابن عطية: الضمير للكفار، أي: لا  
 يملكون أن يخاطبوه بمعذرة ولا غيرها، ويحتمل أن يكون المعنى لا يقدر أن يخاطبهم بقوله: ﴿وَلَا  
 يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾، وقال الزمخشري: الضمير لجميع الخلق، أي: ليس بأيديهم شيء من خطاب الله. ﴿يَوْمَ يَقُومُ  
 الرُّوحُ﴾ قيل: هو جبريل، وقيل: ملك عظيم يكون هو وحده صفا والملائكة صفا، وقيل: يعني أرواح بني  
 آدم فهو اسم جنس، و"يوم" يتعلق بـ"لا يملكون" أو "لا يتكلمون". ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ الضمير للملائكة  
 والروح، أي: تمنعهم الهيبة من الكلام إلا بعد أن يأذن الله لهم، وقول الصواب يكون في ذلك الموطن على  
 هذا، وقيل: الضمير للناس خاصة، والصواب المشار إليه قول: لا إله إلا الله؛ أي: من قالها في الدنيا. ﴿ذَلِكَ  
 الْيَوْمَ الْحَقُّ﴾ أي: الحق وجوده ووقوعه. ﴿فَمَنْ شَاءَ﴾ تحضيض وترغيب. ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ يعني عذاب  
 الآخرة، ووصفه بالقرب؛ لأن كل آت قريب، أو لأن الدنيا على آخرها. ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾

وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلِيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿١﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّشِيطَاتِ دَسَّطًا ﴿٢﴾ وَالسَّابِحَاتِ وَالسَّابِحَاتِ

سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾

"المرء" هنا عموم في المؤمن والكافر، وقيل: هو المؤمن، وقيل: هو الكافر؛ والعموم أحسن؛ لأن كل واحد يرى ما عمل لقوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ الآية، و﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ تمنى أن يكون يوم القيامة ترابا فلا يحاسب ولا يجازى، وقيل: تمنى أن يكون في الدنيا ترابا؛ أي: لم يخلق، وروي أن البهائم تحشر ليقتصص لبعضها من بعض ثم ترد ترابا؛ فيتمنى الكافر أن يكون مثلها، وهذا يقوي الأول، وقيل "الكافر" هنا إبليس يتمنى أن يكون يوم القيامة من تراب مثل آدم وذريته لما رأى من ثوابهم، وقد كان احتقر التراب في قوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ تَرَابٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.

#### سورة النازعات

اختلف في معنى ﴿النَّازِعَاتِ﴾ و﴿النَّاشِطَاتِ﴾ و﴿السَّابِحَاتِ﴾ و﴿السَّابِقَاتِ﴾ و﴿الْمُدَبِّرَاتِ﴾؛ فقيل: إنها الملائكة، وقيل: النجوم؛ فعلى القول بأنها الملائكة ساهم نازعات لأنهم ينزعون نفوس بني آدم من أجسادها، وناشطات لأنهم ينشطونها؛ أي: يخرجونها، فهو من قولك: نشطت الدلو من البئر إذا أخرجتها، وسابحات لأنهم يسبحون في سيرهم؛ أي: يسرعون فيسبقون فيدبرون أمور العباد والرياح والمطر وغير ذلك حسبما يأمرهم الله، وعلى القول بأنها النجوم سماها نازعات لأنها تنزع من المشرق إلى المغرب، وناشطات لأنها تنشط من برج إلى برج، وسابحات لأنها تسبح في الفلك ومنه: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، فتسبق في جريها فتدبر أمرا من علم الحساب، وقال ابن عطية: لا أعلم خلافا أن ﴿الْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ ملائكة، وحكى الزمخشري فيها ما ذكرنا، وقد قيل في "النازعات" و"الناشطات" أنها النفوس تنزع من معنى النزاع بالموت فتتنشط من الأجساد، وقيل: في "السابحات" و"السابقات" أنها الخيل، وأنها السفن. ﴿غَرْقًا﴾ إن قلنا إن "النازعات" الملائكة ففي معنى "غرقا" وجهان؛ أحدهما: أنه من الغرق؛ أي: تغرق الكفار في جهنم، والآخر: أنه من الإغراق في الأمر بمعنى المبالغة فيه؛ أي: تبلغ في نزع النفوس حتى تخرجها من أقاصي الأجساد، وإن قلنا: إن "النازعات" النجوم فهو من الإغراق بمعنى المبالغة؛ أي: تبلغ في نزعها فتقطع الفلك كله، وإن قلنا إنها النفوس فهو أيضا من الإغراق؛ أي: تغرق في الخروج من الجسد، وإعراب "غرقا" مصدر في موضع الحال، و﴿نَشِطًا﴾ و﴿سَبْحًا﴾ و﴿سَبْحًا﴾ مصادر، و"أمرا" مفعول به وجواب القسم محذوف: وهو بعث الموتى بدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة، وقيل: الجواب ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ على تقدير حذف لام التأكيد، وقيل: هو ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾،

يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿١﴾ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٢﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٣﴾ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ﴿٤﴾ يَقُولُونَ أَمَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿٥﴾ إِذَا كُنَّا عِظْمًا نَخْرَةً ﴿٦﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿٧﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿٨﴾

وهذا بعيد لبعده عن القسم؛ ولأنه إشارة إلى قصة فرعون لا معنى القسم. ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ قيل "الراجفة" النفخة الأولى في الصور، و"الرادفة" النفخة الثانية لأنها تتبعها، ولذلك سماها "رادفة" من قولك: ردف الشيء إذا تبعته، وفي الحديث: «أن بينهما أربعين عاما» [الطبري: 191/24]، وقيل "الراجفة" الموت، و"الرادفة" القيامة؛ وقيل "الراجفة" الأرض، من قوله: ﴿تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾، و"الرادفة" الساء لأنها تنشق يومئذ، والعامل في "يوم ترجف" محذوف وهو الجواب المقدر تقديره: لتبعثن يوم ترجف الراجفة، وإن جعلنا "يوم ترجف" الجواب فالعامل في يوم معنى قوله: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾، ويكون ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ في موضع الحال، ويحتمل أن يكون العامل فيه "تبعها". ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ أي: شديدة الاضطراب، والوجيف والوجيب بمعنى واحد، وارتفع "قلوب" بالابتداء و"واجفة" خبره، وقال الزمخشري "واجفة" صفة، والخبر "ابصارها خاشعة". ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ كناية عن الذل والخوف، وإضافة الأبصار إلى القلوب على تجوز، والتقدير: قلوب أصحابها. ﴿يَقُولُونَ أَمَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ إِذَا كُنَّا عِظْمًا نَخْرَةً﴾ هذا حكاية قول الكفار في الدنيا، ومعناه على الجملة: إنكار البعث، فاهمزة في قوله "أما لمردودون" للإنكار، ولذلك اتفق القراء على قراءته بهمزتين إلا أن منهم من سهل الثانية ومنهم من حققها، واختلفوا في "إذا كنا عظاما" فمنهم من قرأه بهمزة واحدة؛ لأنه ليس بموضع استفهام ولا إنكار، ومنهم من قرأه بهمزتين تأكيداً للإنكار المتقدم، ثم اختلف في معنى "الحافرة" على ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنها الحالة الأولى يقال: رجع فلان في حافرتة إذا رجع إلى حالته الأولى؛ فالمعنى: أننا لمردودون إلى الحياة بعد الموت، والآخر: أن "الحافرة" الأرض بمعنى محفورة؛ فالمعنى: أننا لمردودون إلى وجه الأرض بعد الدفن في القبور، والثالث: أن "الحافرة" النار، والعظام النخرة البالية المتفتتة، وقرئ "ناخرة" بألف وبحذف الألف وهما بمعنى واحد، إلا أن حذف الألف أبلغ لأن فعل أبلغ من فاعل، وقيل: معناه العظام المجوفة التي تمر بها الريح فيسمع لها نخير، والعامل في "إذا كنا" محذوف تقديره: إذا كنا عظاما نبعث، ويحتمل أن يكون العامل فيه "مردودون في الحافرة" ولكن إنما يجوز هذا على قراءة "إذا كنا" بهمزة واحدة على الخبر، ولا يجوز على قراءته بهمزتين؛ لأن همزة الاستفهام لا يعمل ما قبلها فيما بعدها. ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ الـ"كرة" الرجعة، والـ"خاسرة" منسوبة إلى الخسران كقوله: ﴿عَيْشَةٌ رَاضِيَةٌ﴾ أي: ذات رضى أو معناه خاسر أصحابها، ومعنى هذا الكلام: أنهم قالوا إن كان البعث حقا فكرتنا خاسرة لأننا ندخل النار. ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ يعني النفخة في الصور للقيام من القبور،

فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَبْنَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزْبُجِي ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشِي ﴿١٩﴾ فَأَرِنَهُ آيَةَ الْكُبْرَى ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن تَخْشَى ﴿٢٦﴾ ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُجْبَهَا ﴿٢٩﴾

وهذا من كلام الله تعالى ردا على الذين أنكروا البعث، كأنه يقول: لا تظنوا أنه صعب على الله بل هو عليه يسير؛ فإنها ينفخ في الصور نفخة واحدة فيقوم الناس من قبورهم. ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ "إذا" هنا فجائية، و"الساهرة" وجه الأرض، والباء ظرفية، والمعنى: إذا نفخ في الصور حصلوا في الأرض أسرع شيء. ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ توقيف وتنبية وليس المراد به مجرد الاستفهام. ﴿طُوًى﴾ ذكر في طه. ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ تفسير للنداء. ﴿هَلْ لَكَ إِلَى أَن تَزْبُجِي﴾ أي: تتطهر من الكفر والذنوب والعيوب والرذائل، وقال بعضهم "تركي" تسلم، وقيل: تقول لا إله إلا الله؛ والأول أعم. ﴿الآيَةَ الْكُبْرَى﴾ قلب العصا حية، وإخراج اليد بيضاء، وجعلها واحدة لأن الثانية تبع للأولى، ويحتمل أن يريد الأولى وحدها. ﴿أَدْبَرَ يَسْعَى﴾ الإدبار كناية عن إعراضه عن الإيمان، و"يسعى" عبارة عن جده في الكفر وفي إبطال أمر موسى عليه السلام، وقيل: هو حقيقة؛ أي: قام من مجلسه يفر من مجالسة موسى، أو يهرب من العصا لما صارت ثعبانا. ﴿فَحَشَرَ﴾ أي: جمع جنوده وأهل مملكته. ﴿فَنَادَى﴾ أي: نادى قومه وقال لهم ما قال، ويحتمل أنه ناداهم بنفسه أو أمر من يناديهم؛ والأول أظهر، وقد روي أنه قام فيهم خطيبا فقال ما قال. ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ الـ"نكال" مصدر بمعنى التنكيل، والعامل فيه "أخذه الله" لأنه بمعناه، وقيل: العامل فيه محذوف، و"الآخرة" هي دار الآخرة، و"الأولى" الدنيا؛ فالمعنى: نكال الآخرة بالنار ونكال الدنيا بالغرق، وقيل "الآخرة" قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾، و"الأولى" قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾، وقيل: بالعكس؛ فالمعنى: أخذه الله وعاقبه على كلمته الآخرة وكلمته الأولى. ﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾ هذا توقيف قصد به الاستدلال على البعث؛ فإن الذي خلق السماء قادر على خلق الأجساد بعد فنائها. ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا﴾ السمك غلط السماء؛ وهو الارتفاع الذي بين سطح السماء الأسفل الذي يلينا وسطحها الأعلى الذي يلي ما فوقها، ومعنى رفعه: أنه جعله مسيرة خمسمائة عام، وقيل: السمك السقف. ﴿فَسَوَّيْنَاهَا﴾ أي: أتقن خلقتها، وقيل: جعلها مستوية ليس فيها مرتفع ولا منخفض. ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أي: جعله مظلمًا، يقال: غطش الليل إذا أظلم وأغطشه الله. ﴿وَأَخْرَجَ ضُجْبَهَا﴾ أي: أظهر ضوء الشمس في وقت الضحى،

وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَجْنَهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعِيهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَبَهَا ﴿٣٢﴾  
 مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا  
 سَبَى ﴿٣٥﴾ وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ  
 الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ  
 الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِلُهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا  
 ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَىٰ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن تَحْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا  
 إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى ﴿٤٦﴾

وأضاف الليل والضحى إلى السماء من حيث هما ظاهران منها وفيها. ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَجَاهَا ﴾ أي :  
 بسطها، واستدل بهذا من قال: إن الأرض بسيطة غير كروية، وقد ذكرنا في فصلت الجمع بين هذا وبين قوله:  
 ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ ﴾. ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ نسب الماء والمرعى إلى الأرض لأنها يخرجان  
 منها، فإن قيل: لما قال "أخرج" بغير حرف العطف؛ فالجواب أن هذه الجملة في موضع الحال أو تفسير لما  
 قبلها قاله الزمخشري. ﴿ وَالْجِبَالَ أَرْسَبَهَا ﴾ أي: أثبتها، ونُصب "الجبال" بفعل مضمردل عليه الظاهر،  
 وكذلك "الأرض". ﴿ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ تقديره: فعل ذلك كله تمتيعا لكم ولأنعامكم؛ لأن بني آدم  
 والأنعام يتتفعون بكل ما ذكر. ﴿ الطَّامَّةُ ﴾ هي القيامة، وقيل: النفخة الثانية، واشتقاقها من قولك: طم  
 الأمر إذا علا وغلب. ﴿ وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴾ أي: أظهرت لكل من يرى، فهي لا تخفى على أحد.  
 ﴿ مَقَامَ رَبِّهِ ﴾ ذكر في سورة الرحمن. ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ أي: ردها عن شهواتها وأغراضها الفاسدة.  
 قال بعض الحكماء: إذا أردت الصواب فانظر هواك وخالفه، وقال سهل التستري: لا يسلم من الهوى  
 إلا الأنبياء وبعض الصديقين. ﴿ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا ﴾ ذكر في الأعراف. ﴿ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا ﴾ أي: من  
 ذكر زمانها، والمعنى: لست في شيء من ذكر ذلك، قالت عائشة ؓ: كان رسول الله ﷺ يسأل عن الساعة  
 كثيرا، فلما نزلت هذه الآية انتهى [المستدرک: 7]. ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَىٰ ﴾ أي: منتهى علمها لا يعلم متى تكون  
 إلا هو وحده. ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن يَحْشَاهَا ﴾ أي: إنما بعثت لتنذر بها وليس عليك الإخبار بوقتها،  
 وخص الإنذار بـ"من يحشاه" لأنه هو الذي ينفعه الإنذار. ﴿ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ أخبر أنهم  
 إذا رأوا الساعة ظنوا أنهم لم يلبثوا في الدنيا أو في القبور إلا عشية يوم أو ضحى يوم، وأضاف الضحى إلى  
 العشية لما بينهما من الملابس إذ هما في يوم واحد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ  
يَزَيِّجِي ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعُهُ الذِّكْرَى ﴿٤﴾ أَمَا مِنْ أَسْتَعْنِي ﴿٥﴾ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴿٦﴾ وَمَا  
عَلَيْكَ إِلَّا يَزْيِي ﴿٧﴾ وَأَمَا مِنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَى ﴿٩﴾ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴿١٠﴾ كَلَّا  
إِنهَا تَذَكُّرَةٌ ﴿١١﴾

سورة عبس

سبب نزول صدر هذه السورة؛ أن رسول الله ﷺ كان حريصاً على إسلام قريش، وكان يدعو أشرافهم إلى الله تعالى ليسلموا، فيسلم بإسلامهم غيرهم، فبينما هو يوماً مع رجل من عظمائهم، قيل: هو الوليد بن المغيرة، وقيل: عتبة بن ربيعة، وقيل: أمية بن خلف، وقال ابن عباس ؓ: كانوا جماعة، إذ أقبل عبد الله بن أم مكتوم الأعمى ؓ فقال: يا رسول الله! علمني مما علمك الله، وكرر ذلك وهو لا يعلم لتشاغله بالقوم، فكره رسول الله ﷺ قطع الأعمى لكلامه فعبس وأعرض عنه، وذهب الرجل الذي كان مع رسول الله ﷺ فنزلت الآية، فكان رسول الله ﷺ إذا رأى عبد الله بن أم مكتوم ؓ بعد ذلك يقول: «مرحبا بمن عاتبني فيه ربي»، ويسيطر له رداءه [الفرودس: 6510]، وقد استخلفه على المدينة مرتين [المختارة: 2501]. ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ أي: عبس في وجه الأعمى وأعرض عنه، قال ابن عطية: في مخاطبته بلفظ الغائب مبالغته في العتب؛ لأن في ذلك بعض الإعراض، وقال الزمخشري: في الإخبار بالغيبة زيادة في الإنكار، وقال غيرهما: هو إكرام للنبي ﷺ وتنزيه له عن المخاطبة بالعتاب؛ وهذا أحسن. ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ في موضع مفعول من أجله، وهو منصوب بـ"تولى" أو "عبس"، وذكر ابن أم مكتوم ؓ بلفظ "الأعمى" ليدل أن عماه هو الذي أوجب احتقاره، وفي هذا دليل على أن ذكر هذه العاهات جائز إذا كانت لمنفعة أو شهر صاحبها بها، ومنه قول المحدثين: سليمان الأعمش وعبد الرحمن الأعرج وشبه ذلك. ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ أي: أي شيء يطلعك على حال هذا الأعمى. ﴿لَعَلَّهُ يَزَيِّجِي﴾ أي: يتطهر وينتفع في دينه بما يسمع منك. ﴿أَمَا مِنْ أَسْتَعْنِي﴾ أي: تتعرض للغني رجاء أن يسلم. ﴿وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَزْيِي﴾ أي: لا حرج عليك إذا لا يتزكى هذا الغني. ﴿وَأَمَا مِنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ إشارة إلى عبد الله بن أم مكتوم ؓ، ومعنى "يسعى" يسرع في مشيه من حرصه على طلب الخير. ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾ أي: يخشى الله أو يخاف الكفار وإذابتهم له على اتباعك، وقيل: جاء وليس معه من يقوده فكان يخشى أن يقع؛ وهذا ضعيف. ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ أي: تشتغل عنه بغيره من قولك: لهيت عن الشيء إذا تركته، وروي أن رسول الله ﷺ تأدب بما أدبه الله في هذه السورة فلم يعرض بعدها عن فقير ولا تعرض لغني، وكذلك اتبعه فضلاء العلماء فكان الفقراء في مجلس سفيان الثوري كالأمرء، وكان الأغنياء يتمنون أن يكونوا فقراء. ﴿كَلَّا﴾ ردع عن معاودة ما وقع العتاب فيه. ﴿إِنهَا تَذَكُّرَةٌ﴾ فيه وجهان؛ أحدهما: أن هذا

فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿١﴾ فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ ﴿٢﴾ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿٣﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿٤﴾ كِرَامٍ  
 بَرَرَةٍ ﴿٥﴾ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿٦﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿٧﴾ مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿٨﴾  
 ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٩﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿١٠﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴿١١﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ  
 مَا أَمَرَهُ ﴿١٢﴾

الكلام المتقدم تذكرة أو موعظة للنبي ﷺ، والآخر: أن القرآن تذكرة لجميع الناس فلا ينبغي أن يؤثر فيه أحد على أحد؛ وهذا أرجح لأنه يناسبه ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ وما بعده، وأنت الضمير في قوله "إنها تذكرة" على معنى القصة أو الموعظة أو السورة أو القراءة، وذكره في قوله "فمن شاء ذكره" على معنى الوعظ أو الذكر أو القرآن. ﴿فِي صُحُفٍ﴾ صفة لـ"تذكرة" أي: ثابتة في "صحف" وهي الصحف المنسوخة من اللوح المحفوظ، وقيل: هي مصاحف المسلمين. ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ إن كانت الـ"صحف" المصاحف فمعناها: مرفوعة المقدار، وإن كانت "صحف" الملائكة فمعناها كذلك أو مرفوعة في السماء، و﴿مُطَهَّرَةٍ﴾ أي: منزهة عن أيدي الشياطين. ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ هم الملائكة، والـ"سفرة" جمع سافر وهو الكاتب؛ لأنهم يكتبون القرآن في الصحف، وقيل: لأنهم سفراء بين الله وبين عبده، وقيل: يعني القراء من الناس؛ والأول أرجح، وقد قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة» [مسلم: 798]؛ أي: أنه يعمل مثل عملهم في كتابة القرآن وتلاوته، أو له من الأجر على القرآن مثل أجورهم. ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ﴾ دعاء عليه على ما جرت به عادة العرب من الدعاء بهذا اللفظ، ومعناه: تقيح حاله وأنه ممن يستحق أن يقال له ذلك، وقيل: معناه لعن. وهو بعيد. ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ تعجب من شدة كفره مع أنه كان يجب عليه خلاف ذلك. ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ توقيف وتقرير ثم أجاب عنه بقوله ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ﴾ يعني المنى، ومقصد الكلام تحقير الإنسان، وأنه يجب عليه أن يعظم الرب الذي خلقه. ﴿فَقَدَّرَهُ﴾ أي: هيأه لما يصلح له، ومنه ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾، وقيل: معناه جعله على مقدار معلوم في أعضائه وأجله ورزقه وغير ذلك. ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ نصب "السبيل" بفعل مضممر فسر "يسره" وفي معناه ثلاثة أقوال؛ أحدها: يسره سبيل خروجه من بطن أمه، والآخر: أنه سبيل الخير والشر كقوله ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾، الثالث: سبيل النظر السديد المؤدي إلى الإيمان. والأول أرجح لعطفه على قوله "من نطفة خلقه فقدره"؛ وهو قول ابن عباس ؓ. ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ أي: جعله ذا قبر، يقال: قبرت الميت إذا دفنته، وأقبرته إذا أمرت أن يدفن. ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ أي: بعثه من قبره، يقال: نشر الميت إذا قام وأنشره الله، والإشارة بـ"إذا شاء" ليوم القيامة؛ أي: الوقت الذي قدر أن ينشره فيه. ﴿كَلَّا﴾ ردع للإنسان عما هو فيه. ﴿لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ أي: لم يقض

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۚ ﴿١﴾ إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٣﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٤﴾ وَعَيْنًا وَقَضْبًا ﴿٥﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٦﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٧﴾ وَفَيْكِهِةً ﴿٨﴾ وَأَبًّا ﴿٩﴾ مَتَعًا لَكُمْ وَلَا تَعْمِكُمْ ﴿١٠﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿١١﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿١٣﴾ وَصَلْحَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿١٤﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿١٥﴾ وَجُوهُ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿١٦﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿١٧﴾ وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿١٨﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿١٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجْرَةُ ﴿٢٠﴾

الإنسان على تناول عمره ما أمره الله، قال بعضهم: لا يقضي أحد أبدا جميع ما افترض الله عليه إذ لا بد للعبد من تفريط. ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ أمر بالاعتبار في الطعام كيف خلقه الله بقدرته ويسره برحمته؟ فيجب على العبد طاعته وشكره ويقبح له معصيته والكفر به، وقيل: فلينظر إلى طعامه إذا صار رجيعا فيرى حقارة الدنيا وخساسة نفسه؛ والأول أشهر وأظهر في معنى الآية على أن القول الثاني صحيح، وانظر كيف فسره بقوله ﴿إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾، وما بعده ليعدد النعم ويظهر القدرة، وقرئ "أنا صببنا" بفتح الهمزة على البدل من الطعام. ﴿شَقَقْنَا الْأَرْضَ﴾ يعني بخروج النبات منها. ﴿حَبًّا﴾ يعني القمح والشعير وسائر الحبوب. ﴿وَقَضْبًا﴾ قيل: هي الفصفصة، وقيل: علف البهائم؛ واختار ابن عطية أنها البقول وشبهها بما يؤكل رطبا. ﴿غُلْبًا﴾ أي: غليظة ناعمة. ﴿وَأَبًّا﴾ الأب المرعى عند ابن عباس ؓ والجمهور، وقيل: التبن، وقد توقف في تفسيره أبو بكر وعمر ؓ. ﴿الصَّاخَّةُ﴾ من أسماء القيامة، وهي مشتقة من قولك: صخ الأذن إذا أصمها بشدة صياحه، فكأنه إشارة إلى النفخة في الصور، أو إلى شدة الأمر حتى يصخ من يسمعه لصعوبته، وقيل: هو من قولك: أصاخ للحديث إذا استمعه. والأول هو الموافق للاشتقاق. ﴿يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ الآية، ذكر فرار الإنسان من أحبابه ورتبهم على ترتيب الحنو والشفقة، فبدأ بالأقل وختم بالأكثر؛ لأن الإنسان أشد شفقة على بنيه من كل ما تقدم ذكره، وإنما يفر منهم لاشتغاله بنفسه، وقيل: إن فراره منهم لثلا يطالبوه بالتبعات؛ والأول أرجح وأظهر لقوله ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ أي: هو مشغول بشأنه من الحساب والثواب والعقاب حتى لا يسعه ذكر غيره، وانظر قول الأنبياء عليهم السلام يومئذ: نفسي نفسي. ﴿وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ أي: مضيئة من السرور، وهو من قولك أسفر الصبح إذا أضاء. ﴿عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ أي: غبار والـ ﴿قَتَرَةٌ﴾ أيضا الغبار، فقال ابن عطية: الـ "غبرة" من العبوس والكره كما يعتري وجه المهموم والمريض، والـ "قتره" هي غبار الأرض، وقال الزمخشري: الـ "غبرة" غبار يعلوها، والـ "قتره" سواد، فيعظم قبحها باجتماع الغبار والسواد.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا  
 الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ  
 سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾  
 وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾

## سورة التكوير

ذكر الله في هذه السورة أهوال القيامة وما يعترى الموجودات حينئذ من التغيير. ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ابن عباس رضي الله عنه: ذهب ضوءها فأظلمت، وقيل: رمي بها، وقيل: اضمحلت، وأصله من تكوير العمامة؛ لأنها إذا لفت زال انبساطها وصغر جرمها. ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ أي: تساقطت من مواضعها، وقيل: تغيرت. والأول أرجح؛ لأنه موافق لقوله ﴿إِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾، وروي أن الشمس والنجوم تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما قال ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾. ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ أي: حملت وبعد ذلك تفتت فتصير هباء ثم تتلاشى. ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ "العشار" جمع عشاء؛ وهي الناقة الحامل التي مر حملها عشرة أشهر، وهي أنفس ما عند العرب وأعزها فلا تعطل إلا من شدة الهول، وتعطيها هو تركها مسيية، أو ترك حلبها. ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ أي: جمعت، وفي صفة حشرها ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنها تحشر؛ أي: تبعث يوم القيامة ليقصص لبعضها من بعض ثم تكون ترابا، والآخر: أنها تحشر بموتها دفعة واحدة عند هول القيامة قاله ابن عباس رضي الله عنه، وقال: إنها لا تبعث وإنه لا يحضر القيامة إلا الإنس والجن، والثالث: أنها تجمع في أول أهوال القيامة وتفر في الأرض فذلك حشرها. ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ أحدها: ملئت وفجر بعضها إلى بعض حتى تعود بحرا واحدا، والآخر: ملئت نيرانا لتعذيب أهل النار، والثالث: فرغت من مائها وبيست، وأصله من سجرت التنور إذا ملأها؛ فالقول الأول والثاني اليتق بالأصل، والأول والثالث موافق لقوله ﴿فُجِّرَتْ﴾. ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ أحدها: أن التزويج بمعنى التنويج؛ لأن الأزواج هي الأنواع، فالمعنى: جعل الكافر مع الكافر والمؤمن مع المؤمن، والآخر: زوجت نفوس المؤمنين بزوجاتهم من الحور العين، والثالث: زوجت الأرواح والأجساد؛ أي: ردت إليها عند البعث؛ والأول هو الأرجح؛ لأنه مروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهم. ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ "الموءودة" هي البنس التي كان بعض العرب يدفنها حية من كراهته لها ومن غيرته عليها، فتسأل يوم القيامة "بأي ذنب قتلت" على وجه التوبيخ لقاتلها، وقرأ ابن عباس رضي الله عنه: "وإذا الموءودة سألت" بفتح السين والهمزة، "بأي ذنب قتلت" بضم القاف وسكون اللام وضم التاء، واستدل ابن عباس رضي الله عنه بهذه الآية على أن أولاد المشركين في الجنة؛ لأن الله يتنصر لهم ممن ظلمهم. ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ هي صحف الأعمال تنشر

وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُرْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا  
 أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ  
 إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ  
 ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾

ليقرأ كل واحد كتابه، وقيل: هي الصحف التي تتطاير بالأيان والشهائل بالجزاء. ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾  
 الكشط هو التقشير كما يكشط جلد الشاة حين تسليخ، وكشط السماء هو طيها كطي السجل قاله ابن عطية،  
 وقيل: معناه كسفت؛ وهذا أليق بالكشط. ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾ أي: أوقدت وأحميت. ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ  
 أُرْلِفَتْ﴾ أي: قربت. ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ هذا جواب "إذا" المكررة في المواضع قبل هذا، ومعناه:  
 علمت كل نفس ما أحضرت من عمل، فلفظ الـ"نفس" مفرد يراد به الجنس والعموم، قال ابن عطية: إنما  
 أفردها لبيان حقارتها وذلتها، وقال الزمخشري: هذا من عكس كلامهم الذي يقصد به الإفراط فيما يعكس  
 عنه كقوله ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، ومعناه: الكثير، وكذلك هنا معناه أعم الجموع، و﴿مَّا أَحْضَرَتْ﴾  
 عبارة عن الحسنات والسيئات. ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ ذكرت نظائره. ﴿بِالْخُنُوسِ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾ يعني الدراري السبعة؛  
 وهي الشمس والقمر وزحل وعطارد والمريخ والزهرة والمشتري، وذلك أن هذه الكواكب تخنس في جريها؛  
 أي: تتقهقر فيكون النجم في البرج ثم يكر راجعا، وهي جوارى في الفلك، وهي تنكس في أبراجها؛ أي:  
 تستتر، وهو مشتق من قولك: كنس الوحش إذا دخل كناسه وهو موضعه، وقيل: يعني الدراري الخمسة  
 لأنها تستتر بضوء الشمس، وقيل: يعني النجوم كلها؛ لأنها تخنس في جريها وتنكس بالنهار؛ أي: تستتر  
 وتخفى بضوء الشمس، وقيل: يعني بقر الوحش فـ"الخنس" على هذا من خنس الأنف، و"الكنس" من سكنها  
 في كناسها. ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ يقال: عسعس الليل إذا كان غير مستحكم الظلام، فقيل: ذلك في أوله،  
 وقيل: في آخره؛ وهذا أرجح؛ لأن آخر الليل أفضل، ولأنه أعقبه بقوله ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أي: استطار  
 واتسع ضوؤه. ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ الضمير للقرآن، والرسول الكريم جبريل، وقيل: محمد صلى الله  
 عليهما وسلم، قال السهيلي: لا يجوز أن يقال إنه محمد عليه الصلاة والسلام؛ لأن الآية نزلت في الرد على الذين  
 قالوا: إن محمدا قال القرآن، فكيف يخبر الله أنه قوله؟! وإنما أراد جبريل، وأضاف القرآن إليه؛ لأنه جاء به وهو في  
 الحقيقة قول الله، وهذا الذي قال السهيلي لا يلزم؛ لأنه قد يضاف إلى محمد ﷺ؛ لأنه تلقاه عن جبريل عليه السلام  
 وجاء به إلى الناس؛ ومع ذلك فالأظهر أنه جبريل لأنه وصفه بقوله ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾، وقد وُصف جبريل بهذا في  
 قوله ﴿شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ﴾. ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ يتعلق بـ"ذو قوة"، وقيل بـ﴿مَكِينٍ﴾ وهذا أظهر،  
 والمكين الذي له مكانة؛ أي: جاء وتقريب. ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ هذا الظرف إشارة إلى الظرف المذكور قبله؛

وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفُقِ الْمُبِينِ ﴿١٢﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْعَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿١٣﴾  
 وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٤﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾  
 لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿١٧﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨﴾  
 إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكُوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾  
 وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا  
 الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾

وهو "عند ذى العرش" أي: مطاع في ملائكة ذى العرش. ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ هو محمد ﷺ بانفاق. ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفُقِ الْمُبِينِ﴾ ضمير الفاعل لمحمد ﷺ وضمير المفعول لجبريل عليه السلام، وهذه الرؤية هي رؤيته له بغار حراء على كرسي بين السماء والأرض، وقيل: هي الرؤية التي رآه عند سدره المنتهى في الإسراء، ووصف هذا "الافق" ب"المبين" لأنه روي أنه كان في الشرق حيث تطلع الشمس، وأيضا فكل أفق فهو مبين. ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْعَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ الضمير للنبي ﷺ ومن قرأ بالضاد فمعناه بخيل؛ أي: لا يبخل بأداء ما ألقى إليه من الغيب وهو الوحي، ومن قرأ بالطاء المشالة فمعناه متهم؛ أي: لا يتهم على الوحي بل هو أمين عليه؛ ورجح بعضهم هذه القراءة؛ لأن الكفار لم ينسبوا رسول الله ﷺ إلى البخل بالوحي بل اتهموه فنفى عنه ذلك. ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ الضمير للقرآن. ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ خطاب لكفار قريش، أي: ليس لكم زوال عن هذه الحقائق، وقد تقدم تفسير بقية السورة في نظائره فيما تقدم.

### سورة الانفطار

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ أي: انشقت. ﴿وَإِذَا الْكُوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ أي: سقطت من مواضعها. ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ أي: فرغت، وقيل: فجر بعضها إلى بعض فاختلطت. ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ أي: نبشت عن الموتى الذين فيها، وقال الزمخشري: أصله من البعث والبحث فضمنت إليها الراء، والمعنى: بحثت وأخرج موتاها. ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ هذا هو الجواب، ومعناه: علمت كل نفس بجميع أعمالها، وقيل: "ما قدمت" في حياتها وما "أخرت" مما تركته بعد موتها من سنة سنتها أو وصية أوصت بها، وأفردت الـ "نفس" والمراد بها العموم حسبها ذكرنا في التكوير. ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾ خطاب لجنس بني آدم. ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ هذا توبيخ وعتاب، ومعناه: أي شيء غرك بربك حتى كفرت به أو عصيته أو غفلت عنه، فدخل في العتاب الكفار وعصاة المؤمنين ومن يغفل عن الله في بعض الأحيان من الصالحين، وروي أن رسول الله ﷺ قرأ "ما غرك بربك الكريم"، فقال: «غره جهله وحمقه»، وقرأ ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [النمل 10/146]، وقيل: غره

الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوِّيكَ فَعَدَّلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكذِّبُونَ  
بِالَّذِينَ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْآبْرَارَ  
لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي حَجِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ  
﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ  
نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ﴿١٩﴾ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿٢٠﴾

الشیطان المسلط علیه، وقیل: غره ستر الله علیه، وقیل: غره طمعه فی عفو الله عنه؛ ولا تعارض بین هذه الأقوال لأن كل واحد منها مما یغیر الإنسان، إلا أن بعضها یغیر قوما وبعضها یغیر قوما آخرین، فإن قیل: ما مناسبة وصفه بالکریم هنا للتویخ علی الغرور؟ فالجواب: أن الکریم ینبغی أن یعبد ویطاع شکرا لإحسانه ومقابلة لکرمه، ومن لم یفعل ذلك فقد کفر بالنعمة وأضاع الشکر الواجب. ﴿فَعَدَّلَكَ﴾ بالتشدید والتخفیف، عدل أعضاءک وجعلها متوازنة، فلم یجعل إحدى الیدین أطول من الأخری، ولا إحدى العینین أكبر من الأخری، ولا إحداهما کحلی والأخری زرقاء، ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضها أسود، وشبه ذلك من الموازنة. ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ المجرور یتعلق بـ"رکبک" و"ما" زائدة، والمعنی: رکبک فی أي صورة شاء من الحسن والقبح، والطول والقصر، والذکورة والأنوثة، وغیر ذلك من اختلاف الصور، ویحتمل أن یتعلق المجرور بمحذوف تقدیره: رکبک حاصلًا فی أي صورة، وقیل: یتعلق بـ"عدلک" علی أن یتعلق بمعنی صرفک، أي: صرفک إلى أي صورة شاء، وهذا بعيد، ولا یتمکن إلا مع قراءة "عدلک" بالتخفیف. ﴿كَلَّا﴾ ردع عن الغرور المذكور قبل أو التکذیب المذكور بعد. ﴿بَلْ تُكذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ هذا خطاب للکفار، و"الذین" هنا یحتمل أن یتعلق بمعنی الشریعة أو الحساب أو الجزاء. ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ﴾ یعنی الملائکة الذین یتکتبون أعمال بنی آدم. ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ یعلمون الأعمال لمشاهدتهم لها، وأما ما لا یرى ولا یسمع من الخواطر والنیات والذکر بالقلب، فقیل: إن الله ینفرد بعلم ذلك، وقیل: إن الملك یجد لها ریحاً یدرکها به. ﴿إِنَّ الْآبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ فی هذه الآیة وفيها بعدها من أدوات البیان المطابقة والترصیع. ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ فی قولان؛ أحدهما: أن معناه لا ینخرجون منها إذا دخلوها، والآخر: لا ینغیبون عنها فی البرزخ قبل دخولها لأنهم یرضون علیها غدوا وعشیا. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ تعظیم له وتهویل، وکرره للتأکید، والمعنی: أنه من شدته بحيث لا یدری أحد مقدار هوله وعظمته. ﴿يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ أي: لا یقدر أحد علی منفعة أحد، وقرئ "یوم" بالرفع علی البدل من "یوم الدین" أو علی إضمار مبتدأ، وبالنصب علی الظرفیة بإضمار فعل تقدیره: یجاوزون یوم الدین، أو النصب علی المفعولیة بإضمار فعل تقدیره: اذکر، ویجوز أن یفتح لإضافته إلى غیر متمکن وهو فی موضع رفع.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾

## سورة المطففين

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ التطفيف في اللغة هو البخس والنقص وفسره بذلك الزمخشري واختاره ابن عطية، وقيل: هو تجاوز الحد في زيادة أو نقصان واختاره ابن الفرس، وهو الأظهر؛ لأن المراد به هنا بخس حقوق الناس في المكيال والميزان بأن يزيد الإنسان على حقه أو ينقص من حق غيره، وسبب نزول السورة أنه كان بالمدينة رجل يقال له: أبو جهينة، له مكيالان يأخذ بالأوفى ويعطي بالأنقص؛ فالسورة على هذا مدنية، وقيل: إنها مكية لذكر "أساطير الأولين"، وقيل: نزل بعضها بمكة ونزل أمر التطفيف بالمدينة إذ كانوا أشد الناس فسادا في هذا المعنى فأصلحهم الله بهذه السورة. ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾ معنى "اكتالوا على الناس": قبضوا منهم بالكيل، ف"على" بمعنى من، وإنما أبدلت منها لما تضمن الكلام من معنى التحامل عليهم، ويجوز أن يتعلق "على الناس" بـ"يستوفون" وقدم المعمول لإفادة التخصيص. ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ معنى "يخسرون": ينقصون حقوق الناس وهو من الخسارة، يقال: خسر الرجل وأخسره غيره إذا جعله يخسر، و"كالوهم" معناه: كالواهم، و"وزنواهم" معناه: وزنواهم، ثم حذف حرف الجر فانتصب المفعول؛ لأن هذين الفعلين يتعدى كل واحد منهما تارة بنفسه وتارة بحرف جر، يقال: كِلتكَ وكِلت لك، ووزنتك ووزنت لك بمعنى واحد، وحذف المفعول الثاني وهو المكيل والموزون، والواو التي هي ضمير الفاعل "للمطففين"، و"هم" الذي هو ضمير المفعول لـ"لناس" فالمعنى: إذا كالوا للناس أو وزنواهم طعاما أو غيره مما يكال أو يوزن يخسرونهم حقوقهم، وقيل: إن "هم" في قوله "كالوهم أو وزنواهم" تأكيد للضمير الفاعل، وقد روي عن حمزة أنه كان يقف على "كالوا" و"وزنوا" ثم يتدبى بـ"هم" ليبين هذا المعنى؛ وهو ضعيف من وجهين؛ أحدهما: أنه لم يثبت في المصحف ألف بعد الواو في "كالوا" و"وزنوا" فدل ذلك على أن "هم" ضمير المفعول، والآخر: أن المعنى على هذا أن المطففين إذا تولوا الكيل أو الوزن نقصوا وليس ذلك بمقصود؛ لأن الكلام واقع في الفعل لا في المباشر، ألا ترى أن "اكتالوا على الناس" معناه: قبضوا منهم، و"كالوهم" و"وزنواهم" معناه: دفعواهم فقابل القبض بالدفع، وأما على هذا الوجه الضعيف فهو خروج عن المقصود، قال ابن عطية: ظاهر الآية أن الكيل والوزن على البائع وليس ذلك بالجلي، قال: وصدر الآية في المشتري فهم الذين يستوفون أو يشاحون ويطلبون الزيادة، وقوله "وإذا كالوهم أو وزنواهم" في البائع فهم الذين يخسرون المشتري. ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ يعني يوم القيامة، وهذا تهديد للمطففين وإنكار لفعلهم،

يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سَجِينٍ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا  
 سَجِينٌ ﴿٣﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٤﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٦﴾  
 وَمَا يُكذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾  
 كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُوبُونَ ﴿١٠﴾  
 ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١١﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِء تَكذِّبُونَ ﴿١٢﴾ كَلَّا إِنَّ  
 كِتَابَ الْآبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٤﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿١٥﴾

وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنه إذا مر بالبائع يقول له: اتق الله وأوف الكيل، فإن المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن. ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الظرف منصوب بقوله "مبعوثون"، وقيل: بفعل مضمر أو بدل من "يوم عظيم"، وقيام الناس يوم القيامة على حسب اختلافهم؛ فمنهم من يقوم خمسين ألف سنة، وأقل من ذلك حتى إن المؤمن يقوم على قدر صلاة مكتوبة. ﴿كَلَّا﴾ ردع عن التطفيف أو افتتاح كلام. ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سَجِينٍ﴾ "كتاب الفجار" هو ما يكتب من أعمالهم، و"الفجار" هنا يحتمل أن يراد به الكفار أو المطففين وإن كانوا مسلمين؛ والأول أظهر لقوله بعد هذا ﴿وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾، و"سجين" اسم علم منقول من صفة على وزن فعيل للمبالغة، وقد عظم الله أمره بقوله ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ﴾ ثم فسره بأنه ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ أي: مسطور بين الكتابة، وهو كتاب جامع تكتب فيه أعمال الشياطين والكفار والفجار، وهو مشتق من السجن بمعنى الحبس؛ لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم، أو لأنه مطروح في مكان الهوان والعذاب كالسجن، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أنه في الأرض السفلى» [تهذيب الآثار: 719]، وروي عنه أيضا «أنه في بئر هناك» [الطبري: 96/30]، وحكى كعب رضي الله عنه عن التوراة أنه في شجرة سوداء هنالك، وقال ابن عطية: يحتمل أن يكون معنى الآية أن عدد الفجار في سجين؛ أي: كتبوا هنالك في الأزل. ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ قد ذكر. ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: غطى على قلوبهم ما كسبوا من الذنوب فطمس بصائرهم فصاروا لا يعرفون الرشد من الغي، وفي الحديث: «أن العبد إذا أذنب ذنبا صار نكتة سوداء في قلبه، فإن زاد ذنبا آخر زاد السواد، فلا يزال كذلك حتى يتغشى وهو الرين» [المستدرک: 6]. ﴿لَمَّحُوبُونَ﴾ حجب الكفار عن الله دليل على أن المؤمنين لا يحجبون عنه، وقد استدلل بها مالك والشافعي على صحة رؤية المؤمنين لله في الآخرة، وتأولها المعتزلة أن معناها: يحجبون عن رحمته. ﴿إِنَّ كِتَابَ الْآبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ﴾ "عليون" اسم علم للكتاب الذي تكتب فيه الحسنات، وهو جمع منقول من صفة على وزن فعيل للمبالغة وقد عظمه الله بقوله ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾، ثم فسره بقوله ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ وهو مشتق من العلو؛

يَشْهَدُهُ الْمُقْرَبُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٧﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٨﴾ تَعْرِفُ فِي  
 وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿١٠﴾ خِتْمُهُ مِسْكٌَ وَفِي ذَلِكَ  
 فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ﴿١١﴾ وَمَرَّاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿١٢﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقْرَبُونَ ﴿١٣﴾ إِنَّ  
 الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿١٥﴾

لأنه سبب في ارتفاع الدرجات في الجنة، أو لأنه مرفوع في مكان علي، فقد روي عن النبي ﷺ: «أنه تحت العرش» [عذيب الأتار: 723]، وقال ابن عباس ؓ هو الجنة، وارتفع "كتاب مرقوم" في الموضوعين على أنه خبر ابتداء مضمرة تقديره: هو كتاب، وقال ابن عطية "كتاب مرقوم" خبر "إن" والظرف ملغي، وهذا تكليف يفسد به المعنى، وقد روي في الأثر ما يفسر الآية وهو «أن الملائكة تصعد بصحيفة فيها عمل العبد، فإن رضيه الله قال: اجعلوه في عليين، وإن لم يرضه قال: اجعلوه في سجين» [العظمة: 520]. ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقْرَبُونَ﴾ يعني الملائكة المقربين. ﴿الْأَرَائِكِ﴾ قد ذكر. ﴿يَنْظُرُونَ﴾ روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ينظرون إلى أعدائهم في النار»، وقيل: ينظرون إلى الجنة وما أعطاهم الله فيها. ﴿نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ أي: بهجته ورونقه كما يرى في وجوه أهل الرفاهية والعافية، والخطاب في "تعرف" للنبي ﷺ أو لكل مخاطب من غير تعيين. ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ الـ "رحيق" الخمر الصافية، والـ "مختوم" قد فسره الله بأن ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌَ﴾، وقرئ "ختامه" بألف بعد التاء و"خاتمته" بألف بعد الخاء وبفتح التاء وكسرها، وفي معناه ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنه من الختم على الشيء بمعنى جعل الطابع عليه، فالمعنى: أنه ختم على فم الإناء الذي هو فيه بالمسك، كما يختم على أفواه آية الدنيا بالطين إذا قصد حفظها وصيانتها، الثاني: أنه من ختم الشيء؛ أي: تمامه، فمعناه: خاتم شربه مسك؛ أي: يجد الشارب عند آخر شربه رائحة المسك ولذته، الثالث: أن معناه مزاجه مسك، أي: يمزج الشراب بالمسك؛ وهذا خارج عن اشتقاق اللفظ. ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ التنافس في الشيء هو الرغبة فيه والمغالاة في طلبه والتزاحم عليه. ﴿وَمَرَّاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ "تسنيم" اسم علم لعين في الجنة يشرب منه المقربون صرفاً، ويمزج منه الرحيق الذي يشرب منه الأبرار، فدل ذلك على أن درجة المقربين فوق درجة الأبرار، فالمقربون هم السابقون والأبرار أصحاب اليمين. ﴿عَيْنًا﴾ منصوب على المدح بفعل مضمرة أو على الحال من "تسنيم". ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ بمعنى يشربها فالباء زائدة، ويحتمل أن تكون بمعنى: يشرب منها، أو كقولك: شربت الماء بالعتسل. ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ نزلت هذه الآية في صناديد قريش كأبي جهل وغيره، مر بهم علي بن أبي طالب ؓ وجماعة من المؤمنين فضحكوا منهم واستخفوا بهم. ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ معنى "يتغامزون" يغمز بعضهم لبعض ويشير بعينه، والضمير في "مروا" يحتمل أن يكون للمؤمنين أو للكفار، والضمير في "يتغامزون" للكفار لا غير.

وَإِذَا أَنْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ أَنْقَلَبُوا فَكَيْهِنَ ﴿١٥﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿١٦﴾  
 وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿١٧﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿١٨﴾  
 عَلَىٰ آلِ رَأْيِكَ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ هَلْ تُؤِوبُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٠﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا  
 الْآرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾

﴿ فَاكَيْهِنَ ﴾ من الفكاهة، وهي اللهو، أي: يتفكهون بذكر المؤمنين والاستخفاف بهم قاله الزمخشري، ويحتمل أن يريد يتفكهون بنعيم الدنيا. ﴿ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴾ أي: إذا رأى الكفار المؤمنين نسبوهم إلى الضلال، وقيل: إذا رأى المؤمنون الكفار نسبوهم إلى الضلال؛ والأول أظهر وأشهر. ﴿ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴾ أي: ما أرسل الكفار حافظين على المؤمنين يحفظون أعمالهم ويشهدون برشدتهم أو ضلالهم، فكأنه قال: كلامهم بالمؤمنين فضول منهم. ﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ يعني بـ"اليوم" يوم القيامة إذ قد تقدم ذكره، فيضحك المؤمنون فيه من الكفار كما ضحك الكفار منهم في الدنيا. ﴿ هَلْ تُؤِوبُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ معنى "توب" جوزي، يقال: توبه وأثابه إذا جازاه، وهذه الجملة يحتمل أن تكون متصلة بما قبلها في موضع معمول "ينظرون" فتوصل مع ما قبلها، أو تكون توقيفاً فيوقف قبلها، ويكون معمول "ينظرون" محذوفاً حسبما ذكرنا في "ينظرون" الذي قبل هذا؛ وهذا أرجح لاتفاق الموضعين.

### سورة الانشقاق

﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ ﴾ اختلف في هذا الانشقاق هل هو تشققها بالغمام أو انفتاحها أبواباً؟ وجواب "إذا" محذوف ليكون أبلغ في التهويل إذ يقدر السامع أقصى ما يتصوره، أو حذف للعلم به اكتفاء بها في سورة التكويد والانفطار من الجواب، وقيل: الجواب ما دل عليه ﴿ فَمَلَأِيهِ ﴾ أي: إذا السماء انشقت لقي الإنسان ربه، وقيل: الجواب "أذنت" على زيادة الواو؛ وهذا ضعيف. ﴿ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا ﴾ معنى "أذنت" في اللغة استمعت، وهو هنا عبارة عن طاعتها لربها وأنها انقادت إليه حين أراد انشقاقها، وكذلك طاعة الأرض لما أراد مدها وإلقاء ما فيها. ﴿ وَحَقَّتْ ﴾ أي: حق لها أن تسمع وتطيع لربها، أو حق لها أن تنشق من أهوال القيامة، وهذه الكلمة من قولهم: هو حقيق بكذا أو محقوق به؛ أي: يجب عليه أن يفعله؛ فالمعنى: يحق على السماء أن تسمع وتطيع لربها أو يحق عليها أن تنشق، ويحتمل أن يكون أصله حَقَّقَتْ بفتح الحاء وضم القاف على معنى التعجب، ثم أدغمت القاف في القاف التي بعدها ونقلت حركتها إلى الحاء. ﴿ وَإِذَا الْآرْضُ مُدَّتْ ﴾ أي: زال ما عليها



وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَحَلَّتْ ﴿١٠﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿١١﴾ يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ  
 كَدْحًا فَمُلْقِيهِ ﴿١٢﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿١٣﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا  
 ﴿١٤﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٥﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٦﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا  
 ثُبُورًا ﴿١٧﴾ وَيُصَلِّي سَعِيرًا ﴿١٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴿٢٠﴾

من الجبال حتى صارت مستوية. ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ أي: ألقَتْ ما في جوفها من الموتى فخرجوا للحشر،  
 وقيل: ألقَتْ ما فيها من الكنوز، وهذا ضعيف؛ لأن ذلك يكون وقت خروج الدجال قبل القيامة، والمقصود  
 ذكر يوم القيامة، "وتحلت" أي: بقيت خالية مما كان فيها. ﴿يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَانُ﴾ خطاب للجنس. ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ  
 إِلَى رَبِّكَ﴾ الكدح في اللغة هو الجد والاجتهاد والسرعة؛ فالمعنى: إنك في غاية الاجتهاد في السير إلى ربك؛  
 لأن الزمان يطير وأنت في كل لحظة تقطع حظا من عمرك القصير، فكأنك سائر مسرع إلى الموت ثم تلاقي  
 ربك، وقيل: المعنى إنك ذو جد فبما تعمل من خير أو شر، ثم تلقى ربك فيجازيك به، والأول أظهر؛ لأن  
 "كادحا" تعدي ب"إلى" لما تضمن معنى السير، ولو كان بمعنى العمل لقال: لربك. ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ  
 بِيَمِينِهِ﴾ ذكر في الحاقة. ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ يحتمل أن يكون السير بمعنى قليل، أو بمعنى  
 هين سهل، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «من نوقش الحساب عذب»، فقالت عائشة ؓ: ألم يقل الله  
 "فسوف يحاسب حسابا يسيرا"؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنما ذلك العرض، وأما من نوقش الحساب فيهلك»  
 [البخاري: 103]، وفي الحديث أيضا عن رسول الله ﷺ: «إن الله يذني العبد يوم القيامة حتى يضع كفه عليه، فيقول:  
 فعلت كذا وكذا، ويعدد عليه ذنوبه ثم يقول: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم» [البخاري: 2309]، وروي  
 أن رسول الله ﷺ قال: «من حاسب نفسه في الدنيا هون الله حسابه يوم القيامة» [النعالي: 227 / 4]. ﴿وَيَنْقَلِبُ  
 إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ أي: يرجع إلى أهله في الجنة مسرورا بما أعطاه الله، والأهل زوجته في الجنة من نساء  
 الدنيا أو من الحور العين، ويحتمل أن يريد قرابته من المؤمنين وبذلك فسره الزمخشري. ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ  
 وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ يعني الكافر، وروي أن هاتين الآيتين نزلتا في أبي سلمة ابن عبد الأسد ؓ، وكان من فضلاء  
 المؤمنين وفي أخيه أسود وكان من عتاة الكافرين. ولفظها أعم من ذلك، فإن قيل: كيف قال في الكافر هنا  
 إنه يؤتى كتابه وراء ظهره، وقال في الحاقة ﴿بِشِمَالِهِ﴾؟ فالجواب من وجهين؛ أحدهما: أن يديه تكونان  
 مغلولتين إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيأخذ بها كتابه، وقيل: تدخل يده اليسرى في صدره وتخرج  
 من ظهره فيأخذ بها كتابه. ﴿يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ أي: يصيح بالويل والثبور. ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾  
 أي: كان في الدنيا مسرورا مع أهله متنعمًا غافلا عن الآخرة، وهذا في مقابلة ما حكى عن المؤمن أنه يتقلب  
 إلى أهله في الجنة مسرورا. ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ أي: لن يرجع إلى الله، والمعنى: أنه يكذب بالبعث.

بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿٥٥﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿٥٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿٥٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿٥٨﴾ لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿٥٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٦١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٦٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٦٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٦٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦٥﴾

﴿بَلَى﴾ أي: يحور ويبعث. ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ ذكر في نظائره. ﴿بِالشَّفَقِ﴾ هي الحمرة التي تبقى بعد غروب الشمس، وقال أبو حنيفة: هو البياض، وقيل: هو النهار كله. وهذا ضعيف والأول هو المعروف عند الفقهاء وأهل اللغة. ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ أي: جمع وضم، ومنه الوسق، وذلك أن الليل يضم الأشياء ويسترها بظلامه. ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ أي: إذا كُمل ليلة أربعة عشر، ووزن "اتسق" وهو مشتق من الوسق فكانه امتلاً نورا، وفي الآية من أدوات البيان لزوم ما لا يلزم لالتزام السين قبل القاف في "وسق" و"اتسق". ﴿لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ الـ"طبق" في اللغة له معنيان؛ أحدهما: ما طابق غيره، يقال: هذا طبق لهذا إذا طابقه، والآخر: جمع طبقة، فعلى الأول يكون المعنى لتركن حالا بعد حال كل واحدة منهما مطابقة للأخرى، وعلى الثاني: يكون المعنى لتركن أحوالا بعد أحوال هي طبقات بعضها فوق بعض، ثم اختلف في تفسير هذه الأحوال وفي قراءة "تركن"، فأما من قرأه بضم الباء فهو خطاب لجنس الإنسان، وفي تفسير الأحوال على هذا ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنها شدائد الموت ثم البعث ثم الحساب ثم الجزاء، والآخر: أنها كون الإنسان نطفة ثم علقة إلى أن يخرج إلى الدنيا إلى أن يهرم ثم إلى أن يموت، والثالث: لتركن سنن من كان قبلكم، وأما من قرأ "تركن" بفتح الباء فهو خطاب للإنسان على المعاني الثلاثة التي ذكرنا، وقيل: هو خطاب للنبي ﷺ، ثم اختلف القائلون بهذا على ثلاثة أقوال؛ أحدها: لتركن مكابدة الكفار حالا بعد حال، والآخر: لتركن فتح البلاد شيئا بعد شيء، والآخر: لتركن السموات في الإسراء سماء بعد سماء، وقوله "عن طبق" في موضع الصفة لـ"طباقا"، أو في موضع حال من الضمير في "تركن" قاله الزمخشري. ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الضمير لكفار قريش، والمعنى: أي شيء يمنعهم من الإيمان. ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ هذا موضع سجدة عند الشافعي وغيره؛ لأن النبي ﷺ سجد فيها [البخاري: 766]، وليست عند مالك من عزائم السجدات. ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني المذكورين، ووضع الظاهر موضع المضمرة ليصفهم بالكفر. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ أي: بما يجمعون في صدورهم من الكفر والتكذيب، أو بما يجمعون في صحائفهم من الأعمال القبيحة، يقال: أوعيت المال وغيره إذا جمعته. ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وضع البشارة موضع النذارة تهكما بهم. ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني من قضى له بالإيمان من هؤلاء الكفار؛ فالاستثناء على هذا متصل وإلى هذا أشار ابن عطية، وقال الزمخشري: هو منقطع. ﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قد ذكر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝

## سورة البروج

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾ "البروج" هي المنازل المعروفة، وهي اثنا عشر تقطعها الشمس في سنة، وقيل: هي النجوم العظام؛ لأنها تتبرج، أي: تظهر. ﴿ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴾ هو يوم القيامة باتفاق، وقد روي ذلك عن النبي ﷺ [الترمذي: 3339]. ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ يحتمل الـ"شاهد" والـ"مشهود" أن يكون من الشهادة على الأمر، أو يكون من معنى الحضور، وحذف المعمول وتقديره: مشهود عليه أو مشهود به أو مشهود فيه، وقد اضطرب الناس في تفسير الـ"شاهد" والـ"مشهود" اضطراباً عظيماً، وتلخص من أقوالهم في الـ"شاهد" ستة عشر قولاً تقابلها في الـ"مشهود" اثنان وثلاثون قولاً؛ القول الأول: أن الـ"شاهد" هو الله تعالى لقوله ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾، والـ"مشهود" على هذا يحتمل ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن يكون الخلق بمعنى أنه يشهد عليهم، والآخر: أن يكون الأعمال بمعنى أنه يشهد بها، والثالث: أن يكون يوم القيامة بمعنى أنه يشهد فيه؛ أي: يحضر للحساب والجزاء، أو تقع فيه الشهادة على الناس، القول الثاني: أن الـ"شاهد" محمد ﷺ لقوله ﴿ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾، والـ"مشهود" على هذا يحتمل أن يكون أمته؛ لأنه يشهد عليهم، أو أعمالهم؛ لأنه يشهد بها، أو يوم القيامة؛ لأنه يشهد فيه، أي: يحضر، أو تقع فيه الشهادة على الأمة، القول الثالث: أن الـ"شاهد" أمة محمد ﷺ لقوله ﴿ لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾، والـ"مشهود" على هذا سائر الأمم؛ لأنهم يشهدون عليهم، أو أعمالهم، أو يوم القيامة، القول الرابع: أن الـ"شاهد" عيسى عليه السلام، والـ"مشهود" أمته لقوله ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾ أو أعمالهم، أو يوم القيامة، القول الخامس: أن الـ"شاهد" جميع الأنبياء، والـ"مشهود" أهمهم؛ لأن كل نبي يشهد على أمته، أو يشهد بأعمالهم، أو يوم القيامة؛ لأنه يشهد فيه، القول السادس: أن الـ"شاهد" الملائكة الحفظة، والـ"مشهود" على هذا الناس؛ لأن الملائكة يشهدون عليهم، أو الأعمال؛ لأن الملائكة يشهدون بها، أو يوم القيامة، أو صلاة الصبح لقوله ﴿ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾، القول السابع: أن الـ"شاهد" جميع الناس لأنهم يشهدون يوم القيامة؛ أي: يحضرونها، والـ"مشهود" يوم القيامة لقوله ﴿ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾، القول الثامن: أن الـ"شاهد" الجوارح، والـ"مشهود" عليه أصحابها لقوله ﴿ يَوْمٌ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ ﴾، أو الأعمال؛ لأن الجوارح تشهد بها، أو يوم القيامة؛ لأن الشهادة تقع فيه، القول التاسع: أن الـ"شاهد" الله والملائكة وأولوا العلم لقوله ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ ﴾، والـ"مشهود" به الوحداية، القول العاشر: أن الـ"شاهد" جميع المخلوقات، والـ"مشهود" به وجود خالقها وإثبات صفاته من الحياة والقدرة وغير ذلك، القول الحادي عشر: أن الـ"شاهد" النجم لما ورد في الحديث: «لا صلاة بعد العصر حتى يطلع الشاهد وهو النجم» [مسلم: 830]،

قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ﴿١٠﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ﴿١١﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿١٢﴾

والـ"مشهود" على هذا الليل والنهار؛ لأن النجم يشهد بانقضاء النهار ودخول الليل، القول الثاني عشر: أن الـ"شاهد" الحجر الأسود، والـ"مشهود" الناس الذين يحجون، القول الثالث عشر: روي عن النبي ﷺ: «أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة» [الطبراني: 3458]؛ وذلك أن يوم الجمعة يشهد بالأعمال، ويوم عرفة يشهده جمع عظيم من الناس، القول الرابع عشر: أن الـ"شاهد" يوم عرفة، والـ"مشهود" يوم النحر قاله علي ابن أبي طالب ؓ، القول الخامس عشر: أن الـ"شاهد" يوم التروية، والـ"مشهود" يوم عرفة، القول السادس عشر: أن الـ"شاهد" يوم الاثنين، والـ"مشهود" يوم الجمعة. ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾ الكلام هنا في ثلاثة فصول؛ الأول: في جواب القسم، وفيه أربعة أقوال؛ أحدها: أنه قوله ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾، وثانيها: أنه ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ وهذان القولان ضعيفان لبعدهما من القسم من الجواب، وثالثها: أنه ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾ تقديره: لقد قتل، ورابعها: أنه محذوف يدل عليه "قتل أصحاب الأخدود"، وتقديره: لقد قتل هؤلاء الكفار كما قتل أصحاب الأخدود، وذلك أن الكفار من قريش كانوا يعذبون من أسلم من قومهم ليرجعوا عن الإسلام، فذكر الله قصة أصحاب الأخدود وعيدا للكفار وتأييسا للمسلمين المعدبين، الفصل الثاني: في تفسير لفظها؛ فأما "قتل" فاختلف هل هو دعاء أو خبر؟ واختلف هل هو بمعنى القتل حقيقة أو بمعنى اللعن؟ وأما "الأخدود" فهو الشق في الأرض كالخندق وشبهه، وأما "أصحاب الأخدود" فيحتمل أن يريد به الكفار الذين كانوا يحرقون المؤمنين في الأخدود، أو يريد به المؤمنين الذين حرقوا فيه؛ فيكون القتل حقيقة خبرا. والأول أظهر. الفصل الثالث: في قصة أصحاب الأخدود، وفيها أربعة أقوال؛ الأول: ما ورد عن رسول الله ﷺ في حديث طويل معناه: «أن ملكا كافرا أسلم أهل بلاده، فأمر بالأخدود فخذ في أفواه السكك وأضرم فيها النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فألقوه فيها، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام: يا أمها اصبري فإنك على الحق» [مسلم: 3005]، القول الثاني: أن ملكا زنى بأخته، ثم أراد أن يجل للناس نكاح الأخوات، فأطاعه قوم، ومنهم أخذ المجوس ذلك، وعصاه قوم فحفر لهم الأخدود وأحرقهم فيه بالنار، القول الثالث: أن نبي أصحاب الأخدود كان حبشيا، وأن الحبشة بقية أصحاب الأخدود، القول الرابع: أن صاحب الأخدود ذو نواس المذكور في قصة عبد الله بن التامر التي وقعت في السير، ويحتمل أن يكون ذو نواس هو الملك الذي ذكره النبي ﷺ فيتفق هذا القول مع الأول؛ فإن ذا نواس حفر أخدودا وأوقد فيه نيرانا، وألقى فيها كل من وحد الله تعالى، واتبع العبد الصالح عبد الله بن التامر. ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ﴾ "النار" بدل من "الأخدود" وهو بدل اشتغال، و"الوقود" ما توقد به النار، والقصد وصف النار بالشدة والعظمة. ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ الضمير للكفار الذين كانوا يحرقون المؤمنين في الأخدود، وهم أصحاب الأخدود على الأظهر، والعامل في "إذ" قوله "قتل"

وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ  
 الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ  
 الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ  
 الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَلِكَ  
 الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبَدِّئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ  
 الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾

فروي أن النار أحرقت من المؤمنين عشرين ألفاً، وقيل: سبعين ألفاً، ف"قتل" على هذا بمعنى لعن؛ أي: لعنوا  
 حين قعدوا على النار لتحريق المؤمنين، وروي أن الله بعث على المؤمنين ريحا فقبضت أرواحهم، وخرجت  
 النار فأحرقت الكفار الذين كانوا عليها، ف"قتل" على هذا بمعنى القتل الحقيقي؛ أي: قتلهم النار، وقيل:  
 الضمير في "إذ" هم للمؤمنين؛ والأول أظهر وأشهر لقوله "وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود". ﴿وَهُمْ  
 عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى الشهادة؛ أي: يشهد بعضهم لبعض عند الملك  
 بأنه فعل ما أمره الملك من التحريق، أو يشهدون بذلك على أنفسهم يوم القيامة، أو يكون بمعنى الحضور؛  
 أي: كانوا حاضرين على ذلك الفعل. ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ أي: ما أنكر الكفار على  
 المؤمنين إلا أنهم آمنوا بالله، وهذا لا ينبغي أن ينكر، فإن قيل: لم قال "أن يؤمنوا" بلفظ المضارع ولم يقل آمنوا  
 بلفظ الماضي؛ لأن القصة قد وقعت؟ فالجواب: أن التعذيب إنما كان على دوامهم على الإيمان ولو كفروا في  
 المستقبل لم يعذبوهم؛ فلذلك ذكره بلفظ المستقبل، فكأنه قال: إلا أن يدوموا على الإيمان. ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا  
 الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ إن كانت هذه الآية في أصحاب الأخدود فالفتنة هنا بمعنى الإحراق، وإن كانت في  
 كفار قريش فالفتنة بمعنى المحنة والتعذيب؛ وهذا أظهر لقوله ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾؛ لأن أصحاب الأخدود لم  
 يتوبوا بل ماتوا على كفرهم، وأما قريش فمنهم من أسلم وتاب، وفي الآية دليل على أن الكافر إذا أسلم يغفر  
 له ما فعل في حين كفره كقوله ﷺ: «الإسلام يجب ما قبله» [احمد: 17812]. ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ يحتمل أن  
 يريد في الآخرة، فيكون تأكيداً لعذاب جهنم، أو نوعاً من العذاب زيادة إلى عذاب جهنم، ويحتمل أن يريد  
 في الدنيا وذلك على رواية أن الكفار أصحاب الأخدود أحرقتهم النار. ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ البطش  
 هو الأخذ بسرعة وقوة. ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبَدِّئُ وَيُعِيدُ﴾ أي: يبدئ الخلق بالنشأة الأولى ويعيدهم بالنشأة الآخرة  
 للبعث، وقيل: يبدئ البطش ويعيده؛ أي: يبطش بهم في الدنيا والآخرة. والأول أظهر وأرجح لقوله ﴿اللَّهُ  
 يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ وقد ذكرنا ﴿الْوَدُودُ﴾ في اللغات. ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ﴾ أضاف "العرش" إلى الله

هَلْ آتَيْكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿٩﴾ وَاللَّهُ  
مِنَ وَّرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿١٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿١١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿١٢﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ  
الثَّقِيبُ ﴿٣﴾ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن  
مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾

وخصه بالذكر؛ لأن "العرش" أعظم المخلوقات، و"المجيد" من المجد وهو الشرف ورفعة القدر، وقرئ  
"المجيد" بالرفع صفة لـ "ذو العرش" وبالخفض صفة لـ "العرش". ﴿ هَلْ آتَاكَ ﴾ توقيف يراد به التنبيه وتعظيم  
الأمر، والمقصود بذكر ﴿ الجنود ﴾ تهديد الكفار وتأنيس النبي ﷺ. ﴿ وَاللَّهُ مِنْ وَّرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴾ تهديد لهم،  
معناه: لا يفوتونه بل يصيبهم عذابه إذا شاء. ﴿ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ يعني اللوح المحفوظ الذي في السماء، وقرئ  
"محفوظ" بالخفض صفة لـ "لوح"، وبالرفع صفة لـ "لقرآن"، أي: حفظه الله من التبديل والتغيير، أو حفظه  
المؤمنون في صدورهم.

### سورة الطارق

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴾ هذه "السماء" التي أقسم الله بها هي المعروفة، وقيل: أراد المطر؛ لأن العرب قد  
تسميه سماء. وهذا بعيد. "والطارق" في اللغة ما يطرق؛ أي: يجيء ليلاً، وقد فسره الله هنا بأنه ﴿ النَّجْمُ  
الثَّقِيبُ ﴾ وهو يطلع ليلاً، ومعنى "الثاقب" المضيء أو المرتفع، فقيل: أراد جنس النجوم، وقيل: الثريا؛ لأنه  
الذي تطلق عليه العرب النجم، وقيل: زحل؛ لأنه أرفع النجوم إذ هو في السماء السابعة. ﴿ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ  
لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ هذا جواب القسم، ومعناه عند الجمهور: أن كل نفس من بني آدم عليها حافظ يكتب  
أعمالها يعني الملائكة الحفظة، وروي عن النبي ﷺ في تفسير هذه الآية: «أن لكل نفس حفظة من الله يذبون  
عنها كما يذب عن العسل، ولو وكل المرء إلى نفسه طرفة عين لا تختطفته الآفات والشياطين» [الطبراني: 7704]، وإن  
صح هذا الحديث فهو المعول عليه، وقرئ "لما عليها" بتخفيف الميم، وعلى هذا تكون "إن" مخففة من الثقيلة  
واللام للتأكيد، و"ما" زائدة، وقرئ "لما" بالتشديد وعلى هذا تكون "إن" نافية و"لما" بمعنى الإيجاب بعد النفي.  
﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ حذف ألف "ما" لأنها استفهامية وجوابها ﴿ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾، وسمي المنى  
ماء دافق من الدفق بمعنى الدفع، فقيل: معناه مدفوق وصاحبه هو الدافق في الحقيقة، وقال سيبويه: هو على  
النسب؛ أي: ذو دفق، وقال ابن عطية: يصح أن يكون الماء دافقاً؛ لأن بعضه يدفع بعضاً، ومقصود الآية إثبات

يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾  
فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾  
إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾

الحشر، فأمر الإنسان أن ينظر أصل خلقته؛ ليعلم أن الذي خلقه من ماء دافق قادر على أن يعيده، ووجه اتصال هذا الكلام بما قبله، أنه لما أخبر أن على كل نفس حافظاً يحفظ أعمالها، أعقبه بالتنبيه على الحشر حيث تجازى كل نفس بأعمالها. ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ الضمير في "يخرج" لـ"الماء"، وقال ابن عطية: يحتل أن يكون لـ"الإنسان"؛ وهذا بعيد جداً، "والترائب" عظام الصدر واحدها تريبة، وقيل: هي الأطراف كاليدين والرجلين، وقيل: هي عصاراة القلب ومنها يكون الولد، وقيل: هي الأضلاع التي أسفل الصلب؛ والأول هو الصحيح المعروف في اللغة، ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه: هي موضع القلادة ما بين ثديي المرأة، ويعني صلب الرجل وترائبها وصلب المرأة وترائبها، وقيل: أراد صلب الرجل وترائب المرأة. ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ الضمير في "إنه" لله تعالى وفي رجعه لـ"الإنسان"، والمعنى: أن الله قادر على رجوع الإنسان حياً بعد موته، والمراد إثبات البعث، وقيل: إن المعنى رده ماء كما كان أول مرة، وقيل: رده من الكبر إلى الشباب، وقيل: الضمير في "رجعه" للماء الدافق، والمعنى: رده في الإحليل أو في الصلب؛ وهذا كله ضعيف بعيد والقول الأول هو الصحيح المشهور. ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ يعني يوم القيامة، و"السرائر" جمع سريرة؛ وهي ما أسر العبد في قلبه من العقائد والعزائم والنيات وما أخفى من الأعمال، وبلاؤها هو تعرفها والاطلاع عليها، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أن السرائر الإيمان والصلاة والزكاة والغسل من الجنابة» [شعب الإيمان: 2751]، وهذه معظمها، فذلك خصها بالذكر، والعامل في "يوم" قوله "رجعه"؛ أي: يرجعه يوم تبلى السرائر، واعترض بالفصل بينهما، وأجيب بقوة المصدر في العمل، وقيل: العامل "قادر" واعترض بتخصيص القدرة بذلك اليوم؛ وهذا لا يلزم لأن القدرة وإن كانت مطلقة فقد أخبر الله أن البعث إنما يقع في ذلك اليوم، وقال من احترز من الاعتراضين في القولين المتقدمين: العامل فعل مضمَر من المعنى تقديره: يرجعه يوم تبلى السرائر؛ وهذا كله على المعنى الصحيح في "رجعه"، وأما على الأقوال الأخر فالعامل في "يوم" مضمَر تقديره: اذكر. ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ الضمير لـ"الإنسان"، ولما كان دفع المكاره في الدنيا إما بقوة الإنسان أو بنصرة غيره له، أخبر الله أنه يعدمها يوم القيامة. ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ المراد بـ"الرجع" عند الجمهور المطر، وسماه رجعا بالمصدر؛ لأنه يرجع كل عام أو لأنه يرجع إلى الأرض، وقيل: "الرجع" السحاب الذي فيه المطر، وقيل: هو مصدر رجوع الشمس والقمر والكواكب من منزلة إلى منزلة. ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ يعني ما تصدع عنه الأرض من النبات، وقيل: يعني ما في الأرض من الشقاق والخنادق وشبهها. ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ الضمير للقرآن؛

وَمَا هُوَ بِأَهْزَلٍ ۖ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۖ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۖ فَمَهْلِكِ الْكَافِرِينَ أَهْمَلَهُمْ  
رُويِدًا ۖ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۖ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۖ

لأن سياق الكلام يقتضيه، والـ"فصل" معناه: الذي فصل بين الحق والباطل كما قيل له: فرقان، و﴿الْهَزْلُ﴾  
اللهو، يعني أنه جد كله. ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ الضمير لكفار قريش، وكيدهم هو ما دبروا في شأن  
رسول الله ﷺ من الإضرار به وإبطال أمره. ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ هذا تسمية العقوبة باسم الذنب للمشاكلة بين  
الفاعلين. ﴿فَمَهْلِكِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: لا تستعجل عليهم بالعقوبة لهم أو بالدعاء عليهم؛ وهذا منسوخ بالسيف.  
﴿أَهْمَلَهُمْ رُويِدًا﴾ أي: إمهالا يسيرا قليلا، يعني إلى قتلهم يوم بدر أو إلى الدار الآخرة، وجعله يسيرا لأن كل  
أت قريب، ولفظ "رويدا" هنا صفة لمصدر محذوف وقد تقع بمعنى الأمر بالتهامل كقولك: رويدا يا فلان،  
وكرر الأمر في قولهم: "أهملهم"، وخالف بينه وبين لفظ "مهمل" لزيادة التسكين والتصبير قاله الزمخشري.

### سورة الأعلى جل جلاله

﴿سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ التسييح في اللغة التنزيه، وذكر الـ"اسم" هنا يحتمل وجهين؛ أحدهما: أن يكون  
المراد المسمى ويكون الاسم صلة كالزائد، ومعنى الكلام: سبح ربك؛ أي: نزهه عما لا يليق به، وقد يتخرج  
ذلك على قول من قال إن الاسم هو المسمى، والآخر: أن يكون الـ"اسم" مقصودا بالذكر، ويحتمل المعنى على  
هذا أربعة أوجه؛ الأول: تنزيه أسماء الله عن المعاني الباطلة كالتشبيه والتعطيل، الثاني: تنزيه أسماء الله تعالى  
عن أن يسمى بها صنم أو وثن، الثالث: تنزيه أسماء الله عن أن تذكر في حال الغفلة دون خشوع، الرابع:  
أن المراد قول: سبحان الله، ولما كان هذا التسييح باللسان لا بد فيه من ذكر الاسم أوقع التسييح على  
الاسم؛ وهذا القول هو الصحيح ويؤيده ما ورد عن النبي ﷺ أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال: «سبحان ربي  
الأعلى» [المختار: 387]، وأنها لما نزلت قال: «اجعلوها في سجودكم» [أبو داود: 896]، فدل ذلك على أن المراد هو  
التسييح باللسان مع موافقة القلب، ولا بد في التسييح باللسان من ذكر اسم الله تعالى، فلذلك قال "سبح  
اسم ربك" مع أن التسييح في الحقيقة إنما هو لله تعالى لا لاسمه، وإنما ذكر الاسم لأنه هو الذي يوصل به  
إلى التسييح باللسان وعلى هذا يكون موافقا في المعنى لقوله ﴿فَسَبَّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾؛ لأن معناه نزهه الله بذكر  
اسمه، ويؤيد هذا ما روي عن ابن عباس ؓ أن معنى "سبح" صل باسم ربك؛ أي: صل واذكر في الصلاة  
اسم ربك، و"الأعلى" يحتمل أن يكون صفة للرب أو للاسم؛ والأول أظهر. ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ حذف  
مفعول "خلق" و"سوى" لقصد الإجمال الذي يفيد العموم، والمراد خلق كل شيء فسواه؛ أي: أنقن خلقته،



وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿١﴾ فَجَعَلَهُ غَنَاءً أَحْوَىٰ ﴿٣﴾ سَنُقَرِّثُكَ  
فَلَا تَنْسَىٰ ﴿٤﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٥﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٦﴾  
فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٧﴾

وانظر ما ذكرنا في قوله ﴿فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ . ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ "قدر" بالتشديد يمتثل أن يكون من القدر والقضاء، أو من التقدير والموازنة بين الأشياء، وقرئ بالتخفيف فيحتمل أن يكون من القدرة أو التقدير، وحذف المفعول ليفيد العموم؛ فإن كان من التقدير فالمعنى: قدر لكل حيوان ما يصلحه فهذا إليه وعرفه وجه الانتفاع به، وقيل: هدى ذكور الحيوان إلى وطء الإناث لبقاء النسل، وقيل: هدى المولود عند وضعه إلى مص الثدي، وقيل: هدى الناس للخير والشر والبهائم للمراتع؛ وهذه الأقوال أمثلة؛ والأول أعم وأرجح؛ فإن هداية الإنسان وسائر الحيوان إلى مصالحها باب واسع فيه عجائب وغرائب، وقال الفراء: المعنى هدى وأصل، واكتفى بالواحدة لدلالاتها على الأخرى؛ وهذا بعيد. ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ فَجَعَلَهُ غَنَاءً أَحْوَىٰ﴾ "المرعى" هو النبات الذي ترعاه البهائم، وال"غناء" هو النبات اليابس المتحطم، وقد يقال للزبل غناء، و"أحوى" معناه: أسود وهو صفة ل"غناء"، والمعنى: أن الله أخرج المرعى الأخضر، فجعله بعد خضرتة غناء أسود؛ لأن الغناء إذا قدم تعفن واسود، وقيل: إن "أحوى" حال من المرعى، ومعناه: الأخضر الذي يضرب إلى السواد، وفي الكلام على هذا تقديم وتأخير تقديره: الذي أخرج المرعى أحوى فجعله غناء، وفي هذا القول تكلف. ﴿سَنُقَرِّثُكَ فَلَا تَنْسَىٰ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ وعده الله أن يقرئه القرآن فلا ينساه، وفي ذلك معجزة له ﷺ لأنه كان أمياً لا يكتب، وكان مع ذلك لا ينسى ما أقرأه جبريل من القرآن، وقيل: معنى الآية كقوله ﴿لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ﴾ الآية، فإنه عليه الصلاة والسلام كان يحرك به لسانه إذا أقرأه جبريل خوفاً أن ينساه، فضمن الله له أنه لا ينساه، وقيل: "فلا تنسى" نهي عن النسيان، وقد علم الله أن ترك النسيان ليس في قدرة البشر؛ فالمراد الأمر بتعاهده حتى لا ينساه، وهذا بعيد لإثبات الألف في "تنسى". ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ فيه وجهان؛ أحدهما: أن معناه لا تنسى إلا ما شاء الله أن تنساه كقوله ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾، والآخر: أنه لا ينسى شيئاً، ولكن قال "إلا ما شاء الله" تعظيماً لله بإسناد الأمر إليه كقوله ﴿خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ على بعض الأقوال، وعبر الزمخشري عن هذا بأنه من استعمال التقليل في معنى النفي؛ والأول أظهر فإن النسيان جائز على النبي ﷺ فيما أراد الله أن يرفعه من القرآن، أو فيما قضى الله أن ينساه ثم يذكره، ومن هذا قول النبي ﷺ حين سمع قراءة عباد بن بشير يرحمه الله: «لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت قد أنسيتها» [البخاري: 4750]. ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ عطف على "سنقرئك"، ومعناه: نوفقك للأمور المرضية التي توجب لك السعادة، وقيل: معناه للشرعية اليسرى من قوله عليه الصلاة والسلام: «دين الله يسر» [البخاري: 39]؛ أي: سهل لا حرج فيه. ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ المراد بهذا الشرط توبيخ الكفار الذين

سَيَذَكُرُ مَنْ يَخْشَى ﴿١﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿٢﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ﴿٣﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿٤﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿٥﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿٦﴾ بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٨﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿٩﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٠﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَلْ آتَيْكَ حَدِيثُ الْعَشِيَّةِ ﴿١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾

لا تنفعهم الذكرى، واستبعاد تأثير الذكرى في قلوبهم كقولك: قد أوصيتك إن سمعت، وقيل: إن المعنى فذكر إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع، واقتصر على أحد القسمين لدلالة الآخر عليه، وهذا بعيد، وليس عليه الروتق الذي على الأول. ﴿سَيَذَكُرُ مَنْ يَخْشَى﴾ أي: من يخاف الله. ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾ يعني الكافر، ونزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة، والضمير المفعول لـ "لذكرى". ﴿النَّارَ الْكُبْرَى﴾ هي نار جهنم، وسماها "كبرى" بالنظر إلى نار الدنيا، وقيل: سماها "كبرى" بالنظر إلى غيرها من نار جهنم فإنها تتفاضل وبعضها أكبر من بعض، وكلا القولين صحيح إلا أن الأول أظهر، ويؤيده قول رسول الله ﷺ: «ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم» [مسلم: 2843]. ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ أي: لا يموت فيستريح ولا يحيا حياة هنيئة، وعطف هذه الجملة بـ "ثم"؛ لأن هذه الحالة أشد من صلي النار فكأنها بعده في الشدة. ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ يحتمل أن يكون "تزكى" بمعنى الطهارة من الشرك والمعاصي، أو بمعنى الطهارة للصلاة، أو بمعنى أداء الزكاة وعلى هذا قال جماعة إنها في يوم الفطر، والمعنى: أدى زكاة الفطر. ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ في طريق المصلّي إلى أن يخرج الإمام وصلى صلاة العيد، وقد روي هذا عن النبي ﷺ [البيزار: 3383]، وقيل: المراد أدى زكاة ماله وصلى الصلوات الخمس. ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الإشارة إلى ما ذكر قبل من التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة، أو إلى ما تضمنته السورة، أو إلى القرآن بجملته، والمعنى: أنه ثابت في كتب الأنبياء المتقدمين كما ثبت في هذا الكتاب.

#### سورة الغاشية

﴿هَلْ آتَاكَ﴾ توقيف يراد به التنبيه والتفخيم للأمر، وقيل: "هل" بمعنى قد؛ وهذا ضعيف. ﴿الْعَاشِيَةَ﴾ هي القيامة؛ لأنها تغشى جميع الخلق، وقيل: هي النار من قوله ﴿وَتَغْشَى وَجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ وهذا ضعيف لأنه ذكر بعد ذلك قسمين؛ أهل الشقاوة وأهل السعادة. ﴿خَاشِعَةٌ﴾ أي: ذليلة. ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ هو من النصب بمعنى التعب، وفي المراد بهم ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنهم الكفار، ويحتمل على هذا أن يكون عملهم

تَصَلِّي نَارًا حَامِيَةً ﴿١﴾ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ -أَيْنَةٍ ﴿٢﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ ﴿٣﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٤﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴿٥﴾ لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ ﴿٦﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٧﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴿٨﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿٩﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٠﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١١﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٢﴾

ونصّبهم في الدنيا؛ لأنهم كانوا يعملون أعمال السوء ويتعبون فيها، أو يكون في الآخرة فيعملون عملاً يتعبون فيه من جر السلاسل والأغلال وشبه ذلك ويكون زيادة في عذابهم، الثاني: أنها في الرهبان الذين يجتهدون في العبادة ولا تقبل منهم؛ لأنهم على غير الإسلام، وبهذا تأولها عمر بن الخطاب ؓ وبكى رحمة لراهب نصراني رآه مجتهداً، ف"عاملة ناصبة" على هذا في الدنيا، و"ناصبة" إشارة إلى اجتهادهم في العمل أو إلى أنه لا ينفعهم فليس لهم منه إلا النصب، الثالث: أنها في القدرية، وقد روي أن رسول الله ﷺ ذكر القدرية فبكى وقال: «إن فيهم المجتهد» [الحارث: 750]. ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ -أَيْنَةٍ﴾ أي: شديدة الحر، ومنه ﴿حَمِيمٍ -إِنْ﴾ ووزن "-انية" هنا فاعلة بخلاف ﴿عَائِنَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ﴾ فإن وزنه أفعلة. ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ﴾ في الـ"صريح" أربعة أقوال؛ أحدها: أنه شوك يقال له الشبرق وهو سم قاتل، وهذا أرجح الأقوال؛ لأن أرباب اللغة ذكروه، ولأن النبي ﷺ قال: «الصريح شوك في النار» [الغالبى: 244/4]. الثاني: أنه الزقوم لقوله ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ طَعَامُ الْآثِمِ﴾، الثالث: أنه نبات أخضر متنن ينبت في البحر؛ وهذا ضعيف، الرابع: أنه واد في جهنم، وهذا أضعف؛ لأن ما يجري في الوادي ليس بطعام إنما هو شراب، والله در من قال: إن الصريح طعام أهل النار؛ فإنه عم وسلم من عهدة التعيين، واشتقاقه عند بعضهم من المضارعة بمعنى المشابهة لأنه يشبه الطعام الطيب وليس به، وقيل: هو بمعنى مضرع للبدن، أي: مضعف، وقيل: إن العرب لا تعرف هذا اللفظ؛ فإن قيل: كيف قال هنا "ليس لهم طعام إلا من صريح"، وقال في الحاقة ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾، فالجواب: أن الصريح لقوم والغسلين لقوم، أو يكون أحدهما في حال والآخر في حال. ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ هذه الجملة صفة لـ"صريح"، أو لـ"طعام" نفى عنه منفعة الطعام وهي التسمين وإزالة الجوع. ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ أي: متنعمة في الجنة أو يظهر عليها نظرة النعيم. ﴿لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ﴾ أي: راضية في الآخرة؛ لأجل سعيها وهو عملها في الدنيا. ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ يحتمل أن يكون من علو المكان، أو من علو المقدار، أو الوجهين. ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ هو من لغو الكلام، ومعناه: اللحن وما يكره، فيحتمل أن يريد كلمة لا غية أو جماعة لا غية. ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ يحتمل أن يريد جنس العيون أو واحدة شرفها بالتعيين. ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ قد ذكرنا "أكواب"، ومعنى "موضوعة": حاضرة معدة بشرابها، وفي قوله "مرفوعة" و"موضوعة" مطابقة. ﴿وَنَمَارِقُ﴾ جمع نمرقة، وهي الوسادة.

وَزَرَابِي مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيَعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾

﴿وَزَرَابِي﴾ هي بسط فاخرة، وقيل: هي الطنafs، واحدها زربية. ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ أي: متفرقة، وذلك عبارة عن كثرتها، وقيل: مبسوطة. ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيِلِ﴾ حض على النظر إلى خلقتها لما فيها من العجائب في قوتها وانقيادها مع ذلك لكل ضعيف، وصبرها على العطش، وكثرة المنافع التي فيها من الركوب والحمل عليها، وأكل لحومها وشرب ألبانها وأبوالها وغير ذلك، وقيل: أراد بـ"الاييل" السحاب؛ وهذا بعيد، وإنما حمل قائله عليه مناسبتها للسما والأرض والجبال؛ والصحيح أن المراد الحيوان المعروف، وإنما ذكره لما فيه من العجائب، ولاعتناء العرب به إذ كانت معاشهم في الغالب منه، وهو أكثر المواشي في بلادهم. ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ أي: قاهر متسلط، وهذا منسوخ بالسيف. ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى﴾ استثناء منقطع، معناه: لكن من تولى ﴿وَكَفَرَ فَيَعَذِّبُهُ اللَّهُ﴾، وقيل: هو استثناء من مفعول ﴿فَذَكِّرْ﴾، والمعنى: ذكر كل أحد إلا من تولى حتى يست منه، فهو على هذا متصل، وقيل: هو استثناء من قوله "لست عليهم بمصيتر"، أي: لا تتسلط إلا على من تولى وكفر؛ وهو على هذا متصل لا نسخ فيه إذ لا موادة فيه، وهذا بعيد؛ لأن السورة مكية، والموادة بمكة ثابتة. ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ أي: رجوعهم، والآية تهديد.

## سورة الفجر

﴿وَالْفَجْرِ﴾ أقسم الله تعالى بـ"الفجر" وهو الطالع كل يوم، كما أقسم بـ ﴿الصُّبْحِ﴾، وقيل: أراد صلاة الفجر، وقيل: أراد النهار كله، وقيل: فجر يوم الجمعة، وقيل: فجر يوم النحر، وقيل: فجر ذي الحجة؛ ولا دليل على هذه التخصيصات، وقيل: أراد انفجار العيون من الحجارة؛ وهذا بعيد، والأول أشهر وأظهر. ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ هي عشر ذي الحجة عند الجمهور، وقيل: العشر الأول من المحرم، وفيها يوم عاشوراء، وقيل: العشر الآخر من رمضان، وقيل: العشر الأول منه. ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ روي عن النبي ﷺ «أن الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة» [المستدرک: 7517]، وذلك لأن يوم النحر عاشر فعده شفع ويوم عرفة تاسع فعده وتر، وروي عنه عليه الصلاة والسلام: «أن الشفع يوم عرفة ويوم الأضحى والوتر ليلة النحر» [المعجم: 4073]،

وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ ۝ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ۝ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝  
 إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يُخَلِّقْ مِثْلَهَا فِي الْعَالَمِ ۝ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ  
 ۝ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝ الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْعَالَمِ فَأَكْتَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝

وروي عنه عليه الصلاة والسلام: «أنها الصلوات منها شفع ووتر» [الترمذي: 2433]، وقيل: "الشفع" التنفل بالصلاة  
 مثنى مثنى "والوتر" الركعة الواحدة المعروفة، وقيل "الشفع" العالم "والوتر" الله تعالى لأنه واحد، وقيل: "الشفع"  
 آدم وحواء "والوتر" الله تعالى، وقيل: "الشفع" الصفا والمروة "والوتر" البيت الحرام، وقيل "الشفع" أبواب الجنة  
 لأنها ثمانية "والوتر" أبواب النار لأنها سبعة، وقيل: "الشفع" قران الحج "والوتر" إفراده، وقيل: المراد الأعداد  
 منها شفع ووتر؛ فهذه عشرة أقوال، وقرئ "الوتر" بفتح الواو وكسرهما وهما لغتان. ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ ﴾ أي: إذا  
 يذهب، كقوله ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ﴾، وقيل: أراد يسري فيه، فهو على هذا كقولهم: ليله قائم، والمراد على هذا ليلة  
 جمع؛ لأنها التي يسرى فيها، والأول أشهر وأظهر. ﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ﴾ هذا توقيف يراد به تعظيم  
 الأشياء التي أقسم بها، والـ "حجر" هنا هو العقل، كأنه يقول: إن هذا لقسم عظيم عند ذوي العقول، وجواب  
 القسم محذوف وهو: ليأخذن الله الكفار، ويدل على ذلك ما ذكر بعده من أخذ عاد وثمود وفرعون. ﴿ إِرْمَ ﴾  
 هي قبيلة عاد سميت باسم أحد أجدادها كما يقال: هاشم لبني هاشم، وإعرابه بدل من "عاد" أو عطف بيان،  
 وفائدته أن المراد عاد الأولى فإن عادا الثانية لا يسمون بهذا الاسم، وقيل: "إرم" اسم مدينتهم فهو على حذف  
 مضاف تقديره: بعاد عاد إرم، ويدل على هذا قراءة ابن الزبير ﴿ بعاد إرم ﴾ على الإضافة من غير تنوين "عاد"،  
 وامتنع "إرم" من الصرف على القولين للتعريف والتأنيث. ﴿ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ من قال "إرم" قبيلة قال "العماد"  
 أعمدة بنيانهم، أو أعمدة بيوتهم من الشعر؛ لأنهم كانوا أهل عمود، وقال ابن عباس ﴿ ذلك كناية عن طول  
 أبدانهم، ومن قال "إرم" مدينة فـ "العماد" الحجارة التي بنيت بها، وقيل: القصور والأبراج. ﴿ الَّتِي لَمْ يُخَلِّقْ مِثْلَهَا  
 فِي الْبِلَادِ ﴾ صفة للقبيلة؛ لأنهم كانوا أعظم الناس أجساما، يقال: كان طول الرجل منهم أربعمئة ذراع، أو  
 صفة للمدينة؛ وهذا أظهر لقوله "في البلاد"؛ ولأنها كانت أحسن مدائن الدنيا، وروي أنها بناها شداد بن عاد في  
 ثلاثمئة عام، وكان عمره تسعمائة عام، وجعل قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت،  
 وفيها أنواع الشجر والأنهار الجارية، وروي أنه سمع ذكر الجنة فأراد أن يعمل مثلها، فلما أتمها وسار إليها بأهل  
 مملكته أهلكهم الله بصيحة، وكانت هذه المدينة باليمن، وروي أن بعض المسلمين مر بها في خلافة معاوية ؓ،  
 وقيل: هي دمشق، وقيل: الإسكندرية؛ وهذا ضعيف. ﴿ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾ أي: نقبوه ونحتوا فيه بيوتا،  
 والوادي ما بين الجبلين وإن لم يكن فيه ماء، وقيل: أراد وادي القرى. ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴾ ذكر في داود.  
 ﴿ الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ ﴾ صفة لعاد وثمود وفرعون، ويجوز أن يكون منصوبا على الذم أو خبر ابتداء مضمرة.

فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا  
 ابْتَلَيْهِ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَيْهِ فَقَدَرَ  
 عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْلَنَنِي ﴿٦﴾ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ﴿٧﴾

﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ استعار السوط للعذاب؛ لأنه يقتضي من التكرار ما لا يقتضيه السيف وغيره قاله ابن عطية، وقال الزمخشري: ذكر السوط إشارة إلى عذاب الدنيا إذ هو أهون من عذاب الآخرة، كما أن السوط أهون من القتل. ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ عبارة عن أنه تعالى حاضر بعلمه في كل مكان وكل زمان وورقيب على كل إنسان، وأنه لا يفوته أحد من الجبابرة والكفار، وفي ذلك تهديد لكفار قريش وغيرهم، و"المِرْصَادُ" المكان الذي يرتقب فيه الرصد. ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ ﴾ الابتلاء هو الاختبار، واختبار الله لعبده لتقوم الحجة على العبد بما يبدو منه، وقد كان الله عالماً بذلك قبل كونه، و"الإنسان" هنا جنس، وقيل: نزلت في عتبة بن ربيعة؛ وهي مع ذلك على العموم فيمن كان على هذه الصفة، وذكر الله في هذه الآية ابتلاءه للإنسان بالخير، ثم ذكر بعده ابتلاءه بالشر كما قال ﴿ وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾، وأنكر عليه قوله حين الخير ﴿ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾، وقوله حين الشر ﴿ رَبِّي أَهْلَنَنِي ﴾ ويتعلق بالآية سؤالان؛ الأول: لم أنكر الله على الإنسان قوله "ربي أكرم من"، و"ربي أهانن"؟ والجواب من وجهين؛ أحدهما: أن الإنسان يقول "ربي أكرم مني" على وجه الفخر بذلك والكبر لا على وجه الشكر، ويقول "ربي أهانن" على وجه التشكي من الله وقلة الصبر والتسليم لقضاء الله؛ فأنكر عليه ما يقتضيه كلامه من ذلك، فإن الواجب عليه أن يشكر على الخير ويصبر على الشر، والآخر: أن الإنسان اعتبر الدنيا، فجعل بسط الرزق فيها كرامة، وتضييقه إهانة، وليس الأمر كذلك، فإن الله قد يبسط الرزق لأعدائه ويضييقه على أوليائه، فأنكر الله عليه اعتبار الدنيا والغفلة عن الآخرة، وهذا الإنكار من هذا الوجه على المؤمن، وأما الكافر فإنما اعتبر الدنيا؛ لأنه لا يصدق بالآخرة، ويرى أن الدنيا هي الغاية، فأنكر عليه ما يقتضيه كلامه من ذلك، السؤال الثاني: إن قيل قد قال الله ﴿ فَأَكْرَمَهُ ﴾ فأثبت إكرامه، فكيف أنكر عليه قوله "ربي أكرم من"؟ فالجواب من ثلاثة أوجه؛ الأول: أنه لم ينكر عليه ذكره للإكرام، وإنما أنكر عليه ما يدل عليه كلامه من الفخر وقلة الشكر، أو من اعتبار الدنيا دون الآخرة حسبما ذكرنا في معنى الإنكار، الثاني: أنه أنكر عليه قوله "ربي أكرم من" إذا اعتقد أن إكرام الله له باستحقاقه الإكرام لا على وجه التفضل والإنعام، كقول قارون ﴿ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾، الثالث: أن الإنكار إنما هو لقوله "ربي أهانن" لا لقوله "ربي أكرم من"، فإن قوله "ربي أكرم من" اعتراف بنعمة الله وقوله "ربي أهانن" شكاية من فعل الله. ﴿ فَكَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ﴾ أي: ضيقه، وقرئ بتشديد الدال وتخفيفها بمعنى واحد، وفي التشديد مبالغة، وقيل: معنى التشديد جعله على قدر معلوم. ﴿ كَلَّا ﴾ زجر عما أنكر من قول الإنسان. ﴿ بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ﴾ هذا

وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ  
 أَمْالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا  
 صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾  
 يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴿٢٥﴾

ذم لما ذكر من الأعمال القبيحة، ومعنى هذا الإضراب بـ"بل" كأنه أنكر على الإنسان ما تقدم، ثم قال: بل تفعلون ما هو شر من ذلك؛ وهو ألا تكرموا اليتيم وما ذكر بعده، قال رسول الله ﷺ: «أحب البيوت إلى الله بيت فيه يتيم مكرم» [الطبراني: 13434]. ﴿ وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴾ الحض على الأمر هو الترغيب فيه، ومن لا يحض غيره على أمر فلا يفعله هو فكأنه ذم لترك طعام المسكين، والـ"طعام" هنا بمعنى الإطعام، وقيل: هو على حذف مضاف تقديره: لا تحضون على بذل طعام المسكين، وقرئ "تحاضون" بفتح الحاء والألف بعدها بمعنى لا يحض بعضكم بعضا. ﴿ وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴾ "التراث" هو ما يورث عن الميت من المال، والتاء فيه بدل من الواو، واللم الجمع واللف، فالتقدير: أكلا ذالما، وهو أن يأخذ في الميراث نصيبه ونصيب غيره؛ لأن العرب كانوا لا يعطون من الميراث أنثى ولا صغيرا بل ينفرد به الرجال. ﴿ وَتُحِبُّونَ أَمْالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ أي: شديدا كثيرا، وهذا ذم للحرص على المال وشدة الرغبة فيه. ﴿ دُكَّتِ الْأَرْضُ ﴾ أي: سويت بذهاب جبالها. [﴿ دَكًّا دَكًّا ﴾ أي: دكا بعد دك كما تقول: تعلمت العلم بابا بابا]. ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ تأويله عند المتأولين: جاء أمره وسلطانه، وقال المنذر بن سعيد: معناه ظهوره للخلق هنالك، وهذه الآية وأمثالها من المشكلات التي يجب الإيثار بها من غير تكيف ولا تمثيل. ﴿ وَالْمَلَكُ ﴾ هو اسم جنس، فإنه روي أن الملائكة كلهم يكونون صفوفًا حول الأرض. ﴿ صَفًّا صَفًّا ﴾ أي: صفا بعد صف قد أحدقوا بالجن والإنس. ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴾ قال رسول الله ﷺ: «يؤتى يومئذ بجهنم معها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ميرونها» [مسلم: 2842]. ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ ﴾ "يومئذ" بدل من "إذا دكت"، و"يتذكر" هو العامل وهو جواب "إذا دكت"، والمعنى: أن الإنسان يتذكر يوم القيامة لأعماله في الدنيا ويندم على تفريطه وعصيانه، و"الإنسان" هنا جنس، وقيل: يعني عتبة بن ربيعة، وقيل: أمية بن خلف. ﴿ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴾ هذا على حذف تقديره: أنى له الانتفاع بالذكرى، كما تقول: ندم حين لم تنفع الندامة. ﴿ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ فيه وجهان؛ أحدهما: أنه يريد الحياة في الآخرة، فالمعنى: يا ليتني قدمت عملا صالحا للآخرة، والآخر: أنه يريد الحياة الدنيا، فالمعنى: يا ليتني قدمت عملا صالحا في وقت حياتي، فاللام على هذا كقولها: كتبت لعشر من الشهر. ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴾ من قرأ بكسر الذال من يعذب، والتاء من

وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴿١٦﴾ يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿١٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً  
مَّرْضِيَةً ﴿١٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿١٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٢٠﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾

﴿يُوثِقُ﴾، فالضمير في "عذابه" و﴿وَتَاقَهُ﴾ لله، والمعنى: أن الله يتولى عذاب الكفار ولا يكله إلى أحد، ومن قرأ بالفتح فالضمير للإنسان؛ أي: لا يعذب أحد مثل عذابه ولا يوثق أحد مثل وثاقه، وهذه قراءة الكسائي، وروي أن أبا عمرو رجع إليها وهي قراءة حسنة، وقد رويت عن رسول الله ﷺ. ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ أي: الموقنة يقينا قد اطمأنت به بحيث لا يتطرق إليها شك في الإيثار، وقيل: "المطمئنة" التي لا تخاف حينئذ، ويؤيد هذا قراءة أبي بن كعب ؓ. "يا أيها النفس الآمنة المطمئنة". ﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ هذا الخطاب والنداء يكون عند الموت، وقيل: عند البعث، وقيل: عند انصراف الناس إلى الجنة أو النار؛ والأول أرجح لما روي أن أبا بكر ؓ سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «يا أبا بكر إن الملك سيقولها لك عند موتك» [المختار: 124]. ﴿رَاضِيَةً﴾ معناها: راضية بما أعطاه الله أو راضية عن الله، ومعنى الـ ﴿مَّرْضِيَةً﴾ مرضية عند الله أو أرضاها الله بما أعطاه. ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ أي: ادخلي في جملة عبادي الصالحين، وقرئ "فادخلي في عبدي" بالتوحيد، ومعناه: ادخلي في جسده وهو خطاب للنفس، ونزلت هذه الآية في حمزة ؓ، وقيل: في خبيب بن عدي ؓ الذي صلبه الكفار بمكة ولفظها يعم كل نفس مطمئنة.

### سورة البلد

﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ أراد مكة باتفاق، وأقسم بها تشريفا لها، و"لا" زائدة. ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ هذا جملة اعتراض بين القسم وما بعده، وفي معناها ثلاثة أقوال؛ أحدها: أن المعنى أنت حالٌ بهذا البلد، أي: ساكن؛ لأن السورة نزلت والنبي ﷺ بمكة، والآخر: أن معنى "حل" تستحل حرمته ويؤذيك الكفار مع أن مكة لا يحل فيها قتل صيد ولا بشر ولا قطع شجر، وعلى هذا قيل: لا أقسم نفي؛ أي: لا أقسم بهذا البلد وأنت تلحقك فيه إذابة، الثالث: أن معنى "حل" حلال يجوز لك في هذا البلد ما شئت من قتل الكفار وغير ذلك مما لا يجوز لغيرك، وهذا هو الأظهر؛ لقوله ﷺ: «إن هذا البلد حرام حرمه الله يوم خلق السموات والأرض لم يحل لأحد قبلي، ولا يحل لأحد بعدي، وإنما أحل لي ساعة من نهار» [أحمد: 2352]، يعني يوم فتح مكة، وفي ذلك اليوم أمر عليه الصلاة والسلام بقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة، فإن قيل: إن السورة مكية وفتح مكة كان عام ثمانية من الهجرة، فالجواب: أن هذا وعد بفتح مكة كما تقول لمن تعده بالكرامة: أنت مكرم، يعني فيما يستقبل، وقيل: إن السورة على هذا مدنية نزلت يوم الفتح؛ وهذا ضعيف.



وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٢﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿١﴾ أَحْسِبُ أَنْ لَنْ يُقَدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٣﴾  
 يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ﴿٤﴾ أَحْسِبُ أَنْ لَمْ يَرَءَهُ أَحَدٌ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٦﴾  
 وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٧﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿٨﴾ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا  
 الْعَقَبَةُ ﴿١٠﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١١﴾

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ فيه خمسة أقوال؛ أحدها: أنه أراد آدم وجميع ولده، الثاني: نوح وولده، الثالث: إبراهيم وولده، الرابع: محمد عليه السلام وولده، الخامس: جنس كل والد ومولود؛ وإنما قال "وما ولد" ولم يقل من ولد إشارة إلى تعظيم المولود كقوله ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ قاله الزمخشري. ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ أي: يكابد المشقات من هموم الدنيا والآخرة، قال بعضهم: لا يكابد أحد من المخلوقات ما يكابد ابن آدم، وأصل الكبد من قولك: كبد الرجل فهو أكبد إذا وجعت كبده، وقيل: معنى "في كبد" واقفا منتصب القامة؛ وهذا ضعيف، و"الإنسان" على هذين القولين جنس، وقيل: "الإنسان" آدم عليه السلام، ومعنى "في كبد" على هذا في الساء؛ وهذا ضعيف والأول هو الصحيح. ﴿أَحْسِبُ أَنْ لَنْ يُقَدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ فيه قولان؛ أحدهما: أن معناه أيظن أن لن يقدر أحد على بعثه وجزائه، والآخر: أيظن أن لن يقدر أحد أن يغلبه؛ فعلى الأول نزلت في جنس الإنسان الكافر، وعلى الثاني نزلت في رجل معين وهو أبو الأشدر رجل من قريش كان شديد القوة، وقيل: عمرو ابن عبد ود وهو الذي اقتحم الخندق بالمدينة وقتله علي بن أبي طالب ؑ. ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾ أي: كثيرا، وقرئ "لبدا" بضم اللام وكسرهما وهو جمع لبدة بالضم والكسر بمعنى الكثرة، ونزلت الآية عند قوم في الوليد بن المغيرة فإنه أنفق مالا في إفساد أمر رسول الله ﷺ، وقيل: في الحارث بن عامر بن نوفل، وكان قد أسلم وأنفق في الصدقات والكفارات فقال: لقد أهلكت مالي منذ تبعت محمدا. ﴿أَحْسِبُ أَنْ لَمْ يَرَءَهُ أَحَدٌ﴾ يحتمل أن يكون هذا تكديبا له في قوله "أهلكت مالا لبدا"، أو إشارة إلى أنه أنفقه رياء. ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ أي طريقي الخير والشر فهو كقوله ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾، وليس الهدى هنا بمعنى الإرشاد، وقيل: المعنى ثديي الأم. ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ الاقتحام الدخول بشدة ومشقة، و"العقبة" عبارة عن الأعمال الصالحة المذكورة بعد، وجعلها عقبة استعارة من عقبة الجبل؛ لأنها تصعب ويشق صعودها على النفوس، وقيل: هو جبل في جهنم له عقبة لا يجاوزها إلا من عمل هذه الأعمال، و"لا" هنا تحضيض بمعنى هلا، وقيل: هي دعاء، وقيل: هي نافية، واعترض هذا القول بأن لا النافية إذا دخلت على الفعل الماضي لزم تكرارها، وأجاب الزمخشري بأنها مكررة في المعنى، والتقدير: فلا اقتحم العقبة ولا فك رقبة ولا أطعم مسكينا، [وقال الزجاج قوله] ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يدل على التكرار؛ لأن التقدير: فلا اقتحم العقبة ولا آمن. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ تعظيم ل"لعقبة" ثم فسرها بفك الرقبة؛ وهو إعتاقها وبالإطعام، وقرئ ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ بضم الكاف وخفض الرقبة،

أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٢﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٤﴾ ثُمَّ كَانَ  
 مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٦﴾  
 وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَيَّاتِنَا هُمْ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٧﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّوصَدَةٌ ﴿١٨﴾  
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ﴿٢﴾

وهو على هذا تفسير لـ "لعقبة"، وفتح الكاف ونصب الرقبة وهو تفسير "لا اقتحم" وفك الرقبة هو عتقها، قال رسول الله ﷺ: «من أعتق رقبة مؤمنة، أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار» [البخاري: 6337]، وقال أعرابي لرسول الله ﷺ: دلي على عمل أنجو به؟ فقال: «فك الرقبة وأعتق النسمة»، فقال الأعرابي: أليس هذا واحدا؟ فقال النبي ﷺ: «لا؛ عتق النسمة أن تنفرد بعقها، وفك الرقبة أن تعين في ثمنها» [أحمد: 16816]، وأما فداء أسارى المسلمين من أيدي الكفار فهو أعظم أجرا من العتق؛ لأنه واجب ولو استغرقت فيه أموال المسلمين، ولكنه لا يجزئ في الكفارات عن عتق رقبة. ﴿أَوْ إِطْعَامٌ﴾ من قرأ "فك" بالرفع قرأ "إطعام" فعطف مصدرا على مصدر، ومن قرأ "فك" بالفتح قرأ "أطعم" بفتح الهمزة والميم فعطف فعلا على فعل. ﴿فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ أي: ذي مجاعة، يقال: سغب الرجل إذا جاع. ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ أي: ذا قرابة، فيه أجر إطعام اليتيم وصلة الرحم. ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ أي: ذا حاجة، يقال: ترب الرجل إذا افتقر، وهو مأخوذ من لصوقه بالتراب، وروي عن رسول الله ﷺ أنه: «الذي مأواه المزابل» [ابن مردويه: الدر المنثور: 274/10]. ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ "ثم" هنا للتراخي في الرتبة لا في الزمان، وفيها إشارة إلى أن الإيمان أعلى من العتق والإطعام، ولا يصح أن تكون للترتيب في الزمان؛ لأنه يلزم أن يكون الإيمان بعد العتق والإطعام، ولا يقبل عمل إلا من مؤمن. ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ أي: وصى بعضهم بعضا بالصبر على قضاء الله، وكان هذا إشارة إلى صبر المسلمين بمكة على إذابة الكفار. ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ أي: وصى بعضهم بعضا برحمة المساكين وغيرهم، وقيل: الرحمة كل ما يؤدي إلى رحمة الله. ﴿الْمَيْمَنَةَ﴾ جهة اليمين و﴿الْمَشْأَمَةَ﴾ جهة الشمال، وروي أن "الميمنة" عن يمين العرش، ويحتمل أن يكونا من اليمن والشؤم. ﴿نَارٌ مُّوصَدَةٌ﴾ أي: مطبقة مغلقة، يقال: أوصدت الباب إذا أغلقتة، وفيه لغتان الهمز وترك الهمز.

## سورة الشمس

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ الضحى ارتفاع الضوء وكماله، والضحاء بالفتح والمد بعد ذلك إلى الزوال، وقيل: الضحى النهار كله. والأول هو المعروف في اللغة. ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا﴾ أي: تبعها، وفي تبعه لها ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنه يتبعها في كثرة الضوء؛ لأنه أضوء الكواكب بعد الشمس ولا سيما ليلة البدر، والآخر: أنه يتبعها

وَالنَّهَارِ إِذَا جَلِيهَا ﴿٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٣﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنِيهَا ﴿٤﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا  
 طَحِيهَا ﴿٥﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيَهَا ﴿٦﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٧﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّيَهَا  
 ﴿٨﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّيَهَا ﴿٩﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَيْهَا ﴿١٠﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١١﴾

في طلوعه؛ لأنه يطلع بعد غروبها وذلك في النصف الأول من الشهر، والثالث: أن تبعه لها أخذه من نورها.  
 ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ أي كشفها وأظهرها والضمير المفعول للشمس والضمير الفاعل للنهار؛ لأن الشمس  
 تنجلي بالنهار، فكأنه هو الذي جلاها، وقيل: الضمير الفاعل لله، وقيل: الضمير المفعول للظلمة أو للأرض  
 أو للدينا، وهذا كله بعيد؛ لأنه لم يتقدم ما يعود الضمير عليه. ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ أي: يغطيها، وضمير  
 المفعول لـ"لشمس"، وضمير الفاعل لـ"ليل" على الأصح. ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ قيل: إن "ما" في قوله "وما  
 بناها" "وما طحاها" "وما سواها" موصولة بمعنى من، والمراد الله تعالى، وقيل: إنها مصدرية كأنه قال: والسماء  
 وبنائها؛ وضعف الزمخشري هذا بقوله "فألهمها" فإن المراد الله باتفاق، وهذا القول يؤدي إلى إفساد النظم،  
 وضعف بعضهم كونها موصولة بتقديم ذكر المخلوقات على الخالق، فإن قيل: لم عدل عن من إلى "ما" في قول  
 من جعلها موصولة؟ فالجواب: أنه فعل ذلك لإرادة الوصفية كأنه قال: والقادر الذي بناها. ﴿طَحَاهَا﴾  
 أي: مداها. ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ تسوية النفس إكمال عقلها وفهمها، فإن قيل: لم نكر الـ"نفس"؟ فالجواب  
 من وجهين؛ أحدهما: أنه أراد الجنس كقوله ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾، والآخر: أنه أراد نفس آدم.  
 والأول هو المختار. ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ أي: عرفها طريق الفجور والتقوى، وجعل لها قوة يصح  
 معها اكتساب أحد الأمرين، ويحتمل أن تكون الواو بمعنى أو كقوله ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا  
 كَفُورًا﴾. ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ هذا جواب القسم عند الجمهور، وقال الزمخشري: الجواب محذوف  
 تقديره: لِيَدْمَدِمَنَّ اللهُ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ؛ لتكذيبهم النبي ﷺ كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا، قال: وأما "قد  
 افلح" فكلام تابع لقوله "فألهمها فجورها وتقواها" على سبيل الاستطراد. وهذا بعيد. والفاعل بـ"زكاها"  
 ضمير يعود على "من"، والمعنى: قد أفلح من زكى نفسه؛ أي: طهرها من الذنوب والعيوب، وقيل: الفاعل  
 ضمير الله تعالى. والأول أظهر. ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ أي: حقرها بالكفر والمعاصي، وأصله دسس بمعنى  
 أخفى، فكأنه أخفى نفسه لما حقرها، وأبدل من السين الأخيرة حرف علة كقولهم: قصيت أظفاري، وأصله  
 قصصت. ﴿بَطَّغُوَاهَا﴾ مصدر بمعنى الطغيان، قلبت فيه الياء واوا على لغة من يقول طغيت والباء الخافضة  
 كقولك: كتبت بالقلم، أو سببية، والمعنى: بسبب طغيانها، وقال ابن عباس ؓ: معناه كذبت ثمود بعدائها  
 ويؤيده قوله ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾. ﴿إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ العامل في "إذ" "كذبت" أو "طغواها"،  
 ومعنى: "انبعث" خرج إلى عقر الناقة بسرعة ونشاط، و"أشقاها" هو الذي عقر الناقة وهو أحيمر ثمود واسمه

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ  
بِذَنبِهِمْ فَسَوَّيْهَا ﴿١٢٧﴾ فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٢٨﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴿١٢٦﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴿١٢٧﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ  
وَالْأُنثَى ﴿١٢٨﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴿١٢٩﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿١٣٠﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿١٣١﴾

قدار بن سالف، ويحتمل أن يكون "أشقاها" واقعا على جماعة؛ لأن أفعال التي للتفضيل إذا أضفته يستوي فيه الواحد والجمع، والأول أظهر وأشهر. ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ يعني صالحا عليه السلام. ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره: احفظوا ناقة الله، أو احذروا ناقة الله "وسقياها" شربها من الماء. ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ نسب العقر إلى جماعة؛ لأنهم اتفقوا عليه، وباشره واحد منهم. ﴿فَدَمْدَمَ﴾ عبارة عن إنزال العذاب بهم، وفيه تهويل. ﴿بِذَنبِهِمْ﴾ أي: بسبب ذنبهم، وهو التكذيب أو عقر الناقة. ﴿فَسَوَّاهَا﴾ قال ابن عطية: معناه فسوى القبيلة في الهلاك لم يُفَلت أحد منهم، وقال الزمخشري: الضمير للدمدمة، أي: سواها بينهم. ﴿فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ ضمير الفاعل لله تعالى، والضمير في "عقباها" للدمدمة والتسوية وهو الهلاك؛ أي: لا يخاف عاقبة إهلاكهم ولا درك عليه في ذلك كما يخاف الملوك من عاقبة أعمالهم، وفي ذلك احتقار لهم، وقيل: إن ضمير الفاعل لصالح؛ وهذا بعيد، وقرئ "فلا يخاف" بالفاء وبالواو، وقيل: في القراءة بالواو: إن الفاعل "أشقاها" والجملة في موضع الحال؛ أي: انبعث ولم يخف عقبي فعلته؛ وهذا بعيد.

## سورة الليل

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ أي: يغطي، وحذف المفعول وهو الشمس لقوله ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾، أو النهار لقوله ﴿يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾، أو كل شيء يستره الليل. ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ أي: ظهر وتبين، والنهار من طلوع الشمس، واليوم من طلوع الفجر. ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ "ما" بمعنى من والمراد بها الله تعالى، وعدل عن من لقصد الوصف، كأنه قال: والقادر الذي خلق الذكر والأنثى، وقيل: هي مصدرية، وروى ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ "والذكر والأنثى" [البخاري: 3532]. ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ هذا جواب القسم ومعناه: إن عملكم مختلف فمنه حسنات ومنه سيئات، و"شئتى" جمع شتيت. ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾ أي: أعطى ماله في الزكاة والصدقة وشبه ذلك، أو أعطى حقوق الله من طاعته في جميع الأشياء واتقى الله. ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ أي: بالخصلة الحسنة، وهي الإسلام، ولذلك عبر عنه بعضهم بأنها: لا إله إلا الله، أو بالثوبة الحسنى وهي الجنة، وقيل: يعني الأجر والثواب على الإطلاق، وقيل: يعني الخلف على المنفق.

فَسُنِّيَسِرُّهُ لِيُسْرِىَ ﴿٦﴾ وَأَمَّا مَنْ يَخَلْ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَى ﴿٩﴾ فَسُنِّيَسِرُّهُ  
 لِلْعُسْرِىَ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ  
 وَالْأُولَى ﴿١٣﴾ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴿١٤﴾ لَا يَصْلِيهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى  
 ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ  
 تُجْزَى ﴿١٩﴾

﴿فَسُنِّيَسِرُّهُ لِيُسْرِىَ﴾ أي: نهيشه للطريقة اليسرى وهي فعل الخيرات وترك السيئات وضد ذلك "نيسره  
 للعسرى"، ومنه قوله ﷺ: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» [البخاري: 4666]؛ أي: يهبه الله لما قدر له ويسهل عليه فعل  
 الخير أو الشر. ﴿وَأَمَّا مَنْ يَخَلْ وَاسْتَغْنَى﴾ أي: بخل بماله أو بطاعة الله على الإطلاق، فيحتمل الوجهين؛ لأنه في  
 مقابلة "أعطى" كما أن "استغنى" في مقابلة "اتقى"، و﴿كَذَّبَ بِالْحَسَنَى﴾ في مقابلة "صدق بالحسنى"، و﴿فَسُنِّيَسِرُّهُ  
 لِلْعُسْرِىَ﴾ في مقابلة "نيسره لليسرى"، ومعنى "استغنى": استغنى عن الله فلم يطعمه، أو استغنى بالدنيا عن  
 الآخرة، ونزلت آية المدح في أبي بكر الصديق ﷺ؛ لأنه أنفق ماله في مرضات الله، وكان يشتري من أسلم من  
 العبيد ويعتقهم، وقيل: نزلت في أبي الدرداء ﷺ، وهذا ضعيف؛ لأنها مكية وإنما أسلم أبو الدرداء ﷺ بالمدينة،  
 وقيل: إن آية الذم نزلت في أبي سفيان بن حرب ﷺ؛ وهذا ضعيف لقوله "فسنيسره للعسرى" وقد أسلم أبو  
 سفيان ﷺ بعد ذلك. ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ هذا نفي أو استفهام بمعنى الإنكار، واختلف في معنى  
 "تردى" على أربعة أقوال؛ الأول: "تردى" أي: هلك فهو مشتق من الردى وهو الموت، أو "تردى" أي: سقط  
 في القبر أو سقط في جهنم، أو "تردى" بألفه من الرداء. ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ أي: بيان الخير والشر، وليس  
 المراد الإرشاد عند الأشعرية خلافا للمعتزلة. ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ﴾ مخاطبة من الله أو من النبي ﷺ على تقدير: قل  
 ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾؛ استدلال المرجئة بهذه الآية على أن النار لا يدخلها إلا الكفار لقوله ﴿الَّذِي كَذَّبَ  
 وَتَوَلَّى﴾، وتأولها الناس بثلاثة أوجه؛ أحدها: أن المعنى لا يصلها صلي خلود إلا الأشقى، والآخر: أنه أراد  
 نارا مخصوصة، الثالث: أنه أراد بالأشقى كافرا معيناً وهو أبو جهل أو أمية ابن خلف، وقابل به "الأتقى" وهو أبو  
 بكر الصديق ﷺ، فخرج الكلام مخرج المدح والذم على الخصوص لا مخرج الإخبار على العموم. ﴿يَتَزَكَّى﴾ من  
 أداء الزكاة أو من الزكاء، أي: يصير زكياً عند الله؛ أي: يتطهر من ذنوبه وهذا الفعل بدل من "يوتي" أو حال من  
 الضمير. ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ أي: لا يفعل الخير جزاء على نعمة أنعم بها عليه أحد فيما تقدم؛  
 بل يفعله ابتداء خالصاً لوجه الله، وقيل: المعنى لا يقصد جزاء من أحد في المستقبل على ما يفعل، والأول أظهر،

إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿١﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾  
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدَكَ  
يَتِيمًا فَتَوَّىٰ ﴿٦﴾

ويؤيده ما روي أن سبب الآية: أن أبا بكر الصديق ؓ لما أعتق بلالا ؓ قالت قريش: كان لبلال عنده يد متقدمة، فنفى الله قولهم ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ﴾ استثناء منقطع. ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ وعد بأن يرضيه الله في الآخرة.

### سورة الضحى

﴿وَالضُّحَىٰ﴾ ذكر في ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾. ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ فيه أربعة أقوال؛ إذا أقبل وإذا أدبر، وإذا أظلم، وإذا سكن، أي: استقر واستوى أو سكن فيه الناس والأصوات، ومنه ليلة ساجية إذا كانت ساكنة الريح، وطرف ساج؛ أي: ساكن غير مضطرب النظر؛ وهذا أقرب في الاشتقاق وهو اختيار ابن عطية. ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ بتشديد الدال من الوداع، وقرئ بتخفيفها بمعنى ما تركك، والوداع مبالغة في الترك. ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ أي: ما أبغضك، وحذف ضمير المفعول من "قلى"، و"أوى"، و"هدى"، و"أغنى" اختصاراً للظهور المعنى ولموافقة رؤوس الآي، وسبب الآية أن رسول الله ﷺ أبطأ عنه الوحي فقالت قريش: إن محمداً ودعه ربه وقلاه! فنزلت تكذيباً لهم، وقيل: رمي عليه السلام بحجر في أصبعه فدميت، فمكث ليلتين أو ثلاثاً لا يقوم، فقالت امرأة: ما أرى شيطان محمد إلا قد تركه، فنزلت الآية. ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ أي: الدار الآخرة خير لك من الدنيا، قال ابن عطية: ويحتمل أن يريد بـ"الآخرة" حاله بعد نزول السورة، ويريد بـ"الاولى" حاله قبل نزولها؛ وهذا بعيد، والأول أظهر وأشهر. ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ روي أنه ﷺ قال لما نزلت: «إِذَا لَا أَرْضَىٰ أَنْ يَبْقَىٰ وَاحِدٌ مِنْ أُمَّتِي فِي النَّارِ» [التعالي: 263/4]، وقال بعضهم: هذه أرجى آية في القرآن، وقال ابن عباس ؓ: رضاه بأن الله وعده بألف قصر في الجنة بما يحتاج إليه من النعم والخدم، وقيل: رضاه في الدنيا بفتح مكة وغيره؛ والصحيح أنه وعد يعم كل ما أعطاه في الآخرة، وكل ما أعطاه في الدنيا من النصر والفتوح وكثرة المسلمين وغير ذلك. ﴿أَلَمْ يَجِدَكَ يَتِيمًا فَتَوَّىٰ﴾ عدد الله عليه نعمه فيما مضى من عمره؛ ليقبس على ذلك ما يستقبل فتطيب نفسه ويقوى رجاؤه، "ووجد" في هذه المواضع تتعدى إلى مفعولين وهي بمعنى علم؛ فالمعنى: ألم تكن يتيماً فأواك؛ وذلك أن والده عليه السلام توفي وتركه في بطن أمه، ثم ماتت أمه وهو ابن خمسة أعوام، وقيل: ثمانية أعوام، فكفله جده عبد المطلب، ثم مات وتركه ابن اثني عشر عاماً، فكفله عمه أبو طالب، وقيل: لجعفر الصادق لم نشأ النبي ﷺ يتيماً؟ فقال: لتلا يكون عليه حق لمخلوق.

وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا  
السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ فيه ستة أقوال؛ الأول: وجدك ضالا عن معرفة الشريعة فهداك إليها، فالضلال عبارة عن التوقف في أمر الدين حتى جاء الحق من عند الله، فهو كقوله ﴿مَا كُنْتُ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ هذا هو الأظهر وهو الذي اختاره ابن عطية وغيره، ومعناه: أنه لم يكن يعرف تفصيل الشريعة وفروعها حتى بعثه الله، ولكنه ما كفر بالله ولا أشرك به؛ لأنه كان معصوما من ذلك قبل النبوة وبعدها، الثاني: وجدك في قوم ضلال، فكأنك واحد منهم وإن لم تكن تعبد ما يعبدون؛ وهذا قريب من الأول، الثالث: وجدك ضالا عن الهجرة فهداك إليها، وهذا ضعيف؛ لأن السورة نزلت قبل الهجرة، الرابع: وجدك خامل الذكر لا تعرف فهدى الناس إليك وهداهم بك؛ وهذا بعيد عن المعنى المقصود، الخامس: أنه من الضلال عن الطريق؛ وذلك أنه عليه الصلاة والسلام ضل في بعض شعاب مكة؛ أي: تلف وهو صغير فرده الله إلى جده، وقيل: بل ضل من مرضعته حليلة فرده الله إليها، وقيل: ضل في طريق الشام حين خرج إليها مع أبي طالب، السادس: أنه من الضلال بمعنى المحبة؛ أي: وجدك محبا لله فهداك إليه، ومنه قول إخوة يوسف لأبيهم ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ أي: محبتك ليوسف؛ وبهذا كان يقول شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير. ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ العائل الفقير، يقال: عال الرجل فهو عائل إذا كان محتاجا، وأعال فهو معيل إذا كثر عياله، وهذا الفقر والغنى هو في المال وغناؤه ﷺ هو أن أعطاه الله الكفاف، وقيل: هو رضاه بما أعطاه الله، وقيل: المعنى وجدك فقيرا إليه فأغناك به. ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ أي: لا تغلبه على ماله وحقه لأجل ضعفه، أو لا تقهره بالمنع من مصالحه، ووجوه القهر كثيرة والنهي يعم جميعها. ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ النهر هو الانتهاز والزجر، فالنهي عنه أمر بالقول الحسن والدعاء للسائل كما قال تعالى ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾، ويحتمل "السائل" أن يريد به سائل الطعام والمال؛ وهو الأظهر، أو السائل عن العلم والدين، وفي قوله "تقهر" و"تنهر" لزوم ما لا يلزم من التزام الهاء قبل الراء. ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ قيل: معناه بث القرآن وبلغ الرسالة، والصحيح أنه عموم في جميع النعم قال رسول الله ﷺ: «التحدث بالنعم شكر» [الشكر: 64]، ولذلك كان بعض السلف يقول: لقد أعطاني الله كذا، ولقد صليت البارحة كذا؛ وهذا إنما يجوز إذا ذكره على وجه الشكر أو ليقترن به، وأما على وجه الفخر والرياء فلا يجوز، وانظر كيف ذكر الله في هذه السورة ثلاث نعم، ثم ذكر في مقابلتها ثلاث وصايا، فقابل قوله "ألم يجدك يتيما" بقوله "فأما اليتيم فلا تقهر"، وقابل قوله "ووجدك ضالا" بقوله "وأما السائل فلا تنهر" على قول من قال: إنه السائل عن العلم، وقابله بقوله "وأما بنعمة ربك فحدث" على القول الآخر، وقابل قوله "ووجدك عائلا فأغنى" بقوله "وأما السائل فلا تنهر" على القول الأظهر، وقابله بقوله "وأما بنعمة ربك فحدث" على القول الآخر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۖ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۖ الَّذِي

أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۖ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۖ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ

### سورة ألم نشرح

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ هذا توقيف معناه: إثبات شرح صدره عليه الصلاة والسلام وتعدد ما ذكر بعده من النعم، وشرح صدره عليه الصلاة والسلام هو اتساعه لتحصيل العلم وتنويره بالحكمة والمعرفة، وقيل: هو شق جبريل لصدره في صغره أو في وقت الإسراء حين أخرج قلبه وغسله. ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ الأول: قول الجمهور أن الوزر الذنوب، ووضعها هو غفرانها، فهو كقوله ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾، وهذا على قول من جوز صغائر الذنوب على الأنبياء عليهم السلام، أو على أن ذنوبه كانت قبل النبوة، الثاني: أن الوزر هو أثقال النبوة وتكالييفها، ووضعها على هذا هو إيعاتته عليها وتمهيد عذره بعد ما بلغ الرسالة، الثالث: أن الوزر هو تحيره قبل النبوة إذ كان يرى أن قومه على ضلال ولم يأت من الله أمر واضح، فوضعه على هذا هو بالنبوة والهدى للشريعة. ﴿ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ عبارة عن ثقل الوزر المذكور وشدته عليه، قال الحارث المحاسبي: إنما وصفت ذنوب الأنبياء بالثقل؛ وهي صغائر مغفورة لهم لهمم بها، وتحسرهم عليها، فهي ثقيلة عندهم؛ لشدة خوفهم من الله، وهي خفيفة عند الله، وهذا كما جاء في الأثر: «إن المؤمن يرى ذنوبه كالجلبل يقع عليه، والمنافق يرى ذنوبه كالذباب تطير فوق أنفه» [البخاري: 5949]، واشتقاق "أنقض ظهره" من نقض البنيان وغيره أو من النقيض وهو الصوت، فكأنه يسمع لظهره نقيض كتنقيض ما يحمل عليه شيء ثقيل. ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ أي: نوهنا باسمك وجعلناه شهيرا في المشارق والمغارب، وقيل: معناه اقتران ذكره بذكر الله في الأذان والخطب والتشهد وفي مواضع من القرآن، وقد روي في هذا حديث: «أن الله قال له: إذا ذكرتُ ذكرتُ معي» [ابن حبان: 3382]، فإن قيل: لم قال "لك ذكرك" و"لك صدرك" مع أن المعنى مستقل دون ذلك؟ فالجواب: أن قوله "لك" تدل على الاعتناء به والاهتمام بأمره عليه السلام. ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ هذا وعد باليسر بعد العسر، وإنما ذكره بلفظ "مع" التي تقتضي المقاربة ليدل على قرب اليسر من العسر، فإن قيل: ما وجه ارتباط هذا مع ما قبله؟ فالجواب: أنه ﷺ كان بمكة هو وأصحابه ﷺ في عسر من إذابة الكفار ومن ضيق الحال، فوعده الله باليسر، وقدم تعديد النعم تسليية وتأييسا لتطيب نفسه، ويقوى رجاءه كأنه يقول: إن الذي أنعم عليك بهذه النعم سينصرك ويظهرك ويبدل لك هذا العسر بيسر قريب، ولذلك كرر ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ مبالغة، وقال رسول الله ﷺ: «لن يغلب عسر يسرين» [الحاكم: 3950]، وقد روي ذلك عن عمر وابن مسعود ﷺ، وتأويله: أن العسر المذكور في هذه السورة واحد؛ لأن الألف واللام للعهد كقولك: جاءني رجل فأكرمت الرجل، واليسر اثنان لتكثيره، وقيل: إن



فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿١﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٢﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سَيْنِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ

﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾

اليسر الأول في الدنيا والثاني في الآخرة. ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ هو من النصب بمعنى التعب، والمعنى: إذا فرغت من أمر فاجتهد في آخر، ثم اختلف في تعيين الأمرين، فقيل: إذا فرغت من الفرائض فانصب في النوافل، وقيل: إذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء، وقيل: إذا فرغت من شغل دنياك فانصب في عبادة ربك. ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ قدم الجار والمجرور ليدل على الحصر، أي: لا ترغب إلا إلى ربك وحده.

### سورة التين

﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ فيها قولان؛ الأول: أنه "التين" الذي يؤكل "والزيتون" الذي يعصر، أقسم الله بهما لفضيلتهما على سائر الثمار، روي أن رسول الله ﷺ أكل مع أصحابه تينا فقال: «لو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه؛ لأن فاكهة الجنة بلا عجم، فكلوه فإنه يقطع البواسير وينفع من النقرس» [الفردوس: 4716]، وقال ﷺ: «نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة؛ هي سواكي وسواك الأنبياء من قبلي» [المعجم الأوسط: 678]، القول الثاني: أنهما موضعان، ثم اختلف فيهما، فقيل: هما جبلان بالشام؛ أحدهما: بدمشق ينبت فيه التين، والآخر: بإيلياء ينبت فيه الزيتون؛ فكأنه قال: ومنابت التين والزيتون، وقيل: "التين" مسجد دمشق، "والزيتون" مسجد بيت المقدس، وقيل: "التين" مسجد نوح، "والزيتون" مسجد إبراهيم؛ والأظهر أنهما الموضعان من الشام وهما اللذان كان فيهما مولد عيسى أو مسكنه، وذلك أن الله ذكر بعد هذا الطور الذي كلم موسى عليه، والبلد الذي بعث منه محمد ﷺ فتكون الآية نظير ما في التوراة: أن الله تعالى جاء من طور سيناء، وطلع من ساعر وهو موضع عيسى، وظهر من جبال فاران وهي مكة، وأقسم الله بهذه المواضع التي ذكر في التوراة لشرفها بالأنبياء المذكورين. ﴿وَطُورِ سَيْنِينَ﴾ هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى، وهو بالشام أضافه إلى "سينين"، ومعنى "سينين" مبارك فهو من إضافة الموصوف إلى الصفة، وقيل: معناه ذو الشجر واحدها سينينة قاله الأخفش، وقال الزمخشري: ويجوز أن يعرب إعراب الجمع المذكر بالسواو والياء، وأن تلزم الياء وتحرك النون بحركات الإعراب. ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ هو مكة باتفاق، و"الأمين" من الأمانة أو من الأمن لقوله ﴿اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾. ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ فيه قولان؛ أحدهما: أن أحسن التقويم هو حسن الصورة وكمال العقل والشباب والقوة، و﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ الضعف والهزم والخرف، فهو كقوله ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾، وقوله ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾.

إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ

﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٣﴾

﴿٤﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٥﴾

وقوله ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بعد هذا غير متصل بما قبله، والاستثناء على هذا القول منقطع بمعنى لكن؛ لأنه خارج عن معنى الكلام الأول، والآخر: أن حسن التقويم الفطرة على الإيثار، و"أسفل سافلين" الكفر أو تشويه الصورة في النار، والاستثناء على هذا متصل؛ لأن ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لم يردوا "أسفل سافلين". ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قد ذكر. ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ﴾ فيه قولان؛ أحدهما: أنه خطاب للنبي ﷺ، و"الدين" شريعته، والمعنى: أي شيء يكذبك بالدين بعد هذه الدلائل التي تشهد بصحة نبوتك؟ والآخر: أنه خطاب للإنسان الكافر، و"الدين" على هذا الشريعة أو الجزء الأخرى، ومعنى "يكذبك" على هذا: يجعلك كاذباً؛ لأن من أنكر الحق فهو كاذب، والمعنى: أي شيء يجعلك كاذباً بسبب كفرك بالدين بعد أن علمت أن الله خلقك في أحسن تقويم، ثم ردك أسفل سافلين، ولا شك أنه يقدر على بعثك كما قدر على هذا، فلا شيء تكذب بالبعث والحساب؟ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ تقرير ووعيد للكفار بأن يحكم عليهم بما يستحقون، وكان رسول الله ﷺ إذا قرأها قال: «بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين» [أبو داود: 887].

### سورة العلق

نزل صدرها بغار حراء، وهو أول ما نزل من القرآن حسبها ورد عن عائشة ؓ في الحديث الذي ذكرناه أول الكتاب. ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ فيه وجهان؛ أحدهما: أن معناه اقرأ القرآن مفتوحاً باسم ربك أو متبركاً باسم ربك، وموضع "باسم ربك" نصب على الحال، وإذا كان تقديره: مفتوحاً، فيحتمل أن يريد ابتداء القراءة بسم الله الرحمن الرحيم، أو يريد الابتداء باسم الله مطلقاً، والوجه الثاني: أن معناه اقرأ هذا اللفظ وهو "باسم ربك الذي خلق"، فيكون "باسم ربك" مفعولاً وهو المقروء. ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ حذف المفعول لقصد العموم، كأنه قال: الذي خلق كل شيء ثم خصص خلقه الإنسان لما فيه من العجائب والعبث، ويحتمل أن أراد الذي خلق الإنسان، كما قال ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾، ثم فسره بقوله ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾، و"العلق" جمع علقه وهي القطعة من الدم، والمراد بـ"الإنسان" هنا جنس بني آدم؛ ولذلك جمع الـ"علق" لما أراد الجماعة بخلاف قوله ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾؛ لأنه أراد كل واحد على حدته، ولم يدخل آدم في "الإنسان" هنا؛ لأنه لم يخلق من علقه وإنما خلق من طين. ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾

الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٢﴾ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغِي ﴿٣﴾ أَنْ رَبَّهُ  
 أَسْتَغْنَى ﴿٤﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى ﴿٥﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿٦﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿٧﴾ أَرَأَيْتَ  
 إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ﴿٨﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿٩﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٠﴾

كرر الأمر بالقراءة تأكيدا، والواو للحال، والمقصود تأنيس النبي ﷺ، كأنه يقول: افعل ما أمرت به فإن ربك كريم، وصيغة أفعل للمبالغة. ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ هذا تفسير للكرم، فدل على أن نعمة التعليم أكبر نعمة، وخص من التعليقات الكتابة بالقلم لما فيها من تحلید العلوم ومصالح الدين والدنيا، وقرأ ابن الزبير رحمه الله "علم الخط بالقلم". ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ يحتمل أن يريد هذا التعليم الكتابة؛ لأن الإنسان لم يكن يعلمها في أول أمره، أو يريد التعليم لكل شيء على الإطلاق، وقيل: إن "الإنسان" هنا محمد ﷺ، والأظهر أنه جنس الإنسان على العموم. ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغِي﴾ نزل هذا وما بعده إلى آخر السورة في أبي جهل بعد نزول صدرها بمدة، وذلك أنه كان يطغى بكثرة ماله ويبالغ في عداوة رسول الله ﷺ، و"كلا" هنا يحتمل أن يكون زجرا لأبي جهل أو بمعنى حقا أو استفتاح. ﴿أَنْ رَبَّهُ أَسْتَغْنَى﴾ في موضع المفعول من أجله، أي: يطغى من أجل غناه، والرؤية هنا بمعنى العلم بدليل إعمال الفعل في الضمير، ولا يكون ذلك إلا في أفعال القلوب، والمعنى: رأى نفسه استغنى و"استغنى" هو المفعول الثاني. ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ هذا تهديد لأبي جهل وأمثاله. ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ اتفق المفسرون أن العبد الذي صلى هو محمد ﷺ، وأن الذي نهاه أبو جهل لعنه الله، وسبب الآية: أن أبا جهل جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي بالمسجد الحرام فهمم بأن يصل إليه ويمنعه من الصلاة، وروي أنه قال: لئن رأيت يصلي لأطأن عنقه، فجاءه وهو يصلي ثم انصرف عنه مرعوبا فقيل له: ما منعك؟ فقال: لقد اعترض بيني وبينه خندق من نار وهول وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا» [مسلم: 7243]. ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ﴾ "أرايت" في هذا الموضع وفي الذي قبله وفي الذي بعده بمعنى أخبرني، فكأنه سؤال يفتقر إلى جواب، وفيها معنى التعجب والتوقيف، والخطاب فيها يحتمل؛ أن يكون للنبي ﷺ أو لكل مخاطب من غير تعيين، وهي تتعدى إلى مفعولين وجاءت بعدها "إن" الشرطية في موضعين؛ وهما قوله "إن كان على الهدى" وقوله ﴿إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾، فنحتاج إلى الكلام على مفعول "أرايت" في المواضع الثلاثة، وفي جواب الشرط، وفي الضمائر المتصلة بهذه الأفعال، وهي "إن كان على الهدى"، "أو امر بالتقوى"، و"كذب وتولى" على من تعود هذه الضمائر؟ فقال الزمخشري: إن قوله "الذي ينهى" هو المفعول الأول لقوله "أرايت" الأولى، وأن الجملة الشرطية بعد ذلك في موضع المفعول الثاني، وكررت "أرايت" بعد ذلك للتأكيد فهي زائدة لا تحتاج

أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَهَ ﴿١٥﴾ لَنْسَفَعْنَا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٦﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ  
خَاطِئَةٍ ﴿١٧﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٨﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٩﴾ كَلَّا لَا تُطِعُهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿٢٠﴾

إلى مفعول، وإن قوله ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ هو جواب قوله "إن كذب وتولى"، وإن جواب قوله "إن كان على الهدى" محذوف يدل عليه جواب قوله "إن كذب وتولى" فهو في المعنى جواب للشرطين معا، وإن الضمير في قوله "إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى" للذي نهي عن الصلاة وهو أبو جهل، وكذلك الضمير في قوله "إن كذب وتولى"، وتقدير الكلام على هذا: أخبرني عن الذي ينهى عبدا إذا صلى، إن كان هذا الناهي على الهدى أو إن كذب وتولى، ألم يعلم بأن الله يرى جميع أحواله من هداه وضلاله وتكذيبه ونبيه عن الصلاة وغير ذلك، فمقصود الآية؛ تهديده وزجر وإعلام بأن الله يراه، وخالفه ابن عطية في الضمائر فقال: إن الضمير في قوله "إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى" للعبد الذي صلى، وأن الضمير في قوله "إن كذب وتولى" للذي نهي عن الصلاة، وخالفه أيضا في جعله "أرايت" الثانية مكررة للتأكيد فقال: إنها في المواضع الثلاثة توقيف، وأن جوابها في المواضع الثلاثة قوله "ألم يعلم بأن الله يرى" فإنه يصلح مع كل واحد منها، ولكنه جاء به في آخر الكلام اختصارا، وخالفها الغزنوي أيضا في الجواب، فقال: إن جواب قوله "إن كان على الهدى" محذوف، فقال: إن تقديره: إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أليس هو على الحق واتباعه واجب، والضمير على هذا يعود على العبد الذي صلى وفاقا لابن عطية. ﴿لَئِن لَّمْ يَنْتَهَ لَنْسَفَعْنَا بِالنَّاصِيَةِ﴾ أوعد أبا جهل إن لم ينته عن كفره وطغيانه أن يؤخذ بناصيته فيلقى في النار، و"الناصية" مقدم الرأس فهو كقوله ﴿يُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾، والسفع هو الجذب والقبض على الشيء، وقيل: هو الإحراق من قولك: سفعت النار، وأكد "لنسفعا" باللام والنون الخفيفة وكتبت في المصحف بالألف مراعاة للوقف عليها، ويظهر لي أن هذا الوعيد نفذ عليه يوم بدر حين قتل وأخذ بناصيته فجر إلى القليب. ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ أبدل "ناصية" من "الناصية" ووصفها بالكذب والخطيئة تجوزا، والكاذب الخاطيء في الحقيقة صاحبها، والخطيء الذي يفعل الذنب متعمدا، والمخطيء الذي يفعله من غير قصد. ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ النادي والندي المجلس الذي يجتمع فيه الناس، وكان أبو جهل قد قال: أيتوعدني محمد، فوالله ما بالوادي أعظم ناديا مني، فنزلت الآية تهديدا وتعجيزا له، والمعنى: فليدع أهل ناديه لنصرتهم إن قدروا على ذلك، ثم وعده بأن يدعو له زبانية جهنم وهم الملائكة الموكلون بالعذاب، و﴿الزَّبَانِيَةَ﴾ في اللغة الشُّرط، واحدهم زبينة، وقيل: زبني، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا» [الحاكم: 3809]. ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ أي: تقرب إلى الله بالسجود كما قال رسول الله ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه، وهو ساجد، فاجتهدوا في الدعاء» [مسلم: 1111]، وهذا موضع سجدة عند الشافعي وليست عند مالك من عزائم السجود.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ

﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾

### سورة القدر

اختلف الناس في ليلة القدر على ستة عشر قولاً؟ وهي أنها ليلة إحدى وعشرين من رمضان، وليلة ثلاث وعشرين، وليلة خمس وعشرين، وليلة سبع وعشرين، وليلة تسع وعشرين، فهذه خمسة أقوال في ليالي الأوتار من العشر الأواخر من رمضان على قول من ابتداء عدتها من أول العشر، وقد ابتداء بعضهم عدتها من آخر الشهر فجعل ليالي الأوتار؛ ليلة ثلاثين لأنها الأولى، وليلة ثمان وعشرين لأنها الثالثة، وليلة ست وعشرين لأنها الخامسة، وليلة أربع وعشرين لأنها السابعة، وليلة اثنين وعشرين لأنها التاسعة، فهذه خمسة أقوال آخر فتلك عشرة أقوال، والقول الحادي عشر: أنها تدور في العشر الأواخر ولا تثبت في ليلة واحدة منه، والقول الثاني عشر: أنها مخفية في رمضان كله؛ وهذا ضعيف لقوله ﷺ: «التمسوها في العشر الأواخر» [البخاري: 2021]، الثالث عشر: أنها مخفية في العام كله، الرابع عشر: أنها ليلة النصف من شعبان؛ وهذان القولان باطلان؛ لأن الله قال ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾، وقال ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ فدل ذلك على أن ليلة القدر في رمضان، القول الخامس عشر: أنها رفعت بعد النبي ﷺ؛ وهذا ضعيف، القول السادس عشر: أنها ليلة سبع عشرة من رمضان لأن وقعة بدر كانت صبيحة هذه الليلة؛ وأرجح الأقوال أنها ليلة إحدى وعشرين من رمضان، أو ليلة ثلاث وعشرين، أو ليلة سبع وعشرين، فقد جاءت في هذه الليالي الثلاث أحاديث صحيحة خرجها مسلم وغيره؛ والأشهر أنها ليلة سبع وعشرين. ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ الضمير في "أنزلناه" للقرآن دل على ذلك سياق الكلام، وفي ذلك تعظيم للقرآن من ثلاثة أوجه؛ أحدها: أنه ذكر ضميره دون اسمه الظاهر دلالة على شهرته والاستغناء عن تسميته، والآخر: أنه اختار لإنزاله أفضل الأوقات، والثالث: أن الله أسند إنزاله إلى نفسه، وفي كيفية إنزاله في ليلة القدر قولان؛ أحدهما: أنه ابتداء إنزاله فيها، والآخر: أنه أنزل القرآن فيها جملة واحدة إلى السماء ثم نزل به جبريل إلى الأرض بطول عشرين سنة، وقيل: المعنى أنزلناه في شأن ليلة القدر وذكرها؛ وهذا ضعيف. وسميت "ليلة القدر" من تقدير الأمور فيها أو من القدر بمعنى الشرف؛ ويرجع الأول بقوله ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾. ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴾ هذا تعظيم لها قال بعضهم: كل ما قال فيه "ما أدراك" فقد علمه النبي ﷺ، وما قال فيه ﴿ مَا يُدْرِيكَ ﴾ فإنه لم يعلمه. ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ معناه: أن من قامها كتب الله له أجر العبادة في ألف شهر، قال بعضهم: يعني في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» [البخاري: 35]، وسبب الآية:

تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۖ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ ۖ  
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ  
 حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۖ

أن رسول الله ﷺ ذكر رجلا ممن تقدم عبده الله ألف شهر فعجب المسلمون من ذلك؟! ورأوا أن أعمارهم تنقص عن ذلك فأعطاهم الله ليلة القدر، وجعلها خيرا من العبادة في تلك المدة الطويلة، وروي أن الحسن ابن علي بن أبي طالب عاتب حين بايع معاوية ؓ، فقال: إن رسول الله ﷺ رأى في المنام بني أمية ينزون على منبره نزو القردة، وأعلمه أنهم يملكون أمر الناس ألف شهر، فاهتم لذلك فأعطاه الله ليلة القدر وهي خير من مدة ملك بني أمية، ثم كشف الغيب أنه كان من بيعة الحسن لمعاوية ؓ إلى قتل مروان الجعدي آخر ملوك بني أمية بالمشرق ألف شهر. ﴿ تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ "الروح" هنا جبريل، وقيل: صنف من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة، وتنزلهم هو إلى الأرض، وقيل: إلى السماء الدنيا؛ وهو تعظيم لليلة القدر ورحمة للمؤمنين القائمين فيها. ﴿ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ هذا متعلق بما قبله، والمعنى: أن الملائكة ينزلون ليلة القدر من أجل كل أمر يقضي الله في ذلك العام؛ فإنه روي أن الله يُعلم الملائكة بكل ما يكون في ذلك العام من الآجال والأرزاق وغير ذلك؛ ليمثلوا ذلك في العام كله، وقيل على هذا المعنى: إن "من" بمعنى الباء، أي: ينزلون بكل أمر، وهذا ضعيف، وقيل: إن المجرور يتعلق بما بعده، والمعنى: أنها سلام من كل أمر؛ أي: سلامة من الآفات، قال مجاهد: لا يصيب أحد فيها داء؛ والأظهر أن الكلام تم عند قوله "من كل أمر"، ثم ابتداء قوله ﴿ سَلَامٌ هِيَ ﴾، واختلف في معنى "سلام"، فقيل: إنه من السلامة، وقيل: إنه من التحية؛ لأن الملائكة يسلمون على المؤمنين القائمين فيها، وكذلك اختلف في إعرابه، فقيل "سلام هي" مبتدأ وخبر، وهذا يصح سواء جعلناه متصلا مع ما قبله أو منقطعا عنه، وقيل: "سلام" خبر مبتدأ مضمرة تقديره: أمرها سلام أو القول فيها سلام، و"هي" مبتدأ خبره ﴿ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ ﴾ أي: هي دائمة إلى طلوع الفجر، ويختلف الوقف باختلاف الإعراب، وقال ابن عباس ؓ: إن قوله "هي" إشارة إلى أنها ليلة سبع وعشرين؛ لأن هذه الكلمة هي السابعة والعشرين من كلمات السورة.

سورة لم يكن

ذكر الله الكفار ثم قسمهم إلى صنفين ﴿ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ و﴿ الْمُشْرِكِينَ ﴾، وذكر أن جميعهم لم يكونوا ﴿ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ وتقوم عليهم الحجة ببعث رسول الله ﷺ، ومعنى "منفكين": منفصلين ثم اختلف في هذا الانفصال على أربعة أقوال؛ أحدها: أن المعنى لم يكونوا منفصلين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة

رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٦﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٧﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا  
الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٨﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ

لتقوم عليهم الحجة، الثاني: لم يكونوا منفصلين عن معرفة نبوة محمد ﷺ حتى بعثه الله، الثالث: -اختاره ابن عطية- وهو لم يكونوا منفصلين عن نظر الله وقدرته حتى يبعث الله إليهم رسولا يقيم عليهم الحجة، الرابع: -وهو الأظهر عندي- أن المعنى لم يكونوا لينفصلوا من الدنيا حتى بعث الله لهم محمدا ﷺ فقامت عليهم الحجة؛ لأنهم لو انفصلت الدنيا دون بعثه لقالوا: ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا، فلما بعثه الله لم يبق لهم عذر ولا حجة، ف"منفكين" على هذا كقولك: لا تبرح أو لا تزول حتى يكون كذا وكذا. ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ يعني محمدا عليه الصلاة والسلام، وإعراجه بدل من "البينة" أو خبر ابتداء مضمرة. ﴿يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ يعني القرآن في صحفه. ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ أي: قائمة بالحق مستقيمة المعاني، ووزن "قيمة" فعيلة، وفيه مبالغة قال ابن عطية: هذا على حذف مضاف تقديره: فيها أحكام كتب، ولا يحتاج إلى هذا الحذف لأن الـ"كتب" بمعنى المكتوبات. ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ أي: ما اختلفوا في نبوة محمد ﷺ إلا من بعد ما علموا أنه حق، ويحتمل أن يريد تفرقهم في دينهم كقوله ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾، وإنما خص "الذين أوتوا الكتاب" بالذكر هنا بعد ذكرهم مع غيرهم في أول السورة؛ لأنهم كانوا يعلمون صحة نبوة محمد ﷺ بما يجدون في كتبهم من ذكره. ﴿وَمَا أُمِرُوا﴾ أي: معناها: ما أمروا في التوراة والإنجيل إلا بعبادة الله؛ ولكنهم حرفوا وبدلوا، ويحتمل أن يكون المعنى ما أمروا في القرآن إلا بعبادة الله، فلا شيء ينكرونه ويكفرون به. ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ استدلال المالكية بهذا على وجوب النية في الوضوء، وهو بعيد؛ لأن الإخلاص هنا يراد به التوحيد وترك الشرك أو ترك الرياء؛ وذلك أن الإخلاص مطلوب في التوحيد وفي الأعمال، وضد الإخلاص في التوحيد هو الشرك الجلي، وضد الإخلاص في الأعمال هو الشرك الخفي، وهو الرياء، قال رسول الله ﷺ: «الرياء الشرك الأصغر» [أحمد: 24350]، وقال عليه السلام فيما يرويه عن ربه: «إنه تعالى يقول: أنا أغنى الأغنياء عن الشرك، فمن عمل عملا أشرك فيه غيري تركته وشريكه» [مسلم: 7666]، واعلم أن الأعمال ثلاثة أنواع؛ مأمورات ومنهيات ومباحات؛ فأما المأمورات فالإخلاص فيها عبارة عن خلوص النية لوجه الله بحيث لا يشوبها نية أخرى، فإن كانت كذلك فالعمل خالص مقبول، وإن كانت النية لغير وجه الله من طلب منفعة دنيوية أو مدح أو غير ذلك، فالعمل رياء محض مردود، وإن كانت النية مشتركة ففي ذلك تفصيل فيه نظر واحتمال، وأما المنهيات فإن تركها دون نية خرج عن عهدها ولم يكن له أجر في تركها، وإن تركها بنية وجه الله حصل له الخروج عن عهدها مع الأجر، وأما المباحات كالأكل والنوم والجماع وشبه ذلك، فإن فعلها بغير نية لم يكن له فيها أجر، وإن فعلها بنية وجه الله فله فيها أجر،

حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ  
 أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي بَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ إِنَّ  
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٨﴾ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ  
 عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَلِكَ  
 لِمَنْ حَسِبَ رَبَّهُ ۗ ﴿٩﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا  
 ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَٰذَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾

فإن كل مباح يمكن أن يصير قربة إذا قصد به وجه الله مثل أن يقصد بالأكل القوة على العبادة، ويقصد بالجماع  
 التعفف عن الحرام. ﴿حُنَفَاءَ﴾ جمع حنيف، وقد ذكر. ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ تقديره: الملة القيمة أو الجماعة  
 القيمة، وقد فسرنا "القيمة"، ومعناه: أن الذي أمروا به من عبادة الله والإخلاص له، وإقام الصلاة، وإيتاء  
 الزكاة، هو دين الإسلام، فلا أي شيء لا يدخلون فيه. ﴿الْبَرِيَّةِ﴾ الخلق، لأن الله برأهم؛ أي: أوجدهم بعد العدم،  
 وقرئ بالهمز وهو الأصل وبالياء وهو تخفيف من المهموز وهو أكثر استعمالاً عند العرب. ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ  
 وَرَضُوا عَنْهُ﴾ اختلف هل هذا في الدنيا أو في الآخرة؟ فراضاهم عن الله في الدنيا هو الرضا بقضائه والرضا  
 بدينه، قال رسول الله ﷺ: «ذاق طعم الإيوان من رضي بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً» [مسلم: 160]،  
 وراضاهم عنه في الآخرة هو رضاهم بما أعطاهم الله فيها، ورضي الله عنهم كما ورد في الحديث: «أن الله يقول  
 يا أهل الجنة: هل تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: يا ربنا وأي شيء نريد؟ وقد أعطيتنا ما لم نعط أحداً من  
 العالمين! فيقول: عندي أفضل من ذلك وهو رضواني فلا أسخط عليكم أبداً» [البخاري: 6549]. ﴿ذَلِكَ لِمَنْ حَسِبَ  
 رَبَّهُ﴾ أي: لمن خافه، وهذا دليل على فضل الخوف، قال رسول الله ﷺ: «خوف الله رأس كل حكمة» [الورع: 11].

### سورة إذا زلزلت

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ أي: حُرِكتْ واهتزت. ﴿زِلْزَالَهَا﴾ مصدر، وإنما أضيف إليها تهويلاً كأنه يقول:  
 الزلزال الذي يليق بها على عظمة جرمها. ﴿وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ يعني الموتى الذين في جوفها، وذلك  
 عند النفخة الثانية في الصور، وقيل: هي الكنوز، وهذا ضعيف؛ لأن إخراجها للكنوز وقت الدجال. ﴿وَقَالَ  
 الْإِنْسَانُ مَا هَٰذَا﴾ أي: يتعجب من شأنها؛ فيحتمل أن يريد جنس "الإنسان"، أو الكافر خاصة؛ لأنه الذي يرى  
 حيثذ ما لم يظن. ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ هذا عبارة عما يُحدث الله فيها من الأحوال فهو مجاز، وحديث



بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا ﴿٦﴾ لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ﴿٧﴾ فَمَنْ  
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٨﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٩﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾

بلسان الحال، وقيل: هو شهادتها على الناس بما عملوا على ظهرها فهو حقيقة، و"تحدث" يتعدى إلى مفعولين حذف الأول منهما والتقدير: تحدث الخلق أخبارها، وانتزع بعض المحدثين من قوله "تحدث أخبارها" أن قول المحدث: حدثنا وأخبرنا سواء، وهذه الجملة هي جواب "إذا زلزلت"، و"تحدث" هو العامل في "إذا"، و"يومئذ" بدل من "إذا" ويجوز أن يكون العامل في "إذا" مضمرا، و"تحدث" عامل في "يومئذ". ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ الباء سببية متعلقة بـ"تحدث"؛ أي: تحدث بسبب أن الله أوحى لها، ويحتمل أن يكون "بأن ربك أوحى لها" بدلا من "أخبارها"، كما تقول: حدثت كذا وحدثت بكذا، والمعنى على هذا: تُحدث بحديث الوحي لها؛ وهذا الوحي يحتمل أن يكون إلهاما أو كلاما بواسطة الملائكة، و"لها" بمعنى إليها، وقيل: معناه أوحى إلى الملائكة من أجلها، وهذا بعيد. ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ معنى "أشتاتا" مختلفين في أحوالهم، وواحد الأشتات شت، وصدر الناس هو انصرافهم من موضع وردهم، فقيل: الورد هو الدفن في القبور والصدر هو القيام للبعث، وقيل: الورد القيام للحشر والصدر الانصراف إلى الجنة أو إلى النار؛ وهذا أظهر، وفيه يعظم التفاوت بين أحوال الناس فيظهر كونهم أشتاتا. ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ الـ"مثقال" هو الوزن، والـ"ذرة" هي النملة الصغيرة، والرؤية هنا ليست برؤية بصر، وإنما هي عبارة عن الجزاء، وذكر الله مثقال الذرة تنبيها على ما هو أكثر منه من طريق الأولى، كأنه قال: من يعمل قليلا أو كثيرا، وهذه الآية هي في المؤمنين؛ لأن الكافر لا يجازى في الآخرة على حسناته إذ لم تقبل منه، واستدل أهل السنة بهذه الآية على أنه لا يخلد مؤمن في النار؛ لأنه لو خلد لم ير ثوبا على إيمانه وعلى ما عمل من الحسنات، وروي عن عائشة ؓ أنها تصدقت بحبة عنب! فقيل لها في ذلك؟ فقالت: كم فيها من مثقال ذرة، وسمع رجل هذه الآية عند رسول الله ﷺ فقال: حسبي لا أبالي أن لا أسمع غيرها [أحمد: 21135]. ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ هذا على عمومته في حق الكافر وأما المؤمنون فلا يجزون بذنوبهم إلا بستة شروط؛ وهي أن تكون ذنوبهم كبائر، وأن يموتوا قبل التوبة منها، وألا تكون لهم حسنات أرجح في الميزان منها، وأن لا يشفع فيهم، وأن لا يكون ممن استحق المغفرة بعمل كآهل بدر، وأن لا يعفو الله عنهم؛ فإن المؤمن العاصي في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

#### سورة العاديات

اختلف في ﴿الْعَادِيَاتِ﴾، و"الموريات"، و"المغيرات" هل يراد بها الخيل أو الإبل؛ وعلى القول بأنها الخيل اختلف هل يعني خيل المجاهدين أو الخيل على الإطلاق؟ وعلى القول بأنها الإبل، اختلف هل يعني: إبل

فَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾  
 إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾  
 \* أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ  
 لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

غزوة بدر، أو إبل المجاهدين مطلقاً، أو إبل الحجاج، أو الإبل على الإطلاق؟ ومعنى "العاديات": التي تعدو في مشيها، والضبح هو تصويت جهير عند العدو الشديد ليس بصهال، وهو مصدر منصوب على تقدير: يضبحن ضبحا أو هو مصدر في موضع الحال تقديره: العاديات في حال ضبحتها، و﴿المُورِيَّاتِ﴾ من قولك: أوريت النار إذا أوقدتها، والقدح صك الحجارة فتخرج منها شعلة نار، وذلك عند ضرب الأرض بأرجل الخيل أو الإبل، وإعراب ﴿قَدْحًا﴾ كإعراب ﴿ضُبْحًا﴾، و﴿المُغِيرَاتِ﴾ من قولك: أغارت الخيل إذا خرجت للإغارة على أعدائها، و﴿ضُبْحًا﴾ ظرف زمان؛ لأن عادة أهل الغارة في الأكثر أن يخرجوا في الصباح. ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾ هذه الجملة معطوفة على "العاديات" وما بعده لأنه في تقدير: التي تعدو، والنقع الغبار، والضمير المجرور للوقت المذكور وهو الصبح فالباء ظرفية، أو للمكان الذي يقتضيه المعنى فالباء أيضا ظرفية، أو للعدو وهو المصدر الذي يقتضيه "العاديات" فالباء سببية، ومعنى "أثرن": حركن، والضمير الفاعل للإبل أو للخيل، أي: حركن الغبار عند مشيهن. ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ معنى "وسطن": توسطن، و"جمعا" اختلف هل المراد به جمع من الناس، أو المزدلفة لأن اسمها جمع، والضمير المجرور للوقت أو للمكان أو للعدو أو للنقع. ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ هذا جواب القسم، و"الكنود" الكفور للنعمة فالتقدير: إن الإنسان لنعمة ربه لكفور، و"الانسان" جنس، وقيل: "الكنود" العاصي، وقال بعض الصوفية: "الكنود" الذي يعبد الله على عوض. ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ الضمير لـ "إنسان"، أي: هو شاهد على نفسه بكنوده، وقيل: هو لله تعالى على معنى التهديد، والأول أرجح؛ لأن الضمير الذي بعده لـ "إنسان" باتفاق فيجري الكلام على نسق واحد. ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ "الخير" هنا المال كقوله ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾، والمعنى: أن الإنسان شديد الحب للمال؛ فهو ذم لخبه والحرص عليه، وقيل: الشديد البخيل؛ والمعنى على هذا: إنه بخيل من أجل حب المال؛ والأول أظهر. ﴿إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ أي: بحث عنه وذلك عبارة عن البعث. ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي: جمع في الصحف وأظهر محصلا؛ أي: ميز خيره من شره. ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ الضمير في "رهم" و"بهم" يعود على "الانسان"؛ لأنه يراد به الجنس، وفي هذه الجملة وجهان؛ أحدهما: أن هذه الجملة معمول "أفلا يعلم"، فكان الأصل أن تفتح "إن"؛ ولكنها كسرت من أجل اللام التي في خبرها،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرِيكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ  
 يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾  
 فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾  
 فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾

والثاني: أن تكون هذه الجملة مستأنفة ويكون معمول "أفلا يعلم" محذوفا ويكون الفاعل ضميرا يعود على "الانسان"، والتقدير: أفلا يعلم الإنسان حاله وما يكون منه إذا بعثر ما في القبور؟ وهذا هو الذي قاله ابن عطية، ويحتمل أن يكون فاعل "أفلا يعلم" ضميرا يعود على الله تعالى والمفعول محذوف، والتقدير: أفلا يعلم الله أعمال الإنسان إذا بعثر ما في القبور؟، ثم استأنف قوله "إن ربهم بهم يومئذ لخبير" على وجه التأكيد والبيان للمعنى المتقدم، والعامل في "إذا بعثر" على هذا الوجه هو "أفلا يعلم"، والعامل فيه على ما يقتضيه قول ابن عطية هو المفعول المحذوف، و"إذا" هنا ظرفية بمعنى حين ووقت وليست بشرطية، والعامل في "يومئذ" "خبير"، وإنما خص ذلك بيوم القيامة؛ لأنه يوم الجزاء، فقصد التهديد مع أن الله خبير على الإطلاق.

## سورة القارعة

﴿ الْقَارِعَةُ ﴾ من أسماء القيامة لأنها تفرع القلوب بهولها، وقيل: هي النفخة في الصور لأنها تفرع الأسماع. ﴿ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ مبتدأ وخبر في موضع خبر "القارعة"، والمراد به تعظيم شأنها وكذلك ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴾. ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾ العامل في الظرف محذوف دل عليه "القارعة" تقديره: تفرع في يوم، و"الفراش" هو الطير الصغير الذي يشبه البعوض ويدور حول المصباح، و"المبثوث" هو المنتشر المتفرق؛ شبه الله الخلق يوم القيامة به في كثرتهم وانتشارهم وذلتهم، ويحتمل أنه شبههم به لتساقطهم في جهنم كتساقط الفراش في المصباح، قال بعض العلماء: الناس في أول قيامهم من القبور "كالفراش المبثوث"؛ لأنهم يجيئون ويذهبون على غير نظام ثم يدعوهم الداعي فيتوجهون إلى ناحية المحشر، فيكونون حينئذ كالجراد المنتشر؛ لأن الجراد يقصد إلى جهة واحدة، وقيل "الفراش" هنا الجراد الصغار؛ وهو ضعيف. ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾ "العهن" الصوف، وقيل: الصوف الأحمر، وقيل: الصوف الملون ألوانا؛ شبه الله به الجبال يوم القيامة؛ لأنها تُنسف فتصير لينة، وعلى القول بأنه الملون يكون التشبيه أيضا من طريق اختلاف ألوان الجبال؛ لأن منها بيضاء وحمراء وسوداء. ﴿ مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ هو جمع ميزان أو جمع موزون؛ وميزان يوم القيامة له لسان وكفتان عند الجمهور، وقال قوم: هو عبارة عن العدل. ﴿ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ معناه: ذات رضا عند سيئويه، وثقل الموازين بكثرة الحسنات وخفتها بقلتها، ولا يخف ميزان مؤمن خفة موبقة؛ لأن الإيمان يوزن فيه. ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿٢﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلْهَيْكُمْ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾

أحدها: أن الـ"هاوية" جهنم سميت بذلك لأن الناس يهون فيها؛ أي: يسقطون في جهنم، و"أمه" معناه: مأواه كقولك: المدينة أم فلان؛ أي: مسكنه على التشبيه بالأم والولادة؛ لأنها مأوى الولد ومرجعه، الثاني: أن الأم هي الوالدة، و"هاوية" ساقطة؛ وذلك عبارة عن هلاكه، كقولك: أمه تكلى إذا هلك، الثالث: أن المعنى أم رأسه هاوية في جهنم؛ أي: ساقطة فيها؛ لأنه يطرح فيها منكوسا، وروي أن رسول الله ﷺ قال لرجل: «لا أم لك»، فقال: يا رسول الله تدعوني إلى الهدى وتقول لي: «لا أم لك»، فقال رسول الله ﷺ: «إنها أردت لا نار لك، قال الله تعالى ﴿فَأَمَّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [التعالى: 4 / 278]. وهذا يؤيد القول الأول. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾ الهاء للسكت، والضمير لجهنم على القول بأنها هي الهاوية، وهو للفعلة والخصلة التي يراد بها العذاب على القول الثاني والثالث والمقصود تعظيمها، ثم فسرها بقوله ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾.

### سورة التكاثر

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ هذا خبر يراد به الوعظ والتوبيخ، ومعنى "الهاكم": شغلكم، و"التكاثر" المباهاة بكثرة المال والأولاد، وأن يقول هؤلاء: نحن أكثر، ويقول هؤلاء: نحن أكثر، ولما قرأها النبي ﷺ قال: «يقول ابن آدم مالي مالي، وليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت» [مسلم: 2958]. ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ أحدها: أن معناه حتى متم، فأراد بزيارة المقابر الدفن فيها، الثاني: أن معناه حتى ذكرتم الموتى الذين في المقابر؛ فعبر بزيارتها عن التفاخر بمن فيها؛ لأن بعض العرب تفاخر بأبائهم الموتى، فالمعنى: أهاكم التكاثر حتى بلغتكم فيه إلى ذكر الموتى، الثالث: أن معناه زيارة المقابر حقيقة لتعظيم أهلها والتفاخر بهم، فيقول هذا قبر فلان ليشهر ذكره ويعظم قدره. ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ زجر وتهديد، ثم كرهه للتأكيد وعطفه بـ"ثم" إشارة إلى أن الثاني أعظم من الأول، وقيل: "كلا سوف تعلمون" في القبور "ثم كلا سوف تعلمون" يوم القيامة، وقيل: الأول تهديد للكفار، والثاني تهديد للمؤمنين، وحذف مفعول "تعلمون" وتقديره: تعلمون ما يحل بكم، أو تعلمون أن القرآن حق، أو تعلمون أنكم كنتم على خطأ في اشتغالكم بالدنيا، وإنما حذفه لقصد التهويل فيقدر السامع أعظم ما يخطر بباله. ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ جواب "لو" محذوف تقديره: لو تعلمون لزدجرتم واستعددتم للأخرة، فينبغي الوقف على "اليقين"، ومفعول "تعلمون" محذوف أيضا و"علم اليقين" مصدر، ومعنى "علم اليقين": العلم الذي

لَتَرُونَ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرُونَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ ﴿٣﴾ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٤﴾

لا شك فيه، قال بعضهم: هو من إضافة الشيء إلى نفسه، كقولك: دار الآخرة، وقال الزمخشري: معناه علم الأمور التي تتيقنونها بالمشاهدة. ﴿لَتَرُونَ الْجَحِيمَ﴾ هذا جواب قسم محذوف، وهو تفسير لمفعول "تعلمون" تقديره: لو تعلمون عاقبة أمركم، ثم فسرها بأنها رؤية الجحيم، والتفسير بعد الإبهام يدل على التهويل والتعظيم، والخطاب لجميع الناس فهو كقوله ﴿وَإِنَّ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، وقيل: للكفار خاصة؛ فالرؤية على هذا يراد بها الدخول فيها. ﴿ثُمَّ لَتَرُونَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ هذا تأكيد للرؤية المتقدمة وعطفه بـ"ثم" للتهويل والتفخيم، والـ"عين" هنا من قولك: عين الشيء نفسه وذاته؛ أي: لترونها الرؤية التي هي نفس اليقين. ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ هذا إخبار بالسؤال في الآخرة عن نعيم الدنيا، فقيل: "النعيم" الأمن والصحة، وقيل: الطعام والشراب، وهذه أمثلة، والصواب العموم في كل ما يتلذذ به، قال رسول الله ﷺ: «بيت يكنك، وخرقة تواريك، وكسرة تشد قلبك، وما سوى ذلك فهو نعيم» [زوائد البزار: 2301]، وقال ﷺ: «كل نعيم فمستول عنه إلا نعيم في سبيل الله» [الإمامة 7/405]، وأكل يوما عليه الصلاة والسلام مع أصحابه رطبا وشربوا عليه ماء، فقال لهم: «هذا من النعيم الذي تسألون عنه» [الترمذي: 2369].

### سورة العصر

﴿وَالْعَصْرِ﴾ فيه ثلاثة أقوال؛ الأول: أنه صلاة العصر أقسم الله بها لفضلها، قال رسول الله ﷺ: «الذي نفوته صلاة العصر كأنها وتر أهله وماله» [البخاري: 527]، الثاني: أنه العشي، أقسم به كما أقسم بالضحى، ويؤيد هذا قول أبي بن كعب ؓ، سألت رسول الله ﷺ عن "العصر"؟ فقال: «أقسم ربكم بآخر النهار» [الطبراني في تفسيره: 6/554]، والثالث: أنه الزمان. ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ "الانسان" هنا جنس ولذلك استثنى منه ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فهذا استثناء متصل. ﴿وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ﴾ أي: وصى بعضهم بعضا بالحق و﴿بِالصَّبْرِ﴾، فـ"الحق" الإسلام وما تضمنه، وفيه إشارة إلى كذب الكفار، وفي "الصبر" إشارة إلى صبر المؤمنين على إذابة الكفار لهم بمكة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾  
 يَحْسِبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ  
 الْمَوْقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفَعِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّوَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

## سورة الهمزة

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ هو على الجملة؛ الذي يعيب الناس ويأكل أعراضهم، واشتقاقه من الهمز واللمز، وصيغة فعلة للمبالغة، واختلف في الفرق بين الكلمتين؟ فقيل: الهمز في الحضور واللمز في الغيبة، وقيل: بالعكس، وقيل: الهمز باليد والعين واللمز باللسان، وقيل: هما سواء، ونزلت السورة في الأحنس بن شريق؛ لأنه كان كثير الوقية في الناس، وقيل: في أمية بن خلف، وقيل: في الوليد بن المغيرة؛ ولفظها مع ذلك على العموم في كل من اتصف بهذه الصفات. ﴿ وَعَدَّدَهُ ﴾ أي: أحصاه وحافظ على عدده ألا ينقص فمنعه من الخيرات، وقيل: معناه استعدده وادخره عدة لحوادث الدهر. ﴿ يَحْسِبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴾ أي: يظن بفرط جهله واغتراره أن ماله يخلده في الدنيا، وقيل: يظن أن ماله يوصله إلى دار الخلد. ﴿ كَلَّا ﴾ رد عليه فيما ظنه. ﴿ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴾ هذا جواب قسم محذوف، و"الخطمة" هي جهنم، وإنما سميت "خطمة" لأنها تحطم ما يلقى فيها وتلتهبه، وقد عظمها بقوله ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ ﴾، ثم فسرها بأنها ﴿ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفَعِدَةِ ﴾ أي: تبلغ القلوب بإحراقها، قال ابن عطية: يحتمل أن يكون المعنى أنها تطلع على ما في القلوب من العقائد والنيات بإطلاع الله إياها. ﴿ مُّوَصَّدَةٌ ﴾ مغلقة. ﴿ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ ال"عمد" جمع عمود وهو عند سيبويه اسم جمع، وقرئ "عمد" بضمين، والعمود هو المستطيل من حديد أو خشب، وال"ممددة" الطويلة، وفي المعنى قولان؛ أحدهما: أن أبواب جهنم أغلقت عليهم ثم مدت على أبوابها عمد تشديدا في الإغلاق والثقاف، كما تنقف أبواب البيوت بالعمد؛ وهو على هذا متعلق بـ"موصدة"، والآخر: أنهم موثوقون مغلولون في العمد؛ فالمجرور على هذا في موضع خبر مبتدأ مضمرة تقديره: هم موثوقون في عمد.

## سورة الفيل

نزلت هذه السورة منبهة على العبرة في قصة الفيل التي وقعت عام مولد رسول الله ﷺ، فإنها تدل على كرامة الله للكعبة وإنعامه على قريش بدفع العدو عنهم؛ فكان يجب عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به، وفيها مع ذلك عجائب من قدرة الله وشدة عقابه، وقد ذكرت القصة في كتاب السير وغيره، واختصارها أن أبرهة ملك الحبشة بنى بيتا باليمن وأراد أن يحج الناس إليه كما يحجون إلى الكعبة، فذهب عربي وأحدث في البيت، فغضب أبرهة وحلف أن يهدم الكعبة، فاحتفل في جموعه وركب الفيل وقصد مكة، فلما وصل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ  
 كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾  
 فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾  
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِذْ لَفِيهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾

قريبا منها فرأ أهلها إلى الجبال وأسلموا له الكعبة، وأخذ لعبد المطلب مائتي بعير فكلمه فيها، فقال له: كيف تكلمني في الإبل ولا تكلمني في الكعبة، وقد جئت لهدمها وهي شرفك وشرف قومك؟ فقال له: أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمنعه، فبرك الفيل بذي الغميس ولم يتوجه إلى مكة، فكانوا إذا وجهوه إلى غيرها هروا، وإذا وجهوه إليها توقف ولو بضعوه بالحديد، فبينما هم كذلك أرسل الله عليهم طيورا سودا، وقيل: خضرا، عند كل طائر ثلاثة أحجار في منقاره ورجليه، فرمتهم الطيور بالحجارة فكان الحجر يقتل من وقع عليه، وروي أنه كان يدخل في رأسه ويخرج من دبره، ووقع في سائرهم الجذري والأسقام وانصرفوا فماتوا في الطريق متفرقين في المراحل، وتقطع أبرهة أنملة أنملة. ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ﴾ معناه: ألم تعلم، و"كيف" في موضع نصب بـ ﴿فَعَلَ رَبُّكَ﴾ لا بـ"ألم تر"، والجملة معمول "ألم تر". ﴿فِي تَضَلُّيلٍ﴾ أي: إبطال وتخسير. ﴿أَبَابِيلَ﴾ معناه: جماعات شيئا بعد شيء، قال الزمخشري: واحدا أباله، وقال جمهور الناس: هو جمع لا واحده من لفظه. ﴿بِحِجَارَةٍ﴾ روي أن كل حجر منها كان فوق العدسة ودون الحمصة، وقال ابن عباس: إنه أدرك عند أم هانئ نحو قفيز من هذه الحجارة، وأنها كانت مخططة بحمرة، وروي أنه كان على كل حجر اسم من يقع عليه مكتوبا. ﴿سِجِّيلٍ﴾ قد ذكر. ﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ العصف ورق الزرع وتبسه، والمراد أنهم صاروا رميا، وفي تشبيههم به ثلاثة أقوال؛ الأول: أنه شبيههم بالتبن إذا أكلته الدواب ثم رائته فجمع التلف والخسة؛ ولكن الله كنى عن هذا على حسب أدب القرآن، الثاني: أنه أراد ورق الزرع إذا أكلته الدود، الثالث: أنه أراد كعصف مأكول زرعه وبقي هو لاشيء.

## سورة قريش

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِذْ لَفِيهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ "قريش" هم حي من عرب الحجاز الذين من ذرية معد بن عدنان، إلا أنه لا يقال قريشي إلا لمن كان من ذرية النضر بن كنانة، وهم يتقسمون إلى أفخاذ وبيوت كبنو هاشم وبنو أمية وبنو مخزوم وغيرهم، وإنما سميت القبيلة قريشا لتقرشهم؛ والتقرش التكسب وكانوا تجارا، وعن معاوية أنه سأل ابن عباس: لم سميت قريش قريشا؟ قال: لدابة في البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلق، وكانوا ساكنين بمكة، وكان لهم رحلتان في كل عام للتجارة؛ رحلة في الشتاء إلى

فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٢﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ﴿١﴾  
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ  
 الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾

اليمن ورحلة في الصيف إلى الشام، وقيل: كانت الرحلتان جميعا إلى الشام، وقيل: كانوا يرحلون في الصيف إلى الطائف حيث الماء والظل فيقيمون بها، ويرحلون في الشتاء إلى مكة لسكنائهم بها، وال "إيلاف" مصدر من قولك: آلفت المكان إذا ألفتته، وقيل: هو منقول منه بالهمزة، يقال: ألفت الرجل الشيء وألفه إياه غيره، فالمعنى على القول الأول: أن قريشا ألفوا رحلة الشتاء والصيف، وعلى الثاني: أن الله ألفتهم الرحلتين، واختلف في تعلق قوله "إيلاف قريش" على ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنه يتعلق بقوله "فليعبدوا"، والمعنى: فليعبدوا الله من أجل إيلافهم الرحلتين؛ فإن ذلك نعمة من الله عليهم، الثاني: أنه يتعلق بمحذوف تقديره: اعجبوا لإيلاف قريش، الثالث: أنه يتعلق بسورة الفيل، والمعنى: أن الله أهلك أصحاب الفيل لإيلاف قريش، فهو يتعلق بقوله ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ أو بما قبله من الأفعال، ويؤيد هذا أن السورتين في مصحف أبي بن كعب ﴿سورة واحدة لا فصل بينهما﴾، وقد قرأها عمر ﴿في ركعة واحدة من المغرب﴾، وذكر الله الإيلاف أولا مطلقا ثم أبدل منه الإيلاف المقيد بالرحلتين تعظيما للأمر، ونصب "رحلة" لأنه مفعول بـ "إيلافهم"، وقال: "رحلة" وأراد رحلتين فهو كقول الشاعر:

كلوا في بعض بطنكم تَعَفُّوا

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ هذا إقامة حجة عليهم واستدعاء لهم بملاطفة وتذكير بالنعمة، و"البيت" هو المسجد الحرام. ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ﴾ يحتمل أن يريد إطعامهم بسبب الرحلتين، فقد روي أنهم كانوا قبل ذلك في شدة وضيق حال حتى أكلوا الجيف، ويحتمل أن يريد إطعامهم على الإطلاق، فقد كان أهل مكة ساكنين بواد غير ذي زرع، ولكن الله أطعمهم مما يجلب إليهم من البلاد بدعوة أبيهم إبراهيم عليه السلام، وهو قوله ﴿وَأَرْزُقُهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ﴾. ﴿وَأَمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾ يحتمل أن يريد أمنهم من خوف أصحاب الفيل، ويحتمل أن يريد أمنهم في بلدتهم بدعوة إبراهيم في قوله ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾، وقد فسرناه في موضعه أو يعني أمنهم في أسفارهم؛ لأنهم كانوا في رحلتهم آمنين لا يتعرض لهم أحد بسوء، وكان غيرهم من الناس تؤخذ أموالهم وأنفسهم، وقيل: أمنهم من الجذام فلا ترى بمكة مجذوما، قال الزمخشري: التنكير في "جوع" و"خوف" لشدهما.

سورة آرايت

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾ قيل: إن هذا نزل في أبي جهل وأبي سفيان بن حرب، وقيل: هو مطلق، و"الدين" هنا الملة أو الجزاء. ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ أي: يدفعه بعنف، وهذا الدفع يحتمل أن يكون



قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٣﴾  
وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٤﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿٢﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرِ ﴿٣﴾

عن إطعامه والإحسان إليه، أو عن ماله وحقوقه وهذا أشد، والذي لا يحض على طعام المسكين لا يطعمه من باب أولى، وهذه الجملة هي جواب "ارأيت"؛ لأن معناها أخبرني، فكأنه سؤال وجواب، والمعنى: انظر الذي يكذب بالدين تجد فيه هذه الأخلاق القبيحة والأعمال السيئة، وإنما ذلك؛ لأن الدين يحمل صاحبه على فعل الحسنات وترك السيئات، فمقصود الكلام ذم الكفار وأحوالهم. ﴿ قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ قيل: إن هذا نزل في عبد الله بن أبي بن سلول المنافق؛ والسورة على هذا نصفها مكِّي ونصفها مدني قاله أبو زيد السهيلي، وذلك أن ذكر أبي جهل وغيره من الكفار أكثر ما جاء في السور المكية، وذكر السهو عن الصلاة والسهو فيها إنما هي من صفة المنافقين الذين كانوا بالمدينة، لاسيما على قول من قال إنها في عبد الله بن أبي، وقيل: إنها مكية كلها، وهو الأشهر، ونزل آخرها على هذا في رجل أسلم بمكة ولم يكن صحيح الإيمان، وقيل: مدنية، والسهو عن الصلاة هو تركها أو تأخيرها تهاونا بها، وقد سئل رسول الله ﷺ عن "الذين هم عن صلاتهم ساهون" فقال: «الذين يؤخرونها عن وقتها» [البراز: 1145]، وقال عطاء بن يسار: الحمد لله الذي قال: "عن صلاتهم ساهون" ولم يقل: في صلاتهم. ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴾ هو من الرياء، أي: صلاتهم رياء للناس لا لله. ﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ فيه وصف لهم بالبخل وقلة المنفعة للناس، وفي "الماعون" أربعة أقوال؛ الأول: أنه الزكاة، الثاني: أنه المال بلغة قريش، الثالث: أنه الماء، الرابع: أنه ما يتعاطاه الناس بينهم كالآنية والفأس والدلو والمقص، وسئل رسول الله ﷺ ما الشيء الذي لا يجلب منه؟ فقال: «الماء والنار والملح» [ابن ماجه: 2568]، وزاد في بعض الطرق: «الإبرة والخمير» [الثعالبي: 285/4].

### سورة الكوثر

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ، و"الكوثر" بئاء مبالغة من الكثرة، وفي تفسيره سبعة أقوال؛ الأول: أنه حوض النبي ﷺ، الثاني: أنه الخير الكثير الذي أعطاه الله في الدنيا والآخرة قاله ابن عباس ؓ وتبعه سعيد بن جبیر، بأن قال: إن النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله، فالمعنى: أنه على العموم، الثالث: أن "الكوثر" القرآن العظيم، الرابع: أنه كثرة الأصحاب والأتباع، الخامس: أنه التوحيد، السادس: أنه الشفاعة، السابع: أنه نور وضعه الله في قلبه؛ ولا شك أن الله أعطاه هذه الأشياء كلها، ولكن الصحيح أن المراد بـ"الكوثر" الحوض لما ورد في الحديث الصحيح؛ أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الكوثر؟ هو نهر أعطانيه الله، وهو الحوض؛ آتيته عدد نجوم السماء» [مسلم: 921]. ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرِ ﴾ فيه خمسة أقوال؛

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٢﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ يَتَّيِبُهَا لَكُمْ فَتُحِبُّوا ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا  
أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾

الأول: أنه أمره بالصلاة على الإطلاق وبنحر الهدي والضحايا، الثاني: أنه عليه الصلاة والسلام كان يضحى قبل صلاة العيد فأمر أن يصلي ثم ينحر؛ فالمقصود على هذا تأخير نحر الأضاحي عن الصلاة، الثالث: أن الكفار كانوا يصلون مكاء وتصدية وينحرون للأصنام، فقال الله لنبيه ﷺ: صل لربك وحده وانحر له، أي: لوجهه لا لغيره، فهو على هذا أمر بالتوحيد والإخلاص، الرابع: أن معنى "انحر" ضع يدك اليمنى على اليسرى عند صدرك في الصلاة، فهو على هذا من النحر وهو الصدر، الخامس: أن معناه ارفع يدك عند نحرك في افتتاح الصلاة. ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ الشانئ هو المبغض، وهو من الشنآن بمعنى العداوة، ونزلت الآية في العاصي بن وائل، وقيل: في أبي جهل على وجه الرد عليه إذ قال: إن محمدا أبتري؛ أي: لا ولد له ذكر، فإذا مات استرحنا منه وانقطع أمره بموته، فأخبر الله أن هذا الكافر هو الأبتري، وإن كان له أولاد لأنه مبتور من رحمة الله؛ أي: مقطوع عنها، ولأنه لا يذكر إذا ذكر إلا باللعنة بخلاف النبي ﷺ، فإن ذكره خالد إلى آخر الدهر مرفوع على المنابر والصوامع مقرون بذكر الله، والمؤمنون من زمانه إلى يوم القيامة أتباعه فكأنه والدهم.

### سورة الكافرون

سبب هذه السورة أن قوما من قريش منهم الوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاصي بن وائل وأبو جهل ونظراؤهم قالوا: يا محمدا! اتبع ديننا وتبع دينك، اعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، فقال: «معاذ الله أن نشرك بالله شيئا» [المعجم الصغير: 752]، ونزلت السورة في معنى البراءة من آلهتهم، ولذلك قال ﷺ: «من قرأها فقد برئ من الشرك» [النسائي: 10541]. ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ هذا إخبار أنه لا يعبد أصنامهم، فإن قيل: لم كرر هذا المعنى بقوله "ولا أنا عابد ما عبدتم" فالجواب من وجهين؛ الأول قاله الزمخشري: وهو أن قوله "لا أعبد ما تعبدون" يريد في الزمان المستقبل، وقوله ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ يريد به ما مضى، أي: ما كنت قط عابدا ما عبدتم فيما سلف فكيف تطلبون ذلك مني الآن، الثاني قاله ابن عطية: وهو أن قوله "لا أعبد ما تعبدون" لما كان يحتمل أن يراد به زمان الحال خاصة قال: "ولا أنا عابد ما عبدتم"؛ أي: أبدا ما عشت، وهذا معترض لأن "لا" النافية إذا دخلت على الفعل المضارع خلصته للاستقبال، فقوله "لا أعبد" لا يحتمل أن يراد به الحال، ويحتمل عندي أن يكون قوله "لا أعبد ما تعبدون" يريد به في المستقبل على حسب ما تقتضيه "لا" من الاستقبال، ويكون قوله "ولا أنا عابد ما عبدتم" يريد به في الحال فيحصل من المجموع نفي عبادته

وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿١﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٢﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾

للأصنام في الحال والاستقبال، ومعنى الحال في قوله "ولا أنا عابد ما عبدتم" أظهر من معنى المضي الذي قاله الزمخشري، ومن معنى الاستقبال فإن قولك: ما زيد قائم بنفي الجملة الاسمية يقتضي الحال. ﴿١﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٢﴾ هذا إخبار أن هؤلاء الكفار لا يعبدون الله كما قيل لنوح ﴿١﴾ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَاءَمَنْ ﴿٢﴾، إلا أن هذا في قوم مخصوصين ماتوا على الكفر، وقد روي أن هؤلاء الجماعة المذكورين هم: أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والأسود بن المطلب وأمّية بن خلف وأبي بن خلف وابنا الحجاج، وكلهم ماتوا كفارا، فإن قيل: لم قال "ما أعبد" بـ"ما" دون من التي هي موضوعة لمن يعقل؟ فالجواب من ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن ذلك لمناسبة قوله "لا أعبد ما تعبدون" فإن هذا واقع على الأصنام التي لا تعقل ثم جعل "ما أعبد" على طريقته لتناسب اللفظ، الثاني: أنه أراد الصفة، كأنه قال: لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق قاله الزمخشري، الثالث: أن "ما" مصدرية والتقدير: لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي؛ وهذا ضعيف، فإن قيل: لم كرر هذا المعنى واللفظ فقال بعد ذلك ﴿١﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٢﴾ مرة أخرى؟ فالجواب من وجهين؛ أحدهما قول الزمخشري: وهو أن الأول في الحال والثاني فيما مضى، والآخر قاله ابن عطية: وهو أن الأول في الحال والثاني في الاستقبال، فهو حتم عليهم أن لا يؤمنوا أبدا. ﴿١﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٢﴾ أي: لكم شرككم ولي توحيدى، وهذه براءة منهم، وفيها مسأله منسوخة بالسيف.

### سورة النصر

سأل عمر بن الخطاب ؓ جماعة من الصحابة ؓ عن معنى هذه السورة فقالوا: إن الله أمر رسوله عليه الصلاة والسلام بالتسبيح والاستغفار عند النصر والفتح - وذلك على ظاهر لفظها -، فقال لابن عباس ؓ بمحضرهم: يا عبد الله! ما تقول أنت؟ فقال: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله بقربه إذا رأى النصر والفتح، فقال عمر ؓ: ما أعلم منها إلا ما علمت [البخاري: 4294]، وقد قال بهذا المعنى ابن مسعود ؓ وغيره، ويؤيده قول عائشة ؓ: إن رسول الله ﷺ لما فتح مكة وأسلم العرب جعل يكثر أن يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم إني أستغفرك» يتأول القرآن [مسلم: 1116]، أي: هذه السورة، وقال لها مرة: «ما أراه إلا حضور أجلى» [البخاري: 3624]، وقال ابن عمر ؓ: نزلت هذه السورة بمنى أيام التشريق في حجة الوداع، وعاش رسول الله ﷺ بعدها ثمانين يوما أو نحوها، وقال ابن مسعود ؓ: هذه السورة تسمى سورة التوديع. ﴿١﴾ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿٢﴾ يعني بـ"الفتح" فتح مكة والطائف وغيرهما من البلاد التي فتحها رسول الله ﷺ، وقال ابن عباس ؓ: الـ"نصر"

وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢٠﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٢١﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾

فتح الحديبية، و"الفتح" فتح مكة، وقيل: ال"نصر" إسلام أهل اليمن، والإخبار بذلك كله قبل وقوعه إخبار بغيث فهو من أعلام النبوة. ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ أي: جماعات، وذلك أنه أسلم بعد فتح مكة بشر كثير، فقد روي أن رسول الله ﷺ كان معه في فتح مكة عشرة آلاف، وكان معه في غزوة تبوك سبعون ألفاً، وقال أبو عمر بن عبد البر: لم يمت رسول الله ﷺ وفي العرب رجل كافر، وقد قيل: إن عدد المسلمين عند موته عليه الصلاة والسلام مائة ألف وأربعة عشر ألفاً. ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ قد ذكر التسبيح والاستغفار، ومعنى "بحمد ربك" فيها تقدم، فإن قيل: لم أمره الله بالتسبيح والحمد والاستغفار عند رؤية النصر والفتح وعند اقتراب أجله؟ فالجواب: أنه أمره بالتسبيح والحمد ليكون شكرياً على النصر والفتح وظهور الإسلام، وأمره بذلك وبالاستغفار عند اقتراب أجله ليكون ذلك زاداً للأخرة وعدة للقاء.

### سورة أبي لهب

سببها أنه لما نزل قوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ صعد رسول الله ﷺ الصفا فنادى بأعلى صوته: «يا صباحاه»، فاجتمعت إليه قريش، فقال لهم: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، ثم أنذرهم عموماً وخصوصاً، فقال له أبو لهب: تبا لك ألهذا جمعنا؟ فنزلت السورة [البخاري: 4770] ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ معنى "تبت" خسرت، والتباب هو الخسران، وأبو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم وهو عم رسول الله ﷺ، وكان من أشد الناس عداوة له، فإن قيل: لم ذكره الله بكنيته دون اسمه؟ فالجواب من ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن كنيته كانت أغلب عليه من اسمه كأبي بكر ﷺ وغيره، ويقال: إنه كني بأبي لهب لتلهب وجهه جمالاً، الثاني: أنه لما كان اسمه عبد العزى عدل عنه إلى الكنية، الثالث: أنه لما كان من أهل النار واللهب كناه أبا لهب، وليناسب ذلك قوله "سيصلى ناراً ذات لهب". ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ يحتمل أن تكون "ما" نافية أو استفهامية يراد بها النفي، و"ماله" هو رأس ماله، وما كسب: الربح، أو "ماله": ما ورث، و"ما كسب": هو ما اكتسبه لنفسه، وقيل "ماله" جميع ماله و"ما كسب" أولاده. ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ هذا حتم عليه بدخول النار ومات بعد ذلك كافراً. ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ اسم امرأته أم جميل بنت حرب بن أمية؛ وهي أخت أبي سفيان ﷺ وعمة معاوية ﷺ، وفي وصفها ب"حمالة الحطب" أربعة أقوال؛

## في جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿١﴾

أحدها: أنها كانت تحمل حطبا وشوكا وتلقيه في طريق النبي ﷺ لتؤذيه، الثاني: أن ذلك عبارة عن مشيها بالنميمة، يقال: فلان يحمل الحطب بين الناس؛ أي: يوقد بينهم نار العداوة بالنائم، الثالث: أنه عبارة عن سعيها بالمضرة على المسلمين، يقال: فلان يحطب على فلان إذا قصد الإضرار به، الرابع: أنه عبارة عن ذنوبها وسوء أعمالها. ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ الجيد العنق، والمسد الليف، وقيل: الحبل المفتول، وفي المراد به ثلاثة أقوال؛ الأول: أنه إخبار عن حملها الحطب في الدنيا على القول الأول، وفي ذلك تحقير لها وإظهار لخساسة حالها، والآخر: أن حالها في جهنم يكون كذلك؛ أي: يكون في عنقها حبل، الثالث: أنها كانت لها قلادة فاخرة، فقالت: لأنفقتها على عداوة محمد، فأخبر عن قلادتها بحبل المسد على وجه التفاؤل والذم لها بتبرجها، ويحتمل قوله "وامراته" وما بعده وجوها من الإعراب يختلف الوقف باختلافها؛ وهي أن يكون "امراته" مبتدأ، و"حمالة الحطب" خبره أو "حمالة الحطب" نعت والخبر في "جيدها حبل من مسد"، أو يكون "امراته" معطوفا على الضمير في "يصلى" و"حمالة الحطب" نعت أو خبر مبتدأ مضمرة.

### سورة الإخلاص

سبب نزول هذه السورة؛ أن اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد! صف لنا ربك وانسبه، فإنه وصف نفسه في التوراة ونسبها؟ فارتعد رسول الله ﷺ حتى خر مغشيا عليه، ونزل عليه جبريل عليه السلام بهذه السورة [الاسماء والصفات: 596]، وقيل: إن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: أنسب لنا ربك. فنزلت [الترمذي: 3690]، وعلى الرواية الأولى تكون السورة مدنية [لأن سؤال اليهود بالمدينة]، وعلى الرواية الثانية تكون مكية، واختلف في معنى قوله ﷺ: «قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن» [مسلم: 1924]، فقيل: إن ذلك في الثواب؛ أي: لمن قرأها من الأجر مثل من قرأ ثلث القرآن، وقيل: إن ذلك فيما تضمنته من المعاني والعلوم، وذلك أن علوم القرآن ثلاثة؛ توحيد وأحكام وقصص، وقد اشتملت هذه السورة على التوحيد فهي ثلث القرآن بهذا الاعتبار؛ وهذا أظهر وعليه حمل ابن عطية الحديث، ويؤيده أن في بعض روايات الحديث: «إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل قل هو الله أحد جزءا من أجزاء القرآن» [مسلم: 1923]، وخرج النسائي [8027] أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقرأها فقال: «أما هذا فقد غفر له»، وفي رواية أنه قال: «وجبت له الجنة» [أحمد: 8232]، وخرج مسلم [1926] أن رسول الله ﷺ بعث رجلا على سرية فكان يقرأ لأصحابه في الصلاة "قل هو الله أحد"، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «سلوه، لأي شيء يصنع ذلك»، فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأها، فقال رسول الله ﷺ: «أخبروه أن الله يحبها»، وفي رواية خرجها الترمذي [3148] أنه ﷺ قال للرجل: «حبك إياها أدخلك الجنة»، وخرج الترمذي [3143] أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة في

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ

كل يوم غفرت له ذنوب خمسين سنة إلا أن يكون عليه دين». ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الضمير هنا عند البصريين ضمير الأمر والشأن الذي يراد به التعظيم والتفخيم، وإعرابه مبتدأ وخبره الجملة التي بعده وهي المفسرة له، و"الله" مبتدأ و"أحد" خبره، وقيل: "الله" هو الخبر و"أحد" بدل منه، وقيل: "الله" بدل و"أحد" هو الخبر، و"أحد" له معنيان؛ أحدهما: أن يكون من أسماء النفي التي لا تقع إلا في غير الواجب كقولك: ما جاءني أحد، وليس هذا موضع هذا المعنى وإنما موضعه قوله "ولم يكن له كفواً أحد"، والآخر: أن يكون بمعنى واحد، وأصله وحد بواو ثم أبدل من الواو همزة، وهذا هو المراد هنا. واعلم أن وصف الله تعالى بالواحد له ثلاثة معان كلها صحيحة في حق الله تعالى؛ الأول: أنه واحد لا ثاني معه فهو نفي للعدد، والآخر: أنه واحد لا نظير له ولا شريك، كما تقول: فلان واحد عصره؛ أي: لا نظير له، الثالث: أنه واحد لا ينقسم ولا يتبعض؛ والأظهر أن المراد في السورة نفي الشريك لقصد الرد على المشركين، ومنه قوله تعالى ﴿وَالهَكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾، قال الزمخشري: "أحد" وصف بالوحدانية ونفي للشركاء، قلت: وقد أقام الله في القرآن براهين قاطعة على وحدانيته، وذلك في القرآن كثير جداً، وأوضحها أربعة براهين؛ الأول: قوله ﴿أَقَمَنَ يَخْلُقُ كَمَنَ لَا يَخْلُقُ﴾؛ لأنه إذا ثبت أن الله تعالى خالق جميع الموجودات لم يمكن أن يكون واحد منها شريكاً له، والآخر: قوله ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَآهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾، والثالث: قوله ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلَآهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ إِذَا لَبَّتُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً﴾، والرابع: قوله ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾. وقد فسرنا هذه الآيات في مواضعها وتكلمنا على حقيقة التوحيد في قوله ﴿وَالهَكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾. ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ في معنى "الصمد" ثلاثة أقوال؛ أحدها: أنه السيد الذي يصمد إليه في الأمور؛ أي: يلجأ إليه، والآخر: أنه الذي لا يأكل ولا يشرب فهو كقوله ﴿وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾، والثالث: أنه الذي لا جوف له؛ والأول هو المراد هنا على الأظهر ورجحه ابن عطية؛ بأن الله موجد الموجودات وبه قوامها فهي مفتقرة إليه، أي: تصمد إليه إذ لا تقوم بأنفسها، ورجحه شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير لورود معناه في القرآن حيثما ورد نفي الولد عن الله، كقوله في مريم ﴿قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾، ثم أعقبه بقوله ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾، وقوله ﴿بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾ وقوله ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وكذلك هنا ذكره مع قوله ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ ليكون برهاناً على نفي الولد، قال الزمخشري: صمد فعل بمعنى مفعول لأنه مصمود إليه في الحوائج. ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ هذا رد على كل من جعل له ولداً فمنهم النصارى في قولهم: عيسى ابن الله، واليهود في قولهم: عزير ابن الله، والعرب في قولهم: الملائكة بنات الله، وقد أقام الله البراهين في القرآن على نفي الولد وأوضحها أربعة أقوال؛ الأول: أن الولد لا بد أن يكون من جنس والده، والله تعالى ليس له جنس، فلا يمكن أن يكون

## وَلَمْ يُولَدْ ﴿١٠١﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿١٠٢﴾

له ولد وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَتْ يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾، فوصفها بصفة الحدوث لينفي عنهما صفة القدم فتبطل مقالة الكفار، الثاني: أن الولد إنما يتخذ للحاجة إليه، والله لا يفتقر إلى شيء فلا يتخذ ولداً، وإلى هذا أشار تعالى بقوله ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَ هُوَ الْعَلِيِّ﴾، الثالث: أن جميع الخلق عباد الله، والعبودية تنافي النبوة، وإلى هذا أشار تعالى بقوله ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾، الرابع: أنه لا يكون ولد إلا لمن له زوجة، والله تعالى لم يتخذ زوجة فلا يكون له ولد، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾، ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ هذا رد على الذين قالوا: انسب لنا ربك، وذلك أن كل مولود محدث، والله تعالى هو الأول الذي لا افتتاح لوجوده القديم الذي كان ولم يكن معه شيء غيره، فلا يمكن أن يكون مولوداً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ الكفو هو النظير والمائل، قال الزمخشري: يجوز أن يكون من الكفاءة في النكاح فيكون نفياً للصاحبة؛ وهذا بعيد؛ والأول هو الصحيح، ومعناه: أن الله ليس له نظير ولا شبيه ولا مثيل، ويجوز في "كفوًا" ضم الفاء وإسكانها مع ضم الكاف، وقد قرئ بالوجهين، ويجوز أيضاً كسر الكاف وإسكان الفاء، ويجوز كسر الكاف وفتح الفاء والمد، ويجوز فيه الهمزة والتسهيل، وانتصب "كفوًا" على أنه خبر "كان" و"أحد" اسمها، قال ابن عطية: يجوز أن يكون "كفوًا" حالاً لكونه كان صفة للنكرة فقدم عليها، فإن قيل: لم قدم المجرور وهو "له" على اسم "كان" وخبرها، وشأن الظرف إذا وقع غير خبر أن يؤخر؟ فالجواب من وجهين؛ أحدهما: أنه قدم للاعتناء به والتعظيم؛ لأنه ضمير الله تعالى، وشأن العرب تقديم ما هو أهم وأولى، والآخر: أن هذا المجرور به يتم معنى الخبر وتكمل فائدته، فإنه ليس المقصود نفي الكفو مطلقاً، إنما المقصود نفي الكفو عن الله تعالى، فلذلك اعتنى بهذا المجرور الذي يجرز هذا المعنى فقدمه، فإن قيل: إن قوله "قل هو الله أحد" يقتضي نفي الولد والكفو فلم نص على ذلك بعده؟ فالجواب: أن هذا من التجريد وهو تخصيص الشيء بالذكر بعد دخوله في عموم متقدم كقوله ﴿وَمَلَأْ كَيْتَهُ وَرُسُلِهِ وَجَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ﴾، ويُفعل ذلك لوجهين يصح كل واحد منهما هنا؛ أحدهما: الاعتناء، ولا شك أن نفي الولد والكفو عن الله ينبغي الاعتناء به للرد على من قال خلاف ذلك من الكفار، والآخر: الإيضاح والبيان، فإن دخول الشيء في ضمن العموم ليس كالنص عليه، فنص على هذا بيانا وإيضاحاً للمعنى ومبالغة في الرد على الكفار وتأكيداً لإقامة الحجة عليهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾

## سورة الفلق

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ تقدم معنى "اعوذ" في التعوذ، ومعنى "رب" في اللغات والفاحة، وفي "الفلق" ثلاثة أقوال؛ الأول: أنه الصبح، ومنه ﴿ قَالِقُ الْإِصْبَاحِ ﴾، وقال الزمخشري: هو فعل بمعنى مفعول، الثاني: أنه كل ما يفلقه الله كفلق الأرض عن النبات، والجبال عن العيون، والسحاب عن المطر، والأرحام عن الأولاد، والحب والنوى، وغير ذلك، الثالث: أنه جب في جهنم، وقد روي هذا عن رسول الله ﷺ [ابن جرير 284/24]. ﴿ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ هذا عموم في جميع المخلوقات وشرهم على أنواع كثيرة أعادنا الله منها، و"ما" موصولة أو موصوفة أو مصدرية. ﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ فيه ثمانية أقوال؛ الأول: أنه الليل إذا أظلم، ومنه قوله تعالى ﴿ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ ﴾، وهذا قول الأكثرين؛ وذلك لأن ظلمة الليل ينتشر عندها أهل الشر من الإنس والجن، ولذلك قيل في المثل: الليل أخفى للويل، الثاني: أنه القمر، خرج النسائي [10134] أن رسول الله ﷺ رأى القمر فقال: «يا عائشة! استعذي بالله من شر هذا، فإنه الغاسق إذا وقب»، ووقوبه على هذا كسوفه؛ لأن وقب في كلام العرب يكون بمعنى الظلمة والسواد وبمعنى الدخول، فالمعنى: إذا دخل في الكسوف أو إذا أظلم به، الثالث: أنه الشمس إذا غربت؛ والوقوب على هذا بمعنى الظلمة والدخول، الرابع: أن الغاسق النهار إذا دخل في الليل؛ وهذا قريب من الذي قبله، الخامس: أن الغاسق سقوط الثريا وكانت الأسقام والطاعون تهبج عنده، وروي أن رسول الله ﷺ قال: «النجم هو الغاسق» [العظمة: 476]، فيحتمل أن يريد الثريا، السادس: أنه الذكر إذا قام، حكى النقاش هذا القول عن ابن عباس ؓ، السابع: قال الزمخشري: يجوز أن يراد بال"غاسق" الأسود من الحيات ووقبه ضربه، الثامن: أنه إبليس حكى ذلك السهيلي. ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ النفث شبه النفخ دون تفل ريق، قاله ابن عطية، وقال الزمخشري: والنفخ مع ريق، وهذا النفث ضرب من السحر وهو أن ينفث على عقد تعقد في خيط أو نحوه على اسم مسحور فيضره ذلك، وحكى ابن عطية أنه حدثه ثقة أنه رأى عند بعض الناس بصحراء المغرب خيطا أحمر، قد عقدت فيه عقد على فصلان؛ وهي أولاد الإبل فمنعت بذلك رضاع أمهاتها، فكان إذا حل عقدة جرى ذلك الفصيل إلى أمه فوضع في الحين، قال الزمخشري: إن في الاستعاذة من النفاثات ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن يستعاذ من مثل عملهن وهو السحر ومن إثمهن في ذلك، والآخر: أن يستعاذ من خداعهن للناس وفتنتهن، والثالث: أن يستعاذ مما يصيب من الشر عند نفثهن، و"النفاثات" بناء مبالغة، والموصوف محذوف تقديره: النساء النفاثات، أو الجماعة النفاثات، أو النفوس النفاثات؛ والأول أرجح؛ لأنه روي أنه إشارة إلى بنات لبيد بن الأعصم اليهودي،



وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿١٠٢٠﴾

وكن ساحرات سحرن هن وأبوهن رسول الله ﷺ، وعقدن له إحدى عشر عقدة، فأنزل الله المعوذتين إحدى عشر آية بعدد العقد، وشفى الله رسوله عليه الصلاة والسلام، فإن قيل: لم عرف "النفاثات" بالألف واللام، ونكر ما قبله وهو "غاسق" وما بعده وهو "حاسد" مع أن الجميع مستعاذ منه؟ فالجواب: أنه عرف "النفاثات" ليفيد العموم؛ لأن كل نفاثة شريرة بخلاف الغاسق والحاسد، فإن شرهما في بعض دون بعض. ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ الحسد خلق مذموم طبعاً وشرعاً، قال رسول الله ﷺ: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» [أبو داود: 4905]، وقال بعض العلماء: الحسد أول معصية عصي الله بها في السماء وفي الأرض؛ أما في السماء فحسد إبليس لآدم، وأما في الأرض فقتل قابيل لأخيه هابيل بسبب الحسد، ثم إن الحسد على درجات؛ الأولى: أن يحب الإنسان زوال النعمة عن أخيه المسلم وإن كانت لا تنتقل إليه؛ بل يكره إنعام الله على غيره ويتألم به، الثانية: أن يحب زوال تلك النعمة لرغبته فيها ورجاء انتقالها إليه، الثالثة: أن يتمنى لنفسه مثل تلك النعمة من غير أن يحب زوالها عن غيره؛ وهذا جائز وليس بحسد وإنما هو غبطة، والحاسد يضر نفسه ثلاث مضرات؛ أحدها: اكتساب الذنوب؛ لأن الحسد حرام، الثانية: سوء الأدب مع الله تعالى؛ فإن حقيقة الحسد كراهة إنعام الله على عبده واعتراض على الله في فعله، الثالثة: تألم قلبه وكثرة همه وغمه، فرغب إلى الله تعالى أن يجعلنا محسودين لا حاسدين؛ فإن المحسود ذو نعمة والحاسد في كرب ونقمة، وله در الشاعر في قوله:

إني لأرحم حاسدي لفرط ما      ضمت صدورهم من الأغوار  
نظروا صنيع الله بي فعيونهم      في جنة وقلوبهم في نار

وقال آخر:

إن يحسوني فإني غير لائمهم      قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا  
فدام لي ولهم ما بي وما بهم      ومات أكثرنا غيظاً بما يحسد

ثم إن الحسود لا تزول عداوته ولا تنفع مداراته، وهو ظالم يشتكي كأنه مظلوم، ولقد صدق القائل:

كل العداوة قد ترجى إزالتها      إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال حكيم الشعراء:

وأظلم خلق الله من بات حاسداً      لمن بات في نعمائه يتقلب

قال ابن عطية: قال بعض الحذاق: هذه السورة خمس آيات وهي مراد الناس بقولهم للحاسد الذي يخاف منه العين: الخمسة على عينك، فإن قيل: لم قال "إذا وقب" و"إذا حسد"، فقيده بـ"إذا" التي تقتضي تخصيص بعض الأوقات؟ فالجواب: أن شر الحاسد ومضرته إنما تقع إذا أمضى حسده، فحينئذ يضر بقوله أو بفعله أو بإصابته بالعين؛ فإن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾

مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾

عين الحسود قاتلة، وأما إذا لم يمض حسده ولم يتصرف بمقتضاه فشره ضعيف، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لا ينجو منهن أحد: الحسد والظن والطيرة؛ فمخرجه من الحسد أن لا يبغى، ومخرجه من الظن أن لا يحقق، ومخرجه من الطيرة ألا يرجع» [شعب الإيمان: 1179]، فلهذا خصه بقوله "إذا حسد"، وكذلك الشر المخوف في الليل إنما هو إذا أظلم، فلذلك خصه بقوله "إذا وقب"، فإن قيل: إن قوله "من شر ما خلق" عموم يدخل تحته كل ما ذكر بعده، فلأي شيء ذكر ما بعده؟ فالجواب: أن هذا من التجريد للاعتناء بالمذكور بعد العموم، ولقد تأكد ما ذكر في هذه السورة بعد العموم بسبب السحر الذي سحر اليهودُ رسولَ الله ﷺ وشدة حسدهم له.

### سورة الناس

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ إن قيل: لم أضاف الرب إلى الناس خاصة وهو رب كل شيء؟ فالجواب: أن الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فخصهم بالذكر؛ لأنهم المعوذون بهذا التعويد والمقصودون هنا دون غيرهم. ﴿مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ﴾ هذا عطف بيان، فإن قيل: لم قدم وصفه تعالى "برب" ثم "ملك" ثم "بإله"؟ فالجواب: أن هذا على الترتيب في الارتقاء إلى الأعلى؛ وذلك أن الرب قد يطلق على كثير من الناس، فيقال: فلان رب الدار وشبه ذلك فبدأ به لاشتراك معناه، وأما الملك فلا يوصف به إلا آحاد الناس وهم الملوك ولا شك أنهم أعلى من سائر الناس؛ فلذلك جاء به بعد الرب، وأما الإله فهو أعلى من الملوك؛ ولذلك لا يدعي الملوك أنهم آلهة، وإنما الإله واحد لا شريك له ولا نظير، فلذلك ختم به، فإن قيل: لما أظهر المضاف إليه وهو "الناس" في المرة الثانية والثالثة، فهلا أضمره في المرتين لتقدم ذكره في قوله "برب الناس"، أو هلا اكتفى بإظهاره في المرة الثانية؟ فالجواب: أنه لما كان هذا عطف بيان حسن فيه البيان وهو الإظهار دون الإضمار، وقصد أيضا الاعتناء بالمكرر ذكره كقول الشاعر:

لا أرى الموت يسبق الموت شيء      نغص الموتُ ذا الغنى والفقير

﴿الْوَسْوَاسِ﴾ هو مشتق من الوسوسة وهي الكلام الخفي؛ فيحتمل أن يكون "الوسواس" بمعنى الموسوس، فكأنه اسم فاعل وهذا يظهر من قول ابن عطية، "الوسواس" من أسماء الشيطان، ويحتمل أن يكون مصدرا ووصف به الموسوس على وجه المبالغة، كالوصف بعدل وصوم، أو على حذف مضاف تقديره: ذي الوسواس، وقال الزمخشري: إنما المصدر وسواس بالكسر. ﴿الْخَنَّاسِ﴾ معناه: الراجع على عقبه المستتر أحيانا، وذلك متمكن في الشيطان فإنه يوسوس، فإذا ذكر العبد الله وتعوذ به منه تباعد عنه ثم رجع إليه عند الغفلة عن

## الَّذِي يُوسِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿١٠٢٢﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿١٠٢٣﴾

الذكر، وهو يخنس في تباعده ثم في رجوعه بعد ذلك. ﴿الَّذِي يُوسِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ وسوسة الشيطان في صدور الناس بأنواع كثيرة؛ منها فساد الإيوان والتشكيك في العقائد، فإن لم يقدر على ذلك أمره بالمعاصي، فإن لم يقدر على ذلك ثبطه عن الطاعات، فإن لم يقدر على ذلك أدخل عليه الرياء في الطاعات ليحبطها، فإن سلم من ذلك أدخل عليه العجب بنفسه واستكثار عمله، ومن ذلك أنه يوحد في القلب نار الحسد والحقد والغضب حتى يقود الإنسان إلى شر الأعمال وأقبح الأحوال. وعلاج وسوسته بثلاثة أشياء؛ وهي: الإكثار من ذكر الله، والإكثار من الاستعاذة بالله منه، ومن أنفع شيء في ذلك قراءة هذه السورة، والثالث: مخالفتها والعزم على عصيانه، فإن قيل: لم قال "في صدور الناس" ولم يقل في قلوب الناس؟ فالجواب: أن ذلك إشارة إلى عدم تمكن الوسوسة، وأنها غير حالة في القلب بل هي محومة في الصدر حول القلب. ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ هذا بيان لجنس الوسواس، وأنه يكون من الجن والإنس، ثم إن الموسوس من الإنس يحتمل أن يريد به من يوسوس بخدعه وأقواله الخبيثة، فإنه شيطان كما قال تعالى ﴿شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنَّ﴾، أو يريد به نفس الإنسان إذ تأمره بالسوء فإنها أمارة بالسوء؛ والأول أظهر، وقيل إن "الناس" معطوف على "الوسواس"، كأنه قال: أعوذ من شر الوسواس من الجنة ومن شر الناس، وليس "الناس" على هذا من يوسوس؛ والأول أظهر وأشهر. فإن قيل: لم ختم القرآن بالمعوذتين وما الحكمة في ذلك؟ فالجواب من ثلاثة أوجه؛ الأول: قال شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: لما كان القرآن من أعظم نعم الله على عباده والنعم مظنة الحسد، فحتم بما يطفى الحسد من الاستعاذة بالله، الثاني: يظهر لي أن المعوذتين حتم بهما؛ لأن رسول الله ﷺ قال فيهما: «أنزلت علي آيات لم ير مثلهن قط» [سلم: 1927]، كما قال في فاتحة الكتاب: «لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها» [الترمذي: 3115]، فافتتح القرآن بسورة لم ينزل مثلها، واختتم بسورتين لم ير مثلها ليجمع حسن الافتتاح والاختتام؛ ألا ترى أن الخطب والرسائل والقصائد وغير ذلك من أنواع الكلام إنما ينظر فيها إلى حسن افتتاحها واختتامها، الوجه الثالث: يظهر لي أيضا أنه لما أمر القارئ أن يفتح قراءته بالتعوذ من الشيطان الرجيم ختم القرآن بالمعوذتين؛ ليحصل الاستعاذة بالله عند أول القراءة وعند آخر ما يقرأ من القراءة، فتكون الاستعاذة قد اشتملت على طرفي الابتداء والانتها، وليكون القارئ محفوظا بحفظ الله الذي استعاذ به من أول أمره إلى آخره. كمل كتاب التسهيل لعلوم التنزيل بعون الله وتوفيقه، فله الحمد كما هو أهله، فالخير بيده كله، وليس للعبد إلا إحسانه وطوله ورحمته وفضله، وأنا أرغب إليه كما أعاني بفضله على هذا الكتاب أن يجعله موجبا لدخول الجنة من غير حساب ولا عذاب، بحرمة القرآن العظيم وشفاعة محمد رسول المصطفى الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم. وكان تمام تقييده في يوم الاثنين الحادي عشر من شهر ربيع الثاني عام تسعة وثلاثين وسبعمئة، والحمد لله رب العالمين.

## كلمة المحقق

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا ند له يستحق العبادة ولا نظير له يرتجى. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أقوم الناس طريقا وأوضحهم سبيلا وأسدهم منهجا نور الكون ومصباح الدجى صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه فنجاه ومن تبعهم واتخذ سبيلهم شرعة ومنهاجا.

وبعد: فإن الله تعالى أرسل رسله بالبينات وأنزل معهم الكتب والمعجزات ومن أعظم تلك الكتب وهو المهيمن عليها كتاب الله القرآن العظيم الذي خص الله به هذه الأمة المشرفة؛ هذا الكتاب المين الذي جاء به رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ النذير المين ليلبغه لأمته البلاغ المين فمن تمسك به نجا وفاز الفوز المين ومن أعرض عنه ونبذه وراء ظهره خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المين.

هذا القرآن بلاغ ورسالة من عالم الغيب من فوق سبع سماوات إلى عالم الشهادة رسالة من رب الكون إلى من يعمر هذا الكون لتربط الإنسان بأصله وتعرفه مسؤوليته ووظيفته في هذا الكون بصائر من ربنا فما أحوج الإنسان الكادح إلى ربه لمن يبصره ويرشده!

فالقرآن طريق الربانية الأوحى لا يحقق غيره هذا المبتغى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: 97]. إذ هو كلام الله ووحيه إلى عباده وتزداد في قلب المسلم عظمة هذا الكتاب باستحضاره أن هذا القرآن صلة بينه وبين خالقه صلة تقتضي التلقي والترقي بصورها المصطفى ﷺ بأنها كالحبل الممدود من السماء إلى الأرض طرفه الأعلى بيد الله وطرفه الأدنى بيد كل مسلم تال للقرآن!! فما أحرى بنا أن نتعلق بهذا القرآن تلاوة وترتيلا وتدبرا وتذكرا وتفكرا وتبصرا؛ ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 92].

### جهود الأمة في خدمة القرآن:

ولا سبيل لتحقيق ذلك إلا بمعرفة معانيه ودلالاته وسياقاته وإشاراته وقد كان علماءنا الأجلاء يعتنون بهذا الكتاب أشد الاعتناء فلم يتركوا جانبا من جوانبه إلا تناولوه بالشرح والبيان ولا مسألة من مسائل مرتبطة به إلا بينوها بالدليل والبرهان ولهم في ذلك مناهج مختلفة وأساليب متعددة سار عليها أئمة التفسير من قرون خالية وأزمنة مترامية وكان لؤلؤة ذلك العقد سفر نفيس وتفسير جليل أبدعته يراعة إمام عظيم قد أبهج النفوس بحسن اختراعه وهو تفسير: "التسهيل لعلوم التنزيل" للإمام أبي القاسم ابن جزي.

وله من اسمه نصيب فقد كان مقصده فيه تقريب كتاب الله وعلومه للأمة فوضع هذا التفسير الشامل لعلوم القرآن وفنونه المختصر في عباراته وإشاراته بألفاظ وجيزة وعبارات سهلة. فكان بذلك تفسيراً بديعاً في بابه قريباً لطالبيه جامعاً لفوائد وفرائد قل أن توجد في مثله.

### الإمام أبو القاسم ابن جزى الكلبي:

مؤلف هذا التفسير هو الإمام العالم الحافظ الشهير أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى ابن جزى الكلبي الغرناطي الأندلسي. المولود سنة (693).

حلاه مترجموه بأحسن الأوصاف فهو من ذوي الأصالة والوجاهة والنباهة والعدالة نشأ رحمه الله في بيت أصيل ومجد رفيع أنبل بين العلماء والقضاة والفقهاء فتخرج على علماء الأندلس الأفاضل في عصره من أمثال ابن الزبير في التفسير وابن رشيد في الحديث وابن الشاط في الفقه والأصول وشهد له بمشاركته في جميع العلوم فهو محدود من الفقهاء والمفسرين المشاركين في شتى المعارف والعلوم والخطباء المبرزين إذ كان خطيب الجامع الأعظم بغرناطة تفرغ للعلوم الشرعية من التدريس والتحصيل والإرشاد والتأليف فألف في فنون من العلم وترك آثاراً خلدت ذكره فصنف المصنفات ودون الدواوين في سائر المعارف والتخصصات بدءاً بالقرآن والقراءات وهو في الفقه وأصوله علم من أعلامه المبرزين وكتبه في الحديث شاهدة على تضلعه في هذا الفن المتين.

وكان موصوفاً بانقطاعه للعلم وتفرغه للطاعات وهجر الملذات والشهوات واجتهاده فيما يقربه لربه من العبادات إلى أن توفي وهو في مهمة الجهاد ضد الأعداء في وقعة طريف سنة: (741). وهو بعد لم يكمل العقد الخامس فبارك الله له في عمره القصير؛ فكان نتاجه وفيراً وحياته مباركة وهذا من توفيق الله لأوليائه وبركته في الأعمار لأهل الله وخاصة؛ وإن كان من سبب لهذا الإنتاج الوفير والجهد العظيم مقروننا بالإبداع والتميز فإننا ذلك لهمة العالية في طلب العلم واجتهاده في تحصيله وبذله الغالي والنفيس من أجله؛ أليس هو القائل:

لكل بني الدنيا مراد ومقصد      وإن مرادي صحة وفراغ  
لأبلغ في علم الشريعة مبلغاً      يكون به لي في الجنان بلاغ  
ففي مثل هذا فلينافس أولو النهي      وحسبي من الدنيا الغرور بلاغ  
فما الفوز إلا في نعيم مؤبد      به العيش رغد والشراب يساغ

فأفنى رحمه الله عمره في الدفاع عن دينه وأمته وخدمة علوم الشريعة بلغ فيها مبلغاً مشهوداً له به في الدنيا فنسأل الله له فوق ذلك المبلغ في الآخرة.

## تفسير "التسهيل لعلوم التنزيل":

يعتبر الإمام ابن جزري ممن لهم باع في التفسير ومن الذين تُلقيت جهودهم في هذا الميدان بالقبول والاستحسان والإعجاب والامتنان؛ لكونه يتقن هذا العلم أياً إتقان ويحسسه غاية الإحسان ويتجلى ذلك من خلال تفسيره في المميزات التالية:

**الميزة الأولى:** مكانة مؤلفه ابن جزري العلمية وما جباه الله به من صفات يخصص بها من شاء من أصفائه بها يرزق القبول ومن أعظمها الإخلاص والصدق مما جعل أعماله بعد وفاته يكتب لها القبول؛ فالإمام ابن جزري مثال للعالم الرباني التقي الخفي نجد في وجدانه تعظيماً فائقاً لحرمان الله وحساً مرهفاً يقشعر بدنه من ذكر الله والعالم المتصف بالتقوى والمتزر بالخشية هو الذي تفتح له معارف القرآن ويستعين بها للغوص في أسراره واستخراج كنوزه وحظ الإمام ابن جزري من هذا وافر وما سبق من سبق في هذا الباب إلا بخشية الله وتعظيم شعائره وحرماته وهذا الذي جعله يصل بنور بصيرته إلى دقائق المعاني وهذا جانب فريد في تفسير ابن جزري سيلاحظه المتأمل في نفاثس من إشارات.

**الميزة الثانية:** منهج ابن جزري البديع الذي راعى فيه الإيجاز مع الحرص على الوفاء بتفسير الآية فقد بنى تفسيره هذا على الاختصار مع جمع الأقوال وتلخيص العلوم المتعلقة بالكتاب في الآية ففسر القرآن بالقرآن وبالسنة وأتى بنصيب من أحكام القرآن بذكر المذاهب الفقهية ومعاقدها من الآية فبحث مجموعة من المسائل الفقهية المستنبطة من القرآن وفي كتابه جملة مما يحتاجه المفسر من القراءات التي تساعد على تفسير الآية ولم يخله من شواهد اللغة العربية وتوجيهات النحويين وأبدع في علم السلوك لاسيما باب مقامات السائرين إلى الله الذي قل أن يوجد في كتاب مستفيداً ذلك من القرآن.

والإمام ابن جزري لم يترك لأحد التكهن بمنهجه في هذا التفسير بل رقم ذلك في مقدمته فقال عن مضامين كتابه ومقاصده: (وصنفت هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم وسائر ما يتعلق به من العلوم وسلكت مسلماً نافعاً؛ إذ جعلته وجيزاً جامعاً؛ قصدت به أربع مقاصد تتضمن أربع فوائد:

الفائدة الأولى: جمع كثير من العلم في كتاب صغير الحجم تسهيلاً على الطالبين وتقريباً على الراغبين ...

الفائدة الثانية: ذكر نكت عجيبة وفوائد غريبة قلما توجد في كتاب ...

الفائدة الثالثة: إيضاح المشكلات ...

الفائدة الرابعة: تحقيق أقوال المفسرين السقيم منها والصحيح وتمييز الراجح من المرجوح (...).

فهل بعد هذه المقاصد مقصد من مقاصد التأليف؟. فقد أتى بها كلها في كتاب فاختصر جهود السابقين كأنه جمع اللباب في علوم الكتاب بعبارة موجزة رغم ذلك أضاف إليه نكتا عجيبة لا توجد في كتاب مع إيضاح مشكلات هذا الباب والنقد والتحقيق والإبداع. وقلما تجتمع هذه المقاصد في مؤلف واحد.

الميزة الثالثة: المصادر التي اعتمد عليها في هذا الديوان تتميز بأهميتها وشموليتها وأصالتها فكان اعتمادها عليها سببا في حسن تفسيره وبلوغه درجة رفيعة بين المفسرين فاطلاعه الواسع على التفاسير المشهورة الواسعة الانتشار والتي هي عمدة التفاسير قديما وحديثا أكسبته قيمة علمية كبرى وذلك مثل:

- ١- تفسير ابن جرير الطبري الذي وصفه ابن جزري بأنه: (جمع أقوال المفسرين وأحسن النظر فيها)
- ٢- وتفسير النقاش والثعلبي والماوردي ويرى ابن جزري أن كلام هؤلاء الثلاثة يحتاج إلى تنقيح.
- ٣- تفسير مكّي بن أبي طالب القيسي المبرز في التفسير وغيره من تأليفه فإنها نحو ثمانين تأليفا أكثرها في علوم القرآن والقراءات والتفسير.
- ٤- ومن بعدهم أبو العباس المهدي الذي وصفه ابن جزري بأنه (متقن التأليف حسن الترتيب جامع لفنون علوم القرآن).

٥- إلا أن المصدر الأساسي الذي تأبطه ابن جزري في رحلته مع القرآن هو تفسير ابن عطية حاز على رضا ابن جزري فوصفه بأنه (أحسن التأليف وأعد لها فإنه اطلع على تأليف من كان قبله فهذبها ولخصها وهو مع ذلك حسن العبارة مسدد النظر محافظ على السنة).

٦- ويعد تفسير الزمخشري عند ابن جزري مصدرا ثانويا لاسيما في الجوانب اللغوية وإن نقده في جوانب أخرى.

٧- كما اطلع على تفسير الرازي المشهور بابن الخطيب وأشار إلى أنه يحتاج إلى تلخيص.

فهذه أهم تفاسير الإسلام قد استوعبها ابن جزري في هذا المختصر الملم بأشتات تفسير الآية.

ومما يتميز به تفسير ابن جزري أيضا اعتماده على نوع من المصادر الأخرى وهي المصادر الشفهية فقد أفرغ علم بعض شيوخه في هذا التفسير وما تلقاه من أفواههم مشافهة من الفوائد فابن جزري يعد تلميذا لأبي جعفر بن الزبير من أعلم أهل الأندلس بالقرآن في عصره يصفه ابن جزري بقوله: (ثم ختم علم القرآن بالأندلس وسائر المغرب بشيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير؛ فلقد قطع عمره في خدمة القرآن وآتاه الله بسطة في علمه وقوة في فهمه وله فيه تحقيق ونظر دقيق). والمتصفح لهذا التفسير سيجد فيه نقولا عن أستاذه وشيخه ابن الزبير.

الميزة الرابعة: الإبداع والتميز في تفسير ابن جزري ويتجلى تميزه عن كافة التفاسير في ثلاث جواهر ودرر طرز بها كتابه وهي لا غنى لطالب العلم عنها فهي تبصرة للمبتدئ وتذكرة للمنتهي:

الجوهرة الأولى: مقدمة رائعة في أبواب نافعة وقواعد كلية جامعة يحتاج إليها المهتم بالتفسير وعلوم القرآن جمع فيها من القواعد ما تفرق في كتب وصاغها صياغة دقيقة بأسلوب رصين جعلها في اثني عشر بابا.

الجوهرة الثانية: مقدمة لغوية فيها كثير دوره من اللغات الواقعة في القرآن مع شرحها وبيان أصلها بحفظها تُستوعب جملة من لغة القرآن. وكان ابن جزري بوضعه هاتين المقدمتين يمهّد الطريق لمن أراد الولوج في علم التفسير وتدارس كتاب الله ليبيّن أن لهذا العلم مفاتيح ومقدمات هي بمثابة أدوات علمية يتوصل بها إلى دقائق التفسير وبدونها يضل طالبه في شعابه.

الجوهرة الثالثة: مقامات السائرين إلى الله التي نثرها ابن جزري في عدة سور بين ثنايا آيات القرآن مستمدا إياها من وحي الكتاب أوصلها إلى اثني عشر مقاما من مقامات السلوك تؤهل طالب العلم ومتدبر القرآن لتزكية نفسه وعلمه وتنظيف قلبه من الأدران.

الميزة الخامسة: الإنصاف والعدل واحترام من سبقه من المفسرين على اختلاف مذاهبهم ومناهجهم وتلك أخلاق القرآن فلا يقتضي وقوفه على هفوات بعض المفسرين الطعن فيهم وفي كتبهم فذلك يتنافى مع تعظيم القرآن وأهله وإنما اكتفى بقوله: (وكل أحد سلك طريقا نحاه وذهب مذهبا ارتضاه وكلا وعد الله الحسنى) وإذا بين ما يؤخذ على بعض التفاسير لم يزد على قوله -يقوده في ذلك عدل العالم-: (فخذ منه ما صفا ودع ما كدر). ويختتم قائلا: (والله ينفع الجميع بخدمة كتابه ويجزيهم أفضل ثوابه).

الميزة السادسة: ومن خصائص هذا التفسير التي يمتاز بها عن غيره ميزة تنبّه إليها ابن جزري ورعاها في عمله وقلما يلتفت إليها وهي التقيّد بقراءة أهل بلده الأندلس قراءة نافع وقد بين ابن جزري سبب اختياره هذا فقال: (وإنما بنينا هذا الكتاب على قراءة نافع لوجهين: أحدهما أنها القراءة المستعملة في بلادنا بالأندلس وسائر المغرب، والآخر اقتداء بالمدينة - شرفها الله؛ لأنها قراءة أهل المدينة، وقال مالك: قراءة نافع سنة).

ولا نعرف له في هذا الصنيع مثيلا إلا ما قام به العلامة محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره ولعل اختياره ذلك هو صدق عمل ابن جزري هذا يقول ابن عاشور: (وأبني أول التفسير على قراءة نافع برواية عيسى بن مينا المدني الملقب بقالون، لأنها القراءة المدنية قارئا وراويا، ولأنها التي يقرأ بها معظم أهل تونس). ولعل عمل ابن جزري الفريد هذا هو الذي جعل المشاركة يضربون صفحا على تفسيره لأن تعلقهم بقراءة عاصم وتعلمهم عليها أكثر من غيرها.



## قيمة تفسير "التسهيل لعلوم التنزيل" العلمية:

إضافة إلى ما يميز هذه التفسير مما تقدمت الإشارة إليه من المنهج البديع والمصادر الأصلية في هذا العلم فإن مما يبين أيضا أهمية هذا التفسير أثره فيمن بعده وشهرته فقد تلقى العلماء هذا التفسير بالقبول واهتموا به وأثنوا عليه وأكثروا من نسخه وروايته ودرسوه وحشوا عليه واعتمدوه مصدرا في علم التفسير.

والقيمة العلمية لكتاب التسهيل ناتجة عن مكانة ابن جزري في هذا العلم وإتقانه له يقول عنه تلميذه ابن الخطيب وهو عمدة من جاء بعده في ترجمته: (كان رحمه الله ... حفظة للتفسير مستوعبا للأقوال). وقال أيضا: (ورحل في علم التفسير إلى كل طية وتركيب في أغراضه كل مطية حتى أنسى الزمخشري وابن عطية).

ولهذا صار هذا الكتاب مجالا للدرس منذ ظهوره وانتشاره بين أهل العلم يقول المجاري وهو يتحدث عن شيخه عبد الله ابن جزري ولد مؤلف "التسهيل": (... وشرعت عليه في قراءة التفسير المسمى بكتاب "التسهيل لعلوم التنزيل" من تأليف السيد والده المذكور وتم لي منه بقراءتي وقراءة غيري جميع المقدمة التي افتتح بها تفسيره المذكور). مما يدل على أن هذا التفسير استرعى اهتمام طلبة العلم والمهتمين بعلوم القرآن في وقت مبكر.

كما حظي باهتمام المفسرين فنقلوا منه وأثنوا عليه يقول ابن عجيبة - وهو من أكثر من وقفنا عليه نقل من هذا التفسير -: (ومن ألف في التفسير أبو القاسم محمد بن أحمد ابن جزري الكلبي من أهل غرناطة ألف كتابا في التفسير سماه: التسهيل لعلوم التنزيل فهو مقتطف من ابن عطية غير أنه أوضح فيه العبارة وأجاد الإشارة وحرر فيه المقال وأكمل غاية الإكمال إلا أنه لم يستوعب القرآن بالكلام وقد تلقى الناس كتابه بالقبول فبلغ به غاية المأمول توفي شهيدا في غزوة طريف سنة إحدى وأربعين من القرن الثامن). ويقول المسند عبد الحي الكتاني وهو يعدد مؤلفات ابن جزري: (... والتفسير المشهور الذي حشى عليه الشيخ التاودي ابن سودة، وهو عندي).

ومما يؤكد انتشاره واعتماد العلماء عليه تحبيس سلاطين المغرب نسخا منه على مختلف الخزائن عبر العصور المختلفة كما يدل على ذلك طرر النسخ الخطية.

وإن كانت هذه الشهرة التي يتمتع بها هذا التفسير مسلمة فإنها هي في قطره الأندلس وما يليه من البلدان المغربية أما في المشرق فبعض القرائن تدل على أنه كان مغمورا ويقف المرء حائرا مستغربا أمام كون الإمام السيوطي الجماعة الواسع الاطلاع لم يشر لهذا التفسير في كتابه "طبقات المفسرين" ويزداد غرابة إذا علم أن تلميذه وبلديه الداودي المالكي ذكره ضمن كتابه "طبقات المفسرين". وبعد هذه الفترة نجد لهذا التفسير صدى في المشرق فقد نقل منه ابن عقيلة المكي في كتابه: "الزيادة والإحسان في علوم القرآن" كما نجد نقولا منه في حاشية الجمل المصري على الجلالين المسماة: "الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية".

## طباعات الكتاب السابقة:

هذا هو ابن جزري وذلك هو تفسيره للقرآن الكريم وتلك شهرة كتابه في الآفاق إلا أن ذلك السجل الحافل لهذا السفر العظيم لم يشفع له ليخدم خدمة تليق بكتاب الله أولاً ثم بمقصد مؤلفه ومقدار جهده ثانياً فكان غالب طباعات هذا الكتاب لا ترقى لمنزلة هذا العمل حتى كادت تتفق على نشر هذا الكتاب دون أدنى دقة مطلوبة أو قليل من الاهتمام الذي يليق به فخلطوا فيه بين الغث والسمين والرث والشمين والكتاب من ذلك بريء رغم كون أصول الكتاب متوافرة هنا وهناك. ولو كانت القضية تتعلق بالأخطاء الشائعة لكان الأمر ولكنها تجاوزت ذلك بكثير لتفسد المعنى المقصود من أساسه.

وحتى يكون القارئ على بينة من الأمر نذكر مثلاً يوضح شناعة تلك الأخطاء الواقعة في نسخ هذا الكتاب المطبوعة؛ ففي سورة الإخلاص نفي الولد عن الله عز وجل تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً وقد ذكر ابن جزري في تفسيره لتلك السورة هذه العبارة: (والعبودية تنافي النبوة) كما في بعض النسخ الخطية وقد أورد جل المفسرين هذه العبارة بهذا اللفظ: (والعبودية تنافي الولادة). أما النسخ المطبوعة من تفسير ابن جزري فقد أوردت العبارة هكذا: (والعبودية تنافي النبوة) وإن كان هذا خطأ بتقديم حرف على حرف فإنه خطأ مخالف لمقتضى القرآن الكريم والسنة النبوية وعقائد المسلمين.

وليست هذه الديباجة محلاً لتتبع تلك الأخطاء فيكاد المرء يجزم أن كل صفحة لا تخلو من خطأ أو أخطاء فكان نشر هذا الكتاب على الطريقة التي وصفنا خطيئة في حق هذا التفسير. وإذا كان التحريف والتغيير مما يلتمس لصاحبه العذر فإن هذا التفسير لم يقتصر في حقه على ذلك بل اعتدي على حرمة بتقديم ما أخره مؤلفه وتأخير ما قدمه فبعض النسخ المطبوعة قديماً تجد فيها المقدمتين اللتين استهل بهما المؤلف كتابه وهما جوهرة هذا التفسير ملحقة بآخر الكتاب.

بل الأعجب من ذلك أن جميع النسخ المطبوعة التي اطلعنا عليها تصرفت تصرفاً شنيعاً في نص مؤلفه فغيرت ترتيب المقدمة اللغوية المرتبة على ترتيب المغاربة للحروف مستبدلين لها بترتيب المشاركة وجميع المخطوطات التي بين أيدينا على عكس ذلك. ومن بينها النسخ المكتوبة في المشرق.

## عملنا في هذا الكتاب:

وإن المتدنى الإسلامي وهو يتشرف بنشر هذا السفر الجليل يعتبر هذا العمل فضيلة ادخرها الله له نرجوا بها المثوبة في الدنيا والآخرة وعملنا في هذا الكتاب يتركز على ستة أمور مهمة:

الأول: إخراج نص هذا الكتاب سالما من الآفات والأخطاء وضبط نص هذا التفسير كما أراه المؤلف أو قريبا من مراده كل ذلك حسب القدرة والاستطاعة.

الثاني: إخراج الكتاب على ترتيب المؤلف كما وجد في الأصول المعتمدة دون تقديم ما أخره وتأخير ما قدمه مما يخالف ما ارتضاه مؤلفه .

الثالث: المقارنة بين المخطوطات والتدقيق على الأصول التي بين أيدينا وإثبات ما يترجح في الأصل. ولم نثبت الفروق المرجوحة في الحاشية • وهي كثيرة- حتى لا نثقل الكتاب بالحواشي والهدف الأساس هو ضبط النص.

الرابع: إذا غم علينا الأمر ولم نهتد إلى المعنى المراد نرجع إلى كلام المفسرين المتقدمين وخاصة ابن عطية والزمخشري أو الناقلين من هذا التفسير للاهتداء للمعنى المراد.

الخامس: بما أن المؤلف قد بنى تفسيره هذا على قراءة نافع فإننا أثبتنا مع هذا التفسير إحدى روايات هذه القراءة وهي مصحف القرآن الكريم برواية ورش عن نافع المدني.

السادس: جميع الأحاديث التي ذكرها المؤلف أو أشار إليها عزوناها إلى مصادرنا الحديثة مما يساعد القارئ على معرفة مظنة الحديث وقد كفانا ابن جزري مؤونة هذا الباب فحكم على عدد غير قليل من الأحاديث التي أوردها.

#### النسخ الخطية المعتمدة:

نسخ التسهيل لعلوم التنزيل الخطية متعددة وحصلنا منها - والله المنه والفضل - على عدة نسخ أصلية ومصورة عن أصل وكلها نسخ كاملة وقد اختلفت هذه المخطوطات وتباينت من حيث الجودة والرداءة والقوة والضعف فبعضها ما هو إلا تكرار للنسخ الأخرى وبعضها رغم وجود الأخطاء فيها إلا أنها قد ترجح في بعض الفروق نسخا على أخرى.

ولإنجاز هذا العمل في أفضل إخراج اخترنا من بينها أحسنها وأجودها فقابلناه على ثلاث نسخ أصلية أحدها مسندة إلى نسخة المؤلف وهذا وصف النسخ الخطية على الترتيب في الأهمية:

١- نسخة الخزانة الحسينية بالمغرب برقم: 11111 وتقع في مجلدين ينتهي المجلد الأول عند تفسير آخر سورة الكهف ويتكون من مائة وست ورفات ويبدأ المجلد الثاني بتفسير سورة مريم عليها السلام ويتكون من مائة وخمس عشرة ورقة وخطها مغربي مقروء وهي كاملة لا نقص فيها مصححة ومزودة بالتعقيبة نسخت في سنة ألف ومائة وثمانية وتسعين على يد: عبد الرحمن بن الخياط بن أحمد بن عبد القادر ابن زاكور.

وقد نالت غاية الاهتمام من ناسخها يظهر ذلك في كثير من الحواشي التي طرزت بها بين فوائد وتعليقات وفهرسة لموضوعات هذا التفسير. كما تظهر ميزة هذه النسخة في دقتها وموافقته للصواب في الغالب ولولا الطمس الذي يغطي بعضا منها لكان فيها حل لكثير من معضلات هذا التفسير. ويكفي تفضيلا لها أنها النسخة الوحيدة المسندة إلى نسخة المؤلف يقول ناسخها: (ونسخنا هذه النسخة من نسخة سيدي محمد ابن صالح ابن محمد الأندلسي وفرغ منها يوم الأحد الثالث والعشرون من شهر الله المحرم عام ثمانية وألف وقد نسخها من نسخة سيدي موسى بن علي بن موسى... ونسخ هو تلك النسخة من نسخة المؤلف المبارك الأوحد البركة الشيخ الرباني العلامة الفهامة سيدي محمد ابن جزي... من خط يده). وكثير من التعليقات المثبتة في حواشيتها تدل على الدقة في مقابلة هذه النسخة وتصحيحها.

٢- نسخة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض بالمملكة العربية السعودية برقم: 10771 وهي نسخة كاملة تقع في مجلد واحد متكون من مائة واثنين وثمانين ورقة خطها مغربي جيد سنة نسخها ألف ومائتان وواحد وأربعون ناسخها محمد بن عمر احايك وعليها بعض التصحيحات والتعليقات في الحواشي وضبطها بالشكل من أولها إلى آخرها. كما أنها مزودة بالتعقيية.

٣- النسخة الأخرى من مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض بالمملكة العربية السعودية برقم: 12802 وهي نسخة كاملة تقع في مجلد واحد يشتمل على مائتين وثلاث وخمسين ورقة كتبت بخط مغربي واضح مختلف بين أول النسخة وآخرها نسخت سنة أربع وثمانين ومائة وألف على يد إبراهيم ابن أحمد بن سعيد الوسكري. وفي طررها تنبيهات وتصحيحات وعلى الصفحات الأولى قيد التملك وقيد الوقف وبعض الفوائد وميزة هذه النسخة أنها مزودة بالتعقيية جميعها.

٤- نسخة المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية بموريتانيا تحت رقم: 1809 وهي نسخة تقع في مجلد واحد ناقصة من أولها ابتداءها من: "الباب الثاني في السور المكية والمدنية" ويوجد خروم في مقدمتها وخاتمها كتبت بخط مغربي جيد وفرغ منها ناسخها... بن إبراهيم المسفوي عشية يوم الخميس قبيل رمضان سنة خمسة وستين ومائتين وألف وهي خالية من التعليقات غير التعقيية التي في آخر كل ورقة منها.

٥- نسخة دار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم: 1115 وهي نسخة كاملة تقع في جزأين وخطها مغربي جميل وفي نهاية الجزء الأول اسم الناسخ وتاريخ النسخ هكذا: (وكان الفراغ من نسخ هذا النصف زوال يوم الجمعة ثالث جمادى الثانية عام ست ومائتين وألف على يد كاتبه وأسير ذنبه محمد بن عبد... بن أحمد بن عيسى الوكيل) ولا يوجد في آخر الجزء الثاني لا خاتمة المؤلف الواردة في غالب النسخ ولا خاتمة الناسخ. وقد تغير الخط من أوائل سورة الأحقاف. وعلى الصفحة الأولى من هذه النسخة قيد التحييس على الجامع

الأعظم بتونس تاريخ تحبيسها ثلاثة وعشرون من رمضان سنة ستة وخمسين ومائتين وألف.

هذه هي أهم النسخ التي اعتمدنا عليها أو راجعنا بعضها فيما التبس علينا كما أن هناك نسخا أخرى وقفنا عليها واستأنسنا بها ولكن أهميتها لا تصل إلى منزلة النسخ التي أشرنا إليها.

وإننا إذ ننشر هذه التحفة ونزينها بأحسن الحلل فإننا نقدمها لك أيها القارئ والمحب لكتاب الله تعالى راجين منك أن تولي وجهك قبلة القرآن قراءة وترتيلا وتدبرا وتفكيراً وأن يكون هذا التفسير البديع وسيلتك لذلك لتكون جميعاً من الذين قال الله فيهم: ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ

الْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف: 170]. ونختم هذه المقدمة بقول ابن جزي:

يا رب إن ذنوبي اليوم قد عظمت فما أطيق لها حصراً ولا عدداً

وليس لي بعذاب النار من قبل ولا أطيق لها صبراً ولا جلداً

فانظر إلهي إلى ضعفي ومسكنتي ولا تذيبقني حرّ الجحيم غداً

رحمه الله تعالى وعفا عنا وعنه بمنه وكرمه فاللهم يا منزل القرآن! نسألك بحق القرآن وبحق من أنزل عليه

القرآن أن تنور قلوبنا وقبورنا بنور الإيثار والقرآن.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

# فَهْرِسُ الْمُقَدِّمَةِ

١	مقدمة التسهيل
٣	المقدمة الأولى فيها اثنا عشر باباً
٣	الباب الأول: في نزول القرآن العظيم وجمعه في المصحف ونقطه وتحزيبه وتعشيره وذكر أسنانه.
٤	الباب الثاني في السور المكية والمدنية
٥	الباب الثالث في المعاني والعلوم التي تضمنها القرآن
٧	الباب الرابع في فنون العلوم التي تتعلق بالقرآن
١٠	الباب الخامس في أسباب الخلاف بين المفسرين، والوجوه التي يرجح بها بين أقوالهم
١١	الباب السادس في ذكر المفسرين
١٣	الباب السابع في النسخ والمنسوخ
١٥	الباب الثامن في جوامع القراءات
١٦	الباب التاسع في المواقف
١٧	الباب العاشر في الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان
١٩	الباب الحادي عشر في إعجاز القرآن وإقامة الدليل على أنه من عند الله تعالى
١٩	الباب الثاني عشر في فضائل القرآن

## المقدمة الثانية في تفسير معاني اللغات

٣٦	حرف العين	٢٧	حرف الزاي	٢١	حرف الهمزة
٣٧	حرف الغين	٣٠	حرف الطاء	٢٣	حرف الباء
٣٨	حرف الفاء	٣٠	حرف الظاء	٢٤	حرف التاء
٣٨	حرف القاف	٣٠	حرف الكاف	٢٤	حرف الشاء
٤٠	حرف السين	٣١	حرف اللام	٢٥	حرف الجيم
٤١	حرف الشين	٣٢	حرف الميم	٢٥	حرف الحاء
٤٢	حرف الهاء	٣٣	حرف النون	٢٧	حرف الخاء
٤٢	حرف الواو	٣٤	حرف الصاد	٢٨	حرف الدال - الذال
٤٤	حرف الياء	٣٥	حرف الضاد	٢٨	حرف الراء

# فَهْرِسُ السُّورِ

الصفحة السورة	رقم الصفحة السورة	السورة	الصفحة السورة	رقم الصفحة السورة	السورة
٤٨	١	الفاتحة	٤٩٩	٢٠	طه
٥٢	٢	البقرة	٤١٥	٢١	الانبياء
١٣١	٣	آل عمران	٥٣٠	٢٢	الحج
١٦٥	٤	النساء	٥٤٧	٢٣	المؤمنون
٢١٠	٥	المائدة	٥٥٩	٢٤	النور
٢٤٥	٦	الانعام	٥٧٩	٢٥	الفرقان
٢٧٧	٧	الاعراف	٥٩٠	٢٦	الشعراء
٣١٥	٨	الانفال	٦٠٢	٢٧	النمل
٣٢٧	٩	التوبة	٦١٤	٢٨	القصص
٣٥١	١٠	يونس	٦٢٨	٢٩	العنكبوت
٣٦٥	١١	هود	٦٣٧	٣٠	الروم
٣٨٢	١٢	يوسف	٦٤٥	٣١	لقمان
٤٠١	١٣	الرعد	٦٤٩	٣٢	السجدة
٤١١	١٤	ابراهيم	٦٥٣	٣٣	الاحزاب
٤١٩	١٥	الحجر	٦٧١	٣٤	سبا
٤٢٧	١٦	النحل	٦٨٢	٣٥	فاطر
٤٤٨	١٧	الاسراء	٦٩٠	٣٦	يس
٤٦٨	١٨	الكهف	٧٠٠	٣٧	الصافات
٤٨٨	١٩	مريم	٧١٤	٣٨	ص
٧٢٨	٣٩	الزمر	٧٤٢	٤٠	غافر
٧٥٣	٤١	فصلت	٧٦١	٤٢	الشورى
٧٧١	٤٣	الزخرف	٧٨٣	٤٤	الدخان
٧٨٧	٤٥	الجاثية	٧٩١	٤٦	الاحقاف
٧٩٨	٤٧	محمد	٨٠٤	٤٨	الفتح
٨١٢	٤٩	الحجرات	٨١٨	٥٠	ق
٨٢٤	٥١	الذاريات	٨٢٩	٥٢	الطور
٨٣٣	٥٣	النجم	٨٣٩	٥٤	القمر
٨٤٨	٥٥	الرحمن	٨٤٩	٥٦	الواقعة
٨٥٨	٥٧	الحديد			

# فَهْرِسُ السُّورِ

الصفحة السورة رقم	السورة	الصفحة السورة رقم	السورة	الصفحة السورة رقم
٩٦ ٩٩٧	العَلَق	٧٧ ٩٥١	المُرْسَلَات	٥٨ ٨٦٦
٩٧ ١٠٠٠	القَدْر	٧٨ ٩٥٤	النَّبَا	٥٩ ٨٧٢
٩٨ ١٠٠١	البَيِّنَة	٧٩ ٩٥٧	النَّازِعَات	٦٠ ٨٧٩
٩٩ ١٠٠٣	الزَّلْزَلَة	٨٠ ٩٦١	عَبَسَ	٦١ ٨٨٥
١٠٠ ١٠٠٤	العَادِيَات	٨١ ٩٦٤	التَّكْوِيْر	٦٢ ٨٨٨
١٠١ ١٠٠٦	القَارِعَة	٨٢ ٩٦٦	الانْفِطَار	٦٣ ٨٩١
١٠٢ ١٠٠٧	التَّكَاثُر	٨٣ ٩٦٨	المُطَفِّفِيْن	٦٤ ٨٩٣
١٠٣ ١٠٠٨	العَصْر	٨٤ ٩٧١	الانْشِقَاق	٦٥ ٨٩٥
١٠٤ ١٠٠٩	الهَمَزَة	٨٥ ٩٧٤	البُرُوج	٦٦ ٩٠١
١٠٥ ١٠٠٩	الفِيْل	٨٦ ٩٧٧	الطَّارِق	٦٧ ٩٠٥
١٠٦ ١٠١٠	قُرَيْش	٨٧ ٩٧٩	الاعْلَى	٦٨ ٩١٠
١٠٧ ١٠١١	المَاعُوْن	٨٨ ٩٨١	الغَاشِيَة	٦٩ ٩١٥
١٠٨ ١٠١٢	الكُوْثِر	٨٩ ٩٨٣	الفَجْر	٧٠ ٩٢٠
١٠٩ ١٠١٣	الكَافِرُوْن	٩٠ ٩٨٧	البَلَد	٧١ ٩٢٤
١١٠ ١٠١٤	النَّصْر	٩١ ٩٨٩	الشَّمْس	٧٢ ٩٣١
١١١ ١٠١٥	المَسَد	٩٢ ٩٩١	الْيَل	٧٣ ٩٣٣
١١٢ ١٠١٦	الإِخْلَاص	٩٣ ٩٩٣	الضُّحَى	٧٤ ٩٣٨
١١٣ ١٠١٩	الفَلَق	٩٤ ٩٩٥	الشَّرْح	٧٥ ٩٤٢
١١٤ ١٠٢١	النَّاس	٩٥ ٩٩٦	التِّيْن	٧٦ ٩٤٦



طبع هذا السفر النفيس  
وقفا على روح المشمول برحمة الله  
وعفوه الشيخ محمد بن سلطان القاسمي .  
فا اللهم اجعل ثواب نشر هذا التفسير في  
ميزان حسناته، وكفر عنه سيئاته، وارفع به  
درجاته، وتقبل منه طاعاته . واجعله ببركة  
القرآن العظيم، ممن يرد حوض نبيك  
الكريم، عليه أفضل صلاة وتسلم  
أمين أمين آمين

